بسم الله والحمد لله والصلوة على رسول الله

السورة عبارة عن طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها
اصلية منقولة من سور المدينة او من السورة التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السؤرة التي هي البقية او القطعة من الشيء وفائدة تقطيع القرآن سورا التنويع
احسن من كونه بابا واحدا وانشط للقاري واسهل للحفظ واما افراد الانواع والاحوال
والاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مراعى في ترتيب الايات وتقطيعها سورا كما لا يخفى
على من تتبع وتامل وفاتحة الشيء اوله ولخاتمة اخره اذ بهما الفتح والختم والتا للنقل من الوصفية
الى الاسمية وقيل هي في الاصل مصدر بمعنى الفتح ثم اطلقت على اول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر
والفاعلة في المصادر غير عزيز واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله المفتتح بالتحميد
والمختتم بالاستعاذة بمعنى اللام لان اول الشيء جزؤه واضافة الجزء الى الكل بمعنى اللام ثم انه وجه
تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة ظاهر
اما تسميتها بام القرآن فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن من الثناء على الله والتعبد
بالامر والنهي والوعد والوعيد واما تسميتها بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه
واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم انها انزلت من كنز العرش واما تسميتها بسورة
الشفاء والشافية فلقوله عليه السلام هي ام القرآن وهي شفاء من كل داء واما تسميتها بسورة الصلوة
فلوجوب قراءتها فيها وقد تسمى بالصلوة كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي
وذلك من باب تسمية الشيء باسم ما يلازمه واما تسميتها بالوافية فلانها تكفي في الصلوة عن غيرها
ولا يكفي عنها والمراد من الصلوة الركعتان الاخيرتان من الرباعية لان ضم السورة عليها
واجب في الاوليين واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع ايات تثنى في الصلوة وقيل
لانها ثنيت في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وفيه
ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من

المثاني يعني فاتحة الكتاب على ما نص عليه النبي عليه السلام حيث قال في رواية ابي هريرة
رض فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته والاية مكية بالنص وبذلك
استدلوا على مكية هذه السورة فقدم دليل مكيتها آنفا ووجه الدلالة ظاهر والمكي ما انزل قبل
الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار وهي سبع ايات بالاتفاق
الا ان قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاءها عدوا انعمت عليهم اية ولم يروا التسمية اية منها
وعليه مالك واصحابه وابو حنيفة واصحابه ولهذا لم يذكرها مالك في الصلوة ويسر بها ابو حنيفة
ويقول انها اية من القرآن انزلت للفصل من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه
ولهذا الجهر بها في الصلوة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصاحف كلام الله تعالى
والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب امين على صحة القول
الثاني اذ لا يلزم من كونها كلام الله ان تكون اية من الفاتحة نعم فيما روى ابو هريرة رض من
انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة عليها بسم
الله الرحمن الرحيم قد جاء في الخبر عن خير البشر انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود بسم الله
مجريها ومرسيها كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب
بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم
ففي الخبر دلالة على انه ليس من اول كل سورة ولكنها بعض اية من كتاب الله في سورة النمل وقالوا
اللطف من الله في عدم كونها اية تامة ان لا يكون الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عند كل امر
ذي بال كالنها ذبين لم تجمعا في القرآن في موضع واحد حتى لا يتوهم انهما اية وربما يحضر الجنب
ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره بسم نصب بفعل مضمر تقديره بسم الله اقرأ وتقديم المعمول
للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف حذفت لكثرة الاستعمال ولذلك تثبت عند استعمالها
بحرف اخر نحو قولك لاسم الله حلاوة في الصلوات ومضافا الى اسم اخر نحو باسم ربك وطولت
الباء لاجله وهي للخفض كسرت لتشابه حركتها عملها وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء
واظهر السينات ودور الميم وكان الغياس السنات لانه جمع السن الا انه عدل عنه حذرا عن الالتباس
ببعض المصادر كما قال الجوهري في الدينار اصله الدنار بالتشديد فابدل من احد حرفي تضعيفه ياء
لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا فتح كتابه العزيز بحرف
الباء واثرها على سائر الحروف لاسيما على الالف حيث اسقط واثبت هيئة الباء مكانه اشارة

الی انها وان کانت متبوعا للبا صورة لکنه من توابعها معنی وذلک انک اذا نظرت الی
صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما علی البا متبوعا له واذا تلفظت بالبا وجدت
الالف تابعا لها والاسم من السمو لانها رفعة للمسمی وشعار له ولا لدفع توهم اختصاص الاستعانة
بلفظ الله فقط فان القائل اذا قال بالله ابتدائی فمعناه بهذا الاسم واذا قال بسم الله ابتدائی
معناه باسمه تعالی ابتدائی فان المقصود به ح المسمی الله اسم علم خاص له تعالی عند الخلیل
ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بینه وبین غیره انما تنافی علمیته اذا ثبت اصالته ذلک الغیر وذلک
لم یثبت بعد وقیل وصف لکنه غلب علیه تعالی بحیث لا یستعمل فی غیره وصار کالعلم لا علم لان
ذاته تعالی من حیث هو بلا اعتبار امر حقیقی او غیره غیر معقول فلا یمکن ان یدل علیه بلفظ ورد
علیه ان المعتبر فی اسم الذات تجرید الموضوع له من معنی زائد لا تجرید الذات عنه عند الوضع
فملاحظته بوصف مخصوص لا ینافی کونه اسم ذات اذا لم یکن ذلک الوصف معتبرا فی الموضوع له
علی ان فی وضع الاعلام لا حاجة الی معرفة الموضوع له وملاحظته بتشخصه بل یکفی معرفته وملاحظته
علی وجه ینحصر ذلک الوجه فی الخارج فیه الا یری ان الاب یضع علما لولده قبل ان یراه ولو سلم
انه یستحیل ان یضع له تعالی علما ولکن لم لا یجوز ان یسمی الحق نفسه باسم یدل علی ذاته تع بالمطابقة
ثم یعرفنا بذلک او یقال لو دل علی مجرد ذاته تع لما افاد ظاهر قوله تع وهو الله فی السموات
وفی الارض معنی صحیحا لان اللازم فی عدم دلالته وصفا علی معنی زائد لا عدم دلالته علیه اصلا
کما تم فانه علم ومع ذلک دل علی معنی السخاوة لاشتهاره بها اصله اله فلما دخل علیه الالف
واللام حذفت الهمزة تخفیفا وعوضت عنها حرفا التعریف فان قلت اذا کان دخولهما قبل
حذفها فکیف یکونه عوضا عنها قلت دخولهما قبل حذفها لا بطریق اللزوم وبعد الحذف
یکونان لازمین لهما باعتبار اللزوم یکونان عوضا عنها ولذلک قطعت الهمزة فی یا الله وهو
اسم جنس وضع لکل معبود بحق او باطل ثم غلب منکرا علی المعبود بحق کبعوضة وسنة وقد دل
علی ذلک ای علی غلبته منکرا کلمة التوحید ثم اختص بذاته تع بعد حذف الهمزة وتعویض التعریف
عنها ویدل علی هذا ایضا کلمة التوحید مشتقا من اله کعبد وزنا ومعنی وتصرفا او من اله
بمعنی فزع او من اله بمعنی ولع او من اله بمعنی تحیر او من اله بمعنی سکن او من وله کعلم ولد
وزنا ومعنی وتصرفا ای تحیر ودهش او من وله بمعنی طرب او من لاه بمعنی ارتفع او بمعنی احتجب
او بمعنی استتر فیجوز الا فادیل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع الیه عند الامور العظام

المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بالاعلام الذی تحیر فی صفاته الاحلام
وسکنت فی عبادته الاجسام وولعت به نفوس الانام وطرب الیه قلوب الکرام الرحمن الرحیم
اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثانی لان فعیلا لمن کثر منه الفعل وفعلان لمن کثر
منه وتکرر وحق الابلغ التاخیر الا انه قدم لانه لاختصاصه به تعالی کالعلم ووصفه تعالی بالرحمة
ومعناها العطف ومنه الرحم من قبیل اطلاق السبب علی المسبب وهو الانعام والاحسان فان
الملک اذا عطف علی رعیته انعم علیهم واحسن فی حقهم وما فی معنی الرحمة من الزیادة کما وکیفا حیث
یقال تارة یا رحمن الدنیا ورحیم الاخرة واخری یا رحمن الدنیا والاخرة ورحیم الدنیا فرجعه الی
الصیغة فان زیادة البنا لزیادة المعنی وهذا بعد الرجوع الی اصل واحد فی الاشتقاق
بشرط الاتحاد فی النوع فلا نقض بحاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة مشبهة فالرحمن
عام المعنی خاص اللفظ حیث لم یستعمل فی غیر الله تعالی الا تعنتا کرحمن الیمامة والرحیم علی عکس
ذلک الحمد لله الحمد هو المدح والوصف بالجمیل ولا اختصاص له بالله تع یفصح عن ذلک قول عائشة
رض نحمد الله لا نحمدک وقول علی رض لا تحمدن امرا حتی تجربه بل لا اختصاص له بذی علم وشعور
یرشدک الیه قوله تع عسی ان یبعثک ربک مقاما محمودا وقول العرب فی المثل السائر عند
الصباح یحمد القوم السری ومن ههنا تبین ان المحمود لا یلزم ان یکون فاعلا لما حمد به فضلا ان
یکون مختارا فیه کما توهم ومن وهم قیام الفرق بین الحمد والمدح بصحة تعلق الثانی بالجماد دون
الاول فقد وهم واتضح انه لا دخل لمسئلة خلق العباد افعالهم فی هذا المقام لان الکلام فی الحمد
اللغوی والمرجع فیه من وثق بعربیتهم وقد ثبت بالنقل الصریح والاستعمال الصحیح من قبلهم عدم
اختصاص الحمد به تع واما حمل التعریف علی الجنس دون الاستغراق فمنشؤه امر اخر وهو ان
مقتضی مقام الخطابة تخصیص حقیقة الحمد به تع تنزیلا لافراد الحمد الثابتة لغیره بمنزلة العدم والقصد
الی هذا المعنی ظاهر عند کون التعریف للجنس دون الاستغراق لانه قد یکون عرفیا کما فی جمع الامیر
الصاغة ویساعده مقام الخطابة فلا یوجد استیعاب جمیع الافراد فلا یتحقق مقتضی المقام
والشکر بمقابلة النعمة بالقول او العمل او لکونه بالفعل کما یکون بالقول فیل دابة شکور اذا ظهر
سمنه بادنی علف له وقال تعالی اعملوا ال داود شکرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا
وهو اللسان والارکان ومقابلة الشکر الکفران ومقابل الحمد الذی یقابل المدح علی ما نص
علیه الجوهری ومن ههنا ظهر انهما مترادفان لغة واما الجنان فلیس بمورد له بل هو شرط لکون القول

شكرا ولادلالة في قول الشاعر • افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • على استقلال
كل منها موردا ولما كان الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر اشيع لها وادل على مكانها لما في
اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة وقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم
يحمده ورفع الحمد بالابتدا وخبره لله واصله النصب على المصدر باضمار فعله لكونه من المصادر التي
حقها ان تكون كذلك ولا يذكر الفعل معها البتة كشكرا وعجبا وقد ترك على الاصل والعدول الى
الرفع على الاول للثبات لما في الفعل من التجدد لدلالته على الازمنة ولذلك كانت تحية ابرهيم
عليه السلام احسن في قوله تع قالوا سلاما قال سلام ولان معناه على الرفع ان الحمد حق لله يستحقه لذاته
وعلى النصب لا دلالة على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن ملاحظته اذا تكلم به
على النصب يكون كاذبا لاخباره عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك بخلاف ما اذا تكلم به
على الرفع وانما خص الاسم المذكور ههنا لتكون المحامد كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها
فانه اسم منبئ عن جميع صفات الكمال لما اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع
صفات الكمال وعامة نعوت الجلال حمدا ولم يحمد بنة على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام
واثاره الجسام ايضا من ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة
لعباده المؤمنين وذلك ان ترتيب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم
بالوصف يشعر بها كانه قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها ولكمالاتها
التي لا يشترك فيها غيره رب العالمين الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق
والمعبود وكل ذلك يحتمله المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها وكفى ذلك وجها لايثاره على
المالك ونحوه ثم ان ربوبيته تع بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى
التربية والاصلاح خاصة بحسب انواع الموجودات متفاوتة فهو مربي الاشباح
بانواع نعمه ومربي الارواح باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي
قلوب العارفين باداب الطريقة ومربي اسرار الابرار بانواع الحقيقة ولقد احسن من قال
انه تعالى يملك عبادا غيرك كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وانت ليس لك رب سواه ثم انك
تتساهل في خدمته كان لك ربا غيره وهو يعتني في تربيتك كان ليس له عبد سواك يحفظك
بالنهار عن الافات بلا عوض ويحرسك بالليل عن المخافات من غير غرض فما احسن هذه التربية
واطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا لا مطلقا ولا مقيدا لما رواه الشيخان عن ابي هريرة رض

مرفوعا لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل
سيدي واما قول يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى
لانه عليه السلام كان يتكلم بالعبرية فلا حاجة الى ما قيل انه ملحق بقوله تع وجواز التجدد في
الاختصاص بزمانه بل لا وجه كما لا يخفى ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع في شعر الحارث بن حلزة
من شعراء الجاهلية يمدح ملكا • وهو الرب والشهيد على يو • م الجبارين والبلاء بلاء • والعالمين
جمع عالم وهو في لسان العرب اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من
الانواع كالملك والانس والجن فتقول العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم
السماء على ما نقله ائمة اللسان وهو جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش
وهو ماخوذ من العلم والعلامة فجعل اسما لما يعلم به الصانع فان فاعلا كثيرا ما يجي في اسم الالة
التي يفعل بها الشيء كالخاتم والقالب والطابع فجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالالة
في الدلالة على صانعه واما جمعه فلانه لو افرد لربما تبادر الى الفهم انه اشارة الى هذا العالم
المشاهد لشهادة العرف او الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل
كل جنس سمي بالعالم لعدم العهد في الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون نفس الحقيقة
والجنس وانما جمع جمع قلة والظاهر يستدعي الاتيان بجمع الكثرة قال وهب لله ثمانية عشر
الف عالم والدنيا عالم منها تنبيها على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه
واما جمعه بالياء والنون فلتغليب العقلاء منهم الرحمن الرحيم ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته
كما قال عليه السلام فيما روى عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي ويقول
العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي فذكرهما في البسملة لاستمالة قلوب العباد على العبودية
بالرحمة والغفران وفي الفاتحة للثناء على الله تع بالجمال والجلال للقربة والرضوان مالك يوم
الدين الملك تمام القدرة وذي ملك من الملك وهو التسلط العام والاستعلاء التام وهو
اشد مناسبة بحقه تع والاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على الاعمال من الثواب والعقاب
واخذ حق الضعيف من القوي على الاستعلاء والسلطنة واضافة الملك والسلطنة الى الوقت
شائع دون اضافة الملك وقيل في ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة حرف وبه زيادة
ثواب لقوله عليه السلام من قرا القران كتبت له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر
سيئات ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف

المجرى مجرى المفعول اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل انما تكون
غير حقيقية اذا اريد به الحال والاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد ههنا الزمان المستمر
او الماضي لقراءة ملك على المضي والمعنى مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة عن وقت
استضاءة الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا
طويلا كان او قصيرا وهو المراد في الاية لعدم الطلوع والغروب ثمة والدين الجزاء خيرا
كان المجزي به او شرا كما يقال كما تدين تدان وانما خص اضافة ملك اليه لان الاملاك يومئذ
زائلة قال الله تعالى والامر يومئذ لله فكانه يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك بوجوه النعم
فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال
الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين اياك نعبد لانك مالك واياك نستعين لان ما سواك هالك
ايا ضمير منفصل منصوب والكاف للخطاب مثل كاف ذلك وهو اي ايا وما حرفا التنبيه والنداء
فادغم الياء وكسرت الالف لجوار الياء والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل
ولهذا اختصت بالرب عدل عن الغيبة الى الخطاب ويوصف الالتفات وقد اقتضاه المقام
وذلك من اول السورة الى هناك ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن ههنا الى اخره دعاء والدعاء
في الحضور اولى والمعنى نخصك يا من لا تسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اضافة النعم
الدنيوية والاخروية ولا تجوز الاستعانة الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شيء بغاية
التذلل في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين سواك قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد
وقطعا لاحتمال تعلق العبادة بغيره من اول الامر لانه كفر فلا بد من الاحتياط عن ذهاب الوهم
اليه ولم يسلك في الحمد لله ذلك المسلك اذ لا باس في تعلق الحمد بغيره وان الضمير المستكن الشامل
للقاري ولسائر الموحدين للتعميم والتشريك ودرج العبادة في تضاعيف عبادتهم وخلطا لحاجته
بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وكان في ذلك ايضا لكل مقام
حقه فكانه يقول انت منفرد في المعبودية ونحن شركاء في العبودية ولك ان تقول ان في اعبد
معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفي نعبد معنى التواضع المناسب لمقام العبادة والتذلل فكانه
يقول اني واحد من عبيدك وقدم العبادة على الاستعانة تعليما للعباد وجريا على الطبع في
العوائد من تقديم الوسيلة على الحاجة لانه انجح لحصول المطلب واسرع لوقوع الاجابة واطلق
الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها بقوله اهدنا ليتكرر اجمالا وتفصيلا فيدل على ان

اهم المهمات الاستعانة به وبتوفيقه في طلب الهداية والسعادة الاخروية الباقية وكرر
الضمير المنفصل للتنصيص على التخصيص في كل من العبادة والاستعانة ولولا ذلك لكان
التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص في كل منهما اهدنا الصراط المستقيم الدين القويم
وما يدل عليه القران العظيم قال علي وابي بن كعب رض اهدنا الصراط ثبتنا عليه كما يقال للقائم قم
حتى اعود اليك اي دم على ما انت عليه قيل وقرئ ثبتنا وفي التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان
المطلوب هو الثبات في ضمن التجدد يعني ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها في كل وقت والهداية
دلالة بلطف ومنه الهدية وخصها كان دلالة بفعلت نحو هديته الطريق وما كان من
الاعطاء افعلت نحو اهديت الهدية واستعمالها في الشر كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
فعلى طريقة التهكم كالبشارة في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والفعل منه هدى يتعدى الى ثاني مفعوليه
باللام تارة وبالى اخرى ففي حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه اخراج له مخرج
المتعدي الى المفعولين بالذات ولا بعد في ان يقصد بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة
فكانه قيل اهدنا هداية كاملة لا تحتاج الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدني رعاية للمناسبة
مع نعبد ونستعين ولان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلماء يقول
لتلامذته اذا قرأتم في خطبة السبق ورضي الله عنكم وعن جماعة المسلمين فلا بد وان يكون في المسلمين
من يستحق الاجابة واذا اجاب الله تعالى الدعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ولهذا
السبب قالوا السنة اذا اراد احد ان يذكر دعاء ان يصلي اولا على النبي صلى الله عليه وسلم
ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله فمن اين لنا تلك الالسنة قال يدعو بعضكم
لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك والصراط كالطريق في التذكير والتانيث
وفي المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد
والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون
على جهة القصد فهو اخص الثلاثة وفائدة وصفه بالمستقيم ان الصراط يطلق على ما فيه صعود او هبوط
والمستقيم لا ميل فيه الى جهة من الجهات الاربعة واصل الاستقامة في قيام الشخص ان لا يكون
منحنيا ولا منثنيا ولا مائلا الى يمين او يسار صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وفائدته
التوكيد للتكرير والتفصيل بعد الاجمال واطلق الانعام ليتنظم كل نعم شددت اللام في الذين لانها
لامان والاصل لذ مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف والتشديد من اجل ذلك والانعام

نفع العالي من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والتبعة ولما كان الكفار من جملة الذين
انعم الله عليهم على ما صرح به قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم بقوله غير
المغضوب عليهم في دار الدنيا ولا الضالين في دار الاخرة والمشهور ان نعم الله على نوعين دنيوية
وهي اوفر في حق الكافر لقوله عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واخروية وهي مختصة
بالمومن ونحن نقول ان النعمة الاخروية على قسمين نعمة نفع وهي المختصة بالمومن ونعمة رفع ولا شبهة
في عمومها للكافر ايضا لانه تعالى لا يعذب كافرا من الكفار بنوع من العذاب الا وهو قادر على
ان يعذبه باشد منه وترك ذلك نعمة تخفيف منه تعالى عليه غير صفة مقيدة اي جمعوا بين النعمة
والسلامة منها وانما وصف المعرفة بغير تنزيلا للموصول منزلة النكرة اذ لم يقصد به معهود
او رفعا لغير الى درجة المعرفة لزوال ابهامه بالاضافة الى ما له ضد واحد اعلم ان غيرا
لها ثلاثة مواضع احدها ان تقع موقعا لا تكون فيه الا نكرة وذلك اذا اريد بها النفي الساذج
في نحو مررت برجل غير زيد الثاني ان تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد بها
شيء قد عرف بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك
اي المعروف بمضادتك الا انه في هذا لا يجري صفة فيذكر غير جارية على الموصوف الثالث
ان تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم وعاقل
غير جاهل والرجل الكريم غير اللئيم كذا قال صدر الافاضل وقد تبين منه ان من قال ان غيرا لا
يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف وان من زعم انه بالاضافة الى ما له ضد واحد يتعين
تعين الحركة غير السكون فقد اخطأ من وجوه اما الاول فلانه وان اضيف الى ما له ضد واحد لكنه
لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثاني
فلم يتعين تعين الحركة من غير السكون واما ثانيا فلانه حينئذ يكون معرفة بالحقيقة على ما مر لا بالتأويل
كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه حينئذ لا يجري صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو في
صدد توجيه كونه صفة لما قبله وقيل هو بدل من الذين ولا يعجبني ذلك لان غيرا اصل وضعه
للوصف والبدل بالوصف ضعيف والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام
والقانون في امثال هذا ان جميع الاعراض النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والحياء والتكبر
والاستهزاء لها اوائل ولها نهايات ويتبين ذلك في الغضب فان له غليان الدم وغاية ارادة
ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على اوله الذي هو من خواص الجسم

بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة بقي ههنا نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب لما ذكر
النعمة بل لوح به حيث قال غير المغضوب عليهم ولم يقل غير الذين غضبت عليهم عطفا على الاول في
اللفظ منحرفا به عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا
قيل يعني بالاول اليهود لقوله تعالى فيهم وباؤا بغضب على غضب وبالثاني النصارى لقوله تعالى
في حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روي عنه عليه السلام من ان رجلا ساله وهو
بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال اليهود ومن الضالين فقال النصارى فان قلت كيف قسر على
ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم فانه
في محل النصب على المفعولية ولا مزيدة لتاكيد ما في غير لئلا يتوهم في اول الوهلة تركها عطف الضالين
على الذين والضلال فقدان الطريق السوي سواء سبقه وجدان اولا كما في قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى وانما عدلنا عن تفسيره بالعدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ لان من طلب الطريق السوي
ولم يجده او قصر عن الطلب ضال ولا عدول له عمدا ولا خطأ آمين مبني على الفتح كاين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها والاصل فيه القصر وانما مد ليرتفع الصوت بالدعاء كذا قال ابن خالويه
في اعراب القران وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر في قوله ❁ امين فزاد
الله ما بيننا بعدا ❁ للضرورة وذلك وهم اذ لا ضرورة فانه لو قدم القافية فقال فامين زاد الله
ما بيننا بعدا اندفع الضرورة ولا يشدد ميمه فانه لحن والعامة ربما فعلوا ذلك واما في قوله تعالى ولا آمين
البيت الحرام فالميم مشددة لانه من اممت اي قصدت معناه على قول ابن عباس رض كذلك يكون وقيل
اسم فعل اي استجب وروي عن كعب الاحبار انه قال امين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده المومن وليس
من القران اجماعا وقراءته سنة في الصلوة وخارج الصلوة بعد الفاتحة مفصولة عنها

عن سهل بن سعد رض عن النبي عليه السلام ان لكل شيء سناما وسنام القران سورة البقرة ولا حجة
فيه على ما استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه
السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران لان ما يكره من الاية قد يكره منه عليه السلام الا
يرى انه قال لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقد انكر قول الاعرابي ومن
عصاهما فقد غوى وقال بئس خطيب القوم انت بسم الله الرحمن الرحيم الم في الفواتح المقطعة اوجه

بقرة

والاوجه انها اسما السورة وعليه الاكثر ومحلها رفع على الابتدآ وقيل نصب او جر على حذف
حرف الجر واضماره والمروى عن الصديق الاول فى النهج انها اسرار بين الله تع وبينه وقال بعض الكمل قد
يجرى بين المحبين كلمات معماة تشير الى سر بينهما والمقطعات فى اوائل السور من هذا القبيل فانه تع قد
وضعها مع نبيه عليه السلام فى وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبرئيل
باسرار وحقائق لا يطلع عليها جبرئيل ويدل على هذا ما روى فى الاخبار ان جبرئيل لما نزل بقوله تع
كهيعص فلما قال كاف قال النبى عليه السلام علمت فقال ها قال علمت فقال يا قال علمت فقال عين
قال علمت فقال صاد قال علمت فقال جبرئيل كيف علمت ما لم اعلم ذلك الكتاب اصل ذلك ذا اسم
مبهم للاشارة واللام عوض عن ها التى للتنبيه ولهذا لا يجمع بينهما والكاف للخطاب فلا دلالة فى
اصل وضعه الى البعد وانما ذلك بحسب العرف الطارى فالاشارة به ههنا الى الحاضر اما على الوضع
اللغوى او لان ما لا يحس بالبصر فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا سوآء لانه من حيث انه لا يحس بالبصر
اشبه المحسوس الغائب ومن حيث انه مدرك بالعقل او السمع اشبه المحسوس الحاضر فصح فيه استعمال
اللفظين ولهذا قال جمع من ائمة التفسير والعربية ان معنى قوله تع ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره
لان المشار اليه المسمى وهو ذلك البعض من القران ليس بمؤنث وكذا اسمه المذكور وهو الم ليس بمؤنث
نعم له اسم اخر مؤنث وهو السورة لكن الاشارة ليس باعتباره فلا حاجة الى التاويل فى تذكيره وهو
مبتدا اول والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل او خبر المبتدا
والكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعنى المفعول قال الراغب الكتب ضم اديم الى
اديم بالخياطة وفى المتعارف ضم الحروف بعضها الى بعض فى اللفظ ولهذا سمى كتاب الله وان لم
يكتب كتابا فمن قال اطلق على المنظوم عبارته قبل ان يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يفرق بين الخط
والكتابة لا ريب فيه فى محل الحال والعامل فيه معنى الاشارة فيه اشارة الى كماله فى نفسه وقوله
هدى اشارة الى كونه مكملا لغيره فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال قال الراغب فى الفرق
بين الشك والمرية والريب ان الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح احدهما على
الاخر بامارة والمرية التردد فى المتقابلين وطلب الامارة ماخوذ من مرى الضرع اى مسحه ليدر فكانه
يحصل مع الشك تردد فى طلب ما يقتضى غلبة الظن والريب ان يتوهم فى الشى امر ثم ينكشف عما توهم
فيه ولما كان الريب اضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفى عنه منشأ الريب لا نفسه لانه حالة قائمة
بالمرتاب لا يحتمل ان يوجد فى جنس الكلام فلا حاجة الى نفيها بل لا وجه له فى مقام المدح فتاخير الظرف

لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل لان باقى الكتب السماوية ليس بمعجز فلا قاطع لعرق الريب
فيه بل تجريد الكلام لما يستويه فان المفهوم من الحصر المذكور فضله فى الكتاب المقام واختيارها
هو احسن نظما وتوسيع دائرة القرآن على ما سنقف عليه باذن الله تع وقرى لا ريب بالتنوين
والرفع والوقف المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه هدى للمتقين اى المشارفين للتقوى
الصائرين اليه ففيه مجاز وايجاز وهما من اقوى اسباب الاعجاز ونكتة المجاز على قوة ترتب
اهتدائهم على هدايته بحيث لا يتخلل بينهما زمان فكان هدايته بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين
وانما لم يقل هدى للضالين لئلا يندرج تحت عمومه المطبوع على قلوبهم هدى مبتدا خبره فيه قدم
عليه محققا على قراة من وقف على لا ريب ومقدرا على قراة من وقف على فيه للعناية والاهتمام
تنبيها على ان المقصود بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدايتهم لا كونهم مهتدين به ولمى فقط على
الفاصلة وايثار الظرف على الضمير المنفصل للاشارة الى ان الهداية من بعض الفوائد التى تضمنها
وتنكيره للتعظيم والهدى فى الاصل مصدر على فعل كالسرى وقد مر تفسير الهداية وما يتعلق به والتقوى
على ما قال على رض ترك الاصرار على المعصية والاغترار على الطاعة والمتقى اسم فاعل من قولهم وقى
فاتقى والوقاية فرط العناية وقيل المتقى من سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا ورآء القفا
وكلف نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا ولو لم يكن فضل الا فهم من هنا لكفى
فانه تعالى بين فى غير موضع ان القران هدى للناس وقال هنا هدى للمتقين فكانه يقول ان
المتقين هم كل الناس فمن لا يكون متقيا ليس منه ولما كان معنى قوله للمتقين الذين يؤمنون صح ان
يكون قوله الذين يؤمنون موصولا للمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير
اعنى او امدح او مرفوع بتقدير هم واما فصله عنه على انه مرفوع بالابتدآ مخبر عنه باولئك على هدى فضعيف
لا تعلقه مما قبله والذاهب به مذهب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به ومنه الاستيناف
على تقدير ان يسأل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القضيتين فيكون القطع
بينهما لكمال الاتحاد والظاهر انه لكمال الانفصال فى الغرض والاسلوب على ما شهد لذلك تصدير القصة
الثانية بان المشتق بالاخذ فى فن اخر والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيرى ثم نقل الى
التصديق فقيل امنه التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى اخذ واعترف فعدى بالبآء بالغيب اى بما غاب
عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدركه واحد منهما لا بالبديهة ولا بالاستدلال يعنى احوال البعث
والجنة والنار كما فى قوله تع الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين فى اموالهم حق معلوم

للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ولقوة غيبته حيث غاب عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن بلغ الغاية في العدالة عدل ولكماله في معنى الغيبة حيث لم يمكن استحضاره لا بالبديهة ولا بالنظر عرف بتعريف الجنس كان معنى الغيبة انما تم فيه وباقي الغائبين بمنزلة الشاهد نظرا اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتقادهم بنبوته حيث صدقوه في اخبار لا طريق الى العلم بصدقها لا بالحس ولا بالعقل ولا بالبديهة ولا بالكسب وعدم التعرض للتصديق بالمبدأ للتنبيه على ان شأنه تعالى اظهر الامور حيث كان التصديق به تصديقا باجلى المعلومات فلا يناسب ذكره في مقام المدح بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نعي على الدهرية على وجه ابلغ ويقيمون الصلوة اقامة الشيء جعله قائما والقيام انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات من له القامة واحسنها استعيرت الاقامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجاء به معطي حقوقه وايضا لما كان الاستعمال من له القامة بقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا ومنه اقام القوم سوقهم اذا استعملوها ولم يعطلوها فالمعنى على الاول يعدلون اركانها ويكملون حدودها وعلى الثاني يحافظون عليها في مواقيتها ولا يعطلونها والصلوة للاذكار المعروفة والافعال المشهورة واصلها الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفيما نقلها الشرع اليه اشتمال على الدعاء وفائدة الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد ايقاعها فقط ولهذا لم يأمر بالصلوة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلوة والمقيمين الصلوة ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث قال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ومن ثمة قيل المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما قال عمر رض الحاج قليل والركب كثير وكثير من الافعال التي حث الله على توفية حقه ذكره بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن بالقسط ولما كان المعنى يعبدون الله تعالى بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله ومما رزقناهم ينفقون وقدمها هو الانسب وبالتقديم احق لانه ام العبادات وعماد الدين ولم يقل ويؤتون الزكوة لئلا يختص المدح بالاغنياء وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة منها وغير الواجبة ناسب ان يذكر المالية ايضا على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله الحظ والنصيب من اي نوع كان ثم شاع على ما اعطى الله تعالى عبده ومكنه من التصرف فيه حلالا كان او حراما لقوله عليه السلام لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله واما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة مسلمة وكذلك

بطلان

بطلان التالي مسلم انما الشان في وقوع المقدم فافهم نعم هو محمول ههنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته الى الله تعالى فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه منفصلا حقه ان يكون خاليا عن الكراهة فضلا عن الحرمة وان كان قد تضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم والاجمال واما الحث على الانفاق والمدح للمنفق وكونه من المتقين فانما يصلح لكون المنفق مباحا ولا دلالة فيه على عدم كون الرزق الذي ذلك المنفق بعض منه مشتملا على الحرام وزيادة حرف التبعيض للحث على الاقتصاد المحمود لانه الجود الذي هو وسط بين الاسراف والاقتار قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار صريح في حق الغائبين ونهي ضمنا في حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن مظنة المدح به كيف وهو حرام منهي عنه بابلغ وجه في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف في الخير فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول والنعمة اتم من الاخبار عن نفس الفعل فقدمه عليه اظهارا للاهتمام به والاعتناء بشأنه ومحافظة على الفاصلة والانفاق صرف المال الى الحاجة للانفاقة واذهابه مطلقا فالاحراق مثلا ليس بانفاق والذين يؤمنون هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخص تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا وليسوا باهل الكتاب وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم غير الكتابي لان تصديقهم بتلك المغيبات اغرب اذ هم لم يسمعوا شيئا منها الى ان اخبر به النبي عليه السلام فهم بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك تبين وجه تخصيص التعبير بالغيب عن المصدق به في حقهم مع ان متعلق التصديق لكلا الفريقين واحد وظهر انه فصل بقوله بما انزل اليك الاية هو بعينه ما عبر عنه اجمالا بقوله بالغيب اليك اصله الى ك قلب ذا بين الاضافة الى المكني وغيره والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها كما في انزال القران فانه انزل جملة من اللوح الى سماء الدنيا ثم نزل منها على لسان جبريل منجما على الرسول عليه السلام او بنقوش الدالة عليها كما في انزال التورية فانها قد انزلت على موسى عليه السلام مكتوبة على الالواح فان كان المراد جميع ما انزل عليه عليه السلام الى حين نزول هذه الاية كما هو الظاهر فالامر بين فان الايمان بالمترقب غير واجب وذلك بين وان كان المراد مجموع القرآن والشريعة فمبناه على تنزيل المترقب منزلة النازل لتحقق وقوعه وللارتباط بعضه ببعض كالشيء الواحد ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح ولا تريد به الماضي فقط بل الآتي ايضا او تغليب النازل

على ما لم ينزل وفي يؤمنون اشارة الى ان القرآن غير متفاوت الابعاض في البلوغ الى حد الاعجاز
فمن آمن ببعضه يؤمن بالكل لا محالة والعدول عن صيغة الماضي الى المستقبل لما فيه من الحدوث والتجدد
المتضمن للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل من قبله ايمان حادث لا ايمان ثابت لان ايمانهم السابقة انكار له
في الحقيقة لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه لاصالته حينئذ كان صحة ايمانهم بما انزل من قبله في ضمن
الايمان بما انزل اليه وسببه ولهذه النكتة لم يكرر الباء في قوله وما انزل من قبلك كما كرر في آمنا بالله وباليوم
الآخر والمراد بذلك ما انزل على الانبياء الذين كانوا قبل محمد عليه وعليهم السلام والايمان به واجب اجمالا لان
الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته تفصيلا نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا
الايمان بتلك التفاصيل وبالآخرة تانيث الآخر صفة للدار كما في قوله تعالى تلك الدار الآخرة او النشأة
كما في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة سميت بذلك لانها متأخرة عن الدنيا او النشأة الاولى زمانا
وقيل للدنيا دنيا لانها ادنى من الآخرة رتبة هم يوقنون تقديم الظرف للقصر عليه كما في قوله تعالى لالى الله
تحشرون وتقديم المسند اليه وهو ضمير مع بناء الفعل عليه ايضا للقصر عليه كما في قولك انا سعيت في حاجتك
والقصران اضافيان كما هو الغالب في استعمالات البلغاء والمعنى المستفاد من القصر الاول ايقانهم
مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها الى ما هو على خلاف حقيقتها وتعريض بسائر اهل الكتاب وبما هم
عليه من امر الآخرة والمعنى المستفاد من القصر الثاني ان الايقان المذكور لا يتعداهم الى غيرهم وهذا تصريح
بانهم على جهالة في امر الآخرة والايقان اتقان العلم بازالة الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم
بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يطلق على علمه تعالى قال الامام ويقال ذلك في العلم الحادث
بالامور سواء كان ذلك العلم ضروريا او استدلاليا فيقول القائل تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان
كان قد علم مراده بالاضطرار ويقول تيقنت ان الاله واحد وان كان قد علمه اكتسابا اولئك اي
اهل هذه الصفات فيبتني الحكم على الوصف فينتفي بانتفائه وهذا معنى الاختصاص واولاء كلمة معناها
الكناية عن الجماعة نحو هم جمع لا واحد له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب والجملة استيناف لا
محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة على هدى مثل لتمكنهم من الهدى شبهت حالهم بحال
من اعتلى الشيء وركبه ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه نحو لقد وقعت على لحم ومعنى كونهم على الهدى
تمسكهم بموجب الدلائل لان الواجب على المتمسك بالدليل ان يدوم على ذلك فكانه تعالى مدحهم بالايمان
بما انزل الله عليه اولا ومدحهم بالاقامة على ذلك ثانيا من ربهم نفي الكسب واثبات كونه لمحض العناية
والعطاء كالشيء الذاتي المقارن لوجودهم في اول الكون وفيه زيادة تعظيم لتلك الهداية واضافة الر

اليهم

اليهم للتشريف فكما يفيد اضافة العبد اليه تعالى تشريفه كذلك اضافته تعالى اليه تفيده بل ذلك اقوى
افادة له واولئك اعاد اسم الاشارة تنبيها على ان المقتضي للفلاح ايضا هو ايضا بتلك الصفات
وان كل واحدة من الاثرتين لهم بالاستقلال والانفراد لا بتبعية احديهما للاخرى ولو انفردت احديهما
لكفت في تفوقهم بالكمال وامتيازهم على غيرهم وتوسيط العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما
علة للاخر وتغايرهما في المعنى المقصود فان الهدى حاصل في الدنيا والفلاح في الآخرة فالجملتان
متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون فانهما شيء واحد بحسب
المقصود والمآل وان تعددا بحسب اللفظ والمفهوم هم المفلحون هم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح
الظافر بمطلوبه والفلاح الخبر المقطوع ومنه يقال الفلاح للمكاري والاكار لقطعهما الارض
في الكراء والكراب وفي المثل الحديد بالحديد يفلح اي يقطع ويصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذي بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين
وخصوصياتهم ولا دلالة في الآية على خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب لان الفائز بمطلوبه
في الآخرة من زحزح عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار وان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل
ان فيها دلالة على ان الفاسق بل تارك الصلوة وان كان تائبا لا بد له من العذاب لاحتيج في
جوابه الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ان الذين كفروا لما انجر الكلام في تقرير ما
سيق له الى ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح قفى على اثره
بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار المطبوع على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي
عليهم اللطف والدعوة والانذار وانما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان
شان الكتاب والثانية سوقها لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان لان الخبر قد بولغ
فيه وحقيق بما حقه ان يستنكر ويستبعد والتعريف للاشارة الى ناس معهودين اخرج ابن جرير وغيره
بسند صحيح عن ابن عباس رض ان المراد به الكفار من اليهود خاصة وهو الظاهر بقرينة ايلائه
المؤمنين من اهل الكتاب ولان السورة مدنية واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر بالضم والفتح
في اللغة الستر ومنه سمي الزارع كافرا لانه يستر البذر ونقل في الشرع الى عدم قبول ما علم مجيء الرسول
عليه السلام عقدا او قولا لما فيه من ستر نور الفطرة الاصلية الذي هو بذر الكمال هذا هو الكفر المقابل
للايمان المنجي واما الكفر المقابل للايمان الشرعي الذي لا بد فيه من الاحتراز عن امارات عدم قبول ما

ذكر فيكفي في الحقيقة وجود احدى تلك الامارات والاخبار بلفظ الماضي نظرا الى حال المخاطب لانه
مقصود بالافادة والمتكلم ليس بزماني فلا يختلف الاخبار بزيادة بحسب دلالتها على الازمنة الثلاثة
نظرا اليه سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اي مستو عدل عنه مبالغة وايثار الاسم على الوصف
لتجرده عن معنى الحدوث وتخصصه للدلالة على الثبوت والسواء الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال
في المقدار ولكون ذلك لا استواء ضارا لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تاويل
المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء والمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه فالانذار
وما عطف عليه مبتدأ في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا ان سواء هو الخبر لان موضع
الفائدة الخبر والشك انما وقع في استواء الانذار وعدمه لا في نفي الانذار ومن ههنا خرج وجه
العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع من ذلك اذ المعنى على اليقين والتحقيق لا
على الاستفهام لما عرفت من ان الهمزة ههنا مستعارة للتسوية والانذار الاعلام بالتخويف وقال
ابن عطية ولا يكاد يكون الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان لم يسع زمانه الاحتراز كان
اشعارا والاقتصار عليه لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة والبشارة المعلقة على الايمان
تنقلب في حقهم انذارا لانهم مصرون على الكفر مصممون عليه فينتظم الانذار هذا القسم من البشارة
في حقهم لا يؤمنون مقررة لما قبلها فلا محل لها من الاعراب او خبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة
في الاية على وقوع التكليف بما لا يطاق لان الاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة
الكذب على الله تع اللازم على تقدير وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما تدل على عدم وقوع الملزوم
لا على عدم كونه مقدورا فان استحالة اللازم لا تستلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار بعد العلم
لا ينجع الزام الحجة وصيانة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك حكم بالتسوية نظرا اليهم دون
اليه عليه السلام ولما كان مظنة ان يسال عن سبب الحكم السابق لغرابته استونف الجواب عنه بقوله
ختم الله الختم والطبع الاثر الحاصل عن نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا
الى ما يحصل بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال ذلك ويعنى به بلوغ اخر الشيء نظرا الى انه اخر
فصل في احراز الشيء ومنه ختمت القران ولم يرد به ههنا الختم في بدء الفطرة ليكون التكليف ضائعا
ويخالف ما روي عن النبي عليه السلام شائعا من ان كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة القابلة للاسلام
ويخرج النعي عليهم شناعة صفتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار بل اراد الختم بعد ما اعرضوا

عن الحق واصروا على ذلك على ما ورد في قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم وافصح عنه ما روي ابن عمر رض
مرفوعا قال الطابع مطبع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تع
بعث الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه تع مجازي لكن المسند على رد
حقيقة على قلوبهم اريد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد وعلى سمعهم السمع محل القوة السامعة من
الاذن وكان في الاصل مصدرا ولذلك وحد في مواضع الامن عن اللبس جريا على مقتضى الاصل
واعادة الجار للدلالة على ان الختم على السمع بالاستقلال والاصالة لا تبعا لختم القلب لان الختم على السمع لا
يتبع الختم على القلب بل الامر على العكس فان الختم على السمع يتبعه الختم على القلب في الجملة ولذلك ترك
اعادة الجار حيث قدم ختم السمع على ختم القلب في قوله تع ختم الله على سمعه وقلبه واما ذكره في قوله وعلى
ابصارهم فليس باعادة لانه متعلق بما بعده فان الابصار داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف
الاسماع لقوله تع وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون
قلوبهم لان التغشية ليست بمانعة للسامعة عن الادراك بخلاف الباصرة غشاوة رفع على الابتداء
وتقديم الخبر للاهتمام فان المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام
والثبوت تقوية لحكم التغشية وجبر النقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من باب
الاستغناء باحد الفعلين عن الاخر فان العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق على
حدة جوزت ذكر احدهما وعطف متعلق الاخر المتروك على المذكور كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير
الى تقدير فعل او الحذف والايصال في مثل هذا من ضيق العطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز
ان يكون غشاوة اسما وضع موضع مصدر من معنى الختم لان معنى ختم غشى وستر كانه قيل تغشيته
على سبيل التاكيد ويكون قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما عليها مغشاة ولما كان الختم والتغشية سببا
مما اقترفوه ناسب تعقيبه بوعيد وبيان لما يستحقونه لا على وجه التفريع كيلا يتوهم ان ما سبق من الختم
والتغشية سبب لذلك فقيل ولهم عذاب عظيم اللام الجارة اذا اتصلت بالضمير غير الياء بنيت على النصب
والعذاب كل ما يمنع من المطلوب ويقال عذب الرجل وعذب لم يأكل غير صائم والعظم شدة القوة ومنه
العظيم او الزائد القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان تلك الطائفة مخصوصة من
بين الطوائف بنوع من العذاب على ان التنوين للتنويع كما في غشاوة اي نوع من العذاب لا يتعارفه
الناس وفائدته التهويل وتوصيفه بالعظيم تاكيد له وتركه في الغشاوة تنبيها على الفرق بين مقامي
التهويل فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الاخرة وكم بين المطالب وما بينهما من الهولين ثم

بعد ذكر المؤمنين واحوالهم والكافرين وافعالهم ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله
ومن الناس الناس اصله اناس جمع انسان ولذلك لا يستعمل الا في معنى جماعة كقوله تع يوم ندعو
كل اناس بامامهم وقوله قد علم كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت الهمزة وعوض عنها
حرف التعريف وهي هنا للعهد ومن في قوله من يقول موصولة والقول عبارة عن جملة ما يتكلم به
المتكلم على وجه الحكاية وقد يقول نظرا الى لفظ من وجمع من نظرا الى معناها اعتبرت جهة وحدته
عند ذكر مقالهم وجهة تعدده عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان كانوا متفرقين على عقائد
شتى في الكفر الباطن لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة في اظهار النفاق خص هذا الصنف من بين الاصناف
بمبالغات وتشديدات وابرز نظم قصتهم ابرازا غريبا حيث قدم الخبر على المبتدا وابهم غاية الابهام
ووصفه بصفات عجيبة ليتشوق السامع الى ذكر ما بعده من قبائحهم وتكرهم تعيبا عليهم وتعجبا من
شانهم يعني انظروا الى هؤلاء الخبثة وقبح ما ارتكبوه كيف اختصوا من بين سائر الناس بما لم يرض
العاقل ان ينسب اليه ولما كانت فائدة الاخبار بكونهم من بعض الناس استعظام ان يكون من
جنس من اختص بمثل هذه الصفات فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف بها
من جنس الانس ناسب تصدير الكلام وان كان حقه التاخير وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره
على دلالة رائقة خطابية لا يعتبرها البليغ الا معونة المقام واقتضاء الحال فلا يطالب بالاطراد
وهذا الصنف ابغض الكفرة الى الله تع وامقتهم عنده لاستبعادهم الاهتداء او امكان قبولهم
لذلك لعدم انطفاء نور الفطرة فيهم مع بقائهم على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها واستهزاء وخداعا
وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والاقتضاء في وضعه للكفار الصرف المطبوع على قلوبهم
على التبيين والاطناب في وصف المنافقين في ثلاثة عشر اية للاضراب من اولئك صفحا اذ لا ينجع
فيهم الكلام ولا يجدي لهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعبير وعسى ان يرتدعوا
بالتشنيع عليهم وتفظيع شانهم وسيرتهم وتهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسرائرهم وبتشبيه ابشع
صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم بتزكي بواطنهم وتضمحل
رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تع الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين امنا بالله وباليوم الاخر اي يوم البعث وتوسيطه
بالافتراق عن الدنيا والمراد صدق المبدا والمعاد وفيه احاطة الايمان بقطريه وفي تكرير الجار
ودعا التعريف بكل منهما على الاصالة وما قيل فيه ايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون

فيه فكيف بما يقصدون به فان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا
كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم بناء على ان يكون التصرف تخصيصها
بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك خلاف الظاهر ثم ان تشبيه ما ذكر على تقدير ان لا يكون مرادهم
من الايمان بالله وباليوم الاخر التصديق بجميع ما لا بد منه في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما
مر الاشارة اليه ثم ان بيانه بقوله فان القوم كانوا انما يفيد انهم مخطئون فيما يعتقدون
انهم مصيبون فيه لا انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق
وذلك ظاهر بل نقول شرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك وما هم بمؤمنين ما نافية عن ليس
ولهذا اعملت بالباء والضمير للمعهودين والمعنى نفي ما انتحلوا اثباته ولاجل التاكيد والمبالغة
في نفي ايمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية مصدرة بهم وسلطوا النفي على اسم الفاعل الذي ليس مقيدا
بزمان ليشمل النفي جميع الازمان وبجرد الكلام للدلالة على ما سيق له ولم يؤت شيء زائد عليه الا ما يشيد
من عضده كحرف الباء لتاكيد النفي واطلاق الايمان في سياق النفي وكان مقيدا في الاثبات لانه
غير متجزئ فمن اخل ببعض ما لا بد منه ليس بمؤمن اصلا لا انه مؤمن ببعض دون اخر والاية الكريمة
لا تنهض حجة على الكرامية لانهم يشترطون في كون الشهادتين ايمانا عدم مخالفة القلب للسان اعم
من ان يكون موافقا له وفارغا عنهما لان احتجاجهم بانه تواتر ان الرسول عليه السلام والصحابة
والتابعين رضي كانوا يقنعون بالكلمتين ممن اتى بهما ولا يستفسرون عن علمه وتصديقه القلبي وعمله
فيحكمون بايمانه بمجرد الكلمتين فعلمنا ان الايمان بلا علم وعمل صحيح في عدم الاشتراط بالقيد المذكور
بل لان كلامهم على ما دل سياق احتجاجهم في الايمان الشرعي المعتبر عندنا في اجراء احكام الاسلام في الدنيا
لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله تع المنجي عن الخلود في النار فلا يندفع قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر
ولا بالاجماع على ان من سم بالشهادتين فمنع مانع من خرس او خوف مؤمن يخادعون الله يعني رسوله
فالتجوز في الاسناد تفخيما لشانه عليه السلام وتنبيها على ان المعاملة معه فيما يتعلق بالرسالة معاملة
مع المرسل في الحقيقة وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تع لا يخدع فلا يناسبهم قصد خداعه
وانما يناسبهم قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى قرينة للمجاز والمعنى يعملون له عمل المخادع
والخداع اظهار ما يخاف الاضمار ويراد به التغرير ومنه الاخدعان لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى
وانه مفاعلة من واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وما في الصيغة من المبالغة للافصاح عن بلوغهم

الغاية في وجهي النفاق لانه بيان ليقول تابع لصلة من او لا محل له من الاعراب في موضع الاستيناف بذكر ما هو الغرض منه كانه يسئل عن أصل دعواهم وعن كيفية مبالغتهم فيه المنفهمة من ذكر الايمان بعطفه وتكرير الباء فاجيب عنهما معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير اتباع الخداع من الجانبين يزيد البيان على قدر الحاجة وينفصل الكلام عن مقتضى المقام والذين امنوا يجوز ان يكون ذكر الله توطئة والمراد مخادعة المؤمنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه وفائدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله بمكان ومنه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون نفس الشيء ذاته وهي من النفاسة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة وما كان ضرر فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خداعا اي لم يرجع وبال خداعهم الا اليهم لانهم سلكوا مسلك الخداع نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فكانت مفسدة خداعهم راجعة الى انفسهم والواو عاطفة الجملة على الجملة وفي وما يشعرون واو الحال او بالعكس والشعور هو الادراك الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة اي ما يحسون ان ضرر الخداع لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره كالمحسوس المشاهد فكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه في قوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون لانه بيان للعذر من جهتهم وهذا لتعظيم الامر على المنافقين وانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال ؏ جهلت ولم تعلم بانك جاهل ؏ وذاك لعمري من تمام الجهالة ؏ في قلوبهم اورد الظرف على اداة الملابسة ليدل على الاستمرار والرسوخ مرض اي تردد واضطراب استعير المرض للعرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس مما يتعارفه الناس سميهم مرض لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكان حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت ويرجى الاقبال منه ثانيا واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول ما اضمروا بالقلب فسماهم الله موتى وسمى المؤمنين احياء لانهم اطمأنوا على الايمان قولا وعقيدة فزادهم الله مرضا بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور القبيح عنه تعالى ولا يدري ان القبيح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل واصل الكلام فزاد الله مرضهم وانما عدل الى ما في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في تنكير المرض الثاني على مغايرته للاول حقيقة كيف وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة على تفريع الثاني على الاول ولهم عذاب اليم اي مؤلم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع ومخصب ذكره الراغب وصف به العذاب للمبالغة وانما وصف عذاب المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا عن جدوى المشا ع

وحجبوا عن عالم النور وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بايلامهم كعضو الميت والمفلوج وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان مشاعرهم غير ناقصة لعدم انطفاء نور فطرتهم والالم لغير ادراك المؤلم فلمنافاة نور استعدادهم لما رسخ فيهم من الرذائل والملكات الردية والصفات الظلمانية يتألمون وكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم اقوى وانكى وان كان عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة ذواتهم لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك لم يحسوا بالالم بخلاف هؤلاء بما كانوا يكذبون بسبب ثباتهم واستمرارهم على الكذب وزيادة كان للثبات وصيغة الفعل للاستمرار التجددي وفيه دلالة على ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف سائر الاحوال ولا دلالة فيه على ان الكذب وهو الاخبار بالشيء على خلاف الواقع يستحق به العذاب مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاجل الحق مباح قال الامام الغزالي اذا اختفى مسلم من ظالم وسال عنه وجب الكذب باخفائه واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يقول فلا محل له من الاعراب ولا باس بالتخلل بين اجزاء الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس باجنبي فالايات على سنن تعديد قبائحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا واستقلالا ويحتمل ان يكون مستانفة اذ هذه الجملة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب ونتائج النفاق الا ترى قولهم انما نحن مصلحون وقولهم انؤمن كما امن السفهاء وقولهم عند لقاء المؤمنين امنا كذب محض فناسب جعل ذلك جملا مستقلة ذكرت لاظهار كذبهم ونفاقهم والافساد جعل الشيء فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه منتفعا به وكان من افسادهم تهييجهم الحروب والفتن لمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم والظاهر ان القائل من شافههم من الرسول والصحابة والثاني اقرب قالوا انما نحن مصلحون لما كان نهيهم عن الافساد مشعرا بان فيه افسادا نفوا ذلك عن انفسهم بادعاء انهم مقصورون على الاصلاح من غير شائبة افساد واثروا انما دلالة على ان ذلك الدعوى ظاهر بين لا ينبغي ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يتصورون افسادهم بصورة الاصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى ذلك بقوله الا انهم هم المفسدون قصر قلب اي هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة على ابلغ الوجوه واكدها من الاستيناف المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد التشويق الحاصل من ذكر ادعائهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم في الافساد فانه يشوق السامع ان يصدق حكم الله عليهم والشيء اذا وجد بعد الطلب يكون اعز مما فوجئ به من غير النصب وتصدير الجملة بالا وان للتنبيه والتحقيق

وذلك ان الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام اذا دخل النفي للتقرير والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر وتكون همزة الاستفهام
بهذه المثابة من التحقيق تتلقى بما لا يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات القسم وطلائعه
وتوسيطهم وتعريف الخبر والاستدراك بقوله ولكن لا يشعرون وهذا اولى من نفي العلم مطلقا
المستلزم لنفي العلم الخاص لان من لا يشعر بالضروريات لا سيما المحسوسات منها اولى ان لا
يعلم غيرها وهذا من هذا الوجه لانه نفي مع دليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط رتبتهم عن رتبة البهائم
ويؤذن بان معلومه من اجل المعلومات ولا كذلك لا يعلمون وهذا الاخير هو الاصل والباقي مزيد
واذا قيل لهم آمنوا نهوا عن الافساد ثم امروا بالسلوك في سبيل الرشاد وبدئ بالمنهي عنه لانه الاتم
وهو ترك والترك اسهل من اتيان المامور به فكان في ذلك تدريج لهم كما آمن الناس كما آمن في
محل النصب على المصدرية في الحقيقة صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام
في الناس للجنس اما لانهم الكاملون في الانسانية من باب ذلك الكتاب واما لان غيرهم ليس بناس
حقيقة لقصورهم وانحطاطهم عن رتبة الانسانية بل رتبة البهيمية وفي الاول نظر الى كمال المومنين
وفي الثاني الى قصور غيرهم على نحو اذ الناس ناس والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة
فيه على قبول توبة الزنديق لان النفاق غير الزندقة كيف ويقتل الزنديق دون المنافق ولم يقل
احد ان في عدم قتله دم المنافق دلالة على عدم قتل الزنديق ثم ان دلالة التقييد على ان في
افراد الايمان تفاوتا بالكمال والنقصان على ان الاقرار باللسان ايمان قالوا انومن الاستفهام
للانكار كما آمن السفهاء لما كان المامور به شبيها اتوا بانكارهم شبيها واللام للعهد والاشارة
الى الناس والسفه خفة في البدن او في المقال يقتضيها نقصان العقل والحلم ازالة في البدن
يقتضيها وفور العقل يصحون بامر من تقبيح امر فيه لادائه الى الفساد والفتنة وتبصيرهم
طريق الهدى والصلاح فما كان جوابهم الا ان سفهوهم وادعوا الى الصلاح فيما كانوا عليه
بجهلهم المركب وتماديهم في غيهم وافراطهم في السفه واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه
المومنون هو الباطل فكانوا عندهم سفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون على وجه المبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف بجهله
فانه ربما يفيد وتنفعه الآيات والنذر والتفصيل بلا يعلمون لان تسفيههم العلماء الاعلام لا يكون
الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة الحق والايمان به وكون المومنين على الحق وكونهم على الباطل

امر نظري لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد في الارض ولان ذكر العلم مع السفه وهو جهل احسن طباقا
واذا لقوا الذين آمنوا تقول لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه بيان لمعاملتهم مع المومنين
والكفار وما سبق مسوق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرر على ان المعنى من الناس من ينفق بالايمان
نفاق المخادع وذلك عند لقاء المومنين وفيه زيادة بيان انهم ضموا الى الخداع الاستهزاء ولا
يفوهون بالكلمة الا عند الحاجة قالوا آمنا واذا خلوا تقول خلوت به واليه اذا انفردت معه
الى شياطينهم الشيطان فيعال من شطن اذا بعد لبعده عن الحق او فعلان من شاط اذا بطل ومن اسمائه
الباطل وقال الراغب من شاط اذا احترق غضبا والمراد متمردوهم وشطارهم قالوا انا معكم خاطبوا
المومنين بالجملة الفعلية ادعاء لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى التحقيق ولا انشاطهم انفسهم
على ذلك اذ ليس لهم صدق رغبة ولا قوة داع وشياطينهم بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين ونفي
الشك والتردد عنهم في كذب آمنا واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ولك ان تقول ان مقتضى المقام
في الاول تجريد الكلام عن جنس المؤكد لان التاكيد والتقوية فيه لا تخلو عن تذكير لنفاقهم من حيث
باعتبار ان فيه دلالة على انكار المخاطب سواطنه وهم في صدد التجنب فيه والاحتراز عن مظانه ومقتضى
المقام في الثاني تحليه به لان اظهارهم الايمان وموافقتهم المسلمين في ظاهر الاحكام كان لانكار
المخاطبين ثباتهم انما نحن مستهزؤن الهزء السخرية من شئ الحق عند صاحبه ولا يحق عند الهازئ
استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا انا معكم فقالوا فما بالكم توافقون فقالوا انما نحن مستهزؤن
ويجوز ان يكون تاكيدا لقوله انا معكم لانه لما كان معنى قوله انا معكم هو انا معكم قلوبا وثبوتهم اصحاب
محمد الايمان ودفع قوله انما نحن مستهزؤن مقررا له لان الاستخفاف بالشئ انكار له ودفع للاعتداد به
ودفع نقيض الشئ تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول اوجه
لزيادة الفائدة وكون المحرك للسوال اعني قوله انا معكم في غاية الظهور الله يستهزئ بهم يقال هزئت
واستهزأت نحو اجبت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء ارتياد الهزء وان كان قد يعبر به عنه وكذا
الاستجابة في الاصل معناها المخالف للاجابة وان كان قد تجري مجراها كذا قال الراغب لما ذكر استهزاءهم
بالمومنين استانف الكلام اظهارا للسخط وانما قال يستهزئ ليدل على دوام تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا
وفي الجملة الاسمية والخبر الفعل مع المعنى المذكور لعود الاسناد لتكرره والتخصيص اي هو الذي يتولى
الاستهزاء بهم خاصة الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم بالنسبة اليه كلا استهزاء او لا
تحوج المومنين الى معارضتهم بهم ذكر هاهنا العدم الداعي الى الحذف بخلاف ما تقدم فان فيه باعثا لفظيا

وهو المحافظة على الفاصلة ودواعي معنوية وهو تحرجهم من ابلاغ المومنين وابقاء اللفظ محتملا ليكون
لهم مجال التوجيه عند الحاجة اليه والمعنى انه تع عاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان
وفي باطنهم النفاق والله اظهر لهم في الحال الامان وعاقبتهم الاحراق بالنيران وعلى هذا يكون الكلام المذكور
من قبيل الاستعارة التبعية وقيل ان معناه نجازيهم في الاخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الاحداء
قال عمرو بن كلثوم • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وفي القران وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا توسع
مخصوص بغير المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل المومنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم اتحبون
ان تخرجوا من النار وتدخلون الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب من النار فيقصدون اليه فيغلق عليهم
ثم يفتح باب اخر فيقصدونه فيغلق ولا يزال يفعل بهم كذلك والمومنون يضحكون منهم قال الله تع ان
الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال الله تع فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وعلى
هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله تع ويمدهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه
ويكثره لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم والحذف والايصال خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل
وهنا دليل على خلافه وهو قراءة ويمدهم في طغيانهم الطغيان بالضم والكسر تجاوز الشيء عن مكانه والمراد
غلوهم في الكفر وتجاوزهم الحد في العتو وانما اضيف اليهم لانه اريد الطغيان الذي عرف لهم واشتهر بصدوره
عنهم فلا دلالة في اضافته اليهم على انه فعلهم يعمهون في محل النصب بالحال من مفعول يمدهم او فاعل
طغيانهم العمه في البصيرة والعمى في البصر وهو التحير والتردد قال الله تع ان الذين لا يومنون بالاخرة
زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى استيناف جار مجرى التعليل لاختصاصهم
بالاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان ويحتمل ان تجعل مقررة لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون واستعيرت
الضلالة وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين والهدى وقد مر بيان معناه
للنور الفطري والدين القيم الاصلي والاشتراء وهو اعطاء بدل واخذ اخر للاستبدال اي اختاروا
الضلالة واستبدلوها بالهدى فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على راس المال والتجارة تعاطي الامتعة
بالبيع والشراء للربح وعدم الربح كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة على التوسع الشائع قال الراغب
والربح والخسران ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة الى السلعة ومرة الى الصنعة اذ لا اشتباه فيه
وحسن تلك الكناية التي هي ترشيح للاستعارة المذكورة يظهر في وجه قوله وما كانوا مهتدين اي لطريق
التجارة فانه كناية عن اضاعة الطلبة الاصلية وهي سلامة راس المال لان من لم يهتد لطريق التجارة
يكثر الافات في امواله ويعم الخسران اكثر احواله وقد استبان من هذا التوضيح انه ليس من عطف

الترشيح وزيادة كان لاستمرار النفي على ان النفي اعتبر اولا ثم قيد والتعويل في مثل هذا على
القرائن مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما بين اوصافهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين
فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب في
ابراز الحقائق المستورة ورفع الاستار عن وجه الخفيات اكثر الله تع في القران وسائر كتبه الامثال
وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل في العرف
الى القول السائر الممثل مضربه بمورده ولم يسيروه ولم يجعلوه مثلا الا اذا خص بنوع من الغرابة ولهذا
لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة اذا كانت عجيبة الشان وفيها غرابة
فالمعنى حالهم العجيب الشان كحال المستوقد فلا حاجة الى معنى الجمع كما في قوله تع مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والسين للاستفعال ليس
للطلب والسؤال بل للاهتمام والمبالغة في الايقاد والنار جسم لطيف محرق اشتقاقها من نار ينور
نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو
النور البالغ ومصداقه قوله تع جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتاليف الحول للدوران والاطافة
وقيل للعام حول لانه يدور واضاءت اما متعد وحوله مفعول به وما زائدة او ما موصولة مفعول
به وحوله ظرف صلة اي جعلت النار مضيئا واما لازم مسند الى ما حوله وما موصولة اي اضاءت
الاماكن التي حول المستوقد او الى النار وما حوله ظرف لغو لاضاءت وما زائدة او حوله ظرف في
موضع الصلة وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة مفعول فيه وجوابه لما قوله
ذهب الله بنورهم والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وانما لم يقل بنارهم لان في النار شيئين حرارة
ونورا والله اذهب النور وبقي عليهم الحر المحذور واما محذوف دل عليه ما بعده كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به لاستطالة الكلام مع الامن من اللبس وفي الحذف ايجاز مع الايضاح عن الصفة التي
عليها المستوقد بما هو ابلغ في الدلالة على المعنى من اللفظ وهو العقل كانه قال فلما اضاءت ما حوله
خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوات الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار وما ذكر استيناف
اي جواب السؤال عن وجه الشبه لعدم ظهوره او بيان لجملة المثل واسناد الاذهاب الى الله لقصد المبالغة
ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان
بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور
فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ان يكون الذاهب ما في الضوء من الزيادة والغرض ازالة النور

عنهم راسا الا يرى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي
هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بالخلوص وترك بمعنى طرح وخلى وفي ظلمات
متعلق به ولا يبصرون في موضع الحال فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في تركهم واما
من الضمير المستكن في المجرور وان ضمن ترك معنى صير يكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا يبصرون حال
ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون مؤكدا وقول الشاعر • فتركته جزر السباع ينشنه • يحتمل الوجهين لان
جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما ان يسبني في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • يحتمل الصفة
وان كان اللئيم معرفة والظلمة مأخوذة من ظلمه اذا منع حقه لانها تمنع البصر من النفوذ وتسده وظلماتهم
ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة النفاق وقيل يجوز ان يراد بالنار نار مجازية كنار فتنة او حرب فليس
بمقبول لان الغرض من التمثيل ابراز المعقول في صورة المحسوس ليكون مشاهدا وعلى هذا التقدير يفوت
الغرض منه وفي الاية دلالة على ان وجود النور شرط لرؤية الالوان لا لوجودها اذ ح تمتنع الابصار
فلا يخرج قوله لا يبصرون مخرجه صم جمع الاصم النعت من الصمم وهو انسداد خروق المسامع ومنه القناة
الصماء التي ليست بمجوفة وكذا كل فعل كان نعتا مما هو خلقة فجمعه الفعل ومثله البكم والعمي وان كان اسما
فعلى الافاعل كالارنب والارانب والاعجم والاعاجم وان كان نعتا لما هو آفة فعلى الفعلى كالاعجف والعجفى
والاحمق والحمقى بكم من البكم وهو الخرس وهو آفة في اللسان لا يتمكن معها ان يعتمد مواضع الحروف عمي
من العمى الاعمى في العين وجمعه العمي ومن القلب العمي وجمعه العمون قال الله تعالى بل هم منها عمون لما سدوا مسامعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدت
مشاعرهم ولم توجد قواهم وايراد هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ شرط الاستعارة الاعراض
عن المستعار له اصلا ونسيانه مطلقا وههنا وان حذف المبتدا الذي هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر
المنوي لاسناد الخبر اليه ونظيره قوله • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا •
واما قوله • اسد علي وفي الحروب نعامة • ففي كونه من هذا الباب نظر فهم لا يرجعون اي جوابا لان من
اسندت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة ولا بالاشارة من الرجع بمعنى
الصرف لا من الرجوع بمعنى الانصراف فان رجع لازم ومتعد او كصيب مجرور لمضاف محذوف اي كمثل
ذوي صيب من السماء صفة في محل الجر اما تقدير المثل فلا بد منه للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله
يجعلون اصابعهم والاخفش التشبيه لا يقتضي تقدير شيء اذ لا يلزم في التشبيه المركب ان يكون ما يلي الكاف
هو المشبه به كما في قوله • وما الناس الا كالديار واهلها • واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع

فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة
بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وتثنية التمثيل كشف بعد كشف وايضاح غب ايضاح
وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع
ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ • يرمون بالخطب الطوال وتارة • وحي الملاحظ خيفة الرقباء •
والصيب يقال للمطر والسحاب وفي الاية يحتملهما وتنكيره للتعظيم كتنكير النار في المثل الاول والسماء هذه
المظلة قد تطلق على جهة العلو وهو المراد ههنا وتعريفها للدلالة على اطباق ذلك الصيب الافاق كلها
فان كل افق يسمى سماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب فان الصاد من المستعلية والياء مشددة
والباء من الشديدة ومن جهة المعنى فان الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البناء فان فيعلا صفة
مشبهة دالة على الثبوت ومن جهة العارض لان التنكير للتعظيم والتهويل فيه ظلمات ورعد وبرق صفة
اخرى في محل الجر وظلمات مرفوع بفاعلية الظرف بالاتفاق لاعتماده على الموصوف والمعنى في اثنائه
وتضاعيفه ان اريد بالصيب المطر وجعل مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره جعلا كانهما فيه
بطريق استعارة كلمة في لتلبس المخصوص الشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية والظلمات تكاثف المطر بتتابع
القطر والسحاب مع سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب ففيه الرعد والبرق واما الظلمات فما
ذكرت بعينها الا المطر فانه قد يكون وقد لا يكون والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب عند تمزيق
الريح وهو لحوق الدخان البخار عند احتقانه فيه بتكاثفه والبرق ما يلمع من السحاب اذا تحالت اجزاؤه
من برق الشيء بريقا اذا لمع ولم يجمع رعد وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة كقوله تعالى ظلمات واكثر مبالغة كما
في قول البحتري • يا عارضا متلفعا ببروده • يختال بين بروقه ورعوده • لكونهما في الاصل مصدرين
فان اريد العينان روعي الاصل فلم يجمعا وان اريد الحدثان اي الابراق والارعاد فجعلهما الافراد
وايضا قصد التهويل المناسب للمقام بتقرير نوعها المستفاد من التنكير لا تعددها وافرادها المستفاد
من صيغة الجمع يجعلون اصابعهم في اذانهم جملة استئنافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما
يؤذن بالهول والشدة فكان قائلا قال فكيف حالهم مع ذلك الرعد فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم
قال فكيف حالهم من ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم مع تلك الظلمات
فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا او صفة للمضاف المحذوف في محل الجر اي ذوي
صيب يجعلون وصح رجوع الضمير الى ذلك المضاف لكونه في الحكم المذكور وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما
ليس في ذكر الانامل ومبناها على ان يكون الاصابع بمعناها لا بمعنى الانامل وفي العدول عن يدخلون

وهو الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك المبالغة ثم انه كناية عن كمال الحيرة وفرط الدهشة فيستقيم
المعنى بلا حاجة الى تنزيل الكلام عن درجة البلاغة حذرا عن عدم مطابقته للواقع من الصواعق متعلق
بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار
لطيفة حديدة لا تمر بشى الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهى تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا والمائية
المسماة بخارا خارجا فى الحدة والحرارة لا يقع على شى الا نفذ واحرق ونفذ فى الارض حتى يبلغ الماء فينطفى
ويقف ومنه الحار حيض من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرى من الصواقع بتقديم القاف وهو ليس بقلب
للصواعق لاستواء البنائين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع ونظيره جبذ فى جذب وهى
فى الاصل اما صفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت منصوب على المفعول له والموت زوال الحيوة والله محيط بالكافرين جملة اعتراضية لا محل لها
واحاطة الله بالكافرين مجاز معناه انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط يكاد البرق يخطف ابصارهم
كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه
او لعروض مانع والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه المشى السير السهل واضاء اما متعديا
اى اضاء لهم ممشى ومرجع الضمير فى فيه اليه لكونه منويا ويؤيده قراءة كلما اضاء لهم وان كان لازما وهو
الظاهر كاظلم ومعناه مشوا فى الضوء فى مطرحه او به او كلما نار البرق فانار الطريق مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا اظلم غير متعد على الظاهر ويحتمل ان يكون متعديا من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم
على ما لم يسم فاعله ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام
الماء اذا جمد وانما جاء مع اضاء بكلما ومع اظلم باذا لقوة دواعيهم الى مكان المشى والخلاص عما هم فيه
من الشدة والحيرة وحرصهم على ما همهم به مفقود من السعى والحركة فلا تسعهم الامهال وترك الفرصة واما
الوقوف فليس كذلك لانه يلزمهم للعجز ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى ولو شاء الله ان
يذهب بسمعهم وابصارهم وقرى لاذهب الله باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم شاع حذف
مفعول شاء واراد مع حرف الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله
ولو شئت ان ابكى دما لبكيته اراد ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فاصمهم وفى خفوق البرق فاعماهم
وفائدة هذه الشرطية التنبيه على ان كل منحة معها محنة وان نعمة الدفع تفوق نعمة النفع ولا دلالة

الحارتيه

فيه على وجودها يقتضى الجزاء المذكور ولا على ان تأثير الاسباب مشروط بالمشية نعم دل على ان الكل
واقع بقدرته تعالى فالتنبيه عليه بقوله ان الله على كل شى قدير تقرير لما تقدم ولا اختصاص للشى بالموجود
كيف وهو اعم العام يقع على الواجب والممكن والممتنع نص على ذلك سيبويه حيث قال فى كتابه ان الشى
يقع على ما اخبر عنه وخص منها الممكن بدليل العقل وقرينة القدرة اذ القدرة هى مبدأ الافعال المتضادة على
نسبة متساوية والواجب راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلا يمكن تساوى الطرفين الذى هو شرط تعلق
القدرة الا فى الممكن فكأنه قيل على كل شى ممكن قدير ثم انه فى الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى شى
لا يستلزم الوجود فى الجملة لان متعلق المشية قد يكون زوال الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته والقادر هو الذى يصح منه الفعل والترك واما الاول
ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو المختار ولا يلزمه ان يكون قادرا لجواز ان يكون نسبة الفعل لازما
لذاته وصحة الشرطية لا تقتضى وجود المقدم واعلم ان ما ذكر تتميم لتمثيل شدة الامر على المنافقين بشدة
على اصحاب الصيب من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا خفقة من البرق وانتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم خطوا خطوات يسيرة واذا انطوى وانطفت تنوسى الحركة
وبقوا متحيرين خائفين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا مفردين الا ان الاصح الافصح الذى عليه
المعول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة لا يتكلف لكل جزء من اجزاء الجملة الممثل لها
فرادى شى مشبه به من اجزاء الجملة الممثل بها معرفة كما فى قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بل تشبه هيئة حاصلة من اشياء تضامت وتالفت
وصارت شيئا واحدا باخرى مثلها من غير رعاية افرادهما والنظر الى تشبيه شى من هذه بشى
من تلك فان الغرض تشبيه حال المنافقين فى حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم
وخزيهم وافتضاحهم بحال من يكابد شدة امره عند انطفاء ناره بعد ايقاده رجاء الانتفاع بها
والتهدى باضاءتها او بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
والموت يا ايها الناس التفت من الغيبة الى الخطاب لان الكلام السابق كان فى تعداد فرق
المكلفين وحكايات احوالهم وبيان مآلهم وناسب اسلوب الغيبة واما هذه الاية فمصدرة بامر
وتكليف وحق الاوامر والنواهى ان يسلك فيها مسلك الخطاب خصوصا اذا كان ما كلف
به مما فيه مشقة فان فيه جبر لتلك الكلفة بلذة المخاطبة والنداء احضار الغائب وتنبيه الحاضر
وتوجيه المعرض وتوزيع المشغول وتهييج الفارغ ويا حرف وضع فى اصله لنداء البعيد واستعماله

بـ

ههنا فى ندآ القريب لبعده عما خوطب به معنى وقد يستعمل لندآ القريب العظل للدلالة على ان
الخطاب المذكور لبعده معتنى به جدا واما ندآ الداعى المتضرع الى ربه بقوله يارب مع علمه بانه اقرب
اليه من حبل الوريد فلهضم لنفسه استقصارا لها واستبعادا من مظان القربة والزلفى وامى وصلة
الى ندآ ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفى التعريف وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه من
اسم جنس او ما يجرى مجراه صفة له حتى يحصل المقصود بالندآ وكلمة التنبيه لمعاضدة حرف الندآء
ستاكيد معناه ووقوعها عوضا عما يستحقه اى من الاضافة والناس صفة لاى واجب رفعها
خاطبهم مقبلا عليهم بالندآ لان فيه بذا لما يلقيه اليهم من امر العبادة له اعبدوا ربكم قدم تفسير العبادة
والامر به يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى باللام للعموم حيث لا عهد وما روى عن علقمة ان كل ما
نزل فيه يا ايها الناس فمكى ان صح فلا يوجب تخصيصه بالكفار وليس المراد احداث العبادة خاصة بل
بعه والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان الاول هو المتبادر من الكلام والعبرة
فى الكلام البليغ بمقتضى المقام لا بما يتبادر الى الافهام واعلم ان النبى عليه السلام بعث بدعوة الكفار
الى الايمان وورد فى ذلك نصوص وانهم اخبروا فى بعض النصوص بان العبادة لا صحة لها بدونه
وبعد هذا امرهم بالعبادة فى هذا النص وغيره وان ورد مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد
به معنى بحكم النص المخبر عن اشتراط صحة العبادات بالايمان وليس فى ذلك امر بالايمان فى ضمن
الامر بالعبادة حتى يلزم ايجاب الاصل تبعا لايجاب الفرع فينافى حكم الاصالة ربكم عبادة
الرب صادق مخ[illegible] هو السيد والمصلح ومن كان مالكا او مصلحا احوال العبد فهو جدير ان يعبد ولا يترك
به ولما امر بعبادته وهى موقوفة على معرفة وجوده ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن الدليل
على وجوده واستحقاقه العبادة فقال الذى خلقكم فالتوصيف المذكور متعليل كما هو الاصل فى ترتيب
الامر بالشى على الموصوف والموصول وفى التعليل المذكور باعتبار تضمنه الاشارة الى ما لا قدرة له
على الخلق والايجاد لا استحقاق له للعبادة تعريض للمشركين حيث عبدوا ما لا قدرة له على شى وما
قيل على تقدير ان يكون الخطاب للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص وهم منشؤه عدم فهم
معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه الرب المشترك فيما بينهم وليس ذلك الا الله تع لانهم ما اتفقوا على
واحد من معبوداتهم الباطلة فاذا لا شركة فى معنى ربكم فلا حاجة الى مخصص واصل الخلق التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والمراد ايجاد الشى على تقدير واستوآء والذين من
قبلكم ذكر خلق من قبلهم لانهم اصولهم وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان

تقدم

تقدم خلق من قبلهم زمانا لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون
به بالعبادة فتنبيههم اولا على احوال انفسهم اهم واكد وبدا اولا بصفة الخلق اذ كانت العبرة معترفة
بان الله خالقهم وهم المخاطبون ولكن ان نقول اخرجه مخرج المقرر المعلوم اما لاعترافهم به كما افصح عنه
قوله تع ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او مبالغة فى ظهوره حيث نزل تمكنهم
من العلم به بادنى نظر منزلة المعلوم ودخلت من على الزمان اذ التقدير من زمن قبل زمان خلقكم
وقرى من بفتح الميم على انه خبر مبتدا محذوف هو صدر الصلة تقديره والذين هم اناس قبلكم وحذف
صدر الصلة كثير الدور فى الكلام وفيه تاكيد ابهام يتضمن التنبيه كما فيه التفخيم على انه خلق من قبلهم
ادخل فى القدرة وعلى هذا تكون من موصوفة وقبلكم صفتها ويحتمل ان يكون موصولا مقحما
كما اقحم تيم فى يا تيم تيم عدى لعلكم تتقون اى تحلفون العبادة وما حكم ولعل فيها لغات ولم يجى
فى القرآن الا افصحها وهى للترجى والاطماع وذلك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم
ربكم رجوتم حصول التقوى وهى التى تحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الرجآء
باعبدوا ربكم وقيل تعلقها بخلقكم ولا يعجبنى ذلك لان الذى سيق الكلام لاجله هو الامر بالعبادة وذكر الموصول
وصلته لما قصد بالتبع فلم يجى الموصول ليحدث عنه وكذا صلته وهى لتتميم ما قبلها فلا يناسب ان يتعلق
بها الذى نصب على انه صفة بعد صفة ولزوم توسط الاجنبى بين الوصفين لا يضعفه لانه اولى
من توسيط بين الموصوف والصفة الواقع فى قوله تع قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض او
على المدح او رفع عليه او على انه خبر مبتدا محذوف او بالابتدآء خبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمعنى الصلة
فلا يناسب دخول الفآ فى الخبر والربط بالاسم الظاهر جعل تجعل ههنا بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعوليه
ثانيهما فراشا لكم فيه منة على عباده وتقديمه اشارة الى عزة عبيده وتفضيلهم عند باقى المخلوقات حيث
خلق السموات والارض لاجلهم خاصة الارض فراشا الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعانى والمراد
الفرش وفيه اشارة الى ان الارض لم تخلق مبسوطا بل خلق على وضع اخر ثم بسطت على ما افصح عنه قوله تع
والارض بعد ذلك دحاها ومن ظن ان فراشا حال فقد اشتبه عليه حقيقة الحال والسمآ مصدر سمى به المبنى
وانزل عطف على جعل من السمآ متعلق بانزل او فى موضع الحال فيتعلق بالمحذوف والمعنى من جهة السمآ لان
الاصل الذى لا يعدل عنه الا بصارف ان المعرفة اذا اعيدت تكون الثانية عين الاولى ومن للابتدآء ما هو
جوهر سيال يضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع يعنى انزل من السمآ نوعا من المآ فيه اشارة
الى ان فى ذلك الجنس ما لم ينزل من السمآ وهو ما يحدث فى الارض بطريق الانقلاب من الهوآ وغيره فاخرج به

بناتم

الخروج في الاصل الانفصال من الحصن الى العورة ويلزمه الظهور وانما عطف على انزل بحرف التعقيب
وان كان متراخيا عنه لسرعة خروج النبات بالمطر فكانه لم يتخلل بينهما زمان تصويرا لشدة قدرته تعالى
وفي توسيط الاسباب حكم ليس في الانشاء بغتة ثم انه تعالى جعل بلطفه منافع السما متصلة بمنافع الارض
فان اكثر ما يخرج من الارض بما ينزل من السما ليعلم ان منشأهما واحد لانه لو كان منشأ هذا غير الاخر لم تتصل
منافع هذا بمنافع الارض بعدما بينهما ويتوهم خلاف احدهما الاخر فلما دل هذا على منشئ واحد لا شريك له
فلا تجعلوا له اندادا من الثمرات الثمرة اصلها الزيادة والنما يقال ثمر الله ماله اي زاده وكثره وحمل
الشجر يسمى ثمرة لهذا ويجمع على ثمر بحذف الها التي هي للتوحيد ثم على ثمار كالبلدة تجمع بلاد ثم الثمار تجمع على
الثمر كالحمر تجمع على الحمر وهذه جموع تكسير وجمع السلامة هو الثمرات والمراد منها ههنا المأكولات كلها من
الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر وقد بسط الله ما اختصره في هذه الاية فقال وهو
الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا وقوله تعالى
كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده صريح في عموم الثمرة لان الحصاد انما يكون للزرع واللام
لتعريف الجنس وانما جمع لاختلاف انواعه ثم ان جمع التصحيح انما يكون للقلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى
ان يقال ان الجموع يتجاور بعضها في موضع بعض ومن للتبعيض فان ما يصلح رزقا لنا بعض الثمرات
المخرجة ولا تصلح للتبيين اذ لم يتقدم ما يبين رزقا مصدر فيكون مفعولا له ويحتمل ان يكون بمعنى مرزوقا
فينتصب على الحال وعلى الاول تكون الكاف في لكم مفعولا به واللام لتقوية تعدي المصدر اليه وعلى
الثاني تكون في موضع الصفة فتعلق اللام بالمحذوف اي كائنا لكم ولا يمتنع عكس ذلك ويجوز ان تتعلق
باخرج فلا تجعلوا لله اندادا ند الشئ مشاركه فيما يحويه وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال
في اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس ولما كانوا اتخذوا اندادا جا النهي عن جعل الانداد بعد
على حسب الواقع والا فحق النهي ان يتعلق بجعل نظرا له تع وهذه الجملة متعلقة بالذي على ما جعلناه خبر
مبتدا محذوف اي هو الذي من عليكم بانواع النعم العظام من خلق السما سقفا مرفوعا وجعل الارض
فراشا موضوعا واخراج النبات بالمطر رزقا مجموعا فلا تجعلوا له اندادا وانما عدل الى الظاهر نعيا عليهم بان
جعلهم له اندادا جعل الانداد لذات موصوفة بصفة لا شريك له فيه ويجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا
ربكم والفا للسببية اي بسبب ايجاد هذه الايات الباهرة النهي من اتخاذكم الانداد ولولا هذا
الاعتبار لكان الانسب عطفه بالواو كما في قوله تع اعبدوا الله ولا تشركوا ويجوز ان يكون نفيا منصوبا
باضمار ان على جواب الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال شرط انتصاب المضارع باضمار ان في جواب الامر

هو كون الاول سببا للثاني منتف ههنا لانه يجوز ان يكتفي بسببية الاول للاخبار بمضمون الثاني
كما اكتفي بسببية الشرط للاخبار بمضمون الجزا في قوله تع وما بكم من نعمة فمن الله وانتم تعلمون اي والحال انكم
من اهل العلم على ان تعلمون من الافعال المنزلة منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له المفعول
على معنى وانتم تعلمون امتناع الانداد وانها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا المقصود منه التوبيخ
والتنبيه على قبح فعلهم لان مرتكب القبيح مع علمه بالقبيح اعظم جرما لا تقييد الحكم وتخصيصه به فان العالم والجاهل
المتمكن سوا في التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالوجه الاخير لان الظاهر ان المراد على الاول النهي لترك الانداد
ووجه ذلك ان التلطيف بعد التغليظ ادخل في الاسماع واعون على الاصغا من التغليظ بعد التغليظ
الا ترى كيف وصى رسوله اذ ارسل الى عدوه وقال فقولا له قولا لينا وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة
محمد عليه السلام وهو القران المعجز بفصاحته وعرف ما يتعرف به ويتيقن انه من عند الله ثم انه سلك مسلك
الاطناب حيث لم يقل وان ارتبتم سوقا للكلام على وفق حالهم وتنبيها على توغلهم في الارتياب واستمرارهم
على ذلك واستقرارهم فيه وتصعيبا للنعي عليهم حيث بلغوا النهاية فيما لا يجوز لاولي الالباب الوقوع
في بدايته وهل هذا الا غاية الغباوة والغواية وادى بكلمة الشك مع تحقق الريب على خلاف الظاهر
تكميلا للنعي عليهم بتنزيل حالهم المحقق منزلة المقدر للتنبيه على ان مثل ذلك الحال حقيق بان يعد من قبيل ما
يفرض كما يفرض المحال والتنكير في ريب للتحقير وفيه تنبيه على ان وضوح دلائل الاعجاز في المنزل المذكور
بلغ الى حد لا ينبغي ان يفرض فيه ريب الا على وجه القلة ومن تحتمل ابتدا الغاية والسببية وما موصولة
اي من الذي نزلنا والعائد محذوف اي نزلناه وتضعيف نزلنا بمنزلة همزة النقل ويؤيده قراءة انزلنا
ولا دلالة فيه على نزوله منجما في اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف للتكثير وذلك في
المتعدي نحو فرحت وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو مات الحال وموتت اذا كثر ذلك فيه
وح لا يجعل متعديا كيلا يلزم الجمع بين معنى التضعيف وذلك غير جائز وفيما نحن فيه لا بد من معنى التعدية
فلا مجال لارادة معنى التكثير والتعبير بما نزلنا دون القران للتنبيه على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف
والعبادة لما كانت اشرف الخصال والتسمي بها انفس الخطط حتى قال الشاعر لا تدعني الا بيا عبدها فانه
اشرف اسمائي سمى نبيه عبدا واضافه الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به ومنقاد لامره
لا مخالف فكانه يقول على الرسول الذي ظل ما يبلغه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في ذلك التشريف
بعض الانبيا انما اختصاصه عليه السلام بتسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال

واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين
الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية في الحرية عما سوى الله تع وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى الله عليه بذلك
فقال اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق كما قال فاوحى
الى عبده ما اوحى وقرئ على عبادنا يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب وفيه تنبيه على ان من شك في القران
مع ظهور اعجازه فهو شاك في سائر الكتب الالهية ايضا حقيقة او حكما ويجوز ان يراد من اخبر بنبوة محمد عليه السلام
وبشر بمجيئه من الانبيا كموسى وعيسى عليهما السلام والامر في فاتوا للتعجيز كما في قوله تع فات بها من المغرب
والفا لانه جواب الشرط وبدونها يقال ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت يا لكسرة ما قبلها وسقطت
همزتها كراهة التقا الهمزتين وثبتت اليا كتابة في قوله ثم ايتوا لانه يوقف على ثم ويبدأ ايتوا ولا تثبت
في قوله فاتوا وفي قوله واتوا لتعذر الفصل بين الفا والكلمة وكذا بين الواو والكلمة والسورة ماخوذة
من قولهم سار يسور اذا ارتفع وعلا وسمي الجدار المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه فالسورة من القران مجموع
ايات مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في مغايرتها لسائر السور وهي باطلاقها تتناول
اقصر سورة وهي في القران سورة الكوثر وهي ثلاث ايات قصار وهذا ابلغ الزام واتم قطع لاهل
الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل القران لقوله فاتوا بحديث مثله ثم اخبر من عجزهم عن ذلك
بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل
فاتوا بعشر سور مثله ثم لما ظهر عجزهم عنها تحداهم بسورة بقوله فاتوا بسورة من مثله وقد عجزوا عن
ذلك كله من مثله في محل الجر صفة لسورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا والمعنى ان كنتم
في شك مما انزلنا على عبدنا لجنس اعتقاده في كمال العبودية بانعام الوحي ومنه نجوم القران في انه
من عنده زاعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر على ما افصح عنه قوله تع واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا فاتوا بسورة من مثله اي من مثل المقدور للبشر في زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى
في التحدي بعشر سور ولولا القصد الى هذا لكان الظاهر ان يقال فاتوا بمثل سورة منه ورجوع الضمير للمنزل عليه
لا يساعده المقام ولا الكلام اما الاول فكما عرفت فيما تقدم ان المقام مقام توسيع دائرة التحدي حيث
تنزل من التحدي بكل القران الى التحدي بعشر سور ثم الى التحدي بسورة فلا يناسبه التضييق باشتراط ان
يكون الاتي به اميا في هذه الصورة دون الصورة السابقة واما الثاني فلان قوله وادعوا شهداءكم
من دون الله في معرض وادعوا من استطعتم من دون الله من قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فهو امر بان يستعينوا بكل من يعينهم في ذلك

فعلى هذا الوجه للاشتراط المذكور وايضا لا بد من اعتبار قيد المماثلة بين المنزل والمامور باتيانه
وعلى تقدير عود الضمير المذكور الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خلوا عن ذلك القيد المهم والشهدا جمع
شهيد معناه على ما قال ابن عباس رض اعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعي في استخراج حقه والمراد من الدعا
دعا استصراخ وكلمة دون لها معان والمراد ههنا معنى غير وهي في الاصل اسم ولهذا دخله الخافض
وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مجردة عن اللام الذي هو للتعريف والتنوين الذي هو للتنكير
وهما من خصائص الاسما لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها لذلك ان كنتم صادقين في
زعمكم السابق ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع هذا اذا كان وصفا للمتكلم واما اذا كان وصفا
للكلام فهو الخبر المطابق للواقع ولما كان الامر المذكور امر تهكم وتعجيز اخبر انهم ليسوا قادرين على اتيان
المامور به بقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لما ارشدهم الى الدليل الذي يتبين به امر النبي عليه السلام وصدقه
وكون ما جاء به حقا صرح بنتيجته لاستلزامه نفي اللازم وهو امتناع معارضته نفي الملزوم الذي
هو استحقاق الريب فلزمه تصديقه والايمان به والا استوجبوا اشد العذاب وانما اورد الفعل في
موضع الاتيان لانه ما من شي من الاحداث الا ويصح ان يعبر عنه بذلك لما ذكره الراغب ان معناه
اعم من معنى سائر اخواته نحو العمل والصنع والاحداث فالمعنى فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن
تاتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز واتى بكلمة ان
دون اذا مع تحقق الشرط اما تهكما به واما بنا على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة ولم كلمة نفي تدخل
على المستقبل وتجعله بمعنى الماضي ثم دخول ان وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل فكانه فيه اشارة
الى انقلاب حال المخاطبين ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام المرام وهو من محاسن الكلام
اثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم بفاعلين ذلك ابدا لان لن لتاكيد النفي في المستقبل
فيشارك لا في نفيه ويباينه في التاكيد والتشديد واختلف في اصله فقيل لا ان وقيل لا ابدلت الفه نونا
والظاهر انه حرف مقتضب براسه كما هو قول سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل قيل فيه دليل على
صحة نبوته عليه السلام حيث اخبر عن الغيب على ما هو به وفيه انه من باب الكرامة ولا اختصاص لها عند اهل
الحق بالانبيا واما الاستدلال بعدم كونه عليه السلام شاكا في امره فمما لا وجه له لان مبنى دلالته على صحة
دعواه على ثبوت عصمته عن الخطا وهو فرع ثبوت نبوته فاثباته به مصادرة فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة جواب الشرط وكنى به عن ترك العناد تقريرا للمكني منه وتهويلا لشان العناد
وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وذلك ان من عاند بعد وضوح الحق له استوجب العقاب بالنار واتقا

النار من نتائج ترك العناد والنار هي نار جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا اشد تهويلا
لما فيه من ابراز العناد في صورة النار بخلاف الاول فان النار ح على حقيقتها والتهويل انما جا
من انابة اتقاء النار مناب ترك العناد ثم ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك في النهي عن ملابسة
العناد وتعريفها بنا على ان تلك النار كانت معلومة للمخاطبين بسماعهم من النبي عليه السلام بالذات او بواسطة
المومنين وايضا هذه الاية مدنية فنزولها بعد نزول قوله نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية
فصح تعريفها لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة ان المكيات نزولها قبل الهجرة متقدمة على المدنيات
النازلة بعدها ولتفظيع شان العناد بهول وصف النار بقوله التي وقودها الناس والحجارة
وكون الصلة معلومة انما اشترط في غير مقام التفخيم والتهويل الا يرى الى قوله تع فاوحى الى عبده
ما اوحى والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم التهابها فهو مصدر والاول اسم وقد جا المصدر
بالفتح والاسم بالضم وقرئ بهما والظاهر المناسب لبلاغة القران ان يكون المراد به المصدر على ان
المجاز عقلي فان الوصف وهو المبالغة في التهويل تحصل ح على وجه اتم واكمل وفي المصير الى حذف
المضاف تنزيل لشان التنزيل والناس ههنا هم الكفار والحجارة جمع حجر كالجمل والجمالة وهذا جمع
على غير قياس والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار وقد صح عن ابن عباس رض على ما اخرجه ابن
جرير في تفسيره وعن ابن مسعود رض على ما اخرجه البيهقي في البعث والنشور انها حجارة الكبريت
وانما خصت من بين انواع الاحجار لانها اسرع وقودا وابطأ خمودا وانتن رائحة واكثر دخانا
واشد حرا والصق بالبدن والظاهر ان مرادهما بيان الواقع لا تعيين المراد ههنا من لفظ الحجارة
فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير دليل فهي على اطلاقها فلا يفوت ما قصد به من تهويل شان تلك النار
وتفاقم لهبها حيث تتقد بما لا تتقد به غيرها واما احتمال أن يراد بها الاصنام فيأباه العموم
المستفاد من قوله تع وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فان بعض ما عبدوا ليس من
جنس الحجر ومعناه وقودها الناس والحجارة ان تلك النار لا تتقد الا بهما اعدت الاعداد والتهيئة
والارصاد اكثر استعماله في الموجود وقد يستعمل فيما هو في معنى الموجود كما في قوله تع اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما فدلالة الاية على ان النار مخلوقة الآن كما هو مذهب اهل الحق ليست بقوية
للكافرين ختم بما دفع به البدؤ اي اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكفار والجملة استيناف
يؤيده عطف وبشر على لفظ المبني للمفعول عليه وقيل صلة بعد صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما
يقع في الاخبار والصفات ويؤيده قوله تع في سورة آل عمران واتقوا النار التي اعدت

للكافرين

للكافرين واما العطف بترك العاطف فتجويزه يودي الى الالباس في مواضع الفصل والوصل ودلالة
لام الاختصاص على ان اعداد تلك النار للكافر ولا يلزم من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من
اختصاص اعداد الجنة للمتقين ان لا يدخلها غيرهم فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها الناس
والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها وبشر الذين امنوا البشارة في اللغة اسم الخبر يغير بشرة الوجه
مطلقا سارا كان او محزنا الا انه غلب استعمالها في الاول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى
لا يفهم منه غيره واعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب الفقهية فالمعنى العرفي للبشارة الخبر الصادق
السار الذي ليس عند المخبر به علمه والمامور بالتبشير على قراءة بشر على لفظ المبني للفاعل الرسول عليه السلام
ولا وجه للتعميم لكل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت ان مدار البشارة على الصدق فحقها
ان يكون المبشر صادقا ومصدقا كانه ما اتكل في امر التبشير على كل قادر عليه بل نص على اعظمهم واصدقهم
ليكون ذلك اوثق عند المبشرين واقطع في الاخبار بهذه البشارة الجليلة وفيه من التعظيم لامر البشارة
والمومنين ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة بينهما جهة جامعة بحيث يقتضي
ان يقع ذكر احديهما بذكر الاخرى توفية لحق الكلام ورعاية لما يقتضيه المقام وذلك ان قوله تع
يا ايها الناس اعبدوا خطاب عام يشمل الفريقين الموافق والمخالف ثم ان قوله وان كنتم في ريب
مختص بالفريق الاول ومضمونه الانذار وان قوله وبشر المومنين مختص بالفريق الثاني ومضمونه البشارة
كانه اوحى الى نبيه ان يدعو الناس قاطبة الى عبادته وتوحيده وتصديق رسوله ثم امر ان ينذر
من ابى وعاند ويبشر من امن وعبد وهذا هو المعتمد وقيل معطوفة على مقدر بعد اعدت اي فانذر
الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين امنوا وعلى هذا تكون الواو فصيحة كما في قوله تع واهجرني مليا
اي فاحذرني وقيل معطوفة على قل مقدر قبل يا ايها الناس اي قل كذا او كذا وبشر المومنين ولا يابى
عن ذلك قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جا في كلام الله تع في غير موضع منها قوله
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك قالوا كان حقه على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله كانه
قال قل ما تكلمت به وجوز ان يكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا للشرط بل هو محذوف
وهذا مرتب عليه فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين عجزكم عن المعارضة فقد صح عند المعاند والمنافق
صدقه واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون العقاب وبشر يا محمد المصدقين بالثواب وعطف
الامر المخاطب على الامر لمخاطب آخر مما ليس خطأ في منعه النحاة لوقوعه قطعا في قوله تع يوسف اعرض عن
هذا واستغفري لذنبك وستقف على تتمة هذا الكلام في تفسير قوله تع فان خفتم الا يقيما حدود الله وعملوا ا

الصالحات الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم وهي ما ورد به الامر ايجابا او ندبا من الاعمال
وتانيثها على تاويل الخصلة والتعريف للجنس لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار
التوزيع واللازم منه ان يعمل كل مكلف ما يختص به من مواجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم
ودخلوا مساجدهم لا ان يعمل كل واحد منهم عملا واحدا منها كيفما كان وفي مقارنة الايمان والعمل
الصالح في القران ايذان بانهما كالمتلازمين في توقف مجموع النجاة والثواب عليهما وهذا لا ينافي
كون الايمان المجرد عن العمل الصالح منجيا ثم ان بشر يتعدى الى مفعول بنفسه والى اخر بحرف الجر وهو قوله
ان لهم جنات وحذف الحرف وهو في موضع جر وهو ابن مالك قال في التسهيل وهو قليل الامام بكتاب
سيبويه واللام للاختصاص الا ان التخصيص بفضل الله لا بالاستحقاق الذاتي والمختص بهم منازل
عالية من دار الثواب لا الدار بعينها حتى يشكل بالنصوص الدالة على عدم اشتراط العمل في الدخول بها ولذلك
قال الجنات دون الجنة فانها علم لتلك الدار وحمل الجنات على الجنات الثمانية لا يلايمه مقابلة الجمع بالجمع
لان مقتضاها الانقسام والتوزيع وقد روعي ذلك في قرينتها السابقة ولا مجال لرعايتها ههنا
العهد في توزيعها ثم ان ذلك الاختصاص مشروط بسلامة العاقبة لان الاعتبار للخاتمة على ما افصح
عنه قوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم واما الاستمرار على الايمان
المقارن بالعمل الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار
التركيب على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه وستره ما تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار
المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان والمراد ههنا الغرف وهي المواضع العالية
والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما افصح عن ذلك في قوله تع والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان القران يفسر بعضه بعضا وتنكير الجنات للتعظيم
اي جنات اي جنات لا يكتنه وصفها ثم اكده بالاوصاف الغريبة ويجوز ان يكون المراد جنات
شتى مرتبة في مراتب بحسب طبقاتهم ودرجات اعمالهم وعلومهم واخلاقهم تجري من تحتها الانهار الضمير
للجنات يعني من تحت تلك الغرف وفيه تنبيه على انها منازل عالية وقد جاء في الاثار ان الجنة درجات
والنار دركات والنهر بفتحتين وبسكون الثاني المجرى الواسع والمراد الانهار المعهودة المذكورة في
قوله تع فيها انهار من ماء غير آسن فان الاصل في التعريف العهد ولا يعدل عنه الا عند التعذر ولا تعذر
ههنا اذ لا حاجة في ثبوت العهد الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البشارة هو النبي عليه السلام
فيكفي علمه بها اعلام من بعده وفي البيان من آية دلالة قاطعة على ان المراد الانهار على التجوز فيها او

الاضمار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هي او جملة مستانفة
على تقدير سوال يختلج في ذهن السامع اثمارها من جنس ثمار الدنيا ام اجناس اخر فقيل من جنسها ومن الاولى
لابتداء الغاية وكذا الثانية واقعتان موقع الحال ورزقا مفعول ثان بمعنى المرزوق واصل الكلام ومعناه كل
حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه من الجنات ثم المقيد بكونه
من الجنات قيد لكونه مبتدا من اي ثمرة من ثمارها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية
ضميره المستكن في الحال ويجوز ان تكون الثانية للتبعيض اي كلما رزقوا من تلك الجنات بعض
الثمرات على انه مفعول ثان ورزقا حال او نصب على المصدر وليس المراد من الثمرة الواحدة بالشخص
وانما المراد النوع الواحد من انواع الثمار يقال فلان ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون
بيانا كما تقول رايت منك اسدا اي انت اسد وعلى هذا الوجه يصح ان يراد بالثمرة النوع والجنات الواحدة
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا والمقول جملة تشبيهية بقوله واتوا به متشابها
اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف التشبيه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته وانما جعل
ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليها اول ما رأت فانه لو لم يكن من جنسها لا مكن ان تنفر منها
طباعهم وتعافها نفوسهم في اول الوهلة وبادي النظر وهذا لا ينافي التذاذه به فوق التذاذه بالمالوفة
بعد الوقوف على طعمه ولا يخالف ما اشتهر فيما بينهم من ان لكل جديد لذة ولانهم اذا صادفوا ما التذوا
به والفوه من جنسها كان معهودا لهم وراوا بينه وبين ما عهدوه تفاضلا بينا وتفاوتا عظيما عرفوا
قدر النعمة وحقها وبلغ استلذاذهم به واستحسانهم له الى ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة غير مترقبة ولو كان
من جنس اخر وان فاق وبلغ غاية الحسن وراق ظنوا ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك ولم يقع في
نفسهم وقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستينافهم له عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في
الفضيلة والمزية وان ذلك الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي تلفظهم بذلك ويشغلهم
ويبهتهم فرحا وحبورا ولا يدعهم يفتروا ويسكتوا بل يستفزهم لذة وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد
من اصلها الى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والضمير في
به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة لاشتمال الكلام عليهما كقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغني والفقير ولو رجع الى المذكور لكان اولى به ويجوز ان يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لان
طعامها متشابه الصورة كما حكي الحسن يؤتى احدهم بالصحيفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي
اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير الى الرزق المطلق

كما ان هذا اشارة اليه ولا يخفى ان الوجه هو الاول لعدم المساعدة فى نكتة كلما للاخير والجملة اعتراضية
كقوله تع وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون والواو فى ولهم فيها ازواج مطهرة عاطفة الجملة
من تسمية وصف ثواب المومنين ومطهرة بالتوحيد ومطهرات بالجمع لغتان فصيحتان فى وصف
ازواج لكونه جمع التكسير وان كان جمع المونث الحقيقى بخلاف ما لو قال زوجات لسلامة الواحد فيه
فلم يجز الا مطهرات كانه قال جمع ازواج مطهرة وبناؤه للمفعول افخم اذ فهم ان لها مطهرا وليس
الا الله تع فتكون طهارتهن اعظم من كل طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه اشعارا بسابقة
التلويث بما يستقذر والكمال فى كون الطهارة خلقية بخلاف بناء الفاعل فان المتبادر منه
بمعونة المقام ان تكون طهارتهن خلقية قلنا نعم كذلك الا ان الاول راجح لكونه ادخل فى
البلاغة لما فيه من تعظيم المومنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهيرهن
من الاوصاف القبيحة فى الخلق والخلق لما كانت مجامع اللذة فى المسكن البهى والمشرب الروى
والمطعم الشهى والمنكح الوحى ذكرها تعالى فيما بشر به المومن وبدا بالمسكن لانه به الاستقرار ثم بالمشرب
والمطعم لان بهما قوام الجسم وقدم المشرب لما فيه من تشريف المسكن ثم بالازواج لان بها تمام اللذة
والانس ولما ذكر مجامع اللذة وذلك ينقص بخوف الزوال فنفاه بقوله وهم فيها خالدون الخلد
البقاء الدائم الذى لا ينقطع قال الله تع وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون وتقييد
بالتابيد بقوله خالدين فيها ابدا يقطع التجوز فان استعماله فى الثبات المديد وان لم يدم متعارف
شائع ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا بعوضة لما بين التوحيد واثبت صحة النبوة بالبرهان وهما
اساس الدين واصل الايمان وارشدهم الى معرفة حقيقة القران والحمهم بالتحدى ورتب الوعيد
على الكفر به والوعد على الايمان شرع فى ابطال الاعتراضات والشبهات التى طعن بها الجاحدون
الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرا واعظم شانا من ان يمثل بهذه المحقرات كالذباب والعنكبوت
وقولهم اما يستحيى رب محمد فاجابهم بما دل على ان التمثيل امر يستدعيه حال الممثل له فكلما كان اعظم كان الممثل
به اعظم وكلما كان احقر كان الممثل به احقر كقوله ولله المثل الاعلى فيلزم ان يكون لالهتهم المثل الادنى لانها
جمادات لا قوة لها ولا شعور اذ الغرض من التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس وتقرير المعنى
المراد فى النفس ولا يعارض العقل فى المعانى المعقولة الا الوهم بميله الى الحس وامتناع ادراكه المعانى
الكلية فاذا تمثل المعنى للعقل بصورة محسوسة اذعن له وانقاد وقبل المعنى المراد ولهذا اكثر التمثيل فى كلام
البلغاء والحكماء والانبياء وفشا فى الكتب الالهية ولا يتعلق حال المثل فى الحسن والقبح بحال الممثل الا فيما

يصار اليه من وجه الشبه وبين الممثل به والممثل له فان لم يكن مطابقا بان لا يكون الوصف المشترك
المقصود اظهاره فى الممثل به اجلى واقوى واشهر كان الممثل قاصرا فى البلاغة منسوبا الى الدناءة وان
كان مطابقا بان كان المعنى المراد افهامه فى الممثل به ابلغ واتم واكمل واعم كان الممثل اجل قدرا واعلى شانا
ولهذا كان تمثيل الله تع الشىء بالبعوضة فما فوقها فى المعنى الممثل له من الحقارة الى ما هو احقر منها
لجناحها ومنهاد كما قيل اقل من لا شىء فى غاية الحسن والجزالة ونهاية الفصاحة والبلاغة كما تقول فلان
اقل قدرا من الكلب فيقول صاحبك وفوق ذلك اى فى قلة القدر وقد جاء فى الانجيل تمثيل غل الصدر بالنخالة
ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وفى كلام العرب اجرد من جراد واسمع من قراد ويحتمل ان يكون
المراد بقوله فما فوقها العنكبوت والذباب مما ورد فى المثل مما هو اعظم من البعوضة ردا لما استنكروه
كما قيل فلان بخيل بدرهم فتقول انه بخيل بدانق فما فوقه اى فضلا عما فوقه فى العظم من الدرهم والحياء انقباض
النفس لمخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى انحصار النفس عن الفعل مطلقا واستعمال
الاستحياء لله تع مجاز على سبيل التمثيل اى لا يترك ضرب المثل بالمحقرات ترك من يستحيى لحقارتها وقد
جاء فى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه وفى التمثيل من المبالغة ما لا يخفى على الفطن
للتخييل وتصوير المعقول بالمحسوس او القصد الى المدرك بالضرورة ويجوز ان يكون وقوعه على سبيل
المقابلة وتطبيق الجواب والسوال فانه لما جاء فى كلام الكفرة اما يستحيى رب محمد ان يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحيى ان يضرب وهو فى كلامهم نوع بديع وفن عجيب يسمونه بتفصيه
لمراعاة المشاكلة وضرب المثل صيغته واعماله من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله وقع شىء على اخر والاستحياء
يتعدى بنفسه وبمن فعلى الاول يكون ان يضرب منصوب المحل على المفعولية وعلى الثانى يكون مجرور المحل
بتقدير من او منصوب بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول يضرب وما ابهامية
منصوبة المحل صفة مثلا تزيد شياعا وعموما وابهاما وتسد الباب التقييد او مزيدة للتاكيد كما فى قوله
فبما رحمة اى مثلا حقا وبعوضة منصوب بدل او مفعول به وفيه انه لا يكون فى النكرات عند الجمهور
ومثلا حال متقدمة عليها لتنكيرها او مفعول ثان ليضرب اجراء يضرب مجرى جعل وصير وان رفعت بعوضة
فما موصولة حذف صدر صلتها كما فى قوله تع تماما على الذى احسن بالرفع او موصوفة كذلك اى صفتها
جملة محذوفة المبتدا ولما كان الوجوه الاربعة المذكورة فى بعوضة بالنصب وجه اخر اعرب
وافصح وهو ان تكون ما استفهامية مبتدا خبره بعوضة اى ما البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا
يبالى ما دينار ودينارين والبعوض من البعض كالقطوع والخموش من القطع والخمش ومعنى البعض

كالبضع والقص ومنه بعض الشي لانه قطعة منه وهو في الاصل صفة غلب على هذا النوع فما فوقها
عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسما فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف التفصيل وفيه
معنى الشرط ولذلك يجاب بالفا يفيد الكلام توكيدا تقول زيد ذاهب فاذا اكدت قلت اما زيد فذاهب
وما بعدها جملة جزائية حقها ان تصدر بالفا لولا دخول اما عليها فاخرالى الخبر لوجودها وجعل المبتدا اساد مسد
الشرط المحذوف لفظا ومعنى التفصيل في اما وتصدير الجملتين بها ان بين الفريقين غاية البعد والتضاد
في احضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم وسدادهم ونقص الفريق الثاني وتعمقهم في
جهلهم وازاغة بصرهم وغوايتهم وزيغهم وعنادهم ومكابرتهم لانهم بين ان لا يتفطنوا الوجه التمثيل وحسنه
وحقيقته وبين ان يعاندوا ويكابروا كلا الامرين وفيه بعد عن مقتضى الفطرة وسقوط عن درجة الانسانية
وتجانف عن الصواب والسداد وانهما تمامي النفي والفساد والحق هو الامر الثابت الصحيح في نفس الامر
الذي لا يسوغ عند العقل انكاره يقال حق الامر اذا ثبت واما الذين كفروا فيقولون انما قال في مقابلة
قوله يعلمون يقولون لدلالته على عدم العلم بابلغ الوجوه واكد البرهان فان صدور القول المذكور منهم
يدل على فرط الغباوة من عدم التفطن او مخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم جعل ابعث
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبرها وان يكون مع ما اسما واحدا والمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن
في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها
الى الشيء وهو نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله تع ليست بصفة زائدة على ذاته
كاراد تنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل على وجه دون وجه وحكمته عين علمه المقتضي
لنظام الاشيا على الوجه الاصلح والترتيب الاكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار وفي لفظ
هذا استركاك واستحقار كما في قول عائشة رض في عبد الله بن عمرو بن العاص رض يا عجبا لابن عمرو
هذا ومثلا نصب على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب
ضعيف ماذا اردت بهذا جوابا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا بيان الجملتين المصدرتين بامّا وتقرير
لان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم والجهل به واستنكاره
من باب الضلال والفسق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية
المحقين ورشدهم وضلالة المنكرين وفسقهم وكون كل منهما موصوفا بالكثرة في انفسهم لا
بالقياس الى الاخر والضالين بالعدد والمهديين بالقدر والحقيقة كما قال ان الكرام كثير في

البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا فان المهديين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم
يضل به كثيرا واما احتمال كونه جوابا لما في ماذا اي المراد اضلال كثير وهداية كثير فيا باه قوله مثلا فان
التمثيل لا يناسب ان يراد به الاضلال قال الله تع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وما يضل
به الا الفاسقين الفسق لغة هو الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى
بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين ههنا الخارجون عن الايمان لدلالة ما بعده عليه وقصر الخسران عليهم
وترتيب الضلال على الفسق يدل على كونه سببا على الفسق الذين ينقضون عهد الله منصوب المحل
صفة للفاسقين للذم او مبتدا خبره اولئك هم الخاسرون ويكون بيانا للفاسقين وتسجيلا عليهم
بالخسران والنقض الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب الاستعارة بالكناية
بايراد صفة المستعار منه دون ايراده بعينه بالرمز على ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين
وعلى هذا لا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال منقولا عن معناه الاصلي كما ان استعارة
الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية لا يلزم خروجه الافتراس والاغتراف عن معناهما
الاصليين بل نقول مقتضى تلك الاستعارة ان يكون ما به الكناية قارا في معناه الاصلي حتى يكون
من خواص المستعار منه حقيقة والعهد الموثق ولهذا قال في الوصية عهد الله في كذا اذا اوصاه به ووثقه
عليه ووصفه ما يحفظ ويراعي ويتعهد كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي تراعي والتاريخ الذي
يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالفعل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على جميع تصديقه في
الايمان وعهدا اول قوله تع واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول الله
المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا تكتموا امره ولم يخالفوا حكمه والى هذا الاشارة بقوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب من بعد ميثاقه الميثاق ما وثق به العهد والالزام والكلف وامثاله مفعال
من الوثاقة والاصل في مفعال ان يكون صفة كمعطار او آلة كمحراث وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر
ولا نعلم مفعالا مصدرا ولا عدوه في ابنيته والضمير عائد على العهد ان عني ما وثق به العهد وعلى الله
او عليه ان عني به جرد المصدر ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لكن الظاهر انه توصيف
للفاسقين بانهم يضيعون حق خلق الله وتضييع حقه تعالى بنقض عهده وتضييع حق خلقه بقطيعة
ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به
بالمصدر كان الداعي الذي يدعو اليه ويبعث عليه آمر ما به فهو مامور به كما سمي شانا والشان
الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده وان يوصل مخفوض المحل بدلا من الضمير

فی به للاستعمال او علی تقدیر اللام ویفسدون فی الارض بقطع الزرع والنسل وتهییج الحروب
والفتن واحداث الهرج والمرج ولذلک قصر فی قوله اولئک هم الخاسرون الخسار علیهم لخروجهم عن
مقتضی الفطرة واستبدالهم ظلمة الجهل بالنور الفطری والغوایة بالهدایة الاصلیة التی هی نور
العقل والنقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب کیف تکفرون
کیف للاستفهام عن الحال والمراد الانکار والاستبعاد والتعجب ولیس فیه معنی الاخبار ولا
یلزم الجمع بین المعنی الحقیقی والمجازی ولما علم امتناع الشیء علی غیر حال من الاحوال کان انکارا من
احوال الکفر انکار نفس الکفر علی الطریق البرهانی فیکون من باب الکنایة بنفی اللازم عن نفی الملزوم
فیفید کون الکفر بالله مع العلم بالحالة الآتی ذکرها کالمستحیل فی نفسه لقوة الدلیل الموجب للایمان
فانها ایات بینات ولهذا کان الاستفهام الانکاری بکیف ابلغ من الاستفهام الانکاری بالهمزة
وحمل الکفر علی معنی الکفران المقابل للشکر یاباه الباء فی قوله بالله لانه لا یقال کفر بالمنعم وبالنعمة بل
یقال کفر المنعم والنعمة ولان بعض ما ذکر لیس من النعم کما لا یخفی والخطاب مع الذین کفروا لما وصفهم
بالکفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم علی طریق الالتفات ووبخهم علی کفرهم مع علمهم بحالهم
المقتضیة خلاف ذلک وکنتم امواتا ای اجساما لا حیوة لها عناصر واغذیة ونطفا ومضغ والاموات
جمع المیت کالاقیال جمع القیل واطلاقها علی تلک الاجسام من قبیل اطلاق المقید علی المطلق مجازا کاطلاق
المرسن علی الانف وقیل بطریق الاستعارة للاشتراک مع الاموات الحقیقیة وهی التی زال عنها
الحیوة فی عدم الروح والاحساس وفیه نظر والواو للحال والمنصوب علی الحال لیس فعلا واحدا بل جملة
قوله کنتم الی قوله ترجعون وهی وان کانت بعض اجزائها ماضیا وبعضها مستقبلا ولا یصح کونها حالا
حتی یکون فعلا مقارنا لوجود ما هو حال عنه لکن معناها وما لکم المشهورة وقصتکم المعلومة هذه فیؤول
معناها الی قوله کیف تکفرون فی حال علمکم بهذه القصة فاحیاکم بنفخ الارواح فیکم واما خلق الارواح
فلا دلیل علی تاخره عما ذکر بل الظاهر من بعض الاحادیث تقدمه علیه والعطف باداة التعقیب لانه
متصل بما عطف علیه غیر متراخ عنه بخلاف البواقی ثم یمیتکم عند انقضاء اجالکم ثم یحییکم بالنشور یوم
ینفخ فی الصور للسؤال فی القبور اذ لا یناسبه التنزیل منزلة البدیهی فی الظهور ثم الیه ترجعون بعد
الحشر لیجازیکم باعمالکم او تنشرون الیه من قبورکم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم بالضرورة
وبعضها بوضوح الادلة النقلیة جعل کالمعلوم بالبدیهة لقوة التمکن من العلم به هو الذی خلق لکم
فی الارض لاجلکم ولانتفاعکم به فی دنیاکم ودینکم اما الاول فظاهر واما الثانی فالنظر فیه من عجائب

الصنع الدالة علی الصانع القادر الحکیم یعنی ان الحکمة والمصلحة فی خلقه انتفاعکم وهذا لا ینافی التوقف
فی الانتفاع به علی الرخصة من جهة الشرع حتی یکون فیه دلالة علی ان الاصل فی الاشیاء الاباحة ولا
الاختصاص فی البعض ببعض الطاری بسبب بعض العوارض حتی یحتاج الی ان یقال ان الکل
للکل علی التوزیع فان المعتبر صلاحیة الانتفاع بالفعل وایراد الضمیر مبتدأ وبناء الذی علیه دون ایقاعه
صفة لله یفید التخصیص والتعظیم ای هو الخالق لما ذکر دون غیره والمراد من الارض الجهة السفلیة فما
فی الارض یتناول الارض وما فیها جمیعا نصب علی الحال من ما فی ما من الارض وهو للمبالغة فی التکثیر
للاستغراق کلفظ کل فی قوله واوتیت من کل شیء وهو فی قوله ثم کلی من کل الثمرات لان فی الارض ما
لا صلاحیة فیه للانتفاع ولا هو فی معرض الاعتبار لکونه مستورا عن النظر ثم استوی الی السماء الاستواء
الاعتدال والاستقامة من استوی العود اذا قام واعتدل واستوی الیه قصده قصدا مستویا لا
اعوجاج فیه کالسهم المرسل من غیر میل الی غیره وسواه عدله وقومه والاستواء طلب السواء واطلاقه علی
الاعتدال لما فیه من تسویة وضع الاجزاء ولا یمکن حمله علیه لانه من خواص الاجسام وقیل استوی الیه بمعنی استولی
علیه وملکه قال قد استوی بشر علی العراق والاول اوفق للاصل والتسویة المرتبة علیه والمراد
من السماء هذه الاجرام العلویة او جهات العلو فسواهن سبع سموات هن ضمیر مبهم فسره سبع سموات بیان له
وقیل راجع الی السماء لانه فی معنی الجنس وسبع سموات حال وقیل جمع سماوة والوجه الاول وقوله وهو
بکل شیء علیم جملة اعتراضیة وثم للتفاوت من الخلقین وبیان فضل خلق السماء علی الارض استعیر من
معنی التراخی لبعد خلق السماء من خلق الارض فی الرتبة ولهذا اعضده ورشحه بالابهام والتفسیر لیفید عظمه
ورفعه فی النفس ثم قواه بالجملة الاعتراضیة لافادة ان مثل ذلک الخلق لا یکون الا عن علم تام بالغ فوق
کل ذی علم فمعنی ثم انه مع خلق هذه الاشیاء البدیعة العجیبة اقدم علی خلق ما هو ابدع منها واعجب
وابعد من الوهم والقیاس من غیر میل الی شیء غیره فلا یدل علی تاخر خلق السماء عن الارض بالزمان بل علی شدة
تباینهما وتفاضلهما واذ قال ربک للملائکة انی جاعل فی الارض خلیفة اذ ظرف منتصب باضمار اذکر
فیکون عطفا علی قوله وبشر علی الوجه الاول عطف قصة علی قصة وما تخلل لیس باجنبی بل من تمام القصة
واحسن منه لقرب ماخذه وصحته علی ان الاوجه ان یقدر فتدبر او نحوه بعد قوله وانه بکل شیء علیم
ویکون اذکر عطفا علیه ولما کان هذا من اجل النعم علی نوع البشر من ادل الدلیل علی عنایة الباری
بشأن هذا النوع کان العطف عقیب تعداد النعم مناسبا کانه قیل فتدبر ذلک واذکر هذه النعمة خاصة
فان فیها بلاغا لمن تذکر ویجوز ان ینتصب بقالوا وح یتعین ان یکون عطف قصة علی قصة متقدمة

من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة في
المساق والغرض وانه لا يجب مراعاة الخبر والطلب في هذا الضرب والملائكة جمع ملأك على الاصل
كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع كما في الصياقلة في جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل
من خلف غيره اذا قام مقامه والتاء فيه للمبالغة وفي الارض خليفة كانا في الاصل مبتدا وخبرا
انتصبا لمفعول جاعل من جعل المتعدي الى مفعولين بمعنى صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة
مني اي يخلفني ويقوم بامري في الارض وقيل منكم اي من يخلفكم ويسكن مكانكم لانهم كانوا قبل
ادم سكان الارض فخلفهم منها ادم وذريته واستغني بذكر ادم عن ذكر ذريته كما تستغني بذكر ابي القبيلة
عنها في قولك مضر وهاشم او اريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا سؤالهم وجوابه
حكمة الله في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملائكة تطلع على تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد
في الارض وسفك الدماء المختصين بالقوى الشهوانية والغضبية ولا يطلع على خواص الهيئة الاجتماعية
وعلى ما فوق اطوارهم من المعارف والاسرار الالهية وقاسوا الانس على الجن اسكنوا الارض قبل
الملائكة فافسدوا فيها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاورة لانه ليس بطريق المشورة
قال الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة على الاستشارة لان الاستشارة استمداد في العلم
من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام كاعلامه بان كثيرا من الكائنات لمصلحة او لا
البشارة بوجود المجعول لانها انما تكون بالخبر السار والقيد المذكور مقصود ههنا على ما يفصح
قولهم ونحن نسبح الخ قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لما كان قول الملائكة مع عصمتهم
ظاهر الاعتراض تأوله العلماء على وجوه احسنها عندي انهم كانوا حين الخطاب لهم مجملين وابليس
مندرج في جملتهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم باباءه واستكباره انفصل الجواب
الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن ابليس ونوع التسبيح والتقديس كان من الملائكة فانقسم الجواب
الى قسمين كانقسام الجسم اليهما وناسب كل جواب من ظهر عنه كان الظاهر المطابق للخطاب السابق
ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد وانما عدلوا عنه الى ما ذكر صرفا للتعجب الى جعل المفسد وخلقه
في الارض مع قطع النظر عن معنى الخلافة يعني ان وجودهم فيها محل استبعاد فاني كونهم خليفة ويحتمل
ان يكون القصد تجريد التعجب عن شوب التعصب فان في ذكرهم بوصف الخلافة تعرضا لما هو مطمح
نظرهم واما قصد الاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والاستخبار عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه فيأباه توصيفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس من التعرض وافي قوله

اني اعلم ما لا تعلمون من عدم البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه من يفسد احد مفعولي تجعل
والثاني فيها وانما قدم للاهتمام وفي تكرير فيها تنبيه على ان ما كان محلا للعبادة لا يناسب ان
يكون محلا للفساد والسفك والسبك والسفح والشن والصب متقاربة وبينها فروق فالصب
اعم من هذه الالفاظ والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب
من اعلى والشن للصب عن القربة ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الواو في نحن للحال كما تقول
احسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك في محل الحال اي ملتبسين بحمدك بمعنى حامدين لك
والتسبيح تنزيه الله تع من النقص والسوء قولا واعتقادا واصله من السبح وهو سرعة الذهاب في الماء
واستعير لمر النجوم في الفلك ولجري الفرس وقال الله تع ان لك في النهار سبحا طويلا اي سعة ذهاب
وسبحه عن كذا اي نزهه والتقديس التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ثم استعمل
في التطهير لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام مزيدة وقيل نقدس
نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك الدماء بتطهير النفس وليس في ذلك اظهار المنة
على حسب ما يقول المجتهد يحب ان يفوض صاحبه اليه خدمة انا متقبل الخدمة بعزمي واجد فيها
وعلى ذلك قولهم وانا لنحن المسبحون قال تع في شانهم اني اعلم ما لا تعلمون فوض ولم يصرح ههنا بانهم
ليريهم فضيلة الانسان وما خصوا به من العلم والعمل اللذين يقصر الملك عنهما عيانا ومشاهدة وانما ابهم
بيان استحقاقه ليعترفوا بالعبودية ويعرفوا ان له وراء علمهم علما هم محجوبون عنه وكفى العباد
علمهم بذلك ليزدادوا تعظيما ويتبينوا نقصهم وكانه تع بين لهم بعضه فيما بعد ليعظم عندهم وقعه
فيرجعوا ويسلموا ويعترفوا بنقصهم ويلين شكائمهم ههنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصلح العطف
وتقديرها فجعل في الارض خليفة وسماه ادم قالوا والمذكورة فصيحة وعلم ادم الاسماء كلها التعليم حقيقة
فعل يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم ومعنى تعليم الاسماء انه
اراه اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بعير على ان المراد من الاسماء الالفاظ
الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها او خبرا او رابطة بينهما وبين ان هذا للركوب
وهذا للحرث على ان المراد منها مسميات الاشياء وخصائصها ولا علم لنا بطريق تعليم ادم الاشياء
واعلم انهم بعدما اتفقوا على ان دلالة الالفاظ وضعية اختلفوا في تعيين الواضع فذهب قوم
الى انه هو الناس ويسمى هذا المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه توقيفي وبعضه
اصطلاحي هو الله تع ويسمى هذا المذهب مذهب التوقيف وذهب بعضهم الى انه بعضهم الى التوقيف

فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الآية هو الاول المذكور وعلى المذهب الثاني
لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح ليس انه يجوز ان يعرف القدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد
والقرائن كما يعرف الاطفال والله اعلم بحقيقة الحال وآدم فوزنه فاعل كآزر وعازر وشالخ وفالغ
ان كان اعجميا وافعل على انه مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب اسماء
الانبياء كلها اعجمية الا اربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام وقد صح عن ابن عباس رض انه
قال انما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء
والصفات وورد مثله عن علي رض وابن مسعود اخرجه ابن جرير واديم الارض ظاهر وجهها وقرئ علم
على البناء للمفعول ورفع آدم ومنع الصرف للعلمية والعجمة او وزن الفعل ثم عرضهم على الملائكة الضمير
للمسميات المدلول عليها كما في قوله تع ولابويه ان كان الالف واللام في الاسماء للجنس او المقدرة ان
كان التعويض باللام عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسماء المسميات كما في قوله تعالى
واشتعل الراس وانما ذكر الضمير للتغليب فان في المسميات العقلاء ولفظ ثم للدلالة على تاخير العرض
عن التعليم وذلك ليتحقق ويظهر فضل آدم وجهة احقيته للخلافة وقد قوله تع ان كنتم صادقين فانه يدل
على انهم غير صادقين في زعمهم انهم احق للخلافة وذلك بثبوت فضل آدم في ذلك الوقت فقال انبئوني
باسماء هولاء ان كنتم صادقين الانباء اخبار فيه اعلام ولذلك اجري مجرى كل واحد منهما فقيل انبأته
بكذا وانبأته كذا كقولك علمته كذا ولما كان المراد ههنا معنى الاخبار قال باسمائهم انه لا يقال نبأ الا
بخبر فيه خطر ففي عبارة الانباء تعظيم لشأن علم الاسماء وانما استنبائهم للتبكيت والرد عليهم فيما اظهروا
من عدم استحقاقه للخلافة وما ابطنوا عن اولويتهم بذلك لا للتكليف لانه من باب التكليف بالمحال
لانه معلق بل لان التعليق المذكور ايناسب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه
انبئوني فان قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهم استخبروا ولم يخبروا فكيف يصدقون او يكذبون
قلت الصدق والكذب وان كانا يتعلقان بالاستخبار بالقصد الاول من حيث المنطوق فقد يتعلقان
به بالقصد الثاني من حيث المفهوم وذلك اذا كان الاستخبار على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد نبهت
فيما تقدم ان الامر فيما نحن فيه كذلك فان مساق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احق للخلافة كان
استخبارهم متضمنا لمعنى الخبر فان قيل اليس زعمهم المذكور فاسدا متضمنا لتجويزهم صدور ما لا يخالف
الحكمة عن الله تع وشان الملائكة اعلى من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون قلت لا قوي الاشكال وقد مر ما الاشارة الى وجه الانحلال بارجاع الزعم المذكور

الى ابليس والله اعلم قالوا سبحانك تنزيه منهم له تعالى عن فعل لا مصلحة فيه ولا حكمة اي نبعدك
عن فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه واما الاشعار بان سوالهم كان استفسارا محضا فلا يناسب
المقام لما فيه من التلبيس ولانه مردود لقوله تع ان كنتم صادقين على ما نقف عليه باذن الله تع وسبحان
من المصادر اللازم حذف فعلها سماعا وهو علم التسبيح يجري ذكره مجرى ذكر الفعل اي
نسبحك تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالنقص ولزوم الحد اي لا يمكننا الاكتساب والترقي
ولما كان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا من باب الشكر افادت الآية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل
عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه وفي وجه هذا الجواب من الحسن ما يبهر الالباب حيث قدموا
بين يديه تنزيه الله تع ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا العلم لله واردفوا صفة العلم صفة الحكمة اذ
بان لهم وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف العلم لان الذي ظهرت به المزية
لآدم هو العلم ولان الحكمة من آثاره انك انت العليم الحكيم سلب للعلم والحكمة عن انفسهم لقصرهما عليه
وانما قصرهما عليه بتوسيط الضمير وايراد اللام وصدروا الجملة بان التوكيدي الرافع للشك والانكار
لايهام كلامهم بان استخلاف آدم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعواهم العلم لانفسهم وشكهم في
استحقاقه وانكاره لمزيته عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان ماهية العلم والحكمة مخصوصة به دون
غيره وانه محقق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اي محكم لمبدعاته وذلك انه لا يفعل الا فيه حكمة
بالغة قال يا آدم انبئهم باسمائهم ناداه باسمه العلم وكذا سائر الانبياء وهو خطاب تعريف ونادى محمدا
عليه السلام بيا ايها النبي ويا ايها الرسول وهو خطاب تشريف فانظر تفاوت ما بين الندائين وقال
الله تع انبئهم فجعل من اعترضوا به معلما لهم ومنبئهم بما تقاصرت علومهم عنه ليظهر بذلك فضله عليهم
فلما انبأهم باسمائهم بين هذه الجملة والتي قبلها جملة محذوفة تقديرها فانبأهم فالفاء المذكورة فصيحة
اي اخبرهم بها وعلموا فضله وظهر عجزهم وقصورهم قال الم اقل لكم انكار داخل على النفي فيفيد التقرير
لان نفي النفي اثبات اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء على وجه
البسط ليكون كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في كضرب اليوم اي ما غاب في السموات والارض والغيب
ههنا ما خفي عنهم فيهما وفي الاصل ما غاب عن الحس اي الغائب المقابل للشهادة بمعنى الشاهد واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون عطف على الم اقل لكم لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله اني اعلم ما لا
تعلمون فهو مقول لذلك ويجوز ان تكون واو الحال والمراد بما تبدون ما صدر عنهم من التصريح
والتلويح فيما ظنوا ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما تكتمون ما اسره ابليس من الكبر والعصيان فهو

من قبيل خطاب الجمع بفعل الواحد منهم كما في قوله تع فعقروها واعلم ان في هذه الايات دلالة
على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان
التعليم يصح اسناده الى الله تع وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاشتهاره فيمن يحترف بالتعليم وان لم
يكن مختصا به على ما يفصح عنه تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني واذ قلنا للملائكة نظمه بما قبله من حيث
ان في اول هذه الاية كشفا لما اجمل في ضمن تلك الاية مما نسب اليهم من كتمان ابليس من الكبر والعصيان
واذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبتها باضمار اذكر وان نصبتها بقالوا فهذه منصوبة باذكر
مقدرا والواو حينئذ عاطفة الجملة على الجملة ولك ان تقول ان العامل محذوف بتقدير انقادوا فسجدوا
لان السجود كان ناشئا عن الانقياد وفي قلنا خروج عن الضمير المتكلم المفرد الى ضمير الجمع لانه للتعظيم من
حيث انه ادعى لامتثال الامر من غير بطوء يناسب المقام اسجدوا لادم فيه ايجاز ونقل للامر التعليقي
الى صورة التنجيز اعتبارا للحاصل على ما دل عليه قوله تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فانه صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية خلق ادم فلما لم يكن امرهم مرتبا على ابتلائهم بالاتمام بل
على ظهور شان نفخ الروح في قالب ادم لم يصلح ان يكون ذلك اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا
مما قالوا فيه قال ابو عمرو يقال سجد اذا طأطأ راسه وانحنى فالسجود التطأطؤ مع خفض الراس به
يفارق الركوع واما التذلل فاعتباره في مفهومه العرفي دون اللغوي وقد جاء في المثل اسجد من [illegible]
وليس في سجوده تذلل وفي الشرع وضع الجبهة على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد العبادة
فان صلوة المرائي صلوة حقيقة وليست على قصد العبادة والسجود المامور كان على سبيل التكرمة
كسجود اخوة يوسف عليه السلام له وكون السجود لله تع على ان يكون ادم قبلة يرده قوله تع نقلا
عن ابليس ااسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه طينا انما يتجه ان لو كان مسجودا حقيقة لا قبلة
للسجود كالكعبة شرفها الله تع قال الامام ابو منصور فيه دليل على ان الكتاب نسخ بالسنة فان جواز
السجود لغير الله تع ثبت بقصة ادم ثم نسخ ذلك بالخبر وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه
وانكار عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجة الى عبادتكم وخدمتكم فاخدموا
عبدا من عبادي لم يخدمني كثير خدمة فسجدوا عن وهب قال اولهم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل
ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وكان ذلك كما نفخ فيه الروح من غير تأخير لقوله تع فقعوا له ساجدين
فان الفاء للتعقيب بلا تراخ الا ابليس ابى واستكبر استثناء متصل لانه من جنس الملائكة ولا
ينافيه قوله كان من الجن لان صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله تع وجعلوا بينه وبين

الجنة نسبا ولانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه
في قوله للملائكة ثم استثني استثناء واحد منهم وما في قوله تع استكبرت ام كنت من العالين دلالة على
ان تناول الامر اياه بطريق الدلالة لان المعنى امرك دائر بين ان تكون ادنى من المامورين بالسجود
فيتناولك الامر دلالة فيلزم الاستكبار او اعلى منهم فيكون من زمرة العالين الذين لم يتناولهم
الامر بل لان تقدير الكلام فسجد المامورون به تبعا الا ابليس فانه امتنع عن السجود واستعظم نفسه
ورفعها عن حيز المامورين تبعا وهذا ما قيل ان الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة الا انه استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاجله علم ان الاصاغر ايضا مامورون
به وليس مبنى هذا على ان يرجع الضمير في فسجدوا الى القبيلتين لان قوله فسجدوا ههنا في موضع
فسجد الملائكة في ايات اخرى وامتنع ابليس من الصرف للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا من الابلاس
بمعنى الياس قال وشبه العجمة لكونه لم يسم به احد من العرب فصار خاصا اطلقه الله عليه فكانه دخل
في لسانهم وهو علم مرتجل والاباء امتناع بالاختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب وانما قدم الاباء عليه وان كان ادل لان مفهوم الاستثناء
وهو عدم صدور السجود عنه ناشئ عن ابائه واباؤه ناشئ عن استكباره فروعي هذا الترتيب واستؤنف
في ابى لانه موضع سؤال لاحتمال ان يكون ترك السجود لعذر دون استكبر لظهور ان الامتناع بالاختيار
امر فيه تذلل لا يكون الا عن الاستكبار وكان استكباره مسببا عن كفره الاصلي ولهذا ذيله بالجملة الاعتراضية
للتعليل وهو قوله وكان من الكافرين اي كان اصلا من كفرة الجن فلذلك ارتكب المعصية على ما افصح عنه
قوله تع كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل اي صار منهم باستقباحه امر الله تع ولو كان المعنى هذا القبيل فكان
من الكافرين وقلنا يا ادم عطف على اذ قلنا لا على قلنا وفائدة النداء تنبيه المامور لما يلقى اليه من
الامر اسكن من السكنى اي اتخذها مسكنا ولهذا ذكر متعلقه بدون في لا من السكون بمعنى ترك الحركة وان
كان ذلك في الحقيقة راجعا الى السكون لانه نوع من اللبث والاستقرار انت وزوجك معطوف
على الضمير المستكن في اسكن المؤكد بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب اشعارا
بذكورته وتبعيتها وكان فيه توطئة للاكتفاء بذكره في قوله فتاب عليه الجنة اللام للعهد والمعهود
دار الثواب لا غير وكلا منها عدل ههنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان تبعيتها لزوجها في
السكنى دون الاكل رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا والرغد العيش الدار الهنيء الذي لا عناء فيه
وقال الليث الرغدان ياكل ما شاء اذا شاء حيث شاء حيث شئتما حيث للمكان المبهم اي اي مكان من

الجنة شئتما ومحل حيث مضافا الى الجملة النصب على الظرفية متعلقة بالاكل مع ظهور تعلقه
بالسكنى لان اباحة الاكل من اى مكان كان وفى اى وقت كان مستلزمة لاباحة السكنى فيه بحسب
العادة بدون العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة حيث شاءا ومتى ارادا مع سعتها وكثرة اشجارها
ولم يقيد بوقت ولا موضع ولا اكل مخصوص بشئ دون شئ كيلا يبقى لهما عذر فى التناول من
شجرة واحدة منهى عنها بتلك المبالغة ولا تقربا هذه الشجرة نهى عن الاكل منها بطريق الكناية
مبالغة فلانهى عن القرب منها وقد افصح عن هذا قوله الم انهكما عن هذه الشجرة حيث اشار لما
يشار به الى القريب ثم انه لم يقل عن القرب من هذه الشجرة نعت او عطف بيان واختلفوا فى
تعيينها وقال ابن جرير الاولى لا تعين لان العلم بها علم لا ينفع والجهل بها جهل لا يضر ولكن ان
تقول فى التعيين انها الكرمة كما ذهب اليه بعضهم فائدة الاشارة الى ان الخمر ام الخبائث لان
اصلها هو الذى كان السبب فى الخروج من الجنة اولا فيجب الاجتناب عنها لئلا يكون مانعا
من العود اليها فتكونا مجزوم عطف على تقربا او منصوب بتقدير ان جوابا للنهى والفاء تفيد
السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له وفى جعله سببا للكون المذكور مبالغة
اخرى فى تاكيد النهى من الظالمين لانفسهم بنقص حقوقها بالعصيان وحطها عن درجة القرب
والكرامات الى مهول الحرمان والهوان والظالم ابلغ من الذى ظلم ففيه ايضا مبالغة فازلهما
الشيطان اى حملهما على الزلة والضمير فى عنها للشجرة اى بسببها وتحقيقه اصدر الشيطان زلتهما
عن هذه مثلها فى قوله تع وما فعلته عن امرى وقيل يجوز ان يكون الضمير للجنة اى اذهبهما عنها وابعدهما
من زل اذا ذهب زلت عن الشهر كذا اذا ذهبت ويؤيده قراءة حمزة فازالهما اذ على هذه
القراءة لا يكون الا للجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو عثور القدم وازال من الزوال
وهو التنحية ويقوى هذه القراءة انهما امرا بالثبات والاستقرار فى الجنة فناسب ان يقال بعد
ذلك فازالهما الشيطان بالمعصية عن المكان الذى امرا بالثبات فيه على وجه الطاعة وادلاهم
بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اى اقسم لهما بقوله انى لكما لمن الناصحين وهذا صريح فى ان القاءه
اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء
واختلف فى كيفية توصله الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من
الدخول على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة الوسوسة

ابتلاء

ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما ويرده قوله تع فوسوس لهما الشيطان لان الوسوسة
لا تجامع النداء وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما ويرجح هذا الوجه بانهما يعرفان ما عنده من العداوة
والحسد فيستبعد فى العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تع الم انهكما الى قوله ان الشيطان لكما عدو
مبين لانه صريح فى مباشرة الشيطان للازلال والله اعلم بحقيقة الحال فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم
والكرامة والابهام للتعظيم اى مما لا يدخل تحت الوصف او من الجنة ان خص الضمير فى عنها بالشجرة
والاسناد ههنا وفى تقدم مجازى لان الفاعل فى الحقيقة هو الله تع والشيطان سبب عادى وقلنا
اهبطوا اهبط لازم ومتعد ومصدر المتعدى الهبط ومصدر اللازم الهبوط وهو النزول من علو
الى سفل والخطاب لادم وحواء لقوله تع فى موضع اخر قال اهبطا منها جميعا والخطاب لهما بنى على ما تقف
عليه فلا مجال للتعدد فلا وجه لما قيل المراد هما وابليس وكذا لما قيل المراد هما وذريتهما لان ما وضع لخطاب
المشافهة لا ينتظم المعدوم حال الخطاب لا عبارة ولا دلالة خلافا للحنابلة وانما جمع الضمير هنا رعيا
لشانهما كما فى قوله تع وكنا لحكمهم شاهدين بعضكم لبعض عدو جملة فى محل النصب بالحال استغنى بالضمير عن
الواو اى متعادين والمعاداة فقدان الملايمة والموافقة ومنه مكان ذو عدى وقوم عدى للاعداء
والغرباء لا بينهم من فقدان الملايمة وذلك بين الرجل والمراة كثير فى الخلق والخلق حتى ان عامة الحكماء من اخلاق
الرجال يذم من المراة وليس الامر تكليفا حتى يلزم الاذن فى المعاداة بناء على ان الحال قيد والامر بالمقيد
يتناول القيد ولكم فى الارض مستقر اما حال برأسها بالواو واما عطف عليها والمستقر اما موضع
استقرار او استقرار والقرار هو السكون عن برودة برد فى المتحرك اشتعل والتهب حتى يشبه
السريع بنار متقدة والساكن بما هو جامد ومتاع الى حين المتاع انتفاع ممتد الوقت ومنه
قيل متعه الله بكذا والمراد بالحين وقت الحين اذ الانتفاع تمتع بعده وجعل ابدا يوم القيمة من الموت
تكلف مستغنى عنه وكذا جعل السكنى فى القبر تمتعا فى الارض فتلقى ادم من ربه كلمات التلقى
كالتلقن الا ان التلقى يقتضى استقبال الكلام وتصوره والتلقن يقتضى الحذق فى تناوله
والتلقن يقاربه لكن يقتضى الاحتيال فى التناول وصيغة التفعل للتكلف اى تكلف فى تلقيها
بالجهد فى التفصل والتوجه وعلى قراءة النصب فى ادم والرفع فى كلمات تكلف الكلمات فى الوصول
اليه ليكون تزكية وتصفية قلبه بالتوبة مندرجا وفى اسناد التلقى الى الكلمات مجاز شبه نزولها
على التدرج بالتكلف فى النزول اليه وحاصل المعنى استقبلها بالقبول والعمل واستقبلته بالبلوغ
والوصول اليه واختلف فى المراد بالكلمات واكثر المفسرين على انها قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا

وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل غيره واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر والكلام بحاسة البصر فكلمة جرحة جراحة بان اثرها ذكره
الراغب وتضمن التائي قوله فتلقى معنى التوبة قال فتاب عليه مضمنا اياه معنى العطف اي
رجع متعطفا عليه بالقبول والرحمة بعد اواحنه واجتزئ به وحده لانه هو المواجه بالامر والنهي
وهي تابعة له او طوى ذكرها كما طوى في قوله وعصى ادم ربه فغوى وطي ذكر النساء في القرآن
والحديث كثير انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة واصل التوبة الرجوع وتوبة العبد
رجوعه الى ربه من ذنبه وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الآن والعزم على ان
لا يعود اليه في مستأنف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من ارضاء الخصم الرحيم المبالغ في
الرحمة يرحم التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته قلنا اهبطوا منها جميعا كرر لهذا لا لان الاول
من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض لانه مردود بقوله ولكم في الارض مستقر
ولا لاختلاف المقصود حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف لان ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الاولين المذكورتين
يمكن ان تجمعا بل تتعلق الزيادة به في قوله فاما يأتينكم مني هدى ليدل على ان هذا الغضب
مسبوق برحمة الى رحمة ولهذا اورد ما لتاكيد الملازمة والزموا التقوية بها زيادة النون في
الشرط واما اورد كلمة الشك مع ان اتيان الهدى محقق عنده نظرا الى انه محتمل في نفسه غير
واجب عقلا وفي هذا النظر اظهار لما فيه من جهة التفضل والاحسان فلذلك وجميعا حال في
اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم في زمان واحد
كقولك جاؤوا جميعا فمن تبع هداي من شرطية ويجوز ان تكون موصولة ويعضده اتيان
الموصول في قسيمه ودخول الفاء على الجملة الخبرية جائز ههنا جعل الهدى بمنزلة الامام المتبع
المقتدى به وفي اضافته اليه من التعظيم ما لا يكون لو ان كان معرفا باللام وان كان سبيل ما
يكون نكرة ثم يعاد وجواب فاما يأتينكم فمن تبع فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي فلا خوف
عليهم من الضلالة في الدنيا ولا حزن الشقاوة في العقبى قال الله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى وقدم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن لان انتفاء الخوف فيما هو آت اكثر من انتفاء
الحزن على ما فات ولذلك ابرزت جملة مصدرة بالنكرة التي هي ادخل في باب النفي وابرزت
الثانية مصدرة بالمعرفة وفيها اشارة الى اختصاصهم بانتفاء الحزن والى غيرهم بالحزن والذين

كفروا

كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع قسيم له وهو ابلغ من قوله ومن لم يتبع وان كان ظاهر
التقسيم يقتضيه لان نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل فابرز القسيم في صورة ثبوتية مزيلة
لهذا الاحتمال وانما ذكر الصلتين ومعناهما واحد تقرير قبائحهم وتكرير فضائحهم كما قال وآل
فرعون قوم وهادي والآيات العلامات الدالة على وحدانية الله وصفاته من الكتب المنزلة وغير
ذلك وسميت آية القرآن بها لانها علامة لانقطاع كلام عن كلام وانفصاله وقيل سميت آية لانها
جماعة حروف من القرآن وطائفة من الكلم كما يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون الاصطحاب اجتماع مع طول اللبث واولئك مبتدأ ويجوز ان يكون عطف
بيان او بدلا فيكون اصحاب خبرا عنه والذين وهم فيها خبر ثان او تفسير ولا متمسك للحشوية في
هذه القصة على عدم عصمة الانبياء لان مبناه على ان يكون آدم نبيا وان يكون النهي للتكليف
وان لا تكون التوبة الا عن معصية وواحد منها غير مسلم واما ما قيل انه اخطأ في اجتهاده حيث
ظن ان الاشارة الى عين تلك الشجرة فاكل غيرها من ذلك النوع وكان الاشارة الى النوع فمردود
بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية لانه صريح في انه كان الازلال في المنهي عنه يا بني اسرائيل
انتظام لجملة قصة آدم انه وعد متبع الهدى بالجنة واوعد مخالفه بالنار وحثهم في هذه الآية
على الوفاء بعهده وهو الايمان به والطاعة ليوفي بعهدهم وهو ادخال الجنة والخطاب لاولاد
يعقوب فان اسرائيل لقبه معناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة والعلمية
واصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للاضافة والبنون يطلق على الذكور والاناث من الاولاد
اذا اجتمعوا والابناء هن البنات وهو وضع الشيء شبه الاب بالابن والابن بما بني عليه اذكروا نعمتي اي
من الذكر هو مضموم الذال وهو بالقلب خاصة فالمراد الحفظ الذي يضاد النسيان او بذكر النعم
وكان المطلوب القيام بشكرها لا الغفلة عنها واختير تحريك الياء في نعمتي لانه تلقيها الالف واللام فلم
يكن بد من اسقاطها او تحريكها وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلزم اللام في
الاستيناف من فتح الف الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لان من
حق ياء الاضافة ان لا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها التي انعمت عليكم من السابقة
واللاحقة والظاهرة والباطنة والنعمة اسم للشيء المنعم به اضافها الى ذاته اولا ثم اسندها اليه
تعظيما لها ثم قيدها بهم هزا لهم وحثا لطباعهم المجبولة على حبها على القيام بشكرها واما ما قيل لان
الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط

فاما يصلح وجها لعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرفت ان المطلوب القيام
بالشكر لا مجرد الذكر واوفوا بعهدي الوفاء مراعاة العهد والغدر تضييعه كما ان الانجاز مراعاة
الوعد والخلف تضييعه فالوفاء والانجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف كالكذب
فيه واوفى ابلغ من وفى والعهد وهو حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا قال الخليل اصله الاحتفاظ
بالشيء واحداث العهد به وسمي الموثق عهدا للزوم مراعاته يضاف الى المعاهد والمعاهد وههنا
اضيف الى المفعول اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري اوف بعهدكم في ان لا امنع
منكم خيري ابقاءه تعالى بعهدهم وترتيب انجازه وعدهم على ذلك وانما سماه عهدا على سبيل
المقابلة ابرزه في صورة المشروط الملتزم به والجزم اوف على وجوب الامر وهل ضمن الامر معنى
الشرط فالجزم او نابت عن الشرط اذا حذفت جملته قولان ويجوز ان تكون اضافته في الاول الى
الفاعل اي اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم الذي ضمنت لكم يوم التلاقي وقيل
هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم بالايمان برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه واياي فارهبون من باب الاضمار
على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته والفاء بتقدير الشرط اي واياي ارهبوا ان كنتم رهبتم
شيئا فارهبون وكذا في افادة التخصيص من اياك نعبد لتكرار الرهبة مضمرة ومظهرة وايقاعها
على المفعول وبين مع التقدم في الاولى واخراج الكلام على الجملة الشرطية والرهبة خوف مع تحرز
واضطراب ولتضمنه الاحتراز اختيرت على الخوف لان المقام مقام الحث على التحرز عن نقض العهد
وحذف الياء من فارهبون لدلالة الكسرة عليه ولكون الفواصل كالقوافي وامنوا بما انزلت اي
بالقران الذي انزلته على محمد عليه السلام مصدقا لما معكم من الكتب الالهية حيث نزل حسبما نعت فيها
حال وذو الحال الضمير في انزلت او الموصول ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير امنوا بانزالي
مصدقا لما معكم وفيه تنبيه على انه لا منافاة بين ما اتى به الانبياء من اصول العبادات وانما الاختلاف
بينهم في جزئيات الكلام وفروعها كما تقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق للاخر فيما اتى
به من حيث ان كليات شرائعهم متساوية وان فروعها حق بحسب الاضافة الى زمان كل واحد منهم
وامته حتى لو كان احدهم في زمن الاخر لم ير المصلحة الا فيما اتى به الاخر واما قوله عليه السلام لو كان
موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فليس وجهه هذا بل كونه عليه السلام مبعوثا لكافة الناس فلا يسع من
في زمنه كائنا من كان الا اتباعه بخلاف سائر الانبياء ولا تكونوا اول كافر به لا مفهوم هنا

لقوله

لقوله اول فيكون مدايح لهم ثانيا او اخرا وانما ذكرت الاولية لانها افحش لما فيه من الابتداء
بالكفر ولان المعنى لا تكونوا ائمة في الكفر فيقتدي بكم اتباعكم فتكونوا حاملين لاوزارهم كما قال
الله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فلا بد من القيد
المذكور لافادته واضيف الى مفرد وان كان قبله جمع لان المفرد اذا كان صفة جاز ان يطابق وان
يفرد وقد جاء ذلك في قوله • واذا هم طعموا فالأم طاعم • واذا هم جاعوا فشر جياع • افرد في طاعم
وطابق في جياع وتاوله النحاة فقدره الفراء من طعم وقدره غيره الام فريق طاعم والضمير
في به للمنزل او المنزل عليه ويجوز ان يكون لما معهم فان فيه نعته فالكفر به كفر لما يصدقه وعلى هذا ايضا
لا يكون القيد المذكور على ظاهره لان مشركي العرب سبقوهم اليه هذا بحسب جليل النظر واما الذي
بحسب دقيقه فهو انه لما وحد الخبر عن ضمير الجمع لان حكمهم لتسانيدهم واتفاقهم على دين واحد
واتحادهم لذلك وللالفة فيما بينهم كان حكما واحدا فكانهم شخص واحد وعلى هذا ورد قوله تعالى فقولا انا
رسول رب العالمين واول افعل لا فعل له ووزنه افعل واصله وول واول واأول واول
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا استعير الاشتراء للاستبدال والثمن القليل هو الرياسة التي كانت
لهم في قومهم فاستبدلوا بايات الله لانهم خافوا فواتها لو امنوا بمحمد عليه السلام وصدقوا بكتابه وانما
اقلها بالنسبة الى الحق الذي كل كثير بالنسبة اليه حقير فكيف بالمتاع الدون اليسير فلا مفهوم لقوله قليلا
بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبذلون الشيء العظيم في تحصيل الشيء الحقير وانما اوثر الثمن على
الشيء مع انه ابلغ في التحقير للتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية وسائل لا مقاصد والنعي على تعاكس احوالهم
وافعالهم حيث جعلوا المثمن ثمنا والثمن مثمنا وفي كلمة الباء والاستعارة السابق ذكرها وجه تقوية لهذا
المعنى واياي فاتقون باتباع الحق والاعراض عن الباطل فصلت الاية الاولى بالرهبة لان التحذير فيها
عن الكفران ونقض العهد وهما من المعاصي وهذه الاية بالاتقاء وهو فرط الصيانة لان التحذير ههنا
عن الكفر عقدا وعملا ولك ان تقول ان التقوى فوق الرهبة فحيثما خاطب العامة عالمهم ومقلدهم
وحثهم على شكر النعمة التي يشتركون فيها امرهم بالرهبة التي هي من مبادي التقوى وحيث خاطب العلماء
منهم خاصة وحثهم على مراعاة اياته والتنبيه على ما ياتي به اولوا العزم من الرسل امرهم بالتقوى التي
هي منتهى الطاعة ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس والستر اخوان وضد الستر الكشف
وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملة اسبابه الخلط وقد تقدم الكلام في
الحق واما الباطل فهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه والحق يناقضه وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال

والباء صلة معناها الالصاق اي لا تخلطوا الحق بالباطل بان تكتبوا في التورية ما ليس منها او للاستعانة اي لا تجعلوه ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه فلا نظر ح الى معنى الاختلاط كما لا نظر في الاول الى معنى الاشتباه وتكتموا الحق بان تقولوا ليس وصف محمد عليه السلام وهذا الحكم في التورية فليس المراد من الحق في الموضعين شيئا واحدا وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع وحقيقته لا يكن منكم لبس الحق وكتمان الحق والغرض الى ان ينعى عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب الانتهاء عنه ويجوز ان يكون المراد من الحق في الموضعين واحدا ويكون اعادة صريح الحق دون ضميره لانهم يكررون اسماء الاجناس والاعلام كثيرا ولا سيما اذا قصدوا التفخيم صرح به الامام المرزوقي والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك ورد قوله تع وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد وح يجوز ان يكون النهي عن الجمع لان الخلط بالباطل قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام المجبولين عن الحق الصرف لانه مر بخلط الباطل الحلو به لئلا ينفر عنه طبع السامع ليس مما ينكر كل الانكار فان الضرر اليسير قد يتحمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا للمخاطب الى الاستماع من مقتضيات البلاغة وموجبات الخطاب الا ترى قوله تع وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين كيف سرد فيه المقال على ابهام الحال واظهار التردد فيه توسعة لدائرة الاحتمال وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون وهو في موضع الرفع على حذف المبتدا اي وانتم تكتمون وانتم تعلمون في محل النصب بالحال اي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد به لان الجهل ربما يغتفر ويجعل عذرا فعلى هذا يكون الحذف اقتصارا ورعاية للفاصلة ويجوز ان يكون اختصارا اي وانتم من ذوي العلم ولا يناسب من كان عالما ان يكتم الحق ويلبسه بالباطل ففيه تعيير لهم بانهم يفعلون فعل الجهلاء وتذكير لما فيهم من صفة العلم وحث على العمل بمقتضاه وذلك ادخل في قبول الحق واسماعه من التقريعات الشديدة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة التعريف فيهما للعهد والاشارة الى الصلوة المعلومة والزكوة المعينة او للجنس كقولهم هو الرجل كان ما عدا صلوة المسلمين ليس بصلوة وكذا الزكوة لكونهما منه غير مقبولين والزكوة من زكا الزرع اي نما فانها تنمي المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان بعد ما امرهم باصوله فيحتمل ان يكون الامر الثاني مشروطا بالامتثال بالاول فلا يكون الاية حجة على المنكرين لكون الكفار مخاطبين بالفروع واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضيلة المشقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد

ادرك

ادرك الجماعة والادراك فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع بالذكر وايثار عبارة مع على عبارة في واما الاحتراز عن صلوة اليهود فلا حاجة اليه بعد ما اريد من الصلوة فيما تقدم صلوة المسلمين واصل الركوع الانحناء قال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع اتامرون الناس بالبر اعراض والبر التوسع في افعال الخير واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف وتنسون انفسكم وتتركونها من البر والنسيان يجيء بمعنى الترك ومنه النسيء وهو ما يسقط في منازل المرتحلين من رواد امتعتهم والهمزة للتقرير معناه ان الامر الذي ورد عليه الاستفهام مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره ولانه ملجئ الى الاقرار والتعجب من حالهم والتوبيخ على الجمع بين امر بالبر وتركه في حق انفسهم روي انها نزلت في احبار اليهود كانوا يامرون سرا من نصحوه ولا يتبعونه وانتم تتلون الكتاب يعني التورية تبكيت بالحجة كقوله وانتم تعلمون وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التورية من النهي عن هذا الوصف الذميم بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ اللفظ سواء تدبر المعنى اولا وفي الاية التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على مخالفة القول العمل والنعي على من يعظ الغير ولا يعظ نفسه وكان المنكر تركهم انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف الا انه بدا بالتوبيخ به ايماء الى ان ذلك الترك ابلغ في الشناعة غاية حيث ما يقارنه من الفعل المندوب لا معرض مستنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى افلا تعقلون توبيخ عظيم بالهمزة وتوسيط الفاء اي اتغفلون ذلك فلا تعقلون كانكم مسلوبو العقل فلا تفطنون لقبح ما ترتكبون فتنتهون والعقل اصل المنع الشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل على نفي العلم نوع تاييد لما قدمناه يعني ان المحتاج في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجلي لا الادراك المكتسب ولا دلالة فيه على ان قبح هذه الاشياء عقلي بل دلالة على انه شرعي حيث اثبت التوبيخ على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب والفاء للعطف كان الاصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدمت على الفاء وحكم الواو وثم في نحو او لم يسيروا اثم اذا ما وقع حكم الفاء واستعينوا اي اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار للتعميم بالصبر وهو حبس النفس وقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة يشق التزامها على من يالفها والصلوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وهي ارفع منزلة من الصبر لانها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والافكار على الطاعة بل نقول الامر بالصبر تمهيد

للامر بالصلوة فان مرجع الجمع بينهما ان يصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب
فيها من اخلاص القلب بدفع الوسواس ومراعاة الادب وانها وضمها برد الضمير اليها دون الصبر
ولو لا ذكر الصبر تمهيدا لكان حق الصلوة ان يعاد فيها حرف البا الدالة على اعادتها على الاصالة
والجملة اعتراضية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل شهر رمضان شهر الصبر وعلى هذا
رد الضمير الى الصلوة ليس بطريق التخصيص بل بطريق الاكتفا بالاعم او الاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في احدهما
رد الى الفضة لانها الاغلب والاعم وفي الاخر الى التجارة لانها افضل واهم لكبيرة من كبر بمعنى عظم تمثيل
وتصوير لمعنى ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لا من كبر بمعنى ثقل وشق حقيقة او مجازا الا على
الخاشعين يعني لا تهون على احد الا على الخاشعين لانه استثنا مفرغ من كلام موجب فلا بد من
تاويل النفي والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلوة
التي تخف على غير الخاشع مسماة باسمها وليست هي في حكمها فان قيل هل يلزم ان يكون ثواب غير
الخاشع اكثر لما جا في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية
في استجماع الاركان والشرائط وسائر ما يجب رعايته وتستحب اكثرها اشقها الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم لما كانت الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن روية تعالى وهو الوجه فيما روي
في الاخبار لقي الله وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم ويعضده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون ولا يصار
الى التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق بالمضمن وهي مفقودة ههنا وفي عبارة الظن
اشارة الى انه يكفي في حصول الخشوع الذي يزول به ثقل الصلوة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى
وقيل لملاقاة ثوابه وح يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لا بد من ثواب او عقاب لكن منه
ان يعلم الختم به عمله فلا بد من صرف الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع اللازم له ويا باه قوله وانهم اليه
اي الى مشهد حكومته يوم العرض والسوال راجعون اذ لا يناسبه معنى التوقع وتقدير عامل اخر
له خلاف الظاهر وانما ثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا الجزا ولم يرجوا الثواب فكانت في حقهم مشقة
خالصة ولم تشمل عليه لانهم اعتقدوا لقا الجزا وتوقعوا ما ادخر للصابرين على متاعبها فزوالها
برغبة ونشاط وانشراح صدر واستلذاذ بها ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت
قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تكرير لتمهيد التذكير بنعمة التفضيل وقد جا
تفصيلها في قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا

وانا كم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر تلك النعمة على الابنا الزام الشكر على الابا لانهم يشرفون بشرفهم
ولذلك قال واني فضلتكم ولم يقل فضلت اباكم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة
على معنى النعم اي اني انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين الظاهر هو الاستغراق وقد خرج الى حيز
النص بقوله وانا كم ما لم يؤت احدا من العالمين ولا حاجة الى حرف الى الاستغراق الغير بقرينة ان
المتبادر من الوجود المعتبر في مفهوم العالم الوجود بالفعل لعدم الدلالة فيه على التفضيل من كل جهة
عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله خصوصا ولذلك لم يكن فيه متمسك لمن فضل البشر
على الملك واتقوا يوما يريد يوم القيمة وعظمه بالتنكير ثم بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك
معيار المخوف بحيث لا يكون ثمن امانه خاليا عن الخوف وهذا لجعل نفس اليوم مخوفا لا مر فيه
لا تجزي نفس عن نفس شيا اي لا تقضي نفس من النفوس عن نفس اي نفس كانت حقا من الحقوق
وشيا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزا او على قراة لا تجزي من اجزاء عنه
اذا اغنى عنه لا يكون الا بمعنى شيا من الاجزا والجملة في محل النصب صفة ليوما والعائد محذوف
اي لا تجزي فيه وهل الحذف بتدريج ام حذف برمته ابتدا قولان ولا تقبل منها شفاعة اي اية
شفاعة كانت والضمير في منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع
لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى الاولى اي لا تجزي منها شيا وان شفعت لها لا يقبل وقس على هذا
قوله ولا يوخذ منها عدل والعدل الفدية لانها تعادل المفدي والشفاعة من الشفع كان الجاني
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمير الجمع في ولا هم ينصرون يرجع الى ما دلت عليه النفس
المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناس والنصر اخص من المعونة
لاختصاصه بدفع الضرر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها الى الاسمية للدلالة على
الدوام الوصفي اي ولا هم ينصرون دائما ما داموا هم وفيه ايما الى انه ينصر غيرهم وانما قطع الاطماع
الكلي لان اليهود كانوا يزعمون ان اباهم الانبيا يشفعون لهم ولما كان الخطاب لليهود كان التقدير
لا تجزي نفس منكم عن نفس منكم فلا دلالة فيه على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه
اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون بطريق الاعطا او مجانا فان
كان الاول فاما ان يكون بادا ما كان عليه وهو الجزا او غيره وهو الفدية وان كان الثاني فاما
ان يكون على سبيل العطف وهو الشفاعة او على سبيل القهر وهو النصرة وانما عدل عن الترتيب
الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيارا لاسلوب الترقي كانه قيل النفس الاولى غير قادرة على

استخلاص صاحبها بقضاء الواجب وتدارك الفائت لانها مشتغلة عنها بشانها كما اوضح
عنه قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت على سعى تا مثل الشفاعة فلا يقبل منها
وان زادت عليها بان يضمها الفدآ فلا يوخذ منها وان حاولت الخلاص بالقهر والغلبة واني
لها ذلك فلا تمكن منه فالترقي من السعي الى السعي واذ نجيناكم اذ نصب باذكروا والتنجية التخليص
من مكروه وشدة ومثله الانجآ قيل معنى نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منه هذا
هو الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة ومعناه خلصنا اباكم وجعل
ذلك نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب هذا يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي قتل
اباؤنا اباكم وذرية نجيتكم توافق الضمير ضمير نعمتي وعطفها عليها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة او
تفصيل لما اجمل في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون على وجه الاستيعاب
بل قد يكتفى فيه بذكر المعظمات من ال فرعون اصل ال اهل لان تصغيره اهيل فابدلت هاؤه الفا
وخص بالاضافة الى اعلام الناطقين دون النكرات والامكنة والازمنة والصناعات وفرعون
علم شخص سمي به كل من يملك العمالقة وهم جبابرة مصر وصفا ابتدائيا دل على ذلك منع صرفه وجمعه
باعتبار قيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولشهرة الفراعنة بالعدو اشتق منه تفرعن اذا
عتا وتجبر واله قومه المنتسبون له وحقيقة الال هم الذين يؤول امرهم اليه في نسبة او صحبة
يسومونكم حال من ال فرعون او استيناف حكاية حال والسوم اصله الذهاب في ابتغاء الشي
فهو لفظ مفرد لمعنى مركب من الذهاب والابتغآ فاجرى مجرى الذهاب في قولهم سامت الابل فهي
سائمة ومجرى الابتغاء في قولهم سمته كذا ومنه السوم في البيع سوء العذاب نصب على المفعول ليسومونكم
والسوء مصدر سآء اي قبح ومعنى سوء العذاب مع ان كله سيئ اقبحه وافظعه يذبحون ابناءكم استيناف
او حال من ضمير الفاعل في يسومونكم او بدل منه او معطوف عليه حذف منها حرف العطف ويؤيده ثبوته
في سورة ابراهيم ويستحيون نساءكم استفعال من الحيوة يبقون بناتكم للخدمة تمثيل بما يؤول اليه
امرهن ولما في صيغة الاستفعال من الدلالة على ان ابقاءهن كان لمصلحتهم كان المذكور من جملة
الشدائد وفي ذلكم بلآ هو الاختبار ويكون بالشر ليصبروا فيكون محنة وبالخير ليشكروا فيكون
منحة وكلاهما محتمل ههنا بحسب المشار اليه ان يكون مصدر انجيناكم او مصدر يسومون ويذبحون
ويستحيون والاول اوفق بقوله من ربكم والتي باصل المقام فانه لتعديد النعم والثاني اليق
بمقام تفصيل المحن وانسب للتذييل بهذه الجملة الاعتراضية عظيم صفة بلآ وفيما ذكر من المبالغة

والتاكيد بالاجمال والتفصيل والتسجيل بان الذبح اشد العذاب وافظعه ما لا يخفى ولهذا ذيله
بالاعتراض تاكيدا وتقوية له واذ فرقنا الفرق والفلق كالفصل لكن الفلق لا يكون الا بين
جسمين والفرق يكون فيهما وفي المعاني وقرى فرقنا على بنا التكثير لان المسالك كانت اثنتي عشرة بعدد
الاسباط والبآ في بكم للسببية اي بسببكم وبسبب انجائكم ولا يجوز ان تكون للملابسة اي ملتبسا بكم ولا
للاستعانة اي تسلكونها وتتفرق بكم كما يتفرق الشي بالسكين عند قطعه لان قوله ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق صريح في ان انفصال البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك كان بضرب العصا قبل
اخذهم في السلوك فان في الفآ الفصيحة في قوله فانفلق دلالة على عدم تراخي الانفلاق عن الضرب
البحر هذا البحر كان قريبا من مصر فرعون موسى عليه السلام يقال له اساف ويسمى اليوم بحر القلزم فانجيناكم
من خطر عبور البحر واخرجناكم من ضيق مسالكه الى سعة البر وهذه الفآ ايضا فصيحة واغرقنا الغرق
في الما من حد علم اي سبب فيه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى
ال فرعون اتباعه فهو اول الغرق واولى به فكان غرقه معلوما دلالة وفيما في العدول من الضمير الى
المظهر من التنبيه على السبب لذلك الحال كونهم اتباعه نوع تاييد لتلك الدلالة وانتم تنظرون تقلبون
ابصاركم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه الخطب او تنظرون ما يفعلون باعدائكم فعلى الاول يكون
النظر بمعنى طلب الفعل الابصار وعلى الثاني بمعنى الانتظار روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري
ببني اسرائيل فاتبعهم فرعون وجنوده مشرقين فلما ترآى الجمعان وهم على شاطئ البحر اوحى الله ان اضرب
بعصاك البحر فضرب فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوا حتى جاوزوا البحر ثم وصل اليه فرعون وراه
منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واذ وعدنا موسى اربعين ليلة الوعد هو
الترجية بالخير وعد الله نبيه موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه كتابا يتمون اليه وعين له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما عبر عنه بالليالي لانها غرر الشهور وانتصاب اربعين على المفعول به
اذ هي الموعودة على الاتساع بجعل لكون شرط الموعود موعودا ولا يجوز نصبه على الظرف لانه معدود
فيلزم ان يكون وقوع العامل في كل فرد فرد منها وليس كذلك وقرى واعدنا وقال الزجاج هذا جيد لان
الطاعة في القبول بمنزلة المطاوعة فمن الله وعد ومن موسى قبول وموسى اسم عجمي لا ينصرف للعجمة
والتعريف روي ان القبط يقولون للما مو وللشجر سا فلما وجد موسى في التابوت عند ما وشجر
سمي موسى ثم اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها وحذف المفعول الثاني للعلم به ولسماجة ذكره وفيه تفظيع
لشانه حيث ترك تطهيرا اي جعلتموه لانفسكم معبودا ونسب الاتخاذ الى جميعهم وان كان لبعضهم لم

يتخذوه ولم يرض به لان القبيلة قد تذم وتمدح بما وقع في بعضها وفيه تنبيه على زيادة القبح وذلك
الاتخاذ حتى خرج البرئ مخرج الذم لمقارنة المباشر له والتعريف في العجل للعهد والمعهود ما ذكر في
قوله تع عجلا جسدا له خوار وثم للبعد بين مشاهدة النعم المذكورة واتخاذ العجل معبودا لان معنى التراخي فهم
فهم من قوله من بعده الضمير لموسى عليه السلام والمعنى بعد غيبته وهي بالمضي الى الطور وانتم ظالمون اخبار
بان سجيتهم الظلم يرشدك الى هذا قوله في موضع اخر اتخذوه وكانوا ظالمين والاتخاذ المذكور يدل على
انهم مجسمة او حلولية ثم عفونا اي تجاوزنا عنكم حين تبتم فان قلت انهم عوقبوا بالقتل على ما ياتي عن
قريب فما معنى العفو قلت العفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه لا يكون
معه عقوبة البتة على ان العقوبة كانت لبعضهم واصل العفو المحو من عفت الريح الاثر اذا اذهبته
لا من عفا المنزل اذا درس فانه يتعدى ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعد ارتكابهم هو الموجب
لاشد العذاب في غاية البعد وذلك في قوله من بعد ذلك تعظيم الشرك اي عفونا من بعد ذلك
الامر العظيم البعيد عن العفو لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة عرفان الاحسان
بالجنان ونشره باللسان وتفسير لعل بكي مردود بان جمهور ائمة اللغة اقتصروا في بيان معناها
الحقيقي على الترجي والاشفاق وعدم صلوحها لمجرد معنى العلية والغرضية مما وقع عليه الاتفاق الا
يرى تقول دخلت على المريض كي اعوده واخذت الماء كي اشربه ولا يصح لعل وحملها على الارادة انما
يصح على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة له لان ارادته تع تستلزم الوقوع عندهم ولم
يقع فلا بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان لم تتعلق به الارادة واذ اتينا موسى الكتاب
والفرقان الواو بينهما هي التي تتوسط بين الصفات المفيدة كون الموصوف جامعا لها اي الشيء
الجامع بين كونه كتابا منزلا من عند الله تع وبين كونه فرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التورية
وفي وصفها بالكتاب في مقام المدح اشارة الى نزوله من السماء مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كما في قوله تع يوم الفرقان يعني يوم بدر لا يناسبه قوله لعلكم تهتدون باتباع
ذلك الكتاب المنزل والعمل بما فيه قال الله تع انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واذ قال موسى
لقومه القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه ويختص بالرجال يا قوم المنادى اذا اضيف الى نفسك
جاز فيه حذف الياء واثباتها كما في قوله تع يا عبادي الذين اسرفوا وفتحها كما في قراءة من فتح الياء والاكتفاء بالكسرة انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها او نقصتموها
ثواب الاقامة على عهدي فان الظلم في اللغة النقص وفي العرف الضرر الخالي عن نفع يزيد عليه ودفع

مضرة اعظم منه وظلم الانسان نفسه افحش من ظلم غيره فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم الفاء الاولى
للسببية لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب فان كانت توبتهم نفس القتل فقوله فاقتلوا
تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا حاجة الى تقدير العزيمة وان كانت تتمة التوبة وسبب قبولها فمعناه
توبوا فاتبعوا توبتكم القتل تماما لها والتعدية الى لما في التوبة من معنى الرجوع وخص البارئ بالذكر
من سائر اسمائه لان البارئ هو الذي خلقهم بريئا من التفاوت في النوع والتشابه في الشخص وذلك
من عجيب حكمته وبديع قدرته فعيرتهم على تركهم عبادة من هذا شانه الى عبادة ما هو مثل في الغباوة حتى عرضوا
انفسهم لسخط من سبب خلقهم وجمع بينهم باللطف فقتلهم وفك تركيبهم القتل حيث نقابلوا والنفس ههنا هي
هذه البنية الانسانية والقتل هو ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع اي قتل
احد نفسه ويجوز ان يكون على التجوز بجعل المقتول نفس القاتل لما بينهما من التعلق والاتحاد في الاعتقاد
قيل امروا ان يقتل بعضهم بالسيف بعضا وقيل من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة ذلكم خير لكم اي ذلك
القتل والرجوع انفع لكم من الحيوة بالاصرار المؤدي الى العذاب المخلد في النار ولما كان ظهور نفعه
في الاخرة بالحيوة الابدية والبهجة السرمدية نبه عليه بقوله عند بارئكم واعادة بارئكم كاعادة الحق في
قوله تع وبالحق انزلناه وبالحق نزل فتاب عليكم اخبار بالتوبة وعطف على محذوف اي فامتثلتم ذلك
فتاب عليكم وما بين الجملتين تحت الاضافة الى الظرف الذي تقدم والتفات من الغيبة الى الخطاب
حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قومه واما اندراجه تحت قول موسى عليه السلام على تقدير شرط محذوف
اي فعلتم ففيه ان دخول الفاء الجزائية على الماضي المتصرف من غير قد غير جائز واضمارها ضعيف
وحذف فعل الشرط واداته معا وابقاء الجواب مما نوزع في صحته انه هو التواب الرحيم المبالغة في
الوصف الاول لكثرة توفيقه تع التوبة وقبولها مرة بعد اخرى والمبالغة في الوصف الثاني لعدم
الاستعجال امر العقوبة والامهال الى زمان التوبة بدأ وعودا واذ قلتم يا موسى يعد عليهم اصدر
عنهم من سؤال الاقتراح ونداؤهم موسى كليم الله باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم لن نؤمن لك
تعدية الايمان باللام باعتبار تضمنه معنى الوثوق وقيل اي لاجل قولك يا باه قوله حتى نرى الله
لان عدم ايمانهم لاجل قوله لا ينتهي عند رؤيته تع بل يستمر والرؤية بصرية واكدت بقوله جهرة اي غير
مستتر عنا بشيء مبالغة في الابصار وانتصب على المصدرية لانها نوع من الرؤية او على الحال بمعنى ذوي
جهرة بفتح الهاء وهي المصدر كالغلبة والجمع جاهر واوجه الاوجه هو ان يكون بمعنى جهرة لان كل
اسم كان ثانيه من حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا مطردا كبحر وبحر ونهر ونهر والاصل في القراءتين التوافق

والجهر حقيقة في ظهور الشيء بافراط صورة كان او غيره والقائلون هم النقباء السبعون الذين خرج
بهم موسى الى الطور وقيل قاله عشرة آلاف منهم والمؤمن به ان هذا كتاب الله تعالى وانك سمعت كلامه وانه
امرنا بقبوله والعمل به فاخذتكم الصاعقة لا لاستحالة المسؤول بل لانه لم يسألوا الرسول استرشادا بل
سألوا سؤال تعنت واساءوا الادب في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك والصاعقة كل امر هائل مميت
او مزيل للعقل والفهم غالبا والمراد الصيحة الهائلة التي حصلت بالرجفة بقوله تعالى في سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة واصلها الاضطراب فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون دل هذا على انها جاءتهم
معاينة بالنهار وهم ايقاظ يبصرونها وذلك افظع واشد وقعا ثم بعثناكم البعث اثارة البارك والنائم
عن مكانه ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله من بعد موتكم اي بسبب الصاعقة لتعيين المراد
ودفع الاشتباه لعلكم تشكرون نعمة البعث او نعمة الهداية بعد الضلالة وظللنا عليكم الغمام اي
وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسيرهم ويظلهم من الشمس والظل في اللغة الستر
والغمام جمع غمامة وهي الابيض من السحاب سمي بها لسترها فان كل ما يستر شيئا فهو غمه وانزلنا عليكم المن المن
هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والسلوى هو السماني وكانت تحشره ريح
الجنوب تحشره عليهم كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم من المشتهيات الحلالات عن
الادواء والمضرات وعن الحرمة والكراهة لان امر الاباحة لا يتناولهما وما ظلمونا عطف على مقدر
اي فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فالواو فصيحة ولما اخبر عن وقوع الظلم ونفى ان يصل
اليه تشوفت النفس الى ذكر من وقع به الظلم واتصل به ضرره فاستدرك ببيانه فقال ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فتقديم المفعول للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددي واذ قلنا ادخلوا الدخول الانتقال من العورة الى الحصن هذه القرية هو كقولك هذا
المال وذلك الرجل تنبيها على كماله فان الشيء اذا عظم امره يوصف باسم جنسه والقرية الابنية التي
هي مجمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد بالقرية هنا بيت المقدس وقيل
ايليا وهي البلدة التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به بعد التيه
وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة اخرى وذلك الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة
المائدة من ترتيب التيه على عدم امتثالهم بهذا الامر فكلوا منها حيث شئتم اي اجبالكم وسعا عليكم
فتعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر الاكل لانه معظم المقصود والفاء افاد سببية دخولهم
للاكل منها لانه كناية عن استيلائهم عليها وهو سبب للتمكن المعبر عنه بالاكل رغدا واسعا نعت

لمصدر محذوف ويجوز ان يكون في موضع الحال وادخلوا الباب يعني باب القرية قال مجاهد والسدي
هو الباب الثامن من بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة والامر على لسان يوشع بن نون عليه السلام
فلانبا في عدم دخولهم بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا بالدخول الخشوع واخبات وقولوا حطة فعلة من الحط وهو انزال
الشيء من علو وحط الذنب اسقاطه وهو كالقاء الحمل عن الظهر وحط حطا متعد وحط حطوطا لازم
وهي خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة
وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقرئ بالنصب على الاصل على انه مفعول قولوا وقيل معناه امرنا حطة
اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم جواب الامر مترتب على دخول الباب بتعبد السجود
وقول حطة الغفر والغفران والمغفرة الستر ومنه الجم الغفير الجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا
جمع خطيئة بمعنى الاثم يقال خطئ اذا اثم متعمدا واخطا اذا لم يتعمد وسنزيد المحسنين ثوابا يعني من كان
خاطئا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا زدنا في عطاياه ففي الكلام جمع وتفريق اما عدم الجزاء
سنزيد مع عطفه على مجزوم فلخروجه عن صورة الجواب بدخول السين المانعة من الانجزام ونكتة الاخراج
الدلالة على انه يفعل البتة لان تلك الزيادة اذا كانت عن وعد الله تعالى كانت افظع مما اذا كانت
مسببة عن فعلهم فبدل الذين ظلموا وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التبديل ظلم او مسبب عن ظلمهم
وعادتهم في وضع الاشياء غير مواضعها وان المبدلين بعضهم لا كلهم قولا غير الذي قيل لهم اي امروا
بقول معناه التوبة والاستغفار فبدلوا به قولا معناه غير ذلك وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة
فجاءوا بغيرها لانهم لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به ولم يعذبوا
وقيل قالوا مكان حطة حنطة استهزاء واعراضا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب ما اشتهت نفوسهم
فانزلنا على الذين ظلموا الاظهار في موضع الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا
الى غيرهم فان منه ما يتعدى الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة واما الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور فقد حصل من الفاء الدالة على التسبب فيما تقدم
رجزا من السماء عذابا في غاية الاشتداد خارجا عن المعتاد فان النسبة الى السماء للاشارة الى هذا المعنى
روي انه مات منهم بالطاعون في الساعة الواحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وههنا
وجه اخر وهو ان العذاب ضربان ضرب يحصل بالاسباب غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفعه كالطاعون
والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا الضرب الى السماء والرجز انما يطلق على العذاب

الموجب للاضطراب يقال ارتجز اذا ارتعش بما كانوا يفسقون بسبب اعتيادهم الخروج عن الطاعة
واذ استسقى موسى لقومه الاستسقاء طلب السقي او الاسقاء والسقي ان يجعل له ما يشرب والاسقاء التعريض للماء
وجعله يتناوله متى اراد فهو اخص معنى من السقي وقد دل ذلك على انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى الماء وكان
العطش في التيه ودخول القرية بعدها ولم يراع الترتيب في ذكرها لان المقصود تعديد النعم والتقريع على
كفرانها ثم بنية على التفصيل والتوبيخ ادل على ذلك لانها لو وردت مرتبة كان قصة واحدة
فيظن ان المراد ذكر نعمة واحدة فقلنا اضرب بعصاك الحجر كانت عصاه من آس الجنة وله شعبتان تتقدان
في الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان حجرا اهبط آدم عليه السلام من الجنة فدفع الى شعيب عليه السلام
فاعطاه مع العصا او حجرا طوريا حمله معه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تع به
لما رموه بالأدرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله او للجنس على ما قيل لم يأمره ان يضرب حجرا معينا
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وهذا اظهر في الحجة والاول
انسب لتعريف قرينه قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا مربعا منفصلا يطرد من كل جهة ثلاثة
عيون اذا ضربه واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون واياك ان تتوهم ان هذا من قبيل
ما يستند الى الطبائع من الخواص كجذب بعض الاحجار الحديد وحلق بعض الشعر لانه لا يتبع للارادة
والحاجة والحق ان فتح باب امثال هذا التوجيه الباطل في خوارق العادات الصادرة عن الانبياء اجمعين
سعي في سد طريق دلالة المعجزة على صدق النبوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تفصح
عنه الفاء الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة على سرعة الانفجار وظهور الاثر في
الحال وعلى ان المقصود بالامر الضرب لنفسه والاشارة الى ان ترتب الانفجار وان كان في
الظاهر على ضرب موسى لكنه في الحقيقة على امر الله تع به وتعليقه عليه والفجر الشق ومنه الفاجر لانه فسق
فشق عصا المسلمين لخروجه الى الفسق والعين الينبوع وهي مؤنث سماعا ونصب على التمييز ومجاز
اجماع علامتي التانيث في اثنتي عشرة لانهما في شيئين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد له من
لفظه والمراد كل سبط من اسباط بني اسرائيل وكانوا على عدد العيون مشربهم المشرب موضع الشرب
والعلم بموضع الشرب كناية عن عدم التجاوز عنه كما يقال فلان يعرف حظه اي لا يتجاوز عنه ففي الكلام
ايجاز بليغ حيث دل على سبق التعيين والتخصيص قيل كانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا
كلوا واشربوا على تقدير القول وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب ولا
وجه له في هذا المقام لانهم في التيه ما يأكلون من زرع الماء وثمره من رزق الله من المن والسلوى والماء

العيون

العيون من للابتداء او للتبعيض والرزق المرزوق والاسناد الى الله تع لعدم التوقف على الكسب
العادي والا فالرزق كله مستند اليه تع خلقا وايجادا ولا تعثوا في الارض مفسدين لما كان في تهيئة
لهم المأكول والمشروب من غير تعب نهوا عن الفساد واذا كان ذلك قد يدعو اليه كما قال الشاعر ، ان
الشباب والفراغ والجده ، مفسدة للمرء اي مفسده ، والعثي على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد
خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به وربما لا يكون منهيا بل يكون واجبا كهدم دور المشركين وحرق
زروعهم ولذلك قيد بقصد الافساد المستفاد من قوله مفسدين فان المفسد من باشر الفساد عمدا لا
من صدر عنه الفساد مطلقا ولو سهوا وفائدته ما في مفهوم العثي يتقاربان نحو جذب وجبذ الا ان
العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثو فيما يدرك حكما واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
يعني ما رزقوا به في التيه قيل كان ينزل عليهم المن وحده ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى وكان هذا
الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل اريد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل فلا ينافي التعدد فادع لنا
ربك سل لنا بدعائك اياه وفي التربية التي هي اخذ الرب مناسبة للمقام يخرج لنا جزم على
انه جواب فادع كانهم طلبوا حصول ما طلبوه على سبيل خرق العادة كنزول المن والسلوى ولذلك قالوا
يخرج اي يظهر ولم يقولوا ينبت وانما كرر لنا مع ان في الثاني منهما عين الاول اظهار الصلة الدعاء
النافع اهتماما في شانه مما تنبت الارض من للتبعيض والانبات عمل طبيعة الارض في تربية البذر
ومادة النبات بتسخير الله تع اياها وتدبيره وذلك امر آخر وراء ايجاده وايجاد اسبابه والعمل انما
يستند حقيقة الى من باشره لا الى من خلقه واوجده فالمنبت والمولد والمصور ونحو ذلك حقيقة
المباشر اسباب هذه الاعمال لا البارئ تع وانما نسب اليه كنسبة القتل والقطع والكسر اليه لكون
الممكن منها من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال من
الضمير تقديره مما تنبت كائنا من بقلها او بدل باعادة الجار والبقل كل ما يؤكل من الطعام من
الخضر والفوم الحنطة عند الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي اخبزوا وقال الفراء لغة
قديمة وقيل الثوم ولا دلالة في قراءة وثومها عليه لان الثاء تبدل من الفاء كما قالوا مغافير ومغاثير
وجدف وجدث ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثاء جمع قثاءة وهو نوع
آخر من جنس الخيار واختير صيغة الجمع هنا لفصاحتها واما معنى الجمع فقد بطل بالتعريف لعدم مناسبة
المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه قال اي الله او موسى اي دعا فاجابه
الله تع لما دعا فقال الله او موسى باذنه اتستبدلون الذي هو ادنى اي اتطلبون تبديل الذي هو ادنى

والمنصوب هو الحاصل والذي يدخل عليه الباء هو الزائل وادنى افعل التفضيل من الدنو المستعار من
القرب المكاني للخسة كالقرب المستعار للشرف والرفعة او من الدون وهو الردي فقلب واصل ادنا
فسهلت همزته بابدالها الفا من الدناءة وقد قرئ بالهمزة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى وانما
كان خيرا لحصوله بلا تعب وحصوله من جهة الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة الخطر وكونه ذا خطر
بخلاف البقول اهبطوا مصرا انحدروا اليه فان القادم على خطر كانه منصب عليه والمصر البلد العظيم
اي انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه الاشياء ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون وصرفه
لعدم سبب اخر على ارادة البلد لسكون وسطه ويؤيده انه غير منون في مصحف ابي وقراءة ابن مسعود
وقيل اصله مصرايم فعرب ولصرفه وجه اخر وهو انه لا اعتداد بالعجمة لوجود التعريب والتعرف
فان لكم ما سالتم لما كان هذا في قوة قوله فوجدوا ما سالوهم عطف عليه قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادف ما ابتغوه من الزرع والحرث وقد جاء في
الخبر والذي في اذناب البقر والكلام كناية عن كونهم اذلاء متصاغرين مبناها على الاستعارة اما في الذلة
تشبيها لها بالقبة فهي مكنية واثبات الضرب تخييل واما في الفعل اعني ضربت تشبيها لالصاق الذلة
ولزومها بضرب الطين على الحائط فتكون تصريحية تبعية والذلة فعلة من الذل كانها هيئة وحال والمسكنة
من المسكين وقال الزجاج هي ماخوذة من السكون وهي ههنا ذل الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غنيا
فلا يخلو من ذل الفقر ومهانته مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به اي لزمهم ذلك
ومنه قوله عليه السلام في دعائه ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقر بها والزمها نفسي هذا على ما ذكره الفراء
بالمعنى رجع قال الكسائي ولا يكون باء الا بشيء اما بخير واما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف او حلوا مبواهم
ومعهم غضب الله اي عقوبته وقوله بغضب في محل الحال نحو خرج بسيفه واستعمال باء للتنبيه على ان
مكانهم الموافق يلزمهم فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان اصل البوء
مساواة الاجزاء في المكان خلاف النبو الذي هو منافاتها ذلك اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء بانهم
كانوا يكفرون بايات الله بسبب انهم جمعوا بين الثبات على اصل الكفر والدوام عليه وبين تجدد انواعه
والمراد من الايات المعجزات او الكتب المنزلة ويقتلون النبيين انهم قتلوا اشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم
بغير الحق ليس احترازا اذ لا يقع قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم نحو دعوت الله سميعا وجاء تعظيما للشنعة
والذنب الذي اتوه وما قيل معناه انهم قتلوه بغير الحق عندهم يرده انهم كانوا يقولون هولاء كاذبون
وما اتوا به تمويهات وليست من الله ويقتلونهم بهذا الاعتقاد ولا اصل ذلك بما عصوا وكانوا

يعتدون

يعتدون اشارة الى السبب المذكور والباء في بما للسببية فيكون بيانا لسبب السبب مبالغة في وجوب
اجتناب المعصية والاعتداء انهما يفضيان الى الكفر بالايات وقتل الانبياء وهما من اشنع القبائح ويجوز
ان يكون ذلك تكريرا للدلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد
منها يوجب ذلك والعصيان والاعتداء ههنا من الافعال التي جعلت لازمة وتركت مفاعيلها نسيا منسيا
والاعتداء وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء لكن عرف في الظلم والمعاصي والعدول عن قوله يعتدوا
بتل اما من النكتة وقوله بانهم كانوا يكفرون واما التاكيد ثمة دون ههنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة
وقتل الانبياء المبعوثين بالبينات الظاهرة مظنة ان يستبعد بخلاف مطلق العصيان والاعتداء ان
الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب لا بد من هذا القيد ليدخلوا في عداد الكفرة وينتظموا معهم فيصح
الابدال والاخبار بان من امن منهم ايمانا خالصا فله كذا والذين هادوا يقال هاد يهود اذا دخل في اليهودية
ويهود اما من هاد بمعنى تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل والنصارى اختلف في اصلها والاقرب
قيل ان المسيح عليه السلام كان من قرية يقال لها نصران فاما ان سموا باسمها ثم جمعته العرب على نصارى
نحو سكران وسكارى او جعلوا منسوبين اليها ثم جعلت نحو مهري ومهارى كذا قال الراغب فالياء في نصراني
للنسبة الى تلك القرية او الى ذلك الجيل او للفرق بين اسم الجمع والواحد كما في اليهودي والمجوسي والصابئين
الصابي من صبا اذا خرج من الدين وهم خرجوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة او الكواكب
من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم
اجرهم ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط او في محل الرفع بالابتداء وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان والمعنى
من امن من هولاء الكفرة ايمانا صادقا مصدقا بقلبه بجميع ما يجب تصديقه عاملا بمقتضى شرع نبي ارسل
اليه وما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ لا يناسب المقام لما عرفت ان المراد من الذين امنوا
المنافقون والصابئون لم يثبت لهم دين سماوي ولذلك اختلف في حل نكاحهن فلهم اجرهم اي ثواب
ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزاء عمل بوعده الصادق فضلا منه وترتيب الحكم على الموصول دل
على ان الاستحقاق له مسبب عما ذكره في الصلة من الايمان والعمل الصالح مقدر بحسبه والجملة اعتراض بين
خطابي بني اسرائيل عند ربهم كناية عن كون ذلك الاجر مامونا من الضياع لكونه عند امين حافظ ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اي لا ينالهم خوف ولا يصيبهم حزن في الاخرة لانهم يصيرون الى النعيم المقيم والامن
الدائم والتنكير في الخوف للتعميم وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت الحزن لغيرهم واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل
على ما في التورية والدليل على اختصاصه قوله ورفعنا فوقكم الطور اي حين قبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق

مفعال من وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن وحد وان اضيف الى الجمع تنبيها على ان الماخوذ على كل
ميثاق واحد قال الواحدي الطور الجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل الذي ناجى عليه الله تعالى
موسى عليه السلام وهو المراد ههنا خذوا اي على ارادة القول ما آتيناكم اي التورية بقوة اي بجد واجتهاد امتنعوا
من اخذ التورية والتزام احكامها الشاقة فاكرهوا على ذلك برفع الطور فوقهم واذكروا ما فيه اي بحفظه وعدم
تناسيه قولا وعملا لعلكم تتقون قد مر في تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في هذا المقام بتوضيح
المرام ورد الاوهام ثم توليتم من بعد ذلك اي اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد اخذه على الكيفية المذكورة
وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق بما ذكر امر بعيد ورتبه عبارة ذلك فلولا فضل الله عليكم
بقبول التوبة ورحمته بالعفو عن الزلة وارتفاع فضل على الابتدا وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب
الحذف على المختار لدلالة الجواب عليه لكنتم من الخاسرين اي من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب
جواب لولا وكثر دخول اللام عليه اذا كان موجبا ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع غيره فاذا دخل على لا
افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفا باعتبار ان في مدخولها دلالة
على انهم كانوا على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك مسبب عما تقدم ذكره من احوالهم القبيحة
ولقد علمتم اللام موطئة للقسم مسهلة لتفهم جوابه على السامع وعلم ههنا تعدى الى واحد يعني قد عرفتم
اصحاب السبت وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالاصطياد يوم السبت فلم يكن
تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا
ورحمة ولو شئنا لعجلنا لهم كما عجلنا به اصحاب السبت فيكون هذا التذكير لبيان سر ما ذكر من ان نجاتهم عن
الخسران بمحض فضل الله ورحمته الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك
الصيد يوم السبت من اسلافكم هو يوم معروف سمي به لانه سبت فيه خلق كل شي اي قطع وتم واصل
السبت القطع ومنه السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون فيه اي يقطعون الاعمال
وقيل هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت ههنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
السبت فمعنى في السبت في تعظيم يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك العادات والاشتغال بالعبادات
والاعراض عما يؤدي الى ايذا الحيوانات داخل في حده وذكر الموصول مع الصلة يفيد تعلق العلم
بالوصف المذكور الموجب للمسخ المذكور لا بذواتهم وتفصيل القصة ياتي في سورة الاعراف باذن الله تعالى
فقلنا لهم كونوا قردة مجاز لتعلق ارادة الله بمسخهم في ان واحد والقردة جمع قرد كالديكة جمع ديك
والقياس في فعل الاسم فعول نحو قرود وجمعه على فعلة لا بقياس خاسئين خبر ثان لكونوا او صفة

لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلا اي جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد وفعله
خسا يجي متعديا ولازما والضمير في فجعلناها للمسخة نكالا النكال العقوبة الغليظة المنكلة للغير اي
المانعة من الذنب فان اصل النكل المنع ومنه النكل للقيد واللجام لما بين يديها من ياتي بعدها وما خلفها من
تقدمها وجودا والتقدم بحسب الوجود لا ينافي حضور المتقدم عند المتاخر اذا بحضرتها وابعدها فظرفا
المكان مستعاران للزمان وانما جمعت موضع من لا تحقير لشانهم لانه لا يناسب المقام بل لاعتبار وصف
المعتبرين وموعظة مفعلة من الاتعاظ والازدجار والوعظ التخويف والعظة الاسم للمتقين لكل من اعتبر
بها واتقى اي لم يفعل ذلك قصد التشفي كفعل الادميين بل لمصلحة العباد واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا وانما فك عنه اول القصة
واخرج مخرج الاستيناف كانه قصة مستقلة بالتقريع على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة في
احيا الميت والاعجاز وقدم اخراجا لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزا بالامر والاستقصا في
السوال وترك المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال موسى لقومه يا قوم كما قال فيما تقدم فانه لما كان
جواب سوال لا ابتدا خطاب لم يناسب التصدير بالندا ثم اضمر في الثانية ضمير البقرة ليدل بهذا الربط
انها قصة واحدة وفيما يراد منهما من التقريع والتعيير قصتان ولو اوردت مسرودة على الترتيب لا
يمكن ان يفعل ذلك والبقر اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة واحد البقر الانثى
والذكر سوا واصله من بقر اي شق فالبقر يشق الارض بالحرث وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله
بنو عمه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا البقرة
ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا نفس الهزء للمبالغة ومحط الاستهزا او
اهل هزء او مكان هزء او مهزوا بنا للاختصار والايجاز ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم ويلاعبهم
قالوا نخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى امرهم بذبحها ولم يبين المراد والثمرة
بها في اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء في بادي نظرهم وقيل قري يتخذنا بالياء اي الله تعالى
ولا يناسبه قوله تعالى قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين تبرأ عن الاستهزا على وجه ابلغ حيث عده من
الجهل واستفاد منه استغفارا له وذلك لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا ينافي قصده في مقام
الاحتقار والتهكم بمثل فبشرهم بعذاب اليم فرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى المقام فلا حاجة الى صرفه
الى معنى السفه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي نظيره في قرب ما هي طارا والمراد به على حال لبست
من احوال جنس البقر اشتبه عليهم وجه الامتثال فلذلك قال يبين لنا ما هي فان الحاجة الى البيان انما تكون

في موضع الاشتباه والسوال عما هي يكون غالبا عن الجنس واما كون المفعول الاول جماعة فلا دخل
له في اقتضا التاويل بالحذف او التجوز في المفرد او الحكم لان اصل المفرد يجوز ان يكون خبرا عن
الاثنين وعن الجماعة كما في قوله تع فقولا انا رسول رب العالمين وقوله تع لا هن حل لهم فكيف بالمصدر
قال انه يقول انها زيد هذا كيلا يتوهم ان ما ذكر قول موسى عليه السلام وقد روعي هذه النكتة في مواضع
من هذه القصة انها بقرة تكرير الاسم لتقرير المعنى المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس اخر لغرابة ما ذكر
من الاثر كما سبق الى وهم السائلين لا فارض ولا بكر صفة للبقرة المنكرة واذا وصفت النكرة
بما دخل عليه لا كررت وكذا الخبر والحال الا نادر والفارض المسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر
والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر عوان نصف الفعل من الفارض فرضت تفرض فروضا ومن
العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل الا ان في تركيبها الاولية ومنه البكرة والباكورة
وانما لم تدخل الها في البكر والفارض ولم يقل بين تينك ترجيحا لما في عبارة ذلك من الفخامة
على ما في تينك من الجناس مع بين وقد مر وجه التعبير عن الاثنين بذلك فافعلوا ما تومرون ما
موصولة والعائد محذوف واصله ما تومرون به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه والى الفعل المطلوب
بالبا يقال امرته بكذا ثم حذف الجار واوصل بنفسه ثم حذف المفعول به او مصدرية اي امركم بمعنى
مامورکم لان المصدر بمعنى المفعول شائع واما المصدر بمعنى المفعول به فقليل جدا تجديد للامر وتاكيد
وتنبيه على ترك التعنت والمسارعة الى الامتثال ولم يجدي اعادوا السوال قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه
والاستعماله للتاكيد يقال اصفر فاقع واحمر قاني واخضر ناضر واسود حالك وابيض يقق فهذه
التوابع تدل على شدة الوصف وخلوصه وفي ارتفاع اللون بفاقع مزيد تاكيد لذلك كانه صفراء
شديدة الصفرة صفرتها وعلى هذا لا نقف على صفراء لانفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت
صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع بمعنى الخلوص صفة اللون كانه قال لونها خالص على ان
فاقع واقع خبرا عن اللون فلم يقع تاكيد الصفراء حتى ياتي تفسيرا بالسوداء تسر الناظرين اي تروق هذه
البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه لتمام خلقتها ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة تحصل في
القلب عند حصول نفع او توقعه او اندفاع ضرر قالوا ان البقر وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر قال
القرطبي البقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتونثه والى ذلك ترجع القراءات
في تشابه ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا اتمام الكشف وبيانا يرفع الاشتباه ويدفع الصدق على متعدد

هذه الصفات لما خفيت لانها
خصائص اوصاف الامات
صارت كالملخص واللطائف
بينا ذكرها اي بينا صح

ولما ارادوا البقر الزائد على التعين بالعوارض المشتركة سالوا بما هي فكانهم طلبوا ما في منزلة الذاتي المميز
من الاوصاف المخصوصة بشخص معين ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه وانما لم يقل ان البقرة تشابه علينا
اذ لم يرد تشابه المعهود بل اريد ان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس المذكور فاشكل علينا
الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف وقرئ تشابهت مخففا ومشددا قال القرطبي وفي مصحف
ابي انه تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التا في هذا الباب لا تدغم الا في المضارع
وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها لما جا في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد
اي لو لم يقولوا ان شاء الله وانما سميت استثنا لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث
التعلق بما لا يعلمه المستثني واخر الابد كناية عن المبالغة في التاكيد والمعنى اي الابد الذي هو اخر
الاوقات وتقدير الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله فقدم على ذكر الاهتدا اهتماما به وحفظا لروس الاي
ولا متمسك فيه لاصحابنا على ان الحوادث بارادة الله لان دلالته على ان مراده تع واقع واما ان
الواقع ليس الا مراده فلا تعرض له ولا على ان الامر قد ينفك عن الارادة لان محل الخلاف الامر التكليفي وهذا
الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا هزوا ولا خلاف فيه قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة
اي لم تذلل للكراب من الذل بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة ذلا فهو ذلول وذل ذلا
بضم الذال فهو ذليل تثير الارض صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض ولا
تسقي الحرث نفي معطوف على ذلول ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد وان المعنى اي لا ذلول تثير الارض وتسقي
الحرث والفعلان صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم تكرر الوصف بلا غير مكررة ولا
مقابل معنى وذلك لا يكون الا في الشعر وقرئ لا ذلول بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة صفة
ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما يقال الابل حيث هو كناية عن اثبات الذلولة والحرث الارض المهياة للزرع
ومعنى الاثارة هنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشي واثرته اذا هيجته مسلمة من العيوب اي
سلمها الله تع او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا اخلص له اي لم يشب صفرتها
شي من الالوان ويرد عليه ان حق هذا البيان ح ان يعقب السوال السابق ويذكر في اخر جوابه لا شية
فيها اي لا علامة فيها تشينها وقيل لا لون فيها يخالف لون جلدها ماخوذ من وشي الثوب اذا نسج
على لونين مختلفين يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى
البلقة ويرد على هذا ما ورد على المعنى الاخير لمسلمة قالوا الان هو حد الزمانين الماضي والمستقبل مبني
لتضمنه معنى الاشارة تقديره هذا الوقت جئت بالحق اي بما تحققنا به المراد من البقرة فذبحوها اي

فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وانما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه
والفاء ليست فصيحة لان شرطها ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس سببا للذبح وانما سببه
الامر به بل للتعقيب والدلالة على انهم كما حصلوها ذبحوها وما كادوا يفعلون يعني شيئا من الذبح ومقدماته
من تحصيل المامور بذبحه وتهيئة اسبابه وبهذا الاعتبار كان المذكور ابلغ من يذبحون وكاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به مقيد والنفي الداخل عليه قد يعتبر سابقا على القيد فيفيد
البعد عن الاثبات والوقوع كما في قوله تع لا يكادون يفقهون حديثا ومن غفل عن هذا توهم التدافع بينه
وبين قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم انه لا خلاف في ان ظاهر اللفظ في اول الامر بقرة مطلقة
مبهمة ولا في ان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا
لكن اختلفوا في ان المراد به في اول الامر هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة
ولحقها التعيين الى المعينة بسبب تثاقلهم في امتثالهم وكثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني لقوله
عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وروي
مثله عن ابن عباس وهو رئيس المفسرين ولان اللازم على الاول تاخير البيان عن وقت الحاجة لدلالة
قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع ذبح البقرة قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة
وهذا اللازم محذور عند المخالف ايضا ومن ذهب الى الاول تمسك اولا بان الضماير في الاجوبة اعني
انها بقرة كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في السوال للتطابق والسوال انما هو عن البقرة المامور بذبحها
فتكون هي المعينة وجوابه انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة
عما هو عليه صفة الجنس فسالوا عن حالها وصفتها فوقعت الضماير للمعينة بزعمهم واعتقادهم فعينها
الله تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من الامر هي المعينة وثانيا بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه
لم يرد امر متجدد غير الاول فالامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم ان لا يكون منسوخا وان يكون امرا
بذبح المعينة لظهور ان الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزم
ارتفاع الحكم الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه كان متناولا لها ولغيرها
بمعنى حصول الامتثال باي فرد كان فارتفع حكمه في حق غيرها وبقي الامتثال بذبحها خاصة وكان
ذبحها امتثالا للامر الاول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الامر الاول في الجملة ولا موجبا لكون المراد به
اولا ذبح المعينة واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو اعمام المقتول فادارءتم
اي تخاصمتم لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى الآخر

والبراءة عن الآخر الى نفسه واصل فادارءتم فادغمت التاء في الدال لانهما من مخرجها فسكنت وادخل الف
الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي فيها للتعليل كما في قوله تع لمسكم فيه والله مخرج مظهر لا محالة حكي ما
كان مستقبلا وقت التدارء فاعمل فنصب به ما كنتم تكتمون على المفعولية كما حكي ما كان حاضرا وقت
التغليب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فقلنا اضربوه عطف على فادارءتم وما بينهما اعتراض مشعر بان
التدارء لا يجدي اذ الله مخرج ومظهر ما كتموه والضمير البارز للقتيل وفي تذكيره تنبيه على زوال حكم النفس
عن الجسد بعد القتل ببعضها اي بعض كان دل على ذلك الابهام كذلك يحيي الله الموتى خطاب لمنكري
البعث من مشركي مكة او للذين حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب على المصدر
اي مثل ذلك الاحياء العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه بهذا الكلام وما
قبله وهو قوله فاحيي وروي انه لما ضرب قام باذن الله واوداجه تشخب دما فقال قتلني ابنا عمي فلان وفلان
وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويريكم اياته دلائله لان من قدر على احياء الكل
لعدم الفرق عند العقل لعلكم تعقلون تستدلون به او تعملون على قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة
وانما جعل احياؤه مسببا عن ذبح البقرة وضربه ببعضها وهو قادر على احيائه ابتداء لان في الاسباب
والشرائط حكما وفوائد كالتقرب بالقربان والتنبيه على حسن تقديم القربة في الطلب وتحري الاحسن والغالي
في الثمن وعلى وجوب المسارعة في امتثال الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب لتشديد الله على من شدد
وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل والشفقة على الابناء ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك اي بعد احياء القتيل وهو امر عظيم خارق للعادة موجب للاعتبار قيل ثم للاستبعاد وفيه
ان معناها الحقيقي غير متعذر قال الواحدي يقال قسا قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي الشدة والصلابة
واليبس وقست قلوبكم استعارة تبعية واقعة على سبيل التمثيل شبهت حالة قلوبهم وهي نبوها عن الاعتبار
بحالة قسوة الحجارة في انها لا تجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل ولاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع
والتعقيب بقوله فهي كالحجارة او اشد قسوة تشبيه في القساوة على الحجارة وبيانه وتقريره وان من الحجارة
لدلالته على انها في شدة القسوة مفضلة على الحجارة لمطاوعة الحجارة لامر الله تع وهذا انتصب قسوة
على التمييز ومفضله اشد وكاف التشبيه وهذا التمييز الذي بعد افعل التفضيل منقول من المبتدا وهو نقل
غريب وعلى هذا قوله او اشد معطوف على قوله كالحجارة من قبيل عطف المفرد على المفرد كما تقول زيد على السفر
او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطفا على الحجارة او مثل شيء اشد من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون انما شبه
قلوبهم بالحجارة في الغلظ والشدة ولم تشبه بالحديد وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد

يلين بالنار ولا تلين الحجارة بمعالجة ابدا وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة لدلالته عليها بجوهر اللفظ
الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها وفي ذلك ايماء الى الاعتنا ببيان الزيادة ما لا يخفى والدلالة على
اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة او بل كما في قول الشاعر • بدت مثل ضوء الشمس في
رونق الضحى • وصورتها اوانت في العين املح • اي بل انت او للابهام على المخاطب قال الاسود الدؤلي •
احب محمدا حبا شديدا • وعباسا وحمزة او عليا • فان يك حبهم رشدا اصبه • ولست بمخطئ ان كان غيا •
ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل له حين قال ذلك شككت قال
لا ثم استشهد بقوله تع وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قال او كان شاكا من اخبر بهذا وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار التفجر التفتح بسعة وكثرة وقرئ وان مخففة من مثقلة لوجود اللام في لما وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء اصله يتشقق وقرئ به والتشقق التصدع بطول او عرض فينبع منه الماء بقلة هذا على التتميم
دون الترقي والالتفات المؤخر وان منها لما يهبط من خشية الله الهبوط التردي من علو الى سفل
والخشية الخوف عن علم وهي ههنا مجاز عن الانقياد واطلاقا لاسم الملزوم على اللازم وقوله من خشية الله
متعلق بالافعال السابقة كلها ولما كانت قساوة القلوب منشأ عنها الاعمال القبيحة قال تع على سبيل
التهديد وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالياء للغيبة ضما الى ما بعده من الضمائر العائدة الى اليهود افتطمعون
الطمع نزوع النفس الى شيء شهوة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ان يؤمنوا في محل
الجر اي في ايمانهم والضمير لليهود الذين في زمن محمد عليه السلام لانهم الذين يصح منهم الطمع واللام في لكم لتضمين
او لاعتبار معنى الاستجابة اي ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله تع فامن له
لوط اللام للصلة كما في وما انت بمؤمن لنا اي بمعذرة لان مثل لا يوجد في الفعل وانتظاره بما قبل ان
النبي عليه السلام والصحابة لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة اليهود طمعوا ان يؤثر ذلك في
قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تع افتطمعون مبالغة في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد الفاء
بعد الهمزة اي بعد ما تشاهدون منهم ما يوجب الياس من ايمانهم من قسوة القلب تطمعون في ايمانهم
وهم قوم باعيانهم كما في قوله تع انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقد كان فريق الفريق اسم جمع لا
واحد له من لفظه كالحزب والواو للحال اي في حال علمكم بطريقتهم وعادتهم منهم الظاهر رجوع الضمير الى
ما رجع الضمير في يؤمنوا وعناد البعض انما كان منافيا لاقرار الباقين لانهم كانوا مقلدين لهم يسمعون
كلام الله ما يتلونه من التورية السماع كناية عن القبول ففي ذكره زيادة تقبيح لحالهم لان التحريف بعد
القبول اشد قباحة ولو كان على حقيقته لما احتيج الى ذكره لان التحريف لا يكون الا بعد السماع ثم يحرفونه

تحريف الشيء امالته عن حال الى حال ومنه قلم محرف اي كاحد شقيه اطول فينتظم التغيير والتبديل والتاويل وما
حرفوه من نعت الرسول عليه السلام وشريعتهم كاية الرجم ويجوز ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى
عليه السلام وهم اهل الميقات والكلام المسموع كلامه تع بالطور وقد نقل تحريفهم لما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير
في منهم على ظاهره ولا حاجة الى ان يكون المعنى من اسلافهم فان اسلاف طائفة يعدون منهم وعلى هذا يكون
المعنى الاصرار على البطلان موروث لهم نشأته اعرفها من اخزم من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا ذلك عن خطاء ونسيان بل فعلوا عن قصد وتعمد حسدا وبغيا
واذا لقوا يعني المنافقين الذين امنوا المخلصين من اصحاب الرسول عليه السلام قالوا امنا اي بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر في التورية وانما لم ينطقوا بالمتعلق لعدم المساعدة من باطنهم وهذه اية غاية خبثهم واذا خلا
بعضهم الى بعض اي اذا انفردوا عن المخلصين منضمين بعضهم الساكتون وقت الملاقاة بكلمات النفاق قالوا
اي الذين سكتوا حين ما تبين على الذين نطقوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التورية من نعت
محمد عليه السلام فالاستفهام للتقريع والتشنيع واللام في ليحاجوكم به متعلق باتحدثونهم وهي لام كي على تجوز
لان الناشئ عن شيء وان لم يقصد كالغاية والمعنى ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه من الحجة واصله من حج اذا
قصد مغالبة خصمه عند ربكم جعلوا محاجتهم بكتاب الله تع وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد انه في
كتابه وحكمه كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا عن قوله به او ظرفا مستقرا والمعنى ليحاجوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم
وقيل المعنى عند ربكم يوم القيمة لا يقال ان اليهود يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون حدثوا او لم يحدثوا لان ذلك
العلم لعلمائهم لا لكلهم فلا ينافي تحذيرهم الجهال منهم بذلك لعقول ابقاء لهم على اليهودية ولان احترازهم عن كونهم
محجوجين من جهة الخصم فان ذلك لازم ان حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم افلا تعقلون افليس لكم عقل
حتى تدركوا فساد ما فعلتم وهذا من تمام كلام اللائمين اولا يعلمون مقابلة لهم بذلك التجهيل والتوبيخ والتعجيب مع
التوبيخ اي ينكرون عليهم ولا يعلمون ان العناد في قولكم مضاعف ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يعلمهما
على السواء والقصد الى معنى التسوية ذكر قوله وما يعلنون مع ان قوله وما يسرون يغني عنه ونظير هذا قوله يكلم
الناس في المهد وكهلا في القصد الى المعنى المذكور وتقديم يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي التاخير للتسوية
بينهما في الاهتمام فان في الجمع بين العبارة والدلالة اهتماما بالثاني وفي التقديم مع ان حقه التاخير اهتماما بالاول
ومنهم اميون عاميون الامي من لا يكتب ولا يقرأ سمي به لانه على الخلقة التي ولدته الام عليها لا يعلمون الكتاب
اي التورية الا اماني الا استثناء منقطع والاماني جمع امنية افعولة من التمني وهو التقدير ولها معان ثلثة
المتبادر لان المتمني يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيل او الاكاذيب اذ الكاذب يقدر في نفسه ويتخيل شيئا لا

وجوده او المعروف لان القارئ يقدر عند قراءته في نفسه ان كلمة كذا بعد كذا ومنه قوله تمنى كتاب
الله اول ليله فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوا منهم ان اباءهم
الانبيا يشفعون لهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرؤن قراءة عارية عن المعنى وتدبره والاماني
ربما يقدر على قراءتها بالاخذ من افواه الرجال وان هم الا يظنون اي هم الا قوم يظنون والظن هنا على
ما به ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم ان يكون راجحا في نفس الامر ويجوز ان يجعل الضمير
للفريقين فنفى العلم عن العلما في قوله اولا يعلمون على سبيل الانكار حيث لم يعملوا بموجبه وعن المقلدين
بقوله لا يعلمون الكتاب ثم حكم انهم في الظن المودي الى الضلال سوا فعلى هذا يكون في الايات جمع
وتقسيم جمع الفريقين في قوله افتطمعون ان يومنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علما معاندين وجهلا مقلدين
ثم جمعهم في يظنون فويل اي تحسر او هلك روى عثمن عن النبي صلى الله عليه وسلم الويل جبل في النار وفي رواية
ابي سعيد الخدري واد في جهنم وهو في الاصل مصدر لا فعل له لان فاءه وعينه معتلان وتنكيره للتعظيم فلم
تكن نكرة محضة على ان الغرض من الكلام الافادة فاذا حصلت جاز الحكم سوا تخصص المحكوم عليه بشيء
اولا واما ان النكرة اذا كانت دعا تقع مبتدا وان لم تخصص فقيل في بيانه لا يجري في ويل صرح
به الرضي للذين يكتبون الكتاب يعني ما كتبوه من التاويلات الزائغة ولذلك احتاجوا في ترويجه
الى بيان نسبته الى الله تع ولو كان المراد الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التورية من عند الله
مسلم وما احدثوه من التحريف غير معلوم لغيرهم بايديهم نفي للمجاز اي يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان
كتب الى فلان اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر بانه باشر بنفسه فهو من حيث
اشتراكنا بحيث انه من تلقا انفسهم دون ان ينزل عليهم نظرا الى قولهم هذا من عند الله من دعوى
النزول بكذا مكتوبا من السما كما هو الشان في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الانشا فان الكتابة
شائعة فيه وفائدة التنصيص بمعنى الاملا التغليظ في الجناية حيث انضم الى القول العمل ثم يقولون هذا
من عند الله كلمة ثم للاستبعاد وعدم الفائدة في الاخبار عن تراخي القول المذكور عن العمل المزبور كفى
قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي لها في الكلام البليغ ليشتروا به ثمنا قليلا متعلق بيقولون وقد مر بيان استعارة
الاشترا للاستبدال ونكتة التعبير عن المبيع بالثمن فيذكر وما حصلوا به وان جل قليل بالنسبة الى ما فات عنهم من
حظوظ فويل لهم مما كتبت ايديهم جعل ما هنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون مصدرية اولى من جعلها موصولة
لعدم الحذف وكون الويل على الفعل اولى وانسب من كونه على المفعول واصل الكسب الفعل لجر نفع او دفع
ضر ولهذا لا يوصف به الله تع وقيل هو اجتلاب الحظ مما هي له من اسباب وكرر الويل حتى يتحقق ان الخسار

والهلكة مترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب وقالوا لن تمسنا النار المس اقل تمكنا من الاصابة
وهو اقل درجاتها ولذلك اوثر عليها في قوله تع وما مسنا من لغوب وفي قوله تع لم يمسسني بشر وقوله تع
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كالنص فيه الا اياما معدودة اي قلائل وهذا لانهم
يكنون بالعد عن القلة بنا على انهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها روي انهم قالوا سبعة
ايام وعندهم اربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه له لانهم قد تابوا عنها توبة مقبولة قل اتخذتم
عند الله عهدا الالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهذه الالف المقطوعة الف الاستفهام للتوبيخ يعني
ان مثل هذا الجزم لا يكون الا ممن وعده الله تع به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايما الى ان في الجزم المذكور لا
بد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله تعليما لسلوك مسلك الكناية في امثال هذا فان التصريح
باتخاذ العهد من الله لا يخلو عن سوء ادب فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده والفا فصيحة والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم لان المعنى ليس على
الاستقبال ثم ان هذا من جملة المواعيد فلا وجه للاستدلال به على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته انما
يدل على عدم وقوع الخلف في وعده لا استحالته ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما معادلة للهمزة
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لوقوع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية
بلى اثبات لما بعد النفي في لن تمسنا اي بلى تمسكم ابدا وبخصوص جواب النفي من كسب سيئة السيئة تانيث
السيء وهو فيعل من السوء وهو العمل الفاسد ويذكر في مقابلة العمل الصالح والمكسوب لا يلزم ان يكون
نافعا في نفس الامر بل يكفي ان يكون ملايما لطبع الكاسب موثرا عنده واحاطت به خطيئته قال القفال
كل ذنب خطا خطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس خطأ في الراي وخطي خطا اذا تعمد الذنب وضع
قوله من كسب سيئة اي مكان بلى تمسكم النار ابدا للاثبات على الطريق البرهاني لانه بين السيئة العامة اي
سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله احاطت به خطيئته اي استولت عليه ولم يتفص عنها بالتوبة
وقرئ خطاياه وخطياته تلويحا بكثرة خطاياهم من الشرك والنفاق والتحريف والافترا على الله وشبهها بالعدو
المحيط به من جميع الجهات كذلك وبغلبتها على طاعته واشار بقوله الى ان سبب استحقاق الخلود في النار
هو ذلك الكسب المعلوم فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة لانهم ملازموا اسبابها في الدنيا وذلك لان
الصاحب مشتق من الصحبة وهي وان كانت تعم القليل والكثير لكن العرف خصصها بما طالت هم فيها خالدون
اوقع هم للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر استولت واستحكمت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود
في النار وقد تقرر ان الشرك كبيرة لقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافترا على الله لقوله تع

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون فثبت بالبرهان انه تمسكم النار
ابدا ومعنى الخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد بهنا الدوام لما شهد له من الايات
والسنن ولك ان تقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل جانب وجوانب المكلف من حيث
انه مكلف ثلاثة اللسان كلفت من جهته بالاقرار والاركان كلفت من جهتها بالطاعات والجنان
كلف من جهته بالتصديق وهم لما اقروا بالسنتهم وحرفوا كتاب الله بايديهم واصروا على النفاق معتقدين
بالباطن خلاف ما اظهروه فقد تحقق احاطة الخطيئات بهم وثبت استيلاؤها عليهم فالاية كما ترى لا حجة
فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار والذين امنوا وعملوا الصالحات جرت عادته تع ان يشفع
وعده بوعيده تبشير المطيع وانذار العاصي والايمان على معناه اللغوي فلا دلالة في عطف
العمل عليه على الخلافية المشهورة المذكورة في كتب الكلام اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الفاء فيما
تقدم وترك بهنا للدلالة على ان الملازمة والخلود ثمة بالاستحقاق من قبلهم بسبب ما بهم من احاطة
الخطيئات وبهنا بمحض فضل الله تع على ما دل عليه قوله تع الذي احلنا دار المقامة من فضله نعم يفهم منه
اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة فليس شرطا في الايمان المقبول الاقرار باللسان ان يحمل العمل الصالح
عليه وللمخالف ان يقول ان لفظة هم للتاكيد لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة على عدم اشتراط العمل في النجاة
عن النار وعلى انه لا دار ثالث للقرار واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما في
لا تضار والدة بولدها وفي لا تنكح المراة على عمتها وهو باب من ابواب البلاغة في الامر والنهي يظهر البليغ
به شدة اعتنائه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة فيهما كانه سارع الى
الامتثال والانتهاء فيخبر عنه الامر والناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا ويدل عليه قوله وقولوا فيكون
على ارادة القول واما ايهام ان المنهي مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب هذا المقام لان حال
المنهي بهنا على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقطت ان رفع الفعل لزوال الناصب كقوله تع
افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة ۰ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ۰ يروى احضر بالرفع
اي ان احضر الوغى ولذلك عطف عليه قراءة ان لا تعبدوا فيحتمل ان تكون ان مفسرة بمعنى اي وان تكون
ان مع الفعل بدلا عن الميثاق اي اخذنا توحيدهم او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقيل انه رفع في موضع الحال في صيغة الفعل وموضعه نصب في الاسم
تقول دخل عليه يبتسم اي متبسما والتقدير بهنا اخذنا ميثاقهم غير عابدين وقرى بالتاء حكاية لما
خوطبوا به وبالياء لانهم غيب الا الله استثناء مفرغ وفيه التفات من التكلم الى الغيبة لا في الاسم الظاهر

من الفخامة وبالوالدين احسانا مصدر في معنى الامر اي واحسنوا بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام
وذي القربى عطف على الوالدين واراد به الجنس ولذلك افرد ذو واضافته الى المصدر تغني عن صيغة الجمع
واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وحق
هذا الاسم ان لا يزول عن الكبار بقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا
مبلغ الرجال وعلى وفق هذا ورد قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وان كان المراد تعليم شريعة والمساكين جمع
مسكين وهو مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه عن التصرف وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا
للمبالغة لما امر عباده تع بالاحسان بالفعل والقول وكان الاحسان القولي امرا هينا على ما افصح عنه
من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان لين كان متعلقه الناس عموما وقرى حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر
محذوف وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم ومن بهنا ظهر انهما منقولان الى القدر المشترك
بين صلوتنا وصلوتهم والقدر المشترك بين زكوتنا وزكوتهم ثم توليتم على طريق الالتفات للتعنيف والتوبيخ
فانه عند الاستحقاق اشد ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول عليه السلام ومن قبلهم
على التغليب اشعارا بان التولي الذي حصل منهم في عهده عليه السلام ليس ببدع منهم لانه دابهم وداب اسلافهم
الا قليلا منكم اي اثنى صا قليلين وهم الذين اقاموا اليهودية على وجهها قبل النسخ واما الذين اسلموا
من الذين اقاموا فقد وجد منهم التولي والاعراض فلا وجه لاستثنائهم وانتم معرضون التولي قد
يكون لحاجة تدعو الى الانصراف مع ثبوت القصد والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب والجملة
حال وليست من قبيل وليتم مدبرين وفي اسمية هذه الجملة الدالة على انهم قوم عادتهم الاعراض عن الطاعة
والوفاء ترشيح لما تقدم من نكتة التغليب واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق في لا تعبدون والمعنى لا تفعلون ما يؤدي الى هذين المحذورين او لا يفعل ذلك بعضكم
ببعض جعل غير الرجل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ثم نسب الى نفسه ما كان منسوبا الى الغير يجوز لادنى
ملابسة والديار مباني الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق
اخذ عليكم والتزمتموه ويحتمل هذا ان يكون من الاقرار الذي هو ضد الجحد ويتعدى بالباء وان يكون من
الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق ملتزما فقوله وانتم تشهدون تاسيس على هذا
وتاكيد على الاول لقطع احتمال ان يكون اقر بمعنى تكلم بما يلزم منه الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد قوي لما
نسب اليهم بعد اداء الميثاق على الانتهاء منه واقرارهم وشهادتهم وفي هؤلاء توبيخ وتعيير بليغ وتحقير اي انتم

المشاهدون المشار اليهم بنقض العهد الذي لا يمكن ذمهم بما يزيد على ما يشاهد منهم ويشار به اليهم كقولهم في
التحقير يا هذا او انتم المشاهدون اي قوم آخرون غير اولئك المعهودين تنزيلا لتغيير الصفة منزلة تغير الذات
كقولك رجعت بغير الوجه الذي دخلت به وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا
ثم فصل ما ابهم في اسم الاشارة للتسجيل عليهم وتشهيدهم بنقض العهد ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط
في ذلك بالتظاهر بالاثم والعدوان فقال تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ويجوز ان
يكون خبر انتم وهؤلاء منادى او منصوب على الاختصاص للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تاكيد والخبر هو
الجملة او بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها معنى الاشارة
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون واصله
التظهر به يقع الاسناد والاعتماد وان يأتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو ايضا جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير كما قالوا شيخ قديم وشيوخ قدامى وهو قليل وقال الواحدي نقلا
عن سيبويه قالوا كسلى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى والاسير هو الماخوذ فهذا اصل
الاسر الشد ومن اخذ قهرا اسر غالبا فسمي الماخوذ قهرا اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم
في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكن في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم بعد ان اخذوا
منهم شيئا قال ابو علي وفاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وفديت اي فاديت بمعنى فديت
اي دفعت فيه من مال نفسي ومنه قول العباس للنبي صلى الله عليه وسلم فاديت نفسي وفاديت عقيلا وهما فعلان
يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر تقول فديت زيدا بمال وفاديته بمال قال ابو علي كل واحد
من الفريقين فعل الاسر دفع الاسير والماسور منه دفع ايضا اما اسيرا واما غيره والمفعول الثاني محذوف
وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان ومحرم
خبره واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم مبتدأ ومحرم خبر مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره
اخراجهم او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون ويكون محرم الخبر واخراجهم بدل من الضمير في محرم او من هو و
تاكيد وبيان كيلا يذهب الوهم الى ان يرجع ذلك الى فداء الاسرى وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه وان
كان ما سبق ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره بخلاف القتل فان شره ينقطع في الحال
والمحرم الممنوع منه افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفدية وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء

والاستفهام

والاستفهام بمعنى الانكار والتوبيخ والتهديد وذلك على التفريق بين احكام الله تع فكان مرجع الانكار
الى القيد المستفاد من لفظ البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فان العلم
ذلك تسبب ان لا يكون جزاؤكم في الدنيا الا خزي وفي قوله منكم دلالة على ان التعريف المذكور فعل بعضهم
والتوبيخ للكل لعدم منع الباقين عنه والخزي الذل من الفضيحة وقد خزي خزيا فهو خز والخزاية
الاستحياء وقد خزي خزاية فهو خزيان قال المرزوقي واخزى يجوز ان يكون من الخزي الهوان ويجوز
ان يكون من الخزاية الاستحياء والمراد قتل قريظة فان قيل مقاتلتهم سبي ذراريهم واجلاء النضير
وضرب الجزية على غيرهم والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيه واو لكن ابدلت فرقا بين الاسماء
والصفات وانما قدم ذكر الجزاء هنا للاشارة الى بقائهم احياء على تلك الحالة مدة مديدة واخر الجزاء
في الاخرة لانه عند انتهائها يوم القيمة ويوم القيمة يردون معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم كانوا
قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو ما في القبر ثم ان فيه بيان ان ما كان في الحيوة الدنيا من الخزي
غير مكفر لذنوبهم الى اشد العذاب اي عذاب لا روح فيه لاتصال اجزائه وذلك لان عصيانهم اشد وما الله
بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا بقوله
منكم وقرئ يعملون ايضا بالياء والتاء على الاعتبارين اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اي
بحظوظها لا بحيوتها اذ هي لا تفوت عنهم والاشتراء مستعار للايثار العاجل على الاجل الباقي فلا يخفف عنهم
العذاب اي شيء على شدته معطوف على الصلة من قبيل عطف الجمل فلا يشترط اتحاد الزمان ولا هم ينصرون
بدفعه عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي جئنا من بعده بالرسل مقتفين
اثره متبعين شريعته يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه ولولا اعتبار
معنى جئنا على التضمين لضاع قوله من بعده واتينا عيسى بن مريم البينات الايات الظاهرة من قولك
بان اي ظهر وما ثبت به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم حجة لما
لم يكن عيسى عليه السلام من جملة المقتفين اثر موسى عليه السلام المتبعين شريعته افرده بالذكر واضافه الى امه تحقيقا
لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود حيث نسبوه الى الاب وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بالسريانية
الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد وبالعربية كالزير من الرجال وقال ابو البقاء مريم علم عجمي ولو
كان مشتقا من رام يريم كان مريم بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في الاعلام بفتح الياء نحو مزيد وهو خلاف
القياس والمراد بالبينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او
الانجيل وايدناه قويناه بروح القدس جبريل عليه السلام وذلك انه تولد بنفخه وانه عصمه من اول حاله الى اخره

فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة وكان
الاصل الروح المقدسة لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح به لان من
شان الصفة ان تكون منسوبة اليه فاذا عكس اضافة اليها يريد معنى الاختصاص افكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وانما اسند الهوى
الى النفس لان ضمير الخطاب اشعارا بان حق السيئات ان تسند اليها وقوله كلما جاءكم مسبب عن قوله ولقد
اتينا موسى الكتاب ولهذا ادخلت الفاء عليه على تقدير نحو انعمنا عليكم ببعثة موسى وايتائه الكتاب ثم
اتبعناه الرسل بآيات عيسى تنكروا تلك النعم بالتعلق بالقبول فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل اخرين
ثم ادخل بين السبب والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب بتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان يكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر فعلى هذا ما عقبوا الاية محذوف وهو قوله ففعلتم ما فعلتم وهو كناية عن التكذيب والقتل
وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا لهم مصدرا الجملة بهمزة الانكار على تقدير اكفرتم
وخالفتم فكلما جاءكم رسول ويرجح هذا انه جمع بين التقريع والتوبيخ اجمالا وتفصيلا استكبرتم اي عن
قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على تضمين الاستكبار معنى الاباء لا عن الايمان به لانهم كانوا مصدقين بعض
ما جاء من بعد موسى من الرسل كيوشع وداود وسليمن عليهم السلام ففريقا اي فريقا منهم كذبتم يريد به التكذيب من غير
قتل بقرينة توزيع هذا عن قرينه والا فمطلق التكذيب يتناولهما والفاء للسببية او التعقيب وفريقا اي
وفريقا اخر تقتلون حال ماضية اريد استحضارها وتصوير الشناعة فظاعتها وتكريرها اخرجها مخرج الحال
المشاهدة او قصد الدلالة على انهم بعد فيه لانهم كانوا حول قتل محمد عليه السلام لولا العصمة من الله ولهذا سحروه
وسموا الشاة له ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وانما لم يذكر تكذيبهم هذا الفريق استغناء بذكر قبح الفعلين
عن الاخر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي لم يختن مستعار للقلوب المغشاة بالاغطية خلقة
وجبلة اي مجبولة على صفة لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام وقد افصح عن هذا في موضع اخر بقوله قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه والقرآن يفسر بعضه بعضا في القراءة الشاذة غلف بضم اللام جمع غلاف وهو الغشاء
والوعاء كالشهاب والنهب معناه قلوبنا اوعية العلم نفهم ونعي ما يقال ونخاطب به ولكن لا نفهم
بالقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمت ونفقهت يدعون به ابطاله بقول او نحن مستغنون
بما عندنا عن غيره ويابى عن حمل القراءة المتواترة على هذا التصريح بالمعنى الاول في موضع اخر بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا اي ليست قلوبهم كذلك خلقة لانها خلقت على الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن قبول
ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم بالعقائد الفاسدة فهم الذين غلفوا قلوبهم بما اسقطها عن الفطرة اثبت

اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة والمعنى على القراءة الشاذة بل انتم مبعدون
عن خير العلم بشؤم كفركم لستم بعلماء ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وتكلمتم به فقليلا ما يؤمنون اي فايمانا قليلا
يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة للتاكيد لا نافية لان ما في حيزها لا يتقدم عليها وجوز ان
تكون مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض وجوز ان تكون المبالغة في القلة كناية عن العدم
بناء على ان التقليل اذا بولغ فيه يستتبعه العدم وح يجوز ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية ولما
جاءهم كتاب اي القرآن من عند الله زيادة عنده لتعيين معنى النزول فان كل شيء من الله مصدق
لما معهم من كتابهم وفي مصحف ابي مصدقا بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وحذف جواب لما
لدلالة لما الثانية عليه وقيل لما الثانية تكرار للاولى والفاء للاشعار بان مجيئه عقيب استفتاحهم به ولا يبعد
فيه لان ما عرفوه حاصل الكتاب وكانوا من قبل اي من قبل مجيء الكتاب يستفتحون اي يستنصرون على
الذين كفروا وهم المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة كانهم يطلبون الفتح من
انفسهم كما في سيقصم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي والطلب يكون اقوى واجد لها او لانه لما كان الفعل
حاصلا يكون الطلب للزيادة فلما جاءهم ما عرفوا من الكتاب والنبي كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اي عليهم على ان التعريف للعهد كما هو الاصل فلا يعدل عنه الى الجنس الا عند التعذر على ان
الفاء تابى عن الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على ان استحقاقهم اللعنة لسبب كفرهم وعلى
الكفر وكلمة على اوقع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تم حصل اللعنة مشتملة عليهم جللتهم بها بئسما اشتروا
به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوها او استبدلوا
بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا او المراد كفرهم في الماضي الا انه عبر
عنه بصيغة المضارع استحضارا لذلك الامر القبيح ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اي حسدا
قال اللحياني بغيت على اخيك بغيا اي حسدته فالبغي اصله الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد
واما بغى بمعنى طلب فمصدره بغيا بضم الباء وبغيت بمعنى فجرت مصدره بغيا بالكسر وهو علة اشتروا ولا ان
يكون اذ المعنى على ذم الكفر الذي اوثر على الايمان بغيا لا على ذم الكفر المعلل بالبغي واما الفصل فليس كما هو اجنبي
لان الصلة والموصول في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فلا يكون اجنبيا بالنسبة الى فاعل فعل الذم
لا يكون اجنبيا بالنسبة الى الفعل الذي وصف به تمييز ذلك الفاعل ثم انه لا ريبة في ان ايثار الكفر على
انفسهم بغيا وعنادا ادخل في الذم من ايثارهم الكفر الناشي عن البغي على انفسهم اذ لا يتعين ح كون

الايمان عنادا او بغيا فيحتمل ان يكون لوجه يختص به استحقاق الذم والوقوع واضح ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله من فضله اى بعض فضله الذى هو الوحى او الشئ الذى هو فضله على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءو بغضب على غضب اى صاروا احقاء بغضب مترادف متراكم بعضه على بعض لكفرهم بنبى الحق وبغيهم عليه او كفرهم بمحمد عليه السلام بعد كفرهم بعيسى وغير ذلك من انواع والاستحقاق معتبر فى مفهوم باءو على ما تقدم بيانه ودلالة الفاء على سببية الاشتراء المذكور لذلك لا استحقاق لا على الاستحقاق وقوله بغضب حال وعلى غضب صفة له وللكافرين عذاب مهين يريد به اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للتخصيص فان عذاب العاصى من المؤمنين طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اى بجميع الكتب الالهية قالوا نؤمن بما انزل علينا خصصوا ايمانهم بالتورية ويكفرون حال من الضمير فى قالوا على حذف المبتدا او تقديره وهم يكفرون او تجويز الواو فى المضارع المثبت بما وراءه قال الازهرى ان وراء يصلح لما بعده ولما قبله لا لانه وضع لكل منهما على حدة بل لان معناه تورى عنك اى استتر وهو موجود فيهما وهو فى الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الى الفاعل والمفعول قيل فيراد على الاول الخلف وعلى الثانى القدام وفيه نظر وهو الحق والضمير لما وراءه الشامل للانجيل والقران وانما وحد بتوحيد اللفظ مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم بالتورية لانهم كفروا بما يصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة حال ما وراءه وتعريف الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة هو الحق الذى يقارن تصديق كتابهم ولولا الحال اعنى مصدقا لم يستقم الحصر لانه فى مقابلة كتابهم وهو ايضا حق قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفاء جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اى قل لهم ان كنتم امنتم بما انزل عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك المنزل منهى عنه وانما قال تقتلون حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وهم راضون به عازمون عليه ويجوز ان يكون المعنى على التضمين فلم ترضون قتل الانبياء وتعزمون عليه ولم يتضح وجه الاعتراض ولم اصله لما وسقطت الالف وهذا السقوط خص بالاستفهامية لانها تامة فالفها طرف فالاطراف محل للحذف وغيره من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة تحتاج الى ما توصل به كاسم واحد فالفها فى حكم المتوسط ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة ويدخل فيها فلق البحر وهو خارج عن الايات التسع المذكورة فى قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات لان المراد بها ما جاء به موسى عليه السلام الى فرعون على ما تقف عليه فى موضعه باذن الله تعالى فلا حاجة لحمل البينات المذكورة على الايات التسع ثم اتخذتم العجل اى الها ولفظ ثم ابلغ من الواو فى التقريع لانها تدل على

انهم

انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر والايات وذلك اعظم ذنبا من بعده اى بعد مجئ موسى لكم بالبينات لا بعد مجيئه او ذهابه الى الطور لعدم تفهمه من سياق الكلام وانتم ظالمون حال اى واضعون العبادة غير موضعها او ظالمون بالاخلال بايات الله تعالى ويجوز ان يكون اتخذ من قبيل اتخذ خاتما بمعنى صنعه وعمله ففائدة الحال ظاهرة لان الاتخاذ بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة وعلى الاول فائدته زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق هذا ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقهم مع الرسول عليه السلام طريقة اسلافهم مع موسى لا لتاكيد القصة بالتكرير وكذا ما بعده واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة ويجوز ان يكون تكرير هذا لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى واسمعوا اى اطيعوا فان الامر بالسماع فى العرف يفيد الاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده اى قبل واجاب لمن قال دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اى يقبل وهم حملوه على المفهوم اللغوى تجاهلا او تعاميا عنادا منهم قالوا سمعنا اى القول وعصينا اى الامر قال الامام القرطبى اختلف هل صدر منهم هذا القول او فعلوا فعلا قام مقامه فيكون مجازا وقال الامام ابو منصور قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا لكن بعده باوقات فانهم لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد رفع الجبل فوقهم فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا واطعنا فلما زايل الجبل ولسوا قالوا عصينا وهو ما ذكر فى قوله تعالى ثم توليتم وكان التولى بعد ذلك باوقات واشربوا فى قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وهذا كما يقال اشرب الثوب الصبغ اذا داخل الصبغ اجزاءه تداخل الماء اعضاء الشارب كانه جعل شاربا اياه وفى العدول عن الظاهر وهو اشرب قلوبهم حب العجل اى ما عليه المنزل ما لا يخفى من الفخامة والابهام والتفسير من وجه والمبالغة فى الاسناد الى الكل والدلالة على التمكن المستفاد من الظرفية وان العجل نفسه هو المشرب مبالغة فى اشراب الحب الى غير ذلك بكفرهم بسبب كفرهم لانهم كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يامركم به ايمانكم اى بالتورية اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانكم تهكم وكذلك اضافة الايمان اما الثانى فظاهر كما فى قوله ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واستهزاء ودلالة على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا باضافته اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية واما الاول فلان الايمان انما يامر ويدعو الى عبادة من هو فى العلم والحكمة فالاخبار بان ايمانهم يامر بعبادة من هو غاية فى البلادة غاية التهكم والاستهزاء سواء جعل يامر به بمعنى يدعو الله اولا وسواء قصد الاسناد الى السبب الباعث مجازا كما قد يتوهم اولا كما هو الحق والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلاث

الزاما عليهم ان كنتم مومنين ليس للشك من المتكلم للاستحالة لان المامور بهذا القول لا يصح منه
الشك بل لعدم مطابقته للواقع وللتشكيك اذ لم يعهد استعمال ان لتشكيك السامعين بل
لتقرير القدح في دعواهم الايمان بالتورية وذلك لان القائل قد ياتي بالشرط وهو جازم بعدم وقوعه اقامة
للحجة بقياس بين كما في قولك ان كنت قلته فقد علمته وتقديره ان كنتم مومنين بها فبئسما يامركم به
ايمانكم بها لان المومن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم
بمومنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله المراد من الدار الاخرة الجنة وانما قال عند الله تشريفا
لها وتنبيها على انها في عالم الغيب خالصة صافية عن شوب خطر التخلف لعدم احتمال الزوال
لما هو سبب الاستحقاق وهو كونهم ابناء الله واحباءه في زعمهم اصل الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية
السر والقول والعمل الا انه ضمن معنى الاختصاص على ما ستقف عليه وهو نصب على الحال من الدار عند من
جوز مجي الحال من اسم كان واما عند من لم يجوزه فهو حال عن الضمير المستتر في الخبر العائد الى الدار
ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل هو فاعل او لا من دون الناس متعلق بخالصة باعتبار تضمنه
معنى الاختصاص ودون لفظ يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا لي دون لك او من
دونك اي لا حق لك فيه ولا نصيب وفي غير هذا الاستعمال ياتي بمعنى الانتقاص في المنزلة او
المكان او القدر فان قلت اليس قد استفيد معنى الاختصاص من تقديم الظرف قلت نعم الا انه
يحتمل ان يراد به الاختصاص بجنس المخاطبين فلا قطع فيه بالمعنى المقصود فان قلت لا وجه لدعوى
الاختصاص مطلقا لانهم لا ينكرون ان من مات قبل حدوث اليهودية على شريعة ابرهيم عليه السلام
يدخل الجنة قلت ذلك اذا كان معنى الخلوص الاختصاص واما اذا كان معناه الصفاء عن شوب
خطر التخلف فلا بعد في ان يدعوا اختصاص دخول الجنة مقيدا بتلك الحال لا نفسه مطلقا وايضا
تنوع الاول بالمعنى الاتي ذكره انما يصح على اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من
الناس سائر الامم لا سائرهم مطلقا حتى ينتظم الانبيا عليهم السلام اذهم لا ينكرون الانبيا المتقدمين
بكنوح وابرهيم واسحق ويعقوب ولا دلالة في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص الجنة بهم لا اختصاصهم بالجنة وما يصلح منشأ للتمني المذكور
انما هو الثاني دون الاول على ما نبهت عليه آنفا فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخليص اليها من الدار ذات الشوائب ولا يذهب عليك ان
هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه لا ما ذكره القوم ولن يتمنوه ابدا بما

قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكبائر الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى اليد لانه اعظم
الاعضاء في التصرف وعن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي
على وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القائل ليتني مت لا معناه في القلب ودل عليه قوله عليه السلام
غص بريقه وان التحدي لا يمكن بالاعمال القلبية لخفائها ولو كان المراد المعنى القلبي لكان لهم ان
يقولوا تمنينا كاذبين ولو ادعوا مع ذلك لنقل الينا بتوفر دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل
لاشتهر وكذا قول احدهم ليتني مت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من الطاعنين في الاسلام كما نقل
سائر الطعن فهذه الجملة اخبار بالغيب صادق كقوله ولن تفعلوا والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم المتعدي الى المفعولين وهما هم واحرص وتنكير الحيوة
للدلالة على نوع من الحيوة متطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة الحيوة ومن الذين
اشركوا اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى احرص من باقي الناس واما ان
يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى الوجه الاول الاولى انما خص المشركون
بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة الحرص على الحيوة الدنيا لعدم اقرارهم بالبعث فكانهم نوع
اخر غير الناس ففي افرادهم بالذكر نوع زيادة توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه لما زاد حرصهم وهم
مقرون بالجزاء على حرص المشرك دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار وقيل من الذين اشركوا الكلام مبتدا
على حذف الموصوف اي من الذين اشركوا اناس يود احدهم على ان المراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم هزار سال بزي اي الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف وعلى الاولين استيناف لبيان
زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة حكاية على طريق الالتفات لان لو للتمني وكان القياس لو اعمر به ليطابق
الحكاية المحكي الا انه جرى على لفظ يود بالغيبة كقولهم حلف بالله ليفعلن ومفعول يود محذوف كالعيش
اجراء للفعل مجرى اللازم اي يصدر من احدهم الودادة المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا بعد الابهام للايقاع
في النفس ويجوز ان يكون لو هذه مصدرية بمنزلة ان لتاكيد معنى الودادة فيكون مفعولا ليود والضمير
في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم وان يعمر فاعل لمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره
وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء والله بصير بما يعملون قرئ بالياء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل الالتفات وكني بالبصير
من العليم مبالغة في ادراك الخفيات وفيه تهديد ووعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن
صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن نزل عليه فقال جبريل فقال ذلك

عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من
يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم يقتلونه وقيل
دخل عمر رضه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن
يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو لله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك
ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات وقرئ بهن اربع في المشهورات جبرئيل كسلسبيل وجبريل بحذف
اليا وجبريل وجبريل بفتح الجيم وكسرها وحذف الهمزة واربع في الشواذ جبرائيل بالمد فيهما وحذف اليا في الثانية
وجبرال بحذف اليا وتشديد اللام وجبرين قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه
ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ومن للشرط وقوله فانه نزله تعليل للجزاء قام مقامه
والبارز الاول لجبريل اي فلا وجه لعداوته فانه نزله اي القرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة
شانه كانه لتعينه وفرط شهرته يدل على نفسه ويستغني بذكره عن صفاته عن التصريح باسمه على قلبك
لانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وصرف الاستعلاء للدلالة على ان المنزل باخذ مجامع قلبه
وكان الظاهر ان يقال على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال ما تكلمت به باذن الله بتيسيره
حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه حال من ضمير القرآن وكذا وهدى وبشرى للمؤمنين اي فحقه ان
يحبوه ويشكروه والصيغة لانزاله بالصدق كتابهم او جميع الكتب المنزلة قبله ويهديهم ويبشرهم اي ان
كانوا مؤمنين له ويجوز ان يكون المعنى من عادى جبريل فالسبب في عداوته انه نزل القرآن على
قلبك مصدقا لما بين يديه موافقا اياه وهم يكرهون القرآن خوفا من فوات رياستهم ولهذا يحرفون
كتابهم وينكرون موافقته اياه كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته او خوف افتضاحهم لانه يكشف
عن اسرارهم من تحريف التوراة ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة المؤمنين من كان عدوا لله اراد
بعداوة الله مخالفة اوامره او هو عبره عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره على
طريقة التمهيد تفخيما لشانهم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وملائكته ورسله من بني آدم
والملائكة ولو لم يكن المراد من الرسل ما يعم الرسول من جنس الملائكة لما حسن الفصل بها بينهم وبين ما خص منهم
بالذكر وجبريل وميكال خصهما بالذكر مع اندراجهما تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكرامتهما كان
كل واحد منهما جنس براسه تنزيلا لتغاير الوصف منزلة تغاير الموصوف وتنبيها على ان عداوة

الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله وفي ميكال خمس لغات ميكائيل وميكائل
بحذف اليا وميكئيل وميكئل بحذف المد عنها والياء عن الثانية وميكال بحذف الهمزة واليا وانما
ذكر ميكائيل مع انهم كانوا يقولون لو كان ميكائيل صاحب محمد لاتبعناه لانه ياتي بالخصب والسلام
تنبيها على ان من ابغض جبريل ابغض ميكائيل لانهما قرينان فبغض احدهما يستلزم بغض الآخر
فان الله عدو للكافرين مجرد المعاداة ظاهر معلوم فلا بد من الحمل على الكناية تربية للفائدة اي من
عاداهم عاقبه الله اشد العقاب ولما كان فيه تنزيل المقدر منزلة المحقق استحق التاكيد بالجملة الاسمية
وان والشدة المذكورة معتبرة في المكنى عنه ولا تاثير فيها لتاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقال فانه عدو
لهم والعدول عن الظاهر اولا للتهويل ولان فيه احتمالا لان يذهب الوهم الى رجوع الضمير الى المجموع بالتقدم
وثانيا للدلالة على ان عداوة المذكورين كفر وان الكفر سبب لعداوة الله اياه ولقد انزلنا اليك
آيات بينات اي واضحة الدلالة لا التباس فيها فعدم الايمان بها ليست لشبهة وما يكفر بها عطف
على مقدر اي فلا تشتبه على احد وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضه قال
ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام للجنس والمراد اهل الكتاب الخارجون عن دينهم لان الآية نزلت فيهم ووقع فيها كلام في شانهم
والوصف بالتمرد اليق بحالهم ففيه دلالة على ان ذلك الخروج سبب لكفرهم فيكون فيه مبالغة وهي ان
كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم ان الاحسن ان يكون للعهد اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف
على محذوف اذ لا مجال للعطف على السابق معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا فالهمزة لانكار
للجمع بين الكفر ونقض العهد وقرئ بسكون الواو على ان الفاسقين فسقوا عهد الله مرارا كثيرة لا على ان
الواو العاطفة اسكنت اسكان الهاء في وهو لانه لم يثبت مثل ذلك في الواو العاطفة واو في مثل
هذه المواضع تفيد تساوي الامرين في الواقع مع ان الثاني ابعد واليق بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى بل
وقد اثبتها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليها ههنا القرينة وهو قوله بل اكثرهم لا يؤمنون
ترقيا الى الاغلظ فالاغلظ نبذه فريق منهم الرمي بالذمام ورفضه ولم يقلب فما نسي فلذلك احتيج الى
الى زيادة قوله وراء ظهورهم عند ارادة معنى النسيان وانما قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض بل
اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وهذا على تقدير ان يكون من لم ينبذ جهارا
مؤمنا حقا ولما جاءهم رسول تنكير الرسول للتعظيم وفي قوله من عند الله اشارة الى استحقاق التعظيم

من جهة اخرى مصدق لما معهم من الكتاب وتصديقه كونه على الوصف الذي ذكر فيه فالمراد من
الرسول محمد عليه السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية حيث لم يعملوا
بموجب ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق لها وراء ظهورهم النبذ وراء الظهر مثل لترك الشيء والاعراض
عنه بالكلية مثل ما يرمي به وراء الظهر استغناء عنه وقد يكون كناية عن نسيانه فان نبذ الشيء وراء
الظهر مستتبع نسيانه غالبا اذ يجوز ان يستعار النسيان للاعراض راسا ثم يكون النبذ وراء الظهر
كناية عنه على انه نسيان فيكون كناية متفرعة على الاستعارة المكنية ولنسم كناية بالاستعارة
وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة التمثيلية كانهم لا يعلمون انه كتاب الله جملة حالية وكان
فيه ايماء الى ما ذكره من الاستعارة المكنية واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن عطف على نبذ
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت الشياطين وهم المتمردون من
الجن يقرؤنها على عهد ملك سليمن وليست على صلة التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد فلان اي
في وقته وزمانه وتتلوا حكاية حال ماضية وما كفر سليمن تكذيب لمن زعم ان سليمن عليه السلام سخر الانس
والجن والريح بالسحر وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة على انه كفر والاشارة
الى ما يوجب تنزهه عليه السلام عنه كانه قال وما سحر سليمن لان السحر كفر والنبي معصوم عن الكفر ولكن الشياطين
كفروا لما نفي الكفر عن سليمن وكان الشياطين قد سخرت لسليمن عليه السلام يستعملهم فيما يشاء وقد يتوهم
انهم لا يكفرون ايضا اذ هم في خدمته فاستدرك انهم كفروا باستعمالهم السحر وقرا الحسن الشياطون
وقال السجاوندي خطأ انما زكي ولو سلم صحته فلا خفاء في عدم فصاحته يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
والجملة حال عن الضمير والسحر من آلة النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها امور خارقة للعادة
ولا يروي خلاف في كون العمل به كفرا وعده نوعا من الكبائر مغايرا للاشراك لا ينافي ذلك لان
الكفر اعم والاشراك نوع منه وهو في اصل اللغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس فاطلاقه على
ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار ما فيه من صرف
الشيء من جهته حقيقية لغوية وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لانه
نوع اقوى منه كانه من جنس آخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله وقيل رجلان سميا ملكين
باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على كفر تكذيب لليهود
في هذه القصة ويكذبه قوله وما يعلمان من احد فانه اذا لم يكن هناك شيء منزل فالتعليم والتعلم في اي
شيء يكون بها بل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل قال ابن مسعود هي في سواد الكوفة ومنع

صرفها

صرفها للعلمية والتانيث هاروت وماروت عطف بيان او بدل للملكين ومنع صرفهما للعلمية
والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرئ بالرفع على هما هاروت
وماروت وابدالهما من الشياطين بدل البعض عن الكل تعسفي لما قيل ان ما انزل نفي يرده تعلق قوله
وما كفر سليمن الاية بما قبله تعلقا خاصا بحيث لا ينتظم بدونه فان المبدل منه في حكم الساقط بحيث لو
اقيم البدل مقامه لا ينتظم الكلام معه وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة تصريح بما قدمناه من
ان انزال السحر عليهما للابتلاء اي ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ونبهاه على انه سحر والعمل به كفر والفتنة
ما يبين بها حال الانسان من الشر يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انه خالص ام
مشوب ومنه الفتانة وهي الحجر الذي يحك به الذهب والفضة فلا تكفر بالعمل به او باعتقاد جوازه
انما نحن ابتلاء من الله واختبار قال علي رض كانا يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان
لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهب اصحابنا ان تعلمه حرام مطلقا لانه تعسف الى المحظور عنه عنا
وتوقيه فالتجنب اصلح واحوط فيتعلمون منهما عطف على يعلمان المقدر اي يعلمان فيتعلمون الناس
على ان الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي ما يحدث الله عنده التفرقة بينهما
وما هم بضارين به بما يفرقون من احد الا باذن الله استثناء مفرغ من الاحوال فهو حال من
فاعل بضارين ومن احد في محل النصب بالمفعولية في موضعين وفي زيادة من تاكيد بليغ فيها
وقرئ بضاري على حذف النون من اسم الفاعل وان لم يكن فيه ال قال ابو حيان ولا نظير في نثر
العرب ونظمها والا حذفها على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه فرد وبان الجار مؤثر فيه
وجزء الشيء لا يؤثر في الشيء ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت انه افعال واقوال تزاولها النفوس
الخبيثة فحصولها لا يخلو عن نوع تاثير في نفس المتعلم اما قيل لانهم يقصدون به العمل اولان العلم
يجر الى العمل غالبا فانما يصلح وجها لضرر العلم لا لضرر المعلوم ولا ينفعهم نفي لاحتمال ان يكون ضرره
مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالرد على من يتوهم ان في تعلمه ليتوقاه ولئلا يغتر به نفعا ما واستشهد
بقول ابن نواس عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه ولقد علموا
اي اليهود لمن اشتراه اي استبدله بكتاب الله والضمير لما تتلوا الشياطين واللام الاولى للتاكيد
القسمي والثانية لام الابتداء لتعليق فعل العلم ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
عطف على جملة القسم والجواب او على الجواب وعطف الانشاء على الاخبار كثير وقد تقدم الكلام فيه
لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف اي لارتدعوا عن تعلم السحر وايثار كسبه اولكان خيرا لهم والمعنى

لو اعتدوا العمل بموجب العلم كنى عن عدم العلم بموجب العلم بعدم العلم تنبيها على قوة الملازمة بين
العلم والعمل بموجبه وان عدم العمل لعدم الصحة فيما يوجبه من العلم ولو انهم امنوا برسول الله والقران
والتورية لان ايمانهم بها كلا ايمان واتقوا اجتنبوا ما هم عليه من اتباع السحر واستبدال الكتاب به
لمثوبة شيء من الثواب من عند الله فيه تعظيم للثواب وتنبيه على بقائه بناء على ان ما عند الله عبارة
عما في عالم الغيب اعني عالم الاخرة ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير للتقليل في مثوبة للتحقير خير
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا من ان ينسب اليه ويجوز ان يكون
ولو انهم امنوا تمنيا على سبيل المجاز كانه قيل وليتهم امنوا واتقوا وترك الجواب في لو هذه كاللازم
لكونه في معنى ليت وتقديره لو امنوا واتقوا لكان حسنا وايراد الجملة الابتدائية بعده كالتعليل
للتمني لو كانوا يعلمون اي ثواب الله خير مما هم فيه جهلهم لتركهم العمل بعلمهم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا راعنا امر من المراعاة يقتضي المشاركة غالبا اي ليكن منك رعي لنا ومنا رعي
لك والرعي حفظ الغير لمصلحته نهوا ان ينطقوا بلفظ يقتضي المشاركة مع من يعظم ويتضمن هذا
النهي عن كل ما يكون فيه استواء مع النبي عليه السلام وروي ان المسلمين كانوا يقولون للرسول عليه السلام
راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوا وخاطبوه به مريدين نسبته
الى الرعي او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما يفيد تلك الفائدة ولا يحتمل التلبيس وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ وانظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة
الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا فتسبب للسب واسمعوا ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماع تحفظ حتى لا تحتاجوا الى المراجعة والمراعاة او واسمعوا ما امرتم به حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم
عنه تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين اي الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه عذاب اليم
بسبب كفرهم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشيء مع تمنيه ولذلك
يستعمل في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون ولا مزيدة
للتاكيد نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويدعون انهم يودون لهم الخير ان
ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود من الاولى مزيدة للاستغراق بعد النفي والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة والوجه

تعميم الكل لانه نكرة في سياق النفي بالواسطة والله يختص برحمته من يشاء على مقتضى حكمته
وتقديم اسم الله على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم وتربية معنى
الاضافة بالانفراد والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة هي الفضل العظيم والله تعالى صاحبه
دون غيره ما ننسخ من اية او ننسها وقرئ ما ننسخ من انسخ وننسيها من التنسية وننسأها بالهمز
وتنسها وتنسها من نسي وانسى على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها وما
ننسخ من اية او ننسكها والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب وهو نقله من
نسخة الى اخرى ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او حكمها او بهما جميعا وانساخها الامر
بنسخها ونسوها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها تنسيها ان يذهب بحفظها عن القلوب وما
شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وننسها مجزوم ايضا للعطف على المجزوم وجزمه بحذف
الياء منه والاية على المعنى اللغوي وهو جماعة من الكلام يقال خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم اذ
الاختصاص للنسخ بتمام الاية المصطلحة نأت بخير منها بما هو انفع لكم في الدنيا او في الاخرة او مثلها
في النفع في واحدة منها نزلت لما قال المشركون واليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامر بخلافه وفي الاية دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه قيل وذلك لان الاحكام شرعت
والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف
الاعصار والاشخاص كاسباب المعاشرة فان النافع في عصر قد يضر في غيره وكأن هذا القائل
غافل عن قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم او عن دلالة على ان النسخ
قد يكون غضبا على قوم ثم ان قوله وذلك يختلف باختلاف الاعصار اي مبناه الغفول عن ان النسخ
قد يكون قبل العمل بالمنسوخ الم تعلم الخطاب لكل احد لان الامر عظيم شامل والسقط [?] لضروري
للكل فيصلح ان يخاطب به كل احد ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في
الخير ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد عليه السلام للمشركين او اليهود كما ان قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني في خطاب لعيسى يوم القيمة تعريضا للنصارى الم تعلم تاكيد لما مر وجعله استفهاما ومعادله ام
تريدون قول من لم يذق فصاحة كلام القران ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويليها
ويدبرها فيتعبدكم بما شاء مما يرى فيه مصلحتكم وما لكم من دون الله من ولي من يلي اموركم ولا نصير
من ينصركم عليه وفي اظهار اسم الله في من دون الله ما مر انفا ثم لما قرر عليهم انه مالك امورهم ومدبرها حسب [?]
مصالحهم وانه لا ينزل عليهم الا ما هو خير لهم اراد ان يرجعهم بالثقة به فيما ينزل عليهم ويدبره امرهم ويتعبدهم

به وان لا يكونوا كقوم موسى في السوال عن امور عادت عليه وبالا فسالوا رسولهم ما يضرهم ولا
ينفعهم فقال ام تريدون ان تسالوا رسولكم ام هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة فمعنى بل الاعراض عن
اعتراضهم على القران بالنسخ وغفلتهم عن حكمة الله تع ومعنى الهمزة انكار ما يناسبه من اقتراحهم على النبي
عليه السلام كاقتراحهم على موسى وفيه مبالغة في النهي حتى كانهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا
عن السوال يعني من شان العاقل ان لا يتصدى لارادة ذلك ويجوز ان تكون متصلة والهمزة محذوفة
اي اتعترضون عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون ان تسالوا وقوله كما سئل موسى من قبل بلفظ المبني
للمفعول ترشيح لهذا المعنى بمعنى ان من سال مثل هذا السوال حقيق بان يصان عن ذكره المقال وا لا
فالمناسب ان شبه سوالهم سوال قومه او سوال نبينا بسوال موسى على المصدر المبني للفاعل ثم ذيل
الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان اي من ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها
فقد ضل سواء السبيل الطريق المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف ليفيد بعد الانحراف ويكون اول
الطريق بمعنى بعد الضلال هو الاستوا فيتنبهوا على انهم اخطاوا الاستقامة في طريقهم فيرجعوا وهو
ابلغ من قولك فقد ضل الطريق المستوي ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم تمنوا
ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون العمل من بعد ايمانكم كفارا حال او مفعول ثان على ان
يضمن يود معنى يجعل حسدا مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف
على من له خير غيره والتمني ان يزول عنه اليه من عند انفسهم متعلق بحسدا اي حسدا ناشيا من عند
انفسهم يعني حسدا متبالغا ذاتيا لا يمكن ازالته لا عرضيا جائز الزوال والا فحسدهم لا يكون من عند
انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ارتدادكم من قبل انفسهم وشهوتها لا من جهة التدين
والميل الى التحقق لانهم تمنوا ذلك من بعد ما تحققوا انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية ومعنى الفاء في فاعفوا واصفحوا السببية يعني اذا علمتم ان ودادتهم
الموكدة انما هي لحسدهم لا للدين فليس يمكنكم ازالتها فلا سبيل لكم الا العفو وهو الترك والصفح
وهو الاعراض حتى ياتي الله بامره من قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بالجزية ولا يخفى
ما فيه نسبة الاتيان اليه تع من التعظيم والتهويل ولذلك عدل عن الاصل وهو حتى ياتي امر الله ولما
كان مظنة ان يسبق الى الوهم ان ذلك التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الفور تدارك
دفعه بقوله ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم اي وقت شاء وعن ابن عباس رض انه
منسوخ باية السيف والغاية التي يتعلق بها الامر اذا كانت لا تعلم الا شرعا لم يخرج ذلك

الوارد من ان يكون ناسخا ذلك على ذلك في حكم التورية والانجيل بظهور نبينا عليه السلام مع ما فيها
من بيان انتهاء حكمها بظهور النبي الامي واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه
امرهم بالصبر والالتجاء الى الله تع بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اي شيئا قليلا من جنس الخير
تجدوه جاء في الاحاديث الصحاح ان الاعمال نفسها تتجسد يوم الجزاء وتوجد نفسها عند الله قد
مر تفسيره ان الله بما تعملون بصير وعد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل وفي بالياء تمحض
وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان هودا
جمع هائد كعائذ وعوذ وهو جمع لا يقاس في فاعل وتوحد الاسم المضمر وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى
او نصارى لف قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى ايجازا اعتمادا على فهم السامع
وامنا من الالباس لشهرتها بين الناس بالنصارى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان
ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على
حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض وقد مر ان الامنية افعولة من
التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها ولما كان اكثره عن
تخمين صار البطلان لازما له قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة والبرهان
مشتق من البره وهو القطع او من البرهنة وهي البيان ان كنتم صادقين في دعواكم فان قلت
هلا يجوز ان يكون واحد انما صادقا في دعواه ومع ذلك يكون عاجزا عن اتيانه قلت يجوز ذلك
في العقليات واما الذي مداره على السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه عن الجملة اذ هو اشرف الاعضاء وفيه الحواس ولان
اثر الانقياد والخضوع يظهر فيه وهو محسن في عمله حال فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا
يضيع ولا ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدا والجملة جواب
من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان تكون
من موصولة فاعل فعل محذوف دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله ويكون قوله فله اجره
معطوفة على يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية العامة من التعريض بانهم لا يدخلون الجنة لانتفاء
الاوصاف الموجبة للاجر بحكم الوعد الصادق والترغيب في سلوك طريق الدخول ولم يجزم بان
غيرهم موصوف بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف وجه الوجوه ان يقدر بلى يدخلها غيرهم فقيل
من هو فقيل من اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم على انه زيادة على دخول الجنة ولا خوف عليهم

ولانهم يحرفون فذمر تفسيره وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست
اليهود على شئ هو في غاية المبالغة لان الشئ يتناول المعدوم الممكن والمحال فاذا سلب الشيئية لم
يبق من المبالغة حدوراه ومن قيد بقوله يعتد به فقد اخل بها نزلت لما تقدم وفد نجران على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما
انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ذلك وحالهم من اهل العلم والتلاوة والكتب
وحق من يتلو بعض كتب الله الايمان بالباقي لان بعضها مصدق للبعض كذلك اى مثل ذلك القول
البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون اى الجهال من المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب
لهم مثل قولهم لم يقل مثل قولهما لان المنظور ههنا جهة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتاب وهو بيان
لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز ان يكون كذلك مفعولا به اى كلاما مثل ذلك
الكلام الشنيع الذي سمعت به قال الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فيكون
مثل نصبا على المصدر وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم
بينهم اى بين اهل الكتاب لا بين الفريقين والا لقيل بينهما او بينهم وبين الجهلة ايضا يوم القيمة
اى يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا فيظهر المحق من المبطل والقاصر فيه كانه قيل
اذا لم يرضوا بحكم الكتاب في الدنيا فالله يحكم الاية فيما كانوا فيه يختلفون من الدين والكتاب والنبي
ومن اظلم ممن منع مساجد الله اى لا اظلم منه دلت على ذلك صيغة التفضيل في سياق الاستفهام
الانكاري وهذا لا ينافي لكون المشرك اظلم لان فضله في الظلم لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير سبب
نزولها ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل
منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وكيف كان فالاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والاتيان اى لقصد تعميم الحكم قيل مساجد الله مع ان المنع في الحديث
انما وقع على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام ان يذكر فيها اسمه مفعول ثان لمنع
ويجوز ان يكون على تقدير من اى من ان يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان ينصب مفعولا
له اى كراهة ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل وسعى كلمة تختلف معانيها باختلاف
مصادرها يقال سعى يسعى سعيا اذا عمل واذا كسب واذا عدا وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات
وهو عامل وكذا سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى به وكذا سعى المكاتب في عتق البعض في

اداء عليه سعاية وساعى الرجل الامة اى فجر بها ساعات ولا يقال ذلك في الحرة وفائدة زيادة
سعى ههنا قطع احتمال التسبب اولئك المانعون ما كان لهم ما ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين اى
وجلين من عقابه تعالى فكيف لهم الجراءة على تخريبها قيل ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا
للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وفيه نظر لان تخريبهم ومنعهم يدل على انه قد كان في علم
الله وقضائه ان يدخلوا غير خائفين وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد وفيه نظر
ايضا لان النهي عن تمكينهم من الدخول مطلقا لا عن تمكينهم منه غير خائفين لهم في الدنيا خزى اى
قتل وسبي وذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما اعيد لهم
تنصيصا على ان المعذبين في الاخرة هم المعذبون في الدنيا وليس عذابهم في الدنيا مكفر الذنوبهم
حتى يكون احد العذابين لبعضهم والاخر للباقي ولله المشرق والمغرب هما عبارتان عن ناحيتي المعمورة
والمراد كلها فاينما تولوا ففي اى مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اى جهته التي امر بها
الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اى بقعة شئتم من بقاعها
وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان
دون مكان ان الله واسع بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن وعن
ابن عمر رضي انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وعن عطا عميت القبلة على القوم فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا اى في الفعل واما وجوب القضاء وعدمه فامر اخر والظاهر
انه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر نفي الولد لان من له الجهات كلها متعال عنها فيستحيل
ان يكون له وجهة والولد جنس الوالد لا محالة وقالوا اتخذ الله ولدا اى الذين قالوا عزير ابن الله
والذين قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا الملائكة بنات الله قالوا اتخذ الله ولدا فالضمير عن سبق
ذكرهم من اليهود والنصارى والمشركين الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف كانه سئل
هل انقطع حبل افترائهم على الله تعالى او امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك واقطع سبحانه تنزيه
له عن ذلك اعراض بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه وتنبيه على فساده والمعنى انه خالق ما في
العالم كله ومن جملته عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون لا يستعصون على مشيته وتكوينه
وكل ما كان في هذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولدان

يجانس والده وانما جاء بما للعموم وقانتون لتغليب العقلاء وهذا التغليب يأبى عن قصد التحقير
ماراها وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض والاية تدل على فساد ما قالوه
بثلاثة اوجه ومبنى تضمنه الاحتجاج بالوجه الاول على ثبوت التنافي بين ولدية احد لاخر ومملوكيته
له اذ لا تصريح بهذا فيما ذكر فالاحتجاج به على ان من ملك ولده عتق عليه بنا على ذلك المبنى لا يخلو عن مصادرة
بديع السموات والارض يقال بدع فهو بديع كقولهم ظرف فهو ظريف وبديع السموات من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه او بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي
ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون مضافا الى المفعول وقال
ابن مقسم يجوز ان يكون العين بدلا من الهمزة والبديع والمبدع كالبدي والمبدي فانه جا على فعل
وافعل جميعا والابداع اختراع الشي لا عن شي دفعة وعلى هذا لا يكون الاشيا كلها مبدعا وهذا رد
على الذين قالوا اتخذ الله ولدا بوجه اخر تقريره ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شي
كيف لا يقدر على خلق مثل عيسى من غير اب وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيا بقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون واصل القضا اتمام
الشي قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية
لوجود الشي من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث اي لا يدخله
تاخر عن وقته ولا يمتنع عليه شي ولا يلحقه به تعب ولا يحتاج الى استعمال آلة ومزاولة عمل استعارة
تمثيلية شبهت الحال التي تتصور من تعلق ارادته بشي من المكونات وسهولة ايجاده من غير
امتناع ولا توقف بحالة امر الامر النافذ تصرفه في المامور المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاطلق
على هذه الحالة بان كان يستعمل في تلك من غير ان يكون هنا قول وامر وهنا اقرب الى اداء نائبه
المعنى المقصود فلا تتجه المناقشة بان وجه الشبه في المشبه اقوى وحق التشبيه عكس هذا وذهب بعضهم
الى انه حقيقة وقد جرت السنة الالهية بانه يكون الاشيا بكلمة كن فيكون المامور الحاضر في العلم والمامور
به الدخول في الوجود وقرئ برفع فيكون اي فهو يكون وبالنصب على جواب الامر وفيه تقرير لمعنى
الابداع وتاكيد لاستبعاد الولادة المدلول عليه بقوله سبحانه واما قيل انه حجة اخرى وهو ان
اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك فيرد عليه انه لا يكون باطوار ومهلة
هو كون الولد على مجرى العادة فلمخالف ان يقول اتخاذه الولد على سبيل خرق العادة ثم ان فعله تعالى
قد يقارن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا عنه كيف وقد كان خلق السموات والارض في ستة ايام

ومن هنا ظهر ان من اعتبر في التمثيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب وقال الذين لا يعلمون اي
الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لا يعملون به سوا تجاهلوا او لا بان
اظهروا جهلهم لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وموسى عليه السلام ويامرنا وينهانا بالذات وهذا
استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم او تاتينا اية من الله تعلم بها انك رسول الله وهذا استهانة منهم
بالمعجزات الباهرة وانكار بالايات الظاهرة كذلك قال الذين من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا ارنا
الله جهرة واما قول الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما فليس من هذا القبيل
على ما تقف عليه في موضعه مثل قولهم فهو تفسيره والمماثلة بين القولين في كونهما تحكما وعنادا تشابهت
قلوبهم اي قلوب هولا ومن قبلهم في العمى والعناد والاعراض وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم
ذوي بصائر يوقنون انها ايات يجب الاكتفا بها عن غيرها واصل البيان الذي يقع به الالزام يعم
الكل لكن يخص الموقنين في حق النفع واليقين ابلغ علم واوكده لا يكون معه مجال عناد واحتمال زوال
ولذلك قال في حق ابرهيم عليه السلام وليكون من الموقنين ولو صح ان يتخلف عنه الاذعان لكان درجة
فوق الايقان فكان من المذعنين ابلغ من الموقنين واللام في الايات للاستغراق اي كل الايات
او الماهية او ما يعرفه العقلا انها ايات وتنكير قوم للتعظيم اي قوم اي قوم صفتهم الايقان وفيه
تعريض باتهام اراذل اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان له شان انا ارسلناك بالحق مصحوبا
به لا يفارقك بشيرا ونذيرا للمطيع والعاصي فلا عليك الا البلاغ المبين ولا تسال عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يومنوا اذا لعبت وبلغت في دعوتهم جهدك وقرئ ولا تسال على النهي تعظيما لما فيه
الكفرة من العذاب كما تسال عن وقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه اي هو في حالة لا تحمل سماعها
لفظاعتها او ايحاشها السامع او ارق او اجزع ان اتكلم بها فلا تكلفني او اعظم ان تكتبها او يعبر عنها
عبارة قيل لما امر بتبشير المومنين وانذار الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال يا رسول الله
اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والدك ووالدي ووالد ابرهيم في النار فنزل القول
المذكور فلم يسال بعد ذلك والجحيم النار الشديدة الالتهاب والجاحم المكان الشديد الحر ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم لف بعد النشر على عكس ما في قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى حكى الله تعالى كلامهم ولا بد من الحمل على هذا ليطابق قوله قل ان هدى الله فانه
يقتضي سابقة قول ممن يذهب عليه السلام الى حجاجهم مبني عن تمادي لجاجهم والملة من امللت الكتاب وهي اسم
لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه والدين مثلها لكن الملة تقال باعتبار

وخطاه الفرا فان لا وكك انما
يجوز في المضارع بمعنى تشابه
فقد عم احدى التائين في الشين

الا عاليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له ثم نقال الملة والدين لما لم يكن من قبل الله تيح
حلى التقييد كقوله ملة مزدك ودينه قيل كان عليه السلام يجتهد في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام
فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به من مجاهدتهم فليس فيه اقناط عن اسلامهم قل ان هدى الله
هو الهدى بالغ في تعظيم دين الاسلام بتسميته الهدى واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه بان
والضمير واللام اي ان دين الاسلام الذي هو نفس الهدى المخصوص بالله الذي يستاهل ان يسمى
هدى هو الهدى كله لا غير فيلزم ان ما عداه ليس بهدى بل هوى او لكل قوم ولاي علم فهو هدى
فلهذا قال على سبيل الفرض ولئن اتبعت اهواءهم آرائهم الزائغة فان الهوى راي عن شهوة داع الى
الضلال والمآثم بذلك لانه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل واهية وفي الاخرة الى الهاوية بعد
الذي جاءك من العلم ابهم ثم بينه للتعظيم اي من الدين المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب
للقسم قد سد مسد جواب الشرط من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين آتيناهم الكتاب هم مومنوا
اهل الكتاب يتلونه حال مقدرة من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا ابتائه تالين له او خبر حق تلاوته
نصب على المصدر اي تلاوة كما يجب ان يتلى لا يحرفونه ولا يكتمون شيئا منه كنعت الرسول عليه السلام خبره
اولئك اي التالون على ما يجب يؤمنون به بكتابهم دون غيرهم من المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر
بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون المنحصرون بالخسران باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما ذكرهم النعمة وخصهم بالخطاب من بين بني آدم
وحضهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى من قبل ومن ابى فصلهم اخرا ثم خاطبهم على
سبيل الالتفات لمثل الاول خطابا شاملا للفريقين عودا على بدء بحسر المنكبا وعلم من ذلك ان التكرير
ليس لمجرد التقرير وفيه حسن التخلص الى حديث جدهم ابرهيم عليه السلام على وجه يوكد ما بدئوا اليه واذ ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات باوامر ونواهي واعلم ان الابتلاء والبلاء يتضمن امرين يعرف ما يجهل من حاله
وظهور جودته ورداءته بعده فربما قصد الامرين معا وربما قصد احدهما فاذا نسب الى الله فهو
الامر الثاني وليس هذا من ابتلاه الله بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه لان حمل الاوامر والنواهي
على المكاره وعدها من البلايا ليس بمناسب وابرهيم تفسيره بالسريانية اب رحيم وذلك لرحمته
بالاطفال قيل جعل هو وزوجته سارة كافلين لاولاد المومنين الذين يموتون صغارا الى يوم
القيامة فاتمهن اي قام بهن احسن القيام واطاعه فيهن احسن الطاعة كقوله وابرهيم الذي وفى اذ

اب رحيم

قال

قال استيناف فالعامل في اذ محذوف او هو العامل في اذ والواو داخلة عليه عطفا على ما قبله
عطف القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا اني جاعلك من الجعل بمعنى
التصيير فيتعدى الى اثنين للناس اماما الامام اسم لمن يوتم به كالازار لما يوتزر به وامامته عليه السلام
موبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مامورا باتباعه واما عمومها فبناء في قوله عليه السلام اعطيت
خمسا الحديث قال ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي واستعمال صيغة الامر في موضع الالتماس
سائغ شائع وهذا اولى من المصير الى عطف التلقين لانه لا يخلو عن سوء ادب وذرية الشخص نسله
قال لا ينال عهدي الظالمين اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله عهدي اليه بالاقامة وانما
ينال من كان عادلا والنيل اللحوق واختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا دلالة في
الاية على ان الفاسق لا يصلح للامامة واذ جعلنا البيت البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا
مثابة للناس المثابة كالمباءة صفة ومعنى اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق وامنا اي موضعا
في غاية الامن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم قيل امنا من عذاب
الاخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وفيه
نظر ايضا لانه يلجأ الى الخروج فلا يبقى آمنا واتخذوا على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض تقديره توبوا الى الله واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة من مقام ابرهيم مصلى
موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاستحباب دون الايجاب وهو الحجر الذي فيه اثر قدميه
والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رض وقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم اومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رض انه عليه السلام
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا على صيغة الخبر
للتاكيد فتتوافق القراءتان وعلى هذا يتعين كون الامر للايجاب وعهدنا امرنا الى ابرهيم واسمعيل
ان طهرا اي بان طهرا بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى
القول والمعنى دوما على تطهيره فهو امر ان يبقياه على الطهارة لا ان يكون فيه نجاسة فيزيلاها
وهو كقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اي مبقاة على الطهارة الاصلية للطائفين اي للدائرين حوله
والعاكفين العاكف من لزم الشيء واقام عليه والركع السجود جمع الراكع والساجد اي المصلين

والصلوة تشتمل على افعال اقربها الى الخشوع بذان وترك العاطف بينهما لكمال الاتصال
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة
راضية او امنا من فيه غربا كان لو من اهله كقولك ليل نائم والبلد الاثر في الجلد وغيره وانما سمي
البلد بلدا لما فيه من الاثار وارزق اهله من الثمرات الثمرة هي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو
سواء في الطعام والفواكه وذلك لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله دون
اهلي تعميما للدعا كما هو اللائق بشأن الانبيا من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله اي وارزق
المومنين من اهله خاصة قالوا قاس ابرهيم عليه السلام الرزق على الامامة فخص الرزق المطلوب بالمومنين
وهذا القياس لا يليق بشأنه عليه السلام لظهور الفرق بينهما عند من له ادنى تمييز فالوجه ان يقال انه
عليه السلام ابى عن تعميم الدعا للكفار لان الكافر لا يدعى له بل يدعى عليه قال عليه السلام اللهم اشدد
وطأتك على مضر وقال موسى عليه السلام ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج ذلك
مخرج المعونة لهم على العصيان او اراد ان يجعل ذلك اية ترغب الكفار للاسلام قال ومن كفر
مبتدا فيه معنى الشرط وجوابه وخبره مقدر تقديره فلا اهلكه والفا في قوله فامتعه فصيحة وجعله
جوابا وخبرا اباه الفا فان الكفر لا يصلح سببا للتمتع لا كثيرا ولا قليلا نعم يصلح لتقليله لكن صرف
النظم اليه لا يخلو عن تعسف واما عطف من كفر على من امن ففيه ان العطف يقتضي التشريك في
العامل فيصير التقدير قال ابرهيم وارزق من كفر ولا يناسبه السباق واللحاق ومن هنا ظهر ما في قراءة
الحبر ابن عباس على لفظ الامر على انه من دعا ابرهيم عليه السلام من القصور كيف والمناسب له عليه السلام طلب الهداية
الى الاسلام لمن كفر لا طلب حثهم على الضلالة قليلا نصب على المصدر اي تمتعا قليلا او على الظرف
اي زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء
كما قالوا اطجع نقله سيبويه عن بعض العرب مطجع وقال مضطجع اكثر فدل على ان مطجعا كثير فلا يكون
لغير دولة وبئس المصير مصيرهم لحذف المخصوص بالذم واذ يرفع ابرهيم يرفع حكاية حال ماضية
اوردها مع اذ استحضارا لها لعظم وقعها في النفوس ولهذا ابهم القواعد بالاطلاق ثم بينها بالتقييد
بقوله من البيت تفخيما لشان المبين والقاعدة هي الاساس والاصل لما فوقه وهي من الصفات
الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد البنا عليها لانها بالبنا عليها نقلت من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع واسمعيل عطف على ابرهيم فهما مشتركان في الرفع ربنا اي يقولان ربنا والجملة
حال منهما تقبل منا اي هذا العمل الذي قصدنا به رضاك انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا

ربنا واجعلنا عطف على الدعوة السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالربوبية
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او منقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة على ما
كان وقرئ مسلمين على ان التثنية من مراتب الجمع وقيل ارادوا انفسهما وهاجر ومن ذريتنا خصا
الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة وانما بادائه التبعيض لانه تع كان اعلمهما ان في ذريتهما من
لا ينال العهد لكونه ظالما واما قيل ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله تع فانه مما يشوش المعاش فلا يصلح وجها لما ذكر كما لا يخفى امة مسلمة لك الاسلام هو
الانقياد بالخضوع وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او المعرفة دل على ذلك الاقتصار على مفعولين
والاختيار ان يقرأ بكسر الراء وهي قراءة الجمهور لانها كسرة الهمزة نقلت الى الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغي
ان يسكن قياسا على فخذ في فخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة وتبطل الدلالة على الهمزة مناسكنا
متعبداتنا في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما
فيه من الكلفة والبعد عن العادة او مذابحنا فان النسك خص بالذبيحة وتعورف فيه حتى قيل نسك
فلان اذا ذبح وتب علينا التوبة ههنا رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن الله رجوع بالاحسان
ولهذا يتعدى بعلى ولهذا يتعدى بعلى وذلك ان تاب بمعنى رجع فكما ان رجع لازم ومتعد كذلك تاب
لازم ومتعد وانما قالا ذلك هضما لانفسهما او استتابة عما فرط منهما سهوا او ارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا تكرير لما مر وابعث فيهم اي في ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم
الدلالة الصريحة على انهم اهل ذلك الرسول رسولا منهم البعث فيهم لا يستلزم ان يكون منهم كالعكس ولهذا
جمع بينهما يتلو يقرأ عليهم اياتك المراد بالاية المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى
انه اراد ان يكون للرسول المسئول معجزات من جنس الكلام ويعلمهم اي يلطفهم في التفهيم شيئا فشيئا الكتاب
كلام الله تع اي المنزل عليه عليه السلام وهو اعم من القراة لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران
والحكمة السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة تنتظم العلم والعمل كما ان السنة تنتظم القول
والفعل ويزكيهم يطهرهم اي يحليهم بالفضائل ويخليهم عن الرذائل وانما قدم الاول لان علم القبائح يكون سببا
لتركها والجامع لما ذكر انما هو محمد عليه السلام وقد روي انه عليه السلام قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة
اخي عيسى ورؤيا امي امنة انك انت العزيز الغالب الذي يقهر ولا يقهر الحكيم المحكم لما اراده ومن يرغب
عن ملة ابرهيم الرغبة سعة الارادة ومنه بطن رغيب اي نهم ومتى عقل بطن اقتضى صرف الارادة
عن ذلك الشي وذلك بالزهد فيه ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والمراد الجحد على مع

وجه اي لا يزهد في ملة ابرهيم الا من الا الذي سفه نفسه اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب
ان سفه بكسر الفاء يتعدى كسفه المشددة ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس
والمستثنى في محل الرفع بدل من الضمير الذي في يرغب وهو اجود من النصب على الاستثناء ولقد
اصطفيناه في الدنيا اي جعلناه صافيا من جميع الا ما يليق خلة الحق والاصطفا في الحق تناول صفوة
الشي كما ان الاختيار تناول خيره والاجتبا تناول جابته اي وسطه وهو المختار وانه في الاخرة
لمن الصالحين اي من الباقين على الصلاح حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح في اول حاله ذهب
صلاحه في ماله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه في مقام التعليل كما سبق من انه
حقيق بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له
ربه اسلم قال اسلمت العامل في اذ قال اسلمت اي حين امره الله بالاسلام قال اسلمت استيناف
تعليل لما تقدم من الفلاح في الدارين وانما زاد قوله لرب العالمين لبيان ان المراد من الاسلام
هو الانقياد عن عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان ووصى بها اي بملة الاسلام
المذكور ابرهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح ديني او دنيوي وقرئ واوصى واشتقاقها
من وصاه اي وصله ويصاده فصاه اي فصله ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا
بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم وانما منع عن الصرف للعجمة والعلمية يا بني على
اضمار القول او متعلق بوصى لانه نوع منه وباعتباري القول والفعل يجوز اثبات ان
وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار والوعد ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو
صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون كناية عن الثبات على الاسلام وفي العبارة
المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة ام كنتم شهداء ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه اي فلم تدعون اليهودية عليه وروي
ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم
مات فنزلت واليهود حضور بالذات او بالعناية او المقال والحضور اكثر ما يقال بالذات كذا
قال الراغب وتقديم المفعول وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون عليه اليهودية
اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي لم يعن به العبادة المشروعة فقط بل
عنى جميع الاعمال فكانه دعاهم ان لا يتحيروا في اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال
بعبادة الاصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا زادوا في الجواب قولهم ونحن له مسلمون

اي منقادون له في جميع الافعال والاحوال قالوا نعبد الهك واله ابائك اي نقتدي بك
كما اقتديت بابائك وللاشعار بهذا الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الجواب قولهم ونحن
له مسلمون وقرئ واله ابيك على انه جمع اب على السلامة او مفرد وابرهيم عطف بيان واسمعيل
واسحق بدل من قوله ابائك وابرهيم كان جداله والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة
واسمعيل كان عماله والعم عند العرب يسمى ابا قال النبي عليه السلام في حق العباس ردوا علي ابي
وانما قدمه على ابيه اسحق لانه اكبر سنا منه الها واحدا بدل من اله ابائك ويجوز ان يكون
واحدا حالا والها توطئة والفائدة التنصيص على ان معبودهم واحد ونفي التوهم الناشي
من تكرير المضاف واما النصب على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوب على الاختصاص
لا يكون نكرة ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويجوز ان يكون
جملة معطوفة على نعبد او اعتراضية تلك امة الاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة
اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة من عمده وسمي بها الجماعة لان
تؤمها قد خلت اي مضت وصارت الى الخلا وهي الارض التي لا انيس بها ويلزمه الانفراد ومنه
خلا الرجل بنفسه انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الكسب
اجتلاب النفع بعلاج ومراس ولذلك لا يجوز في صفة الله واذا قيل في المضرة فعلى طريق الاستعارة
وتقديم لها ولكم للتخصيص والجملة استيناف لبيان ان الانتفاع بالاكتساب لا بالانتساب ولا
تسالون عما كانوا يعملون تتميم لما تقدم اي لا يثاب ولا يعاقب احد بما كان من الاخر على ان
المراد سوال المواخذة وقالوا اي روسا اليهود ونصارى نجران كونوا الامورون من المن
برسول الله صلى الله عليه وسلم هودا او نصارى كان الظاهر ايراد اداة الجمع لان كلا المجموع
مجموع الكلامين الا انه اراد ان يضمن الكلام بيان انقسام المقال على الانفصال الحقيقي فاتى باداة
المنع تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي قل يا محمد جوابا عن قولهم بل نكون اهل ملة ابرهيم على
حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع على معنى بل المهتدون ملة ابرهيم حنيفا حال من المضاف او
من المضاف اليه والحنيف المائل والمراد الميل عن الاديان كلها الى دين الحق كان يقال في الجاهلية
لمن كان على دين ابرهيم حنيف لميلهم عن طريقتهم الى طريقة غيرها وما كان من المشركين تعريض
الى ان كلتا الطائفتين قد اشركت قولوا خطاب للمومنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
على ان المراد بقوله بل ملة ابرهيم بل كونوا اهل ملة لتكونوا مهتدين فيكون قولوا بيانا

له امنا بالله اي بالوهيته ووحدانيته وسائر صفاته ومن جملتها كلامه وكان الايمان يشمل
الايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا لم يفصل بينهما باداة التعدية الدالة على الاستقلال وما انزل
الينا القران قدمه لان التصديق به اهم واتم وما انزل الى ابرهيم من الصحف واسمعيل واسحق ويعقوب
عطفوا على ابرهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة اليهم والاسباط
اولاد يعقوب جمع سبط وهو في الاصل كالطائفة والفرقة والاسباط في اولاد اسحق كالقبائل
في اولاد يعقوب اسمعيل وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان
كثيرة وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل والايات البينات ولهذا اتى هنا بعبارة اوتي
ولم يكررها اوتي لان شريعة عيسى هي شريعة موسى الا في الندر وافردهما بالذكر لوقوع النزاع
فيهما وما اوتي النبيون تعميم بعد التخصيص من ربهم اي منزل من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا
نكون كالذين امنوا ببعض وكفروا ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف
اليه بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما هو السابق الى الوهم بل لانه موضوع
له في النفي المستوي فيه المذكر والمونث والواحد بازائه ولو قال بينهم لكان اوجز الا انه لما كان
المقصد الى ان يبين ان لا تفرق بين واحد وواحد ذكر لفظ احد ونحن له مسلمون مذعنون
مخلصون فان الفا لترتيب الكلام على ما تقدم امنوا اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بمثل
ايمانكم فما مصدرية وبه بدل من بمثل يفيد التاكيد وكذا البا المزيدة ويجوز ان تكون للالة
والمعنى ان تحروا بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق
او المثل مقحم كما في قوله تع وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراة بما امنتم به
وبالذي امنتم به فقد اهتدوا اي اصابوا الصراط السوي وان تولوا يقال تولاه اي اتخذه وليا
قال تع لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون بمعنى الاقبال عليه قال تع ثم تولى الى
الظل واذا وصل بعن يكون بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما امنتم به اي
عما تقولون لهم فانما هم في شقاق اي فما هم الا في شقاق عظيم وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق
فان كل احد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمومنين ووعد
لهم بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون الوعد محقق الوقوع قريبه وهو السميع العليم حذف
المفعول للتعميم او ترك تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لايهام المبالغة وعد للمومنين ووعيد للكفار
صبغة الله النصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا اي صبغنا الله

بالايمان الفطري صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغ حلية
المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر
اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخله الثوب وقيل انه كلام وارد على طريق
المشاكلة وذلك انه كان للنصارى صبغ يسمونه المعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم
فيه يزعمون انه تطهير لهم ويقولون للمغموس الآن صار نصرانيا ومن احسن من الله صبغة اي لا احد
احسن من الله صبغة ونحن له عابدون عطف على امنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو
حال من امنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم قل اتحاجوننا المحاجة المقاومة في اظهار
الحجة المبينة للمحجة اي المقصد في الله في شانه واصطفائه نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبيا كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص لربوبيته بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشا من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها
الله فكذلك لنا اعمال ونحن له مخلصون اي في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل
منا واولى كانهم الزمهم على كل مذهب ينتحلونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من
الله على من يشا والكل فيه سوا واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي
بالاخلاص ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او
نصارى على القراة بالتا الفوقانية يحتمل ان يكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى
اي الامرين تاتون المحاجة في الله ام ادعا اليهودية والنصرانية على الانبيا وان يكون منقطعة
وعلى القراة بالتا التحتانية لا تكون الا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة بين ما يلي الهمزة وام
ولا مساواة ح ومعنى الاستفهام الانكار وعلى تقدير اتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا
على تقدير انقطاعها وفي القراة الثانية اعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم كما كان منهم وسفى
قل انتم اعلم ام الله انكار لزعمهم الاول وتقرير للثاني اي ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما
كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وهؤلا المعطوفون عليه اتباعه في الدين اتفاقا
ومن اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تع في حق ابرهيم التي ثبتت
عنده في كتابه الذي يتلوه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض لهم بكتمانهم شهادة الله تع لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها وقد مر في
تفسير قوله تع ومن اظلم ممن منع مساجد الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة

من الكلام وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال
عليهم سيقول السفهاء من الناس قد مر معنى السفه والمراد المنكرون لتغيير القبلة من المنافقين
والمشركين واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد
الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت في
الاصل اسما للحال التي عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة فقد صارت في التعارف
للمكان المتوجه نحوه للصلوة اليها قل لله المشرق والمغرب كني بهما عن الجهات كلها اي نسبة جميع
الجهات اليه تع على السواء فلا يختص بامره مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه
وانما العبرة بارتسام امره لا تخصص بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله
صلاحهم واستقامة امرهم فيه من توجههم الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك
اي مثل ذلك الجعل العجيب والاشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم لا الى الجعل المفهوم من
الاية المتقدمة وانما جي بما يدل على البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة جعلناكم امة وسطا اخيار
بكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من
الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود
فجعل عبارة عن العدل وشبهه بكل ما وقع بين طرفين افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شيء حتى قيل فلان اوسطهم
نسبا فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها لتكونوا
شهداء يعني الانبيا يوم القيمة على الناس على الكفار ويكون الرسول هو محمد عليه السلام عليكم خاصة
شهيدا معدلا مزكيا لهم والشهيد كالرقيب والمهيمن فجي بعلى لاستعلائه المشهود له روي ان
الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالب الله الانبيا بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيؤتون
محمد عليه السلام فيلتمس كل رسول منه طائفة من امته تشهد له فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله تع في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن
حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا واستدل بالاية المذكورة على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه
باطل لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غاية ما لزم منه خطاؤهم في الاجتهاد ولا تنثلم به

العدالة كيف والخطأ في الاجتهاد مما يثاب عليه وما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة كان عليه السلام يصلي اليها
بمكة ثم امر بعد الهجرة بالصلوة الى صخرة بيت المقدس تالفا لليهود لانه مامور بالحصر المستفاد
من تمام الكلام الآتي ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس تالفا لقريش على هذا الوجه
وان جعل الصخرة قبلة ليس تالفا لليهود على الوجه الاخر ثم حول الى الكعبة فالمعنى ما رددناك
الى الكعبة وذلك لا يقتضي ان يكون القبلة المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني
كما توهم بل يجوز ان يكون على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى
بيت المقدس قبلتك او الصخرة فالمخبر به على الوجه الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء للناس
وعن ابن عباس كانت قبلته عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
ولا دلالة في هذا على احد المعنيين المذكورين بخصوصه الا لنعلم من يتبع الرسول ليظهر
علمنا على مظاهر الرسول والمومنين ونميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه وانما عبر عن الظهور
المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده تعظيما لهم وبهذا اندفع ما قيل كيف
يكون علمه تع غاية الجعل وهو لم يزل عالما واما ما اول به باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط
الجزاء او المعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشيء لان علمه تع به موجودا في وقت وجوده لم يزل ايضا
فانه تع كان عالما في الازل بهم وبكل حال من احوالهم التي تقع في زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان
الذي يقع فيه تلك الحالة ممن ينقلب على عقبيه من المرتد الذي يرتد بادنى سبب لقلة تصوير بسوء
حالهم في الارتداد وبقبح الوجود فان الانقلاب على العقب اسوأ احوال الراجع في مشيه وتثنية
العقب لتقوية شناعته والعقب على ما قال الاصمعي ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك
الذي ذكر من جنس الحكم والغايات التي تترتب عليها المصالح لا من قبيل الاغراض وقرئ الا ليعلم على
البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم
كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وان كانت لكبيرة شاقة لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه ان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله وما جعلنا القبلة اي الجعلة او التحويلة او الردة ويجوز ان يكون للقبلة وقرئ لكبيرة
بالرفع فيكون كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الا على الذين استثنا

من محذوف اى لكبيرة على الناس الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الاسلام
والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم ثباتكم على الايمان فى الاتباع بل يشكر صنيعكم واعد لكم
الاجر العظيم وقيد الاستمرار المستفاد من لفظ كان مقدم فى الاعتبار على النفى او صلوتكم الى
بيت المقدس اى ايمانكم بسبب الصلوة فيه فانها قبل التحويل ما صحت الا باستقباله قال
ابن عباس رض لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف لمن مات يا رسول الله قبل
التحويل من اخواننا فنزلت ان الله فيه معنى التعليل والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم بالناس
على الاطلاق فكيف بالمومنين منهم لرؤف رحيم فلا يضيع اعمالهم ولا يخل بما يصلح احوالهم وانما قدم
الرؤف على الرحيم لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الافات والنقائص التى يستحق
بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التى بها يستحق الثواب فالاولى من
باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد التزكية قد نرى قد للتقليل وقد
استعمل ههنا فى مقام التكثير كما فى قوله • قد اترك القرن مصفرا انامله • يعنى انك تفعل كثيرا
على ما دل عليه عبارة تقلب وهو قليل بالنسبة الى ما نهم به وتريده وفى البيت يدعى قلة الترك
بالنسبة الى ما فى نفسه وما يريده وهو كثير فى حد ذاته تقلب وجهك تقلب الوجه ابلغ من تقلب
العين على ان الوجه يريد به التوجه كقولك وجهى الى فلان فى السماء اى فى جهتها تطلعا للوحى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم عليه السلام
واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه عليه السلام حيث انتظر ولم يسال كما فعل ابوه ابرهيم حيث قال حسبى
عن سوالى علمه بحالى فلنولينك فلنجعلنك واليا قبلة من وليته كذا اذا جعلته واليا له او لنجعلنك
تلى سمتها من الولى ترضاها تحبها وتميل اليها لمصلحة دينية وهذا القيد للدلالة على ان التولية
كانت رعاية لرضاه عليه السلام فلا دلالة فيه على كراهة القبلة الاخرى فول وجهك فاجعل وجهك
يلى شطر المسجد نحوه وجانبه الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل عن
الشئ ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل وزيادته لسبب لانه عليه السلام كان بالمدينة والبعيد
يكفيه رعاية الجهة لان التعميم المستفاد من قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يابا ه بل للدلالة
على ان القبلة هى الهواء ولا دخل للبناء فيها الحرام اى المحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة
ان يتعرضوه وهذا الوصف هو الباعث لايثار المسجد على الكعبة فان الحكم المذكور لا اختصاص

له بها لان فى استقبال عينها حرجا لانه قد اندفع بزيادة عبارة الشطر روى انه عليه السلام
قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره خص الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا
لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من
ربهم اجمالا لعلمهم بان عادته مع تخصيص اهل كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه عليه السلام
يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
وفى قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة للقسم بكل اية اى برهان قاطع على
ان التوجه الى الكعبة هو الحق بعد قوله ليعلمون انه الحق دلالة على ان امتناعهم عن التوجه
اليها ليس عن شبهة بل عناد ومكابرة فلا ينجع البرهان قطعا ما تبعوا اى كلهم فلا ينافى اتباع
بعضهم قبلتك جواب القسم المضمر وهو مع جوابه ساد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم
قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا وقبلة المخالفين وان تعددت لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة الحق وما
بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس فلا يرجى
توافقهم فلا وجه للتوجه الى احدى تينك القبلتين ارضاء لاحد الفريقين مع ما فيه من سخط
الاخر ولئن اتبعت اهواءهم اى ولئن اتبعتهم فى موافقة الهوى فرضا وفى العدول عن الظاهر
التنبيه على ان قبلتهم لما انتسخت لم يبق فيها الا جهة الهوى والميل الى مقتضى النفس لبطلان
وجه الحق من بعد ما جاءك من العلم اى بسببه وهو الوحى انك اذا لمن الظالمين فى اللامات الثلاث
المجيبة والموطئتين للقسم فى الجمل الثلاث والتكرار فى قوله قول وفولوا مع التعميم فى حيثما والتاكيد
بان واللام او الوعيد فى قوله وما الله بغافل وايراد الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع وما
بعضهم بتابع اسميتين وتاكيد النفى بالباء فيهما وايراد كلمة الشك فى قوله ولئن اتبعت بعد
القطع فى قوله وما انت بتابع ليدل على الفرض والتقدير كالمحالات وتقوية ذلك المعنى بقوله
من بعد ما جاءك من العلم وذكر الاهواء والتاكيدات الاربعة فى جوابه مبالغة عظيمة فى ان كل واحد
من المحق والمبطل فى غاية التصلب والتشدد فى دينه وامتناع رجوعه عنه اما المحق فلقوة يقينه
ووضوح برهانه وكونه على بينة من ربه واما المبطل فلشدة شكيمته فى عناده ومكابرته وتعظيم
للحق المعلوم وتحريض على اقتفائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب

عن الانبيا عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب ايتا فهم ودراسة وهم الاحبار يعرفونه الضمير للرسول
عليه السلام وقد سبق ذكره في قوله تعالى انك اذا لمن الظالمين وهذا الكلام غير منقطع عنه الا انه التفت
من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم يعلمون الحق من ربك كما يعرفون ابناءهم
اى يعرفونه عليه السلام معرفة لا شبهة فيه بالوصف الذي يعينه كما يعرفون البنين على التعيين
لا اشتباه في معرفتهم اباهم بغيرهم وانما خص الابنا بالذكر لان اختلاطهم بالآبا اكثر فعدم الاشتباه
فيهم اظهر روي عن عمر رض انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم
به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر
راسه وان فريقا منهم التنوين للتحقير والاشارة الى قلة قدرهم بالنسبة الى المطهرين منهم ليكتمون
الحق اى كونه النبي الموعود وكان الظاهر ان يقال ليكتمونه والعدول عنه للتنبيه على ان المراد
معرفته عليه السلام بذلك الوجه لا معرفة ذاته وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثنا لمن آمن الحق
من ربك كلام مستانف والحق خبر مبتدا محذوف اى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال او
الحق مبتدا خبره من ربك واللام اما للعهد والاشارة الى ما يكتمونه اى الحق الذي يكتمونه هو حق
من ربك او الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واما للجنس اى الحق من ربك لا من غيره اى
ماهية الحق ما ثبت انه من ربك يعني الذي انت عليه ولم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل
الكتاب فهو الباطل كما تقول الرجل زيد اى ما عداه ليس بالرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من
الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين النهي عن الكون على صفة ابلغ من النهي عن تلك
الصفة ولذلك كثر في القرآن النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامترآ من
مريت الناقة اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في الامر وهو لا يكون بقصد واختيار
فالنهي المذكور للحث على محافظة الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عنها والرسول عليه السلام
احق بهما من امته ولقد احسن من قال ان الله يحذر نبيه من اتباع الهوى اكثر مما يحذر غيره
لان ذا المنزلة الرفيعة الى تحذير الانذار احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل حق
المرآة المجلوة ان يكون تعهدها اكثر اذ كان القليل من الصدا عليها اظهر ومن ذهب عليه
هذا قال ليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار وكانه غافل عن انه لا صحة للكلام عن ظاهره وبعد الصرف عنه لا مانع عن كون الخطاب
له عليه السلام ثم انه لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا يرى ان الجهل غير متوقع من نوح عليه السلام

وقد وقع التحذير عنه في حقه في قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين وفائدة نهيه عليه السلام
مع ان النهي غير متوقع منه المبالغة في حق من يتوقع منه ذلك ولكل وجهة اى ولكل قوم
من المسلمين جهة وجانب من الكعبة وقيل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة
ولا ينتظم وجه التفريع الآتي ذكره وفي قراءة ابي قبلة والتنوين عوض عن الاضافة هو
موليها هو الراجع الى كل اى هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله اى هو
موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة اى وكل وجهة الله موليها واللام مزيدة للتاكيد
جبر الضعف العامل وقرئ مولاها اى مولى تلك الجهة ولما كان في التوسعة المستفادة من الكلام
السابق ازاحة العذر في التوقف والتاخر رتب عليه الامر بالمبادرة بقوله فاستبقوا الخيرات
اى سارعوا الى ادا الصلوة في اوائل اوقاتها والسبق التقدم والاستباق من الاثنين ومن
التسابق وكذا التبادر والابتدار والتقاتل والاقتتال وفي التعبير بالخير عن الصلوة دلالة
على تفوقها في الخيرية على سائر الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا عبر عنه باسم الجنس
يدل على فضله على سائر الانواع اينما تكونوا يات بكم الله اى في اي موضع كنتم احضركم الله
المحشر للثواب والعقاب استيناف تعليل للامر المذكور وانما قال جميعا لان نكال العاصي على
رؤس الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك الحال يكون اقوى تاثيرا في
تحسير العاصي ففيه تاكيد التحذير وقيل المعنى اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا
ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة وياباه قوله ان الله على كل شيء قدير اذ لا دخل لشمول
القدرة وكمالها في المعنى المذكور فان مبناه على الرخصة والوسعة في امر التكليف لا على
القدرة في امر التكوين ومن حيث ومن اي مكان خرجت سواء كان للسفر او لامر آخر فول
وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك تاكيد على ابلغ الوجوه
وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما
كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد حكمه فانه تعالى ذكر لتحويل القبلة ثلاث فوائد تعظيم
الرسول عليه السلام بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما سياتي بيانه وقرن بكل حكم حكمة وتقريبا
وتقريرا على ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الشبه والفتن ومحال تسويل الشيطان
فيحتاج الى التاكيد والتشديد ليتحققوا انه ليس بالبدا لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله

قوله تعالى ان في التولية عن الصخرة الى الكعبة دفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية
قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم
ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم الظالمون المستثنون من الناس هم المعاندون من اليهود
القائلون ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة
الانبياء واهل مكة من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى
دينهم فلا تخشوهم ولا تبالوا بهم فان قولهم عناد وطعن ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه مساق
الحجة ولذلك استثناه من الحجة بناء على زعمهم وقرا زيد بن علي الا الذين ظلموا واقفا على حجة مستانفا
للحجاء مصدرة بالا للتنبيه دلت على كونه ليس بحجة واخشوني ولا تخالفوا امري ولكون الموصول
متضمنا معنى الشرط وكون الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر فلا يسوغ ان تخشوهم وتجب ان
تخشوني لان الجملة الانشائية لا تقع خبرا الا على تاويل الخبرية ولاتم نعمتي عليكم معطوف على
علة محذوفة اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بان ادخلكم الجنة
ولعلكم تهتدون الى الله وفي الحديث اتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض اتمام النعمة الموت على
الاسلام او على للايكون او معلله محذوف اي ولاتم نعمتي عليكم واراد في اهتدائكم امرتكم بذلك كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله مصدرا اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها
عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة وانما
جاء من فيكم ومنكم لان كلا منهما واقع نافع ولا يغني احدهما عن الاخر يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم
بحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه هنا باعتبار المقصد واخره في قصة ابرهيم باعتبار الفعل
ويعلمكم الكتاب والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى
معرفته سوى الوحي وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس اخر فاذكروني الذكر حضور الشيء للقلب كني به
عما يتلوه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان للنسيان حقيقة او حكما اذكركم كني به عن الاحسان
وذلك مشهور في كل لسان واشكروا لي يقال شكرته وشكرت له والثاني افصح ولا تكفرون حذف
الياء مراعاة لمستوي الفواصل والشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف من
القيام بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود او بما هو في حكمه من العمل يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر والصلوة قد مر الكلام فيهما حث الله على الصبر لانه ذريعة الى كل خير واول
كل فضل وعلى الصلوة التي هي ام العبادات القلبية والقالبية ان الله مع الصابرين يعني ان

الظفر

الظفر مع الصبر فمن لازمه فقد فاز بالنصر ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد لانه
طريق الى ثواب الله ورحمته اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون
كيف حياتهم وكيف حالهم في حيوتهم اي ليس ذلك مما يدرك بالمشاعر اي الحواس وعن الحسن ان
الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح
ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وفيها وما روي عنه عليه السلام
لما قتل من صناديد قريش يوم بدر من قتل جمعهم في قليب ثم اقبل يخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعد
ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقيل له عليه السلام اتخاطب جيفا فقال ما انتم باسمع منهم
ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان الارواح مطلقا جواهر قائمة بانفسها دراكة
مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت
الايات والاثار وعلى هذا فتخصيص الشهداء بالذكر لاختصاصهم بمزيد الزلفى ولنبلونكم مجاز اذ
البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت اي نصيبكم بمكروه اصابة تشبه فعل المختبر
بشيء ايراد شيء مع تنكيره تقليل لما ابتلانا به ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما
يقل وهو بالنسبة اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم حتى في حال البلاء فلو عرفوا
ذلك لشكروا في موضع الصبر ولهذا شكر العرفاء وحمدوا الله على البلاء كما شكر غيرهم على النعماء وقد
مر في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع تنتظم المؤمنين في الدار الاخرة كما انتظمها نعمة النفع في هذه الدار
وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف والجوع اي خوف الاعداء والقحط
ونقص تحقير وتقليل من الاموال بالهلاك والخسران والانفس بالقتل والموت والثمرات بالجوائح
وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من الخطاب المتوجه الى كل واحد ممن تتاتى منه البشارة
عند البلاء لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب يستحق صاحبه ان يبشره كل احد الصابرين
الحابسين انفسهم على المكروه الذين اذا اصابتهم مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روي
انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل
شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قالوا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا
بالهلاك وليس الصبر بالاسترجاع باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر به محذوف
دل عليه قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى افاضة
الكمالات والسعادات فهي من باب التحلية كما ان السلام وهو التطهير والتجريد من باب التزكية والتحلية

وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان واولئك هم المهتدون للحق
والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله عظم الله الصبر بوجوه البشارة العامة وبقوله
اولئك بعد وصفهم اشعارا بان ذلك الوصف يوجب هذه الكرامة المذكورة بعده وتكرير اولئك
وتقديم عليهم اي عليهم خاصة وتنكير صلوات وجمعها اي امدادات منصلة متتالية وتنويرات لا
يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وتنفيذها بقوله من ربهم ورحمة اية رحمة وبتوسطهم وتعريف المهتدين
بلام الماهية ان الصفا والمروة الصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالطه طين ولا تراب لا امل
ماخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة هي الحجر اللين وقيل الحجر الابيض الذي يبرق ثم جعلا علمين
للجبلين بمكة من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته من موقف
ومسعى ومنحر لما اراد ازالة الكراهة عن انفس الساعين بين الصفا والمروة على ما سياتي مهد لذلك
كونهما من شعائر الله تع موكدا بان لنفي التردد الذي فيهم اي من اعلام دينه تع ومعالم تعبده فتسبب
عنه رفع الجناح عن الساعين بينهما فلذلك اورد الفاء السببية في قوله فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد
والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله من الجناح ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف
بهما الطوف الدور والتطوف تكلفه واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف
روي ان اساف كان على الصفا ونائلة على المروة وهما صنمان وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت في احتمال
الجناح لا يندفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب نقضه وفيه جناح ولهذا التزم الكفارة
ومن هنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في الطواف المذكور بعد ما بين انه من
معالم الدين واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجه مشروعيته فعن احمد
انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تع فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير المنافي للوجوب
وقد وجه دفعه ولا لنصرة في قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لما ذكر لان موجب
تفريعه على ما تقدم ان تكون لا زائدة لعدم تسبب انتفاء الجناح عن عدم الطواف بهما عما تقدم من
كونهما من شعائر الله وعند ابي حنيفة واصحابه انه واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان الثوري
وعامة اهل العلم وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعي
ويرد عليه ان دلالته على الوجوب دون الركنية ومن تطوع اي فعل طاعة فرضا كان او واجبا او

نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف خيرا النصب على انه صفة مصدر محذوف
او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل لا بحذف الجار وايصال الفعل اليه لانه ليس بقياسي فلا
يصار اليه بلا ضرورة وقرئ يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على
على الطاعة عليم لا يخفى عليه شئ ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات
الايات على امر محمد عليه السلام والهدى الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه وشرحناه للناس
في الكتاب في التورية من نعته عليه السلام ووصفه بما لا ابهام فيه ولا اشكال ولا اشتباه على
احد فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات والهدى توبيخ لهم والزام ببيان استحقاقهم
للعن منها لما عندهم من السبب بالابهام والتبيين لانهم اعتقدوا انها ايات بينات وهدى
ثم كتموها ولذلك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون احياء واذا ماتوا على الكفر والكتمان ولم يتوبوا
خص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمديا اولئك يلعنهم الله اللعن الابعاد على وجه الطرد
وصار في المتعارف دعاء ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة
والمومنين من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا
ما افسدوه من احوالهم وبينوا ما كتموا من نعته عليه السلام كابن عبد الله بن سلام واضرابه
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي الذين ماتوا على الكفر من هؤلاء الكاتمين اولئك
الموصوفون بالكفر الثابتون عليه حين الموت عليهم لعنة الله والملائكة هم المخصوصون باللعنة
الابدية احياء وامواتا اورد في الاولى الجملة الفعلية الدالة على الحدوث المسبب عن الكتمان
لامكان التوبة والفعل المضارع الدال على التجدد المترتب عليه وقتا بعد وقت متتابعا
في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية مع تقدم الخبر المفيدة للاختصاص على الدوام
واللام في والناس اما للماهية والتاكيد بقوله اجمعين لله والملائكة والناس واما للاستغراق
والتاكيد لهم او للكل ثم انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا والخصوص
بمن يعتد بلعنه وهم المومنون كان من عداهم ليسوا بالناس اذ لا اعتداد بهم عند الله وقرئ
والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى المذكور كقولك
عجبت من ضرب زيد وعمرو اي من ان ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم
الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وانما اضمرت بلا ذكر تفخيما لشانها وتهويلا

لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا
ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اى المستحق للعبادة منكم واحد
لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية ودفع لتوهم
ان يكون اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اى المنعم على خلقه بادرار رزقه واسباغ
فضله فهو مولى كل مضطر وغياث كل فانع ومعتر ولا دلالة فيه على ان ما سواه اما نعمة او منعم
عليه حتى يكون كالحجة على الوحدانية وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف او صفة لقوله
والهكم وفصل بالخبر ولا اله خبر ثان او اعتراض ان فى خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد
الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار باقبال احدهما
وادبار الاخر وبالنور والظلمة والطول والقصر والتساوى وقدم الليل لسبقه فى الخلق والفلك
السفينة المدورة يقال للواحد والجمع وقرى بضمتين على الاصل التى تجرى فى البحر وهو تعليل
كثيف والماء خفيف لطيف يقبل ويدبر بريح واحدة بما ينفع الناس اما موصولة اى بالذى ينفع
الناس مما يحمل فيها او مصدرية اى بنفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء بيان للموصول
والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها الاحياء والموت استعارتان
لطيفتان لتزيين الارض بالنبات واخضرارها ونموها وكونها صعيدا جرزا وانما قال بعد موتها
دون انما تنبيها على انه مقتضى طبعها وبث فيها البث اظهار ما كان خفيا عن الحاسة
حديثا كان او بهما او غيرهما من كل دابة الدبيب اصله حكاية صوت حركة المشى ثم قيل دب اذا مشى
ويقال لكل المشى دابة وانما عطف بثها على احياء الارض لانه لا يكون الا باحيائها بالنبات وتصريف
الرياح اى صرفها الله او صرفها السحاب من جهة الى اخرى والسحاب السحب جر الثوب والسحاب
الجرة والريح المسخر بين السماء والارض يعنى الرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء يرشدك
الى هذا ذكره عقيب تصريف الرياح ولولا ذلك لكان حقه ان يذكر قبل قوله وما انزل واما ما
قيل لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضى احدهما منظور فيه لان بعض المركبات لا يرسب
فى الماء ولا يخرج منه ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون بعض كائنات الجو شانه كذلك
والتسخير القهر على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل بلا ارادة منه كحمل الرحى على
الطحن لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفيه تعريض بجهل المشركين
الذين اقترحوا على الرسول عليه السلام اية فى صدق قوله والهكم اله واحد اذ لو عقلوا لكفاهم

بهذه التصاريف اية ومن الناس لا يخفى على الخبير فى هذا التعبير من التحقير من يتخذ من دون
الله من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ او حال من اندادا اوثانا فى مفعولى يتخذ اندادا امثالا من الرؤساء
الذين يتبعونهم فى اوامرهم ونواهيهم وقيل من الاصنام ولا يلايمه قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا الاية يحبونهم
حال من فاعل يتخذ او من مفعوله كحب الله فى محل النصب على المصدر من الفعل المبنى للمفعول اى محبة
كما يحب الله او المبنى للفاعل اى كحبهم الله اى يسوون بينهم وبين الله تع فى الحب لانهم كانوا يقرون
بالله ويتقربون اليه والذين امنوا اشد حبا لله فى موضع الحال وانما قيل حبهم اشد لانهم لا يعدلون
عنه تع الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن روساتهم الى الله عند الشدائد وكذا يعدلون عنهم
الى غيرهم والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها
ومحبة العبد لله تع ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله
فى الطاعة وصونه عن المعاصى ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذ عاينوه عند الموت او بعد الحشر ولو واذ فى المستقبل استعارتان لتحقق
الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه كقوله تع ونادى اصحاب الجنة وحذف جواب لو ايماء الى انه لا
يمكن التعبير عنه اما لكونه زاجرا على العبادة او كونه ممتنع الاكتناه او لا يحتمل المعبد لغاية الضجر والجزع
والتفجع عليه المستمع وقرى ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول عليه السلام او كل مخاطب على ما ذكر من التفخيم
ومعناه لرايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وقرى اذ يرون على البناء للمفعول ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولى يرى اى ولو يعلمون حين معاينتهم العذاب يوم القيمة ان القدرة المطلقة على
كل شى من الثواب والعقاب كلها لله تع دون من سواه من الانداد وغيرهم وان الله شديد
العذاب للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة والندامة على ظلمهم وضلالهم فحذف
الجواب كما فى قوله تع ولو ترى اذ وقفوا على النار وقرى ان فى الموضعين بالكسر على الاستيناف
او على اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اى اذ
تبرا المتبوعون من الاتباع وقرى بالعكس اى تبرا الاتباع من الرؤساء والواو فى وراوا العذاب
للحال وقد مضمرة اى تبرأوا فى حال رؤيتهم العذاب وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم عطف
على تبرا الاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والاسباب والمحاب
وسائر انواع الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقال الذين اتبعوا
على من قرا فيما سبق بالعكس ان يقرا هنا على البناء للمفعول لو ان لنا كرة الكر الرجوع عن الشى

فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا نصب لفي الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرأ
منهم واستعيرت لامتناع المتمني والتبرأ الانفصال ومنه برأ من مرضه اذا انفصل منه بالعافية
كذلك نصب على المصدر من يريهم اي مثل ذلك الارآء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم يقال
حسر يحسر حسرة وحسرا اذا كمد على الشئ الفائت وتلهف عليه وهي غير الندم واشد منه حال لان روية
الاعمال يكون بالبصر على ما نطق به الخبر عن خير البشر وبه فسر ابن عباس حيث قال اراد به الاعمال التي
عملوها من الحسنات بزعمهم يرونها حسرات عليهم حيث احبطوها وما هم في وما هم بخارجين من النار
بجعل الجملة اسمية يفيد الدوام بحسب العرف كما مر في قوله وما هم بمؤمنين اي وما هم بخارجين من
النار دائما ما داموا هم هم ولتخصيص السلب بهم اي بالمشركين من بين المكلفين كقوله هم القوم كل القوم
يا ام خالد لا لسلب التخصيص فان اداة السلب متاخرة عن اداة التخصيص معنى وان تقدمت عليها
لفظا والبآء في الخبر لتاكيد النفي يا ايها الناس كلوا الاكل هو البلع عن مضغ ومن في قوله مما في الارض
ان كانت لابتدآء الغاية فقوله حلالا مفعول وان كانت للتبعيض فما مفعول وهو حال او صفة
مصدر محذوف وهذا اوجه لان حل الاكل يستلزم حل الماكول بدون العكس فان الحلال
قد يوكل على وجه يحرم او يكره كاكله فوق الشبع او صائما او في مجلس الفسق طيبا طاهرا عن كل
شبهة والى هذا اشار من قال الحلال ما ليس بمحظور والطيب ما ليس بمحذور والاية نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس والامر في الماكول او في الملبوس دلالة ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره اعتقادا او قولا وعملا وقد اجتمع هذه الثلاثة في
سبب النزول ومن فسره بالنهي عن مطلق الاتباع فقد ضيع ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة
يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته وقرئ خطوات بضمتين
وضمة وسكون الطآء وبفتحتين وفتحة وسكونها والخطوة بالفتح المرة من الخطو وهو نقل قدم
الماشي والخطوة بالضم اسم ما بين قدم الخاطي وهما كالقبضة والقبضة انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة عداوته لهم لا تنافي ولايتهم اياه المفهومة من قوله اولياؤهم الطاغوت حتى يحتاج الى
التكلف في التوفيق بان يقال يسمى وليا لاظهار الموالاة لمن يغويه انما يامركم استيناف لبيان وجوب
الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامر الا بالشر استعير الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه
تشبيها في تسلطه عليهم بآمر مطاع وشبهوا في قبولهم لها وطاعتهم له بالطبع بمامور مطيع بالسوء
فيه يدعوا بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام

العاقل به وفحشاء باستقباح الشرع اياه وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصي او ما يتجاوز الحد في القبح
من العظائم ويرده قوله تعالى كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله القول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافترآء اي وان تفتروا
عليه تعالى فلا تعرض في الاية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
والافترآء عن جهل محض اقبح من الافترآء عن ظن فاسد واذا قيل لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات
والسر فيه انهم وقعوا في حد البعد والغيبة في طاعة الشيطان وانهم في غاية الحمق والضلال الى
حد لا يستاهلون للخطاب اذ لا ضلال اضل من المقلد بباطل كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يجيبون الداعي اتبعوا ما انزل الله في عبارة ما انزل اشارة الى وجوب الاتباع قالوا بل
نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا اخيرا مما نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر
ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد والهمزة في اولو كان اباؤهم للرد والتعجب والواو
للحال اي ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون جهلة لا يتفكرون في امر الدين شيئا ولا يهتدون
الى الحق لو في مثل هذا التركيب تجيء تنبيها على ان ما بعدها غير مناسب لما قبلها كما في قوله اعطوا
السائل ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجيء لاستقصاء الاحوال التي يقع عليها الفعل
وتدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل واذا قصد
التوبيخ والتعجب كما في هذه الاية لا يكون ايرادها لاستقصاء الاحوال ولما كانت الواو للحال لم
يحتج لو الى جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عنه معنى الشرط ولا دلالة في الاية على المنع
من التقليد لمن قدر على النظر بل الظاهر منها انه انما ينكر اذا كان المقلد ضالا ومثل الذين
كفروا فيه معنى المثل وفيه اضمار تقديره ومثل الداعي الذين كفروا كمثل الذي او مثلهم كمثل
البهائم الذي والاضمار في الكلام من الايجازات المعتبرة في البلاغة لتنبيه الذكي عند الخلل
المعنوي في الحمل على الظاهر على المضمر ثم على خصوصيته بالقرائن اللفظية او النوعية فيثبت في
التدبر ويتفهم في التفكر فيتحقق المعنى هذا ما بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيق النظر ما في
نعيق او كصيب من السماء من ان التشبيه التمثيلي لا يلزمه ان يكون ما يلي اداة التشبيه هو
المشبه به فلا حاجة الى تقدير شيء ينعق بما لا يسمع قال صاحب العين نعق الراعي بالغنم اذا صاح
بها زجرا الا دعاء ونداء الدعاء للقريب والندآء للبعيد ولذلك قال الاعرابي اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه صم بكم عمي رفع على الذم بكم عمي اي ومثل هذا داعيهم الى الايمان كمثل

الناعق البهائم في انهم لا يسمعون الا دعاء الداعي وتصويته من غير فهم المعنى وتعقله او بالاصم
الذي لا يسمع من دعاء الرافع صوته بكلامه الا التصويت والنداء من غير تمييز الحروف وادراكها
وقيل مثلهم في تقليدهم اباهم واتباعهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم معناه فكذلك
يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام على باطل فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال
بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما
في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا وفيه ان الطيب اخص
من الحلال وان يقيموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم وما تضمن الامر الاول
الامتنان ناسبه الخطاب وما في الامر الثاني من التنبيه على ان استحقاقه تع للشكر ليس لكونه
رازقا لهم ومبيحا لطيبات الرزق فقط بل لكونه خالق العالم ولم يندرج فيه ما يستوجب الشكر اقتضى
العدول عن الخطاب الى الغيبة وعن التفريع بالفاء الى العطف بالواو ان كنتم اياه تعبدون
فان عبادته لا تتم الا بالشكر وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة كما في قوله تع ان كنتم للرؤيا
تعبرون اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليل ولك ان تقول كان الظاهر ان يقول ان كنتم
تعرفون انه مولى النعم كلها الا انه كنى عنه بلازمه وهو تخصيص العبادة اياه تع انما حرم عليكم
الميتة وقرئ حَرَم وحَرِم وحُرِّم بالتخفيف والتشديد والميتة بالتخفيف والتشديد وكلمة انما قد لا
يكون للقصر كما في قوله تع قل انما حرم ربي الفواحش الاية فلا حاجة الى ان يقال ان ما ابين من حي
في حكم الميتة بالحديث وان المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وانما لم يستثن
السمك والجراد من الميتة والكبد والطحال من قوله والدم وان احلت على ما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احلت لي ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال
بناء على ما يتعارفه الناس ويتفاهمه في العادة ولان المتبادر من الحرمة المضافة الى العين حرمة
التصرف فيه مطلقا اذ عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير بقرينة صارفة عنه دالة على ان المحرم
اكل العين المذكور لا الانتفاع به مطلقا حتى يلزم انتساخ النص بالحديث في جلد الميتة
وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم المأكول من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وهذا الوجه
ايضا لا يساعده تقدير الانتفاع العام للاكل وغيره وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه لغير الله تع صنما كان او نارا او غير ذلك وما ذكر معناه الاصلي على ما نص عليه الجوهري
والهلال غرة القمر انما سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر غير باغ على مضطر

اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه في تناوله دل بمفهومه على ثبوت الاثم في
تناوله غير مضطر وبهذا الاعتبار صح تفريعه على ما تقدم ففيه دلالة على اعتبار المفهوم كما هو مذهب
الامام الشافعي فانه لولا اعتباره لما صح تصدير الكلام المذكور باداة التفريع ان الله غفور اي
يغفر المعاصي فاولى ان لا يؤاخذ بما رخص فيه او غفور لما عسى ان يفرط عند التحمل بالرخصة رحيم
بالرخصة فيه فهو مقرر للاول ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قدم تعبير
بيان ما في عبارة الثمن من المزية على عبارة الشيء والعوض وغير ذلك قليلا ليس المراد به انهم اذا
اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل المعنى ان كل ما ياخذونه في مقابلته من الدنيا فهو قليل اولئك
ما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا في
بعض بطنكم تعفوا فمرادهم من الاكل في البطن الاكل في جميع البطن والظاهر ان التعدية بفي
لتضمين معنى الاستقرار المناسب للمقام فان الاكل قد يعقبه الدفع خصوصا اذا كان غير
الماكول غير ملايم للطبع وذكر الاكل لكونه المقصود الاول من تحصيل المال وذكر في بطونهم تنبيها
على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاجل المطعم الذي هو اخس مطلب من الدنيا الا النار مجاز
من باب اطلاق اسم المسبب على السبب او الغاية على الشيء لتلبسه بها فانهم اذا اكلوا السحت وهو
الرشى على الكتمان لزمتهم عقوبته التي هي النار فكانهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا
اكل الدية التي هي بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم عبارة عن غضبه تع عليهم لان من
غضب على صاحبه حرمه وقطع كلامه وقيل تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تع اياهم بكلامه
وتزكيتهم بالثناء ولهم عذاب اليم مولم وتقديم الجار والمجرور لمحافظة الفاصلة اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة والحاجة الى المغفرة
اشد من الثواب فالخسران في فقدانها اقوى ولهذا اثرها عليه مع انه انسب لان يذكر
مع العذاب لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في ارتكاب موجبات النار
والتباسهم بها من غير مبالاة منهم به كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك
على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض بذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة
بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة
وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك اي ذلك العذاب بان الله بسبب ان الله نزل الكتاب
اي نزل ما نزل من الكتب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب الظاهر ان المراد

هو القران واللام اشارة الى انه الجنس المسمى كتابا اى الكامل فى كونه كتابا كان ما عداه من
الكتب لايستاهل ان يسمى كتابا والاظهار فى موضع الاضمار للتعظيم وزيادة فائدة اللام وبيان
ان الاختلاف فيه عظيمة من العظائم ولهذا قيده فى الاول بالحق واختلافهم فيه قول بعضهم سحر وقول
بعضهم شعر وقول بعضهم اساطير الاولين لفى شقاق بعيد عن الحق والشقاق الخلاف كل من
المتخالفين عن شق صاحبه للخلاف وطلب كل منهما ما يشق على الاخر ليس البر البر اسم جامع للطاعات
واعمال الخير ان تولوا وجوهكم الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت
قبل المشرق اى مقابله كفعل النصارى والمغرب اى قبل المغرب كفعل اليهود وذلك منسوخ
فهو ثم لا بر وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرى بان تولوا بالباء لتاكيد النفى ولكن
البر من امن بالله واليوم الاخر اى بالمبدا والمعاد والملائكة والكتاب والنبيين اى بالشرائع
المتحدة فى اصول الدين المنزل على الانبيا بواسطة الملك وللتنبيه على جهة الاتحاد قال
والكتاب دون الكتب انما قال والملائكة دون الكتب لان سفير الوحى وان كان واحدا الا
انه قد انزل بعض الكتب بل بعض سور القران بجم غفير من الملائكة تعظيما لشان المنزل والمعنى
والله اعلم ولكن البر بهذه العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة والوصف كما يذكر فى مقام
الموصوف بلا حذف ولا يجوز بحسب اللفظ كما فى قولك رجل عدل فان المتجوز فيه فى الاسناد
دون المسند كذلك يذكر الموصوف فى مقام الوصف بلا حذف ولا يجوز بحسب اللفظ كالكلمة
نحن فيه تنزيلا للموصوف منزلته ولا يخفى ما فيه من المبالغة فى شان ذلك الوصف وتعظيمه على
عكسها فى المثال المذكور فان المبالغة فيه فى شان الموصوف ولدقة الفرق بين الاعتبارين
ذهب على كثير من الحذاق وفى المصير الى التقدير فى مثل هذا المقام تنزيل للكلام عن منزلته
الرفيعة وتغيير لصورته البديعة على انه اذا قيل ولكن البر بر من امن الخ يفهم منه عدم الاعتبار
لبر من قصر فى بعض تلك الاعمال واذا قيل ولكن ذا البر من امن الخ يخرج الكلام عن حسن
الانتظام والجمال وقصد هذا لكان المناسب ان يقال ولكن البر بفتح الباء واتى المال على حبه
اى حب المال والشح به كما قال على رض لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش وتخشى الفقر وقال الله تع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور
فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى الايتاء اعم من الصدقة فلا يشترط فيهما الفقر وقد قيده
بالزكوة فانصرف الى المندوبات من الصلات وقدم ذوى القربى لانهم احق بالاحسان قال عليه السلام

صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين
وهو الدائم السكون الى الناس لشدة فقره او الدائم السكون فى البيت لعدم اللباس او
لعدم القوة كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع به وجعل ابنا للسبيل لملازمته
له والسائلين المستطعمين وفى الرقاب اى فى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى
ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى وفى العطف بعبارة الجمع اشارة الى فضل
التفريق الى هذه الانواع واقام الصلوة مفروضة كانت او واجبة واتى الزكوة المفروضة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين نصب على المدح لبيان فضيلة
الصبر فى الشدائد ومواطن القتال واظهار الفضل الصبر على سائر الاخلاق والاعمال فى الباساء
فى الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين
صدقوا كانوا صادقين فى الدين جادين واولئك هم المتقون اى هم الموفون حق الصدق
قولا وفعلا وعقدا وحق التقوى حظرا وكراهة وندبا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك
فالاية جامعة للكمالات الانسانية باسرها واليه اشار النبى عليه السلام فى قوله من عمل بهذه الاية فقد
استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمؤمنين لا لاختصاص
الحكم المذكور بهم بل للتنبيه بخطابهم بوصف الايمان عند ايجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذى
هو من الكبائر التى ورد فيها اشد وعيد وتهديد على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل الكتابة الخط
وكنى بها عن الالزام وهذا الوجوب على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان
اذا طلبه الولى ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة او الرضا به ومنهم
من يلزمه ان لا يتعدى بل يقتص او ياخذ الدية او يعفو والقص قطع الشئ على مثال الاحتذاء
ومنهم من قص شعره وقص اثره وقص الحديث اقتطع كلاما حاذيا حذو غيره والقصة اسم منه
وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل او الجارح مثل ما فعل ففيه اشارة الى ان القصد بالاية
منع التعدى فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون فى القتل وكلمة فى فى القتلى للسببية كهى فى قوله
لمتننى فيه والقتلى جمع قتيل والاتيان بصيغة الجمع للاهتمام فى المنع عن التعدى فانه اذا كان ممنوعا
فى قتل جماعة فالمنع عنه فى قتل واحد بطريق الاولى الحر بالحر اى يقتص الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى
الى العبد لخساسته ولى ولى المقتول ولا من واحد الى اثنين لشرفه والعبد بالعبد ولا يتعدى من
العبد الى الحر لشرف مولى المقتول او قبيلته والانثى بالانثى ولا يتعدى من الانثى الى الذكر لشرف

المقتول كان بنو النضير يقولون لبنى قريظة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم حرا واذا قتلتم منا
امراة قتلنا منكم رجلا واذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبى عليه السلام
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباءوا فلا دلالة فيها على ان
لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لا يظهر
للتخصيص وجه سوى اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجه فلا متمسك للقائلين بحجية المفهوم
فى هذه الاية لاثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد فمن عفى تفريع على ما فى عبارة القصاص
من الاشارة الى ان المكتوب حق العبد سقط باسقاطه له مفعول به لكن لكونه بواسطة
حرف الجر كان مساويا للمصدر وغيره فى جواز الاسناد اليه من اخيه اى من جهة اخيه يجوز
ان يتعلق بالفعل وان يكون حالا من شئ يعنى ولى الدم وانما ذكر بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما
من الاخوة الدينية والجنسية ليرق له ويعطف عليه فيتساهل شئ اى شئ من العفو بان
كان للقتيل اولياء فعفا بعضهم فصار نصيب الباقين مالا وهو حصتهم من الدية فهو فى موقع
المفعول المطلق المقيد الموصوف مثل ضرب ضرب شديد لما فى تنكير شئ من الدلالة على ذلك
ولا يصح ان يكون شئ مفعولا به لان عفا لا يتعدى بنفسه الى المفعول به لكن يعن الى الجانى
والى الذنب واذا تعدى الذنب يعن عدى الى الجانى باللام وكان اصله فى الاية فمن عفى
له عن جناية من اخيه فاستغنى بذكر القصاص فى القتلى عن ذكر الجناية واما عفا بمعنى ترك
المتعدى بنفسه الى المفعول به فلم يثبت وانما ثبت اعفى ولما انقلب حق باقى الورثة فى الصورة
المذكورة من القصاص الى الدية قال فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فعلى الولى
اتباع بالمعروف بان لا يتجاوز عن الحد المعهود فى الدية باخذ الزيادة عن حصته منها ومن
هنا ظهر وجه التعريف فى المعروف وعلى الجانى اداء اليه باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه على ان
كلا منهما مبتدا او فاعل للظرف اى فليكن اتباع من الولى واداء من الجانى على الفاعلية فيهما او
فامر الولى اتباع وامر الجانى اداء على الخبرية فيهما وفى هذه التوصية لهما ترغيب لفائدة الاخوة
ذلك اشارة الى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم للدية وضمنا وهو العفو العارى عنها
وذلك ان عفو بعض القصاص لما كان مشروعا لكونه حق العبد علم منه بطريق الدلالة ان عفو
كله ايضا مشروع تخفيف تسهيل بدفع القصاص عن الجانى من ربكم ورحمة بنفع الولى حيث لم يضع
حقه والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان بتعلقه بهما كما فى قوله تع لم تكن امنت من قبل

او كسبت فى ايمانها خيرا قال ابن عباس والحسن البصرى كان فى شريعة موسى القتل لا غير وفى شريعة
عيسى العفو لا غير وفى شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن والصلح جائز على حسب ما يراه العبد
انفع له واشفى لقلبه واوفق لمراده ومن قال وخير هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو لم
يصب اذ ليس الثانى منها باختيار الولى لانه بدل صلح لا يكون الا برضى الجانى بقى ههنا شئ وهو
ان قولهما كان فى شريعة موسى القتل لا غير محل بحث فان ما فى تفسير قوله تع فى سورة الاعراف
يأخذوا باحسنها ان الحسن هو الاقتصاص والاحسن العفو صريح فى ان ذلك فى التورية اذ ضمير
احسنها للالواح فمن اعتدى بعد ذلك الحكم او التخفيف فتجاوز بقتل غير القاتل او القتل بعد العفو
او اخذ الدية فله عذاب نوع من العذاب اليم شديد الالم ولكم فى القصاص حيوة كلام كامل فى
الفصاحة وعالى الطبقة فى البلاغة لم يوجد اقل مسموعا واجل مفهوما منه مع اشتماله على الغرابة
التى هى من نكت البلاغة وذلك ان القصاص قتل وتفويت للحيوة فجعل محل الحيوة وعرف
القصاص ونكر حيوة وقدم الخبر وخصص الخطاب باولى الالباب اشعارا بانه لا يفهم معناه الا
ذو اللب اى لكم خاصة ايها العقلاء فى هذا الجنس من الحكم نوع من الحيوة او حيوة عظيمة لا يقدر
قدرها اذ لو لم يشرع وكان ما كان فى الجاهلية من قتل غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج
والمرج بين الناس وهاجت الفتن والحرب وارتفع الامن من الناس فانطفت تلك النائرة بشرع
القصاص وارتدع كل منهم بالقتل لعلمه بذلك فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يجترا
احد من اولى الالباب على القتل فامن الناس وذلك حيوة لخلق كثير فى امن وسلامة وسعة فضلا
عن النفسين فلهذا قال لعلكم تتقون القتل بغير الحق اى اريكم ما فيه من الحيوة لكى تتقوا ويجوز
ان يخص الخطاب بالائمة وهم اولوا الالباب اى لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به
كتب عليكم امر الوصية لابد فى اقامته من جماعة فلهذا اثر صيغة الجمع هنا اذا حضر احدكم الموت
اى قرب منه بظهور اماراته ان ترك خيرا اى مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث
لا تجوز الوصية به لما فيها من الاثم والتنوين للتكثير لما روى عن عائشة رض ان رجلا اراد ان يوصى
فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تع ان ترك خيرا
وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين الوصية فاعل كتب وتانيثها ليست
بحقيقية فيجوز تذكيرها ولا حاجة الى ما قيل وتذكير الفعل للفاصل او لانها بمعنى ان يوصى ولهذا ذكر
ضميرها فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف اى

بالعدل المعهود وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر موكد اي
حق ذلك حقا على المتقين كان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بعد نزول اية المواريث لقوله عليه
السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من الاحاد الا ان
الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر لعلمنا بانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته
فمن بدله اي قول الموصي بقرينة قوله بعد ما سمعه اي غيره عن وجهه من الاوصياء والشهود
والحكام ولا حاجة الى ان يقال ان كان موافقا للشرع لان الذي لا يوافقه مردود لا مبدل
فانما اثمه اي اثم التبديل او الايصاء المبدل على الذين يبدلونه لا على الموصي والموصى له وانما
اتى بها بصيغة الجمع لان التبديل انما يتقرر بالاتفاق فان الوصي مثلا انما يقدر على التبديل
بمساعدة الشهود ولو بالسكوت وكذا الحال في غيره ان الله سميع لقول الموصي عليم بفعل
الوصي وغيره من الذين يبدلون الوصية ظاهره الاخبار وباطنه الوعيد للمبدل ومن يساعده
فيه فمن خاف برا وبالخوف في مثل هذا ما يلزمه من التوقع والظن الغالب اذ لا خفاء في انه لا
معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من موص جنفا ميلا عن الحق او اثما تعمدا للجنف قال
الربيع الجنف في الخطا والاثم في العمد فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون
او بين الموصى لهم والورثة بردهم الى الحق وجاز اضمارهم لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة
المقام قال الراغب ولا فرق بين ان يخاف منه ذلك قبل موت الموصي فيرشده او بعد موته
فيصلح وليس الاصلاح بمقصود على ايقاع الصلح دون استعمال الصلاح بل يتناولهما فلا اثم عليه
اي على المبدل ح لانه تبديل باطل بحق وانما قال هذا لانه لما خوف في الاية الاولى من تغيير الوصية
بين ان النهي عن تغييرها لا جنف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شيء من ذلك فلا شيء في تغييره ولما
كان ما تضمنه الكلام السابق من الوعيد باعتبار احاطته تع بالظواهر والسرائر علما ناسب ان
يرتب عليه في هذا الكلام من الوعد لمن قصد بتغيير الوصية الصلاح فصدره باداة الترتيب وبين
بقوله ان الله غفور انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من المصلح مما لا يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم تخصيص الخطاب بالمؤمنين لا لاختصاص الكتاب المذكور بهم بل لاشتراط صحة
المكتوب بالايمان فلا متمسك فيه لمن قال ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال
الخليل الصوم قيام بلا عمل والصوم الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك بالنية في النهار الشرعي
عن المفطرات كما كتب نصب على المصدر اي كتبا كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم

من لدن ادم يعني انه عبادة قديمة ما اخلى الله تع امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل والقدر والوقت
جميعا لعلكم تتقون الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها فانها فرضت عليكم وحدكم او تتقون
المعاصي لان الصائم اردع لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها على ما اشار اليه النبي عليه السلام
بقوله فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين فان الصوم شعارهم اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله تع دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد
والكثير يحثى حثيا نصبها على الظرفية للصيام وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل
وان لم يجز في غيره والمراد بها ما اوجب صوم قبل فرضية رمضان ونسخ به وهو عاشورا او ثلاثة
ايام من كل شهر ويجوز ان يراد بها رمضان والاول اولى اذ الانسب على الثاني ان يقال شهرا معلوما
كما قيل الحج اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على
النصارى فوقع في حر او برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل
زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا ذهب بعضهم الى ان كل مرض مبيح للافطار اخذا
باطلاق النص وبعضهم الى ان المراد المرض الذي يضره الصوم او يعسر معه لقوله تع يريد الله بكم
اليسر او على سفر لم يقل مسافرا ليتناول من دخل بلدة مكث فيها اياما لا بنية الاقامة فانه ما ذكر
يطلق عليه دون ما ذكر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر
ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور
ظاهر في حذف المضافين لانه بحكم قانون العربية واما في حذف الشرط فلا لانه بحكم الشرع ولم يعلم
بعد انه ختم او معلق على شرط ولذلك قال بعضهم مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة ايام اخر
ولعل حذف مسامحة للاجتهاد فيه وقرئ فعدة بالنصب اي فليصم عدة وعلى الذين يطيقونه
اي المطيقين للصيام ولا عذر لهم ان افطروا وقرئ يطوقونه على البناء للمفعول تفعيل من الطوق
بمعنى الطاقة اي يكلفونه او القلادة اي يقلدونه ويقال لهم صوموا وقرئ يتطوقونه اي
يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فقلبت الواو ياء وادغمت
فيها الياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وهو اما بمعنى يطيقونه او يقلدونه ويتقلدونه واما
بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكمهم الافطار والفدية

وعلى هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه ايضا هذا اى يصومونه
جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء
الحجاز قيل رخص لهم ذلك فى اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوا ثم نسخ
وقد نبهت فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ فدية منونا وطعام مرفوعا بدلا من
فدية ومسكين مفردا وجمعا وقرئ بالاضافة والجمع وتبين بقراءة الافراد ان الحكم لكل يوم يفطر فيه
طعام مسكين فمن تطوع خيرا بان زاد فى الطعام للمسكين او فى عدد من يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا
على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوعا خيرا او على اسقاط الحرف اى بخير لانه غير قياس وفى
قراءة من جعل تطوع مضارعا يحتمل الموصولة والشرطية وفى من قراها مجزوما شرطية فهو اى فالتطوع
خير اى اكثر خيرا له من الاقتصار على القدر المفروض وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون خير لكم
من الفدية على اى وجه كان ان كنتم تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله اى ان كنتم من اهل
العلم والتمييز علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره الذى انزل فيه
القران او فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاص لوجوب الصوم فيه او بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام والذى انزل صفته
او خبر مبتدا محذوف اى هو او هى الايام المعدودات وقرئ بالنصب بدلا منها او على صوموا
شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعول ان تصوموا اذ ح يلزم الفصل بين المعمول وعامله
بالخبر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف
للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والظما او لوقوعه ايام
رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف لامن الالباس
على ما جاء فى الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه الذى انزل فيه القران
اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم انزل الى الارض
نجوما وقيل انزل فى شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام هدى للناس الى الحق حال وبينات
وايات واضحات عطف عليه من الهدى من جملة ما يهدى الله به الناس والفرقان ومما يفرق
به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بينهما فمن شهد منكم الشهر
اى فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها وعلى
هذا ينتظم المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب ثابت فى حقهما والساقط بالرخصة

المستفادة

المستفادة من قوله ومن كان مريضا او على سفر انما هو وجوب الاداء فلا وجه لان يكون شهد
بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص الامر بالمقيم ولا صحة له اذ ح يلزم ان يكون الحكم المذكور
فى حق المسافر عزيمة وعلى تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الاداء لا وجه
لتخصيص المقيم بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص وجوب الاداء بما عدا المريض والمسافر
قد علم من قوله فعدة من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة
خير من الاعادة فعدة من ايام اخر اطلاقه اقتضى التخيير بين الجمع والتفريق ولا يجوز تقييده
بالتتابع بخبر الواحد لان التقييد نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب باخبار الاحاد يريد الله بكم
اليسر برخصة الافطار بعذر المرض والسفر ولا يريد بكم العسر بايجاب القضاء متواليا وبلا
تاخير عند زوال العذر وفى عبارة يريد الله اشارة الى ان الاحب عنده تعالى الافطار عند
احد هذين العذرين لما فى مقابلة عدم قبول الاحسان والامتنان به وقد نبه النبى عليه السلام
على هذا بقوله ليس من البر الصيام فى السفر وما فى الاداء فى رمضان من الفضيلة ولا يعارض
هذا الاستحباب والله اعلم بالصواب ولتكملوا العدة يجوز ان يعطف على علة محذوفة
اى لتعلموا ما شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر اى يريد الله بكم اليسر ويريد لتكملوا العدة
كقوله يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند
الاهلال ضمن فعل التكبير معنى الحمد فعدى بعلى فكان المعنى حامدين على ما هداكم على هدايتكم
ولعلكم تشكرون اى ارادة ان تشكروا مجازا لاشتراك المرجو والمراد فى الترجح والافصح ان
يجعل لتكملوا العدة الخ عللا لفعل معلل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد منكم الشهر
الخ اى ولهذه الامور شرع ذلك فقوله ولتكملوا العدة علة للامر فى قوله فعدة ولتكبروا الله
على ما هداكم علة للامر بصوم الشاهد فى الشهر وافطار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضاء
والخروج عن عهدة الفطر اى ولتعظموا الله وتثنوا عليه ولعلكم تشكرون علة الترخص وهذا
نوع من اللف لطيف المسلك لا يطلع عليه الا الحذاق من علماء البيان واذا سالك عبادى مرتبط
بما تقدم من جهة انه لما حث على تكبيره وشكره بين ان الذى يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ولهذا
فصل به بين حكمى رمضان عبادى شرفهم بالاضافة الى نفسه عنى اى عن صفتى ومعاملتى معهم
اذا دعونى فانى قريب لم يقل فقل انى قريب كما فى سائر سؤالاتهم لانه تعالى تولى جوابهم حين كان
عنه سؤالهم فتقدير الكلام فاقول انى قريب روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت تمثيل لحاله في اجابة الداعي بحال من قرب
مكانه من مكانه فيلبيه اذا دعاه لانه تعالى عن المكان فانه كان ولا مكان وهو الآن
على ما كان اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاخلاص مقرونا
بشرائط الاجابة والاجابة من الجوب وهو القطع فاجابة السائل القطع بما سال لان
سواله على الوقف ايكون ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم فيما دعوني فعليهم ان يجيبوني
فيما دعوتهم اليه بالائتمار فيما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه قال ابو عبيدة الاستجابة والاجابة
واحد كالانابة والاستنابة وانشد لسعد بن كعب الغنوي • وداع دعا يا من يجيب الى
الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • اي لم يجبه هذا بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه ومن ثم
تعالى انما قال فليستجيبوا ولم يقل فليجيبوا للطيفة وهي ان حقيقة الاستجابة طلب الاجابة
وان كان قد يستعمل في معنى الاجابة فنبين ان العباد متى تحروا اجابته بقدر وسعهم فانه يرضى
به عنهم هذا اما تتولاه الجوارح من الاعمال واما الذي يتعلق بالاذعان القلبي من الايمان فلا
بد فيه من حقيقة الاجابة ولهذا افرده بالذكر بقوله وليؤمنوا بي مع انتظامه ما تقدم
بحسب جليل النظر لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الخير ونقيضه الغي وقرئ بفتح
الشين وضمها اما الاول فمن الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد من حد علم
واما الثاني فمن الرشد بالضم يقال رشد يرشد رشدا فهو راشد من حد دخل وقرئ بالكسر ايضا
احل لكم ليلة الصيام نصب على الظرف وانما لم يقل ليالي الصيام اعمالا للدلالة الكلام ولا يخفى
لطفه على ذوي الافهام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا اصلوا العشاء او
ناموا حرم عليهم المفطر الى القابلة وان لم يفطر ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبي
عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث في الاصل
هو قول الفحش ثم جعل اسما للافصاح بما يجب ان يكنى عنه عند النساء من معاني الافضاء اليهن
يرشدك الى هذا قول ابن عباس رض حين انشد وهو محرم • وهن يمشين بنا هميسا • ان تصدق
الطير ننك لميسا • فقيل له ارفثت قال انما الرفث ما كان عند النساء وانما عدي بالى لما في
مفهومه من معنى الافضاء ثم انه كني بمجموع قوله الرفث الى نسائكم عن الجماع فقد كني عن الجماع
في جميع القران بلفظ مستحسن لا يدل على معنى القبح مراعاة للادب ولا ادب كادب التنزيل كقوله
وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها • باشروهن • او لامستم النساء • دخلتم بهن • فاتوا حرثكم من

نى

قبل ان تمسوهن • فما استمتعتم به منهن • ولا تقربوهن • الا ههنا فانه كني عنه بما دل على معنى القبح
استهجانا واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك سماه جناية هن لباس لكم وانتم لباس لهن
استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة
وشدة الملابسة وفي تقديم هن لباس نوع تاييد لحيث كان ذلك لزيادة الشغف من جانبه
شبه الرجل والمراة في تعانقهما واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه
قال الجعدي • اذا ما الضجيع ثنى عطفه • تثنت وكانت عليه لباسا • وافرد اللباس لانه كالمصدر
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه معنى القصد والزيادة والخيانة
ضد الامانة وقد ائتمن الله عباده على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه
وفي زيادة كنتم دلالة على انهم مجبولون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم
ولهذا اتى باداة التفريع في قوله فتاب عليكم اي لما تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقدم تفسير
التوبة وعفا عنكم ومحا اثر ذلك عنكم بالتجاوز فالان آن اصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما
للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتح والمراد ليلة الصيام باشروهن لما نسخ
عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على انتساخ السنة بالقران لاحتمال ان يكون المنسوخ حكما من
كلام الله المنسوخ تلاوته واصل المباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد كني بها عن
المجامعة والامر للاباحة وابتغوا الابتغاء الطلب للبغية ما كتب الله لكم ما قدر الله تعالى لكم
من الولد اي لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من
التناسل لبقاء النوع الى غاية وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكفى في الابتغاء
المذكور كون الولد مقصودا للجملة ولا يلزم ان يكون مقصودا لكل واحد منهم وكلوا الظاهر انه
كلام مبتدا لا معطوف على باشروهن وانما زيد قوله واشربوا اهمالا للدلالة فانه على تقدير
اعمالها لم يبق حاجة الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها لا تنتظم الوقاع وهو لا يجوز ان
يفعل الى طلوع الفجر اذ لا ينقطع اثره المفسد للصوم في الحال بخلاف الاكل والشرب حتى يتبين
لكم التبين بتميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه
اول ما يبدو من نور الفجر المعترض في الافق بالخيط الابيض وما يمتد معه من غبش الليل
بالخيط الاسود اختلف مشايخ اصحابنا في ان العبرة لاول طلوعه ام لاستطارته وانتشاره

قال شمس الائمة الحلوانی الاول احوط والثانی اوسع ونحن نقول ان التشبیه بالخیط للتنبیه
علی ان العبرة لاول طلوعه فلا مساغ للاختلاف المذکور من الفجر بیان لهما ان کونه بیانا للاول
فظاهر واما کونه بیانا للثانی فلانه باعتبار انتهائه الیه واتصاله به لبعد منه ومثل هذا التوسیع لیس
بعزیز ولهذا قدم الخیط الابیض علی قرینه فانه علی تقدیر اختصاص البیان لاحقه التاخیر عنه
ومن هنا اتضح انه لاوجه لان تکون من المذکورة للتبعیض وبالبیان المذکور خرج الکلام من
احتمال الاستعارة والمجاز بدمع ان الاستعارة ابلغ من التشبیه لفقد شرطها وهو تعذر الحقیقة
قال سهل بن سعد الساعدی نزلت هذه الایة حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط
الاسود ولم ینزل قوله من الفجر فکان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهما فی رجلیه الخیط
الابیض والخیط الاسود فلا یزال یاکل ویشرب حتی یتبین له منهما فانزل الله بعد ذلک قوله
من الفجر فعلموا انه انما یعنی بذلک اللیل والنهار وهذا حدیث صحیح عند ائمة الحدیث کالبخاری
ومسلم الا انه غیر مقبول عند ائمة البلاغة لان الکلام المذکور بدون البیان المزبور ساقط
عن درجة البلاغة علی ما نبهت علیه انفا وعند عامة الاصولیین لما فیه تاخیر البیان عن وقت
الحاجة ولا خلاف فی امتناعه عند من لا یجوز تکلیف المحال وانما الخلاف فی التاخیر عن وقت
الخطاب قیل فی تجویز المباشرة الی الصبح الدلالة علی جواز تاخیر الغسل عنه ویلزمه صحة صوم
المصبح جنبا ومبناه الغفول عما قدمناه من اهمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال المذکور علی تحقیق
المنافاة بین اباحة المباشرة الی اخر اللیل ووجوب الاغتسال فیه وذلک غیر مسلم فی اخر جزء
من اجزاء وقت صلوة المغرب ثم اتموا الصیام تمسک اصحابنا بهذا فی جواز النیة بالنهار
فی صوم رمضان ولا وجه له بل هو ظاهر فیما ذکره المخالف حیث قال الله تعالی ثم اتموا الصیام
ولم یقل ثم صوموا ولو لا ما فیه من محذوف الدلالة علی تراخی الشروع فی الصوم عن طلوع الفجر لما
عدل عن الاخصر الی الاظهر الی اللیل بیان اخر وقت الفرض واخراج اللیل عن حده لا یستلزم
اخراجه عن محلیة الصوم مطلقا فلا دلالة فیه علی نفی صوم الوصال ولا تباشروهن المراد
بالمباشرة الوطء والنهی عنه لا لعینه بل لانه سبب للجنابة المانعة لصحة الاعتکاف فانه فی الشرع
لبث المسلم العاقل الطاهر فی المسجد بنیة القربة فینتظم النهی ما فی معناه من الملامسة بالشهوة
مع الانزال وانتم عاکفون فی المساجد معتکفون فیها والعکوف فی اللغة الاقامة بین المباشرة
تحل فی لیالی رمضان لکن لغیر المعتکف فانها تفسد الاعتکاف عن قتادة کان الرجل

یعتکف فیخرج الی امراته فیباشرها ثم یرجع فنهوا عن ذلک وانما زاد قوله فی المساجد
للاشارة الی ان الاعتکاف انما یکون فی المسجد وصیغة الجمع لدفع وهم العهد فیفهم
منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلک اشارة الی ان التقدیرات الواقعة فی الاوامر
والنواهی المذکورة المانعة عن التجاوز عنها حدود الله اصل الحد المنع ومنه الحداد
للبواب وحدود الشرع موانع عن الجنایات وحدود الدار موانع عن الاختلاط
فلا تقربوها نهی اشفاق یتضمن نهی التحریم عن التجاوز عنها علی وجه ابلغ کما فی قوله تعالی ولا
تقربا هذه الشجرة قال علیه السلام ان لکل ملک حمی وان حمی الله محارمه فمن رتع حول الحمی یوشک
ان یقع فیه ومن هنا ظهر وجه النهی المذکور کذلک مثل ذلک التبیین یبین الله ایاته الدالة
علی سائر مشروعاته للناس لعلهم یتقون مخالفة الاوامر والنواهی ولا تاکلوا اموالکم بینکم
نصب علی الظرف او الحال من الاموال تقبیح بلیغ لما کانوا یتعاطونه من المنکر فی ذلک مع
اطلاع بعضهم علی حال بعض بالباطل بالجهة التی لیست مشروعة کما فی العقود الفاسدة
والاکساب الخبیثة واموال الغنیمة قبل القسمة هذا هو الظاهر من قوله اموالکم قیل ای ولا
تاکلوا بعضکم مال بعض ولا یخفی ما فیه من الصرف عن الظاهر بلا داع الیه وتدلوا بها الی
الحکام عطف علی المنهی ای ولا تدلوا او منصوب باضمار ان اذ حینئذ یکون المعنی لا تجمعوا
بین الاکل بالباطل والادلاء الی الحکام والنهی عن الجمع بینهما لا یستلزم النهی عن کل منهما وکل
منهما حرام فحقه ان ینهی عنه منفردا عن الاخر فیفهم منه النهی عن الجمع بینهما بطریق الدلالة علی
اکد وجه وابلغه والادلاء ارسال الدلو فی البئر واستعیر للتوصل الی الشیء لتاکلوا بالتحاکم
فریقا من اموال الناس الفریق القطعة المعزولة من الشیء بالاثم ای بما یوجب الاثم کشهادة
الزور والیمین الکاذبة او ملتبسین بالاثم وانتم تعلمون انکم مبطل وانما قید به لان حصول
الاثم مشروط بالعلم المذکور وقیل ارتکاب المعصیة مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها بالتوبیخ
احق والاول اولی کما لا یخفی روی ان عبدان الحضرمی ادعی علی امرئ القیس الکندی ارضا
غصبا فی یده واختصما الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال لعبدان الک بینة قال لا قال لک یمینه
قال اذا یذهب بارضی فقال النبی علیه السلام لیس لک الا ذلک فحلف کاذبا بالله ما له قبله حق فنزلت
الایة فاقر عبدان ورد ارضه الیه واعطاه ارضا اخری ایضا مکان ما اخذ من غلتها
یسالونک عن الاهلة الاهلة جمع هلال وهو للیلة او للیلتین سمی به لان الناس یرفعون

اصواتهم عند رؤيته روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري سالا فقالا ما بال
الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا
ومن هنا ظهر وجه الاتيان بصيغة الجمع فانهما لما سالا عما في اول الشهر وعما في اخره كان المناسب
ان يعبر عن المسؤول عنه بصيغة الجمع قل هي مواقيت جمع ميقات وهو مفعال من الوقت
معناه ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد
دخول مكة والوقت والمدة والزمان متقارب لكن المدة المطلقة اوسعها فانها امتداد
حركة الفلك اي اتصالها من مبدئها الى غايتها والغاية مقسومة من مطلق المدة والوقت
الزمان المفروض لعمل للناس والحج اي لما يتعلق به من امور المعاملات ومصالحهم ونبه
بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن ذكر اعظمها اثرا فان الحج يراعى في ادائه
وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التي لا يصير في قضائها وقت معين كان
السؤال عن السبب العادي لاختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه واجب على اسلوب
الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف للتنبيه على ان المناسب لحال السائل ان يسال
عن ذلك لا عن السبب لانه ليس مما يطلع عليه بسهولة لابتنائه على معرفة مسائل من دقائق
علم الهيئة وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى لما
بين انهم عكسوا الحال في السؤال عن حال الهلال مثل حالهم في السؤال عما لا ينبغي بحالهم في
الاحرام بالحج وجريهم على ما يجب ان يمنعوا عليه وهو ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم
يدخلوا بيتا من البيوت من بابه فان كانوا من اهل المدر نقبوا نقبا في ظهر بيتهم منه يدخلون
ويخرجون او اتخذوا سلما يصعدون فيه وينزلون وان كانوا من اهل الوبر دخلوا وخرجوا
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر الاتقاء من محارم الله وهذا
مع كونه نهيا لهم عن عادتهم الردية في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته
بيان لتعكيسهم في السؤال وهو ان يتركوا ما يهمهم ويسالوا عما لا يعنيهم اي ما انتم في سؤالكم
عن سبب نقصان الاهلة وكمالها وترككم ما يهمكم من فوائدها الا كونكم متحرجين عن دخول البيوت
من ابوابها واتيانكم من ظهورها حاسبين ذلك برا ما هو من البر في شيء وترككم التحرج عما
يجب عليكم اتقاؤه واجتنابه وهو البر ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي باشروا الامور
من وجوهها والمراد توطين النفس عن ترك الفضول من السؤال والفعال واجتناب ما يجب

اجتنابه

اجتنابه والتزام ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة فان في السؤال امارة الشك واتقوا
الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالبر وقاتلوا في سبيل الله
اي جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه والقتال محاولة القتل ممن يحاوله والقتل ابانة
الحيوة الذين يقاتلونكم عن الربيع بن انس رضي الله عنه هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف اي قاتلوا الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين فعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم
القتال دون غيرهم كالشيوخ والنساء والصبيان والرهبان او الكفرة كلهم لانهم اعداء المؤمنين
قاصدين لقتالهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا فيكون غير منسوخ وقيل لما صد المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا
له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويقاتلونهم في الحرم
وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت اطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فيها ولا تعتدوا
بابتداء القتال على الاول والرابع او بقتال غير المناصبين كالشيوخ والصبيان والنسوان
والرهبان والذين بينكم وبينهم عهد على الثاني او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة على الثالث
ان الله لا يحب المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهم في معرض المؤاخذة بسبب الاعتداء
واقتلوهم حيث ثقفتموهم في حل او حرم تقول ثقفته اثقفه ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله تعالى
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وقول الشاعر فاما تثقفوني فاقتلوني فان اثقف فسوف ترا ني
بالي واما الحذاقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل من باب التعميم
لاندراج الخاص فيه اي المحنة والبلاء الذي يتعذب به الانسان اشد عليه من القتل قيل
لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن
والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من
قتل بحد فراق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل وهتك حرمة المسجد الحرام
والمسجد الحرام الحرم كله قال الله تعالى وصدكم عن المسجد الحرام وانما صدوهم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه
الى هنا بعبارة فيه دون عنده للدلالة على انه لا رخصة للقتال بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل
لا بد في اول الامر من الالتجاء اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا فلهم ان يقاتلوهم

بعد ذلك وهذا رعاية حرمته مهما امكن وفيما تقدم اتى بعند دون فيه لان النهي عن القتال
عند المسجد الحرام يستلزم النهي عن القتال فيه بدون العكس فكل من العبارتين اصاب محزها
فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغاية
وبشارة بالغلبة حيث قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان
قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان كذلك جزاء الكافرين مثل
ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف
ويرحمهم في المؤتنف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة عدوان ولتفسيرها بالشرك يأباه العطف بالواو
في قوله ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن العدوان والفا
للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عدوان الا عليهم فاراد ان ينبه على قبح العدوا
وانه ظلم وان مقاتلة المنتهين عدوان فحصر العدوان في اضدادهم وسجل على ان العدوان
ظلم ووضع الظالمين موضع ضمير العادين فدل بالفحوى على ان المنتهين هم العادلون الذين
لا عدوان عليهم ويسمى القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته ههنا على اعتبار المقدر لما عرفت
ان تقديره وان انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فيه
وكراهتهم القتال الشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر فهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم واكد معنى القصاص بقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاعتداء مجاوزة حد ما وذلك قد لا يكون مذموما
بخلاف الظلم فانه وضع الشيء في غير الموضع الذي يحق ان يوضع فيه وهذا في كل حال مذموم فلا
يقال من ظلمك فاظلمه الا بطريق المشاكلة بخلاف ما في الآية المذكورة واتقوا الله في حال كونكم
منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع اسباب المعاش فان المال وقاية النفس فتضييعه يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو
والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري

رض

رض نحن اعلم بهذه الآية فانها نزلت فينا حين رجعنا الى اصلاح الاموال وتركنا القتال بعدما
فشا الاسلام وكثر اهله والهلاك انتهاء الشيء في الفساد وبه سمي الموت هلاكا عن ابي عبيدة التهلكة
والهلاك والهلك واحد والالقاء اطلاق الشيء الى جهة السفل ونقيضه الامساك وتعديته بالى
لما فيه من معنى الانتهاء والمراد بالايدي الانفس فان اليد يعبر بها عن النفس كما في قوله تعالى تبت
يدا ابي لهب والباء مزيدة واحسنوا اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على المحاويج ان الله يحب
المحسنين يريد بهم الخير واتموا الحج والعمرة لله انما قال فيهما اتموا كما في الصوم دون اقيموا كما في
الصلوة تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم اتمامهما بعد النية كما يلزم اتمام الصوم
بعدها بخلاف الصلوة فانها لا تجب بالنية فلا يلزم اتمامها بعدها بل يجوز ان يترك ومن ههنا
اتضح وجه تخصيص هذه الثلاثة من بين العبادات بالامر بالاتمام ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة
الانيقة قال في تفسيره ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك فدلالته على من شرع فيهما لزوم اتمامهما
من جهة الاركان والشرائط ونقول ان العمرة تجب بالشروع وكذا الحج مطلقا انما يجب به
فلا متمسك فيها لمن قال بوجوب العمرة وقراءة واقيموا الحج والعمرة شاذة فلا تصح حجة وما روي
جابر رض انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر واخير لكم نص في هذا
الباب ولا يعارضه ما روي ان رجلا قال لعمر رض اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك لان الاثر لا يعارض الخبر على انه ليس في ترتيب كلام الاهلال
على الوجدان بل الظاهر منه بيان سبب الوجدان على سبيل الاستيناف لله لوجه الله تعالى وعن علي
وابن عباس وابن مسعود ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا وقيل
ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية وقرئ والعمرة لله
على الابتداء فان احصرتم اي منعتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة • وما هجر ليلى ان تكون تباعدت •
عليك ولا ان احصرتك شغول • ويقال حصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن هذا هو الاكثر في
كلامهم وقد نص عليه الخليل حيث قال الحصر الحبس والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك
لمرض او عجز ويوافقه قول الكسائي وابو عبيدة وقال الفراء وابو عمرو الشيباني هما بمعنى المنع
في كل شيء مثل صده واصده وعن جماعة من الصحابة رض من كسر او عرج فقد احصر وهو مذهب
اصحابنا وقال الشافعي لا يكون الاحصار الا عن عدو فان احصار النبي عليه السلام واصحابه رض

كان بالعدو ولانه تع قال فاذا امنتم وذلك زوال خوف العدو قلنا العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص
السبب واللفظ لا فقلنا لغة والامن يكون عن العلل ايضا قال النبي عليه السلام الزكام امان من
الجذام فما استيسر من الهدي في محل الرفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او النصب على فاهدوا ما
استيسر واستيسر بمعنى تيسر كاستيقن وتيقن واستعجل وتعجل كذا قالوا والظاهر ان زيادة
السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة لان الهدي من الثلاث من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة
والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي يسر عليه حيث حصر عند الشافعي رح فان النبي
صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل وعند ابي حنيفة لا يذبح الا بالحرم يبعثه
ولا يتحلل حتى يبلغ محله ويتعين المبعوث على يده يوم امارة ويدل عليه قوله تع ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فان بلوغ المحل يدل على مسافة بين موضع الحصر وبين المحل وكذا
قوله تع والهدي معكوفا ان يبلغ محله والخطاب في ولا تحلقوا للمحصرين اي ولا تحللوا حتى
تعلموا بلوغ الهدي محله ومحله مكانه الذي يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين وهو الوقت الذي
يجب فيه قضاؤه وانما نحر الرسول عليه السلام في موضع الاحصار لان محصره كان طرف الحديبية
الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة
وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم فمن كان منكم مريضا الفا للتعقيب
وفائدتها دفع ذهاب الوهم الى العطف على ان احصرتم على تقدير التصدير بالواو فانه يلزم
اخراج المريض عن حد المحصر ولا وجه له والخطاب في منكم للذين يبعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى
من كان بعد البعث مريضا يحوجه الى الحلق والتنكير للتقليل فينتظم المرض المرخص في الراس من
الجراحة والقرحة او به اذى هو ما يؤذيه اي يتعبه ويشق عليه من بخار في الراس وقمل والتقسيم
للثاني قال من راسه اي من جهتها دون في راسه ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او
صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة اذ
مر عليه والقمل تتهافت في وجهه لعلك آذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم
ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك بشاة والفرق ثلاثة اصوع واو
للعطف على وجه التوزيع وبيان عدم خلو الواجب عن احد الانواع الثلاث المذكورة للفدية
والتخيير يلزم هذا البيان ضرورة لا لانه معناها الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة واختير

الجمع بها للتعدد انواعها وقرئ او نسك بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداية بالاشق وهو النسك
وانما عدل عنه بالبداية بالصيام تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك باظهار العناية
والاهتمام في شأن الصيام بتقديمه على الباقين والتقديم لا يخلو عن التعظيم فاذا امنتم الاحصار
او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة
الى وقت الحج انتفاعه اذا احل من عمرته من الهدي فعليه دم بسبب التمتع هو هدي المتعة وهو نسك
عند ابي حنيفة لا يذبحه الا يوم النحر ويأكل منه وجبران عند الشافعي يجوز ذبحه اذا احرم بحجه لان
السبب هو التمتع ولا يتحقق الا به ولا يأكل منه لانه دم جناية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة
ايام اي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة
في وقت الحج اي في اشهره ابين الاحرامين وافضله اليوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز
ايام النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم
وفرغتم من اعمال الحج وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على
محل ثلاثة ايام اذ تقديره فصيام ثلاثة تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها امران احدهما ان
يعلم جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب قال الفرزدق ثلاث واثنتان فهن
خمس والثاني ان ينفي توهم الاباحة فان الواو قد تجئ لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين
ويرد على الاول انه لا يناسب بلاغة القرآن لان المراعى فيها مقتضى المقام نظرا الى الخواص
دون العوام وعلى الثاني ان الاباحة موجب صيغة الامر والواو للتشريك في الحكم فقط واما
ارادة الكثرة من السبعة دون العدد فلا يذهب اليه وهم عند ذكرها من الثلاثة فلا حاجة الى
دفعها وعندي ان صيام ثلاثة ايام لما كان قبل تعذر الاصل ودخول وقته احتمل ان يذهب
الوهم الى عدم اعتباره في اصل البدل فاتى بالفذلكة المذكورة دفعا لذلك الوهم كاملة صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدة او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد
وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي كذا قيل واوجه الاوجه انها مقيدة
تفيد كمالها في الثواب والاجر ودفع ذهاب الوهم الى ان صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في
الاجر للتفاوت في زمانها ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واكثر الائمة لانه مختص بالآفاقي
عندهم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية والى الحكم
المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يسكن ثمة وانما ذكر الاهل

واستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم
بالحج وقيل التقرب بها الى الله قبل
الانتفاع بتقربه الى الحج فما استيسر

لان الظاهر ان الانسان يسكن حيث يسكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكونه نفسه وقد مر ان المسجد الحرام هو الحرم كله وحاضرو المسجد عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله داخل الميقات وعند الشافعي اهل مكة ومن كان من الحرم على مسافة القصر عنده وعند مالك اهل مكة واهل ذي طوى واتقوا الله لما تقدم اوامر ونهي وواجب ناسب ان يختم ذلك بالامر بالتقوى في ان لا يتعدى احده ثم اعلم بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب شدة عقابه على المخالفة الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران لما امر باتمام الحج والعمرة ثم اقتصر على بيان وقت الحج علم منه بطريق البيان السكوتي وقت الحاجة ان العمرة غير موقتة وهذا من جملة وجوه الايجاز الذي ارتقى به القران الى درجة الاعجاز ومن لم يتنبه له الناظرون فيه معلومات هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة خلافا للشافعي في يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الخلاف ان المراد من وقته وقت افعاله او وقت احرامه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما لم يسمها باعيانها لانها كانت معروفة عندهم على ما توارثوه الاانهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على انها اي اوقاته دون غيرها والاشهر على الحقيقة وانما التجوز في جعل بعض الشهر شهرا او اطلاق الجمع على ما فوق الواحد فلا يناسب المقام لما فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من حد الحرام ثم ان الاستدلال على الاطلاق المذكور بقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس من المتنازع فمن فرض فيهن الحج الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه انما الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية معها او من سوق الهدي ولا دلالة فيه على خروج يوم النحر من وقت الحج لان معنى من فرض فيهن من فرضه في كل من الاشهر المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها نعم فيه دلالة على كراهة تقديم الاحرام عليها فانه لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله تعالى اتموا الحج والعمرة بظاهره فلا رفث فلا جماع فانه مفسد للحج وقيل لا فحش في الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة بالسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق ولا جدال ولا مراء ولا شقاق مع الرفقاء والخدم وغيرهم وانما نهى عنه في الحج مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة في الحج في اثنائه اداء مناسكه بعد الاحرام وانما نفي الحقيقة في الثلاثة المذكورة للمبالغة في النهي اي فلا يكونن هذه الاجناس واذا وجب انتفاؤها وكانت حقيقة بان لا تكون لزم الانتهاء عنها ضرورة

وفي الاولين بالرفع على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخر بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الجدال اي الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب في الحج فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب بعرفة وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه سنة وهو النسيء فرد الوقوف الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير التنكير للتقليل يعلمه الله حث على الخير بعد النهي عن الشر ومبناه على الكناية بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد عن ترتب الجزاء عليه ولا يخفى ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق المقام والمراد من الخير بقرينة سياق الكلام ان ياتوا بالكلام الحسن مكان القبيح وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان السباب والتنابز وبالوفاق ومحاسن الاخلاق مكان الجدال ويجوز بقرينة لحاق ان يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم في الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا ويكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد الاجتناب من ذلك واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب ايها الذين منت عليهم بالعقول التي هي افضل ما جعل في الخلق فان لب الشيء هو خالصه اي جعلت فيكم العقول التي هي الات التمييز والتدبر فيسهل معها التقوى والتفكر ليس عليكم جناح حرج ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم زيادة عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منها فنزلت فرفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة الواجبة فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء اي صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترك في موضع دفعوا من موضع كذا وصبوا والفاء للتعقيب لما بين وقت الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه وما ابيح فيه عقبه ببيان ما يجب ان يفعل بعد الفراغ من اقامة ركنه وهو الوقوف من عرفات علم للموقف منقول عن الجمع كاذرعات والظاهر انه جمع عرفة جمع عارف والا فهو من الاسماء المرتجلة اذ لا يعرف العلم في اسماء

الاجناس منصرف لان تاءه مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة التانيث
واما التانيث المعنوي فمقدر باعتبار المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية
فلا تمنعه الصرف وحدها وانما سمي الموقف بها لان ادم عليه السلام وحواء التقيا فيه فتعارفا
والناس يتعارفون فيه وكان جبريل عليه السلام يدور بابراهيم عليه السلام في المشاعر اراه اياه
فقال عرفت وقيل وصف له عليه السلام فلما راه عرفه وليس هنا دليل على وجوب الوقوف فيه
فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعاء وقيل بصلوة المغرب والعشاء
فانهما يجمعان بالمشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل ما بين جبلي
المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر والصحيح
انه الجبل لما روى جابر رض ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم للعبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر
ومتصلة به عند المشعر واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها او اذكروه
كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين
الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا
من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس
بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم فليس فيه ايجاب الافاضة حتى يدل على
وجوب الوقوف بعرفة بناء على ان الافاضة لا تكون الا بعده بل بيان اختصاص مشروعيتها
بالوجه المذكور وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسِ بالكسر اي
الناسي يريد ادم عليه السلام من قوله تع فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من تخالفكم في الموقف وغيرها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور ر
يغفر الذنوب رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل احسانه الى بابه ويرحمهم في جزيل ثوابه ولهذا اتى
ولتضمنه الترتيب المذكور اتى باداة السببية في قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا اتممتم امور حجكم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله ذكرا كثيرا وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اباءكم وكانت العرب

اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى والجبل ويذكرون مفاخر اباءهم ومحاسن ايامهم فنزلت اي
اكثروا ذكر الله ودعائه ولا تطلبوا بالذكر اغراض الدنيا كالذاكرين اباءهم او اشد ذكرا في موضع
الجر عطف على الضمير المضاف اليه الذكر في قوله كذكركم اي وكذكر قوم اشد ذكرا من ذكركم اباءكم وموضع
النصب عطف على اباءكم اي او اشد ذكرا من اباءكم على انه من الفعل المبني للمفعول اي مذكورا به
ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا مثل ذكركم او ذكرا اشد ذكرا من ذكركم
اباءكم على ان الذكر ذاكرا اشد من ذكرهم كقولهم جد جده وشعر شاعر واو هنا ليست للتخيير بل للنقل
عن الاول الى ما هو اقرب وقاسمه فمن الناس من يقول الخ مسبب عن تقسيم متضمنه الكلام
السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين الله والمفيضين من المزدلفة الذاكرين
لاباءهم فعقب القسم الثاني بانهم الطالبون لحظوظ الدنيا واما القسم الاول الجامعون بين الامرين
فاولئك لكسلهم اهل الفلاح والفوز ربنا اتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا في الدنيا خاصة وماله في
الاخرة من خلاق الخلاق النصيب للانسان من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد به
النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد ههنا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
من الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة من الثواب والكرامة والقربة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة اولئك اشارة الى الفريق الثاني او اليهما لهم نصيب النصيب في الاصل
المنصوب وجعل السهم المفرز نصيبا مما كسبوا اي من جنسه من الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن
في الاخرة والمنافع الحسنة في الدنيا او من اجل ما كسبوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه في
الاخرة لان الدعاء من الاعمال الحسنة والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا على ما
تقتضيه مشية الله وحكمته والله سريع الحساب وعيد اي سريع حسابه للخلائق مع كثرة اعدادهم
واعمالهم لكمال علمه وقدرته فيجب الحذر منه او حث على العبادة اي سريع وقوع حسابه يوشك ان
يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا الى اكثار الذكر وطلب الاخرة واذكروا الله في ايام معدودات
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعند ذبح القرابين
وغيرها فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق
قبل طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر اي في النفر حتى رمى
اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم عليه قال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه قبل الزوال وهو مخير بين النفرين
فلذلك سوى بينهما بنفي الاثم عن صاحبهما وفيه رد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم

من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه حذر متحرز عن كل
ما يريبه او لانه هو الحاج على الحقيقة عند الله واتقوا الله في المحافظة على هذه الاحكام ليعبأ
بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي اليه لا الى غيره حشركم ويجازيكم على حسب تقواكم
واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس من يعجبك يروقك ويعظم
في نفسك قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ومعنى اعجبني كذا ظهر لي
ظهورا لم اعرف سببه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي القول في شان الدنيا وشانه ان مراده
احراز حظوظ الدنيا لا ثواب الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة وقيل يعجبك
اي يعجبك في الحيوة الدنيا لفصاحته وحلاوته لا في الاخرة لما يرهقه هناك من الحبسة واللكنة
او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه ويحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من
المحبة والاسلام وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان
الخصام بمعنى المخاصمة كقولهم ثبت الغدر او انما وصف بكونه الد للمبالغة وجعل خصامه لشدته
كانه في نفسه خصم الد وقيل جمع خصم كصعب وصعاب اي هو اشد الخصوم خصومة روي انها نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي
الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى سعى التولي الانحراف عن الشيء الى جهته والسعي الاسراع
في المشي اي اذا انصرف عنك وذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعل الاخنس بثقيف وقيل
اذا صار واليا فعل فعل ولاة السوء من الافساد والظلم ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما
بان يمنع الله القطر بشؤم ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصله الشق
والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب كناية عن البغض فيفيد
وعيدا بليغا ويتضمن التعليل لما سبق على المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج الشيء عن حالة
محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه في
فعله فسادا فهو بالاضافة الينا والاعتبار بنا فاما بالنظر اليه فعله صلاح واذا قيل له اتق الله
اي اذا خوف هذا المنافق بالله اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة على ذلك من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة التي فيه حمية الجاهلية
والنزع حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي ينهى عنه لجاجا واصرارا وعلى رغم الواعظ ورد
قوله فحسبه جهنم اي كافيه جزاء جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم اسم علم للنار وهي ماخوذة من

قوله

قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وامتنعت من الصرف للتانيث والعلمية بين ان جهنم
نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على حال جهنم بقوله ولبئس المهاد جواب قسم محذوف وحذف
المخصوص بالذم للعلم به والمهاد ما يوطأ للجنب ويهيأ للنوم ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها
للجهاد او امر بالمعروف ونهي عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلب رضاه والله رءوف بالعباد
اي هو في غاية الرحمة لهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم من اعدائه بذكر
المحمود من اوليائه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاسلام
والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كانهم كفوا باجتماعهم عن ان يخرج منهم احد حال من فاعل ادخلوا
او من السلم وتاؤها بعد النقل لم تبق للتانيث والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جميعا ظاهرا وباطنا
على ان الخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها على ان الخطاب
للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ايتعلق بقوله انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم اصل الزلل في القدم يقال زل يزل زلا وزللا اذا دحضت
قدمه ثم استعمل في الاعتقاد والراي بطريق الاستعارة من بعد ما جاءتكم البينات الحجج والشواهد
على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل
وان كان يمهل على ما تقتضيه الحكمة هل ينظرون ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره
لقوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك وانما اسند الاتيان اليه تعالى تعظيما وتهويلا
تنبيها على انه ياتي الامر الذي لا يدافع كان امره هو لوجوده واكد التهويل وشدة العذاب ببيان
اتيانه من الغمام الذي هو مظنة الرحمة لكونه اقطع فان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان
اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولهذا
كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل
وهي ما يستظل به وقرئ ظلال جمعها كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام قال الثعالبي في سر الادب
اول ما ينشا هو النشء فاذا انسحب في الهواء فهو السحاب فاذا تغيرت له السماء فهو الغمام انتهى فالغمام
اقوى من السحاب ظلمة فكان انسب لعبارة الظلل من السحاب والملائكة وقرئ بالجر عطفا على ظلل
او الغمام وقضي الامر اي قضي امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي عن المستقبل لدنوه او تيقن
وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرئ على البناء للمفعول على
انه من الرجع وعلى البناء للفاعل على انه من الرجوع سل بني اسرائيل بحذف الهمزة في الكلام المبتدا

وثبت في العطف مثل قوله واسال القرية والسوال للتقريع والخطاب لكل احد او للرسول عليه
السلام كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة على صحة
دين الاسلام وحقيته وكم خبرية او استفهامية للتقرير ومحلها النصب على المفعولية او الرفع
بالابتدا على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اياته اذ هي
اجل نعمة من الله بان يجعلها اسباب الضلالة وهي اسباب الهدى والنجاة عنها لقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم او بحرفها كما حرفوا الايات الدالة على دين محمد عليه السلام من بعد ما جاته من بعد
ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اعظم جريمة
والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في اثار عقبه زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل ولهذا جا في اوصاف الدنيا
دون اوصاف الاخرة والمزين في الحقيقة هو الشيطان فانه حسن الدنيا في اعينهم وحببها اليهم
وقراة زين على البنا للفاعل والحيوة بالنصب على الاسناد المجازي فانه تعالى امهل المزين فجعل
امهاله تزيينا او زينها حتى استحسنوها واحبوها ومن قال المزين على الحقيقة هو الله اذ ما من
شي الا وهو فاعله اخطا في المدعى وما اصاب في الدليل اما الاول فلان التزيين صفة تقوم
بالشيطان والفاعل الحقيقي لصفة ما يقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول هذا
القائل في الكفر والضلالة فان فاعل القيام حقيقة هو القائم الذي يتصف به لا خالقه
واما الثاني فلان مبناه عدم الفرق بين الفاعل النحوي الذي كلامنا فيه والفاعل الكلامي
الذي بمعزل عن هذا المقام ويسخرون من الذين امنوا اي يهزؤن من فقرا المومنين الذين
لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على الاخرة
قال القرطبي يقال سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزئت منه وهزئت به
كل ذلك يقال حكاه الاخفش والاسم السخرية والذين اتقوا اي الذين اتقوا الدنيا واختاروا
الفقر من المومنين هم اهل الزلفى والكرامة عند الله وضع موضع الذين امنوا لانهم يسخرون
منهم دون الاغنيا تنبيها على انهم اهل السعادة الكبرى عند الله وتحريضا للمومنين على التقوى
فوقهم يوم القيمة لانهم كانوا في درجات الجنة وهم في دركات النار فينا دونهم ان افيضوا علينا
من الما او مما رزقكم الله والله يرزق من يشا يعني في الدنيا لان مساق الكلام فيه بغير حساب

بغير

بغير تقدير او يوسع بحسب الحكمة والمشية التابعة له على عباده فمنهم من يكون التوسعة
عليه استدراجا كهولا الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من يكون التوسعة عليه كرامة له
كاغنيا المسلمين وسليمن وداود وامثالهم كان الناس امة واحدة على الفطرة متفقة على دين
الاسلام فيما بين ادم ونوح قيل فيما بين ادم وادريس قال القرطبي وفيه نظر لان ادريس بعد
نوح على الصحيح وقيل هم نوح ومن معه في السفينة فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث
الله فحذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراة عبد الله فاختلفوا
فبعث الله ولقوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة
الاختلاف لم يبق احتمال لان يكون المراد من الامة المذكورة المتفقين على الجهالة والكفر
مبشرين من اطاع ومنذرين من عصى وانزل معهم الكتاب اي الكتب واسم الجنس يصلح
للجميع ومعهم حال مقدرة من الكتاب فيتعلق بالمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل
مع كل واحد منهم كتاب يخصه لان اكثرهم لم يكن له كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من
قبلهم لان المعنى مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير
العائد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب المخصوص لمن معه لا يشمل الاحكام كالزبور
فلا يصلح ما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق ليحكم
بين الناس اي النبي الذي معه الكتاب فيما اختلفوا فيه من امر الدين وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب
حتى كان الاختلاف الاول بالنسبة اليه كلا اختلاف او ما كان الاختلاف الا الذي حدث
بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاق في جنبه لشدة عنادهم من بعد ما جاتهم
البينات الدلائل الشاهدة على حقية الدين المتفق عليه بغيا بينهم حسدا وقلة انصاف منهم
بحرصهم على الدنيا وتهالكهم فهدى الله بسبب تلك البينات الذين امنوا منهم لما اختلفوا فيه من
الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بتيسيره وتوفيقه اياهم والله يهدي دون غيره من يشاء
من اهل العناية بمقتضى الحكمة الى صراط مستقيم صراط لا يعرف كنهه وهو طريق التوحيد ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان كالظن يستعمل في المترجح
لما ذكر الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجي البينات وانكارهم تشجيعا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين واغرا لهم على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين

وأهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له خاطبهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة ولما للتوقع في النفي كقد في الاثبات ومعناها
ان اتيان ذلك متوقع ومنتظر ولم يقع بعد مستهم بيان للمثل على الاستيناف البأسا الشدة من
الخوف والجوع والفاقة والضرا الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها
بالزلزلة مما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول لتناهي الشدة وتماديها في العظم بحيث تقطعت
حبال الصبر الرسول مع كونه في كمال الثبات والصبر وضبط النفس والوقار الى غاية لا يقدر قدرها
والذين امنوا معه الصابرين في البأسا والضرا وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال وهي حكاية
حال ماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال متى نصر الله معناه استبطا النصر وطلبه
وتمنيه واستطالة زمان الشدة الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم
اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر واعطا سؤلهم يسألونك ماذا ينفقون لما نزل قوله تع من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا جا عمرو بن جموح الانصاري وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
كم ننفق وعلى من ننفق فنزل جواب السؤالين في ايتين من هذه السورة جواب قولكم ننفق
في قوله قل العفو وجواب قوله على من ننفق في قوله قل ما انفقتم من خير اي شيء انفقتم من مال
والمال يسمى خيرا قال الله تع لا يسأم الانسان من دعا الخير وقال وانه لحب الخير لشديد وانما سماه
خيرا ههنا لانه مذكور في موضع الصرف الى الخير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل بدأ في المصرف بالاقرب ثم الاحوج فالاحوج وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به
عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل اعم من الانفاق وغيره
سألوا عن خاص واجيب بخاص ثم اتى بالعموم في افعال الخير قيل كان هذا للايجاب ونسخها الامر
بالزكوة وقيل كان للاستحباب وهو باق كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد وهو كره لكم
من الكراهة لقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع
الوصف للمبالغة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه
لكم وقرئ بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف وبمعنى الاكراه على سبيل المجاز
كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق العبودية اذا فعل ذلك
اتباعا للشرع مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد فهو من صفات المنافقين وبه يقوله وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم بالعطف وجه على ان اكتب عليهم

من القتال خير لهم واوضح دلالة وهي انه اذا جاز ان يكون منهم كراهية لامر وفيه الخيرية فيجوز ان
يكون كراهتهم لما كتب عليكم من القتال كذلك واذا جاز ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فيجوز ان يكون محبتكم
لما اجتنبتموه ثم التزم به على ان هذا الجائز كونه عندكم واجب كونه في نفسه لقوله والله يعلم وانتم لا
تعلمون وقد قضى بان ذلك خير واذا كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه فالخير تجب ارادته
والشر تجب كراهته والمحبة ميل النفس الى ما تراه وتظنه خيرا والارادة لا يلزمها ظن الخير ولهذا قيل
ان تحبوا دون ان تريدوا ولم يراع حق المقابلة مع قوله ان تكرهوا وعسى كلمة تجري مجرى
لعل وهي من العباد للترجي ومن الله تع للترجية قيل جميع المكلف به من قبيل الاول وجميع المنهي
عنه من قبيل الثاني وفيه نظر يسألونك عن الشهر الحرام نزلت في اول سرية في الاسلام اغاروا على عير
لقريش قافلة من الطائف وقتلوا عمرو بن عبد الله الحضرمي اول يوم من رجب وهم يظنونه من
جمادى الاخرة فعيرتهم اهل مكة باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفائدة الابدال ان في
ذكر الشهر اولا تنبيها على ان السؤال عن القتال لاجل الشهر لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير
والاكثر انه منسوخ بقوله تع فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطا ولا وجه لمنع
دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا بنا على ان النكرة في حيز الاثبات لا تعم
لانها اذا لم تكن موصوفة وقد مر ما يؤيد هذا وصد الصد ناحية الشعب والوادي المانع
للسالك وصده عن كذا كانما جعل بينه وبين ما يريده صدا يمنعه والصديد ما حال بين الجلد
واللحم من الدم والقيح كذا قال الراغب عن سبيل الله اي ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اي الله تع عطف على صد وقد عطف عليه قبل تمام المعطوف عليه لشدة الاعتنا عند
ذكر الله تع بان الكفر به اكبر الكبائر وامها والذي اندرج فيه جميع الكبائر والا كان حقه ان
يؤخر عن قوله والمسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه من تمام قوله وصد عن سبيل الله واخراج اهله
منه اكبر عند الله خبر عن الاشيا المعدودة وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد
الحرام وكفرهم واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اكبر
عند الله مما فعلته السرية على سبيل الخطا والبنا على الظن والفتنة اكبر من القتل وما ارتكبوه
من الصد والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم اي يداومون
على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى يردوكم عن دينكم حتى للتعليل كما في قولك اعبد
الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه

ان ظفرت بي فلا تبق علي مع وثوقه بانه لا يظفر به وايراد ان في موضع اليقين للتهكم و
البناء على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ومن يرجع منكم عن دينه
الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اياه اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم اى
حسناتهم لانها هي الاعمال في الحقيقة اذ السيات مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع
به لم يعمل شيا في الدنيا لفوات ما لهم من المسلمين من ثواب الاسلام باحداث الردة وفي الاخرة
لفوات ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا بالموت عليها والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها
من اكل الكلا واستعير لفساد العمل واولئك اصحاب النار ملازموها يقال فلان صاحب فلان
اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اى دائمون فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها ثم الطاعة
تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تع ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط
وقال الشافعي شرط وتمسك بهذه الاية قلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر في هذه
الاية من حبوط العمل والخلود في النار وبه نقول كذا قيل وياباه تكرير اولئك لما فيه من الدلالة
على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب ان يقال
انما اعتبر الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا فانه ما لم يستمر على الردة الى اخر الحيوة لا يحرم عن
ثمرات الاسلام ان الذين امنوا نزلت في السرية المذكورة لما قال بعض الناس فيهم ان لم
يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اى من مكة الى المدينة وقيل اى فارقوا اعمال
السوء واصحابها والاول كان فرضا فنسخت فرضيتها والثاني فرضيته باقية وجاهدوا في
سبيل الله اى قاتلوا الكفار وقيل اى استفرغوا المجهود في طاعة الله وتكرير الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله في الدنيا والاخرة
نفعا ورفعا ودفعا وفي عبارة الرجا ملوح لهم باستقصارهم اعمالهم واستحقارهم اياها خائفين
رده راجين قبوله قال الله تع والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوا خطا
وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب لا لايصال الى حسن الماب يسالونك عن الخمر والميسر روي انه
نزلت بمكة شرفها الله تع قوله تع ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون
يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر
فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
اخرون والخمر ما خمر العقل اى ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه الخمار لما يستر الراس وقال

ابن الانباري سميت خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه قال عمر رض في خطبته ايها الناس فانه
نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير والميسر القمار وقال الازهري
الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزى اجزاء فكانه موضع التجزية وكل شيء
جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزى لحم الجزور قل فيهما لما كان منشأ للاثم وسببا للمنافع جعلها
منبعا له ومعدنا لها تنبيها على قوتها في المنشئية والسببية فلا حاجة الى تقدير المضاف بل لا وجه
له عند البلغاء فلا دلالة في هذا على ان السوال عن تعاطيهما اثم الاثم ما يستحق فاعله العقاب فتخصيص
بما يكون عمدا ابر تدرك ليه ذكره في قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما في مقابلة الخطيئة كبير من حيث
انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع من الطرب والالتذاذ وكسب
المال ومصادفة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة للناس
في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما تحته من الاصناف والافراد وفيه وفي جمع المنفعة تمهيد
لتعظيم الاثم فيهما ضرورة ان تعظيم المفضل عليه يستلزم تعظيم المفضل واثمهما اكبر من نفعهما يعني ان
الاثم المترتب على المفاسد التي تنشا من كل منهما اعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه
الاية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيهما اثما وقد حرم الله تع الاثم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما
ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصف ما فيهما من الاثم بالكبير والكبير منه حرام بلا خلاف وقول الحسن
وان كان مخالفا لما روي فيما سبق ويسئلونك ماذا ينفقون قد مر ان سائله ايضا عمرو بن جموح
قل العفو نقيض الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع كذلك يبين
الله لكم الايات اى مثل ما بين من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف وتوحيد
العلامة على تاويل القبيل لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة يتعلق بتتفكرون في امر الدارين وما هو
اصلح لكم فيهما فتختارونه وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ويسالونك عن اليتامى الحال
تشهد بان السوال ليس عن اعيانهم بل عن كفالتهم ومخالطتهم والافصاح بامثال هذه تخالف عن طريق
البلاغة لانه لا تخلو عن غباوة للمتكلم او تغبية للمخاطب وسوء ادب وكلام الله تع مبرأ عن كل هجنة
روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجافوا عن اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام
بمصالحهم واموالهم والاهتمام باحوالهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وعلى هذا السوال في سبب النزول فالوجه ما قاله مقاتل من ان المسلمين لما اشفقوا من مخالطة
اليتامى فعزلوا بيت اليتيم وطعامه شق عليهم فقال ثابت بن رفاعة للنبي عليه السلام فانزل الله في اليتيم

ما نزل فعزلنا مالهم والذي لهم وعزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا يجد سعة فهل تصلح
لنا مخالطتهم فيكون البيت والطعام واحدا لا نرزؤهم شيئا الا ان نعود عليهم بافضل منه فنزل قوله
قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والخلط الجمع بين اجزاء شيئين سواء كانا
متميزين او غير متميزين فهو اخص من المزج والله يعلم المفسد من المصلح والله يميز المخالط بالافساد من المخالط
بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه فلا تقصدوا في مخالطتهم الا الاصلاح ولو شاء الله إعناتكم
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ومنعكم عن المخالطة فوقعتم في الحرج ان الله عزيز غالب يقدر
على الاعنات حكيم لا يكلف الا ما يسع طاقتهم ويصلح حالهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات والمشركة تعم الكتابية لقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات
الذميات لقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في عموم هذه الاية
روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال
نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره عليه السلام فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
يعني ان المؤمن ولو كان معه خساسة الرق خير من الكافر ولو كان معه شرف الحرية فان شرفها
لا يجدي نفعا مع الكفر ودناءة الرق لا تضر مع شرف الايمان ولو اعجبتكم جملة اعتراضية وجواب
لو محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذا ولو اعجبكم اي ولو اعجبتكم المشركة بحسنها كانت المؤمنة مع
ذلك خيرا لكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم وضع اللازم مقام الملزوم في الموضعين للتنفير والترغيب فقال اولئك
اي المشركون والمشركات يدعون الى النار اي الشرك المستلزم لدخول النار فحقهم ان لا يوالوا
ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي الايمان الملزوم لدخول الجنة واورد الله مكان
المؤمنين لاختصاصهم به وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم وموالاتهم وايثارهم على غيرهم باذنه
بتيسيره وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل الصالح ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول السليمة من
الميل الى نيل الخير والاجتناب عن مظان المضار ويسألونك عن المحيض المحيض مصدر يقال

حاضت محيضا كما يقال جاء مجيئا روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح من الصحابة عن ذلك فنزلت ولعله
سبحانه انما ذكر يسألونك في المواضع الثلاثة بغير واو وفي المواضع الثلاثة بعدها مع الواو لان الاول
ليس مظنة للواو وكانت الاسئلة عن الحوادث الاول في احوال متفرقة كل واحد منها سؤال مبتدأ
والاسئلة عن الحوادث الاخر مع الثلاثة الاول كانت في وقت واحد وليس مبنى هذا على ان الواو
حرف الجمع لان الجمع الذي هو مدلول الواو اعم من المعية بل على ان في ترك الواو دلالة على الاستقلال
وفي ذكرها دلالة على خلافه قل هو اذى لما كان الموضع موضع الكناية والمجاز لكون التصريح والحقيقة
لا تخلو عن سوء ادب سلك طريقة التعريض والتشبيه باحسن الوجوه فكنى عن الحيض المستقذر الذي
ينفر عنه الطبع بالاذى وهو اسم لما ينال منه النفس مكروه وعن اجتناب المجامعة بقوله فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن واصل الاعتزال العدول عن الشيء ولما كان الانسان قد يحمل الاذى
ولا يراه محرما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكد بصيغتي امر ونهي مبالغة في المنع لان الزوجين
يجتمعان غالبا ومعهما داعيان اليه ظاهرا والدليل على ان المراد الاجتناب عن مجامعتهن قوله عليه السلام
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان
لغايته اي يخرجن من الحيض بانقطاع الدم واذا كان ايامها عشرة فكما انقطع حل وطؤها واذا
كانت دون ذلك وانقطع واغتسلت فكذلك واذا لم تغتسل ومضى عليها وقت صلوة فكذلك خلافا
لزفر والشافعي فانهما قالا لا يحل قبل الاغتسال واحتجا بقراءة التشديد فان التطهر الاغتسال ونحن
نعمل بالقراءتين في حالين وفيه نظر لان شرط العمل بالمفهوم ان لا يكون مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة
التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد ونحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق
المنطوق فان الدلالة على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع ثم ان قوله فاذا تطهرن فاتوهن ظاهر في
تاخير جواز الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل وانما زيد
هذا وكان الكلام تاما بدونه للنهي بطريق المفهوم عن اتيانهن في الدبر فان الله حرم الاتيان في ايام
الحيض للاذى فيحرم اتيان الدبر في الاحوال كلها لما فيه من الاذى ومن هنا ظهر وجه تصدير الكلام
المذكور بالحق التوبيخية ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر
الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى

نساؤكم حرث لكم اشارة الى ان الغرض الاصلى من اتيان المامور به طلب النسل لا مجرد قضا الشهوة والى
وجه النهى الذى قصد بطريق المفهوم عن اتيانهن فى الادبار شبههن بالمحارث تشبيها لما القى النطف فى الارحام
للنسل بالقا البذور فى الارض للزرع ولما كان التشبيه المذكور مترتبا على هذا التمثيل المتروك ترتب
اللازم على الملزوم لم يبعد ان يسمى تمثيلا على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل
فاتوا حرثكم انى شئتم كما ياتى الحراثون محارثهم من جهة شاؤا بعد مراعاة موضع الحرث عبر به عن وجوه
الاتيان المختلفة مع اتحاد الماتى تمثيلا لحالهم بحالهم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهى
مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فنزلت
وقدموا لانفسكم الخير والذخر بطاعة الله فى ما امر به ونهى عنه فى هذه الاية وقيل النية الخالصة اى لا
تقتصروا على قضا الشهوة ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصى واعلموا
انكم ملاقوه فلا تجترؤا عليه بمخالفته وتزودوا بما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والكرامة
بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا الله عرضة العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون
الشى لايمانكم متعلق بعرضة اى حاجزا لايمانكم اذ فى العرضة معنى الاعتراض والمنع او بالفعل اى لا تجعلوا
لايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اذ فى العرضة معنى الاعتراض
والمنع او بالفعل اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به او بعرضة اى ولا تجعلوه معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
النهى اى نهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تع والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح البين نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح
لافترائه على عائشة رض وقيل فى عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم بحسبها وهو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله
مانعا لشى من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو الشى الساقط الذى لا يعتد به
من كلام وغيره فاللغو من اليمين هو الذى لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه
كقول العرب وغيرهم فى اثنا الكلام للتاكيد لا والله وبلى والله ولا يخطر ببالهم الحلف بدليل قوله
تع ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين
والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بواحد منهما بما قصدتم
من الايمان وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم

فيه

فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلا الحلف
وتعديته بعلى لانه ضمن فى هذا القسم معنى الامتناع فعدى بمن اى يمتنعون من نسائهم
مقسمين ويجوز ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك
لى منك كذا والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى التلبث
فى هذه المدة فلا يلزمه شى فيها وهذا لا ينافى بوقوع الطلاق البائن بمضيها كما قال ابو حنيفة
ولا يقتضى ان يكون مدة الايلا اكثر مما ذكر كما قال الشافعى ولا دلالة فى الفا فى قوله فان فاؤا
على ذلك لانها للتعقيب فان التفصيل بالفيئة وان كانت قبل مضى المدة او وقوع الطلاق
تعقب المفصل والفى الرجوع اى ان رجعوا عن هذا الاضرار بترك القربان بان تقربوا فى المدة
فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا به اضرار النسا لاجل الفيئة التى بمثابة التوبة رحيم حيث
اجاز لهم الحنث وقبل منهم الكفارة ورفع عنهم الذنب وان عزموا الطلاق العزم هو العقد
على الامضا فان الله سميع لما جرى بينكم عليم بما قصدتموه والمطلقات يعنى اللاتى من ذوات
الاقرا بقرينة الخبر عام مخصص بالمدخول بهن من الحرائر بالنصوص الدالة على اختصاص الحكم الاتى
ذكره بهن يتربصن اخبار فى معنى الامر وانما عدل عن الظاهر للتاكيد واظهار الاعتنا بالمبادرة
الى الامتثال كانه امتثلنه واخبر عنه موجودا كما يقال فى الدعا رحمك الله ثقة بالاجابة وثقة
بها كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناؤه على المبتدا زاده فضل تاكيد لم يكن لو قيل يتربص
المطلقات وفى قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على التربص وقمع الانفس وذلك
ان انفس النسا طوامح الى الرجال فاذا اردن ان يقمعنها ويغلبنها على الطموح يستنكفن فيحملهن
حميتهن على التربص بها ثلاثة قروء انتصب على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اى يتربصن
مضى ثلاثة قروء او على انه ظرف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء والقروء جمع القرء بالضم والفتح وهو
لفظ مشترك بين الحيض والطهر باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع فى كل واحد منهما قال عليه السلام
للمراة دعى الصلوة يوم اقرائك اى حيضك وقال لعبد الله بن عمر رض ان من السنة ان تطلقها
فى كل قرء تطليقة اى فى كل طهر وقال ابو حنيفة ان المراد من القرء هنا الحيض وقال الشافعى
المراد الطهر وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان صريح فى الاول وانما جا

المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقرا اعتبارا لما في المطلقات من معنى العموم فان المعنى
ليتربصن كل واحدة من المطلقات ثلاثة قروء فلما اسند الى جماعتهن والواجب على كل واحدة منهن
ثلاثة اي لفظ القرؤ ليدل على الكثرة المرادة واما الانفس فكان النكتة في تقليلها الايماء الى ان
التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من
الولد ان يكتمن حملهن استعجالا للطلاق مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق على الولد
فلا يطلق و قبل من الحيض بان تقول طهرت وهي حائض استعجالا للفراق ويجوز ان يكون الكتمان
كناية عن ارادتهن اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة فلا يعترفن بهن وفيه دليل على ان قولها مقبول
في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن والمعنى اي لا يفعل ذلك من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر ولا يجترئ على مثل هذه العظائم وبعولتهن اي ازواج المطلقات والبعول جمع
بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع وانما سمي زوج المراة بعلا لانه سيدها ومالكها ذكره الازهري ومن
هنا تبين وجه التعبير عنه بالبعل فان الحكم الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي
لا يزول به ملك النكاح وفي عبارة البعل اشارة اليه احق بردهن اي برجعتهن ومعنى احق
ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة فهو احق بقبول قوله لا ان لهما حقا في الرجعة في ذلك
اي في زمان التربص ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والمراد التحريض عليه
والمنع من قصد الاضرار لا بيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن من الحقوق على
الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة الجميلة اي لا
يكلف احد الزوجين صاحبه ما لا يستحسن في الشرع ولا يعنف به ولكن يسامحه ويسهل والمراد
بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد في الجنس وللرجال عليهن درجة
الدرجة نحو المنزلة لكن يقال اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة
ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة اي زيادة فضيلة بقيامهم عليهن وانفاقهم في مصالحهن بعدما
ساووا في نيل اللذة والله عزيز على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق الشرعي مرتان على
التفريق تطليقة بعد تطليقة يعقبهما رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال دفعة
واحدة و لا التطليق البائن واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اي فامر الزوج بعدهما
امساك او فعليه امساك ولا يخفى ما في عبارة الامساك من الدلالة على استدامة الملك وهي لا

تنفى بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من القيام بواجبها او تسريح بان لا يراجعها
حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل
التسريح ان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين الثالث فقال عليه السلام او تسريح باحسان وظاهر الاية حجة على الشافعي في قوله لا باس بارسال
الثلاث ولا متمسك له في حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه لعدم الدليل بتاخره عن نزول الاية ولا يحل لكم ايها الازواج
ان تاخذوا مما اتيتموهن من الصداق شيئا قليلا الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان استثناء
مفرغ وان يخافا النصب على الظرف او مفعول له التفات كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ
وقعوا في حق البعد ولما ليسا اهلوا للخطاب لعدم انصافهم وعدالتهم واحتياجهم الى الائمة والحكام
نحو طبوا بما ياتي ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للحكام وان لم يكن الاخذ والايتاء
منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون وقرئ الا ان
يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ يظنا ويؤيده تفسير الخوف
ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من
نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله بتركهما اقامة الحدود
المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على الزوج في ما اخذ وعلى المراة فيما بذلت
وافتدت به نفسها واختلعت به من الصداق او الزيادة عليه على كره روي ان جميلة اخت عبد الله
بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق
ولكن اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا
هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها وكان قد اصدقها حديقة واختلعت منه بها
وهو اول خلع كان في الاسلام تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها ومن يتعد
حدود الله عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في
التهديد فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر
الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج زوجا غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج يقال

فلانة ناكح في بني فلان وتمسك ابن المسيب بدلالة حتى على انتهاء الحرمة بتزوجها زوجا اخر في
الاقتصار على العقد في التحليل فان قلت اليست الحرمة باقية الى ان يطلقها وتنقضي عدتها قلت
بل تنتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى هي اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة ومنهم من
وفق وقال ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب لان المراد من التزوج الاصابة على انها كناية عن حطها
من الشرط المذكور او الكلام على القلب كقوله ادخلت الخاتم في الاصبع والمعنى حتى ينكحها زوج اخر ولا بد من
المصير الى احد هذين الوجهين كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق فان
طلقها اي الزوج الثاني وانقضت العدة وهذا القيد معلوم من موضع اخر ولهذا لم يذكره والفا للتفريع
صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم من ثبوت التحليل بالتزويج فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع
كل من الزوج الاول والمراة الى صاحبه بالمزاوجة ان ظنا ان يقيما حدود الله حقوق المعاشرة وما
يجب عليهما من حسن المصاحبة ومن فسر الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم
زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا الظن
ليس بشرط في صحة النكاح بل في اباحته ورفع الاثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما حدود الله
وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بموجب العلم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اريد بالاجل اخر المدة وبالبلوغ مشارفته والقرينة على الاتباع لقوله فامسكوهن
بمعروف اذ الامساك بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن بمعروف لما عيد ذكر الرجعة على التسريح بالمعروف
تنبيها على انه ان لم تراعوا في تسريحها الاحسان فراعوا فيه المعروف كما قال بعض الناس لسلطان ان
لم تحسن فعدلا وهذه الاية ظاهرها اعادة حكم المتقدم الا ان الاولى لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة
والتطليقتين وهذه لبيان جوازها ما دامت في العدة وانما خص المشارفة بالذكر لانهم كانوا يطلقون
المراة فيتركونها حتى تشارف انقضاء العدة ثم يراجعونها ضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن
ضرارا بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول له اي للمضارة او حال اي مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بتطويل العدة او الجائهن الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون
في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كني بالنهي عن الهزء عن الامر بالجد قيل كان
الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت وعن النبي عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد

لحديث العسيلة ويجوز به
انتساخ حكم الغاية وان كان
ثبوته منطوقا لا مفهوما
لانه حديث مشهور تلقته
الامة بالقبول ح

عليه السلام والمراد من ذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على انها
نعمة جليلة بحيث تذكرها كاف في ايجاب شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا الغفلة عنها وما انزل
عليكم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لما كان لمصلحتهم نزل منزلة النازل عليهم من الكتاب والحكمة الكتاب
والسنة وقد مر وجه مناسبة الحكمة بالسنة وانما افردهما بالذكر لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
اي لا تتجاوزوا اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم وعد ووعيد تاكيد وتهديد والعدول عن
الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن لقوله فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع تضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها والمراة بولدها والخطاب
لا يجوز ان يكون للازواج بدلالة ما روى البخاري والترمذي وابو داود ان الاية نزلت في معقل
بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها طلقة فلما انقضت عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع
اليه فقال معقل لا ازوجكها ابدا فانزل الله تعالى هذه الاية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال
سمعا لربي وطاعة والحكم الوارد في سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وان اريد معه معين ولا
ان يكون للاولياء لما فيه من تنافر الخطاب من الازواج قبل تمام الكلام الى الاولياء فان خطاب اذا
طلقتم لا يصلح للاولياء قطعا فالوجه ان يكون للناس ليتناول عضل الازواج والاولياء جميعا مع السلامة
عن المحذور المذكور والمعنى لا يوجد بينكم عضل ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان
من حق الاولياء ان لا يجوز حوله وحق الناس كافة ان ينصروا المظلوم اذ ذاك ولا متمسك
للشافعي في الاية على ان النكاح لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء على منعهن ان
يكون النكاح بعبارتهم وقوله ان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بالوجه الجميل في الدين والمروة حال
عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى ما مضى ذكره
والخطاب لكل احد او للرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد ويجوز ان
يكون الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع لكم واطهر من دنس
الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والفلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
اخبار في معنى الامر للمبالغة في الحث على الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب دون الايجاب على ما دل
عليه التعليق بالارادة احتيج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من
امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستئجار يأباه تعيين المدة والتعليق المذكور حولين كاملين

صريح في انه ينعقد بعبارتهن اذا
تراضوا بينهم اذ التراضي الخطاب
والنساء وهو ظاهر لان ينكحن م

صفة موكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه كما في قوله الحج اشهر لمن اراد ان
يتم الرضاعة اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة قيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع وفيه امر من ان التعليق بالارادة لا ينافي الوجوب وقد نبه على هذا من
قال ودل هذا على ان النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند وقوع الكفاية بما دونها والحاجة الى
الزيادة جائزان حيث علق ذلك بالارادة وعلى المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا بموجب قوله
عليه السلام الولد للفراش وان لم يكن والده حقيقة وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير
المغضوب عليهم ومن الفرق بين المولود والولد باختصاص الاول بالصغير على ما ذكره المطرزي تبين لطف
موقعه ثم ان في العبارة المذكورة اشارة الى علة بناء الحكم كما في قوله وراودته التي هو في بيتها لان
الذي ولد له وجب عليه الرزق والكسوة اذا ارضعت ولده كالظئر بناء على ما تقرر ان الغنم بالغرم
وعلى هذا يكون مؤنتها على المولى اذا ولد الولد من جارية التي تحت نكاح الغير لان المولود له
حقيقة في هذه الصورة ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد لانتظامه ما لا يكون والدا
من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق المأكول والمشروب ولهذا ذكر الكسوة
بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين لا تكلف نفس الا وسعها الوسع ما
تحتمله الطاقة اي لا تحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف المولود له ما لا يطيق من الاجر ولا الوالدة ما
لا تستطيع من الحمل ولا الرضى بما لا يكفيها من الاجر وهذه الاية كالتي في سورة الطلاق فان
ارضعن لكم فاتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها لا تضار والدة بولدها ولا مولود
له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار واحد منهما الاخر بسبب الولد واضافة الولد اليها
تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه
فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار ويحتمل البناء للفاعل والمفعول
على ان الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول يجوز
ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطان في تعهده ويقصران فيما ينبغي
له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد
بالوارث وارث المولود له على العموم او الصبي نفسه او وارث الصبي على العموم او بقيد ان يكون ذا رحم
محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى او بقيد ان

يكون احد اصوله من الاباء والامهات والاجداد والجدات او بقيد ان يكون من عصبته
واما جعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فقلق في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على
الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به وذلك اشارة الى ما وجب على المولود له من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على ما تقدم من تعليق اتمام الحولين على الارادة وتصريح بالتوسعة
بعد التحديد والفصال الفطام سمي به لانه فصل بين الغذاء والصبي عن تراض منهما وتشاور اي صادرا
عنهما والتراضي اجتماعهما على الرضى والتشاور اجتماعهما في المشورة وهي استخراج صواب الرأي
باشارة المستشار من شور العسل وهو اجتناؤه وانما اطلقه لينتظم تشاور احدهما الاخر وتشاورهما
الثالث ممن له خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرهما لان الفطام قبل تمام الحولين مظنة
لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما اما المولود له فلانه حقه واما الام فلانها اعلم بحاله وتربيته والدليل
على ان المراد الفطام قبل التمام قوله فلا جناح عليهما اذ لا يتصور الجناح بعد تمام مدة الرضاع
وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك
انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول استغناء عنه لعدم القصد الى خصوص المرضعة
فلا جناح عليكم فيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد استغناء عنه ويمنع الام عن الارضاع
اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما التزمتم اياه وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم
اي ما اتاكم الله واقدركم عليه بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم على الوجه الجميل بالطلاقة والبشاشة
من اطيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطاء لتكون طيبة النفس مشفقة على
الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم شرطا لجواز الاستيجار بل هو مندوب اليه
لتطييب نفس المرضعة ولهذا قيد بالمعروف واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في الارضاع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم اي يقبض ارواحهم بالموت
واصل التوفي في اتمام القبض وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اعمارهم وهو كناية عن الموت
ويذرون ازواجا اي يتركون زوجات ويذر مستقبل اميت ماضيه ومصدره وكذلك يدع
يتربصن بانفسهن منتظرن تقديره يتربصن بعدهم دل عليه يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدأ
والخبر اربعة اشهر وعشرا اي يعتددن هذه المدة ولا حاجة الى التأويل في عشرا لما نقل عن ائمة
النحو انه اذا كان المعدود مذكرا او حذفته فلك فيه وجهان احدهما وهو الاصل ان تبقي العدد
على ما كان عليه لو لم تحذف المعدود فتقول صمت خمسة تريد خمسة ايام والثاني ان تحذف منه كلمة

التابث فقول عذرا على احد الجائزين وحسنه ههنا انه مقطع كلام شبه بالفواصل واطلاق اللفظ
يقتضي عدم الفرق بين المسلمة والكتابية والحرة والامة وغيرها الا ان القياس اقتضى تنصيف المدة للامة
والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن تفريع على التحديد المذكور فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن
من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر شرعا ودل بالفحوى على انهن لو فعلن ما ينكره
الشرع كان عليهم ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح والله بما تعملون خبير وعيد لهن في ارتكاب المنكر
وللائمة في التقصير عن المنع ولا جناح عليكم فيما عرضتم به التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض من خطبة النساء الخطبة بالضم والكسر اسم الحالة
غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات وتعريض خطبتها ان
يقال لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم عن النطق
به وفيه طرف من التوبيخ على التحرز ابتداء عما ابيح لحكمة ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن ولا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح بمعنى الوطء لانه مما يسر
ثم عبر به عن النكاح بمعنى العقد لانه سبب فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ وان تقولوا
نصب على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة وهي بالتعريض او لا تواعدوهن
بوجه الا بان تقولوا قولا معروفا غير منكر في الشرع ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا لفساد المعنى
وهو واعدوهن التعريض وليس المراد مواعدة التعريض بل مواعدة النكاح بالتعريض وقيل لا تواعدوهن
في السر لان مسارتهن في الغالب انما هي بما يستحيى من المجاهرة به لا يستهجنه الا وقت ان تقولوا قولا
جميلا غير منكر في الشرع فعلى هذا ان تقولوا في محل النصب بالظرف ويكون المفعول محذوفا اي لا
تواعدوهن النكاح في السر ولا تعزموا عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد عقدة النكاح قصدا
جازما لا تردد معه نهي عن العزم ليكون ابلغ في منع الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون على
الفعل كالعقد لا على نفس العقد لا عن قصده حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي المكتوب من العدة واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يحل شرعا فاحذروه اي فاحذروا مؤاخذته بالمناهي الصادرة
عن العزيمة ولما كان السابق الى الفهم مما تقدم المؤاخذة بالعزائم على المناهي دفعه بقوله واعلموا ان الله
غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المؤاخذة بالعذاب

فلا

فلا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزوم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن المس كناية عن
الوطء لان حقيقة المس لا توجب المهر اذا لم توجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن فريضة ما جزم عطف على
تمسوهن اي او لم تفرضوا لهن فريضة او نصب على المفعول بمعنى الا ان او الى ان تفرضوا وفرض الفريضة
تعيين المهر وهي بمعنى المفروضة وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء للنقل من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما اعتبر العقدان المذكوران لانه يجب مهر المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا
ويجب نصف المسمى اذا طلقها وان لم يمسها ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن
اي ملكوهن ما يتمتعن به ويسمى ذلك متعة واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا
غير باق بل ينقضي عن قريب وضمير النصب عائد على المطلقات قبل المسيس وقبل الفرض والحكمة
في امر المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى والمقتر المقل من اقتر
اذا افتقر وقرئ قدره بفتح الدال وبسكونها وهما المقدار اي على كل من الذي له سعة ومن
الفقير الضيق الحال قدر يساره واعساره اي ما يطيقه ويليق به لان الحد الذي يطيقه هو الذي
يختص به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك
اما انها لا تساوي شيئا ولكن احببت ان احيي السنة متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه
الشرع والمروءة خاصة صفة لمتاعا اي تمتيعا واجبا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
اي على الموصوف بالاحسان من اصحاب المروات او الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا ولما اتى بعبارة ظاهرة في الوجوب تاكيدا في الحث واهتماما
في الترغيب دفع ذهاب الوهم الى معنى الايجاب حقيقة بعبارة المحسنين بما فيها من الاشارة
الى انه بطريق الاحسان لا بطريق الالزام ومبنى هذه الاشارة على ما في قوله تعالى ما على المحسنين من
سبيل من التنصيص على عدم الايجاب فيما يكون احسانا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم فيه دلالة على ان الجناح
المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون الاستثناء مفرغ وان
يعفون نصب على الظرف اي فعليكم او فالواجب نصف ما فرضتم لا يحل لكم منعه ابدا الا وقت ان
يعفون والنون ضمير المطلقات في طلقتموهن محلها الرفع بالفاعلية والواو لام الفعل وقد
يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور يقال الرجال يعفون والفرق ان الواو ثم ضمير الرجال والنون

علامة الرفع والفعل على الاول مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح وهو الزوج لان الطلاق بيده فكان ابقاء العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر كله
واطلاق العفو عليه بطريق المشاكلة وقيل هو ولي الصغيرة والبكر والعفو على حقيقته وهذا لا يصح لانه
لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج
وكذا قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم اي فضل الرجال على النساء ندب الزوج الى اكمال المهر اظهارا
للمروة واعتبارا للفتوة ان الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها والامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم
الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي المتوسطة بين الصلوات الخمس ثنتان يوميتان
وثنتان ليليتان وهي صلوة العصر لما روي انه عليه السلام قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل
لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم وقيل معنى الوسطى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط
وقرئ والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين
له تعالى في قيامكم والقنوت الذكر في القيام وقال زيد بن ارقم كنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
يكلم احدنا صاحبه في الصلوة بحاجته حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان
خفتم من عدو او غيره فرجالا اي وحافظوا عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا
رجالا وهي جمع راجل وهو القائم على الرجل او رجل بمعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة او ركبانا
هي جمع راكب ولهم ان يصلوا وحدانا بالايماء ويسقط عنهم التوجه الى القبلة ولا يجوز ان يصلوا
بجماعة عندنا ولا في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال
اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق فاذا امنتم اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلوة الامن والذكر
اسم للصلوة كما علمكم اي صلوا طائفة واحدة من غير انصراف وفي حالة الخوف يصلون طائفتين
وتنصرف كل طائفة الى العدو وعند تمام الركعة على ما ياتي بيانه في سورة النساء باذن الله ما لم تكونوا
تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا قدم تفسيره وصية لازواجهم
وقرئ وصية بالنصب على تقدير حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا او كتب الله عليهم وصية
ويؤيده قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم الآية وقرئ بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او
حكم الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون منكم اهل وصية او كتب متاعا الى الحول نصب

يوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ متاع لازواجهم لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير
مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان
يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركتهم ولا يخرجن من مساكنهم وكان في اول الاسلام
ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن والناسخة
وان كانت مقدمة في التلاوة لكنها متاخرة في النزول والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي خلافا
للحنفية فان خرجن من البيت من غير اخراج الورثة او من العدة بانقضاء الحول فلا جناح عليكم
ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف من التزين لطلب الزوج على وفق الشرع وهذه الآية
متقدمة في النزول وان كانت متاخرة في الترتيب ولهذا جاء المعروف منكرا هنا ومعرفا فيما
سبق وفيها دلالة على انها لا يجب ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ
النفقة وبين الخروج وتركها وهذا من تمام ما كان في بدء الاسلام والله عزيز اي منتقم ممن
عصاه حكيم مصيب فيما حكم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين عم المطلقات باستحباب
المتعة لهن بعد ما خص واحدة منهن به وهي غير مدخول بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق
والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه تعالى يبين لعباده ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا من الاحكام
ودلائلها لعلكم تعقلون لتعقلوا اي لتستعملوا عقولكم في قبولها والتفكر فيها لاستنباط غير
المنصوص من المنصوص الم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجيب يخاطب بها من لم ير ولم يسمع ما
بعدها وهي تقرير لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم والخطاب
لكل احد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل هم قوم من
بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف الواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي اماتهم الله بالامر التكويني دفعة
واحدة على خلاف العادة ثم احياهم اي اماتهم موت عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء اجال
ثم اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون من اقتصاص خبرهم كما بصر اولئك بالاماتة والاحياء او حيث احياهم ليعتبروا اي لهم
ويتيقنوا بالبعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر

الاعتبار والاستبصار وكان مقتضى الظاهر الاضمار وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الالجا الى سبب
الغفلة عن النعمة وقاتلوا في سبيل الله عطف في المعنى على الم تر لانه في معنى انظر او تفكروا وقيل لما
بين ان الفرار عن الموت غير نافع وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جا اجلهم ففي سبيل الله
والا فالنصر والثواب ويرد عليه انه قد نهى عن القا النفس بالمهلكة ولم يكن في الاحتراز نفع لما نهى
عنه واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه فيجازيهم بحسبه من ذا
الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتدا وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض
الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطيب النفس
بلا من ولا اذى او مقروضا حسنا بكونه حلالا طيبا وقيل المراد من القرض الانفاق في سبيل الله
ويؤيده انها نزلت في ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له فيضاعفه له فيضاعف جزاءه له اخرج
على صورة المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي
يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعّفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على
الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني على تضمين يضاعف معنى يصير او المصدر على ان الضعف
اسم المصدر وجمعه للتنويع كثيرة لا يقدرها الا الله والله يقبض لشخص ويبسط لاخر او يقبض في
حال ويبسط في اخر حسبما اقتضته حكمته ليعيش حيا اذا قبض حتى لا طاقة ويبسط اذا بسط حتى
لا فاقة اي لا تبخلوا بالاقلال بالانفاق ولا تظنوا بقا السعة بالامساك فان الله هو الموسع والمضيق
لا الامساك والانفاق سهل بهذا عليهم الاقراض واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم وفيه تنبيه على ان
الغني يفارق ماله بالموت طيبا او كرها الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا الجماعة الاشراف يجتمعون
للتشاور وقيل من الملاءة التي هي القدرة فهم قوم لا حاجة الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا له لقدرتهم عليه
لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي بعد وفاته ومن للابتدا اذ قالوا لنبي لهم
اختلفوا فيه والاشهر الاظهر انه اشمويل من نسل هارون عليه السلام ابعث لنا ملكا انهض لنا اميرا
نقاتل في سبيل الله نقاتل بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالرفع حالا اي ابعث لنا مقدرين القتال
او استئنافا كانه قيل كيف تصنعون بالملك فقالوا نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم جوابا
وبالرفع صفة للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا معنى الاستفهام في هل التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه مصيب في ظنه وتوقعه كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان وخبر
عسيتم الا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف مدلول عليه بقوله عسيتم اي ان كتب عليكم

القتال

القتال خفت ان تجبنوا او لا تقاتلوا اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا اي اتوقع منكم الجبن
عن القتال فادخل هل للتقرير السابق ذكره قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من
ديارنا اي اي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الديار وابنائنا اي منفردين
عنهم على تضمين الاخراج معنى الانفراد والديار ابلغ من الاوطان لما في الاخراج منها من الدلالة
على استيلا العدو على املاكهم واما ذكر الابنا دون الاولاد المنتظمة للبنات فلعدم استيناس
العرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل هم يانفون عن انتسابهن اليهم فلا يرضون لاظهار التعلق
بهن ومن لم يتنبه لما ذكرناه ورد في تفسيره الاوطان بدل الديار والاولاد بدل الابنا ولم يدر
ما فيه من سو الادب حيث اوهم فضل البدل على المبتدل ومن احسن من الله قيلا وليس الكلام المعجز
بحيث لا يبقى بها شي اخر لا بد من التنبيه له ايضا وهو انهم علقوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فلذا لو
ولو قال كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاده وقهروا عباده لوفقوا روي ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل البحر بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم فلما كتب عليهم القتال تولوا لما قالوا ذلك دعا نبيهم الله وسال لهم
ملكا فاجابه الله الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال وكان فيهم طاغية هو الذي
دعاهم الى ذلك فتابعوه وكانوا يرجون ان يملك عليهم فلما ملك الله غيره نكصوا على اعقابهم وكرهوا
القتال في قوله فلما كتب عليهم القتال فصيحة والقول الذي ذكره مقدم وقوعا وان كان موخرا ذكرا
الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في
القعود عن القتال ولذلك وضع الظاهر موضع المضمر وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم صرح بنسبة
البعث الى الله تعظيما لشان المبعوث ودفعا لذهاب الوهم الى ان يكون تعيينه عن ميل ونسبة اليه
طالوت علم اعجمي كجالوت فامتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه من الطول لما وصف به من
البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يابى عن ذلك الا ان يقال انه اسم عبراني وافق عربيا كما وافق
حنطا حنطة وبسما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو على هذا فعلوت من الطول اصله طولوت
كما لو كان عربيا ملكا روي ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك
عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا اي بمعنى كيف كما في قوله انى يؤفكون
استبعاد وانكار عليهم والواو في ونحن احق بالملك منه واو الحال ولم يؤت سعة من المال عاطفة
فانتظمت الجملتان في حكم الحال اي والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له حتى يتشرف

به اذ فاته نسب الملوك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد يهوذا وكان فيهم من سبط
خلق كثير اعقب وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة فانها
كانت في اولاد لاوي ذكروا لبعده عن استحقاق الملك عليهم وجهين احدهما في الخارج
والاخر في نفسه وقدموا ما كان في الخارج اخذا بطريقة الترقي قال ان الله اصطفاه اختاره
عليكم اصل الاصطفاء اخذ صفوة الشيء والقاها سواه اي ان لم يكن له نسب ولا نشب فله
فضيلة ذاتية على ما نبه عليه بقوله وزاده بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم
طولا وعرضا لما انكروا تملكه عليهم اجابهم بالجملة التاكيدية المصدرة بان وقدم المسند اليه وهو الله
على الفعل للتخصيص وتاكيد النسبة اي ان الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم دون غيره وهو اعلم
بصالحكم منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان وبيان حكمته في اختياره مما اقوى في
باب الملك واولى بايجابه من النسب والمال وهما العلم والجسامة ليتمكن من معرفة السياسة ويكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب اطلق العلم ووصف بالبسطة
فيه وفي الجسم ليندرج تحته العلم الذي طلبوه لاجله وهو المعرفة بامر الحرب والله يؤتي ملكه من
يشاء قدم المسند اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير منازع فيه فهو يؤتي ملكه من
يشاء دون غيره بسبب استصلاحه لذلك والله واسع اي واسع الفضل والعطاء يوسع على
من ليس له سعة من المال ويغنيه من الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وان لم يكن من نسل
الملوك فقوله واسع رد لقولهم ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد
لقولهم ونحن احق بالملك منه يعني انه اصطفى مثل من تنسبون اليه وليس المالك كالمستعير
وقوله عليم تكميل حسن يدل على ان اصطفاءه وايتاءه عن علم وحكمة لا عن جهل وسفه وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت التابوت
صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء فلا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يترك المعروف
اليه ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة فيه سكينة
ما تسكنون اليه من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت لا للاتيان لقوله وبقية فانها تابى عنه
والبقية مثل في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا
خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله مما ترك آل موسى

آل

وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وقيل منهم لتفخيم شانهما كما
في قوله عليه السلام يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود تحمله الملائكة حال من التابوت
قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون ان في ذلك اي في اتيان التابوت
والملائكة تحمله لاية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من تمام كلام النبي لان المقام لا يحتمل الخطاب من الله
فلما فصل طالوت بالجنود قيل هنا جمل محذوفة اي فجاءهم التابوت واقروا لطالوت بالملك
وتاهبوا للخروج فالفاء فصيحة والباء في بالجنود للملابسة اي ملتبسا بالجنود سواء كان فصل لازما
بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل نفسه عنه فان الفصل في المتعدي والفصول في اللازم
لغتان مثل وقفه وقفا ووقف وقوفا والجنود جمع الكثرة للجند والاجناد جمع القلة له والجند
الجيش الاشداء ماخوذ من الجند وهو الارض الغليظ الشديد روي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا
مفازة وكان الوقت قيظا فسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة مختبر بما اقترحتموه وكان في جند طالوت المخلص والمنافق فميز بينهما بآية كالذهب والفضة
فيهما الخبث فميز الخالص من غيره بالنار والنهر بفتح الهاء وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل ثلاثي
حشوه حرف حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنحر والدأب فمن شرب منه فليس مني فليس بمتصل بي
ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من
جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق ويقع على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة
بيده الغرف اخذ الماء بالة كالكف والغرفة بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما
يغرف بالكف من الماء واصل الغرف القطع ومنه الغرفة التي هي العلية قطعة من البناء استثنى
من الشرب الممنوع هذا النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة
وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور فحقها ان تذكر عقيبها
قبل الاستثناء المذكور وطالوت ان كان نبيا فلا ان يعرف ذلك بالوحي والا فبالالهام او باخبار
من النبي فشربوا منه اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول
ليتصل الاستثناء وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء وبالرفع على انه تابع للمرفوع قبله لان الكلام
اذا كان موجبا جاز فيما بعد الا النصب وهو الافصح والاتباع لما قبله ان رفعا فرفع او نصبا فنصب
او جرا فجر وليس هذا من مواضع الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا
ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين امنوا معه اي القليل الذين

لم يخالفوه و في التعبير عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان
والمجاوزة فوله معه لافادة معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين قال كل فرقة
ما يليق بشأنه وعدم العطف بين القولين لعدم جمعهما مقام واحد ومساق كلام واحد
قالوا اي الذين تخلفوا على ما نص عليه ابن عباس رض كانهم قالوا ما قالوا اعتذارا في التخلف وتخذيلا
للمقدمين على القتال لا طاقة لنا اليوم بجالوت اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقدرتهم
وفي عبارة الجنود دلالة على هذا على ما بيناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن
على حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال وصدقهم
في عزمه او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث على معنى ملاقوا الله انهم راجعون اليه في
العقبى ومجزيون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة يجوز ان يكون الظن على اصله
ويكون القصد الى انه يكفي في هذا العمل فكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة تكثير ومن
مبينة او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اي شققته او من
فاء اذا رجع غلبت فئة كثيرة كم مبتدا خبره غلبت باذن الله بتيسيره وهذا تحريض على القتال
واستشعار بالنصر والله مع الصابرين بالنصر والاثابة تحريض على الصبر في القتال ولما
برزوا لجالوت وجنوده المبارزة في الحرب ان يظهر المحارب لقرينه بحيث يراه قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا الافراغ صب السيال استعير للاكمال والاكثار وثبت اقدامنا اي في
المعركة ان تزل وتزول وانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم وامنعهم منا التجأوا الى الله
بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات
القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا ثم اشاروا بتوصيف
القوم بالكافرين الى انهم يطلبون النصر لا للانتقام منهم بفعلهم بهم بل لانهم كفار واعداء
ربهم فهزموهم الفاء فصيحة وقبله مضمر اي فاستجاب الله دعاءهم ونصرهم فالهزيمة دفع الشيء بقوة
حتى يدخل بعضه في بعض والمهزام خشبة يحرك بها الجمر ويدفع بعضه على بعض باذن الله بعونه
وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين الله كيفية القتل الا انه اشار في سياقه الى انه كان
بسهولة واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام على ملك والحكمة
النبوة اذ بها وضع الامور مواضعها فاتاه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع له كليهما وكان
قبل الملك في سبط والنبوة في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب

وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله تع يدفع بعض الناس ببعض
ويمنع فسادهم بذلك لفسدت الارض لعم فسادهم الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولكن الله يبسط الفضل على العالمين بنصر المصلحين على المفسدين تلك ايات الله اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود عليه السلام
جالوت نتلوها عليك بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل الكتاب اذ هي في كتبهم كذلك
وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اي المذكورة في
السورة كلها او المعلومة بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب درجاتهم في الزلفى ولتفاوت مراتبهم
في الاصطفا منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل اي خاطبه الله بكلامه الازلي بلا واسطة وهو موسى
عليه السلام لقوله وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب
متباعدة وهو محمد عليه الصلوة والسلام المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوت احدهم والابهام لتفخيم
شانه كانه العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وتنكير درجات يعضده في تعظيم شانه
واتينا عيسى ابن مريم البينات خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل
معجزاته سبب تفضيله لانها ايات ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس
قدم تفسيره ولو شاء الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما
جاءتهم البينات اي المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتفضيل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا اي ما شاء لما اقتضاه حكمته فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء بتوفيقه ومنهم من كفر
لاعراضه عنه لخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون الامور بمشية الله تع ولكن الله يفعل
ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادة والايمان وبعضهم بالشقاوة والكفر فان قلت الاستدراك
بعد استعمال كلمة لو على قاعدة العربية ان يذكر انتفاء الشرط ليثبت انتفاء الجزاء اي لكن لم يشاء
عدم الاقتتال فاقتتلوا وعلى قاعدة الاستدلال ان يذكر انتفاء الجزاء ليعلم انتفاء الشرط اي
لكنهم اقتتلوا فعلم انه لم يشاء عدم الاقتتال فما وجه قوله ولكن الله يفعل ما يريد قلت معناه
لكنه لم يشاء عدم الاقتتال بل ثبوته فثبت لانه يثبت ايا ما كان قيل يوفق من يشاء فضلا ويخذل
من يشاء عدلا ورد عليه انه ح يكون الخذلان عن باعث فتتقيد ارادته المتعلقة به ويأباه التعميم
المستفاد مما ذكر والاية دليل على ان الانبياء ولو كانوا اولى العزم من المرسلين متفاوتة الاقدام
واما انه يجوز تفضيل بعضهم على بعض على التعيين فلا دلالة عليه في الاية نعم يجوز ذلك اذا وجد

دليل قاطع لانه مما يتعلق بالاعتقاد دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن وان ما تعلق به ارادة الله تع
فعلا كان او تركا خيرا كان او شرا يقع واما ان كل ما يقع انما يقع بارادة الله فلا دلالة عليه فيها انما علم
ذلك من موضع اخر يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكوة لظاهر الامر
واتصال الوعيد به من قبل ان ياتى يوم لا بيع لا كسب فيه لانه يوم جزا لا يوم عمل وعبر عن جل المكاسب
بجلها ولا خلة لان الاخلا بعضهم لبعض عدو يومئذ فان قلت اليس زمرة المتقين مستثناة منهم
قلت بلى ولكن الوعيد فى حق من ترك الانفاق الواجب فالاستثنا المذكور لا يجديه ولا شفاعة يعنى
ان تدارك ما فاتكم من الانفاق اما بالادا بعد الحصول بطريق المعاملة والمجاملة واما بالابرا ولا
سبيل الى شى من ذلك اذ لا كسب ولا خلة ولا شفاعة خصوصا فى اسقاط حقوق العباد
واما ان الشفاعة لا تكون الا فى زيادة الفضل فطريقة الاعتزال موضع بيانه وماخذ عنانه علم
الكلام وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها من فتحها على الاصل والكافرون اى التاركون للزكوة وانما عبر عنهم بالكافرين تغليظا
عليهم وزجرا لهم كما فى اخر اية الحج حيث شبه فعلهم الذى هو ترك الزكوة بالكفر او جعل مشارفة على الكفر
او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة فى موضع اخر من صفات الكفار ولوازمهم فهو على
الاول استعارة تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثانى كناية او مجاز لزوم هم الظالمون هم الذين ظلموا
انفسهم بترك الانفاق الواجب وصرف المال على غير وجهه ووضعه فى غير موضعه الله لا اله الا هو
مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبره الحى القيوم ولا اله الا هو معترض بينهما
والمراد من الحيوة فى حقه تع البقا الذى لا سبيل اليه للفنا مجازا وذلك ان الحيوة بحسب اللغة
عبارة عن قوة مزاجية تقتضى الحس والحركة ولا صحة لها فى حقه تع فلا بد من المصير الى المعنى المجازى
المناسب له وهو البقا وانما وصفناه بما ذكر لانه مستند الى ذاته تع فلا يمكن زواله واما الذى
ذكره المتكلمون بقولهم الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر فمعناه الاصطلاحى الحادث فلا مساغ لحمل ما فى
الكلام القديم عليه حيث لا يعرفه اهل اللسان وقت نزول القران وقد رد صاحب الكشاف مثل هذا
فى تفسير قوله تع يجعلون اصابعهم فى اذانهم وجوزه هنا والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه الاخذ التناول ومنه اخذ
الشارب قصه وقطع شى من شعره سنة السنة ثقلة من النعاس وفتور يعترى المزاج قبل النوم
وليست بداخلة فى حد النوم على ما دل عليه قول عدى بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت

فى عينه سنة وليس بنائم ولا دلالة فيه على ان السنة هى النعاس كما توهم ولا نوم النوم
حالة تعرض للحيوان من استرخا اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا اى لا يعتريه ما يعترى المخلوقين من الغفلة والملال والفتور
فى حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة
فالجملة بيان للقيوم بانه مهيمن على من يقوم عليه غير غافل عنه وتاكيد لكونه حيا فان من اخذه سنة
او نوم كان ماووف الحيوة ولذلك ترك العاطف فيه وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة
والترقى فان سلب السنة وان كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها ليس بابلغ من سلب
اخذه لما فيه من القوة فمن يقدر على دفعها قد لا يقدر على دفعه فمن وهم ان قياس المبالغة عكسه
فقد وهم حيث لم يفرق بين سلبهما وسلب اخذهما وايضا السنة من طلائع النوم ومقتضيات
سببه السابقة عليه فنفى النوم بعد نفيها باعتبار انه يستلزم نفى سببه يكون ابلغ واما نفى
السبب فقد حصل بالحى القيوم على المعنى المراد منهما له ما فى السموات وما فى الارض بيان وتقرير
لنفى السنة والنوم لان الذى يملكهما وما فيهما يحفظهما وما فيهما بتدبيره فلا يمكن ان ينام والا
لزالتا عن النظام ولهذا ترتب على ما قبله من غير حرف عطف ولو كان تقريرا للقيومية كما
قيل لاتحد مع ما قبله فى هذه الجهة فكان حقه ان يرتب عليه بحرف عطف والمراد بما فيهما ما
وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات
والارض وما فيهن ولما ذكر مالكيته للكل بين ذلك بقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
اى ابلغ من مالكيته وكبريائه ان لا يتمالك احد ان يتكلم يوم القيمة الا من اذن له لقوله تع
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم فكيف بحالهم ومن احاط علمه باحوال الخلق كلها يعلم المستوجب للشفاعة
وغيره والضمير لما فى السموات والارض لان فيهما العقلا او لما دل عليه من ذا من الانبيا ولا
يحيطون بشى من علمه اى معلومه فان اسم المصدر يقع على المفعول يقال فى الدعا اللهم
اغفر علمك فينا اى معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بعلم من يستحق
الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه عما قبله لما اشرنا اليه انه مبين لما قبله واما على ما
قيل ان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل
المذكور كما لا يخفى الا بما شا ان يعلمهم به من المعلومات وسع كرسيه السموات والارض بيان لشمول

علمه واحاطته وسعته وبسطته وانه لم يضق عن السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل
وتصوير امر المعنوي بالصورة الحسية ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين فيل تصوير لعظمته
وتمثيل وعلى هذا لا يظهر وجه الفصل عما قبله وعلى ما ذكرنا قد ترتبت الجمل الخمس متآخية متعانقة
كل منها بين ما ترتبت عليها مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينها لكمال الاتصال بين معانيها
وعن الحسن الكرسي هو العرش وقيل انه تع خلق كرسيا بين يدي عرشه دونه السموات والأرض
وهو الى العرش كاصغر شئ وعرش الخلق للجلوس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه وتعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الخلق للسكنى فيه والله جعل الكعبة بيته وتعالى ان يسكنها انما المراد
بيان ان ما في السموات والارض لا يغيب عنه كما لا يغيب عمن جلس على السرير ما تحت قدميه واصل الكرسي
في اللغة هو المتراكب والكراسة سميت بها لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرس البعر والبول
اذا تلبد بعضه على بعض ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض
وانما ثنى مع ان السموات جمع ردا الى الجنس والأود الاعوجاج الذي يعرض من الاعتماد عليه
بالثقل وهو العلي العظيم اسمان جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو المتعالي عن الصفات التي
لا تليق به والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التي تليق به قيل تذاكر الصحابة افضل ما في
القران فقال لهم علي رض اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد
البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة
بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة
وسيد البقرة اية الكرسي وفيه نظر لان قوله سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ينبئ عن تفضيل
ادم على محمد عليهما السلام وهو خلاف ما انعقد عليه الاجماع وما ورد في الحديث الصحيح من قوله
عليه السلام انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
آدم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب المصابيح عن ابي سعيد الخدري ولا خفاء في ان السيادة
في الاخرة راجحة على السيادة في الدنيا فالفضل لنبينا عليه وعلى سائر الانبياء السلام وانما
فضلت اية الكرسي لاشتمالها على توحيد الله وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص لافصاحها عن
التوحيد الذاتي وان شرف العلم بشرف المعلوم والموضوع ولا علم اجل واعلى من الله تع ولا
مذكور اعظم ولا اكمل منه فلا ذكر اشرف ولا افضل منه لا اكراه في الدين اي لا الزام على الدين

الحق وهو الاسلام لما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة انما يكون لحمل الغير على ما لا يرى
فيه خيرا فعلا كان او تركا قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي فلا وجه لتقدير ولكن اي
تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجا وقيل هو اخبار في معنى
النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تع جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
او خاص باهل الكتاب لانهم حقنوا انفسهم واموالهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري ابنان
فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري ايدخل بعضي
النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد تقول غوى يغوى غيا وغواية اذا سلك
خلاف طريق الرشد فمن يكفر بالطاغوت بكل معبود سوى الله ولا يلزم اطلاق الطاغوت على عزير
وعيسى والملائكة لان عبادهم ما عبدوهم في الحقيقة بل عبدوا الشيطان على ما في تفصيله
في تفسير قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا التفصيل اتضح فساد ما قيل
والطاغوت كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله والطاغوت من الطغيان وهو
مجاوزة الحد في الشر واصله طوغوت وهو مقلوب من طغووت على وزن فعلوت قلبت ثم
جعلت الواو الفا لفتحة ما قبلها ويومن بالله عدى فعل الايمان بالباء والمقصود التصديق وهو
متعد بنفسه لانه نقيض الكفر المتعدي بالباء ومن دابهم حمل النقيض على النقيض فقد استمسك
اي تمسك عن قصد وطلب والفعل الاختياري اذا كان مسبوقا بذلك يكون حصوله على
اوكد وجه ولهذا تؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره طلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى بما هو اوثق من المتمسكات المحكمة المامونة انقطاعها والظاهر
ان الاستمساك بالعروة الوثقى كالاعتصام بالحبل المتين مثل في كل اعتقاد مطابق لا يحتمل النقيض
فهو تشبيه للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز ولا استعارة في مفرداتها والقول
بالاستعارة في العروة تنزيل للكلام عن الدرجة العليا الى الدرجة العالية كما لا يخفى على من له كعب
عال في صناعة البلاغة لا انفصام لها الفصم بالفاء القطع بلا ابانة والقصم بالقاف القطع مع
الابانة ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات الاول فتامل والله

سميع بالاقوال عليم بالنوايا والعقائد وهو ابلغ وعد ووعيد في عامة الناس ويندرج
تحته التهديد في حق المنافق الله ولي الذين آمنوا ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم بالتوفيق والتاييد
من الظلمات من ظلمات الشبه والشك والضلال الى النور الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم بالاغواء والوسوسة من النور الى الظلمات
من نور البينات الى ظلمات الشك والشبه او ولي الذين ارادوا الايمان يخرجهم بالهداية
والتوفيق من ظلمات الكفر الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر يخليهم مع شياطينهم الذين
يوالونهم يخرجونهم من نور البينات والدلائل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات
ووحد النور لان الباطل متعدد والحق واحد اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد
وتحذير وفيه دلالة على ما في مقابله من الوعد والتبشير ولهذا اكتفى به عنه وانما لم يعكس
محافظة على الفاصلة الم تر الى الذي حاج ابرهيم تعجيب من محاجة نمرود في ربه يجوز ان
يعود الضمير على ابرهيم عليه السلام الا ان الراجح ان يعود على الذي حاج لان مساق الكلام فيه
على وجه التعجيب عن حاله يقتضي ذلك ان اتاه الله الملك مفعول له اي لان اتاه الله الملك
يعني ابطرته النعمة وحمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك او وضع المحاجة مكان ما وجب عليه
من الشكر فعكس الامر والتعجيب على هذا الوجه اقوى او ظرف اي وقت ان اتاه الله الملك وهو
حجة على منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب لا يشفي كما لا
يخفى على ذوي الالباب وكذا ما قيل ملكه امتحانا اذ ما من قبيح الا وان يمكن فيه غرض صحيح مثل
الامتحان اذ قال ابرهيم نصب على الظرف بحاج على الاول وبدل من ان اتاه الله على الثاني
ربي الذي يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحياء قال انا احيي واميت اي اعفو عن القتل
واقتل فاعرض ابرهيم عنه وان كان يتيسر له ان يقول له ليس هذا باحياء ولا اماتة لكن كان
هذا عند ملأ من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابرهيم ان يفضحه فضيحة ظاهرة لا تخفى على احد
فجاء بما لا تمكنه المعارضة بالتلبيس وبهذا التفصيل اندفع ما قيل ما كان ينبغي للنبي ان ينتقل
بل كان عليه ازاحة الشبهة ودفع الوهم الافحام واجيب بان ذلك انما يكون اذا كانت
للشبهة قوة والتبس على السامعين واما في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم
الالتفات سيما مع المجادل الاحمق على انه عليه السلام ما اعرض عن الاعتراض اعراضا كليا بل اوضح
له اجمالا اذ قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب حيث اتى بالقا

الفصيحة

الفصيحة عن كلام مقدر يناسب المقام كانه قال لا يجديك هذا التلبيس في المادة المذكورة
فان الله منفرد بفعل لا مجال للتلبيس في معارضته فيه ولا مجال له لان يقول انه ليس
من فعل ربك ايضا كما انه ليس من فعلي لانه ليس من الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم الى
الرب ولهذا ادعى الربوبية فبهت الذي كفر يقال بهته اي حيره والبهتان على انسان هو الافتراء
الذي يحيره اي انقطع في هذا الالزام الظاهر متحيرا قبل انقطاعه في الالزامين جميعا
في الاول عند العقلاء وفي الثاني عند الكل فان قيل فهلا قال نمرود لابرهيم عليه السلام فليأت
بها ربك من المغرب قلنا لانه خاف انه لو سأل ذلك فعل الله لما رأى منه بعض الخوارق فان
هذه المحاجة كانت بعد خلاصه عليه السلام من النار فعلم الملعون ان من قدر على ذلك قدر عليه
قال الحسن قال الله تع وعزتي وجلالي لاتين بها من المغرب تصديقا لقول خليلي والله لا
يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة
الاحتجاج وفيه انه يوهم ان يكون لنمرود طريق الى المعارضة في الثاني الا انه تع لم يهده اليه
كما زعم من قال ان الله تع انساه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على قرية او ارايت مثل الذي
مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يكون من الكلام المحمول على المعنى
دون اللفظ كانه قيل ارايت الذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية وانما زيد ههنا حرف
التشبيه لانه سلك طريقة الترقي في التعجيب ولا يخفى ان قولك هل رايت هذا ابلغ من قولك
هل رايت مثل هذا ومن لم يتنبه لهذا التزم زيادة الكاف واما قصد التكثير بها فلا يناسب المقام
انما المناسب له ما ذكرنا والقرية من تجمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد
ههنا بلدة بيت المقدس وكان بخت نصر البابلي خربها وهي خاوية ساقطة يقال خوى البيت
بكسر الواو يخوي خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا فلا يجوز
الجمع بينهما والاول متعين للارادة لقوله على عروشها سقوفها واحدها عرش اي سقطت
السقوف ثم وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت فان قيل ظاهر الكلام
ان المار القائل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك واحد ولكلمة الاستبعاد
وانتظامه مع ابرهيم في مثل حاله وهي معرفة طلب احياء الموتى ترجح انه كان مومنا وقوله
انى يحيي على هذا استعظام لقدرة المحيي واعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء ولهذا اشتهر
انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما اراد ابرهيم عليه السلام

ويؤيد هذا ذكر الله واضافة الاحياء اليه انى يحيى هذه الله بعد موتها فانه لو كان الغرض انكار البعث
لكان حقه ان يقول انى يحيى هذه بعد موتها وانى فى محل النصب على الظرف بمعنى متى
او على الحال بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية قال القائل هذا القول ثم ربط حماره ونام
فنزع الله الروح منه مائة سنة فالفاء فى قوله تع فاماته الله سببية لا تعقيبية وحماره وعصيره
وتينه عنده واعمى الله العيون عن رؤيته مائة عام اى فالبثه مائة عام او فلبث ميتا مائة عام
ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت روى انه ناداه مناد من السماء وقيل القائل هو الله ويأباه الفصل
فان حق النظم ح الوصل بالفاء او ثم قال لبثت يوما او بعض يوم انما تردد لان نومه كان اول
النهار وبعثه قبل الغروب ولم يدر انه ذلك اليوم او ما بعده وحمل او على الاضراب تكلف مستغنى
عنه قال المنادى بل لبثت مائة عام فانظر لما كان الامر بالنظر للتنبيه على خارق العادة
وكان ذلك مبنيا على ما تقدم صدر باداة الترتيب والتفريع الى طعامك كان طعامه عنبا او
تينا وشرابك يعنى العصير لم يتسنه لم يتسنه مع انه فى صدد الاخبار عن الشيئين رد الضمير الى اقربهما
ذكرا لانه اسرع تغيرا فاكتفى بذكر حاله عن ذكر حال قرينه والمعنى لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وانظر الى حمارك
الامر بالنظر الى الحمار ظاهر بانه بمرأى منه على هيئة الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما
كان بقاؤه حيا بلا ماء ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقى وقيل
والاول على الحال والاوفق لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه انه لا دلالة
فيه على اللبث مائة سنة فان الزيادة فى الدلالة وما بعده ذو الوجهين فلا ترجيح من تلك
الجهة وفى نظم الامر بالنظر الى الحمار مع الامر بالنظر الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر
الى العظام حيث فرق بينهما بقوله ولنجعلك اية للناس اى فعلنا ذلك ليتبين لك الحال
ولنجعلك عبرة للناس ودلالة لهم على البعث اشارة ظاهرة الى ان الحمار من جملة الباقين كا
ن لم يمت مع صاحبه على ما نقل عن السدى وبه اخذ كثير من المفسرين وانما قلنا ان الواو
للعطف على المقدر لان المقام مقام الفصل للتباين بين الجملتين انشاء واخبارا ومن لم يتنبه
له قال اى وفعلنا ذلك لنجعلك اية فان قلت لا بد للحذف من قرينة قلت نعم وكفى قوله فلما
تبين له قرينة له روى انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ
ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا

واولاده

واولاده شيوخ فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
يعنى عظام الموتى الذين تعجبت من احيائهم كيف ننشزها بالزاى المعجمة اى نرفعها من
الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وقرئ بغير المعجمة من الانشار
وهو الاحياء واحياء العظم جعلها عماد الاحياء ولما كان اللحم فضلة لا يوقف عليه بنية
الحيوة نبه عليه بكلمة التراخى بقوله ثم نكسوها نلبسها لحما وهو مجاز حسن شبه به وانما وحد
اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة
وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه
ان يكون فى موقع البدل من العظام والتقدير وانظر الى العظام كيفية انشازها
على نمط قول الشاعر الى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان اى
اشكو هاتين الحاجتين كيفية التقائهما فلما تبين اى الحال على ما دل عليه سياق المقال
له قال اعلم ان الله على كل شئ قدير من احياء الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون علمت
انه متعجب دون منكر وقرئ اعلم على الامر والآمر مخاطبه واذ قال ابرهيم رب استعطاف
بين يدى السؤال ارنى كيف تحيى الموتى كان موقنا به ايقان غيب فاحب ان يوقن به ايقان
عيان قال اولم تؤمن الواو للعطف على مقدر اى اتقول ذلك ولم تؤمن بانى قادر على
احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة قال بلى امنت ولكن سألت ليطمئن قلبى ليزيد سكونا
بتظاهر الادلة ومضامة علم الضرورة علم الاستدلال فانه لا مجال للتشكيك فى الضروريات
بخلاف الاستدلال والطمانينة السكون والمطمئن من الارض المنخفض منها وحكم خطاب الله اياه
قطع اوهام الجهال بجوابه كيلا يظنوا به عليه السلام شكا فيه ولقد اجاد فيما افاد من قال الظاهر انه
عليه السلام سأل عن كيفية الاحياء لا عن ابنيته وهى غير معلومة لا استدلالا ولا ضرورة نعم
العلم الاجمالى بان لا بد له من كيفية حاصل وقوله تع اولم تؤمن اشارة الى ان العلم الاجمالى
اشارة الى ان العلم الاجمالى كاف فيما يجب ان يعتقد ويؤمن به فى هذا الباب وقوله عليه السلام
فى الجواب ولكن ليطمئن قلبى اشارة الى ان العلم التفصيلى اقوى وفيه حظوة خاصة للعارف
وان العيان وراء ما يدل عليه البرهان ومن هذا التقرير يلوح تفاوت ما بين كلمتى الخليل وعزير
قال فخذ اربعة من الطير قال فى المغرب الطير اسم جمع مؤنث وقد يقال للواحد عن قطرب
وكذا حكاه ثعلب عن ابى عبيدة وجمعه طيور وعليه قول محمد فى المحرم يذبح الطير المسرول وانما

خص الطير من بين سائر الحيوانات لان للطائر ما للسائر وله زيادة الطيران ولانه هوآئي
ومائي وارضي فكانت الاعجوبة في احيائه اكثر ولهذا قال عيسى عليه السلام اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير فصرهن اليك اي املهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك
بعد الاحياء وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره اذا جمعه ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال وعبارة كل في مثل هذا للمبالغة
كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء فلا حاجة الى تقييد الجبال بالتي بحضرتك ثم ادعهن قل لهن
تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في مشيهن على ارجلهن او في طيرانهن والتجوز في سعيا
فعلى للمبالغة كما في عدل في رجل عدل روي انه عليه السلام امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رءوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم ينادي بهن ففعل
كذلك فجعل كل جزء الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رءوسهن وفيه دلالة على
يمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال وعلى فضل ابرهيم عليه السلام على عزير حيث اراه في
الحال ما اراد ان يراه على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز
لا يعجز عن شيء بل يتصرف في كل شيء بالقدرة الغالبة حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فلا يصدر عنه
خوارق العادات الا قدر ما تقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي
على وجه يتوسل به الى رضائه تعالى كمثل حبة اي مثل نفقة الذين كمثل حبة او مثل الذين كمثل باذر
حبة واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب المشبه والمشبه به ليحصل ملايمة المثل للممثل وان
كان التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات انبتت الانبات فعل الله تعالى وانما
اسند الى الحبة مجازا لكونها من الاسباب سبع سنابل اراد جمع الكثرة في موضع تمييز السبع
مكان جمع القلة وهو سنبلات فقد نوجهه في ثلاثة وجوه في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج
منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
على انه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت احوالهم ونياتهم في اعمالهم ومن اجل ذلك تفاوت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية
المنفق وقدر المنفق الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله نزلت في عثمن رض فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه

وسلم باربعة الاف درهم صدقة ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن ان يعتد باحسانه
على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين
للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتهاء وفائدة الدلالة على لزوم الاستمرار
على عدم اتباعهم ما انفقوا بالمن والاذى في استحقاق الاجر المذكور ومن لم يتنبه لهذه
الدقيقة الانيقة قال انها للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم تدخل الفاء
فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا
فعلوا ومبناه الغفلة عن الفرق بين مطلق الثواب والذي يعطى اجرا فان الثاني لا يتصور
بدون العمل عند ربهم اي مهيا محفوظ لا يحتمل الضياع ولا الم الانتظار لتحصيل وقت الحاجة
ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون لنقصان في الثواب قول
معروف اي كلام جميل في رد من التمس منك صدقة ومغفرة اي تجاوز عنه اذا اساء السؤال
او ستر عليه حاله فلا تغيره لفقره ولا تهتك ستره عند الناس سال اعرابي قوما بكلام فصيح
فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب خير من صدقة
يتبعها اذى خبر من المجموع القول الموصوف والمغفرة والتوصيف مما يصحح الابتداء بالنكرة
والعطف على المخصص مخصص والله غني عن كل شيء من صدقة وغيرها وانما امركم بها لينفعكم
بها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء صنيعكم في معاملتكم مع الغير خصوصا مع الفقراء السائلين
وعيد شديد وسخط لمن يمنع لما ورد في الحديث القديم نعوذ بالله من غضب الحليم يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا اجرها وتخصيص الخطاب بالمؤمنين لعدم الاحتمال للابطال
في صدقات غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مقصود فيها بالمن والاذى اي لا بذاك
ولا بهذا كالذي اي مماثلين الذي ينفق ماله رئاء الناس تشبيه من جهة المعنى فان ما تقدم
في معنى لا تضيعوا اموالكم بصدقات بالمن مشوبة وبالاذى مصحوبة وهذا في المعنى كالذي ضيع
ماله بالانفاق رئاء والمشبه به اقوى لانه ضيع ماله ابتداء فمن وهم ان فيه ابطالا فقد وهم والرئاء
مصدر راءى من الرؤية وهو ان يرى الناس ما يفعل من جنس البر حتى يثنوا عليه ويعظموه
ويظنوا انه من اهل الخير وممن ينفق لوجه الله تعالى وانتصب رئاء على انه مفعول له او الحال
بمعنى مرائيا او مصدرا للانفاق رئاء ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا يعتقد لا بالمبدا ولا
بالمعاد فلا حاجة له في زعمه الى الزاد وانما قيده به مع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم فانه

لا ثواب للانفاق رئاء وان كان المنفق مومنا تغليظا في الزجر للمنفق المؤذي المنان
وايماء الى ان تلك الحال لا تليق بمن يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد وانما تخصيص المراد من
المشبه به بالمنافق فلا يقتضيه المقام ولا قرينة له في الكلام فمثله اي فلما كان حال المنفق رئاء
كذلك فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لان بيان مدلوله اهم
فاصابه وابل اي مطر شديد الوقع كبير القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون
على شيء مما كسبوا استيناف كانه قيل ما بال المنفقين رئاء مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون
اي لا ينتفعون بشيء منه وعلى هذا لا حاجة الى التاويل بان الذي ينفق في معنى الجمع او بان
من والذي يتعاقبان انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حال من الذي ينفق والله
لا يهدي القوم الكافرين اي لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدون فالهداية في حقهم في حكم
المعدوم وعلى هذا قوله تع هدى للمتقين والا فالهداية الى الخير والرشاد تعم الفريقين لقوله تع
وهديناه النجدين وقوله تع انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه تعريض بان الرئاء
والمن والاذى على الانفاق من اخلاق اهل الكفر والنفاق فلا بد للمومن ان يتجنب عنها ٥
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم
كلمة من للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه اي ليثبتوا بعض انفسهم فمن بذل ماله لوجه الله
فقد ثبت بعض نفسه لان المال شقيق الروح ومن بذل ماله وروحه معا فقد ثبت كلها واما
لابتداء الغاية كما في قوله تع حسدا من عند انفسهم اي تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان الانفاق
امارة ان الايمان من اصل النفس ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المومنين انها صادقة
الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم وهذا يمشي على التبعيض والابتداء
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق تزكية المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة كمثل
جنة بربوة بموضع مرتفع من الارض والربو الزيادة ومنه الربا واصابه ربو اذا زاد
نفسه في جوفه على عادته اي ومثل نفقة هولاء في الزكوة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره
يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقد قرئ كمثل جنة بربوة بالحركات الثلث اصابها وابل فقد
مر تفسيره فآتت اي اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكرها بمرة لمن ثمر اكلها الاكل
بالضم الطعام الذي يوكل والمراد الثمرة ضعفين مثلها كما ثبت تثمر بسبب الوابل وانتصابه
على الحال اي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال الله تع من كل زوجين

اثنين

اثنين وقيل اربعة امثال ونسبة الايتاء اليها مجازية والقابسية فان لم يصبها وابل فطل
اي مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوائها والمعنى ان نفقات هولاء زاكية عند
الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل
فيه الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون بصير ترهيب عن الرياء
وترغيب في الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا لسرائرهم منزلة الظواهر لعدم التفاوت
بالنظر الى الله تع ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب النخيل جمع
نخل كالعبيد جمع عبد والنخل يكون واحدا فيذكر قال الله تع اعجاز نخل منقعر ويكون جمع النخلة
كالنمل جمع نملة فيونث قال الله تع اعجاز نخل خاوية والاعناب جمع عنب تجري من تحتها اي
من تحت تلك الاشجار الانهار الجاري في الحقيقة مياهها فلا بد من التجوز في المسند او في الاسناد
وبالماء نماؤها وبهاؤها له فيها اي في تلك الاشجار من كل الثمرات كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد
والمراد من الثمرات المنافع وقيل ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والاعناب مع ما فيها من سائر
الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على
سائر انواع الاشجار وعلى هذا يكون له فيها صفة اخرى للجنة من قبيل الصفة الاولى ولا يناسبه
الفصل بينهما بقوله تجري من تحتها الانهار اما اذا كان الضمير للاشجار فظاهر واما اذا كان للجنة فلانه
صفة من جنس اخر واصابه الكبر اي كبر السن واصابته كناية عن العجز عن الكسب فان الفاقة والعالة
في زمان العجز عن الكسب اشد والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار عطف
على اصابه او على تكون على اعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء ملتفة
في الهواء حاملة للتراب مستديرة كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة بالنار فصارت ثمارها الى الذهاب
واصلها الى الخراب وكما يبقى هو وذريته في الحسرات لتقطع الاسباب فكذا الكافر والمنافق
والمرائي والمنان والموذي يتحيرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين فاتهم الثواب وحق عليهم
العذاب كذلك يبين الله لكم الايات بضرب الامثال لانه اوضح بيانا وافصح تبيانا لما فيه من
تصوير المعقول بصورة المحسوس المشاهد عيانا لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها والتفكر

ومنها كناية عن الاعتبار بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الطيب ورد الحلال
لان الحل يجامع الكراهة والطيب لا حظر فيه لا بسبب الحرمة ولا بسبب الكراهة وما كسبتم ينتظم
انواع الحلال باسباب الكسب من التجارة والزراعة وغيرهما ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا مؤونة
كسب منكم دل على ذلك اضافة الاخراج الى نفسه تع دون المنفقين وقد اضاف قرينه السابق اليهم
والمراد منه المباحات التي ملكوها بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الحظر فيه بوجه من
الوجوه ولهذا قال الله تع ومما عطفا له على الطيبات دون ما عطفا له على مدخولها ومن لم يتنبه
لهذا قال اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره
ولم يدر انه رجح حقه عدم زيادة من كيلا يحتاج الى التقدير ولا يخفى انه من قبيل التطويل المخل
بالبلاغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوه وهو ابلغ من و لا
تنفقوا الخبيث ومعناه الردي وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه ينفي الردي وهو ينتظم الحرام
والمكروه منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير البارز للخبيث وتقديم الجار والمجرور للتخصيص
اي تخصون بعضا منه بالانفاق لان شح النفس وحب المال يقتضي تخصيص شي من الردي وما
يشبه حاله بالانفاق وهو مناف لفضيلة البر قال الله تع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وفيه توبيخ وتعيير وتعريض بما كانوا يفعلونه ويجوز ان يكون الضمير المذكور لجميع المكسوب
والمخرج كما في قوله * كانه في الجلد توليع البهق * وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا
ولستم باخذيه الاخذ كناية عن الاختيار ضرورة انه ماخوذ حقيقة لما عرفت انه مكسوب او
مخرج اي وحالكم انكم لا تختارونه لانفسكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف
اي الا وقت ان تغمضوا فيه اي ان تسامحوا في اخذه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض وتوجدوا مغمضين روي انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عن ذلك ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على واعلموا
الامر بذلك مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير كالوعيد في الشر ويستعمل في الشر ايضا اذا قيد بما هو ويامركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله
يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير في منه لله تع وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم
في الدنيا او ثوابا في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي

الحكمة يوفق للعلم والعمل به من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة
بناه للمفعول لانه المقصود وقرئ بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم
كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر من الآيات الا اولوا الالباب ذووا
العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى الهوى والمراد به الحث على العمل بما تضمنت
به الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق رياء او
لوجه الله او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه
وعد ووعيد على ابلغ وجه لان العلم في هذا المقام كناية عن العمل بموجبه يقال فلان لا يعلم
الاحسان اي لا يعمل بمقتضاه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم
رياء او مع المن والاذى او لا لوجه الله وابتغاء رضاته او يخصون الانفاق بالخبيث الردي
او ينفقون في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع
الشيء في غير موضعه المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم من الله تع
ويمنعهم من عقابه والعدول عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية لمقابلة
الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب دقيق النظر ان تبدوا الصدقات
فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي فنعم شيئا ابداؤها فوضع هي موضع ابداؤها اي
الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اعتبر هذا القيد هنا ولم يعتبره فيما سبق اذ لا
تاثير له ثمة فان الصدقة تنمى سواء كانت للفقير او للغني انما تاثيره في كون اخفائها خيرا من
ابدائها وذلك عند كونها للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب الرياء فانه لا بد منه اذا
كانت لوجه الله تع وذلك اذا كانت للفقير واما اذا كانت للغني فلا تكون لوجه الله تع فلا
حاجة الى الصون المذكور ولا الى الستر المزبور فهو اي فالاخفاء مع اصابة موضع الاستحقاق
خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات فالاظهار افضل عن ابن عباس رض صدقات السر
في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة
وعشرين ضعفا وانما كان اظهار الفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف
باليسار كان اخفاؤها افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل والاعمال
بالنيات ونكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد الفاء فيكون جملة فعلية في حكم الجزاء
او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة فعلية مبتدأة او مجزوما عطفا على محل

الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ونكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى او للاخفاء ونكفر
بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرئ بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان
تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم من سيئاتكم من للتبعيض اي يكفر بعض سيئاتكم وذلك لان
ما هو من حقوق العباد لا تتعلق به المغفرة بدون رضا الخصم قال الامام المطرزي في المغرب
الكفر في الارض الستر يقال كفره وكفّره اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد هل ذلك مكفر عنه
خطاياه يعني هل يكفر القتل في سبيل الله ذنوبه فقال نعم الا الدين اي الا ذنب الدين فانه
لابد من قضائه والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت الاظهار والاسرار وفيه ترغيب في
الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى امتثال ما امروا به والانتهاء
عما نهوا عنه من المن والاذى والريا والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما هو وما عليك الا ان
تبلغهم فحسب ولكن الله يهدي من يشاء استدراك عما يقتضيه الكلام السابق وينتظم به من تعليله
كانه قيل لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية المنجية عن الضلال فيخص بها من يشاء
وفيه دلالة على ان الهداية الموصلة الى البغية من الله تعالى وبمشيته والا انها مخصوصة بقوم
دون قوم فهو اظهر من ان يخفى والحاجة الى الدلالة فيما يشتبه فيه الحال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم اي فانتم تنتفعون به وانما قال من خير دون من مال لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع
به المنفق بل يتضرر فالعبارة المذكورة ضمنها الاشارة الى النهي عن انفاق المال الخبيث وعن
المن على الغير والاذى له على ابلغ وجه واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا هو
المناسب لان يقصد بالكلام المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال وما تنفقوا
من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فلا تتركوه وانفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو
تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لدعوة الملك القائل اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة
الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وانتم لا تظلمون جملة حالية اي لا تنقصون شيئا مما وعد من
الثواب جزاء لاعمالكم فان نقص الاجر الموعود ظلم وان لم يكن نقص الثواب مطلقا ظلما للفقراء
الجار متعلق بمحذوف تقديره اعمدوا للفقراء واجعلوا نفقتكم للفقراء كقوله في تسع آيات اي

اذهب

اذهب في تسع ايات او خبر لمبتدا اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد
والاحصار منع النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب تقول
ضربت في الارض ضربا اذا سرت فيها اي يكرهون السير لاجل لئلا يفوتهم صحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخروج في سرية وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون سمعا اي يكرهون سماعه
ولهم آلات السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما قيل لا يستطيعون لاشتغالهم
بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة واقواتهم من فضل الاغنياء وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف اي من اجل
تعففهم عن السؤال دفعا لاحتمال ان يكون حسبانه من الاغنياء لكونه من الاغنياء وفي اطلاق اسم
الجاهل عليه على الاطلاق ما لا يخفى من الذم وذلك الاستحقاق لان الغافل عن حالهم لا يكون من
اهل الصحبة والوفاق والتعفف تفعل من العفة يقال عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه
عن طلبه تعرفهم الخطاب لمن يستحق التوصيف بعرفانهم من الاصحاب ومن حذا حذوهم في
سلوك الصواب بسيماهم بعلامتهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا خفاء في ان لسان الحال
انطق من لسان المقال وبيان الدلالة اصدق من بيان العبارة فالعارف يحدث من رثاثة
الحال والجاهل يستدل بعدم السؤال ومعنى لا يسألون الناس الحافا نفي السؤال والالحاف جميعا
كقولهم ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب بها ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى ادخل في
التعفف وفي ان يحسبوا اغنياء فيكون انسب للمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي
هذا النوع من التركيب رقيقة انيقة وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني جعل الاول
مسلما لا نزاع فيه اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول ولهذا قال ابن عباس رض في تفسيره
لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل ترك غير الالحاف ذكر اللايماء الى اطلاق السؤال عند الحاجة
ورفع الاثم عمن فعله مضطرا او الالحاف لزوم السؤال من الحف الذي يلازم الملتحف به والجمل
الاربع بعد الصلة مترتبة عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل للعاطف بينها لشدة اتصال كل منها
بالاخرى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى به كناية عن انه
لا يضيع ولهذا زاد قوله من خير فانه اذا اريد علمه تعالى به على حقيقته تكون تلك الزيادة خلوا عن
الافادة الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاحوال والاوقات

بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابي بكر الصديق رض وقيل في علي كرم الله وجهه وقيل نزلت في علف الخيل ورباطها في سبيل الله تع فلهم اجرهم عند ربهم اي يؤمن عن الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا لحصول الخبر للموصول ضمنت معنى الشرط وادخل الفا في الخبر وان لم يقصد ذلك فلا كقوله تع الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولهذا جوز الوقف على قوله وعلانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره الذين ياكلون الربوا اي يتمتعون به فان التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريقة العبارة عن كل وجوه الشيء بجلها شائع في الالسنة كلها كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم ومعناه لغة الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في القدر او في الاجل على الوجه المذكور في كتب الفقه لا يقومون يوم القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام الذي يتخبطه المفسد من الجن والخبط الضرب باليد كيف يقع والرمح بالرجل والزبن بالركبة والتخبط تكلف الخبط والمراد الزيادة فيه من المس متعلق بيقوم او بيتخبط والمس الجنون يقال مس على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون والجنون قد يكون بضرب الشياطين من الجن ولذلك يسمى مجنونا وهو بتسليط الله اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وان لم يعقل في ملكه اياها اي لا يقوم اكل الربوا من قبره في يوم القيمة الا كالذي صرعه الجن فخبله فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط ليس كسائر الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه عقوبة لهم بها يعرفون يومئذ وقد ثقل بطونهم ما اكلوه من الربوا ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا احدهما على الاخر يعني ان البيع يكون مثل الربوا في اشتماله على الفضل ولو كان ذلك سببا للحرمة لزم حرمة البيع لكنه حلال فثبت انه ليس بسبب للحرمة فالربوا ليس بحرام او شبهتهم ان بيع السلم وغيره قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين فيكون ازكى من الربوا ومن لم يجيبه لما قررناه زعم انهم بالغوا في وصف اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه اصلا في القياس وشبهوا البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر ● وبلدة مغبرة

ارجاؤها ● كان لون ارضه سماؤها ● بالغ في وصف السماء بالاغبرار حتى شبه الارض بها وفي التعبير عن اعتقادهم هذا بالقول ما لا يخفى من المبالغة في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا وفيه دلالة على ان القياس يهدمه النص حيث نقل قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد القياس من حيث ان الفضل في الربوا محقق وفي البيع متوهم واما قيل هو ابطال للقياس لمعارضة النص فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص الفارق بينهما فلا معارضة وقتئذ فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا وفي عبارة الرب ايما الى انه تع يربي عبده بالفضل بلا توقف على كسبه كيف وقد رباه وهو جنين فحقه ان لا يتجاوز في طلب المكسب عن حد الرخصة فانتهى فاتعظ به وتبع النهي فله ما سلف اي فلا يؤاخذ بما مضى منه ولما اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وانما ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلا فلا حاجة الى التاويل بانها في معنى الوعظ وامره في ذلك الى الله يحكم في شانه يوم القيمة لا اليكم فلا تطالبوه بشيء ومن عاد الى الربوا بعد النهي عنه فاولئك اصحاب النار لاصرارهم عليه هم فيها خالدون اذا اعتقدوا حله لانه كفر والكفر يوجب الخلود في النار يمحق الله الربوا المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يذهب كله كما في محاق الشهر وهو حال اكل الربوا فان الله يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات اي ينميها ويزيدها بان يضاعف عليها الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط لا يقال الكلام في ارباء ما يتصدق به وهذا ليس منه لانا نقول وقوع زيادة المال والبركة فيه بسبب فضيلة تزيد وارباء له لتضاعف الثواب بسببه والله لا يحب عدم المحبة كناية شائعة عن البغض كل كفار باستحلال الربوا اثيم باكله بدون المبالاة يحمل على التعميم بعد السلب حتى يكون سالبة كلية دون العكس اذ حينئذ يكون رفع الايجاب الكلي وهو لا يناسب المقام ولا بعد فيما ذكرنا لان القيد المعدوم ذكرا يعتبر مؤخرا معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ بليغ في شان المستحل للربوا لما فيه من الايذان بتجدد كفره في كل آن ان الذين امنوا بالله ورسله والايمان بالرسول لا يتم الا بالايمان بجميع ما جاء به منه تع وعملوا الصالحات من الفرائض والواجبات والمندوبات

واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على سائر الاعمال الصالحة لكونهما
من العبادات البدنية والمالية لهم اجرهم عند ربهم قدم تفسيره ولا خوف عليهم من آت ولاهم
يحزنون على ما فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي من الربوا بقايا ما
شرطتم على الناس منه وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة
ان كنتم مومنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به وفي اطلاق مومنين في الذكر عن
القيد المذكور دلالة على ان المومن حقيقة من آمن بقلبه روي انه كان لثقيف وكان
لهم على قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا لم يرد مطلق
الترك بل اريد الترك في ضمن الابرا فلهذا قيل لم تفعلوا دون لم تتركوا فاذنوا بحرب فاعلموا
بها من اذن بالشي اذا علم به وقري فآذنوا اي فاعلموا غيركم من الاذن وهو الاستماع
لانه من طرق العلم وقري فايقنوا وهو لقراة العامة والتنكير في حرب للتعظيم من الله
ورسوله الحرب يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم بامر من الله تع فذكره تع للتمهيد وحرب منه
ابلغ من حربه لما في التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب لا يقبل التوقيف لعظم شانه
وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفي الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره
روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتبا ومن
زاد على هذا قوله واعتقاد حله فكانه غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفره فان
قلت اليس يفهم من قوله فلكم روس اموالكم اصولها واما الارباح فطواري عليها لا تظلمو ن
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان انهم ان لم يتوبوا فليس لهم روس اموالهم قلت
ذلك مما سبق الى فهم من قال انه ح يكون مالهم فيئا للمسلمين وتبعه القائل وهو سديد على ما
قلنا اذا المصر على التحليل مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انه ان لم يتوبوا
لا تصل ايديهم الى روس اموالهم وذلك لانهم يقتلون ح كما يقتل الباغي وان كان اي وجد
ذو عسرة وقري ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فليكن نظرة
او فعليكم نظرة وهي الانظار وقري فناظرة على الخبر اي فصاحب الحق ناظرة بمعنى منتظرة
او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظر الى ميسرة قري بضم السين
وفتحها وهما لغتان بمعنى يسار وقري بهما مضافين بحذف التا عند الاضافة وان تصدقوا
بالابرا خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد

فهم منه

التصدق

بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة
بعثلهم على التصدق بالدين كله او بعضه على من اعسر من غرمائهم او على الامهال الى وقت
اليسار ان كنتم تعلمون كنى بالعلم عن العمل لانه اذا كان نافعا قلما يتخلف عن علمه فهذه الكناية
باعتبار مبناها تاكيد لما تقدم من الخيرية على ابلغ وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه
الذكر الجميل والاجر الجزيل ثم انه لم يدر ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا
كان الحث من الله تع لان الصدقة المرضية عنده تع ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا يوما يوم
القيمة والتنكير للتعظيم وللاشارة الى انه لا يقبل التوقيف ترجعون من الرجع وقري بفتح التاء
وكسر الجيم من الرجوع وقري بالياء على الالتفات فيه الى الله للحساب والجزا والامر بالاتقاء كناية
عن الامر بموجبه وهو التاهب للمصير اليه ثم توفى التوفية والايفاء الاكمال كل نفس كاسبة ما كسبت
اي ما احرزت من جزاء الاعمال الموعود فان الكناية بالكسب عن الاحراز شائع في الالسنة كلها وانما
وصفنا الجزا بالموعود لان الظلم بنقص الثواب انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون
لا بنقص ثواب ولا بزيادة عذاب عن ابن عباس رض انها اخر اية نزل بها جبريل وقال
ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
احدا وعشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم اذا داين بعضكم
بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته او باعك واما
كونها نسيئة فغير معتبر في المداينة وارادتها في المقام لذكر الاجل وانما قال بدين مع انه
مستفاد من التداين للتعميم اي اي دين كان قليلا او كثيرا او لقطع احتمال معنى اخر فان المداينة
قد يراد بها المجازاة والتنويع الى الموجل والحال فيعلم من قوله الى اجل ومن رجع الضمير في
فاكتبوه لا يلزم ان يكون مذكورا بل يكفي ان يكون مفهوما في ضمن الكلام السابق هذا كله بحسب
جليل النظر والذي بحسب دقيقه هو انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه لو لم يذكر لفهم
تعلقه بالتداين ولا وجه له فان المبايعة الى اجل غير مشروعة مسمى معلوم موقت بالسنة
والشهور والايام المعينة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج ونحو ذلك مما لا يتعين فاكتبوه
نبه على انقسام الدين الى حال وموجل وامر بكتابة الموجل على سبيل الندب والارشاد لانه
اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربوا اباح السلم وسياتي ما يتعلق بهذا المقام من الكلام وليكتب قيده بقوله بينكم

ليكون ابعد عن الاشتباه والتهمة والتنكير في كاتب للتنبيه على ان المعتبر كون الكتابة
على الوجه المعهود لا كون الكاتب معهودا ولهذا قيدها بقوله بالعدل واطلق الكاتب اي
وليكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ولا ينقص عنه وهذا يدل اقتضاء على ان
الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى يكون مكتوبه معدلا بالشرع فيحصل ما هو
المقصود من الكلام على تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي ذكرناه فيفوت
ح فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء
مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب ولا يمتنع كاتب احد من الكتاب ان يكتب فان تنكير
كاتب بعد النهي يفيد العموم كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كما قال الله تع واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا وهذا لان الفاء تدل على ان الترتيب على السابق
ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تاكيد له يشعر بذلك كل الاشعار ويجوز ان يتعلق
الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وهذا الوجه احسن
من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من تحرج وتفخيم لشان الكتابة على النهج المذكور وفي تقديم كما
علمه الله مبالغة حسنة والاول اظهر واقرب تناولا وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء
الالقاء على الكاتب للكتابة والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملاء اليه لانه
المقر المشهود عليه وليتق الله ربه اي الكاتب والملي على ما يستفاد عليه من اسم الذات والوصف
تذكيرا لكونه مربيا له مصلحا لحاله ولا يبخس منه شيئا اي ولا ينقص مما املى عليه قليلا ولما
كان الامر بالاتقاء تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يؤت بينهما باداة الترتيب فان كان
الذي عليه الحق دل هذا على توجه الامر والنهي الى الكاتب فانهما لو توجها الى المملي لكان
الكلام في هذا المقام الاكتفاء بالضمير وتصديره بالفاء المرتبة على المقدم سفيها محجورا عليه لجهله
بالتصرف او التبذير او ضعيفا لصغره او كبره والمراد ضعف القوى لا ضعف النهي لانه
من اسباب الحجر فيندرج تحت السفه او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع بنفسه لعي او خرس
فليملل وليه اي الذي يلي امره وصيا كان او وليا او وكيلا او ترجمانا بالعدل فيه دلالة على
جواز النيابة في الاقرار بالدين واستشهدوا شهيدين اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان
من رجالكم اي من المؤمنين البالغين اما البلوغ فلابد منه قطعا واما الاسلام فلابد منه ايضا

ان

ان كان المديون مسلما وان كان كافرا فاعتباره احتياطا لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة في الاية
على انه لا تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ثم ان المقصود بيان النصاب لا بيان الشرائط
فلهذا لم يتعرض لقيد الحرية والعقل فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامراتان فليشهد رجل وامراتان من قال هذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة فكانه ذهل عن ان الكلام في الاشهاد على الدين فان قلت اليس
كل منهما نصاب الشهادة بلا تفاوت بينهما ولا توقف لصحة الثاني على عدم الاول قلت نعم
لا توقف لصحة الثاني على عدم الاول ولهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامراتان واما عدم
التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل هو الاول وهو الراجح ولهذا صدر الشرطية المذكورة
باداة الترتيب ممن ترضون من الشهداء اي من العدول المرضيين من الشهود ان تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى علة لاقامة شهادة امراتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعنى
النسيان مجازا لانه سببه كما في قوله تع فعلتها اذا وانا من الضالين فان قيل كيف قال
ان تضل وانما الاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال قلنا اجاب عنه سيبويه بان الضلال
سبب الاذكار فتقدم عليه لانه سبب العلة لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحائط ان يميل
فادعمه وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والعدول عن الظاهر للاعتناء
بشان التذكير فان افضاء الفعل اليه وكونه مقصودا من الفعل بلغ مبلغا صار المهروب عنه
مطلوبا لاجله من حيث كونه مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بانه بمعنى الجزاء وتقدير ان تذكر
احداهما الاخرى ان ضلت الا انه لما كان قدم ان اتصل بما قبله من العامل فانفتح ويؤيده قراءة
ان تضل بكسر الالف على الشرط فتذكر بالرفع وقرئ ان تضل على البناء للمفعول اي ان توجد ضلالة
من الاضلال الذي همزته للوجدان نحو احمدته بمعنى وجدته محمودا ولا يخفى ما في التعليل المذكور
من الدلالة على ضعف حفظهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان تسميتهم
شهداء قبل التحمل تنزيلا للمشارف منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء الشهادة ليؤدوها
والنهي عن الاول تنزيها وعلى الثاني تحريما ولا تسأموا نهي عن الضجر والملل من كثرة المداينات ان تكتبوه
اي لا تملوا ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب كذا قالوا وقد يرد عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد
الشروع فيه والاكثار منه والمراد هنا النهي عن السامة من ان يكتب ابتداء فالوجه ان تكون السامة

كناية عن الكسل والمصير الى الكتابة لا لانه من صفة المنافق اذ ح لايجدي تغيير التعبير بل
لان تلك العبارة كانت دائرة على السنة المنافقين فصارت من شعارهم ولذلك قال عليه السلام
لايقول المومن كسلت صغيرا قدم اهتماما به وانتقالا من الادنى الى الاعلى او كبيرا حالان منه اى
لاتساموا الكتابة الحق او الدين على اى حال كان من صغر او كبر ولا تساموا ان تكتبوه مختصرا
او مشبعا على ان الضمير للكتابة الى اجله الى وقته الذى عينه المتداينان ذلك اشارة الى
ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اقسط اكثر قسطا عند الله اى فى حكمه واقوم للشهادة
واثبت لها واعون على اقامتها واقسط مبنى من قاسط بمعنى النسب اى ذى قسط واقوم
من قويم ويجوز عند سيبويه ان يبنى افعل التفضيل من غير الثلاثى فيكونان مبنيين من
اقسط واقام وادنى ان لا ترتابوا واقرب لانتفاء الريبة فى جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه وقوع افعل خبرا الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء منقطع اى لا
تتركوا الكتابة وقتا او لعلة الا وقت كونها تجارة ناجزة تتعاطونها بينكم يدا بيد
او الا ان تكون تجارة ناجزة على ان ما بعد الا نصب على الظرف او على المفعول له وقرئ
تجارة حاضرة بالرفع على ان كان التامة او الناقصة واسمها تجارة وخبرها تديرونها
وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة
بدين او عين والمفهوم من تفريع نفى الجناح وهو الاثم على الشرط المذكور فى المستثنى
ثبوت الاثم فى عدم الكتابة على تقدير فقد ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة
فيما تقدم للوجوب فالقائلون بحجية المفهوم لابد لهم من القول بوجوب الكتابة ثمة واشهدوا
اذا تبايعتم فى العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل
البناء للفاعل وللمفعول جميعا والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن
عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمراد نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما
يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهى المستكتب والمستشهد عن الضرر بهما بان
يعجلا عن مهم او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مؤنة النقل من مسافة
بعيدة وامثال ذلك وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اى وان تضاروا او ان
تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة

امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شىء عليم كرر لفظة الله ثلاث مرات
متواليات وكان الثانى والثالث موضع كناية ولهذا الباب قانون يعرف به المستحسن من المستقبح
وهو ان كل تكرير على طريق تعظيم الامر او تحقيره فى جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها
فذلك غير مستقبح واذا كان ذلك فى جملة واحدة او فى جمل فى معنى واحد ولم يكن فيه التعظيم
او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر فى الاية فان الجملة الاولى منها حث على التقوى والثانية تذكير
نعمة والثالثة تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام
فاعيد لفظة الله فيها وان كنتم على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من
دخل مدينة ولم ينو الاقامة مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لان يذكر لتمهيد العذر ولم
تجدوا كاتبا هو الثانى دون الاول فرهان خبر مبتدأ محذوف اى فالذى يستوثق به رهان وهى
جمع رهن وهو العين المقبوض بالدين توثيقا له وقرئ فرهن وهو جمع جمع قال الجوهرى كانه
يجمع رهن على رهان ثم يجمع على رهن مثل فراش وفرش ولا يجمع فعل على فعل الا قليلا شاذ
مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس لدوام القبض فيها وليس الغرض
تخصيص الرهن بالسفر شرطا فى جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد ارشد
المسافر الى حفظ المال بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد
والضحاك انهما لم يجوزاه الا فى حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشىء لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رهن درعه فى حضر واما القبض فلا بد من اعتباره على ما نبهت عليه اتفاقا
وعليه الجمهور وقال مالك يصح الرهن بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم
بعضا فان امن بعض المتداينين بعض المديونين لحسن ظنه به فليؤد الذى اؤتمن امانته
فليجب على المديون اداء امانته الذى ائتمنه عليها بان لم يرتهن منه شيئا حاله على انه يكون
عند ظنه به وفى تسمية الدين امانة ايضا حث للمديون على ادائه وان كان مضمونا بخلاف
الامانة وقرئ فان اومن اى امنه الناس بان وصفوه بالامانة والديانة والاستغناء
عن الارتهان من مثله وليتق الله ربه نهى عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه وفيه وجه
الجمع بين اسم الذات والوصف ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه
اثم خبر ان وقلبه فاعل اثم اى فانه ياثم قلبه او قلبه مبتدأ واثم خبره والجملة خبر ان وقرئ
قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرئ واثم قلبه اى جعله اثما واسند الاثم الى القلب لكونه

الخ من وجوه احدها ان يعلم انه الاثم اضمر ولم يبد الى اللسان ليظهر فالقلب هو المعترف
فيكون صاحبه قاصد الذنب لا اللسان فيكون كالمبادر والثانى ان الفعل اذا اسند الى
الجارحة التى عمل بها كان ابلغ واكد كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصره عينى وسمعه
اذنى وعرفه قلبى الثالث ان القلب هو الرئيس والاصل فى البنية فاسناده اليه افاد انه
تمكن فى اصل نفسه وملك اشرف محل فيه ورسخ فى ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة بالاعضاء
الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واما القلبيات فيكون اشد
واغلظ وابعد عن الغفر الخامس الايذان بان الكتمان من الكبائر المتعلقة بالعقائد
كالكفر والنفاق والشرك وامثالها ولهذا قال ابن عباس رض اكبر الكبائر الاشراك بالله
لقوله تع فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة السادس القلب هو
الاصل الذى يتقوم به سائر الاعضاء فافعاله هى الاصول التى يتشعب عنها افعال الجوارح
الا ترى ان اصل الحسنات والسيات الايمان والكفر فهو الذى اذا اصلح صلح الكل واذا
فسد فسد الكل فاذا ما اثم القلب ما اثم الكل والله بما تعملون عليم وعيد تهديد لله ما فى
السموات وما فى الارض ناسب ختم ما فى هذه السورة من الكلام المشتمل للاحكام العديدة
والتكاليف الشديدة بذكر انه تع له ما فى عالمى الملك والملكوت فهو يكلف من يشاء بما يشاء
ولما كانت التكاليف محل اعتقادها الانفس قال وان تبدوا ما فى انفسكم من السوء او تخفوه
ولا يدخل فيه الوساوس وحديث النفس اذ ليس فى وسعه الخلو منه ولا يكلف الله
نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده او عزم عليه يحاسبكم به الله قال الحسن ليس يعاقب
الله عبدا يوم القيمة اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او هم فى قلبه دون ان يعرفه
اياه يوم القيمة حتى يقرره ثم يغفر ما يشاء لمن يشاء ويعذب من يشاء بما يشاء فيغفر لمن يشاء
من اهل المغفرة ويعذب من يشاء من اهل العقوبة وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب
وفى الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة على من انكره من المعتزلة والروافض قرى
فيغفر فيعذب مجزومين على جواب الشرط ومرفوعين على الاستيناف وتقديره فهو يغفر
ويعذب وقرى يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم بدل البعض من الكل وبدل
الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل للاجمال الذى فى الحساب لان التفصيل ابين واوضح
فكل ما يحتاج الى البيان يجرى فيه هذا البدل اسما كان او فعلا اذ الفعل قد يحتاج اليه احتياج

الاسم والقراءة اظهار الراء فى الجزم وادغام الباء ومن روى ادغام الراء فى اللام عن ابى عمرو
فهو مخطئ مرتين حيث الحن لحنا فاحشا اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها ثم نسبه الى اعلم الناس بالعربية
والسبب عدم ضبط الرواية لعدم الدراية كذا قيل وفيه بحث يطلب من تفسير ابى حيان والله
على كل شئ قدير فلا يعجز عن الاحياء والمحاسبة وما يعقبها من المغفرة والتعذيب امن الرسول
تنصيص من الله على صحة ايمانه عليه السلام والاعتداد به بما انزل اليه روى عن ابن عباس
ان جبريل عليه السلام انزل على محمد جميع القران الا هذه الايات الثلاث فان الله تع اوحاها
اليه عليه السلام ليلة المعراج وبه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه فى عبارة الرب اشارة
الى ان فى الانزال المذكور تربية له عليه السلام ولهذا كان متدرجا والمومنون كل امن بالله
وملائكته ان عطف والمومنون على الرسول كان التنوين فى كل عوضا عن الضمير الراجع الى
الرسول والمومنون اى كلهم امن ووحد ضمير كل فى امن ليتناول كل واحد فيكون ابلغ من الجمع
وان جعل مبتدا كان الضمير للمومنين دون الرسول وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر مبتدا
فيكون افراد الرسول عليه السلام بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم
عن نظر وبرهان فكانهما جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين الملائكة والرسل باعتبار انها
تصل منهم اليه وقرا ابن عباس وكتابه يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب لما
ذكر من تناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب فان تناوله وحدان الجمع لا نفرق بين احد من
رسله اى يقولون لا نفرق وقرى يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرى لا يفرقون حملا على
معناه كقوله تع وكل اتوه داخرين واحد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى
العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما وراه وهذا العموم غير العموم المستفاد من
وقوع النكرة فى سياق النفى يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا بتقدير عطف
اى رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا فان الفرق بالتفضيل والبعثة
بالشريعة غير منهى عنه وقالوا سمعنا اى فهمنا كما فى قوله تع ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون اى كان اطاعتنا عن اذعان وقبول لا عن تقليد على العمياء او طمعا فى متاع
الدنيا وقيل اى اجبنا وفيه ان قوله واطعنا يغنى عنه والافادة خير من الاعادة وتجوز
ان يكون المراد سمعنا قولك فيما كلفتنا واطعنا امرك فى ذلك غفرانك ربنا منصوب
باضمار فعل يقال غفرانك لا كفرانك اى نستغفرك ولا نكفرك اى من التقصير فى حقك

وفي مجادلتك التي لا تتوقف في حقها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسع فيه طوقها ويتيسر
عليها دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار من عدله ورافته كقوله يريد الله بكم اليسر
لانه كان في طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وفيه دلالة
على عدم وقوع التكليف بالمحال واما انه ممتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من الاخبار عن عدم
وقوعه امكانه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وتقديم لها وعليها على الكسب
والاكتساب للتخصيص اي لا ينتفع بخيرها ولا يؤاخذ بشرها غيرها بل يختصان بها وتخصيص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
اليه فكان اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير وفيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث
يثيب على الخير كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وقوة التصرف ربنا اي
يقولون ربنا كما تقدم وما بينهما اخبار من الله تعالى والاعتراض قبل تمام الكلام كثير في
القران لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا النسيان والخطا مجازان من باب اطلاق
اسم السبب على المسبب اي لا تؤاخذنا ان فرط منا ذنب بسبب النسيان او الخطا
او من باب اطلاق اسم المسبب على السبب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطا
من تفريط وقلة مبالاة ويجوز ان يكون على حقيقتهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا
لكنه تعالى وعد التجاوز عنهما رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيده قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان يحتمل المعنيين ايضا لان المرفوع
اثرهما لا نفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكرير للنداء فلا يحل بعطف
قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تؤاخذنا اصرا الاصر العبء الذي يأصر صاحبه اي يحبسه
في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
في الطلب لما في المطلوب استقاؤه كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا من
الامم او مثل الذي حملته عليهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل
الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفاء عن
التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم من العقوبات لتفريطهم في المحافظة
عليها وقيل هو تاكيد للاول بالتكرير او المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف

وهذا على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى مرادا من الاية حتى تتم الدلالة فيها
على جوازه والتشديد هنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا قال الازهري كل من
استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه لفظ اللازم والمتعدي سواء يقال عفا الله عن العبد
عفوا وعفت الرياح الاثر عفاء وعفا الاثر عفوا واغفر لنا واستر ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف
عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر فلا تكرار وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا
سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى
ان ينصر مواليه على الاعداء او فان ذلك من امورنا التي تولها ختمت السورة الكريمة
بمثل ما بدئت به من اثبات توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضاء والقدر
في ضمن ذكر المؤمنين السامعين المطيعين وهم المتقون الذي جعل الكتاب هدى لهم وبين
شمول لطفه في شان هذا النوع وخصوصا بهذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان
كمال حال المؤمن المطيع ان لا يزال مستمدا من بحر جوده بالسنة الاستعداد والحال والمقال
فبذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال ومعارج الجلال والجمال

في قول عكرمة والحسن البصري ومدنية في قول عامة اهل التفسير بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام كما هو قراءة ابي بكر في
رواية عن عاصم واطبق سائر القراء على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء حركتها عليها
وهي في حكم الوقف والهمزة في حكم الثابت ومن قال ان الحركة لالتقاء الساكنين لم يرد بالساكنين
الياء والميم من الف لام ميم في الوقف بل اراد بهما الميم ولام التعريف فنظيرهما النون واللام
في من الرجل فلا يرد عليه انه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام لما عرفت انه
اعتبر التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكر ليس بنظير له لانه في كلمة واحدة والفرق واضح واما
قراءة الكسر فما جوزها الاخفش ولم تنقل عن احد من السبعة الحي القيوم اسم الله الاعظم بدلالة
ما روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القران منجما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره ومواعيده او بالبينات المحققة انه من عند

الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء السالفة
الحاضرة عند نزوله وانزل جملة التورية والانجيل اسمان عبرانيان فلا يدخلهما اشتقاق عربي
بنص النحاة ثم تكلفوا فيهما على تقدير كونهما عربيين فالتورية فوعلة او تفعلة بكسر العين او
تفعلة بفتحها من الوري والانجيل افعيل من النجل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم
واختصاص الكتابين المذكورين ببني اسرائيل من جهة التكليف لا ينافي عمومهما لجنس الانس من جهة
الهداية فان من تعبد بهما قبل الانتساخ فقد اهتدى وان لم يكن من بني اسرائيل على ان كونهما
هداية الى اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ ولهذا قال الله فبهداهم اقتده وانزل الفرقان
رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا مع اعادة لفظ انزل
التغاير بالذات وانما خص بعبارة الفرقان جبر النقصان المتوهم من جهة تاخير ذكره عن قوله
هدى للناس فكانه قيل في الكتب الثلاثة شرائع هي هداية للناس وفي هذا الكتاب حكم يفرق
بها بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب
شديد مخصوص بنوع لا يعرف كنهه من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب
ذو انتقام تنكيره دل على قوته كما وقد اقترن بصفة العزة فدل على قوته كيفا حيث لم يتصور
اندفاعه فعلم من الجملة معنى قوله لا يعذر له انتقام لا يقدر قدره من الشدة ولا يقدر على مثله
منتقم والنقمة مطلق العقوبة لا عقوبة المجرم خاصة وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة
الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء عبر عن العالم بقطريه وتقديم الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها كانه قيل يعذبهم الله الذي له كمال القدرة والغلبة والعلم باحوال العباد هو على الانفراد
والتعيين الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة في موضع الظرف اي في اي
صورة وعلى اي هيئة يشاء يصوركم وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ
لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع في ملكه وحكمه الحكيم في قوله وفعله
قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبهتهم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات في موضع النصب بالحال من الكتاب او كلام مستانف موضح لحاله
محكمات احكمت بظهور دلالتها على المعنى المراد هن ام الكتاب اي اصل الذي تحمل المتشابهات

عليه

عليه وترد اليه وانما افرد الام لتجريد الكلام للدلالة على ما يساق له واخر جمع اخرى وانما لم
ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان القياس ان يعرف ولم يعرف
لانه في معنى المعرف او عن اخر من متشابهات محتملات لاكثر من معنى واحد او غير ظاهر الدلالة
وفائدته بعث النفوس على النظر والتفكر وتحريض القلوب على التامل والتدبر ليتميز من سفى
في الاستدلال واستخراج الدقائق وابراز مكنونات الحقائق ويزداد حرصهم على تحصيل العلوم
الموقوف عليها استنباط المراد من المتشابهات والتوفيق بينها وبين المحكمات فان الانسان
بذلك ينال من الثواب والدرجات ما لا ينال بالتقلب في العبادات والمواظبة على سائر
القربات ومن وهم انه لو كان كله محكما لتعطل الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله الا به
فقد وهم اذ لا يلزم من ترك التامل في معرفة معاني الالفاظ تركه في ترتيب البعض على البعض
واستنباط ما فيهما من العلل والنكات والفروع وغير ذلك واما المراد من المحكم في قوله احكمت
اياته المحفوظ من فساد المعنى وركاكة اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها المشبه بعضه
بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتوقف الحق
تفريع على ما فهم مما تقدم من ان في المتشابهات مجال الصرف عن الحق كما ان فيه مجال الرد اليه
واما لتفصيل حال الفريقين السالكين مسلكي الصرف عنه والصرف اليه وانما اقتصر على ذكر
الاول منهما لظهور حال الثاني فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه المحتمل لما يطابق
اهواءهم ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم ان يتبعوها ابتغاء الفتنة ان يفتنوا
الناس ويضلوهم عن الحق وابتغاء تاويله بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه الغرض وهذا
وسيلة اليه وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون والذين رسخوا
اي ثبتوا وتمكنوا في العلم وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله تع
بعلمه وبمعرفة الحكم فيه من اياته ولم يطلع عليه احد لا يقال لو لم يكن للراسخين حظ من علم المتشابه
الا ان يقولوا امنا بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم ايضا يقولون ذلك
لانا نقول ليس الكلام في اثبات الفضيلة لهم بل في بيان اختصاص علم المتشابهات بالله تع
فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضل يقفون عند التصديق الاجمالي ولا يتجاوزون
عنه الى حد التفصيل بالتفسير او التاويل فكيف من دونهم يقولون امنا كلام مستانف موضح
لحال الراسخين او حال منهم وخبر ان جعل والراسخون مبتدا به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند

ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل من اللوح المحفوظ عنده تع وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح على سبيل المدح للراسخين المحققين في العلم وايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر
الاوهام والخيالات وشوب الاهوا والعادات فهم اهل اللب الخالص لا يحوم عن عزمهم حول
التذكر والتفكر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل الاستيناف
على اضمار قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل باطل قال عليه السلام
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقامه على الحق وان شا ازاغه عنه
وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ منها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق وبتدرج فيه الايمان بالقسمين
اندراجا اوليا وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان
وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل شر وفساد
انك انت الوهاب كثير الهبة وهي ما ليس على الفاعل فعله ولا دلالة فيه على ما هو الحق في
الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الافضال بعد ادا الواجب ربنا انك جامع
الناس ليوم المراد من اليوم واقعة القيمة والتنكير للتهويل لا ريب فيه في وقوعه ان الله لا
يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة وللمطيعين بالاثابة واقامة القيمة كما وضع اولوا
الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل باللب على طريقة الالتفات من الخطاب الى
الغيبة وضع ان الله موضع انك للتعظيم واما افادة معنى التنافي بين الالوهية وخلف
الميعاد فمداره على التعبير بالاسم المذكور لا على الالتفات غايته وجد التعبير المذكور ههنا
في ضمنه ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيا من جهة رحمة وطاعة كانه قال لا يقوم بدل رحمة او طاعة فيغني عنهم
اغناوهما واولئك هم وقود النار حطبها وقري بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل
فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف بتقبيح حالهم وخبر على تقدير الابتدا بالذين والله شديد العقاب تهويل المواخذة
وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا اي لمشركي مكة وقيل لليهود ستغلبون يوم بدر
او بقتل قريظة واجلا بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون الى
جهنم وقري بالياء فيهما على الغيبة الاخبار بمعنى كلام الله تع وعلى الخطاب بلفظه وبئس المهاد
تمام المقال لهم او استيناف اي بئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم وفي عبارة المهاد تهكم

ومحل الكاف رفع تقديره داب هولا كدابهم
في الكفر والعذاب وهو مصدر داب
في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله في
معنى الشان والذين من قبلهم عطف
على آل فرعون او استيناف كذبوا
باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال
باضمار قد او استيناف

بهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة صح الابتدا بالنكرة لانه في موضع تفصيل ولانه صفة محذوفة
تقديرا فئة مومنة تقاتل في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره واخرى كافرة
تقاتل في سبيل الطاغوت حذف عن الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية
ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من الاختصارات البليغة يرونهم مثليهم اي يرى المشركون
المومنين مثل عددهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر او مثل المشركين وكانوا قريب الف وهذا لا
ينافي قوله تع واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لانه يجوز ان يكون
التقليل من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة العدد ويكونان في حالة واحدة كيلا
يجبنوا كل الجبن فيحجموا عن القتال ولا يجترئوا كل الجراة فيشتد الامر وهذا اولى من التوفيق
بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة والتكثير بعد ذلك او يرى المومنون المشركين
مثلي المومنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الموعود في قوله تع فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والقراة بالتا الفوقانية تويد هذا ان كان الخطاب
للمومنين وتويد المعنى الاول ان كان الخطاب لقريش وقري بهما على البنا للمفعول اي
يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وقري فئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على المدح
واخرى كافرة على الذم او الحال من فاعل التقتا رأي العين لا بد من صرفه عن ظاهره لان
الروية بمعنى الابصار لا تتعدى الى المفعولين ومثليهم مفعول ثاني لا حال لعدم ثبوت تلك
الحال في الواقع لواحد من الفئتين فالمراد معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب روية
العين والله يويد بنصره من يشا نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة المسلمين
على قلتهم وضعفهم الكافرين على كثرتهم وشوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة لعظة لاولي الابصار
لذوي البصائر او لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات
مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها وهي توقان النفس الى الشي والمزين
في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين صفة تقوم به فمن قال المزين هو الله لانه الخالق
للافعال والدواعي فقد اخطا في المدعى وما اصاب في الدليل على ما سبق تفصيله في تفسير
سورة البقرة وانما سلط الله تع على تزيين ما ذكر لانه من اسباب التعيش وبقا النوع
من النسا والبنين والقناطير المقنطرة القناطير جمع القنطار وهو المال الكثير والمقنطرة

ماخوذة منه للمبالغة لانه من شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشي الذي يريدون المبالغة
في وصفه ما يتبعونه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل وداهية دهيا وبدرة
مبدرة ويحتمل ان يكون من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانه بنا مشيد من الذهب
والفضة والخيل المسومة والخيل الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والمسومة المعلمة
من الوسم وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة اي تامة الخلق من
السومة لانها كانها علم في الحسن او من السوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام الابل والبقر
والغنم والحرث هو القا البذر وتهيئة الارض والزرع من اغاسه وانباته ولهذا قال الله تع
افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك
اشارة الى ما ذكر متاع الحيوة الدنيا المتاع ما يستمتع به مدة ثم يفنى والله عنده حسن الماب
المرجع وفي الاشارة بذلك اشارة الى بعد تلك المشتهيات من الله تع وتقديم اسم الله على
عنده تقرير لذلك البعد لتخصيص غيره به وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه اشارة الى ان
الحسن مختص بالعندية وايما الى قبح الشهوات البعيدة والمقصود التحريض على ايثار ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية على الشهوات الناقصة الفانية قل اونبئكم بخير من ذلكم تقرير
لخيرية ما عند الله من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على
هو جنات ويؤيده قراة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة قد سبق تفسيره في سورة
البقرة ورضوان من الله جمع بين التكثير المستفاد من التنكير والتشريف المستفاد من
قوله من الله فهو ابلغ من رضوان الله والله بصير بالعباد اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم
او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات على حسب درجاتهم الذين يقولون
ربنا اننا امنا نصب على المدح او رفع عليه او جر صفة للمتقين او العباد فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار في ترتيب السوال على مجرد الايمان دلالة على انه وسيلة كافية في طلب
المغفرة الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر
لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تع اما توسل واما طلب والتوسل اما
بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما
قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو

الانفاق

الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع
لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على انهم جامعون لها واما دلالته على استقلال كل من
المعطوفين فغير مسلمة فان دلالتها على الانضمام على ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص
الاستغفار بالاسحار لانها اصفى الاوقات للعبادة فانهم كانوا يتهجدون قوامين بالليل
يتقربون الى الله فيكون طلب الحاجة بعده احسن واقرب الى الاجابة لتعاضد الامرين صفا
الوقت والتقرب بالطاعة اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا
اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة
بالاقرار واولوا العلم من الثقلين بالاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة
الشاهد والدلالة والاقرار والاحتجاج من افراد معنى مجازي هو الامر المشبه بالشهادة
لا معاني مجازية ليمتنع الجمع بينها في الارادة وانما لم يعتبر تقدير فعل اخر ليكون الاول مجازا
والثاني حقيقة لانه خلاف الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض قائما بالقسط العدل
في قسمة الارزاق والاجال والعقاب وتعيين الشرائع والاحكام بين العباد وانتصابه على الحال
من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما وهذا اوجه لانه اقرب وادل على المقصود
اعني دخول الحال الموكدة عقيب الجملة الاسمية واما انتصابه على المدح نكرة والمنتصب
عنه معرفة فيمنعه القياس ولم يرد به الاستعمال وقرى القائم بالقسط على البدل من هو او
الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره ليوكد المشهود به على ما هو عليه في نفس الامر ويقرر ان الاصل
في الدين هو التوحيد والعدل لازم له لزوم الظل للذات ولهذا اكد بما بعده العزيز اي
الغالب بوحدته على كل شيء لا يغالبه شي فيكون الها الحكيم الذي يوتي كل ذي حق حقه و لا
يعدل عن العدل في افضاله فهما صفتان مقررتان لهما ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة
لفاعل شهد ان الدين عند الله الاسلام مستانف لانه لما قرر اصل الدين واساسه باطنا
وظاهرا وهو التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين الذي يجب ان يتدين به بعد هذا
الاعتقاد فاجيب بان الذي يستاهل ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل هو الشرع
الذي جا به محمد عليه السلام وقرى بالفتح على انه بدل من انه بدل اشتمال وقرى انه بالكسر
وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما واجرا شهد مجرى قال تارة وعلم
اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى الا من بعد ما

انقسمت اليهود
الى النصارى

جاءهم العلم من بعد ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالايات البينات لا خفا في ان المراد اختلافهم
فيما بينهم على ما دل عليه قوله بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة انقسمت اليهود الى قرائي وربانى
وانقسمت النصارى الى ملكى ويعقوبى ونسطورى وكل طائفة تكفر من خالفها بعد ان
كانت اليهود امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالكتب
المنزلة عليهم من التورية والزبور والانجيل ومن يكفر بايات الله يرشدك هذا الى ان المراد
من مجىء العلم مجىء ما يفيد من الايات فان الله سريع الحساب اى لا يهمل فى جزائه ولا يمهل
فان الحساب كناية عن عدم الاهمال فى الجزا وسرعته كناية عن عدم الامهال فى الايصال
وهذا اية وعيد شديد فى الغاية فان حاجوك ولم يقل فيما ذا لتبينه من الجواب انه فى
الدين فقل اسلمت وجهى لله اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره فالوجه مجاز عن
نفس الشىء وذاته كما فى قوله ويبقى وجه ربك او عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاجزا
والمقصود المبالغة بجعل كل البدن محلا للاخلاص والفا للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان
اختلافهم فى الدين لغرض دنيوى لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجدى المجادلة معهم
والاحتجاج عليهم ولهذا امره عليه السلام بالجواب المفصح عن الاعراض عن محاجتهم ومن تبعن
فى موضع رفع بالابتدا والخبر محذوف لدلالة ما قبله تقديره اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه
على الضمير فى اسلمت لاستلزامه المشاركة فى المفعول ولا صحة لها وحمل الواو على معنى مع
لا يفضى الى ذلك الا ان حق مع ان تدخل المتبوع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
الذين لا كتاب فيهم كمشركى العرب ااسلمتم استفهام فيه استقصار وتعيير بالمعاندة اى
قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم ام انتم بعد على
كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة الضلال
الى نور الهدى وان تولوا فلم يضروك فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد
بلغت وبالغت فى الحجة والله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق فى سورة البقرة بغير الحق اى بغير الحق الذى حده
الله تعالى واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون
بغير حق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار فى

ساعة

ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فى ذلك اليوم وهو الذى ذكره
الله تعالى وفائدة البيان بقوله من الناس للتنبيه على انهم قتلوا لامرهم بالقسط لا لخصوصية
فيهم ووجه المضارع الدال على الاستقبال او الحال مع ان قتل الانبيا انما كان فيما مضى ان
اوائل اهل الكتاب قتلوا الانبيا واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرون راضون
بذلك وقاصدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك فى حكم القتل فكانوا
مستمرين على قتل الانبيا واتباعهم فصح المضارع الدال على الاستمرار ويكون الحكم
بالقتل على المعاصرين بقرينة قوله فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة
والمجاز على ان الماضين قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار على القتل فى الكل
ايضا مجاز فلا جمع وقد منع سيبويه ادخال الفا فى خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر
اولئك الذين حبطت اعمالهم كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق ان ان لا تغير معنى
الابتدا بخلاف ليت ولعل فى الدنيا والاخرة اى لا ينالون بها نفعا لا فى الدنيا ولا فى
الاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر مقابلة الجمع بالجمع والا فنفى المفرد
ابلغ الم تر تعجيب من حالهم وتنبيه على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التنكير التكثير واللام للعهد
والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع وفوره ليس الا البعض منها لتعذر
احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذى اوتوه هو التورية
وعلى هذا فالانسب ان يفسر الايتا بالانزال عليهم واطلاعهم عليها لا بالتحصيل ويجوز ان تكون
اللام للجنس ومن للابتدا او للتبعيض وان تكون للعهد والمعهود اللوح ومن للابتدا
والنصيب التورية ووصفها بالعظم انسب من وصفها بالكثرة يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم حال او استيناف وكتاب الله هو التورية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال عليه السلام
على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا التورية فانها بيننا وبينكم
فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله
القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم

بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض اعتراض
لا حال لقلة فائدة تقييد التولي به وان استقام ان يكون حالا موكدة وقرئ ليحكم على
البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم
وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية
ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم
بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر
العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ والسبب في الحقيقة زعمهم
اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم الفاسد عن منزلة العقائد الفاسدة
الى منزلة الاقوال الباطلة التي لا طائل تحتها وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم والغرور الاطماع فيما لا يصح اي غر الضعفاء قول الكبراء وانما سماه
افتراء وهو اختلاق الكذب على الغير لانهم اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد لهم من العقاب وتهويل لهم اي فكيف يصنعون
او كيف يكون حالهم اذا وقعوا فيما لا حيلة لهم في دفعه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما
كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفيه
ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص ويرد عليه انا لا نسلم
ذلك فانه يجوز ان يكون فيها بتخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض الاهوال عند موقف
الحساب والمرور على الصراط وهم لا يظلمون بنقص ما او عد من اجورهم والضمير لكل نفس
على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك بعض
خواص هذا الاسم كدخول تاء القسم ويا مع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك اللام
للاستغراق تفيد العموم وهذا نداء ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء اللام هنا وفي قوله وتنزع الملك ممن تشاء للماهية التي تحصل بوجود
فرد منه فهما خاصان اي تؤتي من تشاء النصيب الذي قسمت له منه وتنزع ممن تشاء
النصيب الذي اعطيته منه وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا بالنصر والادبار
وفي الاخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لعدم نسبة الشر اليه تعالى

او فيه التصريح به في الحديث النبوي حيث قال والخير في يديك والشر ليس اليك ولما احتمل
ان يظن ان الشر خارج عن حيز قدرته دفع بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب لما ذكر قدرته في ايتاء الملك والنزع والاعزاز والاذلال بحسب المشية عدد
ايات القدرة الباهرة بذكر الليل والنهار وزيادة كل منهما بنقص الاخر وذكر الحي
والميت واخراج كل منهما من الاخر وذكر سعة فضله دلالة على ان من قدر على هذه
الامور العظام المحيرة العقول والافهام ثم قدر على ان يرزق من يشاء من عباده بغير حساب
فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب
والولوج الدخول بشيء بكلفة واستعير هنا للحوق قدر من الليل بالنهار وقدر من النهار
بالليل بالقسر على وجه يكون اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحي من الميت وعكسه
انشاء النسمة الحية من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو اخراج المومن
من الكافر وعكسه وفيه انه ليس من الايات الباهرة التي تستحق ان يستدل بها على ما
ذكر وذكر من مع ان الرزق غير مخصوص بذوي العقول للتنبيه على ان رزق هذا
الجنس وهو اقل افرادا من الجنس الاخر اذا كان خارجا عن حد العد فالخروج عنه في
الجنس الاخر في الكل بطريق الاولى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم
لقرابة او صداقة ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في
الغزو وسائر الامور الدينية من دون المومنين اي لا تتخذوهم اولياء متجاوزين ولاية
المومنين فان لهم في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم بالولاية
ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولاية الله في شيء يطلق عليه
اسم الولاية فان ولاية العدو عداوة وهم اعداء الله الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان
تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان تتقوا
قيل بمعنى تخافوا وتحذروا فتعدى بمن كان هذا القائل ظن ان خاف وكذا احذر لا يتعدى
بنفسه ولم يصب ويكون تقاة نصبا على المصدر بمعنى متقى وقرئ تقية فعيلة بمعنى
مفعول او تسمية بالمصدر ايضا ويجوز ان يكونا مصدرين ان جعل مفعولا به ففيه مبالغة
شديدة حيث كان الرخصة معلقة بشدة الخوف حتى ان المحذور من غاية كونه مخوفا

كانه لنفس الحذر وفيه التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما نهوا عن فعل ما لا يجوز
جعل ذلك في اسم غائب فلم يواجهوا بالنهي ولا وقعت المسامحة والاذن في بعض ذلك وجهوا
به ايذانا بلطف الله تع بهم وتشريفا بخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة الاعداء وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور
منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير دون غيره فلا
تفوتونه ولا يمكنكم الحذر ايضا وبليغ عند مخالفته ثم بين قوله ويحذركم الله نفسه بقوله
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وهو بيان من باب التعميم كاقامة البرهان
اي ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار وغيره مما لا يرضى الله به او تبدوه يعلمه
الله تع ويستوي عنده الاخفاء والابداء فذكر قوله او تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع انه
مغن عنه لتقرير معنى التسوية المذكورة وهو كقوله وكهلا في قوله ويكلم الناس في المهد
وكهلا ويعلم اي وكيف لا وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات على الاشياء
كلها سرها وعلنها والله على كل شيء قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار ذكر الله في
المواضع الثلاثة وتقديمه على المصير مع ان الموقع موقع الاضمار ايعاد شديد وتربية
للعلم والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر دون غيره ولا يخص علمه وقدرته ببعض
المعلومات والمقدورات دون بعض فيجب ان يحذر ويتقى يوم تجد نصب بمضمر نحو اذكر
لا بتود اذ ح يضيع توصيف اليوم بوجدان كل نفس ما عملت من خير محضرا بل يخل اذ لا يصلح
منشأ لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو المنشأ كل نفس اي كل نفس عاملة
للخير وهي النفس المؤمنة لعدم الخير للكافر وحذف الوصف لدلالة قوله ما عملت من خير
محضرا عليه وفيه اشارة بشارة للمؤمن لانه ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار
الشر لان منه ما يغفر ولا يحضر قال الله تع اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز
عن سيئاتهم والظاهر حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز
الصرف عنه بلا صارف وما عملت من سوء مبتدأ وخبر تود لو ان بينها وبينه اي يحب
متمنيا ان بينها وبين ذلك اليوم ولا يجوز ان يكون تود حالا من الضمير في عملت لان
عملها ليس في حال الودادة المذكورة وعلى قراءة ودت يجوز ان يكون ما شرطية وكذا
على قراءة العامة عند التحقيق ولا يأباه رفع تود لان الشرط اذا كان ماضيا والجزاء

مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن الحمل على الجملة الاسمية اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن
في ذلك اليوم امدا بعيدا والامد المسافة او الزمان ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع
عن موالاة الكافرين وذكره هنا للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء فلا تكرار والله رؤف
بالعباد يعني ان المبالغة في تحذيرهم واستيقاظهم عن الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته
واحاطته بهم من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا تنبهوا وعرفوه حق معرفته حذروا الحظ
وطلبوا رضاه فنجوا ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وقوة
قهره مرجو لسعة رحمته ورأفته ولطفه كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة امر وجداني لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل • حقيقة
الحب لا تحكى لفاقدها • والواجد يستبشع التعريف بالقيل • لا يعرف الشمس الا من يشاهدها
لكنه في تعريفها في عين تضليل • واثرها الحادث في القلب ميل الى المحبوب لكمال ادرك فيه
بحيث يحملها على ما يقربه اليه فمحبة الله تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على
طاعته يحببكم الله جواب الامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة والمشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف
من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول
ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله تع وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة
كانه قال فان لم تتبعوني فاطيعوني ونوه بذكر الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان تولوا
يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
قد سبق انفا بيان معنى حب الله اثبت الكفر لتارك طاعة الله والرسول بوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وحصر الكفر فيهم بافادة انهم جنس الكفار ليلزم ان تارك
المتابعة ليس بكافر ما دام مطيعا لانها لا تتيسر لكل واحد من آحاد المسلمين مومئا الى ان الذي
لم تتيسر له المتابعة في سلوك طريقه فعليه بالطاعة كما امروا الا كان كافرا ان الله اصطفى آدم
ونوحا بالرسالة او الخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم
لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله تع عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها
وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران

على العالمين

موسى وهرون والمراد عمران بن يصهر وقيل عمران بن ماثان وآل عيسى ومريم بنت عمران
المذكور ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح وادم اي انهم
ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض والذرية لما كانت مشتقة من الذرء وهو الخلق
شملت الكل لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من الاب وقيل بعضها من بعض في
الدين والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم ويصطفي من كان مستقيم القول والعمل
او سميع لقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني فينتصب اذ بسميع ومنع توصيفه عن العمل غير مسلم وقيل نصبه باضمار اذكر محررا
نصب على الحال اي معتقا لخدمته مخلصا للعبادة لا اشغله بشيء قيل كان بنو اسرائيل لم
يكن لهم غنائم اعدائهم فلم يكن لهم مماليك يعتقونهم وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله تعالى
ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويوقفونهم لخدمة بيت الله فتقبل مني ما نذرته والتقبل
اخذ الشيء على الرضى به انك انت السميع لقولي العليم بنيتي فلما وضعتها قالت رب اني
وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى حتى يكون كقولك وضعت
انثى انثى بل نظرا الى الحال او على تاويل النفس او النسمة وانثى حال من وضعتها وطوبق
ضمير ما في بطني للحال وذا الحال كشيء واحد وانما قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي
وضعته وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرئ وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيها سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على خطاب الله لها وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها بيان لقوله والله
اعلم بما وضعت والتعريف فيهما للعهد قيل ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس وفيه ان مقصودها تنقيص الانثى
بالنسبة الى الذكر والمشهور في مثله ان ينفى عن الناقص مشبهة بالكامل لا العكس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب
الى الله والعصمة لها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فلعل الله يصدق فيها ظنها ويجعلها
طبقا لاسمها فتقوم مقام ما نذرته الا انها كيف انبعه بقوله واني اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله

عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم
وابنها والحديث مذكور في الصحيحين ولا صارف عن ظاهره فمن تردد في صحته ثم اوله
فقد ضل واضل فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل
به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا اي
انشاها وربّاها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وفي جنده بالقاء اي جعل الله زكريا
كافلا لها وضامنا لمصالحها كلما دخل عليها زكريا المحراب قال الاصمعي المحراب الغرفة اي
الغرفة التي بنى لها وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى
المحاريب وهو مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه وتنكير رزقا للتنويع
اي نوعا غريبا من الرزق روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها
سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك
هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك استفيد الاوصاف من اسم الاشارة المستعمل لكمال العناية بالتمييز لما
له من الاوصاف العجيبة الشان قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير
محاسبة ومجازاة على عمل من جملة كلامها او من كلام الله تعالى هنالك في ذلك المكان دعا
زكريا ربه لما كان المحراب مكان عبادته وكرامة لمريم دعا فيه ان يهب الله له ذرية طيبة
قال تفسير للدعاء رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل علي باعطاء ولد وابقائه
كما وهبت لامرأة عمران وهي عجوز عاقر يفهم هذا من قوله من لدنك فان فيه اشارة
الى ان تلك الهبة على خلاف العادة وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسال واولى منه ان يقال لما شاهد وقوع هذا الخارق كرامة
لمريم امتد امله الى خارق يناسبه كرامة والذرية الولد يقع على الذكر والانثى والواحد
والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية والطيب هو الذي يستطاب فلا يكون فيه امر

يستجيب ويجاب انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة كان النداء من جبريل وحده وانما
ذكره جمعا لانه اذا نزل امر خارق كان يعتمد جماعة من الملائكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال
حضر زيدا خواص السلطان بدعوته اليه وان كان الذي يخاطبه بالدعوة واحدا منهم وهو
قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال عن الضمير في قائم
دل على ان اجابة الدعوات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الصلوات وقضاء الحاجات ان الله
يبشرك قرئ بالفتح لوقوع فعل النداء عليه وجعل النداء في معنى الاعلام وبالكسر على ان في النداء
معنى القول وقرئ يبشرك بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيره في
سورة البقرة بيحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة
من الله اي بعيسى مومنا به سمي بذلك لانه وجد بامر الله بلا اب فشابه البدعيات التي هي
عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا وحصورا مبالغا
من الستامع القدرة عليهن والحصر الحبس والمنع وهو فعول بمعنى الفاعل وقيل هو المبتل
الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا روي انه مر في صبيان فدعوه الى اللعب فقال ما
للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم لانه كان في اصلاب الانبياء او كائنا من
الصالحين وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة ما لا يخفى من التعظيم للصلاح
قال رب انى يكون لي غلام استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد تقوية له
وذكر الغلام كاف في البشارة على ما ذكر في سورة مريم وترك ههنا اختصارا والاستبعاد
بحسب العادة لا بالنسبة الى الحال وسياق المقال الاعلى قول من قال كان دعاؤه عليه السلام
قبل بشارته باربعين سنة فلذلك نسي ما سال ربه حتى قال ما قال على ان الاستعظام منتظم
اذا اقتضاه المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام ولا ينتظم الجواب
حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته
ثمان وتسعون سنة ولهذا قال وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات
عقر من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب الشان البعيد عن العقل والعادة
الله يفعل ما يشاء من الافاعيل العجيبة وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر كذلك
نصب على المصدر او خبر مبتدا الله اي على مثل هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له
اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادة قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل

لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك ان لا تكلم الناس ان لا تقدر
على تكليم الناس من غير خرس ولا افة اخرى لقوله في موضع اخر سويا اي سليم الاعضاء
وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة لما طلع
الله على انه طلب الاية لاداء الشكر جعل الاية نفس الشكر فان اخلاص المدة لذكره دون
شغل لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السوال كانه قال
ايتك ان لا تقدر الا على شكري ثلاثة ايام ذكر الايام ههنا والليالي هناك ولا تنافي بينهما
لان ذكر احدهما جمعا يقتضي الاخرى فيهما لغة وعرفا الا رمزا الرمز الايماء بالشفتين
وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين واليد والراس والاول اغلب واصله التحرك ومنه
الراموز للبحر والكلام ينتظم الرمز لان المراد منه ما دل على الضمير قال جويبة بن عائذ •
كان تكلم الابطال رمزا • وغمغمة لهم مثل الهدير • فالاستثناء متصل وقرئ رمزا كخدم
ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه عليه السلام ومن الناس بمعنى مترامزين واذكر
ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه والكثرة قيد المامور به لا قيد الامر
فعلى تقدير دلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر الكثير وسبح بالعشي والابكار في طرفي
النهار خصهما بالذكر لانهما مجمع ملائكة الملوين وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
يقال اتيته بكرا بفتحتين اي بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة زكريا وكان قد
استطرد من قصة مريم اليها رجع الى قصتها والمقصود تنزيهها عما رمتها به اليهود وفي
نداء الملائكة لها باسمها تانيس لها وتوطئة لما يوقعهم اليها ودفع ان يكون ذلك بطريق
الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام ان الله اصطفاك اولا بانواع الكرامة واختصك بقبولك
من امك وزينتك برزق الجنة وفيض القدرة وطهرك مما يستقذر ويجتنب من الافعال
ويدخل فيه ما قذفها اليهود دخولا اوليا واصطفاك اخيرا على نساء العالمين بان وهب لك
عيسى من غير اب كانت تلك التي طيبة كرامة لها للاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة واما قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه على المطلوب لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم
من انتفاء الخاص انتفاء العام يا مريم اقنتي اخلصي او ادعي الطاعة لربك واسجدي اي صلي
النافلة وحدك واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس جماعة
وانما خص السجود من بين اركان الصلوة بالذكر في مقام التعبير عن الكل بالجزء لان تمام

الصلوة به ولهذا الحنث من حلف لا يصلي اذا تم بجوده ولا يحنث قبله وخص الركوع بالذكر
في مقام التعبير عن الصلوة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك الامام في الركوع ذلك
اشارة الى ما ذكر من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انباء الغيب نوحيه اليك مما يوحى اليك
من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عائد على ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين
اذ يلقون اقلامهم قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا بها والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه كانه قيل انه عليه السلام يخبركم بما لا سبيل
اليه لنظر العقل وانتم تنكرون الوحي وتعترفون بعد السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم ما
يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ
يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمن متسع كقولك لقيته سنة
كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قد سبق تفسيرها اسمه الضمير للكلمة وانما ذكر باعتبار المعنى
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه اصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك فهو من الالقاب
المشرفة كالصديق وعيسى معرب ايشوع وانما قالوا عيسى بن مريم والخطاب لها للتنبيه بنسبته
الى الام انه يولد من غير اب لان النسبة اليها انما تكون عند فقد الاب وقد كان في قوله
بكلمة منه تمهيد لهذا التنبيه ولما كان الاسم علامة يعرف به المسمى ويتميز من غيره قيل اسمه
اي ما يعرف به ويتميز مجموع هذه الثلاثة تعظيما له وتنويها بذكر اللقب والصفة مع
الاسم وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس بالمعجزات وفي الاخرة علو الدرجة والشفاعة
ومن المقربين من الله حال اخرى وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس
حال اخرى والعدول الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق واللاحق وذكر الناس لبيان
ان المراد التكلم المعتاد فان الصبي قد يقدر على التكلم مع ابويه وهو طفل فتكلمه مطلقا في
تلك الحال ليس بخارق للعادة في المهد حال من يكلم وكهلا عطف عليه اي طفلا وكهلا وانما
عدل عنه الى المنزل تصويرا لحال صغره المنافي للقدرة على التكلم كما ينبغي والمعنى يكلمهم في
الطفولة والكهولة على سواء وفيه بشارة لامه بعيشه وبقائه الى الكهولة وهو ما بين الشباب
والشيب واستدل به على نزوله من السماء لان رفعه اليها كان قبل ان يصير كهلا والمهد المهد

للصبي

للصبي من مضجعه تسمية بالمصدر ومن الصالحين حال رابع من كلمة او ضميرها الذي في يكلم
قالت لما فهمت من نسبته لها انه لا والد له رب انى يكون لي ولد تعجب ناشئ من استبعاد
عادي لا استفهام عن ان يكون بتزوج او غيره لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق
عنده منحصر في التزوج قال جبرئيل بامر الله كذلك الله يخلق ما يشاء قد سبق تفسيره اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشاء واشارة الى انه تع كما يقدر ان يخلق
الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب كلام
مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت يقينا انها تلد من
غير زواج والكتاب الكتبة وقرئ نعلمه بالنون على الالتفات من الغيبة الى الخطاب
لشدة الاعتناء بامره عليه السلام ويجوز ان يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص كتابان
في قوله والحكمة والتورية والانجيل لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية
من ربكم منصوب بمضمر اي ويجعله رسولا ورسولا يتضمن معنى النطق كانه قال ورسولا
ناطقا باني قد جئتكم باية وجوز ان يكون التقدير ويقول ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه
اذ فيه اضمار شيئين القول ومعموله والعطف على الاحوال المتقدمة يأباه الفصل بقوله
قالت رب انى يكون لي ولد الخ فانه ح ينبغي ان يؤخر هذا القول عن ذكر الاوصاف والاحوال
والاهتمام بلا علة لا يصلح باعثا لتقديم ما حقه التاخير فانه لا يكون سلامة الا خبر وتخصيص
بني اسرائيل لخصوص بعثته عليه السلام او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق
لكم من الطين في محل النصب بدل من اني قد جئتكم او الجر بدلا من اية او الرفع على هي
اني وقرئ اني بالكسر على الاستيناف كهيئة الطير اي اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة
الطير اصل الكلام كالطير في الهيئة وانما عدل عنه الى المنزل اشارة الى انه لم يكن منه عليه
السلام تصرف الا في الهيئة فلا مماثلة بينهما في المادة انما المماثلة في الصورة فقط فانفخ فيه
الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا اي يصير حيا طائرا باذن الله بين به ان
احياءه كان من الله تع لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر اشارة الى تهوين امر كونه
طيرا قيل تواطأ النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه عليه السلام كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق ومن ههنا
ظهر وجه زيادة لكم في قوله اني اخلق لكم ووجه التهوين الذي اشير اليه بعبارة الاذن وابرئ

الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى وقيل الممسوح العين واحيي الموتى باذن الله ذكره
في ما لا يدخل تحت قدرة العباد وقيل في وجهه انه علم انه يعبد ويتخذ الها فنفى عن نفسه
الالوهية قطعا لحججهم عند الله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من
احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك الاشارة الى مجموع ما ذكر لاية لكم ان كنتم مؤمنين
موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا
لما بين يدي من التورية عطف على رسولا او على باية تقديره قد جئتكم باية وجئتكم مصدقا
ولاحل لكم ولابين الحل واعلمه معطوف على محذوف تقديره لاخفف عنكم ولاحل لكم او
معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك او رد على قوله جئتكم باية
اي منتظم معه معطوف عليه ظاهرا لكنه في التحقيق من عطف الجمل اي وجئتكم باية لاحل اذ
لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به ولكن ان تجعل الكل في معنى الحال فيستقيم العطف
اي جئتكم ملتبسا باية ومصدقا لما بين يدي وكائنا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في
شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وذلك لا ينافي كونه
مصدقا للتورية لان النسخ في الحقيقة بيان لانتهاء حكم المنسوخ وجئتكم باية من ربكم اي
جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم ومما لم اذكر من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد وغير
ذلك وقرئ بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون فيما ادعوكم
به ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم اي تلك الايات واسمعوا هذه فانها اعظمها وهو
التوحيد الذي تطابق عليه الرسل كلهم وهو مبنى دين الكل والله فاعبدوه تخصوه
بالعبادة وقرئ ان الله بالفتح ومعناه لان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف
قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية عظيمة اعظمها دالة على ان الله
ربي وربكم وما بينهما اعتراض للتاكيد هذا صراط مستقيم اشار بقوله ان الله ربي
وربكم الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وبقوله
فاعبدوه الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن النواهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود
له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزل اثاره المحسوسة من سبه وطلبه
للقتل مبالغة في قوة تاثيره وشدة ظهوره ثم كني باحساسه عن التاثر به والخوف منهم

ولذلك

ولذلك طلب الانصار ومن وهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي لا شبهة فيه
فقد وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع فيه الغلط نعم لو قيل
شبه الكفر المعقول بالمحسوس في قوة الظهور فاضاف اليه الاحساس على طريق الاستعارة
بالكناية لكان له وجه والفا فصيحة ترتيبها على محذوف يفهم من سياق الكلام وسياقه قال
من انصاري جمع النصير كالاشراف جمع الشريف او جمع ناصر كالاصحاب جمع صاحب الى الله
في محل النصب متعلق بحال محذوف اي سائرا الى الله او ملتجئا او صلة لانصاري مضمنا
معنى فعل متعد بالى اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصر الله قال الحواريون
حواري الرجل صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به عليه السلام اصحابه
لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون
تاكيدا لاسلامهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم
ربنا امنا بما انزلت لاممهم او مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس او مع الشاهدين
بالوحدانية ومكروا اي الذين احس عيسى منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة
ومكر الله بان رفعه عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل وحقيقة المكر اظهار
امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد ما هو وكذلك الاحتيال والخديعة والسخرية
ومن قصد شيئا من فعل ذلك امرا قبيحا يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك
حميدا كذا قال الراغب فلا شيء في اسناده الى الله تعالى كما لا شيء في اسناد الكيد اليه ومن توهم
انه لا يسند اليه تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم وكانه غافل عن قوله تعالى افامنوا
مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله لا لخير الماكرين
لان تقييد كونه تعالى خير الماكرين بالظرف ليس بسديد يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما وقيل اماته الله ورفعه الى السماء ثم احياه واليه
ذهب النصارى ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من
خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد جورهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا

يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل
الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
الى يوم القيمة الى الان لم يسمع غلبة اليهود ولم يتفق لهم دولة وملك ثم الى ربكم مرجعكم
الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين بعد الالتفات من الغيبة
الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ في التهديد واشد زجرا فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين والتفت من الغيبة الى التكلم مسند الحكم الى نفسه ليعلم ان الحاكم هنا من لا
تخفى عليه خافية فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وبدا بذكر الكفار
لان ما تقدم من المجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم وقوله وعملوا
الصالحات لم يذكر على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يتبعه العمل
ان لم يمنعه مانع والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فانه من الكنايات الملحقة بالحقيقة
في جميع الالسنة ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه
عليك وقوله من الايات حال من الها او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
يكون من الايات خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان ينتصب ذلك
بمضمر يفسره نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر من الايات والذكر الحكيم
هو القران وصفه بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر شاعر او لكثرة حكمه كانه حكيم
ناطق بالحكمة او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل عليه ان مثل عيسى عند الله اي شانه الغريب
في ولادته من غير نطفة كمثل ادم كشانه الغريب في خلقه كذلك وتحقيق هذه الحال
على الخلق قال عند الله وهما في ذلك اي في ان وجدا وجودا خارجا عن العادة
بان خلقا من غير نطفة نظيران لا مزية لاحدهما في نفس ذلك المعنى فصح التشبيه بلا
اشتباه واما كون عيسى عليه السلام مخلوقا من غير اب وادم مخلوقا من غير اب فخارج
عن مدلول الكلام وان كان مقصودا في تشبيه ما سيق له ذلك ملحوظا من غرضه بمعونة
المقام فان الغرض دفع استغرابهم خلق عيسى من غير اب فبملاحظة من خلق من غير
اب وام يتم ذلك الغرض على وجه اقوى ولهذا تعرض لبيان حاله بقوله خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه اي خلق جسده فانه من عالم الخلق وهو عالم الملك

وعالم الشهادة ثم اوجد روحه بامر كن وهو عالم الامر وهو عالم الملكوت وعالم الغيب
على ما افصح عنه بقوله ثم قال له كن وفيه دلالة على ان الانسان كائن مرة بعد اخرى على
ما صرح به في قوله ثم انشأناه خلقا اخر وكلمة ثم للتراخي حقيقة فيكون حكاية حال ماضية
استحضارا لتلك الحال العجيبة وبيانا لسرعة حصول المراد فان الفا للدلالة على عدم التراخي
الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك اي ما بيناه على انه حال مؤكدة وقيل الحق
مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله وتعريف الحق للعهد الذهني اي ايجاد
عيسى من غير اب هو الحق الذي تعرفه فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي عليه السلام وفائدة
النهي عن الامتراء هو التثبيت على اليقين والطمأنينة والايماء الى ان الممتري هو الذي لا
يعرف الحق اي قدرة الله على الايجاد من غير اب والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اجل من ان يمتري حتى ينهى عنه فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من
العلم اي البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وانهم مقدمون
على الانفس والرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل من البهلة بفتح البا وضمها
وهي اللعنة واصل الابتهال الالتعان ثم استعمل في كل دعا يجتهد الانسان عليه وان
لم يكن التعانا والمباهلة الملاعنة اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذبين منا ومنكم
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان قد طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها
انه عليه السلام لما دعاهم اليها وخرج الحسن والحسين وفاطمة وعلي رض الى الميعاد كفوا عن
ذلك ان هذا ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق الجملة خبر ان وهو فصل يفيد ان
ما ذكره في شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام ان تدخل المبتدا فلما دخل ان ازيلت
عنه الى الخبر او الواسطة لمزيد التاكيد واذا جاز تاخيرها الى الخبر فلان يجوز الى الواسطة التي
هي اقرب الى المبتدا اولى وما من اله الا الله زيادة من ههنا في افادة معنى الاستغراق والتاكيد
في المنفي كالبنا على الفتح في لا اله الا الله والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
الحكيم دخول ان واظهار اسم الله وتوسيط هو للفصل وادخال اللام عليه وتوصيف العزيز الحكيم
مبالغات وتاكيدات في التوحيد ونفي الشرك وان العزة اي الغلبة والقهر مخصوصة

بانه ليس لغيره فيها نصيب وان قهره انما يكون بالحكمة فلا يقهر الا الكافر ثم بالغ في الايعاد
بقوله فان تولوا اي عن التوحيد فان الله عليم بالمفسدين وادخال الفاء في ان الله اشارة
الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض ووضع المفسدين موضع ضميرهم تسجيل عليهم وتنبيه على
ان حقيقة الفساد هو التولي عن التوحيد وان الوعيد المذكور في قوله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون مخصوص بهم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد بني نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اي لا يختلف فيها
الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ولا نشرك به
شيئا لم يرد به الشرك في العبادة لان الوصل باباه بل اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا لله مما
ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله اي لا يتخذ الاتباع الروس اربابا من دون الله فيطيعونهم
كطاعة الله نهى عن اطاعتهم الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم من غير الرجوع الى
ما شرع الله لا عن قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان مرجعه الى التقدم من توحيده تع
بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة بانهم ليسوا
على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز ان يكون
من باب التعريض اي اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت
عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه القصة من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج في
الحجاج وحسن المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عليه السلام وزعم كل
فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يعني انكم معترفون بحدوث
اليهودية والنصرانية بنزول التورية والانجيل ونزولهما بعده عليه السلام فكيف يكون يهوديا
او نصرانيا ولا يرد الالزام علينا في قوله عليه السلام كان على دين الاسلام لانا ما نقول
بحدوث دين الاسلام بنزول القرآن افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى اي تنبهوا ايها الغافلون انتم هؤلاء الحمقى
على هذه الصفة التي انتم عليها مما لا يمكن ذمكم بما هو ابلغ منه فانتم الاشخاص المتعينة

المشار

المشار اليهم في الحماقة وفي حرف التنبيه مبالغة في غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم
كشف لجهلهم وسخافة عقولهم اي ان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم من التورية والانجيل
من حال محمد عليه السلام فلم تحاجون فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم لكم به من حال ابرهيم والله يعلم
ما حاججتم فيه فتعلموا وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام
وما سبق الى بعض الاوهام من الاشتراك في الالزام فقد اندفع بما قدمناه من الكلام وما كان
من المشركين تعريض بانهم كانوا مشركين لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين
انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اقرب الناس منه واخصهم به من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من امته لموافقتهم له في
اكثر ما شرع له اصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في واتبعوه وبالجر عطفا على
ابرهيم والذين امنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى قراءة الجر يحتمل العطف
على النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم اي وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما
يضلون امثالهم من اشياعهم او ما يعود وباله الا عليهم فان الوبال يضاعف عليهم بضلالهم
واضلالهم وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما في التورية والانجيل
من الايات الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم
تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورة الحق وقرئ تلبسون بفتح الباء اي تلبسون
الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب المراد بالطائفة كعب
بن الاشرف ومالك بن الصيف وكعب بن اسيد قالوا لاصحابهم لما حولت القبلة امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا كان حقه ان يقول بالذي انزل على محمد وانما عدل عنه الى
المنزل لعدم المساعدة من باطنه على التكلم به وجه النهار اوله قال * من كان مسرورا بمقتل
مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار * اي اظهروا الايمان بما نزل عليهم من الصلوة الى الكعبة

وصلوا اليها اول النهار واكفروا آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في كتابنا لعل اصحابه يشكون فيه فيرجعون ولا تؤمنوا ولا تقروا عن تصديق قلب الا لمن تبع دينكم الا لاهل دينكم اي لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء من الايمان او يثبته عليه الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خبره واللام في الهدى للماهية وفائدة الابدال تعظيم الهدى بنسبته الى الله اي ان حقيقة الهدى وماهية الهدى الالهي الذي ليس وراءه هدى بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس بهدى وعلى هذا او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى لان المحاجة نفسها لا تصلح لذلك الا وسط بالا تباع مرتبة عليه وهدى الله خبر ان وان يؤتى علة فعل محذوف دل عليه ما قبله من اظهار ايمانهم ورجوعهم لتغرير من اسلم من اصحابهم اي لان يؤتى احد كتابا موافقا لكتابكم مصدقا له منزلا من عند الله او لمحاجة اهله اياكم عند ربكم دبرتم ما دبرتم وقلتم ذلك لاصحابكم وانما اوتي باو تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في اغاظتهم وحملهم على الحسد حتى دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو لما وقع هذا الموقع للعلم بان الثاني يلزم الاول فلم يكن فيه فائدة زائدة واما اذا اتى باو فقد اشعر بان كلا مستقل في الباعثية على الحسد والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى حتى ليس له موقع يروع السامع وان كان وجها ظاهرا ويؤيد هذا الوجه قراءة ا ان يؤتى بهمزة الاستفهام اي الان يؤتى احد او لان يحاجوكم فعلتم ذلك ويجوز ان يتعلق ان يؤتى بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا تدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير فيه لاحد على ان المراد به المنزل عليه وامته قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اي لا بايديكم وبيد غيركم فمن يؤته ويوفقه لم يكن لاحد دفعه وهو الاسلام فيكون تأكيدا لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراضا لتقرير ام

الا بتا في قوله ان يؤتى احد اي النبوة والوحي الذي هو الفضل كل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا يمكنكم دفعه ولا ينفعكم الحسد ولا يضره والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصلحة فمن صلح لذلك من غيركم فهو يؤتيه مفضلا عليه يختص برحمته من يشاء تأكيد وتأبيد لقوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه دفع وهم القصور في افضاله المتبادر الى الفهم من اختصاص من يشاء برحمته ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا واوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اي الا وقت دوامك عليه قائما على رأسه بالمطالبة والتقاضي والتعنيف او بالبينة عليه عند المرافعة الى الحاكم ذلك اشارة الى عدم الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا ذم ولا عتاب في شأن الاميين اي الذين ليسوا من اهل الكتاب ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لن نجعل لهم في التورية حرمة بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله ويقويه بعهد الله بعده والضمير الراجع من الجملة الجزائية الى من يقوم مقامه المتقين لعمومه فيشتمله اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الخيانة والغدر فان الله يحبه ويستلزم ان يبغض الخائن الغادر فللذم والعقاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين موضع الضمير للدلالة على ان التقوى توجب غلبة محبة الله لصاحبها وان الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر هو الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم الحكم لعموم من والمتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم واتقوا الخيانة لوفوا بالعهد الاعظم وهو ما اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم واتقوا الكذب على الله وتحريف كلمه فكانوا مسلمين محبوبين بمتابعة حبيب الله لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به من تطرق الذم والعقاب الى الخائن بقوله ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول الوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه

ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة قد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق
به ولا يكلمهم الله اصلا او ان الملائكة يسالونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى في
الظاهر انه كناية عن سخطه وشدة غضبه تعالى عليهم او مجاز لان الغاضب لا يكلم المغضوب عليه
ولا ينظر اليهم يوم القيمة كناية عن الاستهانة بهم واذلالهم او مجاز عن ترك الاحسان اليهم ولا
يزكيهم ولا يثني عليهم هذا غير مقيد بيوم القيمة فيفيد فائدة زائدة ولهم عذاب اليم على فعلوه
قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات
وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وان منهم من المحرفين لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها
عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب فعلى هذا الباء صلة كما تقول لوى لسانه
بالشعر اذا قاله مع تعمل وفيه اضمار او سمى كتابا تهكما او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب وما
هو من الكتاب الضمير راجع الى شبه الكتاب والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى
المظهر لتفخيمه فان المقام مقام تعظيم جريمة التحريف وذلك تفخيمه وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله اي ليس هو نازلا
من عنده وفيه دفع لاحتمال ان لا يكون من الكتاب ومع ذلك يكون من عند الله تعالى
كالاحاديث القدسية فهو تاسيس لا تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم بالكذب
وتشنيع عليهم باجترائهم على الله تعالى والعدول عن الضمير الى المظهر في قوله من عند الله لتعظيم
هذا الامر وبيان انهم لفرط وقاحتهم يصرحون بذلك ولا يورون ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ما صح له وما استقام
ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ذكر اولا الكتاب وهو جنس وترقى منه الى الحكم وهو
الفصل بين الناس بالكتاب ثم الى النبوة وهو الرتبة العليا فالترتيب في غاية الفصاحة
ثم يقول للناس اتى بثم وهي للمهلة تعظيما لهذا القول واذا انتفى هذا القول بعد المهلة كان
انتفاؤه بدونها اولى واحرى اي ان هذا الاتيان لا يجامع هذا القول وان كان بعد مهلة
كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان آمر بعبادة
غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت ويأباه قوله بعد اذ انتم مسلمون وقيل قال

رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد
لاحد غير الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ويناسب هذا قوله ولكن كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب وزيادة الالف والنون للمبالغة كما في اللحياني والرقباني وهو
الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فالباء متعلق بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم
وهذا انما يدل على ان الربانية والتمسك بطاعة الله اذا لم تكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا
بها واقعة على وفق المامور به لا على العكس وان كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ تعلمون
بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم
ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على يقول وتكون لا مزيدة
لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر لبعد العهد وتخلل الاستدراك او غير مزيدة على انه ليس
لنبي ان يدعو العباد الى عبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبيين وبالرفع على الاستيناف
وهو اظهر ويؤيده قراءة ولن يامركم ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه لبشر وقيل لله بعد اذ
انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له عليه السلام واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام كان الامم به اولى وقيل معناه
انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى
النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد
اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق
بمعنى الاستحلاف وما شرطية مفعول اتيتكم ومن كتاب بيان لما وحمله على التبعيض يفضي الى اعتبار
قيد لا يقتضيه المقام ومثله عند البلغاء يعد هجنة في الكلام وجواب القسم لتؤمنن وما بعده وجواب
الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل ثم النصر لانه من ثمرته ويجوز
ان تكون ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم الكتاب
والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم او موصولة لان ما معكم بمعنى اتيتكم فيجوز عطف جاءكم على الصلة

لوجود الراجح اليها اي لاجل الذي اتيتكموه من الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق له وقرى
لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان ونصرته
وقيل اصل لمن ما فاستثقل ثلاث ميمات لان النون الم تقلب ميما لم تدغم في الميم فحذفت احديها
فصارت لما اي لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به قال أاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه
يأصر اي يشد ويعقد وقرى اصري بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر واما جمع اصار قالوا اقررنا قال
فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وشاهدكم
شاهد استيثاق معناه التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق
والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين
الله يبغون الفاء عاطفة الجملة على الجملة اي فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون ثم
توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله
يبغون وتقديم المفعول لتوجيه الانكار الى كون دين غير الله مطلوبا فالمقصود الاهم بالانكار
هو المفعول ويجوز ان يكون التقديم للتخصيص لا بمعنى ان التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين
باطل مع طلب دين الله بل للمبالغة في الانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث لا يرضون بطلب
دين باطل الى دين الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرى تبغون بالتاء على تقدير قل لهم وقرى
هو بالياء ويرجعون بالتاء لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وله اسلم من في
السموات والارض طوعا بالادلة وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل فوق بني
اسرائيل وانتصابهما على المصدرية او على الحال ومن قال او مختارين كالملائكة والنبيين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون على ان يمتنعوا عما قضى عليهم فكانه ذهب الى مذهب الجبرية واليه
ترجعون وقرى بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا الخطاب له عليه السلام لفظا وله
ولامته معنى ولهذا قال في موضع اخر قولوا امنا او جاء الكلام في امنا وعلينا بلفظ الجمع امر
الرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران وان كان منزلا عليه خاصة
لكن نزوله عليه لما كان لتبليغه اليهم صح نسبته اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد
ينسب اليهم ويجوز ان يكون امورا بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له عليه السلام
الى ادب المحاورة وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قدم المنزل
عليه عليه السلام على المنزل على سائر الرسل لان المعرف له والعيار عليه والنزول باعتبار انه من

فوق يعدى بعلى وباعتبار انه منتهى الى المرسل اليه يعدى بالى ولهذا قال في موضع اخر وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم ووجه التخصيص ان الخطاب هنا للرسول عليه السلام والنزول من السماء
كان عليه والخطاب ثمه للمسلمين ولا نزول عليهم حقيقة بل انتهى التبليغ اليهم ولا تتجه المناقشة بقوله
بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب وقولوا امنا بالذي انزل على الذين امنوا لان النكتة
الزائدة على اصل البلاغة الحاصلة بمطابقة الكلام لمقتضى المقام لا يلزمها الاطراد ولهذا استفادت
المكررات في القران بحيث يكون بعضها افصح من بعض وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل
افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من
ربهم وفي موضع اخر وما اوتي النبيون لما تقدم هنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب اي اكتفى به عن اعادة وما اوتي ولم يتقدم ثمه مثل هذا فلم يكن فيه الغنى عن التوكيد
باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون
في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام غير اسلام الوجه لله اي التوحيد دينا نكره تحقيرا فلن يقبل منه
في الدنيا وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد للنزاع ولا
دلالة فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما دلالته على انه ليس دينا غير الاسلام كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات هم اليهود امنوا بالنبي صلى
الله عليه وسلم حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وتحققوا منها ومن كتابهم انه
حق ثم كفروا به وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف استبعاد
لان يهديهم الله فان الحائر عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار
له لما علم من عنادهم ومكابرتهم وامتناع قبولهم اياه نعيا عليهم وتوبيخا لهم فلا دلالة فيه على عدم
قبول توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال
باضمار قد من كفروا والمراد من ايمانهم تصديقهم بالله وعلى تقدير ان يراد منه التصديق به وبالرسول
عليه السلام وان كان اياه عطف وشهدوا عليه لا دلالة في الاية ايضا على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان المصطلح عليه عند اهل الشرع انما دلالتها على انه خارج عن الايمان
بمعنى التصديق بالله وبرسوله وليس هذا مما يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن

يعتد بلعنة من خلقه ودلالة مفهومه على عدم استغراق اللعن على غيرهم لا على عدم جوازه في حق
غيرهم فالمراد من الناس المومنون ويجوز ان يراد العموم لان الكافر ايضا يلعن منكر الحق ولكن لا
يعرف بعينه خالدين فيها في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة الا
الذين تابوا اي رجعوا عن الارتداد من بعد ذلك الاشارة الى الكفر لتعظيمه وشدته وغاية
بعده عن الصواب والعقل واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل التوبة
رحيم يتفضل عليه ان الذين كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى
والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا به عليه السلام بعد ايمانهم قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق والسخرية
بكل ما نزل من الايات او قوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون
او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم قد عرفت ان التوبة في الذين كفروا للعهد
والاشارة الى قوم مخصوصين والا فكل كافر اذا تاب قبلت توبته وان ازداد كفرا الى كفر فان
اريد بهم المرتدون فالواو في واولئك هم الضالون للحال اي تقبل توبتهم في حال كونهم الباقين
على ضلالهم الذي هم تائبون عليه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان
اخران احدهما ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة قولهم ولا ترى الضب بها ينجحر اي لن يتوبوا
فلا توبة ولا قبول واولئك هم الضالون اعتراض اي والموصوفون بما ذكر اولئك هم الثابتون
على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية عن موتهم على الكفر اي يموتون وهم كافرون على
صح بعده والفائدة فيهما التغليظ في شانهم وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة
الى اغلظ الاحوال واشدها ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار لفظ الذين هنا عام فيمن كفر
ومات على الكفر فلذلك دخلت الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم تضمينا للموصول معنى الشرط
على ان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية وانما ترك الفاء في الكلام السابق لفقد
التسبب ثمة وايراد المسند اليه موصولا لتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما يملؤه وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او خبر لمحذوف وفيه انه لا بد من تقدير وصف لتحسين
البدل ولا دلالة عليه وان الثاني انما يحسن اذا جعلت الجملة صفة او حالا ولا يخلو عن ضعف ولو
افتدى به اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على ان الافتداء ثمة محال وتقدير الكلام

ان

ان الذين ماتوا على الكفر فلو افتدى احدهم بملء الارض ذهبا لم يقبل منه فلما كان الجزاء اشهر
من الاقناط والبعث على الرجوع عن الكفر الى الايمان قبل الموت قدم وجعل جزاء الشرط الاول
واورد لن للتاكيد واخر الشرط فلزم الواو للربط وقيل محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا اولئك لهم عذاب اليم تتميم لمعنى الاقناط لان من
لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال الخير وقيل
لن تنالوا بر الله اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها او بعمه وغيره كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله ومن هنا للتبعيض يدل
عليه قراءة حتى تنفقوا بعض ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من شيء للتبيين ما تنفقوا اي من
اي شيء تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام هو ما يطعم اكولا
كان او مشروبا والمراد تناوله كان حلا على شريعة ابراهيم عليه السلام لبني اسرائيل حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا هن حل لهم
الا ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه ذلك بالنذر ولذلك
قيل على نفسه ثم انه تعالى حرمه على اولاده على ما دل عليه الاستثناء المذكور فلا متمسك فيه لمن جوز
للنبي ان يجتهد من قبل ان تنزل التورية متعلق بالمستثنى منه وفائدته بيان حل ما عدا لحوم
الابل والبانها في شريعة ابراهيم حتى يثبت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل بنزول التورية
وبه يحصل الالزام لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الخ وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية بان
قالوا لسنا اول من حرمت عليه وان كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى
الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها لا للمستثنى بيان لكون التحريم
المذكور قبله اذ لا فائدة فيه اصلا قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين في زعمكم ان
تحريمها قديم امرهم بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب
ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما زعموا روي انهم لم يجترئوا على اخراج التورية وبهتوا وفي ذلك
برهان قاطع على صدق النبي عليه السلام وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى على الله الكذب

اراد به ما قيل عدم القبلية خاصة وخرجت بمحبتها ... صحاح

ابتدعه على الله بادعاء ان ذلك كان محرما على بنى اسرائل قبل انزال التورية من بعد ذلك من بعد
ما الزمتهم البرهان القاطع فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم
ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم
الكاذبون لما عرض بكذبهم لزمهم اتباع محمد عليه السلام والايمان بالقران فعبر عن ذلك بقوله
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى الاصل لملة ابرهيم ولما نسب دينه الى ابرهيم
كان اكبر لنخوتهم واقرب الى قبولهم كانه قال فاذا ظهر بالحجة البينة كذبهم فيما زعمتم وثبت صدق
كتاب الله وظهر بطلان دينكم الذى اضطركم الى تحريف كتاب الله والافتراء على الله تعالى
لتسوية اغراضكم فاتبعوا الحق الذى هو ملة ابرهيم وهى ما عليه محمد ومن تبعه وانتصب
حنيفا على الحال وقد سبق تفسيره فى سورة البقرة وما كان من المشركين اراد استمرار النفى
لا نفى الاستمرار فلو كان مقدما فى الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود واشارة الى ان
اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين ان اول بيت وضع للناس اى
جعله متعبدا لهم للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وقيل
هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او دقه فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا
كثير الخير والنفع لمن حجه او اعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف
وهدى للعالمين بسبب هدايته لانه من قبلتهم فيه ايات بينات حال اخرى مقام ابرهيم
عطف بيان لقوله ايات بينات وحده لقيامه مقام ايات كثيرة يدل على هذا قراءة اية
بينة ولا يخفى ما فيه من التفخيم لشانه كانه لظهور اعجازه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة
ابرهيم عليه السلام بمنزلة ايات عظام كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم البالغ تنكير ايات ووصفها
بالبينات ونحوه فى التعظيم قوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية
كان الحرم امنا فى الجاهلية ومفزع كل خائف وملجا كل جان وقال ابن عمر لو وجدنا قاتل
ابينا فى الحرم لم نقتله وقيل المراد حرم والامن من العذاب يوم القيمة وفيه ان مدار هذا الامن
على الدفن فيه على الاصح عنه قوله عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا
لا على دخوله ولله على الناس حج البيت اكد ما يكون من الالفاظ الدالة على الالزام كلمة على
فانها علم فيه والحج كاخواته من المنقولات الشرعية وله فرائض وواجبات وسنن وشرائط
بعضها للوجوب وبعضها للاداء ومعناه اللغوى القصد على جهة التعظيم والمراد معناه

وعن النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام
ابو السعود

الشرعى فاضافته الى البيت للملابسة فاطواف احد ركنيه او احدا ركانه على الاختلاف فى
الاحرام فانه ركن عند الشافعى وشرط عند ابى حنيفة ومن قال فى تفسيره قصد الزيارة على
الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوى وقصر عن معناه الشرعى وقرى حج بالكسر وهو لغة نجد
من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وفيه ايراد المراد فى صورتين مختلفتين على وجه
فيه تشويق ووجدان بعد شغف وطلب وتنكير سبيلا وتقديم اليه عليه اى سبيلا ما اى سبيل
متيسر على اى وجه يكون قريب وبعيد بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وكل ما يتاتى الى
الشئ فهو سبيله وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وما فسره عليه السلام
استطاعة السبيل الى البيت المذكور فى القران لا استطاعة الحج فانها لا بد فيها من صحة البدن
ايضا فلا دلالة فيه على احد القولين المذكورين فى المسئلة الخلافية المشهورة ومن كفر فان الله
غنى عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا للوجوب وتغليظا على تارك الحج وتشديدا عليه
ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الاية
من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه
حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد الابهام
وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى مثل هذا
الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة
على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس
واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى بقى ههنا دقيقة انيقة هى
ان اللام فى قوله ولله مظنة ان يكون فى الحج نفع له تعالى دفعه ببيان غنائه عن العالمين روى انه
لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل
الكتاب بالخطاب لان كفرهم اقبح واما الدلالة على انهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل
فهم كافرون بهما فلا تاثير فيها للتخصيص المذكور لم تكفرون بايات الله اى باياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما ياتى به من الاوامر والنواهى ومعنى الاستفهام فى لم انكار لكفرهم
وتعجب منه مع وجود المانع وهو كون الحق شهيدا على اعمالهم والله شهيد على ما تعملون اى
والحال ان الله شهيد اى مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والسر وهذه الحال

الجاهلية متقاتلين فالف اوقع الالفة بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته بسبب تلك النعمة
اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله واصبح اصله دخل فى الصباح ثم اطلق على الصيرورة
اى وقت كان ففيه باعتبار اصله دلالة على خروجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية قيل كان
الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين
سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من
النار مشرفين عليها لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لصادفتم القعر حفرة من النار
وانما قال فانقذكم منها وان لم تكونوا فيها لانهم كانوا فى منزلة من هو فيها من حيث كانوا
مستحقين لدخولها ويجوز ان يكون الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر
وشفتها طرفها واصلها شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المونث كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا هدى ولتكن
منكم امة من للتبيين بمعنى وكونوا امة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف لان
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات فهو واجب على كل الامة بدليل انه لو
ترك اثم الجميع وان سقط بفعل البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى الكل
فمن قال من للتبعيض ثم علل بما ذكرناه آنفا فقد اختار المذهب المردود وهو ان يكون الوجوب
على البعض من غير تعيين واما الاستدلال على انه لا يجب على الكل بعدم الوجوب على الجاهل
فمردود لانه اذا ترك بالكلية فذلك الجاهل ايضا آثم ولولا الوجوب عليه لما اثم كمن وجب
عليه الصلوة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل واما من اختار ان تكون من للتبعيض
معللا بما تقدم ثم قال خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل فقد خبط
حيث خلط بين المذهبين ثم انه لم يدر ان الوجوب على الكل مبناه الطلب من الكل لا الخطاب
للكل فان الخطاب بدون الطلب بمعزل عن الدلالة على الوجوب يدعون الى الخير يعم الدعاء
الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى فينتظم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقوله ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من قبيل عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب المامور به وكذا النهى عن المنكر
فانه يكون واجبا ان كان المنهى عنه محرما او مكروها كراهة تحريم ويكون مندوبا ان كان المنهى
عنه مكروها كراهة تنزيه فمن وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد وهم والعاصى يجب ان ينهى عما

يرتكبه لانه كما يجب عليه تركه يجب عليه انكاره ونهى الغير عنه الا ان الثانى على طريق الكفاية
والانكار فى قوله تع اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم مرجعه الى القيد ولا تكونوا كالذين
تفرقوا اى بالعداوة واختلفوا اى فى الديانة وهم اليهود والنصارى وانما قال من بعد ما
جاءهم البينات اى الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه لان الاختلاف فى موضع
الاجتهاد ليس بمنكر كيف وقد قال عليه السلام اختلاف امتى رحمة ولا اختصاص لواحد من الاختلافين
بالاصول والفروع فان فى الاصول ايضا موضع الاجتهاد كما ان فى الفروع الامساغ له فيه
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه نصب بما فى لهم من معنى الفعل وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
وكآبة الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض والسواد حقيقتهما فاما الذين اسودت وجوههم
ابتدأ بهم فى مقام التفصيل للاهتمام بالتحذير من حالهم ولمجاورة قوله وتسود وجوه وليكون
الابتداء للمومنين والاختتام بحكمهم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب كفروا وكذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ايمانهم به قبل مجيئه وهم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكتاب لاعراضهم عما اوجبه الاقرار وكونهم
بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم على ما افصح عنه قوله الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب
امر اهانة والفا للسببية عن الكفر المقدر والبا تاكيد له بما كنتم تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة
الدالة على التجدد وزيادة الكون الدالة على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء المذكور مفصلا
فى قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب والله اعلم بالصواب واما
الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ففى نعمته من الثواب المخلد جمع للفريق الاول بين التعنيف
بالقول والعذاب وهنا جعلهم مستقرين فى الرحمة فهى ظرف لهم واشار بها الى سابق عنايته وان
العبد وان كثرت طاعته لا يدخل دار الثواب الا برحمة الله تع واضافها الى نفسه دون العذاب
تفخيما لجانب الثواب هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف لبيان ان ذلك الاستقرار
هو على سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال وهو تاكيد لقوله الذين وفيها تاكيد لقوله ففى رحمة
الله ولم يذكر الخلود للكافر اكتفاء بذكره فى قرينه ولم يعكس اذ لا يفهم من دوام القول دوام
الفعل بخلاف العكس ثم انه لما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر هنا سبب كونهم فى الرحمة اشعارا
بان رحمته تع لا تحتاج الى السبب تلك ايات الله الواردة فى الوعد والوعيد نتلوها عليك

توجب الايمان فما جركم على الكفر باياته واظهار اسم الله والمقام مقام الاضمار للتخويف
والتربية للمهابة قل يا اهل الكتاب اعيد الخطاب لان الاول فى الضالين وهذا فى المضلين
فلا تكرار وكون كل واحد من الامرين مستقبحا فى نفسه مستقلا فى استجلاب العذاب مما
لا حاجة الى الاشعار به لعدم الخفاء فيه لم تصدون معنى الاستفهام انكار لقصد الصد
وطلب العوج فى الطريق المستقيم مع كونهم علما تشهدا بان ليس فيه عوج وان الصاد عنها
ضال مضل والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة فيه عن سبيل الله دينه الحق بالمامور بسلوكه
وهو الاسلام قدم للاهتمام على المفعول الاول وهو قوله من امن كانوا يفتنون المومنين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب
ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم فعلى الاول يكون
التجوز فى الصد وعلى الثانى فى امن تبغونها فى محل النصب بالحال عوجا مفعول تبغون
والضمير منصوب بنزع الخافض وتعدية الفعل اى فيها والعوج بكسر العين الميل والانحراف
فى المعانى وبفتحها فى الجثث اى تطلبون اعوجاجا وميلا عن الاستقامة بان تلبسوا على
الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغيير صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحوهما وانتم شهداء قائلون انها سبيل الله لا يصد عنها الا ظالم كافر او عدول
بين اهل دينكم يتمسكون باقوالكم ويستشهدونكم فى عظائم امورهم لكونهم احبارا وما الله بغافل
عما تعملون وعيد بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام فى صدهم المومنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه وفيما تقدم فى كفرهم وهم يجهرون به فكان المناسب له الختم بقوله
والله شهيد يا ايها الذين امنوا خاطبهم الله بنفسه بعد توسيط الرسول عليه السلام فى مخاطبة
اهل الكتاب اظهارا لجلال قدرهم واشعارا بان لهم منزلة عند الله دون اهل الكتاب ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكر يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل
فتنازع القوم وتفاخروا وتغضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق
عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ
اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد

من

من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالفريق يناسب قصدهم ايقاع التفرقة بين جمع
المومنين يردوكم اى عن الهدى الى الضلالة على ما دل عليه قوله من بعد ايمانكم كافرين رد يتعدى
الى مفعولين كالشاعر • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا • وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام الانكار والتعجيب من تطرق
الكفر اليهم فى حال اجتمع اليهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر وانما اخر قوله وفيكم
رسوله مع ان حقه التقديم لان التلاوة المذكورة بواسطة اخراج له عن حيز الرسالة الى منزلة
الاستقلال فى السببية كانه قيل والحال ان ايات الله تتلى عليكم معجزة وازاغة عن الكفر وفيكم
الرسول واعطاء اجراكم ما هيا عنه ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه فى مجامع
اموره فقد هدى الى صراط مستقيم انما يورد قد فى جواب الشرط عند مضيه فهو مخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع فى قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ويدخل فيه الاحتراز
عن طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال سوى
الاسلام حين الموت فالمنهى كونهم على حال غير الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا ما عندهم والذى
عندى هو ان النهى المذكور للتحذير عن الموت على حال سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز
عما يفضى اليه فهو حث على الثبات على الاسلام فى جميع الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا الا عدول
عن الظاهر بخلاف ما قالوه واعتصموا بحبل الله بحبل التمثيل بان يمثل صورة حالهم فى اعتضادهم
واستظهارهم ووثوقهم بالله تع وحمايته واتكالهم عليه بصورة حال المتدلى من مكان مرتفع
متمسكا بحبل وثيق يامن انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل لعهده او كتابه ويجعل الاعتصام
ترشيحا لها بما يناسب الحبل جميعا اى اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به او اجتمعوا على
التمسك بعهده اليكم ان تومنوا به ولا تعبدوا الا اياه او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله
المتين ولا تفرقوا ولا تتفرقوا كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يعادى بعضكم بعضا ويحاربه ولا
تفعلوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من القول والعمل واما التفرق بالاختلاف فى الدين
كاليهود والنصارى فهو مضمون قوله تع ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا واذكروا نعمة الله
عليكم اراد نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المودى الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء فى

بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في
عقاب مسيء على ما يستحقه او ينقص من الثواب الموعود للمحسن وتقديم وما الله على فعل الارادة
بعد النفي يفيد ان الذي يظلم ويريد الظلم غيره لا هو اي هم الظالمون على انفسهم لا غيرهم ونفي ارادة
الظلم تاكيد بليغ في نفي الظلم اي انتفى ارادة الظلم عنه تع فضلا عن الظلم وتنكير ظلما تعميم للعالمين
معناه لا يريد شيئا من الظلم احقر ما يكون لاحد من العالمين كائنا من كان ومن قال في تعليل الذكر
ان يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك
على الاطلاق لم يدر انه ح اي على تقدير ان يكون الظلم منه مستحيلا لا يناسب نفي ارادته فضلا
عن المبالغة فيه اذ ليس من شانها التعلق بما ليس بمقدور له بل الظاهر منه انه مقدور له الا
انه لا يريده لانه لا يليق بشانه والتعليل المذكور قاصر لانا نعلم قطعا ان النقص عن الثواب
الموعود لبعض الاعمال من قبيل الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات والله قادر له الا
انه لا يفعله ولله ما في السموات وما في الارض استيناف في معرض التعليل لما تقدم كانه يقول
ارادة الظلم امارة الحاجة والرغبة الى ما ينقصه بالظلم والله تع منزه عنها لانه المالك لملك السموات
والارض والى الله خاصة ترجع الامور فالملك في دار الاخرة ايضا له تع والعدول عن الضمير
الى الاسم الظاهر للاشعار بان ما ذكره من شان الالوهية ولوازمها وانما قال ترجع لانها قد
زالت بهلاك ما سواه كنتم خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على انهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا
وانقطع ذلك عليهم لان كان الناقصة لا دلالة فيها على عدم سابق ولا على عدم الدوام فلذلك
تستعمل في ما هو حادث مثل كان زيد راكبا وفي ما هو دائم مثل كان الله غفورا رحيما ومن
قال كانه قيل وجدتم خير امة فكانه زعم انها تامة وان خير امة حال ويرده عده من قبيل وكان
الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف
بين به كونهم خير امة وتومنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به لان الايمان به انما
يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد
بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا
لدينه والتعريف في الموضعين للعهد والعهد المعروف الشرعي والمنكر الشرعي ومن وهم انه
للاستغراق فقد وهم واستدلاله به على حجية الاجماع ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام
ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المومنون كعبد الله

بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون اراد الكافرين والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه
على ان المومنين المذكورين عادلون لا حظ لهم من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد ولذلك جاء من غير عاطف لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا بطعن
وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون لا يكون
لهم نصر من احد ينفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت
الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به عن حكم الجزاء والعطف
عليه الى الاخبار لئلا يكون انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقاتلة كتولية الادبار بل مطلقا
اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا ولم يقاتلوا ويبقون في الخذلان والذل والعجز
لا ينهضون بجناح ولا ترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر وثم استعارة للتراخي في الرتبة فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفاء النصر
بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام عند المقاتلة ضربت عليهم الذلة قد سبق تفسيره في سورة
البقرة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس في محل النصب على الحال اي الا
متمسكين او معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر من تكرار الحبل التعدد الذمتين
معنى فالمناسب ان يحمل الاول على الذي نص الله عليه في قوله حتى يعطوا الجزية والثانية على
الذي يراه الامام من اعطاء الامان في مقابلة اخذ مال او لمصلحة اخرى والاستثناء من اعم
الاحوال اي لا عز لهم الا بهذا العز وهو على طريقة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • لان التمسك
باحدى الذمتين غاية الذل ومن فسر احدى الذمتين بدين الاسلام والاخرى بسبيل
المومنين اجرى الاستثناء على ظاهره فيرد عليه ان سبيل المومنين هو دين الاسلام بعينه فلا
يناسبه تكرير ذكر الحبل وباءو بغضب من الله ورجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة لانه اراد تفصيل حال ذلهم بالمبالغة
فيها بخلاف حال مسكنتهم فانها باختيارهم في الغالب فان الاغنياء كثير في اليهود الا انهم لا يظهرون
غناهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق قد تقدم تفسيره في سورة البقرة ذلك
اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يودي الى الكفر

وقيل كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين مستقل بايجاب الامور
المذكورة من الذل والمسكنة والبوء بغضب عظيم من الله لو لم يكن الاخر فكيف والامران متعاضدان
واريد بالامرين الكفر ويندرج فيه قتل الانبيآء والاستمرار على عدم الامتثال بالتكاليف ومبنى
هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سوآء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سوآء كقوله تامرون بالمعروف لبيان كنتم خير امة قائمة
مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله
صفة لامة وكذا يومنون اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح ويجوز ان يكون قائمة احد تفاصيله
اي قائمة في حال تلاوة الايات بالليل وقيل المراد صلوة العشآء لان اهل الكتاب لا يصلونها
على ما ورد في حديث ابن مسعود رض وقوله يومنون بالله واليوم الاخر في عداد خصائص
المومنين تعريض اخر بان ايمان اليهود بالامرين ليس بشي لاشراكهم بالله عزيرا ووصفهم
اليوم الاخر بخلاف صفته وكذا ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعريض بانهم مداهنون
ويسارعون في الخيرات تعريض بانهم متباطئون عنها لقلة رغبتهم فيها اذ كل من رغب في
شيء يسارع في توليه والقيام به والمسارعة المبادرة والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف
السابقة واتيانها على صيغة المضارع للدلالة على التجدد والتكرر واولئك اشارة الى
من اتصف بهذه الاوصاف من الصالحين حقيقة الصلاح من استقاء الفساد عنه بالكلية
وهو نهاية كمال الوصف بالمحاسن وهو مما مدح الله به انبياءه لما عدد الخصائص التي يستحق
بها الثواب بالغ في تعظيم جزائها للترغيب فيها بقوله وما تفعلوا من خير حيث اتى
بالتنكير للتعليل اي وان كان قليلا وجعلها نعما فاستعمل في مقابلتها اسقاء الكفران
ليكون من الاستعارة بالكناية ويستلزم كون الله شاكرا فلن تكفروه فلن يضيع ولا
ينقص ثوابه البتة ضمن الكفران معنى الحرمان فعدي الى المفعولين وفي هذا التضمين زيادة
تنزيه ان ينسب الله نحو معنى الكفران لان تقديره لن تحرموه مكفورين والله عليم بالمتقين
وعد واشارة لهم بالفوز والثواب الجزيل واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء
فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون دون فساق المومنين

مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه
الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر في الاصل
مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كما في قولك برد بارد اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد اراد تشبيه
ما انفقوا في ضياعه بحرث من يستحق العقوبة ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما
وهو من التشبيه المركب ولا يلزم منه ان يكون ما يلي الاداة هو المشبه به الا ان تشبيه المثل
بالمثل يستدعي ان يراعى فيما اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر في مثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق ولهذا قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله بعدم
قبول نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون تحت بيانهم او ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز
اعمالها في ضمير الشان المحذوف على تقدير ولكنه انفسهم يظلمون لان ذلك لا يجوز الا في الشعر
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يطلعه على باطنه وسره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عليه السلام الانصار شعاري والناس دثاري من
دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة
من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير والاصل ان يعدى باللام ثم عدي
الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم
وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لامتلائهم البغض
لا يتمالكون ان يخفوا ولا ينفلت من افواههم ما يظهر به بغضهم وعداوتهم مع ضبطهم انفسهم
وتحاملهم عليه وسعيهم في الاخفاء وذكر الافواه دون الالسنة اشعارا بانهم يلفظون به
يملأ افواههم كما يقال كلمة تملأ الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا وفي نسبة
البدو الى البغضاء والاخفاء الى صدورهم اشعار بانهم مطبوعون على النفاق فما بدا انما بدا
بلا ابداء لا بالطبع ولا بالاختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في موالاة
المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع مستانفات على التعليل
ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم تنبيه
على خطائهم واولاء تخبر لهم وتغيير اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب

وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان او خبر اولا والجملة
خبر انتم او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولا بفعل يفسره ما
بعده وتكون الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله واو الحال تقديره وانتم تؤمنون
والعامل يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله او بجميع الكتب وفيه توبيخ شديد
اي لا يحبونكم مع كونكم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتعزيرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من
اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله المستلزم لذلهم وتبارهم
فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم
الى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز اهله وذلك لان مجرد الموت
بالغيظ وازدياده ليس مما يحسن ان يطلب ويدعى ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون
معنى الامر بالقول طب نفسك وكن مستبشرا ان الله تع يعز الاسلام ويذل الكفر بحيث
يزداد غيظ الكفار الى حد الهلاك على ما سبق من طريق الكناية واصل الكلام استعارة
تمثيلية شبه طيب النفس واستبشاره بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك ان الله عليم
بذات الصدور الاسرار التي لا تنكشف اصلا كني باللزوم للصدور عن عدم الظهور البتة
والظاهر انه تذييل لمجموع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم فهو وعيد على اضمارهم
بعد النهي وتقرير لاطلاع الله على بواطنهم واطلاعه رسوله عليه السلام عليها وتحذير لهم ايضا
كي يرجعوا عن نفاقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير في
الحسنة للتحقير وفي السيئة للتعظيم والمس منبئ عن ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة اي
قدر كان ولو كان مسا تسوؤهم والمطلوب الفرح بالسوء فلا يكون الا بالوصول التام
بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ يقتضي ذلك فمن وهم ان المس مستعار
للاصابة فكان المعنى واحدا فقد وهم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط
علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اي اذكر اذ غدوت من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة الى احد تبوئ

المؤمنين

المؤمنين تسوي لهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ همت بدل من اذ غدوت طائفتان منكم
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدت ان
تفعلا فعل من فشل وهو الانصراف وترك القتال وهو للخطرة ههنا لا للعزمة لقوله والله
وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكان ذلك عند انخزال ابن ابي في ثلثمائة من قومه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم على الله للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون الا على الله لينصرهم
كما نصرهم يوم بدر وانما جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص
فالواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان كون تع وليهم سبب للتوكل عليه خاصة والعدول
عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم المناسب لمقام الامر بتخصيص التوكل عليه ولقد نصركم الله ببدر
تذكير ببعض ما افادهم التوكل على الله تع وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به
وانتم اذلة حال من الضمير وانما اورد اذلة على صيغة جمع قلة ليدل على انهم مع ذلتهم كانوا قليلا
وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال لقلة المركوب والسلاح والمال فاتقوا الله بالثبات مع
رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها
فوضع الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل ثان من اذ
غدوت على ان قوله يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن
الغنائم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من
الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وتاكيد النفي بلن اشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر قيل امدهم الله يوم بدر اولا
بالف ثم صاروا ثلاثة ثم صاروا خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ منزلين
بكسر الزاي اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر
والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة في العرف
فغلبت ثم سميت به الحال التي لا لبث فيها ولا تعريج لصاحبها على شيء والمعنى ان يأتوكم في
الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من
التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت

او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين بكسر الواو وما جعله الله وما جعل الوعد والامداد
ومن قال وما جعل الامداد فكانه غفل عن ان البشارة قد حصل بالوعد بالامداد الا بشرى لكم الا
بشارة لكم بالنصر هذا غاية للوعد وقوله ولتطمئن قلوبكم به اي ولتسكن اليه من الخوف غاية
الامداد وللتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير الاسلوب وفصل بينهما بحرف التعليل هذا
ما يجب البلاغة والذي بحسب النحو هو انه لما وجدت شروط المفعول من احد من اتحاد الزمان
والفاعل في الاول دون الثاني دخل عليه اللام ولم يدخل على الاول وما النصر الا من عند الله لا من
المدد والعدد وفيه تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى عددهم الا ان عادته تعالى جرت بان ينصر
باعداد الاسباب وامداد الاصحاب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي يفعل على مقتضى الحكمة بامداد واعداد وفي التنبيه المذكور ادمج الاشارة
الى ان الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد ولذلك احتيج الى الكثرة والا فملك واحد كاف
في اهلاك الكل ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بقوله وما النصر الا من عند الله اي ليهلك
طائفة منهم ويذل بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد
قريش ورؤسائهم او يكبتهم يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمطلوبهم
ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله
مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك
من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر
باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او على شيء اي ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه عليه السلام يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت
فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم تعليل للتعذيب ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب شيء من المغفرة
والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له وتقديم المغفرة للاشارة الى سبق الرحمة
على الغضب والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم قيل هم عليه السلام ان يدعو عليهم
يوم احد فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة والتخصيص بحسب الواقع ولا بد له من نكتة ولعلها مثبتة

اقصد بتخصيص الخطاب بالمؤمنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان المؤمن بارتكاب
الكبيرة لا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم اتقاء سخطه في الدارين ولا
يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربوا حيث انه يجعل في فلاح من اتقاه واجتنبه
لان تعليق امكان الفلاح ورجائه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه
ويتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليهم بالنار التي اعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها
من معصية توجب عقاب الكفار للمؤمنين وما اشده من تغليظ عليه ثم اكد التغليظ بالامر
بطاعة الله تعالى ورسوله عليه السلام تعريضا بان اكل الربوا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق
رجاء المؤمنين لرحمته بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان
فانظر كيف ادرج التغليظ في التهديد حتى الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما ما قيل فيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة فبناء على ان يكون المراد نار جهنم
مطلقا وذلك غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة
بالكفار واطيعوا الله في نهيه عن الربوا اجلالا واطيعوا الرسول في بيان ذلك اجلالا لعلكم ترحمون
اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل
عزة التوصل الى ما جعل جزاء له وسارعوا الى مغفرة بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما
يستحق به المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلاص ترك الملزوم واقيم اللازم مقامه للتشويق
والتحريض على الوجه وليكون سرعة الاقبال بالنشاط مع خفة على النفس وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في موضع اخر عرضها كعرض السماء والارض
قال ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم بعضها الى بعض فعرض الجنة مثلها فاما
الطول فاكبر من ذلك لان طول كل شيء يزيد على عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر كان
بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل • اي واسعة اعدت للمتقين هيئت
لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة واما انها خارجة عن هذا العالم فلا دلالة عليه فيه اذ يجوز
ان تكون فوق السموات دون العرش وقد جاء في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن الذين
ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوبا او مرفوعا في السراء والضراء اي في حال الرخاء
واليسر وحال الضيق والعسر لا يهملون انفاق ما تيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو

عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما من انفاق ما قدروا عليه من القليل والكثير وقدم الانفاق
على سائر خصال المتقين لكونه اشق على النفس وادل على الاخلاص والتوكل ولانه كان اعظم
اعمال البر في ذلك الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين
الممسكين يقال كظم البعير جرته اذا ردها الى جوفه الغيظ وهو توقد حرارة القلب من الغضب
يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حميها ويجوز ان يكون من كظمت القربة اذا شددت راسها على
ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه
فلم يصب في اعتباره القيد الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عليه السلام من
كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين اي المتجاوزين عن الناس
كائنا من كان والله يحب المحسنين يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد فيكون الاشارة
اليهم فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان وبشارة لهم بكرامة محبة الله اياهم والذين اذا فعلوا
فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقد قيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما لا يتعدى ذكروا
الله تذكروا حقه الموجب للخشية والحياء منه او تذكروا عقابه او وعيده او نهيه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين تصويبا
للتائبين المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة
والمغفرة وتحريضا لهم على التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن الياس ومعنى الاستفهام
تقريرانه وحده مخصوص بموجبات المغفرة ومصححاتها من الفضل والكرم والعفو والرحمة
الذاتية ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على افعالهم السيئة غير مستغفرين اي تداركوا
بالاستغفار كلما عادوا الى الذنب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في
اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منجر اليهما معا اي ليسوا
مصرين على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه قد يعذر من لا يعلم قبحها وكونها
معاصي اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر
للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفتها على المتقين او على الذين
ينفقون ومن اذعن للحق والنصفة وبالتجنب عن التعسف والتعصب التصف علم ان ليس
في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون

اجرهم

اجرهم مغفرة وجنة اما مع سكوت عن حكم المصرين او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع
في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاؤهم لكن من اين البيان القاطع انهم لا يدخلون البتة وانه
لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان على ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربوا ولا ترغيبهم في
الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم الاصرار ليلايم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا
يظهر فائدة اخرى وتنكير جنات على الاول يدل على ان المراد دون ما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فرقا بين القبيلتين انه فصل ايتهم بان بين انهم
محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص
بمكارمه وفصل اية هؤلاء بعد قوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
رجع الى وقوع احد وما نابهم فيها فقال قد خلت من قبلكم سنن في الامم المكذبين من الوقائع
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض
على الايمان والتصديق بما نصحهم به اي مضت على هذا المنهاج سنن من الانبياء السابقين
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين عاقبة تكذيبهم حتى تعتبروا بما ترون من
اثار عذابهم فتنزجروا عن التكذيب وتصدقوا والفاء لتضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم
فسيروا هذا بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي ايضاح لسوء
عاقبة ما هم عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبيت وموعظة للمتقين للذين اتقوا من
المؤمنين او الى ما يخص من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
من رسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم اي لا يورثنكم ذلك
وهنا وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب
لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم
لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار
او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب الثقة بالله وقوة القلب
وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه لدلالة النهي عليه تقديره ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا

او بالاعلون اي انتم الغالبون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به ان يمسسكم قرح قرئ
بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالضم الجراح وبالفتح ألمها وقيل بالفتح
المصدر وبالضم الاسم فقد مس القوم قرح مثله اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر
ثم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام وقوله مثله لا ينافي
المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة تنتظم الاسر والمماثلة في مس الجرح وما يترتب
عليه من القتل فقط وتلك الايام تلك اشارة الى مبهم فسر بالايام وهي الوقائع العظام
نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله • فيوما علينا ويوما
لنا • ويوما نساء ويوما نسر • اي فواقعة علينا وواقعة لنا ووقت نساء ووقت نسر والمداولة
كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل
الخبر والحال وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت
وليعلم الله فالواو العاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه
من المصالح ما لا يعلم وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم وتبصر بان العبد ربما يسوؤه شيء يجري
عليه من المكاره ولا يدري انه خير له او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات
علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه بطريق البرهان ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات
والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين
التعليلات للتسجيل على من هو ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله
الممحصين من الذنوب بالظلم والتنبيه على ان ظلمهم او جبانهم يبغضهم الله والتعريض بانه
يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الله الذين آمنوا المحص التطهير والتصفية والتخليص وصيغة
التفعيل للمبالغة اي وليطهرهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال بتقدير المبتدأ ولما كلمة في نفي
الماضي الا ان فيه معنى التوقع في المستقبل فدل على نفي الجهاد في الماضي مع توقعه في المستقبل

لان معنى ولما يعلم الله ولما يجاهدوا لان وقوع الشيء يستلزم كونه معلوما لله ونفي اللازم يستلزم
نفي الملزوم فنزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتاكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء
الملزوم وفيه اشعار بان علمه تعالى بالاشياء على ما هي عليه ضروري وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم على
ارادة التاكيد بالنون الخفيفة اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان
الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب
الجمع بينهما وقرئ بالجزم على العطف وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما جاهدوا وانتم
صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي لقاء العدو فانه من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا
ليكون لهم يوم كيوم بدر او تمنوا الشهادة فيه لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم
احد على الخروج من قبل ان تلقوه اي العدو فانه ملحوظ وان لم يكن ملفوظا فقد رأيتموه حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون معاينين له مشاهدين اي لا على غفلة واشتغال او
سواه ففيه تاكيد وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
ثم قلة مصابرتهم عليه وعدم ثباتهم له وانهزامهم عنه عند مشاهدته او على تمنيهم الشهادة ثم توليهم
مدبرين ومن وهم ان في تمني الشهادة تمني غلبة الكفار فقد وهم فانه يقصد الى نيل كرامة الشهادة
ولا يخطر بباله غلبة الكفار وما محمد الا رسول قصر الموصوف على الصفة يستلزم نفي سائر الصفات
الى فوق الرسالة عنه اي ليس بمخلد ولا اله حتى لا يمكن موته وقتله ومعنى قد خلت من قبله الرسل
لا ينافي الرسالة المضي بسبيله فيمضي كما مضت الرسل من قبله وما كان مضيهم سببا لانقلاب
اتباعهم عما كانوا عليه فينبغي لكم ان تتمسكوا بدينه وطريقته في الجهاد وغيره كما تمسك اتباع الرسل
بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة وقد بلغ ثم عنفهم
ووبخهم على ما كان منهم بقوله افان مات اي بكلمة ان وقد علم انه يكون تنزيلا للسامع منزلة
المتردد لاستعظامه وذكر القتل بقوله او قتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك
من الناس على تقدير نزوله قبل يوم احد لا يأباه اذ ليس كل آية يسمعها كل احد ولا كل سامع يستحضرها
في كل مقام سيما ذلك المقام الهائل انقلبتم على اعقابكم في قوة الكلام تفريع الانكار على ما تقدم اي قد
علمتم مضي الرسل وتمسك اممهم بعدهم بأديانهم فكيف صح انقلابكم على اعقابكم بمضيه بالموت والقتل
الا انه قدم ما حقه التاخير لاقتضاء اداة الاستفهام الصدارة في الكلام لا انكار التفريع على ما تقدم

لان ذلك التنويع لمعزل عن مذهب الادهام فرده لا يناسب المقام كما لا يخفى على ذوى الافهام
ومن ينقلب على عقبيه قد سبق بيانه فى سورة البقرة فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس اى
وما صح لها ان تموت الا باذن الله ملك الموت فى قبض روحه لما كان السابق الى الوهم المتبادر
الى الفهم من اسناد الموت الى الميت فى قوله افان مات هو ان يكون الموت الواقع بلا سبب ظاهرى
من المرض والقتل لمقتضى طبيعة الميت دفعه ببيان ان الموت مطلقا لا يكون الا بقبض الروح
وهو باذن الله تع وليس فيه تحريض وتشجيع على القتال بناء على ان الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف
وهو المامور به فى قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الوعد للرسول عليه السلام بالحفظ
وتاخير الاجل فلا يفهم منه اصلا كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا صفة له اى
موقتا له اجل معين ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعم الله
فلم يشغلهم شى عن الجهاد وحذف المفعول الثانى فى الموضعين لابهام الجزاء تعظيما اى جزاء
لا يوصف كنهه وكاين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت
فى الخط على غير قياس وقرى كاين ككاع ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار كيايين
ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى من نبى من بيان له
قاتل معه ربيون كثير الربيون الربانيون وقرى بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والكسر
والضم من تغييرات النسب وقرى قتل والفاعل ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه اى
قاتل كائنا معه ربيون ويؤيد الاول انه قرى بالتشديد فما وهنوا فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
فى سبيل الله من الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوان او قتل النبى وما ضعفوا عن الجهاد بعده
لفوت اليقين والثبات فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو وقيل استكان افتعل من
سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده وقيل
استفعل من كان التامة كان الخاضع يطلب من نفسه ان يكون ويثبت على ما يريده به صاحبه
والاول اقوى من حيث المعنى ولكن لا يساعده وجوه الاشتقاق والتصريف والثانى اصح لفظا
واضعف من حيث المعنى وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام من الوهن والضعف
عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابى فى طلب الامان

من

من ابى سفيان والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا قراءة
العامة قولهم بالنصب وانما جعلوه خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان
الحدث ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب
للمبالغة فى الاعتراف بالذنب وسوء الظن بانفسهم وثبت اقدامنا على حاجة الجهاد وانصرنا
على القوم الكافرين وهو مدح لهم انهم مع حسن العمل استغفروا من الذنوب والخلل اى وما
كان قولهم الا هذا القول اى الاستغفار عن الذنوب والاسراف واضافتها الى انفسهم وطلب
تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على العدو معتقدين ان الخذلان وزلزال القدم
انما يكون لذنوبهم مقدمين عليه الاستغفار منها هضما لانفسهم واستقصارا مع كونهم ربيين
ليكون الدعاء مع الخضوع وزكاء النفس فيقرن بالاجابة كما جاء بعده فاتاهم الله بسبب الاستغفار
والالتجاء الى الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة
من الجنة وما فيها من النعيم وخص ثوابها بالحسن اشعارا بالفضل وانه المعتد به عنده تعالى
والله يحب المحسنين اى هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت فى قول المنافقين عند الارجاف
ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه
وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر
الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم دون غيره فلا تميلوا الى ولاية غيره ونصرته وقرى بالنصب
على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فهو احق ان يستعان به سنلقى فى قلوب
الذين كفروا الرعب هو بيان قوله وهو خير الناصرين والرعب الخوف الذى يملأ القلب يقول
وان نالكم للحال بعض الشدة بعصيانكم سنلقى فى قلوبهم الرعب فتكون العاقبة لكم بايمانكم وقد
حقق هذا الوعد فالقى فى قلوب ابى سفيان واصحابه الرعب فلم يجيئوا فى بدر الصغرى بعد ان
وعدوا ذلك وقيل يريد به ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال انهزموا
الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة ولا يساعده الخوف عبارة سنلقى بما اشركوا بالله بسبب
اشراكهم به ما لم ينزل به باشراكهم سلطانا حجة تنبيه على معنى نفى الحجة والانزال جميعا كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر وذكر الانزال لان شان الحجة الالهية ان تنزل من السماء ففيه تهكم بالقوم واصل
السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان وماواهم النار اى

مرجعهم جهنم في الآخرة وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى كما في قوله ان تصبروا وتتقوا
الآية وكان كذلك حتى خالف الرماة اذ تحسونهم تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى اذا
فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع على سبيل
التحذير والفشل الجبن والضعف وحتى حرف جر بمعنى الى داخل على اسم هو اذا وقد عرفت ان
معنى صدق الوعد النصر والاظفار فلا يرد انه لا يصلح غاية لان وعده تع لا ينقلب كذبا وانما
قدم ذكره وهو مؤخر وجودا عن التنازع والعصيان للدلالة على ان الموعود لم ينه تنازعهم
وعصيانهم ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا يرجح الوجه المذكور على ما قيل ان اذا لم
يجرد عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم صرفكم اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر يعني
اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا ههنا الغنيمة الغنيمة
وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الغنيمة وفيه تنبيه على باعث عصيانهم
وتشنيع لهم حيث آثروا الغنيمة على الجهاد ومن زاد على ما ذكر الظفر وانهزام العدو فقد فوت
النكتة منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون
محافظة على امر الرسول عليه السلام ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال ليبتليكم على المصائب
ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما علم من ندمكم عليه والله ذو فضل على العالمين في جميع الاحوال فتارة يتفضل عليهم
بالنصر والادالة على عدوهم لتقوية الدين وتارة يتفضل بالابتلاء والادالة للعدو عليهم لظهور
الصفات الكمالية الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة وتارة يتفضل بالعفو وتمحيصهم من
الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء احوالهم ذلك اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الابعاد في الهرب في الارض وقال صاحب الديوان الاصعاد
في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم وقرئ تصعدون بفتح التاء من الصعود وقرئ
تصعدون في الوادي ويحتمل انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد بعضهم الى الجبل ملتجئا به ولا
تلوون على احد ولا تلتفتون على احد من الآحاد من قولك لوى جيده اليه اذا التفت
اليه وهو اخبار عن غاية خوفهم من العدو والرسول يدعوكم وكان يقول الي عباد الله انا

رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم
اي فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وغلبة المشركين
والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على تجرع الغموم وتعتادوا الصبر واحتمال
الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فاتكم من الفوائد ولا ما اصابكم من المكاره وقيل الضمير في
فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم
يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير
بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه او
مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة
بسكون الميم كانها المرة من الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال الغم والخوف حتى نعستم
يغشى طائفة منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف
يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وقرئ تغشى بالتاء ردا على الامنة والطائفة
المؤمنون حقا وطائفة منهم وهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم والحزن لعدم
اليقين او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصر
مستفاد من المقام يظنون بالله صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان
لما قبله غير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي يجوز ان يظن به وظن الجاهلية
بدل له او هو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها وفي الابدال مبالغة في كشف خطأ الظن واشعار
بان ظن الجاهلية علم في البطلان يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من
الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر كله لله اعتراض اي
الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون فلا معنى لنفي الامر بمعنى النصر والاظفار
عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون او هو
بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له وهو اجود اي يظهرون هل لنا من الامر شيء
سؤال المؤمنين المسترشدين ويقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا منكرين لقولك ان الامر كله لله نفاقا اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله

ولاوليائه وانهم هم الغالبون ما غلبنا قط وما قتل من قتل من المسلمين فى هذه المعركة قل لو كنتم فى
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى
اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد منهم لان العلم الازلى محلبهم
اليه ويلزمهم ذلك لان العلم تابع للمعلوم فلا تاثير له فيه بل لان الله قدر الامور ودبرها فى سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لمصالح جمة
وللابتلاء وليمحص ما فى قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور من الظنون
والعزائم وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه تع غنى عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المومنين
ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب فى توليهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله التاييد بالنصر وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل
استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب تقدمت لهم لان الذنب يجر الى
الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها
فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة الصداقة او الاتفاق فى
النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة وسائر المهام وكان حقه اذ لكنه جاء
بعد قالوا لحد الظرفية على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى او تهضوا للغزاء غزى جمع غاز
كعفى جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا اى لولم يخاطروا العاشوا وهو
يدل على ان اخوانهم قد فاتوا البعداء عما بوا عنهم ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم اى قالوا ذلك معتقدين
ليكون حسرة فى قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز ان يتعلق بالنهى اى لا تكونوا مثل الكفار فى
النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها ويجوز ان
يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى
قلوبهم لان مخالفتكم اياهم فى قولهم واعتقادهم مما يغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم وتخطية

لعقيدتهم

لعقيدتهم اى الذى الامر بيده قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد وبالعكس كما
يشاء والله بما تعملون بصير تهديد لهم على ان يماثلوهم وعلى القراءة بالياء وعيد للكفار صدر الجملتين
بالقسم للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم فى سبيل الله متعلق بالمعطوفين كمن قتل
فى قوله لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرى
بكسر الميم من مات يمات وتقديم القتل لانه الغالب فى الجهاد بخلاف غيره ولهذا اخر فيما ياتى
ثم ان المقتول احق بالمغفرة واجدر والميت فى الحضر اكثر فقدر لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون جواب القسم وساد مسد جواب الشرط وعدل فى الجواب الى الجملة الاسمية للدوام
والتخليد وتنكير مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كذب الكافرين اولا فى زعمهم وخطاهم فى اعتقادهم
ونهى المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا موجبا للتقاعد عن الجهاد ثم قال ولئن وقع ما
تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة والثواب العظيم خير مما تجمعون من منافع الدنيا
لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذى
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لاجله لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاكم ويعظم ثوابكم ولوقوع اسم
الله هذا الموقع مع تقديمه شان لا يخفى ولذلك عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم
ما مزيدة للتوكيد وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وتنكير رحمة
للتعظيم اى بحظ وافر لك من رحمة الله لنت لهم وتلطفت وما عيرتهم على مخالفة امرك وتركهم
اياك بين الكفار بل واسيتهم بالغم واغتممت لاجلهم والفا للترتيب على ما دل عليه سياق الكلام
من انهم كانوا مستحقين للعتاب البليغ وان المرجو منه عليه السلام على ما هو مقتضى الطبع البشرى
ان يعنف عليهم ويغلظ فى مخاطبتهم ولو كنت فظا الغظ الجافى الخشن الخلق غليظ القلب قاسيه
لا نفضوا من حولك تفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك ولما بين فائدة حسن الخلق وآفة القلب
رتب عليه الامر بقوله فاعف عنهم فيما يختص بحقك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للرافة
بهم وشاورهم فى الامر اى فى امر الحرب وغيره مما لم ينزل عليك فيه وحى لانى مشاورتهم من
الرفع فى اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار برايهم وعن الحسن قد علم الله ان ما به اليهم حاجة
ولكنه اراد ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراى على شئ بعد الشورى والفاء
التعقيبية للدلالة على ان حق المشاورة ان تنتهى الى العزم على احد الامرين ولا يبقى فى التردد
بينهما فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو الارشد الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرى فاذا عزمت

على التشاور اى فاذا عزمت لك على شى وعينته لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه احدا ان الله
يحب المتوكلين اى يرضى عنهم ويهديهم الى الاصلح وينصرهم ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر
فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد وان يخذلكم اى يترك نصرتكم كما تركها يوم احد فمن ذا الذى ينصركم
من بعده اى من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزته من قولهم ليس لك من يحسن اليك
من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضى للتوكل عليه تعالى وتحريض على ما يستحق به النصر وتحذير عما
يستوجب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى لما علموا ان لا ناصر سواه فليخصوه بالتوكل
عليه والتفويض اليه وفى عبارة المؤمنون اشارة الى وجه يؤيد التخصيص المذكور وهو ان
الايمان الحقيقى يقتضى رؤية ان القوى والقدر كلها فى قوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان
وما صح لنبى من الانبياء فكيف لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال من الغنيمة فى خفاء
فقدت قطيفة حمراء من الغنائم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم لعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت وقائل ذلك مؤمن لم يظن فى ذلك حرجا براه الله تعالى من
ذلك ونزهه ونبه على عصمته عليه السلام بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان فى حقه
شيئا منه ولا يرتاب احد وقرئ ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا
او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالشئ الذى غله بعينه
كما ورد فى بعض الاحاديث فغير منظور اليه فى هذا المقام ثم انه مخصوص بما له ثقل على الفهم
من قوله عليه السلام لابى هريرة لالفين من امرك شيئا من الغنائم اذا تخرج يوم القيمة وهو
معلق بثيابك ولو كانت ابرة فلا انجى ولما نقل عن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة
مسك فتليت عليه الاية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت
تعطى جزاء ما كسبت وافيا كان الظاهر ان يقال ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله يات بما غل
لفظا وانما عدل عنه وعمم ليدخل تحته دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم
الغال ان كل نفس يوفى جزاء مكسوبه خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما
كسب فاتصل به معنى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم
ولما عمم كل كاسب خير وشر وكان المتنافيين من النبى والغال فقال منكرا افمن اتبع رضوان
الله بهمزة الاستفهام مبالغا بايرادها على الفاء العاطفة ابعدها على مقدر دل عليه ما قبلها
مؤكدا بها المنافاة بين النبى والغال كانه قال ايغل النبى فمن اتبع رضوان الله بالطاعة يعنى

النبى

النبى ومن تابعه كمن باء رجع بسخط عظيم من الله بالعصيان كالغال ومن دان بدينه وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع ان المرجع هو انقلاب الشئ الى حال كان عليها والمصير انقلابه الى
خلاف الحال التى كان عليها هم درجات تشبيه بليغ اى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
وقيل على حذف المضاف اى هم ذووا درجات وانما قال عند الله تعظيما للتفاوت والله
بصير بما يعملون عالم باعمالهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم
المنتفعون ببعثته عليه السلام والمنة ههنا الانعام وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او
بعثه ويجوز ان يكون اذ فى قوله اذ بعث فى محل الرفع بانه مبتدا اى وقت بعثه لمن من الله
لان العرب لم تستعمل اذ متصرفة قال ابو على الفارسى لم يرد اذ واذا فى كلام العرب الا ظرفين
ولا يكونان فاعلين ولا مفعولين ولا مبتدأين وانما قال فيهم لانهم كانوا عرفوا مولده ومنشاه
وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخطر رسولا التنكير للتعظيم من انفسهم
من جنسهم عربيا مثلهم ليسهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه لاتفاقهم فى اللسان وقيل من نسبهم
يعنى من ولد اسمعيل كما انهم من ولده وكلما كانت الجنسية اكثر كان الميل اوفر لمناسبتهم اياه
وسهولة قبولهم منه وعلى هذا يكون المراد من امن من قومه عليه السلام وتخصيصهم بالمن
لزيادة انتفاعهم بجمعه عليه السلام وعلى كلا الوجهين لا اختصاص لمن امن معه عليه السلام وقرئ
من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف شعوب العرب وافخاذهم يتلوا
عليهم اياته من الوحى المتلو بعدما كانوا جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى ويزكيهم من دنس
الكفر والخبائث وغوائل الطبيعة والرذائل ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القران والسنة الشاملة
لاقسام الحكمة وان فى قوله وان كانوا لفى ضلال مبين هى المخففة من الثقيلة ومن قبل مبنى على
الغاية واللام هى الفارقة اى وان الشان كانوا من قبل بعثته فى ضلال ظاهر لا شبهة فيه
وهو بيان لشدة احتياجهم الى من يرشدهم وازاحة لما يتوهم انه عليه السلام تعلم ذلك من معلم
او لما اصابتكم مصيبة ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين والهمزة لتقرير القول والتقريع ولما نصب بقلتم فى قوله قلتم انى هذا واصابتكم
فى محل الجر باضافة لما اليه وتقريره وقلتم حين اصابتكم انى هذا على انه مقول قلتم والواو عاطفة
للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف اى افعلتم كذا وقلتم حينئذ انى هذا
اى من اين هذا قل هو من عند انفسكم اى استوجبتم لما اصابكم بسبب ما هو من عند انفسكم كالزلل

الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عند الله اي بسبب العادي انتم لتخليتكم المركز وميلكم الى الغنيمة
فان وعد النصر كان مشروطا بالثبات والمطاوعة واما اختيار الخروج من المدينة فبعيد لان الله
وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار القتال يوم بدر ابعد منه ان الله على كل شيء قدير فهو
قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ومنكم اخرى ولا تاثير للاسباب العادية فهي
دفع وهم العجز عن نصرهم عند عدم شرط الثبات وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع
المشركين يوم احد فباذن الله فهو كائن بتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
عطف على باذن الله والباء واللام كلاهما للسبب وليعلم الذين نافقوا اي وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا احد وما الكلام كلاما مما
تسبب نافقوا داخل في الصلة تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قسم الامر عليهم بين ان
يقاتلوا كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا دفعا من انفسهم واهلهم واموالهم ان لم يكن لهم
هم في الله وفي الاخرة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لغلظهم
على ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع ثلثمائة فقيل له فقال ذلك ويجوز ان يكون المعنى لو نعلم
ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالنفس الى التهلكة يريد
تخطئة رايهم لان رايه كان في الاقامة بالمدينة او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه بقي ههنا شيء وهو ان مقتضى ترتيب
الكلام على الوجه الاول ان يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء وانما اخرج مخرج الاستيناف
على انه جواب سؤال اقتضاه دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فاخره عن الدعاء كانه قيل فماذا
قالوا فقيل قالوا لو نعلم لينبه على ظهور امارة النفاق منهم لتثبطهم وتعللهم بعد الدعاء الذي كان
يجب عليهم اجابته ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا عطفا على
جملة وما اصابكم فباذن الله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وقولهم هذا فانهما
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم والظروف كلها متعلقة باقرب لما فيها من الاتساع
لكن تعلق للكفر باعتبار الزيادة وتعلق الايمان من حيث المفعولية كانه قيل قربهم من الكفر
يزيد على قربهم من الايمان وصلة القرب يكون من والى وتقول العرب قرب منه واليه
ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم
تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف

ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل القول في غير الكلام فتقول قال
بيده اي اهوى بها وقال براسه اي اشار فقوله بافواههم لتخصيص القول بالكلام واسناده
الى الافواه على الالسنة لانها اوسع دائرة فان من الحروف ما لا دخل في تلفظه للسان والله
اعلم بما يكتمون من النفاق وتجهيل المؤمنين وتخطئة رايهم وذمهم فيما بينهم والشماتة بهم وغير ذلك
وانما قال اعلم لانهم يعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة بتفاصيله
وكيفياته الذين قالوا بدل من ضمير يكتمون رفع المحل او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين
قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر بدل من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم اي
لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال اي قالوا وقد قعدوا عن
القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت جواب شرط مقدر
يدل عليه ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
فانه احرى بكم يعني ان القعود غير مغن فان اسبابه شتى والقتال قد يكون سببا للنجاة والقعود
سببا للهلاك ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد والابلغ ان يجعل
الخطاب لكل احد لانه امر خطير يجب ان يتبشر به كل احد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليستيقنوا
بحسن الجزاء وقرئ بالياء اي حاسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ
بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم عند هنا بمعنى القرب شرفا ورتبة يرزقون يعني في الجنة
وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين حال من يرزقون بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم معجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة
بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من
خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين
لهم من حال من تركوا خلفهم وهو انهم سيلحقون بهم في امن وفرح ورغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم
على الطاعة والجهاد والرغبة في نيل درجة الشهادة وبشارة للمؤمنين بالفوز وحسن المآب
واحماد لمن يرى نفسه بخير فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشر به لهم والاية تدل على ان روح الانسان جسم
لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى النار
يعرضون عليها وما روي ابن عباس رض انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش يستبشرون كرره للتاكيد

وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وهو نفي الحزن وعدم
ضياع اجرهم نفي الخوف لان الاول على الواقع والثاني على المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال
اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد الى موجب الصدق في الاخوة
الدينية وهو ان يكون صلاح حال اخيه اهم عنده من صلاح نفسه بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
قرئ ان الله بالفتح عطفا على فضل فيكون من جملة المستبشر به وقرئ بالكسر على ان الجملة ابتدائية على
سبيل الاعتراض للاشعار بان ذلك اجر لهم على ايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها
ويعضده قراءة والله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله تمهيد لبيان ان دعوته عليه السلام دعوة الله تع فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم
القرح اي الجرح في غزوة احد وهم اثر ذلك ويجوز ان يكون الذين مخفوضا نعتا للمؤمنين وان
يكون منصوبا على المدح وان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم
محسنون متقون قيل لما كان اليوم الثاني من غزوة احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من
انتدب لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستاصل وان فينا بقية وقال لا يخرج معنا الا من شاهدنا
بالامس فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة واقام بها ثلثة
ايام ثم انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من اهل المدينة واذاعوا كلامه ان الناس يعني ابا
سفيان واصحابه فالمعرفة وان اعيدت معرفة فليس الثاني عين الاول واللام للعهد به اشارة
الى ما ذكره صريحا بل الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد
قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد
قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في
دياركم فلم يفلت احد منكم الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي

نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول اي فزادهم ذلك الكلام او للمصدر اي فزادهم
قولهم والبارز للمتثبتين مع الرسول صلى الله عليه وسلم للمقول لهم لما عرفت ان اكثرهم كرهوا
الخروج معه عليه السلام والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان بمعنى التصديق
يزيد وينقص ومن انكره قال ذلك بحسب المتعلق اعني ما يومن به واما الايمان الشرعي
فدائرة الخلاف فيه واسعة لان من المخالفين من قال بدخول الطاعات فيه ومنهم من
انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى
المحسب قولهم هذا رجل حسبك على انه صفة للنكرة لكون الاضافة غير حقيقية وهي اضافة
اسم الفاعل الى معموله ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر الصغرى
سالمين غانمين وهو ما ذكره بقوله بنعمة من الله بنعمة عظيمة وهي السلامة وهرب العدو
منهم وفضل وهو الربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم
يمسسهم سوء لم يصبهم من الضرر دنيا كان او ماليا والتنكير للتحقير واتبعوا رضوان الله الذي
هو مناط الفوز بخير الدارين بجرائهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل
عليهم بسعادة الدنيا والاخرة من الربح والرضوان وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث
حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان ذلكم مبتدا خبره الشيطان اي انما ذلكم المثبط هو
الشيطان وما بعده بيان لشيطنته وصفته وما بعده خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى
قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا
تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول وللاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا
مع رسولي ان كنتم مومنين فان الايمان يرجح خوف الله على كل خوف ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون وقوم من اليهود والمعنى
لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء
الله بتلك المسارعة وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف الضرر الى نفسه تشريفا لاوليائه وشيئا
يحتمل المفعول والمصدر وتنكيره للتحقير يريد الله ان لا يجعل لهم حظا نصيبا في الثواب في الاخرة

وهو دليل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد
ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته او بان مسارعتهم الى الكفر لانه تع لم يرد لهم ان يكون لهم
حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مكان الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيا
ولهم عذاب اليم تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم ويكون كالبرهان
على ان وبال كفرهم وضرره لا يعود الا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظمه ولا تحسبن الذين كفروا
الذين كفروا النصب على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب لكل من يحسب وقد نبهت
فيما سبق ان هذا ابلغ من تخصيص الخطاب بالرسول صلى الله عليه وسلم وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم
بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان تكتب منفصلة ولكنها وقعت في خط الامام
متصلة فاتبع سنته وانما اقتصر على احد المفعولين مع امتناع ذلك في افعال القلوب لان
الاعتماد على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ليس بمقصود فالبدل وهو ان مع اسمه وخبره ينوب
عن المفعولين ويجوز ان يقدر مضاف اي ولا تحسبن حال الذين كفروا وعلى قراءة بالياء فالذين
كفروا رفع على الفاعلية والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما جملة استينافية لتعليل الحكم السابق وما
كافة واللام للتعليل فان القائلين بان الخير والشر بارادة الله تع يجوزون التعليل بمثل هذا
اما لانه غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا بل يكفي جعله غاية للفعل واما لانه مراد
مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين لا يجعلون فعل الله معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر
الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما
فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب
مهين ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمعنى كان متقدم في الاعتبار واللام في
ليذر المومنين لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المومنين المخلصين بالمنافقين حتى يميز
بينهم والخطاب للمومنين المخلصين لان الممنون عليهم والموصوفين بالطيب ولقوله ليطلعكم
حتى يميز الخبيث من الطيب تسجيل على المنافقين بالخبث وعلى المومنين بالطيب اي حتى يعزل
المنافق عن المخلص لئلا يتعدى حرجه اليه والالتفات الى الخطاب تقريب للمومنين وتخصيص
والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه

باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
من خطرات القلوب وغيرها فان ذلك مما استاثر الله تع به ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلم
بعض المغيبات بالوحي او بطريق اخر وليس من قبيل الاطلاع ولذلك قطع الاستثنا فامنوا بالله
بان تعرفوه حق معرفته وتعلموه وحده مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله من الغيوب بالوحي او بطريق وليسوا
من علم الغيب في شيء قيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يومن منا ومن
يكفر فنزلت وقيل انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يومن بي ومن يكفر فقال
المنافقون انه يزعم انه يعرف من يومن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان
تومنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير الرسول او
حاسب ومن جعل فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه يبخلون اي بخلهم وسوغ
حذفه لذلك وهو فصل وقرئ بغير هو بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله هو شر لهم والتطويق يستعار للالزام تشبيها بما لا ينفك
عن الرجل بالطوق اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا من الزكوة
حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله
ميراث السموات والارض ما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بما له من ملكه
ولا ينفقونه في سبيله والله بما يعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرئ تعملون بالتاء
على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وعيد بليغ وقد اكده بالقسم في
لقد اي ولم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد للمرتكب
الجرائم اذا وقف منه على جريمة جديدة لقد سمعتها وساكتبها مع صواحبها يريد بها السبب
جرائمك جميعها والحق احديها بالاخرى محفوظة مكتوبة عندي حتى اخذك بالكل فالكلام على
طريقة الاستعارة التمثيلية ومودات على حقايقها والسين لتاكيد الاثبات كما ان لن

لتاكيد النفي اى بها ليكون الوعيد على طريق التاكيد كما فى الاخبار بوجود السماع لان
الجريمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن وقتلهم الانبياء هذا العطف تذكير لهم بما يستحقون
به اشد العذاب اظهار الشدة الغضب وتوبيخ شديد اى هذه عظيمة مثلها ولهم سوابق
فى ذلك ومن ارتكب قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول ولا احتمال لان يكون
قتل الانبياء بحق فقوله بغير حق بيان للواقع زيادة فى التفضيح ونقول ذوقوا عذاب الحريق
تتمة للوعيد مع تهكم بالغ ينتقم منهم بهذا القول وذق كلمة يقولها المنتقم للمنتقم منه اى ذوقوا
كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة الى ما مر من عذاب الحريق تهويلا وتعظيما والذوق
ادراك الطعم وعلى الاتساع يستعمل فى سائر المحسوسات والحالات والتهكم به لان سبب العذاب
قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف
من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم
الانبياء وقولكم هذا وسائر معاصيكم ولما كان اكثر الاعمال تناوله بالايدى جعل كل عمل وان
كان بالقلب او اللسان وسائر الجوارح عملا بالايدى على سبيل التغليب ولان اليد
مظهرة للبيد والة المباشرة نسبوا الكسب اليها كانهم ارادوا كسب النفس وحدها بلا مشاركة
احد فيه وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اى ذلك بسبب كسبكم بانفسكم
وبان الله عادل لا يجازيكم الا بما كسبتم وقضية العدل عقاب المسيء وثواب المحسن وصيغة
المبالغة على ان شانه تع البلوغ الى الغاية فى كل وصف يتصف به فعلى تقدير اتصافه
بالظلم يلزم ان يكون ظلاما الذين قالوا هم كعب بن الاشرف واضرابه ان الله عهد الينا يعنى
امرنا فى التورية واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله
النار بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لبنى اسرائيل وهو ان يقرب قربان فيقوم النبى
فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكلها اى تحيله الى طبعها بالاحراق قل قد جاءكم اى جاء اسلافكم
الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان
كنتم صادقين الزام لهم بان رسلا جاؤهم قبلى كزكريا ويحيى بمعجزات موجبة للتصديق وبهذه
الاية التى اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها واما ما قيل
ان هذه الاية اوجبت التصديق والايمان لا لكونها اية ومعجزة فهى اذا وسائر الايات
سواء فى ذلك فلا يجدى نفعا فى دفع ما قالوا لانهم ادعوا العهد من الله فيه ذلك قال السدى

ان الله امر بنى اسرائيل فى التورية من جاءكم يزعم انه رسول منى فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان
تاكله النار من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان فاذكروه
ليس من مفترياتهم بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود والزبر والكتاب المنير الزبر جمع
زبور وهو المكتوب يقال زبرته اى كتبته والجمع يدل على الكثرة فالمراد منه الصحف ومن الكتاب المنير
التورية والزبور والانجيل وقرئ بالزبر وبالكتاب باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة
للبينات بالذات وان الكتاب مغاير لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وهو من تمام التسلية اذ بذكر الموت والفكرة يهون ما يصدر من الكفار من التكذيب وغيره
وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانها لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع
التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم تعطون ثواب اعمالكم
تاما وافيا ومن قال جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا فكانه لم يفرق بين الاجر والجزاء يوم القيمة
يوم القيمة يعنى فى دار الاخرة ولفظ التوفية ان لم يشعر بانه قد يكون فى هذه الدار بعض
الاجور فلا يدل على عدمه فلا ينافى عليه ما يدل على وقوعه من الاخبار كقوله عليه السلام الصدقة
والصلوة يعمران الديار ويزيدان فى الاعمار واما ما يعطى فى القبر فما يوفى فى الدار الاخرة لان
الموت بابها والقبر اول المنزل فمن زحزح عن النار اى بعد عنها وقد سبق فى سورة البقرة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اى لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان وانما هذا التشبيه تنفير وتحذير لمن اثرها
بالاخرة ويوثرها عليها واما بالنسبة الى من اعتنى بالاخرة وعلم سرعة نفادها واتخذ منها زاده
وزكها واختار الباقية فهى متاع العبور لا الغرور والغرور مصدر والاضافة للملابسة لتبلون
اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجرح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول عليه السلام والطعن فى الدين واغراء
الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيفوتهم الصبر والاجر والكرامة وان تصبروا على ذلك وتتقوا

مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي
مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم القطع
قال عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يبيت ولا اختصاص له بالراي واذ
اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه وقرئ بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما عهد اليهم وراء ظهورهم تشنيع على اهل الكتاب
وبالغ في توبيخهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم وعهد اليهم واكده بالقسم ان يظهروا الكتاب واوجب
عليهم بالتاكيد بيان ما فيه واجتناب كتمانه فقابلوه مبالغة في ذلك بالمبالغة في اطراح
وتركه فان النبذ وراء الظهر مثل الطرح بالكلية وترك الاعتداد بالشي النبذ الرمي والابعاد
وفي الحديث انه مر بقبر منتبذ عن القبور اي منفرد بعيد عنها والوراء كما يطلق على الخلف يطلق
على الامام فاضافته الى الظهر لتعيين معنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام
الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة
وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وان لا يكتموا مما علموه لغرض فاسد
من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية مما لا دليل
عليه ولا امارة او لبخل بالعلم او غيره ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما
عن اهله الجم بلجام من نار لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضم التاء جعل الخطاب له
وللمؤمنين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والفاء
للاشعار بان افعالهم المذكورة علة لنفي الحسبان والنهي عنه والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار
الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب فائزين بالنجوة منه وقرئ بالياء وفتح الباء
في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا
مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة وقيل المفعول
الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول وفيه ان التاكيد
للفعل والفاعل فقط اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فالضمير المنصوب المتصل بالتاكيد

حكاية لمخاطبتهم

هو المفعول الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود
عن شي في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل غير ذلك والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح بها فرح اعجاب واحب ان يحمده
الناس بما ليس فيه من الفضيلة وبما لم يفعل من انواع البر واوهم ولبس وان كان السبب
خاصا ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شي قدير فيقدر على عقابهم ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلالات واضحة
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام
والعادات الصافية من مشوب الهوى والخيالات المدركة للحقائق بنظر الاعتبار المتدبرة
للمعاني بتصواب الافكار وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها والاقتصار على
الثلاثة المذكورة لان مناط الاستدلال هو التغير وانواع الثلاثة لو جدفيها لانه اما ان
يكون في الاحوال الخارجة عن الشي كتغير الافلاك او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او في ذاته
كتغير الليل والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم محله
النصب على الحال عطفا على اخويه اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون الله تعالى ذكرا
دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في خلق السموات والارض اي
في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر
لانه عمل القلب والمقصود من الخلق وفيه اشعار بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين
يذكرون الله دائما على اي حال كانوا المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مقول قول
مقدر اي يقولون وهو في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر محذوف
اي ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى اعبر عنه بخلق وهو عالم
الملك وفيه ضرب من التعجب وظهور اثره في العظمة وكما ان ذلك يستعمل في التعظيم للبعد المرتبة
وعلو القدر فكذلك هذا يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعينه وانفراده بذلك اي ما خلقت
هذا العالم العجيب الشان النير البرهان المتوحد بالعظمة وغرابة الابداع باطلا وفي السكوت على هذا
القدر من البيان دلالة على قصور العبارة عن بيان فوائده ومنافعه ولو اجمالا سبحانك
تنزيها لك من فعل العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه
والقيام بما يقتضيه ولكون الدلالة على وجوب الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذة

في ربنا ما خلقت هذا باطلا حسن تعقيبه بهذا الكلام والفاء للسببية اذا ذكرناك واقررنا بك فقنا
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا مستفاد من جعل الجزاء ما ظاهره اللازم
للشرط بحيث لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمراد به
تهويل المستفاد منه قال ابن السكيت خزي يخزى خزيا اذا وقع في بلية فلا اشعار فيه بان
العذاب الروحاني افظع وقد تمسك بهذه الآية اصحاب الوعيد وقالوا من دخل النار ينبغي ان
لا يكون مومنا لقوله فقد اخزيته فان الله يقول يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
والجواب ان المراد من الذين امنوا معه الاصحاب رض لا الذين امنوا مطلقا وما للظالمين
من انصار اللام للعهد والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم
في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان اذا اريد به تخصيص سماع القول بمن سمع منه او جعل حالا منه فيسد
الوصف او الحال مسده تقول سمعت رجلا يقول وسمعت زيدا يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم
قيده بالايمان تعظيما للمنادي وهو الرسول وتفخيما لشانه والنداء والدعاء ونحوهما يعدى
بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا اي امنوا او بان امنوا بربكم فامنا
فامتثلنا والفاء للعطف على سمعنا او مسببة عن امنوا اي تسبب عنه ايماننا ربنا فاغفر لنا
الفاء للسببية اي اذا امنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة في تخصيص كل من التعديتين بمقامه نوع اشارة الى ان المراد من
الذنوب الكبائر كما يناسبها معناه وما تعلق بها من الفعل بحسب معناه وجواز استعماله
في غيره تع وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه على
طلب التوفي حتى يكون فيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالمربوبية
وكذا جميع التكرارات في الآية ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك من الثواب قيل
لما ظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من
الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال ورد عليه انه على تقدير وقوع ما خافه لا
يكون السوال المذكور مناسبا لحاله وعلى تقدير عدمه لا حاجة الى السوال فالوجه ان يقال

انه تعبد واستكانة ويجوز ان يكون التقدير منزلا على رسلك او على السنة رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي فاستجاب
لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام وفي الآثار من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على
ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر
او لفرط الاتصال والاتحاد لانهما من اصل واحد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رض قالت يا رسول الله اني
اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال
وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الاوطان والعشائر
واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله بدا اولا بالخاص وهي
الهجرة وهي اشق شيء على النفس وثنى بما هو اعم منها فان الخروج من الديار لا يستلزم الهجرة
الى المدينة كخروج من خرج الى الحبشة والى جندل واتى ثالثا بذكر الاذاية وهو اعم من ان
يكون باخراج من الديار وبغيره وارتقى بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال
وقاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله وقرئ بالعكس ولا منافاة لان الواو لا يوجب الترتيب
والثاني افضل لاشعاره بانه قتل بعضهم وقاتل الباقون ولم يضعفوا وقرئ قتلوا بالتشديد
للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم كفر اذا عدي بعن يفيد معنى تجاوز ولادخلنهم جنات تجري من تحتها
الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله
عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم بالتاكيد القسمي وايراد المصدر الموكد
وتقييده بالعندية بعد الاطلاق والالتفات في عند الله واظهار اسمه في الجملة بعده وجعل الجملة
الظرفية خبرا غاية في البلاغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ظاهر النهي للتقلب وحقيقته
للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم مثبتا له على ما كان عليه كما في قوله تع ولا تطع المكذبين
او كل واحد ليفيد نفي السبب وهو من باب تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره
لاغتر به فمنع السبب اي التغرير يستلزم امتناع المسبب الذي هو الاغترار مبالغة والمعنى لا
تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان

اعد الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف
اى ذلك التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة الى ما فاتهم من نعيم الآخرة او بالنسبة الى
ثواب المؤمنين واراد قلته فى نفسه ودنو قدره لسرعة انفصاله وزواله ثم مأواهم جهنم عطف
على محذوف كأنه قيل يؤاخذون بتبعته يوم القيمة ثم مأواهم جهنم وثم للتراخى فى الرتبة وبئس
المهاد اى ما مهدوا لانفسهم فالمخصوص بالذم محذوف لكن الذين اتقوا ربهم اى خافوه ولم
يخالفوا امره ونهيه لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها قابل جهنم بالجنات وقلة
متاعهم بالخلود فى النعيم ووقعت لكن احسن مواقعها لانه الى معنى الجملتين الى تعذيب الكفار
والى تنعيم المتقين فهى واقعة بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاى وضمها ما
يقام للنازل عند نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه
اما على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل الظرف اى حاصلة لهم الجنات نزلا
او على انه فى معنى مصدر مؤكد لقوله ثوابا كأنه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله
لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله او خبر فى بيان حال الذين
كفروا والحذف المبتدأ او المخصوص بالذم واقتصار الكلام للتحقير والازدراء وعدم الاعتداد بهم
وبمتاعهم والطنب فى وصف المتقين اظهارا للعناية بهم وبشأنهم ومآلهم او لا يعبؤ لكن للاستدراك
مآلهم المخالف لمآلهم المباين بما لا يوصف بوضوح ثم بقوله ربهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها
للابهام والتوضيح وتقوية الاسناد اليهم بتكرير النسبة فى لهم والجملة الظرفية والتقييد
بالحال والتأكيد بقوله نزلا من عند الله والجملة الاعتراضية اى وما عند الله وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل غير ذلك وانما دخلت اللام على
الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم من الكتاب خاشعين
خائفين خاضعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه ههنا وفى اليهم باعتبار المعنى بعد افراده
باعتبار اللفظ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من يسلم من احبارهم اولئك الموصوفون
بما ذكر لهم اجرهم عند ربهم الذى يختص بهم وهو ما وعدوه فى قوله اولئك يؤتون اجرهم
مرتين ان الله سريع الحساب لان علمه محيط بكل شئ ولا يشغله شان عن شان والمراد ان الاجر
سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات والمصيبة من الشدائد وصابروا اعداء الله فى الجهاد اى غالبوهم فى الصبر على

شدائد

شدائد الحرب ولا تكونوا اقل صبرا منهم وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته وصعوبته ورابطوا
اقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو واتقوا الله فى مخالفة امره
ونهيه لعلكم تفلحون لكى تفلحوا او الفلاح الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام والحمد لله على
التمام والصلوة على نبيه سيد الانام وعلى آله وصحبه الكرام ما تعاقبت الليالى والايام

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب عام يتناول الموجودين فى زمان الخطاب ومن
بعدهم دون المنقرضين اتقوا ربكم فى مخالفة امره ونهيه الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى
آدم عليه السلام ترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على ان قدرته على
اهلاككم وانشاء خلق آخرين على اسهل وجه لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة والا لكان
خلق السموات والارض احق بالذكر وما فى ذكر الرب من الاشارة الى نعمة التربية الموجبة للطاعة
لتضمين الترهيب معنى الترغيب وخلق منها زوجها يعنى حوا خلقها من ضلع من اضلاع آدم
بيان خلقهم من نفس واحدة على وجه الاستيناف كأنه قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى لا من ذكر
وحده فاجيب بان تلك الانثى قد خلق منه فالواو استينافية لا عاطفة لما عرفت ان مدخولها
مقرر ومبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين الشئ ومقرره وعلى تقدير العطف على محذوف
اى خلقها وخلق منها زوجها يندفع المذكور الا انه لا دخل للمقدر فى تقرير ما ذكر ومن شرائط
البلاغة تجريد الكلام عما لا يقتضيه المقام وبث منهما اى نشر من النفسين المذكورتين من جهة
التناسل والتوالد اراد بيان كيفية توالدهم ولذلك قال رجالا كثيرا ونساء دون ذكورا كثيرا واناثا
ومن لم يتفطن لهذه الدقيقة الانيقة قال فى تفسيره بنات وبنين كثيرة وذكر كثيرا حملا على معنى
الجمع وحذف وصف النساء لدلالة وصف قرينها عليه وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ
تقديره هو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به اى يسأل بعضكم بعضا به فيقول اسألك
بالله او تسألون غيركم فجئ يتفاعلون موضع يتفعلون للكثرة ويعضده قراءة تسألون واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية فى السين وقرئ بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام او على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وما ذهب اليه البصريون من امتناع العطف على

الضمير المجرور الا باعادة الجار والضعف في اضماره يرده هذه القراءة الثابتة بالتواتر فانهما
يحتج به لا مما يحتج عليه الا عند من لا اعتماد له على القراءات الثابتة والا عند الزعم الفاسد وقرئ
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه تعالى اذ
قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى
اموالهم اذا بلغوا وآنس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا واليتامى جمع يتيم وهو الذي
مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما على انه لما جرى
مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه
من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا
بلغوا زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا ورد الشرع قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم اي
لا تجري عليه احكام اليتيم ولا يحتاج الى ولي والمراد في الآية البلغ على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان تدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم روي ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تتبدلوا الحرام وهو مال اليتامى
بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير قيل ولا تأخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانه ورد بانه تبديل لا تبدل فان في التبدل وكذا في الاستبدال
ما دخلته الباء متروك وما تعدى اليه الفعل بنفسه ماخوذ وفي التبديل بالعكس ولا تأكلوا اموالهم الى
اموالكم اي لا تضموها الى اموالكم في الاكل ودل قوله الى اموالكم على ان المخاطبين اغنياء وذلك لانه
اذا كان فقيرا يجوز ان ياكل بالمعروف وفيه تعريض بانهم كانوا يفعلون كذلك ليكون ازجر لهم ولهذا
عدل عن مقتضى الظاهر وهو نهي الغني عن اكل مال اليتيم مطلقا انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحوب مطلق الاثم قال عليه السلام رب تقبل توبتي واغسل حوبتي اي اثمي ولو اعتبر فيه
العظم لما وصف بالكبر فتدبره وقرئ حوبا وهو مصدر حاب وكذا حابا وقد قرئ به ايضا كقال قولا
وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فانكحوا ما طاب لكم من النساء فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون

وليها

وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من
يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث
ورباع منصوبة على الحال من فاعل طاب معدول عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة
واربعة اربعة غير منصرفة لوجود العدل والوصف فانها بنيت صفات وان كانت اصولها
لم تبن لها ومعناها الاذن في الجمع بان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افرد كان المعنى تجويز الجمع بين هذه
الاعداد دون التوزيع ولو عطف باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا
تعدلوا فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل
فعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة
الواحدة وبين الاماء مطلقا واحدة كانت او متعددة بلا حصر ولا تعيين عدد في التسري
والترخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط العدل بينهن لا في القسم ولا في العزل ونسبة هذا الملك
الى اليمين عرفا والتفاوت بينه وبين ملك اليد ذلك اشارة الى اختيار الواحدة او التسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا فتجوروا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا
جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤن على الكناية ويؤيده ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجهه على تقدير ان تكون
الاشارة الى التسري ان العزل يجوز فيهن فهو مظنة قلة الولد وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن والخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا
اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء وقيل معناه
نحلة من الله اي عطاء من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله مشروعا فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة
في التذكير على ما ذكره رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة كانه قيل عن شيء من ذلك اي ما ذكر من
الصدقات او يرجع الى ما دل عليه الصدقات من الصداق ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحده
والمعنى فان اعطينكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمين معنى التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط في ذلك وضيق المسلك في قبول

من الصداق منهن لانه بني الشرط على طيب النفس الذي هو امر خفي يطرق بها ان تدعي انها ما طابت
نفسا ان ندمت ولهذا لم يقل فان وهبت او سمحت اشعارا بان الشرط تجافي نفسها عن الموهوب
من طيبة لا من ضرورة ثم قال عن شيء منه بعثا لها على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا صفتان
للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه اي كلوه في حالة كونه هنيئا مريئا والهنيء ما
يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقد سبق ما في الاكل من الدلالة على سائر وجوه الانفاق روي
ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم الخطاب للاولياء بدلالة السياق واللحاق السفهاء هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي
من وجوه التبذير ولا يمكن اصلاحها بالتثمير والتصرف فيها بالتبذير واضافة الاموال اليهم لانها
في تصرفهم وتحت ولايتهم او لانه لم يقصد الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى القيام
به المعاش وتحل اليه القلوب وهي بهذا المعنى لا تختص باليتامى كما قال تع ولا تقتلوا انفسكم
قصدا الى جنس النفوس وهو اوفق لقوله تع التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون
وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ
قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام وارزقوهم فيها واكسوهم الظرف
متعلق بالمعطوفين كما في قوله تع لم تكن آمنت من قبل او كسبت وانما قال فيها ولم يقل منها
تنبيها على ما قال عليه السلام ابتغوا في اموال اليتامى التجارة لا تأكلها الزكوة فعلى هذا يكون
الرزق والكسوة من الارباح لا من اصل المال فيأكله الانفاق وقولوا لهم قولا معروفا
كلاما يونسهم ويولف قلوبهم ومنه عدة جميلة وكل ما سكنت اليه النفس واستحسنته لحسنه
عقلا او شرعا او عرفا فهو معروف وكل ما انفرت منه وكرهته فهو منكر وابتلوا اليتامى
واختبروا اعقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ النكاح كناية عن البلوغ
لانه يصلح النكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان تبينتم منهم رشدا اي اهتداء الى مصالحهم
وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد معناه
نوع من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه
ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا
اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز ان
يكون اذا المجرد الظرفية ليست متضمنة لمعنى الشرط اي ابتلوهم الى وقت البلوغ وفي الآية

دلالة على ان لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ واما عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل الايناس فلا
دلالة عليه اما منطوقا فظاهر واما مفهوما فلان مفهوم قوله فان آنستم منهم رشدا عدم الدفع
على الفور لا عدم الدفع مطلقا ولا تأكلوها اسرافا اي مجاوزة عن الحد وبدارا اي مبادرة
وهي المسارعة ان يكبروا ان يبلغوا اي لا تأكلوا مسرفين ومبادرين وهو كقولك بادرت
الى زيد اي فعلت قبل مجيئه والمعنى لا تأكلوا قبل بلوغهم واسترداد هم المال منكم وليس هذا قصر
التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كما في قوله تع
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فليأكل بالمعروف في تعقيب النهي بالاسراف والبدار ايماء الى ان للاوصياء حقا فقسم الامرين
ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فامر الغني بالاستعفاف من اكل مال اليتيم الى
اله وترك الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تع من ماله اشفاقا على اليتيم وابقاء
على ماله والفقير بالاكل بالمعروف اي باكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة
لقيامه عليه بحفظه وتثميره وعلى اليتيم بتسديده وتدبيره وفي الاستعفاف مبالغة كانه
مأمور بطلب زيادة العفة ولو قال فليعفف لم يكن فيه ذلك فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لئلا يتوجه اليمين عليكم عند التناكر
ولتظهر امانتكم وتبرأ ساحتكم عن التهمة فالامر بالشهادة هنا كالامر في قوله واشهدوا اذا
تبايعتم فلا دلالة فيه على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وكفى بالله حسيبا كافيا في
الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا بالبراءة وعدمها والقبض وعدمه فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين قيل كان اليونان يعطون جميع المال للبنات
لان الرجل لا يعجز عن الكسب والمرأة تعجز وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله تع على
الفريقين فكان المقام مقام التفصيل والاطناب وفي عبارة الرجال اشارة الى ان قدرتهم
على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فاذا كان الرجل مع قدرته على الكسب مستحقا للنصيب فالصبي
مع عجزه عنه يكون مستحقا له بطريق الاولى مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
وتقديم الظرف على المبتدا في الرجال والنساء تخصيص لكل واحد من القبيلتين بنصيب مفروض
على ما فرض الله مؤذن بان لا بد لكل منهم مما خصه الله به لا يستأثر به غيرهم ولا يغلبه عليه ثم اكده

بقوله نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا او على انه مصدر
موكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب
وانما ذكر النصيب على الابهام لان التعيين خارج عما سيق له الكلام فى هذا المقام وفيه دليل
على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فرق بين من لا يرث من الاقارب وبين
من يرث بقوله فارزقوهم منه حيث لم يعين لهم نصيبا وندب الى ان يرضخوا القليل منه
ايماء الى ان لا حق لهم فيه الا ترى كيف جعل اموال اليتامى للسفهاء مكان رزقهم حيث قال وارزقوهم
فيها لانها حقهم وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعو لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم
والامر للندب والمامور البالغ من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو اجمالا
كالمتعة حيث قال وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم امر الاوصياء بالخشية متمثلين فى انفسهم حال اليتامى بحال اولادهم
على الصفة المذكورة ليخشوا الله فى رعايتهم واكل مالهم ومتمثلين الموتى وابائهم بحالهم
وذرياتهم خلفهم على تلك الصفة فيرفقوا لهم وهذا الوجه هو الانسب الاليق بنظم الكلام من
بين الوجوه المذكورة فى التفاسير فيكون قوله ان الذين ياكلون تتمة له وتصريحا بحال
الاوصياء لو خالفوا مقتضى الشفقة واكلوا مال اليتيم وتهديدا لهم على ذلك ولو بما فى
حيزه صلة للذين اى وليخشوا الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا لان يتركوا خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع لفقد كافلهم وكاسبهم وفى ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذى هو غاية الخشية بعد ما امرهم
بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى ما
يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا هو بل فى الروع ومبالغة
فى التهديد بجعل بطونهم ظروفا مملوءة نارا ولما اراد ان يصور صريحة حرما ياكلون انفسهم
الى النار جعلهم ياكلون النار كانه نار بالحقيقة ونكرها اى نار تتعاظم عن الوصف وقواه
بتنكير سعيرا فى قوله وسيصلون سعيرا اى سعيرا لا يحتمل سماعه وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت

النار بمعنى الهبتها وقرى سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها تقول يصلى النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم فى اولادكم فى
شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف فى الموضعين للعهد والمعهود
الذكر والانثيين من الاولاد ولا حاجة الى تقدير منهم وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه
لفضل على الانثى لا نرج لا يعلم عدم نقصان حصة الابن عند تعدد البنت فانها اذا تعددت
ينتقص حصة سائر العصبات فيجوز العقل ان ينقص حصته ايضا اذا تعددت واما العكس فغير
محتمل فعبارة المنزل علم حد حصة الابن مع البنت وبدلالته علم حصته مع الواحدة وادنى
الاختلاط ان يجمع ابن وبنت وللابن ح الثلثان فعرف بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثين
فى الجملة وليس ذلك الا فى حالة انفرادهما عن الاب ولما كان حكم الانثيين حالة الانفراد معلوما
بهذه الاشارة رتب عليه بيان حكمها اذا كانت فوق اثنتين فان كن نساء ضمير الاولاد طابق
به الخبر كما فى قوله هذا ربى او على تاويل المولودات اى كانت الاولاد نساء خلصا ليس معهن
رجل فوق اثنتين خبر ثان لكان صفة للنساء اى زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم يدل عليه المعنى وان كانت اى المولودة واحدة فلها النصف وقرى واحدة بالرفع على
كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء ولا يجوز ان يكون الضمير ان فى كن وكانت
مبهمين مفسرين بنساء وواحدة منصوبين على التفسير على ان كان تامة لان كان ليست من
الافعال التى يكون فاعلها مضمرا يفسره ما بعده بل هذا مختص من الافعال بنعم وبئس وما حمل
عليهما اختلف فى البنتين فقال ابن عباس حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقها
وقال الباقون حكمها حكم ما فوقها لما قررناه فيما سبق وقوله فان كن نساء فوق اثنتين لبيان
ان كثرة عددهن لا يزيد على الثلثين عند التعدد والانفراد عن الذكور فشرط المفهوم مفقود
على انه لا يعارض المنطوق والوجه الذى قدمناه من قبيل المنطوق واما قيل ان البنتين
امس رحما من الاختين اللتين تحرزان الثلثين فهما اولى بذلك الاحراز فيرد عليه ان الابن
مع كونه امس رحما من ابن الاخ قد لا يحرز ما يحرزه كما اذا كانت البنت فوق الاربع واذا جاز
ذلك فى العصبة والمعتبر فيه قوة القرابة فلان يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب
الفرائض بطريق الاولى وكذا ما قيل ان الاخت اذا كانت مع اخيها وجب لها الثلث فبالاولى
ان يجب لها ذلك اذا كانت مع اخت اخرى مثلها غير تام لان مبناه ايضا على ان من

اخذ سهما مع وارث ياخذ ذلك السهم مع وارث اخر دونه بطريق الاولى وقد عرفت صحة ذلك
المبني ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص
على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال للتاكيد السدس مبتدا ولابويه خبره
والبدل متوسط بينهما للبيان مما ترك اي من جملته ان كان له اي للميت ولد ذكرا او انثى وولد الابن
وان سفل يقوم مقام الصلبي عند عدمه للاجماع غير ان الاب ياخذ مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة
بعد اخذه فرضه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق
ببيان نصيبه اصالة لانه يلزم ح ان يكون هو نصيب فرض وصاحبه عصبة وهو خلاف
وضع الشرع ومعنى الفقه انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث مما ترك بل ثلث
ما بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس رض والمعنى ان الابوين اذا انفردا بالارث
تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ولذلك لزم انهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث
ما بقي والا انقلب الفاضل مفضولا فيما اذا كانا مع الزوج لان فرضه النصف فلو فرض لها الثلث
بقي للاب السدس مع كونه اقوى وكونه ذا فرض وتعصيب فان كان له اي للميت والفا هنا ايضا
لترتيب احد القسمين على الاخر اخوة المراد منها ما يعم الاخوات على طريقة عموم المجاز لا على طريقة
التغليب اذ ح لا يتناول الاخوات المنفردة وهذا التعميم لا بد منه عند الجمهور خلافا لابن عباس ومن
صيغة الجمع يتناول المثنى وفيه خلاف لابن عباس واطلاق الاخوة يدل على انهم يردونها من الثلث
الى السدس وان كانوا لا يرثون كما اذا كانوا مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي
حجبوا عنه الام فالجمهور على ان الاثنين من الاخوة او من الاخوات او منهما سواء كانا من الاعيان
او من العلات او من الاخياف متفقين او مختلفين محجوبين او غير محجوبين يردونها من الثلث
الى السدس من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدم من قسمة المواريث كلها اي هذه
الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية يوصي بها او دين وانما قال باو التي للاباحة دون
الواو للدلالة على انهما متساويان في التقدم على القسمة مجموعين ومنفردين وان يكونا متساويين
في التعلق بالتركة فان الدين لا يسقط منه بذهاب بعض المال بخلاف الوصية وانما قدمت على
الدين وهي متاخرة عنه في الحكم لان مظنة الاشتباه تقديمها فكان هو احوج الى البيان واما
كونها مشبهة بالميراث فيشق اخراجها على الورثة فلا ينتظم بعض الوصايا كالوصية للحج ثم اكد

خلاف السدس

امر الوصية ورغب فيها بقوله اباؤكم وابناؤكم معترضا اي هم نصحاؤكم واهل شفقتكم ومحبتكم لا
يريدون بكم الا خيرا باعثا لهم على امضائها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي القريبين منهم انفع لكم اهو من اوصى منهم او من لم يوص لان من اوصى عرضكم لثواب الاخرة بامضائها
وهو وان كان اجلا فهو بالحقيقة اقرب لكم نفعا واوفر جدوى لانه خير وابقى ومن لم يوص ابقاكم على
خير الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة ابعد نفعا واقرب ضرا واقل جدوى لانه يزول ويفنى
اباؤكم وابناؤكم خبر مبتدا محذوف اي هم اباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان لحالهم او مبتدا خبره لا
تدرون ايهم فريضة من الله في موقع المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى مفروضة
اي لكم الانصباء المذكورة بيانا مفروضة ولا فرض الضائع واثبت الوصية وسلب علمهم به قال
ان الله كان عليما اي بمصالح دنياكم واخراكم حكيما في كل فرض وقسم من المواريث وحكم به من الوصية
وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث
ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب المذكور عند
عدمه بالاجماع من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان
كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين تستوي الواحدة والعدد
منهن في الربع والثمن فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب قيل وهكذا قياس كل
رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وفي الحصر
نظر فان الابوين ايضا من هذه الجملة وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث
صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا
والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت
وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني المفعول له وعلى الثالث مفعول
به وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت لقرابة لا يقاربها النسبة لانها كلالة ضعيفة
بالنسبة الى التي تقاربها النسبة ثم وصف بها المورث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي اي من
ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف نفس الكلالة او امراة عطف على رجل
وله اي ولواحدة منهما فلا ضرورة للحمل على الاقتصار كما ذهب اليه من قال اي وللرجل واكتفى
بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام على ما نص عليه في قراءة

وله اخ او اخت من الام وقد ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق
باولاد الام وما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى لان الادلا بمحض الانوثة
وقد عرفت ان الكلالة استعيرت لقرابة لا تفارقها النسبة فتنتظم قرابة الام والجدة دون
بنت الابن لان النسب الى الاباء دون الامهات فلا تخصيص في مفهوم الاية من بعد وصية
يوصى بها او دين غير مضار اي لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي الثلث
فما دونه ونيته مضارة ورثته لا وجه الله تعالى وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين
ليس عليه ومعناه الاقرار فعتبر المضارة في الدين ايضا بناء على تاخير الحال عنهما واعتبر الايصاء
فيه ايضا بناء على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصى بها على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد
به المعطوف عليه وصية من الله مصدر موكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده
القراءة باضافة مضار الى وصية اي غير مضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة
او بوصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بمن جار ومن
عدل في وصيته حليم عن الجائر اذ لا يعاجله بعقوبته وهذا وعيد بليغ تلك اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي كالحدود المحدودة
التي لا تجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار حمل اولا على
لفظ من في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين فيها فجمع وانتصابه على الحال
المقدرة ويجوز ان يكون صفة لجنات على مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج ههنا ولا
يحتاج الى ابراز الضمير عندهم اذ لم يلتبس وذلك الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما
فيها ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين زاد
هنا على العصيان تعدي الحدود وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى ما يكون في العقائد
وفائدته التنبيه على ان المراد من الاطاعة في قسيمه ما يكون في العقائد وان الموعود من دخول
الجنة ليس بمشروط بالعمل الصالح وذلك في مقابلة الاهانة لانه لا يتعدها الا من اغتر فناسبه
الاهانة والمراد غايتها وهذا مستفاد من توصيف العذاب به فانه ظاهر بحيث لا فائدة في
ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على الكمال البعيد وافرد ههنا خالدا وجمع فيما قبل اشارة الى ما
في حق المطيعين من لذة روحانية ومن حظ الاستيناس وما في حق العاصين من الم روحاني

وهو عذاب الوحشة واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم يفعلن الفعلة القبيحة والمراد الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن اي فاطلبوا ايها الائمة الذين اليكم
اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين ليشهدوا عليهن بالزنا فان شهدوا عليهن به
فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في البيوت حتى يتوفاهن يستوفي ارواحهن
الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد او
يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها
يعني الزاني والزانية وصفا بما يوصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى والظاهر من زيادة
منكم ههنا ومن زيادة من نسائكم فيما سبق تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب
النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان الرجل اذا زنى بامراة وكانا بكرين
حبس كل منهما في بيت ثم لا يمر بهما مار الا اذاهما بالتعيير وعلى هذا يكون الاذى مع الحبس
مشروعين في وقت واحد في حق الرجل والمراة جميعا وقال مجاهد اية الاذى في الرجلين اي
الذكرين بفعل ذلك بالذكر وهو اللواطة قال ابو منصور اية الاذى هذا تكون حجة لابي حنيفة
في انه يعزر ولا يحد بالجلد او الرجم فان تابا عن المعصية واصلحا وغيرا الحال الى العفاف
فاعرضوا عنهما بالاغماض والستر واقطعوا عنهما الاذى ان الله كان توابا يقبل توبة التائب
رحيما فلا يعذبه وهو علة للامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله من تاب الله عليه
اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع اليه للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها وليست
هي عدم العلم بانه ذنب لانه عذر لكنها ترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ثم يتوبون من
قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم
يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب وفي عبارة ثم اشارة الى انه لم يرد من القرب القرب
من عمل السوء حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله
انما التوبة على الله وفائدة اولئك والفاء انهم اذا اتوا في هذا الزمان نسب توبتهم للقبول
ومعنى الحصر في انما التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها ليست الا هذه فيلزم ان لا يقبل غيرها
ولهذا فصل الاية بقوله وكان الله عليما اي بالتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتي لم تتصف
به حكيما لا يقبل الا الاولى فانه تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب ووعد فلو لم يكن

الحصر والسببية لكان ينبغي ان يقول وكان الله غفورا رحيما ولذلك وللفرق بين التوبتين صغر
المعصية هنا بتوحيد السوء والتقييد بالجهالة اي السفه وقيد مجال التوبة بالقرب وعظمها
في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار حيث جمع السيئات وبعد مجال التوبة بحرف الغاية واضاف
الى المحتضر قول التوبة لا نفسها وزاد قوله الان وسوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
ذلك الامد البعيد الذي هو حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر مبالغة في عدم الاعتداد
بها في تلك الحالة واكد الوعيد بقوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي الموصوفون باحد
الوصفين التوبة وقت الاحتضار والموت على الكفر استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم بما
ذكر وفخم وعيدهم بتقديم الظرف وتنكير العذاب ووصفه بالالم فافهم والاعتاد التهيئة من
العتاد وهو العدة وقيل اصلها اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضرهم
الموت لان المتبادر منه الموت النادر وهو ان يموت جماعة معا وذلك لا يناسب
مقام التغليظ للتقصير يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان
شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لهم لا يحل لكم ان تحوزوها على سبيل الارث كما يجاز الميراث وهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه والتقييد بالكره لتقرير معنى الاخذ على سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه
على جوازه اذا كان طوعا وقرئ كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم
عن العضل وهو الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج
بعضه وبقي بعضه كان احدهم اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة
معها وشكاسة الخلق حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فمنعوا عنه وقيل لهم ولا تحبسوهن
لتاخذوا منها بعض ما اتيتموهن من الصداق والواو لعطف الجملة على الجملة واما عطفه
على ان ترثوا على ان يكون الخطاب لمن خوطب فيما سبق فيا باه قوله ببعض ما اتيتموهن
ولا ينتظم مع قوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة الا استثناء من اعم عام الظرف او المفعول
له تقديره ولا تعضلوهن لافتداء الا وقت ان ياتين الفاحشة والمراد بها شكاسة

الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة الا ان يفحشن عليكم وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا قوله فعسى الخ علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه اي فلا تفارقوهن لكراهة
النفس وحدها واصبروا عليهن مع الكراهة فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وتنوين خيرا للتعظيم
ووصفه بالكثرة مبالغة وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان عزمتم على ان تاتوا بزوج
مكان زوج مستبدلين بها اياها وتصوير الكلام في هذه الصورة لتعيين ان يكون التطليق
لرغبته في تجديد الفراش لا لسبب من جهتها فانه ح يجوز اخذ المال في مقابلة الطلاق واتيتم
احديهن احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا ضمن الكلام الاشارة
الى جواز الاستبدال مع تعددها ولهذا اتى بعبارة تفصح عنه وكان يكفي ان يقول واتيتم اياها
فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا باهتين واثمين
والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتفعلون هذا مع ظهور قبحه قيل يحتمل انتصابهما على
العلة وان لم يكن غرضا كقولهم قعدت عن الحرب جبنا وفيه ان الاثم ليس بعلة للاخذ بل
الامر بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا ارادوا جديدة بهتوا التي تحتهم بفاحشة
حتى يلجئوها الى الافتداء منهم بما اعطوها ليصرفوه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الفحش الكذب لانه اذا كان عن قصد يكون افكا والافك اذا كان على الغير يكون افتراء
والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون بهتانا لانه يدهشه ويتركه متحيرا من بهت اذا
دهش وتحير وكيف تاخذونه انكار لاسترداد المهر وقد افضى بعضكم الى بعض والحال ان
معكم ما يصرف عنه والافضاء هو الخلوة من الفضاء وهو المفازة الخالية كذا فسره الكلبي وهو
حجة اصحابنا في ان المهر يتاكد بالخلوة الصحيحة من غير وطء واخذن منكم ميثاقا غليظا الميثاق
العهد الوثيق والغليظ المبالغة فيه وهو قوله تع فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تع
اخذ الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن وقيل هو قول الولي عند العقد انكحك على ما في
كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان ذلك معتادا في السلف ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة قيل مصدرية على ارادة المفعول
من المصدر فلا يا باه البيان بقوله من النساء وزانه وزان في الارض في قوله وما من دابة في
الارض ففائدته تاكيدا في نكح من العموم الا ما قد سلف قيل استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه

قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة في التحريم
والتعميم كقوله، ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم، بهن فلول من قراع الكتائب، والمعنى ولا تنكحوا
حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثنا منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف
لا مواخذة عليه لانه مغفور وتعقب على ان هذا هو الوجه انه كان فاحشة علة للنهي وزيادة
كان للدلالة على انه لم يرخص فيه في شريعة من الشرائع ومقتا ممقوتا والمقت البغض باستحقار
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله كانوا ينكحون روابهم وناس من ذوي مروآتهم يمقتونه
ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتي ولذلك قيل فاحشة في دين الله مفرطة
القبح مقتا في المروة والعرف ولا مزيد على ما يجمع القبحين شرعا وعرفا وبه زاد على الزنا فانه تعالى
قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في العرف من
حرمت عين حرمة ما هو المقصود منه ويلزمه حرمة النكاح لانه موضوع لملك المتعة فلا يصح
بدونه والام حقيقة هي الوالدة وفي معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او
درجات باناث او ذكور والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن والعمة كل من جمع اباك
واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدك قريبا كان او بعيدا واياها صلب او بطن والخالة
من جمع امك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدتك قريبة كانت او بعيدة واياها
صلب او بطن ونوافل الاخ والاخت وان بعدت داخلات في الحكم بالذكور بدليلين او
بالاناث والاخوة من اي جهة كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا فلزم منه ان زوج المرضعة ابوه
وابويه جداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه
وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته
لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين
احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع
لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج
ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطي الاب اياها وهذا المعنى غير موجود

... امرأة الاب
والراب زوج الام

في الرضاع وفي الحصر نظر لان ام النافلة وجدة الولد ايضا يحرمان من النسب لان ام النافلة
زوجة الابن وجدة الولد ام الزوج ولا يحرمان من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك وكام اجنبية
ارضعت ولدك هذا الحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان الحرمة في الصور المذكورة
بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثنا اصلا وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الازدواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر
سمي به لانه يربيه كما يربي ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما الولد
المراة وان لم يربه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم وقالوا ان ذكره خرج مخرج
العادة لا مخرج الشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول وهذا بحسب جليل النظر والذي
هو بحسب دقيقه هو انه تقوية للعلة وتكميلها والمعنى اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او من شانهن وحقهن الكون فيه قوي الشبهة بينها وبين اولادكم فصارت احقا بان تجروها
مجراهم وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى ما قررناه من تعميم المراد للتي من شانها ان تكون
في احتضانهم كما هو مقتضى كون الوصف المذكور لتقوية العلة يكون ذلك الوصف للحرمة والا كتفى
في موضع الاحلال بنفي الدخول لا يستلزم انتفاه ومن نسائكم حال من ربائبكم او صفة او من حليلة
الصلة اي اللاتي من نسائكم وهو اولى بنظم الكلام واللاتي في بهن للتعدية والمعنى ادخلتموهن الستر
وهي كناية عن الجماع وعندنا يقوم اللمس مقامه ولا يجوز ان يكون اللاتي وصفا لنسائكم من قوله
وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى المراد الى قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن
الحشو والرسول فرق بين ام المراة وبنتها فقال رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها لا
باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وهذا شرط بالاجماع بخلاف كون الربائب في
حجورهم فانه خرج على الاغلب وليس بشرط عند عامة العلما فان لم تكونوا دخلتم بهن اريد استمرار
النفي لا نفي الاستمرار فمعنى الكون مقدم في الاعتبار فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهذا
البيان مهم عند من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فائدته دفع القياس وحلائل ابنائكم
زوجاتهم سميت حليلة لحلها لزوجها او لحلولها معه في محل الذين من اصلابكم بالذات او
بالواسطة احترز به عن المتبنى لانهم كانوا يجعلونه كولد الصلب لا عن الابن عن الرضاع وان
تجمعوا بين الاختين في محل الرفع عطف على ما قبله من المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين

فی التمتع ویلزمه حرمة الجمع بینهما بالنکاح لما قدمناه دون ملک الیمین لانه یجامع حرمة التمتع
کما فی الامة المجوسیة والاخت رضاعا ولا دلالة فی قوله تع او ما ملکت ایمانکم علی حل المملوکة
علی کل حال فلا یعارض هذا القول الدال علی حرمتها فی بعض الاحوال حتی یحتاج الی الترجیح الا ما
قد سلف استثنا منقطع معناه لکن ما قد سلف منکم مغفور له ان الله کان غفورا رحیما وروی
هشام عن محمد بن الحسن انه قال کان اهل الجاهلیة لا یعرفون هذه المحرمات الا اثنتین نکاح امراة
الاب ونکاح الاختین معا فلذلک قال هناک ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم من النسا الا ما قد سلف
وقال ههنا وان تجمعوا بین الاختین الا ما قد سلف والمحصنات من النسا بفتح الصاد ای احصنهن
التزویج وقری بکسرها ای اللاتی احصن فروجهن بالتزویج والاحصان العفة وتحصین النفس
من الوقوع فی الحرام الا ما ملکت ایمانکم یعنی من اللاتی سبین واخرجن بدون ازواجهن فان
الفرقة انما تقع بتباین الدارین لا بالسبی ولا تجب العدة وتحل للغانم بملک الیمین بعد الاستبرا
ولا مساغ لاخذه علی عمومه فانها اذا کانت مجوسیة او محرمة بسبب الرضاع او المصاهرة او
بسبب اخر او مشتراة وهی ذات زوج لا تحل لمالکها فلا یکون حجة علی ابی حنیفة فی قوله لو سبی
الزوجان معا لا یرتفع النکاح ولا تحل للسابی کتاب الله علیکم مصدر موکد ای کتب الله ذلک علیکم
کتابا وهو تحریم ما حرم واحل لکم عطف علی کتب المقدر الناصب یدل علیه قراة کتب الله علیکم
واحل لکم وقری کتب الله بالجمع والرفع ای هذه فرائض الله علیکم ومن قرا واحل لکم علی البنا للمفعول
عطفه علی حرمت ما وراء ذلکم ما سوی المذکور من الاصناف بالنسب او الرضاع او المصاهرة او
الجمع وامهات حرمتها بالنسب لیست بخارجة منها الکاف والمیم فی ذلکم خطاب للرجال والذال
اشارة الی المذکور قبله من المحرمات ولو اشار الیها لقال وراء تلکم ان تبتغوا باموالکم مفعول له
ای لان تبتغوا باموالکم ما احل لکم من النسا ویجوز ان یکون بدلا من وراء ذلکم علی الاشتمال
والافصح ان لا یقدر المفعول ای لیصدر منکم الابتغا باموالکم وهو اخراجها فی مهور النساء
والشرا الا ما محصنین حال غیر مسافحین صفة او حال اخری والمعنی بین لکم ما یحل مما یحرم کیلا
تضیعوا اموالکم فیما لا یحل لکم فتخسروا فی دنیاکم ودینکم وتجمعوا بین الخسارتین والسفاح الزنا
من السفح وهو صب الماء لانه باطلاق ومنه السفاح وهو المسرف فی القتل وفی الزنا تضییع
الماء لعدم ثبوت النسب به وفی الایة دلالة علی انه لا نکاح الا بمهر من جنس المال فما استمتعتم
به منهن من جماع ودواعیه والخلوة الصحیحة اقیمت مقامه ولفظة ما ادل علی ان یسیر

المتع

المتع یوجب ایتا الاجر فاتوهن اجورهن مهورهن والاجر بدل منافع العین فی الاجارة
وبدل منافع البضع فی النکاح فریضة حال من الاجور بمعنی مفروضة او مصدر وضع موضع ایتا
لان الایتا مفروض او مصدر موکد ای فرض ذلک فریضة مفروضة ولا جناح علیکم فیما تراضیتم
به من بعد الفریضة من حط شی منها او هبتها کلها منه او من زیادة علیها او فیما تراضیا
به من نفقة او مقام او فراق وقیل نزلت فی المتعة التی کانت ثلثة ایام حین فتحت مکة
ثم نسخت وهی غیر النکاح الموقت علی ما بین فی محله ان الله کان علیما بالمصالح حکیما فیما
شرع من الاحکام ومن لم یستطع منکم طولا غنا واصله الفضل والزیادة ان ینکح المحصنات
المومنات لان ینکح الحرائر لقوله فمما ملکت ایمانکم من فتیاتکم یعنی الاما المومنات قال الشافعی
لا یجوز نکاح الامة الکتابیة بنا علی مفهوم الوصف ولا نکاح الامة المسلمة عند القدرة علی مهر
الحرة ونفقتها بنا علی مفهوم الشرط وکلا المفهومین لیس بحجة عندنا علی ان اللازم علی تقدیر
حجیة المفهوم عدم اباحة نکاحها ویجوز ان یکون ذلک لکراهیته لا لعدم صحته ونحن لا ننازع
فیها والله اعلم بایمانکم تانیس بنکاح الاما وازالة الاستنکاف منه ای اعلم بتفاضیل ما بینکم وبین
ارقائکم فی الایمان فربما کان ایمان الامة ارجح من ایمان الحرة وایمان المراة ارجح من ایمان
الرجل ولا ینبغی للمومن ان یطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الایمان والاسلام لا بالاحساب
والانساب وقوله بعضکم من بعض تاکید لذلک المعنی ای انتم وارقاؤکم متواصلون متناسبون
نسبکم من ادم ودینکم الاسلام فانکحوهن باذن اهلهن ای موالیهن اعتبار اذنهم دون مباشرتهم
ظاهر فی انعقاد النکاح بعبارتهن اذ لو کانت مباشرتهم او مباشرة وکیلهم شرطا لکان الملایم
ذکرها لا ذکر الاذن لان ذکره لا یغنی عن ذکرها وهذا ظاهر والمنکر مکابر وذکرها یغنی عن ذکره
واتوهن اجورهن ای وادوا الیهن مهورهن وحذف لانهن وما فی ایدیهن ملک للموالی
فکان الادا الیهن ادا الی الموالی وقال مالک لیس للسید ان یاخذ مهرها منه ویدعها بلا جهاز
بالمعروف بغیر مطل وضرر ونقصان محصنات عفائف غیر مسافحات غیر مجاهرات بالسفاح
ولا متخذات اخدان اخلا فی السر فاذا احصن بالتزویج فان اتین بفاحشة بزنا فعلیهن نصف ما
علی المحصنات یعنی الحرائر من العذاب ای ما علی الحرائر من الحد وهو الجلد لان الرجم لا یتنصف
والعذاب المعهود ههنا هو الحد قال تع ولیشهد عذابهما طائفة من المومنین کان زناهن فی
الجاهلیة من وجهین بالسفاح وهو بالاجر لکل من رغب فیها والمخادنة وهی فی صدیق لها علی

الخصوص وكان الاول ليقع اعلانا وان في سر اقوله فاذا احصن ليس لنفي الحد عنها اذا لم
تنكح بل لبيان انها بالنكاح لا يزداد حدها ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم خاف
الاثم الذي قد يقع فيه من غلبة الشهوة والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة فادحة لاشتراكهما في التضرر والالم ولا ضرر اعظم من تبعة الاثم بافحش القبائح
وقيل المراد الحد اخذ الشافعي بظاهر الاية وقال لا يجوز نكاح الامة الا بثلاث شرائط اثنان
في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي ان تكون مؤمنة وهذه الاشياء
عندنا للاختيار لا للاشتراط وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الامة خير لكم لان فيه ارقاق
الولد وقال عليه السلام الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاك البيوت والله غفور للزنا باقامة
الحد اذا احتسب ذلك رحيم اذ جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة في الاخرة يريد الله
ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالح دينكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة
التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب لا لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
فانه لا ينبغي ان يخطر بالبال في مثل هذا المقال ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم
من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه بسلوك مناهجهم
والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم والله يريد تقديم اسم الله على الفعل للاختصاص
مع تقوي الاسناد اي والله خاصة يريد ارادة تامة ان يتوب عليكم بسلوك طريق
الحق التي هداكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة اتباع الشهوة
في كل حال مذموم لان ذلك ائتمار لها من حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان
الاتباع من حيث العقل او الشرع فذلك هو اتباع لهما لا للشهوة وقيل المجوس وقيل
اليهود فانهم يحللون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا الى الباطل
عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات ميلا التنكير للتكثير عظيما توصيفه بالعظم
للمبالغة فانه فوق الكبر وهو المناسب لمقام التنفير والتحذير ولقوة ارادته وضعف
ارادتهم واستلزامها للمراد وتخلف مرادهم عن ارادتهم قدمه على الفعل واخرهم عنه يريد الله
ان يخفف عنكم باحلال نكاح الاماء وسائر الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن
الشهوات ولا يتحمل مشاق التكاليف يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
بالوجه الغير المشروع كالشركة والمضاربة الفاسدتين والربوا والقمار واما السرقة والغصب

ونحوهما فلا يناسبها قوله بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون
تجارة وعن تراض صفة تجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وخص التجارة بالذكر
لان اكثر اسباب الرزق متعلق بها وقرئ تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا
ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين فانهم كنفس
واحدة او ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعل بعض الجهلة او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي
ان عمرو بن العاص رض تاوله في التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي
الى قتلها جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان
بكم رحيما اي ما نهاكم عما يضركم الا لرحمة عليكم وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني
اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس عدوانا وظلما لا اقتصاصا
وعدلا والمراد من العدوان التعدي على الغير ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه نارا
ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء على ان الضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا
صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي الفعلة العظيمة
الاثم وقد اضافها الى جميع المنهيات وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر نستر عنكم سيئاتكم من الصغائر
والكبيرة والصغيرة وصفت كل واحدة منهما بالقياس الى صاحبتها فكلما كانت المخالفة فيها اكثر
والنهي عنها اغلظ كان اكبر وبالعكس والتكفير مبالغة في سترها بجعلها كان لم تكن حيث لا عقاب عليها
وعن امير المومنين علي رض الكبائر سبع الشرك بالله والقتل والقذف والربوا واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رض السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رض
ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وفيه ما فيه وقيل اراد بها هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وفيه نظر وكان هذا القائل غافل عن الفرق بين دون ذلك وبين غير ذلك ولم
يتنبه لوجه العدول عن الثاني مع كونه احصر واظهر الى المنزل اضاف السيئات الى المخاطبين لان
المراد الذنوب التي فعلوها ولم يضف الكبائر اليهم لان المراد منها ما اجتنبوا عنها وفي عبارة
الاجتناب اشارة الى ان تلك الكبائر مما تعرض للناس في طرق معاشه ومكاسبه ومعاملته

فالاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة فكانت الكفارة جزآوه ولو قيل ان لم تفعلوا الفاتت
تلك الفائدة وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم وهو مصدر او مكان الادخال وهو الجنة
وبفتحها وهو مكان الدخول او مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فيدخلوا مدخلا حذف
لدلالة الفعل المطاوع عليه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن تمني ما فضل الله به
بعض الناس على بعض من الجاه والمال والعلم مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التجارة لان
ذلك التفضيل قسمة من الله على ما اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو الذي فيه
صلاحه ولا يذهب عليك ان موجب هذا ان يكون التمني المذكور منهيا سواء كان مقارنا للطلب
او لم يكن فمن وثق بالتعليل المذكور ثم قال وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم
لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير
كسب ضائع وباطل لم يكن على بصيرة ثم ان قوله معارضة لحكم القدر مبناه الغفول عما بين في
موضعه من انه لا حكم للقدر والا يلزم الجبر ويبطل التكليف للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء نصيب مقدر على مقتضى الحكمة فلا ينبغي
للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسب الكسب اليهم وجعل النصيب منه لانه جعل سعيه سببا
لوصول ما قدر له اليه ثم ان الشق الاخير في معرض المنع اذ يحتمل ان يكون قدر له بغير كسب مشروطا
بالتمني فلا يلزم المحذور المذكور واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل فانه طلب
محال ولكن اسألوا الله من خزائن جوده التي لا تتغير ان الله كان بكل شيء عليما وهو يعلم ما يستحقه
كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد
كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
مما ترك صفة لكل مبينة له اي لكل شيء مما ترك الوالدان جعلنا وارثا يلونه ويحوزونه ولكل احد مفعولي
جعل او صفة لمحذوف على ان جعلنا موالي صفة لكل اي ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك
الوالدان والراجع محذوف وهو احد مفعولي جعل ولكل خبر مبتدأ محذوف وهو نصيب ولا يجوز ان
يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وارثا مما تركه اذ لا يلزم ان يكون لكل ميت وارث فضلا ان يكون
وارثا من الوالدين والاقربين والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس
من مال حليفه فنسخ بقوله واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا تعاقدا على
ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وحمل على الازواج على ان العقد عقد

نكاح باباه قوله ايمانكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر
يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عما
تقدم والضمير للموالي وقرئ عقدت بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف
اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاولى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد لمن خالف
الامر الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء والتعبير عنه
على وجه الابهام للايهام بان هذا التفضيل من جملة التفضيلات الواقعة في القسمة الازلية
على مقتضى الحكمة المذكور فيما تقدم بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وفيه دليل على
ان الرجال انما يستحقون الولاية عليهن بالفضل لا بالتغلب والقهر وهو كمال العقل وحسن
التدبير وقوة العزم والحزم ومزيد القدرة على الطاعات وسائر الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة
والامامة والولاية واقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها وبما انفقوا وبسبب
ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه
امرأته فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه
فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ثم بين ان النساء نوعان فالقاني قوله
فالصالحات تفصيل للمجمل المفهوم مما تقدم قانتات اي النساء الموصوفات بالصلاح هن المطيعات
لله القائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لغيبة الازواج والمعنى بمواجب الغيبة اي
يحفظن في غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والاولاد والبيوت والاولاد
وقيل لما غاب من الحس من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عليه السلام خير النساء امرأة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن يعني ان حفظهن للغيب ليس من قبل انفسهن بل ذلك بحفظ الله
اياهن لذلك وقيل بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد ويرد عليه انه لا اختصاص
بحفظ الله بهذا المعنى بالنوع الاول منهن ومن رام الاصلاح بزيادة قوله والتوفيق له لم
يدر ان الذي زاده وجه مستقل ومعنى تام وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن فال الام

ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهو بتذكر العواقب
واهجروهن في المضاجع اي اذا لم ينفع الوعظ وظهر النشوز فادبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع
جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ولم يرد به تبعيدها عن مضجعه ولذلك لم يقل عن المضاجع
بل اراد ان يوليها ظهره وهما في موضع واحد اعلاما بالعتب والموجدة واضربوهن يعني اذا لم
تقع الكفاية بالهجران فادبوهن بالضرب لاصرارهن على النشوز وهو ضرب غير جارح ولا
خادش ولا شائن وما ذكر من الترتيب مع النظم بالواو مستفاد من قرينة المقام وسوق
الكلام للرفق في اصلاحهن وادخالهن تحت الطاعة فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا تتعرضوا
لهن بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد الرجوع الى الطاعة وترك النشوز
ان الله كان عليا كبيرا يعني انكم تعصونه تع مع علو شانه وكبريا سلطانه ولا يواخذكم اول
الحال ويدعوا الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يواخذ بما قد كان والعبد احق بذلك وفي ذكر
علوه تع وكبريائه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يقيم عليها على وجه التاديب وان
خفتم الخطاب لولاة الامر شقاق بينهما خلاف بين المراة وزوجها اضمرهما قبل الذكر لذكر ما
يدل عليهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والاخر في شق بالمخالفة والمباعدة واضافته
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صائم فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها متى اشتبه عليكم حالهما ليتبين الامر او اصلاح ذات البين رجلا
عدلا مرضيا به يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها لان الاقارب من الطرفين
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وتسكن اليهم نفوس الزوجين ولا يحتشمان من ابراز
ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا
من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات ولا يساعده نظم الكلام كما لا يخفى
على ذوي الافهام واختلف في انهما يليان الجمع والتفريق بينهما بحسب ما رايا او لا الا باذن الزوجين
والاصح ان ذلك اليهما وانما جعلا حكمين الا واليهما بنا الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وبه استدل
على جواز التحكيم ان يريدا اي الحكمان اصلاحا لذات البين يوفق الله بينهما اي اوقع الله
بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل الضميران كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق
الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اريد الاصلاح وزوال
الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما تحراه

اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق به انما ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق بينهما واهمل ذكر التفريق مع كون الحكمين منصوبين
لما رايا من الامرين جميعا حثا لهما وبعثا للزوجين على الوفاق والجمعية والالفة وردعا لهما
عن الخلاف والتقاطع والفرقة وترجيحا للاول على الثاني واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
من الاشيا في العبادة او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما
احسانا وبذي القربى بكل من بينكم وبينه قرابة عطف بتكرير الجار ليفيد ان احسان ذي القربى
بالاصالة لا بالتبعية واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وليس له
اتصال بنسب والا لما فصل بينه وبين ذي القربى بالاجنبي وقرى الجار ذا القربى نصبا على
الاختصاص تعظيما لحق الجوار والجار الجنب الذي بعد جواره ولا قرابة له قال النبي عليه السلام
الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق
الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلاثة حقوق حق الجار وحق الاسلام وحق القرابة وهو الجار
المسلم القريب والصاحب بالجنب هو من صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او شريكا في تعلم
علم او حرفة وابن السبيل المسافر والضيف في حكمه وما ملكت ايمانكم من الرقيق ان الله لا يحب
من كان مختالا تياها يتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه ومماليكه فلا يلتفت اليهم وقد سبق ان
عدم المحبة عبارة عن البغض فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون بما منحوا منه ويامرون الناس
امر ارشاد بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم بدل من قوله من كان او صفة
لمن قال مختالا حملا على لفظ من ثم قال الذين حملا على المعنى او نصب على الذم او رفع عليه اي هم
الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويامرون ويكتمون احقا بالمقت والتعذيب
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون به في الاخرة غاية الاهانة وهذا يستفاد من جعل
الوصف اثر ظاهر اللزوم للموصوف بحيث لا فائدة في ذكره ان لم يحمل على المبالغة والمعنى اعتدنا
لهم وهم الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا
انطعم من لو يشاء الله اطعمه والعدول عن المضمر الى الظاهر للاشعار بان امرهم الناس بالبخل
واخفاءهم ما انعم الله عليهم من المال وسعة الحال اثر الكفر وفيه تنبيه على ان الكفران لنعمة الله
من وادي الكفر قال طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح هو ان يشح بما في ايدي
الناس فهم جامعون بين الشح والبخل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال ما اسخاهم

وما جودهم لا ابتغاء وجه الله عطف على الذين يبخلون وانما شاركهم في الذم والوعيد لان
البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء
في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان و لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه ونفقة من لا يؤمن
لا تكون لرضى الله بل تكون لتزيين الشيطان ولذلك ختم الاية بقوله ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل رذيلة او حين يقرن بهم في النار
فيكون وعيدا لهم في فساء ضمير مبهم فسره قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص بالذم محذوف
اي الشيطان وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة
ووبال في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وايهام انهم في الاعتبار بالرذائل والشغف بالكفر
والقبائح كانهم يعتقدون انهم مثابون على ذلك ومعاقبون على اضدادها من الفضائل
والايمان والمحاسن وتحريض على الفكر في طلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على المدعو الى الله لا حذر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا كما
فكيف اذا تضمن المنافع ولما قصد في الاية الاولى الى ذمهم بالانفاق رئاء لكونهم غير مومنين
قدم ذكره وجعل قوله ولا يؤمنون في موضع الحال تنبيها على ان ذلك منهم لكونهم غير مومنين
ولما حثهم في هذه الاية على ما يجب ان يتخذوه ابتدا بذكر الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير
معتد به الا بعد الايمان وكان الله بهم عليما اي انشاهم على علم بانهم لا يؤمنون ليعلم الخلائق
ان مخالفتهم اياه لا تضره ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي لا ينقص من الثواب الموعود ولا
يزيد في العقاب المعهود اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة مثقال
نملة والمثقال مفعال من الثقل وفيه تنبيه على ان الاعمال صور مثالية لها ثقل وخفة واياها
الى حكمة الميزان وان تك مثقال ذرة حسنة وانما انث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال
الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرئ حسنة بالرفع على كان
التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد ويؤت اي صاحبها اجرا
من لدنه من عنده تفضلا وفيه تنبيه على ان اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا ينافي كونه
تفضلا في الحقيقة اجرا عظيما او وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما

فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما فكيف حال هؤلاء الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم اذا جئنا
من كل امة من الامم السالفة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم واذا اشارة الى وقت
المجيء بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم
الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اي هذه الامة شهيدا لقوله تع لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا بالله وعصوا الرسول اي خالفوا
امره ونهيه لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم ح اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الرسول في ذلك الوقت ويتمنون ان تسوى بهم الارض بان يكونوا من جملة الارض ترابا
قال الله تع ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وهذا لان الارض انما تسوى بشيء منها و لا
يكتمون الله حديثا عطف على يود اي يودون ذلك ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون
من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك
ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تقربوا الى مواضع الصلوة
وهي المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه وهو نهي الجنب عن قربان المساجد لان
الاستثناء بقوله الا عابري سبيل في حق المساجد دون الصلوة ولا يجوز ان يكون معناه
الا في السفر لان السفر ليس بمرخص فيه والمصير الى ان المعنى اذا لم يجد الماء وتيمم ارتكاب لتعسف
ظاهر ثم انه على تقدير اعتبار الشرط المذكور اي لا يبقى فرق بين المسافر والمقيم والنهي عن قربان
المساجد حالة السكر نهي عن الصلوة في تلك الحال على ابلغ وجه بطريق الدلالة لان حرمة
موضعها لحرمتها ثم ان المنهي ليس عن الصلوة لانها عبادة لا نهي عنها بل هو نهي عن الافراط في
الشرب في وقت يلزمه اداء الصلوة حالة السكر ثم ما ذكر ينطبق على سبب النزول دلالة وان لم
ينطبق عليها عبارة وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او
مفرد بمعنى وانتم قوم سكارى وسكرى كحبلى على انه صفة الجماعة والسكر السكر وهو السد
حتى تعلموا ما تقولون بين ان السكر المانع هو ان يصير بحال لا يعلم ما يقول ولا جنبا عطف على

قوله وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابته
الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر الا عابرى سبيل
متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا المسجد فى عامة الاحوال الا فى حال العبور
او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل قيل فى نزوله ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم
فى المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فانزل الله
ولا جنبا الا عابرى سبيل واضافة العابر الى السبيل لتخصيص الرخصة بحال الضرورة بان
لا يكون له سبيل الا فى المسجد ولهذا قال ابو حنيفة لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه
الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهى عن القربان حالة الجنابة والتيمم بدل منه فذكر الاغتسال
يغنى عن ذكره وان كنتم مرضى مرضا يمنعه عن استعمال الماء حقيقة كما اذا لم يكن عنده ماء ولا يقدر
على الحركة وليس عنده من يأتى به او حكما كما اذا كان مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد
او على سفر اى مسافرين اراد به البعد من العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر
ولا مسافر يجد الماء ولما ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو العجز عن
استعمال الماء وانما علق بهما ظاهرا لان العجز عنه يقع فيهما غالبا ثبت ان الحكم كذلك فى كل
موضع تحقق العجز وظهر به صحة قول ابى حنيفة فى اجازة التيمم للجنابة فى المصر اذا عدم الماء
الحار وخاف ان يضره الاغتسال بالماء البارد او جاء احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن
من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ الكنيف فى البيوت والمجئ منه كناية عن
الحدث ولما كان الاجتماع فى السفر مندوبا بخلاف التغوط فان المندوب فيه الانفراد غير
الاسلوب ولم يقل او جئتم من الغائط واما قوله او لامستم النساء فعلى طريقة مقابلة الجمع
بالجمع ففيه ايضا رعاية ما هو المندوب وقرئ لمستم اى جامعتم فاجتنبتم قال ابن عباس رض
الملامسة واللمس والمباشرة والافضاء كنايات عن الجماع فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما كما اذا لم
يكن مقدور الاستعمال لمانع او يكون فى استعماله نوع حرج لضرورة بدن او مال بقى ههنا
اشكال وهو ان الجمع بين الامور المذكورة فى الشرط المرتب عليه جزاء واحد وهو الامر بالتيمم عند
فقد الماء مع ان سببية الاولين انما هى للترخص والثالث لوجوب الوضوء والرابع لوجوب
الغسل وليس الامر بالتيمم معنى واحدا يعم الكل ووجه حله هو ان القصد الى الترخص فى التيمم
بالتراب من وجب عليه التطهير ولم يجد الماء فقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيد وجوب

التطهير المكنى عنه بالمجئ من الغائط والملامسة اللذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهير
معتبر فى الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص قبل التعميم بناء على زيادة استحقاقهما
للترخيص بغلبة المرض والسفر على سائر اسباب الرخصة فكانه قيل ان جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا او وجه سببية مضمون
الشرط لمضمون الجزاء ظاهر فتيمموا صعيدا طيبا التيمم القصد والصعيد وجه الارض والطيب
الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء الارض عند ابى حنيفة لزق بالكف او لم يلزق عملا باطلاق
النص وعند محمد كذلك لكن اذا لزق بالكف لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
اى من بعضه وعند ابى يوسف الصعيد هو التراب والرمل وعند الشافعى هو التراب
لا غير والطيب المنبت من الارض عنده واللائق بموضع الطهارة انما هو المعنى الاول
وشرط من التبعيضية وهو صحة وضع بعض موضعها منتف ههنا اذ لو قيل فامسحوا
وجوهكم وايديكم بعضه افاد ان المطلوب جعل الصعيد ممسوحا بالعضو وهو فاسد
بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق لانه بدل عن الوضوء فيتقدر بقدر
الاصل ولانه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ومسح الشئ امرار اليد على الشئ تقول
مسحت برأسه ومسحت رأسه بمعنى ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه الترخص والتيسير
لان من كانت عادته العفو عن الخاطئين والغفران عن المذنبين فلان يكون ميسرا غير
معسر احرى الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجب عن امر قد بلغ المخاطب فيخرج مخرج التذكير او لم
يبلغه فيخرج مخرج التعليم من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وتعديته بالى لتضمين
معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره يحتمل التعظيم والتحقير من الكتاب اى التورية او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التى هم
عليها الذى هو دين الاسلام لتمكنهم منه بعد ما تبين لهم من علم الكتاب انه الحق ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق وتنخرطوا فى سلكهم والله اعلم منكم باعدائكم اخبر بعداوتهم
وما يريدون بهم فحذر اياكم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء زائدة فى فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه متناول لليهود والنصارى
والجمل الثلاث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاولى للتصريح بما اومن

الى سببه لان المخالفة فى الدين سبب العداوة والباقيتان لتشجيعهم وتقوية قلوبهم فى
عدم المبالاة باعدائهم ولذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية الله تع عنهم فى تقولهم وان
ولاية الله تع بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله وحدها كافية او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض
ويجوز ان يكون صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا
او كلاما مبتدا على ان يحرفوا صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى
يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله تع فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما
يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه والكلم والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس فرق بينه وبين
واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر ضميره واما جمع المواضع فلتكرره فى التورية فى مواضع بحسب
الجنس وقرى الكلم بكسر الكاف وسكون اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة وتذكير الضمير على هذه
القراءة لارادة جنس الكلم ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك
بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به واما قيل واسمع غير مسمع
مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه فيأباه السياق وكونه على قصد النفاق لا يحتمله السياق
لانهم بقولهم وعصينا اظهروا الخلاف والشقاق وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا
بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها وطعنا فى الدين كانوا يقولون له عليه السلام السام عليك فيخرجون
ويقولون لو لا يعذبنا الله بما نقول اى لو كان هو على الدين الحق فلما ذا يعذبنا الله بهذا
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا انهم قالوا فاعل فعل محذوف دل عليه معنى الثبوت
والتحقق فى ان اى ولو ثبت انهم قالوا يعنى ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا والضمير المستكن
فى لكان يرجع الى هذا القول خيرا لهم واقوم واعدل ولكن لعنهم الله خذلهم الله وابعدهم عن الهدى
بكفرهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب
والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم لانه رديفها فى الغالب اى لا يؤمنون الا ايمانا معدوما
على طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى ان كان الايمان المعدوم ايمانا
فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو فى المعنى تعليق بالمحال يكون ما بعد الا موافقا لما قبلها فى المعنى
ولا يجوز ذلك فى الاستثناء وكذا لا يجوز ان يكون المعنى الا قليلا منهم امنوا او سيومنوا لعدم

صحة تشبيه عما نعدم فافهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود والنصارى امنوا
بما نزلنا وهو القران مصدقا لما معكم من الكتاب الذى انزل على نبيكم يعنى التورية والانجيل
متضمنا صفة النبى عليه السلام وصحة اجآبه من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان
نمحو تخطيط صورها ونجعلها هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى
الاخرة واصل الطمس محو الاثر وازالة الاعلام وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ويطلق
القلب والتغيير ولذلك معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصغار والادبار او نردها حيث جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير او من
قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن سماع الحق بالطبع ونردها
عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت
او باللعن المتعارف والضمير لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او للذين
على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به
ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمله الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب
او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن بعضهم وكان امر الله بايقاع شئ مفعولا كائنا
انما المنتظر ابداؤه بالنظر الى المقيد بقيدين لا ابداعه المجرد عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به
لانه بت الحكم على خلود عذابه ويشاركه فى الحكم المذكور ما فى منزلته وهو سائر وجوه الكفر فان
الحكم على خلود عذابها ايضا قد ثبت ولوجود هذا القسم قال ويغفر ما دون ذلك ولم يقل يغفر
غيره مع انه اخصر واظهر دلالة على المراد على تقدير عدم قسم اخر فتدبر والله الهادى الى الرشاد
وانما قال لمن يشاء مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشية الله تع للدلالة على انها لا تعم والاشارة
الى ما دون الشرك بمخالفة حيث ان المشية لا تتعلق بمعرفته اصلا ومن يشرك بالله فقد افترى
فقد ارتكب مفتريا اى مفتعلا الاصح كونه اثما عظيما تستحقر دونه الاثام ويجوز ان يكون المعنى
فقد افترى اثما عظيما وذلك لامر لكونه سببا للاثم عبر عنه بالاثم مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها
فى قوله فاتقوا النار وهذا ابلغ وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب الم تر
الى الذين يزكون انفسهم يعنى بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة وانا
نعلم ابنانا الصغار الورثة فنكفر بذلك ذنوبنا فنصير كانا لا ذنوب لنا وفى ذلك حض على
من يزكى نفسه بزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكى بل اضراب من تزكيتهم وانما قدم الله

على الفعل للتخصيص اي لا يزكي احد نفسه ولا غيره فانه غير معتبر ولا معتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي
عليه الانسان من حسن وقبح بل الله خاصة يزكي من يشاء من المرتضين من عباده الذين عرف
منهم الزكاة واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون فتيلا اي اقل قليل من الظلم والفتيل وهو
ما يفتل من الوسخ عند دلك الاصبع بالاصبع مثل في القلة اي يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم
الموعود شيء انظر كيف يفترون على الله الكذب لقولهم نحن عند الله ازكياء وكفى به بافترائهم هذا اثما
مبينا من جملة آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قد سبق تفسيره في هذه السورة
يؤمنون بالجبت والطاغوت الجبت في الاصل اسم صنم ثم اطلق على كل ما عبد من دون الله
والطاغوت الشيطان وكل راس في الضلال نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام
ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى
من الذين آمنوا حذف المفعول للاختصار او للاحتقار سبيلا ارشد دينا واقوم طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بالنصرة والخطاب لكل احد
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في
نصيب للتحقير ففيه حجة على ابلغ وجه لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا النقير النقرة في ظهر النواة ومعنى اذا انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما
ظنكم بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء
والاعمال ولذلك قرئ لا يؤتوا على النصب ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد
منها وهي الحسد فان البخل منع البخيل وصول خير من نفسه الى الغير والحسد تمني زوال ما اعطى الله
الغير من الخير فقال ام يحسدون الناس انكار لحسدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما
آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والقوة والتقدم كل يوم واللام في الناس للماهية
كانهم الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ليس بالناس على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والنبوة والملك العظيم آل ابراهيم الذين هم اسلاف
محمد عليه السلام وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه فمنهم فمن اليهود من آمن به
بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه واعرض مع علمه بصحته او فمنهم من آمن برسول الله

صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بنبوته ومنهم من كفر فلا تعجب
من قومك فان احوال جميع الامم هكذا وذلك تسلية له عليه السلام وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف
نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك وتنكير نارا للتعظيم قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد
وقد ترادفان في الوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اي بلغت الى حد لا يتاثر من الاحراق بدلناهم جلودا
غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محترقة قال ابن عباس يوم تبدل الارض غير الارض ان الارض تلك
الارض لكن بدلت آكامها وجبالها وانهارها واشجارها والجملة في محل النصب على الحال من الضمير
المنصوب في نصليهم ليذوقوا العذاب ليتجدد لهم ذوق العذاب ولما كان تاثر الذائقة اسرع واقوى
من تاثر اللامسة استعير الذوق لادراك اللامسة مبالغة في التاثر عن العذاب وقيل يخلق مكانه
جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله
كان عزيزا حكيما العزيز القادر الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا الصواب انما قاله لانه قد
يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم ابد الاباد
فقيل ليس هذا بعجب لانه القادر على ذلك وكما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الوعد والوعيد متعاقبان في الذكر غالبا
وقدم الوعيد ههنا لان الكلام في الكفار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد
سبق تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد
معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان مطبقا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخ وسجسجا
لا حر فيه ولا برد ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان الظل عندهم من اعظم اسباب
الراحة ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله في الارض فلا يتجه
السؤال بان يقال اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل ان
الله يامركم ان تؤدوا بان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان
كان سبب النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة من سادنها ورده
لهم بعد نزول هذه الآية واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بان تحكموا بالعدل العدل يقابله الجور
والانصاف يقابله الظلم ان الله نعما يعظكم به ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي نعم شيئا
يعظكم او معرفة موصولة مرفوعة اي نعم الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي ذلك

يعني المأمور به من أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل إن الله كان سميعا بأقوالكم
وأحكامكم بصيرا بما تفعلون في الأمانات يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
كرر لفظ أطيعوا تعظيما لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا أي لما ذكر من أن تكرره للتعظيم
ترك إعادته في قوله وأولي الأمر فرقا بين المطاعين في التعظيم لما أمر الولاة بأداء الأمانات
إلى أهلها والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم ويمتثلوا أمرهم والمراد بهم أمراء المؤمنين القائمون
بالعدل الثابتون على الحق لا أمراء الجور على ما سنقف على وجهه فيه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة
في المنازعة المفوضة في قوله فإن تنازعتم لما كان في الأمر بالطاعة لأولي الأمر إشعار باشتراط
العدالة وكونهم على الحق وفيما تقدم من قوله وإذا حكمتم الآية نوع تمهيد لذلك رتب الشرطية
المذكورة عليها فقيل في شيء من أمور الدين وأمور الدنيا فردوه فارجعوا فيه إلى الله إلى
كتابه تع والرسول إلى سنته قولية كانت أو فعلية أو تقريرية وهذا ينتظم حالتي حيوته ومماته
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان بالمبدأ والمعاد يوجب ذلك صدر الأمر
بطاعة أولي الأمر بأمرهم بالحكم بالعدل وقيد بجمعهم مع الله ورسوله في العطف وتخصيصهم بقوله
منكم وذنبه بالأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل واختلف فيه علما بأن طاعة
المتغلبة من أمراء الجور الذين هم على خلاف ذلك ليست بواجبة بل الواجب مخالفتهم وعصيانهم
فيما لا يطابق الكتاب والسنة من أحكامهم واحتج بالآية المذكورة منكرو القياس حيث حصر
المرجع إليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس لكنها حجة عليهم لا لهم لأنه تع أوجب في كل متنازع
فيه الرد إليهما ولا يوجد في كل حادثة نص ظاهر فعلم أنه بالنظر في مودعاته والعمل بمدلولاته
ومقتضياته ذلك خير لكم وأحسن تأويلا عاقبة ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت عن ابن عباس رض أن منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر
قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر رض للمنافق أكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا أقضي
لمن لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل سمي بذلك لفرط

طغيانه

طغيانه ولتشبهه بالشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال وقد أمروا أن يكفروا به وقرئ بها
على أن الطاغوت جمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا قيل ظاهر الآية يدل على أنه كان المخاصم منافقا من أهل الكتاب كان يظهر الإسلام على سبيل
النفاق لأن قوله تع يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما يليق بمثل هذا
المنافق وأما صيغة الجمع فلعلها لإدراج أمثاله فيما ذكر فإنهم في صدد ذلك وإن لم يظهر منهم وإذا
قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول لما بين رغبتهم في التحاكم إلى الطاغوت بين نفرتهم
عن التحاكم إلى الرسول عليه السلام وقد سبق الكلام في تعالوا في سورة آل عمران رأيت المنافقين
يصدون عنك في موقع الحال صدودا أي يعرضون عنك إعراضا فكيف يكون حالهم إذا
أصابتهم مصيبة كقتل عمر رض المنافق أو النقمة من الله بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك وعدم
الرضا بحكمك ثم جاؤك عطف على أصابتهم أي بعدما أصابتهم جاؤك للاعتذار أو على يصدون
وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا الفصل
بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا
بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فأعرض عنهم أي عن عقابهم في
الدنيا لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وهذه المظنة
لا تنافي الإعراض عن المعاتبة وقل لهم في أنفسهم فيما يحل بهم من العذاب إن لم يرجعوا أو ما
يصل إليهم من الثواب إن رجعوا قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن معاتبتهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترهيب والترغيب كما هو مقتضى شفقة الأنبياء وتعلق الظرف
ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها يجوز على أصل الكوفيين خلافا للبصريين وما أرسلنا
من رسول إلا ليطاع بإذن الله بتيسيره وتوفيقه لطاعته إذ بسبب إذن الله في طاعته أي
بأمره للمبعوث إليهم أن يطيعوه لأنه مبلغ عن الله وخليفة له فطاعته طاعة الله لما أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بوعظهم وإبلاغ القول فيهم أمرهم بطاعته فيما أمر والتعاظهم بما وعظ ولا
دلالة فيه على أن من لم يعظه ولم يرض بحكمه كان كافرا مستوجبا للقتل البتة كيف والذمي
والمستأمن كافران ولا يجب قتلهما ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤك
تائبين منه وهو حال وإذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين له معتذرين إليك

مما ارتكبوه من رد قضائك حتى استغفرت لهم ولما كان تحاكمهم الى الطاغوت اساءة على
الرسول عليه السلام وادخالا للغم في قلبه لزمهم الاعتذار له عليه السلام وطلب الاستغفار وانما قال
واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تعظيما لشانه وتفخيما لاستغفاره وتنبيها على من
كان رسول الله فاستغفاره وشفاعته بمكان من الله واما قبول اعتذار التائب فلا دخل
فيه لوصف الرسالة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات لوجدوا الله توابا رحيما قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة توابا حال ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك
ولا مزيدة لتاكيد القسم لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا
اقسم بهذا البلد وفي اضافته تع نفسه اليه عليه السلام في القسم رفع قدره حتى يحكموك غاية متعلقة
بقوله لا يؤمنون فيما شجر فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
واختلافها في الجهات ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت مما حكمت به او من حكمك
وانما قال ثم لان المحتمل الغالب وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا
بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان مصدرية او مفسرة لان كتبنا
في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل حين استتابهم
من عبادة العجل من قتلهم انفسهم واخراجهم من ديارهم ما فعلوه الضمير للمكتوب الذي دل عليه
كتبنا الا قليل قوم قليل منهم وهم المخلصون وهذا توبيخ بليغ لهم لما بين ان ايمانهم لا يتم الا
بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم وقرئ بالنصب على الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته في اوامره ونواهيه
بلا اعتراض وشبهة في انفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وانفسهم
وابعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه الاية نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل غير
ذلك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر وجزاء المحذوف معطوف على الجملة
الشرطية قبلها اي ولو تثبتوا لآتيناهم وفي قوله من لدنا الدال على انه على سبيل التفضل
دفع لذهاب الوهم من الاجر الى معناه الحقيقي فان الثواب لكونه معدودا للعمل نزل منزلة
الاجر له ولهديناهم صراطا مستقيما اي وفقناهم لطريق التوحيد وزيادة الخيرات والاتفاق
في الاحوال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة
بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين بيان للذين حال منه او

ع

مى

من ضميره والصديقين هم الصادقون في اقوالهم واعمالهم ونياتهم واحوالهم المتقدمون لغاية
الصدق في تصديق الانبياء من افاضل اصحابهم والشهداء الباذلون للارواح لله تع لغاية حضورهم
وشهودهم له والصالحين هم اهل الاستقامة الى الله تع بالاعمال المقربة او في الله بالتخلق باخلاقه
والاتصاف بصفاته وليس المراد بالمعية المعية في الدرجة فان ذلك غير ممكن بل المعنى ان الارواح
الناقصة اذا استحكمت علائقها مع الارواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق
فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير انوارها في غاية القوة وحسن اولئك رفيقا بعيد التعجب
كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ورفيقا منصوب على التمييز ولذلك لم يجمع اذ لم تقصد الانواع
ويجوز ان ينتصب على الحال ذلك اشارة قصد بها التعظيم الفضل صفة من الله خبره او الفضل
خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وفيه تنبيه على ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ورفقة
المنعم عليهم فضل خاص منه تع لا عدل مقتضر بازاء طاعتهم بل مزيد عليه من عنده وتفضل به عليهم
تكملة لثوابهم واكرامهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه لعلمه باحواله وما يقتضي هذا الفضل من سعدائهم
بحسب العناية الاولى في حقهم فهو يوفقهم على حسب تلك العناية يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
اي احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم كانهم امروا بان يجعلوا الحذر آلتهم التي يقون
بها انفسهم ويعصمون بها ارواحهم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ
واحترز من المخوف فانفروا يقال نفر القوم اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب ثبات نصب على
الحال اي جماعات متفرقة سرية بعد سرية جمع ثبة من ثبت على الرجل اذا اثنيت عليه فانك جمعت محاسنه
او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا ولا تخاذلوا فتلقوا بايديكم الى التهلكة والاية
نزلت في الحرب ولا دلالة في لفظها الى وجوب المبادرة الى الخيرات كلها وان منكم لمن ليبطئن
الخطاب لعسكر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأ غيره كما فعل ابن ابي يوم احد واللام الاولى للابتداء
دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه المستكن
في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن ووجه التاكيد لتحقيق حال المنافقين وانهم على
خلاف ما يظهرون من الايمان فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم واذ لم اكن ظرف لانعم بمعنى من ولئن اصابكم فضل من
الله من الفتح والغنيمة ليقولن ذلك المنافق اكده لفرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى

معنى من لانه في معنى الجماعة كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بينه وبين مفعوله وهو
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما حكى الله سرور المنافق عند نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي حزنه
عند دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقبل ان يذكر الكلام بتمامه القى هذا القول في البين ليتعجب كانه
يقول انظروا الى ما يقوله هذا المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة ومخالطة اصلا والاحسن موقع
الاعتراض كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي
يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى
الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وكان مخففة من الثقيلة واسمه
ضمير الشان وهو محذوف وقرئ تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز
في ذلك الوقت او العطف على كنت معهم لينذرج الفوز مع الكون معهم في حكم التمني وقرئ
بالرفع متمنين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ان جعل يشرون
بمعنى يبيعون فالامر للمؤمنين اي ان صد هؤلاء المبطئون عن القتال فليقاتل الثابتون في الايمان
المخلصون الذين يستحبون الاخرة على الدنيا ويستبدلونها بها وان جعل بمعنى يشترون فالامر
للمبطئين الذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فالفاء على الاول جواب شرط مقدر
وعلى الثاني للتعقيب يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبط عن القتال والثبات على
النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب لم يقل فيغلب او يغلب
اذ لا يندرج في الاول الفار من الزحف ولا اجر له ولم يقل فيقتل او يقتل للتنبيه على انه يستحق
الاجر بالغلبة قتل او لم يقتل وعلى ان حقه ان لا يقصد بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق
واعزاز الدين وتقديم الاول للدلالة على انه اولى واحق بالاجر والاقتصار عليهما للتنبيه على ان
حق المجاهد ان يثبت في المعركة ولا يبرح حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
فسوف نؤتيه اجرا عظيما قيل وعد له الاجر غلب او غلب ترغيبا للقتال وتكذيبا لقوله قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا وفيه انه لم يصب في قوله غلب على ما نبهت عليه آنفا وكذا في قوله
وتكذيبا لان مراد ذلك المنافق من القول المذكور مطابق للواقع وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين مجرور عطف على سبيل

اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين فان سبيل الله تع عام في كل خير ومن اعظم الخيرات
خلاصهم من ايدي الكفار وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين
من الرجال والنساء والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا على الظلمة بافراط الظلم
حتى بلغ اذاهم الصبيان ارغاما وايذاء لآبائهم وامهاتهم ومبغضة وايلاما لهم ويجوز ان يكون ذكر
الولدان مع المستضعفين لاشراكهم الاطفال في الدعاء استرحاما من الله تع بدعاء الصغار الذين
لم يذنبوا ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد
يدعى بالوليد فغلب الذكر واطلق عليهما الولدان كما يقال الوالدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية الظالم اهلها ارادوا بالتوصيف التنبيه على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها لا في
وطنهم واشرف البقاع لا يريدون الخروج منها بلا اضطرار ولما كان المراد من القرية مكة شرفها الله تع
تجنبوا عن المبالغة في ظلم اهلها بنسبة الظلم الى القرية ولم يسلكوا مسلك قوله وكاين من قرية
عتت وكم اهلكنا من قرية بطرت واجعل لنا من لدنك وليا وهب لنا من عندك من يتولى كفايتنا
واجعل لنا من لدنك نصيرا من ينصرنا ويمنعنا من عدونا فاستجاب الله دعاءهم وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليهم وعتاب بن اسيد ناصرهم قال عطاء فكان يستنقذ واحدا واحدا منهم
ويجعله على يد مرثد بن مرثد الى المدينة الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما حرضهم ورغبهم على القتال في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم
انهم انما يقاتلون في سبيل الله فالله وليهم وناصرهم والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم
الا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي كيده للمؤمنين في جنب كيد الله للكافرين اضعف
شيء واوهنه فلا تخافوا اولياءه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس على ما طبع
عليه البشر من المخافة لا على المخالفة وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون
ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من الموت وضنة بالارواح
وجبنا عن الاخطار بها لا لريبة في الدين اذا للمفاجاة جيء بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية
بدل الفاء وفريق مبتدا تخصص بالصفة ويخشون خبره كخشية الله في موضع النصب
صفة للمصدر المحذوف اي خشية مثل ما يخشى الله فهي مضافة الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون

اي يخشون مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف على المصدر اي خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله على ان الخشية خاشية او جر عطف على خشية الله اي
كخشية الله او كخشية اشد خشية من خشية الله او على الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول
اي كخشية الله او خشية هي اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب على العطف
في محل الكاف والخشية في الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه والمراد بها هنا المبالغة في الخوف
وكلمة او للدلالة على تفاوتهم في الخشية فان خشية بعضهم كان مثل خشية الله وخشية بعضهم كان
اشد وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقال لا يناسب حال الصحابي الراسخ قدمه في الايمان
المنشرح جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى دار الاجلة خيرا من القرار في الدار العاجلة ولهذا
قيل هم المنافقون والتاويل بانهم ما تفوهوا به ولكنهم قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم مع انه بعيد
لم يعهد مثله في القران لا يجدي نفعا لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت كانهم جبنوا القتال قليلا فتمتعوا الى اجل وهذا غاية جبنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى اي المعاصي ولا تظلمون فتيلا شيئا يسيرا من قصر على
الاول فقد قصر النقص عن الثواب الموعود لا بالزيادة على العقاب المعهود وقد تقدم تفسير الفتيل
وفيه ترغيب في التحمل على مشاق القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال لامر الجهاد وقري ولا
يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت اذ لا خلاص لكم من الموت والجهاد موت
تستعقبه سعادة اخروية فان كان لا بد من الموت فالموت في سبيل الله اولى وقري يدرككم بالرفع
على حذف الفا كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا
تظلمون وعلى هذا ابن ظرف مكان لا اسم شرط وانتفا الظلم منتظم الدارين ولو كنتم في بروج
مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبرج في الاصل بيت على طرف القصر واصل البروج
الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها وقري مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم
شعر شاعر ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة كخصب يقولوا هذه من عند الله
اي نسبوها اليه لنسبة تجرده عن توسط كسب العبد وان تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة
كما يقعان على الطاعة والمعصية كذلك يقعان على النعمة والبلية يقولوا هذه من عندك اي اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها قل كل من عند الله بتقدير الله واقع على حسب مشيئته في خلقه قال تع وبلوناهم بالحسنات

والسيئات

والسيئات وقال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا لعلهم يضرعون
ولما كان هذا تفصيل ذلك المجمل المنزل ظهر حسن الموقع للفا في قوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران وتنكيره للتعظيم والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة
عند الاطلاق ومساعدة المساق نفي المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل ما اصابك خاطب
النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم حال ما اصاب غيره بطريق الدلالة من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا
منه فان كل ما يفعل الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود وكيف يقتضي غيره وما اصابك
من سيئة فمن نفسك يعني هو وان كان من عند الله باعتبار الايجاد والفاعلية لكن لما كان
السبب القابل المقتضي لذلك فعلك واستحقاقك فهو من عندك وبما كسبت يداك واسند ما عاتك
اياه اذ لزلت بك كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة
الى الله والبلية الى النبي صلى الله عليه وسلم رد الله عليهم بان الكل من عند الله لا فاعل لها سواه
ولا واسطة في البلايا سوى انفسهم دون النبي صلى الله عليه وسلم على ما زعموا فتمام الرد عند قوله
فمن نفسك وارسلناك للناس جميعا لا للعرب خاصة كما زعمه بعض المنكرين وهذا المعنى مستفاد
من ذكر اسم الجنس بمساعدة المقام رسولا حال قصد بها التاكيد ويجوز نصبه على المصدر كقوله
ولا خارجا من في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم منه اختصاص رسالته صلى الله
عليه وسلم بجنس الانس وكفى بالله شهيدا على ذلك بنصب المعجزة فوجب على الكل طاعتك واتباعك
ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تع لانه لا
ينتظم اطاعته في غير الاحكام الشرعية بل لانه تع ارسله وامر بطاعته والعدول عن الضمير الى
المظهر للاشعار بترتب ايجاب الاطاعة على وصف الرسالة روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان
نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى اي عن طاعته حذف جزاؤه وهو
فاعرض عنه واوقع ما هو سبب له موقعه فقيل فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم امرا او نهيتهم
عن شيء طاعة اي امرنا طاعة اي لك واصلها النصب على المصدر والعدول الى الرفع للدلالة
على الثبات فاذا برزوا خرجوا من عندك اي غابوا عنك والفا للدلالة على عدم التراخي بين
قولهم الموافق وفعلهم بيت طائفة منهم اي زورت وسولت غير الذي تقول خلاف ما قلت

لما او قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر
بالليل او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرئ بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج
والله يكتب ما يبيتون وعيد لهم اي يثبت في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة ما
يوحى اليك ليطلعك عليه فلا يغني عنه اسرارهم فاعرض عنهم ولا تشتغل بالانتقام منهم وتوكل
على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه فهو الرافع كيدهم عنك
والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القران الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف اي ايقدحون
في القران فلا يتدبرونه لانهم لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في توافق معناه وتناسق
نظمه والتدبر ادارة المعاني بغوص الافكار واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاعتبار وهو
في الاصل النظر في دبر الامر اي عاقبته ثم استعمل في كل تامل ونظر سوا كان في حقيقة
الشيء واجزائه او سوابقه واسبابه او لواحقه واعقابه وفيه باعتبار اصله وفيه اشارة
الى ان مقاطعة الكلام من مظان الطعن في بادئ الراي التي تزول عند التامل وتوفيق النظر
والواو في قوله ولو كان من عند غير الله للحال وغير الله ينتظم الجن والملك وفيه دلالة على انه
كلام الله تع واما اعجازه فالثابت به انه ليس من كلام البشر ولا يلزم منه ان يكون كلام الله تع
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة اللفظ وبلاغة النظم وصحة المعنى لان الخطيب
الفصيح البليغ اذا اكثر كلامه اختل نظامه واختلفت اقسامه خصوصا اذا تطاولت في تعاريق
كلامه ايامه لنقصان قدرة غير خالق القوى والقدر وما يوجد فيه من الاختلاف في الاحكام
لاختلاف الاحوال في الحكم لا للتناقض في الحكم واذا جاءهم امر من الامن او الخوف من بيان
وبيان الامر بمجموع الامن والخوف اي ايوجبهما لا باحدهما على سبيل البدل فكلمة او
للتنويع لا لمنع الجمع اذاعوا به فعلوا الاذاعة به وهو ابلغ من اذاعوه للدلالة على انه توجد
نفس الحقيقة كما في نحو يعطي ويمنع لما فيه من الابهام والتفسير والاذاعة الاشاعة والافشا
كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم
الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من ظفر بالعدو او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكان
فيه مفسدة ولو ردوه اي الامر الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه
وسلم هو الذي يحدث به والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصرا بالامور او امرا السرايا
لعلمه على وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم واصل الاستنباط

استخراج النبط وهو الما الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين
فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم
وتعرفوا انه هل يصح ان يذاع لعلم ذلك من هولا الذين يستنبطونه من الرسول والى اولي
الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها الرسول والمومنون بانزال
الهدى واظهر من كيد الشيطان والمنافقين لاتبعتم الشيطان ودمتم على الكف عن القتال
والاصغا الى المنافقين المثبطين الا قليلا هم رسول الله والمستنبطين وفيه تحريك من حمية
الضعفة مع لطف واحماد لحال الاقويا ثم قال فقاتل في سبيل الله اي فاذا كان الامر كذلك
من انك او ثبت الفضل والرحمة معا او فوت له من سابقة العدم في التجنب عن اتباع
الشيطان قاتل في سبيل الله واعلا كلمة الرحمن ولا تبال بكيد المنافقين واستخراهم الضعفا
وما يحصل من مفسدة الاذاعة فانه لا يضرك خذلان خاذل قوي او ضعيف فالله ناصرك
لا الجنود باجلال باسه بمن يعاديك لا تكلف الا نفسك نصب على الحال من فاعل فقاتل
اي غير مكلف الا نفسك وحدها يعني لا تتحرك من لغتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان
لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى
الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف
بالجزم ولا نكلف بالنون على بنا الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا
نفسه لقوله وحرض المومنين على القتال وما عليك الا تحريضهم فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان
يكف باس الذين كفروا اي كفار قريش وقد كف وقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب
فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وفيه تقريع لمن لم يتبعه من
يشفع شفاعة حسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب بها اليه خيرا في
حد من حدود الله او حق من حقوقه طلبا لرضا الله لا لغرض من اغراض الدنيا والسيئة
بخلاف ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب
والدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها نصيب من وزرها
مساو لها في القدر وكان الله على كل شي مقيتا مقتدرا من اقات على الشي اذا قدر عليه

او شهيدا حافظا من التغوث فانه يقوي البدن ويحفظ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو
ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وذلك لاستجماعه
اقسام مطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها او بردها بان يقول ان بلغ
المسلم نهايته لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك قال وعليك
السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فاين
ما قال الله وتلا الاية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فكلمة
او للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل مشروط بشرط ينافي شرط
الاخر فلا يجتمعان وايضا التخيير بين امرين احدهما ايسر من الاخر لا يكون على وجه الوجوب
على ما تقرر في موضعه وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة
وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيا يحيي تحية وكانت تحية
العرب عند اللقاء حياك الله اي اطال الله حيوتك ونقل ذلك في الاسلام الى السلام وبقي
الاسم كذلك ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا
هو خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم اي ليجمعكم العالم في يوم القيمة للمجازاة وانما قال الى يوم
القيمة تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام
الناس من قبورهم او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة
للمصدر ولما ذكر الجمع معنا عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي لا احد اصدق من الله حديثا
فانه لا يتطرق الكذب الى خبره لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم
من ان ما نزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق مطابق للواقع في المنافقين فئتين اي فما
لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم الذي نطق به المنزل وذلك ان
ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل
غير ذلك وفئتين نصب على الحال من الضمير في مالكم والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار
كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فمالكم تفترقون

فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم ردهم في حكم المشركين اصل الركس رد الشيء
مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ردهم في الكفر بسبب مرض
قلوبهم وسوء عقيدتهم جملة اعتراضية مثبتة لوجوب اتفاق المؤمنين على نفاقهم رافعة لاختلافهم
في ذلك مقررة لمعنى الانكار الذي في ما الاستفهامية او حال مبينة اتريدون ان تهدوا من
اضل الله عن طريق الحق معنى الهمزة انكار ارادتهم هداية من اضل الله لكونه مستحيلا ولذلك
قال ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي الى الاهتداء او لن تجد لهدايته سبيلا لاستحالته
وقوع ما اراد الله خلافه تقرير لارادة انكارهم المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا راغبين في ان تكفروا ككفرهم اكد ودادتهم كفركم بلو وبقوله كما كفروا اي لا يرضون
بما ساءكم الكفر بل تمنوا الكفر بالغا اصيلا راسخا مثل كفرهم ثم بالغ في ذلك بقوله فتكونون
سواء الا برجح كفرهم عطف على تكفرون اي ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم في الضلال ويجوز
نصبه على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء فلا تولوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا في
سبيل الله حتى يظاهروا الايمان بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله لا لغرض
من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا فان اعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي
تصدق ايمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اي فحكمهم كحكم سائر المشركين في وجوب قتلهم
حيث وجدوا في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي وان بذلوا لكم الولاية والنصرة
فلا تقبلوا وجانبوهم مجانبة كلية الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم
في حكمهم في الميثاق وهم من وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا
يعينوا عليه ومن لجا اليهم فله من الجوار مثل ما لهم او جاءوكم عطف على صلة الموصول اي او الا الذين
جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور بالاخذ والقتل من ترك المحاربين ولحق
المعاهدين ومن جاء المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم لان الاستثناء يدل على ان
سبب ترك التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والاخر الاتصال بالكافين عن القتال
ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة وقوله وان
اعتزلوكم يرشد الى انه الكف وقرئ بغير العاطف على انه بيان ليصلون او بدل او استئناف حصرت
صدورهم في موضع الحال باضمار قد ويدل عليه قراءة حصرات صدورهم وقيل بيان لجاءوكم وهم بنوا

مدلج جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او
يقاتلوا قومهم عن ان يقاتلوا او لحصرت او كراهة ان يقاتلوكم مفعول له ولو شاء الله لسلطهم
عليكم اي ولو شاء الله ان يبتليكم بهم لابتلاكم بتسليطهم عليكم وهذا بيان العذرة ولا تلزم الموافقة
للحكمة فانها تستتبع الوقوع دون العذرة فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في قتلهم واخذهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو
عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى
قتال المسلمين اركسوا فيها ردوا فيها وقلبوا اخبث قلب واشنعه لتضمهم الكفر الى الغدر ونقض العهد
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد ويكفوا ايديهم عن قتالكم كلاهما معطوفان
على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم لانهم لم يكفوا ايديهم
عن القتال واولئكم اشارة الى ان الموصوفين بدوام نقض العهد والخيانة مرة بعد اخرى في جميع الاوقات
انما يستحقون تسليط الله اياكم عليهم واظهاركم بالحجة لهذه الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور حالهم في الكفر والعداوة والغدر او
تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم ايما اقتدرتم عليهم وما كان لمؤمن اي ليس من شانه ولا
يليق بوصف الايمان ان يقتل مؤمنا يباشر قتله من عند نفسه بلا ايجاب الشرع ولا رخصة منه
الا خطأ مفعول له اي لعلة ما الا للخطأ وحده او حال بمعنى مخطئا اي ليس له قتله في حال من
الاحوال الا في حال الخطأ او صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وهو ما لا يضامه القصد الى
الفعل او الشخص فما لا يقصد به زهوق الروح غالبا من قبيل الاول لانه ما قصد الى القتل بل
قصد الى الضرب وما لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه من قبيل الثاني
لانه ما قصد الى الشخص المسلم في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر في القصد زعم القاصد واما
غير المكلف فالشرع لم يعتبر قصده فاعطاه حكم الخطأ وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف
الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخ ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه
تحرير رقبة والتحرير جعل الانسان حرا كما ان الاعتاق جعله عتيقا والحر العتيق والكريم لان الكرم
في الاحرار كما ان اللوم في العبيد وحر الوجه اكرم موضع منه والرقبة يعبر بها عن النسمة كما يعبر

عنها بالرأس مؤمنة كبيرة كانت او صغيرة ذكرا كان او انثى ودية عطف على تحرير مسلمة مؤداة
الى اهله تصرف الى ما تصرف اليه تركته فالاهل منتظم الوصي وامين بيت المال ولم يعين الله في كتابه
المعطي في الدية ولم يبين فيه ان ايجابها على العاقلة او القاتل وانما اخذ ذلك من السنة الا ان
يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية واصلها القاتل وتحملها العاقلة تخفيفا عليه وسمي العفو عنها بالتصدق
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او
بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم اياها عليه فهو في محل النصب على
الحال من القاتل واما انتصابه على الظرف فقيل انه مخالف لنص النحويين على منع قيام ان وما
بعدها مقام الظرف فانه مما اختص به ما المصدرية فان كان اي ان كان المقتول من قوم عدو
لكم كفار محاربين وهو اي المقتول مؤمن يعني اذا اسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا
فقتله مسلم ولم يعلم بايمانه ولافادة هذا القيد صدر الكلام بالفاء المرتبة له على ما تقدم وفيه الكفارة
لاغير وهو قوله فتحرير رقبة قيل دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وكان
هذا القائل غافل عن العموم المذكور فيما سبق في مصرف الدية والشافعي حمله على مؤمن اختلط
باهل الحرب وياباه قوله من قوم لانه صريح لا يكون منهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
منتظم عهد الامان وعقد الذمة فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي حكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية وتقديم الدية ههنا اهتماما في رعاية حكم الميثاق قيل هذا في مشركي العرب الذين
كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد على ان يسلموا او يؤذنوا بالحرب الى اجل معلوم ومن
قتل منهم وجبت الدية والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
واما قيل ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا وكان له وارث مثله فلا صحة له اما اولا فلان
قوله وان كان من قوم صريح في كون المقتول معاهدا فلعله لم يصب محزه واما ثانيا فلان
دية الذمي تؤخذ لبيت المال اذا لم يكن له وارث ودية الحربي انما تعطى بحكم العهد فقوله وكان
له وارث مما لا وجه له فمن لم يجد اي الرقبة المؤمنة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها او لم توجد
في دياره فصيام شهرين فعليه او فواجب صيام شهرين متتابعين توبة مصدر مؤكد اي
تاب الله عليه توبة او مفعول له اي شرع ذلك توبة منه من الله صفتها وكان الله عليما
بالاحوال ويندرج فيها حال القاتل دخولا اوليا حكيما في الافعال ومنها ما امر في شانه ومن
يقتل مؤمنا متعمدا عدل هنا عن الماضي الى صيغة المستقبل استبعادا لوقوع هذا النوع

من القتل فجزاؤه جهنم اقتصر ههنا على بيان حكمه الاخروي لانه بين حكمه الدنيوي في سورة
البقرة خالدا فيها المراد بالتخليد المكث الطويل دون التأبيد لان الدلائل متظاهرة على ان
عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم وقيل انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب
ونحوه اما تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره فيؤيده انه تخصيص بلا مخصص فان سبب
النزول لا يصلح له وهو ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر
قاتله فاخذ منهم الدية بامره عليه السلام ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا اذ لا تصريح فيه
بقتله مستحلا وقد تقرر في الاصول ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ومراد ابن عباس
من قوله لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا اذ روي عنه خلافه وغضب الله عليه ولعنه اي انتقم منه
وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما لا جزاء له على الله لما كان قتل النفس المحرمة اكبر الكبائر
بعد الشرك بالغ فيه بان جعله منافيا للايمان حيث قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي بما في
وصف الايمان قتل المؤمن ثم بتنكير مؤمن اي ليس لاي مؤمن كان ثم بحذف الخبر المقدم لشدة العناية
بالتصريح بالكفارة ثم بايجاب الدية والكفارة على قاتل الكافر المعاهد حرمة لها وان كانت
كافرة بمجرد العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وكان الله عليما حكيما لانه اعظم الاثم بعلمه
والا لقال غفورا رحيما اعتدادا بالتوبة وتحتيما لها تحقير التوبة في جنب الاثم مع كونه خطاء
لما عسى يقع من تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ ثم بالتهديد العظيم والايعاد
والابراق الشديد والارعاد على قتل العمد العدوان بالوجوه المذكورة من دخول جهنم والخلود
فيها واستحقاق الغضب ثم العذاب العظيم كل ذلك تغليظ للدلالة على غلظ الامر وعظم
الخطب يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله اذا غزوتم وسرتم الى الجهاد فتبينوا
وقرئ فتثبتوا والتفعل بمعنى استفعل الدال على الطلب اي فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا
فيه وقد قوبل البيان بالعجلة في قوله عليه السلام التبيين من الله والعجلة من الشيطان ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام اي لمن حياكم بتحية السلام وقرئ السلم اي الاستسلام والانقياد وفسر به
السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح من آمنه اي لا
نؤمنك تبتغون في محل النصب على الحال من الضمير في تقولوا مشعرا بما هو الحامل لهم على العجلة
اي لا تقولوا ذلك مبتغين عرض الحياة الدنيا الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فتتركون
التثبت والتفحص عن حال من تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن مثل

هذه

هذه الفعلة الشنيعة والتي لتعليل النهي كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام
سمعت منكم كلمة الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير اطلاع على قلوبكم ومواطاتها
لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والتصلب في الدين والاشتهار بالايمان والتقدم فيه والفاء
للعطف على كنتم فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا
بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكرير الامر
بالتبيين والايعاد بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا للتأكيد لتعظيم الامر وترتب الحكم على
ما ذكر والمبالغة في التحذير عن مثل ما فعلوا اي كونوا محترزين محتاطين مجتهدين لاعلاء كلمة
الاسلام واعزاز الدين لا لطلب الغنيمة والمال فان الله مطلع على ما في ضمائركم خبير باعمالكم
وابتنى عليها من نياتكم فيؤاخذكم بها فلا تتهافتوا في القتل روي ان سرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى
عاقول من جبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله
اسامة واستاق غنمه فنزلت ولا دلالة فيه على صحة ايمان المكره وان ما روي ليس من
الاجتهاد المعهود في شيء لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من
القاعدين او من الضمير فيه غير اولي الضرر بالرفع بدل من القاعدين او صفة لهم لانه لم يقصد
بهم قوم باعيانهم ولان غير قد تتعرف اذا وقعت بين ضدين وقرئ بالنصب على الحال او الاستثناء
وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه روي انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال
ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فنزل القيد المذكور والضرر النقصان بدنيا كان كالعمى والعرج
او ماليا كعدم الاهبة ولما كان مساق الكلام للتحريض على الجهاد كان الاستثناء المذكور لبيان
انهم غير مرادين بالتحريض وغير المكلفين بالخروج اليه لا انهم كالمجاهدين في الاثابة والتفضيل
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين القاعدين عن الجهاد
بلا عذر وفيه تذكير لما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة نصب على المصدر وتنكيرها
للتعظيم والمعنى على القاعدين اولي الضرر نص على ذلك الامام الواحدي في الوسيط ثم قال وذلك
ان المجاهدين مباشرون للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من اهل العذر وان كانوا على نية
الجهاد وقصده وتفصيله ان المراد بقوله لا يستوي الى قوله وانفسهم ان بين المجاهدين والقاعدين

غير الاضرا بونا بعيدا وان ليس بين المجاهدين والقاعدين الاضرا هذا البون البعيد لكن
وكان بينهم تفاوت ايضا وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان فبينه بقوله فضل الله وبما
عطف عليه من قوله وفضل فكلتا الجملتين بيان له لا الجملة الاولى فقط فتبين بالكلام الاول انهم
مفضلون على اهل العذر درجة ثم قال وكلا يعني المجاهد والقاعد المعذور كما نقل في الوسيط
عن مقاتل وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب ثم بين بقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين ان
المجاهدين مفضلون على القاعدين من غير عذر بدرجات وقوله اجرا عظيما نصب على المصدر
لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطا كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا وينتصب درجات
نصب درجة كما تقول ضربت سوطا او سوطات اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات
واجرا حال عن درجات مقدمة عليها لكونها نكرة وينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما
اي وغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم
في الجنة وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يجوز
ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بحذف التا اي تتوفاهم الملائكة وقرئ توفتهم بتا التانيث
على الماضي وتوفاهم على المضارع المبني للمفعول من وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيتوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
قالوا اي الملائكة للمتوفين وهو خبر ان اي قالوا لهم حذف الراجع فيم كنتم باي سبب كنتم على
ما كنتم عليه من مخالطة المشركين وموافقتهم ولفظة في هاهنا كالتي في قول المتنبي فيه قبل اي
في اي شي كنتم من امر دينكم ولا ينتظم الجواب قالوا كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة
اجابوا اعتذارا عما وبخوا به بضعفهم عن مقاومة المشركين وعدم قدرتهم للمخالفة قبل وعجزهم
عن الهجرة ولا ينتظم الرد قالوا اي الملائكة ردا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
الى قطر اخر فتتخلصوا عن ايدي المشركين كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السؤال
والذي سبق يدلان على انهم ماتوا مسلمين ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة فانهم لو ماتوا كافرين
لكان التوبيخ على كفرهم فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم المشركين وهو جملة

معطوفة

معطوفة على جملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم كان الهجرة من فرائض الاسلام
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وكانه
غافل عن هذا من قال وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة
دينه والاشارة الى القوم المذكورين على العموم ولهذا استثنى منهم المستضعفين العاجزين حقيقة
بقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قيل لما نزل الوعيد المذكور قال المسلمون هلك
اخواننا الذين بمكة فنزل الا المستضعفين الاية وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان
اريد به الصبيان فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها تجب لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم
والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وبان العجز ينبغي ان يكون كعجز الولدان وقيل للتخفيف خروج الرجال والنسا عن الوعيد عند عدم
الاستطاعة فانهم ح كالولدان في عدم الاثم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة
للمستضعفين كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان اسباب الهجرة ما يتوقف عليه واهتدا السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم عسى من الله دليل الوقوع لانه اطماع والكريم اذا اطمع انجز وفي لفظ العفو ايذان بان
ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله
عفوا بالتخفيف عن العاجزين غفورا للقادرين الذين اخروا الهجرة بعد وجوبها الى زوال وبقي
الوقفة الثالثة وهم القادرون الذين تركوا الهجرة تحت الوعيد ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
الارض مراغما كثيرا متحولا مهاجرا يهاجر اليه على رغم من يفارقه او طريقا يراغم بسلوكه انوف قومه المفارق
هو منهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وسعة في الرزق
واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله قوله الى الله ذكر لتمهيد ذكر الهجرة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتنبيها على قصد اختصاصه به ثم يدركه الموت وقرئ يدركه
بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان والجمهور على ان هذا في الواو والفا
في غير الاشيا الثمانية ضرورة فكيف في ثم فقد وقع اجره على الله فقد ثبت وتحقق بموجب وعده
قال ابن عباس رض لما نزل اية الوعيد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها الى مسلمي مكة فقال جندب
بن ضمرة لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق وكان شيخا كبيرا
فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ الاصحاب موته فقالوا لو لحق بنا لاتم

الله اجره فانزل الله تع ومن يخرج من بيته مهاجرا واعلم انه لا يجب من الممشى رضاه وكان الله
غفورا يغفر له ما كان من القعود الى ان خرج رحيما يرحمه باكمال اجر المهاجرين له واذا ضربتم في
الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها والقصر رخصة
عند الشافعي لان نفي الحرج في الرخصة لا في العزيمة قلنا في الاية بيان حكم الخوف فتوقف حكم
حالة الامن على قيام الدليل وقد ورد ذلك في الحديث بلفظ الصدقة ولو بقي فرض الاربعة فاين
الصدقة فمن وهم ان الاية تخالف قول عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
وقول عائشة رض اول ما فرضت الصلوة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فقد وهم وقرئ
تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي ان خفتم ان يقصدكم الكفار
بما يكره من قتل او جرح او اخذ والخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج اخذا بمفهوم هذه الاية
وعند الجمهور ليس بشرط اما عند من لم يقل بحجية المفهوم فظاهر واما عند من قال بها فلانها مشروطة
بعدم معارضة منطوق نص وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم
ان الكافرين كانوا لكم عدوا اي اعداء والعدو يستوي فيه المفرد والجمع وانما قال مبنيا على اللفظ
فانه للمفرد في الوضع وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع لهم الباعث للعداوة جهة وحدتهم
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وهي صلوة الخوف وتعلق بالشرط المذكور من خصها بحضرة
الرسول قائلا انها على خلاف القياس فلا يتعدى مورد النص والجمهور على انها غير مختصة به
عليه السلام فان الايمة بعده نوابه فحضورهم حضوره فينتظمهم النص بطريق الدلالة لا بطريق
القياس فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وانما جعلهم طائفتين
لمفهوم اقتضا وليأخذوا اي المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون الضمير للطائفة الاخرى لانه
ح تتفرق الضمائر فينافر عليك النظم الذي هو اعجاز القران ومراعاته والقانون الذي وقع
عليه التحدي على طريقة التقدير دون التصوير اهم ما يجب على المفسر فاذا سجدوا عبر بالسجود عن
الركعة فليكونوا من ورائكم اي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا
بازاء العدو وفي ورائكم تغليب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى هذا الاظهار دليل
ظاهر على ان الضمائر فيما سبق للطائفة الاولى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك
الركعة الثانية وليأخذوا حذرهم ما يتحذرون من العدو من الترس والدرع والمغفر واسلحتهم

ما يقاتلون به من السيف والرمح والقوس كذا فسر الامام ابو منصور والذي يناسب بلاغة
القران هو انه جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ ايذانا للغازي بانه يجب عليه
ان يجعل التحرز آلة للحرب كالاسلحة فجعلا ماخوذين جمع بينهما في الامر ههنا مبالغة في الاحتياط
لانه مظنة هجوم العدو فان تنبهه لكونهم في الصلوة يكون بعد سجودهم ذكر صلوة طائفة ركعة
مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين كيفية اتمام الطائفتين واختلفت الاخبار في ذلك واختلف
باختلافها العلماء فعند ابي حنيفة يتم صلوته ان كانت ركعتين ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي
الاخرى فتؤدي الركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويتمون الصلوة ثم يحرسون وتاتي الاخرى فتؤدي
الركعة بقراءة لانهم مسبوقون ويتمون الصلوة كذلك رواه ابن مسعود وابن عمر والسجود
مجاز عن الركعة على ما نبهت عليه فيما سبق لا على ظاهره ود الذين كفروا لو تغفلون اي
احب الكفار غفلتكم عن اسلحتكم وامتعتكم مما ذكر فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون
عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى تعب من مطر او كنتم مرضى لم يقل او مرض لعدم دلالته على العموم وهو المراد ان
تضعوا اسلحتكم لما كانت حالة المرض مما يشق حمل السلاح فيها وحالة المطر مما يثقل العدو
ويمنعه من خفة الحركة للقتال رخص لهم فيهما وضع السلاح وفي قوله لا جناح دلالة على
ان الامر بالاخذ للايجاب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر
كيلا يهجم عليهم العدو ولما كان الامر بالحذر موهما لتوقع غلبة العدو وقوته وان الله وكلهم
الى انفسهم ولم ينصرهم ازال ذلك الوهم بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم
وتشجيعا وتبشيرا بان الله مهين عدوهم ومخذله وناصرهم عليه واعلاما بان الامر بالحذر انما هو
تعبد لا تخلية بينهم وبين عدوهم مراعاة لحكمة الله وسنته فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم
منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال وهو الذكر
باللسان والدعاء بالنصر فانه حال ملاقاة العدو وهو كما قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل واذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان
عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود بسبب الجرح اي ادوها على حسب الوسع
وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة قوله فاذا اطمأننتم اي سكنت قلوبكم من الخوف وعلى كلا
التفسيرين لا دلالة فيه على صحة الصلوة في حال المسايفة فاقيموا الصلوة فعدلوا واد وها تامة

بطائفة واحدة ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا مفروضا محدودا باوقات
معينة فلا تؤخر عنها بسبب الخوف فهو كالتعليل لما سبق واما انه لا يؤخر عنها بسبب من
الاسباب فلا دلالة عليه في الكلام فلا يكون دليلا على وجوب ادائها في حال المسايفة والاضطراب
في المعركة واما عدم دلالته على ان المراد بالذكر الصلوة فظاهر وانما قال على المومنين لان الكلام في
ادائها والايمان شرط صحته وان لم يكن شرط وجوبها عند القائلين بان الكفار مخاطبون بالعبادات
المفروضة ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون
به اي لا تهنوا لسبب الالم والجراح ثم علل النهي فانهم يالمون به كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون فان الالم ليس مختصا بكم بل هو مشترك بينهم وبينكم ثم انهم يصبرون مع ذلك وانتم
اولى بالصبر منهم لانكم ترجون من الله الثواب العظيم في الاخرة باظهار دين الله واعزازه وهم لا
يرجون فانكم لا تصبرون وفيه طرف من التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرئ ان تكونوا
بالفتح بمعنى لان تكونوا وكان الله عليما بمصالح العباد حين دعاهم الى الجهاد حكيما في تدبير
امورهم في المبدا والمعاد انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به لتحكم بين الناس روي ان
طعمة بن ابيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخباها عند يهودي فحلف
طعمة ما له بها علم فاتبعوا اثر الدقيق الى دار اليهودي فقال اليهودي دفعها الى طعمة واختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اليهود وشهدوا على براءة اليهودي وجاء بنو ظفر وهم قوم
طعمة وشهدوا بالسرقة على اليهودي فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فنزلت بما
اراك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة وقومه الذين شهدوا زورا على اليهودي
خصيما للبرآء وهو اليهودي واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن
يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتها يعود عليها
او جعل معصية العاصين خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما عليها وضمير الجمع وان كان الخائن
طعمة وحده ليشمل كل خائن لعموم الحكم ولان قومه شهدوا بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء في الاثم
ان الله لا يحب يكفي بعدم المحبة عن البغض في جميع الالسنة من كان خوانا مبالغا في الخيانة
بالاصرار عليها اثيما منهمكا فيه وانما اورد صيغة المبالغة فيهما تعريضا بحال طعمة وافراطه
في الخيانة حيث سرق ورمى بالسرقة يهوديا وحلف كاذبا وقد كان سارقا في الجاهلية

يستخفون من الناس يستترون منهم خوفا وحياء ولا يستخفون من الله اي لا يقدرون على الاستخفاء
منه تعالى اذ لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ويجوز ان يكون الاستخفاء كناية عن الاستحياء لانه
من اسبابه اي لا يستحيون منه تعالى وهو احق بان يستحيى منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه
الا ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون سرا واصله ان يكون بالليل
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا
اي عالما بكل وجوهه ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر وفيه مبالغة عظيمة في التوبيخ في مشاركتكم في
الجدال بالباطل لا يمكن ذمكم بازيد مما انتم عليه فانتم انتم لا تشهيركم بوصف اظهر في القبح مما انفردتم
به وتعينتم من بين سائر الناس ثم اكده بالتنبيهين والاجمال في اسم الاشارة والتفصيل في
بيانه والايذان بان الجدال بالباطل لا يجدي في الاخرة انما هو في الدنيا لكونها موضع التلبيس
والاشتباه ولا يغني عنهم شيئا عند الافتضاح على رؤس الاشهاد وانتقام العزيز القهار وان
دفع الفضيحة في الدنيا والعقوبة فيها فقوله جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع
اولا خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا
محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا
يتعداه غيره ثم يستغفر الله بالتوبة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاستغفار لا يكون نافعا اذا
لم يؤد الى الاصرار يجد الله غفورا لذنوبه رحيما بقبول توبته وامهاله الى ان يتوب وفيه
حث للمذنبين على الاستغفار ويدخل فيه طعمة وقومه دخولا اوليا ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما به حكيما في مجازاته ومن
يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة
ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل اي بسبب انكاره ورميه به بريئا بهتانا برميه البريء قدمه
لانه افضح واحتمل ابلغ من حمل لان افتعل فيه التسبب واثما مبينا بجريرة النفس الخاطئة
وليس فيه التسوية بين الكاسبين بل تشريكهما فيما تحملا بسبب افتعاله بعد الكسب ولولا فضل الله
عليك اي عصمته عن الخطاء ورحمته بما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم
من بني ظفر او من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني
صاحبهم والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى المبالغة في نفي تاثيره بتنزيله منزلة
العدم وما يضلون الا انفسهم لانهم ما ازالوك عن الحق وعاد وبال عملهم عليهم وما يضرونك من شيء

لان الله حاصك يحول بينك وبين الخطا في الحكم واخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر
الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك
الكتاب القران والحكمة السنة المستقيمة اي القولية والفعلية كالحكمة وفيه تنبيه على ان
السنة التي احدى اركان الشريعة من قبيل الوحي الغير المتلو وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من الرسالة العامة لا خير في كثير من نجواهم من تناجيهم الا من امر لا نجوى من
امر على حذف المضاف وهو في محل الجر على البدل او في محل النصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من امر بصدقة ففي نجواه الخير بصدقة او معروف وهو عام في كل جميل شرعا وعقلا وعرفا
او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك اي يامر بالخير لان الفعل كثيرا
ما يطلق على القول والامر ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويجوز ان يرتب الوعد
على الفعل تخصيصا للامر بالخير على فعله وتنبيها على ان الامر بفعله دون فعله لا يستحسن بل الامر
به دليل على ان فعله اهم وانما يوجب الثواب لافضائه اليه فثوابه تبع لثواب فعله وانما شرط
ان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات فاذا لم تقارنه النية او عرض لصاحبه
الريا والسمعة فليس بخير بل هو الى الشر واستيجاب العقاب اقرب ووصف الاجر بالعظم
تنبيها على حقارة ما فات من اعراض الدنيا في جنبه ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق
فان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك هو السبيل الذي اتفقوا على صحته من
الدين الحنيفي القويم فيندرج فيه الاجماع والاجتهاد فانه ايضا مما اتفقوا على صحته وعلى كون
الثابت به من الدين وهذا كالبيان لمخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فان من اتبع الاجماع
او الاجتهاد المجتهد فهو موافق له عليه السلام في الحقيقة وان كان مخالفا لظاهر الكتاب والسنة
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله
فيها اي نخذله في الدنيا ونعذبه بالنار في الاخرة وقرئ نصله بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم قيل تدل الاية على حرمة مخالفة الاجماع لانه رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ
يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم
اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا ومناه على ان

لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين لتقرير المخالفة المذكورة وبيانها وذلك غير مسلم ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرر لقصة طعمة واتصالها بها انه اشرك بعد
الايمان وليس لمشرك غفران قال مقاتل فخرج طعمة من مكة ولحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات
على الشرك فنزل فيه الاية فتبين ان طعمة لو لم يشرك لكان في سعة رحمة الله تعالى وان يغفر له ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي لا يتناهى تماديه في الضلال اذ لا جهل افحش من الجهل بالله وانما ذكر في
الاية الاولى ومن افترى على الله لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم كان افتراؤهم وهو
دعوى النبي صلى الله عليه وسلم على الله وهو ضد الضلال ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات
والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع الحلي ويسمونه انثى بني فلان وقيل
كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع
انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بها على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان
يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي يغريهم على ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فجعلت طاعتهم
له عبادة مريدا عاتيا خارجا عن طاعة الله ظاهر شره كالغلام الامرد والشجرة المرداء التي سقطت
اوراقها وظهرت عيدانها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
صفة اخرى له والواو للجمع اي جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع في لاتخذن وما بعده من الافعال
الدالة على فرط عداوته للناس والمفروض المقدور اي نصيبا فرض لي وقدر من قولهم فرض له في
العطا ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام البتك القطع والتفعيل للتكثير والتكرير اي يقطعونها لتحريم ما احل وهي عبارة عما كانت
العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او بالقوة
ولامرنهم فليغيرن خلق الله بمجاوزته عن طاعة الله الى طاعته واشارة لما يدعوه اليه علىما اوه تو به
فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم الانجاز ويمنيهم
الا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا باظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا اسم مصدر من حاص يحيص اذا
خلص ونجا وعنها حال منه وليس صلة له لان المصدر لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون اسم مكان
اي معدلا ومهربا بالغ في التنفير عن الشرك بوجوه اولها تحقير معبوداتهم وتنقيصها بالانوثة

على وجه صورة او صفة ويندرج فيما قيل من فقئ عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشي وعموم اللفظ يمنع التغيير
مطلقا لكن خص منه البعض كالختان بالنص ثم الفقهاء خصوا منه خصاء البهائم للحاجة بالقياس واما هو من
انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر وكبائر المعاصي كاللواطة فقد اندرجت تحت قوله ولاضلنهم والحمل الاسرع
حكاية ما ذكره الشيطان نطقا او اداء فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله صح

وثانيها انه دعاهم وعبادتهم اياها انما هو دعوة الشيطان وعبادته وثالثها وصف الشيطان بالمرادة
واللعن والتمنية والدعوة الى القبائح وفنون الاغوآء والاخبار عن نفسه بذلك على التاكيد القسمي
ورابعها الاخبار بان ولايته توجب الخسران الظاهر وخامسها تكرار اسم الشيطان في ثلاث مواضع
وترك اضماره الى اظهار اسمه الدال على البعد والطرد وسادسها تكرار تمنيته الكاذبة والاخبار بان
وعده ليس الا تغريرا محضا وقبولهم اياه غرورا باطلا وسابعها ان المشركين المطيعين له في الشرك وارتكاب
تلك المعاصي ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ثم قابل ذلك التنفير بالترغيب في الايمان والتوحيد
بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قد تقدم تفسيره وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه اي وعده وعدا لان مضمون الجملة
الاسمية التي قبله وعد والثاني لغيره اي وحق ذلك حقا ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره
ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث على سبيل الاعتراض والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيل ليس باما نيكم
ولا اماني اهل الكتاب اسم ليس وعد الله اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون
ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده تقدم
ذكرهم ثم قرر ذلك فقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا ويدل على التعميم للعاجل قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزآء بما كسبا سمى القطع جزآء وقوله عليه السلام في جواب ابي بكر رض اذ قال كيف
الصلاح بعد هذه الاية غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض تصيبك اللاوآء فهو ما تجزون ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع
العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات من للتبعيض لان المكلف لا يطيق عمل كل الصالحات والطاعات
بحسب الطاقة من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان وهو مؤمن حال
قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا نفعا ولا دفعا والعمل الصالح لا يكون الا للمؤمن فزيادته لبيان
ان المراد من عمل صالحا وهو ثابت على الايمان ولا بد من هذا القيد في تحقيق ما ضرب به بقوله فاولئك
يدخلون الجنة ولا عبرة لايمان اقترن بالعمل الصالح ثم زال ولا يظلمون نقيرا الا بالنقص عن الثواب
الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود فهو متعلق بالوعيد ايضا المذكور بقوله ومن يعمل سوءا
يجز به ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله استفهام معناه النفي اي لا احد احسن دينا منصوب

على

على التمييز وكنى بالوجه عن الانسان اذ كان اشرف الاعضاء ومعنى اسلم لله انقاد لاوامره وشرعه
وهو محسن جملة حالية موكدة وكون الغير احسن دينا منه لا يستلزم بلوغه منتهى المراتب البشرية
واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها فانه عليه السلام بعث على ملة ابرهيم وزيد
لها اشياء حنيفا مائلا عن سائر الاديان حال من المستكن في اتبع واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن
اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية فائدتها تاكيد
وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى والكرامة عند الله الى ان اتخذه خليلا كان جديرا بان
يتبع ملته وبان من اتبعه كان من احسن الناس دينا وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما وتنصيصا على انه
الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان
في الخصال ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وقيل ممن تتمة ذكر
العمال الصالحين والطالحين مقرر لوجوب طاعته عليهم وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان
الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة ووعد ووعيد ويستفتونك في النسا في ميراثهن اذ فيه
نزلت قل الله يفتيكم يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب في محل الرفع
بالعطف اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى على ان في يتامى النسا صلة يتلى وجاز
ان يكون بدلا من فيهن او ما يتلى مبتدا وفي الكتاب خبره والجملة اعتراضية او في محل الجر على القسم
وفي يتامى النسا على الوجهين بدل من فيهن واضافة يتامى الى النسا بمعنى من والكتاب على الوجه
الثاني هو اللوح المحفوظ وفائدة الاعتراض تعظيم المتلو وخاصة حكم اليتامى اي المتلو عليكم
في باب يتامى النسا حكم مثبت عند الله في اللوح حقه ان يراعى ويحافظ عليه فانه من عظائم الامور
عنده كما ان فائدة العطف في الوجه الاول تعظيمه بالاختصاص بالله وان حكمه حكم الله فان هذه
التوطئة تفخيم شان الموطأ له وكذلك فائدة القسم في الوجه الثالث فان الاقسام بالشيء تنويه
باسمه وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان
تنكحوهن كان الرجل منهم يضم اليتيمة ومالها الى نفسه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان
كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها فيجوز ان يكون المعنى في ان تنكحوهن لجمالهن
وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر الثاني لقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن ولا تنكحوهن والواو للعطف
دون الحال لانه مضارع مثبت فلا تدخل فيه الواو الا بتاويل لا حاجة اليه ههنا وظاهر النص
يدل على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب والجد ولا يعارضه احتمال ان يكون المعنى ان تنكحوهن اذا بلغن

لان الاصل في المطلق ان يجري على اطلاقه والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وكذا قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف
عليه اي وفي ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى النساء صلة فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا
على موضع فيهن ويجوز ان يكون منصوبا اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان
ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به
عليما ذكر بعد العمل ابلغ وعد ووعيد واعلى اشارة وتهديد وان امراة فاعل فعل يفسره الظاهر
خافت توقعت من بعلها لما ظهر لها من المخايل نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها ومنعا
لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما ان يتصالحا
بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله وقرئ ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة
الاولى والمفعول بينهما محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة في كل شيء فانه ابعث على التوافق
والتسالم مما اذا قيد بحالهما او خير من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور وجملة اعتراضية
اكدت باعتراضية اخرى وهي قوله واحضرت الانفس الشح لا تخاصما وعنادا فان النفوس
مجبولة على الشح كانها الزمته وجعلت حاضرة له لا تنفك عنه فانها لا تسمح بقسمها او بسائر
حقوقها او ببعضها فلا يغضب الزوج عليها ولا يسامحها فان الشح كالامر الطبيعي للنفوس
لا ذكر ولتسامحه ولا يتباغضا ويتشاقا وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن
وتتقوا النشوز والاعراض مراعاة لحقوق الصحبة خص الخطاب بالازواج اشارة الى انهم
اولى باقامة حقوقهن والاحسان والتقوى فانهن نواقص العقول فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا يجازيكم عليه ويثيبكم به ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
حتى لا يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب لهن البتة ولو حرصتم من جهة التكلف ومراعاة
العدالة في الحقوق فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فرفع ذلك عنكم تمام العدل والتسوية في
الشيء وما كلفتم الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة
المرغوب فيها عن المرغوب عنها فتمنعوا لها قسمتها من غير رضى منها فان ما في وسعكم فتذروها
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة فيه ضرب من التوبيخ وان تصلحوا ما كنتم

تفسدون

تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من مثل ذلك فان الله كان غفورا رحيما غفر الله
لكم الماضي ورحمكم بالتوفيق للعدل في المستقبل وان يتفرقا اي يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا
منهما عن صاحبه وكفاه امره بدونه من سعته من سعة رحمته وكان الله واسعا من جهة الافضال
بل من جميع جهات الفضل والكمال حكيما لا يامر عباده الا بما هو مصلحة وحكمة ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق
بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله اي بان اتقوا الله او
يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول واللام في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية
لان المراد ولقد وصينا الامم السالفة كلها ووصيناكم اي هذه التوصية قديمة ما زال يوصي
الله به عباده لستم مخصوصين به فان السعادة في التقوى وفيه تعظيم لاهل التقوى وان
تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى
امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله الخلق كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم بين بقوله وكان الله غنيا عن الخلق
وعبادته حميدا في حد ذاته حمد او لم يحمد ان خلقه العالم ليس لحاجة ومصلحة فانه كان غنيا قبل
خلقه حميدا قبل حمد الحامدين ولله ما في السموات وما في الارض جملة معطوفة على ان اتقوا
الله لان المعنى امرناهم واياكم بالتقوى تكرير لبيان عظمته وغناه وتقرير لوجوب تقواه فتقديمه
على التوصية تمهيد لعظمته ومالكيته وكونه اهلا لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه وتاكيد
للاول في تقرير معناه والثالث تقوية لما ذكر من كونه حميدا لبيان الكل وكون الاشيا كلها في
طاعته وحمده وعبادته فلا يضره كفركم وكفى بالله وكيلا اعتراض موكد لمالكيته ومدبريته للكل ببيان
انه لم يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه ويتوكلوا عليه وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنين وفيما بعده تخويف وتهويل شديد وابعاد وتهديد بليغ لاعدائهم ان يشا يذهبكم ايها الناس
اي يميتكم ويفنيكم كما اوجدكم وانشاكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد
قوما اخرين مكانكم يوالونه عليه السلام ويومنون به والخطاب لمن يعاديه من كفار العرب وكان الله
على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا اذ لا يمتنع شيء على قدرته وارادته ويروى انها لما نزلت ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ظهر سلمان قال انهم قوم هذا ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يطلب الغنيمة بجهاده فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فلا وجه لارادته فعند الله ثواب

الدارين فانه يطلب الاخس ويترك الاشرف وفي الحديث ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة
ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا فان الاشرف يستتبع الاخس دون العكس فمن جاهد لوجه الله لم تفته
الغنيمة ولمن ثواب الاخرة ما الغنيمة بجنبه كلاشئ فليرد خيرهما وكان الله سميعا باحاديث نفوسكم
بصيرا بنياتكم واراداتكم في اعمالكم وفيه وعيد لمن وقف مع هوى نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن
اخلص لوجه الله وطلب الاشرف الباقي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ملازمين للعدل
دائمي القيام بها شهداء لله لوجه الله وهو خبر ثان لا حال لانهم مامورون بكونهم قوامين بالقسط
مطلق فلا وجه لتقييده بحال الشهادة ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها فان الشهادة بيان الحق سواء كان على نفسه او على غيره او الوالدين والاقربين اخره ولم
يسلك طريق الترقي لمكان قوله ان يكن اي المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة
الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا لغناه او ترحما لفقره فالله اولى بهما اي بالغني والفقير وبالنظر
لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما
ليس للمذكور اعني احد الجنسين حتى يلزم افراده بل لما دل عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان
في اشتراط احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة وهذا القدر من البيان لا يتم الكلام في هذا
المقام بل لا بد من بيان وجه العدول عن الظاهر وجعل الضمير للمدلول دون المذكور وهو انه
للقصد الى التعميم اولية وان لا يتوهم انها بالنسبة الى الواحد فقط وقراءة اولى بهم شاهدة
على ارادة الجنس فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان
تعدلوا عن الحق على ان يكون علة للنهي وطلب الترك اي انهاكم عن اتباع الهوى ارادة لعدلكم او
كراهة لعدولكم وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا اي وان
وليتم احدهما من اقامة الشهادة والحكومة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او عن الحكومة بالعدل
فان الله كان بما تعملون خبيرا يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا امنوا دوموا على الايمان بالله ورسوله
والخطاب للمسلمين او امنوا بقلوبكم كما امنتم بلسانكم والخطاب للمنافقين او امنوا ايمانا عاما يعم
الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع انكار الباقي كلا ايمان والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
ويشهد له انه روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه فنزلت ويساعده التفصيل في قوله والكتاب الذي نزل على رسوله يعني
القران فانه نزل منجما ولهذا قال نزل بخلاف سائر الكتب والكتاب الذي انزل من قبل اريد به

الجنس

الجنس وذكر المنزل عليه في الاول بوصف الرسالة والاضافة الى نفسه تعالى لا يخفى من التشريف
والتعظيم له عليه السلام ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشئ
من ذلك وفي التعبير عنه بالوجه المذكور تنبيه على ان الايمان بتلك الجملة في حكم الايمان بشئ واحد فالكفر
ببعضه في حكم الكفر بكله فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين
امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين اذ هم المتلاعبون بالدين بالكفر
بعد اخرى والاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ولذلك جاء بعده بشر المنافقين اظهارا
لحالهم واخبارا عن مآلهم لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى ارادة المغفرة لهم ولا ليهديهم
سبيلا لان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وخبر كان في امثال هذا محذوف
تتعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وضع بشر مكان
انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب على الذم
لا النعت لوجود الفاصل فلا يرتكب حيث لا ضرورة او في محل الرفع على الذم ايبتغون عندهم
العزة الهمزة للانكار اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة ثم بين امتناع
حصول مطلبهم بحصر العزة في اولياء الله تعالى مع التاكيد بان وجميعا بقوله فان العزة لله جميعا
اي ما العزة الا لاولياء الله الذين اعزهم بنصره وكتب لهم العزة كما قال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة الى عزتهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القران
والخطاب للمؤمنين والمنزل عليهم ما نزل بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرئ والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات
الله وهي المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم ايات الله وهذا على طريقة قولهم سمعت
فلانا يقول فالمسموع ههنا استهزاؤهم بايات الله تعالى لا الايات يكفر بها ويستهزأ بها حالان
من الايات والاولى تمهيد للثانية تعظيما لامر الاستهزاء بالقران وانما جيء به لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم الضمير لما دل عليه قوله يكفر بها من الكفرة حتى يخوضوا في
حديث غيره اي غير ما خاضوا فيه والخوض الشروع وحتى غاية للنهي وانما جعل غايته الخوض في
حديث غيره دون السكوت عنه لانه لا يدل على الفراغ عنه بخلاف الخوض بحديث اخر انكم
اذا مثلهم اي اذا مكثتم معهم فانتم مثلهم في الوزر لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه لان خوض المنافقين فيه كفر ومكثهم معهم معصية اذ

عدم انكارهم عليهم لا يدل على الرضا وعلى تقدير تسليم الدلالة عليه فالرضا بالكفر ليس بكفر اذ لم يكن مع استحسان له وتخصيص الخطاب بالمنافقين لا يساعده السباق ولا القضية اللحاق على ما سنقف عليه باذن الله تعالى واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني قيل لما نزلت هذه الاية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم المنافقون بذلك فكانوا يكثرون الخوض فيه قصدا الى تعريفهم ومن ههنا ظهر وجه انتظام قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين اي جامع لذينك الفريقين في جهنم وقوله جميعا لاحاطة افرادهما وسياق الكلام لذم المنافقين وموجب ذلك ان لا يجتمع المذنبون من مخلصي المؤمنين مع الكفار فيها وذلك بخروجهم قبل ان يدخلوا الذين يتربصون بكم ينتظرون تجدد حال بكم وهذا بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين خاصة او ذم مرفوع او منصوب وجوز ان يكون مبتدأ والخبر قوله فان كان لكم فتح من الله وفيه ضعف لنبو المعنى عنه ولزيادة الفاء في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر الشبه باسم الشرط قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال وانما سمي غلبة المؤمنين فتحا وغلبة الكافرين نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر اهل الاسلام امر عظيم تفتح له ابواب السماء وينزل النصر على اوليائه واما غلبة الكفار فما هي الا حظ دني في كثار الوغى قالوا الكفرة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا في ما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني ان ما في حقهم من الامهال في الدنيا استدراج لهم لا اهمال لامرهم والفاء السببية للدلالة على ان الحكم الموعود عليهم لا لهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة ولا متمسك فيه لاصحاب الشافعي على فساد شراء الكافر المسلم ولا للحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اوائل سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان اي متثاقلين كالمكره على الفعل يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى

من يرائيه عمله وهو يرى استحسانه كسالى ويراؤن منصوبان على الحال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا لاشتغالهم بامور الدنيا وتهالكهم عليها اما عطف على يراؤن واما حال من ضميره وقيل اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله ويأباه العطف بالواو وفي حقه العطف بالفاء مذبذبين بين ذلك مرددين بين الكفر والايمان من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصل الذب بمعنى الطرد حال من ضمير يذكرون او يراؤن او منصوب على الذم وقرئ بكسر الذال اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة واخرى في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية وفي ذمهم بهذا الوجه دلالة على ان النفاق اخبث من الكفر الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب اعتراض لبيان ان تلك الذبذبة من الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل ظاهر على النفاق والهمزة للانكار والتقرير ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم وهي اشد عذابا ولذلك يقول الكافرون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض والمنافقون اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين ولذلك استحقوا اشد العذاب واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان فمن باب التغليظ وقرئ في الدرك بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من احوالهم واسرارهم في حال النفاق واعتصموا بالله تمسكوا او وثقوا به كما يثق المؤمنون الموقنون واخلصوا دينهم لله بالبراءة عن الرياء وتخصيص العبادة به وابتغاء وجهه بالطاعات فاولئك مع المؤمنين اي اصحابهم ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ويشاركونهم في الاجر ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم انكار لانتفاعه تعالى بعذابهم اي منزه عن الاغراض التي انما يعذب الملوك لاجلها لا يتشفى به من غيظ ولا يدرك به ثارا ولا يستجلب به نفعا ولا يستدفع ضرا كما يفعل الملوك لانه الغني المطلق الذي لا يجوز عليه شيء من

ذلك وانما العذاب لمقتضى حكمته فان شكرتم نعمه باستعمالها فيما يجب وتوسلتم بها الى
معرفته وامنتم به فقد ابعدتم استعدادكم عن استحقاق العقاب وكان الله شاكرا مثيبكم بايفا
اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم انما قدم الشكر على الايمان لان اعظم الشكر هو الاستدلال بالنعمة
على المنعم الموصل الى معرفته ثم استعمالها في طاعته والاستدلال مقدم على الايمان لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول انما ذكر هذا الوصف مع انه تع لا يحب السوء مطلقا لانطباقه لسبب النزول
روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت الا من ظلم
الا جهر من ظلم بالدعا على الظالم وذكره بما فيه من السوء فالاستثنا متصل وقرئ ظلم على البنا للفاعل
على انه منقطع اي ولكن الظالم يجهر بالسوء فاعلا لا يحبه الله او على البدل من الفاعل اي لا يحبه
الا الظالم على لغة من يقول ما جاني زيد الا عمرو بمعنى ما جاني الا عمرو ومنه قوله تع قل لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله وكان الله سميعا يسمع قول المظلوم عليما يعلم فعل الظالم
ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء خص العفو بالذكر مع
انه يلزم القسمين لكونه المقصود على اي وجه كان وذكر ابدا الخير واخفاه تشبيه له ولذلك
رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اكثر العفو عن العصاة مع القدرة على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنته وتخلقوا باخلاقه فختم العفو بجعله صفة سبحانه وتعالى والحث على الاتصاف
به وتعظيم صاحبه بانه سميه ان الذين يكفرون بالله ورسله قوله بالله توطئة لرسله بدليل
قوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بالايمان والكفر بالرسل والمراد بالتوطئة
بيان ان الكفر بالرسل كفر بالله فالتفريق خط ظاهر اذ لا واسطة بين الكفر والايمان ويقولون
نومن ببعض ونكفر ببعض نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر اومى في اول الاية ان الكفر بالبعض كفر
بالكل وصرح به في اخرها بقوله اولئك هم الكافرون على سبيل الحصر بتوسط الضمير وتعريف
ما بعده اي الكاملون في الكفر وبالتاكيد بالمصدر فان قوله حقا مصدر موكد لغيره او
صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا اراد الاهانة في الغاية والا فمعلوم ان العذاب لا يكون الا مهينا والذين امنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وقد سبق وجه دخول بين على احد
في اخر سورة البقرة اولئك سوف نوتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد

الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر ويوتيهم بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بتضعيف حسناتهم يسالك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السما نزلت في احبار اليهود اذ قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السما
جملة كما قال تع وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وقيل كتابا بخط سماوي
على اللوح كما كانت التورية او كتابا الينا باعياننا كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى
صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل كما قالوا لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط محذوف دل عليه يسالك اي ان سالوك ما كبر عليك
فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اي فلك في الانبيا اسوة ولهم في ذلك سابقة وانما قال فقد
سالوا والسائلون اسلافهم لانهم على طريقة واحدة ورثوها كابرا عن كابر فهم واوائلهم قوم
واحد على مذهب واحد في التعنت وعرقهم راسخ في ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه
نراه جهرة عيانا او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جات من السما فاهلكتهم بظلمهم
بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السوال فلا دلالة فيه على استحالة المسول ثم اتخذوا العجل من
بعد ما جاءتهم البينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية لان اتيانها بعد ذلك فعفونا عن
ذلك اي تابوا فعفونا والفا فصيحة يرشدك اليه قوله في البقرة ثم عفونا عنكم واتينا موسى
سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب اي باب ايليا سجدا
متطامنين عند الدخول رووسكم وقلنا لهم على لسان داود ويجوز ان يكون موسى فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتدا فيه والمسخ في زمن داود لا تعدوا في السبت وقرئ لا تعدوا على ان اصله
لا تعتدوا فادغمت التا في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم متعلق بمحذوف اي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وكذا وكذا فعلنا بهم من تحريم الطيبات
عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم وحذف لدلالة ما بعده عليه واما بقوله حرمنا واعتدنا على ان
قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم وما عطف عليه وما مزيدة للتاكيد والتحقيق
ان تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم لم يكن الا بنقض العهد وما يتبعه من الكفر
بالايات وقتل الانبيا وغير ذلك والفا فصيحة عاطفة على محذوف تقديره ثم نقضوا الميثاق
فبسبب نقضهم الميثاق فعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله بما في كتابهم وقيل بالقران وفيه انه

ح حقه ان يؤخر عن قوله وقتلهم الانبيا بغير حق قد سبق تفسيره في سورة البقرة وقولهم قلوبنا
غلف معناه باغطية خلقية لا يصل اليها شي من الذكر والموعظة بل طبع الله عليها بكفرهم
رد لما قالوا اي لم يخلق قلوبهم غلفا بل طبع الله عليهم وخذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم فلا
يؤمنون الا قليلا ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ويجوز ان يكون القلة كناية عن العدم وقد
سبق وجهها في سورة آل عمران واما ما قيل المعنى الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام فياباه التفريع
على ما تقدم وبكفرهم يعني بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله
فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذلك ايذانا
بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم يعني نسبتها الى
الزنا والعول اذ التعدي بعلى يكون بمعنى الافترا ونصب بهتانا على تضمين معنى باهتين وقوله
عظيما تاكيد لما في تنكير بهتانا من التفخيم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قالوه
استهزا كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استينافا بان يضع
الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما يذكرونه به وعيسى
بدل من المسيح او عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز ان يكون صفة ايضا واجاز ابو البقا
في رسول الله هذه الاوجه الثلاثة الا ان البدل في المشتقات قليل وقد يقال ان رسول الله
جرى مجرى الجوامد وما قتلوه وما صلبوه تخصيص بعد التعميم لكونه محل الاهتمام او نفي لما
ظنهم من انهم قتلوه ثم صلبوه ولكن شبه لهم مسند الى الجار والمجرور كانه قيل وقع لهم التشبيه
او الى ضمير المقتول المدلول عليه بقوله انا قتلنا كانه قيل شبه لهم من قتلوه روي انه دخل
رجل من اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ
وصلب وامثال ذلك من الخوارق لا تستبعد في زمان النبوة وقيل ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه
الى السما فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم
فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب واما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرائتهم على الله وقصد قتل
نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسبانهم وان الذين اختلفوا فيه في
شان عيسى وذلك انه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان
كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم

الوجه

الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السما انه رفع اليها
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه من امره والمراد من الشك التردد ولما
احتمل ان يكون الوقوع في الشك الاكثر دفعه بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثنا منقطع والمعنى انهم مترددون على الشك لكن قد يلوح لهم امارة فيحصل ظن ثم يزول ويعود الشك
وهذا ادل على شدة الحيرة من استمرار الشك بلا انقطاع هذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب
دقيقه ان المراد من الشك ما يلزمه من الحيرة التي لا محيص لهم عنها وعبارة في الدالة على الثبوت كما
والتقرير انما تشاهد هذا وما قتلوه يقينا صفة مصدر محذوف اي وما قتلوه قتلا يقينا او
حال اي وما قتلوه متيقنين فيما ادعوا من قولهم انا قتلنا المسيح او تاكيد لما قتلوه كانه قيل وما قتلوه
حقا اي حق انتفا قتله حقا وهو تاكيد لغيره بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
الى منزلة عالية مما كان فيه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما في تدابيره ويدخل فيه
دخولا اوليا ما دبره في امر عيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية
وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى اي ما من يهودي ولا نصراني الا
ليؤمنن قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه بان عيسى عبد الله ورسوله ويؤيد
ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض
على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولا ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل
من السما امن به اهل الملل جميعا فتكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وهذا يقتضي تخصيص
اهل الكتاب بالذين هم يوجدون عند نزوله عليه السلام وتعميم الحكم لغير الكتابي ايضا فعلى ما ذكر يكون
في المنزل التخصيص في موضع التعميم وتعميم في موضع التخصيص ويوم القيمة تقديمه للتخصيص يكون عليهم
شهيدا فيشهد على اليهود بالتفريط في حقه وعلى النصارى بالافراط فيه فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الاية والتنكير في بظلم
للتعظيم وتقديمه على ما تعلق به يفيد التخصيص وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا
وانما اعيدت الباء هنا دون واخذهم وما بعده للفصل بين المعطوفين بما ليس معمولا للمعطوف عليه
بخلاف الفصل فيما بعده فان الفاصل ثمة بالمعمول للمعطوف عليه واخذهم الربوا وقد نهوا عنه اي
نهي تحريم بدلالة السياق فلا دليل فيه على ان النهي المطلق يدل على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون من تاب عذابا اليما في الغاية

لكن الراسخون في العلم كعبد الله بن سلام واصحابه والمومنون اي منهم او المهاجرون والانصار
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان
فضيلة الصلوة او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا اي يومنون بالكتب والانبيا وقرى
بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يومنون او على انه مبتدا الخبر اولئك سنوتيهم والموتون
الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمومنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبيا
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود من الاية اولئك سنوتيهم اجرا عظيما
على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح بدا به لانه اول من
شرع له الشرائع وسنت له السنن والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبيا واوحينا الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع
اشتمال النبيين عليهم لان ابرهيم اول اولي العزم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبيا
ومشاهيرهم ولم يذكر موسى ههنا لان له طريقة مخصوصة على ما سياتي التصريح بها وايضا
قد انزل عليه كتاب من السما دفعة واحدة فلا يناسب ذكره في الرد على ما طلبوا من ذلك واتينا
داود زبورا وقرى زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا منصوب بمضمر دل عليه اوحينا
او بما فسره قد قصصناهم عليك من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم قوله تكليما لدفع المجاز قال
الفرا العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق
به لم يكن الا حقيقة الكلام رسلا مبشرين ومنذرين منصوب على المدح او على التكرير للتاكيد
او على الحال الموطئة كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما يجب الانتباه له
ومن قال وفيه تنبيه على ان بعثة الانبيا الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها فلم ينتبه لعدم مساعدة الاقتصار على التبشير والانذار لانه
فان الاهم ح ذكر بيان الاحكام كما لا يخفى على ذوي الافهام واللام متعلقة بارسلنا او بقوله
مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة
لانه مصدر وبعده ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريد حكيما فيما دبره ودبر

فيه

فيه بتدبيره في النبوة وتخصيص كل نبي من الانبيا المذكورين بما خص به دخولا اوليا لكن الله
يشهد استدراك عما دل سوالهم فانه لما اجاب عن اقتراحهم انزال كتاب من السما تعنتا واحتج
عليهم بان طريق الوحي المنزل على جميع الانبيا على هذا الاسلوب دل على انهم لا يشهدون به ولما
لم يبالوا الوضوح ولم يتعنتوا فقال لكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره
بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد
لك فنزلت انزله بعلمه حال اي ملتبسا بعلمه جملة معترضة اوردت بيانا للشهادة اي بعلمه
الخاص وهو العلم بتاليفه على وجه يعجز عنه كل بليغ او حال من يستعد للنبوة ويستاهل
نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم وعلى هذا يكون الحال
عن المفعول وعلى الاولين عن الفاعل والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وكفى بالله شهيدا اي
وكفى بما اقام به من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لجمعهم بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق
في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظلموا
انفسهم بالضلال وغيرهم بالصد والاضلال لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تع المغفرة
لهم ما داموا على ذلك ولا ليهديهم طريقا لامتناعهم عن قبول ذلك الا طريق جهنم لانجذابهم اليها
بهواهم ولا يهديهم يوم القيمة الا طريقها خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على
ان من مات على الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظم يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق البا للتعدية اي بالكتاب
او الدين الذي هو الحق او للمصاحبة اي ملتبسا بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق
الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد
على عدمها فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض اي فان الله غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم لان له ما في العالم كله فحذف الجزا
واقيم تعليله مقامه وعبر عن العالم بقطريه وكان الله عليما باحوال العالم حكيما فيما دبر له

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تع حقيق بالحمد باعتبا

انعام

ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمال وعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه له باعتبار
افعاله العظام وآثاره الجسام ايضا حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع
السموات دون الارض مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد في
الاخبار دون الارض والآحاد لاختلاف آثارها وحركاتها على تعددها فبناها على اصول فلسفية باطلة
وقدمها لا لتقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير
سورة البقرة بل لشرفها وعلو مكانها وعبر بهما باعتبار انهما قطر العالم عن جميع الاجسام لطيفها
وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع الاعراض محسوسها بالبصر وغائبها عنه وجعل
الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى
التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان يكون فيه او منه او
اليه لا بان يصير اياه لانه معنى آخر للجعل فانه ح يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون الارتباط
بالغير معتبرا في معناه آثره ههنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير وتضمينا
للرد على الثنوية بتقدير عدم صلاحيتهما للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف
اجناس ما غاب عن البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة
والباطنة بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس الغائب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان
وهو جنين ولا يظهر له ما يدرك بالبصر ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا
يعني بالآخرة على ما افصح عنه قوله والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون عطف
على خلق وفي ثم معنى استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل حصل ما اوجب
توحيده من خلق السماء والارض وما بينهما بناء على انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا بربهم
يعدلون حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون غيره اي يشركون به واصل
العدل المساواة اي ساووا بين الله خالق العالم وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان
هذا العطف ليس على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه من الرادف لتلك
الصلة ولهذا حسن كلمة الاستبعاد دون كلمة التشريك وتمحضها لمحض التراخي السببية في
قولنا اتاني فاكرمك انقطع عنه علاقة التشريك فلم يكن في معنى الحمد لله الذي عدلوا به ولتضمنه
البشارة بالاشارة الى غاية لطفه ونهاية حلمه زاد وجه ذلك الارداف حسنا ولطافة
ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين

كفروا به يعدلون عنه فيكفرون نعمته وحذف صلة يعدلون ابقاعا للانكار على نفس الفعل
ووضع المظهر موضع الراجع الى الموصول تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم
فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي
خلقكم من طين اي خلق اصل مادتكم وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم
وهو آدم كائنة من طين وللتباعد بين الخلق الصوري والتقدير المعنوي قال ثم قضى اجلا نوعا
من الاجل يحتمل التجاوز عنه واجل آخر لا يحتمل دل على ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح
عن هذا التفصيل قوله تع ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما
تقف عليه وعلى ابين الفاصلين من المواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح والذي عبر عنه
ثمة باضافة الاجل الى الله هو المعبر عنه ههنا بقوله عنده اي ثبت تعينه ثم اضرب بان ذلك المتعين
عنده حسما لطمع التغير ولكون ذلك الاجل مبهما نظرا الينا ذكر منكرا وانما قدم وهو نكرة على خبره
وهو ظرف لفاصل بينهما بما هو مخصص له ثم انتم تمترون الامتراء التردد في المتقابلين مأخوذ
من مري الضرع اي مسحه والفرق بينه وبين الريب والشك قد مر بيانه في تفسير قوله تع
لا ريب فيه والامتراء لهم فيما ذكر حقيقة الا انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في
الموت وانما ذكر ثم مع زيادة الالتفات في انتم تنبيها على زيادة الاستبعاد وهو الله
الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله اي هو المستحق للعبادة
فيهما لا غير او هو المتوحد بالالوهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق الظرف بقوله يعلم ويكفي لصحة
الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او
بالمصدر وهو بمعنى المفعول فليس بمقدر بحرف مصدر وصلته حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة
خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون الظرف مستقرا وقع خبرا والمعنى انه لكمال علمه
بما فيهما كانه فيهما وفي الجملة الفعلية الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار في الظرف بيان وتقرير له
سركم باطنكم اي نفوسكم وجهركم ظاهركم اي ابدانكم وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور
يكون المعنى يعلم نفوسكم المفارقة في السموات ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم ما
تكسبون بالقوى النفسانية والجوارح البدنية لانه تع خالق والخلق كاسب ولما كان
مقتضى العلم بذلك كونه خالقا له وهو مظنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد
الفعل اهتماما بالتحقيق ذلك المقتضي ولما اثبت المبدأ مع ما يتوقف عليه البداية من التوحيد

ثم اثبت المعاد مع ما تتوقف عليه الاعادة من العلم بن ثبوت النبوة بشهادته واوعد
للمنكرين بقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق دل عليه وقوع
اية في سياق النفي والثانية للتبعيض كانه قيل ما ياتيهم بعض من الايات اي بعض كان
فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق والايات هي المعجزات الظاهرة لهم واسنادها
الى الرب للتعظيم والتنبيه على انها صادرة عنه تع تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم الا كانوا
عنها معرضين تاركين لها غير ملتفتين اليها لكونهم غير مبالين بالعواقب وفي العدول عن
صيغة الفعل وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم وقوة ثباتهم فيه وزيادة تمرنهم عليه
فقد كذبوا الكلام كاللازم لما قبله اي اذا اعرضوا عن الايات كلها فقد كذبوا بالحق لما
جاءهم اي بها او كالدليل عليه اي ان اعرضوا عن الايات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم
الايات كلها واجلها وهو الحق لما جاءهم اي القران الذي تحدوا به فعجزوا عن الاتيان بمثله
وكانه لوضوحه معلوم عند الكل ان الحق هو لا يحتاج الى تسميته وعلى هذا معنى الابهام
في انباء ما كانوا تعظيم القران وتفخيم شانه اي سيعلمون باي شيء استهزاوا وينكشف
لهم انه لم يكن في موضع الاستهزاء فسوف ياتيهم يعني الاتيان كائن لا محالة وان تاخر
ففائدته تاكيد الوعد وتثبيته لا بيان كونه متاخرا انباء ما كانوا به يستهزؤن اخبار ما استمروا
على تجديد الاستهزاء به حينا فحينا تارة بنسبته الى السحر واخرى الى الشعر واساطير الاولين
ان هو الا ذكر وقران مبين ولتعلمن نباه بعد حين والمراد من اخباره ما فيه من الوعد
للمصدقين والوعيد للمنكرين آجلا وعاجلا وهذا منهم غاية العصيان ونهاية التمادي
في الطغيان حيث اعرضوا عما هو اية بينة اولا وكذبوه ثانيا وسخروا به ثالثا ومن الرحمن
زيادة فضل واحسان اذا اخرهم الى حين ولم يعجل لهم بالعذاب المهين شدد عليهم النكير وهدد
لهم ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا
ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
ماخوذ من قرن الشمس وهو اعلاها واول ما يبدو منها وقال الزجاج عندي القرن هو اهل
كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء قلت السنون او كثرت والتقدير يرده قوله صلى
الله عليه وسلم خيركم قرني يعني اصحابه ثم الذين يلونهم يعني التابعين ثم الذين يلونهم يعني
تابعي التابعين مكناهم في الارض اي اثبتناهم فيها تمكين اباءهم وابناءهم فيها كناية عن

طول عمرهم كان تاليه كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ من مكن له اي جعل له مكانا
فكانه قال اثبناهم ما لم نوت لكم ما يقرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم
والخطاب لاهل مكة وارسلنا السماء عليهم مدرارا السماء اي المظلة والمرسل والمدرار هو المطر والسحاب
فلا بد من التجوز في المسند اليه او في الاسناد والمدرار مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث معناه
كثير الدرور وجعلنا الانهار لم يقل واجرينا الانهار جريا على تجري قرينة السابق لان النهر انما
يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان يجري وان لا يجري وهو نهر بخلاف الماء النازل من السماء
فانه قد يحبس وقد يطلق وهو هو وانما صدره بالواو الدالة على الاستقلال دون الفاء لان
المقام مقام تقدير النعم العظام وفي ضمنه الاشارة الى ان الانهار ابراد لا يلزم ان يكون من
الامطار فافهم بهذا الاعتبار تجري من تحتهم خص هذا الوصف بالذكر لانه مما يتعاظم الناس الا
ترى الى قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم بذنوبهم الفاء فصيحة تفصح عن محذوف
تقديره بطرت معيشتهم كما ورد في قوله تع وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وانشانا من بعدهم
تحقيق لامر الوعيد بتسهيل شان الاهلاك فان من قدر على انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك
بعضهم بذنوبهم وفي عبارة الانشاء اشارة الى انهم قلعوا من اصلهم واستوصلوا فلم يبق احد من نسلهم
ويعضد ذلك ما رواه ابن مسعود رض عن النبي عليه الصلوة والسلام انه قال ان الله لم يهلك قوما او
يعذب قوما فجعل لهم نسلا قرنا اخرين يعمر به بلادهم وحاصل الوعيد انه تع كما يقدر ان يهلك من
قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل مثل ذلك بكم قيل جماعة من
قريش قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا عليك نزل ههنا بمعنى انزل كخبر بمعنى اخبر
كتابا مكتوبا في قرطاس ورق لم يقتصر على رويتهم الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد
بقوله فلمسوه تقوية للادراك البصري بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس فيه دفع ما عسى
ان يقولوا سكرت ابصارنا وما نزل من السماء شيء اذ باللمس انما يندفع احتمال كون المرئي مخيلا واما
نزوله من السماء فلا يثبت به ثم ان اللمس ابلغ من المس لانه لصوق باحساس والمس لصوق فقط ولذا كان
اثر اللمس عليه بايديهم انما قيده به لان اللصوق بالاحساس يكون بجميع الاعضاء ولليد خصوصية
في الاحساس ليست في سائرها ولا التجوز باللمس عن الفحص كما في قوله تع وانا لمسنا السماء فلا يندفع
به اذ لا بعد في ان يكون ذلك لبيان مباشرتهم للفحص بانفسهم بل يندفع بكون المعنى انسب للمقام

وما سيق له الكلام لقال الذين كفروا عدل عن الظاهر حيث لم يقل لقالوا تنبيها على ان هذا اللبس
باول الكفر منهم ويجوز ان يكون تعريف الموصول للعهد والمراد به اشخاص باعيانهم توغلوا في التعنت
والعناد على وفق ما ذكر في سبب النزول فيكون التوصيف بيانا للسبب لقولهم هذا ان هذا الا
سحر مبين توصيف السحر بالمبين في مقابلة توصيف المنزل بكونه ملموسا بايديهم فكانهم عارضوا
تاكيده الفعلي في الاظهار بتاكيدهم القولي بالانكار وهذا دليل غاية عنادهم ونهاية خبثهم وفسادهم
وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان
المانع من انزال مقترحهم والقضاء الاتمام والالزام والمعنى لتم امرهم لوجوب العذاب بعد ذلك
وهذا لانهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم الملك كما اخبر الله في قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وسنة الله في الكفار قد جرت على انه متى اقترحوا
اية قاهرة فظهرت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب كما افصح عن ذلك اية المائدة ولكن الله تع
ابى من استيصالهم به تعظيما لنبيه كما اخبر به في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم لا ينظرون
اي لا يؤجلون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل العذاب ولم يؤخروا طرفة
عين يعني بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب وفي لفظة ثم اشارة الى ان لهم مهلة قدر ان يتاملوا
فيما نزل فيؤمنوا بالاختيار والاختبار لا بالالجاء والاضطرار فافهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اي
الرسول ملكا لجعلناه اي لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية وذلك لان ابصار عامة
البشر لا يقدرون على النظر الى صورة الملك للطافته وضعف شعاع ابصارهم جواب اقتراح ثان
فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة واحتمال ان
يكون جوابا ثانيا على ان الضمير للملك المقترح انزاله تاباه عبارة جعلناه ملكا فان المناسب ح
ان يقال ولو انزلناه ملكا لجعلناه رجلا وانما لم يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام
معنى زائدا على اصل المرام وهو الاشارة الى ان شان الرسالة البراءة عن النقصان ولا بد من رعايته
على التقدير المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول المفروض في صورة امراة ولا في صورة صبي ولما
كان تفصيل ما ذكر انه لا نفع لهم فيما سالوا لانه اذا كان في صورة رجل لا يعلمون انه ملك لا يجدي
نفعا في دفع شبهتهم اتجه ان يقال يجوز ان يكون له اثار الملك في صورة الرجل فيندفع الاشتباه
بذلك تدورك دفعه بما مرجعه الى انه لا بد من الالتباس والاشتباه كيلا تفوت حكمة التكليف
فقوله وللبسنا من تتمة الجواب وقرئ باللامين على تقدير شرط اخر وقرئ بلام واحدة على

العطف

العطف وبالتشديد فيهما للمبالغة عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم الان
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له صلى الله عليه وسلم من استهزائهم به بان له في الانبياء
اسوة وان ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء وتنبيها لنا على ان قولهم ذاك على
سبيل الاستهزاء والا فهم عقلاء يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا من جنسهم ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق اي احاط بسبب ذلك الاستهزاء بالذين سخروا منهم والمراد الاهلاك من احاطة العدو فالحيق
لا يستعمل الا في الشر منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم لا يتعدى انفسهم وهو مدلول القول الاتي وان
يهلكون الا انفسهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذي كان الرسل يخوفهم نزوله فلا تجوز
لا في الاسناد ولا في المسند اليه لما ذكر اهلاك المستهزئين المكذبين امر بالسير في الارض للاعتبار
بما لهم من مساكنهم فقال قل سيروا في الارض اي انتشروا في ديار قوم نزل بهم العذاب فاخبروا
واعتبروا ولما كان في هذا السير المامور به باعتبار الابتداء واما قوله تع قل سيروا في الارض فانظروا
فلعل المراد من الارض فيه ما هو المشهور من ارض قوم نزل العذاب بساحتهم فجيء بحرف التعقيب
تنبيها على ان السير انما امر به لاجل النظر فحقه ان لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة السير في
الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد
ما بين الواجب والمباح تاباه سلامة الذوق لان اقحام امر اجنبي وهو بيان اباحة السير للتجارة
بين الاخبار عن حال المستهزئين وما يناسبه وما يتصل به من الامر بالاعتبار باثارهم مما يخل
بالبلاغة اخلالا ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال وانما
عبر عنهم بالمكذبين دون المستهزئين اشارة الى ان مال من كذب ان كان كذلك فكيف الحال
في من جمع بينه وبين الاستهزاء قل لمن ما في السموات والارض الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون
ان يضيفوا خلقهما وملكهما الى غيره تع ولذلك عقبه بقوله قل لله تقرير لهم اي لا خلاف بيني
وبينكم في ذلك وفيه انهم مع كونهم مقرين بذلك على ما افصح عنه قوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله تثاقلوا في الجواب وانقطعوا لما ظهر من كونهم محجوجين فقرر ذلك عليهم
كتب على نفسه الرحمة في الدارين اي التزمها تفضلا واحسانا لا انه ذاته اوجبها على نفسه بمقتضى
حكمته وهذا استعطاف منه تع للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل
العقوبة ويقبل الانابة والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذلك قال الى يوم القيمة اي الى
واقعتها في موقفها كيوم مدبر استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل

بمعنى الاسناد او حي ويطلب التراخي فلا ود
ثم انظروا فان النظر وان لم يتراخ
عن السير باعتبار الابتداء ومتحد معه متراخ م

اى انه تع ليجمعنكم الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف الحساب والعذاب لحصل الهرج والمرج
وارتفع الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب فى العقبى من اعظم اسباب الرحمة فى الدنيا ولك
ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال رحمته بالامهال ودفع عذاب الاستيصال بعدما
قدم بيان كمال قدرته بقوله قل لمن ما فى السموات والارض ليتعين من اول الامر ان امهاله ذلك عن
رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم انه يمهل ولا يهمل بل يحشرهم
ويحاسبهم على نقير وقطمير لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او
رفع عليه او مبتدا خبره فهم لا يومنون والفا للسببية فان الخسران تضييع راس المال وهو نور
الفطرة يوجب الاصرار على الكفر وله ما سكن فى الليل والنهار لما ذكر ان له ملك ما حوى المكان
من السموات والارض ذكر ان له ما حوى الزمان واشتمل عليه الملوان وكل واحد من الزمان والمكان
وان كان مستلزما للاخر لكن التنصيص عليهما ابلغ فى مقام التقرير والبسط وقدم المكان لانه اقرب
الى العقول والاذهان من الازمان والظاهر انه استيناف اخبار وليس مندرجا تحت قل وسكن من
السكنى وهو يتعدى بفى كما يتعدى بنفسه يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها لا من السكون على
الاكتفا باحد الضدين عن الاخر لانه لا يناسب البسط الظاهر قصده من تفصيل قطرى المكان
وصنفى الزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا
ادخل همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل لان الانكار متوجه الى اتخاذ الغير وليا لا الى اتخاذ
الولى مطلقا ولا دخل فى ذلك لتقديم المفعول لانه لازم لدخول همزة الاستفهام فكان تابعا
له وانما عبر عن المعبود بالولى لان اول درجة العبادة للشخص اتخاذه وليا فكان نفيه ابلغ فاطر
السموات والارض مبدعهما وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ويويده قراءة فطر ويجوز
ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل بين المبدل منه والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت
بنا على ما هو المشهور من ان البدل على تكرار العامل وقرى بالرفع والنصب على المدح والجملة تقرير
لانكار اتخاذ غير الله وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم اى المنافع كلها من عنده
ولا يجوز عليه الانتفاع فخصوص الطعم غير ملحوظ بل هو من تنزيل الشىء منزلة كله وقرى ولا يطعم
بفتح اليا وعكس الاول على ان الضمير لغير الله تع فان الكلام وان كان مع عبدة الاصنام الا انه
نظر الى عموم غير الله تع وتغليب اولى النهى لان فيه انكار ان تصلح الاصنام للالوهية بطريق الاولى
والمعنى كيف اترك لمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبناهما للفاعل

على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى وهو الباسط والقابض
بحسب الحكمة والمصلحة كقولك هو يعطى ويمنع قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان
النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الاسلام وهذا على طريق التحريض على الاسلام كما يامر الملك رعيته
بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين عطف على معنى قوله
قل انى امرت فانه بمعنى قيل لى كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير قيل لى لا تكونن اى امرت بالمسارعة
الى الاسلام ونهيت عن الشرك وتعلق الامر بالمسارعة دون نفس الاسلام لم يوكد تاكيد النهى المتعلق
بنفس الشرك وقيل يجوز عطفه على قل ويرد عليه ان سلامة النظم تابى عن فصل الخطابات البليغة بعضها
عن بعض بخطاب ليس منها قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم الشرط معترض بين الفعل
والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبيا وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد
يفرض اذا تعلق به غرض صحيح من المبالغة فى قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبوا العذاب
فلا دلالة فى الاية على انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف على نفسه من الكفر من يصرف عنه اى العذاب وهذا
ابلغ لتضمنه معنى ان يقال ان انصراف العذاب رحمة من الله سوا كان الصارف هو او غيره فان
فيه تنبيها على ان الغير كالشفعا وان كان صارفا للعذاب عن العصاة لكن صرفهم ذاك باذن الله
يومئذ وقرى يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه لله تع وبعضده القراءة باظهاره وبناسبه الجزا
والمفعول به محذوف لظهوره مما قبله او يومئذ على ان يراد منه له فلا حاجة الى تقدير المضاف وفى
عبارة الصرف اشارة الى ان الاية فيمن استحق العذاب فقد رحمه رحمة هى ذلك الصرف نفسه ونظيره
قوله صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه يعنى بالاشترا المذكور
ووجه ذلك ان اختلاف العنوان يكفى فى صحة الترتيب والتعقيب ولك ان تقول ان الرحمة
سبب للصرف سابق عليه على ما يلوح اليه حيث اوتيت بصيغة الماضى وصيغة مستقبل والترتيب
باعتبار الاخبار عنهما وذلك اى صرف العذاب عنه وهو مستحق له الفوز المبين ظهور الفوز يزداد
بازدياد الاستحقاق المعتبر فيمن صرف عنه العذاب وان يمسسك الله بضر الضر هو سو الحال اخص
من الشر المقابل للخير وانما خصه بالذكر لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له فلا مزيل له عنك الا
هو وان يمسسك بخير حذف جوابه لدلالة جواب مقابله عليه ثم اكد الجوابين بشمول قدرته على كل
شئ فقال فهو على كل شئ قدير فلا يقدر غيره على مخالفته وهو القاهر فوق عباده معنى الفوقية
ههنا تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفى القهر معنى زائد ليس فى القدرة وهو

منع غيره عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير باحوالهم وخفايا امرهم قل اي شيء
اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت والشيء يطلق على كل موجود وقد تقدم تفصيله
في سورة البقرة ووضعه موضع شهيد للمبالغة في التعميم قل الله هو الجواب ثم ابتدئ شهيد بيني
وبينكم كرر البين ولم يقل بيننا للايماء الى معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان يكون
الله شهيد فهو على الاول للتسلق من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان هذا الشاهد الذي لا
اصدق منه شهد لي بايجاد هذا القران وعلى الثاني من الاسلوب الحكيم لان الوهم لا يذهب الى ان هذا
الشاهد يحتمل ان يكون غيره تعالى بل الكلام في انه هل يشهد لنبوته ام لا واوحي الي هذا القران لانذركم
به اي بالقران والخطاب لكفار مكة وليس فيهم من يصح ان يبشروا به ولذلك خص الانذار بالذكر ومن
بلغ في موضع نصب عطفا على مفعول لانذركم به اي ومن بلغه هذا القران من العرب والعجم وقيل من
الثقلين ممن وجد ويوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم كل من تبلغه الى يوم
القيمة واما انه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه فلا دلالة فيه عليه الا عند من قال بحجية المفهوم ويجوز ان
يكون في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لانذركم وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير
اي ولينذر به من بلغه القران ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
ولما كانت تلك الالهة حجارة وخشبا اجريت مجرى المؤنث تحقيرا لها فوصفت بما يوصف به المفرد
وقيل اخرى قل لا اشهد شهادتكم بان معه الهة قل انما هو اله واحد قل اشهد ان لا اله الا الله تع
وانني بريء مما تشركون امر اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم في الشهادة ولا يلزم من ذلك افراد الله
بالالوهية فامره ثانيا بانه ام او به ثالثا بان يخبرهم بالتبري من اشراكهم وهو التاكيد لما قبله الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه يعني اليهود والنصارى يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في
الكتابين معرفة حقة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من المشركين واهل الكتاب
بتضييعهم ما يكتسب به الايمان من النور الفطري فهم لا يؤمنون قد مر وجه السببية المستفادة
من الفاء على انه لا يلزمها السببية بل يكفي ان يكون ما بعدها لازما لما قبلها كما في قوله تعالى قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله وغير ذلك او كذب باياته بالقران او بالمعجزات وانما جاء باو ومع كونهم جامعين
بين الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس لا ظلم

قوله

قوله انه لا يفلح الظالمون جاء بضمير الشان مع ان للاجمال والتفصيل والتنبيه على ان الظالم قطعا لا
يفلح فكيف بمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في
التخويف تقديره كان ما لا يدخل تحت الوصف والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد
ثم نقول للذين اشركوا وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما اين شركاؤكم سؤال توبيخ وانما اضيف
الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة بين الاصنام والمعبود بحق وانما اوقع عليها اسم الشريك بمجرد
تسميتهم لها شركاء فاضيف اليهم بهذه النسبة ويعضده التعبير عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم
في الباطل ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاء حذف المفعولان لدلالة سياق
الكلام عليه وهذا السؤال ظاهر في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم الذين الى قوله وضل
عنكم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا وينادوا ولكن لما لم ينتفعوا بهم
ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم غيب عنهم وهو ابلغ في التوبيخ اذ وجودهم
اضر من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال بينهم وبينها ح ليتفقدوها في الساعة التي علقوا بها
الرجا فيها فيرد عليه انه ح تنكشف الحال عندهم ويعلمون انه لا منفعة لهم في الهتهم بل مضرة فلا
احتمال للتفقد ثم لم تكن فتنتهم جوابهم وانما سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا تخلصهم بها من قولك
فتنت الذهب اذا خلصته وقيل كفرهم والمراد عاقبته الا ان قالوا وقرئ يكن بالتحتانية وفتنتهم
بالنصب على ان الاسم ان قالوا وقرئ بالتاء الفوقانية والرفع على انها الاسم والله ربنا ما كنا مشركين
كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع حيرة ودهشا وقرئ ربنا بالنصب على النداء او المدح انظر
كيف كذبوا على انفسهم بنفي الشرك عنها وضل عنهم يحتمل ان يكون عطفا على كذبوا فيدخل في حيز
انظر ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا فلا يدخل في حيزه ما كانوا يفترون اي غاب عنهم ما كانوا
يفترونه من الشركاء اي يفترون الهيته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روي ان
جماعة من كفار قريش استمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما يقول الا
اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وكان صاحب اخبار فنزلت وجعلنا على قلوبهم
اكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء كالغطاء ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام
المذكور اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا الاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل في
نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته وما قيل لما كان القران معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك اللفظ بالسمع

عما دل عليه امر في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ المطبوع الحامل للخواص والمزايا
وان يروا كل اية لا يومنوا بها لفرط عنادهم ولا بد من تخصيص الاية بغير الملجئة دفعا
للمخالفة بينه وبين قوله تع ان نشأ ننزل عليهم اية من السماء فظلت اعناقهم لها خاضعين
حتى اذا جاءوك يجادلونك حتى هي التي يقع بعدها الجمل والجملة بعدها هي الشرطية يجادلونك
في محل الحال وجواب الشرط يقول الذين كفروا وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالكفر والعناد مع وضوح الايات ويجوز ان تكون حتى هي الجارة واذا المجرد الظرفية
في محل الجر فلا يكون له جواب اي حتى وقت مجيئهم ويقول الذين تفسير ليجادلونك ان هذا
الا اساطير الاولين الاساطير الاباطيل الواحدة الاسطورة بالضم واسطورة بالكسر وجعل
اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجيء الاساطير جمع اسطار جمع سطر
بالتحريك بمعنى الخط والكتابة وعلى هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر بالسكون
فجمعه اسطر وسطور وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول او اتباعه
والايمان به وينأون عنه يبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون وما
يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرر ذلك لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا
يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه لانه
قال في موضع اخر ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقران يفسر
بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع دل على ذلك قوله على النار والمعنى اذ وقفوا مطلعين
على النار وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا اي لو
رايتهم حين يوقفون عليها حتى يعاينوها او يطلعون عليها وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا لا يدخل تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع
الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين قرئ بنصب نكذب ونكون
باضمار ان بعد الواو لا على جواب التمني لان الواو لا تقع في جواب الشرط ولا ينعقد
مما قبلها وما بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها
والافعال الثلاثة متمناة على سبيل الجمع بينها لا ان كل واحد متمنى على حدة اذ التقدير
يا ليتنا يكون لنا رد مع انتفاء التكذيب وكوننا من المومنين او واو الحال على ان ما بعدها
حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المومنين وقرئ برفعهما عطفا

على نرد فيكونان داخلين في التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد او على الاستيناف
ونصب الثاني عطفا على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة ويكون مضمرة بعد الواو
فالتقدير يكون منا رد وكون من المومنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمني اي ظهر لهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس
من فضائحهم وقبائحهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا الى الدنيا
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
استيناف او عطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا ولا على لما نهوا اذ ح حق قوله
وانهم لكاذبون ان يوخر عن المعطوف او يقدم على المعطوف عليه ان هي الا حياتنا
الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين الى الحشر والجزاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ
والسوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ضمن الوقوف معنى العرض ولذلك
قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا على ربهم موقوفين وقد افصح عن هذا المعنى قوله تع وعرضوا
على ربك صفا وقوله تع اذ المجرمون موقوفون عند ربهم وقيل معناه وقفوا على قضاء
ربهم او جزائه او عرفوا حق التعريف وجواب لو محذوف قال اليس هذا بالحق استيناف كانه
قال قائل ماذا قال لهم ربهم ح فقيل قال والهمزة للتقريع والتعيير من الله على التكذيب
وانكار البعث والجزاء حين سمعوا حديثه قالوا اما هذا الحق والاشارة الى البعث والجزاء قالوا
بلى وربنا اقرار موكد باليمين قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله بالبعث وما يتصل به من احوال الاخرة حتى اذا جاءتهم الساعة القيمة وحتى غاية
لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له والكلام فيها وفيما بعدها من الجملة كما مر في حتى اذا
جاؤك بغتة فجاة وهي مجيء الشيء بسرعة من غير خطور ببالك حال اي باغتة او مصدر لانها نوع
من المجيء قالوا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا مع القدرة
على عدم التقصير فيها اي في الحيوة الدنيا اضمرت لانها معلومة وان لم يجر لها ذكر او في الساعة
اي في شانها والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم من
قال بالميزان او اعتقد وزن الاعمال واذعن حصول الثقل لها يوم الجزا فليس له ان يقول انه
تمثيل لثقل اوزارهم والمعنى انهم يقاسوا عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقله على ظهره لا ان
مظنة الانكار ما ذكر والجملة حال من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعراض والمخصوص بالذم

محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه وسآء على وزن فعل متعد تقديره
ساءهم وما الحيوة الدنيا اراد بالحيوة الدنيا اعمالها المختصة بها بحيث لا يظهر اثرها في الحيوة
الاخرى الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها الشاملة للعبادات ليس كذلك ومن ههنا ظهر
وجه السلوك الى طريق المجاز شبهت اعمال الدنيا باللعب واللهو لقلة جدواها وسرعة زوال
منافعها او لانه يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب
لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون ايراد لام الابتدآء واثبات ما
فيها للذين يتقون والتاكيد بقوله افلا تعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو ولعب
يشتغل به من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرى ولدار الاخرة على الاضافة اي
دار الاخرة وقرى تعقلون بالتآء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد
نعلم انه قد ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته كما تستعمل
ربما لذلك كانه ايمآء الى ان كل ما يفهم من وقوع مرات الفعل وزيادته بالنسبة الى ما يراد منه قليل
ولقويه في تفخيم الفعل وكثرته ايراد ضمير الشان ولام الابتدآء في المعلوم المفيد للاعتبار به وتحقق وقوعه
ليلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه دوام الفعل ليحزنك وقرى بفتح اليآء وضمها
من احزن الذي يقولون اي كثيرا ما نعلم حزنك من قولهم ساحر كذاب او كاهن وامثاله فتسل
واله عن حزنك فانهم لا يكذبونك المراد بتكذيبه صلى الله عليه وسلم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب
الله تع لا نفيه حقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون بل يكذبون الله تع بجحود اياته والاستهانة
بجنابه فتكذيبك تكذيبه ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالظلم وان جحودهم مسبب
عن ظلمهم وافراطهم في الظلم والالتفات في اسم الله تع بيان لعظم ما ارتكبوه والبآء لتضمن الجحود
معنى التكذيب وقرى لا يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب
ومعنى كذبه جعله كاذبا في زعمه روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على التكذيب ومبناها على وقوع التكذيب فدل هذا على ان المعنى ما قدمنا فصبروا على ما كذبوا
واوذوا اي على تكذيبهم وايذآئهم فتأس واصبر كما صبروا فان مع الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا
فيه ايمآء الى وعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
المرسلين الايات الثلاث ولقد جاءك من نبا المرسلين اي بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة

اعدائهم ويجوز ان يكون الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة اي ولقد
جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل والصبر على الايذآء الى ان نصروا ومن بيانية في موضع
الحال وذو الحال ذلك الضمير وان كان كبر شق وثقل عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض فتطلع لهم اية او سلما في السمآء فتاتيهم
باية او مصعدا تصعد به الى السمآء فتنزل منها اية جواب فان استطعت محذوف اي فافعل
اي انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه عليه السلام على اسلام قومه والشرطية
جواب الشرط الاول وفي الارض صفة نفقا او متعلق بتبتغي وكذا في السمآء صفة سلما او متعلق
بالفعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن لم يشا فلا تتهالك على ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين
من الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه اي لا تحرص على ما لا يكون ولا تجزع في مقام الصبر
فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي لا يستجيب دعوتك الى الايمان الا
الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون دون الموتى وهؤلآء الذين تحرص على ايمانهم موتى كقوله تع
انك لا تسمع الموتى والموتى استعار الموتى للجهال لان العلم حيوة القلب فالذين لا يسمعون
انما لا يسمعون لان قلوبهم موتى بالحقيقة يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا
تقدر على اعلامهم ثم اليه يرجعون للجزآء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه مع كثرة ما انزل اليه من
الايات لعدم اعتدادهم بها عنادا كانه لم ينزل عليه شيء او اية مما اقترحوا قل ان الله قادر على ان
ينزل وقرى بالتشديد على ان نزل بمعنى انزل اية مما اقترحوا او اية ان جحدوها اخذهم العذاب
وهو من لوازم الايات الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها ولكن يفعل على
مقتضى حكمته وما من دابة في الارض اي مستقر فيها وفائدته تحقيق المقابلة بينها وبين قرينها
المقابل فان بعض الطائر يتحرك على وجه الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طائر وقرى بالرفع
على المحل يطير بجناحيه تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة على القوة الباهرة والمقام مقام بيان
كمال قدرته تع وقيل انه لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه لو قيل ولا طائر في السمآء
لكان اخصر وفي افادة ذينك الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة بين الفريقين بذكر جهة
العلو في احدهما وجهة السفل في الاخر الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها
والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر
على ان ينزل اية وجمع امم على المعنى لجمع تقوية للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي

مصحوبة بمن التي تفيد الاستغراق وما دل بها على كمال قدرته واحاطة علمه او عدمهم على ما
فرط منهم من الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف في الكتاب اي ما اغفلنا وما اهملنا في
اللوح المحفوظ من شيء الم نكتبه ولم نبينه اي شيء كان فلا بد من كتابة اعمالكم وعقائدكم واحوالكم
ثم الى ربهم اي الى ذلك القادر لا الى غيره يحشرون كلهم فيجازيهم وانما اجريت مجرى العقلاء لاطلاق
الامم عليهم او تغليب العقلاء لكونهم المقصودين ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر او مفعول به
على تضمين فرط معنى اهمل او اغفل والمقصود ان من يضبط احوال الدواب والطير كلها واعمالها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء ويجازي كلها كيف يهملكم سدى وقيل
حشرها موتها ورده ان الحشر بعث من مكان الى آخر وتعديته بالى تنصيص على هذا المعنى
والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات خبر ثالث كناية عن عمى البصيرة ناظر الى عمي في قوله
ثم صم بكم عمي وهذا ابلغ اذ احاطت الظلمات طرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر
والجهل والعناد والتقليد ولما خص من الدلائل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب
التيقظ لها او عدم عليه والاقرار به والحشر قال والمكذبون بآياتنا صم والا سمعوا كلام المنبه
فاستيقظوا ورجعوا وبكم والا نطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات انواع الضلالة
فلا ينتهون لذلك ولا يتأملون ويتفكرون فيه ثم اكد ما بين من شدة جهلهم وعميهم واحتجاجهم
بقوله من يشا الله يضلله ايذانا بانهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا هادي له
ومن يشا يجعله على صراط مستقيم كان الظاهر ان يقول ومن يشا يهده وانما عدل عنه لان
هدايته وهي ارشاد الى الهدى غير مختصة ببعض دون بعض بل عامة للكل قل ارايتكم اخبروني
لما كان العلم سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته استفهام ومعناه
الامر لاشتراكهما في الطلب والكاف حرف الخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب
والفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب
الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها اغير الله تدعون تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم
في مواضع وتقديم المفعول للتخصيص فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اراد ان يتفضل عليكم
وتنسون ما تشركون اي آلهتكم التي تشركونها به تعالى لما ركز في العقول انه القادر على كشف
الضر دون غيره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك ومن زائدة فاخذناهم الفاء فصيحة اي كذبوا

تكذبوا

تكذبوا الرسل فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة وقهر والمراد هنا مبالغة العقوبة والملازمة بالبأساء والبؤس والشدة كالقحط والفقر والضراء الضر والآفات صيغتا تانيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن الذنوب فان البلاء يلين القلوب
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع في ذلك الوقت مع الداعي وعدم المانع
وذلك انه لما جاء بلولا التحضيضية الداخلة على الماضي للتنديم دلت على ان لا مانع لهم من
التضرع الذي اقتضاه الحال ولما كان التضرع من لين القلب كان المعنى لم يتضرعوا لم يلينوا
فاستدرك بقوله ولكن قست قلوبهم فالاستدراك عن كلام غير ملفوظ بل مدلول عليه معنى
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني لا مانع لهم من التضرع الا قسوة قلوبهم وشدة تمكنهم
في عنادهم واعجابهم باعمالهم التي زينها لهم الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي
تركوا الاتعاظ به ولم يزجروا فتحنا عليهم ابواب كل شيء المراد بكل شيء التكثير دون التعميم كما في
قوله تعالى واوتيت من كل شيء والفتح المذكور تعبير عن تيسير مطالبهم الدنيوية اي امتحناهم بالضراء
والسراء وابتليناهم بالشدة والرخاء مناسبة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة ويجوز ان
يكون التوسعة عليهم مكرا واستدراجا لما روي في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد في الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الآية فالتوسعة قهر خفي في صورة اللطف كما ان
الاخذ بالبلاء لطف خفي في صورة القهر وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير حتى اذا فرحوا بطروا واعجبوا
بما اوتوا من النعم اخذناهم بغتة اهلكناهم فجاة وهو اشد الاهلاك اذ لم يتقدم مشعور به
فتوطن النفس على لقائه فاذا هم مبلسون المبلس الشديد الحسرة والبائس الحزين فقطع دابر القوم
الذين ظلموا استوصلوا ولم يبق منهم احد والدابر التابع للشيء من خلفه يقال دبر الولد الوالد
يدبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع الذين ظلموا موضع الضمير للتسبب اي حق عليهم الدمار
والعذاب بسبب تمادي ظلمهم وتناهيه حين لم يبق لهم مطمع في صلاحهم والحمد لله رب العالمين
على اهلاكهم وفيه ايذان بان اهلاك الظلمة من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه لان وجودهم
في الخلق بلاء وعناء وشرهم منفد ومفسدة دينا ودنيا فتخليص المومنين من شوم اعمالهم وعقائدهم
خير عظيم ونعمة سنية قل ارايتم ان اخذ الله لما كان هذا التهديد اخف من التهديد السابق اكتفى
هنا بخطاب الضمير ولم يوكد بحرف الخطاب كما اكده ثمة سمعكم وابصاركم اي اصمكم واعماكم

وختم على قلوبكم غطى عليها بما يذهب فهمكم وعقلكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك اجرا الضمير
مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات
نكررها منوعة تارة بالمقدمات والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال الامم الماضية ثم هم يصدفون يعرضون وثم لاستبعاد
الاعراض عن الايات بعد تصريفها وظهورها ولذلك قدم الضمير على الفعل المضارع وصير
الجملة اسمية اي هم المكرر عليهم الايات متنوعة لا غيرهم يجددون الاعراض دائما مع تجدد التصريف
فما بعد حالهم عما فعلنا بهم قل ارايتكم لما كان التهديد شديدا جمع بين اداتي الخطاب ان اتاكم
عذاب الله بغتة او جهرة لما كان البغتة هجوم الامر من غير ظهور امارة وشعور به تضمنت
معنى الخفية فصح مقابلتها بالجهرة وبداءتها لانها اردع من الجهرة وانما لم يقل خفية لان
الاخفاء لا يناسب شانه تعالى وقرئ بهما والجمع هل يهلك معنى الاستخبار النفي اي ما يهلك به
هلاك سخط وقهر الا القوم الظالمون بالاعراض عن الايات عنادا لاستحقاقهم ذلك بالزام
الحجة وازالة العذر وقرئ يهلك من هلك وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمطيعين بالجنة
ومنذرين للعاصين بالنار وانتصابهما على الحال وفيهما معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير
والانذار لا لان يقترح عليهم ويستهزأ بهم فمن امن واصلح اي يجب اصلاحه مما شرع لهم فلا
خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون لفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يطلب ايلامهم بالوصول اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
جمع خزينة وخزانة وهي ما يخزن اي يحرز ويحفظ بحيث لا تناله الايدي وخزائن الله مقدوراته
اي لا املك ان افعل ما اريد مما يقترحونه وليس المراد التبري عن دعوى الالوهية والا لقيل
لا اقول لكم اني اله كما قيل ولا اقول لكم اني ملك وايضا في الكناية عن الالوهية بعندي خزائن
الله لا يخفى من البشاعة بل هو جوابهم عن اقتراحهم عنه صلى الله عليه وسلم ان يوسع عليهم خيرات
الدنيا ولا اعلم الغيب عطف على اقول فليس معمولا له بل للامر ولذلك احتيج الى اعادة لا
في قوله ولا اقول لكم اني ملك فانه على تقدير العطف على عندي خزائن الله لا حاجة الى
اعادته وانما لم يات فيه بنفي القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينه وهو ان مفهوم
عندي خزائن الله واني ملك معلوم ان عند الناس فلا حاجة الى نفيهما انما الحاجة الى نفي

اعادتها

اعادتها تبريا عن الدعوى الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب فانه كان مجهولا عندهم بل
كان الظاهر من حاله صلى الله عليه وسلم الاطلاع على الغيب فلذلك نسبوه الى الكهانة فالحاجة
هنا الى نفيه ثم ان هذا النفي تضمن الجواب عن قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع في المستقبل
من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوى الملكية تضمن الجواب
عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ان اتبع الا ما يوحى الي في العقائد
والاحكام والاخبارات ففيه تتميم لما تقدم من نفي الامور الثلاثة وبيان ان منزلة الرسالة
التي هي اقصى المنازل البشرية قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او العالم
والجاهل او لمدعي المحال كالملكية ومدعي الممكن الصحيح كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا كالبصير
ولا تكونوا ضالين كالاعمى او فتعلموا اني ما ادعيت الا ما يصح للبشر وان اتباع الوحي واجب
فتكونوا بصراء لا عميانا وانذر به اي بما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المقرون
بالبعث من المومنين المقصرين في العمل او من اهل الكتاب او المترددين فيه كالمشركين
المستعدين الذين علم الله ان ينجع فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع النصب على الحال من يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير
منصورين من احد من دون الله تعالى ولا مشفوعا لهم لعلهم يتقون يحذرون سوء العاقبة
فيعملون عمل اهل التقوى او يومنون فيتقون ولما امر بالانذار غير المتقين ليتقوا امر باكرام
المتقين وتقريبهم تكميلا للامر بالتحريض على التقوى بالترهيب والترغيب فقال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة وقرا ابن عامر وحده بضم الغين واسكان الدال واثبات
الواو بعدها وفيه انها معرفة ولو كانت نكرة لجازت فيها الاضافة كما جاز غدوة يوم
الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتعرف باللام واما غدوة
فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب تدخل الالف واللام
على المعرفة اذا جاوا بما فيه الالف واللام ليزدوج الكلام قال الشاعر رايت الوليد بن اليزيد
مباركا فادخل الالف واللام على اليزيد لما جاور الوليد ومنهم من قال انما تكون معرفة
اذا اردت غدوة وغدوة وما نون من هذا نكرة وما لم ينون فهو معرفة والعشي اي يعبدون
الله تعالى دائما فان المراد من الغداة والعشي الدوام على اكثر استعمالها وقيل يصلون الصبح
والعصر وقت دعوتهم بالغداة والعشي لانهما من الاعمال الظاهرة وهي موقتة وادام ارادتهم

فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها من احوال الباطنة وهي موبدة يريدون وجهه لا دنياهم بكرائمها ولا عقباهم بعظائمها والوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته والمراد بارادة وجه الله تع الاخلاص رتب النهي على مواظبتهم على دعاء ربهم وعبادته مع الاخلاص اشارة الى انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر في العبادة الاخلاص فلا تعتبر بدونه لما قصر لهم لسان المعارضة سكتوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله تع داعين له بحسن الابتهال فتولى سبحانه وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين اي لا تنظر ايها المحمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم في سرائرهم كانوا مستورين فشهرهم الله قال الامام ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بطرد فقراء المسلمين طمعا في اسلام روساء المشركين فعاتبه الله تع في ذلك وانزل الله عليه هذه الاية ولكنه بعيد لانهم ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم الى اقبح فعل واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقرب الاعداء ويبعد الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان والتوحيد والاتباع فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا المعنى مدفوع في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهم هو به فلا يجوز ان يكون هذا من الله تع ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه رض ومعاملتهم واخبارا عن قدرهم عنده ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم فشهد الله لهم بالاخلاص وقال لنبيه عليه السلام ما عليك من حسابهم من شئ كما لا عليهم من حسابك من شئ اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا او لم يخلصوا لا عليك فحالهم في ذلك بالنسبة اليك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل حساب رزقهم اي فقرهم وقيل الضمير للمشركين اي لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم فتطرد المومنين لاجلهم فتطردهم جواب النفي اي ما عليك شئ من حسابهم فتطردهم فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب ولا يساعده المعنى فان الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على تقدير ان يكون حسابهم عليه وح لا يكون سببا للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف

احوال الناس في الدنيا فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا بعض الناس ببعض فقدمنا فقراء المسلمين على اشراف قريش بالسبق على الايمان ليقولوا اي ليقول المشركون اللام للعاقبة وان ضمن فتناهم معنى خذلناهم فللتعليل على اصل القائلين بصحة تعليل افعاله تع بالاغراض اي خذلناهم مفتونين ليقولوا فكان افتتانهم سببا لهذا القول فانهم لا يقول الا مفتون مخذول اهؤلاء اشارة الى اولئك المومنين واستحقارهم كقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا من الله عليهم من بيننا بالتوفيق لما سعدهم عنده من الايمان واصابة الحق من دوننا ونحن الروساء والمقدمون وهم الضعفاء والعبيد وهو انكار منهم لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم بالخير دونهم كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يومنون باياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم بالايمان بالله واياته من الحجج والبينات بعد النهي عن طردهم ثم امره صلى الله عليه وسلم بقوله فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة بان يبدأ بالتسليم عليهم او يبلغ سلام الله تع اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله عليهم وان الله تع الزم لهم ذلك ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك وجب اعزازه واكرامه وان يبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل او ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى مثله فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك مثل ذلك التفصيل البين نفصل الايات ايات القران في وصف المطيعين والمجرمين الاوابين منهم والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استبان جاء لازما ومتعديا كتبين وقرئ بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتونث وقرئ بالتاء ونصب السبيل على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اما عطف على علة محذوفة اي ليظهر الحق وليستبين او علة لمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل واكتفى بذكر سبيل المجرمين لتبين سبيل غيرهم منه ولم يعكس لان ذكره اهم والنفس الى الترهيب اطوع منها الى الترغيب قل اني نهيت صرفت وزجرت بنور فطري وصفا

على وبما اوحى الي ونصب لي من الدلائل انى اعبد الذين تدعون من دون الله من عبادة
ما تعبدون من دون الله او تدعونها آلهة قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واجهال
لهم واستركاك لعقولهم واشارة الى علة النهي وموجب الامتناع عن متابعتهم وبيان لسبب
ضلالهم وذم لطريقتهم وان ما هم عليه مجرد هوى فارغ عن الدليل مخالف لمقتضى العقل ومعنى
قد ضللت اذا ان اتبعتكم قد ضللت لانه مركوز في العقل ان كل من اتبع الهوى فهو ضال وفيه
تنبيه على ان كل من طلب الحق فليجتنب الهوى وليتمسك بالحجة وليلزم طريق العقل فانه
الهدى ثم اكده بقوله وما انا من المهتدين على الجملة الاسمية الدالة على المنافاة الكلية
بين متابعة الهوى والهدى مع المبالغة بناء على ان من المهتدين ابلغ من مهتد وهو ابلغ
من اهتدى وان القيد دخل النفي اي وما انا من الهدى في شئ ادمت انا انا بعني انتم
كذلك وفيه غاية التنفير عن طريقهم ولما بالغ في نفي كون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه
بقوله قل انى على بينة البينة الحجة الواضحة التي تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح معتبر
في مفهومها لا مستفاد من التنكير وهي اعم من ان يكون وحيا او دليلا عقليا او كشفا من
ربي متعلق بالظرف او صفة لبينة اي اني من معرفة ربي ووحدانيته على يقين وحجة
واضحة وكذبتم به اي بربي حيث اشركتم به غيره او بالبينة حملا على المعنى وهو القرآن ما عندي
ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقوله فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تاخير العذاب لا لي والا لعجلته يقص الحق في كل ما يرجع اليه
من التعجيل والتاخير الحق صفة للمصدر اي القضاء الحق او مفعول به اي يصنع الحق من قولهم
قضى الدرع اذا صنعها فيرجع الى القراءة الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت هاهنا بغير
يا على اللفظ لان الياء سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية وقرئ يقص الحق
اي يتبع ما هو الحق من قص اثره اذا اتبعه لا من قص الخبر لعدم ملايمته ما في السباق واللحاق
من الحكم والفصل وهو خير الفاصلين اي القاضين واصل القضاء الفصل بين الحق والباطل
قل لو ان عندي اي في قدرتي ووسعي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم غضبا لما جلال لي وانقطع ما بيني وبينكم استعظام لتكذيبهم اي انتم اكذبتم بما
هو ابين شئ احقا بان نعاقبتم بالعذاب المستاصل لكنه لا قدرة لي ولو كان عندي اشد
العذاب لاوقعته معجلا والله اعلم بالظالمين تسجيل عليهم بان الشرك الذي هم عليه اظلم الظلم

والظلم

والظلم موجب لاستحقاق العذاب لكن الله اعلم بما يجب من عذابهم ونوعه وعنده مفاتح
الغيب المفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن الذي يفتح ويغلق او جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح
ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح استعار المفتاح لما اودع فيه الغيب من خزائنه او لما يتوصل به اليه
وخصصت به بتقديم الظرف لانه لا اطلاع عليه ولا يمكنه التوصل اليه لا يعلمها الا هو اي المطلع
على مكامن غيبه وحده او هو ما يتوصل به اليه كانه في مخدع مغلق ابوابه لا يعلم احد مفاتيحه الا هو
اعني اسبابه التي توجب احداثه واظهاره في عالم الشهادة اي يعلم اوقاتها وما في تاخيرها وتعجيلها
من الحكمة فيظهرها على ما اقتضته مشيئته بحسب حكمته وهذا الوجه انسب لما قبله وقيل فيه دليل على
علمه تع بالاشياء قبل وقوعها ويرد عليه ان علمه تع ليس بزماني فلا قبلية بينه وبين الاشياء
الواقعة في الزمان ويعلم ما في البر والبحر كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها وما
تسقط من ورقة الا يعلمها تاكيد لعلمه بالجزئيات مما في البر والبحر ولا حبة في ظلمات الارض
اراد ظلمة بطنها وظلمة داخل الشجر وظلمة جوف الثمر عبر بالحبة الموصوفة بهذه الصفة عما هو في
مبدا اثره من جنس النامي وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى نشائه منه ولا رطب ولا يابس
معطوف على ورقة وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معناه ومعنى الا
في كتاب مبين واحد وهو اذا اريد بالكتاب المبين علم الله تع فظاهر واما اذا اريد به اللوح فلان
كونه فيه كناية عن كونه من جملة معلوماته فهو آيل اليه في المعنى وقرئت بالرفع على العطف على
محل من ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل في وقت النوم وانما
عبر عنه بالليل وعن وقت الكسب بالنهار لانهما معظماه او كانهما او خصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد
واستعير التوفي من الموت للنوم لمشابهته اياه في زوال الاحساس والتمييز به واصل قبض الشيء بتمامه
ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه اطلاق الجوارح للاعضاء الكاسبة والواو حالية لا ناسقة
والا لاخرت عن قوله ثم يبعثكم فيه في النهار البعث الاثارة لا الايقاظ غاية بعث النائم يكون
بالايقاظ فلا ترشيح فيه للتوفي ليقضى اجل مسمى في علم الله تع وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها
ويلزمه البلوغ الى نهاية تلك المدة وهو المراد لقوله هاهنا ثم اليه مرجعكم بالبعث بعد الموت
والمراد الرجوع الى موقف حسابه تع ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر فهذا وعد ووعيد
وقيل الخطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف في الليل وكاسبون للآثام في النهار وانه
تع مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من الغفلة والمعاصي في

في الليل والنهار ليقضى المدة التي ضرب بها لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم يخبركم باعمالكم بالجزاء وعلى هذا يكون الضمير في فيه عائدا الى مضمون كونهم موتى وكاسبين وتكون
في بمعنى لام التعليل والاجل المسمى مدة الكون ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغنى عنه بما قدم من
الوجه الظاهر وهو القاهر فوق عباده قدم تفسيره في هذه السورة قدمه على ذكر ارسال الحفظة
ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجة الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل لحكمة وهي ان يكون العباد
على حذر وهذا ابلغ في الزجر لان من علم ان عليه رقيبا كان اجدر بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف
مولاه واعتمد على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه ويرسل عليكم حفظة الجمهور
على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين يحفظون انفاس الخلق ويعدونها الى وقت انقضائها
ثم يقبضون الروح يناسبه البعدية وعليكم متعلق بيرسل كما في قوله يرسل عليكما شواظ وهم
لتمكنهم منا جعلوا مستولين علينا ويجوز تعلقه بحفظة اي حافظين عليكم حتى اذا جاء احدكم
الموت اي اسبابه توفته قبضت روحه وقرئ بالف ممالة رسلنا جاء جمعا عني به ملك الموت
واعوانه وفي عبارة رسلنا اشارة الى ان ذلك بامره تعالى ولذلك اسنده الى نفسه في موضع آخر
وقال الله يتوفى الانفس حين موتها وهم لا يفرطون جملة حالية او استينافية قرئ بالتشديد
والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا
به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله فيه التفات من الخطاب الى الغيبة ومن التكلم اليها
وذلك لان الرد يناسبه الغيبة وان لم تكن حقيقية فانهم ما غابوا عن قبضته لحظة ولا خرجوا
عن حكمه نظرة ولا لفظة فالرد من البرزخ الى موقف العرض للسؤال والجواب مولاهم الذي
يتولى امرهم والمراد منه في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم معنى المعين والناصر فلا منافاة
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه
وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله حساب عن حساب ولا لبث في السؤال والجواب قل من
ينجيكم استفهام بمعنى النفي وقرئ بالتخفيف من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت
الظلمة للشدة للمشاركة بينهما وبين معنى الظلمة في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم
الشديد يوم مظلم ومن جملة تلك الشدائد الخسف في البر والغرق في البحر تدعونه تضرعا وخفية
معلنين باللسان الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة الى الشيء ومسرين الطلب على وجه الاخلاص
بالقلب او اظهارا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا وقرئ انجانا ليوافق قوله تدعونه

من

من هذه اشارة الى الظلمات لنكونن من الشاكرين جواب القسم المحذوف ولا حاجة
الى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم منها قرئ بالتشديد والتخفيف ومن كل
كرب عبارة كل للمبالغة في التكثير المناسبة للمقام فان كل نفس عند كل نفس في معرض
الآفات التي لا تعد ولا تحصى والله تعالى ينجيها منها وهي نعمة الدفع قلما يتنبه لها انسان والاولى
نعمة الدفع وهي ونعمة النفع ظاهرتان وتعذر الخروج عن عهدة الشكر لعدم امكان التذكر
لافراد النوع الاول بتفاصيلها لا لان الشكر على النعمة نعمة اخرى ثم ان الكلام المذكور على طريقة
احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظ حتى كانه شريكه
في اصل الفعل اجراء لاحد المتقاربين مجرى الآخر كقولك تقلدت السيف والرمح الكرب الغم الشديد
اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر فالغم اذا اشتد يثير النفس اثارة ذلك ثم انتم تشركون
اي لا تخلصون حين تخلصون ولا تشكرون بل تشركون وثم لاستبعاد شركهم مع اقرارهم بانه
لا يكشف الضر الا الله ووضع تشركون موضع لا تشكرون مبالغة لان من يشرك بالله فهو
في غاية البعد من شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا اي هو الذي عرفتموه انه الكامل
في القدرة الذي لا قدرة لاحد سواه ومعنى الاية الوعيد باصناف العذاب المذكورة من
فوقكم كما امطرنا على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون
واغرق فرعون او من الجهتين معا كطوفان نوح وقيد ارجلكم لقطع المجاز كما في تجري من تحتها
الانهار ولك ان تقول اريد بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسلط السفلة وبالثالث الهرج
ولما كان بين هذه الثلاثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة الترديد او يلبسكم شيعا
فرقا بان يخلط امرهم خلط شقاق لا وفاق فيجعلهم مختلفي الاهواء ويذيق بعضكم باس بعض
يقاتل بعضكم بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف نصرف الآيات نحولها
من نوع الى آخر من انواع الكلام تقريرا للمعنى وتقريبا الى الفهم وقيل بالوعد والوعيد ولا
يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به اي بالقرآن قومك وهو الحق حال من الضمير في
به او استيناف اخبار بان القرآن الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم
امنعكم عن التكذيب اجبارا انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ النبأ خبر ذو خطر مستقر
اي لكل شيء ينبأ في القرآن وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه
في الدنيا والآخرة وهذا كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في

ايا تنا بالاستهزاء بها و هو الطعن فيها والخوض اصله فى الماء ثم استعمل بطريق الاستعارة فى
غمرات الاشياء التى هى مجاهل تشبيها لها بغمرات الماء فاعرض عنهم امره عليه السلام بعدم التوجه
اليهم وترك الاقبال عليهم ويلزمه النهى عن مجالستهم بطريق المبالغة حتى يخوضوا الى ان
يخوضوا فى حديث غيره غير القران وليس هذا من قبيل عود الضمير على الايات باعتبار المعنى
بل من قبيل عوده على ما علم من سياق الكلام واما ما زائدة بعد ان الشرطية وما احسن مجى
الشرط الاول باذا التى هى للمحقق او غالب الوقوع ومجى هذا الشرط بان التى هى للمشكوك ينسينك
الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى نسيت النهى عن مجالستهم وقرى ينسينك بالتشديد فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ما ذكرت مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا
بوضعهم التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما على
المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من ذنوبهم واستهزائهم من شىء اى وما كان
لتقى النفوس عن ارتكاب الاثام كان بمعزل يوم النشور عن ملاقاة الاثام ولكن عليهم ان يذكروهم
ذكرى اذا سمعوهم يخوضون فيها بالموعظة والنهى ثم القيام واظهار الكراهة فذكرى نصب على
المصدر ويجوز ان يكون مرفوع المحل اى عليهم ذكرى لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة
لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى لعلهم يثبتون على التقوى ويزدادون منها ولا
يجوز عطفه على محل من شىء لان من حسابهم يأباه لانه حال من شىء قدم عليه فصار قيدا للعامل فاذا
عطف ذكرى عليه كانت جهة القيد معتبرة فيه بحكم الاستعمال فى عطف المفرد على المفرد لاسيما
بحرف الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليك من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم روى ان
المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام فنزلت
فاذا عطف ذكرى وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او بنوا
امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا نفع فيه اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب
او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون اى كلهم الى ما اختاروا فانا اعتدنا لهم من خفى المكر ما اذا احللناهم كسرنا عليهم خمار الغفلة
وكشفنا عنهم خمار الوهم والجهالة فلا ضرورة فى جعله منسوخا باية السيف لحمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا اعراض لبيان انهم اذا بنوا امر دينهم على اللعب

واللهو لان الحيوة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تمنع نفس من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترهن
بسوء عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او تبسر بسوء عملها كسبها وعذابه كقوله وجوه
يومئذ باسرة الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لانه يمنع ان يفلت فريسته ويقال ابسر
الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع
عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى
وكل نصب على المصدر ويؤخذ فى قوله لا يؤخذ منها مسند الى منها لا الى ضمير العدل اى لا
بطريق الاستخدام لان العدل ههنا مصدر لوقوعه مفعولا مطلقا وهو ليس بمأخوذ بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل لانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى
العذاب بسبب قبائح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام الى العذاب لان المسلم اليه يمنع المسلم
لهم شراب من حميم بما شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما تناولوا من الشهوات بما كانوا
يكفرون اى هم بسبب كفرهم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعو
نعبد من دون الله ما لا ينفعنا ان اطعناه ولا يضرنا ان عصيناه ونرد على اعقابنا
اى نرتد عن ديننا ونرجع الى ورائنا بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام
والمعنى انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء الى التوحيد كالذى استهوته الشياطين مردة
الجن فى الارض استهوى استفعل من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت
هواه وحرصت عليه وزعم ابو على انه من الهوى اى القته فى هوة ويكون استفعل
بمعنى افعل نحو استزل وازل ويأباه ما بعده حيران نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه
حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذى لا يهتدى لجهة حيرة له اصحاب رفقة يدعونه الى
الهدى الى الطريق المستقيم سمى الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة ائتنا يقولون له ائتنا
واضمر القول لدلالة يدعونه على ذلك قل ان هدى الله اى الاسلام هو الهدى وحده وما
عداه ضلال وامرنا فى محل النصب عطفا على محل ان هدى الله على انه مقول واللام فى لنسلم
لرب العالمين للتعليل اى وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائى والفراء ان لام كى تقع فى موضع
ان فى اردت وامرت قال الله تعالى يريد الله ليبين لكم قيل بمعنى الباء وقيل زائدة ويقويها
عطف وان اقيموا الصلوة واتقوه عليه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا على الاول

معناه وامرنا بذلك الاسلام واقامة الصلوة وتقوى الله تع فان ان المصدرية اذا دخلت على
الامر ينسبك منه مصدر ولا يلاحظ فيه معنى الامر فيقبل موقع العلة موقع المامور به فعطف
على موقعها وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق فى
موضع النصب على الحال اى قائما بالحق والحكمة ويوم يقول اى وحين يقول للشئ من الاشياء
كن فيكون ذلك الشئ ويوم منصوب بما دل عليه بالحق او بخلق اى ويقوم بالحق يوم يقول او
خلق السموات يوم يقول وقوله الحق مبتدا وخبر مقدم فيها الخبر لا للحصر لانه لا يناسب المقام
بل لكونه الشائع فى الاستعمال مثل عنده علم الساعة وقيل قوله قوله على هذا الوجه يجوز ان
يكون فاعل فيكون والحق صفة اى ويوم يقول بالحق يوم يامر كل شئ بقوله كن فيكون قوله
قوله الحق ولا يخلو عن تعسف ومنصوب بفعل الاستقرار على ان قوله الحق مبتدا ويوم يقول
خبره مقدم كقولك يوم الجمعة القتال او قوله مبتدا والحق خبره ويوم ظرف للقول والحق وله
الملك يوم ينفخ فى الصور يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم او بدل من يوم
يقول على ان كن فيكون بمعنى الاحيا والبعث وقوله الحق وقوله يوم القيمة عالم الغيب والشهادة
رفع على المدح اى هو عالم الغيب او خبر بعد خبر وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال
ابرهيم لابيه ازر وهو عطف بيان لابيه قال الفرا والزجاج ليس بين النسابين اختلاف فى
ان اسم اب ابرهيم عليه السلام تارخ والذى فى القران يدل على ان اسمه آزر فكان آزر لقباله
قال ابن الانبارى قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه باسمه فيجوز ان يكون آزر
لقبا ابطل الاسم لشهرته فخبر الله تع به لذلك وقيل نعت مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية
او للوصفية ووزن الفعل وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد
اتتخذ اصناما الهة تغيير وتقرير ويعضده قراءة ازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وسكون الزاى ونصب الراء منونة على انه صنم وتوجيهها على الاول انه كان اسم صنم يعبده
فلقب به للزومه عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقرى بالضم على النداء وهذا ظاهر فى حذف
المضاف لا فى نداء الابن اباه باسم العلم غلظة واستخفاف لا يليق بشان ابرهيم عليه السلام الموصوف
بغاية الحلم المعروف بحبه ابيه ورعايته يرشدك الى هذا قوله انى اراك وقومك فى ضلال
مبين ظاهر الضلالة حيث لم يقل انت وقومك فى ضلال مبين رعاية لحسن الادب فى مخاطبته
وكذلك نرى ابرهيم مثل ذلك التبصير نبصر ابرهيم قد سبق ان اسم الاشارة فى مثل هذا المقام

اشارة الى هذه الارادة لا الى شئ اخر يشبه به بهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف
عليه ومعنى الاعتراض بيان الارشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصل الى مرتبة الايقان
الذى انكشف به ضلال قومه ولذلك استحضر الماضى حالا فقال نرى على الحكاية تصويرا وتعظيما
وقرى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض فعلوت
من الملك وزيادة التاء للمبالغة ومعناه ما يملك به الشئ اى نرى ربوبيته تع للسموات
والارض وما يدبرها ويملكها به من عجائب الملكوت وليكون من الموقنين اى وفعلنا ذلك
ليكون من المحققين قيل اى ليستدل وليكون ذيا باه اللام والواو فانهما لا يذكران بين
الاستدلال وما يترتب عليه فلما جن عليه الليل اى ستره بظلامه راى كوكبا قيل الكوكب الزهرة
والمشترى قال هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول بحكته على ما يقول الخصم ثم يكر
عليه بالافساد وفى تقديم الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى الوهم
انه استدلال لنفسه واما بعد تقديمه فلم يبق ذلك الاحتمال ومن هٰهنا تبين انه لا مجال لان يكون
قوله فلما جن عليه الليل الى تفصيلا وبيانا لذلك لان ما ذكر طريق النظر والاستدلال الشائع
الذائع بين اصحاب الظواهر المقصور نظرهم على عالم الملك فلا يصلح بيانا لحال من يترقى منه
الى درجة الوقوف على سرائر عالم الملكوت والمشاهدة بهذه لاسرار الربوبية فتعين عطفه على قال
ابرهيم فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم عن ضلالهم ويرشدهم
الى الحق من طريق النظر والاستدلال فلما افل الافول الغروب قال لا احب الافلين الارباب
المنتقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلا عن ان اعبدهم فالتعبير بالانتقال
من مكان الى مكان من خواص الاجرام المحتاجة الى الرب فلا يصلح للربوبية فلما راى القمر بازغا
البزوغ الطلوع قال هذا ربى فلما افل كانه غاب عن نظره او لم يكن حين راه فى ابتدا الطلوع بل كان
فى ورا الجبل ثم طلع منه او فى جانب اخر لا يراه والا فلا احتمال لان يطلع القمر من مطلعه بعد افول
الكواكب ثم يغرب قبل طلوع الشمس قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين تنبيها لقومه
على ان من اتخذ الافل المتغير الها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما تكون من فضل الرب وعطائه
وهذا طريق من يتلطف فى البحث والارشاد باظهار المناصحة لنفسه وامحاض النصح حين اراد لصاحبه
ما اراد لنفسه وينسب الذم والتقريع الى نفسه لا يواجه به الخصم ليكون ابعد من امتعاضه وعناده
واشد تليينا لعريكته وكسر العود شكيمته كما قال صاحب يس وما لى لا اعبد الذى فطرنى وفيه تقريع

فوى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر او لانه لا يفرق فى غير لغة العرب
بين المذكر والمونث فى الاشارة فاجرى الكلام على قاعدة تلك اللغة فى مقام الحكاية وعلى قاعدة
العربية فى مقام الاخبار واما قيل فكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة
التانيث فيرد عليه ان هذا الوجوب فى الرب الحقيقى مسلم واما الذى فرض ربا للابطال باظهار ما
فيه من الاوصاف النافية للربوبية فالوجوب المذكور فيه ممنوع بل المناسب حينئذ اظهار علامة
التانيث لما فيه من الاشارة الى ما سبق له العبارة هذا اكبر من باب مراعاة النصفة ايضا مع
الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب كانه يعرض ما
يفرضه ربا متجنبا عما يمكن التجنب عنه اتوهم ما يليق بشان الرب فلما افلت قال يا قوم انى برئ
مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة المحتاجة الى محدث ومدبر مغير وهذا صريح فى ان الكلام
مع القوم وقد دل قوله لئن لم يهدنى ربى على انه كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية
وان قومه على الضلالة واشعر بان محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج الى القسم
فان اللام فى لئن موطئة للقسم وفى لاكونن جواب قسم لما تم استدلاله وظهر بالحجة ولم تبق شبهة
يتمسك بها الخصم صرح بالمقصود واظهر التبرى مما كانوا يشركون به عن اخرها والتوجه الى من دلت
عليه الممكنات المتغيرة من موجدها ومبدعها فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين انما استدل بالافول دون البزوغ مع دلالته ايضا على التغير والانتقال
من حال الى حال لبعد دلالته من جهة الانتقال والاختفاء وانتقاء النورية ولانه لا مجال للاستدلال
بالبزوغ فى الكوكب لانه راه فى وسط السماء حين قرر الاستدلال وحاجه قومه خاصموه فى توحيد
الله ونفى الشركاء عنه قال اتحاجونى وقرى بتخفيف النون فى الله فى وحدانيته تع انكر مخاصمتهم فيها
بعد ان حج عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله تع وقد هدانى الى توحيده وكانوا خوفوه ان معبوداتهم
تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به اى ولا اخاف معبوداتكم وقتا ما لانها لا تضر ولا
تنفع الا ان يشاء ربى نصب على الظرف اى الا وقت مشيئة ربى شيئا يخاف من جهتها مثل ان
يصيبنى مكروه من جهة الكواكب والشمس والقمر فان كان فذلك منه تع لا منها وسع ربى
كل شئ علما اعتراض كالتعليل للاستثناء اى لا علم والله احاط علما بكل شئ فلا يبعد ان يكون
فى علمه ان يصيبنى مكروه من جهتها افلا تتذكرون ان بعدما الحصة من الدليل لا تتذكرون مواداه
وهو ان لا موثر الا الله والفاء للعطف على مقدر اى اتخوفونى فلا تتذكرون فتميزوا بين

الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ثم تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير له فى شئ
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر على كل
شئ ما لم ينزل به باشراكه سلطانا تهكم بهم فان اقامة الحجة على الشرك ممتنع وتعريض بوجود الحجة
على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون المامون من كل وجه وهم لا يخافون المخوف من جميع الوجوه
قال فاى الفريقين احق بالامن الموحدون ام المشركون ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب
واحترازا عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون ايحق ان يخاف منه ثم استانف جوابا للاستفهام بقوله
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى ولم يخلطوه بشرك كثبت التاثير الى الغير بعد التصديق
بالله تع لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رض وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى
الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقيل
بمعصية ويويد الاول كونه جوابا للاستفهام من المشرك والموحد اولئك الموحدون لهم الامن
دون غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه
الليل الى قوله وهم مهتدون حجتنا خبر تلك اتيناها ابرهيم الهمناها اياه ووفقناه لها على قومه
متعلق بحجتنا واتيناها خبر بعد خبر او جملة مبينة او حجتنا بدل واتيناها خبر وعلى قومه متعلق بمحذوف
دل عليه مفعول اتيناها اى اتيناه حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرى
درجات بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال المرفوع والمخفوض واستحقاق كل منهما
بما فعل به ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما هدينا ونوحا هدينا من قبل من قبل
ابرهيم قوم نوح اول قوم عبدوا الاصنام ووحدهو الله تع ففى عبارة من قبل اشارة الى ان
فيه اسوة حسنة لابرهيم واما عده هذا نعمة لابرهيم من حيث انه ابن وشرف الوالد يتعدى
لحقه ان يذكر نوح بعلاقته لابرهيم كما ذكر بعده كذلك ومن ذريته الضمير لابرهيم لان الكلام فيه
ويونس ايضا من ذريته لما ذكر فى جامع الاصول انه كان من الاسباط فى زمن شعيب ارسله
الله الى نينوى من بلد الموصل ولا يبعد فى عد لوط من ذرية ابرهيم باعتبار انه كان ابن اخيه
ما جر معه الى الشام فلا ضرورة داعية الى تخصيص البيان بالمعدودين فى الاية الاولى والثانية
وعطف المذكورين فى الثالثة على نوح وقيل لنوح لانه اقرب وفيه انه يلزم ح افراد اسمعيل
عن باقى ذرية ابرهيم داود وسليمن وايوب ايوب بن اموص من اسباط اسحق ويوسف
وموسى وهرون وكذلك ومثل ذلك الجزاء العظيم الذى جزينا ابرهيم من رفع درجاته وكثرة

او لاده والنبوة فيهم نجزى المحسنين الذين احسنوا فى عبادتنا وزكريا ويحيى وعيسى هو المسيح بن
مريم دل ذكره على تناول الذرية لاولاد البنت والياس هو من سبط هرون وقيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى كل من الصالحين من الكاملين فى الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى وفى توصيف الانبيا بالصلاح تنويه بشان تلك الصفة
وتنبيه على عظم قدرها كما فى وصف الانبيا والملائكة بالايمان فان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف
واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرئ والليسع كضيغم وعلى القرائتين هو علم اعجمى قيل ادخل
عليه اللام كما ادخل على اليزيد فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا ويرده لزوم اللام له فالوجه
ما قال ابن مالك ما قارنت الى نقله كالنضر والنعمن او ارتجاله كاليسع والسموأل فان الاغلب
ثبوت ال فيه ويونس وهو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخ ابرهيم وكلا فضلنا على
العالمين بالنبوة على من ليس من الانبيا ولابد من هذا القيد كيلا يلزم تفضيل كل منهم على الاخر
او تفضيل كل من المعاصرين على الاخر ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم فى محل النصب عطفا على
كلا او نوحا ومن للتبعيض لان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا
وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به
يهدى به من يشاء من عباده فيه دليل على ان الهداية بمشيئته تع وانه متفضل بها فيبنا على
عدم لزوم المشية لذاته تع وذلك غير ظاهر من الكلام ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم
لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى بطلان اعمالهم بسقوط ثوابها عنهم اولئك الذين اتيناهم
الكتاب اى جنسه والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة قد بينا الفرق بينها وبين
الرسالة فى سورة الاعراف فان يكفر بها اى بهذه الثلاثة او بالاخير منها هؤلاء يعنى اهل مكة
فقد وكلنا بها قوما هم مؤمنوا اهل المدينة قاله ابن عباس رض ومعنى توكيلهم توفيقهم للايمان بها
والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده فمعنى المراعاة داخل فى مفهوم التوكيل
ليسوا بها بكافرين الباء الاولى صلة الكافرين والثانية توكيد للنفى اولئك الذين هدى الله
اشارة الى الانبيا المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده تقديم فبهداهم للتخصيص اى فاخصص هداهم بالاقتدا
ولا تقتد الا بهم والمراد بهداهم الايمان والتوحيد واصل الدين مما اشترك الكل فيه دون الفروع
من الشرائع المختلفة والاديان فانها تختلف بحسب الازمان بقى قسم اخر وهو الفروع من المتفق
عليه كالصوم والصلوة وحرمة الكذب والزنا فيدخل هذا القسم من الفروع مع الاصول تحت مطلق

الهدى

الهدى من المشترك المضاف الى الكل فيصلح متمسكا فى الجملة لمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا
بشرائع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف
ووجه اشباعها ان تجعل كناية عن المصدر قل لا اسالكم عليه اى على التبليغ اجرا جعلا من جهتكم كما لم
يسال الانبيا السابقون قبل وهذا من جملة ما امر بالاقتدا بهم فيه وفيه اعتراف لعدم اختصاص
الهدى المذكور بالاصول فلا وجه لنفى التمسك المار ذكره ان هو اى التبليغ او القران الا ذكرى
للعالمين تذكرة وعظة وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده والانعام
عليهم ببعثة الرسل وانزال الكتب او فى السخط على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحى والنبوة
واقدموا على تلك المقالة العظيمة اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ والقائلون هم اليهود
بدليل الزامهم بانزال التورية على موسى وقيل القائلون قريش وانما الزموا بانزال التورية لانه
كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس نورا وهدى حالان اى
جامعا بين كونه نورا متبينا به الاحكام والشرائع وبين كونه هدى للناس الى التوحيد والمعاد
تجعلونه اعتراض لبيان سوء حملهم للكتاب وفعلهم به ما ينافى كونه نورا وهدى للناس توبيخا
لهم وتعييرا قراطيس ورقات متفرقة ليتمكنوا من تفريقها على ما قصدوا من الابداء والاخفاء
تبدونها وتخفون كثيرا قراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون لتقاضى كلامهم والزاما
لهم وقرا بعضهم بالياء التحتانية حملا على ما قالوا وما قدروا ولتضمن الالزام توبيخهم على تبعيض التورية
وتحريفها وابداء بعض واخفاء بعض وعلى هذا التفت الى الغيبة تبعيدا لهم بسبب فعلهم القبيح
ثم التفت ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وما احسن الالتفاتين
حيث اريد نسبة القبيح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم ما
لم يعلموا به خاطبهم به وعلمتم خطاب لليهود اى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم
مع كونكم حملة الكتاب ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص
وزيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم لقوله تع ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر
الذى هم فيه يختلفون وعلى القول الثانى الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
قل الله امر بالجواب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يتلبس عليهم ولا يناكرون فيه وهو الله
انزله حذف الخبر لدلالة انزل فى السؤال عليه لكنهم بهتوا محجوجين ملزمين لا يقدرون على الجواب

خوف العاقبة ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ثم لاستبعاد الكلام بعد الالزام اي كلام الا هذا ولهذا
سمي كلامهم غير هذا خوضا في الباطل اي هزءا وهذيانا وسماهم لاعبين لان الكلام الذي ليس
بنافع ولا معقول لعب ومعنى ذرهم لا عليك بعد الزام الحجة ان لم يسكتوا اتركهم يلعبون حال
من ذرهم وفي خوضهم صلة له او ليلعبون او حال منه او من خوضهم وهو صلة لذرهم وهذا اي
القران والتعظيم الذي قصد بذلك في قوله تع ذلك الكتاب حصل من تنكير كتاب لحصل التعالي
بين القولين انزلناه مبارك كثير المنافع الثابتة والفوائد الباقية فان البركة ثبوت الخير
على الازدياد مصدق الذي بين يديه من الانجيل وسائر الكتب الالهية المخبرة عن رسالة
نبينا صلى الله عليه وسلم والمبشرة عن بعثته ومرجعا الى تصديقه عليه السلام في دعوى النبوة وهو من
المقاصد الاصلية من انزال القران ولتنذر عطف على ما دل عليه صفة الكتاب اي للبركات
وللتصديق وللانذار اكتفى بذكره عن ذكر مقابله وخصه بالذكر لعمومه وقيل يجوز عطفه على صريح
الوصف اي كتاب مبارك وكائن للانذار وعطف الظرف على المفرد في باب الصفة والخبر
كثير او على المحذوف اي ولتنذر انزلناه وقرئ بالياء والضمير للكتاب ام القرى اهل مكة وانما
سميت به لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومكان اول بيت وضع للناس ولانها اعظم القرى
شانا ومن حولها من العرب وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال للانذار العام لان
نزوله عربيا لاجلهم على ما افصح عنه في قوله تع وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام
القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به لان التصديق بالاخرة يحمل صاحبه
على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بالنبي وبالكتاب والنبي عليه السلام ويحافظ على
الطاعات وهم على صلوتهم يحافظون المراد بالمحافظة على الصلوة المحافظة على الطاعات
كلها وانما خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين فارق بين الكفر والاسلام ناهية عن
الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان
بعثه تع نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة والاسود كذاب صنعاء او اختلق عليه احكاما كعمرو
بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تع ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملي عليه حتى اذا بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر
تعجب عبد الله من اطوار خلقة الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام

اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث واشباهه حيث قال لو نشاء لقلنا مثل هذا
ولو ترى اذ الظالمون اللام للعهد والاشارة الى المذكورين من اليهود والمتنبئة وسائر
المدعين او للجنس ودخل هؤلاء فيه دخولا اوليا وحذف جواب لو وهو لرايت امرا عظيما اي اتى الى انه
لا يمكن وصفه لشدته وحذف مفعول ترى لدلالة اذ الظالمون عليه اي ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت اصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم
اليهم حال اخرجوا انفسكم على تقدير القول اي يقولون اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل
باسطوها بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص تشبيها لهم
بالمطالب المعنف والغريم الملازم الذي لا يمهل ولا يخفف بل يلح ويريد تصوير العنف في
ازهاق الروح والغلظ في المطالبة والقبض من غير تنفيس او بالمواخذ الباطش القائل
لاسيره تهكما خلص نفسك عني يريد تعجيزه وانه لا يقدر على الخلاص البتة اليوم يريد به
وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب
الى الهون لافادة الاصالة فيه والتمكن والعراقة كما تقول رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب
قولكم على الله غير الحق كنسبة الولد والشريك اليه ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن
اياته تستكبرون وباستكباركم من الايات فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وهو جمع فرد او جمع فريد كقرين وقراني ورديف ورداف
والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد بالتنوين كرخال وفراد بالضم اسم جمع وبالكسر جمع
رخل كعبر الخ وقد يقال الرخال بالضم انه جمع اما تجوزا وانقلاب الكسرة ضمة وقرئ فراد كثلاث
وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة صفة لمصدر اي مجيئا مثل خلقنا لكم او صفة لفرادى
او بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية او حال عن ضمير فرادى اي
مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما وانتصاب اول مرة على الظرف وتركتم ما خولناكم
اعطيناكم وتفضلنا عليكم به في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم مبالغة في الترك
وعدم الانتفاع به بحيث لا يمكنه النظر اليه وما نرى معكم شفعاءكم صريح في انه يحال بينهم وبينهم
ابتداء والاستغفار عنهم عند ذلك ثم انهم يجمعون معهم على ما افصح عنه قوله تع واذا راى الذين

اشركوا شركاهم وقدما يتعلق بهذا في هذه السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم
واستحقاق عبوديتكم شركاء لله لقد تقطع بينكم والمعنى وقع التفرق بينكم اكثر القراء رفع بينكم على
اسناد الفعل الى الظرف على الاتساع كما يقال قوتل خلفكم وامامكم ومن نصب فعلى تأويل اسناد
الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي وقع الجمع بينهما وصله
لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وقيل ان البين مصدر وهو من الاضداد يجيء بمعنى الفصل والوصل
فمعناه تقطع وصلكم وتشتت جمعكم ولا يأباه قراءة النصب اذ تكون حركة حركة بناء لاضافته
الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فتستوي القراءتان وضل غاب عنكم ما كنتم
تزعمون انها شفعاؤكم يرشدك الى هذا قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون ان الله فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر اخبر عنه بشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منه نبتا اخضر
ليبين انه لو اجتمع كل الخلائق على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل المراد به الشقاق الذي في النواة
والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبله لان فلق الحب والنواة بالنبات والشجر
اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الاحياء لقوله تعالى يحيي الارض بعد موتها الا انه عم ليكون
كالدليل ومخرج الميت ما لا ينمو من النطف والحب من الحي من الحيوان والنبات ذكره بلفظ
الاسم حملا على فالق الحب ذلكم الله اي ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة هو الذي يحق له
العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره وفيه دلالة على ان هناك صارفا لهم عن مقتضى
فطرتهم وانه غير الله تعالى فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في آخر الليل الذي
على الافق عن الصبح او شاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال انشق عمود الصبح وانصدع
الفجر وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح وقرئ
بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه
ويستأنس به ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها والليل يستأنس به التعب ويسكن اليه
للاستراحة فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به لانه قصد به معنى المضي ويعضده قراءة
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد
منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لما بعد بمعنى المضي عن شبه الفعل فمعنى الاستمرار اولى
ليس بشيء لان شبهه الخاص انما هو بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا يشترط معنى الحال او
الاستقبال الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور والمضارع قد يجيء بمعنى الاستمرار كثيرا فاسم

الفاعل

الفاعل بالاستمرار لا يبعد عن شبه الفعل بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون
والشمس والقمر عطفا على محل الليل والاحسن نصبهما على اضمار فعل دل عليه جاعل وقرئ بالجر عطفا
على الليل ولا دلالة فيه على ان نصبهما عطف على محل الليل حتى ينافي حسن نصبهما على اضمار فعل
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشمس والقمر مجعولان حسبانا او جعلا حسبانا اي جعلهما
على حسبان لان حسبان الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما يعني على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات
ويكونان علما الحسبان على قراءة الجر نصب حسبانا بفعل مقدر اي جعلا كما مر في سكنا والحسبان
كالكفران مصدر حسب بفتح العين واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان كالغفران ذلك اي جعلهما
حسبانا يعني ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما
وتدويرهما على الادوار المختلفة وهو الذي جعل لكم النجوم اجمالا اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها
منافع وهو دليل اضماره في الكل من فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في معرض
الامتنان وتعديد النعم على الانسان لتهتدوا بها متبين بافراد بعض منافعها بالذكر
اشارة الى انه اكثر منافعها واجلها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليها للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة قد فصلنا الايات
بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما علمت ان ذلك التفصيل في معرض الامتنان هو
لا يكون الا للعالم به لما امتن به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع
فلكم استقرار في الرحم او فوق الارض واستيداع في الصلب او تحت الارض وقال ابن
الحنفية المستقر الصلب والمستودع الرحم لتقديم ذكره على المستودع او فلكم محل استقرار
واستيداع وعلى قراءة كسر القاف فمنكم مستقر اسم فاعل ومنكم مستودع اسم مفعول لان
الاستقرار منا دون الاستيداع وهو جعل الشيء في الشيء للاحتفاظ به قال الحسن المستقر
من مات والمستودع انتم وانشد فجع الاحبة بالاحبة قبلنا * فالناس مفجوع به ومفجع *
مستودع او مستقر قد خلا * فالمستقر يزوره المستودع * وكان يقول يا ابن آدم
انت وديعة في اهلك ويوشك * وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما ان ترد
الودائع * قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فرق بين الفاصلتين ذكر مع ذكر النجوم
والاهتداء بها يعلمون لظهور امرها ومع انشاء الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تصريفهم
بين اطوار واحوال مختلفة يحتاج الى دقة نظر وروية وهو الذي انزل من السماء ماء

من جانبها او من السحاب فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل
صنف من اصناف النامي وفيه ايماء الى عجيب صنعه وبديع خلقه من كون السبب واحدا والمسببات
اشياء مختلفة كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات
خضرا شيئا غضا اخضر وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من
الخضر حبا متراكبا هو السنبل ومن النخل من طلعها الطلع اول ما يخرج من النخلة في اكمامه قنوان
وهو الاعذاق جمع قنو مبتدا ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع
النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرأ يخرج حب متراكب عطف قنوان على حب وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع اذ
ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة التناول لان النخل تثمر على قصرها او قريبة بعضها من بعض
وصف القنوان بالدانية لان النعمة فيها اكثر واهنأ واستغني بها عن ذكر مقابلها كقوله سرابيل
تقيكم الحر وجنات من اعناب بالكسر في محل النصب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء
اي ولكم او وثمة جنات من الاعناب او مع النخل ويجوز عطفه على قنوان ولا يلزم ان يكون المعنى
ومن النخل جنات من اعناب اذ ح يكون من اعناب عطفا على من النخل فيصير من عطف
مفرد على الابتداء واخر على خبره وقدم الظرف في المعطوف عليه للتخصيص واخر في المعطوف
لعدم اختصاص الجنات غايته ان المعطوف على المبتدا يكون نكرة غير مخصوصة ولم يعرف
منع ذلك كيف وقد قال الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي فهل باعجب من هذا امرؤ
سمعا والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصبا على المدح لعزة هذين الصنفين
عندهم مشتبها وغير متشابه حال وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك
كقولك كنت منه ووالدي بريئا اي بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم
والشكل وذلك دليل القدرة وقرئ متشابها والاشتباه والتشابه بمعنى واحد وكثيرا ما
يشترك الافتعال والتفاعل بمعنى انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرئ بضم الثاء
جمع ثمرة كخشب وخشبة او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار
واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا ينتفع
به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ والينع مصدر
ينع بفتح الياء في لغة الحجاز وضمها في بعض لغة نجد يقال ينعت الثمرة اذا ادركت ونضجت وقيل

جمع يانع كتجر وتاجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
اي لآيات دالة على وجود قادر حكيم وتوحيده بمعنى نظر واعتبر وظهور الآيات لا ينفع الا
لمن قدر الله تعالى له الايمان فنبه على ذلك بتوصيف القوم بالايمان فهو من قبيل هدى للمتقين
ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ند له ولا ضد وبخ من اشرك به واستعظم ذلك فقال وجعلوا
لله شركاء الجن لله شركاء مفعولا لجعلوا والجن منصوب بمحذوف جوابا عن سؤال كانه قيل من جعلوه
شركاء لله فقيل الجن او بدل من شركاء او شركاء الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركاء
وشركاء ثاني مفعوليه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن اي هم الجن وبالجر على الاضافة
للتبيين وفائدة تقديم الله استعظام ان يكون لله شركاء اي شيء كان جنيا وانسيا او غير
ذلك وكذا فائدة تقديم شركاء على الجن والظاهر ان المراد به الملائكة وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا
لشانهم ويجوز ان يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع الله وعبدوا الاوثان
بتحريضهم وتسويلهم فهم عبدوهم في الحقيقة وقيل المراد به الثنوية القائلون يزدان واهرمن
الذين زعموا ان الله خالق كل خير ونافع وابليس خالق كل شر وضار وخلقهم اي الجاعلين معناه
وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من لا يخلق شريك الخالق او الجن يعني وخلق الله
الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له وقرئ خلقهم بسكون اللام عطفا على شركاء على الوجه الاول اي
اختلاقهم للافك معناه وجعلوا لله افتراءهم وهو نسبوا قبائحهم الى الله تعالى في قولهم ان الله حرم
هذا وقولهم والله امرنا بها وامثال ذلك وخرقوا له افتعلوا له الافك يقال خلق الافك وخرقه
واخلقه واخترقه بمعنى ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات
وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات على الجمع وقرئ وحرفوا اي وزوروا له
اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل هو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول
قريش في الملائكة بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه اي قولا عن جهالة وعمى من غير فكر
وهو في موضع الحال اي خرقوا ملتبسين بالجهالة او المصدر اي خرقا بغير علم ولما ذكر ابناءهم الشركاء
له واختلاقهم نسبة ما لا يجوز نسبته اليه تعالى نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يصفون
وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بديعة
سماواته وارضه او الى الظرف اي بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما كقولك فلان ثبت الغدر
اي ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع وقدران فعيلا بمعنى المفعل كاليم وحكيم وهو خبر مبتدا محذوف

اي هو بديع او مبتدا خبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد او فاعل تعالى وقرى
بالجر صفة لله او بدلا من ضمير سبحانه وبالنصب على المدح ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرى بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى
عليه خافية وانما قال بكل ولم يقل به لان الاول اخص بالمخلوقية وفي الاية استدلال على نفي
الولد من وجوه احدها انه تعالى مبدع الاجسام كلها ومبدع الاجسام كلها لا يكون جسما
والولادة انما تكون من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام مبدعة والمبدع
هو الذي لا يوجد من مادة والولد لا يكون الا من مادة تخص فالمبدع ليس بولد وثالثها ان
الولد لا يكون الا عن زوجة تجانس الوالد وهو غير مجانس فلا زوجة له فلا ولد ورابعها
انه خالق الكل والمخلوق ممكن محتاج الى الخالق والخالق واجب مستغن فلا يشابهه شيء من
خلقه وخامسها انه تعالى عالم بكل شيء لذاته ومن عداه ليس كذلك بالاجماع فلا يجانسه
غيره والولد انما هو مجانس للوالد فلم يكن له ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ويجوز ان
يكون البعض خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمع
هذه الصفات وجب عبادته ولا تحق العبادة الا له وهو على كل شيء وكيل اي هو مع تلك
الصفات متولى اموركم فكلوا اليه اموركم وتوسلوا اليه بعبادته ليجازيكم بها لا تدركه
لا تحيط به الابصار فاذا لم تحط به الكل فعدم احاطة كل واحد منها به بطريق الاولى وهذا الوجه
للعدول عن المفرد الى الجمع واذا كان المنفى الادراك الخاص فلا متمسك فيه لمن انكر الروية
واما الجواب عنه بتخصيص الحكم ببعض الاوقات او ببعض الاشخاص فلا يتحمله الكلام على الوجه
المذكور المناسب للمقام والابصار جمع بصر وهو حاسة العين اي قوتها التي بها تدرك وقد
يطلق على العين مجازا وهو يدرك الابصار يحيط بها علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك
بالبصر ويجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار والثاني الى قوله وهو يدرك
الابصار كانه قيل لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير بكل خفية وجلية
والمراد من اللطيف ما لا يتعلق به حاسة النظر لعدم حظ من الكثافة بطريق الاستعارة قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي نور للقلب يدرك به الحق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة
البصر للعين بحيث بها الدلالة لانها يجلى بها الحق ويبصر بها فمن ابصر الحق بهذه الدلائل وآمن

به فلنفسه ابصر وايانه نفع ومن عمى اي عمى عن الحق وانكر فعليها وباله ضرر وليس وباله عليها
وهذا الكلام وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ وما انا عليكم برقيب
يحفظ اعمالكم ويجازيكم بها بل الله هو الحفيظ وما انا الا منذر وكذلك نصرف الايات ومثل
ذلك التصريف نصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست علة فعل محذوف
اي وليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قالوا والظاهر انها لام الامر والفعل مجزوم
بها لا منصوب باضمار ان ويؤيده قراءة من قرا بتسكين اللام والمعنى عليه متمكن كانه قيل ومثل
ذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون وهو امر معناه الوعيد والتشديد وعدم الاكتراث
بهم وبما يقولون والدرس استمرار التلاوة وقرى دارست العلماء ودرست من الدروس
فرمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرى درست بضم الراء مبالغة في
درست ودرست على البناء للمفعول اي قرئت هذه الايات او عفيت ودارست بمعنى درست
او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان اليهود كانت مشهورة عندهم
بالدراسة ويجوز ان يكون الضمير للايات والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرس اي درس
محمد صلى الله عليه وسلم ودرسن اي عفون ودارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة
راضية ولنبينه اللام للتعليل على الحقيقة او بطريق الاستعارة على اختلاف الاصلين في
جواز ان يكون فعل الله معللا بالغرض واعيد الضمير مفردا على معنى الايات وهو القران
ولما كان التعريف اعتبر فيه وحدة المعنى كان لتوحيد الضمير هنا باعتبار المعنى موقع حسن
لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر في قوله لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين
به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في
الالوهية واعرض عن المشركين اي لا تحفل باقوالهم ولا تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا باية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولا ضرورة فيه ولو شاء الله توحيدهم وعدم
اشراكهم ما اشركوا دليل على ان الله لا يريد ايمان الكفار وان مراده واجب الوقوع وما
جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله لتسبب
سبكم لان يسبوا الله فيه تلوين الخطاب بالعدول عن خطابه صلى الله عليه وسلم وحده الى
الخطاب في ضمن الكل لا في مواجهته عليه السلام بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الاخلاق الكريمة

اذ لم يكن فاحشا ولا سبابا قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله عن سب من يستحق السب
لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل المومن بغير حق منكر وكذا
امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه ثم قال في جوابه ان السب
لاولئك مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما يتولد منه
ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عن المتولد منه والامام اذا قطع يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض
عليه فلم يوخذ بالمتولد منه الى هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الاية على ان الطاعة الواجبة يجب
ان تترك اذا ادت الى معصية راجحة كالنهي عن المنكر بقي ههنا شئ وهو انهم كانوا مقرين
بالله تعالى وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله فكيف يسبونه واجيب عنه
بانهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما يفضي فعلهم الى ذلك كما قالوا اترك شتم الهتنا والا شتمناك
ومن يامرك بذلك ويعضد ذلك قوله عدوا بغير علم اي تجاوزا عن الحق الى الباطل على جهالة
حال اي عادلين او مفعول له اي لعدوان فيهم او مصدر للنوع اي شيئا عدوا وقرئ عدوا
بضم الدال وتشديد الواو وبما قررناه تبين الخلل فيما قيل انه عليه السلام كان يطعن في الهتهم
فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او نهجون الهك فنزلت فان عبارة نهجون تابى عن التاويل
المذكور وقد ذكر في التيسير سبب النزول على وفق ذلك التاويل كذلك زينا لكل امة عملهم اي
مثل ذلك التزيين العظيم وهو تزيين سب الله زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان
والتخلية بينهم وبين اعمالهم حتى تزين لهم وقيل هو عام اي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويقوي الاول كون الكلام في الكفار والمشبه
به تزيين سب الله تعالى لهم والتهديد بقوله ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة
والعاقبة واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين ايمانهم جهدا وانما اقسموا
بالله موكدين تحكما على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الايات واقتراحها وعدم الاعتداد
بما راوا منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليومنن بها قل انما الايات عند الله لا عندي اي
هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون استفهام انكار
للسبب مبالغة في المسبب اي لا تدرون ايها المومنون ان الايات المقترحة اذا جاءتهم لا يومنون
بل انا اعلم بذلك يعني ان سبب عدم انزال الاية التي تقترحونها علم الله بانها اذا جاءت
لا يومنون بها وذلك ان المومنين كانوا يطمعون في ايمانهم ويتمنون مجيئها ليومنوا فحسبوا

بذلك

بذلك ودليله قوله تعالى كما لم يومنوا به اول مرة ومنهم من جعل لا مزيدة في القراءة بالفتح وقرئ
لا تومنون بالتاء على ان الخطاب للمشركين وقرئ وما يشعرهم اي وما يعلمون ان قلوبهم اذا جاءت
كانت كما كانت مطبوعا عليها فلا يومنون بها وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت
السوق انك تشتري لحما ويويده قراءة ابي رض لعلها وقرئ انها بالكسر على ان وما يشعركم كلام قد تم اي
وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فاعلمهم بقوله انها اذا جاءت لا يومنون البتة ونقلب افئدتهم
وابصارهم عطف على لا يومنون داخل في حكم الاستفهام وكذا نذرهم اي وما يشعركم انا
نقلب افئدتهم اي نطبع على قلوبهم ونعمي ابصارهم كما كانت ولم يذكر اسماعهم اذ لا يناسبه التقليب
ولهذا ايضا لم يقل قلوبهم بدل افئدتهم ويجوز ان يكون كما في قوله كما لم يومنوا به اول مرة
للتعليل وما مصدرية اي نفعل بهم ذلك لكونهم لم يومنوا به اي بما انزل من الايات اول وقت
جاءهم هدى الله ويناسب هذا المعنى اخر الاية ونذرهم نخليهم في طغيانهم يعمهون متحيرين
لا نهديهم هداية المومنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وقرئ وتقلب على البناء للمفعول
ورفع افئدتهم وابصارهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم
الموتى كما قالوا فاتوا بابائنا وحشرنا عليهم كل شئ قبلا كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا
والقبل جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل جمع قبيلة اي جماعات
او مصدر بمعنى مقابلة وقرئ قبلا بكسر القاف وفتح الباء اي عيانا حال على الوجوه كلها من
كل شئ لعمومه ما كانوا ليومنوا لما سبق عليه القضاء بالكفر لان فيه تعليل الحوادث بالتقدير
الازلي ولا يخفى فساده لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم القابلة بسوء اختيارهم الا ان
يشاء الله ظرف الا وقت ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يومنوا فيقسمون
جهد ايمانهم على ما يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع انه يعمهم لان المقسمين بعضهم او
ولكن اكثرهم يجهلون انهم لا يومنون عند مجئ الايات فيطمعون في ايمانهم ويتمنون نزولها
بين ان الايات وان توالت وتموس البرهان وان تعالت فمن قصمته العزة وكسته العتمة
لم يزده ذلك الا ضلالا فلم يستجد الا للغشو ضلالا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك
عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا والحكمة في ذلك الابتلاء والامتحان ليظهر الثبات والصبر
وكثرة الثواب والاجر شياطين الانس والجن متمردي الصنفين بدل من عدوا او هما مفعولان
ولكل متعلق به او حال منه يوحي يلقي في خفية بعضهم الى بعض شياطين الجن الى شياطين الانس

او بعض احد الصنفين الى بعض زخرف القول مزينه ومموهه بالاباطيل غرورا حال
اى غارين او مغرورين او مفعول له للغرة ولو شاء ربك حذف المفعول لدلالة ما فعلوه عليه
اى لو شاء ربك ان لا يفعلوا معاداة الانبيا وايحآ الزخارف على ان الضمير لما ذكر ما فعلوه
ولكن انما لما اقتضته حكمة ويجوز ان يكون الضمير للايحآ وفى الاية دلالة على ان الشرور صدورها
عنه تع بمشيته فذرهم وما يفترون اذ عرفت ان ذلك بمشيته تع تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم
وفيه تهديد ووعيد ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل
علة او علة لمحذوف اى ولتصغى اليه جعلنا لكل نبى عدوا واللام للتعليل او للعاقبة على الاختلاف
فى جواز ان يكون فعله تع معللا بالغرض وليست لام الامر والا لقيل ولتصغ بحذف الالف
ولا لام القسم لان عطف قوله وليرضوه يا باه وهذا يدفع كونها للامر ايضا والضمير فى اليه
وليرضوه لما له ضمير فعلوه والصغو الميل لغرض من الاغراض يقال اصغيت الاناء اذا املته
ليجتمع ما فيه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام فيتميز الشقى من
السعيد وترتيب هذه المفاعيل فى غاية الفصاحة لانه اولا يكون الخداع فيكون الميل
فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله افغير الله ابتغى حكما على ارادة
القول اى قل لهم يا محمد والهمزة للانكار والفآ للعطف على ما دل عليه ما قبله اى اشك لكثرة
الجاحدين المفترين فغير الله ابتغى اى اطلب حكما يحكم بينى وبينكم ويفصل الحق منا من المبطل
روى ان مشركى قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار
اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما فى كتابهم عن امرك فنزلت وغير مفعول
ابتغى وفى تقديمه ايمآ الى وجوب تخصيصه تع بالابتغا والرضى بكونه حكما وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وجوز ان يكون حكما تمييزا عن غير كقولهم ان لنا غيرها ابلا وهو ابلغ من الحاكم قيل ولذلك لا
يوصف الا العادل وفيه ان المبالغة من جهة التكرر ولا دلالة فيه على الوصف وهو الذى
انزل اليكم الواو للحال الكتاب اى القران مفصلا مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق
من المفترى وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات ثم اكد الدلالة
على ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته لهم من غير قراءته صلى
الله عليه وسلم لكتابهم تحلية استينافية وهو قوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
قرى بالتخفيف والتشديد من ربك بالحق انما وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهلين منهم لتمكنهم عنه

منزلة العالم وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب فلا تكونن من الممترين انهم يعلمون ذلك او انه
منزل من ربك بالحق لكثرة جحودهم وكفرهم فهو من باب التهييج والالهاب او خطاب لكل احد
اى لما تعاضدت الادلة وبهرت فلا ينبغى لاحد ان يرتاب فيه وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم والمراد امته وتمت كلمات ربك اى تمت كل كلمة من ربك ومعنى تمت استمرت لانه
كان بها نقص فكملت وبلغت الغاية صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاحكام والاقضية
نصبا على الحال او التمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يقدر ان يحرف شيئا منها شيوعا
وذياعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا من الله تع بحفظه اذ لا نبى ولا كتاب
بعده ينسخه ويبدل احكامه وقرى كلمة ربك اى ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان اهملهم وان تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الناس يضلوك عن سبيل الله
لان اكثرهم يتبعون اهواهم وقيل المراد بالارض ارض مكة ان يتبعون الا الظن اى الآرآء الفاسدة
والاهوآ الباطلة وظنوا ان اباهم كانوا على الحق وهم يقلدونهم فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان
هم الا يخرصون يقدرون انهم على شئ او يكذبون فى قولهم ان الله حرم كذا واحل كذا فان الخرص التقدير
والكذب ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن اما موصولة
او موصوفة وهى فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به لان افعل لا يعمل فى الظاهر فى مثل هذه
الصورة او فى محل الجر لا باسقاط حرف الجر وابقاء عمله لدلالة بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا
فى ضرورة الشعر بل باضافة اعلم اليه او استفهامية فى محل الرفع بالابتدآ والخبر يضل والجملة معلق
عنها الفعل المقدر وعلى هذا صرفه عن وفاق قسيمه تعجيبا من شان المضلين المتبعين للظن الكاذب
وابعادا لهم وقرى من يضل بضم اليآ اى يضله الله اى اعلم المضلين من قولهم من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى من شان العلم ان يتعلق بها ولزوم
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكارهم اتباع المضلين الذين يحلون
الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا
مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه
اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى باسم الله تع ان كنتم باياته مؤمنين
فان الايمان بها يقتضى ما ذكر وقد حمل هذا على شرط محذوف جوابه فكلوا وما لكم الا تاكلوا واى غرض
لكم فى ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا من اكله قيل هو كلام على القلب المراد ان تاكلوا

مما لم يذكر اسم الله عليه فغلب مبالغة في صونهم عن اكل ما حرم عليهم وانهم ليسوا مما يهمون بذلك
فيحتاجون الى التنبيه وانهم لشدة الاحتراز عن الحرام كادوا يتركون ما احل لهم تورعا ولهذا رتب
الوعيد على تجاوز الحد وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم يعني في هذه السورة
لانها على ما نقل مكية ونزلت في مرة واحدة والتفصيل الواقع في البقرة والمائدة متأخرة في النزول
لانهما مدنيتان وقرئ فصل على البنائين وكذا حرم الا ما اضطررتم اليه استثنا متصل اي مما حرم
ويجوز ان تكون ما مصدرية وما في ما اضطررتم في محل النصب على الظرف والاستثنا مفرغ اي ما
حرم عليكم في جميع الاوقات الا وقت اضطراركم اليه يعني في حال الضرورة فانه حلال وان كثيرا
ليضلون فيحللون ويحرمون باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل يفيد العلم وقرئ
ليضلون بضم اليا ان ربك هو اعلم بالمعتدين بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى
الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن به وما يسر او ما يعمل بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في
منازلهن واتخاذ الاخدان قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون ما كان من الزنا سرا حلالا فحرم
بهذه الاية ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم المتروك عليه اسم الله عمدا او نسيانا وعليه احمد ومالك وداود وخلافا
للشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين
العمد والنسيان واوله بالميتة وما ذكر اسم غير الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق
الواو للاستيناف او للعطف على جملة استينافية للتعليل حذفت لدلالة باقي الكلام عليها
اي انه حرام وانه لفسق والضمير لمصدر الفعل الذي دخل عليه النهي اي وان الاكل منه لفسق او للموصول
اما بحذف المضاف اي وان اكله وانما جعل ما لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان يكون الضمير
الثاني على تقدير التقدير لعدم ذكر اسم الله وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من المشركين ليجادلوكم بقولهم المنقول فيما سبق وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
ما حرم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك جواب القسم المقدر قبل الشرط ساد مسد جوابه
اي والله وقيل حذف الفاء لدخول الشرط على الماضي ورد بانه يقع ضرورة فلا يكون او من كان
ميتا فاحييناه الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر دل عليه ما قبله اي هل يكون المهتدي
كالضال ومن كان ميتا فاحييناه وقرئ ميتا على الاصل وجعلنا له نورا يمشي به اماراد في
الناس تقوية للنور فان المشي بينهم تعرضه لنورهم وضعف كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره

في الظلمات على سبيل الحكاية يعني اذا وصف يقال له ذلك والجملة صفة من اي كمن صفته هذه
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف والعامل معنى الاستقرار لا من البارز في مثله
للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة وجعل له نور البصيرة يميزه بين الحق والباطل بالتأمل في الايات
والبينات وكلاهما من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ لا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافي
الاستعارة وهذا كما تقول في الاستعارة الافرادية ايكون الاسد كالثعلب اي الشجاع كالمحتال
كذلك اي مثل ذلك التزيين والاشارة الى ما في قوله زينا لكل امة عملهم وقوله وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة رض وابي جهل وقيل
في عمر او عمار رض وابي جهل وكذلك اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى صيرنا ومفعوله الاول اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعوله
الثاني ويجوز ان يكون في كل قرية ظرف لغو والمفعول الثاني ليمكروا على ان الجعل بمعنى التمكين واكابر
على هذين الوجهين مضاف الى مجرميها واجاز ابو البقا ان يكون مجرميها بدلا من اكابر واجاز
ابن عطية ان يكون مجرميها المفعول الاول واكابر المفعول الثاني والجعل بمعنى التصيير او بمعنى
التمكين على ان الكلام من قبيل اعصر خمرا ويردهما ان افعل التفضيل اذا كان بمن ملفوظا بها او
مقدرا او مضافا الى نكرة كان مفردا مذكرا دائما سواء كان لمذكر او مؤنث مفرد او مثنى او مجموع
فاذا انث او ثني او جمع طابق ما هو له في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف واللام او الاضافة الى
معرفة وعلى الوجهين المذكورين يلزم ان يبقى اكابر مجموعا لانهم اقوى على استتباع الناس في المكر
بهم وقرئ اكبر مجرميها وعلى هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين المردودين على القراءة السابقة وما
يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن اي
بتلك الاية حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله لم يقولوا مثل ما اوتي محمد لانهم كانوا في مقام الانكار لذلك
وفيما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت قوله كما يأتيه لا يناسبه النكتة المذكورة
وعلى صحة ما روي الجمع في قالوا لان من تبعه من قريش رضوا بقوله فنزلوا منزلة القائلين الله
اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بكبر النفس ولا بالمال والجاه انما
هي بخصائص يخص الله بها من يشا من عباده ويصطفي بها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم المحل
الذي يضعها فيه فانصب حيث بفعل محذوف دل عليه اعلم لا به لان افعل التفضيل لا يعمل

في المفعول به وحيث ههنا مفعول به لما عرفت ان المعنى انه تعالى يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة
فيه لا شيئا في المحل وفي رسالته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار هوان وحقارة بعد
كبرهم وعظمتهم مكان ما يعززون من عز النبوة وحشمة الرسالة وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل
والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك العزة لعصمتهم عن الجرائم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره
من عند الله ويأباه الفصل به بين الصغار والعذاب لان كلا منهما من عند الله تع ويمكن ان يقال انه
من قبيل الفصل بين المعطوفين بما له تعلق بهما ويأتي نظيره في هذه السورة وعذاب شديد
في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء عليه فمن يرد
الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق يشرح صدره للاسلام شرح الصدر وتوسيعه
كناية عن تنوير الباطن وتصفية الاستعداد عما ينافي قبول الحق من ظلمات الشكوك والشبه
فتصدق الرغبة في الايمان ومن يرد ان يضله اي يخذله ولا يوفقه يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف
والتشديد وضيق الصدر كناية عن تكدر الباطن وزيغ الاستعداد وميل النفس الى الشهوات فينبو
عن الحق وينقبض عنه فلا يقبله حرجا شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما يصعد
في السماء مثل لمن يزاول ما امتنع لا يبلغه قدرته لان صعود الانسان الى السماء خارج عن طوقه
العادي وقيل لمن ينبو عن الشيء ويتباعد مبالغا في الهرب منه والتجافي واصل يصعد يتصعد وقرئ
به وقرئ يصعد من صعد ويصعد من اصعد ويصاعد بمعنى يتصاعد ومعنى في السماء في مدارج السماء
وهذا ابلغ من الى السماء كذلك مثل ذلك التضييق يجعل الله الرجس العذاب او الخذلان او الفعل
المؤدي الى العذاب على الذين لا يؤمنون وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اي الاسلام او ما
ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي ارتضاه او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه ولا ميل الى شيء من الجوانب او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لان صراط الله تع لا يكون
الا مستقيما والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون انه القادر
على الهداية وان الخير والشر بقضائه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل فيما يفعل لهم دار
السلام اضافة الدار ان كان الى السلام الذي هو اسم من اسماء الله تع فتعظيم ورفع من شأنها
واشارة الى انها دار لا نقص فيها ولا آفة ولا عيب والا فبمعنى السلامة من المكاره او دار
تحيتهم فيها سلام عند ربهم في نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان اي في كرامته وضيافته
ويحتمل ان يكون قوله عند الله فيما سبق من قوله تع صغار عند الله بهذا المعنى على التهكم وقيل

في ضمانه كقولك له عندي حق وهو وليهم محبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزائها ويوم يحشرهم جميعا منصوب باضمار نقول او قائلين يا معشر الجن وهذا
اولى من اضمار اذكر مفعولا به لخروجه عن الظرفية والحاجة الى تقدير القول في ربط ما بعده والضمير
لمن يحشر من الثقلين وقرئ نحشر بالياء والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقال استكثر الامير من الجند وقال اولياؤهم من الانس
الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض استمتع الانس بالجن بدلالتهم على شهواتهم وما يتوصل
به اليها من الحيل واستمتاع الجن بالانس بطاعتهم ومساعدتهم على مرادهم واشتهوا من اغوائهم
وقيل استمتاع الانس بهم ما في قوله تع وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واستمتاع
الجن بهم اعترافهم بالجن بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
اي البعث وهو اعتراف منهم بطاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم
قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال عاملها مثواكم ان جعل مصدرا
ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المؤمنين واستعمال ما في ذوي
العقول شائع كما في قوله تع الا ما رحم ربي وفي قوله تع فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات التي
يخرجون فيها من النار وهو ما ذكر في تفسير قوله تع الله يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم في النار
باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تع فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وقيل من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وفيه من
الحاجة الى صرف ما عن معناها العلمي الى اللغوي وقيل الا ما شاء قبل الدخول ولا وجه له لان حكم
الخلود والابد بعد الدخول ومن جهة المنتهى لا من جهة المبدا ان ربك حكيم في افعاله
واقواله عليم بافعال عباده واحوالهم وكذلك اي مثل ما فعلنا من تمكين الجن من اغواء الانس
نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل بعض الظالمين واليا على بعض يسيحرونهم ويغوونهم
او نجعل بعضهم يتولى بعضا بغويهم او نجعل بعضهم اولياء بعض وقرناءهم يوم القيمة
كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس
قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ الم يأتكم رسل منكم من جملتكم وهم رسل الانس عن الكلبي كانت
الرسل قبل نبينا صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس وهو صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين
وقيل من الجن ايضا رسل ولا دلالة في الاية على ذلك اذ لم يقل رسل منكما حتى يحتاج الى القول

الاول الى التاويل بمثل ما ذكر في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم اياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان لرادوا شهادتهم عند
وقائهم على ما نطق به قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا
ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ولذلك قالوا شهدنا بلفظ الماضي وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم وتخطئة لرأيهم وتحذير لمن سمع
للاتعاظ بهم ذلك اشارة الى ما تقدم من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر مبتدا محذوف اي
الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل وان هي الناصبة للافعال
اي لئلا يكون او المخففة من الثقيلة اي لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى
ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وان
يكون خبرا لذلك اي ارسال الرسل والانذار لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم والباء للسببية
اي بسبب ظلم او ظلم حال اي ملتبسين بظلم يعني انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول
وكتاب لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اي ولكل عامل بطاعة او معصية درجات اي
مراتب في الجزاء مما عملوا من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن في روح الثواب متنعم والمسيء في نوح
العقاب متالم وما ربك بغافل عما يعملون قرئ بيا الغائبة ردا على الاية التي قبلها وبتا المخاطبة
ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك بغافل عما يعملون من المعاصي ولكن يؤخر
تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الاية وانه تعالى على
علم باعمالهم فلعقابهم لا عن جهل لان ضرر اعمالهم يرجع اليهم لا اليه تعالى ابو يوسف ومحمد بظاهره
في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة ذهب الى التخصيص والقراءة بتا المخاطبة تشهد لهما وربك
الغني فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية فليس التكليف لمصلحة نفسه بل لتكميلهم وتبليغهم
الى الدرجات والكمالات ذو الرحمة فلا يعاجل بالعقوبة بل يمهلهم عسى ان يتداركوا ما فاتهم
اخبر بالاول عن جلاله وبالثاني عن افضاله فهم في سماع هذه الاية بين احتياج وارتياح وهذا
تكملة لما قبله من ان ارسال الرسل للرحمة عليهم لا لانتفاعه بطاعتهم وتاسيس لما بعده من قوله
ان يشا يذهبكم ايها العصاة اي لغناه عنكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع لكنه
ابقاكم ترحما عليكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل من للبدل
كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي انشاكم منه بدلا انما توعدون من البعث واحواله لات

لكائن

لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين طالبكم به اي يدرككم حيث سكنتم يقال قصد فلانا
فاعجزني اي سبقني ففاتني قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن مكانة اذا تمكن ابلغ
من التمكن وقد يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة اي على غاية
تمكنكم واقصى استطاعتكم او على مقامكم وحالكم التي انتم عليها من كفركم وعداوتكم كما يقال للرجل
اثبت على مكانتك اي اثبت على ما انت عليه من حال ولا تنحرف عنه وقرئ مكاناتكم على الجمع
اني عامل فاعل على قدرتي واستطاعتي او على مقامي وحالي في الاسلام والمصابرة معكم فحذف
للاختصار والمبالغة في الوعيد وللاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصرة
ومعنى الاية على الاول اظهار التجلد للعدو وعدم المبالاة غاية الوثوق بحفظ الله والاعتماد
على نصرته اي لا تبقوا علي وانفذوا وسعكم في عداوتي فاني فاعل بكم ما اقدر عليه وهذا غاية في
التهديد وتحقير الخصم وعلى الثاني التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به
واجب عليه ذلك لا يسعه خلافه والاعراض عنه بالكلية وللاشعار بانه لا مطيع في خيره كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من اما استفهامية علق عنها الفعل
ومحلها الرفع على الابتداء ما بعده خبره اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة التي لها
هذه الدار واما موصولة فمحلها النصب على المفعولية اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة
وعيد وانذار لطيف المسلك مع مراعاة حسن الادب والانصاف للخصم في القول عند الوثوق
بسوء عاقبته وحسن عاقبة الموعد وكذا قوله انه لا يفلح الظالمون اشعار بظلم المخاطبين وان ظلمهم
بسبب امتناع فلاحهم مع حسن العبارة وارخاء العنان والمسامحة والايهام باني ان كنت انا
الظالم فلا فلاح لي ولهذا ذكر الظلم دون الكفر ثم بين ظلمهم وكونهم في الاية بعدها وجعلوا اي مشركوا
العرب لله مما ذرا خلق فيه ايماء الى انهم يرجحون ما لم يخلق شيئا ولم يقدر على شيء على من خلق اشياء
فيؤثرونه عليه بما خلقها وزكاها جهالة وكان العكس اولى ولهذا قال سآء ما يحكمون من الحرث والانعام
نصيبا لم يذكر بها نصيب الشركاء ايجازا واكتفاء بذكره في التفصيل الاتي وايماء الى جهالتهم بانهم جعلوا
لمن له الكل نصيبا مما خلقه وان التسوية شيء لا يليق بالادب التلفظ به مراعاة للحشمة فقالوا
هذا لله بزعمهم وقرئ بضم الزاي وهي لغة فيه وهو الظن الخطأ وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود وفيه
تنبيه على ان ذلك من جهالاتهم ومن زعمهم لم ياذن به الله وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا
يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم كانوا يعينون من حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تعالى

ونصيبا لالهتهم فاذا راوا ما عينوه لله ازكى رجعوا وجعلوه لالهتهم واذا راوا ما عينوه لالهتهم
ازكى تركوه لها معتلين بان الله غني وانما فعلوا ذلك حبا لالهتهم وايثارا لها ساء ما يحكمون ما
مصدرية وساء متعدية حذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره ساءهم حكمهم اي جلب لهم السوء
وكذلك ومثل ذلك التزيين والاشارة الى مضمون قوله وجعلوا لله الاية او الى نفس هذا التزيين
الذي هو تزيين قتل الاولاد وقدر مثل هذا زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم
لالهتهم شركاؤهم من الجن وقرئ زين على البناء للفاعل وهو شركاؤهم ونصب قتل على البناء للمفعول
وهو قتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه المذكور كانه قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم واما قراة
ابن عامر زين على البناء للمفعول وهو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل اليه
والفصل بينهما بغير الظرف فقد ردت بان ذلك غير مقبول في مقام الضرورة كما في قوله زج
القلوص ابي مزاده فكيف به في غيره لكنه مردود لانه مختلف فيه بين النحويين على ما ذكره ابو حيان
ووقوعه في قراة متواترة دل على الصحة لان العربية تثبت بالقران وفيهم العكس من عكس العلم
ثم انه لا ضرورة في الشعر المذكور كما توهم لاستقامة الوزن القافية بجر القلوص ورفع ابي
واعتقاد الضعف في مثل تلك القراة من ضعف الاعتقاد مبناه عدم الاعتماد على القراة
والطعن في الاسناد ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء والاضلال واللام للتعليل
ان كان التزيين من الجن وللعاقبة ان كان من السدنة وليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم
وهو ما كان عليه في الاصل من دين اسمعيل عليه السلام او دينهم الذي وجب عليهم ان يتدينوا به
ولو شاء الله ما فعلوه اي ما فعل المشركون او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الاولاد
او اللبس والاولى ان يجري الضمير مجرى اسم الاشارة ويراد به الجميع فذرهم وما يفترون وافتراءهم
او الذي يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام من
الحجر وهو المنع فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير لان
حكمه حكم الاسماء لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس حرج اي ضيق لا يطعمها الا من
نشاء يعني خدم الاوثان او الرجال دون النساء بزعمهم اي قولهم الباطل وانعام حرمت ظهورها
من البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها
اسماء اصنامهم وقيل لا يحجون ولا يلبون على ظهورها اي قسموا انعامهم اجناسا بهواهم فقالوا هذه
حجر وهذه محرمة الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم الله افتراء عليه اي نسبوا ذلك التخصيص الى الله

او من السدنة م

افتراء عليه نصب على المفعول له او حال اي مفترين على الله او مصدر مؤكد لان قولهم
ذلك محض الافتراء والجار متعلق بقالوا سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في بطون
هذه الانعام يعني ما في بطون هذه البحائر ونحوها من الاجنة وفي قول ابن عباس والشعبي
وهي الالبان ويأباه قوله وان يكن ميتة خالصة لذكورنا حلال للذكور خاصة لا يشاركهم فيها
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة ومعنى الاختصاص للذكور منهم في المقام لانه
قرينة لارادة الاناث من الازواج وهو لا يفاد بعبارة المباح فلذلك اورد عبارة
خالصة عليها مع حق المقابلة مع محرم لها والتاء في خالصة ليست للتانيث بل يقال
في الاسم خالص وخالصة او حمل خالصة في التانيث على المعنى لان ما في بطونهم في معنى الاجنة
ومحرم على اللفظ او كانت التاء للمبالغة كراوية الشعر او كان مصدرا كالعافية وقعت
موقع النصب اي ذو خالصة بمعنى خالص ويؤيده قراة خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد
والخبر لذكورنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار في قوله في بطون لا
من الذي في لذكورنا لان العامل المعنوي لا يتقدم معموله عليه ولا من الذكور لان المجرور
لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس خالصه على الاضافة وهو بدل من ما او مبتدا ثان وفي
مصحف عبد الله خالص وقرئ خالصا على ازواجنا لم يقل على اناثنا مع ان المراد من الازواج
الاناث وهي المناسب ان يذكر في مقابلة الذكور لان المقصود الاشارة الى وجه تحريمها على
الاناث وهي كونهن ازواج الرجال في الجملة لا بيان حرمتها على الاناث فانها قد فهمت
مما تقدم ولهذا اصدره باداة الوصل فانه لو اريد به بيان الحرمة على الاناث لكان حقه
الفصل لما بينه وبين ما تقدم من كمال الاتصال وان يكن ميتة الضمير لما في بطونها وقرئ بالتاء
الفوقانية على تاويل الاجنة وقرا ابن عامر بها ورفع ميتة على كان التامة وتذكير الضمير في
فهم فيه لان الميتة قد تكون ذكرا فغلب وقرئ بالتاء التحتانية ورفع ميتة شركاء اي الذكور والاناث
فيه سواء سيجزيهم وصفهم الكذب اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل انه حكيم في جزائهم
عليم باحوالهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين يدفنون بناتهم احياء فبعضهم
يفعل ذلك خوف العيلة والاقتار وبعضهم خوف السبي والعار وقرئ قتلوا بالتشديد سفها
مفعول له والسفه خفة الحلم بالعجلة اي ما ينبغي ان يعجل اليه بغير علم حال او صفة مصدر اي
قتلا بغير علم فيه اشارة الى ان فعلهم ذلك لجهلهم بان الله هو الرزاق والمقدر للسبي وغيره وحرموا

ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله قد مر وجوه الاعراب في مثله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين الى الحق والصواب وزيادة كان للدلالة على الاستمرار اي استمروا على عدم الاهتداء
على ان القيد المذكور داخل على النفي في الاعتبار وان كان مدخولا له في الظاهر وبهذا اندفع وهم
القصور والتكرار وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على دعائم وغير
معروشات متروكات على الارض وقيل الاول ما غرسه الناس وعرشوه والثاني ما نبت في الجبال
والبراري والنخل والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشاء اكله الذي يوكل
في الهيئة والكيفية والضمير في النخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه لان الاصل ان
يطلق الاكل على الثمرة والحبات بالحقيقة فغلب فيه الزرع او للزرع والباقي مقيس عليه او
للجمع على تاويل ذلك او كل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض
افرادهما في الكم والكيفية ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره الضمير لكل واحد اذا اثمر فقد كان من
المعلوم انه لا يوكل قبل ان يثمر ففائدة المذكور التنبيه على ان اباحة الاكل ثبتت قبل الادراك
والايناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله واتوا حقه يوم حصاده وهو ما يتصدق
به وقت الحصاد وكان ذلك الحق واجبا حتى نسخت بالزكوة وقيل هو الزكوة والاية مدنية
والظرف لحقه ليعلم ان الوجوب وجوبه بالادراك لا بالتنقية لا للايتاء للحاجة الى التاويل
والتوقيت في الاوامر حقه ان يحافظ على ظاهره كيلا يشتبه الموقت بالمطلق وقرئ حصاده بكسر
الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق لا في الاكل ولذلك اقتصر على نفي المحبة عنهم وقد
قيل انهم كانوا يعطون شيئا سوى المقدر ويسرفون فيه ونهى عنه انه لا يحب المسرفين الموصوفين
بهذه الصفة فانه من امارات المكروهين لا المشكورين ومن الانعام عطف على جنات والمنشأ
من الانعام حمولة وفرشا ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره
الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار مثل الفرش وهي الارض المستوية
التي يتوطؤها الناس كلوا مما رزقكم الله اي ما احل لكم منه ولا دلالة فيه على ان كل رزق
ماكول حتى ينتهض حجة للمعتزلة في ان الحرام ليس برزق ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا
تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم من عند انفسكم اعتقادا وقولا وعملا كان في الاتيان بعبارة
الجمع اشارة الى هذه الثلاثة انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة
وفرشا والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد هنا الاول من

الضان

الضان اثنين اي زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو مع ما بعده عطف بيان لثمانية
ازواج او من الضان بدل من الانعام واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج
ان جوزنا البدل بدلا وقرئ اثنان على الابتداء والضان جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل هي
جمع لا واحد له من لفظه ويجمع على ضئين كالعبد يجمع على عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي لغة فيه ومن
المعز اثنين التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو ايضا جمع له كحارس وحرس وقرئ ومعزى
قل الذكرين ذكر الضان والمعز والهمزة للانكار حرم ام الانثيين ام انثيهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم وتقديم المفعول للتخصيص اما اشتملت عليه اي حوته واشتملت عليه ذكرا كان او انثى ارحام
الانثيين الارحام جمع رحم وهو موضع الولد وما كان في الحي منه عضو واحد فالاضافة الى الانثيين
بالجمع كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على انه تعالى
حرم شيئا من ذلك عنه بالعلم مبالغة للتنبيه على ان دليل التحريم لا بد ان يكون قطعيا وهو اعتراض
لطيف بين اقسام التفصيل للتاكيد في الاحتجاج على من حرم ما احل الله لعباده منّة بالتفضل عليهم
مبالغة في التحليل ان كنتم صادقين في زعمكم ان الله حرم هذا ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل
الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمراد انكار تحريم الله تعالى
شيئا من الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور هذه الانعام تارة واناثها اخرى
واولادها كيفما كانت ذكورا واناثا تارة وينسبون تحريمها الى الله تعالى فانكر ذلك عليهم ام
كنتم شهداء معنى بل في ام المنقطعة للاضراب عن طلب العلم والدليل القطعي الدال على التحريم من
عند الله على سبيل المسامحة ومعنى الهمزة انكار المشاهدة وذكرها تهكم بهم وبهتهم لانهم لم يومنوا بنبي
ولا كتاب وزعموا ان الله حرم هذا فلم يبق الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم ربكم
اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم وامركم والوصية مقدمة موكدة فيما يفعل او
يترك ولما ثبت انه لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافتراء وهو ظلم فمن اظلم ممن افترى على الله
نسب اليه تعالى تحريم ما لم يحرم وهو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لتحريم البحائر وتسييب السوائب كذبا كاذبا
لا مخطئا في ظنه فان فيه مندوحة عن الكذب ليضل الناس اي على قصد اضلالهم من اجل
دعائهم الى ما فيه الضلالة وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال بغير علم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين الى دار الثواب لانهم يستحقون العقاب قل لا اجد كنى بعدم الوجدان عن عدم
الوجود ومبنى هذه الكناية على ان طريق التحريم التنصيص من الله عليه ولا مساغ للراي فيه

فیها ثبوت ذلک المبنی اقتضاء ثم ان فیها اشارة الی ان من الاحکام المنزلة ما فی العثور
علیه حاجة الی التفقد والتتبع لکونه بطریق الدلالة الخفیة وانما قال فیما اوحی الی دون ما
انزل علی لان النص المحرم لا یلزم ان یکون من جنس الکتاب محرما طعاما محرما علی طاعم یطعمه
تجریدا له عن قید زائد حتی ینتظم الطاعم الظالم وغیر الظالم فیؤول المعنی الی انه لیس من جنس
المطعوم من حیث انه مطعوم محرم الا هذه الاربع فلا یتجه النقض بحرمة المأکول ظلما لان حرمته
من قبله لا من نفسه وفائدة التوصیف بقوله یطعمه قطع المجاز کما فی طائر یطیر فان الطاعم
یطلق علی المطعم مجازا الا ان یکون ای الا ان یکون المطعوم فالاستثناء من المفهوم وفی
بالتاء لتأنیث الخبر وبرفع میتة علی ان کان هی التامة والمراد من المیتة ههنا ما فقد حیوته
بلا ذبح اصلا ای شرعیا کان او غیر شرعی ولهذا احتیج الی ذکر المحرم الرابع وفی قوله علی طاعم
یطعمه دلالة علی ان جلد المیتة قبل الدباغ یحرم لانه قد یشوی فیؤکل واذا دبغ خرج عن قابلیة
الاکل او دما عطف علی میتة او علی ان مع ما فی حیزه علی اختلاف القرائتین فیهما وانما ذکرها
ههنا منکرین وفی سورة البقرة والمائدة معرفین لان هذه السورة مکیة وهما مدنیتان
فناسب ان یذکرا فیهما معرفین بتعریف العهد وتعریفهما فی سورة النحل مع انها ایضا مکیة
بناء علی تأخر نزول ما فیها من الایة المشتملة علیهما من نزول ما فی هذه السورة مسفوحا
مصبوبا صبا متعارفا ارشدک الی اعتبار هذا القید الزائد علی معنی الصب فی مفهوم السفح
اطلاقهم السفاح علی الزنا باعتبار تضییعه الماء قال صلی الله علیه وسلم ولدت من نکاح
لا من سفاح واذا تقرر هذا ففی العبارة المذکورة اشارة الی ان حق هذا الدم التضییع والاهدار
لا الحفظ والادخار وانما خص الدم بالقید المذکور لان ما اختلط باللحم منه وقد تعذر تخلصه من
اللحم عفو مباح واما الطحال فلیس بدم حقیقة وکذلک الکبد فلا حاجة الی الاحتراز عنهما الی
القید المذکور او لحم خنزیر انما زید عبارة اللحم لا لان کله غیر مأکول والا لناسب زیادتها
فی المیتة ایضا للاشتراک فی العلة المذکورة بل لئلا یسبق الی الوهم انه من قبیل صید البر
حتی لا یبقی محرما بعدما صار لحما ولما کان المأکول المحرم من الخنزیر غیر منحصر فی اللحم تدارک الحکم فی
الباقی بالتعمیم دلالة حیث علل المذکور بقوله فانه ای فان الخنزیر رجس ای قذر ینفر عنه
الطبع السلیم لتعوده اکل النجاسة ولا یخفی ما فی الاعتراض بین المعطوفین للتعلیل
من الدلالة علی سائر اجزائه القابلة للاکل ویجوز ان یراد باللحم ما یؤکل منه مطلقا

علی

علی طریقة التعبیر عن الکل بالجزء وعلی هذا لا حاجة الی صرف الضمیر عن المضاف فان قلت
الیس فی هذا التعلیل غنی عن اقحام اللحم لافهام ما ذکر آنفا قلت لا لان التعلیل النحوی لا یلزم
ان یکون بالعلة الشرعیة بل قد یکون بالحکمة التی لا یلزمها الاطراد ولا الانعکاس وانما
خصص هذا والذی یلیه بالتعلیل عبارة واشارة لان الطبع یساعد السمع فی الاول ولا یخل فیهما
فی الاخرین او فسقا نصب عطفا علی لحم خنزیر لا علی انه مفعول له دل علی ذلک قوله تع فی
موضع آخر وانه لفسق سمی بالمصدر مبالغة فهو بعبارته تحذیر منه وباشارته تعلیل لحرمته
اهل لغیر الله به صفة موضحة له والاهلال به کنایة عن ذبحه وهو فی الاصل رفع الصوت
بالشیء فمن اضطر دعته الضرورة الی اکل شیء من ذلک غیر باغ علی مضطر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فی تناوله فان ربک غفور لما عسی ان یفرط عند الفعل بالرخصة رحیم بالرخصة
فیه وقد استدل بهذه الایة علی انتساخ الکتاب بالسنة لان عبارتها وان کانت
ساکتة عن عدم محرم آخر لکن دلالتها ناطقة بانه لا محرم غیر هذه ولیس فیها توقیت فلما
زید محرم آخر بالسنة انتسخ حکم تلک الدلالة وعلی الذین هادوا حرمنا کل ذی ظفر قال ابن
عباس وجماعة هی ذوات الظلف کالابل والنعام وما لیس بذی اصابع منفرجة کالبط
والاوز ونحوهما واختاره الزجاج وفی قوله حرمنا تکذیب للیهود فی قولهم ان الله لم یحرم علینا
شیئا وانما حرمنا علی انفسنا ما حرمه اسرائیل علی نفسه ومن البقر والغنم عطف علی کل ذی ظفر
وقوله حرمنا علیهم شحومهما تبیین للمحرم منهما ولا بد من الاضافة للربط وفی الاجمال ثم
التفصیل زیادة تقریر وتاکید ولولا القصد الی ذلک لکان الظاهر ان یقال وشحوم البقر
والغنم او یقال ومن البقر والغنم الشحوم والمعنی حرمنا لحم کل ذی ظفر وشحمه وکل شیء منه وترکنا
البقر والغنم علی التحلیل لم نحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهی الثروب وشحوم الکلی وکان بعض
ذوات الظفر حلالا لهم فعمم التحریم بسبب ظلمهم لقوله تع فبظلم من الذین هادوا حرمنا علیهم
طیبات احلت لهم وتدعی النصاری ان ذلک نسخ فی شرع عیسی علیه السلام ویشهد لذلک التخصیص
المستفاد من تقدیم الجار والمجرور فی قوله وعلی الذین هادوا حرمنا الا ما حملت ظهورهما الا ما
علقت بظهورهما او الحوایا ان قدر وزنها فواعل فجمع حاویة کزاویة او جمع حاویاء کقاصعاء
وقواصع وان قدر وزنها فعائل فجمع حویة کمطیة ومطایا وهی الدوارات التی تکون فی
بطون الشاء وقیل هو عطف علی شحومهما واو للتفصیل فصل بها ما حرم من البقر والغنم

او ما اختلط بعظم كالالية وما في القوائم والجنوب والراس والعيون والاذان والمخ ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اخبرنا بهم فان كذبوك في ذلك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا تعرض عنهم ولا تؤيسهم عن رحمتي بل كن ثابتا في مقام الدعوة على
قوتي الابشار والانذار وذلك ان ما ذكر كلمة جامعة لهما اما الابشار فلما فهم من العبارة واما
الانذار فلما فهم من اشارتها الى انه تعالى لسعة رحمته يمهل ولما كان في الامهال مظنة الاندفاع تداركه
بقوله ولا يرد باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا بامهاله او فان كذبوك في الانذار
وايعاد العصاة واعتلوا بان الله واسع الرحمة فلا يواخذ بالبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة
للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فلا يرد رحمته باسه عليهم بل ربما اودع قهره في صورة
لطفه استدراجا فلا تغتروا سيقول الذين اشركوا في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا عطف على الضمير المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا
من شيء اي ما صدر منا ومن ابائنا ما صدر الا بمشية الله تعالى وارادته اصابوا فيما قالوا على
وفق ما مر في هذه السورة من قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه ولكنهم
اخطأوا في تمسكهم به في الرد على الرسول صلى الله عليه وسلم وزعمهم ان فيه حجة عليه بناء على
ظنهم ان ما اراده الله لا يكون منهيا عنه وما لم يرده الله لا يكون مامورا به فلا مساغ للنهي
عن شرك دل وقوعه على انه لم يكن مراد الله تعالى لما تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر والارادة
بل ينفك كل منهما عن الاخر وكذا بين النهي وعدم الارادة ولذلك اي لعدم خطائهم في القول
المذكور بل في احتجاجهم به قابلهم صلى الله عليه وسلم ذمهم بالتكذيب دون الكذب حيث قال كذلك
اي مثل ذلك التكذيب العظيم كذب الذين من قبلهم للرسل وهذا دليل على ان مرادهم
التكذيب دون ابلاء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم وبين ان
احتجاجهم ليس من علم ويقين بل عن ظن وتخمين بقوله قل هل عندكم من علم اي ليس عندكم بذلك
علم فتخرجوه فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون
وما انتم الا تخمنون وتقدرون ان الامر كما زعموا وليس كذلك لما مر من بطلان مبنى ذلك
الظن فلا متمسك فيما ذكر لاهل الزيغ والضلال من اصحاب الاعتزال ولا حاجة الى التوجيه
والتاويل بتقييد المشية اولا اي فيما مر واجرائها على اطلاقها اخرا اي فيما سيجيء قل فلله
الحجة البالغة الفاء للسببية والجملة مسببة عما دل عليه الكلام السابق والمعنى اذ قد ظهر عدم

تمام

تمام حجتكم فالحجة التامة مختصة به تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين الفاء قامت مقام ان في تحقيق ما دل عليه
الكلام السابق من كونهم محجوجين وذلك ان فيه الزاما لهم بناء على قولهم اي بل قد صدقتم ولكن كما
شاء كفركم لو شاء هدايتكم لهداكم كلكم فباي شيء علمتم انه لم يشأ هدايتكم حتى اصررتم وهذا تهييج لمن عسى
ان يكون له استعداد منهم فيتنبه ويهتدي فيرجع عن الشرك ويؤمن وفيه فائدة اخرى وهي
تدارك ما يخطر بالبال من ابطال احتجاجهم ان يكون الاختلال في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بحسب نفسهم
في ذلك المقال فيبقى حجة دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم هلم من اسماء الافعال يجيء متعديا
كما ههنا بمعنى ائتوا ولازما كقوله هلم الينا اي تعالوا وانما اضاف الشهداء اليهم لانها لو اطلقت
لكان المعنى هلم ناسا يشهدون فكان ظاهره طلب الشهداء بالحق وذلك فاسد الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعني مرتضاهم وقدوتهم امرهم باحضارهم ليلزمهم الحجة ويبكتهم فيظهر للمشهود لهم
عند انقطاعهم انهم ليسوا على شيء ولهذا قال فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم ولا تسلم لهم
كني عن ذلك بالشهادة معهم مبالغة في النهي دلالة على ان الاصغاء اليهم دخول في اعداد الشهداء
بالباطل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من باب وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على
ان المكذب بايات الله لا يكون الا متبع الهوى اذ لو اتبع الدليل والعقل لكان مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له تعالى عديلا قل تعالوا
من التعالي واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه فعمم اتساعا فيه لكثرة الاستعمال
اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل او استفهامية منصوبة بحرم والجملة في محل النصب
باتل لان التلاوة من باب القول اي اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم وان في الا تشركوا به
شيئا مفسرة ولا للنهي لعطف الاوامر عليه في قوله وبالوالدين احسانا لان تقديره احسنوا بالوالدين
احسانا وعطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور
به لا يكون محرما دل على ان التحريم راجع الى اضدادها وذلك لما انه علق التلاوة بالتحريم اجمالا ثم فسره
بالتفصيل وجب ان يكون التفاصيل كلها منهيات محرمات لكن عدل في بعضها الى الامر باضدادها
مبالغة في النهي وتنبيها على ان اضدادها واجبة فيلزمها النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون
الاوامر معطوفة على المناهي وداخلة تحت ان التفسيرية شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين
احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك
الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولك ان تقول انها معطوفة على قوله اتل ما حرم اي

اولا بامر يترتب عليه ذكر مناه ثم امرهم ثانيا باوامر ويتبعها المبالغة في النهي ولا تقتلوا اولادكم
النهي مطلق وانما قال من املاق اظهارا لسوء صنيعهم فانهم كانوا يفعلون ذلك من اجله في الاساس
املق الرجل انفق ماله حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار بداية انفاقا وباعتبار نهاية فقرا جاز
استعماله في كل منهما وقد قيل الخطاب هنا للفقرا ولذا قدم رزقهم فقيل نحن نرزقكم واياهم
منعا لموجب ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاجا عليهم فناسب ان يفسر الاملاق هنا بالفقر والخطاب
في لا تقتلوا اولادكم خشية املاق للاغنيا ولذا قدم رزق اولادهم فقيل نحن نرزقهم واياكم
فناسب ان يفسر الاملاق ثمة بالانفاق ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن
بدل منه والظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الحق ولا تقتلوا لما كان في اطلاق
النفس شمول للنفوس الحيوانية الاصل في قتلها الاباحة قيد بقوله النفس التي حرم الله يعني
النفس الانسانية الا بالحق اي بما يحق به قتلها ككفر بعد ايمان ورجم بعد احصان وقتل نفس ظلما
ذلكم اشارة الى ما ذكر تفصيلا وصاكم به لما كان في الوصية معنى الاهتمام والمحافظة زيادة على
معنى الطلب استعيرت للامر المؤكد والموصى به نفسا ذكر لا حفظ لعلكم تعقلون ترشدون فان
غاية العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة
الا بالتي اي بالخصلة التي هي احسن في حق اليتيم وانما جي بصيغة التفضيل مراعاة لمال اليتيم حتى
يبلغ اشده غاية من حيث المعنى اي احفظوه عليه حتى يبلغ اوان الحلم مع الرشد فادفعوه اليه
والاشد جمع شدة كانعم ونعمة واوفوا الكيل والميزان الايفا مخصوص بالكيل والميزان عطف عليه
على طريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق الفعل المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظ حتى
كانه شريكه في اصل الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقوله بالقسط بالعدل والتسوية
متعلق بالفعل المحذوف اي وزنوا الميزان بالقسط فانه مظنة البخس بحيث لا يتفطن له صاحبه
بخلاف الكيل لا نكلف نفسا الا وسعها الوسع ما تحمله الطاقة وذكره عقيب الامر للدلالة
على انه لا يؤاخذ بما تقصير يقع بعد الاجتهاد في مراعاة العدل واذا قلتم اريد بالقول هنا ما لا
يطلع عليه الا بالقول من امر وحكم وشهادة وخبر وسفارة وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان
المقول له او عليه ذا قربى من قرابتكم وبعهد الله اي بما عاهدكم الله من اوامره ونواهيه اوفوا
او بما عاهدتم الله عليه من ايمانكم ونذوركم ذلكم وصاكم به اي امركم به واكد لعلكم تذكرون لما كان
في هذه الامور نوع خفا بالقياس الى ما سبق بحيث يحتاج الى الاجتهاد والاذكار ختم بتذكرون

وان

وان هذا صراطي مستقيما الصراط السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد وانما
يوصف بالاستقامة للاحتراز عن الميل الى شي من الجوانب الاربعة بالصعود والهبوط ونحوهما الا
ان الاحتراز المذكور حصل هنا بالاضافة فقوله مستقيما حال مؤكدة والاشارة الى ما ذكر في السورة
فانها بامرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ ان بالكسر على الاستيناف وبالفتح بتقدير
اللام على انه علة للامر في قوله فاتبعوه وقرئ ان مخففة من الثقيلة وفيها ضمير الشان ولا تتبعوا
السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى والطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير
معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك اعم من ان يكون على جهة القصد اولا وبهذا التفصيل
تبين وجه اضافة كل من الصراط والسبيل مجرده فتفرق الفا جواب النهي والمضارع المحذوف التاء
المنصوب باضمار ان وفاعله ضمير السبيل ومنهم من لم يحذف التا بل ادغمها في تا التفعل فقراها
بتشديد التاء والبا في بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى الازالة اي فتزيلكم متفرقين عن
سبيله فيه التفات وتفنن وتنبيه على ان الطريق المنسوب اليه تعالى لا يكون الا صراطا مستقيما
ذلكم الاشارة الى مجموع الامر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون
لانهم يعقلون ثم يتعظون ثم يتقون المحارم والمهالك ثم اتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم
وصاكم به فثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في المرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما ثم اتينا
او ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن
القيام ويؤيده قراة ابن مسعود على الذين احسنوا وقراة ابي تماما على المحسنين او على الذي
احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على الذي احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة
على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على ان تقديره على الذي هو احسن وقيل في وجه النصب انه
خفض لكنه لا ينصرف ففتح وحينئذ يكون بدلا عن الذي وترجمة عنه كقولك مررت بالذي خير منك
بالخفض وتفصيلا بيانا في غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
لكل شي يحتاج اليه في الدين ففيه دلالة على انه لا اجتهاد في شريعة موسى لا شرع الاجمال في
بعض الامور الدينية وهدى ورحمة يهون عليهم مقاساة التكليف بما ذكر من التوفيق لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم بلقاء ثوابه وعقابه يوم الجزا يؤمنون يصدقون وهذا اي القرآن
كتاب عظيم الشان انزلناه اسنده الى نفسه بنون التعظيم مبارك كثير النفع انما فرق بينه وبين
قرينه بانزلنا لان الانتفاع به بعد نزوله فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بذلك علمها

بكلمة الترجي لان حصولها بالختم على الايمان وفيه خطر ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة
لمصدر دل عليه انزلناه فيما تقدم وقرئ بالتاء وايا وعلى الثاني فيه التفات من خطاب
فاتبعوه واتقوا او في فقد جاءكم التفات من الغيبة الى الخطاب وكلاهما في محزه حيث اعرض
عنهم وجعلهم غائبين عند مكانه اقوالهم الردية ثم خاطبهم عند قصد توبيخهم وتبكيتهم انما
انزل الكتاب جنس الكتاب المنحصر في التورية والزبور والانجيل لقولهم من قبلنا واما الصحف
فليست من جنس الكتاب في العرف على طائفتين اي اليهود والنصارى ودل هذا على ان
المجوس ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا منهم كانوا ثلاث طوائف من قبلنا وان كنا ان
هي المخففة دل عليه دخول اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا
ندري ما هي لانه لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم ارشد واسرع اهتداء منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولهذا تلقفنا
فنونا من العلم كالتواريخ والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها تبكيت لهم والزام الحجة وفيه ايجاز بحذف الشرط اشعار بصدقهم
في دعوى الذكاء وحدة الذهن وان من يدعي ذلك فليتنبه بمثل هذه النكتة وليدرك البينة
ولعلنا لافهامهم وتهييجا وايذانا بان الاسم هو الجزاء لا الشرط والمعنى ان صدقتم في الدعوى
فقد جاءوا ان اظهار صدقه وهدى ورحمة كالذي انزل على من قبلكم فمن اظلم اي لنفسه
ولغيره وقدم في تفسير قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله تحقيق هذا النوع مركبا استفهام
ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وتمكن من معرفتها وصدف صد عنها الناس فضل
واضل والمعنى الاعراض فقد حصل التكذيب سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء
العذاب اي العذاب السيء وهو الموصوف بنهاية النكاية بما كانوا يصدفون بسبب اعراضهم
على تجدد الصدود احداثه حينا فحينا هل ينظرون اي ما ينظرون يعني الذين قالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك بذا اما
ذكروه بقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا او ياتي بعض ايات ربك بهذا ما ذكروه بقولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وانما عبر عنه ببعض ايات ربك تعظيما لانه اعظم الايات
الظاهرة قبل قيام الساعة يوم ياتي بعض ايات ربك يعني الاية المذكورة انفا او بعض اشراط
الساعة مطلقا لان الايمان لا ينفع بعد ظهورها كنزول عيسى عليه السلام ودعوى الخلق الى

دين الحق بعد خروج الدجال لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان المقبول
برهانيا كان او تقليديا ما يكون بالغيب لم تكن امنت صفة نفسا من قبل متعلق بالمعطوفين
او كسبت عطف على امنت في ايمانها خيرا يريد بالايمان الموفق برشدك الى هذا وانه لا ينفع الا
وبكسب الخير الاذعان والقبول ونحن معاشر اهل السنة نقول بما هو موجب النص من الايمان
النافع مجموع الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي
المخترع بعد نزول القران وتخصيص الخير بما يكون بالجوارح وكل منهما خلاف الاصل والظاهر
ولو سلم فنقول الايمان النافع لا بد فيه من امرين الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان وقد عبر
عن الاول بقوله امنت وعن الثاني بقوله او كسبت فان الكسب يكون بالالات البدنية
ومنها اللسان فمنطوق الاية على وفق مذهبنا واسدنا علمنا قل انتظروا اي انتظروا الايات
احد هذه الثلاثة انا منتظرون له وعيد لهم وعدلنا ان الذين فرقوا دينهم
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا
واحدة وقرئ فارقوا وكانوا شيعا فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصل الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار لست منهم من امرهم
في شيء اي ليس اليك شيء من مجازاتهم والعفو عنهم انما عليك انذارهم وتبليغ الوحي اليهم انما
امرهم الى الله ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرهم الى الاخرة وان شاء وفقهم للرجوع
عنها فعفا عنهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون اي في الاخرة ويجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة
لم يقل من عمل الحسنة ليعلم ان النظر الى الخاتمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالخواتيم
فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها لم
يرد به الحصر بل اراد به التفضيل بالتضعيف وهذا اقل ما وعد بالاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وبسبعمائة وبغير حساب وقرئ عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها بواحدة هذا بحكم الوعد لا باقتضاء العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق للمخلوق
على الخالق وهم لا يظلمون بنقص ما وعدلهم من الاجر بالعقاب بلا استحقاق قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم اي ارشدني الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط لان معناه هداني

صراطا ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ او حال من صراط لاختصاصه بالصفة او نصب على المدح اى اعنى او اخص دينا قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة لانه نص فى الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ملة ابرهيم عطف بيان لدينا انما ذكر حثا لهم على اتباعه لانه دين ابيهم حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلوتى ونسكى عبادتى وتقربى كله وقيل ذبحى وجمع بين الصلوة والذبح كما فى قوله تع فصل لربك وانحر وقيل وحجى من مناسك الحج وانما خصه بالذكر لان المشركين كانوا يدخلون الشرك فى التلبية وكذا التخصيص الذبح بالذكر على القول الاول ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حيوتى واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياى باسكان الياء اجراء للوقف مجرى الوصل لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك الاخلاص امرت بدا لقوله قل وختم بهذا بيانا انه يقول امتثالا لا افتخارا وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا هذا ابلغ من اغير الله اعبد لدلالته على معناه بطريق البرهان وهو جواب عن دعائهم له صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاصنام وهو رب كل شئ فلا يصلح غيره ان يكون معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا له تع فى المعبودية وهو مستحق لان يكون معبود كل شئ جملة حالية فى مقام التعليل للانكار المذكور ولا تكسب كل نفس الا عليها اى لا تكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب الكلى لا سلب الكلى فاداة السور داخلة على النفى وان كانت مدخولة له لفظا ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى قال الوليد بن المغيرة اتبعوا سبيلى احمل عنكم فنزلت هذا نفى القدرة عن الغير على ذلك التحمل واما نفى التحميل من الله تع فالاية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابى موسى المذكور فى صحيح مسلم وهو هذا يجى يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اما معترض تاكيد لما ذكره الى ربكم لا الى غيره مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض خلائف الامم الماضية فى الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الخلقة والمكنة والعلم والعمر ليبلوكم اى ليختبركم فيما اتاكم فيما اعطاكم من النعم

بالشكر

بالشكر وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر ان ربك سريع العقاب اى لاعدائه وانما كان عقابه سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الالات ولا يتوقف على استحصال ادوات وانه لغفور رحيم اى لاوليائه وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة وعلى التاكيد بان واللام تنبيها على انه تع غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها لقوله تع ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اى استخلافكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر ولا يلزم من هذا ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وكل من جاء بعد ما مضى فهو خليفة والجمع الخلائف جاؤا به على الاصل مثل كريمة وكرائم وقالوا ايضا خلفاء من اجل انه لا يقع الا على مذكر وفيه الهاء جمعوه على اسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء لان فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء والله اعلم

اعراف

بسم الله الرحمن الرحيم المص قد سبق الكلام فى مثله كتاب خبر مبتدا محذوف انزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة وهذا اولى من ان يراد به القران لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز فالكل اولى به فلا يكن فى صدرك حرج اى فلا تكن شاكا او خائفا على طريقة الكناية فان الشاك والخائف ضيق الصدر او فلا يكن فى قلبك شك او خوف على ان الصدر مجاز عن القلب والحرج مجاز عن الشك او الخوف وتوجيه النهى اليه لايهام ان الحرج لو كان مما ينهى عنه لنهيناه عنك فانته انت عنه ولا يخفى ما فى هذا الاعتبار اللطيف من تعظيم شانه الشريف والفاء للسببية اى اذا انزل اليك من الله تع فلا يحرج صدرك لانه سبب الانشراح او فلا يكن فى صدرك ضيق على ان يكون النهى للتكوين ويعضد هذا الوجه قوله تع الم نشرح لك صدرك منه اى من انه منزل من الله تع او من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه وفائدته التشجيع لتنذر به علة لانزل وانما اخر تنبيها على انه ينبغى ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار او للنهى لانه اذا تيقن انه من عند الله تشجع على الانذار وكذلك اذا امنه الله تع وذكرى نصب باضمار فعلها اى ولتذكر تذكيرا فان الذكرى اسم بمعنى التذكير او جر عطفا على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها فى قوله لتنذر اى لانذارك لا على محل لتنذر لان محله النصب او رفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اى هو ذكرى للمؤمنين اطلق الانذار لعموم الفريقين وخص التذكير بالمؤمنين لانهم المنتفعون به

اتبعوا ما انزل من القران والسنة لا القولية وما ينطق عن الهوى لانه لا ينتظم السنة التقريرية
بل القولية وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولهذا عدل عن الضمير وقيل اليكم من ربكم
لما نجوه عليه السلام امر الجميع باتباع جميع ما رسمه ليكون ادعى لانشراح صدره ورحب ذراعه ولا تتبعوا
من دونه اي من دون ربكم اولياء من شياطين الجن والانس فيضلوكم عن دين الله ويحملوكم على
عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما انزل اليكم اي من دون دين الله دين
اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا صفة لمصدر اي تذكرا قليلا او للزمان اي زمانا قليلا حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره ما مزيدة لتاكيد القلة تذكرون صفة لاولياء وقرئ بحذف التاء وقرئ يتذكرون
على ان الخطاب مع النبي عليه السلام وكم من قرية كم خبرية منصوبة بفعل مقدر يفسره اهلكناها اي
وكثيرا من القرى اهلكناها فجاءها باسنا استخدام وقلب اما الاول فلان الضمير في اهلكناها للقرية
باعتبار معناها الحقيقي والضمير في فجاءها باعتبار معناها المجازي وهو اهلها واما الثاني فلان اصل
الكلام وكم من قرية جاءها باسنا فاهلكناها ويجوز ان تكون الفاء تفصيلية ويكون الكلام على اصله
بياتا في موقع الحال اي بائتين او هم قائلون في محل النصب عطفا على بياتا كانه قال بائتين او
قائلين وانما وقعت الجملة الاسمية حالا بغير واو لا اكتفاء بالضمير لانه غير فصيح بل لعطفها على
حال قبلها فاستثقل اجتماع حرفي عطف لان واو الحال واو العطف استعيرت للوصل وتخصيص
الوقتين بنزول العذاب لانهما وقت دعة وغفلة فيكون نزوله فيهما اشد وافظع واما المبالغة
في التعبير فلا اختصاص لها بالوقتين فما كان دعواهم دعاؤهم على انفسهم بالويل اذ جاءهم باسنا
وقت ظهور طلائع العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا قولهم هذا يرشدك الى ان المعنى هذا
قوله تعالى وكم قصمنا من قرية الى قوله قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين فلنسئلن الذين ارسل اليهم هم الامم يسالهم عما اجابوا به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم
المرسلين والمراد به التوبيخ والتقريع لا الاستخبار ولا التقرير لقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ
ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمنفي في قوله تعالى
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فلا ينافي هذا حتى يحتاج الى التوفيق
بالاختلاف في الاوقات او في معنى السؤال فلنقصن لما كان سؤال الفريق الاول سؤال تعنيف وتعذيب
وسؤال الفريق الثاني سؤال تشريف وتقريب لا الاستخبار والاستفسار سكتوا عن الجواب وتركوا
الخطاب فناسب المقام تصدير الكلام بالفاء الفصيحة عليهم اي على الفريقين ما كانوا عليه بعلم كامل

شامل لظواهرهم وسرائرهم وما كنا غائبين حال هي في مقام التعليل اي اذ لم نكن عنهم غائبين لم
يفعلوا ما كانوا عنا غائبين تنبيها على ان المنشأ لهذه الحالة في شانه تعالى من الكمال لا امر عن جانبهم
وعدم الغيبة عنهم مجاز متفرع على الكناية عن الاحاطة التامة باحوالهم وافعالهم واقوالهم وفيه دفع
ما عسى ان يخطر بالبال من ان وزن الاعمال لتحقق الحال فله تعلق تام بما يلي الكلام مورث لكمال الحسن
في النظام وتمام الالتئام والوزن مبتدا يومئذ ظرفه الحق خبره اي والوزن يوم يسال الله الامم
ورسلهم هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ اي الوزن العدل كائن يومئذ
والاول اولى لان المقام مقام الاخبار عن الوزن الواقع يومئذ بانه الحق لا غيره لا عن اليوم المذكور
بان الوزن الحق فيه لا في غيره قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم وبه اخذ الجمهور
ويصدقه ما ورد في الخبر عن خير البشر ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا
كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فمن ثقلت موازينه اي رجحت موزوناته وهي الاعمال
التي لها وزن واعتبار وقدر اي الحسنات او ما يوزن به اعماله على ان الموازين جمع موزون
او جمع ميزان وتوحيد الضمير باعتبار لفظ من لان معناه جمع لقوله فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه عن الحسن وحق الميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق
الميزان توضع فيه السيئات ان يخف وهذا على ثاني معنيي الموازين فاولئك الذين خسروا انفسهم
بتضييع الفطرة السليمة التي فطروا عليها بما كانوا باياتنا يظلمون اي يكذبون ظلما ولقد مكناكم
في الارض اقدرناكم على التصرف فيها بالسكنى والزرع وغيرهما وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به جمع
معيشة وهي وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس الى ما فيه الحيوة وقد يطلق على ما يعاش به
من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لاصالتها ومن همز فقد شبهها بما فيه الياء زائدة
كصحائف قليلا ما تشكرون نصب قليلا بتشكرون وما مزيدة لتاكيد القلة والشكر اعتراف بالنعمة
مع ضرب من التعظيم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم غير مصور ثم صورناه والصورة
بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلقه عليه السلام وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لقوله ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لادم او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا وكان الظاهر
ان يقول ثم امرنا الملائكة بالسجود لادم وانما عدل عنه لان الامر بالسجدة كان قبل خلق ادم على ما نطق

به قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره انما هو
قوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم لتعيين وقت السجدة المامور بها قبل هذا فلا صارف لكلمة ثم عن
معناها الاصلي وعلى تقدير الصرف عنه حقها ان تصرف الى معنى التفاوت في الرتبة لا على التراخي
في الاخبار فسجدوا اي سارعوا الى الامتثال واتوا بما امروا به على الاستعجال ولما كان في بقية
الاحتمال ان يكون الاستثناء بقوله الا ابليس عن المقيد راجعا الى قيده لا الى اصله رجح الى قوله
لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف فيه للاستثناء عن الاتصال بناء على انه رجح
لا حاجة الى هذا المقال وكان يكفي ان يقال لم يسجد الا انه قصد مع الاخبار عن عدم الائتمار الاشعار
بانه على تقدير اظهاره السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من اضمار الاستكبار بل يكون معدودا
من الساجدين فنفى ذلك الكون فافهم هذا الاعتبار قال عدل عن التكلم الى الغيبة ايماء بعدم اسناد
القول الى نفسه ظاهرا ان هذه المخاطبة مع ابليس لم تكن بالذات وكان الجبائي تنبه لهذا الايماء
حيث قال ان هذه المكالمة كانت على لسان بعض الملائكة ما منعك ان لا تسجد منع نظير صرف
تحمل عليه في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك عن ان تسجد الى ان لا تسجد ولا يخفى ان اعتبار الصرف ابلغ في
الكلام وانسب للمقام ومن ههنا تبين انه لا دلالة في قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
على زيادة لا في هذا القول لانتظام معنى الصرف كلا القولين اذ معموله لقوله منعك اي ما منعك
عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه فلا دلالة فيه على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب
اما الاول فلان الفور انما لزم من تعيين وقت نفخ الروح في بدن ادم في قوله تعالى فاذا نفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فان فيه دلالة على ان المامور به السجدة في الحال وفي تضاعيف
المقال تلويح الى انها كانت لتعظيم امر النفخ والتطهير عنده من اثار القدرة الباهرة في الحقيقة
وان كانت في الظاهر لتعظيم ادم واما الثاني فلان مبناه على ان تكون صيغة الاستفهام
للتوبيخ وان يكون التوبيخ على عدم الائتمار وكل منهما في موضع المنع اما الاول فلان الظاهر من قوله
استكبرت ام كنت من العالين الاستفسار والاستخبار عن سبب المنع واما الثاني فلاحتمال ان
يكون التوبيخ على مخالفته لمن هم اعلى منه وترك متابعته اياهم كما هو الظاهر من قوله ابى
ان يكون مع الساجدين اي ابى عن متابعتهم في امر السجود وفي قوله امرتك دلالة على ان
ابليس كان مامورا بالسجود لادم بقوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم عبارة كان ذلك او دلالة
والظاهر من قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين هو الثاني على ما نقف عليه في موضعه

قال

قال انا خير منه لما كان هذا القول منه جوابا من حيث المعنى عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع
المذكور في قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين هو الثاني
مستانف فيه باختيار الشق الثاني من الترديد المذكور اي كنت من الذين لم يتناولهم الامر دلالة
لعلو شانهم كما لم يتناولهم عبارة ذكرها في موضع الجواب عن السؤال على وجه الاجمال عن المانع
ومن غفل عن هذا قال انه جواب من حيث المعنى مستانف فيه استبعادا منه لان يؤمر الفاضل
بسجود المفضول فهو الذي قال بالحسن والقبح العقليين او لا خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك حيث راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون
باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتوحيد اي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما اشار اليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية كما اشار اليه
بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتشديد اي بقدرتي المتصرفة في عالمي الشهادة والغيب
ولذلك اي لكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت صار افضل ممن له حظ من احدهما فقط واحق
لان يسجد له الملك فاللعين في تعليله كما قيل فيه • حفظت شيئا وغابت عنك اشياء •
وقيل لعل نسبة خلق الانسان الى الطين وخلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد عليه
ان المناسب لهذا الاعتبار ان يقال خلقته من تراب والله اعلم بالصواب قال فاهبط
تفريع على جوابه الخارج عن حد الادب بل عن نهج السداد اعتز اللعين بما في عنصره من
شرف الصعود فجوزي بذل الهبوط وهو نزول من جهة العلو الى جهة السفل فصح عود
الضمير في قوله منها الى جهة العلو ويلزمه النزول من السماء والخروج من الجنة فلهذا ذهب الى
كل منهما ذاهب غافلا عن ان في عود الضمير الى واحد منهما بخصوصه محذور الاضمار قبل الذكر
فما يكون يصح لك تعليل للامر المذكور ان تتكبر فيها لانها مكان المطيعين المتواضعين بلا سامع
من الحال وفي وصف الخالق اظهاره على وجه الكمال فلهذا اضمرها في الاول ووحدها في الثاني
فاخرج وفي سورة الحجر فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين الساكنين في السماء تفريع
على عدم لياقته لان يكون في جهة العلو انك من الصاغرين من الاذلين لصغر القدر تعليل
للامر بالخروج من بين المستحقين للعزة وهو بل في كل من مقامي الامر بضد ما ظهر من المامور فلا
وحالا قال انظرني الانظار الامهال الى مدة فيها النظر طال ام قصر وقوله الى يوم يبعثون
بيان لمدة الانظار الذي طلبه والضمير في يبعثون عائد على المفهوم من تضاعيف المقال

المعلوم بقرآئن الاحوال وفيه دليل على اعتقاد اللعين بالبعث وهو في الاصل الاطلاق في الامر
ثم استعمل مجازا في الاخراج عن العدم والمراد باليوم المذكور يوم النشور سال البقا الى يوم اللقا
على ما افصح عنه في قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة قال انك من المنظرين اي انك من جملة من قدر لهم
الانظار فلا حاجة الى السوال وفيه الاشعار بان ذلك ليس من قبيل استجابة الدعوة فافهم لطف
هذا الاعتبار ثم ان فيه الاخبار عن حصول مارابه من اصل الانظار ابتلآ للعباد وتعريضا للجهاد
بمخالفته للثواب لا عن الوصول الى المقصود من امتداد المعهود وهو الامان من خوف الفوت
والم ذوق الموت حيث قال الى يوم الوقت المعلوم بعد تع وهو وقت قدر فيه انها اجل المنظرين
وهو يوم النفخة الاولى وانما ابهمه الله تع كيلا يخلو اللعين عن الم الخوف في كل حين وفي اقحام
اليوم زيادة في الابهام كما لا يخفى على ذوي الافهام قال فبما اغويتني البا للسببية تتعلق
بفعل القسم وقد اظهر المقسم به في قوله فبعزتك لاغوينهم لاقعدن لان اللام تصد عنه
وما مصدرية واصل الغي الفساد لقول العرب غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد اللبن
في البطن والمعنى بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوآئهم باي وجه يمكنني بسبب اغوائك اياي فيهم
حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم لاقعدن لهم القعود كناية عن الترصد بل مجاز متفرع
عليها لان المراد من الصراط المستقيم الدين القويم وهو لا يصلح متعلقا للقعود الحقيقي صراطك
المستقيم نصبه على تضمين معنى اللزوم اي لالزمن صراطك مترصدا كما يفعله قطاع الطريق
للسابلة وهذا اولى من انتصابه على الظرف واما انتصابه على اسقاط على كما قال الزجاج
وشبهه بقول العرب ضرب زيد الظهر والبطن ففيه ان اسقاط حرف الجر في مثل هذا لا ينقاس
ثم لاتينهم من بين ايديهم ثم للتراخي المعنوي لبعد ما بين الاجمال المذكور والتفصيل الاتي في ضمن التمثيل
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم مثل اتيانه اياهم لقصد التسويل والاضلال باتيان
العدو السابلة لقصد القتل ونهب الاموال محيطا بهم من الجوانب كيلا يفوت الاستيصال
ولهذا خص الجهات الاربع بالذكر والا فقصد التسويل يتيسر له من جميع الجهات وانما قال
من بين ايديهم ولم يقل قدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك الجهة باتيان عدو لم يتنبه له
الخصم الا وهو حاضر بين يديه فانه اشد كيدا واشد نكاية وانما عدى الفعل في الاولين
بمن لان فيهما معنى طلب المهاية وفي الاخرين بعن لان فيهما معنى الانحراف عن المقصد ولا
تجد اكثرهم شاكرين لم يقل فلا تجد لانه اراد بيان ان حالهم هذا على مقتضى جبلتهم لا بسبب

تسويل واضلال ولا تعلق له بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لان مظنونه بقرينة تمام ذلك
الكلام وهو قوله فاتبعوه الا فريقا من المومنين ما ذكره بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين فان انطباقه عليه لا مضمون هذا الكلام قال اخرج منها الامر باصل الخروج
من زمرة المقربين قد كان فهو هنا منصرف الى قيده المذكور بقوله مذءوما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول في مسئول او مكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما وقيل الذام والذيم اشد
العيب كاللوم مدحورا الدحر الدفع والطرد على وجه الهوان والاذلال لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر
اللام اي لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم على ان لاملان جهنم في محل الابتدآ
ولمن تبعك خبره قسم محذوف على الوجهين منكم اجمعين اي منك وممن تبعك لقوله تع في
موضع اخر لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فغلب هنا المخاطب ويا ادم اي وقلنا
يا ادم على ما ذكر في سورة البقرة لا مساغ لان يعطف على قوله اخرج لانه في معرض الاستيناف
في جواب ابليس وهذا ليس من تتمته ولانه من تتمة الامتنان وفي العطف على البعد قلنا بعد
اسكن انت وزوجك قد سبق ما يتعلق به من اللطائف الجنة فكلا من حيث شئتما وفي سورة
البقرة وكلا اعتبر ثمة الاستقلال في امر الاكل تعظيما لشان تلك النعمة الجليلة واعتبر هنا
تفرعه على الامر الاول وفيه زيادة تعظيم لذلك الامر ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي على الاصل
لتصغره على ذه والهاء بدل من يا فتكونا فتصيرا يحتمل الجزم بالعطف والنصب بالجواب من
الظالمين اي بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذي ظلم واطلقه ليتنظم الظلم غيره من ذريته
فوسوس اي تكلم كلاما خفيا مكررا اصل الوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي وهو
غير متعد كولولت المراة ووعوعت الذئب فلابد من اداة التعدية ولهذا قيل لهما الشيطان
واللام للترتيب على ما تقدم من النهي ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما الابدآ الاظهار
والمواراة الستر والسوءة العورة مجاز لانه يسوء صاحبها ظهورها وكانا لا يريانها من
انفسهما ولا احدهما من الاخر واللام للتعليل ان كان اللعين عالما بذلك والا فلام العاقبة
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة بيان لوسوسته والواو للاستيناف الا ان تكونا
الا كراهة ان تكونا ملكين في حصول الكمالات العظيمة والاستغنا عن الاطعمة
والاشربة اذ لا احتمال لقلب الحقائق فلا دلالة فيه على فضل الملك على ادم وقاسمهما اني

او تكونا من
الخالدين

لكما لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة فاخرجه على وزن المفاعلة للمبالغة لاجتهاده فيه
اجتهاد المبالغة وقيل اقسم لهما واقسما عليه بالله انك لمن الناصحين فدلاهما فنزلهما الى الاكل
من الشجرة وفيه دلالة على انه اهبطهما من درجة عالية الى منزلة سافلة لما في معنى التدلية
من ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما من القسم بالله وكانا لا يظنان ان احدا
يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور اي مغرورين والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش
واصل الغر طي الثوب فان فيه اظهار حال واخفاء اخرى ومنه الغر لخفاء ما لا يؤمن فيه فلما ذاقا
الشجرة بالاكل من ثمرتها دل هذا على ان المراد من الاكل في قوله تع فكلا منها بداية كما دل
هو على ان المراد من الذوق هنا نهاية فالقران يفسر بعضه بعضا بدت لهما سوآتهما اخذتهما
العقوبة بشؤم المعصية تساقط عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف
على مقدر اي فتداركا واخذا يخصفان عليهما اي على عوراتهما ورقة فوق ورقة ليستترا
بها كما يخصف النعل ويجعل طرفه فوق طرفه من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب اثنين واشار الى الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين توبيخ من الله لهما على الاغترار بقول العدو بعد التحذير وعتاب
على مخالفة النهي الارشادي ولا دلالة فيه على ان مجرد النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا
بنقص حظها من المنحة وتعريضها للمحنة وان لم تغفر لنا انما لم يقل فان لم تغفر لان الحاجة
الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين عند عدمها ليس لما تقدم من النقص والتعريض
بل لذلك امر اخر وراء ما ذكر وترحمنا لنكونن من الخاسرين هذا على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات لما عرفت ان النهي ارشادي لا تكليفي
فلا دلالة فيه على ان الصغيرة من الذنوب معاقب عليها ان لم تغفر قال اهبطوا خطاب
لهما ولذريتهما اولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم
لبعض عدو في موضع الحال ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع
الى حين انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون لعلهم انهم لا يعودون
الى الجنة الى ان يحشروا من قبورهم ثم يصير السعيد الى الجنة والشقي الى النار يا بني ادم اراد
نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقه وابتداء ولادته لتذكير خلقه عريانا فانه المناسب
لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما في الارض منزلا من

السماء لانه قضي وقدرته وقضى بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها اي يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن
خصف الورق وريشا وقرئ ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش لباس الزينة والجمال
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا
يجملكم ويزينكم والزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى
هو الاكتفاء بالصوف والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء خبره ذلك خير وذلك صفته عدل
به عن النصب وفخم بالاشارة اليه وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو
ما يتقى به في الحروب ولا يناسبه الترجيح والتفخيم فان ما ذكروجه الرجحان انما يساعد الاول
وقيل هو لباس الورع ولا يساعده ذلك من ايات الله اي تحصيل اللباس من مواد ارضية
حاصلة باسباب سماوية واتصال منافع احديهما بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرة
منشئهما وحكمة مدبرهما لعلهم يذكرون فيعرفون نعمه ويعترفون بقدرته ويحترزون عن
نقمه او يتعظون فيتورعون عن القبائح روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة
ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت فعلى هذا تكون قصة ادم تقدمة
لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الناس من الشيطان وانه اغواهم
في ذلك كما اغوى ابويهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترها بخصف الورق عليها ليتعظوا
بها يا بني ادم لا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية
من افتتن لا يفتننكم لا يمنعكم الشيطان دخول الجنة بالافتتان اي بالاغواء كما اخرج اي فتن
ابويكم بما ادى الى اخراجهما من الجنة والمراد نهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان
به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجازي
للتسبيب والعدول عن صيغة الماضي لاستحضار تلك الصورة الفظيعة والنزع قلع الشيء
عن موضعه الذي هو ملابس له انه اي ان الشيطان يراكم تعليل للنهي على سبيل الاستيناف
وتاكيد للتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون هو اظهر ليصح عطف
قوله وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم اي من مكان لا ترونهم فيه قال ابن عباس رض صدر
الانسان له مسكن ويجري منه مجرى الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسر
رؤيتهم لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية

معصود القصة واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة
في الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا اعتذروا بتقليد الاباء ولما راوا ما فيه من الضعف ابدوه
بقولهم والله امرنا بها قيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا
عليها اباءنا فقيل من اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم ح والله امرهم بها
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول لا يعول عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض الافعال
قبحا يثبته العقل مع قطع النظر عن السمع وان لم يدل على ترتب الذم عليه اصلا قبل النهي عنه
اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون اظهارا لما في افتراءهم من زيادة
قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط
والتفريط في كل شيء واقيموا وجوهكم معطوف على ما يئول اليه المصدر الذي هو القسط اي بان
اقسطوا واقيموا او كما يئول المصدر الى ان والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج اي من
ان قام زيد وخرج كذلك يئول الى ان مع الفعل المضارع نحو للبس عباءة وتقر عيني اي لان
البس عباءة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود اي لا تسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف الوجوه
وقد مر وجه ذلك في تفسير سورة البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين
بها وجه الله خالصا فانكم مبعوثون مجزيون على اعمالكم فحذف التعليل وزيد ما يدل على البعثة
اكتفاء بالعبارة عن الاشارة كما بداكم اي كما بداكم ابتداء تعودون باعادته اي فيسوا الاعادة
بالابتداء فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي
والقابلية الفطرية لا باقتضاء القضاء الازلي كما زعمت الجبرية لان القضاء تابع للمقضي لا متبوع له
وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به انهم اي الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فاطاعوهم تعليل للمفسر او تحقيق للمفسر ويحسبون انهم مهتدون
ولولا حسبانهم هذا لكان فيهم تاثير للانذار والتذير فهو تتميم للتعليل او التحقيق وتنبيه على ان الضلال
انما حق على من ضل وزعم انه اهتدى ومن ههنا ظهر ان المكلفين غير محصورين في الفريقين المذكورين
فان المعاند معزول عن الحسبان المزبور يا بني ادم انما خاطبهم بهذا تذكيرا لنسبة ابيهم ادم في ستر العورة
خذوا زينتكم اي لباسكم المواري لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب
وغيرها والمامور باخذه ههنا ما يستر العورة عند كل مسجد اي عند كل قصد ودل عليه سبب

النزول

فريقا هدى

النزول فانهم كانوا يطوفون ثيابهم وراء المسجد عند الطواف او للصلوة فان ستر العورة فيهما
واجب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة اعتبار الظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا
اي لا تضيقوا على انفسكم فيما وسعه الله من الاكل والشرب روي انهم كانوا لا يصلون في ثيابهم
ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في
ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية ولما
كان حذف المفعول في الموضعين مظنة التعميم والتوسيع لدائرة الرخصة في الاكل والشرب
كما وكيفا نبه على دفعه بقوله ولا تسرفوا اي في التغذي بالتعدي من الحلال الى المحظور بل
من الطيب الى المحذور انه اي ان الله والاضمار قبل الذكر للتفخيم لا يحب المسرفين لا يرتضيهم لاسرافهم
وهذا ابلغ في ذم الاسراف وصيغة الجمع للتعميم لانواعه فانه مذموم في كل امر حتى في التصدق على ما
مر في سورة الانعام قل من حرم معنى الاستفهام انكار تحريم هذه الاشياء وتوبيخ محرميها والاستفهام
اذا تضمن الانكار لا جواب له زينة الله الاضافة اليه تعالى تعظيما لشان الزينة للدلالة على عدم
التحريم من جهة ثم التي اخرج من الحيوان كالحرير والصوف والنبات كالقطن والكتان والمعدن
كالحديد وسائر الاجساد لعباده في عبارة العباد اشارة الى ان الاخراج المذكور لمصلحة
العبادة فلهذا اظهر على الناس والطيبات اي المحللات فان المحرم ليس بطيب وان كان مستلذا
من الرزق من الماكل والمشارب فوصف الطيب ههنا في مقابلة الاضافة الى الله في قرينة في افادة
المعنى المهم في المقام وهو كونهما غير محرمين في الشرع فلا دلالة في الاية على ان الاصل في المطاعم
والمشارب والملابس وانواع التجملات الاباحة قل هي اي جملة ما ذكر من الزينة والطيبات
للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لكون الكفار شركاءهم فيها وانما لم يقل للذين امنوا
ولغيرهم تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة والكفار تبع لهم وفي تمام الحيوة للاشعار الى وجه التشريك
بافهام انها للحاجة اليها في الحيوة خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال من
الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا لهي وقرئ بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل
الايات اي كتفصيلنا لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نفصل لكم جميع ما بكم حاجة اليه من شرائع
الاسلام وانما قال لقوم يعلمون تفضيلا للعلماء على غيرهم بتخصيص التفصيل لهم وتغليبا للذكور على
الاناث لاصالتهم في اهلية الخطاب باعلام الاحكام وافهام الحلال والحرام قل انما حرم ربي
الفواحش اي لم يحرم الزينة والطيبات وانما حرم القبائح التي زاد قبحها والتحريم المنع من الفعل

باقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بيان جواز تناوله
ما ظهر منها وما بطن قال ابن عباس كانوا لا يرون بالزنا بأسا وكانوا يستقبحونه علانية
فنهوا عنهما جميعا وتخصيصها بالذكر مع انتظامها في سلك الاتي ذكره للاهتمام والاثم اريد
به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب والبغي اريد به ما بينه وبين الغير وهو التعدي مبتديا كان
او منتصرا وقوله بغير الحق زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بهم اذ معلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل ولا ترى الضب
بها ينجحر واذ لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكره استهزاء ثم ان في السلطان مزية على
البرهان من حيث ان البرهان اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه والسلطان اظهار ما يتسلط به
على نقيض المعنى بالابطال ولا يخفى ما في اعتبار هذه المزية واشتراط نزوله دون ظهوره
من تعظيم امر الشرك وان تقولوا على الله وان تفتروا عليه ما لا تعلمون انما ذكره اظهارا
لزيادة قبح ما فعلوه والا فالافتراء لا يكون عن علم ولكل امة اجل الامة الجماعة التي على مقصد
واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل ففيه اشارة الى تقارب اعمار اهل العصر الواحد
واما الوعيد فمبناه على ان يكون المراد من الاجل مدة نزول العذاب ولا يساعده اخذ الكلية
على ظاهرها فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ولا يتأخرون
وانما قال ساعة لانها اقصر الاوقات في العرف يقول المستعجل لصاحبه في الساعة اي اقصر
وقت وانما قال فاذا جاء اجلهم لانه قبل المجيء يقبل التقدم والتاخر بخلاف ما بعده على ما افصح
عنه في قوله ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والمراد من مجيء الاجل مجيء
قربه على ما دل عليه قوله ولا يستقدمون وهذا كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب
وقته يا بني ادم وانما اوثر هذا التعبير لما فيه من التذكر لاول الرسل منهم اما يأتينكم هي ان الشرطية
زيدت عليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وجواب
الشرط الجملة الشرطية الاتية رسل منكم انما جاء في اتيان الرسل بحرف الشك تنبيها على انه غير
واجب كما زعم اهل التعليم يقصون عليكم اياتي القصص وصل الحديث بالحديث واصله
اتباع الشيء بالشيء فمن اتقى الشرك والمعاصي واصلح العمل والاسلام فلا خوف عليهم من الوقوع
في العقوبات وهذا ثمرة الاتقاء ولا هم يحزنون لفوات الثواب وهذا ثمرة الاصلاح وليس فيه
ابطال مخافات القيمة لان المراد به العاقبة فهو كقول الطبيب لا بأس عليك ولا خوف وان

كان

كان في وجع وضعف والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تعظموا عن قبولها والمعنى
استمروا على التكذيب فان الاستكبار يلزمه الاستمرار على خلاف من اتقى واصلح اولئك
اصحاب النار الملازمون لها لتكذيبهم باياتنا هم فيها خالدون لاستمرارهم عليه وانما اورد في
جواب فمن اتقى دون جواب والذين للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم الخ
ظلما والفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم من عظم شان الافتراء حيث قرن بالشرك بالله وشان
التكذيب حيث اخبر بان جزاءه الخلود في النار والاستفهام للاستعظام وقد مر بيان طريقه
في تفسير سورة الانعام ممن افترى على الله الافتراء اختراع امر لا اصل له في حق من يشينه ولهذا
يتعدى بعلى فقوله كذبا تصريح بما علم التزاما اظهارا لما في الافتراء من مزيد قبح حيث جمع بين
القبيحين او كذب باياته لم يقل او كذبه لان من كذب كلام الله انما كذبه منكرا لكونه كلامه وانما
قال باياته لينتظم المعجزات الفعلية اولئك ينالهم النيل هو وصول النفع الى الغير اذا اطلق وان
قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشيء نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق
والاعمار اي هؤلاء مع نهاية ظلمهم لا يحرمهم في الدنيا بل يصل اليهم حظهم في الدنيا مما كتب لهم في
الكتاب السابق حتى اذا جاءتهم غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائه وهي التي تقع بعدها الجملة رسلنا
يتوفونهم قالوا جواب اذا اينما كنتم حق ما ان تنفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة
في خط المصحف باين كاتبيه تدعون من دون الله اي تعبدونه من الالهة ترجون شفاعتهم
ومعونتهم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي
اعترفوا بكونهم بلفظة الشهادة التي هي تحقيق الخبر ولا يخالف هذا ما تقدم في سورة الانعام من
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لان انكارهم ذلك عند غيبة الهتهم على ما بين فيما سبق واعترافهم
هذا عند حضورهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك قال اي يقول الله لهم على السنة الملائكة يوم القيمة ادخلوا ويجوز
ان يكون الامر للتسخير كما في قوله تعالى اهبطوا فيكون دخولهم النار بلا قدرة واختيار منهم كما هو
الظاهر من قوله تعالى كلما القي فيها فوج في امم اي كائنين في عدادهم ومصاحبين لهم فان كلمة في
تجيء بمعنى مع قد خلت من قبلكم اي مضت لان من مضى بالهلاك فقد انتفى عن مكانه فخلا مكانه
عنه الا انه قلب فنسب الخلو اليه من الجن والانس قدم الجن على الانس لان المقام مقام التحقير
في النار متعلق بادخلوا والدخول في النار وان لم يقتض كون الفريقين من الكفار لكن الامر

بالمشركين بالكون منهم في معرض العقاب دل على ذلك كلما دخلت امة اي في النار امة
من تلك الامم لعنت اختها مثلها في الدين التي ضلت هي بها وقيل بالاقتداء بها ويرد عليه
انه يلزم ح ان تكون سلسلة الامم الداخلة في النار غير متناهية حتى اذا اداركوا وقرئ تداركوا
اي تلاحقوا وهو الاصل ثم وقع الادغام فاحتيج الى الف الوصل فيها جميعا قالت اخراهم منزلة
وهم الاتباع والسفلة لاولاهم لاجل اولاهم لان الخطاب مع الله لا معهم وهم الرؤساء
والقادة ربنا هؤلاء اضلونا بان دعونا الى ذلك واردونا به قال الله تع خبرا عنهم اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا فلا حاجة الى الصرف عن الظاهر المتبادر فآتهم عذابا ضعفا من
النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل اي لكل منكم ومنهم ضعف مثل زائد على مثل لان كلا
من الفريقين ضال ومضل وهذا في حق القادة ظاهر واما في حق الاتباع فلانهم بالاتباع لهم وصدوهم
عن رأيهم زادهم في طغيانهم وثباتهم على الضلال وقوتهم على الاضلال وقد افصح عن هذا المعنى
في قوله تع وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واما التقليد
في الباطل فلا يصلح وجها لعدم اختصاصه بالاتباع فان القادة ايضا قد يكونون مقلدين
ولكن لا تعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلوة وسرور فانه لو علم كل منهم بالآخر بسبب اضلالهم
اياهم لكان لهم فيه تسل وخفة وقرئ بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم مرتبا كلامهم
على جوابه تع لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا بل انا واياكم
متساوون في الضلال والاضلال واستحقاق العذاب بها فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
كما نحن نذوقه بما كنا نكسبه فليس هذا القول منهم تشفيا كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حال فيها
نوع سرور لهم ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح لهم اي لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح للمؤمنين فهو بمنطوقه وعيد للكفار وبمفهومه وعد للمؤمنين اذ لولا
لما كان وعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله ابواب السماء لمصلحة المفهوم اذ لا حاجة
اليها في المنطوق وقرئ تفتح بالتشديد لكثرة الابواب وبالياء لان تأنيثها غير حقيقي والفعل
مقدم وعلى البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للابواب وبالياء على انه لله تع
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل الولوج التقحم في الشيء وانما خص الجمل من جنس البعير بالذكر لانه اكبر
واصلب من الناقة في سم الخياط في ثقبة الابرة وهو من باب التعليق بالمحال اذ المعنى لا يدخلون
الجنة حتى يدخل ما هو مثل الجمل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك مما لا يكون ابدا

فكذلك

فكذلك لا يتعلق به وقرئ الجمل كالجبل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمّل كالقمّل
وهو الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام
والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي الكافرين الموصوفين بالجرم الكامل
وانما وضع المجرمين موضع الضمير تسجيلا على المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب
الموجب للحرمان الموصل الى العقاب المؤبد في النيران ولذلك كرر الجزاء وسجل عليهم بالظلم تأكيدا
لهم من جهنم مهاد جمع مهد وهو الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيد الامور تسويتها
واصلاحها فهو على طريقة قوله تع فبشرهم بعذاب اليم ولهذا اي لما في لفظ المهاد من التهكم آثره
على لفظ الفراش مع ما فيه من صنعة التجنيس اعتبارا لجانب المعنى وترجيحا للمزية المعنوية
على اللفظية ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي لباس مجلل والتنكير فيها وفي مهاد للتعظيم
والتهويل ولما كان في المهاد اختصاص لجهة التحت بخلاف الغاشية فانها خلو عن الاختصاص
بجهة وكان المراد التغطية من جهة الفوق فلا جرم احتيج الى قوله من فوقهم دون من تحتهم وقد
ذكرا في قوله تع لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لعدم الحاجة الى تعيين الجهة في الموضعين
قوله ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى الجمع من المهاد وكذلك نجزي الظالمين لانفسهم
بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار عن الاذعان والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للاشارة اولا الى ان المذكور في معرض الشرط
الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير معتبر في حق غير المكلفين والمعذورين اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون على عادته تع في ان يشفع الوعيد بالوعد واولئك اشارة الى ان استحقاق
الخلود في النعيم بسبب اتصافهم بالايمان والاعمال الصالحة مع سهولتهما وتعظيم لشأنهما ونزعنا
ما في صدورهم من غل النزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما باعدامه والمراد ههنا
هو الثاني والغل الحقد الذي يصل لطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى
دقيق الخيانة والصدر ما يصدر من جهة التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم الانهار
زيادة في حبورهم وسرورهم والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والجريان
انحدار المائع وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا بالدلالة الى ما يوصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله زيادة اللام لتأكيد النفي اي وما كان يصح ويستقيم لنا ان نكون
من المهتدين الى ذلك مع يسره لولا هداية الله وتوفيقه وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله

وقرئ ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى وعلى القراءة المشهورة اعتراضية للتاكيد لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا الى هذا بارشادهم وهو كلام وارد على سبيل الاغتباط والتبجح
بما نالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها النداء الدعاء على طريقة يا فلان
كانه قيل لهم يا ايها المومنون وان هي المخففة من الثقيلة تقديره بانه والضمير ضمير الشان او
المفسرة لان النداء في معنى القول والجنة صفة تلكم ومن مبتدا خبره اورثتموها او الجنة خبر واورثتموها
حال والعامل معنى الاشارة في تلكم اي مورثة لكم والاشارة بتلك لقصد التعظيم وانما سماها
ميراثا لانها ليست مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله ووعده على الطاعة كالميراث من الميت
لا يكون عوضا مستحقا عن شيء بل هو عطية خالصة ففيه حفظ سامع عن المتبادر الى الفهم
من الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون من ان تكون تلك الاعمال اسبابا حقيقية لما يعطى لهم في الدار
الاخرة فان سببيتها له انما هي بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة بيناها في بعض رسائلنا المعمولة
في اسرار البلاغة بالتقدم بالحفظ وهي ابلغ من طريقة التدارك وقد غفل عنها القوم ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار قد ان نادى معناه دعا غير ان في النداء معنى امتداد الصوت ورفعه وليس
كذلك الدعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت والكلام والصاحب هو المقارن
على نية طول المدة والصحبة والمقارنة نظيران الا ان في الصحبة الارادة ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا ان في المواضع الاربعة محتملة الوجهين كالتي مرت آنفا وجدنا من الوجود وحقا
مفعول ثان او من المصادفة وحقا حال فهل وجدتم ما وعد الوعد عند الاطلاق ينتظم الخير
والشر بخلاف الوعيد فانه مختص بالثاني ربكم حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وتحسيرا لاصحاب النار
ولذلك ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثاني فان اهل الجنة يستبشرون بحصول
موعودهم فذكروا ما وعدهم الله مضافا اليهم واطلقوه حين سالوا اهل النار ليشمل كل موعود من
البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر ما في احوال القيمة من الاهوال تنبيها على
تكذيبهم بامور كثيرة ليست مخصوصة بهم سامهم كلها وتكون اجابتهم بنعم تصديقا لجميع ما
وعد الله بوقوعه في الاخرة للصنفين واعترافا منهم بحصول موعود المومنين ليتحسروا على ما
فاتهم من نعيمهم اذ نعيم اهل الجنة مما يحزنهم ويزيد في عذابهم قالوا نعم وقرئ نعم بكسر العين فرقا
بين نعم التي هي جواب وبين نعم التي هي اسم للابل والبقر والغنم فاذن مؤذن ابهم للتنكير
وتنكير للتعظيم وهو ملك ينادي بامر الله تعالى نداء يسمعه اهل النار زيادة في تحسيرهم فمعنى

بينهم بين القائلين نعم ولو كان المعنى بين الفريقين لقيل بينهما كما قيل وبينهما حجاب ان لعنة
الله على الظالمين اي الكفار اطلاقا لاسم الجنس على الفرد الكامل بدليل قوله تعالى وهم بالاخرة كافرون
وقرئ ان بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء النداء مجراه الذين
يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او نصب على الذم او رفع عليه والصد الصرف عن
الخير خاصة ويبغونها اي يبغون بها والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث عوجا العوج بالكسر
في المعاني والاعيان التي لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح اي يطلبون بها زيغا
وميلا الى الباطل وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها جاحدين لما كان مناداة الفريقين منبئة
عن القرب بينهما ومظنة ان يتوهم وصول روح الجنة الى اهل النار ووهجها الى اهل الجنة دفعه
بقوله وبينهما اي بين الفريقين لا بين الدارين لانه قال في موضع آخر بينهم حجاب الحجاب وهو
الحاجز المانع عن الادراك والمراد ههنا السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف
اي اعراف الحجاب وهو اعاليه جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه وظهوره اعرف
من غيره ومنه عرف الديك رجال قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء وخيار المومنين
او ملائكة يرون في صورة الرجال وقيل جمع قصروا في العمل او تساوت حسناتهم وسيئاتهم
وياباهما عبارة الرجال لان المراد المذكور لا يختص بالذكور يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلاماتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او
عفلى من وسم على القلب كالجاه من الوجه وقد دل الباء السببية على انهم يعرفونهم بالامارات الظاهرة
فلا وجه لما قيل وعرفانهم ذلك يجوز ان يكون بالالهام من الله او بتوقيف الملائكة ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا الى اهل الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وقد دل على هذا تمام الكلام
فلا حاجة الى تقديره لم يدخلوها استيناف او صفة لاصحاب اي لم يدخلوها بعد وفيه دفع ما يتبادر
الى الفهم من عبارة اصحاب الجنة ودفع وهم مخالفته لما ياتي من قوله ادخلوا الجنة وهم يطمعون
حال منهم والطمع توقع المحبوب ونقيضه اليأس وهو القطع بعدم حصوله واذا صرفت الصرف
امالة الشيء من جهة الى اخرى ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي حذاءهم وهي جهة اللقاء تفعال استعمل
ظرف مكان وفيه دلالة على ان نظرهم الى اهل الجنة نظر رغبة وارتضاء واما نظرهم الى اهل النار
فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم كراهتهم ونفرتهم منهم ولا يتاتى منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارفا
صرف نظرهم اليهم كرها ليعلموا قدرهم فيه ولهذا كان الاول مقابلا بالتسليم والثاني بالاستعاذة

قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله تعالى من مصاحبتهم صريحا وفي ضمنها الاستعاذة
من النار ولا يخفى ما في هذا الاعتبار من تقديم الفرار من عذاب صحبة الفجار على الفرار من عذاب النار
بناء على ان الاول روحاني والثاني جسماني والروحاني اشد ايلاما ونادى اصحاب الاعراف رجالا
من رؤس الكفرة واعيان الفجرة يعرفونهم في الدنيا بسيماهم المعهود عندهم فهذه معرفتهم باشخاصهم
وما سبق معرفتهم من حيث انهم من اهل الجنة او من اهل النار قالوا ما اغنى عنكم استيناف لبيان ما نودي
به جمعكم كثرة عددكم واعوانكم او جمعكم المال وما في ما اغنى استفهامية للتوبيخ والتقريع ويجوز
ان تكون نافية وفي وما كنتم مصدرية اي وكونكم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون
بالثاء المثلثة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى فقراء
اهل الجنة لما اشاروا اليهم بهؤلاء معيرين لرؤساء الكفرة قالوا لهم اخبارا من الله تعالى ملتفتين اليهم والخطاب
ادخلوا الجنة وقرئ ادخلوا على البناء للمفعول وقرئ دخلوا على الاستيناف والتقدير ادخلوا
او دخلوا مقولا لهم لا خوف عليكم فيما ياتي ولا انتم تحزنون على ما فات وفيه تعريض لاصحاب النار
بانهم يحزنون ونادى اصحاب النار اي الكفار على ما سبق عليه اصحاب الجنة ان قلت كيف
النداء وبينهما حجاب قلت ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار ان افيضوا من الفيض
وهو السيلان عن الامتلاء ولما فيه من معنى الاحسان قالوا علينا اي احسنوا علينا مما ازداد
منكم من الماء فلا دلالة فيه على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله تعالى من نوع اخر
من جنس المشروب وانما خصهم بالطلب لما بهم من غلبة العطش وشدة الحرارة ولهذا اتوا باداة
التنويع ولو كان المراد الطعام لعدلوا عن العطف باداة الجمع اذ لا بد لهم من طلب الماء ولما كان
في سؤالهم ما دل على ان التماسهم من الفضلة وما لا حاجة لهم به وكان الامتناع عن الاجابة
في مثله مظنة البخل اجابوا بما يندفع به هذا الوهم ثم انهم عدلوا عن الجواب بالمنع الصريح الى
ذكر سببه محافظة لجانب الكرم مهما امكن وقطعا لاطماعهم على وجه احسن قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين لم يقل عليكم تضمينا لمعنى التعليل وتعميما للجواب لغير السائلين من جنسهم والتحريم
المنع وتعديته بعلى كتعدية الشهادة بها كما في قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولا خفاء
في ان المنع اللغوي ابلغ من التحريم الشرعي فلا وجه لما قيل معناهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين
اتخذوا دينهم الاتخاذ اخذ الشيء باعداد الامر من الامور ولا يخفى لطف موقعه ههنا من حيث
تضمنه للاشارة الى ان حق الدين الجد والاهتمام بشانه دون الهزل واللعب وكان فيه نعي

لهم بتقبيح صنيعهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واصل اللهو الانصراف عن الشيء والمراد
ما ينصرف اليه مما لا يعني واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور
على غير استواء وغرتهم الحيوة الدنيا التغرير تزيين الباطل للوقوع فيه فاليوم ننساهم نفعل
بهم فعل الناسين بتركهم في النار ترك المنسي كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا به فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له ولم يهتموا به والمراد من اليوم الواقعة ولهذا اضاف اليهم وما كانوا باياتنا يجحدون
معطوف على كما نسوا وما فيهما مصدرية والكاف في كما للتعليل اي كنسيانهم وكونهم جحدوا بايات
الله ولقد جئناهم بكتاب التنكير للتعظيم وفي التعبير بجئنا به زيادة تعظيم له فصلناه اي جعلناه
فصولا هي اصول الامور الدينية والدنيوية على علم عالمين كيف يجب ان يفصل حتى جاء حكيما وقرئ
فضلناه اي رجحناه على سائر الكتب عالمين بوجه رجحانه وانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم
يؤمنون حال من الهاء او مفعول له اي لاجل هدى هل ينظرون اي ما ينتظرون والانتظار هو
الاقبال على ما ياتي بالمتوقع له وانما قيل لهم ينتظرون وان كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظر
في انه ياتيهم لا محالة اتيان المنتظر الا تاويله التاويل ما يؤول اليه حال الشيء يوم ياتي تاويله اي
يتبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق وظهر ما اخبروا عنه فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم حذف النون للنصب بالفاء جوابا للتمني او نرد او هل نرد الى الدنيا وجوابه فنعمل وقرئ
او نرد بالنصب عطفا على يشفعوا اي فيشفعوا لنا او فرادا جملا او على معنى الى ان اي فيشفعوا
حتى نرد فنعمل وقرئ بنصب نرد ورفع فنعمل اي فنحن نعمل فالمعنى على الرفع تمني الشفاعة او الرد وعلى
اول وجهي النصب تمني التشفيع للشفاعة مفضيا الى الرد وسببا ووسيلة اليه غير الذي كنا
نعمل من الكفر والمعاصي قد خسروا انفسهم في الدنيا بابطال استعدادهم فلا يجدي الرد على ما افصح عنه
في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه استيناف لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكمة في عدم
استجابتهم وضل اي وغاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم
ان ربكم الله ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتموه من الاصنام والكواكب والملائكة والجن
بل كل ذلك مربوب ومخلوق محتاج الى مدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما على ما بينه في موضع اخر جعل الخبر موصولا بناء على كون ذلك معهودا عند السامع
ومفروغا من تحقيق النسبة والعلم به في ستة ايام في صحيح مسلم عن ابي هريرة رض قال اخذ رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق الظلمة يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين
العصر الى الليل والمراد من اليوم مقدار دورة العرش من الزمان ثم استوى على العرش استولى عليه
بان يرتقي ايجاد الاشيا واثبات صورها عليه قصدا مستويا من غير ان يلوى الى شيء اخر فهو شانه
الذي عليه في كل يوم ولما ذكر الاستوا على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد
تدبيره بين ذلك في عيان فقال يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر عكسه لا لان اللفظ
يحتملها اذ لا بد من ارادة احدهما على التعيين بل للعلم به يطلبه حثيثا من الحث وهو الحمل على
السرعة حال من الليل تقديره حاثا او من النهار وتقديره محثوثا ويجوز ان ينتصب نعت
لمصدر محذوف اي طلبا حثيثا اي حاثا او محثا والمراد من طلب الليل النهار تعاقبه اللازم فكانه
طالب له لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد يدركه والشمس والقمر والنجوم عطف على السموات
مسخرات حال منها بامره متعلق بمسخرات وقرئ كلها بالرفع على الابتدا والخبر الا له الخلق والامر
اي هو الذي اوجد الاشيا وصرفها بارادته كيف يشا جملة اعتراضية مبينة لما ذكر من التوحيد
كالمقصود منه ولذلك صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها الظرف للتخصيص ايذانا بان امر الاشيا
اعتقاد التوحيد في الخلق والتدبير تبارك الله رب العالمين اي فذلك هو الرب للجميع لا رب
سواه فيجب تعظيمه اعتراض اخر لبيان تعظيمه بالوحدانية في الالوهية والربوبية للكل اي تعاظم
الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالربوبية وتوجيهه ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فادعاهم
الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الاية بان لانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا
واحدا وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على العلم والحكمة والقدرة الذي انشا
ملكه على ما يشا ثم عمد الى تدبيره كالملك المتمكن في مملكته لتدبير ملكه فصرف الدهر على ما نرى من تصريف
الملوين وسخر الاجرام السماوية بامره ونفاذه بعصاه وقدره ثم صرح بما هو فذلكة التقرير
في بيان التوحيد بالجملة الاعتراضية الاولى وافصح عن المقصود من التركيب كالنتيجة فالجملة
الاعتراضية الثانية ثم ارجم تخصيصه بالعبادة والدعوة متضرعين متذللين ذوي خفية
فقال ادعوا ربكم تضرعا التضرع التذلل وهو التكلف في اظهار الذل الذي في النفس وخفية
كيلا يشوب الدعا معنى الريا والاخفا اخفاص الشيء بحيث لا يقع عليه الادراك في التعبير

عن قسيم الدعا خفية بما ذكر اشارة الى ان الدعا جهرا انما يصلح مامورا به اذا كان مقرونا بالاستكانة
والتذلل انه لا يحب المعتدين استيناف لتعليل ما قدمه عبارة واشارة والاعتدا تجاوز الحد الذي
لا ينبغي تجاوزه اي ان الله تع لا يحب المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعا وغيره وفيه تنبيه
على انه لا ينبغي الصياح في الدعا والاسهاب فيه وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا خائفين من عقابه
طامعين في ثوابه والخوف هو الانزعاج بما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب وانما قدم
الخوف لانه اهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استيناف لتعليل ما قدمه من القيدين عبارة
واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار التاكيدي عن قرب رحمته تع مطمع واما الثاني فلان شرط
الاحسان وهو ورا الايمان والاسلام مظنة الخوف لعامة المومنين وقد قال كثير من العلماء
ينبغي ان يغلب الخوف على الرجا طول الحيوة فاذا جا الموت غلب الرجا ومن هنا اتضح وجه اخر
لتقديم الخوف على الطمع وتذكير قريب لان تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لاكتسابها التذكير من
المضاف اليه كما ذكروا في قراءة ان مفاتحه لتنوء بالبا التحتانية او لكونه صفة محذوف اي شي
قريب او على تشبيهه بفعيل بمعنى مفعول او بفعيل الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب
من النسب والقريب من غيره واما التذكير لكون التانيث غير حقيقي فوهم لوجوب التانيث في
نحو الشمس طالعة والموعظة نافعة وهو الذي يرسل الرياح وقرئ الريح على الوحدة والاول اولى
لان الغالب استعمال الجمع في الرحمة واستعمال المفرد في العذاب ولهذا قال عليه السلام اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا نشرا بضمتين جمع نشور بمعنى ناشر ونشرا بالتخفيف نشر كرسل ورسل ونشرا بمعنى منشورات
فعل بمعنى مفعول ونشرا بفتح النون على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق
فان النشر والارسال متقاربان بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اهم النعم
واعمها نفعا وقد سبق بيان ما في عبارة بين يدي من الدلالة على القرب ولهذا اوثر على
عبارة الامام والقدام من اللفظ قيل ان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالما جمعه لان السحاب جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على لفظه
ونسب السوق اليه تع بنون العظمة التفاتا لما فيه من عظيم المنة وجليل النعمة لبلد اي لاجله ولا
يلزم ان يصل اليه بل يكفي ان يكون وصوله لما وصل له لمصلحته فينتظم المسوق الى الجبال والاودية ومن

بما ظهر وجه مزية اللام على الى ميت استعير الميت للجدب وعدم نباته لانه من حيث عدم الانتفاع كالجسد الذي لا روح فيه فانزلنا به اي بالبلد او بالسوق او بالسحاب والباء للسببية وعلى الاول يحتمل الظرفية والالصاق الماء المعهود وهو ما نقل به السحاب فاخرجنا به اي بالماء لانه اقرب لفظا ومعنى لا الى البلد على ان الباء للظرفية لقوله من كل الثمرات فان جميع انواعها لا يخرج في البلد وقوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء صريح في المعنى الاول والقران يفسر بعضه بعضا كذلك اي مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى من الاجداث قال الكلبي وذلك اذا مات الناس كلهم مطرت السماء اربعين يوما كمني الرجال فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم ثم يخرجون في النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنة لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الارض الكريمة التربة وتخصيص البلد بالذكر لانه اصلح منبتا على ما نبه عليه في الخبر المأثور وهو قوله الرجال من القرى ولذلك اسقط في مقابله يخرج نباته باذن ربه بتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذي لا خير فيه ونصبه على الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل اذ تقديره ونبات الذي خبث وقرئ يخرج من اخرج فيكون نكدا مفعولا وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف والترديد نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تع ويتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف ولا يكاد تنطق هذه اللام الا مع قد لان الجملة القسمية مظنة التردد ونوح عليه السلام اول من شرعت له الشرائع وسنت له السنن وليس بينه وبين ادريس عليه السلام نبي وانما قال الى قومه لان بعثته كانت مخصوصة لقومه كبعثة سائر الانبياء غير نبينا عليه السلام فان بعثته عامة خاصة ولا ينافي هذا قول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا لان من لم تعم له دعوته لا يدخل تحت هذا الدعاء فقال يا قوم اتى هنا بالفاء الدالة على التعقيب بدون الامهال دلالة على الاستعجال في الامتثال اعبدوا الله اي وحدوه وافردوه بالعبادة لتفرده بالالوهية ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة وقرئ غيره بالجر

على اللفظ والرفع على المحل كانه قال ما لكم اله غيره وبالنصب على الاستثناء اي ما لكم من اله الا اياه اني اخاف عليكم وعيد وبيان للداعي الى عبادته تع وموقعها الاعتراض عذاب العذاب هو الالم الجاري على الاستمرار يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم نزول العذاب وهو الطوفان قال الملأ الملأ الجماعة الشريفة لانهم يملأون النفس والعين بجلالهم وجمالهم على انه ماخوذ من الملء ويحتمل ان يكون ماخوذا من تمالأ القوم على امر اي توافقوا ومنه قول علي رض ما مالأت عثمن ولا مالأت في دمه والملأ صفة غالبة وجمعه املاء وليس من باب رهط وان كانا اسمين للجمع لان رهطا لا واحد له من لفظه والملأ يوجد من لفظه مالئ قال احمد بن يحيى المالئ الرجل الجليل الذي يملأ العين فهو كعازب وخادم فان اسم جمعهما عزب وخدم من قومه القوم الجمع الذين يقومون بالامر لا نسوة فيهم وفائدة التقييد بالوصفين تجريد المسند اليه عن ناقصات العقول كيلا يتوهم ان هذا القول صدر عن بعض ضعفائهم في العقل والراي فاسند الى الكل اسناد فعل واحد الى الجماعة انا لنراك استعار الروية للعلم بلا شبهة تمهيدا لما ادعوا من الظهور في المعلوم في ضلال متغمس فيه والضلال الذاهب عن صوب الصواب والتنكير للتعظيم مبين بالغ فيه كيفا بعد المبالغ كما قال يا قوم اضافه الى نفسه تمهيدا لما ياتي من دعوى الاخلاص والامحاض ليس بي ضلالة قدم الجار والمجرور للتعريض لهم به وزيدت التاء للتقليل اي ليس بي اقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال العظيم الظاهر وما يتخايل من ان نفي الماهية ابلغ لان نفي الشيء مع قيد الوحدة قد يكون بانتفاء الوحدة مضمحل بان الوحدة ليست صفة مقيدة بل اللفظ موضوع للجزء الاقل المتحقق مع الكثرة ولكني رسول استدراك بطريق الكناية كانه قال ولكني على هدى كامل في الغاية لاني رسول قابل تصريحهم بالتعريض الذي هو اوقع في البلاغة وبالكناية التي هي اقوى في النكاية واداه ظرفه باداة التحقير والتقليل ولا يخفى ما في هذه المقابلة على وجه المقالبة من المبالغة في المغالبة من رب العالمين فيه اشارة الى ان رسالته لمصلحة تربيتهم ففيه اظهار لمكابرتهم وفرط عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى الباهر بالضلال المبين الظاهر ابلغكم لبيان كونه رسولا والابلاغ ايصال ما فيه بيان الافهام ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ رسالات ربي الرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره وانما جمعها باعتبار تعددها بحسب الاوقات او باعتبار تنوعها بحسب المعاني وفي قوله ربي بعد قوله من رب العالمين اشارة الى ان

في الرسالة ترتيبين عامة وهي للمرسل اليهم وخاصة وهي للمرسل وانصح لكم النصيحة الدعاء الى ما
فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ومنه قوله ع الدين النصيحة والنصح كذلك وخلاف الغش
وفي زيادة اللام تاكيد في امحاض النصح لهم ومبالغة في انها خالصة للمنصوح له مقصود بها
جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح واعلم من الله ما لا تعلمون وعيد وتقرير لما في قوله عليكم عذاب
يوم عظيم اي اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشيا لا تبصر لكم علم اوعجبتم الهمزة
للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكذبتم وعجبتم والعجب تغير النفس بما خفي سببه
وخرج عن العادة مثله ان جاكم ذكر موعظة من ربكم كل ما ياتي من الله فله حكم النزول فكان
جاكم معناه نزل فحسن معه ان يقال على رجل ولا حاجة الى تقدير لسان منكم من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شا الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباينا
الاولين اي بارسال البشر وانما لم يقل على بشر بل نزل الاطناب على الوجه المذكور لان
المناسب لانكار تعجبهم ان يبين مجي الرسالة على مقتضى الحكمة وهو ان يكون الرسول من جنسهم
ولا يكون انثى ولا صغيرا لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي اكتفى باحد القرينين عن الاخر
وانما خص الانذار بالذكر دون الابشار لانه اعم واهم ولتتقوا وليوجد منكم التقوى والتعبير
بسببية الانذار له والاقبال فتتقوا ولعلكم ترحمون لتقواكم والعطف بالواو دون الفاء
للتنبيه على ان الترحم من الله تفضل لا توجبه التقوى فهو في بقعة الامكان فكذبوه فانجيناه
الفاء فصيحة وقد ذكرنا حذف هنا في موضع اخر والذين معه من البشر وسائر انواع الحيوان
وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان نجاتهم بسبب متابعتهم وبركة مصاحبتهم فقوله في
الفلك متعلق بمعه اي الذين صحبوه في الفلك واشتقاقه من فلك ثدي المراة اذا استدار
سميت السفينة فلكا لانها تدور على الما كيف اديرت واغرقنا الاغراق الغوص المتلف
في الما الذين كذبوا باياتنا كان اغراقهم بسبب تكذيبهم على ما اشير اليه واغراق سائر
انواع الحيوان بشوم معاصيهم انهم كانوا قوما عمين استيناف على سبيل التعليل وانما قال
قوما على تغليب الذكور على الاناث تنبيها على تبعيتهن للرجال في الضلالة الحاصلة بسبب
كونهم عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى
عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص بن ادم بن
سام بن نوح عليه السلام ومعنى اخاهم نسيبهم وانما جعل منهم لانهم افهم لمقاله واعرف بحاله

وارغب

وارغب في اقتدائه هودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم استيناف على تقدير سوال سائل
قال فما قال لهم فقيل قال يا قوم وكذا جوابه فان قلت ما وجه اختصاص قول نوح بالعطف والربط
اللفظي وقول هود بالاستيناف والربط المعنوي قلنا قصة نوح ابتدا كلام فليس مظنة
سوال بخلاف قصة هود فانها معطوفة على قصة نوح فكانت مظنة ان يقال فما قال هود مثل ما
قال نوح ام لا اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره افلا تتقون عاقبة الشرك الهمزة للانكار
والفاء للترتيب على ما تقدم من موجب التوحيد فهي مقدمة على الهمزة معنى وان اخرت عنها لفظا
محافظة على حق صدارتها وكانهم كانوا واقفين على نزول العذاب على مشركي قوم نوح لقرب
عهدهم منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغة قال الملا الذين كفروا من قومه التقييد بالذين
كفروا للتنبيه على ان في اشراف قومه من امن به كمرثد بن سعد الذي اسلم وكتم ايمانه ولا مساغ
لهذا التنبيه في قصة نوح ولهذا لم يذكر ذلك القيد ثمة واما ذكره فيها في سورة المومنين
فللذم والتمييز وان كان في موضع اللزوم فلا كذلك لا لزام انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة
عقل راسخا فيها حيث خالفت اشراف قومك واسلافك ولما كان هذا تخطئة له عليه السلام
في فعله قالوا انا لنراك على القطع واليقين وقوله وانا لنظنك من الكاذبين تخطئة في قوله
ولا علم عندهم بحقيقة الحال انما متمسكهم فيه التقليد ما بانهم قالوا وانا لنظنك قال يا قوم ليس بي
سفاهة اكتفى بنفي السفاهة ايما الى ان الاقدام على الكذب في مثل هذا الامر الخطير لا يخلو عن
نوع سفه فنفيه رأسا يغني عن نفي الكذب ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم قد سبق تفسيره
وفي اجابة الانبيا اممهم المكذبين عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا به والاعراض عن مقابلتهم
بكمال الشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وكرم الخلق ليقتدي بهم المومنون في اداب المناظرة
والمعاشرة مع الخلق وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انه مشهور فيما بينهم بالنصح والامانة
واذكروا حذرهم من انتقام الله ثم ذكرهم بانعامه اذ جعلكم مفعول به لا ظرف اي اذكروا ذلك
الوقت خلفا من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في مساكنهم او في الارض او جعلكم ملوكا فان
منهم شداد بن عاد وزادكم في الخلق بسطة في القامة والقوة والبداية وهو تعميم بعد تخصيص
فاذكروا الا الله فاشكروا على نعم الله وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان هذه النعم
بحيث يستتبع ذكرها الشكر عليها ففي تذكيرها غنى عن الحث على الشكر عليها لعلكم تفلحون لعل

المنكر عليها المفضي الى الفلاح قالوا اجئتنا كان له عليه السلام مكان يتحنث فيه معتزلا عن
قومه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا فلما اوحى اليه جا قومه يدعوهم ويحتمل ان لا يراد
حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد اباؤنا
انكروا واستبعدوا اختصاص الله تع بالعبادة والاعراض عن الالهة التي اعتكف عليها
اباؤهم حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا اسلافهم يتدينون فأتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين استعجال منهم لما خوفهم منه من العذاب تكذيبا قال قد وقع قد حق ووجب عليكم
او على جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسما سميتموها انتم واباؤكم اي اسما
بلا مسميات لانكم سميتموها الهة واستحال فيها معنى الالوهية ما نزل الله بها من سلطان تهكم
بهم لان المستحيل لا يمكن اثباته بالحجة ولا نزول الوحي به فجمع بينهما اظهارا لفرط جهالتهم
فانتظروا اي لما تبين الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا العذاب اني معكم من
المنتظرين هذا غاية في التهديد والوعيد ونهاية في الوثوق بما يحل بهم وانه كائن لا محالة
فانجيناه الفاء فصيحة وما حذف هنا مذكور في موضع اخر والانجا التخليص من الهلاك واصله من
النجوة وهي الارتفاع من الارض والذين معه اي الذين اتبعوه برحمة منا عليهم لا بقوة ونحوه
منهم فيه اشارة الى ان هودا عليه السلام مع رتبته في النبوة ودرجته في الرسالة انما نجا برحمة من
الله ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق الذات ولا باستيجاب الصواب من العمل وانما تكون بفضل
من الله ورحمة ابتدا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا قطع دابرهم استيصالهم عن اخرهم
لان الدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم فاذا انتهى القطع الى ذلك لم يبق احد وما كانوا
مومنين تعريض لمن امن منهم كمرثد وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان
وان النجاة مرتبة عليه كما ان الهلاك مسبب عن التكذيب كانه قيل قطعنا دابر الذين كذبوا
باياتنا ولم يكونوا ممن امن والى ثمود والى ثمود بمنع الصرف اسم القبيلة وقرئ ثمود بالصرف
بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر اخاهم صالحا قال قد سبق وجه الاستيناف
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي
حيث جاءتكم من ربكم لتصديقي في دعوى النبوة هذه ناقة الله استيناف لبيانها واضافة

الناقة الى الله للتعظيم ولانها وجدت معجزة من عنده تع من غير اسباب ووسائط معهودة
فاضيفت اليه لكم اية نصب على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن هي له اية وهم ثمود فان دعوة هود كانت مخصوصة بهم فمعجزته كانت لاجلهم ومن وهم
انها كانت معجزة لهم خاصة لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها فقد وهم اذ بعد ظهور
المعجزة الاخبار المتواترة كافية بغير المشاهدة وهو حال من اية او ناقة بدل من هذه او عطف
بيان والخبر لكم والعامل فيه من معنى الاستقرار فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله
والارض ارض الله تاكل فيها من العشب فليست الارض ارضكم ولا ما فيها من النبات نباتكم ولا
تمسوها بسوء قد سبق ان في المس ايرادا لما على معنى الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
لم يقل من عاد لانهم خلائف هم خلائف عاد بالذات وبواكم نزلكم المباءة المنزل في الارض
ارض الحجر تتخذون من سهولها السهل اليسر فيه مشقة على النفس من عمل او ارض قصورا
القصر هو الدار الكبيرة بسور يكون به مقصورة قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف
والجبال في الشتاء وتنحتون الجبال بيوتا اي من الجبال وهو حذف الجار واوصل الفعل اليه
دل على ذلك قوله في سورة الحجر وتنحتون من الجبال والنحت النجر والنشر في الشيء الصلب
كالحجر والشجر فاذكروا امر من الذكر اللساني وهذا من الذكر القلبي الاء الله انواع نعمه من التمكين
في الارض والتسخير حتى بنوا القصور وشيدوا المنازل والدور مع طول الامال وتبليغ الاجال
والمراد الامر بالشكر على تلك النعم بطريق الكناية وفيها ايما الى انها من النعم الجسام التي لا مانع
عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره في سورة
البقرة قال الملا الذين استكبروا اي عن متابعة هود عليه السلام من قومه للذين استضعفوا
الاستضعاف طلب الضعف بالاحوال التي تقعد صاحبها عما يمكن غيره من القيام بالامر وبناء
المجهول لانهم غير مقصورين على من استضعفهم تلك الملا واستذلهم لمن امن منهم بدل من الذين
استضعفوا بتكرير العامل بدل البعض من الكل سوا كان الضمير للذين او لقومه لان من المستضعفين
من لم يومن وانما الاختلاف المرجعين من حيث انه على الاول لا يكون الاستضعاف مقصورا
عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثاني اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه كلام قالوه على سبيل
الاستهزاء والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش ولهذا لم يقولوا انعم بل

اجابوا بما نقل عنهم فى قوله قالوا انا بما ارسل به مومنون ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشك
فيه عاقل او يخفى على احد فيحتاج الى السوال عنه لغاية وضوحه وانارة برهانه انما الكلام فى
وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون كان
الجواب المطابق انا بما ارسل به كافرون الا انهم لما عدلوا عن الظاهر بان جعلوا الارسال
مسلما معلوما كان جواب الكفرة ايضا معدولا به عن الظاهر اى ليس ما جعلتموه معلوما مسلما
من ذلك القبيل وايضا لم يريدوا ان يتفوهوا باثبات الرسالة له فعقروا الناقة اسند الفعل
الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما ياتى التفصيل فى سورة القمر ومن غفل عن هذا
زعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح الذى ياتى على اصل النفس وهو من عقر الحوض
وهو اصله وعتوا عن امر ربهم وهو ما بلغه صالح عليه السلام بقوله فذروها وعتوا الامر مجاوزته على
وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والابهام
لعلة الاهتمام ذريعة الى التحقير فى امثال هذا المقام والوعد تذكير فى الخير والشر ويعرف بالقرينة
عند الاطلاق ان كنت من المرسلين استعجلوا العذاب اظهارا للجزم فى تكذيبهم فاخذتهم الرجفة
الزلزلة المحركة فاصبحوا فى دارهم اى فى بلدهم ولذلك وحد جاثمين باركين على ركبهم غير قادرين
على الحركة لقوله تعالى فى سورة الذاريات فما استطاعوا من قيام ثم صاروا كهشيم المحتظر وهو
المذكور فى سورة القمر فتولى صالح عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية والظاهر انه كان يتولى عنهم حين راى العلامات
قبل نزول العذاب تولى ذاهبا عنهم منكرا لاصرارهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه
وقت قوله لهم اتاتون الفاحشة من اتى المراة اذا غشيها انكار وتوبيخ لهم وتقريع على تلك
الفعلة المتمادية فى القبح واللام فى الفاحشة للجنس كانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها
ليس من جنسها نظرا الى فحش التفاوت بينهما فى ذلك المعنى ما سبقكم بها احد من العالمين
الباء للتعدية ومن الاولى زائدة لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض اى ما عملها
احد قبلكم قط وهو جملة استينافية مقررة للانكار وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها
فانه اسوأ الفحش لعدم المجال للاعتذار بالتقليد انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون
الفاحشة والهمزة مثلها فى الانكار والاستقباح كررت لتاكيد الانكار تفصيلا واجمالا وهى
مع ان المبالغ فى الانكار وقرى انكم على الاخبار المستانف وفى التقييد بقوله شهوة وهى

مطالبة النفس لفعل ما فيه اللذة زيادة استهجان ووصف لهم بالبهيمية الصرفة ولا ذم
اعظم منه اى لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة لا طلب النسل وبقاء النوع الذى هو مقتضى
العقل فهو مفعول له او مصدر فى موقع الحال اى مشتهين تابعين للشهوة وقوله من
دون النساء نصب حالا من الرجال اى منفردين والمعنى تطاؤن الرجال لمجرد الشهوة
البهيمية وتركم عنها بدل ففيه تذكير لتجاوزكم المعتاد المطبوع المشروع واظهار لعدم الضرورة
الداعية الى ذلك الفعل القبيح وفى ذكر الرجال دون الذكور المقابل للنساء زيادة تقبيح
لصنيعهم الشنيع باظهار انهم يفعلونه بامثالهم فى الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء الى انهم
يفعلونه كرها لان مقتضى الرجولية الامتناع عنه بل انتم قوم مسرفون انكر عليهم مخالفة
العقل ثم اضرب عن الانكار بالاخبار عنهم بحالهم التى هى ام الرذائل وموجب ارتكاب
جميع القبائح اى فليست هذه غريبة عن عادتهم حتى تنكر عليهم وهى انهم قوم عادتهم الاسراف
وتجاوز الحد فى كل شئ فمن ثمة اسرفوا فى باب الشهوة ايضا وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم اى وما جاوا بما هو جواب له عما كلمهم به ونصح لهم فيه من انكار
الفاحشة واستعظامها لغاية دعارتهم وخبثهم ولكنهم قابلوا نصيحته ووعظه بالامر باخراجه
ومن معه من المومنين من قريتهم وهى من القرى وهو الجمع سميت بها لما فيه من الابنية
لانها تجمع الناس فى الاقامة الا انه صار بالعرف عبارة عن مجمع فى منازل متجاورة يقرب
صنيعة يأوى اليها الاكثر انهم اناس يتطهرون استيناف بطريق الاستهزاء كانه قيل لهم لم
تخرجونهم من قريتكم فقالوا لانا قوم ملوثون بالفواحش وهم اناس يبالغون فى التنزه
منها فلا وجه لاختلاط الطاهرين بالخبائث وهذا غاية السخرية منهم وهذا ليس بجواب
عن انكاره وتوبيخه لكنهم قالوه تضجرا منه عقيب انكاره فى اطلاق الجواب عليه اشارة الى
انهم كانوا ملزمين مبهوتين حتى لم يقدروا على ان يتكلموا فى معرض الجواب بشئ سوى هذا
وهذا قريب من اسلوب الشاعر "ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم" بهن فلول من قراع الكتائب
ولما كان مال المعنى انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريق المذكور للمبالغة فى
عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله وبين قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان المنقول فيهما
ايضا ليس بجواب حقيقة وان كان مذكورا فى معرض الجواب والله اعلم بالصواب فانجيناه

الق فصيحة والمحذوف هنا مذكور في موضع اخر والمراد من الانجا اخراجه من بينهم قبل نزول
العذاب واهله اهل بيته لا من تبعه في الدين لقوله الا امراته فانها كانت قبل الكفر كانت
من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم م
يقال في العذاب امطرت وفي الرحمة مطرت والتعدية بعلى لما فيه من معنى النزول مطرا نوعا
من المطر عجيبا غير معهود اذ كان الممطور عليهم الحجارة على ما بين في موضع اخر فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين من قوم نوح وهود وصالح ولوط والمراد نظر التفكر او نظر البصر في من بقيت
لا اثار منازل ومساكن وفيه اتعاظ وازجار ان تسلك هذه الامة ذلك المسلك الفظيع
والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم وشعيب هو ابن
ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره قد جاتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بنبوتي ولم تذكر في
القران فان ما ذكر فيه وفي التفاسير متاخر عن هذه المقالة فاوفوا الكيل والميزان اي الة
الكيل لا لقوله والميزان لانه يجي بمعنى الوزن بل لقوله في سورة هود والمكيال ويجوز ان يكون
المكيال مصدرا كالميعاد والميلاد والمراد الايفا في الكيل والوزن او يراد الكيل ووزن الميزان
على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش هذا عند القوم والذي هو عندي
ولعله ادق وبالقبول احق قد سبق في تفسير سورة الانعام والمراد بايفا الكيل والميزان
ايفا ما يكال ويوزن فنسب الى الفعل مجازا او الى الالة للملابسة كانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين فامرهم بالايفا ولما كان المحظور بالامر المذكور التعدي الى جانب النقصان لا
الى جانب الزيادة نبه على ذلك بقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم وانما قال اشياءهم للتعميم
لانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير او كانوا مكاسين لا يدعون شيا الا
مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح فيها الانبيا بالايمان
والعدل ذلكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم مطلقا ان كنتم مومنين بزعمكم
لان قضية الايمان العدالة او خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة او فيما تطلبون من
التكسب والتربح وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا في
متاجرتكم ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقعدوا الشيطان
في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل منهج من مناهج الدين لقوله توعدون

وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا وطريق الحق وان كان واحدا لكنه
يتشعب الى عقائد ومعارف حقة وفضائل واخلاق جميلة وحدود واحكام كثيرة فكانوا
اذا راوا احدا يسلك طريقا منها او يتكلم فيها منعوه واوعدوه وصدوه وقيل كانوا يقعدون
بالمراصد ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك كما كان تفعل قريش بمكة
ويوعدون من امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق ومحل توعدون وما عطف عليه النصب
على الحال اي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغيها عوجا ومن امن مفعول يصدون
على اعمال الاقرب ومفعول توعدون محذوف لدلالته عليه ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى تعرضون لازما والضمير في به لله اي توعدون وتصدون
من امن بالله عن سبيله تبغونها اي تطلبون سبيل الله عوجا تصفونها للناس بالعوج
وانها معوجة وغير مستقيم فلا تسلكوها او بالقا الشبه وقيل الضمير المذكور راجع الى كل صراط
اي توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير
تقبيحا لما كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبغونها عوجا انكم بها اي تطلبون ما
هو محال واذكروا اذ كنتم قليلا عددا او عددا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين من قوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة والمراد
من النظر الاعتبار بهم وان كان طائفة منكم من الطوف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف
ماخوذة من الاجتماع على الطواف امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا اطلقهما ايما
الى ان عدم الايمان بما ارسل به نبي يستلزم عدم الايمان بما ارسل به سائر الانبيا لان كلا منهم
يصدق الاخرين فاصبروا والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع اي فتربصوا وانتظروا
حتى يحكم الله بيننا بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف حيفا ولا ميلا والحكم المنع من الخروج عن الحق قال
الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك اي امنوا بما ارسلت به
تابعين لك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكون احد الامرين اما اخراجكم عن القرية
واما عودكم في الكفر والعود هو الرجوع الى الحالة التي كان عليها المشركوا شعيبا عليه السلام
في الاخراج مع الذين معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عليه السلام في
ملتهم قط لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا ولذلك اجرى شعيب جوابه على التغليب فجوز

ان يكون قولهم على زعمهم وقوله عليه السلام للمشاكلة ويجوز ان يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قوله
تعالى حتى عاد كالعرجون القديم اي صار في المبالغة من الى لدلالته على الاستقرار والتمكن كانهم لم يرضوا
بان يتظاهروا انهم من اهل ملتهم قال اولو كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام الانكاري
اي انعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فيها على كراهتنا اياها قد افترينا اخبار مقيد
بالشرط وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من
الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا الله للنجاة منها بالتوحيد لانا
علمنا ان لا شريك له فان زعمنا ان له ندا فلا افترا اعظم من افترائنا وقد سبق معنى الافترا
ووجه تقييده بقوله على الله كذبا ان عدنا في ملتكم شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا وهو
استيناف في معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا لانا تحققنا التوحيد وتيقناه
فادعا الند مع اعتقاد التوحيد افترا في غاية القبح وقيل جواب قسم على تقدير حذف اللام اي
لقد افترينا على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اي حفظنا عنها فان النجاة الحقيقية
انما تكون بعد الابتلا ولا ابتلا هنا فلا بد من المصير الى اقرب المجاز وما يكون لنا وما يصح لنا
ان نعود فيها الا وقت ان يشا الله ربنا عودنا هذا هو الذي يقتضيه المساق وتقدير الخذلان
من خذلان التقدير وسع ربنا كل شيء علما لم يقل قدرة او ارادة لان الاخبار عن سعة قدرته
وارادته لكل شيء انما يناسب المقام اذا كان مساق الكلام للاشعار بوقوع المستثنى واما
اذا كان مساقه للاشعار بعدم وقوعه فلا يناسب ذلك انما المناسب ح الاخبار عن سعة علمه
وحكمته وفائدة هذا الاشعار حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وفي زيادة ربنا مع تمام
الكلام بدونه نوع تاييد للاشعار المذكور وفضل تاكيد للحكم المزبور من حيث ان الرب في الاصل
بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا على الله خاصة توكلنا في ان يثبتنا على الايمان
ويحفظنا عن الشر والعدوان ربنا افتح بيننا وبين قومنا احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاحة الحكومة
والفتاح القاضي او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل بانزال العذاب عليه
وانجا المحق من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملا الذين كفروا من
قومه اي قال بعضهم لبعض لئن اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم عنه في معاملاتكم انكم اذا
اي حينئذ هو اسم زمان لخاسرون الاموال وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام
فاخذتهم الرجفة الزلزلة الحادثة من الصيحة المذكورة في سورة هود فاصبحوا في دارهم

جاثمين قد سبق تفسيره الذين كذبوا شعيبا مبتدا كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده
اي كأن لم يقيموا فيها يقال غني بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين بالغ في تقرير هلاكهم بوجوه الاستيناف وايراد الموصول كانه قال الذين
كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال احقا به لتكذيبهم وبقوله كان لم يغنوا فيها اي
ما بقي اثر منهم كان لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه الاول وبكونهما اسميتين وتعريف الخاسرين
بلام الماهية وباطلاقه اي الخاسرين في الدارين وبتوسيطهم في الثانية اي هم لا اختصاص بالخسران
المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فيهما كل ذلك رد لمقالة الملاء
فيما بينهم وتسفيها لرايهم واستهزاء بنصح بعضهم لبعض فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم كلام قاله بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم ثم انكر على نفسه الاسف وشدة حزنه عليهم
فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا باهل للحزن عليهم لاستحقاقهم ما حل بهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم اي لقد اعذرت اليكم وبالغت في الابلاغ وبذلت وسعي في النصح لكم
والتحذير عما نزل بكم فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم اي فلا احزن عليكم الان والتي لكفركم وكونكم
غير مستحقين لذلك وما ارسلنا في قرية من نبي تعدية ارسل بالى وانما اتي بفي اعتبار المعنى الاستقرار
فانه يدل على الاستمرار في امر الابشار والانذار وعند ذلك يظهر استحقاقهم بالاخذ الاتي ذكره
الا اخذنا اهلها اي الا اخذين اهلها فهو استثنا مفرغ من الاحوال بالباسا بالبوس والفقر والضرا
والضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع النبي وتعززهم والشدة والبلا تلين القلوب القاسية الابية
وتذلل النفوس الطاغية العتية لعلهم يتضرعون لكي يتذللوا ويضعوا تيجان العز والكبر والنخوة
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لفظ ثم للدلالة على امتداد تلك الحالة ويؤيده ما في عبارة المكان
من الاشعار بالتمكن اي ثم اوردنا مكان الحالة السيئة الحالة الحسنة مبدلين احديهما بالاخرى
اكمالا لامر الابتلا قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات والحكمة فيه ان النفوس الجافية الغليظة
تنقهر وتنكسر بالبلا والشدة والنفوس اللطيفة تنقاد وتطيع بالسعة والنعمة حتى عفوا كثروا
عددا وعددا بالنمو في انفسهم واموالهم من عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء بطرا واشرا بالنعمة ونسيانا للنقمة واعتقادا ان هذه عادة الدهر
يضيق تارة ويوسع اخرى وتتعاقب فيه المحنة والمنحة كما عليه حال ابائنا فلم يروا ذلك ابتلا من
الله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما لم ينتبهوا من غفلتهم باحدى الحالتين فلم يبق الا ان

اخذناهم اشد الاخذ بالعذاب وهو الاخذ فجاءة من غير شعور لانه اعظم حسرة ولو ان اهل القرى
اللام للعهد والاشارة الى القرى التي دل عليها وما ارسلنا في قرية امنوا وصدقوا بدل كفرهم
وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير في
كل شيء ومن كل جهة ويسرناه لهم وقيل لاتيناهم المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم
بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم المعتاد من التكذيب والعصيان افامن اهل القرى الفاء للعطف
على فاخذناهم وكذا الواو في اوامن ولو ان اهل القرى اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
والهمزة للانكار اي بعد اخذنا اياهم بتكذيبهم امن اهل هذه القرى ان ياتيهم باسنا بياتا
البيات ان كان بمعنى البيتوتة فظرف اي وقت بيات وان كان بمعنى التبييت فحال اي
مبيتا او مبيتين او مصدر لان التبييت نوع من الاتيان كانه قال ان يبيتهم باسنا تبييتا
وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
ضحى نصب على الظرف والضحى بين البكرة والضحوة وهم يلعبون يشتغلون بامور الدنيا
قال الله تعالى انما الحيوة الدنيا لهو ولعب والعدول الى صيغة المضارع للدلالة على التجدد المناسب
للعب افامنوا مكر الله تكرير للتاكيد وتقرير للجملتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة وهي
استعارة المكر للاخذ بغتة بلا شعور منهم استدراجا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يامن مكر الله الا الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك
النظر والاعتبار وفي تكرير مكر الله دون يامن مكره تهويل وتربية للمهابة اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم قرئ نهد بالياء على ان قوله ان لو نشاء
فاعله وبالنون على انه مفعوله وان مخففة من الثقيلة معملة في ضمير الشان وتعدية فعل الهداية
باللام الى المفعول الاول لما فيها من معنى التبيين اي اولم يهد ويتبين للذين يخلفون
من مضى قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين او ولم نبين لهم ذلك ونطبع
على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية ونطبع او كلام مبتدا عطف
الجملة على الجملة اي ونحن نطبع ولا يستقيم عطفه على اصبناهم بمعنى وطبعنا لانه في سياق لو مفيد
الى نفي الطبع والقوم مطبوع على قلوبهم واما عطفه على يرثون فيلزم الفصل بين ابعاض الصلة بالاجنبي
لان المعطوف على الصلة صلة ولا تعلق لقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم بشيء من الصلة فهم لا

يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى اي قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حال منها كقوله هذا بعلي شيخا او خبر ثان والقرى صفة تلك ونقص خبر ومن للتبعيض اي
نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين
على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا اولا حين مجيء الرسل اي استمروا
على التكذيب مع تكرار المواعظ وتتابع البينات ولم تلن قلوبهم حتى ماتوا وتاكيد النفي باللام
للدلالة على ان الايمان كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر طول عمرهم وشدة شكيمتهم في عنادهم
كذلك مثل ذلك الطبع العظيم نطبع على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وفيه
ايذان بان سبب الطبع كفرهم الاصلي وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين لان الاقل من كل
منهم امنوا او للناس على الاطلاق والجملة اعتراضية من عهد اراد بنفي العهد نفي الوفاء به على سبيل
المبالغة يقال ماله عهد لمن ينكث العهد والمراد من العهد اما ميثاق الفطرة في الايمان والتقوى
واما قولهم عند الضر والمخافة لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين او عهدهم مع الانبياء كقولهم
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي علمناهم من وجدت زيدا
ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا البعث الارسال وهو في الاصل النقل
باعتماد يوجب الاسراع الى الشيء من بعدهم الضمير للرسل او للامم موسى باياتنا بمعجزاتنا الى فرعون
وملائه اي الاشراف من قومه وفرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة فظلموا بها الظلم
وضع الشيء في غير موضعه وتعديته بالباء لتضمينه معنى الجحد والمراد من ظلمهم اختيارهم الكفر على
الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النظر تحديق القلب الى المعنى لادراكه فكانه قيل
فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب افسادهم وموضع كيف نصب لانه خبر كان وتقديره
انظر اي شيء كان اخر الذين افسدوا وقال موسى يا فرعون خطاب له باحسن ما يدعى به واجلاله
لما عرف انه من الالقاب الشريفة المخصوصة بملوك العمالقة ففيه امتثال بالامر الوارد في قوله تعالى فقولا
له قولا لينا اني رسول من رب العالمين لم يقل اليك لعدم اختصاص رسالته عليه السلام له ولما كان
فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى عليه السلام بما نبهه على انه مبطل في الوصف الذي ادعاه
حقيق على ان لا اقول جوابه لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة المفهوم من قوله فظلموا بها وقرئ

على بالتشديد اي واجب علي وعلى قراءة التخفيف معنى حقيق وجدير وخليق الا انه ضمن معنى
المجبول ولذلك عدي بعلى اي مجبول على ذلك جدير به وفيه اشارة الى من هو في مقام الرسالة
يكون في غاية العصمة عن وصمة الكذب حتى لو قصده لا يقدر عليه على الله الا الحق انما قال على الله
لان في الرسالة تحميل العهدة على المرسل الذي نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم اي بما يبين
اني رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم اردفها بما يدل على صحتها ولما قرر رسالته فرع عليها
تبليغ الحكم بقوله فارسل اي فاطلق معي بني اسرائيل اي يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم
ومولد آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة منذ توفي يوسف عليه السلام وانقرضت
الاسباط قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فأت بها فاظهرها واحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه اصل القى من اللقاء الذي هو الاتصال فالقى
عصاه ازال اتصالها مما كان وعصا عود يابس الامتناع ليبسه يقال عصى اذا امتنع ومنه
العصا لمن عصى فاذا هي اذا للمفاجاة والفاء للتعقيب ثعبان حية عظيمة يقال انثعب الماء
اذا جرى باتساع والمثعب هو المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري باتساع لعظمه مبين
ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه لقوله تعالى ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء والنزع
اخراج الشيء مما كان متصلا به وملابسا له فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يعشي الابصار ويسد
الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه
عن العادة وقيل بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع اخر تخرج
بيضاء من غير سوء لانه صريح في انقلابها ابيض لان مظنة السوء عند ذلك قال الملأ من قوم فرعون
وفي موضع اخر قال للملأ حوله وذلك انه قال هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي
عنه تارة وعنهم اخرى وفي عبارة الملأ نوع اشارة الى هذا من حيث ان الملأ جماعة يجتمعون
للتشاور ان هذا الساحر عليم فائق في علم السحر وهو لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم خرق
العادة لخفاء سببه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل
بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون ماذا مفعول ثان لتامرون على سبيل
التوسع فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول الاول محذوف اي بأي شيء تامرونني من امرته
فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي تحير عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى الالوهية

ورتبة كونه امرا وناهيا حتى خاطبهم خطاب الاذلاء المقهورين قالوا ارجه من الارجاء وهو
التاخير وهذا يدل على تقدم من هم فرعون بقتله على ما دل عليه قوله تعالى وقال فرعون ذروني
اقتل موسى فقالوا اخر قتله واغلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس الشبهة توهموا انهم بالتاخير
وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغيرون شيئا من المقدر واخاه يعني هرون وكان معه على
ما ذكر في موضع اخر وارسل في المداين حاشرين الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد
اي اخر امره وتعديته ارسل بالى وانما اتى بفي تضمينا لمعنى الاستقرار ليفيد الاهتمام في امر
الحشر ولان المقصود اتيان مهرة السحرة ومن هم في الطبقة العليا من ذلك الجنس وهو لا
يكون الا بالتتبع والتفحص فلا بد من مكث في مظانهم من المدائن ياتوك بكل ساحر عليم مثله
في السحر وعلمه وفي سحار وهو ابلغ لان اعتبار المبالغة في وصف من يوتى للمغالبة اولى
وفي دخول كلمة كل على المفرد دلالة على ان كل واحد منهم منفردا عن الاخرين مطلوب بالاتيان
ومقصود اصالة وبالذات وجاء السحرة فرعون اي فارسل الحاشرين وجاء السحرة فرعون
فالواو فصيحة كالفاء في قوله فجمع السحرة قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف على
تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاءه فاجيب بقوله قالوا اين لنا استفهاما والقراءة بالاخبار
اوقع للدلالة على ايجابهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا من اجر كبير ومثل هذا التنكير
في افادة التعظيم والتكثير قولهم ان له لابلا وان له لغنما والاجر الجزاء بالخير فان الجزاء يكون بالخير
والشر بحسب العمل وبحسب ما تقتضيه العدل والغلبة ابطال المقاومة بالقوة قال نعم مجيبا
لهم عما سالوه وانكم الواو للعطف كانه قال نعم لكم ذاك وانكم لمن المقربين الى مراتب الجلالة
التي تكون فيها الحاجة ولا يحظى اليها العامة حقق امنيتهم وزاد على ذلك ما لم يتصوروه
مع المبالغة بان واللام اي لا اقتصر على الثواب العظيم وان لكم مع الثواب ما يقل معه
الثواب وهو التقريب والتعظيم تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين الالقاء ارسال المعتمد الى جهة السفل وضده الامساك واما للتخيير والتقدير اما ان تلقي
انت اولا واما ان نلقي نحن اولا دليله ما في موضع اخر واما ان نكون اول من القى قيل اظهروا
الاقتدار وقالوا ان بدات انت او بدانا فلا خوف علينا ولا حذار وقيل بل احترموا وببركة
ذلك اسلموا ولما كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما فيه رجحان
طرفهم في الالقاء من الجملة الابتدائية والتاكيد بتوسط الضمير وتعريف الخبر قال بل القوا

لما كارموه بالتخيير كرمهم موسى عليه السلام وسوغ لهم ما رغبوا فيه اظهارا للفضيلة وتحقيرا
لهم وازدراء بشأنهم وثقة بالله تعالى وما خصه به من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها
سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم بالحقيقة بخلافه واروهم بالحيل والشعوذة
ما لا وجود له ومن هنا ظهر ان السحر لا يقلب عينا وانما هو من باب التخييل واسترهبوهم اي
ارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم وقيل استفعل هنا بمعنى افعل كابل واستبل
والرهبة الخوف مع الفزع وجاءوا بسحر عظيم وصفه بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه
حتى اوجس موسى في نفسه خيفة واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان مصدرية ويجوز ان
تكون المفسرة لان في الوحي معنى القول فاذا هي اذا فجائية والفاء فصيحة اي فالقاها فاذا
هي ونكتة الحذف في مثل هذا قد مر بيانها في تفسير قوله تعالى فانفجرت منه من سورة البقرة
تلقف تبتلع تناولا بفيها بسرعة مهنا ويؤيده قراءة تلقم اي تبتلع كاللقمة ما يأفكون
الافك قلب الشيء عن وجهه وما موصولة اي ما يأفكونه او مصدرية اي افكهم تسمية للمأفوك
افكا مبالغة فوقع الحق الوقوع ظهور الشيء بوجود نازلا الى مستقره والحق كون الشيء
في موضعه الذي اقتضته الحكمة وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك
اي عند ذلك المجمع وانقلبوا صاغرين اي رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير
لفرعون وقومه وانما قال والقي السحرة ساجدين دون وخروا سجدا للمبالغة كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم لان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وقد وفقهم
الله لذلك ودبر الامر ليكسر فرعون وقومه بالذين ارادهم كسر موسى قالوا آمنا برب العالمين
لما استشعروا ان يتوهم انهم ارادوا فرعون تداركوه بقولهم رب موسى وهرون بان
ابدلوه منه قال فرعون آمنتم استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ اي افعلتم هذا الفعل
الشنيع وقرئ بالاخبار وهو ايضا توبيخ وتشنيع بدلالة ما بعده به اي بموسى لا بالله
لان قوله في سورة الشعراء انه لكبيركم الذي علمكم السحر لا يناسبه قبل ان آذن لكم فيه ايذان
بوهم او حيث جعل ذنبهم مفارقة الاذن دون نفس الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه في
المدينة اي صنعكم هذه الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد
وتواطأتم عليها لتخرجوا منها اهلها القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل قاله تمويها على الناس
لئلا يتبعوا السحرة في الايمان فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل مفصله لاقطعن

ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وذلك للتشديد في العذاب والتغليظ فان
الانسان لا يتعيش بيد واحدة ورجل واحدة اذا كانتا من جنب واحد بخلاف ما اذا
كانتا من جانبين ولهذا تقطع رجل السارق في المرة الثانية من خلاف واذا كان القطع
من وفاق يأسا من الانتفاع بالحيوة الباقية يكون الموت بعده راحة بخلاف ما اذا كان
القطع من خلاف فان في الموت بعده خصوصا اذا كان متراخيا الما جديدا فاراد فرعون
ان يضمن وعيده الشديد تجديد العذاب بالقتل بعد ما زال الم القطع وعاد لذة الحيوة
على ما دل عليه كلمة ثم في قوله ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من قطع
وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى ربنا ورحمته كأنهم استطابوه
شغفا الى لقاء الله او انا جميعا اي انك وايانا منقلبون اليه فيحكم بيننا وما تنقم منا النقمة
الاخذ بالعقوبة وتعديته بمن لتضمنه معنى تنال وعلى هذا يكون قوله الا ان آمنا بآيات ربنا
لما جاءتنا مفعولا من اجله استثناء مفرغا اي ما تنال منا اخذا ايانا بالعقوبة بشيء من الاشياء
الا لان آمنا وهذا ما اشار اليه عطاء في تفسيره حيث قال اي ما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا
ان آمنا ثم فزعوا الى الله بقولهم ربنا افرغ علينا صبرا اي على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهرة
لهم استعارة بالكناية شبه الصبر بالماء فاورد الافراغ اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا ويفيض
عنا كما يفرغ الماء افراغا والتنوين للتعظيم اي صبرا واسعا كثيرا او ما يطهرنا من اوضار
الآثام كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام الى الممات قيل انه فعل بهم ما اوعدهم
وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وفيه نظر لان المراد من اتبعهما قبل غلبتهما
فلا يتناول السحرة وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا في الارض بدأوا اولا بالعلة العامة
ثم اتبعوه بالخاصة قصدوا بذلك زيادة تغيظه على موسى عليه السلام وقومه ليكون ذلك ابقى عليهم
منازلهم اذ هم الاشراف وبترك موسى وقومه بمصر يذهب ملكهم وشرفهم وانما نسبوا الفساد الى
الجميع والترك الى موسى خاصة لان الترك المذكور راجع الى ارادة فرعون وقومه بالعون له فيه فذكر
تركه كاف بخلاف الفساد لانه من جهة الدين والملك وهم مستقلون فيه او جواب للاستفهام
بالواو على معنى ان يكون منكم ترك موسى وقومه ويكون تركه اياك والهتك وقرئ بالرفع
عطفا على اتذر اي اتذره ويذرك بمعنى يتطلق له ذلك او استئنافا او حالا اي وهو يذرك

والهتك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر اى اتذره ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك
جوابا للاستفهام كقوله فاصدق واكن والهتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اى عبادتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون
اى وانا على ما كنا عليه من القهر والغلبة عليهم وان لا اثر لغلبة موسى فى ملكنا وان لا تتوهم العامة
انه هو المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده قال موسى لقومه لما جزع قوم
موسى من قول فرعون سنقتل ابناءهم وتضجروا اسلاهم بقوله استعينوا بالله واصبروا ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده ذكرهم ما وعده الله من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم
وديارهم فاللام فى الارض للعهد والافصح ان تكون للجنس فيتناول المعهود وهو ارض مصر
تناولا اوليا وعلق ايراث الارض بالمشية فاجمل ثم بينه والعاقبة للمتقين بشارة بعد
الابهام بان العاقبة التى تستاهل ان تسمى عاقبة اى العاقبة المحمودة كان ما عداها ليست بعاقبة
مخصوصة بالمتقين منكم ومن القبط اشعارا بانهم هم المتقون والعاقبة لهم وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا بقتل الابناء والاستعباد والامتهان
بالخدمة وانواع التعذيب الاذى ضر لا يبلغ لصاحبه ان ياتى على نفسه من قبل ان تاتينا
بالرسالة ومن بعد ما جئتنا باعادته علينا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض
تصريح بما رمز اليه من البشارة وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم فى الارض فينظر كيف
تعملون شكرا او كفرانا طاعة او معصية فيجازيكم بحسبه ولقد اخذنا ال فرعون اثر ال على
عبارة القوم لانتظامها الاناث حقيقة ولا نكتة للتغليب وللتنبيه على ان اخذهم بذلك
لاتباعهم فرعون فيفهم منه سلامة من امن من قومه ودخول فرعون فى الحكم المذكور بطريق
الدلالة بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والنبات السنة غلبت على عام القحط لكثرة
ما يذكر عنه ويورخ به فصارت كالدابة والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اذا
قحطوا وجمعت على سنين ونقص من الثمرات قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم
واما نقص الثمرات فكانت فى امصارهم لعلهم يذكرون لكى يتنبهوا ان ذلك بشوم كفرهم
ومعاصيهم او يتعظوا فتلين قلوبهم وترق بالشدائد فيفزعوا الى الله ويتضرعوا فاذا
جاءتهم الفاء الفصيحة ترتيب مدخولها على مقدر دل عليه سياق الكلام ولحاقه من عدم

تنبههم لما ذكر وتفصيل ذلك الحسنة الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا هذه اى لكرامتنا
واستحقاقنا بها وان تصبهم سيئة جدب وشدة وضيق يطيروا بموسى ومن معه وقالوا
هذا بشومهم ولولا مكانهم فينا لما اصابنا التطير التشاؤم واصله التفاؤل بالطير ومنه الطائر
الذى هو سبب الخير والشر فغلب التطير على الشر واصل يطيروا يتطيروا فادغم وانما عرف الحسنة
بلام العهد الذهنى الدالة على الوقوع لكثرته واتساعه ونكر السيئة مع حرف الشك وصيغة المضارع
لقلتها وندورة وقوعها وتجددها بحسب الايقاظ والاتعاظ والحسنة لا تخلو عنها احد
والسيئة لا يقع منها الا يسير وهذا اغراق فى وصفهم بالقساوة والجفوة والغباوة بان
الشدائد التى ترقق القلوب وتذلل النفوس وتلين العرائك وتكسر الشكائم لم تؤثر فيهم
ولم يزدادوا بها الا تماديا فى الغى وعتوا فى الكفر ولذلك بولغ فى انكار التطير بموسى ومن
معه باسناد الشر والخير الى الله على القصر بانما وتصدير الجملة بحرف التنبيه حيث قال الا انما طائرهم
سبب خيرهم وشرهم عند الله اى كل بقضائه ومشيئته وهو الذى يسببها اصابهم به
وليس بيمن احد ولا بشومه والتاكيد بقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله ومن
شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها ها
لئلا يوهم التكرير وهو مبالغة فى التعميم ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به
اى اى شى تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية استهزاء ولذلك قالوا لتسحرنا بها اى
لتسحر بها اعيننا والضميران لما الاولى باعتبار اللفظ والثانى باعتبار المعنى وعدلوا فى الجزاء
عن لن نؤمن الى الجملة الاسمية مع تاكيد النفى بالباء وتحقيق الجزاء بزيادة ما حيث قالوا فما نحن
لك بمؤمنين اى فلا تشتغل بايرادها فما نحن لك بمصدقين انها من عند الله وهذا منهم غاية الضلالة
والعناد اذ كذبوه بما لم يات به بعد واظهروا انهم مصرون على كفرهم ابدا غير منقادين للحق وان
ظهر وبدا فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس الطوفان هو الماء المغرق وقال جماعة هو المطر
المتتابع المضر وهو فى اللغة ما طاف بالقوم وغلبهم من ماء او مرض او غيرهما والجراد والقمل
هى كبار القراد والضفادع جمع ضفدع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا
يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم فمنعهم
من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا

تكشف عنهم ونبت لهم من الزرع ما لم يعهد مثله فبعث الله تعالى الجراد فاكلت عامة زرعهم
وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى عليه السلام ووعدوه التوبة فرفع عنهم ثم لم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل
ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه عليه السلام
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا
طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم
عند التكلم ففزعوا اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا
العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع السبطي على اناء
فيكون ما يليه دما وما يلي السبطي ماء ويمص الماء من فم السبطي فيصير دما في فيه آيات نصب على
الحال مفصلات مميزات بعضها من بعض بين كل اثنين فصل ومدة ليتامل في كل واحدة
حق التامل كانت اذا اتتهم اية اقامت عليهم اسبوعا ثم تقلع عنهم شهرا ثم تاتيهم اخرى تاكيدا
للحجة عليهم كانه تعليل لقد قالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا تابعناهم
الاية ولم تنقطع عنهم البراهين بما اظهروا من الجهالات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فتعاظموا
عن الانقياد للحق والايمان لموسى عليه السلام وكانوا قد اعتادوا الاثام والاجرام واكتساب
انفسهم العذاب اللازم ولما وقع عليهم الرجز اي الطاعون فمات من القبط سبعون الف
انسان وقيل هذا العذاب المفصل وفيه ان المناسب تصدير الكلام بكلما قالوا يا موسى
ادع لنا ربك فيه اية غاية عنادهم حيث قالوا ربك دون ربنا اظهارا للاصرار على الانكار
في مقام العجز والاضطرار بما عهد عندك اي نبوتك وصلتك اليه فهو يعم جميع الرسائل بين الله تعالى
وبينه عليه السلام من طاعة منه ونعمة من الله وهو صلة لادع اي ادع لنا ربك يكشف عنا
العذاب بحق ما عندك من عهد الله او بمعنى الحال اي متوسلا اليه بعهده عندك او قسم جوابه لنؤمنن
به اي بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ويجوز ان تكون موصولة اي
بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك وفي اسناد الكشف اليه عليه السلام صده عن اسناده
الى الله لعدم اقرارهم به ولنرسلن معك بني اسرائيل انما زاد قوله معك لانه عليه السلام كان
طالبا لارسالهم معه حيث قال ان ارسل معنا بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الفاء فصيحة
عاطفة على مقدر كانه قيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الرجز فلما الى اجل الى حد من الزمان

هم بالغوه مهلكون فيه وهو وقت الغرق لا يقال ان منهم من مات قبل الغرق ومنهم من
بقي بمصر لان لحاق الكلام يدفعه على انه يستقيم تعليله بولغ في وصف الاجل بالجملة الاسمية
مع تجريد الخبر عن شائبة الحدوث اشارة الى ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه اذا
هم ينكثون جواب لما اي لما كشفنا عنهم الرجز فاجاوا بالنكث وبادروه من غير توقف
وتامل فانتقمنا منهم اي احللنا بهم النقمة وهي ضد النعمة فاغرقناهم الفاء تفسيرية كما في قولك
رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو
لجة البحر ومعظم مائه وهذا صريح في ان القبطيين كلهم هلكوا بالغرق بانهم بسبب انهم كذبوا باياتنا
والايات هي المعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه السلام وكانوا عنها اي عن اياتنا غافلين غفلتهم
من جهة دلالتها على صدق موسى في دعوى الرسالة غفلة عن تلك الايات في الحقيقة لانها
بدون الدلالة المذكورة لا تبقى ايات وهذه الغفلة هي سبب التكذيب واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وهم بنو اسرائيل مشارق الارض يعني ارض الشام
ومغاربها ملكهم الله تعالى بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها الشرقية والغربية وتصرفوا فيها كيف
شاؤوا وصيغة الجمع للمبالغة في سعتها من جهة الخصب والبركة التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وهذا ظاهر في ان المراد ارض الشام لا ارض مصر ولان القوم المستضعفين لم يعودوا
الى ديار مصر بل اقاموا في الارض المقدسة وتمت كلمة ربك الحسنى بالتمكين في الارض وتوريث
بالانجاز وهي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون وقيل كلمة
ربك لانها كانت مواعيد بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا على الصبر ودمرنا خربنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان واصل التعريش الترفع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الذي غرق
فيه فرعون وقومه وهو بحر القلزم لم يقل وجاوز بنو اسرائيل البحر تنبيها على ان جوازه كان
خارقا للعادة خارجا عن طور البشر ثم ان جاوز به ابلغ من اجازه كما ان ذهب به ابلغ من
اذهبه ذكر ما احدثوه بعد هلاك عدوهم وانجائهم من الامور الشنيعة عقيب ما راوا من الايات
العظام والنعم الجسام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى منهم بالمدينة وايقاظا للمؤمنين
لئلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم ومحاسبتها ودراسة احوالهم ومراقبتها فاتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون يقيمون على اصنام على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل

تمت على بني اسرائيل
محمد يحيى

وانما قال لهم منبها على غاية حماقتهم حيث عبدوا ما يملكونه قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف
عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولم يقل كآلهتهم لان مشابهتها غير مقصودة
انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا اله قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم بعدما راوا الاية
العظمى والمعجزة الكبرى فجهلهم واكد جهلهم بالاطلاق وتكرير النسبة وتقويتها بان وايراد الفعل
المضارع الدال على التجدد الدائم اشعارا بان ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في الحال
ان هولاء اي عبدة تلك التماثيل متبر مكسر مدمر ما هم فيه اي يتبر الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم
ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها بالغ في تحذيرهم وتنفيرهم عما طلبوا
اليه بايراد هولاء اسما لان وتقديم الخبر في الجملتين بعده وايقاع كانوا اي ان هولاء الذين عبدوا
الاصنام هم المعينون الموصوفون بوسمهم وعبادتهم لها للتتبير وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة
لازب وهبا ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها فيما سلف من الزمان الا وهو باطل وان كان
في زعمهم انه تقرب الى الله ثم انكر عليهم ما طلبوا وتعجب من طلبتهم عبادة غير الله مع كونهم مغمورين
في نعمته بالهمزة وتقديم المفعول فقال قال اغير الله اي غير المستحق للعبادة ابغيكم اطلب لكم
الها معبودا وهو فضلكم على العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة
التي لم ينعم بها على احد من العالمين وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم
من امثالهم بما لا يستحقونه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته والمراد من
العالمين عالمي زمانهم وانتصب غير مفعولا بابغيكم والها المفعول فكان غير صفة فلما تقدم انتصب
حالا ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه واذ انجاكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
يسومونكم يبغونكم استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما
سوء العذاب شدته يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مباين فيما سبق
وفي ذلكم اشارة الى الانجاء او العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم وزيادة قوله من ربكم ترجح
المعنى الاول وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة واتممناها الضمير للمواعدة المفهومة من واعدنا
بعشر من ذي الحجة وحذفت التاء من عشر لان العدد من مونث فتم ميقات ربه الميقات
وقت قدر فيه عمل من الاعمال وفي عبارة ربه اشارة الى انه لمصلحه عليه السلام وتربيته اربعين
ليلة مفعول به لتم لان معناه بلغ ويجوز ان يكون تمييزا منقولا من الفاعل واصله فتم اربعون
ميقات ربه اي كملت ثم اسند التمام لميقات وانتصاب اربعين على التمييز ودلت الاية على ان

التاريخ

التاريخ بالليالي دون الايام وهذا لان الليالي اوائل الشهور روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل
بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال
ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا فيهم ولا تتبع سبيل المفسدين
اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم كقوله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم وهو
اسلوب بديع لم يتنبه له الناظرون في كلام الله تعالى ويجوز ان يكون على طريقة التهييج
اي ولا تسلك سبيل المفسدين متبعا لهم ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له
وحددناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بغير واسطة كما يكلم
الملائكة وروي انه عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وذلك لان الله تعالى ليس
في جهة وكلامه ليس من جنس كلام المحدثين والعدول عن الظاهر وهو وكلمناه الى ما ذكر
كالعدول عن ميقاتنا الى ميقات ربه والنكتة مشتركة بينهما قال رب ارني انظر
اليك ارني نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رويته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل على الانبياء محال وخصوصا ما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقتضي
الجهل به ورده بقوله لن تراني ليس لامتناع رويته تعالى في نفس الامر والا لقال لن
ارى بل لقصور الطالب عن رويته لبقية الحجاب فهي موقوفة على ارتفاعه وجعل
السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة ليس بشيء لان حقه عليه السلام ان يجهلهم
ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حيث قالوا اجعل لنا الها والاستدلال على استحالتها ودعوى
الضرورة مكابرة او جهالة بحقيقة الروية قال لن تراني اي لن تطيق انت ان تراني
ولكن انظر الى الجبل استدراك يريد ان يبين به ان لا تطيقه فان الجبل مع شدته وصلابته
اذا لم يستقر فالادمي مع ضعف بنيته اولى ان لا يستقر وهذا تسكين لقلب موسى عليه السلام
وتخفيف عنه ثقل اعباء المنع ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف وتجنب عن التعصب
والاعتساف انه ليس بجواب من سال محالا وقد قال تعالى لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك
به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فلو سال موسى محالا لكان في الجواب ردعا
فان استقر مكانه فسوف تراني بعد رفع الموانع من البين علق رويته بالاستقرار

اولا
بالجواب ابعد عن الصواب
ودلالة فيه على انه لا يراه عليه السلام
ابدا ولا على ان لا يراه غيره
اصلا فضلا من ان تدل على
استحالتها

وهو امر ممكن في نفس الامر فيفهم منه انه ممكن في نفسه لكن المانع من جهته على ما دل عليه قوله تعالى
ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب حيث قال ما كان لبشر ولم يقل ما كان لي
تعالى اتى بالتعليق ثم التسويف مبالغة في تعذر المطلب اما التعليق فلبيان ان الطاقة البشرية
لا تحتمل رؤيته تعالى واما التسويف فلبيان انه على تقدير التحمل لا بد من ارتفاع موانع زوالها
تدريجي يقتضي مهلة ومدة فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر له ظهور المرئي للرائي بان خلق الله فيه
حيوة وحسا وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رض وهو الموافق لمساق الكلام المطابق
لاصل اهل السنة والجماعة ومن صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال جعله دكا
الدك والدق اخوان كالشك والشق وانما قال دكا مبالغة كرجل عدل والمجاز عقلي فمن
فسره بالمدكوك على انه مصدر بمعنى مفعول والمجاز لغوي فقد اخرجه الى شيء معقول على طريقة
كلام عامي مرذول فان قلت اليس صحة المرام وصدق الكلام يقتضي معنى المدكوك قلت
لا نزاع فيه انما الخلاف في طريق افادته وكيفية ارادته من عبارة الدك وقرئ دكاء اي
ارضا مستوية وقرئ دكا اي قطعا جمع دكاء تانيث ادك وخر سقط موسى صعقا
مغشيا عليه بحال من تصيبه الصعقة لهول ما راى من تلاشي الجبل والا لكان حق النظم
العطف بالفاء ولما عطف بالواو علم انه ايضا ترتب على التجلي للجبل فلما افاق اي من غشيته
قال سبحانك تبت اليك قال الامام ابو نصر خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج العادة عند
رؤية الافزاع حسبما يجري على السنة الانام عند الاخطار لا عن ذنب يتذكرونه فيتوبون
ونظير هذا التسبيح اي قول عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ونظير
ذكر التوبة من غير ذنب اي قول النبي عليه السلام في كل يوم مائة مرة استغفر الله واتوب
اليه وانا اول المؤمنين اي بما اخبرت به في حق الرؤية من انه لا يطيقها هذه البنية للبشر
وانما اخفي عليه السلام عليه اي ذلك الوقت انه لا يعطي الخلق رؤيته في الدنيا مع جوازها ليوجد صح
منه عليه السلام سؤال الرؤية بناء على معرفة جوازها ليتحقق جواز الرؤية بسؤاله عليه السلام
ذلك فيكون حجة قاطعة لاهل الحق على المنكرين له من اهل البدعة قال يا موسى اني اصطفيتك
اخترتك على الناس الموجودين في زمانك وهرون عليه السلام وان كان نبيا واكبر منه سنا
لكنه كان وزيرا له مامورا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع برسالاتي قرئ على الجمع اذ
الذي ارسل به ضروب وعلى الافراد على ان محل الرسالة محل المصدر الذي هو الارسال

وبكلامي

وبكلامي يعني اسفار التورية وانما اخره لان الرسالة اسبق زمانا او للانتقال من الشريف الى
الاشرف فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة والحكمة وكن من الشاكرين من الموفقين بالشكر وهذا
ابلغ من الامر بالشكر على النعمة بوجوه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية
يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء لفظ كل هنا للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما
في قوله تعالى واوتيت من كل شيء والالواح جمع لوح وهو الصحيفة المهياة للكتابة فيها وانما
قال له لان الوقوف بالمكتوب فيها على تفصيل كل شيء كان مخصوصا به عليه السلام موعظة
تحذيرا بما يزجر عن القبيح وتبصيرا بمواقع الخوف والحذر وهي مفعول له لا البدل من الجار
والمجرور لان المعنى الذي ذكرنا مقصود بالافادة في المقام وتفصيلا لكل شيء من المصالح
الدينية والدنيوية فخذها عطف على كتبنا على ارادة القول اي فقلنا خذها والضمير للالواح
بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها بواجباتها فانها احسن من غيرها او بما هو
واجب وندب فانه احسن من المباح او باحسن ما فيها ما هو حسن واحسن كالصبر بالنسبة
الى الانتصار اي مرهم باختيار الافضل على طريقة الندب ساريكم من رؤية العين ولهذا
تعدت الى اثنين دار الفاسقين الذين اهلكهم الله تعالى بفسقهم فيتعظوا دار فرعون وقومه
ودار العمالقة ومنازل عاد وثمود موعظة بليغة تجري مجرى الوعيد على ترك الطاعة
اي وامر قومك ياخذوا باحسنها ويطيعوا ولا يهملوها ويفسقوا ساريكم دار من فسق
مصيره بهلاكهم ليعتبروا وقرئ ساوريكم اي سابين لكم من اوريت الزند وهي لغة فاشية
بالحجاز وقرئ ساورثكم على وفق قوله تعالى واورثنا القوم سأصرف عن اياتي في الافاق حتى
لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا بها وفي نفس الامر حتى لا يروا ويحجبوا بها الذين يتكبرون
يتعظمون عن الانقياد للانبياء طلبا للعلو والرياسة وانما قال في الارض اشارة الى كونهم
من العالم السفلي الذي لا يليق الترفع بشان من كان فيها ففيه تمهيد لقوله بغير الحق اي بدون
الاستحقاق حال من فاعل يتكبرون او صلة اي يتكبرون بما ليس بحق اي بباطل وفيه انذار
للمخاطبين من عاقبة التكبر فلا يتفكروا في ايات الله وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها اذ لا
يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرئ الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغة وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا اراهم الله السبيلين قال تعالى وهديناه النجدين ورآهما فاثروا

الغي على الرشد قال الله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها او نصب على المصدر اى
ساصرفهم ذلك الصرف بسببهما ويجوز ان يكون قوله وكانوا عنها غافلين استيناف اخبار
منه تعالى عنهم اى من شانهم انهم كانوا غافلين عن الايات وتدبرها واورثهم الغفلة التكذيب
بها هذا ما قيل والوجه عندى هو ان يكون اشارة الى التكبر لان سبب الصرف قد علم من قوله
الذين يتكبرون لما تقرر فى الاصول ان ترتيب الحكم على الموصول يدل على علية الصلة
انما المحتاج الى البيان سبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا يكون على احسن وجوه
الانتظام حيث يشار فيه اولا الى ان سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد للانبياء ثم يصرح
بان سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم ينبه على ان سبب التكذيب انهماك
المتكبرين فى اسباب الغفلة على جهة دلالة الايات المذكورة على صدقهم فى دعوى النبوة
واعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف القول المذكور عن ظاهره وتاويله بالوجه المزبور
كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة من باب اضافة
المصدر الى المفعول به اى لقائهم الاخرة او الى الظرف اى ولقاء ما وعد الله فى الاخرة
حبطت اى تلاشت وبطلت اعمالهم فلا ينتفعون بها واحتمال عموم الاعمال للسيات
ايضا قد اندفع بقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفى اى لا يجزون
الا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصى واتخذ قوم موسى من بعده من بعد مفارقته عليه السلام
اياهم الى الطور للميقات من حليهم الذى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر
واضافتها اليهم للملابسة لانها كانت فى ايديهم واما قيل انهم ملكوها بعد المهلكين فلا صحة له
لفظا ولا معنى اما الاول فلان التدافع بين الوجهين يابى عن عبارة التلاوة واما الثانى
فلان المهلكين هم الرجال والحلى كانت لنسائهم وقيل هذا الحلى ما اخذه بنو اسرائيل من قوم فرعون
بعد الغرق وعلى هذا يصح الوجه الثانى والحلى بضم الحاء جمع حلى كثدى وثدى وهو اسم ما يتزين
به من الذهب وقرئ حليهم بكسرها بالاتباع كدلى وقرئ بالافراد عجلا لما كان المتبادر ان يكون
عجلا حقيقة ابدل عنه قوله جسدا لا روح فيه لم يقل بدنا لان الراس وسائر الاطراف خارج
عنه له خوار صوت البقر قيل ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل
فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت ونسبة الاتخاذ اليهم

لا لانهم صنعوا العجل بل لان المراد اتخاذهم اياه الها على ما دل عليه التشنيع الاتى ذكره وانما
حذف قوله الها لدلالة مساق الكلام عليه وفيه ايهام ان ما صنعوا امر منكر مع قطع
النظر عن عبادته وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على
فرط ضلالهم واضلالهم بالنظر اى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على التكلم ولا على
الارشاد كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر ولما كان الارشاد الى
السبيل ممكنا بالاشارة كان نفى الثانى ابلغ فاخر على طريقة الترقى اتخذوه تكرير للذم اى
اقدموا على ما اقدموا عليه من المنكر الفظيع وكانوا ظالمين اى قوما عادتهم وضع الاشياء
غير مواضعها فلم يكن هذا بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط فى ايديهم كناية عن اشتداد
ندمهم وتحسرهم لان من شان النادم الشديد التحسر ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها
لان فاه قد وقع فى يده بلا اختيار وقرئ سقط على البناء للفاعل كرض اى وقع العض فيها
وقال الزجاج انه تشبيه بما يحصل فى النفس وتصوير للمعقول فى القلب فمعناه سقط الندم
فى انفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وراوا انهم وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذه قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا وقرئ ربنا بالنصب على النداء انقطاع الى الله تعالى واعتراف بعظم ما اقدموا
عليه ولما كان ذنبهم اعظم الذنوب بدؤوا بالرحمة التى وسعت كل شئ ومن نتائجها غفران
الذنب ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين من المغبونين فى الدنيا والاخرة
ولما رجع موسى الى قومه غضبان صيغة مبالغة اسفا شديد الحزن على ما كان منهم فى غيبته
عليه السلام قال بئسما خلفتمونى اى قمتم مقامى وكنتم خلفاء حيث لم تمنعوا من عبادة العجل
والخطاب لهرون عليه السلام والمؤمنين معه او بئسما خلفتمونى فى من بعدى حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله والخطاب لعبدة العجل من بعدى من ذهابى عنكم او من بعد ما رايتم منى من
التوحيد والدعوة الى عبادة الله والكف عن عبادة غيره ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسير المستخلف ما نكرة موصوفة مفسرة للمستكن فى بئس منصوبة المحل خلفتمونى صفة والمخصوص
بالذم محذوف اى بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام
انكارا يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام الا انه ضمن معنى سبق فعدى تعديته يعنى لم تنتظروا
وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين فتركتم الميعاد غير تام لقوله تعالى فى موضع اخر
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا روى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا

ما احدثوا بعدها قال لهم السامري ان موسى لم يرجع وانه قد مات فغيروا ما غيرت الامم
بعد موت انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين
قيل ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة
اسباعها وكان فيها كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام وبابه فقوله واخذ
الالواح لان الظاهر ان الماخوذ هو الملقى بعينه واخذ براس اخيه ولحيته على ما نص عليه
في موضع آخر يجره اليه لفرط ما دهمه من الامر الذي استفزه ظنا باخيه انه قصر في الكف
قال ابن ام في ذكر الام مع انهما كانا اخوين لاب وام استعطاف واسترحام لتذكيره انهما
من بطن واحد بلا شبهة فيه وان مراعاة حقها احق واوجب فانه اعظم لانها هي التي
قاست المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم وطرح ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وبالفتح
لكونها اخف او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني لم يهابوني ولم يستحيوا مني
وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني وقاربوا قتلي فلا ازاحة لتوهم
التقصير في حقه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل ما هو امنيتهم من الاستهانة بي وما يشمتون به
لاجله والشماتة فرحة العدو بمصائب عدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في
عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ضم اليه اخاه
في الاستغفار ان عسى فرط في حسن الخلافة ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك
بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين ارحم بنا منا على انفسنا والواو للعطف على مقدر
كانه قيل انت الغفور وانت ارحم ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب هو ما امرهم
به من قتل انفسهم وانما قال من ربهم اشارة الى ما في ضمنه من اثر الرحمة حيث كان فيه قبول
توبتهم ولهذا قدمه على قوله وذلة اخراجا لها عن حيز الرحمة في الحيوة الدنيا هي خروجهم
عن ديارهم وقيل الجزية وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي المفترين على الله سبحانه ولا فرية اعظم
من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا
السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وعبارة ثم للدلالة على
ان التمادي فيها لا يضر بعدما تاب عنها وامنوا اي اخلصوا الايمان لان اصل الايمان قد
ذكر فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور رحيم لها وان كثرت كعبادة
العجل وكثرت جرائم بني اسرائيل رحيم بالامهال وترك الاستعجال في الاخذ بالنكال فكان

في عبارة ثم تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان واللام مبالغة في تهويل غفرانه وسعة
رحمة عظمت جرائمهم اولا ثم عقبها بتعظيم مغفرته ورحمة تعظيما لا كتعظيمها بل ازيد وازيد
ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وكرمه واحسانه اذا تاب صاحبها واخلص اجل
واعظم وفيه تحريض على التوبة وحث على الاخلاص ولما سكت ضمنه معنى زال معدى بعن اي
زال عن موسى الغضب ساكنا وهو كلام في غاية البلاغة لان فيه تشبيه الغضب بشخص كان
يغريه على الفعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وخذ براس اخيك على طريقة
الاستعارة بالكناية فيكون السكوت على حقيقته غير مجاز عن السكون ابلغ او طريقة
الاستعارة التمثيلية على تشبيه الحال بسكوت الغضب بحال سكوت الناطق الامر الناهي وبرتبها
ان يكون اجراء الكلام على معانيها الاصلية وقال الزجاج مصدر سكت الغضب سكتة ومصدر
سكت الرجل سكوتا وهذا يقتضي انه فعل على حدة وليس من سكوت الناس ويؤيده قول
يونس بن حبيب تقول العرب سال الوادي يومين ثم سكت فعلى هذا اسكت بمعنى سكن
وقد قرئ به وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه بالاعتذار او قومه
بتوبتهم وفيه اشارة الى حسن امهال سيئة العبد اذا تغير حاله وغلب عليه الا يطيق واذا كان
اولوا العزم من الرسل يغلبه الحرف عن الاختيار فكيف الظن بمن دونه اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها النسخة فعلة كالخطبة وهي المكتوبة اي فيما نسخ فيها يعني كتب والنسخ النقل
فيقتضي نقل مكتوب من اصل آخر وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن نقل من آخر ويجوز ان يكون
المعنى وفيما نسخ بنو اسرائيل من الالواح والواو في وفي نسختها للحال هدى بيان للحق ورحمة
وارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون للذين يخضعون ربهم بالعبادة والرهبة
خوف معه تحرز واضطراب واللام في لربهم دخلت جارة لضعف العامل للفعل بسبب
تاخره عن المفعول واختار موسى قومه اي اختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل
اليه وفيه ايهام ان جل القوم منزلة كلهم سبعين رجلا القوم لا يكون الا رجالا ففائدة
قوله رجلا دفع احتمال التغليب والتفخيم المستفاد من التنكير لميقاتنا روي انه تعالى امره
عليه السلام بان ياتيه في سبعين من خيار بني اسرائيل فاختار من كل سبط من الاسباط
الاثني عشر ستة فزاد رجلان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم
مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه

غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يامره وينهاه
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فصعقوا
منها فلما اخذتهم الرجفة الاهتزاز والتعاقب للهول العظيم وقيل هي رجفة الجبل قال موسى
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكه وهلاكهم قبل ان يرى ما راى كما يقول
المبتلى ببلية لو شاء الله لاهلكني قبل هذا واسترحم الله تعالى فقال انك قدرت ان تهلكنا بسبب
اخر كاقدار فرعون علينا والاغراق بالبحر وغيرها فترحمت وانجيتنا فان ترحمت مرة
اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا من التجاسر على طلب الرؤية
وكان القائل بعضهم فسفههم وقيل المراد به عبادة العجل واختار موسى السبعين انما كان لميقات
التوبة فغشيتهم هيبة فالقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك فخاف عليهم موسى عليه السلام فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤهم
حين اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك او احدثت في العجل خوارا فضلوا به والضمير للفتنة
تضل بها بالفتنة من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او اتباع المخايل وتهدي من تشاء هدايته
فيقوى بها ايمانه وكذا كل ابتلاء انت ولينا مولانا القائم بامرنا فاغفر لنا بالمغفرة ما قارفنا
وارحمنا بدفع العذاب عنا لما كان هو واخوه عليهما السلام من المعصومين من الذنوب فحين
سال المغفرة له ولاخيه لم يوكد المغفرة بل قال وانت ارحم الراحمين ولما كان قد اندرج قومه
في قوله انت ولينا وفي سؤال المغفرة والرحمة وكان قومه اصحاب الذنوب اكد استعطاف
ربه في غفران تلك الذنوب وانت خير الغافرين تغفر الذنب الكبير ثم تجوده بالعطاء الجزيل
الكثير واكتب لنا اي اثبت لنا الكتب يستعمل في كل ما يجلو في هذه الدنيا زيادة هذه لتنزيل
شان الدنيا عن شان الاخرة حسنة عافية وحيوة طيبة وحسن سيرة وتوفيقا للطاعة
وفي الاخرة اي وفيها حسنة ايضا وهي الجنة وما فيها انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد
يهود اذا رجع وقرئ هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا
للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى
عدلي ورحمتي وسعت كل شيء لا يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شيء من الاشياء ولا اختصاص
لرحمة الاخرة بمسلم على ما بيناه في تفسير سورة الفاتحة فساكتبها فساثبتها والضمير للرحمة

للذين

للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانها فيها لا انها حق الصلوة
التي هي عماد الدين بل لانها كانت اشق عليهم لحبهم الدنيا والذين هم باياتنا بجميع اياتنا
يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الاجر صفة للذين يتقون او بدل منه بدل
الكل على ان المراد من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم او البعض او نصب على المدح او رفع عليه اي
هم الذين يتبعون او مبتدأ خبره يامرهم الرسول النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ
الاحكام من الله تعالى وقدمه لانه الاعم حيث يوصف به الملك ثم بالنبوة باعتبار انبائه عن
الله تعالى وصفاته واخباره عن الغيوب واحوال الاخرة وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة في
بني ادم فلو اعتبر بهذه الجهة يكون تقديم الرسالة بالنظر الى انه ارسله الله تعالى الى الخلق فانباهم
عنه تعالى ثم بكونه اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يقرأ شيئا ولم يكتب اصلا ليس الا اختصاصا
من عند الله واصطفاء من لدنه واعجازا والامي الذي هو على صفة امة العرب قال عليه السلام
انا امة امية لا نكتب ولا نحسب كانه نسب الى الام فان الولد يولد من امه غير كاتب ولا قارئ
ولا حاسب الذي يجدونه اي يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التورية والانجيل رفع لذكره
واشارة بانه مذكور في كتب الله اخبر عنه الانبياء السابقون واقروا بنبوته وزيادة قوله
عندهم لافادة انه وجد في الكتابين المذكورين حال كونهما محفوظين فلا احتمال لان يكون
ذلك ملحقا من خارج يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما عرف بالشرع جهة حسنة
والمنكر ما عرف به جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم كالشحوم وغيرها ويحرم عليهم الخبائث
كالخمر ولحم الخنزير ونحوهما ونسبة الحل والحرمة اليه عليه السلام لانه مظهرهما ولا اختلاف في اداة
التعدية لما في الثاني من معنى التكليف دون الاول ويضع يحط عنهم اصرهم وقرئ اصارهم لانه
جنس فيصلح للجمع والاغلال التي كانت عليهم الاصر والاغلال استعارتان لطيفتان للثقل
الذي كان عليهم من التكاليف الشاقة المانعة عن حركاتهم بمقتضى الهوى والقيود التي تمنعهم
عن اختيارهم والاصر في الاصل الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة اي يخفف عنهم ما
كلفوا به من التكاليف الشاقة كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة
والقيود الصعبة كقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق
في اللحم وتحريم السبت وتعيين القصاص في العمد والخطا فقدم ما فيه فتذكر ولا حق في ان ما
اريد بالاصار اشق مما اريد بالاغلال والصق منه فلذلك ذكرا بالاضافة اليهم دون الاغلال

فالذين آمنوا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم تكرير لتاكيد مدحهم وتعظيمهم بالصفات المذكورة
واعلام بانها هي الموجبة لانحصار الفلاح فيهم والفا للترتيب على ما تقدم وعزروه منعوه من
العدو حتى لا يقوى عليه وقرئ وعزروه بالتشديد اي عظموه بالتقوية ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته اي القران وانما سمي نورا لانه باعجازه ظاهر
امره ومظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا
باتبعوا اي واتبعوا القران مع اتباع النبي عليه السلام فيكون اشارة الى اتباع السنة
اولئك هم المفلحون الاشارة باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة والى ان
استحقاقهم للفلاح انما هو بسببها وتوسيطهم وتعريف الفلاح قد مر ما يتعلق بهما
ومضمون الاية جواب دعا موسى عليه السلام متضمن لتوبيخ بني اسرائيل على ما صدر منهم من انواع
الكفر والمعاصي والتعريض بهم في تكذيبهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام
بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون وترغيبهم في الاخلاص والعمل الصالح ببيان حال اعقابهم
الذين يتبعون النبي المبعوث في اخر الزمان وتحريضهم على التصديق بما في التورية والانجيل
ليوطنوا انفسهم على الايمان به طمعا في الرحمة التي خصصها بهم في قوله فساكتبها فيحشروا معهم
وعبد الله بن سلام واضرابهم قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام كان كل نبي
مبعوثا الى قوم خاصة ورسولنا عليه الصلوة والسلام الى الناس كافة بل الى الانس والجن
عامة جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة الله او بدل منه ولا يمنعه
الفصل بما هو في حكم المتقدم او نصب على المدح او رفع عليه او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو
على الوجه الاول بيان للجملة التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون غيره الها وكذلك
يحيي ويميت بيان لما قبله لانه تقرير لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على الاحيا والاماتة
غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي لما ذكر انه رسول الله امرهم بالايمان به عليه السلام وبدأ
بالايمان بالله لانه اصل يتفرع الايمان بالرسل والتفت عن التكلم الى الغيبة تعظيما له
بتكرار ذكر الرسول واعادة صفات المدح وتنبيها على ان الذي وجب الايمان به واتباعه
هو الموصوف بهذه الصفات لاجلها كائنا من كان وايقاظا للسامع لئلا يغفل عنه
فيتمكن وقعه في نفسه الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل الله عليه وعلى جميع الرسل من
كتبه ووحيه وقرئ كلمته اي جنس ما تكلم او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان

من

من لم يؤمن به عليه السلام لم يتيسر ايمانه وقيل كلمته التي وجد بها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم
تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو
بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة التنكير للتكثير يهدون بالحق يرشدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون في الحكم بين الناس وهم الثابتون في الايمان
القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر عبدة العجل كما هو عادة القران في الجمع بين السعدا
والاشقيا في الذكر تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وفيه
دفع ما اوهم تخصيص الرحمة في جواب دعا موسى الذين يتبعون الرسل في اخر الزمان ان قومه
كلهم اهل الضلالة وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم اثنتي عشرة مفعول ثان على تضمين قطعنا معنى صيرنا
وتانيثه على تاويل القطعة او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز لانه اراد اثنتي
عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط فوضع اسباطا موضع قبيلة للدلالة على ان كل واحدة منها اسباط
تحقيقا فعلى هذا اسباطا قائم مقام المفرد امما بدل من اثنتي عشرة او من اسباطا او نعت لها وفيه
اشارة الى ان كل واحد من الاسباط كانت امة كثيرة العدد وقوم كل واحدة منهم خلاف
ما تؤم الاخرى لا تكاد تأتلف وتتفق الباقي مر تفسيره في سورة البقرة واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
لتقصير اللفظ وتكثير المعنى وهو ابلغ وجوه الايجاز وذلك ان فيه اشعارا بان الانفجار مسبب
عن الايحاء مرتب عليه ان الضرب لا تاثير له بذاته واما ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال
فلا دلالة عليه في قوله فضرب محذوفا كان او مذكورا والانبجاس خروج الماء الجاري بقلة
والانفجار خروجه بكثرة وكان البدء بقلة ثم يكثر بالاتساع منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط اسم جمع كرخاء وثناء لا جمع تكسير او جمع انس اصله كسر الهمزة كشعب وشعاب فابدلت
الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا
لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر تفسيره في سورة
البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية اضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث
شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في سورة البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا
اسكنوا والسكنى تعقب الدخول فامروا هناك بالمبدأ وهنا بما نشأ عنه وهناك فكلوا

بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة مقتضية فحسن ذكر التعقيب بعده والسكنى
حالة مستمرة فحسن الامر بالاكل معه لا بعده واثبت رغدا هناك بعد الامر بالدخول لانها حالة قدوم
فلا اكل فيها الا بخلاف السكنى المذكور هنا فانها حالة استقرار واطمئنان فليس الاكل فيها كالاكل
عند الدخول واما تقديم الحطة على الدخول وتاخرها عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب
واما قوله واذ قيل في مقام واذ قلنا على حذف الفاعل للعلم به واما انزلنا وارسلنا ويفسقون
ويظلمون فمن واد واحد نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين بالغفران والزيادة عليه بالاثابة قبل
وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به ومعنى
المعقول عن الواو الجامعة بينهما في سورة البقرة الدالة على التشريك في المقابلة المذكورة
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مر
تفسيره في سورة البقرة واسألهم المراد من سؤالهم التقريع بتقديم كفرهم واعتدائهم
حدود الله والتقرير والاعلام بان هذا من العلوم التي لا تحصل الا بالتعليم او بالوحي فلم
يتعلم عليه السلام قط فهو حجة لانه معجزة عن القرية عن خبرها وحال اهلها وهي ايلة التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه على شاطئه بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية
والعرب تسمي المدينة قرية اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله في تعظيم السبت
بالاصطياد واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف ولا يجوز ان يكون بدلا منه
بدل الاشتمال لان اذ من الظروف التي لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا
لا يجوز دخول عن عليها لان البدل على نية تكرير العامل وانما يتصرف فيها بان اضيف
اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ كان كذا وقرئ يعدون واصله يعتدون
ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد اي يعدون الات
الصيد في حال تعظيم السبت او يوم السبت وقد نهوا عنه وامروا بان لا يشتغلوا فيه
بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون واحتمال الابدال قدم وجه بطلانه يوم
سبتهم شرعا يوم تعظيمهم للسبت اسبتت اليهود اذا عظمت سبتهم بالتجرد للعبادة
وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويرجح الاول قراءة يوم اسباتهم
وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على
البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على

وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف وقيل اي مقبلا اليهم مصطفا كما تقول اشرعت الرماح اذا
مدت مصطفة والحيتان جمع حوت واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة واختلف
في اطلاق اسم السمكة على ما سوى الحوت من الحيوانات البحرية والذي نص عليه الشافعي في الام والمختصر
انها تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك اي مثل ذلك البلاء الشديد والظاهر
ان الاشارة الى ابتلائهم باتيان الحيتان يوم السبت وعدم اتيانها في سائر الايام نبلوهم
بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق واذ قالت عطف على اذ قبلها امة منهم
جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين بالغوا في وعظهم وبذلوا المجهود في نهيهم حتى ملوا وايسوا
من قبولهم وتفرسوا من حالهم ان الوعظ لا يؤثر فيهم فتركوا الاخرين منهم لم يتركوا موعظتهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم اي قد اشرفوا على ان يهلكهم الله تعالى فيستأصلهم او معذبهم عذابا شديدا
غير مستأصل قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا معذرة الى الله تعالى لئلا ننسب الى التقصير في النهي
عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب اي نعظهم معذرة على انه مفعول له او نعتذر معذرة على المصدر
ولعلهم يتقون ويطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء فلما نسوا تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصلحاء
وجعل الترك نسيانا مبالغة اذ هو اقوى احوال الترك ان ينسى المتروك انجينا الذين ينهون عن
السوء هي عامة في المعاصي ويدخل فيها صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا بالارتكاب
للمنكر وفيه تنبيه على ان العلة للاخذ هي الظلم بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس بأسا اذا اشتد
وقرئ بئس كحذر وبئس كظهر على تسكين العين للتخفيف ونقل حركتها الى الباء ككبد في كبد وقرئ
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيّس كريّس على قلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كميت في ميّت
بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق فلما عتوا عما نهوا عنه وتكبروا عما نهوا عنه
وزادوا عصيانا وتمردا قلنا لهم على طريقة الامر التكويني كونوا قردة اي مسخناهم دفعة
خاسئين اذلاء مبعدين عن الناس وقد مر ما يتعلق بهذا في سورة البقرة والظاهر من المعنى
ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فلم ينتهوا وعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير وتقرير
لقوله فلما نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن
ربك تاذن عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يؤذن نفسه
به ويحدثها ومثل في التفعل بمعنى الافعال وتوعد بمعنى اوعد واجرى مجرى القسم كعلم الله

وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن عليهم اي عزم ربك واوجب على
نفسه ليسلطن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم يكلفهم سوء العذاب كالاذلال وضرب
الجزية بعث الله عليهم بعد سليمن عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم
وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم فضربها عليهم لا الى اخر الدهر بل الى نزول عيسى عليه السلام لانه بعد نزوله من السماء
يضع عنهم الجزية على ما ورد في الحديث المرفوع وعند ذلك ينقلب تكليف الجزية الى اشد وهو
تكليف الاسلام بالقتل وسوء العذاب يشتملهما ويجوز ان يكون من يوم القيمة وقت ظهور
بعض شرائطها فلا حاجة الى تعميم سوء العذاب والله اعلم بالصواب ان ربك سريع العقاب
لا يحتاج الى اعداد الالات واحضار الاسباب وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم
في الارض وفرقناهم في اقطارها بحيث لا يخلو قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة
بالاجتماع امما مفعول ثان او حال منهم الصالحون الذين امنوا ونظراؤهم والصالحون فاعل
للظرف لاعتماده على الموصوف او مبتدا او منهم خبره والجملة صفة لامما ومنهم دون ذلك
دون صفة لمبتدا محذوف اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح
وهم الفسقة والكفار وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا
عليه بالانتهاء فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء وهو مصدر نعت به ولذلك
يستوي فيه الواحد والكثير وقيل جمع قال ثعلب الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح
وخلف سوء للطالح وكانه غافل عن قول حسان في المدح • لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع • والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا
الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ولا يعملون وفي عبارة ورثوا
اشارة الى انها وصلت اليهم بلا استحقاق منهم كما يصل المال الموروث من المورث الصالح
الى الوارث الطالح يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى وهو ما يأخذونه
من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة والادنى اما من الدنو بمعنى القرب
اي الشيء الحقير سهل التناول قريب المأخذ واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد به الدنيا وما
يتمتع به منها والاشارة بهذا لمزيد التحقير والجملة حال من ضمير ورثوا او صفة بعد صفة ويقولون
سيغفر لنا اي اذا عوتبوا على ذلك اعتذروا بما يرجونه من سعة رحمة الله ويقولون لا

يؤاخذنا الله بما اخذنا ويتجاوز وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او
الى مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في يقولون اي يرجون
المغفرة جازمين بها وهم مصرون على ذنوبهم لا يتوبون عنها الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي العهد الذي في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اي بان لا يقولوا اي لا يفتروا على الله تع وهو القطع بالمغفرة مع الاصرار على الذنب وهو
خلاف ميثاق الكتاب ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا
يقولوا الخ وان فسر الميثاق لما بين فيه وهو ان من ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان
لا يقولوا مفعولا له اي لئلا يقولوا ودرسوا ما فيه الظاهر انه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ
اعتراض او حال بتقدير قد وقيل عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لانه تقرير له كانه قيل اخذ
عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ومعنى الهمزة في الم يؤخذ تقريع وتوبيخ على اخذ الرشوة
والقطع بالمغفرة ولذا قبح فعلهم بوجوه اولها انه خلاف ميثاق الكتاب الثاني انه افتراء على الله تع
الثالث التأكيد بقوله ودرسوا ما فيه اي من اشتراط التوبة في غفران الذنب الرابع قوله
والدار الاخرة خير اي من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى وهو تعريض بانهم يستحبون
الدنيا على الاخرة ويستبدلونها بها ثم التأكيد بقوله افلا يعقلون اي يأخذون العرض
الحقير فلا تعقلون ان الدار الاخرة خير فلا تبيعون الشريف الباقي بالخسيس الفاني وقرئ
تعقلون بالتاء على الالتفات وفي الايهام بقوله الا يقولوا تنبيه على عظم ما يرتكبونه والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة تعريض بانهم لا يمسكون بالكتاب اذ يحرفونه وانهم لا
يصلون وتخصيصها بالذكر لانها عماد الدين وام العبادات والجملة عطف على للذين يتقون
وافلا يعقلون اعتراض بينهما وانا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض اخر او مبتدا وخبره انا لا نضيع
اجر المصلحين اي منهم او على وضع الظاهر موضع الضمير تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع
وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون او استيناف لتعليل الخبر المحذوف كانه قيل نوفيهم اجورهم
لانا لا نضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل اي قلعناه من الاصل ورفعناه فوقهم يقال نتقت
الدابة صاحبها حين تعدو به اي حركته ورفعته كانه ظلة في موضع الحال من الجبل والظلة كل ما
اظل من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء المهملة من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم

وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل بهم وكذا عدم
ثبوت الجبل في الجو لا يقتضيه لانه على مجرى العادة واما على تقدير خرقها فلا بعد فيه وعدم وقوع
المتعلق لا يصلح وجها لاطلاق الظن على الاعتقاد الجازم لعدم الفرق بينهما في عدم الاقتضاء
لوقوعه فالوجه ان يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين
خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على احتمال تكاليفه ومشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل فيه ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون ما انتم عليه من قبائح الاعمال ورذائل
الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتولدون
قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض والضمير لادم وبنيه لا للبنيه خاصة
ولا يلزم اخراج اولاده من غير الارادة واما عيسى فخارج من ظهر جده بواسطة امه واشهدهم
على انفسهم الست بربكم اي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم ونزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم
منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى في
سوال النفي اثبات فكان اقرارا والاقرار بدون الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا
رد الله قول المنافقين قالوا نشهد انك لرسول الله فالتصديق ثبت بمقتضى قولهم شهدنا
ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او
تقولوا عطف على ان تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على ما دل عليه اول الكلام من الغيبة
انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام
الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي ابعد تاسيس اباينا
الشرك المبطلين وجعلهم اياه سنة لنا تهلكنا بما فعلوه وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره
ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لخبر رواه عمر رض والمقصود
من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال
وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات قطعا لعذرهم ولعلهم يرجعون اي
تميز بعضها عن بعض ليتمكنوا من الاستدلال ويرجعوا عن التقليد واتباع الباطل والواو
للعطف لمقدر نبهنا عليه واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني

اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها بان كفر
بها وخرج عن حكمها فاتبعه الشيطان خطواته اي جعله تابعا له وقيل استتبعه او اتبعه بمعنى
فادركه ولحقه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين وقيل هو امية بن ابي الصلت
كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل في ذلك الزمان رسولا وتوقع ان يكون هو فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ولو شئنا لرفعناه بها اي منازل الابرار من العلماء لان
مراد الله لا يتخلف ولكن حكمته اقتضت ان يتبع ارادته اختيار العبد واشير الى هذا حيث قال
في موقع ولكن لم نشا ولكنه اخلد الى الارض فذكر فعل العبد لا فعله اي مال الى الدنيا والى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات نسب ايتاء
الايات الى الله وخروجه عن حكمها اليه اشعارا بان الكل انما يكون بحسب استعداد العبد
باعطاء اسباب الكمال ولكنه بحسب استعداده الى الجهة السفلية خرج عن حكمها فناسب
الشيطان فاغواه فشقي بها وعلق رفعه بمشية الله واستدرك عنه بفعل العبد تنبيها على
ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمها دليل عدمه لاستلزام انتفاء المسبب انتفاء
السبب وان السبب الحقيقي هو المشية وان الاسباب وسائط في حصول المسبب
اذا تعلقت المشية به كذلك ووضع قوله اخلد الى الارض واتبع هواه موضع اعرض عنها
اقامة للسبب مقام المسبب مبالغة وتنبيها على ان موجب اعراضه هوى النفس وحب الدنيا
وانه راس كل خطيئة وكان مقتضى الظاهر ان يقول ولكنه اخلد الى الارض فحططناه في
مقابلة رفعناه فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط واذله مبالغة اي
صفته كصفة الكلب الذي هو مثل في الخسة في اخس احواله واذلها وهو دوام اللهث
سواء حمل عليه وهيج او ترك ولم يهيج على ما ذكر بقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فانه
دائما يلهث لضعف قلبه وحرارته بخلاف سائر الحيوانات فانه يلهث عند التحريك والازعاج
ولا يلهث عند التوادة والاخلاد واللهث هو ادلاع اللسان من التنفس الشديد الذي
يلحق الانسان وغيره من شدة الاعياء وهو في الكلاب طبع وقد يكون من العطش محل
الجملة الشرطية النصب على الحال اي كمثل الكلب لاهثا في الحالين والمراد من التمثيل ان
الاستعداد الخبيث لا موجبات الترقي واسباب الكمال والسعادة بل يزيده نقصا
وانحطاطا وشقاوة كما لا تنفعه الايات بل زادته رجسا الى رجسه وجه التمثيل ان يتا

الايات واسباب السعادات كالتودع والاحجام وضلاله واستعداده كلهث الكلب وطبيعته
ولهذا قيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ذلك مثل القوم الذين كذبوا
باياتنا يعني لا اختصاص للتمثيل المذكور الذي ورد في حقه بل يعمه وامثاله من المكذبين باياتنا
كما لا اختصاص للاحكام النازلة باسباب نزولها ومن هنا يتضح وجه التفريع في قوله
فاقصص القصص المذكورة المشتملة على التمثيلات المشبهة لمن حاله كحالهم لعلهم يتفكرون
فيه فيتعظون به ويحذرون مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ساء بمعنى
بئس واصلها التعدي تقول ساءني الشيء يسوءني ثم لما استعملت استعمال بئس بنيت على
فعل وجرت عليها احكام بئس ومثلا تمييز للضمير المستكن في ساء فاعلا وهو مفسر بهذا
التمييز وهو من الضمائر التي يفسرها ما بعدها ولا بد ان يكون المخصوص بالذم من جنس التمييز
فاحتيج الى تقدير اما في التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم واما في المخصوص اي ساء مثلا مثل
القوم وهذه الجملة تاكيد للجملة السابقة وانفسهم كانوا يظلمون بعد قيام الحجة وعلمهم بها
اما معطوف على كذبوا فيكون في حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب والظلم على
انفسهم واما كلام منقطع عن الصلة اعتراضا للبيان اي وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم
لان وباله لا يتعدى الا اليها ولهذا التخصيص قدم المفعول وهذا الاخير احسن من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين والضالين اخبر
انه المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال وفيه تصريح بان الاهتداء مخصوص بمن يهدي الله
وتنزيل للهداية التي لم يترتب عليها الاهتداء منزلة العدم والاختصاص هداية الله
ببعض دون بعض واستلزامها للاهتداء افرده في قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى وفي الافراد في الاول والجمع في الثاني والتعبير عن لفظ الضالين تنبيه
على ان المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تحصى وان
اجتماعهم لا يجدي نفعا في دفع الخسران اللازم لضلالتهم وفي الاقتصار في الاخبار عمن هداه
الله بالمهتدين تعظيم لشان الاهتداء وبيان انه في نفسه كمال تام لو لم يكن لكفى نفعا
جليلا ووافيا لانه المستلزم للفوز الاكبر والعنوان لجميع الكمالات ولقد ذرانا
خلقنا لجهنم لمصلحة فانه يظهر جلال الله وقهره فلا يناسب الحكم تعطيله وفيه تنبيه على
سبب خلقه من لا حظ له من الاهتداء كثيرا من الجن والانس قدم الجن على الانس لان

الكلام

الكلام في مقام التحقير والاذلال وهم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا تنجع فيهم الدعوة
الى الحق والايات لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى النظر في الدلائل ولا
اذهانهم الى طلب الحق ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون بها نظر اعتبار
الى ما خلق الله تعالى ولهم اذان لا يسمعون بها ايات الله سماع تدبر وتامل فكانه لا ادراك
لقلوبهم ومشاعرهم اولئك كالانعام لما لم ينتفعوا بقلوبهم ومشاعرهم جعلها مسلوبة الفهم
والادراك ثم شبههم بالانعام في عدم الفقه والاعتبار والفهم او في ان مشاعرهم لا تتوجه الا
الى اللذات الحسية وامور المعاش لا تطمح ابصارهم ولا تلتفت بصائرهم الى امور المعاد
بل هم اضل لانها مع عدم العقل تجتنب المضار وتجلب اسباب المسار بخلاف الكفار فانهم
على عكس هذا كيف وهم يصرون على الكفر والانكار والاصرار يورثهم الاضرار في هذه الدار
ودار القرار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة بين به سبب كونهم اضل من الانعام
وهو الغفلة عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وفي الاية تعريض
باليهود وبيان لما هو صورة حالهم ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لدلالتها على المعاني
التي هي اشرف المعاني فادعوه بها لا بغيرها ولا تدعوا غيره وذروا الذين يلحدون في اسمائه
واتركوا تسمية الذين يميلون في اسمائه عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا توقيف فيه او
بما يوهم معنى فاسدا كقول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يزيغون في
اسمائه فيطلقونها على غيره تعالى كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فلا تبالوا بانكارهم
والحادهم او ذروهم والحادهم في اطلاقها على اصنامهم لتسميتهم الهة او اشتقاقهم اسمائها منها
كاللات من الله والعزى من العزيز فلا توافقوهم فيها واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه ادل وقرئ يلحدون بالفتح يقال لحد والحد
اذا مال عن القصد ولما قال ذرانا لجهنم كثيرا كالضالين الغافلين والملحدين قفاه بما دل على انه
خلق للجنة كثيرا وهو قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم اي في كل قرن
طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر الله وفيه
دلالة على صحة الاجماع والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم اي بايات الله التي تضمنها القران
لقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم والمراد من الاستدراج الاستدناء
الى الهلاك قليلا قليلا يقال درج الكتاب اي طواه شيئا بعد شيء قال الخليل اي سنطوي عمرهم في اغترار

منهم فهو من الدرج بمعنى اللف ومنه ادرج الميت في اكفانه وقيل هو من الدرجة فهو في
الاصل التقريب من المقصود درجة درجة بالاصعاد او الاهباط ثم اتسع فاطلق على
التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه من حيث لا يعلمون انه
استدراج حيث جددوا لهم النعمة كلما جددوا ما يستحقون به النقمة فاغتروا به حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة واملي لهم واؤخر عذابهم من الملي ثقيله اليا يقال مضى عليه ملي من الدهر
وملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعة منه عطف على سنستدرجهم لا على نستدرجهم اذ لا حاجة
الى ادخاله في حكم السين فان الاملاء يلزمه الاستدراج المذكور لزوما بينا فتاكيده يغني عن
تاكيد هذا فمن قال عطف على سنستدرجهم ثم قال وهو داخل في حكم السين فقد اخطا من بين
واما لم يقل نملي لهم على وفق نستدرجهم للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي
توسط فيه المدبرات امرا والاملاء بالتقدير الالهي الذي لا دخل فيه لاحد ان كيدي الكيد الاخذ
على خفاء فاطلاقه ههنا على الحقيقة لا على التشبيه كما زعم وانما سماه كيدا لانه على صورته ولا
يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه وبه يفارق المكر فانه يشارك الكيد في الاخذ المذكور ويمتاز عنه
باشتماله القيد المذكور متين شديد قوي اصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي على جانب الصلب
وهما متنان اولم يتفكروا الاستفهام للتعجب والواو للعطف على محذوف تقديره الم يعلموا
ولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة اي جنون من مس الجن وكانوا
يقولون فيه عليه السلام شاعر مجنون بالغ في نفي الجنون عنه عليه السلام بنفي الحقيقة منكرا قاصدا بتنكيرها
التقليل اي ليس به عليه السلام شيء من الجنة وزيادة من الدالة على ما ينسب اليها ايضا وان لم
يكن منها حقيقة وفي تقديم بصاحبهم تعريض لهم وفي عبارة الصاحب اليهم اشارة الى انه لو
كان به عليه السلام تلك الحال لما خفيت عليكم لما بينكما من المصاحبة والمخالطة ان هو الا نذير
عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان
صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت فالمعنى ما هو عليه السلام في تلك الحال الا
منذر مبين موضح انذاره باعلى صوت اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض فيما يدلان عليه من عظم ملكه او فيما يملك به السموات والارض من ملكوتيهما الملكوت
الملك العظيم والملائكة اي جنس الملائكة لمبالغة فيه ثم انه لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت
بل نبه على ان كل فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع

ووحدانيته

ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد فقال وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله
من كل ما يقع عليه اسم الشيء مما لا يمكن حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة فاطرها وعظم شان
مالكها ومدبرها فيعلمون صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان اقتراب اجلهم فلعلهم يموتون عن قريب
فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى الحق ويبادرون من العمل الى ما ينجيهم من العذاب قبل مفاجاة
الاجل وحلول العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مخففة من الثقيلة اصلها انه والضمير فيها في يكون ضمير الشان والحديث اي وفي انه الشان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولا يجوز ان تكون مصدرية لانهم نصوا انها توصل بفعل متصرف
وعسى فعل جامد فلا يجوز صلة لان ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة فباي حديث
بعده اي بعد القرآن يؤمنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون
الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوحه ولزوم الحجة عليهم وقيل فوائد ما
هو الا لكونهم مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال وحرصهم على النظر في امكان قرب الاجل
انكر عليهم التثبط من الايمان ثم قرر معنى الانكار وما يلزمه وعلل ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي
له نفي نفيا عاما ان يكون هاديا لمن اضله الله فتضمن الياس من ايمانهم والمقت لهم ويذرهم بالرفع
استئناف اخبار اي وهو يذرهم في طغيانهم في افراط تمردهم يعمهون حال منهم يسالونك عن الساعة
اي عن يوم القيمة لقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها على ذلك
اليوم اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها كساعة عند الله تعالى وقيل اصلها ساعة
قيام الناس بالاضافة فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه
التسمية ايان مرساها ايان بمعنى متى قيل اشتقاقه من اي وان من اويت لان البعض اوى
الى الكل ويمكن ان يكون تركيبها من اي مع الان فركبا لان معناه اي وقت مرساها مصدر اي
ارساؤها او اسم زمان والارساء الاثبات من الرسو وهو ثبات جسم ثقيل ووقاره ومنه رسا
الجبل ولا اثقل من الساعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الايمان والطاعة وينهاهم عن
الكفر والمعصية ويحذرهم قيام الساعة فقالوا متى هي قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لما كان السؤال عن الساعة عموما ثم خصص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب
عنها عموما بقوله قل انما علمها عند ربي ثم خصص من حيث الوقت فقيل لا يجليها لوقتها الا هو
اي لا يبينها ولا يكشف لها للناس واللام للتاقيت كما في اقم الصلوة لدلوك الشمس والمعنى

ان اخفاءها يستمر على غيره الى وقت وقوعه ولا يظهرها الا في ذلك الوقت الذي تقع فيه بغتة
بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص
الذي هو وقت الموت ثقلت في السموات والارض اي ثقلت وكبرت على اهلها من الملائكة والثقلين
لشدة هولها وعظمها كانه اشارة الى حكمة اخفائها اي لا يطيقون حمل اخبارها او ثقل اخفائها
عليهم فان ما خفي امره ثقل على النفوس لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة منكم كما قال ما ينظرون الا
صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون وقد ورد في الحديث ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك
اي عن الساعة كانك حفي عنها حفي عن الشيء اذا بالغ في السوال عنه والتركيب للمبالغة ومنه احفى
الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى في المسألة اذا الحف فالمعنى عالم بها علما متقنا
لان من بالغ في المسئلة عن الشيء استحكم علمه واتقن ولهذا عدي بعن اي كانك بليغ في السوال
عنها حتى احكمت علمها وقرئ حفي بها اي عليم بليغ في العلم بها قل انما علمها عند الله كرره بتكرير
يسالونك لما نيط به من زيادة قوله كانك حفي عنها للتاكيد والمبالغة ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ان علمها عند الله لم يوته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ودفع
ضر وهو اظهار العبودية والتبرأ عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي كسائر المماليك والعبيد
لا املك لنفسي شيئا الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار الخير باجتلاب المنافع
والاستخلاص عن الشر باجتناب المضار كما هو مقتضى طبع البشر وفيه دلالة على انه لا تاثير للتدبير
والا لما امكن التعبير بالتدبير على تقدير العلم باسباب النفع والضر فتدبر فانه موضع النظر عن
ابن عباس رض قال اهل مكة الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح وبالارض
التي تريد ان تجدب فترحل عنها الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت
بشيرا ونذيرا لقوم يومنون متعلق بالبشير ومتعلق النذير محذوف للتعميم لقوله تعالى ان انذر
الناس وبشر الذين امنوا والقوم مختص بالرجال فالبشارة عبارة تختص بهم ودلالة تعم النساء
حيث علقت بالايمان فان ترتيب امر بموصوف يدل على علية الوصف له وفيه تحريض للكفار
على الايمان هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها من جسدها لقوله وجعل
لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها سكون الشيء الى جنسه فيانس بها ويطمئن

اليها

اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليتبين ان المراد منها ادم ويوكد معنى الانس والميل لان
الذكر بالانثى آنس واليها اميل ليناسب قوله فلما تغشاها التغشي كناية عن الجماع حملت حملا
الحمل ما كان في البطن والكسر ما كان على ظهر خفيفا لكونه نطفة او خفت عليها ولم تلق منه ما
تلقى الحبالى غالبا من الكرب والاذى فمرت به فقامت به وقعدت اي ترددت به لخفته
كما لم يمكن تحمل واستمرت به كما هو قراءة ابن عباس رض اي لم تزلق ولم تسقط ولم تجزع
وقرئ بالتخفيف اي فشكت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او غيرهما وقرئ فمارت به اي
جاءت وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل
بكبر الولد في بطنها اي حان وقت وضعه وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها
الحمل دعوا الله الضمير لادم وحوا ربهما مالك امرهما ومتعلق الدعا محذوف يدل عليه
جملة جواب القسم لئن اتيتنا صالحا اي دعوا الله ورغبا اليه في ان يوتيهما ولدا سويا قد صلح
بدنه وكمل خلقه لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك ويدخل فيه دخولا اوليا الشكر على هذه
النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا اي جعل اولادهما له شركا فيما اتاهما اي اولادهما
فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه
قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون وكون الخطاب لغير ادم بآبائه قوله وجعل منها زوجها
ليسكن اليها وقرئ شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك اي شركاء ايشركون
الاستفهام بمعنى التوبيخ ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون هم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها
الهة ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير
الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله وقرئ لا
يتبعوكم بالتخفيف سواء عليكم ادعوتموهم قد مر ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة ام انتم
صامتون انما لم يقل ام صمتم لان المراد ان يقال سواء عليكم احداثكم الدعا ام استمراركم على ما انتم
عليه من عادة الصمت عن دعائهم فانهم جمادات وهو حسب حالهم لانه اذا دهمهم امر دعوا
الله دون الاصنام كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم وفيه مبالغة في عدم افادة
الدعا من حيث هو مسوى بدوام الثبات على الصمات ان الذين تدعون من دون الله
تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة وانما سمى الاصنام عبادا

لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها
قادرة على النفع والضر وقيل ذلك للاستهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء
فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عباد امثالكم فقال باثبات
انهم اعجز منهم الهم ارجل يمشون بها ويأباه الفصل بقوله فادعوهم الخ فان انتظامه مع
سياق الكلام والتئامه للمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوي الافهام وقرئ ان الذين
بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر
وفيه خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني
ومنعه الفراء واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح انه لغة ثبت
في النظم والنثر ام لهم ايد يبطشون بها قرئ بكسر الطاء وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ
بقوة والقدرة على الامساك وبهذه الزيادة يكون الاخذ من خواص اليد من بين الاعضاء
كما ان المشي لما فيه من الزيادة على مطلق الحركة يكون من خواص الرجل واعادة اداة
الاستفسار على وجه الانكار دون اداة الجمع للاشعار باستقلال انتفاء الكل منها في
الابطال والاثبات المذكورين آنفا ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
ام منقطعة فيقدر ببل والهمزة وهو اضراب على معنى الانتقال لا على معنى الابطال
وانما هو تقرير على نفي كل واحدة من هذه الجمل وتوجه النفي الى الوصف لانهم كانوا
يصورون هذه الاعضاء للاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر موضع
المضمر للتهكم بعد اثبات عجزهم اي استعينوا بهم على الضر ثم كيدون اي بالغوا فيما
تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم وهذا غاية
الوثوق على ولاية الله وحفظه ولهذا قال بعده على سبيل التاكيد بان ان وليي الاية
لما كان بلوغهم الى الغاية في بذل الجهد متراخيا عن الاستعانة المذكورة عطف عليها باداة
التراخي وكان عدم الامهال مترتبا عليه صدره باداة التعقيب ان وليي الله الذي نزل
الكتاب اي ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال القران علي لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا وهو يتولى الصالحين ومن
عادته انه يتولى الصالحين من عباده والذين تدعون من دونه اي من دون الله تع
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا

عن نصرة غيرهم اعادة لبيان عجزهم لان الاول للتقريع والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاته بهم
فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لانها جماد لا تحس وليس هذا موضع اشتباه
بخلاف امر النظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الى من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم على الابصار فليس ما تراه على الحقيقة انما تكرر القول في هذا
وترددت الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك
الزمان ومستوليا على عقولهم فاطنب القول في ذلك من الله بهم خذ العفو اي السهل وما
تيسر من افعال الناس واخلاقهم من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم من التكاليف
من العفو الذي ضد الجهد او الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم ويتيسر لهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وأمر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال والاقوال والاحوال واعرض عن الجاهلين
ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واعرض عن المذنبين وهذه الاية جامعة
لمكارم الاخلاق وروي انه عليه السلام سأل جبريل عن معنى هذه الاية فقال اعط من حرمك وصل
من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وقيل لما نزلت هذه الاية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا رب كيف والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان
ان التي هي للشرط وما التي هي صلة زائدة والنون للتاكيد والنزغ الازعاج بالتحريك الى الشر اي
اعترض لك الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك بها فاستعذ بالله فاستعصم
به من الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم بمرامك كناية عن الاستجابة ان الذين اتقوا اي المؤمنين
المتقين الله اذا مسهم طائف من الشيطان اذا المهم وسوسة قيل كانه طاف بهم ودار حولهم
فلم تقدر ان تؤثر ومبناه الغفول عن دلالة المس على التاثر وقرئ طيف والطيف والطائف ما
الم بالانسان من عوارض الشيطان وقرئ طيّف بتشديد الياء قال الزجاج طاف الخيال يطيف
اذا الم به وطاف عليهم يطوف اي دار ومن جعل هذا من الطوف الواوي قال طيف اصله
طيّف بالتشديد ثم خفف كالهين والهيّن والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيها والاية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوب الاستعاذة عند نزغ الشيطان
وبيان ان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ والمام بوسوسة ان يستعيذوا ويتذكروا
قبل ان يصير خاطرا وجالت فيه النفس بالفكر واخوانهم يمدونهم اي اخوان الشياطين الذين

لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم
يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن
اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف عليه بثم المستعارة للتراخي في الرتبة ويجوز
ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول
اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا واذا لم تاتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا
لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتراء وتقولا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك
مفترى او هلا اخذتها مقترحة من جباه اذا جمعه او من جبى اليه فاجتباه اي اخذه قل انما
اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا
القران بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قد سبق
تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر ان القران بصائر وهدى ورحمة امر
باستماعه اذا شرع في قراءته وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على تلك
الاوصاف حري بان يصغى اليه حتى يحصل منه للمنصت المستمع هذه النتائج العظيمة فيستبصر
من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها وقيل نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا
باستماع قراءة القران والانصات له واطلاق الامر يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا
وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة وفيه اشكال اذ حينئذ يلزم الجمع بين معنيي الامر
ويمكن ان يقال انه جائز عند اختلاف المحل على ما ذهب اليه العراقيون من اصحابنا وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه خلفه فنزلت هذه الاية والخطبة
لم تكن الا بعد الهجرة بقي ههنا ابحاث دقيقة لابد من التنبيه عليها وهو ان الانصات
مقدمة الاستماع فحقه ان يقدم في الذكر وانما اخر ههنا اهتماما لشانه واخراجا له عن حيز
الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه مقصود بالذات ومامور به اصالة حتى لو كان
في مجلس القراءة نائيا عن القارئ فحقه ان ينصت وان لم يتيسر له الاستماع تعظيما لشان القران
واحرازا لاحدى الفضيلتين ولو قدم الانصات لتبادر الى الفهم ان الامر به لمصلحة الاستماع
فلا يجب بدونها واذكر ربك في نفسك عام في جميع الاذكار من القراءة والدعاء والتهليل
والتسبيح وغيرها لان الاخفاء في النفس ادخل في الاخلاص والخشوع تضرعا باللسان وخيفة
القلب مفعول من اجله اي للتضرع والخيفة او مصدران منصوبان على الحال اي متضرعا

لعلكم ترحمون

وخائفا

وخائفا ودون الجهر معطوف على قوله في نفسك اي ذكرا في نفسك وذكرا دون الجهر او على
تضرعا اي وقائلا قولا دون الجهر ولهذا جعل قوله من القول بيانا للجهر بالغدو والاصال
باوقات الغدو اي غدوات لمقارنة الاصال وهي جمع اصيل كالايمين والايمان وقيل جمعه الاصل
وجمع الاصل الاصال وقرئ بالايصال من اصل اذا دخل مع الاصيل وهما عبارة عن الليل
والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امر تعالى بالذكر اكد ذلك بالنهي عن ضده فقال ولا
تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى خاطبه عليه السلام والمراد نهي امته عنها بابلغ وجه اي لا تعدوا
بالغافلين لكن بالملائكة الذين لا يغفلون وذلك قوله تعالى ان الذين عند ربك هم الملائكة
المقربون وعند بيان قرب الكرامة دون المكان فان الله تعالى عن ذلك لا يستكبرون
عن عبادته كان الاستكبار مقدمة العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة
ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة بقوله ويسبحونه
والطاعة القالبية وهي الحالة التي يكون العبد فيها اقرب الى الله بقوله وله يسجدون وتقديم
له للاختصاص اي ويخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع

السجود لقراءته

الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصل الزيادة ومنه
نوافل العبادات وانما سميت الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة
والدعاء الى الله تعالى وعبارة عن حركة في ان السؤال سؤال الاستفتاء فالمطلوب بيان حكمها
وقرئ بدون عن فيكون السؤال سؤال الاستعطاء وما يشترطه الامام لمن يقتحم خطرا زائدا
على سهمه يسمى ايضا نفلا فالمعنى يسالك المقتحمين للخطر ما شرطت لهم وقرئ علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله
ورسوله يامر الله رسوله عليه السلام بقسمتها على مقتضى حكمته ويمتثل الرسول صلى الله عليه وسلم امره
فيها فيقسمها على حسب امره ليس لاحد فيها حكم وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر
انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا
نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم

وفيه تحازون اليها فنزلت وعلى هذا يكون ما شرع بالسنة منسوخا بالكتاب قبل
العمل به فلا متمسك فيه للشافعي رحمه في انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وعن ابن عباس
ان هذه الاية نزلت اولا فصارت الانفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا
انما غنمتم من شيء الاية فقسم الله ذلك الخمس لرسوله ولمن سمي فيها ويوافق هذا ما روي عن
سعد بن ابي وقاص رضه انه قال نزلت في هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل اخي
عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل
اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فخذه وعلى هذا يكون المعنى
الانفال للرسول ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم شانه عليه السلام والتنبيه على انه عليه السلام
يتصرف فيها على ما يرتضيه ويقتضيه الحكم فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا
متحابين متاخين في الله واصلحوا بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم
وتسليم امره الى الله والرسول ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي تقع بين الناس
اي ما بينكم من الاحوال ولما كانت ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة كقوله
عليم بذات الصدور اي مضمراتها من السرائر واطيعوا الله ورسوله في تفويض امركم اليهما
والتسليم لحكمهما ان كنتم مومنين ايمانا يعتد به فقد جعل التقوى وطاعة الله ورسوله
واصلاح ذات البين من لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان كمال الايمان موقوف عليها
حتى اذا فقدت كان كلا ايمان كما تقول لمن كنت من الرجال فاوف بعهدك تنبيها للزوم
الوفا للرجولية واللام في قوله انما المومنون اشارة اليهم والمراد الكاملون في الايمان
والدلالة عليه قوله اولئك هم المومنون حقا كان غيرهم ليسوا بمومنين حقيقة الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله فلا يخالفونه في امره
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة فيه وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي يقينا
وطمانينة نفس فان للايمان مراتب في القوة والضعف ورسوخ اليقين انما هو بتظاهر
الادلة وقيل لزيادة المومن به ويلزمه تخصيص الايات بالتي تليت اولا وقيل بالعمل

بموجبها على قول من قال بدخول العمل في الايمان ويلزمه تخصيصها بالتي يتعلق بالاعمال زيادة
على التخصيص الاول فتامل وعلى ربهم يتوكلون في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المومنين
بالايمان الكامل حقهم ان لا يفوضوا امورهم الا اليه ويسلموا تسليما الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في اول سورة البقرة اولئك هم المومنون قد جمع في الاية بين اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والزكوة لان الظاهر
عنوان الباطن والباطن اساس الظاهر وكما ان الثلاثة الاول اصول الاعمال القلبية وملاكها
فالاخريان اصول الاعمال القالبية وعيارها فهي مستتبعة لسائرها حقا مصدر موكد لما تقدم
اي حق ذلك حقا او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده لما تقدم من ثلاث
صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلاثة اشياء فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات
والقالبية بالغفران والمالية بالرزق الكريم قوله عند ربهم متعلق بالمعطوفين كما قيل في قوله تعالى
لم تكن امنت من قبل او كسبت وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام كما اخرجك ربك في محل الرفع
خبر مبتدا محذوف اي هذه الحال كحال اخراجك للحرب في كراهتهم اياها او في محل النصب صفة لمصدر
الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات
اخراج ربك من بيتك بالمدينة او للمدينة نفسها لانها في اختصاصها به من حيث انها مسكنه
ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم اياه بالحق صفة للمصدر اي اخراجا ملتبسا بالحق
وان فريقا من المومنين لكارهون حال اي اخرجك في حال كراهتهم وفيه دلالة على ان كراهة الاخراج
انما كانت من بعضهم وسبب اخراجه ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون
راكبا فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل
السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ببدر فيتسامع جميع العرب
بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا اعصصنا فمضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه
لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل جبريل بالوعد باحدى

الطائفتين اما العير واما النفير فاستشار فيه اصحابه رض فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة يطلب من كتاب السير
يجادلونك في الحق يحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير في لكارهون ويحتمل ان يكون استيناف
اخبار وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير ولو عرفنا لاستعددنا للقتال والحق ههنا نصرة دين
الاسلام بالجهاد بعد ما تبين اى بعد تبينه باعلام الرسول انهم ينصرون وهذا ابلغ في الانكار
لجدالهم كانما يساقون الى الموت حال اى يجادلونك مشبهين من يساق الى الموت وهم ينظرون
حال من ضمير يساقون شبه حالهم في شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم وعددهم بحال من يساق
بالذل والصغار الى القتل المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعد وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكانوا يكرهون النفير
لشوكتهم بكثرة العدد وعدة العدد والشوكة الحدة استعيرت في الاصل من واحد الشوك
فغلبت في كل قوة وحدة ومنه شاك السلاح ويريد الله ان يحق الحق اى يثبته ويعليه
بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة او باوامره للملائكة بالنزول لنصرتهم وبما قضى وقدر من
قتلهم واسرهم وقرئ بكلمته اى بامره ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والدابر الآخر من دبر اذا
ادبر واذا قطع آخرهم لم يبق منهم احد والمعنى انكم تتمنون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها وهو
من سفساف الامور والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما فيه فوز الدارين وهو من معالي
الامور ليحق الحق ويبطل الباطل متعلق بمحذوف اى فعل ذلك ويجوز ان يكون متعلقا بيقطع ويجب
ان يقدر الفعل موخرا ليفيد معنى الاختصاص وانه ما فعل الا لذلك وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك الجملة في موضع الحال اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ليحق الحق واستغاثتهم
انهم لما علموا انه لا بد من القتال اخذوا يدعون الله يقولون اى رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا فاستجاب لكم انى ممدكم اصله بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب وقرئ
انى بالكسر اجرا للفعل مجرى القول بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال من اردفه اذا تبعه اى متبعين
بعضهم بعض المؤمنين ليحفظوهم او انفسهم المؤمنين او يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او

من اردفه اذا جئت بعده اى متبعين بعضهم بعضا او متبعين المؤمنين وقرئ بفتح الدال
بمعنى متبعين اى كانوا مقدمة الجيش ومتبعين اى كانوا ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالالف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه القراءة على
التوحيد اذا لم يفسر الارداف باتباع آخرين ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم والباقي اتباع لهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار
تدل عليها والظاهر من قوله وما جعله الله اى الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وعدم عدتكم انهم لم يكونوا تاركين للقتال وللمخالف ان يقول ان الضمير
في جعله لقوله انى ممدكم فلا ينافي ان يكون نزولهم للقتال والله اعلم بحقيقة الحال وقوله ولتطمئن
عطف على بشرى من جهة المعنى والمراد به مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع كما في قوله
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فالمعنى الا لبشارتكم ولطمانينة قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من
الملائكة ولا من المقاتلة اى وما النصر بالملائكة وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور
من نصره الله ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم في اقواله وافعاله اذ يغشاكم النعاس بدل ثان
من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعل او
باضمار اذكر وقرئ بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل هو الله تع وقرئ يغشاكم بفتح
اليا ورفع النعاس من غشي والنعاس ابتدا حال النوم قبل الاستقلال امنة مفعول له من جهة
المعنى فان قوله يغشاكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله
منه صفة لامنة اى امنا لكم حاصلا منه تع ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي
وان يجعل على القراة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه ولانه كان من حقه
ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تع لولاها لم يغشهم
كقوله * يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود * والمعنى تنعسون في
وقت كان بكم من الخوف ما يمنعكم من النوم فامنكم الله فنعستم لامنكم وقرئ امنة كرحمة وهي
لغة فيه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز
الشيطان اى الجنابة فانها من تخييله ووسوسته اليهم وتخويفهم من العطش والجنابة
وذلك ان الشيطان تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في

كثيب احمر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم
على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا
اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فاشفقوا فانزل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي
واتخذ رسول الله واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وليربط على قلوبكم اي يشدها ويقويها بالسكون وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب
ويثبت به الاقدام اي في مواقف الالتقاء للقتال والضمير في به للربط فان القلب اذا قوي
باليقين والوثوق بالله تعالى ثبت القدم في المعركة وح يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر
وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كعدم الفصل بين التطهير والاذهاب المذكورين
قبل هذا وقيل للمطر فانه يتلبد الرمل فلا تسوخ القدم فيه ويرد عليه انه ح لا يكون الثبوت
من لوازم الربط فحقه ان تعاد فيه اداة التعليل اذ يوحي ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق
بيثبت اني معكم اعينكم في تثبيت المؤمنين وهو مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر اجراء للوحي
مجرى القول فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقاء
الرعب في قلوب الاعداء او نوع اخر من الاعانة والرعب الخوف الذي يملأ القلب من قولهم
رعب السيل الوادي اذا ملأه او يقطع القلب من ترعيب السنام وهو تقطيعه فاضربوا
فوق الاعناق اعاليها اي المذابح او الرؤوس والهامات واضربوا منهم كل بنان اي الاطراف
اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم وزاد هنا عبارة كل المتعدد في الاطراف والمراد
استيفاؤهم بالقطع امر الملائكة بان يقتلوهم على وجه لا يقدرون على من قصد اسرهم وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن انكره قال قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين لهم معنى تثبيتهم
كانه قال لهم قولوا للمؤمنين قولي هذا او تفسير للخطاب بان يكون فثبتوا الذين امنوا
خطاب الملائكة والباقي خطاب المؤمنين ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اشارة الى ما اصاب
الكفار من القتل والعقاب بسبب مشاقتهم لله تعالى وللرسول عليه السلام والخطاب للرسول
او لكل احد وهو مبتدأ لدلالته على فظاعة الامر والمشاقة مشتقة من الشق لان كل واحد
من المتعادين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وكلاهما

الى جانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد لهم بما اعد
لهم في الاخرة بعدما حاق بهم في الدنيا بسبب المشاقة ومن شاق فلا يقتصر على هذا فان الله
شديد عقابه في الاخرة والخطاب في قوله ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات وهو رفع بالابتداء
او الخبر اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم او نصب بفعل يفسره فذوقوه قوله فذوقوه الفاء عاطفة اي
ذوقوا ذلكم فذوقوه او باشروا وقيل او عليكم ذلكم ولا وجه له لان عليكم من اسماء الافعال لا تضمر
وهذه الجملة تاكيد وتقرير لما سبق لان الاولى دالة على استحقاقهم العذاب العاجل مع العذاب
الاجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة يسيرا سمي ما اصابهم فيه ذوقا لان الذوق
يعرف بالطعم وهو يسير وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم رفعا ونصبا ويجوز ان
يكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع العذاب الاجل
الذي لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل
او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ولما كانت النار اعدادها للكفار على النطق
به في قوله تعالى اعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور المفيد لاختصاص عذابها المعد لهم بها يا ايها
الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي
يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر فلا
تولوهم الادبار كناية عن الفرار ولا يلزمه الانهزام على ما افصح عنه الاستثناء الاتي ذكره اي اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر لتغرير العدو وهو من باب خدع
الحرب ومكائدها يخيل للعدو انه منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا منحازا الى فئة اي جماعة اخرى
من المسلمين على القرب منه لما روي ابن عمر رض انه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة
استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا
فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز يقال حاز الشيء
اي ضمه وجمعه والحيز مجمع القوم فيعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم والدخول في جملتهم وهو
تفعيل من الحيز والفئة الجماعة المنقطعة عن غيرها من الفاء وهو قطع الراس بالسيف وان
جعل زحفا حالا من المؤمنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم حنين وحين تقدم نهي

تولوا مدبرين وهما اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه فقد باء بغضب من الله
اي استوجبه ومأواه جهنم هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم
الاية وقيل هذه الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب وبئس المصير اي جهنم
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وامداد الملائكة والقاء الرعب في قلوبهم وتقوية قلوبكم وهو
كالتعليل لما تقدم من النهي عن الانهزام بسبب كثرة العدو وروي انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول
الرسول كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه
فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول القائل
قتلت واسرت فنزلت الاية صيانة لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله هو الذي هيأ لهم هذه
الاسباب وكذا الحال في الخطاب الاتي ذكره وقيل الفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما باه عطف قوله وما رميت اذ تلك الرمية العجيبة اي ما اد
رميت لانك لو رميتها لما زاد تأثيرها على تأثير رمي البشر ولكن الله رمى حيث اثرت ذلك الاثر العظيم
اثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها
الذي لا يقدر عليه البشر فعل الله تعالى فكان الله فاعلها على الحقيقة لا الرسول والفعل قد يطلق ويراد
به مسماه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه اي غايته مجازا وليبلي المؤمنين ولينعم عليهم
منه بلاء حسنا انعاما جميلا اي وللانعام على المؤمنين ذلك الانعام العظيم بالنصرة والغنيمة
ومشاهدة الايات فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم واستغاثتهم عليم
باحوالهم ونياتهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي المقصود ذلكم او الامر ذلكم وان الله
موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين الكافرين وقرئ ان
بالفتح اي ولان الله معين للمؤمنين كان ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا
اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا للمحاربة
نعد لنصرته عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء ولو كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة كذا قالوا ويشكل هذا بيوم احد فانهم عادوا فيه
للمحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر

وان

وان تنتهوا عن التثاقل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى
التثاقل نعد بالانكار ولن تغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن معكم بالنصر وان الله مع الكاملين ايمانا
ويؤيد هذا حسن الالتيام مع قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا
تتولوا عن الرسول فان المراد الامر بطاعته عليه السلام والنهي عن الاعراض وذكر الله تمهيد لاختصاص
الرسول صلى الله عليه وسلم به كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وفيه تنبيه على ان طاعة الله
وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يرجع الضمير في عنه الى الامر
بالطاعة اي ولا تتولوا عن هذا الامر وانتم تسمعون اي تسمعونه او تسمعون القران والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين ادعوا السماع وهم لا
يسمعون لانهم ليسوا بالمصدقين فكانهم غير سامعين اصلا والمعنى انكم تصدقون القران والنبوة فاذا
توليتم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور كقسمة الغنائم كان تصديقكم كلا تصديق
واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ان شر الدواب عند الله شر من يدب على وجه الارض او شر البهائم
الصم البكم الذين لا يعقلون قدم تفسيره في سورة البقرة جعلهم كالبهائم في عدم انتفاعهم بالمشاعر
والجوارح ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا به عنها ولو علم الله فيهم خيرا اي شيئا من
جنس الخير لاسمعهم سماع تفهم اي لا يسمعهم لانه لا يجدي فيهم نفعا فقوله ولو اسمعهم لتولوا اي لم ينتفعوا
به تقرير وتاكيد له فهو من قبيل على ما قبله باعتبار المعنى التولي قد يكون للتردد والتدبر فقوله وهم
معرضون تاسيس لا تاكيد يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير
لان دعوة الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وقصد التمهيد باباه اعادة الصلة لما يحييكم
من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته فالجاهل ميت وان لم يدفن بهيئة قبر دونه به
كفن وقيل الجهاد الكفار لانهم لو تركوه لغلبوهم وقتلوهم فهو سبب حيوتهم كقوله ولكم في
القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم المراد بالاستجابة الطاعة واعلموا ا
لمزيد التاكيد اي ان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فعجلوا بالاستجابة قبل ان يحدث الله في
قلوبكم ما يشغلها عنها ويمنعكم عن الامتثال بالامر وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم
على النقير والقطمير من اعمالكم واحوالكم قالبية كانت او قلبية وفيه زيادة تحذير عن التقصير
بالتاخير واشير الى هذا في قوله عليه السلام عجلوا بالصلوة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت

ان الله يحول بين المرء وقلبه
تحذير عن تاخير الاستجابة
وزيادة واطلاعه

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اراد بالفتنة الظلم الفاحش بقرينة الذين ظلموا والتنكير الدال على التكثير لا تصيبن جواب الامر اى ان اصابتكم لا تصيبن الظالمين خاصة بل تعم الطالح والصالح ثم تكون للظالم عقوبة ولغيره كفارة والنون لتضمنه معنى النهي والتاكيد بها للمبالغة فى النهي ومن للتبعيض قال ابن عباس رضه هذا فى ترك الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب الفسقة بفسقهم وغير الفسقة بتركهم الامر بالمعروف وهذه الفرقة ايضا وان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا من الذين ظلموا اى باشروا الظلم او نهي بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او وبال الذنب من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول اى فتنة مقولا عندها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط ومن على هذين الوجهين للتبيين ويعضد الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف وفى تقييد الظالمين منكم فى الوجهين الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب وعيد شديد وفى زيادة اعلموا مزيد تهديد واذكروا واخطروا ببالكم اول حالكم اذ انتم قليل قيل فى اول الاسلام قبل ان يكملوا اربعين وقيل قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين مستضعفون فى الارض مقهورون فى ارض مكة لم يقل ذليل مع ما فيه من حسن الازدواج بقليل تفاديا عن اطلاقه على من هو عزيز بعز الاسلام وقيل الخطاب لعامة العرب لانهم كانوا مغلوبين لاهل فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة فآواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة الانصار بامداد الملائكة يوم بدر وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش يكون المعنى فآواكم الى الحرم ويؤيده قوله تع اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعلى المعنى الاخر يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الخون النقص كما ان الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل فى مقابلة الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان وذكر الله للتمهيد وخيانتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بان يضمروا خلاف ما يظهرون او بالغلول فى الغنائم روى انها نزلت فى ابى لبابة رضه وقصته مذكورة فى كتب التفاسير وتخونوا اماناتكم فيما بينكم اى لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم داخل فى حكم النهي او نصب باضمار ان كقوله وتكتموا

الحق وانتم تعلمون انكم تخونون اى وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب او محنة وبلاء فلا يحملنكم حبه على الخيانة كابى لبابة وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود الله وهى من جملة ما نزل فيه وان الله عنده اجر عظيم ان تؤثروا حب الله على حبهم وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على حب المال والولد وفى قوله عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية ونورا فى قلوبكم وتوفيقا وشرحا لصدوركم تفرقون به بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه ومنه قوله تع يوم الفرقان او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم فى اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سياتكم صغائر ذنوبكم اراد بالكفارة الازالة ولذلك قال عنكم وهى بالحسنات لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم ذنوبكم كبارها والغفر الستر ضمنه معنى الرحمة ولذلك قال لكم وكنى به عن العفو والتجاوز عنها وذلك بالاستغفار والشفاعة والله ذو الفضل العظيم باللطف الموافى فى الدنيا والاحسان الباقى فى دار القرار لما عرفت ان العبد اعطى جزاء حسناته بازالة سيئاته فكان ما وصل اليه من اللطف والاحسان فضلا من الله ووعده على التقوى ايضا تفضل لاطلاق الاجر على ما وعده فى مقابلته بطريق الاستعارة واذ يمكر بك الذين كفروا ذكره عليه السلام ما مكر به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عليه فى انجائه من مكرهم وتسليطه عليهم اى واذكر وقت مكرهم بك وتسليطه وتفصيله مذكور فى كتب التفاسير ليثبتوك ليحبسوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك من البيات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء المكائد له ويمكر الله باخفاء ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او بمجازاة الماكرين معهم حيث اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا قيل واسناد المكر الى الله تع للمزاوجة والمشاكلة ولا يجوز اطلاقها عليه تع ابتداء لما فيه من ايهام الذم وكان هذا القائل غافل عن قوله تع افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم

ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل هو قول النضر بن الحارث وهو كان موسوا بينهم
بالنبل والفهم فكان اذا قال له كثير منهم واتبعوه عليه كما يفعله الناس فذا تبعلمآتهم ان هذا الا اساطير
الاولين اسطره الاولون من القصص قد سبق ما يتعلق بالاساطير واذ قالوا اي واذكر اذ قالوا
وهذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما اي ان كان القران حقا منزلا فامطر علينا حجارة خاصة عقوبة لنا على انكاره والمراد
التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا في الانكار واظهار الجراة فيه جحد القران
اولا بان جعله مثل كلامهم وسماه اساطير الاولين ثم بالغ في الجحود بشبهة جعلها كالدليل
على بطلانه زاعما انه برهان وهو لو كان حقا لاستحق منكره العقاب لكنا لم نعاقب بانكاره
فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا لا فصل وفائدة التعريف انه ان كان هو
الحق الذي يدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من انه كلام الله منزل عليه لانه لم ينكروا
كونه مطابقا للواقع كالاساطير وفائدة التقييد بكونه من السما مع ان الامطار لا تكون
الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب وهي السجيل فوضعت حجارة من السما موضعه
ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع من عذاب اليم سواه اشارة الى ان السجيل نوع
اليم من العذاب وما كان الله اي ليس في عادته تع ليعذبهم وانت فيهم بيان لسبب
امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم حال
كون النبي عليه السلام فيهم غير جائز في الحكمة لان سنة الله جارية ان لا يستاصل قوما بالعذاب
ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله وما
لهم الا على اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا
فارقتهم وما كان الله معذبهم لما كانت كينونته عليه السلام فيهم سببا لانتفاء تعذيبهم
اكد خبر كان باللام على راي الكوفيين او جعل خبر كان الارادة المنتفية على راي البصريين
وانتفاء الارادة للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان استغفارهم دون تلك
الكينونة الشريفة لم يوكد باللام فشتان ما بين استغفارهم وكينونته عليه السلام
فيهم وهم يستغفرون حال لقوله وانت فيهم والمراد باستغفارهم اما استغفار
من بقي فيهم من المومنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا

كقوله

كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما
يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم
ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية فقد كان بعد قتل النضر ونظرائه فلا انتظام له مع ما سبق الكلام له في هذا
المقام وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون الذين لا
يعبدون فيه غيره اي ما استحقوا لولاية البيت وما حظ لهم منها لانها مخصوصة بالمتقين
من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فكيف بالمشركين من اعداء الدين ولكن اكثرهم لا يعلمون ح
ان لا ولاية لهم عليه نبه بالاكثر على ان فيهم من يعلم ذلك ولكن يعاند لما ينفي عنهم ان يكونوا
من ولاة البيت ذكر من يعلمهم القبيح ما يوكد ذلك وان من كانت صلوته ما ذكر لا يستاهل
ان يكونوا اولياءه وما ذكر بقوله وما كان صلوتهم عند البيت من جملة موانع استحقاقهم
للولاية وموجبات استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم يصدون والمراد بصلوتهم ما يضعون
موضعها ويسمونه صلوة وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم الا
مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من
الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف باليا يعني انهم يضعون الصفير والتصفيق
موضع الصلوة ولهذا اورد قوله فذوقوا العذاب بفا السببية اي بسبب هذا الكفر ذوقوا
وباله في الدنيا والمراد عذاب القتل والاسر يوم بدر والظاهر ان تكون اللام للعهد والمعهود
ما ذكر في قوله او ائتنا بعذاب اليم ووضعهم المكا والتصدية موضع الصلوة انهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة الرجال والنسا وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون
عليه ويرون انهم يصلون ايضا بما كنتم تكفرون اتى بصيغة المضارع وزاد عليها عبارة
كنتم للدلالة على الاستمرار التجددي والمراد ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكا والتصدية
مكان الصلوة ولا يجوز ان يكون المراد من العذاب عذاب الاخرة لان الفا تاباه وذلك
لان السببية للعذاب مطلقا قد استفيدت من الباء والفا انما تفيد اذا كان ذلك العذاب
السبب ما ذكر معجلا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله عن دينه

واتباع رسوله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم عشر جزر وقيل في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية وقيل في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قالوا لكل من له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا فسينفقونها فائدة تكرار ذكر الانفاق ان مساق الاول لبيان الغرض منه والثاني لبيان عاقبته ومآل امره وان غرضهم لا يحصل منه ويعقب الخيبة هذا ما قالوا ويأباه زيادة السين في الثاني وترتيبه بالفاء على الاول وكذا يأبى هذا الاخير حمل الاول على ما كان في يوم بدر والثاني على ما كان في يوم احد فالوجه ان يحمل الاول على عزمهم على الانفاق والثاني على وقوعه عن قريب متفرعا على ذلك العزم ثم تكون عليهم حسرة لاستلزام انفاقهم الاموال ندامة وسرعة انقلابه اليها كان ذاتها تصير ندامة مبالغة والحسرة غم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة وذكر الغم يسمى ندامة واصلها الكشف من قولهم حسر عن ذراعيه والحاسر ضد الدارع ثم يغلبون ثم لا يبقى حالهم على الندم والحسرة لفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصير آخر الامر الى المغلوبية التي هي ضد الحالة التي قصدوها فرحون حلفاؤه وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين قبل ذلك سجالا ومعنى ثم في الموضعين غاية بعد ما بين غرضهم في الانفاق وبين الحصل منه ويقع بعده والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر اذ اسلم بعضهم وحسن اسلامه الى جهنم خاصة يحشرون يجمعون بالسوق من جهات متعددة وفائدة تقديم الجار والمجرور دفع وهم القرار في محل آخر ليميز الله الخبيث من الطيب اي الفريق الكافر من الفريق المؤمن ويجعل الخبيث اي الكافر بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعهم ويضمهم حتى يتراكموا لكادوا يكونون عليه لبدا اي لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم جعل الكفار في الانضمام والازدحام والاجتماع في النار شيئا مركوما كالحطب مرتكب بعضه على بعض مجموع ملقى في جهنم مبالغة او المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون في نصرته فيجمع الخبيث الذي انفقه المشركون فيجعله في جهنم من جملة ما يعذبون به كمال الكافرين واللام في قوله ليميز على الاول متعلق بيحشرون او بيغلبون وعلى الثاني بيكون وقرئ ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز اولئك اشارة الى الفريق الخبيث على الاول والى الذين كفروا على الثاني ومن قال او الى المنفقين فكأنه غفل عن ان منهم من اسلم وحسن اسلامه هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم

قل للذين كفروا والمن بقي من كفار قريش بعد من قتل منهم ببدر واللام للتبليغ ان ينتهوا عن معاداة الرسول وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم لان الاسلام يجب ما قبله وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين تعليل للجواب اقيم مقامه والتقدير وان يعودوا انتقمنا منهم واهلكناهم فقد مضت سنة الاولين في انا انتقمنا منهم واهلكناهم بتكذيب انبيائهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله بان تضمحل الاديان الباطلة كلها ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عما يجب الانتهاء عنه والفاء للترتيب على ما تقدم فان الله بما يعملون بصير تعليل لما تضمنه الجواب من عدم التقصير في المجازاة تقديره فيجازيهم على الامتثال ولا يضيع نقير وقطمير من الترك والاعمال وقرئ تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصير يجازيكم عليه ويكون تعليقه بان انتهوا على الغيبة للتغليب اي انه بصير بعملكم وعملهم فيثيبكم جميعا ويجازي كلا بحسب عمله ومن وهم ان انتهائهم للتسبب فقد وهم وان تولوا عن الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم وثقوا بولايته وفي زيادة اعلموا المتضمنة الدلالة على تنزيلهم منزلة الجاهل نكتة خطابية تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام مزيد تهييج لهم على ذلك نعم المولى هو فلا يضيع من تولاه ونعم النصير فلا يغلب من ينصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء اي من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط والخيط وتصدير الكلام بقوله اعلموا لزيادة الاهتمام فان لله خمسه دخلت الفاء في خبر ان لتضمن العموم الذي دل عليه ما في معنى الشرط وان لله في موضع رفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره فالحكم ان لله خمسه والجمهور على ان ذكر الله للتمهيد لذكر الرسول وما عطف عليه تعظيما وتخصيصا للمعطوفين به كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به تفضيلا لهم على غيرهم وليس المراد من قوله اعلموا مجرد العلم يستوي فيه المؤمن والكافر بل العلم المستلزم للعمل فان المقصود بالذات من العلم العمل اذا امر به هو العمل والعلم مقصود بالعرض وهو متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي اجعلوا الخمس لله واجبا به للتقرب اليه فاقطعوا اطماعكم عنه واصرفوا الى من عين من المخصوصين به واقتنعوا بالاخماس الاربعة والحكم باق الا ان سهم الرسول يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة سقط سهمه عليه السلام بوفاته وسهم ذوي القربى لانهم استحقوه بالنصرة والمظاهرة

ح وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعند مالك يفوض الى راى الامام يصرفه الى ما يراه اهم
وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة معطوف على بالله وقرى عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين
يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار واليوم الاول
بمعنى الوقعة والثانى بمعنى الوقت والله على كل شىء قدير ختم بصفة القدرة لانه تعالى ادال المؤمنين على
قلتهم على الكافرين على كثرتهم ذلك اليوم اذ انتم اذ بدل من يوم التقى الجمعان بالعدوة الدنيا القربى
يعنى من المدينة والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقرى بها والمشهور الضم والكسر وهم بالعدوة
القصوى البعدى تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو يا كالدنيا والعليا وكذا كل فعلى من بنات
الواو تفرقة بين الاسم والصفة فجا على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اى العير وقواده اسفل منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل نصب على الظرف وهو مرفوع
المحل لانه خبر مبتدا والجملة حال من الظرف قبله وفائدة التقييد به وتعيين مراكز الفريقين بيان للحالة
الدالة على شوكة الكفار وعدة غلبتهم واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم فى مثل هذه الحالة ليس الا تائيدا من الله ونصره ليعلموا
ان الحول والقوة والقدرة كله لله وان الفتح كان صنعا الهيا من خوارق العادات فيزدادوا
ايمانا وثقة وذلك ان مركز المؤمنين كان ايضا رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا المشى الا بتعب
ولم يكن بها ما بخلاف العدوة القصوى ويقربه قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى ولو
تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالهم فى الكثرة والقوة والشوكة وتمهد العدة وحالكم فى القلة والضعف
وعدم اسباب الظفر لاختلفتم انتم تهيبا منهم ويأسا من الظفر عليهم وظنا بالمغلوبية ولكن دبر الله ذلك
حيث وعد احدى الطائفتين مبهمة واخرجكم راغبين فى العير واخرجهم ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب
وجمع بينكم وبينهم على هذه الحالة ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا واستعير
الهلاك للكفر والحيوة للاسلام كما يستعار الموت والحيوة للجهل والعلم اى ليكون كفر من كفر عن وضوح
بينة حتى لا يبقى عند الله معذرة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين بانه دين الحق الذى يجب الدخول
فيه والتدين به وذلك ان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه مغالطا لها وقرى وحيى باظهار التضعيف لموافقة مستقبله وان الله لسميع عليم بكفر من

كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه والجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله فى منامك قليلا بدل ثان من يوم الفرقان او نصب باضمار اذكر او بقوله عليم اى
سميع باحاديث نفوسكم فى كراهة القتال عليم بتدابير اموركم وتسوية مصالحكم اذ يريكهم فى نومكم
قليلا اراهم الله اياه فى رؤياه قليلا فاخبر به اصحابه فثبتهم ذلك وشجعهم على عدوهم ولو اراكهم كثيرا
لفشلتم الفشل ضعف من الوجل لم يقل لفشلت لانه عليه السلام كان معصوما من النقائص فاسند
الفشل اليه عليه السلام على طريقة التغليب رعاية لجانبى الكلام والمقام ولتنازعتم فى الامر امر القتال
وتفرقت اراؤكم بين الفرار والقرار والتنازع الاختلاف الذى يحاول كل واحد منهما نزع الاخر عما
هو عليه ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع وعصمكم منهما انه عليم بذات الصدور
ما سيكون فيها من الجبن والجراءة والصبر والجزع وما يعرض لها واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم
قليلا حتى قال ابن مسعود رضى لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا
الرسول وفيه نظر والضميران مفعولا يرى وقليلا نصب على الحال ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل
ان محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
بعده حتى راوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر حدتهم وشوكتهم وذلك من عظائم ايات تلك الوقعة
وليس هذا التفاوت فى الابصار مع تساوى الشروط الا بخرق العادة ليقضى الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على وجه المحكى وهاهنا اعزاز الاسلام
واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور فلا راد لقضائه ولا تغيير لتقديره يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم اى حاربتم فان اللقاء مما غلب فى القتال فئة الانقطاع معتبر فى مفهوم الفئة
اصلها من فأوت راسه بالسيف اذا قطعته والجماعة المنقطعة عن المؤمنين كفار او بغاة ومن
لم يقف على هذه الدقيقة الانيقة قال لم يصفهم لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين لذكره ومترقبين لنصره لعلكم
تفلحون تظفرون بالنصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان يداوم على ذكر الله خصوصا
عند الشدائد ليجتمع همه ولا يتوزع باله ويتشجع قلبه ويطمئن بالتوجه نحوه ويستمد منه فيتايد
ويستظهر بقوته وحوله واطيعوا الله ورسوله باتفاق الكلمة ولا تنازعوا باختلافها تنازعكم
باحد فتفشلوا النصب باضمار او جزم داخل فى حكم النهى وقرى وتذهب ريحكم بالتاء والنصب
عطفا على الاول وبالياء والجزم على الثانى اى تذهب دولتكم على ان الريح مستعارة للدولة

شبهت فی تمشی امرها ونفاذه بالریح فی جریها وهبوبها یقال هبت ریاح فلان اذا دالت الیه
الدولة ونفذ امره ومنه قول علی رض ولا خیر فی ود امرئ متلون اذا الریح مالت مال حیث تمیل وقیل
ذهاب الریح علی ظاهره فانه لم یکن نصر قط الا بریح یبعثها الله کما قال علیه السلام نصرت بالصبا
واهلکت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرین بالکلاءة والنصر ولا تکونوا کالذین
خرجوا من دیارهم یعنی قریشا حین خرجوا لحمایة العیر بطرا البطر سوء احتمال الغنی ومن اثاره
الفخر والاشر ورئاء الناس لیثنوا علیهم بالشجاعة والسماحة نزلت فی ابی جهل واصحابه خرجوا
من مکة لنصرة العیر بالقینات والمعازف فنهی الله المؤمنین ان یکونوا مثل هؤلاء بطرین
طربین مرائین باعمالهم وبلزمه الامر بالتقوی والاخلاص بنا علی ان النهی عن الشیء یستلزم الامر
بضده واما قیل وذلک انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابی سفیان ان ارجعوا فقد سلمت
عیرکم فقال لا والله حتی نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علینا القیان ونطعم بها من
حضرنا من العرب فوافوها ولکن سقوا کاس المنایا وناحت علیهم النوائح فالصلح وجهاد خروجهم
من مکة بطرین ومرائین بطرا ورئاء نصب علی الحال او المفعول لهما ویصدون عن سبیل الله
عطف علیهما حالین مطلقا ومفعولا لهما علی تاویل المصدر ای وصدوا عن سبیل الله والله
بما یعملون محیط ای عالم به فیجازیکم علیه وعید وتهدید لمن بقی من الکفار واذ زین لهم الشیطان
منصوب باذکر اعمالهم التی عملوها فی معاداة الرسول صلی الله علیه وسلم وقال لا غالب لکم
حین لا غالب ای کائن لکم او صفة ولیس صلة بمعنی لا غالب ایاکم والا لکان منصوبا کقولک
لا ضاربا زیدا عندنا الیوم من الناس وانی جار لکم والجار هو المجیر الذی یعطی الخائف الامان
روی عن ابن عباس ان المشرکین تخوفوا من بنی بکر بن کنانة اذ کانوا قتلوا منهم قتیلا فلم یامنوا
یوم خروجهم الی بدر ان یاتوهم من ورائهم فتصور لهم ابلیس بصورة سراقة بن مالک وهو
من بنی بکر وقال انا جارکم من بنی بکر فرکنوا الی قوله وسار وهو معهم حتی اذا التقی المسلمون
والکفار اسلمهم مسلم وتبرا منهم ولما نکص علی عقبیه اخذ الحارث بن هشام بیده فقال الی
هذه الحالة تخذلنا قال انی اری ما لا ترون قال الحارث والله ما نری الا جعاسیس یثرب قال انی
اخاف الله قال الحارث فهلا کان هذا امس فدفع فی صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس
فلما قدموا مکة قالوا هزم الناس سراقة بن مالک فقال بلغنی انکم تقولون انی هزمت الناس فوالله
ما شعرت بمسیرکم حتی بلغتنی هزیمتکم فقالوا اما اتیتنا یوم کذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلک

کان الشیطان وذهب بعضهم الی ان التزیین فی هذه الایة وما بعده من الاقوال بالوسوسة
والمحادثة فی النفوس ولا یخفی ضعفه فان قوله وانی جار لکم لیس مما یلیق بالوسوسة وکذا النکوص
علی عقبیه وما بعده من الاقوال لیس مما یلیق بها فلما تراءت الفئتان تراءت تفاعلت من الرؤیة
ای رای کل من الفریقین الاخری وهذه الحالة قبل الالتقا نکص علی عقبیه لیبان انه انهزم علی
اسوا الحال وقال انی بریء منکم انی رجعت عما کنت ضمنت لکم من الامان انی اری ما لا ترون
تعلیل للبراءة قاله حین رای امداد الملائکة کانه یقول انی کنت مجیرکم من الناس ضمنت لکم الغلبة
علیهم ورای ابلیس من جنسهم جاء المحاربتکم انی اخاف الله ای اخاف عقابه علی ایدی من اراهم
ولا ترونهم انتم قال قتادة وابن الکلبی ان هذه معذرة کاذبة ولم تلحقه قط مخافة وقال الزجاج
وغیره بل خاف مما رای من الامر وهوله انه یومه الذی انظر الیه والله شدید العقاب لا یرد
عقابه شیء ولا یقاوم والظاهر انه من کلام اذ علی تقدیر کونه مستانفا یکون تقریر المعذرة
ولا یقتضیه المقام فیکون فضلة فی الکلام اذ یقول المنافقون بالمدینة والذین فی قلوبهم
مرض والذین لیسوا بثابتی الاقدام فی الاسلام بل کانوا علی حرف وعن الحسن هم المشرکون ویحتمل ان
یکون صفة للمنافقین والواو للجمع بین الصفتین ای الجامعون بین النفاق والشک غر هؤلاء
دینهم حیث تعرضوا لما لا یدان لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الی زهاء الف
ومن یتوکل علی الله جواب لهم فان الله عزیز غالب لا یذل من استجار به وان قل ویتسلط
بتاییده علی الکثیر القوی حکیم یفعل بحکمته ما یستبعده العقل ویعجز عن ادراکه ولو تری ولو رایت
فان لو ترد المضارع ماضیا کما ترد ان الماضی مضارعا وانما عدل عن الماضی الی المستقبل لتصویر
الحال الماضیة بالاستحضار استفظاعا لها اذ یتوفی الذین کفروا الملائکة ببدر واذ ظرف
والمفعول محذوف ای ولو تری الکفرة او حالهم حینئذ والملائکة فاعل یتوفی ویدل علیه قراءة
تتوفی بالتاء والاصل فی القرائن التوفیق بینهما مهما امکن فلا وجه لما قیل ویجوز ان یکون
الفاعل ضمیر الله وهو مبتدا خبره یضربون فی وجوههم والجملة حال من الذین کفروا واستغنی
فیه بالضمیر عن الواو وهو علی ما ذکرنا حال منهم او من الملائکة او منهما لاشتماله علی الضمیرین
وادبارهم ظهورهم واستاههم ولکون الخزی والنکال فی ضربها اشد ویجوز ان یکون تعمیم
الضرب لما اقبل منهم وما ادبر وحذف جواب لو للتفظیع والتهویل ای لرایت امرا عظیما
لا یمکن وصفه وذوقوا عذاب الحریق ای ویقولون ذوقوا عذاب النار فان الحریق اسم النار

قيل كانت مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار ذلك الضرب والعذاب بما
قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو ضر لذلك يحتمل ان يكون من كلامهم وان
يكون من كلام الله تع وان الله ليس بظلام للعبيد جملة حالية لتقرير ما فهم مما سبق من ان ما يفعل
بهم انما يفعل جزآء بما كسبوه فيكون عدلا محضا ولو قيل ليس بظالم لكان ابلغ والعدول عنه الى
صيغة المبالغة للتنبيه على ان شانه تع ليس بظالم اصلا ونفي مبالغة الظلم لا يستلزم نفي اصله
بل ربما يوجب اثباته بدليل الخطاب وبرجوع النفي الى القيد لا يندفع بما ذكر اذ المعنى ح نفي ظلمه
تع عن الكل ولا يلزمه نفيه عن كل واحد فان رفع الايجاب الكلي لا ينافي الايجاب الجزئي وقيل ان
الله عطف على ما قدمت اي ذلك العذاب بسببين بسبب ما كسبوا وبسبب ان الله ليس بظلام
لان تعذيب الكفار من العدل ويرد عليه انا سلمنا ذلك لكن ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم بل فضل فلا ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وقيل ان العطف المذكور للدلالة على ان
سببية مقيدة بانضمامه اذ لولاه لامكنه ان يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه ان الحاجة الى ما ذكر لانحصار
السببية فيما كسبوا بحيث لا يكون التعذيب بسبب اخر محتملا وذلك غير مستفاد من الكلام
وليس بمقتض للمقام كداب ال فرعون الكاف في محل الرفع اي داب هولا مثل داب ال فرعون
والداب العادة والعمل الذي دابوا فيه اي واظبوا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون
كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولا ان الله قوي لا يغلبه شي
شديد العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شي ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله
لم يك مغيرا ابدا لنعمة انعمها على قوم بالنقمة حتى يغيروا يبدلوا ما بانفسهم ما بهم من الحال الى حال
اسوا منها كما بدلت قريش حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للايات والرسل وان كانوا
كفرة لان الكفر لا يمنع النعمة الدنيوية لقوله تع ومن كفر فامتعه قليلا بمعاداة الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن تابعه وايذائهم والسعي في قتلهم والاستهزا بالايات الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث
فبدل الله ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم بالعذاب اي سنة الله جارية
بان يغير نعمته على من انعم عليهم عند تغييرهم حالهم فالسبب مفهوم ما ذكر لا منطوقه واصل يك
يكون فلما دخلها لم جزمها فالتقى ساكنان فحذف الواو فبقي لم يكن ثم لكثرة استعماله حذفوا
النون تخفيفا فاذا تحركت اثبتوها فقالوا لم يكن الرجل كذا قال الجوهري والذي ذكره ليس
بحتم فان النون قد ثبتت عند السكون كما في قوله تع وان يكن ميتة وقوله لم اكن لاسجد وان

الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم واحوالهم كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم تكرير
للتاكيد وفي تفسير تغييره زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق لما في لفظ الرب المضاف اليهم
من الاشعار بكونه منعما عليهم وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في
النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم وفيه انه لا مساعدة للتخصيص المذكور لا من جهة المقام ولا من
جهة نظم الكلام فاهلكناهم اي عاجلا بذنوبهم على العموم دلالة الة على السببية المطلقة والسببية
للعذاب انما تستفاد واغرقنا ال فرعون على الخصوص وفيه بيان الاخذ بالذنوب وفي قوله
وكل كانوا ظالمين اشارة الى ان سبب الاخذ ظلمهم وفيه تقرير لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد
اي المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم الذين هم ال فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا
ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي فتشبه شدة ظلمهم لعقابهم فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اي اصروا على الكفر ورسخوا فيه لا بمجرد الكفر لا يصح الاخبار
عنهم بعدم الايمان فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم معنى الفاء السببية
التنبيه على ان كفرهم في الرسوخ بحيث يوجب انتفا صدور الايمان منهم الذين عاهدت منهم
بدل من الذين كفروا بدل الكل او البعض للبيان او التخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم وانما قال منهم لتضمن المعاهدة
معنى اخذ الميثاق والمراد من المرة في قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة المعاهدة او المحاربة وانما
كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج عن المروة والانسانية فجعلوا مقتضى فطرتهم بالكفر
ونقض العهد الاول الفطري فانحطوا عما جبلوا عليه ثم اصروا على ذلك ثم نكثوا العهد الظاهر
فكانوا شر الدواب لكونها على ما جبلت عليه وهم لا يتقون عاقبة الغدر ولا يبالون بوخامتها
في الدنيا والاخرة من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب وتظفرن بهم اي تغلبهم ثم قتلة
والثقف الادراك بسرعة فشرد بهم من خلفهم اي فنكل هولا تنكيلا يكون سببا لشرود من وراءهم
خوفا منك والتشريد التفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب من شذر
وقرئ من خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الورا لعلهم لعل المشردين
يذكرون يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة بامارة تلوح ذلك الخيانة نقض عهد فيما
ائتمن عليه فانبذ اليهم النبذ الالقا الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب على سواء استوا حالهم من

مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله مع الصابرين بالنصرة
والمعونة فكيف لا يغلبون في ضمن الاية مبالغة في شدة المطلوبية ولكونه اهم اثبت في اولى
جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ما كان لنبي اي ما صح وما استقام وقرئ
للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرئ تكون بالتاء وقرئ اسارى حتى يثخن في الارض باشاعة
القتل اي يضعف الكفر ويذله ويعز الاسلام بالقهر ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا لما كثر المسلمون
وضرب الاسلام بجرانه نزل فاما منا بعد واما فداء من الثخانة المرض اذ الثقل واصله الثخانة وقرئ
يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب
الاخرة او سبب نيله من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما
يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه
وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين وروي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رض قومك واهلك استبقهم لعل
الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رض اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان
الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت قيل فدخل عمر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم بكيت والا
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وفيه انهم ما اخذوا الفداء الا بعد
تخييرهم صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب وفيما ذكر ما يفصح عن استحقاقهم اياه ثم ان المذكور في
سبب النزول صريح في انه عليه السلام استشار بعض اصحابه واخذ برأي ابي بكر في القضية المذكورة
فلا دلالة في الاية المزبورة على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب بحكم وقضاء من الله سبق اثباته في اللوح اي لا اعذب الا بعد النهي لعذبكم فيما صنعتم

ولم يكن نهاهم او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم قال الحسن ان الله تعالى اطعم هذه الامة الغنيمة
وانهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤمروا به فعاتب الله ذلك عليهم ثم احله لهم او
ان لا يعذب اهل بدر لمسكم اصابة يتأثر منه البشر فيما اخذتم بسبب ما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم لما نزلت هذه امسكوا عن مد ايديهم الى شيء من الغنائم فنزل فكلوا مما غنمتم
الفاء للسبب والسبب محذوف تقديره احللت لكم الغنائم فكلوا وفي عموم ما غنمتم تدخل
الفدية لانها من جملة الغنائم واذا كان تقدير الكلام ما ذكر فلا يكون فيه متمسك لمن زعم
ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب العتاب ولذلك وصفه بقوله طيبا لبيان انه لا
شبهة فيه فان الحلال قد يكون مكروها فاذا وصف بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال واما الاباحة فلا
تجامع الكراهة فالمباح اخص من الحلال ومن ههنا تبين ان حق المقدر ان يكون احللت دون
ابحت وجوز ان تكون الفائدة ما وقع في نفوسهم بسبب حرمة الغنائم على الاولين وفيه انه عليه
السلام بعد ما رخص وبين القتل والفداء لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا بعد
ما اقدموا على اخذ الفداء وعملوا بموجب الرخصة واتقوا الله في الاقدام على ما لم يعهد اليكم فيه
حكم ان الله غفور غفر ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم ولا يخفى لطف موقع هذا الكلام وحسن
انطباقه بمقتضى المقام فان في الامر بالاتقاء ما يسبق الى الاوهام من بقاء التبعة وشيء من
الاثام فيما صدر عنهم من الاقدام والالتزام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم كان ايديكم قابضة عليهم
من الاسرى وقرئ من الاسارى امر النبي صلى الله عليه وسلم باستمالة الاسارى الذين اخذ منهم الفداء
ترغيبا لهم في الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اخلاصا في الايمان وصدقا في النية يؤتكم
الله خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا اخلافا واما في الاخرة اثابة روي انها نزلت في
العباس رض كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن حارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعت
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث حدث
فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي قال فاشهد انك
صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في
سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب

في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم فامكنك
منهم اي فاقدرك عليهم يعني يوم بدر وهم رؤساؤهم فكيف بعد ذهابهم بالقتل فان عادوا للخيانة
فيمكنك منهم والله عليم بالاحوال حكيم في الافعال ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها في المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا اي آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروا على
اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل بالنصرة
والمظاهرة والذين امنوا في ذكر امنوا ههنا دون الثاني لان قوله اووا يغني عنه بخلاف قوله
ولم يهاجروا بل يوهم خلافه ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث حتى يهاجروا وقرئ
ولايتهم بالكسر تشبيها للتولي بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول
عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير تحذير عن
تعدي حد الشرع في الموالاة وتركها والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة
بين الكفار والمراد نهي المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم مترتبة على التناسب
في الكفر كثبتها بين المؤمنين والكافرين في التوارث ووجوب مصارفتهم ومباعدتهم وان
كانوا الاقارب الا تفعلوه ان لم تمتثلوا ما امرتكم به ولم تتركوا موالاة الكفار ولم تفضلوا
نسبة الايمان على نسبة القرابة واخوة الاسلام على اتصال اللحمة ولم تقطعوا العلائق بينكم
وبين الكفار ولم تجعلوا القرابة دينية فقط تكن فتنة تحصل فتنة في الارض عظيمة هي ضعف
الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الكفرة لم يتم
الدين وازداد الفساد وكبر وقرئ كثير اكتفى بالتنكير في توصيف الفتنة بالكبير للتنبيه على انه لا
يفي به التعبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون
في الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق

واثنى عليهم ووعد لهم الموعد الكريم مخصوصا بهم ولمن لحقهم حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة
عظيمة ونوع من الرزق لا تبعة ولا منة فيه والتخصيص يستفاد من تقديم الجار والمجرور والاية
الاولى للامر بالتواصل بينهم والموالاة وهذه لبيان فضلهم فلا تكرار والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها المهاجرون والانصار اي حكم اللاحقين بهم المتسمين
بسمتهم حكم السابقين الى الهجرة وكمال الايمان والموعد ترغيبا لهم وتكرما واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ او في القرآن
وهو اية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم فيعلم الحكمة
في التوريث بجهة الاسلام والمظاهرة اولا ثم بجهة القرابة ثانيا

توبة

هي آخر ما نزل ولها اسماء اخر منها سورة التوبة وعن حذيفة رض انكم تسمونها سورة التوبة
وانها سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزلت
عليه اية او سورة بين موضعها وتوفي ولم يبين موضع هذه السورة وكانت قصتها تشابه
قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي البراءة نبذها فقرن بينهما وانما لم تضم
اليها فلان الصحابة اختلفوا في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان
فتركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال انما تركت التسمية بينهما لانها
نزلت لرفع الامان وبسم الله امان فكانه غافل عن انها توقيفية لا دخل للرأي في اثباتها وتركها
براءة مبتدأ لانها موصوفة بقوله من الله ورسوله اي حاصلة منهما خبره الى الذين عاهدتم اي
واصلة اليهم ويجوز ان تكون براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة وح لا حاجة الى تقدير حاصلة
بل يكفي واصلة اي من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والعهد الذي يتقدم به لتوثيق الامر واظهار
اذكر في صورة الاخبار وهو امر في الحقيقة للمبالغة في مبادرته عليه السلام الى الامتثال للاوامر الواردة
وذكر الله تمهيد كما في قوله تع لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تعظيما لشانه عليه السلام واشعارا
بانه من الله بمكان يوجب اجلاله وانما نسب البراءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعاهدة الى
المسلمين لشركتهم في الثانية دون الاولى من المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فانهم نكثوا
العهد الا ناسا منهم من بني ضمرة وبني كنانة فامر الله المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين منهم فسيحوا

السيح السير على مهل والجرى على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب من صورة
الخبر الى الامر الظاهر ونقله من مخاطب الى اخر بلا فصل بينهما باداة الندآ وهذا جائز عند عدم الاشتباه
كما فى قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك فلا حاجة الى تقدير القول ولا البعد فى ترتب
الثانى على الاول كما فى قول الحماسة ولا تقبرونى ان قبرى محرم ٭ عليكم ولكن ابشرى ام عامر ٭ وانما
زيد قوله فى الارض تعميما للاذن والا فمعلوم ان السيح لا يكون الا فى الارض اربعة اشهر مهلهم
اربعة اشهر ليسيروا فيها على مهل امنين اين شاؤا وهى الاشهر المرادة بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
على ما يأتى بيانه باذن الله وقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال
سنة تسع من الهجرة كان صيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة فوافقها النزول وقيل
عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر
وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها
ويرد عليه انه لا دلالة فى كون التبليغ العام على رؤس الانام يوم النحر على ذكر اذ يجوز ان يكون
النزول قبله وتحصل فائدة التبليغ بالاعلان والاشاعة روى انه لما ضرب لهم مدة قالوا نسيح
فى المدة على امان ثم نمتنع فنزل قوله واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم وزيادة اعلموا
للتشديد وان الله مخزى الكافرين الاخزآ الاذلال فعال بمعنى الافعال كالاذان والعطآ بمعنى الايمان
والاعطآ قيل معناه الندآ بالامر الذى يسمع بالاذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين والواو عاطفة
لجملة على الجملة الى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والاخبار بالايذان بذلك عام للناس
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وتوصيفه
بالاكبر لان العمرة حج اصغر او لان المراد من الحج اعماله وما يقع فيه اكبر من سائرها فى الاعمال او لانه
ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين واما الموافقة لاعياد سائر الملل فلا ينبغى ان يعبأ به فى تعظيم
حجنا ثم ان التوصيف المذكور قد ورد فى حجة الوداع ايضا ولا موافقة ثمة ان الله اى بان الله
حذفت البآ التى هى صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر اجرآ للاذان مجرى القول برئ من
المشركين من اقوالهم وافعالهم واحوالهم ويندرج فيها عهودهم اندراجا اوليا ورسوله عطف على
المستكن فى برئ من غير تاكيد للفصل او على محل ان المكسورة واسمها بلا فصل باداة وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او على ان الواو بمعنى مع ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اى ورسوله

كذلك فان تبتم تفريع على ما فهم مما تقدم من كون المشركين واثاره سببا للبراءة المذكورة وفى هذا التفريع
غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اى فالتوب خير لكم فى الدنيا والاخرة وان توليتم اى اعرضتم عما دعيتم اليه
فاعلموا انكم فذر ان الحاكم اعلموا فى مثل هذا المقام للتهديد فى الوعيد غير معجزى الله لا تفوتونه طلبا
ولا تخلصون منه هربا وبشر الذين كفروا الامر بالبشارة عام لكل من يقدر عليها وفيه تلوين الخطاب
بعذاب اليم فى الاخرة الا الذين عاهدتم استدراك من قوله براءة من الله ورسوله الى بحسب المفهوم كانه
قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد غير اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم فى حكم
الناكثين الذين لا رخصة فى امهالهم عن المدة المذكورة ولا يضره تخلل الفاصل اعنى قوله واذان من
الله الى لانه ليس باجنبى بالكلية لكونه امرا بالاعلام معنى كانه قيل واعلموا ان الله برئ من المشركين
والعدول فى قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر لطول العهد والتنبيه على ان المشرك اذا قارنه الوفاء
بالعهد لا يؤثر فى النبذ ولا يخفى ما فيه من التعجيب لشان الوفاء ثم لم ينقصوكم شيئا من شرائط العهد وشئ فى
عبارة ثم اشارة الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادى العهد ولم يظاهروا اى ولم يعاونوا عليكم احدا من
اعدائكم فاتموا اليهم تفريع على ما تقدم وبيان للمراد من عدم جعلهم فى حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا
لمعنى الارسال اى ادوا عهدهم الى مدتهم مرسلين اليهم يعنى امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام فى
قرينه السابق ذكره كان المناسب اعتبارها ههنا ايضا وفيه دفع وهم تعميم حكم النبذ لهم ايضا وما
تضمن ادوا ففيه التزام الجمع بين معنيين احدهما يعنى عن الاخر عهدهم الى مدتهم المدة زمان طويل الفسحة
واشتقاقه من مددت لانه الاجل المهلة والمراد منتهاها بالقرينة الى التى لانتهآء الغاية فلا حاجة
الى تقدير المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان قضية التقوى اتمام العهد والتسوية
بين الوفى والغادر النبذ مخالفة التقوى وان كان الاول مشركا وفيه تعميم لما قصد بقوله من المشركين
من التعجيب لشان الوفاء بالعهد فاذا انسلخ الانسلاخ انفصال الشئ عما يلابسه ملابسة التحام من سلخ
الشاة واذا كان الانفصال عما يلابسه ملابسة مجاورة او التصاق دون التحام يقال الخلع ولا يقال
انسلخ ثم الخلع والسلخ مشتركان فى التعلق بما يحتوى الشئ وبه يفارقان النزع فانه يتعلق بما يحويه الشئ
مثلا يقال نزعت المسمار ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال لاخر الشهر يوم السلخ استعارة لعبارة
السلخ لازالة النور الاشهر الحرم وهى تسعة اشهر لبنى كنانة واربعة اشهر لسائر المعاهدين المذكورة
فى قوله تعالى فسيحوا فى الارض اربعة اشهر ومن قال التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن
عموم الحكم لبنى كنانة وقيل هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ويأباه ترتيب الكلام على ما

السيح السير على مهل والجرى على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب من صورة
الخبر الى الامر الظاهر ونقله من مخاطب الى اخر بلا فصل بينهما باداة النداء وهذا جائز عند عدم الاشتباه
كما في قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك فلا حاجة الى تقدير القول ولا البعد في ترتب
الثاني على الاول كما في قول الحماسة ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن ابشري ام عامر وانما
زيد قوله في الارض تعميما للاذن والا فمعلوم ان السيح لا يكون الا في الارض اربعة اشهر مهلهم
اربعة اشهر ليسيروا فيها على مهل امنين اين شاؤا وهي الاشهر المرادة بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
على ما ياتي بيانه باذن الله وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال
سنة تسع من الهجرة كان صيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة فوافقها النزول وقيل
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر
وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها
ويرد عليه لا دلالة في كون التبليغ العام على رؤس الانام يوم النحر على ذكر اذ يجوز ان يكون
النزول قبل وتحصل فائدة التبليغ بالاعلان والاشاعة روى انه لما ضرب لهم مدة قالوا السيح
في المدة على امان ثم نمتنع فنزل قوله واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وزيادة اعلموا
للتشديد وان الله مخزي الكافرين الاخزاء الاذلال فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا بمعنى الايمان
والاعطا قيل معناه النداء بالامر الذي يسمع بالاذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين والواو عاطفة
جملة على جملة الى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والاخبار بالايذان بذلك بالناس
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وتوصيفه
بالاكبر لان العمرة حج اصغر او لان المراد من الحج اعماله وما يقع فيه اكبر من سائرها في الاعمال او لانه
ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين واما الموافقة لاعياد سائر الملل فلا ينبغي ان يعبأ به في تعظيم
حجه ثم ان التوصيف المذكور قد ورد في حجة الوداع ايضا ولا موافقة ثمة ان الله اي بان الله
حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر اجراء للاذان مجرى القول بريء من
المشركين من اقوالهم وافعالهم واحوالهم ويندرج فيها عهودهم اندراجا اوليا ورسوله عطف على
المستكن في بريء من غير تاكيد للفصل او على محل ان المكسورة واسمها بلا فصل باداة وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او على ان الواو بمعنى مع ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله

كذلك فان تبتم تفريع على ما افهم مما تقدم من كون المشركين واثاره سبب البراءة المذكورة وفي هذا التفريع
غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اي فالتوب خير لكم في الدنيا والاخرة وان توليتم اي اعرضتم عما دعيتم اليه
فاعلموا انكم قد مر ان افخام اعلموا في مثل هذا المقام للتهديد في الوعيد غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا
ولا تخلصون منه هربا وبشر الذين كفروا الامر بالبشارة عام لكل من يقدر عليها وفيه تلوين الخطاب
بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم استدراك من قوله براءة من الله ورسوله الى بحسب المفهوم كانه
قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد غير اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم في حكم
الناكثين الذين لا رخصة في امهالهم عن المدة المذكورة ولا يضره تخلل الفاصل اعني قوله واذان من
الله الى لانه ليس باجنبي بالكلية لكونه امرا بالاعلام معنى كانه قيل واعلموا ان الله بريء من المشركين
والعدول في قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر لطول العهد والتنبيه على ان المشرك اذا قارنه الوفاء
بالعهد لا يؤثر في النبذ ولا يخفى ما فيه من التعجيب لشان الوفاء ثم لم ينقصوكم شيئا من شرائط العهد وفي
عبارة ثم اشارة الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي العهد ولم يظاهروا اي ولم يعاونوا عليكم احدا من
اعدائكم فاتموا اليهم تفريع على ما تقدم وبيان للمراد من عدم جعلهم في حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا
لمعنى الارسال اي اتموا عهدهم الى مدتهم مرسلين اليهم يعني امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في
قرينه السابق ذكره كان المناسب اعتبارها ههنا ايضا وفيه دفع وهم تعميم حكم النبذ لهم ايضا وما
تضمن اداوا ففيه التزام الجمع بين معنيين احدهما يغني عن الاخر عهدهم الى مدتهم المدة زمان طويل الفسحة
واشتقاقه من مددت له في الاجل المهلة والمراد منها ما البقية الى التي لا تتجاوز الغاية فلا حاجة
الى تقدير المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان قضية التقوى اتمام العهد والتسوية
بين الوفي والغادر النبذ مخالفة التقوى وان كان الاول مشركا وفيه تعميم لما قصد بقوله من المشركين
من التعجيب لشان الوفاء بالعهد فاذا انسلخ الانسلاخ انفصال الشيء عما يلابسه ملابسة التحام من سلخ
الشاة واذا كان الانفصال عما يلابسه ملابسة مجاورة او التصاق دون التحام يقال الخلع ولا يقال
انسلخ ثم الخلع والسلخ مشتركان في التعلق بما يحتوي الشيء وبه يفارقان النزع فانه يتعلق بما يحويه الشيء
مثلا يقال نزعت المسمار ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال لاخر الشهر يوم السلخ استعارة العبارة
السلخ لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر لبني كنانة واربعة اشهر لسائر المعاهدين المذكورة
في قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر ومن قال التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن
عموم الحكم لبني كنانة وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وباباه ترتيب الكلام على ما

تقدم وامارده بانه مخالف للاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما بعدها ينسخها
فليس بتام لان ناسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب وعلى تقدير لزومه كما هو مذهب الشافعي
يحتمل ان يكون ناسخه من الكتاب منسوخ التلاوة فاقتلوا المشركين الناكثين عهدهم حيث وجدتموهم
في حل او حرم ولما كان التوقيف في الموضعين للعهد لم يكن لمسئلة جواز قتال المشركين في الاشهر الحرم
تعلق بهذا المقام كما سبق الى بعض الاوهام وخذوهم الاخذ الاسر ومنه الاخيذ للاسير وليس امرهم
للاسترقاق لانه لا يجوز في حق المشرك ولعذار بالحبس والمراد منه الامهال في تخييرهم بين السيف
والاسلام واحصروهم اي واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع من التبسط في البلاد
ويدخل فيه دخولا اوليا منعهم من المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي مواضع الغرة قال النابغة
اعاذل ان الجهل من لذة الفتى • وان المنايا للنفوس بمرصد • وقيل اي كل ممر ومجاز ترصدونهم كيلا يتبسطوا
في البلاد وعلى هذا يكون من قبيل التاسيس والتاكيد خير منه وانتصابه على الظرف فان تابوا اي من
المعاصي ويدخل فيها دخولا اوليا الرجوع عن الكفر فهي متضمنة للايمان ثم قرن به اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة تنبيها على مكانهما من الشرع ويجوز ان يكون من قبيل الاكتفاء بذكر امام العبادات البدنية
والمالية عن جميع العبادات الواجبة واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي التزموا النسك العبادتين
البدنية والمالية وذلك يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلي
فمضمون الكلام المذكور منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم تامين لهم اي فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ
من ذلك ولاد لالة فيه على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله لما عرفت ان الشرط
التزامهما كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية ان الله غفور تعليل لما تقدم اي لان الله غفور يغفر لهم ما
سلف رحيم لا يكلفهم المشاق ولا يخفى حسن انتظامه مع المساق لتضمنه الاشارة الى وجه الاكتفاء
بالالتزام للامر به وان احد فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده لوجود حرف الشرط وانما قال احد لعدم الحصة
للاجارة الجماعة لانها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام المصلحة من المشركين لم يقل منهم لعدم
اختصاص الحكم بهم على ما في بيانه استجارك سالك ان تؤمنه وتكون جارا له ليسمع كلام الله
وتتبين ما يدعو اليه فاجره فاجبه الى ذلك حتى يسمع كلام الله تعالى خاصة اي يفهمه ويتدبره فيعلم
انه معجز من عند الله وذلك يقتضي مهلة ولهذا قال ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يؤمن وطلب الرجوع
الى موضع امنه والتعبير عن الفهم بالسمع لانهم من اهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ
ذلك الحكم بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون اشارة الى لطف المعاملة معهم في الاجارة وتبليغ المامن

اي لا يعلمون حقيقة ما تدعون فلا بد من الامان زمانا حتى يسمعوا ويفهموا الحق فيذعنوه ويجوز
ان يكون لا يعلمون منزلا منزلة اللازم اي ليسوا من اهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام ثابت ابدا
كيف يكون للمشركين استفهام على جهة التعجب والاستبعاد ومرجعه الى الانكار على وجه الاغلب
عهد عند الله يامنون به من عذاب الآخرة وعند رسوله يامنون به عذاب الدنيا من القتل
والاخذ وتكرار عند للتنبيه على اختلاف المراد وفيه سد لباب التمهيد قبل انكار واستبعاد لان
يكون لهم عهد ولا يتمكنون مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه ولا
يذهب عليك ان ما ذكر معنى قولنا كيف يكون لله ورسوله عهد عند المشركين لا معنى ما قاله
كيف حال عن اسم يكون مقدمة وللمشركين خبره وعند الله صفة للعهد او ظرف ليكون او كيف
خبر مقدم وللمشركين حال مبينة للعهد او عند الله خبر الا الذين عاهدتم نصب على الاستثناء
او جر على البدل او رفع على انه كلام مستدرك بمعنى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون
قبل فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه وما الاولى على الوجهين عاطفة الجملة
على مقدر اي فتربصوا امرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فا الجزاء لتضمن الموصول معنى
الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا او مصدرية على معنى فاستقيموا لهم استقاموا
لكم والفاء الثانية مكررة للتاكيد ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان
المحافظة على العهد من لوازم التقوى كيف اعادة للاستبعاد المذكور على وجه الاختصار
على طريقة الاقتصار على ذكر اول الكلام عند انفهام التمام لمعونة المقام واما التنبيه على العلة
فحاصل بدون اعادة كيف والمعنى كيف يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله
عندهم وقد عبر عن هذا على طريقة اقامة دليل الشئ مقامه بقوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظفروا بكم اصل الظهور العلو بالغلبة لا يرقبوا لا يراعوا فيكم اصل الارتقاب بالبصر
ومنه الرقيب ثم قيل لكل من حافظ على شئ وراعاه راقبه وارتقبه الا حلفا وقيل قرابة
ولا ذمة عهدا وحقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم كلام مستانف لبيان حالهم المنافية
للثبات على العهد وتقدير عدم مراعاتهم حق الميثاق للعهد للحلف او القرابة والارضاء بالافواه
عبارة عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم الباطلة وانما ذكر الافواه لانها المظاهر وتابى
قلوبهم عن الارضاء حقيقة بما فيها من العزائم على خلاف ما قالوا وانما قال واكثرهم فاسقون
لما في بعضهم من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء وتوصيفهم بالفسق

مع ان الشرك اشد منه لرفع شان الفسق في الذم كما ان توصيف الانبيا بالايمان لرفع شان
الايمان في المدح فلا حاجة الى التكلف في صرف الفسق عن ظاهره اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
استيناف لبيان فسقهم وقد مر تفسيره في سورة البقرة فصدوا اي اعرضوا من صد عنه يصد صدودا
او منعوا من صده عنه يصده صدا عن سبيله المراد بالسبيل الدين الحق والاضافة الى الله للتشريف
انهم ساء ما كانوا يعملون المخصوص بالذم محذوف او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
تفسير لما كانوا يعملون لا تكرير واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة
والواو للعطف من جهة المعنى على المتقدم من الجملة الانشائية فان تابوا اي بعد هذا كله ان
رجعوا عن الكفر الى الايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة قد مر تفسيره فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات اعتراض للتحريض على تدبر ما فصل من الايات
وما بين من احكام المشركين المعاهدين والتائبين والحث على المحافظة عليه لقوم يعلمون
فيه اشعار بان العالم من تامل تفصيلها والواو للعطف على مقدر اي نزل القران ونفصل
الايات وان نكثوا ايمانهم النكث النقض واصله فيما يفتل ثم يحل فهي في الايمان والعهود
مستعارة وانما قال من بعد عهدهم اظهار القبح حال الناكثين حيث عاهدوا ثم اكدوا عهدهم
بالايمان وافراد العهد وجمع الايمان لان الاول يكون بالنيابة فعهد مقدم جماعة يكون عهدا لهم
دون الثاني فلا بد من صدور اليمين من كل واحد منهم وطعنوا الطعن هو الاعتماد بالعيب
اصله الاعتماد بالرمح في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام اي اظهروا النقض المذكور
بالقول ولا بد من اظهاره في اباحة القتال وتخصيص الاظهار الادنى بالذكر ليعلم الحكم في الاظهار
الاعلى وهو ما يكون بالفعل بالطريق الاولى ولما كان ذكر الطعن في صدد بيان ان نقض
العهد انما يبيح القتل والقتال اذا كان ظاهرا قولا وفعلا لم يكن في الاية دلالة على ان الذمي
اذا طعن في الدين ينكث عهده ويباح قتله فقاتلوا ائمة الكفر وضع الظاهر موضع الضمير
للدلالة على ان سياق الكلام في روسائهم بنا على ان المعاهدة انما تكون بهم بحسب العادة
فقوله من بعد عهدهم تمهيد له ولك ان تقول ان الجزا في الحقيقة فاقتلوهم ولما كان قتلهم مسبوقا
بمقاتلة مقدميهم ودفع مدافعة روسائهم من البين نزلها منزلة الجزا على طريقة الكناية بذكر
الملزوم عن اللازم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين والافصح جعل الثانية بين بين واما التصريح
بالياء فلحن صريح انهم لا ايمان لهم تعليل لما ذكر على طريقة تنزيل الشيء الخالي عن التاثير منزلة العدم

اي لا اثر لعهودهم في المنع عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين الكافر ليس بيمين وقرئ
لا ايمان بالكسر بمعنى ان المانع عن قتلهم اخذ العهد وقد نقضوه والايمان ولا وجود له لعلهم
ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اي ليكن غرضكم في قتالهم انتهاءهم عما هم عليه من الكفر والوزر
وسائر العظائم لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين الا تقاتلون معنى الهمزة الداخلة
على نفي القتال الانكار والتوبيخ فتفيد المبالغة في الحث والتحريض عليه وتعديد الصفات الموجبة له
من نكث الايمان والهم باخراجه عليه السلام والبدء بالقتال تقوية وتاكيد لذلك قوما نكثوا ايمانهم التي
حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول حين تشاوروا بمكة في امره حتى اذن الله له عليه السلام في الهجرة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة وتحداهم بالقتال والزمهم بالحجة فعدلوا عن المعارضة
لعجزهم عنها الى المقاتلة فهم البادئون بالقتال اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينال مكروه
والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وادخال الهمزة هنا انكار للخشية وايما الى
منافاتها للايمان على ما صرح به بعده بقوله فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان
يستلزم تخصيص الخشية بالله وعدم المبالاة بغيره وفيه جمع بين التوبيخ والتشجيع وهو ابلغ في
التحريك ولما بالغ في التوبيخ على ترك القتال وبين موجباته جرد لهم الامر به صريحا ووعد لهم النصر
والغلبة وتعذيب الكفار بايديهم ليكون اوقع في نفوسهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقوية لعزائمهم
فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم الخزي ذل يستحيى منه وينصركم عليهم النصر المعونة برفع
الضرر وتعديته بعلى لتضمنه معنى التغليب ويشف الشفا سلامة النفس عما يزيل عنها الاذى صدور
قوم مؤمنين وهم خزاعة وجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالهم الحرب وكان فيهم
مؤمنون كثير وتخصيص المؤمنين منهم بالذكر لان المقصود اصالة شفا صدورهم ويذهب غيظ
قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه الغيظ اورثهم بالقتال ووعد عليه هذه الاشيا وانجز ما وعد فكان
الاخبار بذلك من المعجزات ويتوب الله على من يشاء كلام مبتدا واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
ويقبل الله توبته لصدقها وكان ذلك منفصلا عما قبله لفظا ولكنه متصل به اي ومن فوائد القتال
انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه وقرئ ويتوب الله بالنصب على اضمار ان على دخول التوبة في جملة
ما اجيب به الامر من حيث المعنى والله العدول عن الضمير للتفخيم عليم لا يكون عليه خفا حكيم لا يلحقه
خطا ام حسبتم ام منقطعة تتضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه واستفهاما فهي تشد مسد

بل والالف للاستفهام والاستفهام هنا للتوبيخ على حسبانهم ان تتركوا بحالهم اي حطاتم في
ظنكم انكم تتركون على ما انتم عليه دون اختبار وامتحان فانكم لا تتركون حتى يتميز المخلص الذين جاهدوا
منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم لا لنفي العلم مع التوقع في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا بطانة من
الذين يعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يوالونهم ويفشون اسرارهم من غيرهم ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع اي لم يتبين
المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم لا لنفي العلم مع التوقع والمراد به المبالغة في نفي المعلوم
على الطريق البرهاني لانه لو وقع لكان معلوما له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة من الولوج وهو
الدخول وليجك صديقك الذي تطلعه على ما في داخل قلبك والله خبير بما تعملون فيعلم عمل المجاهدين
المخلصين قبل وقوعه فهو كالمزيح لما يقع في الوهم من الشبهة في قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيأ منها فضلا عن المسجد الحرام او المراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد
كلها وامامها فعامره كعامر الجميع وقرأها بالتوحيد في الموضعين لوافق المعنيين لان تعريفه يحتمل
العهد والجنس شاهدين على انفسهم بالكفر حال من الواو وفيه اشارة الى حالهم المنافية اي الاستقام
لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون
بها من العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة لان الكفر الطارى يهدم الاعمال فكيف بالمقارن
وفي النار هم خالدون لكفرهم دون العصاة من المؤمنين انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم
الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي لا يستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله الا ممن امن وجمع بين
الكمالات العلمية والعملية والايمان باليوم الاخر المتضمن للتصديق بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق
السمع فهو بهذا الاعتبار يشمل الايمان بنبينا عليه السلام لان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القران من الكتب
السماوية هذا هو الوجه لعدم ذكر الايمان به عليه السلام لان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القران من الكتب
واما قوله واقام الصلوة واتى الزكوة فلم يغن عنه لانهما يجوز ان يوخذا من سائر الشرائع والعمارة
تتناول رم ما استهدم منها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتمهيد الفرش واقامة الصلوات
واقامة الذكر وتلاوة القران ودراسة العلوم وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وسائر الفضول
ولم يخش الا الله المراد من الخشية هو الرهبة والهيبة والانقياد اللازمة من تصور عظمة الله تعالى
لا الانفعال الجبلي والمباهاة والتقرب بها الى العزى واللات ومنع المؤمنين اي بحفظ احوالهم

الذي هو الخوف فانه ليس بارادي واما هذه فانه من لوازم التقوى لان عظم الخالق في قلب
المؤمن يصغر المخلوق في عينه فلا خشية له من غيره فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره
بصيغة التوقع قطع لاطماع المشركين في الاهتداء وتبعيد لهم عن مظانه لان الموحدين المخلصين في
الاعمال اذا كان اهتداؤهم دائرا بعسى ولعل فكيف يطمع فيه المشركون باعمالهم المبنية على الافتخار والريا
والمباهاة والتقرب بها الى العزى واللات ومنع المؤمنين ان يعمروا باحوالهم ويشكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران
والحدث لا يشبه بالجثة فلا بد من مضمر مدلول عليه بقرينة العقل محذوف للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن ويعضده قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد او سقاية كايمان من
امن والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة وقوله لا يستوون عند الله
تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك
ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين وانما قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة
في حقهم منزلة العدم ترتب الاثر عليها الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم او ممن ليس كذلك فيندرج فيه اهلهما اندراجا
اوليا لكونهم مشركين واولئك هم الفائزون المختصون بالفوز دونكم او دون من عداهم والفوز بلوغ
البغية اما في نيل مرغوب او نجاة عن مكروه والمراد هنا الفوز الكامل يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم النعيم لين العيش ورغده مقيم دائم وتنكير المبشر به للتعظيم
وكونه فوق وصف الواصف وتعريف المعرف وفي اسناد البشارة الى ربهم تعظيم للمبشر به وتكريم
للمبشر وبيان كون الرحمة منه تعالى مع كونه معلوما لا يخلو عن قصد التعظيم لها وانما اطلق الرضوان
ليستوعب نوعيه المذكورين في قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه
قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه الاجور الدنيوية يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان قبل الفتح من امن
لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ
الاغلب في البران الابناء هم التبع للاباء والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر اي اختاروه واثروه على الايمان فتعديته بعلى لتضمينه معنى

الاختيار والايثار ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة غير موضعها على خلاف
امر الله لما ورد التشديد في امر المهاجرة قالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم ذكر الابناء في هذه الاية لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر في المحبة
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى
عقد واحد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اكتسبتموها واصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى
غيره وتجارة تخشون كسادها يعني ما اشتريتموه طلبا للربح تخافون وقوفها وخرابها بفوات
وقت نفاقها ومساكن ترضونها منازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم اراد الحب الاختياري
دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ من الله ورسوله وجهاد في سبيله فيه دلالة
ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا جواب ووعيد والتربص التوقف على الانتظار
حتى ياتي الله بامره لعقوبة عاجلة او آجلة وفي العدول عن حتى ياتي امر الله الى ما ذكر تفخيم للامر والله لا
يهدي القوم الفاسقين فيه تنزيل لوجود الهداية منزلة العدم لعدم الاثر وفي الاية تشديد عظيم
وقلما يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الموطن موضع الاقامة ومواطن الحروب مواقعها
وهي المراد هنا ويوم حنين عطف على محل في مواطن اي وموطن يوم حنين والتقدير في ايام مواطن
كثيرة ويوم حنين لتناسب الامكنة والازمنة فيقع حرف السبق موقعه ويجوز ان يراد بالموطن الوقت
كمقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي
العطف اشتراكهما فيما اضيف اليه المعطوف فلا يلزم ان يكون اعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين
واد بين مكة والطائف قيل انهزم المسلمون يومئذ وهم اثنا عشر الفا وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مركزه ليس معه الا عمه العباس وابن عمه ابو سفيان وليس كما قيل كان الثابتين معه عليه السلام
كانوا عشرة رجال وقد افصح عنه العباس في قوله • نصرنا رسول الله في الحرب تسعة • وقد فر من
فر منهم واقشعوا • وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه • بما مسه في الله لا يتوجع • وذلك العاشر ايمن بن ام ايمن
قال البراء بن عازب رض لقد رايته عليه السلام وانه على بغلته البيضاء وان ابا سفيان اخذ بلجامها يقول •
انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • اول قوله تثبيت المسلمين عامة واخره تثبيت عمه وابن عمه
خاصة فان في ذكر جده اشعارا بان من كان من نسله حقه الفرار وهذا غاية الشجاعة حيث لم
يخف اسمه ونسبه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اي تلك الكثرة شيئا قليلا

من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي من الخوف كما قال الشاعر •
كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل • والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع
الجار والمجرور في محل الحال اي ملتبسة برحبها ومعنى ضيق الارض عليهم مع سعتها انهم لا يجدون فيها
منجأ ولا مهربا لفرط الرعب فكانها ضاقت عليهم ولا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي
سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين وقع الهرب وتكرير على تنبيه على اختلاف الحال وانزل جنودا لم تروها باعينهم والجنود
الجموع التي تصلح للحرب والمراد هنا الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء
الكافرين اي فعل بهم جزاءهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء
بالتوفيق للاسلام وهم ناس منهم والله غفور يتجاوز عنهم رحيم يتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس مصدر والافصح ان يجعل نجس خبرا على انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم
كما يجتنب عن النجاسة الا انه بولغ في وصفهم بها فجعلوا عينها للتنفير وبيان وجوب تبعيدهم
عن المسجد وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس بفتحها واكثر ما جاء تابعا لرجس وعلى هذه
القراءة لا بد من تقدير موصوف كجنس او ضرب فلا يقربوا المسجد الحرام الفاء سببية اي فلا يقربوه بسبب
انهم عين النجاسة والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء والمراد
من نهيهم ان يقربوه نهي المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا اصدر الكلام بالخطاب لهم فلا دلالة فيه على
ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وعليه ابو حنيفة ويؤيده قوله
بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى التفريع المذكور انتظام النهي لبقية ايام
هذا العام ايضا والاشارة الى سنة عشر وقيل الى سنة تسع وان خفتم عيلة فقرا وسبب وروده
ان المسلمين حين منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان
في نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله ان يغنيهم من فضله قال الضحاك
ففتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين الاية وقرئ عائلة وهو مصدر
كالعاقبة او نعت لمحذوف اي حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله
بوجه اخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة واخذ الغنيمة من دار
الحرب ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ان شاء قيده بالمشية لا لينبه على انه

متفضل في ذلك لان قوله من فضله صريح في ذلك بل يستقطع الامال اليه وينبه على وجه اختلاف
الاحوال والاعوام والاشخاص والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد قاتلوا ا
لذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على وجه يصح ويقبل على ما مر بيانه في
اوائل سورة البقرة وانما قال قاتلوا دون اقتلوا اشارة الى اختصاص الجزية التي ينتهي عندها
القتال بمن يحتمل منه الحراب فلا جزية على المراة والصبي والشيخ الفاني ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
لم يقل او رسوله لانه عليه السلام لم يحرم شيئا الا بالوحي على المذهب الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب
ورسوله بالسنة كما في هذا التوزيع من ايهام استقلاله عليه السلام في التحريم ولا يدينون دين الحق
الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا
يؤمنون وتاكيد للحجة التي لا بد من تقديمها على القتال لانهم كانوا يجدونه عليه السلام في التورية
والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم على اختصاص قبول الجزية باهل الكتاب كما لا دلالة فيه على
اختصاص وجوب القتال بهم بين في الآية السابقة قتال المشركين وبين في هذه قتال اليهود
والنصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى وانما اطنب بذكر هذه الاوصاف الذميمة تحريضا
للمؤمنين على قتالهم لانها صفات توجب البراءة منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية اي الى ان
يقبلوها وهي عطية عقوبة جزاء على الكفر عليها وظفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الذمة وهي
على وزن جلسة وقعدة لنوع من الجزاء وقيل من جزى يجزي اذا كان ادى اليه كانهم اعطوها جزاء
ما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر • يجزيك او يثني عليك وان من • اثنى عليك بما فعلت يكن
جزى • مد وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر
وهو قوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ولا يجوز هذا
في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويجوز في الهنود والاتراك والديلم
عندنا خلافا للشافعي وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد عن يد حال من الضمير واليد مجاز عن القوة
والقدرة والمراد قدرة المعطي وفائدة الاشارة الى انه لا جزية على الفقير العاجز عن الكسب وان
كان فيه بنية الحراب وهذه الاشارة من مقتضيات المقام فلا وجه لتعويضها بحمل القيد المذكور
على معنى اخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة والانقياد ومعنى التسليم بنفسه على ان هذين المعنيين
الاخيرين من لوازم القيد الاتي ذكره فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد اخر ومن هنا تبين انه لا وجه
لان يكون المراد من القدرة على تقدير الحمل عليها قدرة الاخذ واما معنى قهد اسلمه عن يد الى

يد على انه حال من الجزية فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية هي التقبل والالتزام دون
العطاء بالفعل وهم صاغرون الصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه اي وهم اذلاء
يأتون لاداء الجزية مشاة لا ركبانا ويؤدون قياما والآخذ قاعد ويؤخذ بلحيته عند الاخذ
ويحرك ويقال اد الجزية يا يهودي او يا نصراني والجزية على ثلاث مراتب على المعتمل في السنة
اثنا عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى كامل الحال ثمانية واربعون درهما
كذلك وظفها عمر رض وبهذه الجزية اغناهم الله عن العيلة وهو وجه اتصال هذه الآية بالاولى
وقالت اليهود انما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة عزير ابن الله مبتدا وخبر وسقط
التنوين لمنع الصرف للعجمة والعلمية ومن نونه من القراء جعله عربيا او لان ابن صفة له وعلى
هذا يكون الخبر مقدرا غير ملفوظ ولا ملحوظ وقصر النقل على هذا القدر من كلامهم لتجريد الانكار
للتوصيف المذكور وفيه ايهام التبعيد لكلامهم عن حيز التمام والتمهيد للمقصود من زيادة قوله
بافواههم على احد الوجهين الاتي ذكرهما وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم
ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يذكرونه صريحا لا انه يفهم بطريق الاستدلال من بعض افعالهم
فهو لرفع التجوز في المسند فانه اهم من دفع التجوز في الاسناد ونسبة القول الى الافواه دون
الالسنة لان الفم اولى واشمل والكل فان من الاقوال ما لا حاجة في التلفظ به الى اللسان ويجوز
ان يكون المراد انه قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التي تخرج من الافواه ولا
معنى لها في القلوب يضاهئون قول الذين كفروا التقدير يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا هذا ما قالوا وعندي انه على طريقة لا يهدي
كيد الخائنين اي لا يهديهم في الكيد فالمعنى يضاهئونهم في القول والمضاهاة المشابهة وقرئ بالهمزة
من قولهم امراة ضهيا وهي التي ضاهت الرجال في انها لا تحيض من قبل من قبلهم والمراد المشركون
الذين قالوا الملائكة بنات الله قاتلهم الله دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك ويفهم
التعجب من السياق لانه كلمة لا يتفوه بها الا في موضع التعجب من شناعة فعل قوم او قولهم ولهذا
تعجب بعده من اعتقادهم وتلفظهم بالكلمة الشنعاء بقوله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق الى
الباطل فلا مانع عن الجمع بينهما قصدا اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اتخذوا علماء
اليهود وعباد النصارى كالارباب حيث احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه فقوله
اربابا كقوله نارا في قوله حتى اذا جعله نارا قال ابن السكيت الحبر بالكسر المداد وبالفتح العالم والراهب

ماخوذ من الرهبة وهو الذي حمل خوف الله على ان يخلص له النية دون الناس والمسيح بن مريم اي اتخذوه
ربا معبودا والرب اسما على الحقيقة ولهذا افصل عما قبله مخرجا له عن زمرتهم مفردا له بالاخبار عنه وانما
ذكره بنسبته الى امه اظهارا لعدم صلاحيته للربوبية وفي التعبير عنه بلقبه المشعر بالمربوبية نوع تمهيد
لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النعي عليهم وما امروا اي وما امر المتخذون قيل يجوز ان يكون المعنى وما
امر المتخذون اربابا فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ وكان هذا القائل غافل من ان الرب في غير
المسيح لم يتخذ على الحقيقة الا ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى ولا حاجة الى صرف العبارة عن
معناها الى معنى الاطاعة حتى يحتاج الى ان يقال طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو
طاعة الله في الحقيقة لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن الاشراك به يريدون ان يطفئوا الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في استعمال كل نور
وفي سورة الصف يريدون ليطفئوا اي يقومون لذلك الامر والتجوز عن الارادة او القيام
له شائع فكذا عكسه سائغ والقيام للامر عبارة عن الاهتمام بشانه نور الله بافواههم اطفاء نور الله
بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من يبتغي
نور الشمس بنفخه ليطفئه ويجوز ان يكون المراد من افواههم اقوالهم التي لا صحة لها فانها لا تتجاوز
عن الافواه الى فهم السامع وعلى هذا يكون الاطفاء ترشيحا لاستعارة النور ويابى الله الا ان
يتم نوره باعزاز الاسلام واعلاء كلمة التوحيد وانما جاز الاستثناء المفرغ من الكلام الموجب لان قوله
ياب الله وقع من موقع لا يريد الله الا ترى كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا نور الله بقوله
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون حذف جواب لو لدلالة ما قبله عليه اي ولو كره الكافرون
اتمام نور الله اي الاتمام هو الذي ارسل رسوله اي محمدا عليه السلام بالهدى بالقرآن كما في قوله
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ودين الحق اي الاسلام ليظهره اي دين الحق او الرسول
على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر قوله ولو كره المشركون بوضع
المشركين موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى والتعريف في الدين
للجنس والظهور على الجنس انما يكون بالظهور على جميع افراده وجميع افراده وقت ارساله عليه السلام
انما هو سائر الاديان وظهور الدين على الدين انما يكون بنسخه وابطاله وعلى تقدير رجوع الضمير
الى الرسول عليه السلام يكون المراد ظهوره عليه السلام على اهل سائر الاديان على تقدير المضاف
يا ايها الذين آمنوا المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين فيها وفي ضمنه نهي المؤمنين عن

تلك النقائص لما ذكر الله تعالى انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما هو عليه
كثير منهم تنقيصا في شانهم وتحقيرا وان مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل باخذهم بالرشى والتخفيف في الشرائع واطلق
الاخذ على الاكل مجازا لانه معظم الغرض منه او لكونه سبب الاكل ويصدون صد مستعمل واقعا
ومجاوزا فالمعنى يصدون عندهم عن سبيل الله اي عن دين الاسلام وشريعة محمد عليه السلام او يصدون
عنه في اكلهم الاموال بالباطل اي لا تتوهموا في كثير من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظواهر
زيهم وسكونهم فان ذلك مصائد للمطامع واستجلاب للرياسة ومكائد للصد عن سبيل الله
والجر الى الضلالة قال عبد الله بن المبارك وهل افسد الناس الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما في الاوعية ومنه قولهم رجل مكتنز
اي مجتمع اللحم وليس من شرط الكنز الدفن ولكن كثر في حفظ المال ان يدفن حتى تعورف اسم الكنز في
المدفون انما خصا بالذكر لانهما قانون التمول واثمان الاشياء فالاحتياج اليهما فيما بين الناس اكثر
ولا يجوز كنزهما ومنع الناس عن فائدتهما والذين مبتدأ اسم موصول ضمن معنى اسم الشرط فلذلك
دخلت الفاء في خبره في قوله فبشرهم ويجوز ان يكون والذين مبتدأ اسم موصول معطوفا على
الضمير في قوله يأكلون والفصل يقوم مقام التأكيد وان يكون محل الموصول منصوبا عطفا على اسم
ان في قوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشى
وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير واورد عليه انه لو اريد اهل الكتاب خاصة
لقيل ويكنزون بغير والذين فلما زيد والذين فقد استؤنف معنى آخر فتبين انه عطف جملة على
جملة والآية نعت للمسلمين الكانزين غير المنفقين بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم بهم في
استحقاق البشارة بالعذاب الاليم تغليظا ونهيا عن الكنز وبعثا على الانفاق ويدل على هذا انه
لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب
بها ما بقي من اموالكم فعلم ان المراد بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وقوله عليه السلام ما
ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا معناه
ليس بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى فيه على ما فهم من قوله
ولا ينفقونها في سبيل الله والضمير للفضة وحدها احالة للحكم في قرينها على الدلالة وانما لم يعكس
مع ان فيه اعتبار جانب التذكير رعاية لجهة القرب وعلى هذه الطريقة سلك في قوله تعالى ومن يكسب

خطية او ثمانم برم به بريا ايضا واما قوله عليه السلام من ترك صفرآء او بيضآ كوى بها او نحوه
فالمراد منها ما لم يود حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودى منها حقهما
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفآئح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم
هو الكى بها يوم يحمى عليها اصله يحمى النار عليها اى توقد ذات النار حمى شديد من قوله نار حامية
فحذفت النار لقوله فى نار جهنم واسند الفعل الى الجار والمجرور فلزم تذكيره كما يقال رفعت القصة
اى فلان فاذا حذفت قيل رفع اى فلان وفى جعل الاحمآء للنار والابهام باسناد الفعل الى الظرف
ثم التفصيل وجعل نار جهنم مكانا للاحمآء من المبالغة ما ليس فى قولك تحمى بالنار واما الاكتفآء بضمير
الفضة فقد مر وجهه فتكوى بها الكى الصاق الشئ الحار بالفضة جباههم وجنوبهم وظهورهم انما
خصصت هذه المواضع بالكى لانه فى الجبهة اشنع وفى الجنب والظهر اوجع لوصول الحر الى الجوف
بخلاف اليد والرجل وقيل لان الغنى المانع للزكوة اذا راى الفقير انقبض وجهه واذا ضمه والفقير
مجلس ازور عنه فعارضه بجنبه واذا الح قام وولاه ظهره هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم
توبيخ وتهكم بهم اى كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ بها فكانت عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال ما كنزتم او ما تكنزونه ان عدة الشهور مبلغ عددها عند الله
ظرف عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا شهور السنة شمسية كانت او قمرية كذلك الا ان المراد
هنا الشهور القمرية فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه فى حكمه صفة لاثنا عشر
اى مثبتة فيه وقوله يوم خلق السموت والارض اى امر ثابت فى نفس الامر مذ خلق الله الاجرام
والازمنة متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا منها اربعة حرم واحد
فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك اى تحريم الاشهر الاربعة
الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم
لما كان جمع الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون لقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع
انكسرن لانه جمع قلة انفسكم بهتك حرمتها وعن عطآ ما يحل للناس ان يغزو فى الحرم ولا فى الاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكاب
المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وقيل يويده ما روى انه عليه السلام
غزا هوازن بحنين وحاصر الطآئف فى شوال وذى القعدة وفيه نظر لان غزو هوازن بحنين
كان فى شوال فلا تأييد فيه واما محاصرة الطائف فقيل عليه السلام حاصره بقية الشهر المذكور

فلما

كما يقاتلونكم كافة صح

فلما دخل ذو القعدة انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم منها العمرة وقاتلوا المشركين كافة
جميعا من الكف بمعنى منع كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم وقع موقع الحال واعلموا اى
كونوا على ثقة ويقين ان الله مع المتقين بشارة لهم وضمان بالنصر وبيان ان تقواهم سبب
لنصرهم انما النسئ مصدر نساه اذا اخره اى تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب
حروب وغارات فاذا جاء الشهر وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وذلك قوله تع ليواطئوا عدة ما حرم الله وهى الاربعة
وربما زادوا فى عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تع ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اى من غير زيادة زادوها زيادة فى الكفر لانهم لما احلوا ما
حرم الله تع وحرموا ما احله زادوا كفرا على كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا يحلونه
عاما الضمير للمنسوء الدال عليه النسئ ويحرمونه عاما اى اذا احلوا منها شهرا عاما رجعوا فحرموه
فى العام القابل والجملتان تفسير للضلال او فى موقع الحال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى
ليوافقوا عدة الاربعة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما
حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة وقت زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله واضلهم
حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى على طريقة ترحل وجود ما لا يترتب عليه اثره
منزلة العدم القوم الكافرين من باب وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان كفرهم
مانع من قبول الهداية وترتبها لاثرها يايها الذين امنوا ما لكم هو حرف استفهام بمعنى التوبيخ
اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله النفر التنقل بسرعة من مكان الى مكان لامر يحدث وسبيل
الله طلب رضى الله اثاقلتم الى الارض تباطاتم وتقاعدتم وقرى تثاقلتم على الاصل وقرى
ااثاقلتم على الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ ضمنه معنى الميل والاخلاد فعدى بالى
اى ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكرهتم مشاق السفر والجهاد
وهو العامل فى اذا اذا لم يستفهم واذا استفهم به منع الاستفهام عمله فيما قبله فالعامل
ح ما دل عليه او معنى الفعل فى ما لكم كما يعمل فى الحال اذا قيل ما لك قائما كانه قيل ما تصنعون
وما ذكر عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم سكنى
ديارهم والتزام نخيلهم وظلالهم وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بعد رجوعهم من الطائف
فى وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة

بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا في التمتع فيها في الآخرة في جنب الآخرة
إلا قليل مستحقر إلا تنفروا أن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم عذابا أليما ويستبدل
قوما غيركم إظهار سخط عظيم على ترك النفر والتثاقل حيث أوعدهم عليهم بعذاب مطلق متناول
العذاب في الدنيا والآخرة ونكره ووصفه بالإيلام وأنه يهلكهم ويستبدل قوما خيرا منهم
وأطوع كأهل اليمن وأبناء فارس ولا تضروه شيئا أي أنه غني عنهم في نصرة دينه وفي كل
أمر لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول عليه السلام أي ولا تضروه لأن الله وعده
بالعصمة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة
كما قال إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا
رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في
ذلك الوقت وأقامه مقامه أو فقد حكم الله بنصره وأوجبه على نفسه حين نصره في ذلك الوقت
فلم يكن ليخذله في غيره أبدا إذ أخرجه الذين كفروا إسناد مجازي لأن همّ الكفرة بإخراجه
أو قتله سبب لإذن الله له بالخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين نصب على الحال وهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رض ولا يخفى ما في التعبير المذكور من التعظيم للصديق رض إذ المعنى
أحد اثنين والعدول إلى ما ذكر للإشعار بأنه عليه السلام كان ثانيا له في دخولهما الغار وقد كان
كذلك إذ هما بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد بزمان الإخراج زمان متسع في الغار
هو النقب العظيم في الجبل وهو في جبل بمكة يقال له ثور مأخوذ من غار يغور إذا دخل في عمق
إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رض لا تحزن الحزن الذي يغلظ على
النفس ومنه الحزن للأرض الغليظة إن الله معنا بالحفظ والعون فأنزل الله سكينته أمنته
الذي تسكن عنده القلوب والفاء للتعقيب بلا مهلة وفيه نوع دلالة على أن توكله عليه السلام كان
سببا للنزول المذكور عليه أي على أبي بكر رض فإنه هو الخائف المحتاج إلى الأمن فأما النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كان آمنا ساكنا بما وعد من النصر وأيده بجنود لم تروها عطف على قوله فقد نصره الله
والمراد من الجنود الملائكة والتأييد بهم كان في حرب بدر وحنين وجعل كلمة الذين كفروا أي
دعوتهم إلى الكفر السفلى وكلمة الله أي دعوته إلى الإسلام هي العليا وتغيير الأسلوب للدلالة
على أن الأولى أولى بالتغيير والتبديل بخلاف الثانية فإنها المستمرة الثابتة وقرئ كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه على وفق ما قدمناه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في

نفسها

نفسها فإن فاق غيرها فلا يناسب للفوقية ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز
في انتقامه حكيم في تدبيره وأحكامه انفروا خفافا وثقالا الخفة والثقل مستعاران لمن يمكنه
السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وما ذكر في تفسيرهما من المعاني فلا وجه لتخصيص بعضها
دون بعض بالإرادة هي معاني منقولة والتحقيق أن الناس أمروا أجلة وتلك الأقوال إنما هي
على وجه المثال للثقل والخفة وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذكر أكمل ما يكون من
الجهاد وأنفعه عند الله تع وقدمت الأموال لأنها أول مصروف وقت التجهيز فرتب الأمر كما
هو في نفسه ذلكم خير لكم من الجهاد بأحدهما ومن كال من تركه فلم يصب إن كنتم تعلمون الخير علمتم
أنه خير لو كان عرضا العرض خلاف النقد وقد عبر به عن الغنيمة لأنه الغالب فيها أي لو كان ما دعوا
إليه مغنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا سمي قصدا لأنه مما يقصد لاتبعوك فيما قصدت
إليه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وهي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها
على صاحبها وسيحلفون بالله أي المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين لو استطعنا
لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن والمال والشرطية محكية على أن الحلف من جنس القول
فلا حاجة إلى تقديره لأن التعدية باعتبار التضمين من خارج جائزة لجوازها باعتبار ما في ضمنها
بالطريق الأولى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب
إيقاع النفس في العذاب أو حال بمعنى مهلكين والإخبار بهذا قبل وقوعه قد كان من المعجزات
والله يعلم إنهم لكاذبون في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك الإخبار عن العفو
مقصود للإفادة فلا يكون كناية عن الخطاء نعم يفهم منه وجود الخطاء بطريق الاقتضاء وهذا من
لطيف المعاتبة ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه السلام يتحمل لقوله تع لم أذنت لهم ولا
يخفى ما في تقديم العفو على ما يوهم العتاب من تعظيم شأنه عليه السلام والتنبيه على لطف مكانه
ومن لم يتنبه لذلك قال إنه كناية عن الجناية ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ثم إنه لم يدر
أن الإذن المذكور من قبيل الخطاء في الاجتهاد فهو مظنة الثواب لا العقاب والله أعلم بالصواب
الإذن رفع التبعة في الفعل حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار متعلق بما تقدم باعتبار
المفهوم لا باعتبار المنطوق فإنه استفهام إنكاري في معنى هلا توقفت فحاصل المعنى لم أذنت على
الفور فرجع الإنكار إلى كيفية الإذن لا إلى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفدآء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما وكان
هذا القائل غافل عن تأملهما وهو تحريمه عليه السلام ما احل الله ابتغآء لمرضات ازواجه ثم ان العتاب
ليس على الاذن لما عرفت انه بالاجتهاد والخطأ فيه لا يتعلق به العتاب بل على عدم التوقف
على نزول الوحي في بيان شانهم على ما نبهت عليه آنفا لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه وكان الخلص من المهاجرين والانصار
يقولون لا نستاذن رسول الله ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا او كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر في
الموضعين اشعار بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال سببه هو الايمان بهما والوازع
عنه عدمه وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج
اي معكم للغزو لاعدوا له اي للخروج عدة العدة ما يعد للامر ويهيأ له وقرئ عده بكسر
العين اي جماعة من الالات ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم للخروج استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج لان معناه نفي ارادة الخروج كانه قيل ما ارادوا الخروج
وتنزيل لعلة الشيء منزلته فان المعنى ولكن تثبطوا عنه لان الله كره انبعاثهم هذا ما
قيل في توجيه ما ذكره وفيه وقوع لكن بين النقيضين من جهة المعنى فالوجه ان يكون ذلك
من قبيل حذف الجملة من الكلام لدلالة الباقي عليه كقوله تع ولقد اتينا داود وسليمن علما
وقالا الحمد لله الاية وذلك انه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم للغزو لعدم تنبههم له قبله
حتى تهيئوا له تدورك دفعه بما ذكر بحذف الصدر فكانه قيل ليس هذا من تقصير كان في تنبههم
للخروج ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم التثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا
تمثيل لالقاء الله في قلوبهم التثبط وكراهة الانبعاث او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود
عنه او حكاية لبعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم وقوله مع القاعدين ذم لهم
والحاق بالذين شانهم القعود ولزوم البيت للعجز عن القيام بمصالح الغزو من النسآء
والصبيان والزمنى لو خرجوا فيكم لم يقل معكم لان اخراجهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم
لا منفردين عنهم ما زادوكم شيئا الا خبالا الخبال الفساد في الاشيآء المؤتلفة الملتحمة والزيادة

لما كانت باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثنآء لم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيه
زادوه ولاوضعوا خلالكم الايضاع تهييج المركوب على الاسراع اي لسعوا بينكم بالنميمة
وافساد ذات البين وهو مجاز يفيد المبالغة في السعي بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وفي
حذف المفعول لما في التعميم من زيادة المبالغة بتقدير السامع كل ما شاء من المراكب كانه قيل لاوضعوا
كل ما وجدوا من الركائب يبغونكم الفتنة حال من ضمير اوضعوا اي يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم والرعب في قلوبكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او ضعفة
مطيعون لهم يسمعون ما يرونهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم وعيد لهم من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وايجاب الظلم للوعيد لقد ابتغوا الفتنة بالسعي في
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بمن معه
وقلبوا لك الامور دبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الارآء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر
والتأييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والاية
لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبط الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك
استارهم وكشف اسرارهم واذاعة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة
الى الاذن ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي العصية والاثم
فاني ان لم تأذن لي وتخلفت بغير اذنك اثمت اذ لا يمكنني الخروج معك فلا بد لي من التخلف اذنت
او لم تأذن او لا تفتني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي اذ لا كافل لهم او لا
تفتني ببنات الاصفر لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مفتتن ببنات الاصفر يعني
نسآء الروم فلا تفتني بهن ولكن اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا تقديم الظرف بعد
حرف التنبيه ايذان بانهم وقعوا فيه وتخصيص له اي الفتنة الا التي وقعوا فيها من غفلة وعدم
تدارك وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالكفر والاشارة الى سبب الاحاطة بهم والمراد احاطة اسبابها بهم فوضع المسبب موضع السبب
اشعارا بشدة ايجابه له كقوله تع انما ياكلون في بطونهم نارا ان تصبك في بعض غزواتك حسنة
ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة هي آفة النفس او الاهل او المال
واصل الصوب وهو الجري الى الشيء ومنه صوب الانآء اذا ميل والاصابة وقوع الشيء بما قصد
به والصواب اصابة الحق يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من التيقظ والحذر والعمل

بالحزم من قبل اي من قبل ما وقع اي يتبجحون بانصرافهم ويستحمدون رايهم في التخلف
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني في اللوح المحفوظ امر الله تعالى نبينا عليه السلام ان يرد على المنافقين
بان يعلمهم ان الشيء الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما كتبه الله للمومنين فاما
ان يكون ذخرا للاخرة يرشدك الى هذا قوله هو مولانا اي الذي يتولانا فانه لتاكيد ما سبق
من الاختصاص واما ما قيل ان المعنى الا ما كتب الله في اللوح وجف به القلم فلا يتغير بموافقتكم ولا
بمخالفتكم فلا يناسب المقام لانه لا يصلح رد الهم ثم ان ما ذكر على وفق ما قاله الجبرية وقرى هل يصيبنا
بتشديد الياء وهو تفعيل من فيعل من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب وعلى
الله لا على غيره فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتوكلوا الا عليه جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة لتقديم العلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب والتوكل تفويض
الامر الى الله تعالى والرضى بتدبيره والثقة بحسن اختياره قل هل تربصون بنا التربص التمسك بما
ينتظر به مجيء حينه الا احدى الحسنيين احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده اي قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا
ما ذكرنا من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها نصب على الحال
اي طائعين او كارهين لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او
كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا في
الحالين وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل
ان لا يتقبل الرسول عليه السلام ولا ياخذ منهم وان لا يتقبل الله منهم ولا يثيب عليها وكرها
يحتمل الالزام والاكراه فيؤيد الثاني ذكر الكراهة من المنفقين فلا يرجح احدهما ولعمري انهم لا ينفقون
الا كراهة كما اخبرهم في الاية التي بعدها واما الطوع فهو على سبيل الفرض لمساواة الكره في عدم
القبول او ان يعطوا من غير الزام واكراه وفي انفسهم الكراهة انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد
انفاقهم على سبيل الاستيناف اذ الفسق هنا هو التمرد والعتو في الكفر فيوجب رد كل عمل
وفيه تعبير المسلمين عن الفسق وما بعده بيان وتقرير به وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم لا
يخفى ما في هذا التعبير من حسن التصوير لقبول النفقة بصورة امر مرغوب مطلوب كانهم

طلبوه

طلبوه بالطبع فان كرام العرب مجبولون على حب الانفاق ومنعهم اياه ما بهم من الكفر والنفاق
الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم واعادة الجار للتنبيه على ان كفرهم
به عليه السلام اصالة لا تبعا لكفرهم بالله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ذمهم على
الكسل في الصلوة ذم على النفاق الذي يبعث على الكسل وفقد الايمان الذي يبعث
على النشاط ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا
فلا تعجبك اموالهم الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور متعجب من حسنه راغب فيه والتفريع على ما تقدم
باعتبار ان كون المال مرغوبا يودي الى كراهة الانفاق التي سياق الكلام في ذمها ولا اولادهم
اي فلا يسرك اموالهم ولا اولادهم مستحسنا اياها متعجبا منها فان ذلك استدراج لهم ووبال
كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي بسبب ما يتكابدون منها من كلف الجمع والحفظ
وما ينوبهم من الشدائد والمصائب وافات النهب والسبي وما كلفهم الله من الانفاق في سبيل
الخير على كراهتهم اياه مفعول يريد محذوف تقديره يريد ايتاءهم من الاموال والاولاد وتزهق
انفسهم الزهوق الخروج بصعوبة وشدة وهم كافرون في حالة كفرهم متحيرين لاهين بالتمتع
بها عن النظر في العاقبة متاملين بالتعلق بها وحبها متعذبين بفراقها لما قطع رجاهم عن جميع
منافع الاخرة بين ان الاشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله اسبابا لتعذيبهم
بها في الدنيا والاخرة ويحلفون بالله عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين منصوب بيحلفون لتضمنه معنى القول وما هم منكم لكفرهم الباطن ولكنهم قوم
يفرقون اي يخافونكم على انفسهم ان اظهروا ما كتموا في قلوبهم فلهذا يحلفون انهم منكم قال تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة والفرق في الاصل انزعاج النفس بتوقع الضرر فلا يستعمل الا في الخوف الشديد لو
يجدون ملجا حصنا يلجئون اليه او مغارات جمع مغارة من غار يغير وقال ابن عباس المغارات
السراديب وهي المواضع التي يستتر فيها او مدخلا مفتعلا من الدخول اي مسلكا يندس
بالدخول فيه لولوا اوجوههم اليه اي لاقبلوا نحوه والضمير لاحد الثلاثة وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يرده شيء من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام ومنهم من يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز التعييب
مسارة والهمز التعييب مجاهرة في الصدقات في قسمتها وفي هنا بمعنى اللام السببية كما في قوله
لمتنني فيه فان اعطوا منها رضوا وذكروه بالجميل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا
للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية وما احسن مجيء جواب هذين الشرطين لان الاول لا يلزم

يقاربه ولا ان يعقبه بل قد يجوز ان يتاخر نحو ان اسلمت دخلت الجنة واما جواب الشرط الثاني
فانما جاء باذا المفاجاة ليدل على انه اذا لم يعطوا فاجاوا بسخطهم ولم يمكن تاخره لما جبلوا عليه من
محبة الدنيا والشره في تحصيلها ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ذكر الله تمهيد للتنبيه على ان
اعطاءه عليه السلام بامره تعالى فهو المعطي في الحقيقة قال عليه السلام والله المعطي وانا القاسم ومفعول
رضوا محذوف اي رضوا ما اعطاهم الرسول وطابت به انفسهم وان قل نصيبهم وليس المعنى رضوا
عن الرسول عليه السلام لانهم منافقون وسخطهم لم يكن الا لاجل الدنيا وقالوا عطف على رضوا
في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم حسبنا الله اي كافينا ورازقنا من حيث
يشاء فيعطينا كفايتنا وان تاخرت سيؤتينا الله من صدقة اخرى وانما قال من فضله لان ما
اتاه الله فضل منه سواء كسب العبد او بدونه ورسوله اي ويؤتينا رسوله عليه السلام انا الى الله
اي الى رضاه تعالى راغبون لا رغبة لنا الى زخارف الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص انما الصدقات
للفقراء قصر جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة المشار اليه بصيغة الجمع على الاصناف
المعدودة تصويبا لما فعله الرسول عليه السلام ورغما لانوف المنافقين وردعا لهم عن اللمز وحسما
لاطماعهم باثبات استحقاق غيرهم لها دونهم وانهم ليسوا منها في شيء فما لهم والتكلم فيها وفي قسمها
ايرادا استطرادا ساق اليه الكلام في مثالبهم ورذائلهم وظهور ما اضمروا من معاداة الرسول عليه
السلام والمؤمنين من فلتات لسانهم ولهذا توسطت بين ذكر المنافقين ومعناه انما هي لهم لا
لغيرهم وهو دليل على الامر في قسمة الزكوة لا في الغنائم والقصر المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف
الثمانية وعدم تجاوزها الى غيرهم لا ايجاب شمولها وقسمها على جميعهم فيحتمل استيعاب الجميع
والصرف الى بعضهم فابو حنيفة اختار الثاني وعن عمر وابن عباس وحذيفة وكثير من الصحابة جواز
صرفها الى واحد منهم والشافعي اختار وجوب الصرف الى كل واحد منهم والتسوية بينهم على قضية
الاشتراك والمساكين المسكين من له مال او كسب ولكن لا يكفيه والفقير من ليس له واحد منهما ولهذا
قدم وروي انه عليه السلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر والعاملين السعاة في جميع الصدقات
وقبضها وانما قال عليها لتضمين معنى القيام كانه قيل القائمين على جميع مصالحها وكل من
يبعث معهم من عون لا يستغنى عنه فهو منهم لانه يحشر الناس عليهم والمؤلفة قلوبهم وهم كانوا
اصناف ثلاثة صنف كان النبي عليه السلام يتالفهم ليسلموا وصنف يعطيهم لدفع شرهم وصنف كانوا
اسلموا وفي اسلامهم ضعف فيزيدهم بذلك تقريرا على الاسلام كل ذلك كان جهادا منه عليه السلام

لاعلاء

لاعلاء كلمة الله تعالى فيها وتارة يكون بالسنان وتارة بالبيان وتارة بالاحسان واختلف في سقوط
هذا الصنف لعزة الاسلام وظهوره وفي الرقاب اي وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب
بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وقيل بان تفدى الاسارى والعدول من
اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة لا في الرقاب او للايذان بانهم احق بها واقوى
استحقاقا لان في للظرفية اي هم مواضعها التي توضع فيها لما فيهما من الفك والانقاذ من
الرق والغم والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخليص من الاشراف على الهلاك والغارمين
الذين يدينون لانفسهم من غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين بتحمل الحمالات
وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل
اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها
وفي سبيل الله اي وللصرف في الجهاد بالاعانة على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل
في بناء القناطر والمصانع واعادة الجار لانه من نوع اخر وابن السبيل اخره عن سبيل الله مع
انه من قبيل اسبق رعاية لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسبه ان يذكر بعد السبيل والمراد منه
المسافر المنقطع عن ماله وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله مصدر مؤكد لان معنى
قوله انما الصدقات للفقراء فرض الله الصدقات لهم او حال من الضمير في قوله للفقراء وقرئ
فريضة اي تلك الفريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق حكيم يضع الاشياء مواضعها ومنهم
اي من المنافقين الذين يؤذون النبي روي ان جماعة منهم ذموه عليه السلام وبلغه ذلك
فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم انما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فناتي ونحن ناتيه
فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره ويقولون هو اذن الاذن من قبل كل شيء سمعه
وحدث بشيء لا ينكره فان الاذن الذي هو جارحة السماع كذلك اي ليس فيه وراء الاستماع
تمييز الحق من الباطل وارادوا ذمه عليه السلام فاذكر من قبيل التشبيه والغرض المبالغة في الذم واما
اطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي كاطلاق العدل على العادل والغرض منه المبالغة
في المدح فاين هذا من ذاك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى كلام كل من يحدثه بشيء لكرمه
وحسن خلقه فظن اولئك انه لسلامة قلبه وغفلته ولقد احسن من قال عابه الجهال بما هو اية
غاية كرمه وعلامة حسن شيمه قال عليه السلام المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم قل اذن خير لكم
اضاف الاذن الى خير للمبالغة كقولك رجل صدق تريد وصفه بالجودة والصلاح كانه

الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم قبض اليد عبارة عن الشح اى يمتنعون عن الانفاق
فى سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان فى الاول كناية عن الترك والمراد ترك رحمتهم وانما
يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة اذ ابلغ وجوه الترك هو الترك الذى يقترن به النسيان
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والخروج عن دائرة الخير والمبالغة فى
ذمهم بالفسق وجعله غاية فى التمرد والعتو والفاروق الاعظم بينهم وبين المسلمين تنفير
للمسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين الجنس منهم للاهتمام بشانهم
والكفار اى المجاهرين بالكفر بقرينة المقابلة وهى لا تخلو عن الدلالة اى انهم جنس اخر نار
جهنم خالدين فيها حال عن معنى وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله بنار
جهنم خالدين فيها هى حسبهم اشارة الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اى حسبهم عقابا وعذابا
اذ لا شئ ابلغ منه ولعنهم الله طردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين فى
التبعيد ففيه بيان عذابهم الروحانى ولهم عذاب اى ولهم نوع من العذاب سوى الصلى
بالنار مقيم دائم كعذاب النار كالذين اى انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من
قبلكم كانوا اشد منكم قوة منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اى كانوا اشد منكم قوة
واقدر فاذا كنتم فى سوء المعاملة مثلهم وفى القوة دونهم فما يومنكم ان يصيبكم من العقوبة
مثل ما اصابهم ومن وهم انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم فاستمتعوا بخلاقهم
الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما سمى نصيبا لانه
نصيب له وتقديمه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بها
وذهولهم بلذاتها الفانية عن التفكر فى امر الاخرة والنظر فى العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل
اللذات الباقية ليتقرر سوء حالهم وسماجة فعلهم فى انفسهم ثم يتفطنوا ويتفطنوا القبح
ما هم فيه بتشبههم واقتفاء آثارهم والاستمتاع طلب المتعة وهى فعل ما فيه اللذة من الاكل
والمشارب والمناكح وخضتم اى دخلتم فى الباطل كالذى خاضوا اى كالذين خاضوا
الذى اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم
حبطت بطلت اعمالهم فى الدنيا والاخرة اما فى الاخرة فلانه لا ثواب لهم ولا نجاة من العذاب
واما فى الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله ذلك

كيدهم

كيدهم وخيب املهم واولئك هم الخاسرون ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهب
فيما لا يضرهم ولا ينفعهم كان خسرانا فكيف وقد ذهبت فيما يضرهم ولا ينفعهم اشار الى الاولين
المستمتعين ليعلم المشبهون بهم ان استمتاعهم وتلهيهم سبب لحبط اعمالهم فى الدنيا والاخرة
وخسرانهم المطلق فيرتدعوا الم ياتهم نبا الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير والنبا الخبر
الذى له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم
اهلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب مدين اهلكوا بالرجفة على ما صرح فى سورة
الاعراف والذين اهلكوا بالنار يوم الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب لم يقل وقوم
شعيب لان كثيرا منهم امنوا له عليه السلام ولمثل هذا عدل فيما سبق من قوم هود وقوم صالح
الى عاد وثمود والموتفكات الائتفاك الانقلاب والمراد كل من اهلك من المكذبين المتمردين
كما يقال انقلبت عليه الدنيا ويدخل فيهم دخولا اوليا قوم لوط ولو اريد بها قومه عليه السلام
خاصة لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات الضمير لكل ما تقدم
ذكره من الامم فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته العقوبة بلا جرم ولما تبين هذا مما تقدم
صدره باداة التفريع وهو كما يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون بايقاعها
فيما يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمومنون والمومنات بعضهم اولياء
بعض ذكر فى مقابلة المنافقين والمنافقات والمراد المخلصون والمخلصات وفى العبارة
المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص وان المنافقين ليس من جنس المومنين والمعنى
ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون ويتعاونون حتى ان الرجل يخرج
الى الجهاد وامراته تهيئ اسبابه ويخرج النساء مع الرجال ايضا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى
ويصلحن الطعام ويحملن الماء وغير ذلك من المهمات واختيار كلمة التبعيض ثمة لشدة الارتباط
فيما بينهم وقوة اتفاقهم على الكفر والشقاق وايثار عبارة الولاية هنا للاشارة الى ان حق الاخوة
الايمانية الموالاة فى المصالح الدينية وان كان بينهم معاداة فى المصالح الدنيوية يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر التعريف فى الموضعين للجنس ويقيمون الصلوة فهم يذكرون الله ويوتون
الزكوة فلا يقبضون ايديهم التعريفان هنا للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح بالنوافل
ابلغ او من يقيم النافلة احرى باقامة الفرض لكان له وجه ويطيعون الله ورسوله فى الاوامر
والنواهى اولئك سيرحمهم الله السين موكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هذا ما يحسب

مطبوع منه ولا يبين الا به نحو خاتم فضة او مختص بذلك المعنى اراد الوصف بالخيرية كانه
قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن او اذن فى الخير وفيما يجب سماعه وقبوله لا فى كل شى على الوجه
الذى ذممتوه به والدليل عليه قراة ورحمة بالجر اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
وقرى اذن خير لكم برفعهما منونين على ان خير صفة له او خبر ثان او كلاهما خبر لمبتدا محذوف
اى هو اذن هو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم ثم فسره بقوله يومن بالله
اى يصدق به لما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين اى يسلم لهم ما يقولون فالاختلاف
فى التعدية للاختلاف فى المعنى ورحمة اى هو رحمة اريد المبالغة فى رحمته لهم فسلك مسلك
رجل عدل للذين آمنوا اى اظهروا الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه
عليه السلام ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل يقبل رحما لهم ورفقا بهم وقرى ورحمة بالنصب
تعليلا لما تقدم من جهة المعنى فان اذن خير لكم فى معنى ياذن لكم رحمة والذين يوذون
رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله تعظيم وايذان بان الاذية الذى هذا شانه
يوجب استيجابهم العذاب الاليم يحلفون بالله لكم الخطاب للمومنين ليرضوكم اى يحلفون
على معاذيرهم عند الاعتذار اليكم فى التخلف عن الجهاد والتكلم بالمطاعن والاذية لتعذروهم
وترضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول عليه السلام وبيان
ان ارضاءه ارضا لله اى ورسول الله احق بالارضا بالطاعة والموافقة ان كانوا مومنين
كما تزعمون لان الايمان يقتضى ابتغا مرضات الله ولو بسخط من سواه الم يعلموا الاستفهام
بمعنى التوبيخ انه اى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من
الشق لان المتنى لفى كل منهما فى حد وذكر الله هنا ايضا لتمهيد فان له نار جهنم خالدا فيها على
حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد قيل يجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك فيكون فان له نار جهنم فى موضع نصبه هذا
الذى قرره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا
فى اللفظ او مضارعا مجزوما بلم فمن كلامهم انت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف
جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضيا فى اللفظ ولا مضارعا مجزوما بلم وذلك انما جاء فى كلامهم
مخصوصا بالضرورة وايضا فيجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك الدائم الخزى
العظيم الخزى الهوان بما يستحى من مثله يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل هو بمعنى الامر

اى

اى ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين والنازل فيهم كالنازل عليهم من حيث
انه مقروء محتج به عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما فى قلوبهم لم يكن ذلك الاخبار لاعلام المخبر به
بل لاعلام انه لا يخفى على الله تع ولا يخفيه عن رسوله عليه السلام وفيه هتك لستارهم واظهار
اسرارهم للمومنين ولا يخفى ما فى هذا المعنى من شدة الالتئام بين اجزاء الكلام واعتذار لطيف
يناسب المقام بل التزام لانتشار الضمائر ثم ان ما ذكر على تقدير الامر ظاهر واما على تقدير الخبر
فنقول لكثرة ما كان يطلع الله ورسوله كانوا يحذرون ذلك والجبن باطنهم وشدة كفرهم كانوا
يوذونه عليه السلام ويستهزؤن به وذلك قوله تع قل استهزؤا صيغة امر وهو للتهديد ويدل عليه
ان الله مخرج من الكمون الى البروز ما تحذرون اى ما تحذرونه من نزول السورة فى اسراركم
وهتك استاركم او من اظهار مساويكم ولئن سالتهم ليقولن روى ان ركب المنافقين مروا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله نبيه عليه السلام فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
لا والله ما كنا فى شىء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر فنزلت فما ذكر من السوال والجواب كان مع بعضهم الا انه اسند الى
الكل لاتحادهم فى المنشا انما كنا نخوض ونلعب الخوض فى الاصل دخول القدم فيما كان مانعا
من الماء والطين ثم كان وكثر حتى صار فى كل دخول فيه اذى قل ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزؤن تقرير للاستهزاء وتوبيخ لهم على استهزاء بمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء
به لان ايلاء المستهزا به حرف الاستفهام انما يصح بعد وقوع الاستهزاء فلم يعبا باعتذارهم
للعلم بكذبهم فى ذلك وذكر الله تمهيد لتعظيم اياته والتنبيه على ان استهزاءها راجع الى الله تع
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعذاركم فانها معلومة الكذب لا تنفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم
بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
او لاجتنابهم عما كانوا يفعلونه من الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
بكونهم مجرمين مصرين على النفاق وما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
اى جنس واحد كابعاض الشى الواحد غير مماثل لجنس المومنين تعريض بانهم ليسوا من المومنين
وتكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير بقوله تع وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه
بيان منافاة حالهم لحال المومنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف

اى

جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله
تعالى زعيم بالانجاز ان الله عزيز اي قوي غالب قادر على قهر اعدائه واعزاز اوليائه بجميع الوجوه
حكيم يضع الاشياء مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين والكفار والرحمة باعدائهم على حسب استحقاقهم
فليستعدوا لكلا الامرين فهو من تتمة وعيد المنافقين على وجه يتضمن وعد المؤمنين وعد الله المؤمنين
والمؤمنات ففيه انتقال من التضمين والاشارة الى التصريح اهتماما لامر البشارة جنات اي
السكون والقرار فيها تجري من تحتها الانهار لما كان الموعود قرارهم فيها صح ان يكون قوله خالدين
فيها حالا عنه بلا تاويل ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت في جنات عدن مقام معين لما روى ابو الدرداء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة
النبيون والصديقون والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لسائر المؤمنين فان الموعود لهم ما في
حوله من الجنات قال ابن مسعود عدن هي بطنان الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد به معناه
اللغوي وهو الاقامة والخلود لما فيه من التكرار في اعتبار معنى واحد وعدهم اولا بالرحمة المطلقة
اجمالا ثم فصلها وفسرها بما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها من جنات تجري من تحتها الانهار ونكرها
للتعظيم لتميل اليها طباعهم اول ما تقرع اسماعهم ثم زاد عليها دفع وهم التنغص بالعيش وهو
زوال تلك النعمة ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا
تخلو شيء منها اماكن الدنيا واما زيادة قوله في جنات عدن فلدفع وهم ان تكون تلك المساكن
خارجة عن الجنات ويكون سكون المؤمنين فيها قبل الدخول ثم وعدهم بما هو اكبر مما تقدم ذكره
فقال ورضوان من الله اكبر افرده بالذكر ونونه تعظيما في شانه اي وشيء من رضوان الله اكبر
من ذلك كله لان رضاه تعالى سبب كل فوز وسعادة وموجب كل قرب وكرامة روي ان الله
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم ابدا ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم وقيل الى الرضوان خاصة للتعظيم وفيه اخراج ما عدا
الرضوان المذكور عن حد الفوز العظيم ويأباه ما في قوله تعالى اعد لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فانه صريح في دخوله في الحد المذكور هو الفوز العظيم
لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا لانه يفنى ويتغير دونه وينغص ويتكدر بخلافه يا ايها النبي جاهد

الكفار

الكفار المجاهرين بالقتل والسبي والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود وتقديم الكفار لان
جهادهم اهم واتم لكونه باللسان اولا وبالسنان ثانيا وجهاد المنافقين الثاني فقط واغلظ
عليهم في الجهادين قال عطاء نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم عطفه بالواو
دلالة على ان المذكور بعض ما اعد لهم فاضمر بعضه ثم عطف عليه ما ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل وبئس
المصير يحلفون بالله ما قالوا روي انه اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع الى الطعن في الدين او في الرسول صلى الله عليه وسلم
وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد ما اظهروا الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل والعلل وعلى الاخير يكون الكلام على طريقة قول
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او ما نقموا الا وجه
ان يشكروا وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم ورسوله من فضله الضمير لله وتوسيط ذكر الرسول عليه
السلام لانه الواسطة في وصول الفضل المذكور منه تعالى اليهم فان يتوبوا يك خيرا لهم الضمير في يك
للتوب وهذا احسان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة
هذا هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في
الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب باللطف او
بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو المحتمل بالنفي وهذا ابلغ من ذكر السماء معها والتصريح
بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم اي ومن المنافقين من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن قال
الضحاك هم سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية
روي انه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا
بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني
ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى
عثمن رض فلم يقبلها وهلك في زمن خلافته ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج
ليلائم المعطوف اعني لنصدقن اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبها على ايتاء المال المشار اليه لئن اتانا
من فضله ومن ههنا قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة في الحج والغزو فلما اتاهم من فضله
بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها
فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه والظاهر
ان الضمير لله اي فجعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه دل على موتهم على
النفاق ولذلك لم يقبل الخلفاء زكوة ثعلبة والضمير لله ويوم لقائه وقت الجزاء وابتداؤه
من وقت الموت او لفعلهم والاعمال تجسم وتحصل الملاقاة حقيقة على ما ورد في الاحاديث
الصحيحة وانما لم يقل الى ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزاء ابتداؤه من وقت الموت ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما
وعدوا الله من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف
الوعد اخت الكذب تجوز استعارة اثمه له فيه وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه
تاكيدا للوعيد بقوله الم يعلموا اي المنافقين وقرئ بالتاء الفوقانية على الالتفات ان الله
يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى
عليه شيء من ذلك الذين يلمزون محله النصب او الرفع على المدح او الجر على البدل من الضمير في
سرهم ونجواهم واللمز قدم تفسيره المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رض باربعة الاف درهم
وامسك مثلها فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اعطاه وفيما امسك وتصدق عاصم

بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان تصدق
ابو عقيل الا ليذكر مع الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالضم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وحمل على نفس
المشقة فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اي يهزؤن بهم سخر الله منهم
قد مر بيانه في تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم
ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الم فالتوصيف انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقديم الجار والمجرور
لمحافظة الفاصلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية الاستغفار وتركه في
امتناع الغفران كما نص عليه في قوله فلن يغفر الله لهم وفائدة الامر به وتركه ان يتحقق فيعلم يقينا
انه لا يتفاوت في الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي
انه سأل عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في
مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد
شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة ما
هو الاصول من كسور العدد فكانها العدد باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم
تاثير الاستغفار في حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم
وتمردهم في الفسق والعصيان لا للمنع ولا لتقصيرك والله لا يهدي قد مر انه من قبيل
تنزيل الموجود منزلة المعدوم لعدم اثره القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهذا كالدليل
على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره
المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر النبي عليه السلام في استغفاره وهو عدم
ياسه عليه السلام عن ايمانهم لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى غزوة تبوك المخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة

بمقعدهم اى بقعودهم عن الغزو فى المدينة عند خروجه عليه السلام خلاف رسول الله نصب
على الظرف اى خلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعد ارتحالهم ويعضده قراءة ابى حيوة خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المصدر اى خالفوا رسول الله خلافا نحو قوله تع فضرب الرقاب اى
اضربوا الرقاب ضربا وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه عليه السلام فح يكون حالا ومفعولا
له اى مخالفين له او للمخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم ايثارا للموجود الفانى على الموجود
الباقى وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله وفى ذكر حالهم هذه فى معرض القدح تعريض لحال
الباذلين اموالهم وانفسهم فى سبيل الله المتحملين للمشاق لوجه الله بالمدح وقالوا حذف المقول
له للتعميم اى قالوا لكل من لا قوة وقدروا على اغوائه واضلاله لا تنفروا فى الحر فى وقته اى
لا تخرجوا للغزو فانه وقع فى شدة الحر لا بوس من معاقلة المياه وهلاك الظهر والضعف عن المشى فعاب
الله هذا من قولهم وهددهم عليه بالنار بقوله قل نار جهنم اشد حرا اقيمت عليهم الحجة بان قيل لهم
فاذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها وذكره فى سياق الوعيد
لهم يتضمن الدلالة على ان حالتهم هذه موجبة للتعذيب بنار جهنم لو كانوا يفقهون الفقه الفهم
بالفطنة اى لو كان لهم فهم وفطنة لما رغبوا عن طاعة الله لما فيها من التعب وهو سبب الرغبة
فيها لان الاجرة للعمل بقدر المشقة فيه قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها واما قيل استجهال
لهم لان من تصون عن مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان اجهل من
كل جاهل فلا يناسبه ايثار يفقهون على يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الفاء للتسبب
والضحك حال تفتح وانبساط يظهر فى وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال يظهر فى
الوجه عن غم مع جرى الدموع على الخد والامر فى الموضعين للتكوين ومجيئه على صيغة المضارع
لان كون تلك الحال فى الاستقبال وقيل اخبار عما يؤول اليه حالهم فى الدنيا والاخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ومبناه على ان يكون الاخراج المذكور
اقوى من ابقاء الاخبار على صيغته ولا يخفى ضعفه كيف وما عليه الجمهور وهو المشهور ان اخراج
الامر على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على حاله ويجوز ان يكون المراد من الضحك والبكاء
فرط السرور والغم ومن القلة العدم ومن الكثرة الابد جزاء بما كانوا يكسبون من انواع
المعاصى ويندرج فيه معصيتهم السالف ذكرها اندراجا اوليا ففيه تقرير وتعيين لما دل عليه
الفاء السببية والكسب اجتلاب لفظ بما هى له من الاسباب فلا ينتظم ترك الواجب والمفهوم

اى فى طريق الغزاء والاضافة
الى الله للتشريف والتنبيه على ان
الغزاء المحمود ما كان خالصا صح

انما يعتبر اذا لم يعارضه منطوق نص اخر والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددى واعتباره يناسب الاخبار عن الجزاء الدائم فان رجعك الله الى طائفة الفاء للتفريع
على ما تقدم ورجع متعد من الرجع بمعنى الرد والطائفة الجماعة التى من شانها ان تطوف ولهذا
لا يقال فى جماعة الحجارة طائفة والمراد الجماعة المتخلفون وانما قال منهم لان كلهم لم يكونوا منافقين
او لان فيهم من تاب ومات كان قفول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بطيب الخاطر وحسن
الاختيار واما وصوله الى زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار فاوثر صيغة المتعدى على
اللازم للاشعار بهذه الدقيقة الانيقة فاستاذنوك الاستيذان طلب الاذن وهو رفع التبعة
فى الفعل او الترك واصله ان يكون بقول يسمع بالاذن والفاء فصيحة عاطفة على مقدر تقديره
ثم اردت الخروج الى غزوة اخرى للخروج اى معك والخروج فى الاصل الانتقال عن محيط فقل
جواب شرط لن تخرجوا معى نهى عن خروجهم معه عليه السلام الى الغزاء اخرجه على صيغة الاخبار للدلالة
على وقوع الامتثال عنهم بالاضطرار وعدم قدرتهم على المخالفة ابدا الابد الزمان المستقبل من غير
انتهاء الى حد ونظيره فى الماضى قط ولن تقاتلوا معى عدوا الاول لاسقاطهم عن ديوان الغزاة
خاصة وهذا لاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا انكم رضيتم بالقعود تعليل للنهى المذكور
وكان اسقاطهم عن الدواوين المذكورين انما عقوبة لهم عن التخلف بالاختيار لا للاكراه والاضطرار
لا على التخلف مطلقا وللاشارة الى هذا اتى بعبارة الرضى اول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان وسائر من لا يليق بالجهاد من اصحاب الاعذار ولا
تصل على احد منهم مات هذه فضيحة لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها خزى لهم فى حال الحيوة قال قتادة
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابى سلول فى مرض موته وكان دعاه فساله ان يصلى
عليه ويقوم على قبره ويكفنه فى قميصه ففعل ذلك فنزلت الاية وعن عمر رض انه قال لما توفى عبد الله
بن ابى سلول ووضعناه ليصلى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلى على عدو الله ٤
القائل يوم كذا كذا والقائل يوم كذا كذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل
على احد منهم الاية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره انما قال مات
والمراد الاستقبال لانه كائن لا محالة وقوله ابدا منصوب بتصل وبه صارت الاية محكمة لا لما
كما توهمه من قال فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحى ولم يدرانه على التقدير

المذكور ايضا لا حاجة الى التوجيه المزبور بل لا وجه له لان الحيوة فى البرزخ لا تنافى استمرار الموت الواقع فى الدنيا ولا تقم على قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت والمراد من القيام عليه معناه الحقيقى وهو نوع اكرام وقيل اراد به المباشرة باسباب دفنه ومواراته وعلى هذا يراد بالقبر معناه المصدرى ويندرج فيه التكفين فلا يتمشى ما قيل انما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس رض قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكره لا يصلح تعليلا لعدم النهى عنه لما عرفت ان نزول الاية المذكورة بعد الصلوة والتكفين فيكون النهى على تقدير وروده عن العود الى مثله وفى الروايات قيل له عليه السلام المبس عدو الله قميصك قال انى لارجوا ان يسلم بقميصى الف من بنى الخزرج وكان كذلك انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على سبيل الاستيناف وماتوا وهم فاسقون اى فكفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اى الخروج عن الطاعة قال الامام ابو منصور سمى الله الكفار والمنافقين فاسقين فى ايات وان كان اسم الكافر والمنافق ابلغ فى الذم من اسم المنافق لان اسم الفاسق ما يأنف منه كل ذى دين فانه خروج عما يدين به فاخبر الله انهم مع تدينهم بالباطل فاسقون فى معاملاتهم خارجون عن ديانتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ايضا ولا تعجبك اموالهم واولادهم قد مر التفسير ومعنى التكرير المبالغة فى التاكيد والتقرير والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة بهما والنفوس مغتبطة عليهما وانما عطفت ههنا بالواو دون الفا لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق فان للتفريع جهة على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا لا تحسبن ان تمكين اهل النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسدا معروف من الله اليهم او اسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم وامهال لا اهمال والله قدير متعال وتزهق انفسهم وهم كافرون فيعذبون بالنار فى دار القرار ابدا واذا انزلت سورة تمامها على الحقيقة او بعضها على المجاز لانه علم للمجموع المعين بخلاف القران والكتاب فانه يقع كل منهما على الكل والبعض على الحقيقة ان امنوا ان هى المفسرة بالله وجاهدوا مع رسوله اى جاهدوا الكفار متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا عن الجهاد بعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء جمع خالفة وقيل معناه مع الخساس من قولهم فلان خالفة قومه اذا كان دونهم فى اسباب الفضل وهذا تعيير لهم وذم وطبع على قلوبهم

اى ختم عليها انما عطف على ما تقدم بالواو دون الفا تنبيها على ان الطبع المذكور ليس اثر الرضا المذكور بل الامر بالعكس فهم لا يفقهون فضل ما فى الجهاد من السعادة الاجلة على ما فى تركه من الراحة العاجلة ورجحان ما فى التخلف من الشقاوة الباقية على ما فى عدمه من المشقة الزائدة وعلى هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا حتى ينافى بقاء التكليف لكن الرسول استدراك عما تقدم من جهة المعنى فان قوله رضوا الخ فى معنى لم يجاهدوا اصلا والذين امنوا اى المخلصين من المومنين وانما قال معه افادة للمعنى التبعية له عليه السلام جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نية كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون صرح ههنا بما قدمه تعريضا واولئك لهم الخيرات انما اتى بالواو عطفا على مضمر كانه قيل فاولئك لهم النصرة والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنائم فانها جمع خيرة تخفيف خيرة وهو المستحسن من كل شئ واكثر استعمالها فى النسا ومنه ما فى قوله تعالى فيهن خيرات حسان ولهذا قيل اريد ههنا الحور واولئك هم المفلحون الذين ادركوا بغيتهم فى الاخرة والحصر فى المواضع الثلاثة اضافى اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار بيان وعد ادراكهم البغية خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يقال اعذرت الى فلان اى تكلمت بالعذر فعذرنى اى قبل عذرى واعتذرت اليه اى اتيت العذر الصحيح على امرى وعذرنى بالتشديد اى اتيت بما هو فى صورة العذر ولا عذر لى فيه حقيقة والاية قرئت بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس وبالتشديد وهو قراءة سائر الناس فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد من اعتذر على ادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين اخبار عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا وبالتشديد من عذر اخبار عن اعراب تكلموا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا ودلالة الاية ذم لهم وجملته ان نزول السورة فى الجهاد صار الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم فى قوله استاذنك اولوا الطول منهم والمخلصون وذكرهم فى قوله والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم واعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة او لا عذر لهم وذكرهم الله فى قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان ودليله قراءة ابى كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم لان منهم من اعتذر للسامة لا للكفر عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار وقوم اخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عدة فجاؤا واستاذنوا وذكرهم فى قوله ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب

كبر سن او زمانة او عرج او عمى او غير ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها لانه لا
طاقة به في الحال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التأخير اذا نصحوا لله ورسوله
النصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن والقيام بالعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح
قولا وفعلا كما يفعل الناصح لمن ينصحه ويندرج فيه اندراجا اوليا انه قيل اي لم يثبطوا غيرهم من الموسرين
والاصحاء عن الخروج ولم يوهموا ان قعودهم كان لجواز التخلف لكل من اراده بل بينوا سبب تخلفهم
ووضعوا القادرين عليه وقاموا باسبابهم عند خروجهم واسباب من خلفوهم بالمعونة ما على
المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع الظاهر موضع الضمير
للدلالة على انهم موصوفون بصفة تنافي العتاب فيفيد المدح والتعليل والله غفور رحيم للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء اي ولا حرج ايضا على الاصحاء
الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون الى المركب وجاؤك ليسألوك مركبا تحملهم عليها يقال حمل
الامير فلانا اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد كقوله
او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا جواب اذا ويجوز ان يكون جوابا
لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا اجابهم الرسول قيل تولوا ويكون جواب اذا قوله قلت واعينهم
تفيض الفيض هو السيلان عن الامتلاء من الدمع من للبيان كما في قولك فديتك من رجل
قيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله فاعل لا يجوز جره بمن واصل
الكلام تفيض دمعها فحول الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فائض حزنا مفعول له او
حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في
مغزاهم فيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ويجوز
ان يكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام ويحسن هذا قوله انما
السبيل معرفا بالالف واللام اذ دخلت على النكرة وكلمة انما ليست للحصر بل هي للمبالغة فيما يرد
نغوره كما في قولك انما الشجاع عنترة على الذين السبيل قد يوصل بعلى وبالى غير ان وصلها بعلى
يقتضي ضعف المتوصل اليه وقلة منعته فلذلك حسنت في هذه الاية يستأذنونك وهم اغنياء
واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم استئناف كانه قيل ما لهم
استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالضعة والدناءة والانتظام في سلك الخوالف ايثارا للدعة
وفائدته بيان سبب الاستئذان مع الغنى وهو امران رضاهم بالدناءة والطبع على قلوبهم بالخذلان

حتى غفلوا وجهلوا او خابت عاقبتهم فهم لا يعلمون قد حصر المعذرون في التخلف في
ثلاثة اقسام الذين فقدوا الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية والذين
استطاعوه فلم يجدوا ما يحملهم عليه يعتذرون اليكم في التخلف خطاب للصحابة اذا رجعتم اليهم من
هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض
المعتذر ان يصدق فيما يعتذر فلا يعاتب فاذا لم يصدق بترك الاعتذار قد نبأنا الله من
اخباركم علة لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي الى نبيه عليه السلام بعض اخباركم وهو ما في
ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم رؤية العمل في مثل هذا المقام يكون كناية عن فعل
الرائي المستحق العامل بسببه اي سيرى الله أتنيبون اليه وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون
عليه ففيه وعيد بالاساءة في الدنيا ووعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله ورسوله
للفصل بين الرؤيتين تنبيها على ان الثاني على حقيقته والمراد موجبها وهو الفضاحة على
تقدير الثبات على الكفر ولا يخفى انه في غاية الايجاز والفصاحة ثم ان في عبارة التسويف
اشارة الى الامهال لتدارك الانابة ففي الكلام اساءة على العطف وجه وانما قلنا انما ذكر
من الوعد والوعيد في الدنيا لان قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة وعد ووعيد
في الاخرة وفيه تدارك لما عسى ان يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى الله الى ما لا يليق بشأنه
تعالى من الرؤية وسبق علمه ببعض الاشياء بالغفلة عنه ولهذا اوضع عالم الغيب والشهادة
موضع الضمير اي لا يخفى عليه خافية مما في قلوبكم ولا بادرة مما يظهر على السنتكم وجوارحكم فيجازيكم
به فينبئكم على رؤوس الاشهاد بما كنتم تعملون تشهيرا لحالهم وتقريرا لوبالهم وتذكيرا لما ذهب
عن خيالهم وبالهم على ما افصح عنه في موضع اخر بقوله فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
فيتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يحيق بهم من الخزي والعار سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما ذكر انه يصدر منهم الاعتذار اخبر انهم سيؤكدون ذلك الاعتذار
الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف طلبهم ان يعرضوا عنهم اعراض صفح فلا يلوموهم ولا
يوبخوهم فاعرضوا عنهم اي فاجيبوا الى طلبتهم وفي تعليل الاعراض عنهم بقوله انهم رجس
دلالة على انه اعراض مقت اي مستقذرون بما انطووا عليه من النفاق فيجب اجتنابهم
كما قال في الاية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم
التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير لان قوله

ومأواهم جهنم بعيد هذا المعنى اي انهم ارجاس من اهل النار لا يجدي فيهم التوبيخ والافادة خير
من الاعادة اليهم الا ان يقال انه تعليل اخر اي وكفتهم جهنم عقابا وتوبيخا فلا تتكلفوا في
عقابهم جزاء بما كانوا يكسبون مصدر مؤكد او مفعول له او حال من جهنم يحلفون لكم حذفت
ههنا المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفاء بذكره مرة كما في قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها وقوله تعالى
لترضوا عنهم اي غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم في دنياهم فان ترضوا عنهم فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان رضاكم عنهم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم لان
سخط الله يورثهم عقوبة الدنيا والاخرة ورضاكم لا يستلزم رضاه والعدول عن الضمير الى
الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق وللدلالة على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا تحصيل رضاه ما
داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب والمراد نهيهم عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض
جاء الامر بالاعراض هنا لانها تتنوع بحسب الاعراض فيكون المعنى على مقتضى الحكمة ولا كذلك
الرضا وقد ذكر ههنا الحلف لاجل الرضا وابرز النهي عنه في صورة الشرطية اخراجا له مخرج التردد
فيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس مشاهد وجعل جوابه انتفاء رضا الله تعالى
عنهم فصار رضا المؤمنين ابعد شيء من الوقوع لان اللائق بهم ان لا يرضوا عمن لا يرضى الله تعالى
عنهم الاعراب سكان البوادي اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لانهم كانوا في البوادي ولا محالة
ان خوفهم هناك اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك اطلق ونفاقهم اشق ازالة لقساوة
قلبهم واجدر ان لا يعلموا اي احق بان لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيبتهم عن
مجالسته وقلة ما يرد عليهم من القران حدود ما انزل الله على رسوله من الاوامر والنواهي لقوله تعالى
تلك حدود الله فلا تعتدوها وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والله عليم يعلم حال كل واحد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذكر العلم بعد العمل ابلغ وعد
ووعيد والكل بشارة وتهديد ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق
مغرما غرامة وخسرانا اي يجعله مقصده ولا يرى فيه غير ذلك اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه
ثوابا وانما ينفق رياء او تقية واصل المغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم
والمأثم ولكن كثر استعماله فيما يؤديه الانسان مما لا يلزمه بحق وفي لفظه معنى اللزوم ومنه
قوله تعالى ان عذابها كان غراما ويتربص بكم الدوائر الدائرة في الاصل مصدر سمي به كالعاقبة او

اسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان التي لا مخلص عنها فهي تحيط بالشيء كما تحيط الدائرة
ويحتمل ان يؤخذ من دور الزمان اي ينتظر بكم ما تاتي به الايام وتدور به من النوائب لينقلب
الامر عليكم فيتخلصوا من الانفاق عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما تربصوا به معترض كقوله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة اضيف اليه كقولك
رجل سوء لان دارت اليه ذمها بالسوء وقرئ بضم السين قيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقال
ابو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار
ولحا راسه ولا يقال رجل سوء الا بفتح السين ولهذا لم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ما كان
ابوك امرأ سوء والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرونه من النفاق ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنما
وذكر ههنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله واليوم الاخر
لان جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الاخرة وقد اكتفى ثمة بذكر نتيجة الكفر وهو اتخاذ ما
ينفق مغرما والتربص بالمؤمنين الدوائر ويتخذ اي يجعل مقصدا ما ينفق قربات عند الله
سبب قربات وهو ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
سبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان
يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على ال ابي
اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره اقيم المسبب مقام السبب في الموضعين لقوة الاستلزام
وشدة التشوق الى اللازم الا انها قربة لهم شهادة من الله للمتصدقين بصحة اعتقادهم على
ابلغ الوجوه من التاكيد بالاستيناف والا وان المفيدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير
قربة للتعظيم والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته تصديق لرجائهم بما في السين من تحقيق
الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة
من الله بمكان اذا خلصت النية من صاحبها ان الله غفور رحيم استيناف لتقرير ما وعد لهم
والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا
بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمرو وقرئ بالرفع عطفا على
السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون بالسابقين من القبلتين والذين اتبعوهم بالايمان

والطاعة الى يوم القيمة باحسان باخلاص قال الله تع بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن رضي الله عنهم
لطاعتهم واعمالهم ورضوا عنه لافاضته عليهم نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى
تحتها الانهار وقرى من تحتها خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قدم تفسيره وممن حولكم
اى حول بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهي جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق اى دربوا فيه ومرنوا
عليه ولجوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا • وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على
الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا
على النفاق اى بلغوا من مهارتهم فيه الى ان خفي حالهم عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك
لتنوقهم في توقي مواقع التهم نحن نعلمهم تاكيد للبيان لافادة تقديم الضمير التخصيص اى لا يعلمهم
الا الله وحده ولا يطلع على سرهم غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهار الاخلاص وحمل مردوا على
الاستيناف ابلغ وانسب لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ويحتمل ان لا يراد بها شفع الواحد
بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى مرة بعد مرة ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار في دار القرار واخرون اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة من
تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى
المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى
ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب واخر سيئا
هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها على كون كل منهما
مخلوطا ومخلوطا به بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا والاخر مخلوطا به ويجوز ان
يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما عسى الله
ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبي عسى من الله
واجب اى هو اطماع والاطماع من الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه قال بعض العلماء المسئ منا الى مخلوق اذا خافه لم يخلصه من ذلك الا شيئان الانكار والفرار

والمسئ في حق الله لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار قال قائلهم • اقر بذنبك ثم اطلب
تجاوزه • واعلم بان جحود الذنب ذنبان خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المودي لهم الى مثله صفة لصدقة والتاء
للخطاب او لغيبة المونث وقرى تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وقرى تطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم
يقرا وتزكيهم الا باثبات الياء والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او الانماء والبركة في المال
بها بالصدقة وصل عليهم واعطف عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم
تسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم بان الله قبل توبتهم وجمعها لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع
اعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم وصدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للتوب
عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التحضيض
عليهما ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت لا رسوله ولا غيره عن عباده تعدية يقبل بعن لتضمنه
معنى التجاوز وياخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية واخذها مجاز عن قبولها وقبولها
كناية عن اعطاء الثواب في مقابلته كما هو شان الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان
من شانه قبول توبة التائبين مرة بعد اخرى والتفضل عليهم بالتجاوز عما وقع بين التوبتين
والواو للعطف على مقدر كانه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة
التعليل مع انه قياس وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل والمعلل مهما
امكن فتامل وقل اعملوا ما شئتم ظاهره امر وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى
الله عملكم خيرا كان او شرا وقدم بيانه ورسوله والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب
لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة قدم بيانه
وانما اتى هنا بالواو بدل ثم حرف التقريب لان كل آت قريب ولان الرد عند الموت وهو
محتمل في كل آن والمقام مقام التحذير فلا تناسبه اداة التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في
حق المحسن ووعيد في حق المسئ واخرون من المتخلفين مرجون قرى بالهمز من ارجاه وبغير الهمز من
ارجيته ومعناه موخرون اى موقف امرهم لامر الله اى الى امر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا
ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعبد وهم ان يكون له ثم قال والله عليم باعمالهم
ونياتهم حكيم فيما يفعل بهم ويدخل فيه امر التاخير دخولا اوليا وقرى غفور رحيم والمراد بهولاء

كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والذين اتخذوا
مسجدا عطف على اخرون او نصب على الذم او خبر مبتدا محذوف تقديره وهم الذين او مبتدا
خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا والواو عاطفة الجملة وقرئ بغير واو فاحتمل ان
يكون بدلا من قوله واخرون وان يكون خبر مبتدا محذوف ومبتدا محذوف الخبر واتخذوا
هنا تعدى لواحد كما في قوله اتخذت بيتا اي عملته ضرارا اي مضارة مفعول لاجله لما ذكر
طرائق ذميمة لاصناف المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا
للمنافقين يدبرون ما شاءوا فيه من الشر وسموه مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه
روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم
فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابن عامر
الراهب اذا قدم من الشام وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة في مسجد قبا لانهم ارادوا
ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا او ترقبا لمن حارب الله يعني الراهب فانه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله عليه السلام الى يوم
حنين انهزم مع هوازن الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله لتمهيد لتعظيم امر محاربته عليه السلام من قبل متعلق بحارب
او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة
تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء
الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والزكوة والتوسعة على
المصلين فانهم قد قالوا لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنوا بناه انا قد بنينا مسجدا
لذي الحاجة والعلة والليلة المطرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم
فيه ابدا اراد القيام للصلوة كما في قوله عليه السلام من صام رمضان وقامه لمسجد اسس على
التقوى يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس لاحياء دين الله واظهار شريعته التي
لا يقوم بها الا من اتقى الله قال ابو سعيد الخدري وابي بن كعب قال النبي عليه السلام هو مسجدي

هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو مسجد قبا لانه اوفق للقصة والاول هو الوجه لانه لا
يطرح بطرد ولانه اوفق لقوله احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان
يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
استيناف تعليلي يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة من اسباب ترجيح الصلوة في مسجدهم والله
يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه روي انه عليه السلام قال يا معشر
الانصار رايت الله اثنى عليكم بالطهور فما ذا تفعلون عند الغائط فقالوا نتبع الاحجار الماء فتلا فيه
رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة
هي اضعف القواعد وارخاها الشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي جرف اصله
السيول وتحفره بالماء فبقي واهيا من الجرف وهو القلع الشيء من اصله والهار الهائر وهو
المتصدع الذي اشفى على الهدم والسقوط لما استعار الجرف الهائر المقابل للتقوى من الباطل
الذي هو الفجور والنفاق والضرار على انه شبه الحق الذي هو التقوى بقاعدة محكمة فوثيقة
على طريق الاستعارة بالكناية ولهذا انكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله ثم رشح
الاستعارة بقوله فانهار به في نار جهنم كان الجرف الهائر سهل الانهيار لخوره وقلة ثباته
واستمساكه وهو تصوير لسرعة اداء الباطل الى هوى صاحبه في قعر جهنم جرف اصله السيل وبعضهم
منه ان تاسيس الذي يقابله على امر يحفظ عن النار ويوصله الى الرضوان الذي ادنى مقتضياته
الجنة ولذلك عطف الرضوان على التقوى وجعلا كانهما امران متلازمان اشعارا بان
تلازمهما بحيث كلما يلزم احدهما يلزم الاخر ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على المقصود
منه وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما دام حيا امكنه ان يتخلص فيتخلص ولا يقع فيها والله لا
يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم من حيث هم ظالمون الى ما فيه صلاح ونجاة وقد مر ان نفي
الهداية في مثل هذا على طريقة تنزيل الاثر منزلة العدم والا فالله هادي الكل الى مصالحهم
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده
بنيانة وح يكون الذي بمعنى الذين والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف اي
بناء بنيانهم الذي بنوه سبب ريبة فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد وانفاقا بحيث لا يزول وسمه من قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم

قطعا بحيث لا تبقى قابلية الادراك والاضمار فالتقطيع تصوير لامتناع زوال الشك عن القلوب
مع بقائها وان زواله لا يكون الا بزوال وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة اي
وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد حقيقة التقطيع بالقتل
وفي القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
وقرئ بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع على خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب وقرئ ولو قطعت على البنائين والله عليم بضمائر العباد
حكيم في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد فيدخل في الاول بنائهم وفي الثانية الامر
الوارد في حقهم دخولا اوليا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
استعار الاشتراء لاثابتهم الجنة على بذل الاموال والانفس في سبيل الله ولم يقل بالجنة
مدحا لهم باعتبار انهم بذلوا انفسهم بمجرد الوعد وفيه كمال ثقتهم بوعده تعالى وايضا تمام
الاستعارة المذكورة به اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة ولو قيل بالجنة لم
توجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان تكون احد العوضين بخلاف الوعد بها يقاتلون
في سبيل الله استيناف لبيان الاشتراء لا لبيان ما لاجله الشراء وقيل خبر بمعنى الامر كقوله
تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم اظهارا لاهتمامهم بالمامور به كانهم سارعوا الى الامتثال
فاخبر عنه فعلى هذا يكون الاشتراء تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل لمقاتلتهم وبيان لاحرازهم
فضيلتي الجهاد وقرئ بتقديم المبني للمفعول ومبناه على اسناد فعل البعض الى الكل وفيه دلالة على
ثبات قلوبهم وجرائتهم على العدو وحيث لم ينكسروا بان قتل بعضهم كما قال تعالى وكاين من نبي
قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل في توجيهه ان الواو لا توجب الترتيب ولا يجدي لان
تقديم ما حقه التاخير لا يكون بلا نكتة وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم
الجنة حقا صفته في التورية والانجيل والقران اي اوحى به الى انبيائه واثبته في كتبه ومن
اوفى بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وتاخذون ثمنا من مشتري المبيع
وهو ملكه وحقه خاطبهم على سبيل الالتفات تشريفا لهم واستبشر فعل جاء فيه استفعل بمعنى
افعل وليس هذا من معنى الطلب في شيء كعجب واستعجب وذلك البيع هو الفوز العظيم لانه الوصول
الى الحظ الاغبط من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب التائبون رفع على المدح اي هم

التائبون

التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون والدليل عليه قراءة التائبين الى قوله والحافظين
نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون
الموصوفون بهذه الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى
او خبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله وحده مخلصين له الدين الحامدون
لنعمائه او لما نالهم من السراء والضراء السائحون اي الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي
الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل
بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائرون للجهاد او طلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن
الشرك والمعاصي والعاطف للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة كانه قال والجامعون بينهما
وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع لانه من تمام
تلك الخصال فان من لم يصدق فعله قوله ولم يوافق حاله مقاله لا يجدي امره نفعا ولا يفيد
نهيه ردعا ومن لم يتنبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع
من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك تسمى
واو الثمانية وتعقف باذن الله تعالى على ما فيه في موضعه وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين
ووضع المؤمنين موضع ضميرهم اشعار بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان
الكامل في الايمان من كان على الصفات المذكورة وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن الوصف واحاطة الافهام والتعبير عنه بالكلام ما كان للنبي فائدة دخول كان
للمبالغة في نفي الفعل الداخلة هي عليه بتعديد جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتبار
الاستغفار مثلا والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ان يطلبوا المغفرة ولو كانوا اولي
قربى روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى
فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وفيه ان موت ابي طالب كان قبل
الهجرة وهذا اخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ما ذكر انما يتم لو كان نزول الاية عقيب موت ابي
طالب وليس بلازم لجواز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر له الى وقت نزول الاية

لانا نقول الظاهر من قوله فنزلت انما هو التعقيب بلا تراخ وانما قال للمشركين دون الكافرين
لان منهم من هو معذور كالذي لم تبلغه الدعوة فلا نهى عن الاستغفار لهم وذكر الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم زار قبر امه في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام عند قبرها فاذا هو
بجبريل عليه السلام فوضع يده على صدره وتلا هذه الاية فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون
فما رؤي اشد باكيا من يومئذ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك خاصة بل به
وبنزول الوحي فيه فلا يختص النهي بالذين ماتوا على الشرك وانما قال من بعد ما تبين لعدم المنع
عن الاستغفار قبل ذلك لانه طلب التوفيق للايمان اقتضاء ومن قال الحجية المفهوم اتخذه
دليلا على جواز الاستغفار للاحياء من الكفار مطلقا ولما ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال
الناس ان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه فنزلت هذه الاية وما كان استغفار ابرهيم لابيه
يعني بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكا للقائل المذكور وذلك
ظاهر فلا ينطبق سبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه وفي اباه اي وعدها ابرهيم بقوله
عليه السلام سلام عليك ساستغفر لك ربي فانجز وعده فان انجاز الوعد واجب ولم يكن
موته على الشرك ظاهرا عنده عليه السلام كما هو الظاهر من قوله تع فلما تبين له انه عدو لله وهذا
التبيين عنده عليه السلام كان يوم الجزاء على ما ورد في الحديث الصحيح تبرا منه ولم يطلب مغفرته
بعد ذلك ان ابرهيم استيناف لبيان ما حمله عليه السلام على الاستغفار لابيه لاواه فعال
من اوه وهو الذي يكثر التاوه اي الترحم والتعطف ولكثرة تاوهه كان يتعطف لابيه
المشرك حليم صبور على الاذى ولذلك كان يحلم عن ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع شكاسة
خلقه وما كان الله فقدر وجه زيادة كان في مثل هذا المقام ليضل قوما ليخلق فيهم الضلالة
ومن قال يسميهم ضلالا فقد دس فيه مذهب الاعتزال بعد اذ هداهم حتى يبين لهم بالنهي عبارة
او دلالة ما يتقون ما يجب اتقاؤه اي ليس من شانه تع تكليف الغافل فالمهتدي للاسلام اذا
اقدم على بعض محظورات الشرع انما يكون ضالا اذا كان اقدامه عليه بعد بيان خطره وكانه عذر
الرسول صلى الله عليه وسلم على استغفار امه وفيه دليل على ان تكليف الغافل غير واقع في شرايع
الانبياء ان الله بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل الى البيان فيعذره وهو تتميم للبيان المذكور
ان الله له خاصة ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت يهدي ويضل وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى واشار

بقوله تبرا منه الى وجوب التبري منهم بعد ما تبين حالهم بين ان الملك والحول والقوة كلها لله تع
وانه الهادي والمضل ولا ولاية ولا نصرة لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرأوا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس
هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت
منهم يوم احد وحنين قال الله تع انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفيه
بعث للمومنين على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي عليه السلام والمهاجرين
والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ لا احد الا وله حال ستنقص فيه بالنسبة اليها فالترقي
منه اليها توبة من تلك النقيصة وفيه بيان لفضلها وشرفها بانها مقام الانبيا والصالحين
قال ابن عباس كانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة
الذين اتبعوه اي اتبعوا امره عليه السلام في ساعة العسرة في وقتها فان الساعة في اللغة بمعنى
مطلق الزمان والعسرة الضيق والشدة والعدم وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر
يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين يقتسمان تمرة والما حتى نحروا الابل
واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حرارة القيظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق اي بعد
ما قاربوا من الميل عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وانما اسند زيغهم الى
القلب اظهارا لكونه بمعنى الميل القلبي لا بمعنى الانحراف القالبي منهم من المتبعين له عليه السلام وفي كاد
ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم لم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم
بل قال قلوب فريق منهم تنبيها على تركه كلهم في القرار على عدم الثبات في تلك الحال وامتياز
حالهم من الباقين بقوة الثبات وفيه اشارة الى جهة استحقاقهم لان يتوب الله عليهم وما في
قوله منهم من الابهام لا يهام انهم ليسوا من المهاجرين والانصار لعدم انحصار المتبعين له
عليه السلام فيهما لا يخفى من التعظيم لشانهما والترفيع لمكانهما عن مظنة التشنيع ثم تاب عليهم على
الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكيدودتهم وعلى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت زيغهم وما
تقدم في حق زلات سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين لا يغني عن هذا فلا تكرير
وفي عبارة التراخي اشارة الى تاخر عفوهم الى تخلل الكفر بينه وبين جرميتهم انه بهم استيناف
تعليلي رؤف رحيم الجمع بين الاسمين للمبالغة والتاكيد وعلى الثلاثة الذين هم الذين تقدم فيهم
واخرون مرجون معطوف على قوله والانصار خلفوا اخروا وترك امرهم بل تقبل منهم معذرة

ولا اردت عليهم فكانهم خلفوا عن المعتذرين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها
لاعراض الناس بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الحيرة
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا او علموا ان لا ملجأ من الله من سخط الله الا اليه
بالتوبة والاستغفار جات هذه الجمل في كيف اذا في غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولا
ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية عن ضيق الحال والاول لا يغني عن الثاني لانه قد
يضيق المحل ويكون النفس منشرحة وثالثا ما هو كناية عن الياس عن الناس والانقطاع الى
الله وحتى اذا كلمة غاية تقديره وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله ان الله هو التواب لمن تاب ولو
عاد في يوم الف مرة الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم وهم المستحقون بانواع النعم
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين
الله نية وقولا وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله عليه السلام على الطاعة او في توبتهم
وانابتهم فيكون المراد هولا الثلاثة واضرابهم وقرى من الصادقين ونسبة القراة الى المعاني
المذكورة على السوا ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما جاز لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة
واشجع وجهينة وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله معاينة للمومنين من اهل يثرب وقبائل
العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وبعضهم منها الامر
على ابلغ وجه بملازمة عليه السلام اينما توجه غازيا وبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه اي ولا ان يرغبوا عطفا على الاول ورغب اذا تعدى بفي او الى يفيد معنى الطلب
واذا تعدى بعن يفيد معنى الترك والاعراض وآل المعنى ولا يرضوا ان يكونوا في خفض عيش
ودعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة ونصب روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت
له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فقال
ظل ظليل ورطب يانع وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له
وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى وجوب متابعته عليه السلام المدلول عليه
بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة

مجاعة مفعلة من خموص البطن وهو ضمره وكني بذلك عن حالة الجوع لانه ملازم لها
والتنكير في الثلاثة للتقليل في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطاؤن موطئا باقدامهم او ارجل
خيلهم والموطئ يجوز ان يكون مصدرا او ان يكون موضعا كالمرح يغيظ الكفار وطئهم
اياه ولا ينالون من عدو ولم يقل منهم اخراجا للمسالمين منهم والغيظ وهو انقباض الطبع بما
يرى مما يسوءه سخطهم نيلا شيئا من قتل او جرح او ضرب او اسر او تشريد او اخذ مال الا كتب
لهم به عمل صالح اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته كناية عن
حصوله وذلك مما يوجب المتابعة وانما قال به مع ذكر اشيا جمعا لانه لما ادخل بين كل
شيئين منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا بالوعد ولهذا قالوا من
حلف لا ياكل خبزا ولا لحما حنث بكل واحد منهما ولو قال لا ياكل خبزا ولحما لا يحنث الا بهما جميعا
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه ايذان بان الجهاد احسان وان الاحسان
موجب للاجر فيكون تعليلا لكتب اما كونه احسانا بالنسبة الى المومنين فلما فيه من صيانة
حوزة الاسلام عن استيلا الكفار واما بالنسبة الى الكفار فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم
باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون لشرب الدوا النافع ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو
تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمن رض في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة
مع ان حقها التاخير للاهتمام بشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون
واديا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع
في معنى الارض الا كتب لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون احسن عملهم
او مفعول ثان اي جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم فيلحق ما دونهم شكرا لسعيهم
وتوفيرا لاجرهم وما كان المومنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي وما استقام لهم
ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه مخل بامر المعاش
وهو تمهيد لوجوب النفر في طلب العلم لانه فهم منه انه لو امكن نفر الكل ولم يود الى المفسدة
وهذا لوجوب النفقه على كل مسلم لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة اي فاذا لم يمكن نفير الكل لمنافاته المصلحة فهلا نفر من كل فرقة
كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون اي ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم

في ذلك ونهاية سعيهم انذار قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا الله في اجتناب معاصيه
وامتثال اوامره وتخصيص الانذار وجعله وحده غرض التفقه وان كان العمل به اقدم واتم
لانه اشرف واعلى لان التفقه لا تكون تفقها الا عند العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه
ولاشك ان التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال بالعلم والعمل لا يكون
الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين والتذكير من فروض الكفاية وان
خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلو كانت فرقة في قرية لوجب خروج بعضهم للتفقه وانذارهم
ولوجب عمل الباقين باخبارهم وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه وفي الاية وجه اخر وهو ان
المومنين بعد ما سمعوا ما انزل الله في المتخلفين عن غزوة تبوك تسابقوا في الجهاد فكان اذا
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا نفروا عن اخرهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي
والتفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقه الباقون في الدين فلا ينقطع التفقه
الذي هو الغرض من البعثة والجهاد الاكبر فان الجهاد بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف
ولينذروا قومهم النافرين الى الجهاد اذا رجعوا اليهم وعلى هذا الوجه فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا
قومهم واليهم للفرقة الباقين وفي رجعوا وعلهم للطائفة النافرين وفيه تشتيت الضمائر وهو
وان لم يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى وانسياق الذهن اليه لكن عدمه اولى فالراجح هو
الوجه الاول يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون منكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا لم يجاوز كفارا ويقاتل
الابعد ليكون اية لنبوته انه لا يبالي ولا يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمومنين امر
الحرب كما علمهم ذلك في ايات اخر من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة
وقيل ان الذين يلونهم من الاعداء يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين بهم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فكان الكلام متصلا بما تقدم من تقدم غزوة تبوك وليجدوا
فيكم غلظة خشونة وشدة وصبرا على القتال وقرئ غلظة بالحركات الثلاث واعلموا اقدم
وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام ان الله مع المتقين بنصر من اتقاه فهو تبشير لهم بالنصر
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول لبعضهم ايكم زادته هذه السورة ايمانا
انكارا واستهزاء بالمومنين وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين
امنوا اي فاما المخلصون والفا لترتيب الاخبار عنهم وعن مقابليهم على التنويع والتفصيل

فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى
ماتوا عليه انزال القران للقوم شفاء وللقوم شقاء اولا يرون يعني المنافقين وانما فتحت الواو لانها
عاطفة دخل عليها الف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه وقرئ بتاء
الخطاب يعني المومنين والاستفهام ح للتعجب اي عجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت ابصارهم
عما يتتابع عليهم من انواع المحن واصناف الفتن انهم يفتنون يبتلون بانواع البليات او بالجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام العام هنا ليس على عمومه
بل مخصص بقرينة المقام مرة او مرتين قبل هذه الفتنة بهتك استارهم وتظهر اسرارهم ثم لا
يتوبون ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهوا عما هم عليه وزيادة ثم لان
غيرهم يتعظون باخبارهم ان سنة الله ان لا يخلي ارباب التكليف من دلائل التعريف والتحريك
لهم في كل وقت بنوع من البيان والتحريك في كل اوان بضرب من الامتحان فمنهم من لا يزداد
بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجة عن قبول البيان واذا ما انزلت سورة ذكر فيما سبق
ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء وذكر ههنا ما يحدث منهم من الفعل استهزاء نظر بعضهم
الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية لما فيها من عيوبهم هل يريكم قائلين هل يريكم من احد
من المسلمين يريدون الانصراف سرا لانتقاض صبرهم على استماع خطبة الضحك او راموا يتشاورون
في تدبير الخروج والانسلال لغلبة الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان راهم كاموا ثم انصرفوا
عن حضرته عليه السلام مخافة الفضيحة على التقديرين صرف الله قلوبهم الظاهر انه خبر بانهم بسبب
انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لما كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدا بالفعل
المنسوب اليهم بقوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم كقوله فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم ومن بلاغة القران وبديع نظمه انه اذا كان القول في تعداد الذنب بدا في ترتيبه من
الجهة التي هي عن المذنب كما في المثالين المذكورين ليكون هذا اشد تقريرا للذنب عليهم واذا كان
في تعداد نعمه تع بدا في ترتيبه بالجهة التي هي عنه تع كما في قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك
منبها على ان لقا النعم من عنده لقد جاكم رسول مخاطبة للعرب على جهة تعديد النعم عليهم يحوي
في ذلك اذ نشا من مكانهم وجا بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الايام
على سائر الانام وقرئ من انفسكم اي اشرفكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله عزيز عليه ما
عنتم اي شديد اي شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب

ايمانا زيادة اليقين اي حاصل من تدبر السورة
والا تنقيص ما بها وبما فيها الا ايمانهم وهم يستبشرون
وهم يفرحون بنزولها لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم صنفين ذلك لا وفر بجوده وبشرتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر وازدادهم

حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمومنين خاصة ففيه تعميم من وجه وتخصيص من وجه
رءوف رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم منها لان الرحمة تستعمل في كل نفع من المطر والسعة
والعافية وغيرها فكان المعنى في الرءوف الشفيق العطوف وفي الرحيم النافع المفضل فلكل منهما وجه
تقدم على الاخر وقيل قدم الرافة على الرحمة لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الافات
والنقائص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي يستحق
بها الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد التزكية
ونسبتها الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا عن الايمان بك
فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه التوزيع ان مقتضى الرحمة والرافة ان لا يدعو عليهم
ولا يجازيهم بالفعل الذي يوذيهم اي فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله
فاستعن بالله وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم
والتوكل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم
الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وعن ابي رض اخر ما نزل هاتان الايتان
وقال البراء بن عازب رض اخر سورة انزلت كاملة براءة ومن قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل القران الا اية اية حرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما
سبعون الف صف من الملائكة فكانه نسي ما قدم من قوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
على سورة الانعام جملة واحدة معها سبعون الف ملك الحديث والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم الر قرئ بفتح الرا على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح والكسر
والاصل ترك الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء ومن امال قصد التنبيه على انها اسم لا حرف
تلك ايات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنه السورة او القران والمراد من الكتاب احدهما
والاول ابلغ من حيث ان البعض اذا استقل بوصف الكمال فالكل اولى والحكيم ذو الحكمة وصف
به لاشتماله عليها ويجوز ان يكون من توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر وللمبالغة كانه في
نفسه حكيم لكثرة حكمه وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة مكنية
واثبات الحكمة قرينة اكان للناس عجبا الهمزة للانكار تعجب الكفار من الايحاء وللتعجيب السامعين من

يونس

تعجيبهم

تعجيبهم لكونه في غير المحل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو ان اوحينا لكون الانكار والتعجيب راجعين اليه
وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه نكرة تخصصه لتقدم للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلب حالا بالتقدم
والاستفهام خصوصا الانكاري في حكم النفي وان اوحينا خبرا على عكس التقدم لا على القلب لانه خلاف
الاصل لانه لا يخل بالبلاغة بل لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة او اعتبر كان تامة وعجب فاعل
لها والمعنى احدث للناس عجب لان اوحينا واما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده
سداد المعنى اللام في للناس متعلقة بعجبا على طريقة البيان بمعنى ان هذا العجب لهم كما في هيت
لك بمعنى هذا الخطاب لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما في انكارهم
واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما في قولهم
ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد مقابلتهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم تعجبوا من
ان يوحى الى رجل من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم
يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وذلك من فرط حماقتهم وقصور نظرهم عن موقف
الاوصاف التي بها اختاره الله للرسالة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لينقص من عظمائهم
في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال الا المال وخفة الحال اعون
شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تع بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام
ان انذر الناس ان هي المفسرة لان في الايحاء معنى القول وجوز ان تكون مخففة من الثقيلة
على ان الاصل انه انذر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس وموقعه النصب باوحينا وفيه
حذف الاسم والخبر وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية وذكر اسم الجنس للتعميم
للتوفيق كانه قال ان انذر الناس مومنا كان او كافرا وبشر الذين امنوا خاصة لان المبشر
به مشروط بالايمان فالبشارة به تنقلب انذارا في حق الكفار لانه للاستغراق كما ذهب اليه
من قال عم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ الانذار ولو بارسال
الخبر الى كل من في عصره ليس في وسعه عليه السلام واطلاق المومنين للتعميم لمن امن من الثقلين
وبذلك ينجبر القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار باحدهما لا اصالته في امر البعثة
لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا الشرط مفقود ههنا لان العبارة
وان كانت ساكتة عن العموم لكن الدلالة ناطقة به لقرينة ما في قرينه من التعميم وانما قدم

الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية بعد التحلية ثم ان لهم في محل النصب ببشر على حذف
البآ قدم صدق سميت السابقة والمساعي الجميلة قدما لان السعي والسبق انما يكون بالقدم
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق للدلالة على فضل وانها متحققة
لو ان صاحبها قدمها بصدق القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او
صورية فيكون كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويعضده قوله عند ربهم ومن قال
اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة لم يصب في الجمع بين وجهي المجاز بل بين وجوهه قال
الكافرون ان هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته عليه السلام لساحر وقرئ لسحر والاشارة
الى القرآن وسائر ما اتى به من الخوارق للعادات وكيفما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن
المعارضة وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة
لان التعجب اولا ثم التكلم بما هو معلوم الانتفا قطعا حتى عند نفس المعارض داب العاجز
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش دل به على
عظمة شانه وكمال سلطانه بالقدرة على خلق اصول الممكنات كلها مع سعتها وبسطها في
وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستوآ على العرش ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر لان تدبير
امر الخلائق كلها بتهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكمي مما يبين امر العظمة ويقرره
والتدبير النظر في ادبار الامور لتقع على ما ينبغي من الوجه الاتم الاصوب ثم زاد في تقرير معنى
العظمة والكبريآ والعزة والجلال ما من شفيع الا من بعد اذنه كقوله يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له والرد على من زعم
ان الهتهم تشفع لهم عند الله فلا يتم لانهم يدعون ان الله ياذن لهم في الشفاعة ولا دلالة فيه
على عدم الاذن لهم ذلكم الله اشارة الى المعلوم الموصوف بتلك العظمة والكبريا الموجبة لاستحقاق
العبادة اى ذلكم الموصوف بالوصف هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه
وحده ولا تشركوا به شيئا من اشرف الموجودات فضلا عن جماد افلا تذكرون ابعد النظر في تفرده
تع في هذه الاوصاف الموجبة لتخصيصه بالعبادة لا تتذكرون فتتنبهون بادنى تفكر على خطا ما انتم
فيه اليه لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث من القبور يوم النشور ظاهره اخبار عن الحال وباطنه
انذار كافيه من سو الحال وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم التناد وعد الله مصدر
موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر موكد لغيره وهو ما دل عليه انه

يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه استيناف كالدليل لما تقدم وذلك انه تع لما اخبر عن
وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه ممكن الوقوع في نفسه بقوله انه يبدؤ الخلق لان امكان
الوجود اولا يدل على امكانه ثانيا ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ثم يعيده وقيل هو كالتعليل
لقوله اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من الابدآ والاعادة مجازاة الله المكلفين على
اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اى لانه ويجوز بعد حذف اللام
يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف
مفعولا به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البدء او مرفوعا بحقا
المحذوف وقرئ وعد الله على لفظ الفعل وحقا انه يبدؤ الخلق كقولك حقا ان زيدا منطلق
وقرئ يبدئ الخلق من ابدآ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط متعلق بيجزي
اى بعدله او بعدالتهم او بما عدلوا بايمانهم وعملهم ولم يظلموا بالشرك لان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار متناه في
حره وهو في جهنم وعذاب اليم اى عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير النظم ولم
يقل ويجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم كما قال ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب ولصدق العذاب بهم وجعل ثواب
الايمان والعمل الصالح غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآ
والاعادة هو الاثابة وان الله هو الذي يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما العقاب فانه واقع بالعرض كانه دآ ساقه الى الكفرة سوء اعتقادهم وشؤم
اعمالهم هو الذي جعل الشمس ضياء ان كان جعل بمعنى صير يكون ضياء مفعولا ثانيا وان كان بمعنى
خلق يكون حالا والضيا مصدر او جمع ضوء كسياط وسوط والياء منقلبة عن الواو وقرئ
بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا جعل نفس الشمس ضياء وعين القمر نورا ولما
كانت الشمس اعظم جرما خصت بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور
وقيل ما هو بالذات ضوء وما هو بالعرض نور فكانه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي
ونور القمر عرضي مستفاد منها وقدره قدر القمر منازل اى مسيره منازل او قدره ذا منازل
كقوله والقمر قدرناه منازل والمراد بالمنازل البروج اذ بها وبقطعها علم عدد الشهور والسنين
وخصص القمر بها لان المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي وبهما تتعلق احكام الشرع

ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اى حساب الاوقات من الاشهر والايام
والليالى فى معاملاتكم وعباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر الا بالحق حال مستثناة من
اعم الاحوال اى ما خلقه بحال الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة الى الصواب يفصل
الايات يبين العلامات التى يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم بذلك لانهم المنتفعون بها
ان فى اختلاف الليل والنهار اختلافهما بكون احدهما يخلف الاخر وتعاقبهما وكون احدهما يزيد
بنقصان الاخر وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون خصهم بذلك لان الباعث على النظر والتدبر
لا يكون الا تقوى الله والحذر عن العاقبة فهم الذين يعلمونها ايات وينتفعون بها دون غيرهم
ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافونه لانكارهم البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل
لاعتمادهم على شفعائهم واستعمال الرجاء فى معنى الخوف شائع كما فى قوله تع ما لكم لا ترجون لله
وقارا وقال الهذلى اذا لسعته نحلة لم يرج لسعها والمراد من لقاء الله سوء الحساب عنده تع
وما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح فى عدم تاثير التحذير والترهيب فيهم ورضوا
بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها ولا تمشية لهذا التعليل فى حق المنكرين لها ضرورة ان
الانكار لامر لا يجامع الغفلة عنه ووصفهم بذا كناية عن ان الترغيب لا يجدى نفعا فى حقهم ولما
احتمل ان يقال لم لا يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال دفعه بقوله واطمانوا بها اى
سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن انتظام هذا المقال ثم من قال فى تفسير الوصف
الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فكما اخطا فى التعليل
لم يصب فى المعلل لانه اخل بسبق الترهيب ثم ان قوله وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب
تفسير الرجاء بالامل على ما هو حقيقته وحمل اللقاء على نيل الثواب على ان عبارة الذهول لاقتضائه
لا يناسب المقام والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والواو
بين الموصولين لجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد له او الذاتين وهم الفرقة
الفارغة عن احوال الاخرة واهوالها الراضية بالحيوة الدنيا والتى الهاهم حب العاجل عن التامل
فى الاجل والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك السبيل المودى
الى الجنة ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا له او يهديهم فى الاخرة بسبب نور

ايمانهم

ايمانهم الى الجنة كقوله تع يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم او ما يريدونه فى
الجنة وعلى هذا يكون تجرى خبرا ثانيا لان او حالا من الضمير المنصوب فى يهديهم وجعل التمسك بسبب
السعادة نفس الوصول اليها كان هدايتهم الى الطريق هدايتهم الى المقصد بسرعة الاداء اليه
فى جنات النعيم متعلق بتجرى او بيهدى او خبر او حال من الضمير المذكور او من الانهار ولا يخفى على
من انصف وبالتجنب عن التعسف اتصف ان الجمع بين الايمان والعمل الصالح ظاهر فى ان السبب
لا سيما فى مقام الترغيب فى اكتساب اسباب حسن اللقاء واجتناب اسباب سوء الجزاء ثم التصريح
بسببية الايمان المضاف الى الذين امنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص على انه ذلك الايمان المقرون
بالعمل الصالح لا مطلق الايمان غاية الامر انه ذكر لاصالته وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستدركا
ولا دالا على استقلال الايمان وبهذا التفصيل اندفع ما قيل ومفهوم الترتيب وان دل على
ان سبب الهداية هو الايمان والعمل كالتتمة والرديف قيل ولا مخالف لما ذكر من اهل السنة
والجماعة لان العصاة غير مهديين واما ان كل من لم يكن مهتديا فهو خالد فى النار فهو ممنوع
ودعوى ذلك غاية المكابرة ولا وجه له لان الكلام فى الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل
المودى الى الجنة وعصاة المؤمنين مهديون بهذه الهداية ولا خلاف فى
ان من لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب فى الجواب عن تمسك المخالف
بهذه الاية انها معارضة بمثل قوله تع وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا
بالله ورسله فان فيه دلالة على ان الايمان وحده كاف فى استحقاق ما اعد له والاصل فى النصوص
التوفيق وهو ههنا بحمل النعيم على ما هو اسم خاص لاحدى الجنان السبع على ما مر تفصيله فى
تفسير سورة البقرة والمراد من الجنات المضافة اليها فيه من البساتين ونظيره قوله تع فلهم
جنات الماوى فيجوز ان تكون الهداية الى جنة النعيم مشروطة بالعمل الصالح لكون الايمان وحده
كافيا فى الهداية الى مطلق الجنة دعويهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم فيها اى تحية بعضهم لبعض او تحية الملائكة اياهم سلام واخر دعويهم خاتمة دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك وان هى المخففة من الثقيلة اصله انه الحمد لله
والضمير للشان وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد يعنى ان اهل الجنة مستغنون عن طلب
السؤال لحصول كل ما يشتهيهم فى الحال امنون عن احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا
واخرا مقصور على التمجيد والتحميد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس

الشر تعجيله لهم حين استعجلوه بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير وحذف منه لدلالة
الباقي عليه ايجازا وذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تع لهم في الخير حتى كان استعجالهم نفس
تعجيله وبان المراد بالشر الشر الذي استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السما لقضي اليهم اجلهم
اي ولو يعجل الله لاهل مكة الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لما قاموا العذاب
بل هلكوا واميتوا لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك وقرئ لقضي على البنا للفاعل وهو الله تع ويويده
قراة لقضينا وهذه الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقانا دلالة على استحقاقهم العذاب
والله انما يمهلهم استدراجا وجي بالناس بدل ضميرهم تفظيعا للامر ثم قيل فنذر الذين لا
يرجون لقانا في طغيانهم يعمهون مصرحا باسمهم وذكر المومنين انما وقع في البين تتميما ومقابلة
فليس باجنبي ومن هنا ظهر لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه في حال من احواله لجنبه ملقيا لجنبه في موضع الحال
لعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فالترديد للتعميم لجميع احوال اصناف الضرر
ملقي لجنبه عاجزا عن القعود او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما لا يقدر على النقل اي لا يستغني عن
الدعا في نوع من انواعه فلما كشفنا عنه ضره مر مضي على طريقه الاولى في الذهول والغفلة عما
ونسي الجهد او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كان لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشان كما في قوله ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه اي كشف ضر كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عملهم من الاعراض عن الذكر والدعا والانهماك في
الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب وجاءتهم
رسلهم بالبينات ولا حاجة الى تقدير قد لانها لم تدخل على جاءتهم رسلهم بالبينات وحده بل على
جملة ذلك القول والتي تليها كانه قيل لما ظلموا وقصتهم هذه وقد مر نظير هذا في اوائل سورة
النبوة او عطف على ظلموا لان معناه احداث التكذيب وهذا معنى الاصرار عليه بحيث لا فائدة في
امهالهم وما كانوا ليومنوا وما استقام لهم ان يومنوا لفساد استعدادهم واللام لتاكيد
النفي والله عالم تع بانهم يموتون على الكفر فلا تاثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع للمعلوم فلا يوثر
فيه ويجوز ان يكون عطف على ظلموا ويكون ظلموا موخرا عن جاءتهم رسلهم بالبينات معنى وان
قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا كذلك والمعنى ان السبب
في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم الفائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل

ويجوز ان يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا التقرير لما تخلل هو بينه كذلك مثل ذلك الجزا
بالاهلاك على وجه الاستيصال نجزي القوم المجرمين اراد المجرمين بالجرم المعهود وهو تكذيب الرسل
والاصرار عليه وانما قال نجزي القوم لان الكلام في عذاب الاستيصال ولم يتنبه له من قال
في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود وعيد لاهل مكة وتهديد لهم ومبناه على اندراجهم فيه اندراجا
اوليا وهذا ابلغ من الخطاب لهم ومن لم يتنبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع
المضمر ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم من بعد القرون التي اهلكناهم جعل مختبر لننظر
كيف تعملون اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم استعير ثم للتراخي في الرتبة فلا يغني عنه
قوله من بعدهم وكيف في محل النصب بتعملون مستعار لمعنى اي شي فيكون نصبه على المفعولية
ويجوز ان يكون نصبه على الحالية اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير ام حال الشر ولا يجوز
انتصابه بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله وفائدته التنبيه على ان المعتبر في الجزا ماهيات
الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولهذا يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى والنظر على حقيقته
لان الكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية كقوله تع وقدمنا الى ما عملوا على ما نبهت عليه انفا ومن
لم يتنبه لذلك قال هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشي موجودا ولزمه الالتزام بان
يكون علمه تع بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تع عنه وهو منزه الغفول
عن ان من ليس بزماني لا يتوقف علمه بالحوادث على مرور الزمان وحصول تلك الحوادث في اوقاتها
كما هو شان علم هو زماني واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لا يخافون لقانا
يعني المستهزئين من المشركين ذكره ابن عباس رض ايت بقران غير هذا بكتاب اخر ليس فيه ما
يغيظنا من ذم الهتنا والوعيد على عبادتها فنتبعك او بدله بان تجعل مكان اية تغيظ ذلك
اية اخرى وانما اقترحوا ذلك مكرا وطمعا في اجابته اليه فيلزموا ويستهزؤا منه ولما كان الاتيان
بقران غير هذا ليس مقدورا للانسان لم يحتج الى نفيه ونفي ما هو مقدور له وان كان غير جائز في
نفسه عليه السلام وان كان غير مقدور فقيل له قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقا نفسي مصدر
استعمل ظرفا هذا الجواب جليل النظر والذي يحسب دقيقه ان نفي الثاني نفي للاول دلالة فلا اقتصار
في النفي ولا اكتفا ببعض الجواب والله تع اعلم بالصواب ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لقوله ما يكون
لي لان المتبع لغيره في امر سيما الوحي لا يستبق بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخه بقران اخر
ورد لما عرضوا به في هذا السوال من ان القران كلامه عليه السلام مفتراه ولذلك قيد التبديل في الجواب

يقول من تلقاء نفسي وسماه عصيانا بقوله اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم
عظيم فيه ايذان بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم
ولا اعلمكم به على لساني اي ان تلاوته ليست الا بمشية الله تعالى لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه
وقرئ ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم الله به على لسان غيري والمعنى انه
الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم على لغة من يقول اعطاته
وارضاته في اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس رضه ولا انذرتكم وقرئ ولا ادراكم
بالهمزة على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة لانهما من واد واحد او على انه من درأته
اذا دفعته وادراته جعلته دارئا اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني
فقد لبثت فيكم عمرا طويلا مقدار اربعين سنة من قبله من قبل هذا القران لا اتلوه ولا اعلم
شيئا وهو تقريب بكونه من اعلام الله ومشيته فان من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم
يتعلم شيئا ولم يجالس قط عالما ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا ثم اتى بكلام بذت
فصاحته فصاحة كل بليغ وعلا نظمه كل منظوم ومنثور خارقا للعادة اعجز عن معارضته البلغاء عن
اخرهم محتويا على فنون العلوم والحكم ناطقا بغيوب لا يعلمها الا الله مشتملا على اصول الاحكام وفروعها
معربا عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم من عند الله تعالى افلا
تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتامل فيه فتعلمون انه ليس الا من الله لا من مثلي فلا تتهموني
بالافتراء على الله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته كناية منه عليه السلام ومنهم اي
اظلم مني ان افتريت على الله كذبا بتبديل ما انزل الله علي ومنكم بتكذيبكم بايات الله وقد سبق في تفسير
سورة البقرة وجه هذه الطريقة الاستفهامية في مقام المبالغة واما قيل تظليم للمشركين بافترائهم
على الله تعالى في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فياباه التصدير بالفاء الدالة على ترتب الكلام على ما
سبق واتخاذه قوله كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك اظهارا لما فيه من جهتي القبح انه لا
يفلح المجرمون لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا يامنون من محذور ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جمادات لا تضرهم ان تركوا عبادتها
ولا تنفعهم ان عبدوها ومن خواص المعبود ان يكون قادرا على النفع والضر مثيبا على الطاعة
معاقبا على المعصية ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا في الاخرة وعن
النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى ومن زاد على هذا قوله ان تكن

بعث وكانهم كانوا شاكين فيه فقد اتى بشيء عجاب كما لا يخفى على ذوي الالباب قل اتنبئون
الله تخبرونه بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شريكا انباؤهم بعد تهكم بهم وتقريع
لهم باخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله واعلام
ببطلانه واستحالته بان ما تعلق علمه به لم يكن شيئا اصلا لان علمه تعالى محيط ولا حاجة في تمشية
هذا الكلام الى تفسير الشيء بما يعلم ويخبر عنه في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف موكدة
للنفي لا لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من انه يقال عند تاكيد
النفي ليس في السماء ولا في الارض لاعتقاد العامة ان كل ما يوجد فهو اما في السماء واما في الارض
فلا حاجة الى التزام ان يكون الكلام الزاميا ودعوى ان الامر كذلك في دعوى المخاطبين سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم وما كان الناس الا امة واحدة موحدين
على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان
حين لم يذر من الكافرين ديارا ومبنى هذا على عموم افة الطوفان وتمامه موقوف على ان يكون
نوح عليه السلام مبعوثا لكافة الانام حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا
باتباع الهوى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين على ما مر في سورة البقرة فمن وهم ان
اختلافهم ببعثة الرسل فما فهم انه مخالف لنص القران ولولا كلمة سبقت من ربك قضاء جرى
في الازل بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيمة لمجال الردى والعمل في دار التكليف لقضي بينهم
عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل ويقولون لولا انزل
عليه اية من ربه ارادوا به اية من الايات التي كانوا يقترحونها غير معتدين بما نزل عليه عليه السلام
من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الانبياء قبله خصوصا القران
المعجز الباقي على وجه الدهر وغير معتدين به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله كلا نزول وكانه
لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه بتنكير اية للتحقير اي اية ما واحدة ونحن من جنس
الاية وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي انه لا
علم لي بالمانع من انزالها فانه غيب ولا يعلم الغيب الا الله وما قيل فلعله يعلم في انزالها من مفاسد
تصرف عنه لا ينتظم مع قوله فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين بما يفعل الله
بكم من العذاب بجحودكم الايات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة خصبا
وامنا وصحة من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها

اذا لهم مكر في آياتنا قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان لمعنى المكر وما به يفارق الكيد
واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا للشرط قيل سلط الله القحط على اهل
مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويمكرون
برسوله عليه السلام قل الله اسرع مكرا انما قال اسرع مكرا يعني منكم لان معنى المفاجاة قد دل على السرعة
فقضل عليها اي فاجاوا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا من رؤوسهم
غبار الضراء ومعناه قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اطفاء نور الاسلام والمكر
من الله جزاء مكرهم واخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما دبروا
في اخفائه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله وايعاد بالانتقام وتحقيق له
وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر يمكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون
في مناكبها وقرئ ينشركم من النشر والبحر ولما كان السير فيه اغرب والى ظهور آثار القدرة والرحمة
اقرب خصه بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم في الفلك السفن وحتى على القراءة الثانية لبيان ان غاية
السير مضمون الجملة الشرطية والالتفات في وجرين بهم اي بمن فيها للمبالغة في جري الفلك بمرادهم
كان ركوبها ووقوعهم في الغيبة مع المسرعة الجري وفي تقبيح حالهم بمنزلة ما اذا اعرض المتكلم
عن المخاطب وحكى لغيره سوء صنيعه وقبح جنايته كانه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجبهم منها ويستدعي
منهم الانكار والتقبيح ولك ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر
خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والسائرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب
شامل لجميعهم فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما
ذكرت حال آل الامر في آخرها الى ان الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب
الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم الموج لما
فيه من تخصيص مجي الريح بالسفينة ومجي الموج بمن فيها بلا نكتة تقتضيها بل معنى مجي الموج
من جهات متقابلة يستدعي ان يكون الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى التقابل والتدافع
بين الريحين فيحصل المبالغة في التجاج البحر واضطراب امواجها المقصودة من قوله من كل مكان
فان عبارة كل في مثل هذا المقام للمبالغة والتكثير لا للاحاطة والتعميم ومن غفل عنه قيد المكان

بقوله يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو مثل في
الهلاك لا يستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
مخلصين له الدين موحدين بلا اشراك لصفاء الفطرة بزوال المانع من شدة الخوف لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا لانه حكم القول فلا حاجة الى تقديره واللام في
لئن موطئة للقسم فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاوا الفساد فيها
وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق كتخريب المسلمين ديار الكفار وقلع اشجارهم واحراق
زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تلوين للخطاب في اثناء الكلام والتفات آخر لشدة
الاعتناء بترك البغي والمبالغة في النهي والتنفير عنه انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتدا على انفسكم
صلته متاع الحيوة الدنيا خبره اي بغيكم على من هو من جنسكم ومثلكم يعني بغي بعضكم على بعض
منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او على انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع
الحيوة الدنيا خبر مبتدا محذوف اي هو متاع الحيوة الدنيا وقرئ متاع بالنصب على انه مصدر
مؤكد وعلى انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم
في العقبى فننبئكم بما كنتم تعملون قد سبق تفسيره في سورة التوبة انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا لتكاثفه مما ياكل الناس والانعام
من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها استعير لتلك البهجة والنضارة
والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب لما كان من الاشياء البهية المنظر السارة
للنفوس وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت
فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير ادغام كاغيلت اي صارت ذات
زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها وتحصيل
ريعها والانتفاع بها اتاها امرنا باتلاف زرعها وافساده ببعض العاهات بعد امنهم من
آفاتها ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها على تقدير حذف المضاف للمبالغة حصيدا مقطوعا
مستاصلا شبيها بالحصيد كان لم تغن بالامس اي كان لم ينبت ذلك الزرع ولا حاجة ههنا
الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على الاصل يقال غني بالمكان غنى مثل عمي عمى وتغنى اذا اقام
وقرئ لم يغن بالامس فيما قبيله مثل في الوقت القريب الماضي كانه قيل لم تغن آنفا لما قرآن

البغي متاع الحيوة الدنيا عقبه بتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع
بهجة وزينة بحال نبات الارض النابت بما المطر في سرعة جفافه وذهابه حطاما بعد اخضراره
وغضاضته قبل انتفاع الناس به لتنفير العقلا عنه والممثل به مضمون الحكاية لا الما وان وليه
حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب وقوله تع حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مبالغة
في تزيين الارض وبهجتها في اثنا التمثيل بتشبيهها في جعلها آخذة زخرفها بالعروس اذا
اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزين والحلي على طريق
الاستعارة بالكناية كذلك نفصل الايات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون
انما خصها بهم لانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى
تعظيما لها او دار السلامة من النقص والآفة لسلامة اهلها من كل مكروه وقيل دار السلام
لفشو السلام بينهم او تسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشا هدايته بالتوفيق الى صراط مستقيم
طريقها وهو الاسلام والتقوى ولما كان الدعا عاما لم يقيد بالمشية بخلاف الهداية فانها
خاصة فتقيدت بها للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة عليها وهي تفضل لقوله تع
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقا ومن علامات اصحاب
الضلال من قال زعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تع وجات بحديث مرفوع
اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله شيا هو احب اليهم منه قوله مرفوع صح بالقاف عنده ومعناه مرقوع مفترى واما عند
اهل الحق فقد صح بالفا رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة
وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى ومقاتل اورده مسلم في صحيحه عن صهيب رض عن النبي صلى الله
عليه وسلم واورده البخاري في صحيحه بلا اسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه فالحديث
متفق على صحته وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجا لاعتقاده
الفاسد وتصحيحا لمذهبه الباطل وصحف المرفوع فجعله مرقوعا ليرقع به مذهبه المخروق بيهات
النسج الخرق على الراقع والحق الواقع ما له من دافع ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها
سواد ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يلحقهم ما يوجب ذلك من حزن
وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع

لنعيمها

لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيات عطف على الذين احسنوا كقولهم في الدار
زيد والحجرة عمرو وجاز العطف على عاملين مختلفين لتقدم المجرور او مبتدا خبره جزا سيئة بمثلها
على تقدير وجزا الذين كسبوا السيات ان تجازى سيئة بسيئة واحدة مثلها وفيه دليل على ان
الزيادة هو الفضل لان جزا السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة اذكارلهم مما يتقدم منه برحمته
ما لهم من الله من عاصم اي من سخط الله وعقابه او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمومنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما حال من الليل ولفرط سوادها وظلمتها والعامل فيها
اغشيت لانه العامل في قطعا ومن الليل صفة له والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى
الفعل في من الليل وقرى قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او
حالا منه لاختصاصه بالوصف ويعضده قراة كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ولا متمسك فيه للوعيدية لان سياق الكلام في الكفار لقوله تع
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقوله تع فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم واما التعليل باشتمال السيات على الكفر ففيه تخصيص الحكم المذكور بالمشركين
ولا وجه له والتعليل بتناول الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من المومنين فلا يتناولهم قسيمه فليس
بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم
نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع
المنتقل الى مكانكم من عامله لسده مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرى شركاكم بالنصب على
المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم قيل فباعدنا بينهم بعد الجمع
في المحشر وتبرى شركاهم منهم ومن عبادتهم لقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا
ديا باه ترتيب قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بالفا الواصلة بلا تراخ على التقدم وما
يجاز عن براة اعهدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة هواهم لانها الامرة بالاشراك لا ما
اشركوا به والمراد من الشركا الملائكة وعزير والمسيح ومن عبدوهم من اولي العقل وقيل الاصنام
ينطقها الله فتكلمهم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل الشيطان والشياطين
ويرده فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم
كانت باغوائهم ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المكان تبلو كل
نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من العمل اي تعاين ضره ونفعه وقرى تتلو من التلاوة اي تقرا

الترك و

في صحيفتها ما قدمت من الخير والشر او من التلو اي تتبع لان عملها هو الذي يقودها الى الجنة
او النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل اي نصيب كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت
من الشر فيكون ما نصبا بانتزاع الخافض او نختبرها باختبار ما اسلفت اي نفعل بها فعل المختبر لحالها
المتعرف لسعادتها وشقاوتها بمعرفة عملها في الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون ما
بدلا من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم و
المتولي امورهم الحق لا الباطل الذي اتخذوه مولى او مولاهم على الحقيقة لا الذي ليس لولايته
حقيقة او العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد او
على المصدر المؤكد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم
تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا فان الارزاق انما
تحصل من اسباب سماوية وارضية معا او من كل واحدة توسعة عليكم وقيل من لبيان من
على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما
وتسويتهما او حفظهما وكلائتهما من الآفات مع كثرتها وسرعة تأذيهما وبطلانهما من ادنى
شيء او لما كان الوصول الى الرزق بواسطتهما كان خلقهما وحفظهما من تمام الترزيق ولهذا قال
ام من ولم يقل ومن كما قال ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ينشئ الحيوة من
النطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل
المنن والنعم والاسباب للايجاد والربوبية اكثر من ان تحصى كانه قال وبالجملة من يدبر امر العالم
كله فسيقولون الله اذ لا يقدرون حينئذ ذلك الى غيره مكابرة لفرط وضوحه فالسين للتاكيد
والفا جزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره ان سألتهم عن ذلك فسيقولون الله البتة
فقل تفريع على الشرطية المذكورة افلا تتقون الله في اشراككم به ما لا يشاركه في شيء من ذلك
الهمزة للاستفهام الانكاري والفا لترتيب الانكار على الاعتراف المذكور فهي مقدمة معنى
وان اخرت لفظا حفظا لصدارة الهمزة فذلكم الله اشارة الى ان من هذه افعاله وقدرته
ربكم الحق الثابت ربوبيته الواجب وجوده لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم
فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكاري اي ليس بعد الحق الذي هو التوحيد وتخصيص العبادة
به تعالى الا الضلال فانى تصرفون من الحق الى الضلال ومن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك
الحق اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون

عن الحق حقت كلمة ربك حكمه على الذين فسقوا تمردوا في الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح
انهم لا يؤمنون مفعول كلمة لانها في معنى الحكم اي حكمه بانهم لا يؤمنون او بدل منها اي حق
وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق انهم لا يؤمنون او تعليل على ان الكلمة
كلمة العذاب وعدته اي لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الزمهم
بابداء الخلق واعادته وان لم يكونوا معترفين بها تنبيها على وضوح برهانهما ودلالة على ان من
انكرها كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي اعترف بصحته العقلاء وكان عندهم من المسلمات ثم قرر
او مأ الى لجاجهم وعنادهم وشدة مكابرتهم امر النبي صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب
في قوله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اي لا تدعهم لجاجتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى
تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل والتمكين والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر والهام الحق والصواب وهدى كما
يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم يتوجه
نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله في قوله قل الله يهدي للحق اي الله
وحده هو الذي يهدي للحق دون غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا
ان يهدى افمن يهدي بهذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهتدي بنفسه الا ان يهديه الغير
وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقيل من لا يهتدي من الاوثان فينقل
اليه الا ان يهدى الا ان ينقل وقرئ لا يهدي بفتح الياء وكسرها وتشديد الدال والاصل يهتدي
فادغم وقرئ الا ان يهدى من هداه للمبالغة ومنه جاء يهدي لمطاوعه كقولهم قطعته فتقطع
فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون انهم انداد الله تعالى وما يتبع اكثرهم في معتقدهم الا ظنا غير
مستند الى برهان بل مستند الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق
على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق في معرفة الله تعالى من الحق الى العلم والاعتقاد شيئا مفعول
به ومن الحق حال منه او نصب على المصدر اي لا يغني بدل الحق شيئا من الاغناء وقيل وما يتبع
اكثرهم في اتخاذ الاصنام آلهة وانها شفعاء الا ظنا وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول
واجب والتقليد والاستغناء بالظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون
من اتباع الظن وتقليد الآباء دون البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله

الا يكونا

وما صح مثل هذا القرآن في الاعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديق
ما تقدمه من الكتب المنزلة الصادقة وتصديق الصادق صادق وهو لكونه معجزا دليل على
صدقها وشاهد لصحتها تصديق خبر كان المقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله
تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي وتفصيل الكتاب وتبيين ما
كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم وقرئ تفصيل بالرفع عطفا
على تصديق على قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه
الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك فيه كريم او بالفعل المعلل بهما او حال من
الكتاب او ضمير فيه لانه مفعول في المعنى ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان على كونه من عند الله ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه انكار
لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه حجة عليهم بالاعجاز قل فاتوا بسورة مثله اي ان
كان افتراء كما زعمتم فاتوا انتم بسورة مفتراة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في
العربية والفصاحة بل اشد تمرنا بها مني وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله من خلقه اي لا تدعوا الله فانه وحده قادر على
ذلك وادعوا غيره ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن
بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن في اول وهلة سماعه قبل ان يفهموه ويعلموا معانيه او بما جهلوه
ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم احراطا سبهم بالعقوه وتعوده
من دينهم ونفورهم عما يخالفه ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم
معانيه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام
كذب يعني ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجاوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي
فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من
قبلهم انبياءهم قبل النظر في معجزاتهم تقليدا او بعده عنادا او حسدا فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه

ولكن

ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق او ومنهم من سيؤمن ومنهم من
سيصر ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين وان كذبوك اي اصروا
وواظبوا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت
وقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام المعارض
قطعا والايهام معزول عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون ولا يصغون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم ابعد التبليغ
تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر
اليك ويعاين دلائل صدقك ونبوتك ولكن لا يصدق افانت تهدي العمي اانت بعد
اظهار المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم
عدم تبصرهم افانت انكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية
الاعمى الذي لا بصيرة له وفيه تنبيه على ان حقيقة الاستماع هو فهم المعنى وحقيقة الابصار
هو الاستبصار والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين ولذلك لا يوصف
بالاول البهائم ويحس الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الاحمق وانه لا يقدر على موهبة
العقل والبصيرة والتوفيق للفهم والاستبصار الا الله وحده فاذا لم يذهب ولم يوفق
فمحال ان يقدر على ذلك وفي تشبيههم بالصم والعمي ان فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار
فاذا لم يحصلا فكانهما لم يكونا وفي ضم سلب العقل والبصيرة الى الصمم والعمى ايهام على اليأس من ان
يفهموا ويستبصروا واما سلب العقل في الاول وسلب البصر في الثاني فلان البصر بدون
العقل يوصل الى اهتداء الطرق والسلوك الا ترى ان البهائم تبصر الطرق وتسلك فيها وتتقي
بها المهالك ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون العقل فيظاهر البصر بدون العقل
تبصر الاشياء وبظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشياء والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض
عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا باخلال شيء من الاسباب كالهم و وسائل اهتدائهم كنقص حواسهم
وسلب عقولهم وبصائرهم واهمالهم سدى بلا تنبيه ببعثة الرسل وانزال الكتب ولكن الناس
انفسهم يظلمون بترك استعمال مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر والاعتبار

بصائرهم والذهول عن الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم او لا يظلمهم بالتعذيب بكبرهم
وعنادهم يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستيجابه
فعلى هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم
لآيات الاهتدآء فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لسابقه
ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة استقصار منهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول
ما يرون وفي بيانها بقوله من النهار تاكيد للاستقصار لان النهار يكون زمان الاشتغال
لا يدرك طول ساعاته بخلاف الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن
لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف اي يوما كان لم يلبثوا قبله او المصدر
محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا
قليلا وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فهو بيان لقوله كان لم
يلبثوا لان طول مدة اللبث يوجب التناكر والتعارف انما يبقى مع قلتها قد خسر الذين كذبوا
بلقآء الله استيناف للشهادة من الله بخسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين
اي الى طريق وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا
بان سبب الخسران انما هو تكذيبهم لقآء الله وعدم اهتدائهم لاستعمالها دونوا من المشاعر والعقول
والبصائر في تحصيل المعارف واكتسابهم بها عقائد فاسدة وجهالات تؤديهم الى الحساب
والهلاك والعذاب واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم
بدر او نتوفينك قبل ان نرينك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة قيل فهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم
صالح ان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى فعلى كلا التقديرين نعذبهم
في الآخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا للتخفيف في الآخرة وهذا هو المناسب للمقام
فلا وجه للعدول عنه بما لارتكاب المحذوف في الكلام ثم الله شهيد على ما يفعلون اي بعد
رجوعهم الينا الله معاقبهم على افعالهم او الله مؤد شهادته على افعالهم حين تنطق جلودهم
والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم والمراد من الشهادة مقتضاها ونتيجتها اي العقاب
لان شهادة الذي احاط علمه بجميع افعالهم السيئة الخفية والظاهرة توجب العقاب الشديد لانه
محضر كل ما نسوه والالتفات من التكلم الى الغيبة واظهار اسم الله وايقاع ثم وايراد الجملة

الاسمية للتنبيه على انه هو الله تع الذي لا يخفى عليه ما فيه وتربية المهابة والتهديد والتهويل بان
مضمون الوعيد في غاية البعد من تصورهم عند الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع من المبالغات
في تشديد الوعيد وتاكيده وقرئ ثم بالفتح اي هناك ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم
ليدعوهم فاذا جآء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بالقسط بالعدل فانجي الرسول ومن آمن به
واهلك المكذبون وذلك لالزام الحجة كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون العقاب
في الآخرة بعد العذاب في الدنيا لانه جزآء سيأتهم والتعذيب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر
وعلى هذا هو تاسيس لا تاكيد لما قبله فالعاطف اصاب المحز بخلاف ما قيل معناه لكل امة يوم القيمة
رسول تنسب اليه فاذا جآء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب
الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهدآء وقضي فانه ح يتعين التاكيد فالعاطف يكون واقعا بين الشجر
ولحائه ويقولون متى هذا الوعد استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا وانكارا
واستهزآء ان كنتم صادقين خطاب للرسول عليه السلام والمؤمنين به قل لا املك لنفسي ضرا ولا
نفعا فكيف املك لكم فاعجل لكم العذاب وتقديم الضر لان ما فيه الكلام من جنسه الا ما شاء الله استثنا
متصل اي الا ما شاء الله ان املكه او منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم عند الله وحد محدود من الزمان اذا جآء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون اذا جآء وقته وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة الاعراف قل ارايتم ان اتاكم عذابه
الذي تستعجلون به بياتا نصب على الظرف اي وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم او نهارا اي
وقت اشتغالكم بطلب المعاش والكسب واللهو وجواب الشرط محذوف اي تندمتم على الاستعجال
او عرفتم الخطأ فيه وقوله ماذا يستعجل به المجرمون متعلق بارايتم اي اخبروني ماذا تستعجلون منه
والشرطية اعتراض والاولى ان يكون ماذا جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني والشرطية
متعلقة بارايتم ومؤداها ان العذاب كله مكروه موجب للنفار يجب ان يستعاذ منه لا ان يستعجل
فاي شيء يستعجلون منه على ان الضمير في منه للعذاب وقيل لله تع ويجوز ان يكون معنى الاستفهام
في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شيء هائل شديد يستعجلون منه ومن في هذا الوجه
يجوز ان يكون للبيان ووضع المجرمون موضع ضمير المخاطبين على طريقة الالتفات تقوية لما في
الاستفهام من معنى الانكار والتعجب ودلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام
فان المجرم من حقه ان يخاف التعذيب ويستعيذ منه وان ابطأ فضلا عن ان يستعجله ويجوز ان

يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط واذا يستعجل اعتراضا اى اخبرونى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول الهمزة على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت لا
ينفع وهو وقت العذاب وادخالها على المعطوف لانه مصب الانكار والاستبعاد وانما جئ
بحرف التراخى على ثم لانكار تاخير الايمان بدل الواو دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة
على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجئ بحرف التراخى بدل الواو دلالة على
الاستبعاد ثم زيد ما اذا ركبا بها ترشيحا لمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة التجهيل وانهم لم يؤمنوا الا
بعد ان لم ينفعهم الايمان آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا وانكارا ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن ذوقوا
عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى ويستنبئونك ويستخبرونك
احق هو الضمير للعذاب الموعود احق خبر والضمير مبتدا او المبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر
كقولهم اقائم زيد والجملة فى محل النصب ليستنبئونك والهمزة للاستفهام على سبيل الانكار والاستهزاء
وقرئ الحق هو على ان اللام للجنس كانه قيل اهو الحق لا الباطل وهو الذى تسمونه الحق وهو ادوى
فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل قل اى وربى انه لحق ان العذاب لكائن واى من حروف
الايجاب بمعنى نعم وتخص بالقسم كان هل بمعنى قد تختص بالاستفهام فيقولون اى والله ولا
ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب اى هو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس
ظلمت بفعل المستحق به العذاب ما فى الارض اى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها
لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ولفظ كل لتعميم الحكم لكل واحدة
من النفوس الظالمة واسروا الندامة لما راوا العذاب حين رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا لما عاينوه
مما لم يخطر ببالهم ولم يحسبوا وسلبت شدته وفظاعته قواهم فلم يطيقوا اظهار الجزع والبكاء للدهشة
والحيرة لا للتجلد اذ ليس هناك فامتلأت قلوبهم ندما وقيل اسر رؤساهم الندامة من اتباعهم
الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اى مل
بطونهم بحيث لم يكن فيها شئ آخر من قولهم سر الشئ لخالصته لانها تخفى ويضن بها وعلى هذا يكون
فيه تهكم بهم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشئ اذا اظهره وهو من الاضداد وقضى بينهم بالقسط
اى بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكرارا لان الاول قضاء
حكومة والثانى مجازاتهم على الشرك وسائر المعاصى الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير

لقدرته

لقدرته تع على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا
خلف فيه اتى بكلمتى التنبيه والتحقيق وجمع بينهما فى جملتى الاختصاص بالملك وانجاز الوعد تقريرا
لما وعدوه وتنبيها على ان ما ذكر حق واجب الوقوع لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهماكهم فى الغفلة
هو يحيى ويميت فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى ايضا لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ايضا واليه ترجعون بالبعث بعد الموت تحذير
وترهيب ليخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين اى كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكم العملية المبينة لمحاسن الاعمال وقبائحها
والتحريض على الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف والحقائق التى هى شفاء لما
فى الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق والشرك والهداية الى الحق والتوحيد
والرحمة لمن آمن به من انزاله عليهم ما ينجيهم من ظلمات الضلال والكفر الى نور الهدى والايمان
ومن دركات النيران الى درجات الجنان وتنكير موعظة وما عطف عليها للتعظيم قل
بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره بفضل الله وبرحمته يعنى
بانزال القرآن والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا يعنى نوعه وما يناسبه نحو بفضل
الله وبرحمته فليعتنوا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وذلك اشارة الى الفضل والرحمة
بتاويل ما ذكر وتقديمه للتاكيد والبيان بعد الابهام وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد وهو جواب شرط تقديره ان كانوا
يفرحون بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان تكون الفاء للربط بما
قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح ويجوز ان
يتعلق بفضل الله وبرحمته بقوله قد جاءتكم اى قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته ذلك
اشارة الى مصدر جاء فبمجيئها فليفرحوا وقرئ بالتاء فلتفرحوا على الاصل المرفوض وهو القياس
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا واثره عليه السلام لانه ادل على الامر بالفرح واشد
تصريحا به هو راجع الى ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا السريع الزوال وقرئ تجمعون بالتاء
على الخطاب ومن لم يذق حسن هذا الاستيناف فى مقام التعليل ولم يرد انه اقوى الوصلين
قال على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه فاوهم ان حق المقام الوصل بالفاء
التعليلية ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر

فی السمآ مسبب باسباب منها من المطر والشمس والقمر فی الانبات والانضاج والتلوين وما فی محل النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنی اخبرونی وكم دل علی ان المراد بالرزق ما قل ولذلك وبخهم علی التبعيض بقوله فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامی وما جعلوا الله من الحرث والانعام وانما قدم حراما لانه مصب الانكار وفی اسناد التحريم والتحليل اليهم اشارة الی انهم هم المبعضون توبيخا وتمهيدا لاثبات القسم الثانی من المنفصلة فی قوله قل الله اذن لكم ام علی الله تفترون ای اخبرونی الله اذن لكم فی التحريم والتحليل فتفعلون ذلك باذنه ام تكذبون علی الله فی نسبته اليه علی ان ام متصلة وتكرير قل بين ارايتم وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتبكيت والاشارة الی ان نسبة ذلك الی الله تقليد وقول بلا حجة فلزم الافتراق وكان الاصل الله اذن ام غيره فعدل الی المنزل دلالة علی ان الثابت هو الشق الثانی وهم ينسبونه الی الله تع فهم مفترون عليه لا علی غيره وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة بمعنی بل والهمزة فالاستفهام للانكار ومعنی بل اضراب عن ان يكون باذن الله تع ومعنی الهمزة تقرير للافترآ وتوبيخ عليه وتقديم علی الله لتخصيصه تع بالافترآ عليه فانه نهاية فی قبح الكذب وفی العدول عن الضمير الی الاسم المظهر تفخيما زيادة اظهار لقبح الافترآ وما ظن الذين يفترون علی الله الكذب فی ابهام متعلق الظن بحذفه والسوال عنه بليغ وتهديد عظيم ای ای شئ ظنهم يوم القيمة وهو يوم الجزآ يحسبون انهم لا يجازون علی الافترآ وقری ظن علی لفظ الفعل علی جعل المحقق الوقوع واقعا ونصبها علی المصدر ای ای ظن ظنوا فيه ان الله لذو فضل علی الناس علی كلهم بما انعم عليهم من العقل والحواس وساق اليهم الرزق وهداهم الی الحق بارسال الرسل وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من غير سابقة صنيع منهم يستوجبون به ذلك ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم العظيمة لجهلهم بمواقعها وما تكون فی شان الشان الامر واصله القصد وعينه الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده فخففت والضمير فی قوله وما تتلو منه راجع الی الشان لان تلاوة القران شان معظم من شؤون النبی صلی الله عليه وسلم اولان القراءة تكون بشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران علی ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفی او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل من لتاكيد النفی ای ای عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب

بعد تخصيصه بمن هو راسهم ومقدمهم وحيث خص ذكر ما فيه فخامة وحيث عمم ذكر ما يتناول الخطير والحقير للمناسبة الا كنا عليكم شهودا رقبآ مطلعة عليه استثنا مفرغ من اعم الاحوال علی تقدير فكن او اعم الاوقات ای وقت كن اذ تفيضون فيه وقت اندفاعكم فيه ظرف لشهودا وعلی الثانی جاز كونه بدلا من الوقت المقدر وما يعزب عن ربك وقری يعزب بكسر الزای وضمها والعزوب معناه البعد والغيبة يقال عزب اذا انفرد عن اهله من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هبآ فی الارض ولا فی السمآ عبر بطرفی العالم عن كله والمراد احاطة علمه بجميع ما فی الوجود فعبر عنه بما ذكر علی معتقد العامة فان التنزيل وارد علی لسانهم وهم ينكرون وجود ممكن ليس بخير وقدم الارض علی السمآ هنا بخلاف ما فی سورة سبا لان الكلام فی شؤون اهل الارض وشهادته عليها رعاية للملايمة والا فالواو فی الجمع بينهما كالتثنية ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فی كتاب مبين جملة براسها ولا لنفی الجنس واصغر مبنی علی الفتح اسمها وفی كتاب خبرها ولا اكبر عطف عليه النصب ولا مزيدة للتاكيد او مفتوح مثله وقری مرفوعين علی ان الاول مبتدا خبره فی كتاب والثانی عطف عليه ومن جعل رفعها عطفا علی محل من مثقال وفتحها علی لفظ مثقال لكونهما غير منصرفين مفتوحين فی موضع الجر جعل الا فی كتاب استثنا منقطعا بمعنی لكن فی كتاب مبين والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير موكدا لقوله ولا يعزب عنه كانه قيل كيف يعزب وهو فی كتاب مبين علی ان الاتصال له ايضا وجه لا سيما اذا فسر الكتاب المبين بعلم الله كما فی سورة الانعام ويكون المعنی لا يغيب عنه الا فی علمه ومعلوم ان غيبة الشئ فی العلم عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان فسر باللوح فلا باس به ايضا لانه محل صور معلوماته تع وكان مقتضی البلاغة بحسب جليل النظر تقديم الاكبر علی الاصغر ليكون الكلام علی طريقة الترقی وانما عكس الترتيب سوقا له علی مقتضی ما بحسب دقيق النظر ليكون فی كل واحد من جزئی الكلام نوع من الاهتمام وذلك انه يكون فی الجزء الاول منه اهتمام التقديم وفی الثانی اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام الا ان اوليآ الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم فی الحال من لحوق محذور ولا هم يحزنون من وقوع مكروه من فوات نافع وحصول ضار الذين امنوا وكانوا يتقون نصب او رفع علی المدح او علی وصف الاوليآ فيكون بيانا لتوليهم ربهم او رفع علی الابتدا والخبر لهم البشری فی الحيوة الدنيا وفی الاخرة بيان لتوليه تع اياهم والبشری فی الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين فی غير موضع من كتابه وعلی لسان نبيه عليه السلام وما يريهم

في الرؤيا الصادقة وما يسنح لهم بالمكاشفة وبشرى الملائكة عند النزع واما البشرى في الآخرة فتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله واحكامه ولا اخلاف
لمواعيده ذلك اشارة الى تخصيص البشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى
والامن من كل ما يخشى وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان
يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وقرئ
ولا يحزنك من احزنه ان العزة لله جميعا استئناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة
لله اي الغلبة والقدرة كلها لله تعالى ولا يملك احد غيره شيئا منها فهو يغلبهم وينصرك عليهم وقرئ ان
العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل وفيه اخبار عن اهل العزة تسلية لاهل العزة هو السميع
لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض تمهيد لما بعده من
امتناع ان يكون الجماد له ولذا لانه تخصيص للعقلاء بالملكية بتقديم لله وايراد من دون ما مع التاكيد
بتصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق فالعقلاء من الملائكة والثقلين اذا كانوا تحت يده عبيدا مملوكين
مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركاء فكيف يصح ان يكون الجماد له ندا فهو كالدليل على بطلان
اعتقاد المشركين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول
يدعون محذوف اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء حقيقة فحذف احدهما لدلالة الآخر
عليه ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوفا دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما
يتبعون الا الظن يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع
وشركاء مفعول يدعون وان جعلت موصولة فمنصوبة المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء
والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله
ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا
يخرصون اي يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى هو المتفرد بكمال قدرته وعظيم
نعمته التي لا يمكنهم ان يعيشوا بدونها ليدلهم على انه المتوحد باستحقاق العبادة فيخصوه بها وجعل
متعد الى مفعول واحد بمعنى خلق ومبصرا حال ويجوز ان يكون متعديا الى مفعولين والثاني
لكم او لتسكنوا اي جعله محلا لتسكنوا بها وقيل مظلما والنهار مبصرا عطف على المفعولين ذكر مع خلق

الليل

الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش وما يكدحون منه في النهار وحذفها
من النهار وذكر وصفا وحذفه من الليل وكل من المحذوفين يدل عليه المذكور في مقابله والتقدير
جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وتهتدوا الى مآربكم واسناد
الابصار الى النهار مجازي على طريقة ليل نائم ونهاره صائم وانما عدل عن قوله لتبصروا فيه
مناسبا لتسكنوا فيه لدلالته على انه مع كونه ظرفا للابصار سبب له بخلاف سائر الظروف ان في ذلك
لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار وادكار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له تعالى عن
التبني وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه عنه فانه مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما
في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض البرهان الذي اقامه تحقيقا
لبطلان قولهم ومبالغة في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا مع ان الحجة دالة على خلافه والباء
في بهذا متعلق بسلطان او بقوله ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم في القول حجة كقولك
ما عندكم بارضكم موز اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى البرهان عنهم جعلهم جاهلين وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقائد لا بد ان تكون برهانية لا تقليدية والهمزة
للتوبيخ والتقريع لهم على اختلافهم وجهلهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب بنسبة الولد
والشريك اليه تعالى لا يفلحون لا ينجون من العذاب ولا يفوزون بالجنة متاع خبر مبتدا محذوف
والتنكير للتقليل تقديره افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة في الدنيا اي يقيمون به في الدنيا رياستهم
في الكفر او حيوتهم وتقلبهم فيها متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد في جهنم بما كانوا يكفرون
بسبب استمرارهم على الكفر واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
شق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني اي كوني ووجودي ومنه
فعلت كذا لمكان فلان او اقامتي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي على التذكير لان قوله وتذكيري
يغني عنه والتأسيس خيرا من التاكيد بآيات الله فعلى الله توكلت اي خصصت الله بالتوكل عليه
والوثوق به فانه جواب الشرط اي فلا ابالي وقيل هذا جواب الشرط فاجمعوا امركم وما تقدم اعتراض
بين الشرط وجوابه كما تقول ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد واجمعوا قرئ
بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهو العزم في اسناد الجمع والاجماع على الشركاء تهكم بهم
وبشركائهم كما في قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون وشركاءكم معطوف على امركم على حذف مضاف

تقديره وامر شركائكم او منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شهداكم وقد قرئ به وقيل
اجمعوا بمعنى اعدوا فيقع على المعطوفين جميعا وقال الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع اى
مع شركائكم ولا يساعده قراءة الوصل كما قال الحريرى فى درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان
وانما يقال اجتمع فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز بلا تاكيد ثم لا يكن امركم
فى قصدى عليكم غمة مستورا عليكم ولكن مكشوفا مجاهرا به من غمه اذا ستره او لا يكن امركم
ما تكونون فيه من شدة الحال والكراهة وثقل مقامى فيكم ومشقته عليكم غما وكربا عليكم والغم والغمة
كالكرب والكربة معنى وصيغة اى لا تتوقفوا فى اهلاكى وتدبيره لئلا يكون عيشكم بسبب
مصاحبتى وحالكم معى غمة عليكم ثم اقضوا ادوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى بمعنى ادوا واقطعوه
وتصححه الى كقوله وقضينا اليه ذلك الامر اى ادوا الى ما هو حق عليكم من وجوب اهلاكى كما يقضى
الرجل غريمه وقرئ ثم افضوا بالفاء اى ثم انتهوا الى بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى
الفضاء اى اصحروا به الى وابرزوا به لى ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اى اعرضتم عن
تذكيرى فما سألتكم من اجر يوجب اعراضكم عنى لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله من طمع فى اموالكم
ان اجرى فى نصيحتكم ووعظكم الا على الله هو الذى يثيبنى عليه اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض
من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامر الله وقضيته الاسلام لا اطلب
على تعليم الدين شيئا ولا ابتغى بالدعوة والموعظة الا وجه الله رضى الله عن ابى حنيفة ما امعن
النظر اذ لم ير الاجازة فى الاجارة على الطاعات والمراد الزام الحجة لهم وتبرئة ساحته عما يوجب
الاعراض فكذبوه فاصروا على تكذيبه تمردا وعنادا به طول مدة الدعوة والزام الحجة فنجيناه
يعنى من الغرق دل عليه قوله ومن معه فى الفلك من الانسان والحيوان وانما قال من دون ما
تغليبا للعقلاء على غيرهم للتنبيه على ان نجاة غيرهم كان تبعا لهم وجعلناهم خلائف من الهالكين
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان والجمل مؤخر عن الاغراق واتى فقدم لفظا للاهتمام به تعظيم
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين الى المنذرين للتنبيه على ان التكذيب
انما يوجب نزول العذاب اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا اللطف ودق لطف هذا الاعتبار
ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل شىء ارسلته فقد بعثته ومنه قوله تعالى من بعثنا من
مرقدنا والذى امر بتبليغ الرسالة الى قوم وهو فيهم انما يناسبه عبارة البعث دون الارسال

من بعده من بعد نوح رسلا التنكير للتكثير الى قومهم الى اقوامهم كل رسول الى قومه وانما لم يجمع لانه فى
الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا عبارة كان
الدالة على الاستمرار مقدمة على اداة النفى فى الاعتبار اى لم يؤمنوا واصروا على الانكار وفى زيادة
لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ان ايمانهم فى حيز الامتناع بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة الرسل اى ما تفاوت فى حالهم قبل البعثة وبعده لاعتيادهم
بالعناد وانكار الحق كذلك مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين لان الاعتداء
والافراط فى التجافى عن الحق يوجب الخذلان حتى يصير رينا وطبعا فالكلام على الحقيقة دون الكناية
ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه خص اشرافهم بالذكر اكتفاء بذكر
الجزء عن الكل باياتنا بالايات التسع اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها عن حيز استطاعة العبد
وتعلق كسبه بها وكونها من خوارق العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع من ارسل اليهم
والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق واعظم الكبر استهانة العبد برسالة ربه بعد تبينها بالبينات
وكانوا قوما مجرمين معتادين بالاثام العظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها
اما توصيف الاثام بالعظام فلان الجرم يؤذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل الكلام سبيل
الاعتراض التذييلى ويدل على تمرنهم واعتيادهم له فجعله لذلك على ان الكفر اذا وصف بالجرم
والفسق دل على اشده واما سببه فى نفس الاعتراض والحمل على العطف الساذج لا يلائم
بلاغة القران فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى
وهرون قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر او فائق فى فنه واضح من بين فنونه
والدليل على الوفاء بين المذكورين من النظم ايقاع الحق موضع ضمير الايات واسناد المجىء اليه
وقولهم ان هذا لسحر مبين كما مر فى صدر السورة من دلالته على الاعتراف وتناهى العجز قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم انعيبونه وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا
فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول وقيل حذف مفعول القول لدلالة ما قبله عليه وهو انه لسحر
والهمزة للتوبيخ ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما
قالوه الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم وهذا على الوجه الاول اشارة
الى وضوح حقيقته وكونه ممتازا فى الحس من الباطل معلوم الحقيقة بحيث لا يشك فيه
مشارا اليه فى ذلك وعلى الثانى تحقير واستبعاد لكونه موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون

من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ويأباه قوله ائتوني بكل ساحر عليم لانه مظنة طلب الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على ان اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلب الفوز قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها فان الملوك يوصفون بالكبر ويجوز ان يقصد به ذمهما بريدان تكبرا او تجبرا في ارض مصر باستتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي ابهام ما انتم ملقون تحقير لهم وتعليل واعلام بانه لا شيء لا يلتفت اليه فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة مبتدا خبره السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئنا به من ايات الله وقرئ آلسحر على الاستفهامية مبتداء تقديره اي شيء وجئتم به الخبر والسحر بدل من ما او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف تقديره السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره ولو كره المجرمون فما امن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري قومه اي اولاد من بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته طائفة من ابنائهم وبناتهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه او من آل فرعون واسية امراته وخازنه وامرأة الخازن وماشطته ولا يناسبه قوله على خوف من فرعون فان حق الكلام ح اظهار اسم فرعون ثمة واضماره ههنا وملائهم الضمير يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال مضر وربيعة او لانه ذو اصحاب يأتمرون له فعلى هذا يكون من باب قوله يا ايها النبي اذا طلقتم ولا يجوز ان يكون جمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد التعظيم ولا يساعده المقام او الى الذرية او قومه اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم بدليل قوله ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وعلى الوجه الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل

بان

بان يقال الخوف من الملا كان بسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة خوفهم ولا يفيد مع افادة على ان المصحوب ليس كالمركوب به وان فرعون لعال في الارض لغالب قاهر فيها استيناف لبيان السبب في كون اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون المراد من الاسراف في قوله وانه لمن المسرفين تجاوزه عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل لمن يخالفه في امر من الامور وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته وفي ايراد ان ايماء الى ان حالهم ليست حال المصدق بالله الصادق في الايمان الواثق به فعليه توكلوا فخصوه بالتفويض اليه والتوبة في العصمة من فرعون ثم شرط في حصول التوكل وصحة الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في وجوبه الايمان لان من قضية الايمان وجوب التوكل على الله ولا يصح التوكل الا مع تسليم نفوسهم له خالصة سالمة ليس لغيره فيها حظ ولا تخليط فيه كقولك ان اتاك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافون عذابه وبلاءه وجعلهم خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا به او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من مجاورة استعبادهم وسوء مشاهدتهم وانما قدموا التوكل على الدعاء لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لاجابة دعوتهم واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة اي مرجعا يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى واقيموا الصلوة فيها قال ابن عباس رض ان فرعون لما اتاه موسى عليه السلام بالرسالة امر بمساجد بني اسرائيل فكسرت كلها وكانت مساجدهم ظاهرة فامرهما الله ان يجعلا لقومهما مساجد في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احدهم ووحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرش وغير ذلك واموالا اصنافا من الاموال في الحيوة الدنيا عن ابن عباس رض كانت لهم من ارض مصر فسطاط الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم لما هم فيه للاياس عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر كقولك لعن الله ابليس

وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها للضلال فيكون تكريرا للاول
وتنبيها على ان المقصود من عرض الايات ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
والطمس المحق قال ابن عباس رضه بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم
والدنانير واشدد على قلوبهم الشد على القلوب الاستيثاق منها وقبضها حتى لا يدخلها الايمان اي
واطبع عليها حتى لا تنشرح لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب لدعائه الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقيل
ان جعلت اللام في ليضلوا للعاقبة او التعليل فهو عطف عليه وقوله ربنا اطمس واشدد دعاء
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن موقع
ولهذا عيب على النابغة قوله لعل زيادا لا ابا لك غافل حتى يروا العذاب الاليم اي يروا ذلك
ويحتمل الغاية الى ان يروا العذاب الاليم وكان ذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعاء اربعين سنة قال الزجاج
قوله ولا تتبعان جزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون المشددة دخلت على النهي موكدة وكسرت
لسكونها وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف تشبه نون التثنية واستضعفه
ابن الحاجب وحمل على انه نفي بمعنى النهي فيجاز العطف او الواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يمنع من
دخول الواو عليه اي استقيما غير متبعين وهذا اشد ملايمة وقرئ ولا تتبعان بتخفيف النون ولا
تتبعان من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل
المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم تقربوا منهم والا لا ادراك
فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه الغرق بالفتح القرب من
الهلاك بغمرة الماء والغرق تحقيقها الهلاك فيها قال آمنت انه قرئ بالفتح على حذف الباء
التي هي صلة الايمان وبالكسر على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذي امنت
به بنو اسرائيل وانا من المسلمين على الاول تكرير للمعنى الواحد بعبارتين مختلفتين وعلى الثاني بثلاث
عبارات شغفا على القبول لكن لما لم يبق وقت التكليف فلم يقبل ولو بقي وقته لكفت مرة واحدة
كان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي ولم يكن مسلما لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا
امن في وقت خرجت نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه اليه تعالى اذ ليس نفسه في يده فيسلمها وذلك

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الحكمة في الاستعجال فان الامور
مقدرة معلقة باوقاتها او عدم
الوثوق بعهد الله تعالى صح

وبخه بالعصيان المقابل للاذعان دون الكفر المقابل للتصديق حيث قال آلآن اي أتؤمن
الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت
من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان روى الترمذي عن ابن عباس رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما اغرق الله فرعون قال امنت الى قوله بنو اسرائيل قال جبريل فلو رايتني يا محمد وانا اخذ من
حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اراد ادراك الرحمة في الدنيا كما ادرك قوم يونس فنجوا
من العذاب فليس فيه ما يدل على كراهة ايمان الكافر والرضا بكفره فان الرضا بالشيء لا يستلزم
الرضا بسببه الا يرى ان المريض يشرب الدواء البشع كارها اياه راضيا بما يترتب عليه من منفعة
الشفاء فمن وهم ان في قوله مخافة ان تدركه الرحمة جهالتين احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان
الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان
الرضا بالكفر كفر وزعم بناء على ذلك انه من زيادات الباطنيين وملاحدتهم فقد وهم لانه على تقدير
زيادته لا بأس فيه بعد ثبت فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك ناجيا
او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل ببدنك في موقع الحال اي بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي بدروعك كانه كان مظاهرا بينها او جزء من
الآل او ظهوره على وجهه مع ما عليه من جسم ثقيل آية اخرى وقيل اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من غير لباس بابائه الابا لانها تقتضي وجود شي اخر غير البدن ولم يبق غير جسده
على انه فرق بين البدن والجسد فان الاطراف خارج عن الاول داخل في الثاني فحق المقام ان يذكر
الجسد بدل البدن لتكون لمن خلفك آية لمن بعدك من السبطي والقبطي علامة اذ كان في
نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يموت حتى روي ان بني اسرائيل لم يصدقوا موسى في اخباره
بغرقه حتى عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا ممن
شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك والسلطان مملوك مقهور بعيد عن مكان الربوبية وقرئ ننجيك من النجي وقرئ ننحيك
بالحاء من التنحية وهو التبعيد بيديك على انه تتمة البدل لمن خلقك بالقاف اي نبعدك عن الرحمة
بما كسبت يداك من الجفوة لتكون من خالقك آية للخلق فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه قصد كشف تزويرك واماطة الشبهة عن امرك دال على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه محتمل على المشهورة ايضا ومن قال في تفسيره على القراءة الاخيرة اي نلقيك بناحية

الساحل لقد غفل عن ان من قراه بالحق قرا بيديك بالياس فوقع فيما وقع وان كثيرا من الناس
الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا نزلنا بني اسرائيل مبوأ
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة
فما اختلفوا اي كانوا على ملة واحدة وطريقة مع موسى في اول حاله حتى جاءهم العلم بنزول التورية
فاختلفوا وهذا ذم لهم من جهة ان العلم سبب الاتفاق فصار عندهم سبب الاختلاف حتى تشعبوا
شعبا بعدما قرؤا التورية وفي ترتيب ذلك الاختلاف الذي لا يخلو عن نوع كفران على انعام
نعم عليهم المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تاكيد للذم لتنزيلهم الكفران منزلة
الشكر وقيل المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعدما علموا صدقه بنعوته
وظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي
كلا منهم على استحقاقه وينزل منزلته استيجابه على حكم وعده ووعيده فان كنت في شك
مما انزلنا اليك كلام مبني على الفرض والتقدير موكد بما هو وارد على سبيل التهييج وزيادة
التثبيت فلا يستلزم وجود الريب والامتراء والتكذيب ولا امكانها اذ كل من باب فرض
المحال وبقاء الكلام عليه اي من هو الناس يقينا واشرفهم واعز خلق الله عليه منك لو كان
موصوفا بهذه الصفات الخبيثة التي وصفوا بها لوقع في الخسران المطلق وكما دل على زيادة
التثبيت والعصمة دل على سوء حال الشاكين فيه من بني اسرائيل فاسال الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك من بني اسرائيل الذين اتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم
على نحو ما انزل اليك والمراد اثبات نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار وذلك انه لما ذكر
بني اسرائيل ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته عليه السلام وصدق القران بشهادة
علمائهم وكتابهم او وصف الاحبار بالرسوخ في العلم لصحة نبوته عليه السلام وما انزل الله اليه
لا اثبات الشك وامكانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا
اسال اشهد انه الحق وبهذا التقرير تبين وجه تصدير الكلام باداة الترتيب على ما قبله وقيل
الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه
تنبيه على ان كل من خالطته شبهة فعليه بمراجعة العلماء لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك
بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة الذي جاءك هو الحق الذي لا تدخل الشبهة فيه فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما انت

عليه

عليه من الجزم واليقين وانتفاء المرية والتكذيب وفي قرانه من باب التهييج والالهاب كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك حكمه بانهم يموتون على الكفر
ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية لانتفاء
تعلق ارادته تعالى بايمانهم فانه لا بد منه في وجود كل ممكن حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم
كما لم ينفع لفرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
امنت قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم تؤخر اليه كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وكشف عنها العذاب الا قوم يونس استثناء من القرى
لان المراد اهلها وهو متصل والجملة في معنى النفي لتضمن التحضيض معناه كانه قيل ما امنت قرية
من القرى الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء والدليل على قراءته
بالرفع على البدل او منقطع اي لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارات العذاب ولم يؤخروه
الى حلوله امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه
ومتعناهم الى حين الى وقت انقضاء اجالهم ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم حتى لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شاء الله ايمانه
يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشا الله منهم يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم
الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه
وانما الشان في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه احد لانه هو القادر على ان يفعل
في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وبهذا المساق تمسك من حمل
المشية المذكورة على المشية الملجئة حتى يكونوا مؤمنين ترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها
حرف الاستفهام للانكار للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل يعني اذا لم يشا الله ايمانهم لم تقدر
عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد الحث والتحريض روي انه عليه السلام كان شديد
الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله اي
بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب وقرئ
الرجز بالزاي على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والبينات فيؤمنوا
اورد في مقابلة الايمان عدم العقل وفي مقابلة الاذن الرجس لان الايمان انما يكون بصحة
العقل والنظر في الدلائل العقلية والسمعية والاصرار على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدم

كصم بكم عمي فهم لا يعقلون وفيه الى ان العاقل هو المومن ومن لم يوفقه الله للايمان لعدم عقله
لزم كفره الموجب للعذاب المترتب لازم للكفر الذي هو الرجس على ملزومه الذي هو عدم العقل
للجمع بين التهديد والتوبيخ قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب الصانع
الدالة على توحيده وكمال حكمته وماذا استفهام علق فعل النظر عن العمل وما في وما تغني الايات
نافية او استفهامية في محل النصب يغني والنذر عن قوم لا يومنون في علم الله وحكمه فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره
من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا الاهلاك
اني معكم من المنتظرين لهلاككم ثم ننجي رسلنا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه
قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك مثل ذلك الانجاء
حقا علينا اعتراض اي حق ذلك حقا علينا او بدل من كذلك ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين
قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا ديني اعتقادا وعملا فاعرضوه على العقل
الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا صحته وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن
اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وانه حقيق بان يخاف
ويتقى فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه العقل ونطق
به الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان القياس وهو حذفه مع ان وان يطرد في
سائر الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر وان اقم وجهك للدين استقم عليه ولا تلتفت
الى غيره عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل انشاء لان حق ان هذه ان تكون مع الفعل
في تاويل المصدر والامر والخبر في تضمن المصدر سواء حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي لا يقدر على نفع ولا ضر فان فعلت اي
فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين
لان الشرك اعظم الظلم لقوله ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار الى علة النهي بايراد ما التي لغير العقلاء وسلب النفع والضر
عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها اتبعه ايراد العلة الموجبة لتخصيص العبادة بالله تعالى وهي
انه هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل قادر غيره

فضلا

فضلا عن الجماد الذي لا حيوة له وان ارادك بخير لم يرد احد ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف
بالاوثان ليدل على انه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه وفي ذكر المس مع الضر والارادة مع الخير
مع تلازمهما ايماء الى ان المراد بالذات هو الخير ولهذا لا يخلو منه وانما الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول وفي وضع الفضل موضع الضمير دلالة على انه من باب الامتنان والتفضل لا بالاستحقاق والايجاب
كالشر واكد ذلك بقوله يصيب به بالخير من يشاء من عباده وتقديم الضمير للتهديد والايماء الى ان
عبادة الغير توجب المس بالضر وتعرض للعقاب لكونه ظلما راجح جانب الترغيب فيه على جانب
الترهيب لان المقصود الحث على الالتجاء الى الله وحده والاعتصام به ولا شك ان داعي اللطف
ابر والنفوس الكريمة اليه اميل فاوثر في الاول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر دون
تعدو ثم في عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك في قوله فلا كاشف له الا هو وكافيه
من انه يكشفه لا محالة وفي الثاني لفظ الارادة فجعل المخاطب مرادا والخير تابعا له وفيه ابلغ اللطف
ثم اطلاق الارادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن زيادة تقوية له ثم انه طيب مسامعهم اولا
بكونه خيرا موثرا وثانيا بكونه فضلا ولهذا لم يكدر الرجاء بالتعقيب بالاستثناء وصفى مورده عن
شوائب الا هو وما قيل ولم يستثن يعني في الثاني لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح وجها لعدم
الاستثناء على طريقة ما في قرينه وطريقه غير منحصر في ذلك الوجه ومن لم يتنبه لكون كل واحد
من لفظي المس والارادة امس بمقامه من الاخر قال كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر المس في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك ثم انه لم يصب في عدم الفرق
بين المس والاصابة وقد اوضحنا الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم تحريض
وبعث على التوبة من الشرك اي لا تيأسوا من غفرانه وتواليه من عصيانه وتوقعوا الرحمة
بتوحيده وتخصيصه بالعبادة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول او الدين المبين والقران
المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى
واتباع الحق فما نفع الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اثر الضلال فما وبال ذلك الا عليها
وفيه حث على ايثار الهدى والاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما
انا بشير ونذير واتبع ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر
على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين

اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر

هود

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته صفة له اي احكمت من جهة
اللفظ والمعنى والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت اي ميزت بعضها عن
بعض في النزول كيلا يحمل الى الاستدلال على الاحكام فالتراخي على الحقيقة او ليس فيها منسوخ فمعنى
احكامها منعها من النسخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم اذا صار حكيما لانها
مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ومعنى فصلت انها فصلت بالفوائد كما تفصل القلائد
بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او جعلت فصولا فصولا اية اية او فصل فيها ما
يحتاج العباد اي بين ولخص فالتراخي رتبي وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على البنا للمتكلم من لدن
حكيم خبير في تعلقه باحكمت ثم فصلت طباق حسن لان معناه احكمها حكيم وفصلها خبير بالاشياء
واحوالها فصار على اكمل ما ينبغي باعتبار ظاهره وما خفي ان لا تعبدوا مفعول اي لان لا تعبدوا
او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول او امر لان فيه معنى الامر اي امر ان لا تعبدوا
الا الله ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبل على لسان النبي عليه السلام بتقدير قل اغراء
منه على تخصيص الله بالعبادة او امرا به ويدل عليه قوله وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
انني لكم منه من جهته نذير وبشير لان الانذار اعم واهم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اي استغفروا من الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله بالطاعة فالتراخي على الحقيقة ويجوز
ان يراد التراخي في الرتبة لان التخلية افضل من التحلية والاستغفار منتظم الندم على ما سلف
واجتناب العمل في المستانف حتى يكون راجعا بعمله الى ربه ولهذا قدم ذكر الاستغفار على التوبة
اي اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات على الطاعة في باقي الايام
وارجعوا الى الله بالاخلاص والاستسلام على الثبات والدوام يمتعكم متاعا حسنا في خفض عيش
وسعة وامن ودعة الى اجل مسمى يعني عند الله هو اخر اعماركم المقدرة اذ لا يهلككم بعذاب الاستيصال
ويؤت كل ذي فضل في العمل والطاعة فضله جزاء فضله في الاخرة او كل ذي فضل في الدين فضله
في الدرجات والثواب فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا
وان تتولوا وقرئ تولوا من تولى فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيمة وصف بالكبر

كا

كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم جميعا رجوعكم في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير بيان
لوجه ذلك اليوم بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء لا الى غيره فهو قادر على اشد ما يريده من
العذاب ولا يمكنهم التفصي عنه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان
من ازور عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه استقبله بصدره او
يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يصيرونها وقرئ تثنوني
صدورهم بالتاء والياء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهي مبالغة وقرئ تثنوني
بالتاء والياء واصله تثنونن تفوعل من الثني وهو ما تش وضعف من الكلام اي تطاوع صدورهم
للثني كما يثني الهش من النبات او تضعف قلوبهم وايمانهم وتثنون من اثنان افعال منه ثم همز
كما ابياضت في ابياض وتثنوي بوزن ترعوي ليستخفوا منه اي يريدون ليستخفوا من الله تعالى
فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم لان ثني الصدور بمعنى الاعراض اظهار للنفاق فلا
يصح تعليله بالاستخفاء ونظم اضمار يريدون لبعد المعنى الى اضماره في قوله تعالى فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اي فضربوه فيحيى كذلك يحيي الله الموتى فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون
مع ذلك ان يستخفوه هذا على الوجه الاول من التفسير واما على الثاني فلا حاجة الى الاضمار
الا حين يستغشون ثيابهم يغطونها يريدون الاستخفاء ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى
كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم اي الى حين يريدون في اظهار
نفاقهم ويفعلون ما هو ادل عليه من ثني الصدور وقال ابن عباس رض انها نزلت في اخنس بن
شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث
كان يتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل
نزلت في المنافقين جميعا وكون النفاق في المدينة غير مسلم بل ظهوره والامتياز بثلاث طوائف
كان فيها يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم اريد التسوية بينهما ولهذا عدل عن
اسلوب الرقي الظاهر في خلافه اي يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يظهرونه
انه عليم بذات الصدور بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستيناف للتلويح المذكور في
قوله يعلم الخ والاوان للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم والاسناد ثني الصدور وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها اسباب معاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب
تحقيقا لوصوله وحثا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات

والاصلاب والارحام او مساكنها في الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المبداء
والمعاد حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مثبت في اللوح
المحفوظ بيان وتقرير لكونه تع عالما بجميع المعلومات والاية التي بعدها بيان لكونه قادرا على
كل شيء او تقرير لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام مر تفسيره في سورة الاعراف ووجه الجمع في الاولى والافراد في الثانية في سورة الانعام
وكان عرشه على الماء عرشه عبارة عن قيومية تع والماء اشارة الى حقيقة الحيوة اذ من الماء
كل شيء او تقرير لما سبق من التوحيد حتى وقع على بناء الاولى على الثانية اي وكان حيا قيوما
فلا دلالة فيه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم
وليت شعري من اين الدلالة على تاخر خلق الماء من خلق العرش ليبلوكم علة للخلق اي خلق ذلك
ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم
وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها ولما كان الابتلاء
اي الاختبار احد طرقي العلم واشهرها وعلمها استعير للعلم لانه ملابس له كالنظر في قوله فانظر
ماذا يرجعون وانما قال ايكم احسن عملا وفي المخاطبين من عمله قبيح واقبح لامرين احدهما ان
المقصود من الخلق بالقصد الاول وبالذات هو الايمان والعمل الصالح معا وتهل الى ما احسن
من ذلك لا الى القبيح والاقبح والثاني التحريض والحث على حسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من
الاعمال البدنية كالطاعات والقلبية كالاعتقادات والنيات فكانه قال ليظهر من هو اكمل
علما وعملا ويتميز ممن هو على خلاف ولهذا قال النبي عليه السلام ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع
من محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم للمحبين المتقين وتشريف لهم واشارة الى انهم
من الله تع بمكان ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلاء
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القول بالبعث الى انه باطل كالسحر
الظاهر البطلان في الخديعة او الى القران لانه ناطق بالبعث فاذا جعلوه ظاهر البطلان كالسحر
لزم بطلان ما فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر اشارة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم اي كاذب مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى ذكرت
او على ان بمعنى لعل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا بانكاره لعده
من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره واللام في لئن موطئة للقسم في الايات الاربع والجواب

لساد مسد جواب الشرط ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة جملة من
الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم
ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه قيل هو دليل على جواز تقدم خبرها
عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل وابن الحاجب يمنع دلالته جواز تقدم المعمول على
جواز تقدم العامل وايضا الظرف والمجرور يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرهما ويقعان حيث لا
يقع العامل فيه وكان ما ذكرا استعمالا منهم للعذاب على وجه التكذيب والاستهزاء ولذلك
قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزءون موضع يستعجلون كانه محض الاستهزاء وكون
عذابهم محقق الوقوع عما قريبا اورد حاق موضع يحيق على عادة كلام الله كانه قد وقع مبالغة
في التهديد واذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة من صحة وامن وخصب وجدة بحيث يجد ذوقها
ولذتها ثم نزعناها سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ما في السلب المذكور من شدة الالم
انه ليؤس شديد الياس من عود مثلها اليه قاطع رجاءه من فضل الله وسعة رحمته غير صابر
ولا مسترجع ولا مسلم لقضائه كفور عظيم الكفران بما سلف له من كفران النعمة ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي ذكر الاذاقة مع النعماء والمس بعد الضراء
اشارة الى ان النعمة ادوم حتى يجد الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضر فان المس مبدأ
الوصول ففيه دلالة على قلة صبرهم كانهم بمجرد اثره جزعوا وكفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن
ذهب السيئات عني اي البليات التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من
نعمائه قد شغله الفخر والفرح عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات شكرا لا
لانه سابقها ولاحقها فان في قوله صبروا دلالة على ان هذا الان الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر اي المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند زوال النعمة ووقوع الضراء والشكر عند النعماء
استثناء من الانسان واللام لاستغراق الجنس كما في قوله ان الانسان لفي خسر ومن خص الانسان
بالكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم وهو كما يقول الرجل لاخر لعلك تريد ان تفعل ما هو
ينهاه عنه ولما كان مبنى هذا النهي على الصبر على اذى المشركين واستهزائهم صح ترتيبه على
كلام تضمن الحث والتحريض على الصبر ومن وهم ان لعل للتوقع فقد وهم وضائق به صدرك

وعارض لك احيانا ضيق صدرك وانما اختار ضائق على ضيق لانه ابلغ وهو يناسب لفظ
تارك ان يقولوا بان يقولوا وقيل الضمير في به مبهم وان يقولوا تفسيره اي يضيق صدرك لسبب
قولهم لولا انزل عليه كنز ينفقه في استتباع الناس كالملوك او جاء معه ملك يصدقه انما انت
نذير ما عليك الا الانذار وما عليك ان يقبلوه ولا يردوه فلا يضيق صدرك بردهم وتهاونهم
به والله على كل شيء وكيل فتوكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون وفاعل بهم ما يجب
ان يفعل من جزائهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى قل فاتوا بعشر
سور مثله في البلاغة نزل اولا قوله فليأتوا بحديث مثله وهو كل القران في ذلك الوقت
فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور مثله فلما عجزوا عنه ايضا سهل عليهم وتحداهم بسورة واحدة
كما هو عادة المعارضين وتوحيد المثل لان المراد المماثلة من جهة البلاغة ولا اختلاف بين
السور فيها مما هو مثل لاحد منها مثل لسائرها ففيه تنبيه على ان المراد المماثلة في حسن البيان
لا في بدائع مفتريات على المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه من عنده او بان ساعدهم
على دعواهم ويقول هبوا اني افتريته فاتوا انتم بكلام مثله في حسن النظم والبيان مفتري من
عندكم فانكم فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله اي للمعاونة على المعارضة ان كنتم
صادقين في انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم اي لك وللمؤمنين باتيان مثله فانهم ايضا كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول عليه السلام متناولا لهم من حيث انه يجب عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه
الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه الامر الاتي ذكره ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول عليه السلام ويجوز ان
يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم اي فان لم يستجب لكم من
تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم انهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل
بعلم الله اي بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق وان لا اله الا هو واعلموا عند عجز الكل
ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر عليه احد وان الشرك به ظلم وان ما تعبدونه ليس
من الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين
ومعناه واثبتوا على العلم بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم دائمون على الاسلام مخلصون لله تع
بازدياد اليقين وثبات القدم والطمأنينة وفي تفسير مقتضى الاستفهام بهل والعدول عن الفعل
الى الجملة مسلك المسلمين من يسلمون ايذان بطلب دوام الاسلام وقوة الثبات في الدين وانهم

مطالبون

مطالبون بذلك لزوال العذر ووضوح الدليل وقوته وعلى خطاب المشركين فاشارة الى ان قوة
الصارف عن الشرك وقيام موجب التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة على الاسلام فما بعد
حالكم عن ذلك وفيه تعذير بليغ واقناط من ان يجيرهم من بأس الله شركاؤهم لان دليل التوحيد
دال على نفي القدرة والالوهية عن الغير ووجوب الاذعان له من كان يريد الحيوة الدنيا باحسانه
وبره وزيادة كان للدلالة على استمرار تلك الحال ولا بد منه في ترتب ما ياتي ذكره وزينتها
الزينة تحسين الشيء وغيره من لبس وحلية وغير ذلك نوف اليهم وقرئ يوف بالياء اي يوف الله
ويوف بالتاء على المفعول وهو في بالتخفيف لان الشرط ماض اليهم اعمالهم من الصحة والامن
وسعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة والتوفية تادية الحق على تمام فيها في الحيوة الدنيا
وهم فيها اي في حق الاعمال ولا يجوز عود الضمير الى الحيوة الدنيا لما فيه من الاعادة دون الافادة
لا يبخسون البخس نقصان الحق ظلما يعني لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم في هذه الدار دون البقاء الى
دار القرار فذكره تاسيس لا تاكيد والاية عامة في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في
الاخرة اي لو حظ فما لهم ما به تعالى لعلمهم يكون الكلام على طريقة بشر قاتل الزبير بالنار الا النار
وما فيها من انواع العذاب والاقتصار على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الشيء بذكر مسببه وذلك
لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا
فيها في مصلحة الاخرة من وجوه البر بنوع من التكليف لانه خلاف مقتضى الطبع وهوى
النفس ولهذا عبر عنه بالصنع وانما قال فيه حبط لانه ليس باطلا في حد نفسه لقرينة الاتي ذكره
الا انه لا يجدي في الاخرة لانه لم يقارن شرط القبول وهو الايمان وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون ما اعتادوا عمله في مصالح الحيوة الدنيا واسباب زينتها وللدلالة على الاستمرار
التجددي جمع بين كان وصيغة المضارع كما في قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومجموع
الجملتين علة لما قبلها وقرئ بطل على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى
المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة من ربه برهان من الله على ان
دين الاسلام حق وهو القران من مبتدا خبره محذوف تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن
كان يريد الحيوة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني ان بين هؤلاء الكاملين المحققين وبين اولئك
الناقصين المقصرين بونا بعيدا وتفاوتا عظيما فالهمزة لانكار المماثلة بينهما والفاء لتفريع
هذا الانكار وترتيبه على ما تقدم من بيان مساواة حال تلك الناقصين فهي متقدمة معنى وان

اخرت عن الهمزة لفظا لاقتضائها الصدارة فى الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب
مستدعية سبق ما يعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة من
ربه والخبر محذوف لدلالة الفاء عليه اى يعقبونهم ويقربونهم والاستفهام لانكار هذا التعقيب
فقد تكلف واما من اختار التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث
خلط بين الوجهين فخبط ويتلوه اى يتبع ذلك البرهان الذى يتضمن الدليل العقلى لكونه معجزا
شاهد هو عيسى عليه السلام حيث بشر ببعثة نبينا عليه السلام وهذه البشارة منه شهادة بحقية دين
دين الاسلام والتنكير للتعظيم وكذا قوله منه اى من الله تع ومن قبله اى من قبل ذلك الشاهد
كتاب موسى يعنى التورية فانه ايضا يتلوه فى التصديق وقرى كتاب بالنصب عطفا على الضمير
فى يتلوه والضمير فى قبله للقران الذى عبر عنه بالبينة فالمعنى ان الشاهد المذكور يتبع الكتابين
القران والتورية اماما كتابا يؤتم به فى الدين عمدة ورحمة تامة عظيمة على المنزل اليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران
ومن يكفر به من الاحزاب من اصناف الكفار من كان او كتابيا فالنار موعده يردها لا محالة
لانه تع لا يخلف وعده فلا تك فى مرية منه من القران وقيل من الوعد وقوله انه الحق
من ربك ظاهر فى الاول وقرى مرية بضم الميم وهما لغتان وقد مر فى اول سورة البقرة
الفرق بينها وبين الريب والشك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بكونه من عند الله تع
لقلة نظرهم وقصور تدبيرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزل وقد مر ما يتعلق به فى تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم
يحبسون فى الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او
شهيد كاصحاب واشراف وما وصفهم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام
فى كل العباد كما قال وعرضوا على ربك صفا بل اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد
عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفى ما انزل عنه
الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد او قول الله تع اى طردوا ولعنوا بسبب ظلمهم
بالكذب على الله تع وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد والعوج
الانحراف والميل المؤدى الى الفساد تقول بغيتك خيرا او شرا اى طلبت لك وهم بالاخرة

هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم
يكونوا معجزين اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم ومعنى معجزين مغلبين لا
يقدر عليهم وانما قال فى الارض لان تصرف ابن ادم وسعيه انما هو فيها وهى قصاراه لا
يستطيع التجاوز منها وما كان لهم من دون الله اثبت ذكر الله هنا واسقط فيما سبق وكان
مقتضى الظاهر اثباته ثمه والاكتفاء بالضمير هنا وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة
العجز اليه تع صريحا من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكن اخرهم الى هذا اليوم ليتضاعف عذابهم
فقوله يضاعف لهم العذاب استيناف فى مقام التدارك بالجواب للسوال عن وجه تاخير
العقاب والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم كراهة استماع الحق كانهم
لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط تعاميهم كراهة ابصاره وكانه العلة لمضاعفة
العذاب اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تع وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق
معهم سوى الندامة لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انه ركب من لا وجرم وبنى والمعنى حق وما
بعده رفع على الفاعلية وقال الكسائى معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبنى على الفتح
انهم فى الاخرة هم الاخسرون لما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم بانهم الزائدون فى
الخسران على كل خاسر من سواهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا
اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن وقدم الكافر اعتبار السباق كالاعمى والاصم والبصير والسميع
شبه فريق الكافرين فى عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير
والتشبيه بحسب جليل النظر من قبيل المفرد وبحسب دقيقه من قبيل المركب لانه ابلغ والتعبير
بالمثل انسب وذلك ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى والصمم والجامع بين السمع
والبصر على ان الواو فى والاصم والبصير للجمع بين الصفتين كما فى قوله الصابح والغانم
والآيب وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى والاصم والاخر بكل واحد من السميع والبصير
فيكون لكل منهما تشبيهان كما فى قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالى وهو من باب اللف والطباق والوجه هو الاول لان تقسيم الكفار الى
مشبه بالاول ومشبه بالثانى وكذلك المؤمنون غير مقصود فى الاية بخلاف البيت المذكور

بل المراد تشبيه حال هؤلاء الكفرة الغاوين الموصوفين بالتصام عن ايات الله بحال من خلق
اعمى واصم لا تنفعه اشارة ولا عبارة وحال هؤلاء الذين امنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا
باسماعهم وابصارهم اهتدوا الى الجنة والكفار عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدحه
بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام ويستضيء معالم الانذار والابشار فوزا
بالمرام هل يستويان الفريقان والاستفهام انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون
في ما ضربناه من المثل فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخر العاطف رعاية ا
لاستفهام من حق الصدارة في الكلام ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير قرئ اني بالكسر
على ارادة القول او قائلا اني وبالفتح فتقديره باني اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام فلما اتصل
به الجار فتح والمعنى على الكسر على ارادته كما فتح ان في قولك ان زيدا كالاسد اذا اتصل به الكاف
فقيل كان زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه
ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم على قراءة الفتح وعلى قراءة الكسر ان مفسرة متعلقة
بنذير او بارسلنا ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا على ان الباء صلة ارسلنا كانه قيل
ارسلناه بنهاهم عن الاشراك قائلا اني نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم
باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه كقوله نهاره صائم فقال الملا الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته بطريق البرهان على زعمهم فقوله مثلنا لتحقق
البشرية وقولوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا استدلال بانهم ضعفاء العقول لا تمييز
لهم فجوزوا ان لا يكون الرسول بشرا والاراذل جمع الارذل بمعنى الاخس فانه بالغلبة صار
كالاسم كالاكبر والاراذل جمع رذل بادي الرأي قرئ بالهمزة من بدا يبدا اذا ابتدا اي
اول الرأي وبغير الهمز من بدا يبدو اذا ظهر اي ظاهر الرأي نصب على الظرف والعامل
اتبعك اي اتبعوك وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا كان الاحظ بها اشرف والمحروم منها ارذل وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب
على الغائبين علينا من فضل التنكير للتقليل فهذا القول منهم تجهيل بان دعوى النبوة
باطلة لادخاله عليه السلام الاراذل في سلكه على اسلوب يدل على انهم ابغض البشر فضلا عن
الارتقاع الى درجة التفضيل بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى

العلم بصدقك وكانهم اظهروا الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا عدلوا
عن دعوى اليقين الى دعوى الظن الكافي في ايجاب العاقل لموجبه قال يا قوم ارايتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي اي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم البينة لان خفاها يوجب خفاء النبوة او النبوة بعد
ظهور البينة او كل واحدة منهما او فعميت بعد البينة فحذف للاختصار والاكتفاء بذكره
مرة كقوله بين ذراعي وجبهة الاسد ويجوز ان يراد بالبينة الرحمة مع النبوة وقرئ
فعميت بالتشديد اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء
بها جواب ارايتم ساد مسد جواب الشرط واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم
الاعرف جاز في الثاني الاتصال كما وقع هنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها وانتم لها
كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها ويا قوم لا اسالكم عليه الضمير راجع الى قوله
اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وهذا اي الرجوع الى القول اولى من الرجوع الى المال
لان الاجر في مقابلة الشغل فالقول المشتمل على الانذار هو المقابل بالاجر مالا جعلا حتى
يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا ففيه الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا ان اجري الا على الله بالتزام تفضلا لا بالايجاب شرعا او عقلا وما انا بطارد الذين
امنوا جواب لهم حين سالوه طردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم ولما لوح اليهم
ما شككهم في امرهم وتردد في علته قال انهم ملاقوا ربهم اي فائزون بلقاء ربهم وقربه فكيف
اطردهم ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعوك بادي الرأي اي فعل الفعل بظاهر ما ارى
فاكتفي بظاهر ايمانهم واحال باطنهم الى الله فانهم ملاقوه فيجازيهم على سرائرهم ولكني اراكم
قوما تجهلون استدراك عما تقدم من قولهم ما نراك وما نراك اي لا حقيقة لما رايتم فكانكم ما رايتم
فينا شيئا ولكني اراكم قوما تجهلون ما لا ينبغي على ان يخفى على الرجال من ان الناس لا يتفاضلون
بالاحساب والانساب والاموال بل باسباب الكمال من الاعمال والاحوال ومما قرنا بين
وجه ادراج قوله فوائد الكلام وادماج دقيقة انيقة في اثناء تقريب المرام ويا قوم تلطف
نوح عليه السلام بندائه اياهم بقوله يا قوم يا قوم استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف مؤمن
ال فرعون بقوله يا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك المثابة
من القرب والكرامة عند الله افلا تذكرون لتعرفوا اي توقف الايمان على طردهم ليس

بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه ونعمه اي كما لا اسألكم مالا فكذلك
لا ادعو الى ملك لا ادفعه لاتباعي فلا غرض في المال لا اخذا ولا دفعا ولا اعلم الغيب
حتى اصل الى ما اريده لنفسي ولاتباعي عطف على لا اقول لا على عندي خزائن الله وانما لم يات
فيه بنفي القول للفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه بنفيه وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام
والفائدة تكرار لا انك اذا اكدت به لا ازال احتمال المعية في النفي فقد اذنت انك في الكلام
محق بان على اليقين بعيد عن السهو والتجوز ولا اقول اني ملك بعبارته جواب عن قولهم ما
انت الا بشر مثلنا وباشارته جواب عن طعنهم فيه عليه السلام لمخالطته للفقراء اي لا اتعاظم
بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان طريقه كذلك لا يستنكف عن مخالطة
الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الاغنياء والسلاطين فلما كانت طريقتي توجب
مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيبا علي ثم اكد هذا بقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم
اي في شان من استرذلتموهم لفقرهم الازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به
حقره وازدرية اي احتقرته واسناد الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه على انهم
استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم من غير تامل
في معتقداتهم وكمالاتهم لن يؤتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما اعد الله لهم في الاخرة او في الدنيا
والاخرة خيرا مما اتاكم من الغنى الله اعلم بما في انفسهم من الايقان وعدمه اني اذا ان فعلت
او قلت شيئا من ذلك لمن الظالمين لانفسهم بطرد من اوتيت بقبوله قالوا يا نوح قد
جادلتنا خاصمتنا يقال جادله اذا خاصمه يرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل فاكثرت
جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين
في الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ولا تفيد قال انما ياتيكم به الله ان شاء اي ليس الي
الاتيان به اي ان هو الا الى الذي عصيتموه وكفرتم به فيفعل ان شاء كما شاء عاجلا او اجلا
وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب ولا ينفعكم نصحي النصح محاض ارادة الخير في الالفاظ
ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغي ليتقي والرشد ليبتغي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل وجواب له والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما
اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وانما قال ان اردت ان انصح مع وقوع النصح استظهارا

في الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحي ما نفع من لا يقبله وفيه دلالة على ان
ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع هو ربكم خالقكم ومبقيكم في الدنيا الى
وقت اهلاككم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قال مقاتل هذا الكلام في شان
محمد صلى الله عليه وسلم اعترض في قصة نوح وهذا اظهر والنسب بالسباق لانه كالتقرير لقولهم
يقولون افتراه دلالة على كمال العناد وان مثله بعد الاتيان بالقصة على هذا الاسلوب المعجز
لا ينبغي ان ينسب الى افترائه ففي زيادة انكار على انكار كانه قيل بل امع هذا البيان ايضا يقولون
افتراه وهو نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلكم بين قصة ابرهيم على احد الوجهين
قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان ثبت افترائي فعلي عقوبة اجرامي وكان حقكم ان تعرضوا
عني وتعادوني وانا بريء مما تجرمون اي ولم يثبت ذلك بل هو فرض محال وانا بريء من افترائكم
اي نسبتكم اياي الى الافتراء وانما عدل الى المنزل على طريقة المشاكلة اذا جاء لكونهم مجرمين وان
المسالة معكوسة واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن هذا الاستثناء على طريقة
الا ما قد سلف على ما قيل انه استثناء من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اقنطه الله في ايمانهم على وجه ابلغ ثم نهاه ان يغتم بما اتيتموا عليه من تجديد التكذيب والاستهزاء
والابتئاس حزن في استكانة واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا ولما كان العين هي الجارحة
التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها عن المبالغة في الحفظ والرعاية عن الاختلال والزيغ عن صنعته
وعن مزاحمة العدو له وكيده في المنع ومن عمله على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا
تخاطبني في الذين ظلموا اي نهى عن التكلم مبالغة في النهي عن الدعاء في استدفاع العذاب عنهم
انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما
مر عليه ملا من قومه سخروا منه من عمل السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته
فكانوا يتضاحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا والسخرية الاستجهال مع
الاستهزاء او مصدره سخري بضم السين والمصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه تنزيل
المحقق منزلة المشكوك لتمهيد ما قصدوه من تجهيلهم فيما فعلوه فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من
سخريته عليه السلام مجرد الاستجهال واطلاق السخرية بطريق المشاكلة اي لا نستجهلكم ابانا على ظاهر
الحال وجهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال والسخرية بهذا المعنى منه عليه السلام في الحال ومن
قال اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حملها على الحقيقة وكانه لم ير ان الاستهزاء

لا يناسبه عليه السلام فسوف تعلمون تهديد بليغ من يأتيه عذاب يخزيه يعني لمن يأتيه اياهم
وبعذاب يخزيه الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم الذي لا انفكاك له عنه
في الآخرة عذاب مقيم هو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وسمها
حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور كما يفور القدر بالغليان اي
نبع الماء وارتفع من الارض لشدة الاندفاع والتنور تنور الخبز ابتدأ منه ينبوع على خرق العادة
قلنا احمل فيها الضمير للسفينة وكانت ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم
ولهذا قال فيها دون عليها من كل نوع لا بد منه زوجين الزوج واحد له شكل فالذكر زوج
والانثى زوج وقد يطلق الزوج على مجموعهما ولدفع هذا الاحتمال قال اثنين وانما لم يقل من كل
نوع اثنين اخراجا لمثل البغل عن حيز الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين
بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين ولما كان القول السابق ضارا
لهم قال عليه دون فيه استثناء من المعنى اللازم للامر وكانه قيل انهم لا يغرقون الا من سبق عليه
القول يعني ابنه كنعان وامرأته واعلة فانهما كانا كافرين فاندفع السؤال بانه لا يخلو من ان
يكون معلوما لنوح فلا حاجة لقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اولا فيلزم استثناء
المجهول من الذين امر عليه السلام بحملهم على السفينة ولا وجه له ومن آمن اي والذين آمنوا
من غيرهم وافردهم بالذكر مع انهم من الذين آمنوا المصلحة الاستثناء المذكور المتضمن للاشارة
الى ان الانتساب اليه عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب المذكور انما المنجي عنه هو الاتباع
له عليه السلام وما آمن معه الا قليل اختلفوا في عدده ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع هنا كالتي
في قوله واسلمت مع سليمن وقال اي قال نوح لمن آمن معه اركبوا فيها والركوب العلو على
ظهر الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال ركبت السفينة وزيادة في لانه عليه السلام امرهم ان يكونوا
في جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حال من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين الله تع
او قائلين بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرف اي وقت ارسائها واجرائها لانهما
اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكونا
اسمي مكان وانتصابهما بما في اسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله
مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيه مجراه ومرساه

بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب ثم اخبرهم
بان اجراها وارساها باسم الله فيكونان كلامين له عليه السلام يروى انه اذا اراد ان تجري قال
بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله
ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وارادته وقرئ مجراها ومرساها
بفتح الميم من جرى ورسا مصدرين او زمانين او مكانين وقرئ مجريها ومرسيها
بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته
اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم
والباء في بهم كالتي في قولك دخلت عليه بثياب السفر والجري مر سريع والعدول الى صيغة
المضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة في موج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن
جملة الماء الكثير عند اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قوله في موج
رد لما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه اذ لا مجال للموج
والحمل على انه في ابتداء الحال يأباه المقام لانه مقام المبالغة في بيان تلك الاهوال فلا حاجة
للاكتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة
عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف الحرف وكان في معزل موضع منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية منفصلة
عن موضعه عليه السلام يا بني قرئ بكسر الياء اكتفاء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا
عليه من الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا
وقرئ بادغام الباء في الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين تهلك حاله كانت ملتبسة
عليه عليه السلام لانه كان ينافقه ولهذا سعى في خلاصه بعد العلم بان الكفار كلهم مغرقون واما
السؤال بانه كيف ساغ له الامر بركوبه في السفينة بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهله
المامور بحملهم فقد مر وجه اندفاعه قال ساوي الى جبل عظيم يعصمني من الماء يعني بارتفاعه
قال لا عاصم اليوم من امر الله انما قال اليوم لان في سائر الايام يوجد عاصم من امر الله على ما
نطق به قوله تع له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمراد من امر
الله الآفات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم الله اي الا الله الذي قد رحمنا بانجائنا
من الغرق وفي العدول من الضمير الى الموصول زيادة تفخيم وتحقيق لرحمته وان رحمته هي المعتصم

لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج بين نوح وابنه
لا بين ابنه والجبل لمكان التفريع فى قوله فكان من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه وبين
الجبل فى صيرورته من المهلكين بالماء لما مر انه ليس بعاصم وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى
البلع الازدراد والمراد به نشف الماء على طريقة الاستعارة لا غور الماء فى الارض لان فعل
الارض هو النشف دون الغور فانه فعل الماء بطبعه والاقلاع اذهاب الشئ من اصله حتى لا
يبقى له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شئ منها شبهت السماء والارض
فى سرعة انقيادهما لامر ربهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد منهما مع تعلق
الارادة من غير امتناع بالمامور المطيع للامر المطاع القادر على ما شاء الذى اذا امر سارع الى
الامتثال من غير ريب وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنودينا
بما ينادى به العاقل المميز المطلوب اقباله وارتابا بما يومر به المدرك المتفطن للامر به تنبيها على
كمال قدرته ونفاذ امره ومشيته فى الكل وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المومنين واستوت استقرت السفينة على
الجودى جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا صار بعيدا
بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وايراد الاخبار على الفعل المبنى
للمفعول للدلالة على عظمة الفاعل وجلالة قدره وعلو شانه وانه لا يمكن ان تكون تلك
الافعال والاثار الا لله الواحد القهار القادر على ما يشاء ويختار وانه متعين عند العقل
بدليل ابين من اللفظ اذ يستحيل ان يشارك فيها غيره ولا يذهب الوهم الى ان يقول
غيره يا ارض ابلعى ماءك ولا ان يقضى ذلك الامر العظيم الهائل سواه ولا ان تستقر السفينة
بعد اضطرابها الا بامره وتقديره ولا ان يهلك الظلمة ذلك الهلاك الفظيع الا بقهره
وتدميره وقد جمعت الاية من فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن النظم ورصانة التركيب
ووضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى من الاخلال ما تاهت الافهام فى
مجاريه من كثرة النكات ولطائف المعانى التى تحويه بدائع الطباق والجناس التى فيه
لانها وان كانت تحسن ظاهر الكلام وتزين ديباجة النظام لكنها بالنسبة الى
اللطائف المعنوية كالقشر من اللباب وكالدردى من صفو الشراب ونادى نوح ربه
اريد النداء فى نفسه ولا دلالة فى عطف قوله فقال على تقدير الارادة فانه من قبيل عطف

المفصل

المفصل على المجمل بل نقول لا وجه لتقديرها لان الاخبار عنها خلو عن فائدة الخبر ولازمها
رب ان ابنى من اهلى الذى وعدتنى انجاءهم بالركوب فى السفينة هذا الوعد غير مذكور فى
القران صريحا بل يفهم من الامر بحملهم فى السفينة وان وعدك الحق وان كل وعده تعد
لا يتطرق اليه الخلف وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا ينسب حكمك دخل
فرجع وهذا ابنى قد حرم عن الركوب فى السفينة وعرفنى السبب فيه حتى اكون على علم
فيسكن قلبى ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر لانه كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا
النداء منه عليه السلام وان كان بعد مكالمته مع ابنه لكن قوله ساوى الى جبل الخ لا يدل على
كفره لجواز ان يكون قد ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجرى مجرى ركوب السفينة وانه
يصونه عن الغرق وبعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه وبين
ابنه فلم يبق له مجال الركوب وانما قلنا انه بعد المكالمة لانه لو كان قبله لما ساغ له عليه السلام
ان يقول يا بنى اركب معنا اذ ح يكون معلوما له عليه السلام انه من الذين نهى عن حملهم فى
السفينة قال يا نوح انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بين المومنين والكافرين
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفى كونه من اهله وابدل فاسد بغير صالح
تصريحا بالمنافاة بين وصفيهما الموجبة لانتفاء القرابة بينهما ونفيا لما اوجب النجاة
لمن نجا من اهله وايماء الى ان من نجا من اهله انما نجا بالصلاح لا بالقرابة وقرى انه عمل
غير صالح اى عمل عملا غير صالح فلا تسألن قرى بتشديد النون من غير ياء وبالنون الثقيلة
بياء وبغير ياء ما ليس لك به علم اى لا تطلب منى ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب حتى
تبين لك وجه كونه صوابا وانما نهاه عن ذلك لتضمن كلامه تذكير الوعد بنجاة اهله استجارة
فى حق ولده وهذا لانه عليه السلام لم يكن ح عالما بهلاك ابنه ولا دلالة على هلاكه فى حيلولة
الموج بينهما واما ظاهر كلامه عليه السلام وهو سؤال استفسار عن المانع لكونه محمولا فى السفينة
مع كونه من اهله الذين ورد البشارة فى حقهم بذلك فلا يناسبه النهى عنه خصوصا مع
التقييد بقوله ما ليس لك به علم فانه باعث للاستفسار دون الانتهاء عنه انى اعظك
الوعظ الزجر عن القبيح لا يزال الجهل على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين انما
سماه جهلا ونهاه عنه لانه لما استثنى عند الوعد بقوله الا من سبق عليه القول فقد نهد
ان من اهلك من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه على ان من اهله من يستوجب

الذنب وقد دل ظاهر حال ابنه انه منهم فلا رخصة في حقه بسوال الاستجار لتبين حاله فعوتب
على ذلك واما سوال الاستفسار وان كان ينتظم ايضا هذا لكن العقد المقدم ذكره لا يتحمله
على ما نبهت عليه آنفا واما ما قيل ان الاستثنا ممن سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه
عن السوال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر فبناه على ان يكون الاستثنا المذكور
من لفظ اهله وقد عرفت ما فيه من الاشكال فانه بعد علمه عليه السلام ان ابنه مستثنى من الذين
امر بحملهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر لا يجدي نفعا
قال رب اني اعوذ بك العياذ الاعتصام مما يمنع من الشر ان اسالك اي اطلب منك ما ليس لي
به علم بحاله لاحتمال الخطا وهذا توبة منه عليه السلام عن ان يعود الى مثله في المستقبل
تادبا بآداب الله والا تغفر لي ما فرطت مني وترحمني بالتفضل علي بقبول توبتي اكن
من الخاسرين اعمالا طلب المغفرة والرحمة بهذه الطريقة الكنائية ابلغ واكد من قوله
اللهم اغفر لي وارحمني لما فيه من قطع الرجا من غيره تع واخباره انه لا يملك احد ذلك غيره بخلاف ما
صرح فيه بالطلب قيل يا نوح اهبط اي انزل من الجبل الى قرار الارض فالهبوط نزول من
اعلى مكان الى ما دونه بسلام منا اي تحية كما قال سلام على نوح في العالمين وقيل اي سلامة
من الآفات وبركات عليك جمع بركة وهو ثبوت الخير بتمامه وهي في حقه عليه السلام تكثير
ذريته واتباعه وسائر المنافع لما كان الطوفان عاما فعندما خرج نوح من السفينة
علم انه ليس في الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف يعيش
وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فازال الله ذلك الخوف عنه
بالبشارة بحصول السلامة عن الآفات وسعة الرزق والمهمات وعلى امم ممن معك
من لابتدا الغاية اي امم ناشئة ممن معك في السفينة الى آخر الدهر ويجوز ان تكون للبيان
ويراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات ولان الامم تتشعب منه
وامم مبتدا سنمتعهم صفة له والخبر المحذوف دل عليه ممن معك اي وممن معك امم سنمتعهم
وانما خص امما ناشئة ممن معه بالسلام والبركات وهم المومنون اشارة الى ان منهم امما ممتعين
في الدنيا معذبين في الآخرة وهم الكافرون وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب المذكور في قوله ثم يمسهم منا عذاب اليم ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح
ومحلها الرفع بالابتدا وخبره من انبا الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير

لها اي موحاة او حال من الانبا او هو الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الها ما كنت تعلمها
انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائنا اليك او
حال من الها في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها والفائدة في قومك
ان قومك مع كثرتهم ليسوا عن علم القصص والاخبار وانت احدهم فلم يمكن تعلمك منهم ولم تخالط
غيرهم فما علمت الا بالوحي فاصبر على ادا الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وقوله ان العاقبة
ولمن تبعك كما قيل له ولقومه ان العاقبة بالظفر في الدنيا والفوز في الآخرة للمتقين عن الكفر
والمعاصي والى عاد اخاهم واحدا منهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله اي لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله غيره وذلك يدل على ان المقصود
من هذا منعهم عن عبادة الاصنام وغيره صفة لاله قرى بالرفع حملا على محله وبالجر على لفظه
ان انتم الا مفترون على الله في قولكم انه امر بعبادة الاصنام واما قيل باتخاذ الاوثان شركا
وجعلها شفعا فبناه عدم الفرق بين الكذب والافترا ويا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري
الا على الذي فطرني ما من رسول الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون فتميزون بين الحق والباطل وتعلمون
ان من لا غرض له في النصيحة لا يرد نصيحته ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه انما قدم
الاستغفار على التوبة لانه من المغفرة التي هو الغرض ثم بين ما به يتوصل اليها من التوبة
فعبارة ثم ههنا كالتي في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل
السما عليكم مدرارا كثير الدر والمراد من السما المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما
رغبهم بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساوهم
ثلاث سنين فالمراد بالقوة كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك قالوا ذلك
عنادا وجحودا مع كثرة معجزاته كقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية
من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك حال من الضمير في تاركي اي
صادرين عن قولك الجملة الاسمية وسبك اسم الفاعل من ترك وزيادة البا في الخبر في قولهم
وما نحن لك بمومنين اي ما يصح من امثالنا مع وفور العقل والكياسة ان يصدقوا مثلك
اقناطه عليه السلام من الاجابة والتصديق على وجه المبالغة والتاكيد ان نقول الا اعتراك

اعتراك مقول القول والا لغو لان الاستثنا مفرغ اى ما نقول الا قولنا اعتراك هو من عراه
اى قصد عراه وهو العضنا والساحة والمراد الاصابة بطريق الكناية بعض آلهتنا بسوء بجنون
لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والقوم كانوا صابئين قال انى
اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون ما مصدرية او موصولة واشهاده تع كلام جار على
اصله حيث يؤكد به ما ذكره من البراءة عن شركهم وشركائهم واما اشهاده اياهم على البراءة فلا
اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدك انى بك برئ الا وهو يريد عدم المبالاة والاستهانة
بعداوته واذا كان كذلك لزم التخالف بين الصيغتين خبرا ثانيا امانه وطلبا جاريا استهانة
من دونه اى انتم تجعلونها شركا ولم يجعلها هو شركاءه ولم ينزل سلطانا لما واجهته بكلمتهم الحمقا
وبهتوه بتجهيل الالهة وسموا التوحيد الذى دعاهم اليه والارشاد الذى نصحهم به حسا وخبطا
ولم يعدوا البينات وخوفوه من الهتهم وايسوه من الايمان بما جاء به اجابهم بالبراءة عن الهتهم
وقابلهم بعدم المبالاة بهم وبالهتهم ثقة بالله واكد البراءة ووثقها بشهادة الله وبشهادة
العباد على مجرى العادة وبالغ فى ذلك ان قال انى اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم
بان بث فى الاول واكد اخباره تثبيتا للتوحيد واحكاما للمعاقدة وعدل عن الخبر الى الامر
فى الثانى قلة مبالاة بهم وبدينهم والهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا من عقوبتهم ثقة
بالله وقوة اعتماده عليه وصحة توكل وزاد على ذلك ان امرهم بالاجتماع على الكيد فى اهلاكه
والاجتهاد فيه وعدم الانظار والتوقف بقوله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون كقول نوح
ثم اقضوا الى ولا تنظرون وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلا واحدا بين الجم الغفير
والعدد الوتير من الاقويا الغلاظ الشداد وخاطبهم بما يخاطب وحقرهم والهتهم بما حق
وحثهم على نفسه فلم يقدروا على اضراره ولم يجسروا على بطشه وما ذاك الا بعصمة الله تع
اياه وحسن كلائه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم تقرير له اى انكم
ان اجتمعتم وتعاونتم انتم والهتكم على وبذلتم وسعكم فى قصدى بالسوء لم تضرونى ولم
تقدروا على اهلاكى فانى توكلت على الله مالكى ومالككم لم تمكنكم اصابتى بما لم يرده ثم برهن
على ذلك بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا هو مالكها ومصرفها على مقتضى
مشيته وهى فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطنته والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك حتى
صار الاخذ بالناصية عرفا فى القدرة على التصرف وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون

عليه

عليه حلاله انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته ان ربى على صراط مستقيم على طريق الحق والعدل
فى ربوبيته لا يسلط على من توكل عليه ظالما ولا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا الا باذنه
وفى قوله ان ربى من غير اعادة ربكم كما فى الاول نكتة سرية بعد الاختصار المغنى عن الحشو فيه ما
يدل على زيادة اختصاصه وانه رب الكل استحقاقا وربه دونهم تشريفا فان تولوا اى
فان تتولوا وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفا وقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اى
فان تعرضوا والحجة عليكم لم اعاتب فانى ما فرطت فى الابلاغ واديت ما ارسلت به اليكم وانتم
ما ردتم الا تكذيب الرسالة ومكافاة الرسول بالعداوة ويستخلف ربى قوما غيركم كلام مستانف
بالوعيد لهم وبهلكم ويأتى بقوم آخرين يخلفكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه شيئا من
الضرر بتوليكم لا يستحيل له ذلك عليه وقرى يستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه بحذف النون
عطفا على محل فقد ابلغتكم اى ان تولوا يقدر ربى يستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم
ان ربى على كل شيء حفيظ رقيب مهيمن يحفظ اعمالكم ويواخذكم بها او حافظ على الاشيا
كلها والكل محتاج الى حفظه من الضرر ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا
فى التعبير بمجى الامر عن نزول عذاب الاستيصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة
والجلال فى جانب الامر وسرعة الامتثال فى جانب المامور نجينا هودا والذين آمنوا معه
قيل كانوا اربعة آلاف برحمة منا من شوم معاصى العاصين لو لم تدركهم الرحمة من الرحمن لما
نجوا من العذاب النازل على ما دل عليه قوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظة كناية عن الشدة والتنكير فى عذاب ورحمة للتعظيم اخبر
اولا بان الايمان الذى وفقوا له صار سبب انجائهم ثم اخبر بان ذلك الانجا كان من عذاب
اى عذاب دلالة على كمال الامتنان وتحريضا على الايمان او هما متغايران فالاول انجا الدنيا
والثانى انجا الاخرة والاول اوفق لمقتضى المقام وعلى الوجه الاول ايضا لا تكرير ومن غفل
عن هذا قال تكرير لبيان ان انجاهم عنه وتلك عاد الاشارة الى مصارعهم وآثارهم حثا على الاعتبار
بهم واحضار لهم كانهم مشاهدون بما يعاين من الآثار وفى الاتيان باسم الاشارة وبما يدل
على البعد تهويل وتفخيم لما نزل بهم لا لتعظيم لشانهم او تحقير جحدوا بآيات ربهم استيناف
لبيان الوصف الذى استوجبوا به العذاب وانما قال وعصوا رسله ولم يرسل اليهم غير
هود لان الانبيا كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا

عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اي رؤسائهم وكبرائهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى واتباع امرهم طاعتهم اي عصوا من دعاهم الى الايمان
وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة لما
اتبعوا الجبابرة الطغاة جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا
ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به وانما عدي بالذات حملا له على نقيضه الا
بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما
حكي عنهم وتكرير حرف التنبيه مع انهم في الموضعين وايراد حرف التحقيق مع وصفهم الموجب
للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على الحذر من مثل حالهم والاعتبار بهم وايماء الى انهم
في اليقين والاستحقاق لما نزل بهم بسبب كونهم كالعلم حتى صاروا مثلا مشهورا قوم هود عطف
بيان لعاد وفائدته التمييز بينهم وبين عاد الثانية وايماء الى ان استحقاقهم لغاية البعد بالهلاك
بسبب ما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد مر تفسيره هو انشاكم من الارض اي لم ينشئكم منها الا هو وذلك لانه خلق آدم
او خلق مواد النطف التي خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها ويرثها منكم
بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه
ثم توبوا اليه قد مر تفسيره فالفاء فصيحة عاطفة على مقدر معناه وقابلتم العصيان بالاحسان
ان ربي قريب اي الى الرحمة مجيب لداعيه استيناف للترغيب في الامتثال بما امر به قالوا
يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كنا نشاهد منك مخائل الرشد وامارات
الصلاح فرجونا ان تكون فينا سيدا او مستشارا او مسترشدا في التدابير او موافقا في ديننا
فلما تكلمت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حال
ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري من الاوثان مريب اسم فاعل
متعد يقال اربه اذا اوقعه في ريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من لازم يقال
اراب الرجل اذا كان ذا ريبة والاسناد الى الشك مجازي على كلا الوجهين قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة اتى بحرف الشك باعتبار المخاطبين الجاحدين اي قدروا اني
على برهان من ربي واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذاب الله

العدول

والعدول من الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم ان عصيته في تبليغ الرسالة والمنع من الاشراك
به على هذا التقدير فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسرون بابطال
اعمالي والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان اخسركم فانسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتعظيم لكم اية حال والعامل فيها اسم الاشارة من معنى
الفعل لكم حال من اية لتقدمها عليها ولو تاخرت عنها كانت صفة لها فذروها تاكل في
ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها وانما اضاف الارض اليه تعالى اظهارا لوجه التوريع
يعني ان الارض ارض الله والناقة ناقته فذروها تاكل في ارض صاحبها ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها
العقر قطع العضو الذي له تاثير في النفس فقال تمتعوا اي تلذذوا بما تريدون من
اسباب العيش في داركم في بلدكم تقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار اي
من عرب البلد وقيل في دنياكم ثلاثة ايام قيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت
ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه واتسع في الظرف بحذف حرف الجر واجرائه
مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول
وكالمصدوق بمعنى الصدق ويجوز ان يكون من باب الاسناد المجازي كانه قيل للوعد نفي
بك فاذا اوفي به فقد صدق ولم يكذب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة
منا قد مر تفسيره ومن خزي يومئذ متعلق بمحذوف اي ونجيناهم من خزي على وفق
ما تقدم في قصة هود والمراد من الخزي هلاكهم بالذل والفضيحة وقرئ ومن خزي بالتنوين
ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين في اذ
عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر اي ومن فضيحة اذ جاء الامر وحل بهم ان ربك
هو القوي العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يوجدوا في المغنى
القائم الذي يقيم به الحي الا ان ثمودا كفروا ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ
بالتنوين وبخفض الدال في الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او للاب الاكبر ولقد جاءت اللام
لتاكيد الخبر وقد للتوقع لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة رسلنا ابراهيم
اي الملائكة بالبشرى اي بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط وبابها في والذاريات

الذين م

من قوله وبشروه بغلام ثم بعده قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بما في قالوا من معنى ذكروا قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن
من تحيتهم والتنكير للدلالة على التعظيم المنع من التنوين وقرئ سلم بمعنى السلام كحرم وحرام
وقيل المراد به الصلح فما لبث فما مكث اذ كان عنده طعام معد للاضياف كل يوم والفا للتفريع
على ما ظهر من المسالمة انهم جاءوا للخير دون الشر ان جاء بعجل اي في محل الجر على تقدير فما لبث في
المجيء به او فما تاخر عن المجيء به او النصب على حذف حرف الجر او الرفع على الفاعلية اي فما لبث
مجيئه والعجل ولد البقرة سمي به لتعجل اهله بقرب ميلاده ولا يخفى لطف موقعه بعد ما فهم من قوله
فما لبث من معنى العجلة حنيذ والحنيذ هو الذي يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت
عليه الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه قوله تع في موضع اخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف في
اخدود وفيه ان اعتماد لاهم اظهاره في المقام مما يعد بحثه في الكلام فلما راى ايديهم لا تصل
اليه روي انهم كانوا باعواد كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل ايديهم اليه وعلى هذا يظهر وجه
الاتيان بالفا التفصيحية والعدول عن لا يمدون ايديهم ومن وهم ان المذكور كناية عن المتروك
نكرهم هذا صريح في ان انكاره عليه السلام كان بعد ما راى انهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام
والظاهر من قوله قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك في صورة الحجر والتوفيق انه نكرهم
بعينه حين راهم ونكرهم بقلبه بعد ما راى منهم امارة الخلاف قال ابو العالية يقال نكره بقلبه
وانكره بعينه واوجس منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف
ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير قيل واوجس بمعنى اضمر ويرده قوله تع في سورة الحجر قال
انا منكم وجلون وكذا يرده ما قيل وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغيير في وجهه
او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب
فان مبنى هذا ايضا الغفول عن انه عليه السلام افصح عن خوفه باوضح عبارة قالوا عليه السلام لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط يعني بالعذاب على ما افصح عنه في موضع اخر بقوله لنرسل عليهم حجارة
قيل وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا مبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع
في سورة الحجر فان هذا القول منهم بعد البشارة له عليه السلام بالغلام واستفساره بقوله فما
خطبكم ايها المرسلون وكذا مبنى ما قيل هنا انا مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا
لا ناكل مبناه الغفول عما ذكرنا وامراته قائمة يعني في الخدمة وكانت بمسمع منهم على روسهم

كما قيل لانه مردود بقوله في موضع اخر فاقبلت امراته في صرة فضحكت سرورا بالامن وبهلاك
اهل الفساد وقيل باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان
العذاب نزل بهذا القوم ويرد عليه ح اي على تقدير ان يكون المعنى فضحكت من اصابة رايها
يخرج الكلام مخرج الالغاز واما ما قيل ان ضحكت بمعنى حاضت ورد بان التعجب بعده يبعده
اذ لا يعجب من الولادة في زمن الحيض وادخاله في سياق التعجب اباه اللفظ فبشرناها باسحق
هذه البشارة ايضا على لسان الملائكة والفا للتعقيب اي بشرناها بالولد وبولد الولد عقيب
ما اوجب سرورها والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية ومن وراء
اسحق يعقوب رفعها بالابتدا خبره الظرف اي من وراء اسحق يعقوب مولود وقرئ بالنصب
بفعل دل عليه بشرناها اي ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا يا عجبا واصله
في الشر ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيها مبدلة من يا الاضافة وقرئ بالياء على الاصل
االد وانا عجوز اي مسنة قيل كانت في تسع وتسعين ولم تدخلها الها لانها وضعت
للانثى خاصة وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة
في هذا وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او خبر مبتدا لهذا وبعلي بدل منه
او خبر بعد خبر ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
وانما انكرت الملائكة تعجبها بقولهم قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات
والمعجزات وخوارق العادات فكان حقها ان لا تسوبل تستغرق وتشكر نعم الله تع وتحمده
وتمجده ولا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قالت الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل ليس هذا بمكان التعجب فان الله خصكم
من بين الناس بامثال هذه الكرامات واكرمكم بها اهل بيت النبوة ونصبه على المدح او على
النداء لقصد التخصيص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبيا
كانوا فيهم كثيرا انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجد والثنا بكثرة الاحسان
والانعام على عباده فلما ذهب عن ابرهيم الروع الافزاع بما اوجس من الخيفة واطمان قلبه
بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفا لترتيب بعض ما يتعلق بابرهيم عليه السلام من الكلام
على بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق بامراته وله ايضا مدخل في ذهاب روعه عليه السلام وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها

لوطا وجواب لما محذوف ويجادلنا كلام مستانف وقيل دال عليه تقديره اجترأ على خطابنا
او وقوع لمجادلتنا ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال الماضية وقيل لما يرد المضارع
الى معنى الماضي كما يرد الماضي الى المستقبل معنى وقيل معناه اخذ يجادلنا او في معناها ان
ابرهيم لحليم متحمل جهل السفهاء غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب
والتاسف على الناس منيب رجاع الى الله تع بما يجب ويرضى والمقصود من ذلك بيان الحامل
له على المجادلة وهو الرافة والرحمة والرقة على ابناء الجنس يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت
الملائكة له يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة دعتك اليهم فهم اعلم بهم وبما
يستوجبونه انه قد جاء امر ربك اى قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك لابرامه عند الله تع فلا فائدة في جدالك فلما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم اسف واغتم لمجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان حسان فحسبهم اناسا فخاف عليهم خبث قومه
وعجزه عن موافقتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن موافقة المكروه كانه
ضاق لمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه
يهرعون يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن
قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم يستحيوا منها فلذلك
جاؤا يهرعون اليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن فدى بهن اضيافه كرما
وفتوة وحمية وكان اذ ذاك تزويج المسلمات من الكفار جائزا ومن زاد على هذا قوله
يطلبوهن من قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن لخبثهم وعدم كفاءتهم فكانه لم يتامل في قولهم لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي مصحف ابن مسعود رض وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم فيأباه قوله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق واما قيل قاله عليه السلام مبالغة
في تناهي خبث ما يريدونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة استقباحه فلا يلائم قوله
هن اطهر لكم اراد المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن فيها على ما يرامونه كقوله عليه السلام
الله اعلى واجل في مقابلة قول ابي سفيان اعل هبل وقرئ اطهر بالنصب على تقدير خذوا
هؤلاء اطهر لكم وقوله بناتي هن جملة معترضة تعليلا للامر وكونهن [illegible] قدمت للاحتجاج كانه
قيل خذوا هؤلاء العفائف اطهر لكم وقوله بناتي هن وانتم تعلمون طهارتي وطهارة بناتي

ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي خبره وهن تاكيد للمستكن في بناتي لانه وصف مشتق
واطهر حال فاتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون من الخزي وهو الهوان او من الخزاية
وهو الخجالة في ضيفي بسببهم فان التعدي لضيف الرجل اخزاؤه وترتب على المحذوف لا على
المذكور على ما افصح عنه في موضع اخر حيث قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا
تخزون وقد علم منه ان المراد من الخزي معنى اخر غير الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدي
الى الحق ويرعوي عن القبيح فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد بهذا ولذلك قال منكم دون
فيكم لعموم الاجنبي وكلامه لا يؤثر تاثير كلام الذي منهم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
لحاجة بالغوا في المنفي بتنكير حق وزيادة من كما بالغوا في النفي باثبات علمه له على ابلغ وجه
واكده وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لما كان فيه من معنى الفعل
عطف عليه قوله او اوي الى ركن شديد اي لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه
واتمنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز الذي يحمي من ياوي اليه ويحميه بالركن من الجبل في شدته
ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا فلما راى الملائكة ما حل بلوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
فلن يصلوا الينا ولما احتمل ان يضروه عليه السلام لعدم حصول بغيتهم دفعه بقوله لن يصلوا
اليك فهو استيناف في غاية الجزالة ومن لم يتنبه له قال لن يصلوا اضرارك باضرارنا ثم انه
لم يدر ان حق الكلام ح الوصل بالفاء دون الفصل فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرئ
بالوصل من السري ترتبه على المحذوف المذكور في موضع اخر بقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي عام
له عليه السلام وللاهل والمخصوص به انما هو تبليغه اليهم ومن وهم انه في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط فقد وهم الا امراتك بالنصب استثناء من قوله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك
وذلك انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا ينافي قراءة من قرأ
بالرفع بدلا من احد والا لزم على القراءتين ان تكون امراته مسري بها وغير مسري بها وفيه
نظر لان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط مامورا بالاسراء ولا يمنع انها سرت بنفسها
ويكفي لصحة الاستثناء [illegible] هذا المقدار كيف ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها وبهذا
يدفع ايضا ما قيل انه اما ان اسري بها فالاستثناء من قوله احد متعين او لا فمتعين من قوله

فاسر باهلك والقصة واحدة فاحد التاويلين باطل قطعا والقرائتان الثابتتان قطعا
لا يجب حملها على ما يوجب بطلان مقتضى احديهما واما قيل وفي اخراجها مع اهلها روايتان
روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هذا العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين وجالب وسبب لاختلاف الروايتين
كما تقول السلاح للغزو اي اداته وصالح له ولم يرد ان اختلاف القرائتين لاجل اختلاف الروايتين
قد حصل ويرد عليه انه ح تنقلب الرواية دراية ولا نجاة منه الا من ظاهر القراءة وايضا فيه التزام
باستلزام اختلاف القرائتين امرا محذورا وهو الجمع بين المتنافيين والاولى جعل الاستثناء في القرائتين
من قوله ولا يلتفت منكم كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على
غير الافصح فان النصب اخف وان كان البدل افصح انه مصيبها ما اصابهم استينافا وعلة
استثناها من اهله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولاجل هذا
جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح
بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب وانما جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان
النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون العذاب فيه افظع فلما جاء امرنا وقت امرنا او ما
الامر نفسه فقد ورد قبل هذا واما المامور به فنفس ما ذكر في قوله جعلنا عاليها سافلها جواب لما
وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي الملائكة المامورون واسند الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر وامطرنا عليها على المدن حجارة روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم
من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين كلمة معربة من سنك كل وقيل هو من اسجله
اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب
به من السجل وسجل الفلان منضود في الارسال يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار
او نضد بعضه على بعض والصق به او نضد معد للعذاب مسومة معلمة للعذاب او
بسيما تميز به من حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها
الا هو وما هي من الظالمين ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير للقرى اي هي

قريبة من ظالمي امتك يرون بها في سيرهم قوله ببعيد بشيء بعيد او بمكان بعيد كذا قيل
ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزئير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف
بها المونث والمذكر والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظائره ومدين بناها مدين بن ابرهيم
عليه السلام فسميت باسمه والمراد اهلها واولاده قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم
عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة وثروة
تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها ان تقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه
عنكم بما تفعلون وهو على كل الوجوه علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ
منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
وتوصيف اليوم بالاحاطة من باب الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها
لانه مشتمل على حوادث مع اشتماله على العذاب فاذا كان مهلكا فما اشتمل عليه الحوادث
كان مجتمعا على المعذب في اهلاكه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده
قصدا الى تقبيح النهي وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له ذكر ورجوا الى القبول
فاذا اورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال لانه
ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط بالعدل والتسوية من غير
زيادة ونقصان وانما قيدهما به فضرا على ما هو الواجب وتنبيها على ان المطلوب من الايفاء
القسط ولهذا قد يكون الفضل محرما كما في الربويات ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن وكذا ولا تعثوا في الارض لانه
التمادي في انواع الفساد ودرجهم في النهي مما غلب عليهم الى سائر القبائح ويجوز ان يراد بالعثي
البخس مبالغة وتعريضا بانه من انواع الفساد وانما قال مفسدين اخراجا لما يقصد به الاصلاح
كما فعله الخضر بقيت الله ما يبقى عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ونقص الحقوق ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا وانما قيد به لظهور فائدتها معه وان
كان مع الكفر نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب بها مشروط بالايمان ولا يظهر
على الكافر اثر النجاة من تبعة البخس لانغماره في غمرات الكفر في ذلك تعظيم للايمان وتنبيه
على جلالة قدره وايماء الى ان لا فائدة للحسنات بدونه او ان كنتم مصدقين لي في نصحي

اباكم وقيل البقية الطاعة اي ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير مما يبقى كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافتها الى الله تعظيم لها وتشريف اليه وقرئ تقية الله بالتاء
وهي تقواه التي تكف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ تقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي
وعيد بليغ اي الله حفيظ عليكم ومجازيكم بها لا انا انما انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت
ونصحت واعذرت قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام
اجابوا به بعد امرهم بعبادة الله وترك عبادة الاوثان وبايفاء الحقوق طريقة السخرية والاستهزاء
حيث اسندوا الامر الى الصلوة اشعارا بان المأمور مما لا يأمر به العقلاء لانه امر وسوسة وجنون
لا امر فطنة وعقل واما تخصيصهم الصلوة بالاسناد اليها لانه عليه السلام كان يصلي وكانوا
يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما عرفه الله عباده
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقالوا له على وجه التهكم به اصلواتك تأمرك اي ففيه استهزاء
من وجه اخر واما جمعها فلانه عليه السلام كان كثير الصلوة وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون
ويضحكون استبعادا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال ففي اتيانها على صيغة الجمع اشارة
الى نوع اخر من الاستهزاء له ثم انهم جعلوه عليه السلام مأمورا بفعل الغير ولانه على افراطه في
ذلك كان نفسها مأمورا به وذلك ان في الامر بنهي الغير يكفي الابلاغ مرة او مرتين وهو عليه
السلام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة المأمور باتيان الترك الواجب على الغير وهذا
ايضا نوع من الاستهزاء منهم مبناه على اعتبار دقيق ولقد اغفل عنه الناظرون في هذا المقام
حتى ذهبوا الى تقدير المضاف الى تأمرك بتكليف ان نترك فاذهبوا احسن الكلام والطف الاعتبار
المناسب للمقام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي او ان نترك فعلنا ما نشاء
في اموالنا والعطف باو دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل
يكفي في النسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معا ولا يخفى ما فيه من الدلالة على انهم كانوا اية
في الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء على ان العطف على ان نترك
انك لانت الحليم الرشيد تهكم به منهم وبفعله لانهم ارادوا وصفه بغاية السفه والغي على
ما تقتضيه السباق والسياق فعكسوا تهكما كقول خزنة جهنم ذق انك انت العزيز الكريم
واما قيل عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن
المبادرة الى امثال ذلك فيأباه ما في سياق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه

شتى قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة ورزقني
منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز عن الرزق القبيح
وفيه اشارة الى ان الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المألوف والنهي عن دين الاباء ولا يخفى ما فيه من حسن المراجعة
وحسن الاستنزال ورفق الاستدعاء ولذلك قال فيه عليه السلام ذاك خطيب الانبياء والضمير في
منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله فقد ادمج فيه الجواب عن قولهم او ان
نفعل في اموالنا ما نشاء على القراءة بالتاء فيهما وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وما اريد ان
اقصد الى ما انهاكم عنه من المعاصي والملاذ لاستبد بها دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم
اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفني الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني
عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم
بموعظتي ونصيحتي ما امكنني فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يراعي فيما يباشره
احد ثلاثة حقوق اولها واعلاها حق الله وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان امركم به وانهاكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف اي مدة استطاعتي او
خبرية بدل من الاصلاح اي الا القدر الذي استطعت منه او على تقدير حذف المضاف
اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه
من فاسدكم وفيه ان اعمال المصدر المعرف قليل وما توفيقي الا بالله اي وما توفيقي لاصابة
الحق والصواب فيما اتي واذر الا بتأييد الله ومعونته عليه توكلت لا على غيره فانه القادر
على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن
القدرة واليه انيب لا الى غيره في الاية طلب التوفيق من الله تعالى لاصابة الحق فيما يصدده
على ابلغ وجه وحسم لاطماعهم وعدم المبالاة بهم ومعاداتهم بتوكله على الله وتهديد الكفار
بانابتهم الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان يصلهما ثاني
مفعولي جرم فانه مثل كسب في معناه وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين وقرئ

لا يجرمنكم بضم اليا من اجرمته اذا جعلته جارما وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول
واحد كما يقال اكسبه المال من كسب والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحا
وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فانهم اقرب
الهالكين منهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به العقاب فحالكم حالهم
وافراد البعيد قد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد سبق ما يتعلق به
ايضا ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود بعباده يفعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار لشمول الدعوة
واخذ الحبل بطرفيه قالوا يا شعيب ما نفقه فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفسه دون
نفي الفهم دلالة على انهم لم يريدوا قصوره في ادا الكلام كما سبق الى بعض الاوهام
حيث قال وجه ما ذكر انه عليه السلام كان الثغ وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث
كنوا بعدم فهمهم ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة الهذيان والتخليط وفي
التقييد بقوله كثيرا اظهار التنزه عن المكابرة وهذا ابلغ في المبالغة عن الكلام الخالي من ذلك
القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف سيف الشجاع يقطر دما دون يسيل قيل كانوا يفهمونه
ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه فلا يذهب عليك ان هذا التنزيل انما يناسب اعتباره
ان لو كان في الحكاية دون المحكي وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي
قوله فينا نوع تقوية لما ارادوه من اثبات العجز له عن المدافعة كانهم يقولون انك لست
بخارج عنا حتى لا تصل اليك ايدينا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة شانك
ولا من جهة مكانك ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم ولرفع
هذا الوهم عبروا عنه بالرهط دون العشيرة والقبيلة ونحو ذلك والرجم الرمي بالحجارة والمراد
قتله به يعني قتلناك شر قتلة باصعب وجه وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات
بالسب والتهديد وما انت علينا بعزيز اي لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا هو
المناسب لسياق الكلام وعلى هذا لا مفهوم فيه ومن فهم منه المفهوم قائلا كانه قيل وما انت
علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا فقد حمل العزة على الكرامة على ما صرح به حيث قال
اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد غفل عن ان المناسب ح ان يقع لو لا عزنا

بدل

بدل علينا ومنطوق قولهم ولولا رهطك لرجمناك اغنى عن اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت
ان معناه ولولا حرمة رهطك وعزتهم عندنا لرجمناك فاعتباره بعد هذا كالاستضاءة بالمصباح
بعد طلوع الصباح وايلا الضمير حرف النفي لتقوية الحكم وتاكيده كما في قوله تع وما هم بمومنين
وتقديم علينا للمحافظة الفاصلة وزيادة البا في بعزيز لتاكيد النفي وتنكيره للتقليل اي ليس
لك علينا شي من جنس العزة واما ما قيل وقد دل ايلا الضمير حرف النفي على ان الكلام واقع
في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال
في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فيرد عليه انه لا
دلالة له في مفهوم قوله وما انت علينا بعزيز على ان رهطه هم الاعزة انما دلالته على انهم هم
العزيزون لان المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق المنطوق انما هو اصل العزة
لا زيادتها ثم ان قوله ولو قيل وما عززت الخ فقد مر ما يظهر به انه ليس بصواب قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله لما كان نبيا مبعوثا من عند الله كانت الاستهانة به استهانة بالله
لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل كون رهطه اعز عليهم منه كونهم اعز من الله لان
امره امر الله ويحتمل الانكار التوبيخي على ان المعنى ارهطي اعز عليكم من الله في نظركم واعتباركم
والانكار الابطالي على ان المعنى انهم اعز عليكم منه تع في الواقع وعلى الاول يدخل قوله واتخذتموه
وراكم ظهريا ايضا في حيز الاستفهام والانحا ذا اخذ الشي لا مر يسير في الاستيناف كانحاذ
البيت وانحاذ المركوب فدلالته على المعنى المقصود اولى من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب
الى الظهر كالامسي منسوب الى الامس والكسرة في مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن الترك
وعدم الاعتداد به فقد تمت بقوله واتخذتموه وراكم الا ان ذكرا وفيه بنسبته الى الظهر انما هما
لحق المبالغة وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية ان ربي بما تعملون محيط قد احاط بما عملكم
علما فلا يخفى منها شي فهو يجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
سبق مثله في سورة الانعام والفا في فسوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه
سبب لذلك وحذف هنا للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت
انت فقال سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفا من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب ليكون قسمين ينصرف الاول اليهم
والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على مقتضى زعمهم فقال ومن هو كاذب

وياقوم

ما تقول

أي على زعمكم ودعواكم وأراد سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم لأنهم كذبوه
وأوعدوه وارتقبوا انظروا ما أقول إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم أو المراقب كالعشير
أو المرتقب كالرفيع ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا فإنما ذكر ساق قصة
عاد وقصة مدين بالواو وساق قصة ثمود ولوط بالفاء لأنه لم يسبق فيهما وعد يقتضي التسبيب
فحقهما أن يعطفا بحرف الجمع عطف قصة على قصة وأما في قصة ثمود ولوط فقد سبق وعد يقتضي
التسبيب وهو قوله في الأولى ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية إن موعدهم الصبح فجيء بهما
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم
جبريل صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فهلكوا الخبث لم يبرح كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا
في ديارهم مترددين في تصرفاتهم ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود إنما شبههم بثمود في إهلاكهم لأنهم
أيضا أهلكوا بالصيحة إلا أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين له على صدق نبوته
يجوز أن يكون المراد بالآيات المعجزات وسلطان مبين هو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها
ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونها آيات وكونها سلطانا له على صحة
دعواه والفرق بينهما أن الآيات تعم الأمارات والدلائل القاطعة والسلطان يخص القاطع
والمبين ما فيه الجلاء ومن وهم أن المراد من الآيات التورية فقد وهم وما فهم أن قوله إلى فرعون
وملائه يأباه لأن التورية نزولها إنما كان بعد هلاك فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون
بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المبين الضلال والطغيان لفرط جهلهم وغباوتهم فإنه ادعى ما لا يخفى على من له أدنى تمييز
وفطنة إحالته وهو الألوهية مع كونه بشرا حادثا مثلهم وما أمر فرعون برشيد بمرشد أو بذي
رشد إنما هو غي صريح وضلال لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيمة يتقدم إلى النار كما كان يقدمهم
في الدنيا إلى الضلال يقال قدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش
تفسير وبيان لعدم كون أمر فرعون بصواب حميد العاقبة وعدل إلى الماضي فيما عطف عليه
فقيل فأوردهم النار مبالغة في تحقق وقوعه وشبهه في جرهم إلى النار بالفارط الذي يتقدم
الواردة وأتباعه بالواردة الخاص على الماء ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم

قال وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين
العطش والنار بالعكس وأتبعوا في هذه أي في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة أي يلعنون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود المخصوص بالذم محذوف أي رفدهم والرفد هو العطية
وأصله الذي يعين به على المطلوب قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا
ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به ذلك مبتدأ من أنباء القرى خبر أي
ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر أي مقصوص منها قائم وحصيد
جملة مستأنفة لا محل لها أي بعضها باق على أمكنتها كالزرع القائم على ساق وبعضها عافي
الأثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي التي أهلكوا
بها فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن تدفع عنهم بأس الله آلهتهم التي يدعون حكاية حال ماضية
أي التي كانوا يعبدونها من دون الله أي أصنامهم التي اعتقدوها آلهة معبودة من شيء
فما قليلا لما جاء أمر ربك حين جاء عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك ومثل ذلك
الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ
القرى أي أهلها وقرئ إذ لأن المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها
لكنها لما أقيمت مقامها أجريت عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم
ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه أليم شديد من باب الإسناد المجازي لأن
الأخذ مؤلم كقوله ضرب وجيع ومعناه صعب على المأخوذ حتى الأخذ أليم من صعوبته ولا
يخفى ما فيه من المبالغة في التهديد والتحذير إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله
لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة لأنه ينظر إلى ما نزل بهم بسبب ذنوبهم فيعتبر به حال الآخرة
ويعلم من شدته شدة العذاب الموعود فعظم فيزدجر وأما الذي ينكر الآخرة أو لا يخطر بباله
أهوالها فلا حظ له من ذلك الاعتبار ذلك إشارة إلى يوم القيمة لدلالة عذاب الآخرة عليه
يوم مجموع له الناس للحساب والجزاء والناس فاعل مجموع كأنه قيل يوم تجمع له الناس والعدول
من لفظ الفعل إلى لفظ المفعول للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه موصوف به صفة
لازمة لا محالة وأنه أثبت لإسناد الجمع إلى الناس لأنه يفيد أنهم لا ينفكون عن الموصوف الذي هو
ظرف لهم فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه فاتسع في الظرف
بإجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي

كثر شاهدوه كما يقال لفلان مجلس مشهود وطعام محضور يريدون الكثرة ولو جعل اليوم
مشهودا في نفسه لفات الغرض وهو التعظيم وتميزه فان سائر الايام كذلك والتهويل
الحاصل من عدم ذكر المشهود وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
قليلة على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لانتهائها فانه غير معدود
يوم يأتي وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة عن الياء والفاعل هو الله تعالى كقوله او يأتي ربك
ويؤيده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله باذنه او اليوم كقوله الا ان تأتيهم الساعة والمراد
من اتيان اليوم هوله وشدائده فلا يلزم ان يكون الزمان ظرفا لنفسه والعامل في الظرف
لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله كقوله
الا من اذن له وهذا في موقف وقوله تعالى يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف
وقوله يجادلون عن انفسهم في موقف آخر وقوله نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
في موقف آخر ولما كان القول بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الآيات المذكورة
فلا حاجة الى التخصيص الممنوع عنه بالاعذار الباطل والمأذون فيه بالجوابات الحقة بل
لا وجه له لان الشفاعة ايضا مأذون فيها وليست من جنس الجواب فمنهم الضمير للناس
المذكور او لاهل الموقف المدلول بقوله لا تكلم نفس شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد
تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه انقسامهم الى قسمين اجمالا وتقديم الشقي على
السعيد لانه المفهوم اولا في مرتبة الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد
والاصل ومنهم سعيد فحذف منهم اختصارا والتنكير فيهما للنوعية فاما الذين شقوا ففي
النار شروع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم الظرف للتخصيص
زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره وهما من
اصوات المكروبين ففيه تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او للدلالة
على شدة كربهم وغمهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض انتصاب خالدين على انها
حال مقدرة وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت
التأبيد على طريقة العرب في قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما يذكرونه
في مقام المبالغة في نفي الانقطاع ولا يسبق الى الفهم منها الا التأبيد لا التعليق بمدة
بقائها ويجوز ان يراد التعليق على ان المراد من السموات والارض سموات الآخرة وارضها

فانه لا بد لاهلها من مقلة ومظلة ولا يلزم من التعليق بهما علمنا بكيفيتهما بل يعقل ابديتهم
بين مقلة ومظلة وهو معلوم من النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف
كما توهم الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في عذاب النار لان الكفار ينقلون من حر النار
الى برد الزمهرير والرد بان النار عين دار العقاب غير وارد لانا لا ننكر استعمال النار فيهما
تغليبا او دعوى الغلبة حتى يهجر الاصل وكلا الامرين في قوله تعالى نارا تلظى نارا وقودها الناس
والحجارة وكم وكم واما ما قيل لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف
لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني
فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء
كما ينتقض باعتبار الانتهاء ففيه ان موجب ذلك اندراج الفساق في القسمين فيفوت
ما قصد بالتنكير من التنويع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج احدهما في حكم الآخر والتقابل المتعارف
بينهما من قوله عليه الصلوة والسلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقي في بطن امه
يأبى عن الجمع بينهما بالاعتبارين ثم ان الزفير والشهيق من خواص الكفار وعلى ما ذكر يلزم
تشريك الفساق معهم واما ما ذكره ثانيا ففيه انه لا دلالة في اللفظ على المبدأ المعين ولو
سلم فالاستثناء يقتضي اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد الدخول ولا يجوز ان يكون
الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق لان حق النظم ان يقدم قوله خالدين فيها ما
دامت السموات والارض على قوله لهم فيها زفير وشهيق ان ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض
عليه في تخصيصه بعض اوقات الشقاء باحد نوعي العذاب وبعضها بنوعه الآخر واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقرئ سعدوا على البناء
للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده الا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب حتى يلج الجمل في
سم الخياط ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة ينقلون مما هو اعلى من الجنة
كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه ورد بان ما ذكر يحصل وهم في الجنة
فيأبى الاستثناء عطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة غير مجذوذ غير
مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء هنا ليس الانقطاع
وقوله في الاشقياء ان ربك فعال لما يريد في مقابلة هذا القول في السعداء يرجح نقل الاشقياء

الى ما هو اغلظ من عذاب النار من عقوبات تقتضيها سخط الله والعياذ بها فلا تك في
مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه السلام قصص عبدة الاوثان وما حل بهم
من انواع العذاب والنقم اقبل عليه مسليا بقوله هذا اي لا يكون تردد بعدما انزل اليك
في سوء عاقبة قومك ووبال عبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين
في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
ما يعبدون في انه يضر ولا ينفع الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف لتعليل النهي من المرية
اي ان حالهم في الشرك مثل حال اباءهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل باباءهم فسببه
فينزلن عليهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما
كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم
انصباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب مع قيام موجبه غير منقوص نصبا حال
عن النصيب لتقييد التوفية لدفع احتمال ان يكون منقوصا في حد نفسه عما يستحقونه ولو فيه لا يدفع
هذا الاحتمال ومن لم يتنبه لهذا قال انه لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفا
بعضه ولو مجازا واما من قال يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول
وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب في التنوير لان اوله لا يعرف عما فيه
الكلام واخره ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن
به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك اي قضاء سبق بتاخيرهم
الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك وميز بين المحق والمبطل وانهم وان
كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة والقلق وهذه الاية من جملة
التسلية له عليه السلام وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اي جميع المختلفين فيه المؤمنين
والكافرين وقرئ بالتخفيف على اعمال المخففة اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما زيدة بينهما للفصل وقرئ لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى
لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا وقرئ وان كل لما على ان ان
نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شئ منه وان خفي فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة وبالغ في الوعد والوعيد امر نبيه عليه السلام بالاستقامة

كما امر به في العقائد والاعمال من وظائف العبادات والتبليغ كما انزل اليه وبيان الشرائع
جامعا بين التنزيه والتشبيه محترزا عن الافراط والتفريط في الاعمال محتاطا في التبليغ
والتشريع والفاء للسببية اي اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك فاستقم استقامة ما امرت به والكاف
في محل النصب صفة للمصدر اي استقامة مثل الاستقامة التي امرت ومن تاب معك عطف
على المستتر في فاستقم وحسن من غير تاكيد للفصل اي فليستقم من تاب معك من الكفر
وامن في اتباعه في العقائد والاعمال سالكا سبيل الاوسط دون ما هو مخصوص به عليه السلام
ولما في هذه الضميمة من تبليغ ذلك الامر العسر غاية العسر قال النبي عليه السلام شيبتني سورة
هود اي خص هذه السورة بالذكر والا فالامر بالاستقامة وارد في سورة الشورى ولا
تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم به وهو في معنى التعليل
للامر والنهي وفي الاية دليل وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراي
واما التصرف لمقتضى الاجتهاد فيما يحتاج اليه فليس لمنهي عنه بل مامور به على ما ورد به النصوص
والتصرف بالقياس والاستحسان من المجتهدين من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين ظلموا
الركون الميل اليسير اي ولا تميلوا ميلا ما الى من وجد منه ظلم فضلا عن الميل الكثير الى الذين عادتهم
الظلم فكيف بالظلم ويتناول مصاحبتهم ومداهنتهم في اعمالهم والانحطاط الى هواهم والتزيي
بزيهم ومد العين الى زهرتهم وتعظيمهم وانما قال الى الذين ظلموا دون الذي ظلم لان كونهم
جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم فالنهي عن ركونهم ابلغ والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن
الظلم والتهديد عليه فتمسكم النار بالركون اليهم وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم للتثبيت على
الاستقامة التي هي العدل وايعادهم بالنار مع سلب الولاية والنصرة عنهم عند ادنى انحراف
منهم عن جادة العدل الى من وجد منه ضده مع كونه عليه السلام احب الخلائق اليه زيادة تاكيد
في المبالغة فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم في نفسه سواء كان على نفس الظالم او
غيره وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار وانما
اتى بصيغة الجمع لمكان لكم والا فنفي المفرد ابلغ ثم لا تنصرون هو ايضا اذا سبق حكمه بتعذيبكم
فلا يبقى عليكم ومعنى ثم استبعاد نصرته لهم بعد الحكم باستيجابه واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرفية لاضافته الى الوقت وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف على طرفي النهار وان فسر لفي فالوجه

ان يعطف على الصلوة اى واقم صلوات تتقرب بها الى الله فى بعض الليل وصلوة الغدوة
الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشآ
وزلف جمع زلفة بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيات يكفرنها وفى الحديث ان
الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبآئر او يمنعن السيات بمعنى يزلن استعدا
ارتكابها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشآ والمنكر ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده ذكرى
للذاكرين عظة للمتقين واصبر كرر التذكير بالصبر بعد ما جآ ما هو خاتمة للتذكير لا لتنبيه على
فضيلة الصبر ومرتبته والتنبيه على علو شانه ومكانته وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق
بالتوصية فى بابه وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهآ عما نهيت عنه فلا يتم شىء
الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل بالبرهان للاوامر والنواهى المذكورة من
قوله فاستقم ومن قوله فاصبر وانما عدل عن الضمير ايمآ الى ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا
يعتد بهما دون الاخلاص به فلولا كان لولا هنا للتحضيض ضمنها معنى التوجع والتاسف الذى
ينبغى ان يقع من البشر على هذه الامم الذى لم يهتد من القرون من قبلكم اولوا بقية اولوا
فضل وصبر وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى مما يدخره اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة
والفضل ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا وقوله عليه السلام فى العباس رضى هذا
بقية ابآئى ويجوز ان يكون مصدرا كان اسمى لبقية اى ذوو ابقآ على انفسهم وصيانة لها
من العذاب ويويده ان قرى بقية وهى المرة مصدر بقى يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد
فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم اى ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد والكثير
تاركون للنهى على ان من للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم لقوله وانجينا
الذين ينهون عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثنآ متصلا على الظاهر لفساد المعنى لانه يكون
تحضيضا لاولوا البقية على النهى عن الفساد الا القليل من الناجين منهم ولكن ان استثنى من
النفى اللازم للتحضيض جاز كونه متصلا كانه قيل لما كان من القرون اولوا بقية ينهون عن
الفساد الا قليلا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا تركوا النهى عن
المنكرات ما اترفوا ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما
ورآ ذلك وكانوا مجرمين كافرين لانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى مع الكفر واتبع عطف على اترفوا فتكون الواو للحال

ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجآ وما كان ربك ليهلك القرى اللام
لتاكيد النفى بظلم حال من الفاعل والتنكير للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين ظلم
عظيم ولذلك اكد النفى باللام وكذا ان فسر الظلم بالشرك والبآ للسببية اى لا يهلكهم بسبب
ظلم اعظم منه واهلها مصلحون حال كونهم مصلحين ابينهم بالعدالة لكمال رافته ورحمته بالعباد
ومساهلته فى حقه ومن ثمة قدم الفقهآ عند تزاحم الحقوق حقوق العباد اى وما صح ان يهلك
ربك القرى ظالما لها تنزيها لذاته من الظلم او بسبب شرك اهلها ام يضموا الى الشرك افسادا
فيما بينهم ولذلك قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شآ ربك لجعل الناس امة
واحدة على ملة الاسلام كلهم وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تع قادر على
ايقاع ما اراده فى الخصوص المذكور واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل الا من رحم ربك الا قوما هداهم الله من
فضله فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد ولذلك خلقهم الضمير للقوم والاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة اى ولما هم عليه من الاختلاف خلقهم ليتميز المحق من المبطل ويترتب الثواب والعقاب
على العقآئد والاعمال وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس
من عصاتهما اجمعين لا من احدهما ففيه دفع احتمال ان يكون الاملآ من احدهما ويضاف
اليهما كما فى قوله تع يخرج منهما اللولو والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب افرادهما
وكلا مفعول نقص فى نقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه الى نبا وقوله من انبآ الرسل
بيان كلا اى نخبرك به ما نثبت به فوادك بدل منه او كلا مصدر اى وكل اقتصاص نقص على معنى
وكل نوع واسلوب من انواع القصص واساليبه نقص عليك وما نثبت به مفعول نقص ومعنى
تثبيت فواده عليه السلام طمانينة قلبه وزيادة يقينه والتاسى بهم فى الثبات والصبر على تبليغ
الرسالة وتحمل الاذى كقوله واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة فى الامور
الصعبة تهون ما يلقى الانسان من الاذى والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات المستاصلة
بانواع العذاب من غرق وريح ورجفة فيه طمانينة وتثبيت وجاك فى هذه السورة او الانبآ
المقتصة عليك الحق ما هو الحق وموعظة وذكرى اشارة الى سائر فوائده العامة وانما قال
للمومنين اذ لا ينتفع بها الا المومن وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون قد
سبق تفسيره فى سورة الانعام وانتظروا بنا الدوآئر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل على

امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة دون غيره ولايخفى عليه خافية فيهما فلا تخفى
عليه اعمالكم واليه خاصة لا الى غيره يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك
منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل للتنبيه على ان التوكل
انما لا يصح الا بعد تخصيصه بالعبادة والانسلاخ عن افعال النفس الى المامور به وما ربك
بغافل عما تعملون انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقون من العقاب

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى السورة ايات الكتاب القران المبين
الظاهر من ابان بمعنى بان والمراد ظهور اعجازه وهو ههنا بمنزلة قوله لا ريب فيه في قوله
ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز ان يكون من ابان بمعنى بين اى المبين لما سأله اليهود عن
سبب انتقال آل يعقوب من الشام الى مصر وعلى هذا يكون تلك اشارة الى ايات السورة
وهو المراد بالكتاب انا انزلناه اراد تعظيم الكتاب المذكور باسناد انزاله الى نفسه
قرانا اى حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق الكل على الجزء لان مبناه على كون القران علماً
بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لاعتباره عنده عربيا اى كسوناه للقراة كسوة العربية
وهو كالتعليل لكونه مبينا على المعنى الاول لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا حقائق معانيه
ودقائق مبانيه وما في عبارته من الاسرار والاشارات اذ هي لغتكم كما انزل التورية على
اهلها بلغة العبري والانجيل بلغة السرياني لذلك وفيه اشارة الى ان حقيقة كلام الله منزهة
في كلا ميتها عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق محتاجون في تعقل معانيها اليه نحن
زيادة تاكيد لان نقص دال على معنى الجمع عليك احسن القصص اى قصصا احسن القصص
وهو مصدر بمعنى الاقتصاص ويجوز ان يراد به المفعول او مفعول لنقص وهو في الاصل
تتبع الشيء ومنه قالت لاخته قصيه تتبعي اثره والقاص يتتبع الاثار فيخبر بها والحسن عائد
الى القصص تقال فلان حسن الاقتصاص للحديث اى السياقة له او الى القصة فانها اتم
القصص المذكورة في القران واشملها لانواع واصناف الحكم ويجوز ان يكون المعنى لعلكم تعقلون
انه منزل من عند الله تع وذلك ان الدليل عليه اعجازه لغاية بلاغته ونهاية فصاحته وبلوغه
اليها بكونه على لسان العرب لانه افصح الالسنة وابلغها وعلى هذا يكون تمهيدا لما ذكر بقوله

بما اوحينا اى بايحائنا اليك بواسطة جبريل عليه السلام وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحى والموحى
اليه هذا يجوز ان يكون مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب
بذكر المقصود المذكور القران نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج
الرفع على اضمار مبتدا كأن سائلا سال عما اوحى فقيل هو هذا القران واجاز الفرا الخفض على
التكرير وهو عند البصريين على البدل من ما وعلى هذين التقديرين يجوز ان تكون ما موصولة
والعائد محذوف والباء بمعنى في وعلى هذا يجوز ان يكون نصب هذا القران على الاختصاص او
بيانا للمحذوف والمراد بالقران السورة وان كنت ان هي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
من قبله الضمير راجع الى ما اوحينا والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك وهو تعليل لكونه موحى كنى بالغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا
لشانه عليه السلام فان في التصريح بكونه من الجاهلين ما لا يخفى ومن الغافلين عما في هذا الكلام
من الاحترام من قال في تفسيره اى الجاهلين اذ قال بدل من احسن القصص بدل الاشتمال
على انه مفعول او نصب باضمار اذكر يوسف اسم عبراني اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب
اخر وقرئ بفتح السين وكسرها على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف
لان القراة المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب يا ابت اصله يا ابي عوضت التاء
عن الياء لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت في الوقف هاء وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها
ولم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها ككاف الخطاب او
لانه كان يا ابتا واكتفى بالفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض
عنه وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض كقولك يا ابة اني
رايت من الرؤيا لا من الرؤية لانه لو كانت في اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام
لما خفيت عليه وعلى الناس لانه يجوز ان يكون اراها ليوسف والكرامة لا يلزمها ان يطلع
عليها صاحبها واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهم مجتمعين في الارض
ولا دلالة عليه فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى صريحان فيه
احد عشر وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروي بسكون العين لطول
الاسم وكثرة الحركات كوكبا نصب على التمييز والشمس والقمر انما اخرجهما عن الكواكب لعطفهما
عليهما بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على سائر الطوالع رايتهم لي ساجدين استئناف

ببيان حالهم التي راها عليها وانما اجريت مجرى العقلآ لوصفها بصفاتهم ويجوز ان
يكون الاول لبيان مشاهدتهم في المنام على وجه التفصيل والثاني لبيان مشاهدتهم جملة
مجتمعين في السجود له فلا اعادة للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية لما هو الاهم
وفي ضمنه رعاية الفاصلة قال يا بني تصغير ابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك
الرويا في المنام والروية في العين والراي في القلب والرويا كالروية غير ان احديهما
مختصة بما يكون في النوم والاخرى بما يكون في اليقظة وفرق بينهما بحرفي التانيث كالقربى
والقربة على اخوتك فيكيدوا لك كيدا منصوب باضمار ان جوابا للنهي والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك كيدا او احتيالا ليعيد معنى الفعلين مبالغة وتاكيدا في التحذير ولذلك اكده
بالمصدر والكيد الاخذ على خفا وانما اتي باللام ولم يقل فيكيدوك كما قيل فكيدوني لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام لانهم يعلمون تاويلها فيحتالون في هلاكك كيدا منكورا بعيدا عن
فهمك وهو مع تنكيرها وابهامها والمقصود زيادة مبالغة في التخويف ولذلك استانف قوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير سوال كان يوسف استبعد وقوع الكيد في حقه
من اخوته فازال استبعاده ببيان منشائه يعني ان الشيطان ظاهر العداوة للانسان
كما فعل بادم وحوآ فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمل فلا يومن ان يحملهم على مثله
وكذلك محله النصب على المصدر اي ومثل ذلك الاجتبآ الذي اجتباك للرويا يجتبيك يصطفيك
من سائر المخلوقات فضلا عن اقربائك لما هو اعظم منها واصل الاجتبآ الجمع على طريق الاصطفآ
ثم استانف بقوله ويعلمك لئلا يكون داخلا في حكم التشبيه اي وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
اي تعبير الرويا لانه يوول اراي الى ما ذكره وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرويا واصحهم
عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث تبيين معاني كتب الله وسنن الانبيآ وما غمض
واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث لانها يحدث بها عن الله
ورسله عليهم السلام مبني على واحده المستعمل وهو الحديث كانهم جمعوا احدوثا على احدثة ثم جمعوا
الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم
يات اسم جمع على هذا الوزن واما اباطيل فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم نعمته عليك
بالنبوة او بوصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب سائر بنيه قيل استدل على نبوتهم
ونبوتهم بضوء الكواكب او جعله كما اتمها على ابويك من قبل تذكير لكونه من حفدة الانبيا الكرام

ربك

يوسف

ابرهيم واسحق

عليهم السلام وتلويح الى معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبره ومن ههنا ظهر وجه رجحان
اضافة الابوين اليه دون يعقوب وايضا في اضافتهما الى يعقوب تغليب اسحق على
ابرهيم بخلاف ما اذا اضيفا الى يوسف والمراد بالابوين الجد واب الجد لانهما في الاصالة
في حكم ومن ثمة يقولون ابن فلان لمن بينه وبين فلان عدة ابآ واتمام النعمة في حقهما بالنبوة
ورفع الدرجات في الاخرة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجآ من النار وعلى اسحق بالانجآ
من الذبح والفدآ بذبح عظيم ان ربك عليم يعلم من يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي
فلا يتم نعمته الا على ما يستحق لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلائل على
قدرة الله وحكمته للسائلين للطالبين لها او دلائل على نبوته عليه السلام للذين سالوا من
اليهود عنهم فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراة كتاب وانما جمع لتعدد جهة الاعجاز
لفظا ومعنى والمراد باخوته بنو علاته العشرة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه
بالاضافة لا خوة من الطرفين واشاروا بهذه الاضافة الى ان سبب فضيلته عند ابيهم
اختصاصه بيوسف فذكر زيادة محبة ابيه له ليس حسدا منهم عليه بل حسدا على يوسف
لانه رح يرجع الى زيادة محبته له ولهذا التعرض له وفائدة لام الابتدآ في يوسف تحقيق
مضمون الجملة وتاكيده اي ان زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه احب الى ابينا منا انما
وحد احب مع كونهما اثنين لان افعل من كذا لا يتغير عن صيغة الواحد المذكر لان تمام الجنس
ولا يثني الاسم ولا يجمع ولا يونث قبل تمامه ولا بد في المعرف باللام من المطابقة وفي المضاف
جاز الامران ونحن عصبة اي يفضلهما في المحبة علينا والحال انا جماعة اكفآ اقويآ نقوم بمصالحه
ومنافعه وهما صغيران لا كفاية ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما والعصبة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفي النوائب ان ابانا لفي ضلال
مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب في رايه هذا بايثار اثنين من الضعفآ على عشرة من الاقويآ
مع استوآئهم في الانساب بالغوا في الاسناد بزيادة حرفي التاكيد وفي المسند بوصف الضلال
بالظهور وجعله ظرفا له عليه السلام وذلك لزيادة تاثيرهم عن التفضيل المذكور روي انه كان عليه
السلام احب الى ابيه لما يرى فيه من المحامد وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا تضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم من حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد
القول اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة

بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها ولابهامها نصب نصب الظروف المبهمة والمعتبر فيهما ان لا
يكون محدودا بالحدود ومحصورا بالاقطار ولا ينافيه التقييد بنوع من القيود يخل جزم لانه
جواب الامر ومعناه يخلص ويصف لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم
وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل على الشئ يكون وجهه فى جانبه ويجوز ان يكون المراد
بالوجه الذات كما فى قوله ويبقى وجه ربك لانه اذا صفت محبته لهم يكون لهم وحده غير مشترك
فيه وتكونوا جزم عطفا على يخل او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع من بعده من بعد يوسف
او من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم عليه او ذى
صلاح فى امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او بصلاح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه
له قال قائل منهم ابهمه سترا على القائلين بقتله عليه السلام حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم
وهم انبياء ومن لم يتنبه لهذا قال يعنى يهوذا كان هذا القائل احسنهم رايا حيث انكر كلام الاولين
الذين عزموا على ان يفعلوا واحدا منهما لما راى فى احدهما افراطا وفى الآخر تفريطا نظرا
الى غرضهم لعدم قدرتهم فى يوم واحد على تبعيد يوسف عن ديارهم لا تقتلوا يوسف فان
القتل عظيم والغرض يحصل بدونه ولم يصرح عن المنكر الآخر احالة له على دلالة ما اختاره عليه
كانه قال مقدوركم الذى يتم به غرضكم هو هذا والقوه فى غيابة الجب ما غاب عن عين الناظر
واصل الجب البئر الذى لم يطو لانه ليس فيه غير جب الارض اى قطعها وغيابته اسفله الذى
يغيب ما وقع فيه وقعره وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه الالتقاط
اخذ الشئ من حيث لا يحتسب لا الاخذ مطلق ولهذا حسن موقعه ههنا وفى قوله تعالى فالتقطه
آل فرعون بعض السيارة اى بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية بعيدة فتطوا منه والسيارة
جمع سائرة وهو كثير السير فى الارض وانما اختار صيغة المبالغة لانها المناسب لما قصده من
الاذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة على انه اشار بقوله فى غيابة الجب اى بئر عرفوها
فى ديارهم ولذلك عرفها وقرئ تلتقطه بالتاء الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سائرة
ان كنتم فاعلين التفرق بينه وبين ابيه فهذا هو الراى لان هذا العذر يكفى فيه ولما كان اول
كلام هذا القائل على نظر الشفقة اتى فى آخره بما يناسبه حيث قال ان كنتم قالوا يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف لم تخوفنا عليه ونحن له ناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير وما وجدنا
فى حقه الا النصح والمحبة لما ارادوا استنزاله عن رايه فى حفظه منهم لما احس الحسد ارسله معنا غدا

وانا له لناصحون

فى الصحراء فى لفظ ارسله دليل على ان يعقوب كان يمسك يوسف ويصحبه دائما يرتع الرتع
الاتساع فى الملاذ بالذهاب فى جهات من اليمين والشمال وقيل اصل الرتع التصرف فى الشهوات
يقال رتع فلان فى ماله اذا انفقه فى شهواته ويلعب المراد من اللعب ههنا هو الاستباق
والانتضال بذلك لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يريدوا به اللهو بدليل
قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم عليه يعقوب عليه السلام وقرئ نرتع
بالنون وسكون العين من ارتعى يرتعى وقرئ بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرئ يلعب بالياء
والسكون على اسناد الفعل الى يوسف لصغره وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده خاف
يعقوب على يوسف عليهما السلام من جهة الضيعة من جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع
اى نتسع فى اكل الفواكه ونحوها وخاف عليه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا
عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال انى ليحزننى ان تذهبوا به ذهابكم به
لقلة صبرى وشدة مفارقته على واخاف ان ياكله الذئب وكانت الارض مذأبة الحزن
الم القلب لفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس عند نزول المكروه كانه يقول لا اصبر
عن رؤيته ولا طاقة لى بمفارقته هذا اذا كانت الحالة حالة السلامة فكيف ومع هذا اتخوف
ان ياكله الذئب وقيل راى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فقال
ذلك وصد العلة وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وقيل اشتقاقه من تذائبت الريح اذا هبت
من كل جهة لانه يخبط به فى مشيه ويضطرب وقال الاصمعى ان اشتقاق تذائبت من الذئب
لان الذئب يفعله فى عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع
واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب اعتذر لهم يعقوب بشيئين احدهما عاجل
فى الحال وهو ما يلحقه من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عليه والثانى خوفه من الذئب ان
يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعدل اخوة يوسف عن الاول لقصر مدة الحزن وانهم يرجعون
به اليه من قريب واجابوا عن الثانى لانه السبب القوى عن الذهاب بهم واللام موطئة للقسم
والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو فى ونحن عصبة اى فرقة مجتمعة مقتدرة
على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجز عن جزاء الشرط مغبونون ضعفا لاغنا
بهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله حين اكل بعضهم الذئب
وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فلما ذهبوا

به متصل بمحذوف تقديره فاذن لهم وارسله معهم فالفا فصيحة واجمعوا ان يجعلوه
اى عزموا عليه ولا يقال اجمع الا اذا قرب الداعى الى الفعل من غير صارف ومنه الاجماع
فكانه ماخوذ من اجتماع الدواعى ولما لم يكن مراده من القائه فى البئر اهلاكه كان التعبير عنه
بالجعل افصح فى غيابة الجب قيل هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ولا يخالفه القول
بانها بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحى الاردن ومنزله عليه السلام كان فيها وكذا
القول بانها بين مصر ومدين لان مدين ايضا كان من ارض الاردن فى جوار كنعان واما
القول بانها بئر بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاؤا الى منزلهم عشاء ذلك اليوم وبينه وبين
بيت المقدس مراحل وقرى فى غيابات وهى لا توجد فى التى يطوى ومنه ظهر وجه ايثار
الجب على البئر وجواب لما محذوف للمبالغة مع الايجاز اى فعلوا به من الاذى والاهانة
ما لا يمكن وصفه او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور فى كتب التفاسير واوحينا اليه يعنى فى
البئر فهو معطوف على محذوف تقديره والقوه فى غيابة الجب فالواو فصيحة قيل اوحى
اليه فى الصغر كما اوحى الى عيسى ويحيى وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا بالتوبيخ وذلك
قوله عليه السلام لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وفيه تبشير بحسن حاله فى المال وبما يؤول اليه من
علو شان ورفعة مكان ايناسا له وتطييبا للتسلية وهم لا يشعرون انك يوسف لطول
العهد المغير للهيئات والاشكال وبعد الحال عن اوهامهم على ما دل عليه قوله فعرفهم وهم له منكرون
ومن وهم انه اشارة الى هذا القول فقد وهم وما فهم ما فيه من التوبيخ فالقول ما قالته حذام
وهو المناسب للمقام كما لا يخفى على ذوى الافهام ويؤيده الاشارة الى الامر المذكور بهذا
لتضمنها الدلالة على ما فيه من الدلالة الفاحشة وهو لعسهم بالبون على انه وعيد لهم تقول
العرب لمن هو عدو لمجازاة سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك يعنى لاجازينك وهذا شائع
فى سائر الالسنة ايضا وهم لا يشعرون على هذه القراءة متعلق باوحينا اى استنباه الوحى
وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء وقرى عشيا وهو تصغير عشا وعشى بالضم والقصر
جمع اعشى اى عشوا من البكاء وفيه ضعف لان قدر ما يكون فى ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان
والعشاء اخر النهار الى نصف الليل ومنه اشتق الاعشى لانه يستضئ ببصر ضعيف اى
جاؤا ليلا وذلك ليكونوا اقدر على الاعتذار فى الظلمة ولهذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل
فان الحيا فى العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج فى الاعتذار يبكون حال معناه

متباكين

متباكين دون باكين لان البكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن ولا حزن بهم
الا انهم اظهروا صورة البكاء ليوهموا انهم صادقين روى انه عليه السلام لما سمع صوت بكائهم
فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اى نتسابق فى العدو
والرمى والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا
اى تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب الفا للتعقيب بلا تراخ ولا بد من اعتباره
فى الاعتذار عند عدم التدارك وما انت بمؤمن لنا قدر ان الايمان اذا كان بمعنى التسليم
يتعدى باللام واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالذات او الباء وتقديم انت وايلاؤه حرف
النفى لادعائهم ان غيرك مصدق لنا لانا مشهورون بالصدق موثوق بقولنا عند الكل
واما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف فلا تسلم لنا ولذلك اكدوه بزيادة الباء
والتقييد بقوله ولو كنا صادقين اى ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة فكيف وانت
سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما حذف الظرف لان ذكره مقدما يفسد المعنى لافادته
الاختصاص الذى لا يناسب المقام وذكره مؤخرا يفسد اللفظ لانه ح تفوت محافظة
رؤس الاى وتضيع رعاية الفواصل وهى من شرائط حسن نظام الكلام وفصل المفصل
وجاؤا على قميصه بدم فى محل النصب من الدم ومنع تقدمها على صاحبها المجرور فى غير
الظرف وجوز نصبه بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه ح جاؤا وليس فوق القميص
ظرفا لهم بخلاف فوق الجمال فى قولك جاؤا على جماله بالحال ومبناه ان يكون الباء للمصاحبة
كما فى ذهب الله بنورهم واما اذا كانت للتعدية كما فى ولو جئنا بمثله مددا فلا يلزم
المحذور المذكور ولا وجه للحمل على الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم كذب وصف بالمصدر مبالغة
او مصدر اريد به المفعول اى مكذوب فيه كالثقة يراد بها الموثوق وتقدير ذى فى
مثل هذا المقام ينزل الكلام عن منزلة البلاغة وقرى بالنصب على الحال من الواو اى
جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى روى انه عليه السلام لما راى قميصه
غير ممزق قال ما رايت ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل
سولت لكم انفسكم كذا قالوا والذى عندى ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من التنكير
ومن التعبير بكونه على القميص ولو كانت الامارة عدم تمزق القميص لكان هو بالتعرض
احق بل اضراب عن مقدر يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام وبه تمام الانتظام

فهو كالقى الفصيحة والتسويل تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله
امرا اي امرا منكرا لا يحتمل التعريف والتوصيف فصبر اي فحقي صبر كقوله فعدة من ايام
اخر اي فعليه جميل في الحديث المرفوع الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص
الشكوى بالتي تكون الى غير الله اذ ليس في كلامه عليه السلام وعد بالصبر الجميل والله المستعان
على ما تصفون اي المطلوب منه العون على كشف ما التبس من امركم هذا هو المناسب لقوله
فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لا ما قيل على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف كما لا
يخفى وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون وفي صيغة
المبالغة دلالة على انهم جاؤا من بعيد والمراد مجيئهم الى قرب بئر بدلالة السباق واللحاق
والظاهر من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام قيل كان
ذلك بعد ثلاث من القائه فيها فارسلوا اي الى البئر واردهم هو الذي يسير الى الماء ليستقي
منه فادلى دلوه فقول ادليت الدلو اذا ارسلتها لتملأ ودلوتها فتدلى بها يوسف فلما خرج
فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشرى اي هذا غلام بشر اصحابه بانه وجد عبدا او معنى النداء
التنبيه اي انتبهوا الفرح وسروري قيل نادى رجلا اسمه بشرى ويرده قراءة بشراي فانه
لو كان اسما لم يكن مضافا الى ضمير المتكلم واسروه اي الوارد واصحابه عن سائر الرفقة
بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال اي قطع
منه للتجارة وعن ابن عباس رض ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا
ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الاختلال
لحسن نظم المقال والاشكال من جهة ان التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون
وعيد لهم حيث استغصبوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص
العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما
دونها وفيه تصريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به المبالغة وكانوا فيه في
يوسف من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء وذلك لانهم
كانوا التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مريده مستعجل في بيعه
وفيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان ما
بعد الجار لا يعمل فيما قبله وكانه قيل وكانوا زاهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه

وقال الذي اشتراه منهم وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ
ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حيوته روي انه اشتراه
العزيز وهو ابن سبعة عشر سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان
وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكم والعلم وهو ابن ثلاث وثلثين سنة ومبناه الغفلة
عن لبثه في السجن بضع سنين وكون السجن في منزل العزيز اباه قوله تع ودخل معه السجن
فتيان وانما قال من مصر على انه غير المشتري الاول لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة
بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي مكان اقامته حسنا برضاه والاكرام الاحسان
على جهة الاعظام ويلزمه الارضاء وانما اضاف الاكرام الى مثواه دون نفسه مبالغة في
احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة ممن كرم في نفسه عسى ان ينفعنا
نفع مملوك مقبل لمالكه او نتخذه ولدا فنتبنى به فقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة
فيه على انه كان عقيما لا يولد له وكذلك اي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حين عطف
عليه وامر امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف في الارض مكنا له في ارض مصر اي جعلنا له
منزلة فيها كناية عن حكومته فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على علة محذوفة
اي مكناه في الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو
تأويل الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبني تدبير الامور عليها كما دبر
الامر لبني مصر او علة معللها محذوف اي ولنعلمه فعلنا ذلك والله غالب على امره لا يمنعه
مانع ولا ينازعه منازع فيما يقضي ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه امر يوسف عليه السلام دخولا
اوليا فان اخوته ارادوا به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراده تع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
الامر كله بيده او حسن كلائته وعصمته وخفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشده الاشد منتهى
اشتداد الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين ويؤيده
قوله تع ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل وعلما
بتأويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على ان الله آتاه
الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه في العمل واتقائه في عنفوان الامر وراودته التي هو في
بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد
ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمهل والرفق فالمراودة هي المطالبة على الرفق والتمهل

وهي مفاعلة من راد يرود نحو داريت المريض وتعديته بعن لتضمين معنى المخادعة اي
فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال في اخراج ما في يده وهو يحفظه ويكره اخراجه
فعن للمجاوزة اي راودته ان يجاوز خداعها لنفسه لان يقف عندها بان لا يطاوعها وانما
قال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامراة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف
البيوت الى النساء فتقول ربة البيت قال يا ربة البيت قومي غير صاغرة وفي ذكرها بالموصول
توصل الى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف فان كونها في بيته يقرر معنى المراودة
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتغليق الاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان
غلقت الباب غلق لغة ردية متروكة ذكره الجوهري فمن وهم انه للتكثير او للمبالغة في
الاشتقاق فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اي لك اقول
هذا وقرئ هيئت لك على لفظ الفعل بمعنى تهيأت وعلى هذا فاللام صلة قال معاذ الله مصدر
اي اعوذ بالله معاذا انه ربي اي ان الشان سيدي واهلي احسن مثواي حين امرك بالاحسان الي
فكيف اخونه في اهله نوع من الايجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضي والتقدير في مثل هذا و
الذهاب الى نوع من حسن العطف كما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون ويدخل فيهم الذي
يجازي الحسن بالسيئ دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان ان جميعهم لا يفلح ولقد همت به اي
بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها اي بمخالطتها ولو قيل ولقد هما بالمخالطة لكان
اخصر كان ابناءه عن الجواب المقدر اظهر الا انه بين الهمين بذكر كل على حياله دلالة على فرقهما
حكما ثم مدحا وذما فالجمع بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين
في الميل المخصوص الا ان احدهما ميل عن شهوة تبعها العقل فازدادت تسلطا وصارت عزيمة
قاهرة والثاني ميل عن شهوة قاصرة ردعها العقل فاضمحلت بردعها العقل في الاخرة واذا
كانا كذلك فالفرق بينهما عن طباق المقام بمراحل ولا خلاف في ان همها كانت معصية
لانها كانت مصرة واما همه فمن قبيل الخطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله
فيه المواخذة عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه فلا زلة فيه مع ان الزلة للانبيا احكاما زيادة
الوجل وشدة الحيا بالخجل والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ائمة في
الرجا لاهل الزلل لولا ان راى برهان ربه ان راى في موضع رفع والجواب محذوف لعلم
السامع به اي لولا روية برهان ربه لامضى ما هم به ولا يجوز وهم بها جواب لولا فانها في حكم

ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها وظاهره يدل على انه شاهد امرا صرفه عما قصده
حتى قيل انه راى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا
الذي ذكروه غير صحيح لان ذلك يقتضي الالجا وزوال التكليف ولو كان ذلك لما استحق يوسف
عليه السلام مدحا ولا ثوابا على امتناعه عما هم به وقد مدحه بقوله انه من عبادنا المخلصين فالوجه
ان يكون الروية بمعنى العلم والبرهان ما دل الله ليوسف عليه السلام على تحريم ما هم به كذلك اي مثل
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرئ بالكسر اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي تسابقا هو للخروج والهرب منها وهي للمنع منه واصل استبق ان يتعدى بالى فحذف
الجار واوصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث كان في تغيير المراد ايضا سابقة الى المقصود وانما
وحد الباب ههنا لان بيان تعدده فضلة في هذا المقام بخلاف استبق والاستباق الى الباب
منتظم الاستباق الى الكل وقيل تعديته بالذات باعتبار تضمين التسابق معنى تبادر الباب طالبين
السبق فسبقها يوسف على ما دل عليه قوله وقدت قميصه من دبر عطف على محذوف مقدر
اي فادركته وقدت والقد الشق طولا قيل ادركته قبل ان يخرج فقبضته في اعلى قميصه
فتخرق القميص عند لحوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص ففي قوله قدت دون خرقت بيان
انها جذبته من اعلى القميص دون اسفله ولولا ذلك لكان المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع
وهو الجذب من الذيل فالقيد المفيد في القد اصاب المحز والفيا سيدها اي صادفا بعلها
تقول المراة لبعلها سيدي لدى الباب لدى مخصوص بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ
بخلاف عند فانه قد يتضمنه ويستعمل في الغيبة ولهذا ذكر عند في قوله عند متاعنا دون لدى
فكل منهما صادف محزه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي
ليس جزاؤه الا السجن او التعذيب او استفهامية اي اي شيء جزاؤه الا السجن او التعذيب
كقولك من في الدار الا زيد ما عينت يوسف بل عممت حيث قالت من اراد اي كل من اراد
باهلك سوءا فجزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مرادها من تخويف يوسف
وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استيجابه للعقاب قالت لبعلها لما راها على تلك الهيئة
المريبة ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها واغراء له بيوسف وهي مغتاظة عليه اذ لم
يوافقها فارادت تخويفه حتى تقضي وطرها خوفا من مكرها حين لم تقض حاجتها حبا لها

كقولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن فجمعت بين كيدين وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط
والترديد بينه وبين السجن يدل على عظم موقع السجن من ذوي الاعراض حيث قرنته بالعذاب الاليم
ولما اغرت بيوسف واظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة اي بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء ان يشير اليها ويعينها بالاشارة
لان في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه
اناة ونصفة طلب الشاهد فالواو في قوله وشهد شاهد من اهلها عاطفة على مقدر قيل كان
ابن عم او خال لها صبيا في المهد وما قيل انه كان رجلا حكيما يرده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى رواه
الحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وانما القى الله الشهادة على لسان
اهلها ليكون الزم للحجة عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين من قبيل
المسامحة في احد شقي الكلام لتعين الآخر عند القائل بتنزيل المحتمل منزلة الظاهر لان الشق الآخر
في هذا الشق ايضا محتمل ومن غفل عن هذا قال لانه يدل على انها قصدها فدفعت عن نفسها
فقدت قميصه او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدته حكيت الشرطية
بعد فعل الشهادة لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من الخارج قيل استعارة
الشهادة للشرطية المذكورة لادائها مؤدى الشهادة في اثبات قول يوسف وابطال قولها
ومبناه الغفول عن ان القول المذكور معطوف على مقدر به ينتظم الكلام وهو امر الشهادة
على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت فكذبت وهو على اضمار قد والجمع بين الاستقبال والماضي
المحقق في الشرط والجزاء على تأويل ان يعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن من عليك باحسان
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل اي ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما
جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر علم صدقه
وكذبها قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر من كيدكن من
حيلتكن ايتها النسوان فالخطاب لها ولجواريها او لها ولسائر النساء فانهن قد اشتهرن
بشدة الحيل ان كيدكن عظيم لان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس

وعن بعض العلماء اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان وهذا لانهن يواجهن
الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف حرف النداء لقربه وكمال فطنته
وسرعة فهمه للحديث لذكائه وقيل فيه تقريب له وتلطيف لمحله وفيه نظر لان الاسم الظاهر على
ما بين في كتب المعاني طريق الغيبة اعرض عن هذا اي عن هذا الامر اراد بالاعراض عنه كتمه وعدم
التحدث به ثم اقبل عليها فقال واستغفري انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله لذنبك
ثم اكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب
متعمدا والتذكير تغليبا لتأكيد التعمد فان النسيان في النسوان غالب وقال نسوة النسوة اسم
مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق تاء التأنيث وضم النون لغة
فيه في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر ويفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا كان
صفة لنسوة فانه لا يفهم منه معنى الاشاعة فيها والوجه كونه ظرفا دون صفة امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك والفتى الغلام
وعرفه في المملوك وفي الحديث لا يقل عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي واصل فتى فتي لقولهم فتيان
والفتوة شاذة بمعنى انهن اشعن هذا الامر من حب راعيل ليوسف وصرحن باضافتها
الى العزيز مبالغة في التشنيع لان النفوس اميل لسماع اخبار ذوي الاخطار وما يجري لهم واخترن
صيغة المضارع لدلالتها على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دائما عن نفسه ثم نبهوا على علة
دوام المراودة وهي كونها والهة في حبه بقولهن قد شغفها حبا اي خرق حبه الشغاف
وهو حجاب القلب حتى وصل الفؤاد وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل وفيه
مبالغة في التعشق بذكر الشغاف والابهام والتبيين كانه من استيلاء حبه على قلبها قد شق
شغاف قلبها وتمكن في حبة قلبها وسويدائه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه
فاحرقه بالقطران ثم نعين ذلك عليها فقلن انا لنراها في ضلال مبين عن الرشد وبعد عن الصواب
مبين واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي
الماكر مكره بل لانه قلن ذلك لترين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت
لهن متكأ اي سوت وهيأت لهن ما يتكئن من النمارق والوسائد وقيل متكأ مجلس طعام
وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب كعادة المترفين ولذلك نهي ان يأكل
الرجل متكئا والاول يناسب المقام لما فيه من مقابلة المكر بالمكر كانها قصدت بقعودهن

متكآت والسكاكين في أيديهن ان تقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها اذا لهين وشغلن عن انفسهن من الدهش والحيرة عند رؤيته لان المتكي اذا دهش مال عن متكائه فوقعت يده على يده وقرئ متكا مفعلا اذا اتكا ومتكا وهو الاترج او القطع من متك الشي بمعنى بتكه اذا قطعه وآتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا لصالح ما يحتاج الى قطعه مما قدم من اللحوم والفواكه وقالت اخرج عليهن وذلك في حال اكلهن يعالجن بالسكين فلما راينه عطف على محذوف تقديره فخرج فلما راينه وحذفه ههنا كحذف وضرب في قوله اضرب بعصاك الحجر فانفجرت وفيه دلالة على سرعة امتثاله لامرها اذا كان بالمعروف اكبرنه اعظمنه واعجبن من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى اكبرن حضن يقال اكبرت المراة اذا حاضت واصله دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر والهاء للسكت او ضمير المصدر او ضمير يوسف على حذف اللام وايصال الفعل اي حضن له من شدة الشبق ومنه قول ابي الطيب
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت في الخدور العواتق *
وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش والتضعيف للتكثير كان الجرح وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبها لا يشعر به لما دهمت بما راعها من جمال يوسف عليه السلام فكانها غابت عن حسها اثرت رؤيته عليه السلام فيهن ولم تؤثر في امراة العزيز لطول الصحبة والاعتياد والتغيير صفة اهل البداية وقلن حاش لله تنزيها له ثم من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وحاش الله حاشا خففت بحذف الالف وهي كلمة تفيد معنى التبرئة والتنزيه ومن زاد على هذا قوله في باب الاستثنا فقد خبط لما عرفت انه يفيد المعنى المذكور في غير مقام الاستثنا وانه في ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثنا اذ لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقولك قام القوم حاشى زيدا ولم يدر ان معنى التنزيه انما استفيد لدلالة الكلام على براة زيد من الاساة لان حاشى في مقام الاستثنا يقتضي ذلك قطعا الا يرى انه لو ذكر بدل اساة فعلا اخر لا يفيد المعنى المذكور واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشى الله بغير لام بمعنى براة الله وحاشًى لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية

وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم ما هذا بشرا لان مثل هذا الجمال غير معهود للبشر واعمال ما عمل ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وما هذا بشرى اي بعبد مشترى حاصل بشرى فلا يطابق قوله ان هذا الا ملك كريم لان هذه الشارة الرائقة بالحسن والهيئة في الجمال لا تكون الا للملك وقد ركز في الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما او لان الجمع بين الجمال الرائق والعصمة البالغة لا تكون الا للملائكة. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي به واللوم الوصف بالقبيح على وجه التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه وكن خطاب لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذي صدع منكن الاكباد وتقطيع الايدي فيه ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك العبد الكنعاني لمتنني بسبب الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورته بما عاينتن لعذرتني او فهذا الذي لمتنني به وانما قيل ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا لمنزلته في الحسن واستبعادا لمحله والوصف ان يثبت له استحقاق ان يحب ويبتلى به ولقد راودته عن نفسه الاخبار عن المراودة المذكورة موكدا بالقد واللام يدل على انه لم يخبر عنها قبل هذا وما قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها بذلك فاستعصم طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن عذرنها كي يعاونها على الانة عريكته والاستعصام بنا مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شي انذر منه على غاية عصمته ونهاية طهارته وفي الفا التعقيبية دلالة على انما صدر عن يوسف بين المراودة والاستعصام فعل ينفصل عنهما لكن ههنا تبين ان الواقع من جانبه عليه السلام مجرد هم غير اختياري فما زيد على ذلك وذكر في كتب التفاسير والقصص مردود بنص الكتاب والله الهادي الى الصواب ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به كما في قولك امرتك الخير او امري ومعناه موجب امري ومقتضاه فيكون الضمير له عليه السلام واللام في لئن موطئة القسم محذوف وجوابه ليسجنن وجات النون المشددة لانها آكد من الخفيفة ثم عطف عليه وليكونا بالنون المخففة لان الصغار اخف من السجن وقرئ بالنون المشددة والاول اولى معنى لما تقدم ولفظا لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا

في الخفيفة من الصاغرين من الاذلاء من صغر بالكسر يصغر صغارا وصغرا واما الصغير
فمن صغر بالضم يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه
من ركوب المعصية وهي محبة الاختيار والايثار لا محبة النفس فانها تهوى ما تدعوني اليه
دليله قوله اصب اليهن ودلت الاية على ان النسوة راودنه عن نفسه ولذلك قال اذ راودتن
يوسف عن نفسه ويجوز ان يكون اسناد الدعوة والمراودة اليهن لانهن نصحن له وزين
له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن لانه تجلد على الله وتصبر بقوله رب السجن
احب الي وكان حقه ان يسال العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي
بالتثبت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي
والصبو الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها
وقرئ اصب من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فاجاب
الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف
فصرف عنه كيدهن ثبته على العصمة تفسير للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين
العليم باحوالهم ثم بدا لهم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات هي الشواهد على براءته
كشهادة الصبي وقد القميص واما قطع النساء ايديهن فليس منها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر
لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم وهو ليسجننه وهو جواب قسم
محذوف والقسم وجوابه معمول للقول المحذوف تقديره قائلين وما كان ذلك الا باستنزال المراة
لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها حتى انساه ذلك بعد ما عاين
من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من
طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به
بعضهم العزيز ومن معه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت
ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون او يحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اي عبدان للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او
شابا والواو للعطف على محذوف تقديره اصرايهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي

في صحبة السجن فان مع حقيقة فيها فلا تصرف عنها الى المجاز الا لصارف كما في قوله واسلمت
مع سليمن والمعنى انه عليه السلام دخل السجن واتفق ان دخل حينئذ اخران من عبيد الملك
شرابيه وخبازه لاتهام بانهما قصدا ان يسماه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي ارى
في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضارا للصورة عند السامع اظهارا للاهتمام بتاويلها
اعصر خمرا وفي قراءة ابن مسعود عنبا واطلاق الخمر على العنب مجاز من باب تسمية الشيء بما
يؤول اليه ونكتة المجاز بيان ان عصره للتخمير لا لامر اخر على وجه الايجاز وقال الاخر وهو
الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله نبئنا بما سيقع من
الامور المغيبة بتفسير المشكل والافصاح عن معناه لابهامه فسماه التاويل والضمير لما قصا
عليه جاريا مجرى اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين الذين يحسنون
تاويل الرؤيا قالا ذلك لانهما راياه يعبر رؤيا بعض اهل السجن او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه لما استعبراه اراد
ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم لذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول
وهي الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة الانبياء في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق
فقال لا ياتيكما من عند اهلكما او صديقكما او من غيرهم تحتاجان اليه من الطعام في
السجن الا نباتكما بتاويله اي بيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما فيجعل يبينهما كل يوم ما
يحمل اليهما من الطعام قبل ان ياتيهما ويقول اليوم ياتيكما كذا وكذا من الطعام من صفته كيت
وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير في نباتكما بتاويله راجعا الى ما استعبراه عنه
اي سانبئكم بتاويلها فقصصتما علي قبل ان ياتيكما وظيفة الطعام الذي ترزقانه فكانهما
قالا له عليه السلام كيف تعلم ذلك فهو غيب فقال ذلكما اشارة الى التاويل اي ذلك التاويل
والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل
لما قبله وتشويق لهما الى الايمان اي لاني تركت ملة قوم انتما على دينهم وهم اهل مصر وكانوا
مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم بالاخرة هم كافرون
لما اراد ان يحبب اليهما الايمان والتوحيد ويكره اليهما الكفر والفسوق فقال بهذه الكراهة لان
امتنعت عن ملة قوم ليسوا من الايمان بالله في شيء ولا من الايمان بالاخرة وعدل عن الجملة
الفعلية الى الاسمية وكررهم وقدم الاخرة للدلالة على انهم قوم عادتهم الكفر فهو لهم كالطبيعة

لا لامر عارض وانهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين على ملة ابرهيم
ولتخصيصهم بالآخرة والجزاء فان علمي التوحيد والمعاد هما اساس الدين وللتعريض بان ما هم عليه
من الظلم والكبائر لا يرتكبه الا من هو كافر بدار الجزاء واتبعت ملة آبائي فيه اطلاق الاب على
الجد وقد روجه ابرهيم واسحق ويعقوب اي اتبعت ملة آبائي الانبياء ويجوز ان يكون اعني قوله
اني تركت الى ابتداء الكلام بتمهيد الدعوة بعد اظهار المعجزة واثبات انه من بيت النبوة والشرف
والكمال والكرامة لتقوى رغبتهما في قبول كلامه واتباعه ووثوقهما به ولهذا يجوز للعالم الخامل
ان يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدي بهداه ما كان اي ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك
بالله من شيء اي شيء كان وتعميم مفعول نشرك وتاكيد النفي بزيادة من ليكون كالبرهان على
امتناع اشراك الاصنام به تع على ابلغ الوجوه وانه اذا لم يجز الاشراك بشيء ما به ولو كان اشرف
الاشياء فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحي والاختصاص
بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم اليه ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم
لا يشكرون فضل الله عليهم ولا يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله علينا
وعليهم بنصب الدلالة وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة اتباعا لاهوائهم
ولا يستدلون بها ولا ينتبهون لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية يا صاحبي
السجن ناداهما باسم الصحبة في مكان المشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة والمعنى
يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار ثم اورد الدليل
على بطلان ملة قومهما بقوله ءارباب متكاثرون في العدد متفرقون بتوزيع الغير المقهورون
تحت قدرته خير ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره مثل
ضربه لعبادة الله تع وحده وعبادة الاصنام وبما قدمناه ظهر وجه اصابة التوصيف
بالقهار بحرته وكان الظاهر مقابلة الله بالالهة وانما عدل للتنبيه على ان التعدد ينافي
الالوهية ثم استطرد بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما يعبدون فقال ما تعبدون
من دونه اي تعبدون من دون الله الخطاب لهما ولمن على دينهما الا اسماء سميتموها الا اسماء
بلا مسميات احدثتموها انتم وآباؤكم اي سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية آلهة فعبدتموها
باعتبار تلك الاسماء فكانكم تعبدون تلك الاسماء الخالية من المسميات ما انزل الله بها من
سلطان من حجة تدل على تحقق مسمياتها ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله لانه

المستحق

المستحق للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره ثم بين ما حكم به
فقال امر اي على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك اي تخصيصه تع
بالعبادة هو الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم تدرج في الدعوة فبدا بتقبيح ملتهم في اعينهم وابطالها اولا ثم
تحسين ملة التوحيد وترتبها عليهم وبيان انه من فضل الله تع تنفيرا وترغيبا ثم بين رجحان
التوحيد على اتخاذ الالهة بالتمثيل على طريق الخطابة ثم ابطل الشرك بانه لا حجة عليه اصلا
لا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم البحت ثم صرح بان الحق هو التوحيد وذلك هو الدين
الثابت بالبرهان العقلي والسلطان النقلي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا يا صاحبي السجن لما القى اليهما ما كان اهم وهو امر الدين
رجاء ايمانهما ناداهما ثانيا لتجمع انفسهما لسماع الجواب اما احدكما يريد الشرابي انما لم يعينه
صريحا ايهاما للمراد تحرزا ما امكن واحترازا عن المخاطبة بالقبح والتصدير بالمشروع في
تفصيل المقصود من الجواب عما استفتياه فيسقي ربه سيده ورئيسه اي يسقي ما
برويه خمرا كما كان يسقي قبل اي يعود الى ما كان عليه قيل سقى واسقى لغتان بمعنى
واحد والذي عليه اكثر اهل اللغة معنى سقيته ناولته فشرب او صب الماء في حلقه ومعنى
اسقاه جعل له سقيا قال تع واسقيناكم ماء فراتا واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير
من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي تم ما تستفتيان فيه مما يؤول اليه امركما وهو
ما تعارفه ونجا لاجله وفزع عنه وما ظنان ما راياه في معنى ما نزل بهما فاستفتياه فيه وقيل
جحدا وقالا كذبنا ما راينا شيئا وتجاهلنا لنختبرك فقال ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما
والاستفتاء طلب الفتيا جواب لحكم المعنى وهو خبر الجواب عليه وزمان الاستفتاء لا ينقضي
الم ينقض المعنى الوطر في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيا وقال يوسف عليه السلام
للذي ظن انه ناج منهما الظان هو ايضا هو عليه السلام ان كان تاويله عن اجتهاد والراي
ان كان عن وحي الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه
والنجي الخلاص عن الورطة ليلا ته اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك عسى ان يخلصني
فانساه الضمير للشرابي الشيطان الا انه حقيقة من الله وانما نسب الى الشيطان لانه
كان يوسوسه اليه من الاشغال المانعة عن التذكر والغافل المسببة فان توصيته عليه السلام ب

فيصلب

المتضمنة للاستعانة من غير الله كان سببا للابتلاء الذي ترتب عليه مكثه في السجن مدة مديدة
ذكر ربه اي ذكر يوسف للملك والاضافة لادنى مناسبة ومن جوز ان يكون المعنى انسى
يوسف ذكر الله تعالى حتى استعان لم يرد ان حق الكلام ح ان يدخل قال ويدخل جملة بعد
اخريها ولا تاييد لما ذكره في قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس انما تاييده لما ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين البضع ما
بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل على انه عليه السلام لبث فيه
سبع سنين وقال الملك اني ارى حكاية حال فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف لما دنا فرجه عليه السلام راى ملك مصر في المنام سبع بقرات سمان خرجن من
نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد التوت اليابسات على الخضر حتى
غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات وسمان جمع سمين
وسمينة ككرام صفة اجريت على المميز دون المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس والعجف
غاية الهزال والعجاف جمع عجفاء وقياسه عجف لان فعلاء افعل جمع فعل لكنه حمل على النقيض
كحمل النظير على النظير وانما اجريت عجاف على سبع للاستغناء عن التمييز بالمميز الذي هو
الجنس والتمييز انما يكون بالجنس فلو جعل عجاف مميزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز
ثلاثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع
بعد تميزه بالجنس تقديرا اخر جع الى الاول واخر عطف على سبع يابسات منصوب المحل
صفة على قياس عجاف في الاول يا ايها الملا خطاب للاعيان والاشراف من العلماء والحكماء
افتوني في روياي عبروها ان كنتم للرويا اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان
او لتقوية العامل لان الفعل اذا تاخر عن معموله ضعف تاثيره فقوي باللام كاسم الفاعل
ويجوز ان يكون للرويا خبر كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه
وتعبرون حال او خبر بعد خبر وان تضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان
كنتم تنتدبون لعبارة الرويا والعبارة المجاوزة وعبرت الرويا جاوزتها اي جاوزت
صورتها المخيلة المرئية الى الصورة الكائنة في نفس الامر وعبرت اثبت عند اهل اللغة
وعبرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطعت قالوا اضغاث احلام هذه اضغاث احلام

او امثال هذه اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من اخلاط النبات
وحزم شبه بها تخاليط الاحلام المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان فاستعير للرويا
الكاذبة والاحلام جمع حلم بالضم وهو رويا كاذبة لا حقيقة لها وفي الخبر الرويا من الله والحلم
من الشيطان اخرجه عن جنس الرويا لعدم ترتب اثره عليه والاضافة بمعنى من اي اضغاث
من احلام وانما جمع ولم يكن الا حلم واحد لتضمنه اشياء مختلفة وقيل للمبالغة في الوصف
بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدة وما له
الا عمامة واحدة تزيدا في الوصف وعلى تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتاويل
الاحلام بتاويل المنامات الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سوال التعبير
واسقطوا احتمال السوال بطلب التاويل لانه اوسع دائرة من التعبير فتداركوه باظهار
العجز عن تاويل الاباطيل وفيه دليل على انهم نزلوا ما راه لتضمنه الاشياء منزلة الاحلام والا
لكان حقهم ان يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن
وهو الشرابي وادكر جملة حالية وادكر بالحال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة
اي تذكر بعد امة بعد جماعة من الزمان طويلة حتى استفتى الملك في روياه واعضل على
الملا تاويلها وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ
بعد امه بالتاء اي بعد نسيان انا انبئكم بتاويله عمن عنده علمه فارسلون اليه لاساله عنه
والمعنى فارسلون الى يوسف فاتاه فقال يوسف فحذف الجار ايها الصديق ناداه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تاويل روياه ورويا صاحبه
واختبر حاله في السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات اي في رويا ذلك لعلي ارجع الى الناس الى الملك ومن عنده وانما بنى الكلام
على الظن لانه تادب بصحبة يوسف عليه السلام فلم يجزم في الرجوع اليهم فربما اخترم دونه
ولا في علمهم فربما لم يعلموا وقيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم يعلمون فضلك ومنزلتك فيخلصونك
من محنتك قال تزرعون خبر في معنى الامر كقوله يومنون بالله واليوم الاخر ويجاهدون
وفائدة اخراج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب المامور به والاعتناء بشانه
فيجعل كانه قد يوجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر قوله فذروه سبع سنين
دابا بسكون الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا واظب اي على عادتكم المستمرة

وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة
حالا فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين نصيحة
خارجة عن التعبير واشارة برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين الا
بحيلة ابقائها في السنبل ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد اى سبع سنين شداد فحذف
المميز لدلالة قوله سبع سنين يأكلن ما قدمتم لهن اسند الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث
انه يؤكل فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون
لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام لم يقل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث
الناس يمطرون فيه من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث فعلى الاول مبني من
ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث والغوث
الذي يأتي على شدة خاصية تنفي المضرة وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والقصب
والزيتون والسمسم لكثرة ما يعصرون من الفواكه وغيرها وقيل تحلبون الضروع وقرئ
تعصرون على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون
المبني للفاعل ايضا منه اى يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السماء
عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع
العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين نصحهم وهداهم الى التدبير فيها ثم
بشرهم بان العام الثامن يجيء مخصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء الجدب الى
الخصب وان السنة الالهية جارية بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم وقال الملك
ائتوني به بعدما جاءه بالتعبير به اى بالمعبر ففي الكلام حذف فلما جاءه الرسول يوسف عليه
السلام ليخرجه من السجن قال يوسف ارجع الى ربك انما تأنى في اجابة الملك وقدم سؤال
النسوة لتظهر براءة ساحته عما قذف فيه وفيه دليل على ان السعي في دفع التهم واجب
وجوب اتقاء الوقوف في مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه او لبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ومن زاد على اذكر قوله وليعلم انه سجن ظلما فلا يقدر
الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون على دفع الوهم المذكور
فان في التأخر مخافة الآفة وحال السؤال لا يختلف بكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك

قال عليه السلام لاسرعت الاجابة وفي بعض الروايات ما اخبرتهم يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترط
ان يخرجوني وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فاسأله ان يفتش عن
حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه
بخلاف ما اذا التمس منه شيء وانما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما
ومراعاة للادب وانما قلنا صريحا وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض
بها والسؤال عن بالهن يؤدي الى السؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع
مولاتك تعظيم لكيدهن بانه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهاد بعلم الله عليه
وعلى انه بريء مما اتهم به وابعاد لهن بان الله عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال اى الملك مخاطبا
لهن بعد احضارهن ففي الكلام حذف ما خطبكن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه
لعظمه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن اذ دعوتموه اليه قلن حاش لله
تعجبا من عفته عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس
المكروه عنه عليه السلام بالتنكير وزيادة من وانما قلن عليه لان مرادهن نفي ما يسوءه لا ما يسوء
الغير قالت امرأة العزيز فصله عما قبله ولم يقل وقالت لان مبنى الوصل على دخولها في
الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة فيه الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص
البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حصحص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه لما
سمعت مقالتهن في براءة يوسف اقرت باعظم مما قرن به اذ كانت هي اقوى سببا فيما جرى
من المراودة ومن بحثه ولا ابهة اجلى من اعترافهن على انفسهن وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة
وهن خصومه والفضل ما شهدت به الاعداء انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي
راودتني عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف لما جاءه الرسول واخبره بكلامهن فحذف ما حذف
لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اى ذلك
التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول
اى لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة وان الله اى وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين اى لا يهدي الخائنين في
كيدهم كقوله ولا تتبع سبيل المفسدين اى لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله ايضا هو قول

الذين كفروا اى يضاهون الذين كفروا فى قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من
له السليقة وفيه تعريض بامراة العزيز فى خيانتها امانة زوجها وتوكيد لامانته ولذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسى نفيا لتزكية نفسه وهضما لها واحترازا عن اعجابها بالامانة
وعصمتها واقرارا بان ذلك بتوفيق الله ورحمته وتسديده وعصمته لا منه اى وما
ابرئ نفسى من الزلل ولا ازكيها ولا اشهد لها بالبراءة وهو اعنى نفى البراءة والتنزيه
المختصة بهذه الواقعة وارادة الهم المذكور الذى هو ميل النفس لا القصد الاختيارى
والا عامة فى جميع الاحوال ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتاكيد بعد التلويح والمراد النفس
الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه من الشهوات باعث للقوى والجوارح عليه
الا ما رحم ربى الا ما عصمه الله برحمته نصب على الظرف من اعم الاوقات اى الا وقت
رحمة ربى وعصمته او على الاستثناء المتصل اى الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة
واللام فى النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف السوء كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو
من كلام امراة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه اى لم اكذب
فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة
فانى قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فهو اعتذار منها عما سلف
ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام وفيه
تكلف صرف الخيانة عن معناها الى معنى الكذب ان ربى غفور رحيم يغفر هم النفوس
ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك
ائتونى به لما اقر النسا بما اخبرن قال ملك مصر جيئونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا
لنفسى لما ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستنطقه
اى الملك فالفاعل تكلم ضمير يوسف اى فلما كلم يوسف الملك وراى حسن منطقه
لما صدق به الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه
قال انك اليوم لدينا مكين اى ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شى قيل توفى العزيز
فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه زوجته فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم ومنشا
قال اجعلنى على خزائن الارض اى ولنى امرها والارض ارض مصر لما وصفه الملك بالتمكن عنده

والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين انى حفيظ لها احفظ ما استحفظ
عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضاء احكام الله تع واقامة الحق وبسط العدل والتمكن
مما لاجله يبعث الانبياء ولعلمه ان احدا لا يصنع بذلك ولا يقوم مقامه فيه فطلب التولية
ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد
لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا باستظهاره وعن مجاهد
انه قد اسلم على يده عليه السلام وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف فى الارض
ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى لدخول جملتها تحت مملكته
وسلطانه نصيب برحمتنا نعطى بعطائنا من نشاء فى الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفى اجور احسانهم عاجلا واجلا ولا ينقص من اجورهم فى الاخرة بسبب ما اعطيناهم
من الملك والغنى شيئا ولهذا قال ولاجر الاخرة خير لانه الدائم الذى لا يفنى للذين امنوا
وكانوا يتقون اى وداموا على التقوى من باب وضع الظاهر موضع الضمير تنويها بذكر
الايمان والتقوى وتبيينا لماهية الاحسان واصله بانه هو الايمان والتقوى اى
العلم والعمل وايما الى ان اجر الاخرة انما يستحق بهما وان غير المؤمن التقى اعنى عن الشرك
لا نصيب له فى الاخرة قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والاخرة
والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفيها شهادة
من الله ليوسف لكثرة روى انه اصاب بالاحسان واشارة الى ان حاله فى الاخرة
خير من حاله العظيمة فى الدنيا وايذان بان الاحسان هو الذى لا يضيع الله اجره وجاء
اخوة يوسف اى من كنعان من ارض فلسطين من نواحى الشام الى مصر ليمتاروا منها
فوصلوا الى يوسف للميرة روى انه اصاب بلاد الشام وارض كنعان نحو ما اصاب
ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم
لانه فارقهم وهم رجال ملتحون وراى زيهم قريبا مما كان قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه
فى سن الحداثة غير ملتح ولحسبانهم انه هلك ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان
عن حاله التى فارقوه عليها وتبدل زيه وابهته الى ما هم من التهيب والاستعظام مما
يكره المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة

وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر عدة المسافر من الزاد وما يحتاج اليه
المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد اخرى ومنه جهاز العروس
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة تقتضي هذا الامر روي انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من
انبياء الله اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم
انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن
يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا
حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم
على الاتيان باخيهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف اي المضيفين يعني
في قطره وفي ازمانهم وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم يونسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان
لم ياتوا اليه به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون يحتمل ان يكون نهيا وان يكون نفيا مستقبلا معناه النهي وحذفت النون وهو
مرفوع كما حذفت في قوله فبم تبشرون وان يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا
كيل لكم فيكون مجزوما تلطف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب قالوا سنراود عنه
اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعد بقولهم وانا لفاعلون
لا محالة لا نتوانى فيه ولا نقصر او لقادرون على ذلك وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع
فتى وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل
رجل واحد يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل
ذلك توسيعا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه وتفضلا
ما يرجعون به والرحل اناء السفر من وعاء ومركب لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم تدعوهم الى
الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه ان لم نذهب ببنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل بالياء
اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا ويجوز ان يكون المعنى يكن سببا للاكتيال على الاسناد

المجازي

المجازي لان امتناعه سبب عدم ذهابهم به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكانه هو
المكتال وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل استفهام بمعنى النفي وهذا تقرير وتوقيف وتالم من فراق بنيامين ولم يمنعه من ارساله
لما راى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان في ابنه هذا بائتمانه اياهم في حق يوسف
كانه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم لذلك
لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف واستسلم لله تعالى فالله خير حافظا فاتوكل عليه واعتمد على
حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه اليهم وقرئ حفظا وانتصابه وكذا انتصاب حافظا
على التمييز وكون حافظا حالا ليس بجيد لان فيه تقييد خيريته بهذه الحالة وهو ارحم الراحمين
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم اي وضعت في رحالهم وقرئ ردت بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء
كما قيل قيل وبيع قالوا يا ابانا ما نبغي هذه ما استفهامية منصوبة المحل اي اي شيء نطلب
وراء هذا هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا او نافية اي ما
نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا من احسان الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب
اي اي شيء وراء هذا من الاحسان او الشاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة استئنافية وقعت بيانا لقوله ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب واذا فسر بالكذب والتزيد في القول
جاز ان يعطف نمير على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير اهلنا كقولك
سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعى له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب
والاياب ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا لزيادة وسعة على اوساق
اباعرنا فما نبغي وراء هذه المساعي ذلك اي الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا فلا بد
ان نرجع اليه ونضاعفه او ذلك الزائد لاخينا كيل قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا
يتعاظمه او ذلك الذي يكال شيء يسير زاد عليه ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام يعقوب
اي ذلك المزاد وهو حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم ويأباه
تاخير قال عنه فان حقه ان يتقدم عليه قال لن ارسله معكم البتة بعد ما رايت منكم ما رايت
حتى تؤتون موثقا من الله ما اتوثق به من عند الله يعني الحلف بالله وانما جعله موثقا

من الله تعالى لان الحلف بالله مما يؤكد به العهود وقد اذن الله فيه فهو اذن منه تعالى لتأتنني
به جواب القسم لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او
الا ان تغلبوا فلن تطيقوا الاتيان به مفعول له وقوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تتركوه
لعلة من العلل الا لعلة الاحاطة بكم لانه استثناء من اعم العلل فلا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله
الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك او ظرف مستثنى من اعم الظروف اي لا تمتنعون من
الاتيان به وقتا من الاوقات الا وقت الاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من
طلب الموثق واتيانه وكيل اي مطلع رقيب وقال حين انفذ اخاهم معهم يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا
ذوي ابهة وشارة حسنة مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم
كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في صدور الناس وقد عرف كونهم اخوة والعين مسارع
تأثيرها الى مثلهم ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين
الناس او كان الداعي له الى التوصية خوفه على بنيامين وتأثير العين مما لا ينكر وقد ورد
في الخبر عن خير البشر العين حق وفي خبر اخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وانه
عليه السلام كان يعوذ الحسنين فقال اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين
لامة وشهدت به التجربة ولا ينافي ذلك انه لا مؤثر الا الله لان حقيقة التأثير واصله
ليس الا منه تعالى وان ظهر على مظاهر الاشياء بحسب جري العادة وليس هذا لاجل الامتحان والابتلاء
لانه ليس من خوارق العادات وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم
اي لا انفع ولا ادفع ان اراد الله بكم شيئا ولم يرد به الغاء الحذر عن القاء النفس الى محل
الخطر بيان عدم التأثير للتدبير في تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب شان النبي عليه السلام ان يوصي
بنيه على وجه الاهتمام بشيء كرام ثم يبطله ويظهر انه من خطرات الاوهام بل المراد دفع ما يخطر
بالبال عند سماع مثل هذا المقال من معارضة التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام
بما مرجعه الى ان الحذر لا يغني من القدر ومع هذا لا بد للعاقل من الحذر عن مظان الضرر ولذلك
امرنا به في قوله تعالى خذوا حذركم ونهينا عن خلافه في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ان الحكم الا لله اي ليس الفصل بين الامور على ما تقتضيه الحكمة الا لله تعالى ولما كان نفي
توصيتهم مظنة التوسل بالاسباب العادية تداركه بقوله عليه توكلت اي فوضت اموري

الى الله يدبره كيف يشاء وتقديم الصلة لتخصيص التوكل به تعالى وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين
حرفي العطف مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف على ما فعله من تخصيص التوكل بالله تعالى في
حفظهم وبالفاء التسبيب لان فعل الانبياء سبب لان يقتدى به اي وعليه خاصة اذ خصصته
بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل متوكل فليتوكل كما عليه توكلت
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم من الله من شيء
اي ما كان دخولهم في البلد متفرقين على راي يعقوب مغنيا عنهم من قضاء الله في حقهم شيئا
الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي لكن كان اضطرابا في قلبه ودغدغة في خاطره ازال ذلك
عن نفسه واما ما قيل فرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة
على يعقوب فلا يناسب المقام لان مساق الكلام في عدم تأثير تدبيره فيما وصاهم به
وهو الاحتراز عن مظنة الضرر من جهة اصابة العين بهم لا من جهة اخرى وانه اي
وان يعقوب لذو علم عظيم وفي التنكير للتعظيم توطئة لما في قوله لما علمناه من كمال التفخيم
الحاصل من اضافة التعليم الى نفسه تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر ايجاب الحذر مع
انه لا يغني شيئا من القدر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام
او في المنزل والايواء الضم والتصيير الى موضع الراحة ومنه المأوى وهو المنزل الذي يصير
اليه صاحبه للراحة روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا وقال لو كان
اخي يوسف حيا يجلس معي فاجلسه على مائدته ثم قال ينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني
له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد
اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال اني انا
اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون بما استمر به عادتهم
من الجفاء في حقنا وذكرك بغير الجميل عندك معايظة لك وكانه قصد الاشارة الى ما هم
بصدد ان يعملوا في حقهم من اسناد السرقة بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك
اتى بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما له بطريق الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفاء فصيحة
عاطفة على محذوف تقديره ظاهر وقد مر تفسير الجهاز جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قد
مر تفسير الرحل قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال فيها وكانت فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره

امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد الايذان الاعلام لقول يسمع بالاذن يقال
اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه ايتها العير القافلة ومنه المثل
لا فى العير ولا فى النفير وهو فى الاصل اسم ما يمتير عليه من الابل والحمير والبغال والقول بتخصيصه
بالابل باطل نص عليه الازهرى ثم قيل لاصحابها كالخيل فى قوله عليه السلام يا خيل الله اركبى انكم لسارقون
من قبيل نسبة الفعل الى جماعة لكلمتهم واحدة لصدوره عن واحد منهم والسرقة اخذ الشئ
من حرز فى خفية بغير حق قيل لم يامرهم يوسف بذلك ولا علمه وانما كان او بعض خواصه
بجعل السقاية فى رحل اخيه على ما امره الله به فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها قالوا
اى اخوة يوسف واقبلوا جملة حالية اى وقد اقبلوا عليهم اى على طالبى السقاية وفيه
تنبيه على ما فى قوله ثم اذن مؤذن من ايجاز الحذف والاقبال مجئ الشئ الى جهة المقابلة
بوجهه وضده الادبار ماذا تفقدون يحتمل ان يكون ماذا استفهاما فى موضع نصب
بتفقدون ويحتمل ان تكون ما وحدها استفهامية مبتدا وذا موصولة بمعنى الذى خبر عن ما
وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف اى تفقدونه وفقد الشئ طلبه عند غيبته ولما فيه
من معنى الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة عن الطلب لكان حقهم ان
يقولوا ماذا فقدتم وقرى تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك
هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى معنييه واخرى بالثانية وقرى صاع
وصوع بالضم والفتح والعين والغين صواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير اى وسق بعير
من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام فى هذا المقام توعيد للمسئ ووعد للمحسن من رئيس تلك
الجماعة الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثانى مصدرا بالواو الفصيحة الدالة على محذوف وهو
جزؤه الاول وحق نظم الافادى وانا به زعيم اى كفيل اديه الى من رده مع الجميع فى
قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ويرد عليه انه لا
دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والتاء بدل من الواو فى قول اكثر النحويين
وقال السهيلى انها اصل بنفسها وقد حكى عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحيوتك فالوا ترب
الكعبة وتالرحمن وتحيوتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض اى فى ارضكم وانما استشهدوا بعلمهم
لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم حالهم فى كرتى المجئ او مداخلتهم ولانهم دخلوا مصر

وافواه رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد ولانهم ردوا البضاعة التى وجدوها
فى رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفى السرقة عن انفسهم فكان حقهم ان يقولوا وما سرقنا الا انهم
ارادوا ان يضمنوا عبارتهم الدلالة على ان الاقدام على مثل هذه السرقة انما يتيسر ممن هو معتاد بها
قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اى فما جزاء سرقته على حذف المضاف ان كنتم كاذبين فى ادعاء
البراءة قالوا جزاؤه اى جزاء سرقته من وجد فى رحله اى اخذه واسترقاقه هكذا كان شرع
يعقوب فهو جزاؤه جملة اخرى لتقرير الحكم والزامه وخبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط او
جواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما لشان
الجزاء كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزى
الظالمين بالسرقة وهذا كلام من لم يشك انهم براء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم
على وجدان الصاع لا على سرقته فبدا باوعيتهم اى فبدا من قال وانا به زعيم وقد تقدم انه مقدم
المنفقدين بتفتيش اوعيتهم وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اى السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة جروا عنها بالصواع فما
دام الكلام منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عائدا اليه من وعاء اخيه وقرى بضم الواو وبقلبها همزة
كذلك اى مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اى علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ما
صح لياخذ اخاه بالسرقة فى دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ
دون الاسترقاق وهو تفسير للكيد وبيان له الا ان يشاء الله نصب على الظرف او المفعول
له اى ما كان لياخذه وقتا من الاوقات الا وقت مشية الله واذنه فيه او لعلة ما الا بمشية
الله تع او الا بسبب مشية الله نرفع درجات من نشاء فى العلم كما رفعنا درجته عليه السلام
فيه وقرى يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه فى العلم
اراد المبالغة فى عدم انتهاء مراتب العلم فى المخلوق ودرجاته لعدم انتهاء المعلومات وعلم
الله ليس بوصف زائد على ذاته فلا يقال له تع ذو علم وبما قررناه ظهر وجه العدول عن العالم
الى ذى علم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له يعنون يوسف قيل ورثت (من قبل)
عمته من ابيها منطقة ابرهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب
انتزاعها منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة
عليه فصارت احق به فى دينهم فبقى عندها حتى ماتت فاسرها يوسف فى نفسه الضمير لما يفهم من

سياق الكلام اي اكثر كراهية ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على محذوف تقديره
وسمع يوسف كلامهم فاسرها وقوله ولم يبدها لهم تاكيد للسابق وبيان للمراد من اللاحق
فانه علم عنه انه عليه السلام قال في نفسه انتم شر مكانا اي شر منزلة في سرقتكم اخاكم من ابيكم
والله اعلم بما تصفون اي يعلم ان الامر ليس كما تصفونه من نسبة السرقة الينا وصيغة
افعل للمبالغة لا للتفضيل على معنى والله اعلم منكم بما تصفون اذ لا علم لهم به فان ما قالوه
ناش عن الجهالة غير مطابق للواقع قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ذكروا له حال
ابيهم في كونه شيخا كبير القدر استعطافا له عليه وكانوا قد اخبروه بانه كان له ولد قد
هلك وهذا شقيقه يستانس به وهو احب اليه منهم فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد
والاسترقاق انا نراك من المحسنين الينا والانعام الا بالتمام فاتمم احسانك ومن المعود
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل اي نعوذ بالله معاذا
ان ناخذ من ان ناخذ فاضيف الى المفعول به وحذف من الا من وجدنا متاعنا عنده
اي ان نظلم فان اخذ السارق على فتواكم واجب فلئن اخذنا غيره انا اذا لظالمون في
مذهبكم ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه
اني مامور من عند الله باخذ بنيامين فان خالفته كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحي عاصيا
وانما قال الا من وجدنا متاعنا عنده اجراء للكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا
عن التصريح باسناد السرقة الى اخيه والا فالاخصر لفظا والاظهر معنى ان يقول الا من سرق
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف اي من اجابته اياهم وزيادة السين والتاء
للمبالغة كما في استعصم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي
نجوى او فوجا نجيا حال او مفعول له اي مناجيا او لتناجي بعضهم وكان تناجيهم في
تدبير امرهم والنجي قد يجيء بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر ومنه قوله تع وقربناه نجيا
وقد يكون بمعنى المصدر بمعنى التناجي كالنجوى ومنه قيل قوم نجوى كما قيل واذ هم نجوى
تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه على زنة المصادر
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او رئيسهم وهو شمعون او كبيرهم في الرأي والعقل
وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله
تع موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته وانما قال عليكم لما في اخذه من التكليف

والايجاب ومن قبل ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم فيه وما
مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب بالعطف على مفعول تعلموا كانه قيل الم تعلموا
اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف واما الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل اي وقع من قبل تفريطكم في
يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وموصولة
اي ومن قبل هذا ما فرطتموه في حق يوسف اي قدمتموه من الجناية العظيمة ومحل النصب
او الرفع على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع
او يحكم الله لي بالتوفي او بالخروج منها او بتخليص اخي من يد من اخذه بسبب من الاسباب
ولو بالمقاتلة معهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان
ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
اعتذار من مواعدتهم اياه بحفظه اي ليس من شاننا حفظ الغائب عنا فانا كنا ضمنا
لك حفظه مما يمكننا الحفظ عنه من الآفات في الطريق فاما السرقة فمما لم يكن لنا الى
حفظه سبيل هذا هو الظاهر من الكلام المتبادر الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة
الى صرف الحفظ عن معناه الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام واسأل القرية التي كنا فيها
هي مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها قد مر ان العير تطلق
على القافلة وهم كانوا من كنعان جيران ليعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء وانا لصادقون
تاكيد في محل القسم وفي الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال اخوهم قال
بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل قدر تفسيره عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه
والكبير المتوقف هناك انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهية لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اي يا اسفا تعال
فهذا اوانك والاسف اشد الحزن على الغائب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكون
اجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته او على نفسه ببعثه معهم ويناسبه
ما في لحاق الكلام من التوجع لهما وانما تاسف على يوسف والحادث مصيبة اخويه لان الرزء

به اشد المصائب وانكاها وهو الاخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون
حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد الا يرى الى يعقوب
حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى منادى مضاف الى يا المتكلم ابدلت اليا الفا
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه لا من الحزن وانما هو من البكا المتوالي لانه ثمرة
الحزن فعلل بالاصل الذي نشا منه البكا والحزن الهم الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح
الحا اي الغليظة والظاهر انه عليه السلام كان عمي لقوله تع فارتد بصيرا وقرئ من الحزن وفيه
دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك
نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده
ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا
ردها في جوفه والكظم بفتح الظا مجرى النفس قالوا تالله جواب القسم تفتؤ حذفت منه لا وحذفها
جائز لانها لا تلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا بعد القسم لقيل لتفتأن اذ لا بد في الاثبات
من اللام والنون فقرينة النفي خلوه عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب
وتذكر خبر تفتؤ اي لا تزال تذكر تفجعا عليه تذكر يوسف حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على
الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث والنعت بالكسر كدنف ودنق وقد قرئ بضمتين كجنب او تكون من
الهالكين الهلاك ذهاب الشئ بحيث لا يدري الطالب له اين هو فالميت هالك بهذا المعنى ويطلق
على الدالة لشئ وهو المراد ههنا ولهذا اخر فانه لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقديم قال
انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره وحزني الى الله
اي لا اشكو الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكو الى الله ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهو معنى
توليه عنهم الى الله تع واعلم من الله اي علم من لطفه ورحمته انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب
او اعلم من جهة الله بالوحي ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل انه راى ملك الموت في منامه فساله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد
له ابوه واخوته يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما

والتحسس

والتحسس الاستقصاء والطلب بالحواس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب ومنه الجاسوس
امرهم بطلب يوسف بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تياسوا من روح الله
ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته
في شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية قالوا يا ايها
العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل
كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل فاتمم لنا
ايفا الكيل معدها قدموا باعث الشفقة وموجب المرحمة ولذلك صدره باداة التوجع وتصدق
علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة
لا تلزمه صدقة تمكنا وتواضعا له فلا دلالة فيه على عدم اختصاص حرمة الصدقة لنبينا عليه
السلام نزلوا انفسهم اوضع منزل كانهم قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع والشرى فقد استوجبنا
بذل العطا وعلى الله المكافاة والجزاء ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص
عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تع قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه سؤال عن الملزوم وارادة
اللازم اي هل تبتم عن ذلك ورجعتم الى الله فهو شفقة عليهم وتنصح لهم في الدين كما هو عادة
الانبيا عليهم السلام لا معاتبة وتثريب لهم ايثارا لحق الله على حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم
اليوم فلا يناسب تقدير القبح على ان يكون المعنى هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو عن نوع توبيخ
وتثريب والمراد من فعلهم باخيه افرادهم اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم
الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك اعتذارا من جانبهم واظهارا
للشفقة في حقهم حتى يوثر تنصيحه لهم وتحريضه اياهم على التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقوب في
تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لا
لانهم ح كانوا صبيانا لانه لا يطابق الواقع وينافي ما تقدم من قولهم ونحن عصبة بل لان فعلهم
فعل الجهال قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام ويدل عليه
قراءة انك على الايجاب وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات قيل عرفوه

بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف انما قال
وهذا اخي حين سالوه عن نفسه بيانا لما سالوه عنه اي هذا اخي من ابي وامي تفخيما له وادخالا
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة
ثم ذكر ان السبب من الله هو التقوى والصبر فقال على طريقة الاستيناف التعليلي انه من يتق
الله في اموره ويصبر على بلاياه او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع هم للتنبيه على ان المتقي الصابر هو المحسن والتسجيل عليهم بالاحسان
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا ان كنا متعمدين الاثم فلذلك اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن
بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه
ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب
بماء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اي لا تثريب مستقر
عليكم اليوم ولا يجوز تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله ولا يجوز
ذلك لان معمول المصدر من تمامه والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
ثم دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق يغفر اي ابشركم بغفران الله عاجلا لما
تجدد اليوم من توبتكم وندمكم على خطيئتكم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله بالصفة التي هي
سبب الغفران بقوله وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب
فيرجى منه قبول دعائه لهم بالمغفرة وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان
اهل مصر كانوا ينظرون اليّ بالعين الاولى ويقولون سبحان الله من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي من حفدة ابرهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث اوه جبريل ان ارسله
اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
اي يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما ويدل عليه فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير ويصدقه
واتوني باهلكم اجمعين اي بابي جميعا ولا حاجة الى التغليب على ان يكون المعنى واتوني

ابي وانتم لان اباهم لما كان شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهلهم ولما فصلت العير
يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشيء فصلا
فرق وهو متعد والمعنى انفصلت العير من عريش مصر ومن غفل عن التفصيل المذكور قال اصله
فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله صار كاللازم قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ما عبق بقميصه من ريح يوسف حين اقبل به يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو نقصان عقل كامل يحدث من الهرم يقال شيخ مفند
اي قد فسد رايه ولا يقال عجوز مفندة لان المراة لم يكن لها راي اصيل فيدخله التفنيد
وجواب لولا محذوف اي لولا نسبتكم اياي الى الخرف لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما
ان جاء البشير وهو يهوذا روي انه قال انا احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم افرحه بحمل هذا اليه
القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب او طرح يعقوب نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف
وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا
من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن
حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الى ان
يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي
انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك على
النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم واما قيل اخره
الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فاباه سوف لانها ابلغ
في التنفيس من السين وعلى ما ذكر حق العدة ان تكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار
رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور يغفر المعاصي الرحيم يرحم العاصي اذا تاب واستغفر
فلما دخلوا على يوسف وجه يوسف الى ابيه اموالا ليتجهز اليه بها واستقبله يوسف والملك
واهل مصر باجمعهم وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة
اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب

في قوله واله اباتك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى
اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحيوة وعلى هذا لا حاجة الى التاويل وقال ادخلوا
مصر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد كانه ضرب لهم مضرب او بيت حين استقبلهم
في الطريق فدخلوا فيه ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول
المكيف بالامن لا اتصافهم بالامن في دخولهم ورفع ابويه على العرش اي رفعهما على السرير وصفهما
بذلك تكرمة لهما دون اخويه وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى
مجراها والواو لابويه ولاخوته والرفع موخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه
لهما والواو لا تفيد الترتيب وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله وقيل الضمير لله وبابهما له
وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا اذ
لا مطابقة ح بين الرويا والواقع وقد احسن بي جملة على لطف حمل النظير على النظير فعدى
بالبا والا فاحسن اصله ان يتعدى بالى او باللام واما التضمين فلا يناسب المقام لان احدهما
يغني عن الاخر فلا فائدة في الجمع بينهما اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب اكتفا بدلالة النزغ
الاتي ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه على تقدير
ان يكون خطابه عليه السلام لابيه بمسمع منهم ولا دلالة في الكلام عليه وجاء بكم من البدو من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل عمد فنقلهم من البدو نعمة اخرى وفي الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اي اصلح حالكم من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا واغوى نزغ بمعنى نخس من نخس
الرائض الدابة وحمله على الجري وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر
بلاء وشدة كانت احسن موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر الجب للاحتراز عن التثريب
بالفعل في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم والعجب انه قال في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف
قبح ما فعلتم به والتثريب فيه اظهر منه في ذكر الجب ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير
لما يشاء من الامور اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل بلطف تدبيره انه هو العليم
بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء على وجه تقتضيه الحكمة رب قد اتيتني من
الملك بعض الملك وهو ملك مصر ومن قال او بعض ملك مصر فكانه غفل عن قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء وعلمتني من تاويل الاحاديث

بعض

بعض تاويلها لانه عليه السلام لم يوت تاويل جميع الكتب والرويا فاطر السموات والارض
مبدعهما وانتصابه على الصفة او على النداء انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة
اي الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما لما عدد نعم الله تشوق الى لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه
وراى ان الدنيا فانية فتمنى الموت وقيل لما راى امره على الكمال علم انه على الزوال فسال سعادة
الانتقال وليس فيه سوال التوفي في الحال بل سوال الختم على الاسلام متى كان فتوفاه الله طيبا
طاهرا ولقد توارثت الفراعنة بعده ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف
وابائه عليهم السلام الى ان بعث الله نبي موسى عليه السلام والحقني بالصالحين من ابائي او على
العموم وفيه اشكال وهو ان الصلاح اول درجات المومنين ويوسف عليه السلام من اكابر
الانبيا فكيف يليق به ان يطلب البداية وحله ان النفوس المفارقة اذا اشرقت بالانوار
الالهية وكانت متناسبة انعكس النور من كل واحدة منها الى الاخرى كالمرايا الصقيلة
اذا اجتمعت انعكست الصورة من كل واحدة الى الاخرى وح يقوى الضوء وتكمل السعادة
ومن لم يتنبه لهذا قال في الرتبة والكرامة قيل المراد منها عند ذكرها على الاطلاق الانبيا عليهم
السلام لكمال حالهم واستكمال خلال الخير فيهم ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف عليه
السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران
وان جعلت اسم الاشارة بمعنى الموصول فمن انباء الغيب صلته والخبر نوحيه اي الذي من انباء
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا
غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل وبابيه ليرسله معهم جملة حالية
وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام عن هذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة او نقل او
وحي ولم يخف على احد من المكذبين انه عليه السلام لم يكن من حملة هذا الخبر ولا امثاله عن قومه
فاستغنى عن ذكره لظهوره فكان الشك في انتفاء المشاهدة اوقع من الشك في انه لم
يسمعها من احد ولذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحي ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس يريد اهل مكة ولو حرصت وتهالكت وبالغت
في اظهار الايات عليهم بمومنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه اي على ما تحدثهم

به من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ونقلة الآثار ان هو الا ذكر للعالمين عامة وكاين من اية
دالة على وجود الصانع وتوحيده وكمال قدرته وحكمته في السموات والارض يمرون عليها
على الايات ويشاهدونها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والدلائل
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلا عجب ان يعرضوا عن الايات التي
تاتيهم بها وقرئ الارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيرون مصارع الهالكين
وآثارها من الهالكين اقطارها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته للكل الا
وهم مشركون بعبادة غيره من الاوثان او باتخاذ الاحبار اربابا والقول باتخاذه للولد
او القول بالنور والظلمة جملة حالية اي ايمانهم ملتبس بالشرك وعن ابن عباس هم الذين
يشبهون الله بخلقه افامنوا استفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد والفاء للترتيب
على ما تقدم وهو مقدم في الاعتبار ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم
او تاتيهم الساعة اي يوم القيمة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها تاكيد لقوله بغتة قل هذه سبيلي اي هذه السبيل التي هي الدعوة
الى الايمان والتوحيد سبيلي ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه في حالة كوني على
حجة واضحة غير عميا حال من اليا في سبيلي والعامل معنى الاشارة في هذه او بيان وتفسير
لسبيله وعلى بصيرة حال من المستكن في ادعو وانا تاكيد له ومن اتبعني عطف عليه اي
ادعو الى الله انا ويدعو اليه من اتبعني او مرفوع بما في الظرف من معنى الفعل على الفاعلية
اي كائنا او ثابتا على بصيرة انا ومن اتبعني او مبتدأ خبره على بصيرة والجملة ابتداء اخبار
بانه ومن تبعه على حجة وبرهان لا على هوى كغيرهم وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركا
وما انا من المشركين فيه تعريض بانهم هم المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم
لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك
ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرئ نوحي بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم من اهل البدو
وانما دلالة على انه عليه السلام كان في البدو وساكنا لمصلحة مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او
من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة اي دار الساعة

او الحيوة او الحالة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي حض على العمل لدار الآخرة
والاستعداد لها افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعلموا انها خير وقرئ بالتاء حملا على قوله
قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام
اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم
حتى اذا استيأسوا من النصر وعن ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او كذبهم قومهم بوعد الايمان اي لا يؤمنون قريبا ما تمادى ايامهم فان الرسل قبلك قد
تطاول عليهم مدة التكذيب وعداوة الكفار وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصرة لهم في الدنيا وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم
من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
وقد رواه البخاري في صحيحه فقيل في تصحيحه اراد بالظن ما يهجس في القلب على سبيل الوسوسة
وحديث النفس بحكم البشرية لا الظن بمعنى الاعتقاد الراجح فانه غير جائز على آحاد المسلمين فكيف
بالرسل ويجوز ان يراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقيل فظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا وقيل الضمير للمرسل اليهم اي ظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا
من جهة الرسل في انهم ينصرون عليهم وقرئ بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما
اوعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرئ كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل اي وظن الرسل
انهم قد كذبوا فيما اوعدوا به قومهم من النصرة عليهم اما على تاويل ابن عباس واما على انهم كذبوا
عند قومهم لانهم اذا لم يروا لوعدهم اثرا قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونون كاذبين عند قومهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقرئ فنجا من نشاء الرسل والمؤمنين وانما لم
تعظيما لهم وتنبيها على انهم هم الذين يستاهلون ان ينجيهم الله ولا يشاركهم فيه غيرهم ثم
بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ايذانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم
لهم فيلزم نجاة اضدادهم من الرسل واتباعهم ومفعول نشاء محذوف تقديره نشاء نجيته
لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى الضمير
للقرآن لقوله ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وانتصب تصديق على انه خبر كان

المحذوفة انما جعل نفس التصديق مبالغة في كونه مصدقا لما بين يديه وتفصيل كل شيء
عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله ففتحنا
عليهم ابواب كل شيء ومن لم يتنبه لهذا احتاج الى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين ثم تكلف في
بيانه فقال اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط ولم يدر ان عبارة
التفصيل لا تحتمل هذا التاويل وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين وقرئ تصديق
وتفصيل وهدى ورحمة بالرفع اي ولكن هو تصديق ولكن على هذه القراءة مختلف فيها لعطف
الجملة لقوم يؤمنون يصدقونه خصهم بذلك لانهم هم الذين ينتفعون به كما قال هدى للمتقين

بسم الله الرحمن الرحيم المر في تفسيره اقاويل وقيل معناه انا الله اعلم واري تلك اشارة
الى ايات السورة وفيها تعظيم لها ايات الكتاب اللام للماهية والمراد به السورة اي تلك الايات
العظام ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك يعني القران كله ومحله
الرفع على الابتداء وخبره هو الحق اي هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي
ايقاع الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل وفي توسيط هو وتعريف الحق انه هو الذي ذا تحققت
الحق وماهيته فهو هو لا غير والمراد الاخبار عنه بكمال حقيته حيث ثبت على مر الدهور ولم يتطرق
اليه التحريف والتغيير او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف سائر الكتب الالهية فلا دلالة فيه على ان غير
المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الى تعميمه للمنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التصريح بان المراد منه
القران كله على انه لا يجدي نفعا في دفع النقض بحقية ما انزل الى سائر الانبياء وفي درجه في الذي
انزل اليه عليه السلام ضمنا باعتبار انه نطق بحسن اتباعه ما لا يخفى من التعسف وهو بعد اللتيا
والتي يؤدي الى ان يكون ترك قوله اليك خيرا من ذكره والجملة الثانية كالحجة على الجملة الاولى
وطريقتها طريقة الانمارية في الكملة من بني عبس هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها اي
كما انها نعت التفاضل اخرا باثبات الكمال لكل واحد دلالة على ان كمال كل لا يحيط به الوصف وهو
اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك لما اثبت لهذه السورة خصوص الكمال استدرك بان كل
المنزل كذلك لا يختص به سورة دون اخرى للدلالة المذكورة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي
لا يصدقون بانه منزل من الله تعالى لاعراضهم عن النظر فيه واخلالهم بحق التامل في وجوه اعجازه

الله الذي مبتدا وخبر ويجوز ان يكون صفة والخبر يدبر الامر والاول اولى لان قوله وهو
الذي مد الارض عطف عليه على سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي التقابل تعيين
الخبر به فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته على ان كونه كذلك هو المقصود بالحكم لانه ذريعة الى تحقيق
الخبر كما هو مقتضى الوجه الاخر رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها بغير عمد
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل والعمود السارية واصله منع الميل
ومنه الاعتماد والاسطوان غير مرادف له ترونها استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك
وقيل هي صفة لعمد وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية ومقتضى المقام نفي العماد اصلا وذكره
بصيغة الجمع للتعدد في السما وقرئ ترونه اي ترون رفعها بغير عمد قيل وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي
ذلك لا بد ان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا
المنهاج سائر ما ذكر من الايات ولا يخفى ان مبنى تلك الدلالة على ثبوت المساواة المذكورة ولا
دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير ولفظ ثم مستعارة
للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما على
سنن واحد لمنافع عباده ومصالح بلاده لما يوجد بهما من الاثار في الحبوب والثمار كل يجري لاجل
مسمى اي كل منهما يجري لمدة معينة يتم فيها دوره كالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة
لا يختلف جري واحد منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال والشمس
والقمر بحسبان اي بحسبان معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح
البلاد بخلاف ما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجري
صريح في التعدد وما للغاية الى دون اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته في الايجاد
والتصريف نحو المراد يفصل الايات اي ياتي بالايات الدالة على القدرة والتدبير فصلا
فصلا للتمكن من تدبر كل اية على حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر هذه الايات وتفكر
فيها ايقن ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر على الاعادة والجزا فلا بد من الرجوع
اليه بمقتضى وعده والجملتان اما حالان في الضمير في قوله ثم استوى على العرش وقوله وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى من تتمته لانه تقرير لمعنى الاستوا وتبيين له واما مفسرتان له وصفي

تعقيب الاوائل بها للايقان والثواني بقوله ان في ذلك لايات لمن يتفكر من فصل السوابق
لافادتها التعين واللواحق ذرائع الى حصوله لان الفكر التة والاشارة الى تقدم الثواني بالنسبة
الى السامع الثاخرية وكل ذلك فائت على تقدير جعل الموصول وصفا لما قرر الدلائل السماوية اردفها
بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام
ويتقلب عليها الحيوان ولما كان مظنة ان يقال لولا ما فيها من الجبال لكان الثبات فيها ايسر
ومواضع التقلب اكثر دفعه ببيان الفائدة في خلقها بقوله وجعل فيها رواسي من الرسو
وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره ومنه ارسى السفينة والمرسى كانت الارض مضطربة فثقلها
الله بالجبال في احيازها فزال اضطرابها كذا قيل ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت
الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل وانهارا الانهار
المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الى الجبال وتعليق الفعل الواحد بهما
ايماء الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا اكثر قران ذكرها بذكرها في القران ومن كل الثمرات
متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين الزوج قد يكون اسما للشفع وقد يكون للفرد
المقارب لشبهه فاتبعه اثنين ليعلم انه لم يرد به الشفع اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين
متقابلين كالابيض والاسود والحلو والحامض والكبير والصغير واما قيل خلق فيها من جميع
انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ففيه انه دعوى
بلا دليل مع ان الظاهر خلافه فان النوع الناطق المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا فكيف
في الثمرات ويكون واحد من كل اولا كاف في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة حتى يلزم
ان يوجد في الارض صنفين من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي الليل النهار
استعارة تبعية فانه شبه اخفاء نور الجو وستره بالظلمة التي بالتغشية اي يغطي الليل
النهار فيذهب ضوءه ويغشي النهار الليل فيذهب ظلمته فهو مختصر في الذكر مراد في المعنى بدلالة
نظائره ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكوينها وتخصيصها بوجه دليل
على وجود قادر مختار وفي الارض عدل عن الضمير الى الظاهر لان المتبادر منه الظرفية كما في قوله
جعل فيها والمراد ان تكون في نفسها ككون الجزء في الكل قطع وفي بعض المصاحف قطعا على
وجعل وح يكون الاحتياج الى وجه العدول اظهر متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
مثلا صفة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة ورخوة الى صلبة بعضها يصلح للزرع والضرع

حـ
والتحقيق ان فاعلا يجمع على فواعل اذا كان
لغير الادميين على ما نص عليه الجوهري حيث قال
ان فاعلا جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب
او جمع فاعل اذا كانت صفة للمونث مثل
حائض وحوائض او ما كان لغير الادميين
مثل جمل بازل وبوازل وحائط وحوائط
فاما مذكرا يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس
وهوالك ونواكس وبهذا التفصيل تبين
فساد قيل رواسي جمع راسية والتاء
للتانيث على انها صفة اجبل
او للمبالغة ح
منه

دون الشجر والثمار وبعضها بالعكس وذلك من الدلائل الناطقة بانه القادر على ابتنائه تخصيص
كل واحدة بخاصية تضاد الاخرى مع اتحادها في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يحدث من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع
وكذا الكروم والزروع والنخيل النابتة في قطعة واحدة من تلك القطاع مختلفة الاجناس
والانواع متفاوتة الثمرات في الوانها واشكالها وطعومها وروائحها متفاضلة فيها
وهي تسقى بماء واحد وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله والفصل به بين نوع جنس واحد وهو
من جنس اخر لما فيه من الفضل حيث كان به قوام المعاش وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على
جنات وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر عطفا على كل الثمرات صنوان جمع صنو
وهي نخلة ذات ساقين تفرعا من اصل واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرئ
بالضم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد وقرئ يسقى بالياء على تاويل ما ذكر اجرا للضمير مجرى اسم
الاشارة ونفضل بعضها على بعض في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ يفضل بالنون
والياء على البناء والبناء للفاعل يطابق ليدبروا نما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع وجود
التفاضل في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم للتفكر وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل عقله لما خلق له فكانه لا يعقل
وان تعجب يا محمد او يا ايها السامع الموحد في انكارهم للبعث فعجب حقيق بان يتعجب منه قولهم
وتقديم الخبر للتخصيص اي ما قولهم الا عجب لا عجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد من الفطر
العجيبة كان على الاعادة اقدر اذ الاعادة اهون من الابداء والبين فانكارهم اعجوبة من
اعجب الاعاجيب ائذا كنا ترابا في محل الرفع بدلا من قولهم او في محل النصب بالقول واذا نصب
بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اي لفي صدد ذلك بعد ما كنا ترابا وهذا ابلغ في الانكار
اولئك المنكرون الذين كفروا بربهم المتمادون في الكفر بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث
واولئك الاغلال في اعناقهم اي المصرون الذين لا يمكنهم النظر والاستبصار ورفع الرؤس
الى ما دعوا اليه وغل الاعناق تمثيل كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ويجوز ان يكون وعيدا
كما بعده واولئك اصحاب النار في تكرير اولئك تعظيم لانكارهم وتاكيد في تقبيحه وبيان
لاستيجابهم العذاب الابدي لذلك اي انهم اذا انكروا ما ثبت بهذه الدلائل الدالة على قدرة

المبدي على الاعادة ودلالتها على الابدآ بل اقوى فما اقبح انكارهم واشد اصرارهم وهم
بالخلود في النار فان عبادته وان كانت مخصوصة بصنف منهم وهم المنكرون للبعث لكن
دلالته تعم سائر الاصناف ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا ما هددهم به من عذاب الدنيا استهزآ وانكارا وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحترزوا حلول مثلها بهم والمثلة بوزن السمرة
العقوبة لانها مثل المعاقب عليه وقرى المثلات كركبة وركبات وهي العقوبة المستاصلة
كقطع الانف والاذن ونحوهما وان ربك لذو مغفرة للناس اللام للعهد والمعهود هم المستعجلون
المذكورون والمراد من المغفرة الستر والامهال على ظلمهم في محل النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة اي ظالمين انفسهم اي ظالمين فان على ابلغ من مع وان ربك لشديد العقاب للظالمين
فلا يهمل وان كان يمهل فلا دلالة في الاية على جواز العفو قبل التوبة لان مبناها على حمل المغفرة
على التوبة وهو غير مسلم عند المخالف ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعنادهم
وعدم اعتدادهم بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم مقترحين مثل
ايات موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك
من الرسل لا للاتيان بما اقترحوا عليك وما عليك الا اتيان ما تصح به نبوتك من الايات والايات
كلها سوآ في ذلك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق
بوجه من الهداية التي تخصهم او قادر على هدايتهم وهو الله تع اي ما عليك الا الانذار فلا يهمك
عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك فليس اليك هدايتهم ولست بقادر عليها انما القادر
على ذلك هو الله تع لكنه لا يهدي الا من يشا من عباده بما يشا من اياته ثم عقبه بما دل
على كمال علمه وتقديره للاشيا على مقتضى حكمته تنبيها على انه عالم باحوال الانبيا والامم
قادر على انزال مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما يجب ان يكون عليه من حكمة من تخصيص
كل نبي بما حض به من الايات واما قيل او عالم بهم قادر على هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه
عليهم بالكفر فرجعه الى التصحيح مبني مذهب الجبرية الله يعلم ما تحمل كل انثى استيناف لبيان
سبب الامتناع من انزال ما اقترحوا واما جملتان الاولى تفسير لهاد اي هو الله والثانية
ابتدا كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز ان يكون جملة قوله الله يعلم مقررة ويكون
من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كانه قيل هو يعلم اي ذلك الهادي ما تحمله كل انثى او حملها

هم فيها خالدون لا ينفكون
عنها وتوسيط الفصل
لتخصيص الخلود بالكفار صح

على اي حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد ما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده غاض جآ متعديا ولازما
وكذا ازداد قال تع وازدادوا تسعا فان جعلا لازمين مقتين ما ان تكون مصدرية واسنادهما
الى الارحام على المجاز فانهما لله تع او لما فيها وكل شي عنده بمقدار بقدر واحد من جهة الكم والكيف
والزمان لا يجاوزه ولا ينقص عنه والمراد من العندية الحضور العلمي اي هو عالم بكمية كل شي
وكيفيته ووقت حدوثه فيهيئ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وهذه الجملة مقررة لما
تقدم وليس في الاتصال كالتي بعدها ولذلك وصل هذه وفصل هي عما قبلها عالم الغيب
الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم في شانه وسلطانه المتعال المستعلي على كل
شي بقدرته فلا يخرج شي عن حكمه كما لا يعزب عن علمه سوآ منكم من اسر القول اي اخفاه في نفسه
ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو اي وسوآ من هو مستخف بالليل طالب للخفآ في مختبا من
الليل وسارب بارز بالنهار يراه كل راء من سرب سروبا اذا برز عطف على من او على مستخف
ومن في معنى الاثنين كما في قول الفرزدق نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سوآ منكم
اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والنكتة في زيادة هو في الاول انه الدال على كمال
العلم فناسب زيادة تحقيق وهو النكتة ايضا في تقديم اسروا عماله في صريح القول على جهر
واعماله في ضميره وفي حذف الموصوف من سارب على الوجه الاول له لمن اسر او جهر واستخفى او
سرب معقبات ملائكة تعتقبه في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جا على عقبه
لان بعضهم يعقب بعضا على الدوام او لانهم يعقبون ما يفعل ويتكلم به فيكتبونه والتا للمبالغة
او لانها جماعات ومن وهم ان اصل متعقبات ادخلت التا كقوله وجا المعذرون اي
المعتذرون فقد وهم لما نص عليه التصريفيون من ان التا لا تدغم في القاف ولا القاف في
التا لا من كلمتين ولا من كلمة ثم ان المعذرون لا يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقرئ
معاقيب جمع معقب او معقبة والتا عوض من حذف احدى القافين في التكسير من بين يديه
ومن خلفه من جوانبه يحفظونه من امر الله اي من الافات التي لا يمكن دفعها باسباب عادية
والانسان ليس في وسعه التحرز عنها فالله بلطفه عين له حفظة يحفظونه من هذا النوع
من الافات قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب
عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وانما

من امر الله اي من الافات التي لا يمكن دفعها
باسباب عادية والانسان ليس في
وسعه التحرز عنها فالله بلطفه عين له
حفظة يحفظونه صح صح

حض هذا النوع من الآفات بالاضافة الى الله وان كان كلها بامره تع لعدم ظهور اسبابها
العادية هذا ما عندي والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات يحفظونه اي له معقبات
ثابتة من امر الله يحفظونه او متعلق بيحفظونه اي من اجل امر الله تع يعني من اجل ان الله امرهم
بحفظه ولا يدل عليه قراءة بامر الله لجواز تعلقه بالسابق اي معقبات بامر الله او يحفظونه
من باس الله اذا اذنب بالاستغفار او الاستمهال عسى ان يتوب وقيل المراد من المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه او على التوهم التهكم به ان الله لا يغير ما
بقوم من العافية والنعمة الى البلاء والنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الصلاح والطاعة الى الفساد
والمعصية واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء او يدفعه بالعنف او باللطف اي لا رافع
ولا دافع ولا شافع ولا نافع اصلا واما الدلالة على ان خلاف مراد الله محال فالاية ساكتة عنها
هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا في نفعه اذا لمع البرق يخاف الصواعق ويطمع في
الغيث كما قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
او يخاف عنده المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخلو عن العيث ويطمع فيه من له نفع فيه
وانتصابهما على الحالية من المخاطبين اي يريكم خائفين طامعين او من البرق كانه في نفسه
من شدة ما يخاف ويطمع فيه عين الخوف والطمع او ذا خوف وذا طمع او مفعول لهما على ان
المخاطبين رائين لان اراءتهم متضمن لرؤيتهم والخوف والطمع من افعالهم حيث انهم فاعلوا الفعل
المعلل الذي هو الرؤية فيرجع المعنى الى معنى قعدت عن الحرب جبنا فيكونان مفعولا لهما
او على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع بمعنى اخافة واطماعا وينشئ السحاب الغيم
المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة وانما وصفت به اسم الجنس في معنى الجمع ويسبح الرعد عن ابن
عباس رض سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون اسناد التسبيح والحمد الى الرعد مجازا من باب الاسناد
الى فاعلية الفاعل اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له يصيحون
سبحان الله والحمد لله ولما كان الرعد باعثا لتسبيحهم وتحميدهم فكانه سبح وحمد وهذا الوجه اولى
لان الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص وهو الذي يقرن بالذكر مع البرق والسحاب
والكلام في اراءة الايات الدالة على القدرة الباهرة وايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلايم

ذلك اما حمل الصوت المخصوص للسامعين على التسبيح والحمد فشديد الملايمة واذا حمل على الاسناد
حقيقة فالوجه ان يكون اعتراضا دالة على اعتراف الملك الموكل بالسحاب وسائر الملائكة بكمال
قدرته تع وجحود الانسان ذلك والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء اصابته فيهلكه وهم يجادلون في الله اي والذين كفروا
وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون ما وصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالالوهية والجزاء بعد مشاهدتهم الايات المذكورة بقولهم من يحيي العظام وهي رميم واتخاذهم
الانداد ونسبتهم الولد اليه قالوا والعطف الجملة على الجملة والمعطوف عليه قوله ويقول الذين
كفروا المعطوف على ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى الاسمية وطرح رعاية التناسب
للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد الايات الا عنادا فزادتهم رجسا الى رجسهم ويجوز ان يعطف
على قوله هو الذي يريكم هذه الايات الكوامل الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه
وهذا اقرب ماخذا والاول املأ فائدة وقيل للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وهو
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل وجه هذا هو ان اربد اخا لبيد العامري وفد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد
من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل
الله تع على اربد الصاعقة فقتله ورمى عامر بالغدة بغده فمات في بيت سلولية وهو يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت اعلم ان في الكلام التفاتا لان قوله سواء
منكم هو الذي يريكم فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وان شئت فتامل قوله اولئك الذين
كفروا بربهم الى قوله الكبير المتعال ثم التفت من الخطاب الى الغيبة وحسن موقعهما اما الاول
فما فيه من تخصيص الوعيد المدمج في سواء منكم ولهذا ذيله بقوله ان الله لا يغير الى قوله من وال
وفيه من التهديد ما لا يخفى على ذي بصيرة ومن الحث على طلب النجاة وزيادة التوبيخ في قوله
هو الذي يريكم ومجيء سواء منكم هو الذي يريكم بعد قوله الله يعلم هكذا من دون حرف النسق
لان الاول مقرر لقوله الله يعلم مع زيادة الادماج المذكور تحقيقا للعلم والثاني مقرر لما ضمن
من الدلالة على القدرة في قوله وكل شيء عنده بمقدار مع رعاية نمط التعديد على اسلوب الرحمن
علم القران مما بهر الايات ويظهر للمتامل في وجه الاعجاز التنزيل العجب العجاب واما الثاني
فما فيه من الدلالة على انهم مع وضوح الايات وتلاوتها عليهم والتنبيه البالغ ترغيبا وترهيبا

لم ينالوا بها نائلة فكأنه يشكو جنايتهم الى من يستحق الخطاب او كمن يدمدم في نفسه اي اصنع
بهم وافعل كيت وكيت جزاء ما ارتكبوه سوى ما يريد ان يوقعه بهم وهو شديد المحال القوي المكر
باعدائه يأتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه
تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال الحيلة واجتهد فيه وقرئ بفتح الميم على انه مفعول من حال يحول
محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة منه وجاز ان يكون شديد المحال على هذه
القراءة مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه أحد لان المحال جمع المحالة
وهي الفقارة فيكون معناه شديد الفقار والحيوان اذا اشتد فقاره كان منعوتا بشدة القوة
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على وجهين ما يقابل الباطل واضافة
الدعوة اليه للملابسة بينهما او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه
دعوة الحق والجملتان على الوجه الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم صلى الله عليه وسلم لحلول محاله
بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليه السلام عليهم او بيان ان دعوته عليه السلام الى التوحيد حق
وعلى قصة اربد ونزول الآية فيها فمعناهما ان اصابته بالصاعقة واصابة صاحبه بالغدة
محال من الله ومكر بهما من حيث لا يشعر او ان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما
بما شئت دعوة الحق او ان دعوتهم لآلهتهم ضلال باطل لتخصيص دعوة الحق به والذين يدعون
من دونه اي والآلهة الذين يدعوهم من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه اي كاستجابة من بسط
كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر
على اجابته فكذلك آلهتهم لانها جمادات كالماء وقيل شبهوا في عدم جدوى دعائهم لآلهتهم
بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه الى الماء ليغترف الى فيه فلم تمسك كفاه شيئا منه ولم يبلغ حاجته
من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه فهو على الاول من تشبيه المركب بالمركب التمثيلي
في الاصل ابرز في معرض التهكم حيث اثبت انهما استجابتان زيادة في التخييب والتحسير وعلى الثاني
من تشبيه المفرد المقيد بمثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيء كالراقم على الماء فان المشبه هو
الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء وكذلك فيما نحن فيه وما
دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا فائدة له اما ضياع دعائهم لآلهتهم فظاهر واما ضياع

دعائهم لله تعالى فلانه لا يجيبهم لكفرهم ويبعدهم عن حيز الاجابة ولله يسجد من في السموات والارض
الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا اختص بالذكر من المخصوص بالعقلاء ويشهد له قوله طوعا
وكرها الساجدون له طوعا هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين والساجدون كرها من ضمه السيف
الى الاسلام وانتصابهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم والسجود ههنا بمعنى الانقياد لارادته تعالى
ولهذا اخره عن قوله طوعا وكرها وانقيادها للتصريف فيه من جانب آخر على ما افصح عنه في قوله تعالى اولم يروا
الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل
ثم اطلق على الخيال الذي يظهر للجرم عند مسامتته للشمس بالغدو والآصال ظرف ليسجد المقدر او حال من
الظلال وقد مر تفسيرهما في سورة الاعراف والمراد بهما تمام النهار قل من رب السموات والارض اي
خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد عليهم اي لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله فانهم
والخصم في الجواب سواء لكونه من البين الذي لا مراء فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون الله فهو قول المناظر لصاحبه اهكذا قولك فاذا اعترف به حكاه تقريرا
له واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة او تلقين اي ان تلعثموا في الجواب
فعلمهم ما يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم
من دونه اولياء الزام وتقرير وتوبيخ اي افبعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه
اولياء فجعلتم ما هو سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الشرك فالفاء عاطفة للتسبيب والتوبيخ
دخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اي لا يقدرون
ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي
الاعمى والبصير تمثيل للمشرك الجاهل الذي لا يهتدي والموحد العالم المهدي الهادي ام هل تستوي
الظلمات والنور تمثيل للشرك والضلالة والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار ومعنى الاضراب ان
تعكيسهم ذلك لما لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف
من التهكم فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله
حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله

مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان والتدرج في شيء قل
الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها
ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية والربوبية القهار لكل شيء
فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له شريكا انزل من السماء من جهتها ماء
التنكير للتكثير وباعتباره صح التوزيع في قوله فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل
الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع
فيسيل في بعض الاودية دون بعض وكذا في الممثل له ليس كل قلب قابلا بل بعض منها دون بعض
بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا احتمل
بمعنى حمل جاء فيه بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه عني به ما فهم والزبد كدر الجوهر السيال
وخبثه المتميز منه بالحركة والخضخضة والغليان رابيا مرتفعا على وجه الماء ومما توقدون عليه في
النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز على وجه التهاون به حيث لم يذكر
الانواع باسمائها بل اجمل بذكر وصفها في احسن الاحوال وادناها بالايقاد كما هو عادة
الملوك اظهار الكبرياء زبد مرفوع بالابتداء او خبره مما توقدون وقرئ يوقدون بالياء اي
ان واضماره للعلم وانتصب ابتغاء على انه مفعول له والحلية ما يعمل للنساء مما يتزين به من
الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما اشبههما من الالات التي هي قوام
العيش كالاواني والمساحي والات الحرث والحرب وغير ذلك والمقصود منه بيان منافعها
ومن لابتداء الغاية او للتبعيض اي منه زبد او بعضه زبد مثله مثل زبد الماء والمماثلة في
كونهما يتولدان من الاكدار والاوساخ كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل
فذلكة وتبيين وكذلك يضرب الله الامثال تاكيد له وتتميم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب
فيذهب جفاء مجفوا اي مرميا به يقال جفات القدر بزبدها وجفاه السيل رمى به واجفا السيل
واجفل وقرئ جفالا والمعنى واحد وانتصابه على الحال واما ما ينفع الناس من الماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض مدة طويلة ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات قدم ما في تكثير الامثال في الكتب الالهية وكلمات الحكماء من الفوائد ولما ضرب الظلمات
والاعمى مثلا للباطل والجهل والنور والبصير للحق والعلم اكد التمثيل الاخير وهو قوله ام هل تستوي
الظلمات والنور بهذا المثل لان الغرض اثبات الحق وابطال الباطل فمثل الحق من العلم

النازل الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء الذي من السماء والقلوب الصافية والفهوم
الصائبة بالاودية وقبولها له بقدر استعدادها بسيلانها بعد سعتها من الجهالات والشكوك
والشبه التي ينفيها العلم بالزبد الذي يرمي به السيل وكذا شبه الحق من العمل الصالح الصحيح بالفلز
الذي ينتفع به الناس باتخاذ الحلي والاواني والامتعة منه والعمل الفاسد الباطل في اضمحلاله
وسرعة زواله بزبده وانتفاء الشكوك والشبه والاعمال الفاسدة وكونها هباء في الاخرة
وبقاء الحق من العلم والعمل وحصول سعادة الدارين بهما والثواب الابدي والنعيم السرمدي
بانتفاء الزبدين في اضمحلالهما سريعا وبقاء ما ينفع الناس من الماء بالسقي والحرث والزرع
وسريانه في عرق الارض الى منابعه وتنوع العيون والقني منه ومن الفلز باتخاذ الحلي
والاواني والامتعة والات الحرث والحرب منه للذين استجابوا لربهم الحسنى كلام مستانف
بعد ضرب الامثال وتمام الكلام فيه والحسنى مبتدا خبره للذين اي للذين استجابوا المثوبة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية والواو عاطفة
الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي
الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على الذين استجابوا وقوله لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين والكافرين اي بهما مثلا الفريقين يعني مثلي سبيلهما ودينهما اولئك لهم
سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب المذنب بذنبه كله لا يغفر منه شيء وماويهم
جهنم مرجعهم بعد الحساب جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف وفي المهاد تهكم
بهم على ما تقدم بيانه في تفسير سورة الاعراف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب
كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن والكافر
من الثواب والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وانكر ذلك متفرعا على ما تقدم فالفاء
للعطف على وجه التفريع وانما قدمت همزة الاستفهام وهي مؤخرة معنى لان له صدر الكلام
انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول المبراة عن شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين
يوفون بعهد الله مبتدا خبره اولئك لهم عقبى الدار او صفة لاولي الالباب وح يكون اولئك
لهم الى استيناف بصفات من استؤنف عنهم اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات دالة
على استيجابهم لعقبى الدار انما كان بسبب تلك الصفات والاول اوجه لان عطف الجملة

الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة يشهد بذلك وعهد الله
ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه و لا
ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وما بينهم وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات وموالاة قرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواصلة المؤمنين كلهم بالاخوة الايمانية ومراعاة حقوقهم بالاحسان
والشفقة والنصيحة ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة وحيا رهبة ولا يخالفونه في شيء عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا عما تحبه
النفس بالهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلب الرضا خاصة لا نظرا الى الخلق رياء وسمعة
او الى النفس زينة وعجبا جاء الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبله وما عطف عليهما
بلفظ المضارع لانه قصد بها الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها
على تينك الصلتين وما عطف عليها لان حصولها مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليهما
ولكونه مما لا بد منه في حصول التكاليف لم يات صلة في القران الا بصيغة الماضي واقاموا
الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن تمنعه المروة
ان ياخذه وعلانية لمن لا تمنعه قيل ومما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في
السر افضل والفرائض لانها بالجهر افضل نفيا للتهمة وياباه التخصيص المستفاد من تقديم الجار
والمجرور في الخبر ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعونها بها اي يجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون السيئة بالحسنة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مآل اهلها والصلاح ان يكون عاقبة وهي الجنة جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن
في الاصل الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان السبع على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة
يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها من غير تاكيد للفصل بالضمير المنصوب
او مفعول معه من آبائهم جمع ابوين كل واحد منهم فيتناول آبائهم وامهاتهم وازواجهم
وذرياتهم انما جمعوا فيها مع قراباتهم ليتم لهم النعمة بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا
بالصلاح دلالة على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع بينهم بل لا بد من شرط الصلاح
ولا دلالة فيه انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم
حتى يستدل به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة خصوصا اذا كان ومن صلح مفعولا معه

والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف سلام
عليكم اي قائلين سلام عليكم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بمحذوف والباء للسببية او البدلية
اي هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم ويجوز ان
يتعلق بالظرف اي سلام عليكم بسبب صبركم ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان الخبر فاصل فنعم عقبى
الدار المخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر
النون فنقل كسرة العين اليها ومن فتحها فسكن العين تخفيفا بلا نقل والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك
لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله ولهم سوء الدار عذاب النار او سوء عاقبة الدنيا لانها في
مقابلة عقبى الدار وانما لم يقل سوء عاقبة الدار تفاديا ان يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة
المطلقة هي الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما كان كثير من الاشقياء فتحت
عليهم ابواب نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه والكفر
والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد
آثامه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فرح بطر لا فرح سرور بفضل
الله عليهم واغتروا به ولم يشكروا انعم الله عليهم ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب ما اعد لاهلها فيها الا متاع الا شيء نزر حقير يتمتع به ولا
يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر فاعل فرحوا اذ لم يجر
لكفار مكة ذكر واضمار فاعل ليقول يجري ذكره ح فاخرج على خلاف الظاهر لارادة التمكين
في ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور والتعين في الاول والذم والتسجيل بالكفر في
الثاني لولا انزل عليه آية من ربه عنادا وجحودا للآيات المنزلة عليه عليه السلام لعدم اعتدادهم
بها واعتبارهم لها ولهذا امر في الجواب بقوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب
قبل الحق ورجع عن العناد وحقيقته دخل في نوبة الخير وهو كلام جار مجرى التعجب من
قولهم كانه قيل قل لهم ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الآيات الباهرة التي لم يؤت
نبي مثلها وكفى بالقران وحده آية ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من الجحود
والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائه وان اتى بكل آية ويهدي من يشاء ممن كان على

خلاف صفتكم من التصميم على الكفر وفي تنزيله اليه من اناب منزلة من يتابا تنبيه على ان
مشية الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين امنوا بدل من من وتطمئن قلوبهم بذكر الله
انسا به او بالقران او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه
جملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب بغيره الذين امنوا وعملوا
الصالحات بدل من القلوب على تقدير المضاف اي قلوب الذين امنوا او مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرى
طيبى بكسر الطاء وهي من المصادر المنصوبة والمعدولة الى الرفع اي طيبا لهم وطيب لهم كقولك
سلاما لك والقراة في قوله وحسن ماب بالرفع والنصب بدل من محليهما واللام في لهم للبيان مثلها
في سقيا لك وتكون الجملة الدعائية خبرا على التاويل كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشان
الذي له فضل ومزية على سائر الارسالات او مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها قد تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلوا لتقرأ عليهم الذي اوحينا
اليك من الكتاب العظيم وهم يكفرون وحال هولاء انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الذي
وسعت رحمته كل شيء فكفروا نعمه خصوصا ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا
القران المعجز المصدق لسائر الكتب الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية وقيل نزلت
في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي
امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
مرجعي ومرجعكم فيحكم بيننا قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال دال على ان اسم الاشارة
والموصول فيما تقدم لتعظيم القران وتفخيم شانه او قطعت به الارض او كلم به الموتى جواب لو
محذوف اي ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت به الارض
حتى تتصدع قطعا قطعا من خشية الله او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه
غاية في التذكير والاعجاز ونهاية في التخويف والانذار كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقيل اراد به المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي
ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الاية قيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرائتك الجبال
عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى

الشام

الشام او ابعث من كنانة قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى
هذا فتقطيع الجبال قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنه
لو من معنى النفي اي بل لله القدرة على كل شيء اهل القدرة على الاتيان بما اقترحوا من الايات
الا انه لم تتعلق ارادته بذلك لعلمه انهم لا يؤمنون ويزدادون العناد والجحود ويويده
قوله افلم ييأس الذين امنوا اي عن ايمانهم مع ما راوا من مكابرتهم وانكارهم والاكثر على
ان معنى افلم ييأس افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس فيكون بمعنى افلم يعلم وانما استعمل اليأس بمعنى العلم
لانه مسبب عن العلم بان المايوس لا يكون وقيل هي لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا لان معناه نفي هداية بعض الناس لعدم تعلق المشية
باهتدائهم وتعلقه على الاول بامنوا اي ولم يقنط من ايمان هولاء الكفرة الذين امنوا
بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل اي القارعة قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها حتى ياتي وعد الله اي الموت او
القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا
يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من
دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك
ان الله لا يخلف الميعاد لا لعدم القدرة عليه لان ما تعلق به الوعد كان ممكنا وتعلقه لم
ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته تعالى بل لان الخلف لا يليق
بشانه تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للمستهزئين والمعترضين عليه فامليت للذين كفروا الاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي كان عقابي اياهم استفهام معناه التعجب
مما حل بهم والتقرير وفي ضمنه وعيد من في عصره عليه السلام من الكفار افمن هو قائم على كل
نفس افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شيء من
اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن هو ليس كذلك وجعلت

الهمزة على القالة للانكار ان يسووا من هو مطلع على سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بمن هو على
خلاف بعد علمهم بما حل بالمكذبين من الاخذ المفاجئ والبطش الشديد وجعلوا لله شركاء
استئناف او عطف على مقدر اي لم يوحدوه وجعلوا وفيه اظهار في موضع الاضمار للتهويل
والتوبيخ والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت ويؤيده ما بعده اسلوب بديع ضمن الترقي
في الانكار او لا يعني لا عجب من انكارهم لآياتك الباهرة مع ظهورها انما العجب كل العجب
جعلهم القادر على انزالها المجازي لهم على اعراضهم عن تدبر معانيها وامثالها القوارع تترى
واحدة تحت اخرى فيما شاهدوه نهارا رأي عين يرامي بهم الى دار البوار وامواله كمن لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا او دفعا مدمج فيه التسلي ثانيا وفي
العدول عن صريح الاسم الى قوله افمن هو قائم تفخيما بواسطة الابهام المتضمن في ايراده
موصولا مع تحقيق ان القيام كائن وهم محققون ما يدهش له الالباب ويقضي من بديع
ايراده العجب العجاب وفي قوله وجعلوا لله بوضعه مقام المضمر الراجع الى من دلالة على انه
المتوحد ذاتا واسما جعلوا له شركاء لا شريكا كذلك ولا يهلك على الله الا هالك وفي حذف الخبر
تعظيما للقالة وتحقيرا لمن هو بتلك الحالة ما لا يخفى من الجزالة قل سموهم كان قوله افمن هو
قائم كافيا في هدم قاعدة الاشراك للتفرع السابق والتحقيق بالوصف اللاحق وهو ابطال
من طرف الحق فذيل بابطاله من طرف المفيض على ابلغ اي الزمهم بذلك فانهم ان سموهم
قالوا حجر او خشب او نحاس او نحو ذلك فافتضحوا باشراكهم من لا يستحق العبادة الا هو وحده
روعي فيه انه لا اسماء للشركاء فضلا عن المسمى على الكناية الايمائية ثم بولغ فيه بانه لا يتأتى
السؤال عن حالها لظهور فساده وسلك فيه مسلك الكناية التلويحية من نفي العلم على نفي المعلوم
ثم منه على عدم الاستئهال ام تنبئونه بل اتنبئونه بما لا يعلم في الارض بشركاء لا يعلمهم في الارض
يعني بما ليس بشيء لان ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله قل اتنبئون الله بما لا
يعلم في السموات ولا في الارض والهمزة المتضمنة فيها تدل على التوبيخ وتقريرهم يريدون ان
ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلم وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد تبين الشمس
لذي عينين وما تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل وما هو الا مجرد
صوت فارغ ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء بمجرد ظاهر القول واطلاق لفظ
الشركاء والالهة من غير ان يكون لذلك معنى وحقيقة من الالوهية والمشاركة كقوله ما تعبدون

من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه
بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك
الله احسن الخالقين فقد اتى بكلمة حق اريد بها باطل يذهب بها من جل هو عن حلية الانصاف
عاطل بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم قالوها او اخداعهم للضعفة وصدوا
عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وصد بالتنوين عطفا
على مكرهم ومن يضلل الله بالخذلان فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته بوجه من الوجوه
لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الاخرة اشق
لدوامه وشدة ايلامه وما لهم من الله من عذاب الله في الدارين قبلا ومن رحمته ولا يساعده
السياق ولا توافقه عبارة واق من واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم فمن الاولى صلة
واق قدمت عليه والثانية مزيدة للتأكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في دار القرار ذكر ما اعد للمؤمنين
فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة المثل تقول مثلت الشيء اذا وصفته
وقربته للفهم وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليهم
مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل اي في غاية النزاهة وذلك ان العرب
كانوا في عوز من الماء فكانوا يعدون هذا اعظم نزهة او حال من العائد المحذوف من الصلة
وقيل هو خبره على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري
فعلى هذا لفظ المثل على حقيقته وقصد به تمثيل الغائب في الشاهد لم يشعر من القول السائر للصفة
الغريبة اكلها دائم لا ينقطع والاكل ما يؤكل فيها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في
الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عن الكفر مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى
الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار والذين آتيناهم الكتاب
اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك او عامتهم فانهم كانوا
يفرحون بما انزل اليك او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا لما في كتبهم ومن الاحزاب
اي كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والعاقب
والسيد اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم وما حرفوه منها دون
الاقاصيص وما يوافقها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين

اى قل لهم انما امرت فيما انزل الى بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة فى الاسلام و لا
سبيل لكم الى انكاره لانكم قائلون بوجوب عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض شرائعكم من
جزئيات الاحكام فليس الاختلاف ببدع فى الكتب الالهية وقرى ولا اشرك بالرفع على الاستيناف
اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب مرجعى للجزآء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك اى
مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه اصل الكلام انزلناه هذا الانزال
الذى بيناه دونه مشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر ذلك تفخيما وجىء بالمثل زيادة له ولاولوا
الكثر فى كتابه من ايراد هذا الاسلوب حكما يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما
بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها
من الامور الموافقة لدينهم خصوصا الصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعدما جاءك من العلم
بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم
وتهييج للمؤمنين على الثبات فى الدين واللام فى لئن موطئة للقسم وما لك جواب سد مسد
جواب الشرط ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك والتنكير للتكثير وجعلنا لهم فيه تغليب للاكثر
على الاقل والا فمنهم من لا زوج له ولا ذرية كعيسى عليه السلام ازواجا وذرية نساء واولادا كما
هو لك كانوا يعيبونه عليه السلام بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل
الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله كذلك فى ازواج
وذريات وما كان لرسول ما صح ولم يكن فى وسعه ان يأتى باية مما اقترح عليه قومه ولا مما
اقتضاه رايه الا باذن الله فانه القادر على ذلك الحكيم الذى لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل
كتاب اى ولكل وقت ومدة حكم يكتب على العباد بحسب ما يقتضيه اصلاحهم فان الشرائع
مصالح الاحوال والعباد والاستعدادات تختلف فى الاوقات والازمان فتختلف الشرائع
بحسب ذلك يمحوا الله ما يشاء نسخ ما يكون الصلاح فى نسخه ويثبت بدله ما هو صالح او اصلح فى
وقته لعباده او يترك غير منسوخ وقيل يمحو سيات التائب ويثبت بدلها الحسنات وقيل يمحو من
كتاب الحفظة ما لا يتعلق به الجزآء ويترك ما يتعلق به مثبتا وقيل يمحو قرنا ويثبت اخر وقيل يمحو
الفاسدات ويثبت الكائنات وعنده ام الكتاب اى اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ اذ
لا كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك اى وكيفما دارت
الاحوال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل بهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ

لان هذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبيا كلهم فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فمما يختلف باختلاف
الامم فلا معنى لانكاركم م

فما عليك الا تبليغ الوعد بالعقوبة لا تعجيلها وعلينا لا عليك الحساب حسابهم اى مراعاة
اجلها المعلوم والايقاع بهم عند الوقت المحتوم ولما نهاه عليه السلام عن الاهتمام بغير التبليغ
والتضجر لتاخر النصر عقبه بالتسلية وطيب نفسه ونفس عنها بذكر طلائع ما وعد بقوله اولم يروا
انا ناتى الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها فننقص من دار
الحرب ونزيد فى دار الاسلام والله يحكم لا معقب لحكمه اعتراض لا محل لها او حال كانه
قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على راسه اى حاسرا والمعقب الذى يكر على الشئ
ويبطله وحقيقته الذى يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى
غريمه بالتقاضى والطلب والمعنى لا راد لحكمه ولا مبطل وقد حكم للاسلام بالظهور والاقبال
وعلى الكفر بالتراجع والادبار وذلك كائن لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشيره وهو سريع
الحساب فعما قليل يحاسبهم فى الاخرة ويجازيهم باشد العذاب بعد عذاب الدنيا بالقتل
والاجلاء وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا جملة تعليلية
اقيمت مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم فلله المكر جميعا
ووصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة الى مكره كلا مكر عند مكره تعالى لانه القادر على ايقاع المراد
من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره تعالى يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءه لا اضمحلال كل مكر عند
مكره تعالى لانه اذا علم كل ما كسبوا واعد لهم جزاءه فياتيهم به بغتة من حيث لا يعلمون كان المكر
كل المكر له تعالى وسيعلم الكفار وح يعلمهم لمن عقبى الدار لمن حسن العاقبة من الفريقين والسين
لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه واللام فى لمن دلت على ان المراد بالعقبى المضاف
الى الدار العاقبة المحمودة وقرى سيعلم الكفر اى اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم روسا اليهود قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم حيث اظهر من
الدلائل الواضحة والحجج البينة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
والذى عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر والتورية والانجيل
من علماء الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام واضرابه لانهم يشهدون بنعته عليه السلام فى كتبهم
وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم
ما فى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى وبينكم ويؤيده قراءة من قرا من عنده بالكسر وعلم الكتاب
على الاول مرتفع بالظرف لانه معتمد على الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين على

ابراهيم

الثاني وقرئ ومن عنده عُلم على الحرف وبنا الفعل للمفعول ورفع الكتاب والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك حجة على رسالتك باعجازه لتخرج الناس كافة بدعائك اياه الى الدين الحق من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضاف الصراط الى الله لانه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر يدل على انه يعز سالكه ويجعله حميدًا بكماله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف بيان للعزيز الحميد لانه يجري مجرى اسما الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ بالرفع على هو الله وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله النصب لانه مصدر فعدل الى الرفع لافادة معنى الثبات كما في سلام عليك واتصال قوله من عذاب شديد له بالمعنى المذكور ظاهر فلا حاجة الى صرفه للتلفظ بكلمة التلهف من شدة العذاب الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اي على الحيوة الاخرة والاستحباب استفعال من المحبة لان المختار للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من الاخر وتعديته بعلى لتضمنه معنى الايثار والاختيار ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا انكب وليس بفصيح كاوقفه لان في صده وقفه مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا اصله يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اي يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يعولوا المن يصدونه عنها انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم والرفع عليه ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد لما عرفت ان اتصاله بالويل وعلى الرفع يجوز ان يكون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد عن طريق الحق اي ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل مكانا بعيدا والافصح ان وصف الضلال بالبعد من باب الاسناد المجازي لان البعد في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف

ب

به فعله كقولهم جد جده للمبالغة وتنكيره للتكثير وفي جعله ظرفا لهم دلالة على تمكنهم فيه تمكن المظروف في الظرف وتصوير لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط فيكون كناية بالغة في اثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الابلغ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بلغة قومه الذين بعث فيهم كانبيا بني اسرائيل او ارسل اليهم كلوط ويونس فمن قال الذي هو منهم وبعث فيهم لم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد ليبين لهم ما يدعوهم اليه فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم احق برعاية حالهم سوا كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم ومن قال ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكانه غفل عن ان المحذور المذكور يندفع بترجمته لهم وايضا لغير العرب من ان يحتج بما ذكره على نبينا صلى الله عليه وسلم ولا جواب عنه الا ما قلنا ولا دلالة في قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته على ان يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على تقدير نزوله بلغة اخرى والامايل ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب فمبناه الغفول عن ان ما ذكر من الفوائد فوائت على تقدير الترجمة من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عرفت ان مدار الكلام وتمام المرام عليها على تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول فيضل الله من يشا بالخذلان ويهدي من يشا بالتوفيق وفيه دفع ما سبق الى الوهم من ان البيان البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في تمام امر الهداية فينسد باب الضلالة والهداية وفي الترتيب باداة التسبيب اشارة الى ان ما ذكر من الارسال مع كونه على وجه الكمال كان في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ان مفسرة معناها اي لان في الرسالة معنى القول اي ارسلناه وقلنا له اخرج او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سوا فيصح وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بنعمائه وبلائه ذكره ابن عباس وهو الموافق لقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور والقران بعضه يفسر البعض ان في ذلك لايات لكل صبار على بلا الله شكور على نعمائه فانه اذا سمع بما انزل الله على الامم

من البلاء وما فاض عليهم من النعم اعتبر وتنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل لكل مؤمن
لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وانما قدم الصبر على الشكر لانه اشق منه فهو بالاهتمام
احق والعدول عن الصبور مع مناسبته للشكور لانه في مقام الحث والتحريض بابلغ صيغتي
المبالغة اليق واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا
نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك
اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطبين وعطف قوله ويذبحون على ويسومونكم يفيد فائدة زائدة على جعله تفسيرا
له كما في سورة البقرة وهو ان العذاب جنس يتناول التذبيح والاستحياء والاستعمال
بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس آخر برأسه او في على جنس العذاب وزاد عليه زيادة
ظاهرة وفي ذلكم بلاء ابتلاء من ربكم عظيم وانما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لان الله تعالى
ابتلاهم بتمكينهم واقرارهم عليه وامهالهم فيه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء لان البلاء
كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة قال الله تعالى ونبلوناهم بالحسنات والسيئات وهذا انسب
لقوله من ربكم وعلى الاول يكون عبارة الرب للاشارة الى ان بلاء المؤمن تربية له واذ
تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه منصوب المحل بالعطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم لئن شكرتم لا على ارادة القول
على معنى تأذن ربكم فقال لعدم الحاجة الى التقدير بل على اجراء اذن مجرى قال لانه ضرب
من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد
غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من
نعمة الانجاء وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم عظم ما انعمت به
عليكم فقد صرح الوعد على الشكر بقوله لازيدنكم وعرض بالوعيد على الكفران حيث قال ان عذابي
لشديد اي عسى عذابي ان يأتيكم بالكفران ومن عادة من هو اكرم الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا فان الله لغني عن شكركم
وشكر كل شاكر وانما ضررتم بكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
حميد مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملائكة بل كل ذرة من ذرات

المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من
جملة كلام موسى او ابتداء الكلام من الله للتقرير والتوبيخ والذين من بعدهم عطف على قوم
نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او مبتدأ خبره لا يعلمهم الا الله والجملة اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم كانه يقول دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر قيل ولهذا كان
ابن مسعود اذا قرأها قال كذب النسابون اي في دعوى علم الانساب لان الله تعالى قد نفى
علمها عن العباد وفيه نظر لعدم الدلالة فيه على نفي علم الانساب اما دلالته على نفي علم جميع
الانساب ولم يدعه احد من النسابين جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم
به على زعمكم اي هذا جوابنا لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا واستهزاء
كمن غلب عليه الضحك فوضع يده على فيه او اسكاتا للانبياء واشارة عليهم بالسكوت او ردوها
في افواه الانبياء لذلك او وضعوها على افواههم ولا يذرونهم يتكلمون او الايدي جمع يد بمعنى
النعمة اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف والشرائع والنصائح التي هي اجل النعم
في افواههم لانهم اذا لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منها على طريق التمثيل
ولا يذهب عليك ان الاولين لا يطابقان المقام فانه يحكي اول ما جاءهم من البينات الى آخر ما
ينتهي اليه حالهم وذلك بعد التكرار وايضا الرد ينبئ عن التكرار وليس وحاصل الرابع والخامس
ما ذكرنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس والمعتاد في الاسكات ما في الثالث لا ما في
الخامس والسادس غير ظاهر الدلالة لما فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعنى قليلة الاستعمال
وذكر الرد والافواه يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التأكيد في انا وانا للاقناط
والمبالغة في الرد والتكذيب والمراد مما ارسلتم به الكتب والشرائع ومما تدعوننا اليه التوحيد
فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم في الاول مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه الرجل
اذا صار ذا ريبة وهي قلق النفس وان لا يطمئن الى شيء وعلى الثاني يكون وصف الشك به
من باب الاسناد المجازي قالت رسلهم أفي الله شك في حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله تعالى لا يكون الا واحدا فالشك في وحدانيته شك في ذاته شك
مرتفع بالظرف وادخلت همزة الانكار عليه مع تقديمه لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي

انما ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته وهو لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة وجود
السموات والارض عليه ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك البتة بقوله فاطر
السموات والارض وهو صفة ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدا او
بدل يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم وفيه دلالة على ان الكافر مواخذ بكفره قبل البعثة
وان لم يكن مواخذا بغيره لكفاية العقل الصحيح ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحة نفسه من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهو الكفر لما عرفت انهم لا يواخذون بغيره قبل البعثة ففي قوله يدعوكم ليغفر
لكم توطئة لهذا التبعيض على تقدير تقريرنا معناه وعلى تقدير ان يكون المعنى يدعوكم
الى المغفرة على اقامة المفعول له مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني تفوت هذه
التوطئة وتلك الدلالة وقيل في وجه التبعيض ان المغفور قطعا ما فعلوه حالة الكفر
واما ما يفعلونه بعد الاسلام فهو بحاله ومأخذ هذين الوجهين يظهر السر في زيادة من في
خطاب الكفرة دون المومنين في مواضع من القران وفي الاخير فائدة اخرى وهو ابقاء
البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان وحده وهذا معنى حسن واما ما قيل انه يغفر لهم ما
بينهم وبين الله تع لان الاسلام يجبه دون المظالم فلا يصلح وجها للتخصيص لاشتراك الوجهين
فيه والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في
خطاب المومنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن
المظالم منظور فيه لان تمام التقريب به على تقدير ان يكون معنى قوله مرتبة على الايمان
مرتبة عليه وحده وقد يتجه النقض بقوله تع قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ثم ان منشاه ومنشأ ما قدمه في دعوى الاطراد
في زيادة من في خطاب الكفرة الغفول عن قوله تع قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
ومن قال في تفسير سورة الانفال ان الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط ثم جوز ههنا ان
يكون التبعيض لاخراج المظالم عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه ويوخركم الى اجل مسمى قد
سماه الله وبين مقداره وقضى ان يبلغكم اليه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت
قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث
الى البشر لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا
بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم

بالبينات والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا واقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اثبات
للمزية بمحض الامتنان والعناية لا الفضل لهم يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم فلا دلالة
فيه على عدم التفاوت بين افراد البشر في الاستحقاق للرسالة وقد دل قوله تع الله اعلم حيث يجعل
رسالته على التفاوت ولا الايجاب بحسبه حتى ينافي الاختيار وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله الا بتيسيره اي ليس الينا الاتيان بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشية الله تع
فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المومنون تعميم قصدوا به تخصيص انفسهم
على وجه الاولوية والاولية واشعار بان قضية الايمان وجوب التوكل على الله تع فامروا
المومنين كلهم به والمراد بهم انفسهم وفيه نزول عن حقهم وتواضع وهضم لانفسهم حيث نزلوا
الى مراتب احاد المومنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم فان ذلك حق كل مومن فكيف بالانبياء الا ترى الى قولهم وما لنا
الا نتوكل على الله اي واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين حتى عرفه
وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم على الله تع
فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم مبالاتهم به على سبيل الاعتراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون
تكرير الامر بالتوكل للتاكيد ووجوب الثبات عليه بعد استحداثه والفاء للسببية في الموضعين
لانه مسبب عن الايمان وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من دياركم واما عودكم في ملتهم وقد مر في تفسير سورة
الاعراف ما يتعلق بعاد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى
القول لانه ضرب منه فلا حاجة الى اضمار القول وقرئ ليهلكن ولنسكننكم الارض اي ارضهم
وديارهم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن من بعدهم من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى
جاره ورثه الله داره ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المومنين
ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي اي موقفي الذي يوقف فيه العباد للحساب يوم
القيمة لانه موقف الله تع او قيامي عليه وحفظي لاعماله او على اقحام المقام وخاف وعيد

اى وعيدى بالعذاب او عذابه الموعود للكفار واستفتحوا اى طلبوا الفتح واستنصروا
الله على اعدائهم او سالوا القضاء بينهم من الفتاحة وهو الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا على لفظ الامر عطفا على لنهلكن
اى اوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم
سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد منهم اى من المستفتحين معطوف على
محذوف تقديره ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عنيد متكبر على الله تع معاند للحق
فلم يفلح والخيبة اخلاف القدرة من المنفعة ومقابل النجاح وهو ادراك الطلبة والعنيد
هو المعاند الا ان فيه مبالغة والعناد الامتناع من الحق مع العلم ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه وهو
واقف عليها قال الزجاج الوراء ما توارى عنك ولهذا قد يطلق على الخلف كما فى قولهم قال
الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان ورائى من لا يتركنى ورائى وقد يطلق على القدام
كما فى قوله ايرجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقومى تميم والفلاة ورائى * وليس من الاضداد ويسقى
معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى من ماء التنكير للتنويع اى نوع من الماء غير معهود
سقيه قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار صديد هو قيح اى دم مختلط يسيل
من الجرح عطف بيان لماء فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وخصه من بين انواع العذاب
بالذكر ايذانا بانه اشد عذابها ولشدته قال يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اى يتكلف جرعه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشرب
على الحلق بسهولة وقبول النفس والتجرع تناوله جرعة جرعة على الاستمرار ويلزمه التكلف
فيه وما جاء فى الحديث بانه يشربه محمول على ذلك وقوله يتجرعه صفة لماء او حال من الضمير
فى يسقى ويأتيه الموت اى اسبابه مع الشدائد من كل مكان فيحيط به جميع الجهات ففيه
اطلاق المكان على الجهة تنصيصا على ان المراد اسباب العذاب الجسمانى لا اسباب العذاب
الروحانى وذلك لان الجهة قد توسع فيها توسعا شائعا بخلاف المكان من كل مكان
من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى ليس ممن له الحس والشعور
حتى يتألم والتجوز عنه بالميت سائغ شائع فى كلام الفصحاء وقد حسن ههنا موقعه لما فى
ظاهره من الابهام الى ان موجب ما ذكر من مجى اسباب الموت من جميع الجهات هو ان يكون

ميتا ومن حمل الميت على حقيقته فقد نزل الكلام عن منزلته والمناسب لايراد الحقيقة ايراده
بصيغة المضارع كما ورد فى قوله تع لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه عذاب
غليظ فى كل وقت يستقبل اى يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع ما يسبق الى الوهم
من ان يخفف عذابهم بالاعتياد كما هو المعهود من عذاب اهل الدنيا مثل الذين كفروا بربهم
مبتدا خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة اعمالهم كرماد جملة
مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل على تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد ويجوز ان يكون
الخبر هذه الجملة كما ذكر فى قوله مثل الجنة اى صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد
عرضه مصون وماله مبذول اى هذا الكلام اشتدت به الريح اى حملته واسرعت فى الذهاب والاشتداد
الاسراع بالحركة على عظم الخطوة ومنه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه على قوة الم فى يوم عاصف
العصف شدة الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صائم وليله قائم شبه مكارمهم من صلة
الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى واكرام الضيفان واغاثة الملهوفين والاجارة
وامثالها فى حبوطها وكونها هباء منثورا لعدم ابتنائها على اعتقاد صحيح من المعرفة والتوحيد
والايمان بالله تع وبرسوله عليه السلام وباليوم الاخر برماد تسفيه الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا باعمالهم على شئ التنكير للتقليل والتعبير بالشئ للتحقير اى لا يترتب عليه اثر
من الثواب وتخفيف العذاب لحبوطه وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم وهو
ابتناء اعمالهم على الشرك والتفاخر والرياء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب وعن
الثواب والخلاص عن العقاب الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة على التلوين لقوله تع ان
يشأ يذهبكم او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
وما يجب ويحق ان يكون الامر عليه ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اى من هو قادر على خلق
السموات والارض فهو قادر على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا اخر ولم يتوقف الا على مشيته
فان القدرة على خلق الاصول وما يتوقف عليه خلقهم ثم تغيير الطبائع وتكوينهم منها وتصويرهم
دليل قاطع على ان اعدامهم وانشاء خلق اخر غير ممتنع عليه ولذلك عقبه بقوله وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه يسير لانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شانه كان حقيقا بان يتقى ويخاف ويرجى ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله جميعا
اى يبرزون له تع يوم القيمة من قبورهم لحساب الله تع وحكمه او يظهرون لله تع باعمالهم واكسابهم

على خلاف ما حسبوا لانهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم ان ذلك
خاف على الله تع فاذا كان يوم القيمة انكشف غطاؤهم وعلموا ان لا يخفى على الله منهم شئ فى الارض
ولا فى السما ولا يتوارى عنه متوار حتى ذرات العباد فذلك بروزهم عند انفسهم بعد ما اعتقدوا
خلافه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد لانهم كانوا خافين عليه فبرزوا فى ذلك
اليوم اذ لا تخفى عليه خافية وقتاما وانما ابرز برزون فى صيغة برزوا لتحقق وقوعه كانه قد
وقع واخبر عنه فقال الضعفوا الاتباع والعوام جمع ضعيف قيل يريد به ضعاف الراى ولا
دلالة عليه فى الكلام ولا هو مما يقتضيه المقام وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لروسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم او مصدر
نعت به للمبالغة واضمار المضاف فى مثل هذا لا يناسب البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة
كمحاورة ال فرعون المذكورة فى قوله تع واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفا للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا الخ فى النار لا فى المحشر فترتب قوله فقال على المحذوف لا على المذكور فهل انتم
مغنون عنا استفهام معناه نوبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا انهم لن يغنوا شيئا من عذاب
الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول به
اى بعض شئ هو عذاب الله او كلاهما للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله وتقديره
بعض شئ كائنا بعض عذاب الله فيكون الاعراب بحاله او الاولى مفعول والثانية مصدر
اى بعض العذاب بعض الاغنا قالوا اى المستكبرون لما تبكتهم اتباعهم بما ذكر وعلموا انهم لا يقدرون
على شئ من الاغنا اجابوهم معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللنا اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دونا سبيل الخلاص سوا علينا
اجزعنا ام صبرنا مستويان عندنا الجزع والصبر الهمزة وام لتاكيد التسوية كما فى قوله سوا عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع جزعا عما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع مشتركون
فى العذاب كما كنا مشتركين فى الضلالة ولا ينفعنا الجزع والجزع ازعاج النفس بورود
ما يغم ونقيضه الصبر قال الشاعر • فان تصبروا فالصبر خير مغبة • وان تجزعوا فالامر ما تريان
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار اما اسم

مكان

مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيث والمشيب وقال الشيطان خطيبا فى
الاشقيا من الثقلين لما قضى الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى لكم وانجزه وهو
البعث والجزا ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام
تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلاف ظاهرها وعده اخلافا حذف من الجملة الاولى ما اثبت
مقابله فى الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله فى الاولى وهذا من لطائف الايجاز
التى بها يرتقى الكلام الى ذروة الاعجاز وما كان لى عليكم من سلطان من تسلط وقهر فالجئكم
الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتسويلى وهذا
الاستثنا على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • لان الدعا ليس من جنس السلطان بل
المراد نفى السلطان على اكد الوجوه كانه قال ان كان مجرد الدعا سلطانا كان لى عليكم سلطان
فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوسوستى واضلالى وقرى فلا يلومونى على طريقة
الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بمجرد
دعائى بلا حجة ودليل فاطعتمونى ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم على حجج وبينات لم يرد انه لا
يستحق الملامة بل يقول الومكم انفسكم اولى بكم اذا انتم اهلكتم انفسكم باجابتكم لى طوعا ولا دلالة
فيه على استقلال العبد فى افعاله اذ يكفى فى استحقاق الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخل
فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة والسعادة ويحصلهما
لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة
لقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط فى كلامه وخبط
فى تمشية مرامه فان ما ذكره اولا ساعده فيه اهل الحق وما ذكره ثانيا وهو مذهب الباطل
لا يساعده الشيطان ايضا وقد نبهت فيما سبق على انه لا دلالة فى كلامه عليه وما ذكره اخيرا
انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم
بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى منه وقرى بكسر اليا وقد طعن ناس فيه ولا ينبغى
ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى اثارهم وقد نص قطرب على انه
لغة بنى يربوع انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمونى اى
كفرت اليوم باشراككم اياى بالله من قبل هذا اليوم فى الدنيا بمعنى برات منه واستنكرته

كقوله ويومئذ يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما هذه كالتي في قوله
سبحان ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم اليه من
عبادتكم الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حيث ابيت السجود لادم واشرك منقول من شركت
زيدا المتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتدا كلام من الله في
حكاية قول ابليس في ذلك الوقت ايقاظا للسامعين وتنبيها لهم على ما سيؤول اليه امرهم
ليتحرزوا اليوم عن مكائده ويتعوذوا بالله من تسويلاته ويخلصوا فيتخلصوا عن تسليطه
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره او بخالدين وهذا
متعين على قراءة وادخل على المتكلم وقدم ما يتعلق بخالدين تحيتهم فيها سلام اي تحية بعضهم
بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه يعني في الجنة سلام واما تحية الملائكة فلا يناسبها التقييد
بقوله لوقوعها من خزنة الجنة وهم من الملائكة قبل الدخول فيها قال تعالى وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا قد تقدم الكلام فيه في اوائل
سورة البقرة كلمة طيبة بدل من مثلا كشجرة طيبة صفة لها او خبر مبتدا محذوف اي هي
كشجرة او منصوب بفعل مقدر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب
الله مثلا او اول مفعولي ضرب ومثلا ثانيهما اجرا لضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على
الابتدا اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها اي اعلاها وراسها او فروعها
اي افنانها على الاكتفا بالجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة في السما اي صاعد في
جهة العلو حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت
مقابله في الاولى وعبارة في ابلغ من الى اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ ثابت اصلها
والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى لان المخبر عنه بالاصالة هو الاصل لا الشجرة
واذا اجريت الصفة على الشجرة كان القصد الى ثبوت الشجرة باصلها فلم تقو قوتها
حين كانت جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار على ما هو له فهو اقوى في اثبات
ما هو له وهو ظاهر اذا كان المقصود اثبات الوصف على سبيل القوة كما نحن فيه تؤتي
اكلها تعطي ثمرها كل حين كل وقت قد ورد في الخبر عن خير البشر ان المراد من الشجرة
هي النخلة اكلها الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وكذا حال المومن لا يخلو

وقتا من الاوقات من خير ومن لم يتنبه لهذا قال كل وقت وقتها الله لاثمارها باذن ربها
بتيسير خالقها ومدبرها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة
افهام وتصويرا للمعاني في صور مشاهدة وادنا للمعقول من المحسوس ومثل كلمة خبيثة
كشجرة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها اجتثت استوصلت والاجتثاث اخذ الجثة
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار وثبات اختلفت
كلماتهم في الكلمة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعا الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان يفسر كل منهما بما يعم الكل
فيقال الكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وقدم تفسير الشجرة الطيبة وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوا اعتقادا يمنع زواله في الحيوة
الدنيا وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في الدين لم يزلوا كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون
والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة وتثبيتهم فيها انهم اذا سئلوا عن معتقدهم في
الموقف لم يتلعثموا ولم تدهشهم اهوال القيمة وقيل معناه الثبات عند سوال القبر ورد فيه الخبر
المرفوع ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا
يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشا من تثبيت بعض بالهداية واذلال اخرين
بالاضلال من غير اعتراض عليه الم تر الم تنظر الى الذين بدلوا نعمت الله اي شكر نعمة الله كفرا بان
وضعوه مكانه او بدلوا نعمة الله كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه
وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلة مسلوبين النعمة موصوفين بالكفر واحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسرة لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار
هي اي جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضلوا بالفتح اي جعل
الضلال او الاضلال غرضهم من اتخاذ الانداد على سبيل التشبيه والتقريب لازمه ونتيجته
كالاكرام الذي هو نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا

في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها
وفيه تهديد بليغ حيث جعل انهماكهم في الشهوات وتهالكهم على الترك واللذات كامتثال مامور مطيع
لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه لانغماسهم في التمتع بها واتخذابهم
اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون راسا الى ما عداه فقيل تمتعوا على
لفظ الامر وفي قوله فان مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المهدد
عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا فيه فانكم ان دمتم
عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد قل لعبادي الذين آمنوا
تخصيصهم بالاضافة الى نفسه تنويه لهم وتنبيه على انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب
اقامتهم الصلوة وانفاقهم على الامر جوابا له فقال يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول لفرط مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم بسببه وانه
كالسبب الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا الصلوة
وانفقوا وقيل المقول يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر
لدلالة الامر عليه سرا وعلانية نصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق
اخفاء المتطوع به والاعلان بالواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما
يتدارك تقصيره او يفتدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان
ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ بالفتح
فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج
به اي بالماء والباء للتسبب للاخراج بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل
المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه او بالعكس ويجوز ان يكون
رزقا نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق او على المفعول له وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار بجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل
تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وقوله بامره متعلق بالمعطوفين كما قيل في قوله
لم تكن آمنت من قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ذكر

انواع

انواع النعم وافرز كلا منهما في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على عظم مكانها
وآتاكم من كل ما سالتموه بلسان الحال والاحتياج ليصلح به معاشكم ومعادكم على ان من للابتداء
الغاية ويجوز ان يكون السوال على ظاهره على ان عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم
كما في قوله تع فتحنا عليهم ابواب كل شيء وحمل من على التبعيض يفضي الى اخلاء لفظ كل عن فائدة
زائدة لان ما نص في العموم بل يوهم اتيان البعض من كل فرد يتعلق به السوال ولا وجه له ومن قال
في تفسيره يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعضها قدره الله تع فقد اتى
في تعليله بما لا يناسب المعلل لان الكلام في ان المحصول بعض السوال لكونه بعض المقدور لا يجدي
نفعا في بيانه وقرئ من كل بالتنوين وما في محل النصب بالمفعولية او نافية ومحل ما سالتموه
نصب على الحال اي آتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تستوعبوا
عدها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها غير قابلة للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع
وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة الدفع اي دفع الضرر ما ليا كان
او بدنيا ولكن نعمة الدفع غير متناهية ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم
نفسه بان يعرضها للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما يبتغى به وجه الله تع كفار شديد
الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم
رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا
آمنا انه سال ثمة ان يجعله من جملة البلاد الآمن اهلها وههنا ان يزيل الخوف عنه ويصيره ذا
امن وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر واجنبني وبني بعدني
واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل
الحجاز فيقولون جنبني شره رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالتك ان تعصمني
وبني واسناد الاضلال الى الاصنام مجازي لانهن السبب في ضلالهم كقوله غرتهم الحيوة الدنيا
ولما توجه ان يقال لم خصص طلب العصمة عن الضلال تدارك دفع هذا السوال بقوله فمن تبعني
بالسلوك في الصراط المستقيم والتمسك بالدين القويم فانه مني اي بمنزلة بعضي فيشمله طلبي للعصمة
فكانه قال ولا اخصص طلب العصمة بهم فان من تبعني فهو في حكمهم فانظر الى حسن نظم هذا المقال
ولطف طلب الامهال لسائر الاتباع وعامة الآل بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي
لان التبعية طاعة فانك غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعذاب وهذا على

وفق ما اخبر به تع بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فلا دلالة فيه على ان الله تع له
ان يغفر الشرك كما زعمه من قال في تفسيره يقدر أن يغفر له ويرحمه ابتدآ او بعد التوفيق وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ثم انه لم يدر انه بالرد
المذكور قد هدم مبنى تلك الدلالة ربنا كرر الندآ رغبة في الاجابة واظهار التذلل واتى بضمير الجماعة
لانه تقدم ذكره وذكر بنيه اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل واولاده فان اسكان
متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة شرفها الله تع لانها حجرية لا تنبت والوادي
سفح الجبل ومن ذلك قيل للانهار العظام اودية لان حافاتها كالجبال لها والزرع كل نبات
يتغرس من غير ساق عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تع والاضافة اليه تع وتوصيفه بالمحرم
لانه تع حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه قوله بواد غير ذي زرع اخبار من
صدق توكل وصدق تفويضه وقوله عند بيتك بيان انه راى الرفق في الجوار لا في المبار ربنا
ليقيموا الصلوة اللام بمعنى كي متعلق باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا
الصلوة عند بيتك المحرم وقيل هي لام الامر والمراد هو الدعا لهم باقامة الصلوة كانه لما اسكنهم
هناك طلب منهم اقامة الصلوة وسال الله ان يوفقهم لها وتكرير الندآ وتوسيطه للاشعار بانها
المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعا توفيقهم لها فاجعل افئدة ذوي افئدة
من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل من لازدحموا عليها فارس والروم والترك والهند
او لابتدآ الغاية كقولك القلب مني سقيم اي قلبي وقرى افدة وهي مقلوب افئدة كادر في
ادور والاسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وقرى افدة اما
نابت افد بوزن خشن واما تخفيف افئدة بطرح الهمزة وان كان الوجه اخراجها بين بين
تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا واصل الهوي ان يكون من علو ويلزمه السرعة وقرى
تهوى على البنآ للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب
ضمن معنى تنزع فعدي تعديتها وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ وتجلب اليه من كل ناحية
حتى تجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجا الى
الله تع واظهارا للافتقار اليه واستلذاذا وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم
المخفي على المعلن تفاديا عن اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت في علمها وهو مستغن في

حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا
ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الى السوال ولكنا ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل والتخشع لك
وامتثالا لامرك وافتقارا اليك والى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من البكا والدعا وما يخفى على الله من شئ الظاهر انه من كلام ابرهيم على طريقة الالتفات
تاكيدا لقوله وتبيينا له بالبرهان وتعظيما لله تع باظهار اسمه وتقريرا للحكم كانه قال وكيف لا تعلم
وانت الله والله هو العالم بالغيب كله لا يخفى عليه خافية ومن للاستغراق وان جعل من كلام
الله كان تصديقا منه لابرهيم على طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله تع وكذلك يفعلون
في الارض ولا في السمآ عبر عن العالم بقطريه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر في موضع الحال
اي وهب لي وانا كبير يعني كانت الهبة في حال الشيخوخة وبعد استمراري عليها فلا دلالة على
ان هبة الولد له لم تكن في ابتداء دخوله في سن الشيخوخة بل كانت بعد ما استمر برهة من الزمان
عليها الا في ملفظة على روى عن سعيد بن جبير انه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة
سنة وتقييد الهبة بحال الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة
فان الظفر بالحاجة عند وقوع الياس اعظم واحلى ولانه في ذلك كان ثاني بنية له عليه السلام
اسمعيل واسحق كان اسمعيل اكبر من اسحق فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعا لمجيبه من قولك
سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده كان عليه السلام قد دعا ربه
وسال الولد فقال رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله على موهبة الولد وراى
المنة عليه في قبول دعائه السابق فموقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض تاكيدا
لما قدمه من الطلب تذكيرا لما عهد من الاجابة يتوسل اليه بسابق نعمته في شانه والسميع من ابنية
المبالغة مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون
من اضافة الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعآ الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع
الله تع رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على
المنصوب في اجعلني اي بعض ذريتي وانما بعضها لانه عليه السلام علم باعلام الله اياه
ان في ذريته كفارا او ذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير للنادي فلا يمنع
عطف قوله وتقبل دعآئي واستجب دعآئي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي
ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقرى ولولدي يعني اسمعيل واسحق وللمومنين

دعا بالمغفرة لجميع المومنين وتدخل فيه هذه الامة فهو قد دعا لنا ونحن ندعو له في الصلوة
بامر الله تعالى اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار
من قام القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او مسند الى الحساب اسناد امجازيا
وهو لاهله لا على حذف المضاف فانه ح يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا عن منزلته
فمن قال او يقدم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا فقد خلط بين الاسنادين
وخبط ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد النهي عن
لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية اي لا تحزن بما عملوا فانه تعالى مطلع على احوالهم واعمالهم
لا يخفى عليه شيء من ذلك وان تاخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبى فهو امهال لا
اهمال او لكل احد ممن يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم اهمالهم بانه يجب ان يعلمه تعالى رقيبا
عليهم فيتسلى الاول ولا يظلم الثاني ولا يحزن ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم
للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يوخرهم اضاف التاخير
اليهم والموخر عذابهم على سبيل المجاز ايما على انهم من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون
بحيث يظن من رآهم انهم عذاب مجسم ليوم تشخص فيه الابصار اي تبقى مفتوحة لا تنطبق
لعظم هول ذلك اليوم ولا اختصاص لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها
اليهم كما اضاف اليهم في قرائنها وهذا ابلغ في التهويل فمن وهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد
وهم ثم انه لم يصب في تفسير الشخوص بعدم القرار قال الجوهري شخص بصره فهو شاخص
اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشيء لا
يقلع عنه وبه فسره ابن عباس حيث قال المهطع الدائم النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق
الكلام ولحاقه بخلاف تفسيره بالمسرع كما لا يخفى مقنعي رؤسهم اقناع الراس رفعه اي رافعيها
حتى لا يبصروا مواضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي تبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة
لا تطرف اي لا تتحرك اجفانهم ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ولا يخفى ان هذا
يغني عن اضافة الابصار اليهم في وصفها بالشخوص وانما وحد الطرف لانه في الاصل
مصدر وافئدتهم هواء خلاء وصف القلوب بالهواء مبالغة في الخلو عن الفهم والعقل لفرط
الحيرة والدهشة كانها نفس الخلاء ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه
ولا قوة فالتجوز فيه عقلي كما في رجل عدل لا لغوي كما زعم من فسره بالخالية فاطلاه عن

تلك

تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية وقيل معناه منخرقة لا تبقى شيئا للخوف والفزع
الذي دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او وقت الموت فانه اول اوقات عذابهم وهو
مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اي ردنا
الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب او اخر اجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا
فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك بقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة
القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم على انتفاء الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة
والانهماك في الجهل وغلبة البطر والاشر واما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا
كانهم اقسموا على انهم خالدون فيها وانما قيل ما لكم على المطابقة لاقسمتم ولو حكي قول المقسمين
لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزالون عن الدنيا اما لغاية الغفلة والانهماك في الجهل
وقيل معناه لا تنتقلون الى دار اخرى لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت اقسم على انكار البعث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود سائرين سيرتهم واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
والتوطن فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك الجنة والسكنى يكون خاص فتركه على الاصل
ويجوز ان يكون بمعنى السكون اي لبثتم فيها واقمتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار
ما نزل بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولم تحدثوا انفسكم بما لقوا من
عذاب الله وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وفعل بهم التي صارت امثالا سائرة
بين الناس في غاية الغرابة مضروبة لكل ظالم وبينا انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب
وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص
بهم ليس لاحد مكر في قوته وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو العذاب الذي ياتيهم بغتة
من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم وشدته اي وان كان مكرهم لشدته وعظمه مسوى
معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا اعظموا الشيء وصفوه بمثله قال الشاعر لما اتى خبر الزبير
تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع اي وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله

والمكر الاول مضاف الى الفاعل والثانى مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون الثانى
ايضا مضافا الى الفاعل اى وعند الله مكرهم الذى يمكرون الرسل به يعنى مكتوب عنده
فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل فى العظم قيل ان فى وان
كان مكرهم نافية واللام لتاكيد النفى كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة
والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرى
بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرى وان كاد مكرهم والجمهور على انها ان الشرطية
وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا
لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم الثانى ايذانا بانه لا
يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله
ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالنهى عن الحسبان المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو
الجزم بنصر المؤمنين وقهر اعداء الدين اى فكن على ثقة ويقين بانه ينجز بما وعدناك للاسلام
واهله والاذلال للكفر والانتقام من اهله يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم
العذاب او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده
والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اى تبدل الارض المعهودة
ارضا اخرى والسموات المشهورة سموات اخرى والتبديل هو التغيير اما فى الذات كقولك
بدلت الدراهم بالدنانير ومنه قوله تع بدلناهم جلودا غيرها واما فى الصفات كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وجعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تع اولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن على رض تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود رض يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخط عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رض
هى تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار
بالدار التى كنت تعلم ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض انه عليه السلام قال تبدل الارض
فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه
الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله
الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تع كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وقوله كلا

قوله ولا يبعد الخ هل هو بعيد لاستلزامه كون الجنة والنار غير مخلوقتين الآن وقد ثبت فى الكلام انهما مخلوقتان ... وكيف ... الذى يشتمل كلها ... ان بعضها ...

وانت خبير بعدم وضوح وجه ... الغفار ...

ان كتاب الابرار لفى عليين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لما كان البروز مسوقا
للوعيد كان الوصفان المذكوران ترشيحين له ببيان شدة الامر فى ذلك اليوم كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار لان الامر والملك اذا كان لواحد لا يشارك فيه قهار لا يعاز ولا
يغالب لا مستغاث لاحد ولا استجار كان الامر فى غاية الصعوبة وترى المجرمين يومئذ
مقرنين بعضهم مع بعض لاشتراكهم فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت
او مع الشياطين الذين حملوهم على الاجرام او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
ويجوز ان يكون تمثيلا لمواخذتهم بما اقترفته ايديهم وارجلهم فكان ايديهم غلت الى ارجلهم
فى الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه
اصفاد وفى الصحاح الصفاد ما يصفد به من قيد وقد وغل اى يوثق وقول الشاعر
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق ظاهر فى ان صفادا واحد جمعها
فكانه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشد على العنق سرابيلهم اى قمصهم جمع سربال
من قطران فيه ثلاث لغات فتح القاف مع الطاء وسكونها وكسر القاف مع سكون
الطاء وهو ما يتحلب من شجر الابهل يطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب والجلد
بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقميص فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار
بهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بانفسهم من ظلمة الهيئات الردية والملكات الفاسدة الموحشة فتجلب اليها انواعا
من الاذى والالم والعذاب وقرى من قطران والقطر النحاس والصفر المذاب والآن
المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير فى مقرنين وانما جى به جملة اسمية
لان سرابيل القطران الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة افظع من الصفد وما
يغشى فلتجديد الاستحضار المقصود فى قوله وترى لان الثانى اهول والاول فى بيان
حالهم فى الموقف الى ان يكبهم فى النار والاخيرين لبيان حالهم بعد دخولها وكان
الاول حرك من السامع ان يقول واذا كان شانهم وهم فى الموقف فكيف بهم وهم فى جهنم
خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع فى قوله وتغشى
وجوههم النار لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فى لا وجما لغشاها انهم لم يتوجهوا

بها الى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت فيها في تدبر الحق كانطلع على افئدتهم
لانها خالية عن المعرفة مملوة بالجهالات ليجزي الله كل نفس اما ان يتعلق بمحذوف تقديره
يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او بقوله وبرزوا اي ليجزي كل نفس مجرمة
او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب المجرمين ليستدل به على ثواب المطيعين ان الله
سريع الحساب لانه لا يشغله فيه تامل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب حتى يسرع لعصيهم
عند الاشتغال بالمحاسبة فيتاخر عنهم العذاب وبهذا التفصيل تبين وجه اصابة التذييل
المذكور مجرة هذا اشارة الى السورة او الى ما وصف من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع
الحساب اي هذا الكلام او الكتاب بلاغ اي كفاية للناس في الموعظة والتذكير والاشارة
الى جميع ما في السورة من العظة والتذكير اولى ليكون كالفذلكة وخاتمة على منوال الفاتحة
ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به اذا علم واستعد له وليعلموا انما هو
اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة على التوحيد والمنبهة على ما يدل عليه
وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم قيل ان الفوائد الثلاث
التي ذكرها لهذا البلاغ هي الغاية والحكمة في انزال الكتب وهي تكميل الرسل للناس واستكمالهم
القوة النظرية التي غايتها في الكمال التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهاتم الكلام والحمد لله على التمام

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة
والكتاب والقران السورة وهذا ابلغ على ما قدمنا بيانه في تفسير سورة كذا واللام
في الكتاب للماهية والتنكير في القران للتفخيم اي تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا
وقران مبين اي يبين الرشد من الغي بيانا غريبا يعني الجامع للكمال والغرابة في البيان
والبلاغة ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع اخر وكان الغرض الجمع عرف
الكتاب ونكر القران ههنا وعكس في سورة النمل وقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنويه
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا الكتاب وهذا التمني حين يخرج الله
عصاة المؤمنين من النار وروي فيه حديث مرفوع وقيل اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين عند

البعث للحساب وعند الموت اذا راوا العذاب وقيل في كل الاحوال التي تخطر بالبال ظهور بطلان
ما كانوا عليه من الضلال وهذا انسب لما قصد بربما من معنى التكثير على وجه ابلغ وقوله لو كانوا
مسلمين حكاية ودادهم على لفظ الغيبة كقولك حلف بالله ليفعلن وحق ربما ان تدخل الماضي
لانشاء تحقق التقليل لكن لما كان المرض من الماضي تحقق وقوعه والمترقب في اخبار الله منزلة
الماضي في تحقق وقوعه اجري مجراه ومعنى التقليل فيه وارد على طريق العرب وقولهم في موقع
النصح وارتكاب المتطلب لا يشك في استتباعه للتندم لعلك تستندم وربما ندم الانسان
على ما فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع
عما يفعل لكان حقا عليك ان لا تفعل لان قضية العقل التحرز من الغم المظنون والقليل
فكيف واستتباع فعلك للغم والندم الكثير محقق اي لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة
فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وبتاء
التانيث ودونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله على الفعل وقيل نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الامر ذرهم ياكلوا تخصيصه بالذكر مع اندراجه في قوله
ويتمتعوا وتقديمه عليه للتنبيه على ان حظهم من الحيوة الدنيا حظ البهائم ياكلون ويشربون
والاقتصار على ياكلوا لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم
وينهمكوا في شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وجريان امورهم واحوالهم
على وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون خاتمة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاءهم فيه تهديد ووعيد وتحذير عن ايثار التنعيم وطول الامل والزام الحجة لان الامر بالضد
لا يكون الا عند تكرر الانذار وثبوت الحجود وكذلك ما رتب عليه واقناط للرسول صلى الله عليه وسلم
عن ايمانهم وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا يجدي فيهم الانذار وما اهلكنا من
قرية اهلاكها كناية عن اهلاك اهلها بافنائهم وهو ابلغ من المجاز في القرية واما تقدير
المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب
في اللوح معلوم عند الله موقت وقال ما تسبق من امة اجلها اي كتابها اي تتقدم امة ومن
موكدة وما يستاخرون اي عنه فحذف للعلم به وقد تسبق بالتا لظاهر كلمة امة وجمع في قوله
يستاخرون بالواو والنون للمعنى ومتصل بقوله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم في
وقته الذي جعلناه اجلا لا اخرناه اليه لما كان في علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا

بلغ الكتاب اجله وجب العذاب على الكافرين ولم يتاخر عنهم وجملة المستثنى واقعة حالا
من قرية لانها في معنى العموم قريبة من المعرفة اذ المراد قرية من القرى وهذه الواو هي التي تعطي
ان الحالة بعدها في اللفظ هو قبلها في المعنى ومنه قوله تع حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومن
حملها على الصفة المذكورة لكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا تتوسط الواو بين الصفة
والموصوف وانما جي بها لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاني زيد عليه
ثوب وعليه ثوب فقد تعسف لان الواو انما جي بها لئلا تشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال على
النكرة الا ترى الى قولهم جاني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو دفعا للاشتباه
المذكور ثم ان فيما اختاره فصلا بين الصفة والموصوف بالا وهو غير جائز نص عليه الاخفش
وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة على وجه الاستهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر
نادوا الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم الا ترى الى ما نودي وهو قولهم انك لمجنون
والتعكيس في الكلام للاستهزاء والتهكم طريق واسع ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون يعنون ان ادعاءه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد من الذكر القران لوما
تاتينا اي هلا تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشي لوجوده والتحضيض
والفرق بينهما ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسم
لفظا او تقديرا عند البصريين بالملائكة ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار
كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او ليعاقبونا على تكذيبنا اياك كما اتى الامم
المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا في دعواك او ان كنت من جملة تلك
الرسل الصادقين في دعواهم ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرى بالنون وهو
يناسب لما تقدم وما تاخر من الفاظ التعظيم وقرى بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرى
تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق متعلق بفعل قبله او بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول اي
ملتبسين بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا
حكمة في ان ياتيكم بصور تشاهدونها وتشهدون بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب فان منكم ومن
ذراريكم من سبق له الحكم بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب وما كانوا اذا منظرين جواب
لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو انزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم

واستهزائهم ولهذا اكده بان والضمير وبناء الفعل عليه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من الطعن
والتحريف والزيادة والنقصان بان جعلناه مباينا لكلام البشر لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه
وتغيير نظمه لو غير بخلاف الكتب المتقدمة فانه تع لم يتول حفظها واستحفظها الربانيون والاحبار
ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا لا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا وقيل الضمير لرسول
صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي
ارسلنا رسلا ومن قبلك يجوز ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق بالمحذوف على انه نعت له والشيع
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو
الحطب الصغار توقد بها الحطب الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما
ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قيل وما
ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو
قريب من الحال ورد عليه بان اكثر دخوله على المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به
الاستقبال كقوله تع ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وانشد شاهدا له قول ابي ذؤيب
أودى بني واودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة ما تقلع * وقول الاعشى في مدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم * له نافلات ما تغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا * وقوله الا كانوا
يجوز ان يكون حالا من مفعول ياتيهم ويجوز ان يكون صفة لرسول فمحله الجر باعتبار
اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كانت حالا فهي حال مقدرة كذلك مثل ذلك السلك نسلكه في
قلوب المجرمين والسلك ادخال الشي في الشي كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير
للذكر اي ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كالضمير الاخير في قوله لا يؤمنون به وهو
حال من هذا الضمير او بيان للجملة المتضمنة له او حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرة
للمعنى الاول بل يقويه وتعاقب الضمائر وان لم يستلزم توافقها في المرجوع اليه لكنه مستحسن لا
يعدل عنه عند سداد المعنى به وقد خلت سنة الاولين استيناف اي قد مضت طريقتهم التي
سنها الله تع في اهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة على
تكذيبهم فموقع هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعراء اعني قوله حتى يروا العذاب الاليم
ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون اي يسر لهم معراجا
يصعدون فيه اليها طول النهار ويعاينون ما هنالك وذكر الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستوضحين

لما يعاينون طوله لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكا في الحق انما سكرت ابصارنا صيرت
من السكر ويدل عليه قراءة سكرت اي حارت كما يحار السكران او حبست من السكر ويدل عليه قراءة
بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار كما يحبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا
محمد صلى الله عليه وسلم بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات اي هذا تخييل لا حقيقة له قد سكر
ابصارنا ومعنى انما انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكير الابصار وهذا معنى الاضراب في
بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا اثباتا لا افاقة معه ولقد جعلنا في السماء بروجا هي الاثنا عشر
المعروفة مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة ومن زاد على هذا فقوله مع بساطتها
فقد ادعى ما دون اثباته خرط القتاد وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين
المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسماء وكذا في زيناها
اذ لا وجه لتخصيص الزينة بالبروج من كل شيطان فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها رجيم مرجوم بالنجوم اي يرمى بها الا من استرق السمع في محل
النصب على الاستثناء المتصل واستراق السمع اختلاسه سرا شبهت الخطفة اليسيرة التي للشياطين
من سكان السموات لبعض الغيب بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها
وحركاتها بالسرقة في المسموعات وعن ابن عباس رض كان الشياطين غير محجوبين عن السموات فلما
بعث عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا منها جميعا بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون من في محل
الرفع بالابتدا وخبره فاتبعه اي طلب لحوقه وانما دخلت الفا لان من اما شرطية واما موصولة
شبهت بالشرطية والاستثنا منقطع وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محله الجر
وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الى تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا منه الا
قليل منهم فان فيه ضرورة على قراءة الرفع ومن قال اي فتبعه ولحقه فكانه لم يفرق بين تبعه
واتبعه والفرق قائم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق بالاول وتبعه تبعا اذا مر
ومضى معه وكذلك اتّبعه اتباعا بالتشديد ثم ان ما روي عن ابن عباس بعد قوله منعوا منها
جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب قبس فان اصابه احرقه وان
اخطأه قيل فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم اعتبار اللحوق في الاتباع شهاب
مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة واطلاقه على الكوكب والسنان بطريق

الاستعارة لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن
حلها وقيل المد هو البسط اي ما لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة فعلية
كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتدا فلذلك نصب في الارض والقينا
طرحنا وانما قال فيها دون عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم من القا الجبال القاؤها على الارض
من خارج وبيان ان المراد تمكنها فيها على وجه يتظاهر كانها ملقاة عليها رواسي جبالا
ثوابت وقد مر ما يتعلق به في تفسير سورة الرعد وانبتنا فيها اي في الارض والانبات في
الجبال يندرج ولا وجه لارجاع الضمير الى الجبال خاصة فلا حاجة الى الجمع في الانبات في
الارض بدون العكس من كل شيء لفظة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم وقدم
نظائرها موزون بميزان الحكمة مقدر بقدر تقتضيه او مستحسن مناسب كقولهم كلام موزون
اي ذو قدر ووقع في باب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش قدم تفسيره في
سورة الاعراف ومن لستم له برازقين نصب عطفا على لكم لا على الضمير المجرور والا وجب
اعادة الجار اي وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين من العيال والخدم والمماليك
والانعام والدواب ممن تظنون انكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم او على
معايش اي وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكر فانها من معايشكم وفذلكة الآية
الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزا في الوضع محدثة
فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على
كمال قدرته تع وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم الله عليهم
في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه من
شيء في محل الرفع مبتدا خبره عندنا خزائنه ومن زائدة لتاكيد العموم الخزائن جمع الخزانة
وهي اسم المكان الذي يخزن اي يحفظ فيه نفائس الاموال شبه معلوماته تع الممكنة التي اذا
تعلقت الارادة بها وجدت بقدرته بالاشيا المخزونة في الخزائن فهي استعارة وقيل
ضرب ذلك مثلا لاقتداره في كل مقدور وايجاده وتكوينه بحسب الارادة اي ما من شيء
من الاشيا الممكنة الا ونحن قادرون على ايجاد اضعاف ما وجد منه وما ننزله اي نكونه
ونوجده في العالم السفلي الا بقدر معلوم الا بمقدار معين وحد عينته الحكمة واقتضته
المشيئة فان تخصيص كل منها بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون

ايجالعها لابد من مخصص حكيم وارسلنا الرياح فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح
الهبوب وانما تركد بالعسر الالهى لما فى هبوبه الزائد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة لواقح
حوامل او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح جمع مطيحة كقوله ومختبط
مما تطيح الطوائح اى المطيحات شبه الريح التى جاءت بخير كانشاء السحاب الماطر وانبات
زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم وقرئ وارسلنا الريح على تاويل
الجنس فانزلنا من السماء ماء قدم تفصيله فى تفسير سورة البقرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم
سقيا وما انتم له بخازنين نفى لما اثبته لنفسه فى قوله وان من شىء الا عندنا خزائنه عنهم
كانه قال نحن الخازنون للماء لا انتم اى نحن القادرون على خزنه فى السحاب وانزاله وما
انتم عليه بقادرين دلالة باهرة على عظيم قدرته واظهار العجزهم وقيل معنى وما انتم له
بخازنين فى الغدران والعيون والابار وانا لنحن نحيى ونميت تقديم الضمير للاختصاص وتكريره
وتاكيده بان للحصر والتقوية اى لا قدرة على الاحياء الا لنا ويجوز ان يراد بالحيوة ما يعم
الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق كلا استعير
الوارث للباقى من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين فيهما او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم تخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى
الطاعة ومن تاخر لا يخفى علينا من احوالكم شىء فهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على
كمال قدرته وقد دل على علمه ايضا ما دل على قدرته وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الصف الاول فى الصلوة فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت
فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقدم بعض القوم لئلا يقع بصره
عليها واستاخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما تقدم من الوجوه والذى يتلوه هو المطابق
للسابق واللاحق وان ربك هو يحشرهم الحشر جمع الحيوان من جهات شتى الى مكان
اى وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف عددهم وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدليل على كمال قدرته وعلمه يدل على صحة هذا الحكم
كما صرح به فى قوله انه حكيم باهر الحكمة متقن فى افعاله عليم اى واسع العلم محيط بكل شىء علما
ولقد خلقنا الانسان من صلصال لما نبه على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة اى ما

يستقرون فيه نبههم على مبدء اصلهم والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل لشدة يبسه
وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا سمع فى صوته مد عند النقر فهو صليل واذا
سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حماء صفة لصلصال اى كائن
من حماء ويجوز ان يكون بدلا من صلصال باعادة الجار والحماء طين تغير واسود من
طول مجاورة الماء مسنون مصبوب مفرغ من سن الماء اذا صبه اى افرغ صورة انسان
كما تفرغ الصورة والتماثيل من الجواهر المذابة كانه افرغ الحماء فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
والجان ابو الجن كما ان ادم ابو الانس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
فان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا
منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من
نار الحر الشديد النافذ فى المسام وهذا باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع
خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة
التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من الغالب فيها الجزء الارضى ومساق الاية
كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى
يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله
للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون انما قال ههنا بشرا لان المراد الجسد
الخالى عن الروح والمراد فيما سبق جنس الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر
عنه ثمه بالانسان فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحى
اى احييته وهو تمثيل لتحصيل ما يحيى به جثته فيه وما ثمه نفخ ولا منفوخ لكن لما كان
ظهور الروح الانسانى المخصوص بالله تع فيه انما هو بفيضان القوة الحيوانية على البخار
اللطيف المتولد فى القلب السارى منه فى الشرايين الى سائر اعضاء البدن عبر عن احيائه
بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الروح فى تجويف جسم اخر واضافة الروح الى نفسه
لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة
كلهم تعلقه لامر منجز مذكور فى مواضع اخر وقد قررناه فى تفسير سورة الاعراف لا لامر معلق
مذكور ههنا فالفاء الفصيحة للعطف على محذوف تقديره ظاهر لمن وقف على لام التنجيز

اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعن المبرد
اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان
اجمعين معرفة فلا يكون حالا الا ابليس استثناء متصل وقد سبق وجهه في سورة البقرة والاعراف
ابى استيناف كان سائلا قال هلا سجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين في عبارة مع
اشارة الى ان ابليس كان في حيز التابعين في امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع
هذه الاشارة حيث كان الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في
ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي
حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف خلقته من صلصال من حمأ مسنون اي
خلقته من اخس الاجرام وانا مخلوق من اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق
الجواب عنه قال فاخرج منها من السماء او الجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله اي ملعون
لان الطرد من الرحمة هو اللعن والرجم في الاصل هو الرمي وجعل الرجم طردا لان من يطرد
يرجم بالحجارة وقيل من الشياطين المرجومين بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل
التصريح بل هو جواب على سبيل التنبيه وذلك ان الذي قاسه تع نص والذي قاله ابليس قياس
ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هو الابعاد والطرد الى
يوم الدين جعله منتهى امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده بل بمعنى ان الاغواء الموجب للعن على
لسان المكلفين ينقضي بانقضاء التكليف وقت الجزاء فينقطع ذلك اللعن ثم يجازى بما
ينسى معه اللعن ويستحق من انواع العذاب والا فاللعن في القيمة منصوص عليه في مواضع
من كلام الله كقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت
اختها فاذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين وقيل حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس
في التابيد كقوله ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف
دل عليه سياق الكلام تقديره فاذا جعلتني رجيما الى يوم القيمة فانظرني الى يوم يبعثون طلبا
للامهال في العقوبة قيل اراد ان يجد فسحة في الاغواء او نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت
البعث فاجابه الى الاول دون الثاني وما ذكرنا اهم وهو يستلزم لما ذكره اولا واما ذكره ثانيا
فمبنا ضعيف على ما ستقف عليه قال فانك من المنظرين الفاء للعطف على محذوف تقديره لا حاجة
الى السؤال فانك من الذين اقتضى حكمة التكليف انظارهم فكان فيها تنبيها على انه لا اجابة له

والاكرام من جهة الاسعاف لبعض سؤاله الى يوم الوقت المعلوم هذا ويوم الدين ويوم
يبعثون واحد الا انه خولف بين العبارات قضاء لحق البلاغة في الكلام فعبر عنه اولا بيوم الجزاء
لما عرفت وثانيا بيوم البعث لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم لوقوعه
في الكلامين وزيادة الوقت للتنبيه على ان التاخير الى ذلك اليوم لا يقتضي نجاته لانه زمان ممتد
والبعث في بعض اوقاته فيجوز ان يموت في اوله ثم يبعث مع سائر الخلائق في وقت البعث
وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على كرامة عند الله لانه على سبيل الاهانة والاذلال
قال رب بما اغويتني الباء للسبب وما مصدرية اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي
طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم وقيل الباء للقسم ويرده قوله تع في موضع آخر
فبعزتك لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة الذات فمن قال
والمعنى اقسم باغوائك اياي ثم قال وفي انعقاد القسم بافعال الله تع خلاف فقد اخطأ في الاول
ولم يصب في الثاني لان الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه يمين يترتب عليها احكامها من الكفارة
وغير ذلك لا في اليمين المتعارف فانه لا خلاف في انه اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو
متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن الحلف بالآباء وعده الاصحاب مكروها فالكلام المذكور
لا مساس له بهذا المقام لازينن لهم في الارض اي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله اخلد الى الارض وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض اي قدرت على تزيين الاكل
من الشجرة لآدم فلان اقدر على تزيين المعاصي لذريته في الارض اولى ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم عن الشوائب
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم ودينهم لله تع وكان يكفيه ان يقول الا المخلصين
منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى وجه خلاصهم عن اغوائه وهو اختصاصهم بالله تع من جهة
العبودية وتوطئة لتوصيفهم بالوصف المذكور قال هذا اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من اغوائه او الى الاخلاص صراط علي اي تخلصهم من اغوائك وانتفاء سلطانك عليهم
حق علي ان اراعيه والاخلاص طريق علي بمعنى يؤدي الى الوصول الي والدخول علي وايثار
حرف الاستعلاء على حرف الانتهاء لتاكيد الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو ادل
على التمكين من الوصول فهو تمثيل اذ لا استعلاء لشيء عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا مستقيم من
غير اعوجاج او هذا الصراط حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي فقوله

ان عبادی لیس لک علیهم سلطان تفسیر للصراط المشار الیه بهذا علی طریق الاستیناف
وقری علی من علو الشرف والمکانة وفی القول المذکور رد لما اوهم اللعین من انه انما یستثنی
المخلصین رعایة لشرف تقربهم من الله تع والاضافة فی عبادی للتشریف یعنی ان المخلصین
بعبادی المشرفین بالانتساب الی لا قدرة لک علی اغوائهم فالاستثنا فی قوله الا من اتبعک من
الغاوین منقطع ای لکن من اتبعک من الغاوین فلک علیهم سلطان والواو فی قوله وان
جهنم لموعدهم ای لموعد المتبعین للعطف علی المحذوف واما ما قیل انه تکذیب له فیما اوهم انه
سلطان علی من لیس بمخلص من عباده فان منتهی امره التحریض والتدلیس کما قال وما کان لی
علیکم من سلطان الا ان دعوتکم فاستجبتم لی فلا یخفی بعده لانه ان ارید بالسلطان القدرة
علی الاغواء والضلال فلا وجه للتکذیب له وان ارید به ما اراده فی القول المنقول عنه من القدرة
القاهرة فکلامه خلو عن ایهامه ثم ان مبناه علی انقطاع الاستثناء مع صحة التناول فی المستثنی
منه للمستثنی ولا یخفی ما فیه فان حق الاستثنا علی تقدیر العموم فی المستثنی الاتصال کما ذهب
الیه من قال انه تصدیق لابلیس فیما استثناه ولا یذهب علیک ان خطابه بالتصدیق فیما
قاله لا یخلو عن نوع اجلال له فلا یناسب مقام الاهانة والاذلال اجمعین تاکید للضمیر او
حال والعامل فیها الموعد ان جعلته مصدرا علی تقدیر مضاف ومعنی الاضافة ان جعلته
اسم مکان فانه لا یعمل لها سبعة ابواب بحسب طبقاتها استیناف او خبر ثان ومن قال
یدخلون فیها لکثرتهم او طبقات ینزلونها بحسب مراتبهم لم یصب فی واحد منهما اما فی
الثانی فظاهر لان الابواب مداخل تلک الطبقات لانفسها واما فی الاول فلان مبناه
علی ان یکون التعدد فی المداخل فقط ولیس کذلک قال علی رض ان الله وضع الجنان علی العرض
ووضع درکات النیران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها اللظی وفوقها الحطمة
وفوقها سقر وفوقها الجحیم وفوقها السعیر وفوقها الهاویة ومن وهم عکس الترتیب فقد وهم
لکل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدین والثانیة للیهود والثالثة
للنصاری وروی ان الثانیة للنصاری والثالثة للیهود والرابعة للصابئین والخامسة
للمجوس والسادسة للمشرکین والسابعة للمنافقین قال تع ان المنافقین فی الدرک الاسفل من
النار وهذا صریح فی انها درکات بعضها فوق بعض وبما قررناه ظهر ان تخصیص العدد
لان اهلها سبع فرق لانحصار مجامع المهلکات فی الرکون الی المحسوسات ومتابعة

القوة الشهوانیة والغضبیة وقری جزّ بالتثقیل وقری جزٌ علی حذف الهمزة والقاء حرکتها علی الزای
ثم الوقف علیه بالتشدید ثم اجراء الوصل مجری الوقف ومنهم حال منه او من المستکن فی الظرف
لا فی مقسوم لان الصفة لا تعمل فیما تقدم علی موصوفها ان المتقین من اتباعه من قال فی الکفر
والفواحش فان غیرها مکفرة فکانه عن اشتراط کفارة الصغائر بالاجتناب عن الکبائر فی جنات
قد سبق تفسیره فی سورة البقرة ان الجنان ایضا سبع وفی کل واحدة منها مراتب ودرجات
متفاوتة علی حسب تفاوت الاعمال والعمال وعیون یحتمل ان یکون المراد بها الانهار المذکورة
فی قوله تع فیها انهار من ماء غیر آسن وانهار من لبن لم یتغیر طعمه وانهار من خمر لذة للشاربین
وانهار من عسل مصفی وان یکون منابع لتلک الانهار ادخلوها علی ارادة القول وقری بقطع
الهمزة وکسر الخاء علی انه ماض الادخال بسلام سالمین او مسلما علیکم ای تسلم علیکم الملائکة امنین
من الافات والعاهات واما الزوال فالامن عنه انما یعلم من قوله وما هم منها بمخرجین فلا وجه
لدرجه فی الامن المراد ههنا ونزعنا ما فی صدورهم من غل کان لبعضهم فی الدنیا علی اخر نزع
الله ذلک من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطیب نفوسهم روی ابو امامة رض عن النبی صلی الله علیه
وسلم انه قال ان اهل الجنة یدخلون الجنة بما فی صدورهم من الشحناء والغل فاذا تواقفوا
وتقابلوا نزع الله تع ذلک من صدورهم فذلک قوله تع ونزعنا ما فی صدورهم من غل الایة
فمن وهم ان ذلک النزع فی الدنیا فقد وهم وعن علی رض ارجوا ان اکون انا وعثمن وطلحة والزبیر
منهم والغل الحقد الکائن فی القلب من انغل فی جوفه وتغلغل فلا وجه لما قیل من التحاسد علی
درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمیر المجرور فی صدورهم وجاز ذلک لان المضاف
جزء المضاف الیه او من فاعل ادخلوها او من الضمیر فی امنین او من الضمیر فی جنات وکذا قوله
علی سرر متقابلین ویجوز ان یکونا صفتین لاخوانا او حالین من ضمیرهم لانه بمعنی متصافین
او یکون متقابلین حالا من المستتر فی علی سرر لا یمسهم فیها نصب استیناف او حال بعد حال
او حال من الضمیر فی متقابلین والنصب الوهن الذی یلحق من التعب فی العمل وما هم منها
بمخرجین نص فی الخلود وبه تتم النعمة ولما اتم ذکر الوعد والوعید رتبه بقوله نبئ عبادی
انی انا الغفور الرحیم وان عذابی هو العذاب الالیم تقریرا لما ذکر وتمکینا له فی النفوس وهو
فذلکة لذلک وفی ذکر المغفرة ایما الی انه لم یرد بالمتقین الذین اجتنبوا الذنوب باسرها کبیرها
وصغیرها وعن ابن عباس رض غفور لمن تاب وعذابه لمن لم یتب وفی توصیف ذاته بالغفران

والرحمة دون التعذيب والتاكيد بالضمير وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد وفي عطف
ونبئهم عن ضيف ابرهيم تحقيق لها بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط من العذاب وانجا لوط
وآله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك او سلمنا سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم
وجلون الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقيل
لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل وقرى لا توجل بضم التا من اوجله اذا اخافه وقرى لا تاجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك في
محل الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه وقرى نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر
بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم بالدين فادمج فيه الاشارة الى نبوته كما ضمن قوله
بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر مس الكبر كناية عن تغييره
اياه عن الحال التي يطمع في الولد الى حال الياس عنه ومعنى الهمزة التعجب والاستنكار اي البشارة
بالولد مع كبر سن الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده بقوله فبم تبشرون اي فباي
اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه في العادة كلا بشارة او بشارة بغير شيء
وقرى تبشرون بكسر النون والتشديد على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وبكسرها والتخفيف
على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني قالوا بشرناك بالحق اي بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي
لا لبس فيه ويجوز ان يكون قوله فبم تبشرون سوالا عن وجه البشارة وطريقته اي باي طريقة
تبشرونني بالولد ولا طريق الى هذه البشارة في العادة وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هي الحق
وهو قول الله تع ووعده فلا تكن من القانطين من الآيسين عن ذلك فانه القادر على ايجاد
بشر من غير ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة
دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق
المعرفة فلا يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تع انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تع واستبعادا من قدرته بل استبعدته
استعجابا باعتبار العادة وقرى يقنط بالحركات الثلاث وقرى من القنطين من قنط يقنط
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له تفريع على ما علم مما تقدم من
ان كل القصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا ذوي عدد ولو لم يكن المقصود الا
البشارة لاكتفي بالواحد كما اكتفي به في بشارة زكريا ومريم ولانهم بشروه في اثنا ازالة الوجل

ولو كان المقصود هي وحدها لابتدؤا بها ولان نزول الملائكة يكون غالبا للعذاب قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين اريد بهم مخصوصون يدل عليه قولهم في سورة هود انا ارسلنا الى قوم
لوط وانما نكر ههنا على سبيل الاستهانة بهم كانهم ابهموا ولانهم بينوا فنقل كل منهما في موضع
اكتفا بقدر الحاجة وفي الاشارة في توصيفهم بالمجرمين الى ان ارسالهم بالعذاب غني عن العبارة
عنه بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع في موضع آخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب
الى قوم مجرمين والمجرم المنقطع عن الحق الى الباطل الا آل لوط استثنا متصل من الضمير في مجرمين
اي قوم اجرموا كلهم الا آل لوط او من قوم على ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغالب وعلى كلا
التقديرين القوم والارسال شاملان للمجرمين وآل لوط المومنين به والمعنى انا ارسلنا الى قوم
لوط وآله ليهلكوا قومه وينجوا اهله الا امراته انا لمنجوهم اي مما يعذب به القوم اجمعين استيناف
للجواب عن سوال ابرهيم وهو مذكور في موضع آخر بقوله قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله الا امراته وهذا القدر من الاختلاف في اسلوب الكلام لا يضر اذا
كان المراد نقل خلاصة المعنى وحاصل المرام الا امراته استثنا من الضمير المجرور في منجوهم
او من آل لوط على ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرين انها كسرت لاجل
اللام في خبرها ولولاها لفتحت وهي معلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق اجراء مجرى القول
لان التقدير بمعنى القضا قول او مجرى العلم لكونه بمعناه او لكونه مترتبا عليه واما
تضمينه معنى العلم فلا يجدي نفعا لبقا معنى الفعلين واصل التقدير جعل الشي على مقدار
غيره والغابر الباقي والمراد البقا في العقوبة وهذه الجملة من كلام الله ذكرت تقريرا للاستثنا
الواقع في كلام الملائكة لان قوله تع فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان يكون من كلام الملائكة فالذين سعوا في توجيه
اسنادهم التقدير الى انفسهم بما لا يخلو عن نوع تعسف لم يكن سعيهم مشكورا فلما جا آل
لوط المرسلون الفا الفصيحة للعطف على محذوف تقديره ظاهر بقرينة المقام وبا في
الكلام قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي واخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله وتخافه بل جئناك بما يسرك ويشفيك من اعدائك
وهو العذاب الذي توعدتهم بنزوله فيجادلونك فيه تكذيبا لك وقوله في سورة هود قال
لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لا يمكن توفيقه لهذه

المقاولة الاجمل قوله عليه السلام ههنا على تصوير الحال والتعبير عنها وحمل ما نقل عنهم على نقل
مآل المعنى وحاصل الكلام واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرى فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وقرى
فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه وقيل من آخره قال «افتحي الباب وانظري في النجوم» كم
علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم لئلا تخلف منهم احد فيصيبهم
العذاب ولتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يشتغل قلبك بمن خلفك ولا يصدر هفوة في
تلك الحالة المهولة احتشاما منك ولا يلتفت منكم احد فيرى ما بهم من العذاب ويرق لهم
او يرى ما لا يطيقه من الهول فيبقى على مكانه دهشا فيهلك او ينصرف فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات الى الاوطان والمالوفات تحسرا عليها ليوطنوا انفوسهم على المهاجرة
ويجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن الامر بتواتر السير والعجالة وترك التواني
والتوقف فان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة وتوان وامضوا حيث تؤمرون اي حيث
امركم الله بالمضي وهو الشام او مصر عدى امضوا الى حيث بنفسه لانه ظرف مبهم في الامكنة
وكذا تؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا اليه ضمن قضينا معنى اوحينا فعدى
بالى كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هولاء مقطوع
ومحله النصب على البدل منه اي يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وفي ابهامه والاشعار
بذلك ثم تفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرى ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال ما ذلك
الامر فقال ان دابر الخ ان يكون من علو ويلزمه السرعة وقرى تهوى على البنا للمفعول من
هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديتها
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله
دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ويجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع فيه البواكير
والفواكه الربيعية والصيفية في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله واظهارا
للافتقار اليه واستلذاذا وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما نخفي على
ما نعلن تفاديا عن اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت في علمهما وهو منتف في حق الخالق
اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا
منا فلا حاجة بنا الى السوال ولكنا ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل والتخشع لك وامتثالا

غلط من هنا الى الصفحة

مصبحين

مصبحين داخلين في الصبح حال من هولا او من الضمير في مقطوع وانما جمع حملا على المعنى فان
دابر هولا في معنى مدبري هولا وجا اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم
قال ان هولا ضيفي الضيف في الاصل مصدر اضاف يضيف ضيفا اذا اتى انسانا لطلب
القرى وهو اسم يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث واطلاق الضيف على الملائكة لكونه في
صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه يفضحه فضحا
وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم
من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الخجالة وهذا القول منه عليه السلام صريح في
ان مجي اهل المدينة والمقاولة معهم في شان الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة ارسلوا للنصر فجا
في قوله وجا اهل المدينة يستبشرون اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملائكة في بيت لوط قبل
محاورته معهم وعلمه بانهم ملائكة وما في قوله فلما جا آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
اخبار عن محاورته عليه السلام مع الملائكة بعد تمام مقاولته مع اهل المدينة ولا دلالة في
الواو على الترتيب قالوا اولم ننهك عن العالمين للاستفهام الانكاري والواو للعطف على محذوف
تقديره الم نقل لك لا تجر احدا بالانزال في بيتك ولم ننهك عن العالمين اي عن المنع بيننا وبينهم
فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه قال هولا بناتي فيه وجوه قد
مر بيانها في تفسير سورة هود ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول
لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة ففيما احل الله دون ما حرم لعمرك
قسم بحيوة المخاطب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك واللام
لام الابتدا وعمرك مبتدا خبره محذوف تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر تخيص به
القسم ايثارا للاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم ومتى اقترن بلام الابتدا يلزمه حذف
الخبر لسد جواب القسم مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة غلمتهم التي اذهبت تميزهم بين
الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون النصح
فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامل في معنى وهو صيحة جبرئيل فان اسم الجنس
كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
زيد ليس بانسان والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة واخذتهم الصيحة قهرا اياهم وتمكنها
منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس يقال شرقت

الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل اذا دخل في شروق الشمس كان ابتدا العذاب حين
اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قوله ان موعدهم الصبح فجعلنا عاليها عالي
المدينة او عالي قراهم سافلها منقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر عليه
كتاب من السجيل لقوله حجارة من طين مسومة اي معلمة بكتاب وقيل قذفوا بالحجارة اولا ثم
قلبوا وقيل التقليب كان للحاضرين والامطار لمن شذ منهم ان في ذلك لايات للمتوسمين
للمتفرسين اي الناظرين المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته يقال توسمت في فلان
كذا اذا عرفت وسمه فيه وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
ويرون اثارهم لم تندرس بعد وهو تنبيه لقريش المارين به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لايات للمومنين بالله ورسوله ولام الاختصاص لان
الانتفاع بها مخصوص وان كان ان هي المخففة واللام فارقة اصحاب الايكة هم قوم
بعث اليهم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة الملتفة واحدة الايك
لظالمين لانهم كذبوه عليه السلام فاهلكوا بالظلة فانتقمنا منهم في عبارة الانتقام دلالة على
انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما اي مدينة لوط او قراها وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام
كان مبعوثا اليهما فدل ذكر الاية على مدين فاتى بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم
لما يوتم به فسمي به الطريق واللوح ومسطر البنا لانها مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
يعني ثمود كذبوا صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع لان سائره بمعجزة
فلا حاجة الى التاويل بحمل المرسلين على صالح ومن معه من المومنين والحجر واد بين المدينة والشام
واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعدا لوثاقتها او
من عذاب الله لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اي انهم صيحة
من السما فاخذتهم زلزلتها وهو المذكور في سورة الاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بنا البيوت المحكمة والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق اي بالعدل والحكمة لا ملتبسا بالباطل والعبث فيمهلون على فسادهم
وظلمهم ولا يواخذون بالعذاب فانه ينافي الحكمة والعدل وان الساعة لاتية فينتقم لك فيها
ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق معاملة

الصفوح

الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم
على اعمالكم او هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فامر اليوم بالصفح لعلمه بانه الاصلح الى ان يكون
السيف اصلح ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد
بيناه في تفسيرها وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة
واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية ورد بان هذه السورة قد نزلت وما نزل من السبع
الطوال شي والصرف عن الظاهر يأباه مقام الامتنان من المثاني بيان للسبع من التثنية
وهي التكرير او من الثنا لاشتمالها على ما هو ثنا على الله الواحدة مثناة اي موضع التثنية
او الثنا وتنكير سبعا للتعظيم والابهام الذي فيه والتوضيح بقوله من المثاني للتمكين في
نفوس السامعين وقوله والقران العظيم من باب عطف الكل على البعض للتعميم وتكثير الامتنان
وتفخيم شان البعض المعطوف عليه كانه المقصود بالذكر والاصل لسائر الابعاض والمراد من
الكل المجموع النازل وقت نزول هذه الاية لا مجموع القران حتى يلزم المحذور المذكور انفا لا
تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الناظر انما يكون ادامة عينيه الى الشي اذا ادام النظر
اليه وادامة النظر الى الشي يدل على استحسانه والرغبة فيه الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فان ما اوتيته من القران العظيم اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل الى
دوام جوامع اللذات وما اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه اقل من لا شي ولا تحزن عليهم
انهم لم يومنوا فيتقوى بهم الاسلام او انهم المتمتعون به دون المومنين واخفض جناحك
للمومنين لمن معك من فقرا المومنين وضعفائهم خفض الجناح مجاز مرسل عن التعطف والرفق
مرتب على الكناية واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل
اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا وانما وصفه
بالمبين لان انذاره عليه السلام ابين من انذار سائر الانبيا لانه عليه السلام من امارات الساعة
فهو منذر بلسان الحال كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه عليه السلام على هذا المعنى حيث قال انا
النذير العريان كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر لاتيناك لانه في معنى
انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني والقران العظيم كما انزلنا على
اهل الكتاب المقتسمين الذين اقتسموا القران الى حق وباطل حيث قالوا عنادا بعضه حق

موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تمدن الخ اعتراضاً مما له
او صفة مفعول للنذير اقيم مقامه اى انذر قريشاً عذاباً مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة للتنفير عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصد عن الدين الذين جعلوا
القران عضين اجزاء جمع عضة بمعنى جزء واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه بلسان قريش السحر يقولون
للساحرة العاضهة والمستعضهة ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة
جبراً لما حذف منه كقولهم قلون وثبون والموصول بالصلة صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك
لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام اى
عن كل ما عملوا من المعاصي فيتناولهما وهو وعيد لهم وقيل يسالهم سوال تقريع فاصدع بما تؤمر
فاجهر به واظهره وقيل افرق بين الحق والباطل به والصدع في الاصل شق في الاجسام الصلبة
كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز وما موصولة اى بالذي تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او مصدرية اى بامرك كقول ابي طالب فاصدع
بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر من المبني للمفعول قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز
ورد بان الخلاف هو في المصدر المصرح به واما الحرف المصدري فليس محل النزاع واعرض عن
المشركين اى لا تلتفت الى ما يقولون فالاعراض كناية عن عدم الالتفات انا كفيناك اى
نكفينك وذكر على صيغة الماضي للدلالة على قربه المستهزئين باهلاكهم وتدميرهم وهم كانوا
خمسة نفر من اشراف قريش وقصتهم مذكورة في كتب التفاسير والسير الذين يجعلون مع الله
الهاً اخر صفة المستهزئين فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلاً واجلاً ولقد نعلم انك يضيق صدرك
ضيق الصدر كناية عن انقباض النفس كما ان انشراحه كناية عن انبساطها بما يقولون من
اقاويل الطاعنين فيك وفيما انزل عليك والمستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فنزه ربك عن
العجز والانتقام منهم وتفريعه على ما تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو السبب
لضيق صدره عليه السلام ومن لم يقف على هذا فسره بقوله فنزه عما يقولون حامداً له على ان هداك
للحق واما قيل فافزع الى الله فيما نابك يكفك ويكشف الغم عنك فلم يصب محزه والفزع الى
الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود لان التوسل بما ذكر انما هو معنى قوله وكن من الساجدين

اى من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك
ودم على عبادة من خلقك وربك حتى ياتيك اليقين اى الموت فانه متيقن اللحوق
لكل ذي جسم ذي حيوة اى ولا تخل بالعبادة ما دمت حياً وفيه اشارة وبشارة اما الاشارة
فالى انه عليه السلام يموت كما يموت سائر الانبياء والمرسلين كما في قوله تع وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل واما البشارة فبامنه عليه السلام عن العاهات المانعة للتكليف بالعبادة
الى ان قضى نحبه تم الكلام في هذا المقام والحمد لله على التمام

سورة نحل

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله اى دنا وقرب يقال لمن طلب الاغاثة وقرب
حصولها جاءك الغوث والمراد من امر الله ما اوعدهم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم
وعلى هذا وجه اصابة الفاء في قوله فلا تستعجلوه ظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر
الموعود بمنزلة الاتي المحقق من حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشيء قبل حينه
كانوا يستعجلون ما اوعدهم الله استهزاء وتكذيباً فنزلت ولما كان المستعجل المستهزئ
معجزاً لله تع عن القدرة على ما اوعده وفيه تشبيه بالمخلوق قال سبحانه وتعالى عما يشركون اى
تنزه ان يحوم العجز حول سرادق كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في المعبودية فيدفع
ما اراد بهم كانوا يقولون ان صح ما يقوله محمد فالاصنام تخلصنا منه فنزلت وقرئ تشركون بالتاء
على وفق فلا تستعجلوه وبالياء على تلوين الخطاب واما قيل الخطاب للمومنين او لهم ولغيرهم
لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا
تستعجلوه فيا باه التقدير بالفاء ينزل الملائكة بالروح استعار الروح للوحي او للقران لانه
يحيى به القلوب الميتة بالجهل حيوة الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعد به اشارة الى طريق
العلم به وازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بالعلم به وقرئ ينزل من انزل وتنزل
بمعنى تتنزل ونزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجل امره
على من يشاء من عباده ان تتخذه رسولاً ان انذروا بان انذروا والانذار الاعلام والتخصيص
بما فيه تخويف ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان المشرك دائر امره بين الاسلام
والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام بتضمن التخويف بالقتل ويجوز ان تكون ان مفسرة

لان في الوحي معنى القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او مخففة من الثقيلة
انه لا اله الا انا اي الشان لا اله الا انا او خوفوا اهل الشرك بانه لا اله الا انا فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والاية تدل على ان الوحي بواسطة الملك وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات
القوة العملية وان النبوة عطائية والتي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه
تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر
على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل
واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون لانه موجد للعالم
كله وكل ما سواه مفتقر اليه وهو تمهيد لما يريد من دلائل التوحيد وقوله ينزل الملائكة
بالروح تفصيل لما اجمل في سبحانه وتعالى ايقاظا اولا ثم نفى عنهم ما هم فيه من الشرك ثم
اردفه بدلائل السمع والعقل وقدم السمعي لان صاحبه هو القائم بتحرير العقل وتهذيبه ايضا
فليس النظر الى دليل السمع بل الى من قام به من الملائكة والرسل عليهم السلام خلق الانسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو عطف على ما
تقدم باعتبار ان المراد من خلق الانسان ايجاده وتربيته الى ان يبلغ حد النطق والادراك
فاذا للتعقيب والمفاجاة اضافيا خصيم منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين
للحجة على خصمه مميز للحق عن الباطل فهو صفة مدح اي نقله من تلك الحالة الخسيسة الى هذه
الحالة الشريفة وهي حالة النطق والابانة ويؤيده التعقيب بذكر ما امتن به عليه في
قوام معيشته وقيل معناه مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فهو صفة ذم ويأباه
التوصيف بالابانة ولا يساعده سياق الكلام ولحاقه ومساقه فانه للدلالة على كمال
القدرة والارادة والانعام ذكر اولا ما هو اكثر منفعة والزم لمن انزل القرآن عليهم
وقد تقدم شرح الانعام في سورة الانعام وانتصابها بمضمر يفسره قوله خلقها ولكم في
قوله لكم فيها دفء وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق له او العطف على الانسان وخلقها
لكم بيان ما خلق لاجله ودفء مبتدأ خبره فيها والجملة مع ما بعدها تفصيل لما خلق له والدفء
ما يدفأ به اي يسخن فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم

الظرف

الظرف للاختصاص اشارة الى ان الاصل المعتد به في اكل اللحم انما هو منها واما الاكل
من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه فجعل لمجرد محافظة الفاصلة تنزيل للمنزل
عن منزلته الفاصلة ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها
بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها وتجاوب
الرغاء والثغاء فيانس اهلها ويفرح اربابها وتجلهم في اعين الناظرين اليها وتكسبهم
الجاه والحرمة وتقديم الاراحة على السرح لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت ملأى البطون
حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها يانسون بها مبتهجين وقرئ حينا على
ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف لحين اي تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ليس من شانكم بلوغه بانفسكم على افرادكم الا بشق الانفس الا بجهد
ومشقة لو لم تكن الابل فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم فكيف اذا افضلت اثقالكم من ان
تحملوها او لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
في المعنى المذكور وقيل بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة
الى الشق واما الشق بالكسر فهو للنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ان ربكم لرؤف
رحيم رؤف بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم ويرحمكم بخلق هذه المنافع والحوامل والخيل والبغال
والحمير عطف على الانعام وواحد الخيل خائل كضائن واحد ضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر
هنا منفعة الركوب عبارة واحال بين منفعة الحمل عليها الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا في كل
منهما للاصالة وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها على انها مفعول له وخولف بينهما لا
لان الركوب فعل المخاطبين ففقد شرط نصبه واما الزينة ففعل الخالق لانه لا يأبى عن نظم
الثاني في سلك الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرئ زينة بغير واو
فيجوز ان يكون حالا عن احد الضميرين وان يكون علة لتركبوها واستدل به على حرمة لحومهن
ووجه الاستدلال ان المقام مقام الامتنان بعد المنافع والكلام مشتمل لنوعي المقصود
استيفاء لها فلو كان اكلها حلالا لكان احق بالتعرض من الزينة واما اكل لحم الحمار وان كان
حلالا وقتئذ الا انه في معرض التحريم فالامتنان به لا يليق بالحكمة ويخلق ما لا تعلمون لما فصل
الحيوانات المحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله
اي فيكم ولكم على سبيل الامتنان او ما لم تحصوه ولكم لم يكن لكم به علم كثرتها دلالة على

من بديع قدرته وحكمته ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه
وتغيير النظم الى المضارع لاستحضار الايجاد او لم يحط به علما من الاشياء النافعة له والدالة
على قدرته تذكيرا للنعمة وتعجيبا وتقريرا لدلائل القدرة وتعجيز ما لا يزكون به من الالهة وعلى
الله قصد السبيل اي عليه تعالى رحمة وفضلا هداية الطريق المستقيم الموصل الى الحق او عليه
الطريق المستقيم اي يصل اليه من يسلكه لا محالة كما تقول هذا الطريق على موضع كذا اذا انجرت
اليه والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك والمراد بالسبيل الجنس لاضافة القصد اليها ولقوله ومنها جائر لا يوصل
الى الحق لسوء استعداد صاحبه وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد وتغيير الاسلوب على انه ليس
على الله الهداية الى الطريق الجائر عن القصد والاستقامة او لا يوصل الى الله سالكها او ان
المقصود بيان سبيله وذكر قسيمه انما جاء بالعرض ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء الله هدايتكم
اجمعين الى قصد السبيل لهداكم اليه هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء من
السحاب او من جانب السماء لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر الاستدلال
عليه بعجائب احوال النبات ماء تنكيره لانه على خلاف المعهود حيث لا يسيل بل ينزل قطرات
غير متداركة لكم متعلق بانزل او خبر شراب في قوله منه شراب اي مشروب ومنه على الاول خبر
لشراب وعلى الثاني تبعيضية وفي حصر المشروب المستفاد من تقديم منه دلالة على ان مياه
الارض منه ومنه شجر ومنه تكونه والمراد بالشجر ما يرعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض
يطلق عليه الشجر قال الشاعر: نعلفها اللحم اذا عز الشجر. فيه تسيمون ترعون من سامت الدابة
الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها واصله من السومة التي هي العلامة لانها تؤثر
بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب
تقديم الزرع لانه الاصل في الغذاء وتخصيص الاجناس الثلاثة من الثمرات وتقديمها لاظهار
فضلها وانافتها على سائرها ولعل تقديم ما يسام فيه على الكل لصيرورته غذاء حيوانيا هو اشرف
الاغذية اسرع ما يكون الى اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها لان كل ما يمكن من الثمرات
لا يكون في الارض ان في ذلك لآية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون
بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته ولما كان الاستدلال بانبات الماء وهو واحد واكثرت
انواع النبات قال هنا لآية على صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم

بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرات
بامره التكويني او على المصدر وجمع للتنويع جمع مسخر بمعنى تسخير اي سخرها انواعا من التسخير
كانه قيل سخرها تسخيرات وقرئ برفع الشمس والقمر والنجوم على الابتداء والخبر مسخرات بالرفع وبرفع
النجوم وحده ونصب ما قبله ومسخرات خبره ليعني بها مسخرات حقيقة بعد نفيه وانما قيل
انها سخرت لكم باعتبار ان فائدة تسخيرها عائدة اليكم ومن وهم ان المعنى مسخرات لما خلقن
له فقد وهم اذ ح يكون اعادة بلا افادة ان في ذلك لآيات اتى هنا بصيغة الجمع لان
وجه الدلالات في السموات متعدد لقوم يعقلون ذكر العقل لان الاحتياج الى تجريد العقل
الصرف في الاستدلال بها اشد فان القوة الفكرية كافية في الاستدلال بما يشاهد من احوال
النبات وتغييراته واختلاف اشكاله والوانه واما احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل
ومعرفة بالعلم الطبيعي والهيئة والهندسة ومن زعم ان وجه الدلالة هنا مع تعدده اظهر من
وجهه ثمة مع وحدته فقد كابر مقتضى العقل الصحيح وما ذرأ لكم في الارض من انواع الحيوان
والنبات والمعادن في موضع نصب بفعل محذوف اي وخلق وانبت كذا قال ابو البقاء
استبعد تسلط سخر على ذلك اذ ح يلغو قوله لكم فقدر فعلا لائقا ومن لم يتنبه لهذا قال اي
سخر لكم ما خلق لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية
لقوم يذكرون اي يعتبرون فان اختلافها في الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
قادر حكيم وافراد الآية لانه عبر عنه بمفرد ووصف بمفرد وهو الذي سخر البحر بان مكنكم من الانتفاع
به بالركوب والاصطياد والغوص وغير ذلك لتأكلوا منه لحما طريا هو الحوت وانما عبر عنه
باللحم وهو ما يؤكل من الحيوان تنبيها على جهة فضله وامتيازه عن سائر الحيوانات المأكولة
فانها لا تكون لحما الا بعد الذبح والسلخ ولا يخفى لطف موقع هذا التنبيه والتمهيد السابق بقوله
من حيث تضمن الاشعار بانهم يبتدؤون اكله من البحر مبالغة في تهيئته للاكل في مقام الامتنان
وفي تخصيص الطري بالذكر اشارة الى انه في معرض ان يسرع اليه الفساد لكمال الطافة فيسارع
الى اكله فكانه قيل لتأكلوا منه لحما في غاية اللطافة وهذا من الطف الكنايات التي قلما يتنبه لها
ولا بد من الحمل عليها اذ على تقدير ابقائه على ظاهره يكون بيانا للواقع خاليا عن فائدة الخبر
ولازمها روي ان ابا حنيفة رض لما قال لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث لان لحم
السمك ليس بلحم سمع سفيان الثوري قوله فانكر عليه محتجا بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة

رجلا سأله عمن حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث
فقال ابليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك تلقين ابي حنيفة
وقيل في وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا
يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار
وهذا معارض بانه اذا قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بلحم العصفور استحق الانكار
ايضا مع انه يحنث باكل لحم العصفور من حلف لا ياكل اللحم ولما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان
الذي لحمه في غاية العذوبة ونهاية اللطافة علم انه انما حدث لا بحسب الطبع بل بقدرة الله
وحكمه حين اظهر الضد من الضد وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به
وزيادة حرف التنفيس هنا للدلالة على ان اخراجها بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها
تلبسها النساء فهو من قبيل اسناد فعل البعض الى الجملة كقرينة السابق وترى الفلك
مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها مع صوت من المخر وهو شق الماء بصوت ولتبتغوا
عطف على محذوف تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون اي وتشكروا الله تعالى على هذه النعمة الجليلة حيث يقطع بها المسافة البعيدة
في المدة القليلة مع ما فيها من الاحمال والاثقال بلا مؤنة الرفع والوضع في اثناء السفر
كما هو المعتاد في مسافة البر هذا هو الوجه بتخصيص هذه النعمة بتعقيب الشكر واما جعل
المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش فلا يناسب مقام الامتنان بالاحسان انما يناسب
مقام اظهار القدرة والقى في الارض رواسي عطف على محذوف تقديره والارض مددناها
والقينا فيها رواسي ولما حذف المعطوف عدل من الضمير الى الظاهر وقدم تفسيره في سورة
الحجر ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم اي تتحرك وتميل والميد الاضطراب وذلك ان الارض لو
بقيت على بساطتها كانت كرية مجيبة للتحرك بادنى سبب او متحركة كالفلك فلما خلقت
الجبال راسخة فيها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال نحو المركز بثقلها فصارت كالاوتاد
التي تمنعها عن الحركة والميل من جانب الى جانب وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان القى
فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لتهتدوا بها في اسفاركم الى مقاصدكم وانما قال لعلكم لانه
لا بد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد وعلامات يستدل بها
السابلة في النهار من الجبال والانهار ونحو ذلك وبالنجم المراد به الجنس او الثريا والفرقدان

وبنات النعش والجدي ويساعدهما قراءة بضمتين وضم وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل
في البراري والبحار وتقديم النجم وتوسيط الضمير فيما واخراج الكلام عن سنن الخطاب الى الغيبة
للدلالة على ان هؤلاء المنكرين من قريش بالنجم خاصة هم خصوصا يهتدون لانهم كانوا كثيرا
الاسفار للتجارة مشهورين بانهم اعلم الناس بالاهتداء بالنجوم في مسايرهم فكان الاعتبار بذلك
الزم لهم والشكر لله به اوجب عليهم فلذلك خصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار دخلت
على فاء التعقيب اي بعد هذه الدلائل المتكاثرة الواضحة الدالة على كمال قدرة الله وحكمته
وانفراده بخلق ما عدد من مبدعاته تساوونه الخالق المطلق بما لا يخلق شيئا واورد من للجمادات
التي هي الاصنام المشاكلة واما بناء على اعتقادهم وتسميتهم الهة وعبادتهم لها وفيه ضرب من
التهكم واما لان المراد كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق الكلام ان يقال
افمن لا يخلق كمن يخلق لانه الزام لعبدة الاوثان لكنه عكس تعظيما لشانهم بانهم لما سموها باسم
الله وعبدوها كعبادته وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس هذه المخلوقات وشبيها
بها فانكر ذلك عليهم وحذف مفعول يخلق لان المراد نفس صدور الفعل منه اي ايكون
الخالق شبيها بغير الخالق او للتعميم اي افمن يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا او لان ما عدد من
المخلوقات دل عليه اي افمن يخلق ما عدد من الاشياء العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيئا منها افلا
تذكرون بعد هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تبلغ طاقتكم ضبط عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على انفرادها باستحقاق العبادة تنبيها على ان
وراءها من النعم ما لا ينحصر وان القيام بحق عبادته وشكره غير مقدور لاحد ان الله لغفور
حيث يغفر تقصيركم في اداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها وفيه اشعار بانه تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان وتجاوز عن
الممكن الى السهل الميسور وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون اشعار بانهم قصروا في
هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب اي يعلم ما تسرون من عقائدكم وعزائمكم وما تعلنون من
اعمالكم واقوالكم وهو وعيد على شركهم باعتبار العلم والعمل وتقصيرهم في الشكر والعبادة
وتقديم ما تسرون لان الوعيد من جهة العقائد والعزائم اهم والذين تدعون من دون الله
اي والالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه تعالى او يعبدونهم لا يخلقون شيئا لما نفى المساواة

والمشابهة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يساوونه ولا
يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي الالوهية تاكيدا لذلك فقال وهم يخلقون اي وهم ممكنات
مفتقرة الى التخليق فكيف يكون الهة والاله يجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات
هم اموات ولما احتمل ان يكون المعنى اموات فيما بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون
دفعه بقوله غير احياء ويجوز ان يكون جمادات لا يعرض لها حيوة كما يعرض لبعض الاموات
كالنطف التي يحييها الله ويجعلها حيوانات وكاجساد الموتى التي يبعثها الله وذلك
اعرق في كونها امواتا ويجوز ان يكون المعنى حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود
والاله يجب ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون اي لا
يشعرون متى تبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان المعبود يجب ان يعلم عبادة العابد ووقت
بعثه وجزائه حتى يقدر على مجازاته بعد موته فان البعث والجزاء من لوازم التكليف والعبادة
وفيه تهكم بهم وبالهتهم فانها جمادات لا شعور لها بشيء فكيف بما لا يشعر به حتى غير الله تعالى
الهكم اله واحد تلخيص للنتيجة وتكرير للمطلوب بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجوه فالذين
لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة وبيان لموجب انكارهم اي انه
قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة ان الالوهية تمتنع ان تكون الا لله وحده وانه لا شريك له
فيها فلم ينتج لهم ذلك اصرارهم واستمرارهم على شركهم وانكار قلوبهم للوحدانية وذلك لعدم ايمانهم
بالاخرة فان الذي لا يؤمن بها لا ينظر في الدلائل ولا يتاملها بخلاف المؤمن بها وهم مستكبرون
وهم قوم عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الاقرار به لما رسخ في قلوبهم من تقليد آبائهم لا جرم
قد سبق تفسيره في تفسير سورة هود ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك
وعيد على ما ذكر على ابلغ وجه وهو في موضع الرفع على الفاعلية لان جرم فعل او مصدر انه لا
يحب المستكبرين تعليل للوعيد اي لا يحب كل مستكبر فكيف بالذي يستكبر عن توحيده او اتباع
رسوله وفي اطلاق المستكبرين تعميم برهاني واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على
التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي
اي شيء انزل ربكم وتقرير الجواب ما يدعون نزوله اساطير الاولين او مرفوع بالابتداء
اي اي شيء انزله ربكم وتقرير الجواب هو اساطير الاولين او المنزل اساطير الاولين على
السخرية والتهكم والمجيبون المقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق بقالوا على التعليل في نفس الامر لا الغرض واللام
لام العاقبة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من ضل وهو وزر الاضلال
فان ضلاله انما حصل بالامرين اضلال هذا ومطاوعة هذا فيتحملان الوزر بغير علم حال من
المفعول اي يضلونهم على جهلهم وفائدة التقييد به الدلالة على ان جهلهم ليس بعذر اذ
كان عليهم ان يبحثوا وينظروا ويتعرفوا من يقلدونهم ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما
يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل
الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت
فخر عليهم السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان
يملكه وان لم يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا عن الذي من كلام العرب اي عليهم
وقع وكانوا تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون
تمثيل اي قد دبروا حيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المكر والحيل واستيصالهم
بها كحال قوم بنوا بنيانا واحكموا قواعده فاتى الله بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم
السقف وهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم قيل يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي لانه قبل دخولهم في النار اضاف الى نفسه الشركا
حكاية لاضافتهم توبيخا لهم بها وتهكما بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شانهم وقرئ بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال
الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
وينكرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بطرفيه والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
تقريرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم او اظهار الشماتة بهم وحكى الله قولهم
ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القائل الملائكة ويأباه قوله الذين تتوفاهم الملائكة
يحتمل الجر صفة للكافرين فيكون داخلا تحت القول والنصب والرفع على الذم ظالمي انفسهم
بان عرضوها على العذاب المخلد نصب على الحال فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وتولوا عما
كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والتكبر والتعظم قيل حين عاينوا الموت ويأباه السباق
واللحاق ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون تفسير السلم

على ان المراد به القول الدال على الاستسلام لما جحدوا ما كانوا عليه من الكفر والعدوان
رد عليهم اولو العلم بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وهذا ايضا من
باب الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعدله وقيل ابوابها اصناف
عذابها خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين هى اى جهنم والوصف بالتكبر للايذان باستحقاق صاحبه
النار ومن لم يجوز الكذب يومئذ اول قولهم ذلك بانا لم نكن في زعمنا عاملين سوءا ولا يأباه
الرد المذكور كما لا يخفى وقيل للذين اتقوا يعنى المومنين عطف على قيل لهم فى قوله واذا قيل لهم ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وانما رفع الاول ونصب الثانى فرقا بين جواب الجاحد
وجواب المقر اى ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا والمشركون
عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ للذين احسنوا
فى هذه الدنيا كلام مدح الله به القائلين خيرا وجعل قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم
عليه ووعدهم به فهو كلام مبتدا لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا
على انه من كلام المتقين اى قالوا خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة بمعنى انزل هذا الكلام بعد ما
ابهموه وسموه خيرا حسنة مكافاة باحسانهم فى الدنيا وهى العصمة والتوفيق والنجاة من
العذاب المعجل ولدار الاخرة ولثوابهم فى الاخرة خير مما لهم فى الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم
ونعم كلمة مدح اذ لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها دائم وصاحبها فيها خالد
وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الاخرة لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا
محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما
يشاؤن تقديم لهم للتخصيص اى لهم خاصة دون غيرهم وعموم ما مع تقديم فيها يفيد ان
الانسان لا يجد جميع ما يشا من المشتهيات الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين فذلكة
للتاكيد مع تعظيم الجزا وفيه تقوية للوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم بالكلية الى عالم القدس
يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على
الاعمال الصالحة وانما قال ادخلوا الجنة لان القبر روضة من رياض الجنة فى حقهم ومن
غفل عن هذا ذهب الى ما ذهب وارتكب ما يخل حسن الانتظام فى الكلام هل ينظرون اى

الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او يأتى امر ربك العذاب المستاصل
الواقع فجاة وقد سبق وجه التعبير عن مثله بامر الله تع وتفسير الامر بالقيمة تأباه كلمة او
لان انتظارهما يجامع انتظار الملائكة كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع من الشرك والتكذيب
من قال هنا فاصابهم ما اصابهم فكانه غفل عن ان الاخبار عنه بعد هذا صريحا فى نظم القران
يابى عن اعتباره هنا تقديرا فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم او تعذيبهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بما استوجبوا به ذلك فاصابهم سيئات ما عملوا جزا سيئات
اعمالهم لا على حذف المضاف بل على تسمية الجزا باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط
بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من
شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ من البحائر والسوائب وغيرهما مما احل الله تع
وانما قالوا ذلك عنادا وتعنتا والزاما للموحدين بنا على زعمهم وقولهم ما شا الله يجب وما لم
يشأ يمتنع ومنعا للبعثة وانكارا للتكليف لعدم الفائدة فيهما حج او انكار القبيح الذى انكر عليهم
من الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما شا الله صدورها عنهم ولشا
خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم اى مثل ذلك
الفعل الشنيع من الاستهزا بالرسل وانكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل فعل اسلافهم
ولما فهم منه ان انذار الرسل وارشادهم لم يجد نفعا فى حق الضالين المعاندين اتجه السوال
بان يقال فما بال المرسلين حيث لم يتموا مصلحة الارشاد اجاب عنه بما حذف واقيم تعليله مقامه
لاستلزام العلة للمعلول فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى لا باس فيه فهل عليهم الا
الا بلاغ الموضح للحق اى ليس لهم عليهم الهداية ولكن سبب الاسباب بحكمته وجعل تبليغ الرسل
من اسباب الهداية لمن شا هدايته فليس عليهم له الا ما كلفهم من التبليغ والابانة ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ثم بين ان بعثة الرسل والدعوة الى الحق والتكليف
امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها لهدى من اراد اهتداه وازديادا ضلال من اراد ضلاله
كالغذا الصالح الذى ينفع من اعتدل مزاجه ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد بعثنا فى كل
امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان يجوز ان تكون تفسيرية لان البعث
يتضمن معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثناه بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
قد سبق تفسيره فى سورة البقرة فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم

من حقت عليه الضلالة تغير الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم لمن اضله للتنبيه على ان
الشأن في سوء استعدادهم على ما افصح عنه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك ومن لم يتنبه لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم فسيروا في الارض ترتيبه
على موجبا تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه اخبر عنه واحالهم في معرفة ذلك على السير في
الارض وللاختصاص للامر المذكور بقريش فانظروا العطف بالفاء للدلالة على ان الغرض من الامر
بالسير هو النظر المذكور اي سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه غاية سيركم فالفاء ترتب احد
الامرين على الآخر بكون الاول وسيلة لا لتعقيب السير بالنظر فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل من حقه ان يضل تعليل للجزاء اقيم مقامه لاستلزام العلة للمعلول
اي فهون على نفسك ولا تتعبها وتسل عنهم فان هداهم ممتنع وقرئ لا يهدي على البناء للمفعول
وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم الله تعالى او يدفعون العذاب عنهم اذ عذبهم وانما
نفى الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة والقدرة على النصرة واقسموا بالله جهد ايمانهم مستعار
من جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى وسعها للمبالغة في اليمين وبلوغ غاية غلظها واقصى
وكادتها وهو في حكم الحال لان اصله واقسموا بالله يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر
مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث الله من يموت ارادوا به نفي قدرته تعالى على بعث الموتى
والجملة عطف على وقال الذين اشركوا اتصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة في البت على فساده للايذان بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بان يحكيا ويدونا
ليتعجب منهما ويعتبر بهما وقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر موكد لما
دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله عليه صفة لوعدا حقا صفة اخرى له اي وعدا ثابتا
عليه الوفاء به حقا لامتناع الخلف في وعده ولكون البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انهم يبعثون او ان وعده حق عليه انجازه لمقتضى حكمته وعدم العلم به لا يستلزم
العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع فما قيل في التعليل لقصور نظرهم بالمألوف يتوهمون
امتناعه من قصور النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير في من
يموت عام للناس كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
في قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من

حيث

حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا ان نقول خبره واذا لمجرد الظرفية
اي وقت اردنا له او شرطية محذوفة الجواب لدلالة الجملة الاسمية عليه اي اذا اردنا وجود
شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك بلا توقف تمثيل لبيان امكان البعث
وسهولته على الله وهو ان كل ما تعلق به ارادته من الاشياء لا يمتنع عليه ولا يتوقف بل
يكون كمأمور مطيع امره آمر مطاع فلم يلبث ان يمتثل والمبعوث احد الاشياء فكيف يمتنع
عليه ولا قول وقرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ودل قوله في الله على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم
يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله تعالى من بعد ما ظلموا على انهم كانوا
مظلومين في ايدي الكفار او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او
للكفار اي لو كانوا يعلمون ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين
صبروا على اذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد
لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة
الا بشرا يوحي اليه والموحى لا يلزم ان يكون بواسطة الملك فضلا عن ان يكون على لسانه والحكمة
في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ان كنتم
لا تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل ملكا ولا امراة ولا
صبيا للدعوة العامة ولا ينافيه نبوة عيسى وهو في المهد لانها اخص من الرسالة وعلى وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون على ان الشرط
للتبكيت والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم وسبيل الجاهل سؤال من يعلم لا الانكار ويجوز
ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات وان يكون صفة
لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال عن القائم
مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا

فقيل بالبينات والزبر فهو على هذا كلام اخر مستانف وانزلنا اليك الذكر اى القران وانما
سمى ذكرا لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط نزوله عليك
من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون واراده ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق والواو للعطف على
محذوف تقديره اراده ان يصغوا اليه افامن الذين مكروا السيات اى المكرات السيات
وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد
اصحابه عن الايمان ودخول الهمزة على فا التعقيب انكار لامنهم بعد اطلاعهم على عاقبة المكذبين والبينات
التى انزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون اى فى حال غفلتهم نائمين ولا يلزم ان يكون من جانب السماء
ولا ان يكون بغتة ولهذا جمع بينهما فى قوله من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون او
ياخذهم الاخذ هنا كناية عن الاهلاك كما فى قوله وكلا اخذنا بذنبه فى تقلبهم فى تصرفاتهم فى امورهم
وهذا ايضا زمان غفلتهم عن تطرق الافات لتوغلهم فى تحصيل المهمات الا ان لهم فيه شعورا
وهذا التفصيل ما اجمله الضحاك بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين بفائتين والفا للدلالة
على شدة الاخذ بحيث لا يفلت الماخوذ ولو آنا وبه تتم الكناية المذكورة آنفا او ياخذهم على
تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف
الاتيان والاخذ المذكورين سابقا لانه اخذ على توقع فيكون الوصف التتميم وقيل هو من
تخوفته اذا تنقصته اى ياخذهم على تنقص شيا بعد شى فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
فان ربكم لروف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم لها وهذا كالتعليل للاخذ على التخوف
لان فيه مهلة وامتداد وقت فيمكن فيها التلافى اولم يروا الى ما خلق الله استفهام انكار اى قد
راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه
وانما قال من شى لان المخلوقات على نوعين ما خلق من شى كعالم الاجسام وما خلق من غير شى
كعالم الامر وهو عالم الارواح كما قال الله تعالى الا له الخلق والامر وانما سمى عالم الارواح
والامر لانه خلق بامر كن من غير شى والظل من خواص ما فى عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل ان
بيان ما خلق بشى بيان المبهم بما يبهم فافهم يتفيوا ظلاله التفيو تفعل من فا يفى اى رجع
واختلف فى الفى فقيل هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال او بعده وهو الموافق لمعنى

الاية وقيل الفى هو الذى بعد الزوال عن اليمين والشمائل اى عن الجوانب كلها استعير
اليمين والشمال من جنبى الانسان لجانبى الشى ثم اراد بالشمائل الشمال والخلف والقدام على طريق
التغليب لان الظل يفى من الجهات كلها سجدا لله وهم داخرون حالان من الضمير فى ظلاله باعتبار
المعنى لانه يرجع الى ما وحد باعتبار اللفظ وجمع داخرون بالواو لتغليب العقلا على سائر
ما خلق الله ولان السجود والدخور من اوصاف العقلا ويجوز ان يكونا حالين من الظلال
او الاول منها والثانى من الضمير وهذا اولى لما فيه من وصف الظلال بالسجود ووصف اصحابها
بالدخور الذى هو ابلغ لانه انقياد قهرى مع صفة المنقاد فيكمل حسن المعنى بتصعد سجود
الظل وذى الظل وتقاربهما فى الوجود ويظهر وجه تغيير الاسلوب فى الحال الثانى واستعير
السجود والدخور للانقياد والاستسلام والتسخر لما يريد من المخلوقات او من ظلالها سواء كان
بالاضطرار او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه
ليركب والمعنى والله اعلم ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
بتقدير الله من جانب الى جانب منقادة لما قال الله فيها ولله خاصة يسجد ينقاد للارادة
وقدرته انقيادا يعم الاختيارى والاضطرارى ومن ذكر بدل الاول ما يكون طوعا وبدل
الثانى ما يكون طبعا لم يصب فى واحد منهما ما فى السموات وما فى الارض من دابة بيان لما
فى الارض لان الدابة ما يدب فى الارض ولا يلزم ان يكون على وجهها والسكوت عن
بيان ما فى السموات للاشعار بكثرة ما فيها اجناسا وانواعا ومن رام تعميم البيان زاعما ان
الدبيب هى الحركة الجسمانية سواء كانت فى جسم سماوى او ارضى فقد غفل عما فى قوله تعالى
والله خلق كل دابة من ماء من الدلالة على اختصاص جبريل على الملائكة اى والملائكة
خصوصا من الساجدين لانهم اطوع خلق واعبدهم وهم لا يستكبرون عن عبادته جملة استينافية
وتقديمهم للتخصيص يخافون ربهم خوف اجلال وهيبة وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون
او بيان لنفى الاستكبار وتاكيد لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم
مجاز بمعنى القهر والعلو اى عاليا لهم قاهرا ويفعلون ما يومرون خوفا له وعلما بعظمته ونفاذ
سلطانه وقدرته ولا دلالة فيه على ان الملائكة مكلفون بالتكليف الشرعى الذى يترتب عليه
الثواب والعقاب وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان الهين بالوصف
اثنين ودلالة التثنية عليه م
للدلالة على ان مساق النهى هو العدد لا الالهية وان الاثنينية تنافى الالهية كما وصف
الاله بواحد فى قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون

الالهية وانها لازمة للالهية فاياى فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم ايقاعا للرهبة
فى القلوب وتمكينا لها فى النفوس ومبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود ولذلك قدم
المفعول مع فا السببية وكرر الفعل اى ان كنتم رهبتم شيا فاياى فارهبون دون غيرى فانا
ذلك الاله الواحد القاهر لكل شئ وله ما فى السموات والارض التفات اخر للتعظيم وتقرير
وجوب تخصيص الرهبة به ووجوب الانقياد له فى قوله ولله يسجد اى له ما فيهما خلقا وملكا
فكيف لا ينقادون له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تاكيد وتقوية لمعنى الاختصاص
الذى فى اللام وكذا قوله وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى واجبا ثابتا اى
وله الجزاء دائما سرمدا لا يزول وهو تاكيد وتقرير اخر وتعليل لوجوب الانقياد والرهبة
احرى على الوجه الثانى وكذا افغير الله تتقون تاكيد اخر بتقديم المفعول مع ان الهمزة الانكارية
داخلة على الفا التعقيبية اى ابعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقا وملكا تخصون غيره
بالاتقا وفيه توبيخ بليغ وما بكم واى شئ اتصل بكم فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
لمعنى الشرط باعتبار الاخبار او العلم لان استقرار النعمة بهم سبب للاخبار او العلم بانه من الله
لا لحصوله منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون الجوار رفع الصوت بالدعا والاستغاثة اى
فما تتضرعون فى كشفه الا اليه وفرق بين حصول النعمة ووقوع الضر بعمومها وايراد الا الفاظ
فى الجملة الاسمية اى وكل ما استقر بكم من النعم المستمرة فهو من الله تجب عليكم شكره لان الانسان
لا يخلو فى حال من نعم كثيرة وبايراد ثم المفيد معنى التراخى والمس الذى هو ادنى اصابة وجنس
الضر الذى يكفى فى اطلاقه اقل ما يطلق عليه الاسم فى الجملة الفعلية اى ثم اذا تجد اصابة ادنى
شئ من جنس الضر بعد زمان طويل لا تجارون الا اليه وانما جا باذا دون ان لان وقوع
هذا القدر من الضر فى بعض الاحايين محقق ثم اذا كشف الضر عنكم ثم مستعار لاستبعاد الشكر
بعد كشف الضر عند تخصيصه تع بالتضرع اليه فى طلب كشفه والعلم بحصول جميع النعم منه اذا
فريق منهم بربهم يشركون اذا فجائية والخطاب عام والفريق هو الكفرة او خاص بالمشركين
ومنكم للبيان لا للتبعيض على ان منهم من اعتبر وازدجر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان لرسوخ الكفران فيهم وغلبته على طباعهم حتى كانهم
جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة فتمتعوا وقرى فيتمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا
على ليكفروا على ان اللام للتعليل ويجوز ان تكون لام الامر الوارد للتهديد والفا للجواب

واستقر بكم من نعمة فمن الله
او والذى اتصل صح

فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد بليغ ويكون ليكفروا ايضا واردا على سبيل الخذلان
والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا يعلمون حقيقتها فيعتقدون انها تضر
وتنفع وتشفع لهم عند الله تع وهى جمادات لا تضر ولا تنفع على ان العائد الى ما محذوف او
لجهلهم على ان ما مصدرية والمجهول له محذوف للعلم به او لالهتهم التى لا علم لها لانها جمادات
فيكون الضمير لما نصيبا مما رزقناهم من انعامهم وزروعهم تقربا به اليها تالله لتسالن عما كنتم
تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت
خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن قولهم وتعجيب منه ولهم ما يشتهون
نصب عطفا على البنات اى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين اى يختارون او رفع على
الابتدا ولهم خبره وسبحانه اعتراض واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام
النهار كله مسودا من الكابة واسوداد الوجه مجاز عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم
مملو غيظا على المراة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ايمسكه
محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون ذل ام يدسه اى يخفيه فى التراب اى يئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرى بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه ما هذا محله عندهم
ولانفسهم من هو على ضده هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء
من الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم وارادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن
خشية الاملاق الشاهد على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق بالوجوب
الذاتى والجود الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة
والقوة على بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذى يؤخرهم الى اجل مسمى تقتضيه الحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز اضمارها من غير ذكر
لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب فيها من دابة لان غير الانسان من الدواب انما
خلقت لاجله لقوله تع خلق لكم ما فى الارض جميعا ولو اخذ الظالم بظلمه لانقطع نسل الانسان
اذ ما من شخص الا فى ابائه ظالم فلا دلالة فى الاية على ان يكون الناس كلهم ظالمين لما عرفت
ان المراد من الظلم المضاف اليهم ما صدر عن بعضهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم و
لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق تفسيره
فى سورة الاعراف ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركا فى

الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم مع ذلك الكذب وهو
ان لهم الحسنى اى عند الله تع كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى بدل من الكذب او
على اسقاط الحرف اى بان لهم وقرى الكذب بضمتين جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم قد
سبق تفسيره فى سورة هود ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون بالفتح
مخففا ومشددا المعنى مقدمون الى النار اى معجلون من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء
اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرى
بالكسر مخففا من الافراط فى المعاصى ومشددا من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من
الغم بسبب جهالات ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التى كانت
يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت اراد استحضار صورة التزيين
فى وقته للسامعين عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن مثلها ويحترزوا عن ولاية اللعين والولى
بمعنى القرب والذى يتولونه او حكاية الحال الاتية وهى حال كونهم معذبين فى النار
والفائدة للاستحضار المذكور فى اذهان المخاطبين والولى بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اى
فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم
فى النار وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد من البعث والجزاء واحكام الافعال من التحليل والتحريم ونحوهما وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون عطفا على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلى فاعل الانزال
المعلل بهما بخلاف التبيين فجى فيه باللام لفقدان شرط نصبه والله انزل من السماء ماء قد
سبق تفسيره فاحيا به الارض انبت فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها والتعقيب
الذى دل عليه الفاء لا ينافى المهلة الواقعة بين المعطوفين لان ذلك انما يكون على حسب
ما يعده الناس متعقبا والاحياء بعد الانزال يعد متعقبا لامتزاجها الا ترى الى صحة قولك
تزوج زيد فولد له اذا لم يكن الا مهلة الحمل ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون اراد بالسمع القبول
كما فى سمع الله لمن حمده اى لقوم يتاملون ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما
خص كونها اية لهم لان غيرهم لا ينتفعون بها ويحتمل ان يكون المعنى لقوم يسمعون من الغير
كيف الذين يبصرونه اى ذلك اية للاعمى فكيف البصير وهذا التخصيص كالتخصيص فى

قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وبما قررناه تبين وجه العدول عن يبصرون الى يسمعون
وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله وحكمته والتنكير للتفخيم نسقيكم استيناف لبيان
العبرة مما فى بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى فى الكرش وكثيف ما يبقى من الاكل
فى المعاء من الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية لان الاسقاء
يبتدئ من مادة مبداها الدم ومنتهاها الفضلة التى لا حاجة اليها بل يجب ان يدفع
كالفرث دفعا للضرر عن البدن او من مادة بين الفرث الذى من الفضول المحضة والدم
الذى من الاصول المحضة فهو بالنسبة الى الفرث اصل لانه لا بد منه فى بقاء النسل وبالنسبة
الى الدم فضل لانه لا حاجة اليه فى بقاء الشخص وعلى هذا يجوز ان تكون من الثانية ايضا تبعيضية
لان تلك المادة غير منحصرة فى اللبن فان الدم الذى يصير غذاء الجنين منها وكذا مادة المنى
وقد يكون المفعول المذكور حالا اى كائنا من بين فرث ودم وانما قدم على لبنا وهو صفة له
فى المعنى لانه موضع العبرة فهو معنى به جدير بالتقديم لكونه حاصلا من نجس وهو فى موضع
ان ينقلب اليه لانه ان لم يسبق يخرج من مخرج فضلات الهضم الرابع وذلك ان العلف يهضم
فينجذب صفاوته الى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث فى الكرش وينسفل ويتوزع
الدم على الاعضاء ليغذوها ويفضل من غذائه قسط صالح يرتقى الى الضرع الذى هو لحم غددى
رخو ابيض فينقلب الدم عند انصبابه اليه الى اللبن هذا هو القول الصحيح فى تولد اللبن فمن
وهم ان محله بين الفرث والدم فقد وهم خالصا مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
ولهذا صار سائغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم واما قيل صافيا لا يستصحب لون الدم
ولا رائحة الفرث فمبناه الوهم الفاسد المذكور آنفا والا فاين موضع تولد اللبن من محل
الفرث ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما فى الاسقاء من معنى الاطعام اى نطعمكم منها
فينتظم الماكول منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الى تقدير محذوف وتعلقه بنسقيكم
يودى الى اخراج التمر والزبيب من الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون منه سكرا استيناف لبيان
الاطعام وتذكير الضمير باعتبار جنس التمر ولما كان اللبن لا يحتاج الى معالجة من احد عن نفسه تعالى

بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى معالجة منا قال تتخذون وانما قال منه
لان منه ما لا يؤكل كالمائية والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل السكر النبيذ ورزقا حسنا كالتمر والزبيب
والدبس والخل ونحوها وفي عطفه على سكرا التعريض بكراهة الخمر وانه ليس بحسن ورمز الى ان السكر
وان كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه وهذا على ما قالوا ان الاية نازلة قبل تحريم الخمر قيل لما
ميز السكر من الرزق الحسن قال اكثر الصحابة لو كان فيها خير لم تميز عن الرزق الحسن فامتنعوا
عن شربها ونزول الاية قبل تحريمها لا ينافي كونها جامعة بين العتاب والمنة فان المنة في
لاباحتها هو العتاب في الاخرة لا العتاب في الدنيا الذي رجحه النهي الارشادي ان في ذلك
لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات ولما قال في صدر الكلام
لعبرة ناسب ختمه بيعقلون لانه لا يعتبر الا ذوو العقول واوحى ربك الى النحل الا كما
الى النحل الهامها واداعها دل عليه حذاقتها في صنعتها وتدبيرها وترتيب مراتب
عملها ان اتخذي من الجبال بيوتا بان اتخذي ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في الايحاء
معنى القول وتانيث الضمير لان النحل جمع نحلة ومن الشجر ومما يعرشون اي يرفع الناس
ويرفعونه من سقوف البيوت وانما ذكر حرف التبعيض لانها لا تتخذ في كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرشون ولا في كل مكان منها وليس المراد من بيوتها ما تبنيه لتعسل فيه كما توهم من قال
وانما سمي ما تبنيه لتعسل بيتا تشبيها بالذي يبنيه الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا تقوى على مثلها حذاق المهندسين الا بالات رفيعة وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه
على ذلك بل ما تتخذه في الجبال وكراها وفي تجوف الاشجار وفيما يعرش ابن ادم من السقوف
ثم كلي فيه ارشادا الى العمل فانها تسوي البيوت اولا ثم تاخذ في الجرس والعسل من كل الثمرات
كما في قوله واوتيت من كل شيء ومن لابتداء الغاية فاسلكي سبل ربك التي الهمك راجعة
الى بيوتك لا تضلين فيها فانها ربما تبعد في طلب نجعتها الى مواضع بعيدة وبين بيوتها
واسع ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك يخرج
من بطونها التفات من خطاب النحل الى الغيبة تعريجا للخطاب الى الناس لان الغرض
الامتنان بالنعمة الجليلة من العناية والهداية والقدرة والسبق عليهم والاعتبار في
العجيبة ولطف صنعتها التي تبهر العقول والاستدلال بها على قدرة الصانع وكمال علمه
وحكمته شراب يعني العسل لانه مما يشرب وفيه دلالة على انه يخرج من فمه محققين من ان النحل

تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها ثم تقيؤه ادخارا للشتاء ومن زعم ان
العسل نباتي محض وقال انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا ان يجعل البطون مستعارة لافواه النحل ويكون الاكل
زنتنجا لها مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر وازرق بحسب لون النور او سن النحل فيه
شفاء للناس لانه من الاغذية الدوائية وقل معجون لم يقع فيه وانما نكر شفاء لان فيه شفاء
ما لبعض الامراض لا لكلها او لتعظيم الشفاء الذي فيه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان
من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد
من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد
عطف على محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته ومنكم من يرد فالواو فصيحة الى ارذل العمر اخسه
يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى
حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم كي مصدرية ناصبة بنفسها الفعل
بعدها وهي ومنصوبها في تاويل المصدر مجرور باللام التعليلية المتعلقة بيرد ان الله عليم بمقادير
اعمارهم قدير يميت الشاب القوي ويبقي الشيخ الضعيف وفيه دليل على ان تفاوت اجال الناس
بتقدير قادر حكيم واما انه لا دخل فيه للاستعداد واقتضاء الطبع وسوء التدبير فلا دلالة عليه
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق تقديم اسم الله للتخصيص اي الله فضل دون غيره بان جعلكم
متفاوتين في الرزق فما الذين فضلوا اي جعل رزقهم افضل من رزق غيرهم برادي رزقهم
بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فيستووا هم بانفسهم في الماكل والملبس فهم فيه سواء
اي هم اخوانهم وامثالهم فحقهم ان يساووهم في ذلك فالجملة لازمة للجملة ومقررة لها ويجوز ان
تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا
في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تعالى بعض مخلوقاته في الالوهية ولا
يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون اي تلك التسوية
شكر نعمة الله فاذا لم تساووهم بانفسكم في ذلك فذلك هو كفران نعمة الله او فما المفضلون في
الرزق برادي رزقهم على مماليكهم فان رزقهم يا كلونه بل نحن نرزق المماليك كما نرزق الموالي فهم
اي الموالي والمماليك سواء في رزق الله فلا يحسب الموالي انهم يرزقونهم فانه رزق اجريته اليهم
افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزق مماليكهم الى انفسهم لا الى الله ويجحدون انه من عند الله

والبا فی بنعمة الله تحمل الجحود علی الکفر حمل النظیر علی النظیر وعلی الوجه الاول فما الذین فضلوا
جملة توبیخیة والهمزة الداخلة علی الفا التعقیبیة وتقدیم بنعمة الله تقریر للتوبیخ وانکار لفعلهم ای
البعد علمهم بان الله هو الرزاق ووضوح دلائل ذلک بنعمة الله خاصة یکفرون جاحدین لها وعلی
الوجه الثانی فالتوبیخ والانکار انما یکون فی الجملة الاخیرة بالاصالة لا فیما قبلها والله جعل لکم من انفسکم
ازواجا ای من جنسکم لتانسوا بها ولیکون اولادکم مثلکم وجعل لکم من ازواجکم لم یقل منها
لاحتمال العود الی الانفس بنین وحفدة جمع حافدة وهو الذی یسرع فی الخدمة والطاعة قیل
المراد منهم البنون انفسهم والعطف لتغایر الوصفین وقیل هم البنات وفیه ای فی التعبیر عنهن بالحفدة
دون البنات تخصیص علی وجه الامتنان بالبنات وهو انهن یخدمن فی البیوت اتم خدمة
وقیل هم الاختان علی البنات وح یکون اشارة الی ان البنات من حیث انهن وصلة بالاجانب
نعمة جلیلة وقیل هم الربائب وح یظهر وجه الاحتیاج الی قوله من ازواجکم واما الحمل علی اولاد
الاولاد فیاباه تخصیص البنین بالذکر فانه ح حقه التعمیم اولا ایضا ورزقکم من الطیبات بعضها
لان کلها انما یکون فی الجنة والمراد الاطعمة الشهیة افبالباطل یومنون وهو ان الاصنام تنفعهم
او ان من الطیبات ما یحرم علیهم کالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم یکفرون حیث اضافوها الی
غیره تع وحرموا ما احل الله لهم والحام هم بین قوله بنعمة الله ویکفرون للتقویة المعاضدة
للتوبیخ والانکار بالهمزة الواردة علی فا التعقیب ای ابعد وضوح دلائل بطلان ما یعتقدونه
ویومنون بذلک الباطل ویجوز ان یکون لایهام التخصیص مبالغة وکذا تقدیم الباطل وبنعمة
الله علی الفعلها ویعبدون من دون الله ما لا یملک لهم رزقا من السموات والارض شیئا
من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان کان بمعنی المصدر وبدل منه ان کان بمعنی المرزوق
ویجوز ان یکون مصدر الیملک تاکیدا ای ما لا یملک رزقا شیئا من الملک من السموات والارض
صلة للرزق ان کان مصدرا وصفة له ان کان اسما والتنوین فی رزقا وشیئا للتحقیر والتقلیل
وفی ابدال شیئا من رزقا تعلیل اخر وفی ایراد ما دون من تحقیر اخر وفی التقیید بقوله فی السموات
والارض مبالغة فی نفی ملک الرزق عنها ای ما لا یملک رزقا ما فی جهة من جهات العالم ولا فی
مکان وقطر منه ولا یستطیعون الضمیر لما لانه فی معنی الالهة وهو من الافعال التی لا یقدر لها
مفعول وتجعل مطلقة کالفعل اللازم والمراد نفی الاستطاعة المطلقة ای لا یملکون ان یرزقوا
ولا استطاعة لهم اصلا لانهم اموات وان قدر المفعول لدلالة القرینة وهی مفعول یملک علیه

فالمراد

فالمراد بالجمع بین نفی الاستطاعة والملک جمیعا التوکید او نفی الوقوع وامکانه ای لا یملکون
الرزق ولا یمکنهم ان یملکوه ویجوز ان یکون الضمیر للکفار ای ولا یستطیع هولاء الکفرة
مع انهم احیا متصرفون عقلا شیئا من الرزق فکیف بالجماد الذی لا حراک به ولا حس فلا تضربوا
لله الامثال نهی عن الاشراک بالله فی التشبیه علی طریقة التمثیل لان من یضرب المثل شبه حالا
بحال وقصة بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراک والتشبیه فکانه قیل ولا تشرکوا بالله وعدل
الی المنزل دلالة علی التعمیم فی النهی عن التشبیه وصفا وذاتا وفی لفظ الامثال لمن لا مثال
له اصلا نعی عظیم علی سوء فعلهم وفیه ادماج ان الاسما توقیفیة وهذا هو الظاهر لدلالة الفا وعدم
ذکر ضرب المثل منهم سابقا ان الله یعلم تعلیل للنهی عن الشرک ووعید علیه ای ان الله یعلم قبح
ما تفعلون وکنهه وعظمه فهو معاقبکم علیه بما یوازیه فی العظم وانتم لا تعلمون کنه ذلک وکنه
عقابه فلذلک اجترأتم علیه ویجوز ان یراد بقوله فلا تضربوا الی ظاهره وهو النهی عن ضرب
الامثال لله تع ویکون معنی التعلیل ان الله وحده یعلم کیف یضرب المثل له وانتم لا تعلمون
ذلک وکانه ارید المبالغة فی ان لا یلحدوا فی اسمائه تع وصفاته فانه اذا لم یجز ضرب المثل
والاستعارة یکفی فیه شبه ما والاطلاق بتلک العلاقة کاف فعدم جواز اطلاق الاسما من غیر
سبق تعلیم منه تع واثبات الصفات اولی واولی ثم علمهم کیف یضرب فضرب مثلا لنفسه
ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوکا لا یقدر علی شیء عبدا بدل من مثلا ومن
رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة عطفت علی عبدا او موصولة فهو ینفق منه سرا
وجهرا مثل ما اشرک به بالمملوک العاجز عن التصرف مطلقا ومثل ذاته تع بالحر الذی رزقه
الله مالا کثیرا فهو یتصرف فیه وینفق منه کیف یشا وقید العبد بالمملوک لیمتاز عن الحر
فان العبد قد یطلق علی الحر باعتبار انه عبد الله وبقوله لا یقدر علی شیء لیخرج عنه المکاتب
والماذون فانهما یقدران علی شیء ولا دلالة فیه علی ان المملوک لا یملک لانه لم یجعل قسیما
للمالک لا بعد التقیید بقوله لا یقدر علی شیء والاصل فی القیود الاحتراز بل للمنی لف کالک
علما قیل ان یتمسک به بنا علی هذا الاصل هل یستوون ای هل یستوی الاحرار والعبید
فاذا کان هذان لا یستویان عندکم مع کونهما من جنس واحد ومشترکین فی الانسانیة
فکیف تشرکون بالله تع وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته الحمد لله کل الحمد
له لا یستحقه غیره فضلا عن العبادة لانه مولی النعم کلها بل اکثرهم لا یعلمون فیضیفون

في قوله تع وظللنا عليهم الغمام او في الارض كالجبل والشجر ظلالا لا ما يستظل به لما كانت بلاد
العرب عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون به من حر الشمس وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر
بالذكر فيما سياتي وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تكنون بها من الكهوف والغيران الانسان اما
مقيم او مسافر والمسافر غني يستصحب معه ما يستظل به ويكن به او فقير لا يقدر عليه فامتن على
الاول بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وعلى
الثالث بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل من القطن والكتان
والصوف جمع سربال قال الزجاج كلما لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في
بلادهم يسير الخطب او اكتفى باحد الضدين عن الاخر وتخصيص الحر بالذكر لما اشار اليه من كون
وقاية الحر اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن كذلك كاتمام هذه النعم
التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون في نعمه الفائضة عليكم فتؤمنون به وتنقادون
له وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة اي تشكرون نعمه فتسلمون من نعمه او تسلم قلوبكم من
الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا على الالتفات
اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا وحذف التاء ويكون
جاريا على الخطاب السابق فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
فهو من باب اقامة السبب مقام المسبب فان البلاغ سبب العذر وكونه معذورا كناية
عن عدم التضرر من جهة الرسالة يعرفون نعمت الله يعرف المشركون نعم الله من التي عددناها
وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله تع ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها وانها من
الله تع ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها وبقولهم هي من الله لكن بشفاعة الهتنا او بسببها
الى من اجراها الله على يده وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم
انكروها عنادا او ثم مستعار لاستبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
عنادا وانما قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف الحق لنقصان عقله او
تفريط في النظر او لان فيهم من لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون
الكافر على اطلاقه وعلى كلا التقديرين لا مساغ لحمل الاكثر على معنى الكل ويوم نبعث من
كل امة شهيدا يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في
الاعتذار اي لا عذر لهم فدل بانتفاء الاذن على انتفاء العذر وثم مستعار لغاية البعد بين

تهنيتهم

تهنيتهم بشهادة الرسل وبين بليتهم بانتفاء الاذن في الكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن
العفو والغفران بالمنع من الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب
الرضا وازالة العتب من العتب وهو الرضا اي لا يطلب منهم ارضاء الرب لان الاخرة دار
الجزاء لا دار العمل ويوم منصوب بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان ما لا
يدخل تحت الوصف او واذكر يوم نبعث وكذا واذا راى الذين ظلموا العذاب اي حاق
بهم او حاق او شق عليهم ونحو ذلك فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر
بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بكونهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول اي اجابوهم بقولهم
انكم لكاذبون في انا شركاء الله او في دعوى عبادتنا ولا يمتنع انطاق الله الاصنام حينئذ او
في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي والقوا اي والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان لهم شركاء الله وانهم يشفعون لهم وينصرونهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا عن الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق
العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
يعني نبيهم من انفسهم من جنسهم ومن وهم ان نبي كل امة كان منهم فقد وهم وهذا القيد لم يذكر فيما سبق
لدلالة من عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واجماع
شرعك مجامع قواعدهم واما كونه عليه السلام شهيدا على امته فقد علم مما تقدم ونزلنا عليك
الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة
والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء واما قيل من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى
السنة والقياس فيأباه ما في التبيان من المبالغة في البيان ثم ان قوله من امور الدين تخصيص لا
يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة وبشرى بشارة للمسلمين متعلق ببشرى ومن
حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا لقوله تع هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
ان الله يامر بالعدل بمراعاة الوسط بين الاطراف وسلوك طريق الوسط بين طرفي الافراط
والتفريط فهو جماع الفضائل كلها الشامل للحكمة المتوسطة بين البلاهة والدهاء والشجاعة المتوسطة

بين الجبن والتهور والعفة المتوسطة بين الشره وجمود الشهوة فمن الحكمة اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر
وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف في الامور الدينية وخلقا كالتواضع المتوسط بين
الضعة والتكبر والجود المتوسط بين البخل والتبذير والقناعة المتوسط بين الحرص والقعود
عن طلب الضروري من المعاش ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه بالاحسان
بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام بالواجب
في كل شيء والاحسان هو الندب والانحراف عن سمت العدالة الذي هو الطريق المستقيم لاحد
الجانبين قد يكون الى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة على جانبه
كالميل الى التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة
في الاخلاص بالاخفاء باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة هي الحمية الدينية في الشجاعة
والى الصفة والصفح دون الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط في الجود والى
التفريط في كل ما سواه من خصال العفة ولهذا نهى عن الافراط في متابعة الشهوة وهي
الفحشاء وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد التعميم للاهتمام
به تنبيها على فضل هذه الخصلة من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذائل الثلاث بعدها
فان النهي عنها داخل في الامر بالعدل وخصصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد تنبيها على قبحها
وكونها في غاية الرذالة الا ترى ان البغي هو الظلم المنافي لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا
التاكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن الفحشاء عن الافراد في متابعة القوة الشهوانية كالزنا
والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا وعقلا من افراط الغضبية والبغي اي الاستعلاء والتجبر على
الناس والاستيلاء وهو من تسلط القوة الوهمية على العاقلة التي يتولد منه الشيطنة فتارة
يغلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة يميل الى الافراط في باب الحكمة فيحدث الجربزة والمكر
والتهور وتارة تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق الناس وكلها
تنافي العدالة ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام بتوسط احدى
هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رض هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمن بن مظعون رض ولو لم يكن في القران الا هذه الاية لكفى به تبيانا لكل شيء وهدى

ورحمة وبشرى للمسلمين ولامرا عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب بها يعظكم بالامر والنهي والميز
بين الخير والشر حال من فاعل يامركم او من مفعوله او منهما جميعا او خبر ثان لان لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام في قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله
بالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام عقدها
على انفسكم بذكر الله تع وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل شاهد لحال المكفول به
رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود وعيد ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها اغزاله مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها
بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات تنكث فتلها جمع نكث وهو النقض فتله وانتصابه على
الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على المصدرية
لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي ريطة بنت سعد بن القرشية
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا
ثاني مفعولي تتخذ اي تتخذونها دخلا اي مفسدة ودغلا واصلها ما يدخل الشيء ولم يكن منه
ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة اي جماعة
المومنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونكم اربى
لينظر اتوفون بعهد الله وما عقدتم على انفسكم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتتمسكون به ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وتخافون من قلة المومنين وفقرهم فتنقضون
كانت قريش اذا رات شوكة وقوة في اعادي حلفائهم غدروا وحالفوا اعداهم فنهى المومنون
عن عادتهم في الغدر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء
بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه
ولهذا وحد قدم ونكر في قوله فتزل قدم والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها تنبيها على ان زلل قدم واحدة عظيمة من العظائم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء وصدكم غيركم عنه فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله

ثمنا قليلا قد سبق تفسيره فی سورة البقرة والمراد ههنا من الثمن القليل ما بعده فرتيش ضعفاء
المسلمين ويشرطون لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم فی الدنيا والثواب الجزيل
فی الاخرة خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ای ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد وينقص وما عند الله من الثواب الموعود الموخر فی خزائنه لكم باق لا يزول وهو
تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على اذی الكفار
ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله على تركه كالواجبات
والمندوبات وما ترجح تركه على فعله مما تركوا كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عن الكل
للتنبيه على ان الترك انما يثاب عليه اذا قارنه عمل القلب وهو النية والقصد الى الامتثال بالانتهاء
عما نهی عنه وفی عبارة الصبر نوع اشارة اليه وفی الاية دلالة على ان المباح حسن وانه لا يثاب
عليه وعبارة كان للدلالة على ان المباح لا يستحق الاجر وان وجد الاستمرار عليه فكيف اذا
وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر او انثی بين من لابهامه وكونه ظاهرا فی الذكور لو لم يبين
فقر بهما ليعم الموعد وانما قال وهو مومن اذ لا اعتداد باعمال الكفر لا فی استحقاق الثواب
ولا فی تخفيف العقاب لانه يجعل هبا منثورا بدلالة نص الكتاب هذا ما عندی والله اعلم
بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون الا لمومن فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعنی من عمل صالحا
فی الحال وهو مومن فی المآل لان صفاء الحال بوفاء المآل والامور بخواتيمها فلنحيينه حيوة
طيبة فی الدنيا نعيش عيشا طيبا لان المومن الصالح ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا
يطيب بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فی الاخرة والفاجر بالعكس فانه ان
كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف العواقب ان يتهنا بعيشه
وانما قلنا انه فی الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون يعنی فی الاخرة عليه
وليس تكرارا لان الاول فی حق الذين عاهدوا رسول الله فحفظوا وهذا فی كل من امن وعمل صالحا
فاذا قرات القران ای اذا اردت قراته واطلاق الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب
على السبب لمجاز الملابسة لدلزومه اياه غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة واما الفاء
فلا دلالة فيها عليه وانما دلالتها على تاخير المراد بمدخولها عن المعنی المراد بجزائه واجماعهم على
صحة هذا المجاز فقد دل على ان وجود القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيها فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فی القراة

والجمهور على انه للاستحباب ولا دلالة فيه على ان المصلی يستعيذ فی كل ركعة بناء على ان الحكم
المرتب على الشرط يتكرر بتكرره لان ما يقع فی خلال الصلوة من القراآت فی حكم قراة واحدة
ولهذا لا تستحب الحمدلة والبسملة عند الشروع لكل فعل من افعال الصلوة قبل تعقيبه لذكر العمل
الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر
الاستحبابی اغنی عن هذا الايذان والاولی ان يقول استعيذ بالله ليوافق القران وتقرب منه
اعوذ بالله كذا قالوا ويرده ما روی عن ابن مسعود انه قال قرات على رسول الله صلی الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحقرون وغفلة ولذلك
امروا بالاستعاذة ولما ذكرها عقبها لسبب سلطانه لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما
سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه دون غيره والذين هم به بالله او بسبب
الشيطان مشركون لانه هو الذی حملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا اية مكان اية نسخنا
اية باية فجعلنا الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل فی باب المصالح
فان الشرع صلاح حال العباد بحسب المعاش والمعاد وما يكون مصلحة فی وقت يصير مفسدة
فی وقت اخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور منهم فينزل فی كل وقت ما هو صلاح ذلك الوقت
الماضی وقد تغير فی الوقت الاتی الی مفسدة فوجد واعد طلا للطعن لجهلهم بحكمة النسخ قالوا
ای الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشیء ثم يبدو لك فتنهی عنه نسبوا اليه عليه السلام
الافتراء بانواع من المبالغة والتغليظ وهی الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت
والاستقرار وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على
فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون بل اضراب عن الافتراء الذی نسبوه اليه
وما بعده تاكيد للاعتراض والتوبيخ بانهم جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الخطاء
والصواب وانما قال اكثرهم لان منهم من يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس يعنی جبريل
ای الروح المطهر من الوث البشرية واضافة الروح الی القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الی
الجود للمبالغة فی ذلك الوصف كانه طبع منه وفی ينزل ونزله من معنی التدريج فی الانزال على
حسب المصالح ما يشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح التی فاتت لو انزلت دفعة من ربك

بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا باعتقاد انه الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوش اعتقادهم بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى حكمة وعلموا ان الناسخ هو الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ ثبتت اقدامهم ورسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا جبرا الرومي لسان الذي يلحدون اليه لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه الملحد اعجمي غير بين وهذا اي هذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان رد لقولهم وابطال لطعنهم وتقريره ان القران معجز بلفظه كما هو معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذي بذ كل كلام عربي في البيان والفصاحة وهو اعجمي وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي الذين يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون بها لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق والى طريق النجاة في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون في الكذب لان التكذيب بايات الله هو اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء اذ لا تردعهم عنه مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او منصوب بالذم او رفع على خبر مبتدا مضمر على الذم او من شرطية محذوفة الجواب دل عليه الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته جملة حالية ولا دلالة فيه على انحصار الايمان في التصديق القلبي ولكن من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر مجاز عن الرضا وطيب الخاطر فعليهم غضب التنكير للتعظيم وقوله من الله لان الغضب من العظيم عظيم ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا رض فاعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي قال

ما لك ان عادوا لك فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل التجنب عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين وبان الله لا يهديهم الى الايمان من حقت عليه الضلالة وعلم منهم الكفر فان هذا هو السبب الحقيقي والاول هو السبب العادي اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم قد سبق تفسيره انهم في الاخرة هم الخاسرون البالغون في الخسران اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا بالولاية والنصر من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار وثم مستعار لتباعد حال هولاء عن حال اولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم على المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم ياتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اي كل شخص في خلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها بمثل قولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا يعاقبون بغير ذنب ولا ينقص الاجر فلا احتمال له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل الله قرية بهذه صفتها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فابدلهم الله بالنعمة نقمة او لمكة خاصة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظة كل للتكثير فكفرت بانعم الله نعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس واختير جمع القلة للتنبيه بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة اولى به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن والرزق قابلهما بالجوع الناشي عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتاخر وهو اتيان الرزق كما في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم والاذاقة استعيرت للاصابة وانما اوثرت عليها للدلالة على شدة الاثر التي تفوت لو استعملت الاصابة والعلاقة المشابهة بين المدرك من اثر الضرر والمدرك من طعم المر والبشع واللباس استعير لما غشي الانسان من اثر الجوع والخوف

وهو ضررهما فالغاشي هو الضرر لا الجوع والخوف والا لكان الجوع شبيها على حد لجين الماء
وجه شبه ايقاع الاذاقة على اللباس اذ المعنى فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وبهذا التقرير
ظهر وجه ايثار التجريد على الترشيح لان الاذاقة تفيدها لا تفيد الكسوة من زيادة التاثير الموجبة
لقوة الادراك واما ايثار اللباس على الطعم فلدلالته على الشمول وهذا اولى من حمل اللباس على انتقاع
اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف اذ ح تكون الاصابة ابلغ موقعا وقرئ
والخوف بالنصب عطفا على لباس او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى ولباس
الخوف بما كانوا يصنعون بصنيعهم الذى استمروا عليه جرى ههنا على ما هو المراد من القرية
وفيما تقدم على ظاهره ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعنى محمدا عليه السلام والضمير لاهل مكة عاد الى
ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب ما اصاب من الجدب الشديد او ضرب الحديد فى حرب بدر
وهم ظالمون فى حال التباسهم بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل لهم وشكر
ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهدد عليهم بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم
عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء فى فكلوا التسبب اى اذا نهيتم على
سوء صنيع اهل القرية ووخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل فاعتبروا والجاهم وخذوا الضد مما انتم
عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصل ذريعة الى ما رتب عليه من
تعداد نوع اخر من قبائحهم وقد سبق فى تفسير سورة البقرة ما يتعلق بهذا الكلام من وجوه
الاعراب وما فى قوله طيبا من الفائدة الزائدة واشكروا نعمة الله اضافة النعمة اليه تعالى
للتشريف فان عبادته لا تتم الا بالشكر على نعمه فلا وجه لما قيل ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته لان مبناه على اعتبار التخصيص فى الشرط المذكور ان كنتم اياه تعبدون وتقديم
المفعول لمحافظة الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص فى التعليق انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قد سبق تفسيره فى
سورة البقرة وسورة الانعام لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم حرماته ليعلموا ان ما
عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى
سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة وقت نزول تلك الاية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول

اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حرام وهذا حلال او مفعول لا تقولوا
والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم
الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل وفى نصب الكذب بوصف
الالسنة نوع من المبالغة بديع ووجه من الفصاحة جميل ومبالغة فى وصف كلامهم بالكذب
عظيمة وهو انه جعل كانه نفس الكذب وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته السنتهم بوصفها
وحليتها وبينته بكلامهم هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر ورد هذا الوجه
الاخير بان النحاة نصوا على ان المصدر المنسبك من ان والفعل لا ينعت لا يقال لا يعجبنى ان
تخرج السريع ولا فرق فى هذا وباقى الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب او كذاب وبالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب لنفى عنهم الفوز
بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يجدى عليهم افتراؤهم شيئا ثم بينه بقوله
متاع قليل اى منفعتهم فيما هم فيه من افعال الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة تنقطع عن
قريب ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة
الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الخ من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم وهو قوله تع فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما
يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء يعم الافتراء على الله وغيره بجهالة
بسببها او ملتبسين بها وتنكيرها للابهام فتشمل عدم العلم بالله وصفاته وعقابه وثوابه
وعدم التدبر للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك فى الشهوات ومتابعة الهوى
فى طلب اللذات ثم تابوا قد دل ثم بالتراخى الا انها قد تستعار للتراخى فى الرتبة ولهذا زاد
قوله من بعد ذلك السوء واصلحوا اى تاب عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليها واصلح العمل فى
المستانف ان ربك من بعدها من بعد التوبة واما الاصلاح فهو تكميل للتوبة لا انها شئ اخر
ولهذا لم يذكر فى قوله تع انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب فاولئك يتوب الله عليهم وانما اعيدان ربك على سبيل التاكيد لطول الكلام ووقوع

الفضل لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة المستتبعة للعمل الصالح ان ابرهيم كان امة اى
كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التى لا تكون متفرقة فى امة كثيرة مجموعة فيه
وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين
من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله الله او لانه عليه السلام كان وحده مومنا وسائر
الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان
الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله
مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل ذى باطل مائلا الى دين الاسلام لقوله تع ولكن كان
حنيفا مسلما ولم يك من المشركين اى لم يكن من عدادهم وهذا فى سياق ابلغ من لم يشرك والمراد
استمرار النفى لا نفى الاستمرار لمفهوم كان مقدم على مفهوم لم فى الاعتبار وانما نفى عنه عليه السلام
الشرك على ابلغ وجه تكذيبا لكفار قريش فى زعمهم انهم على ملة ابرهيم وترغيبا لهم الى التوحيد
ودين الاسلام شاكرا يجوز ان يكون خبرا ثالثا او حالا من احد الضميرين فى قانتا وحنيفا
لانعمه انما جاء بلفظ القلة للتنبيه على انه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
هذا بحسب جليل النظر والذى هو بحسب دقيقه انه للتنبيه على صعوبة مقام الشكر بالاشارة
الى عجز البشر عن شكر النعم الكثيرة فهو اولى بالقصور عنه وانما قلنا انه لما كان قاصرا لان المقام
مقام مدحه بما كان فيه من الاوصاف الكاملة فلولا القصور عنه لكان المذكور على صيغة
جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه لنفسه والاجتباء هو ان ياخذ الشئ بالكلية واصله
جمع الماء فى الحوض وهو الجابية حال او خبر اخر لكان وهداه الى صراط مستقيم ارشده
الى طريق الحق واتيناه فى الدنيا حسنة من اسم جامع لكل حالة جميلة فيتناول كل خصاله
المذكورة فى النصوص من الرسالة والخلة واللسان الصدق وغير ذلك والعدول من
الغيبة الى التكلم للالتفات تعظيما لشانه وتفخيما لما اعطاه وانه فى الاخرة لمن الصالحين
المستحقين لكل منزلة رفيعة ودرجة عالية فى الجنة لم يقل وجعلناه فى الاخرة من الصالحين
منبها على انه آثر ذلك الابتغاء الى امر اخر فتدبر ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم
الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان من اوتى الى ان من اجل ما اوتى خليل

الله صلوات الله عليه واشرف ما اولى من النعم والكرامة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملته من جهة ان ثم دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة عن سائر النعوت التى اثنى الله
بها عليه وفيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله ما لا يخفى على الفطن
وفى لفظ اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابرهيم ما يدل على انه عليه السلام ليس بتابع له
بل هو مستقل بالاخذ عن ابرهيم وبهذا البيان اندفع ما عسى ان يتبادر الى الوهم من انه
عليه السلام كان دون ابرهيم ولذلك امر باتباعه واتضح ايثار فبهداهم على فبهم فى قوله
فبهداهم اقتده والمراد من الاتباع فى اصول الدين لا فى فروعه لقوله تع لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته حنيفا
ولما كان التوصيف بالحنيف فى مقام التعليل للامر بالاتباع كان فى معنى فانه مال عن الاديان
الباطلة فعطف عليه قوله وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت
فرض عليهم تعظيمه والتخلى فيه للعبادة وترك الصيد السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت
سبتها على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وذلك ان موسى عليه السلام امرهم ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت الذى فرغ الله تع فيه من خلق السموات والارض
الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فذلك اختلافهم فى السبت فالزمهم الله تع السبت وشدد
الامر عليهم وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله وان ربك
ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب
تمييزا بينهم وفصلا لخصومتهم فى محل الاختلاف وهذا ظاهر فى ان الاختلاف انما كان بين
العاصين والمطيعين ويشهد لذلك ما فى سورة الاعراف من قوله تع واذ قالت امة
منهم الاية فلا وجه لما قيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فاحلوا الصيد تارة وحرموه اخرى واحتالوا الحيل ادع حذف المفعول للتعميم وفيه
الاشارة الى بعثته العامة والتنبيه على فضله عليه السلام على من تقدمه من الرسل وفيه تابيد
لتدارك السالف ذكره الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
القاطع الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة بالخطابات الاقناعية والعبر النافعة
على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى بالطريقة التى هى

احسن طرق المجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر والطريق الاشهر فان
ذلك اشد لشغبهم وتليينا لعريكتهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق واما الهداية والمجازاة فليسا اليك فان الله اعلم
بهم فمن هديه كفاه القدر اليسير من الحكمة ان كان مستعدا لها والموعظة ان كان قائلا
غير منكر والجدل الحسن الدقيق وان كان منكرا فلا حيلة في هدايته ان كان معاندا فكل امره الى
من هو اعلم به فانه يجازيه وانما قدم الضال لان الكلام وارد فيهم والخطاب دائر معهم وذكر
مقابله بصيغة الفاعل لان الدوام والثبات يناسب حاله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به لما امره عليه السلام بالدعوة وبين لطرقها اشار اليه والى من تابعه بمراعاة الحق
وملازمة طريق العدالة من يناصبهم لان الدعوة لا تخلو عن المناداة والمناصبة من
حيث انها ترفع العادات وتبعث على المالوفات وتورث في الاديان والمعتقدات
وتحكم على اهلها بالكفر والضلال روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رض وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم
لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة بواحد ثم نسخ
المثلة وفيه حث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن
صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرتم
ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير
ثناء من الله عليهم بانهم صابرون في الشدائد وفيه ارشاد الى انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة
وفيه ترغيب في الصبر بالغ ثم صرح الامر به لرسوله عليه السلام لانه اولى الناس به لزيادة علمه
به ووثوقه عليه فقال واصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته
فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصيل في حصول جميع
الطاعات ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وهو اما لفوات
نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم على قتل احداي ولا تحزن
بفوات اولئك الاصدقا او على اعراض الكافرين عنك واما لتوقع ضرر في المستقبل واليه
الاشارة بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم ان الله مع الذين اتقوا

المعاصي ويدخل فيها دخولا اوليا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاء
والفضل ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام فكانه قال ان اردت ان اكون معك
بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين المحسنين وقيل الاول اشارة الى التعظيم
لامر الله تعالى والثاني الى الشفقة على خلق الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق
من السبح وهو الابعاد في الارض والنقل الى التفعيل والعدول عن المصدر الى الاسم الموضوع
له خاصة والعامل فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجئ من لفظه الفعل فالتقدير
انزه الله تنزيها فوقع سبحان مكان تنزيها ولما كان حديث الاسرا مظنة بان يذهب الوهم
الى انه تغير زماني او مكاني صدر بما هو علم في تبعيده تعالى عما لا يليق بشانه ويجوز ان يكون
كلمة سبحان متعجب بها بشيرا الى اعجب امر جرى بينه وبين افضل خلقه الذي اسرى بعبده
الاسرا سير الليل خاصة فقوله ليلا لقطع مجاز السير خفية كان يطير بجناحيه بعد قوله ولا طائر
لقطع مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسرا فانه كما يدل على البعضية في الافراد كذلك يدل
على البعضية في الاجزا دل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان التنكير في حيوة
في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان تلك الحيوة بعض حيوة المفهوم تفصيلا والثاني
هو المراد ويشهد لذلك قراة من الليل اي بعضه وهذا الاسرا كان جسمانيا ولذلك كذبت قريش
به وفي عبارة العبد اشارة الى ذلك من المسجد الحرام بعينه او من الحرم فانه مسجد كله الى المسجد
الاقصى بيت المقدس سمي اقصى لانه لم يكن وقتئذ مسجد وراءه الذي باركنا حوله البركة دور
الخير ونبوته وهي دينية ودنياوية وكلاهما مراد ههنا لانه مهبط الوحي ومعبد الانبياء
ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
لنريه من اياتنا كقطعه مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس في برهة من الزمان وتمثل الانبياء
عليهم السلام والوقوف على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره فليسا منها لانه عليه السلام راى الاول
قبل السير والثاني قبل الوصول الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرؤيتهما على السير اليه انه هو السميع
بلا اذن البصير بلا بصر دل على ذلك صورة الحصر فلا يحتاج الى قرب المسموع ودنو المبصر فلا كيف

سورة الاسرا

بمكان دون مكان فلم يكن الاسرآ الا جله بل اجل عبده بدا بعبارة التنزيه وختم باشارة نه
فيجاد بطرفا الكلام واتينا موسى الكتاب التورية وجعلناه هدى لبنى اسرائل ان لاتتخذوا وقرى
باليآ على لئلا يتخذوا وبالتآ على ان لاتتخذوا اكفولك كتبت ان فعل كذا من دونى وكيلا تكلون
اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او الندآ ان قرى بالتآ الفوقانية
على النهى او على انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا وقرى بالرفع على انه خبر
محذوف او بدل من واو تتخذوا وفيه تذكير بانعام الله تع عليهم فى انجآ ابآئهم من الغرق وايمآ
الى ان ذلك لكونهم اتباع نوح عليه السلام ثم قال فى تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له
عليه السلام انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتدآ به وقضينا اصل القضآ
الاحكام والاتمام وانما قال الى بنى اسرائل لتضمين معنى الانزال اى اعلمنا اعلاما محكما متممّا
منزلا اليهم فى التورية وتفسير القضآ بالوحى يأباه فى الكتاب كما لا يخفى على ذوى الالباب
لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضآ المبتوت مجرى القسم كانه
قال واقسمنا لتفسدن مرتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل يحيى
وزكريا ولا حاجة لما قيل ان المقتول فى الاولى زكريا وفى الثانية يحيى لان الكرة الاتى ذكرها
لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة المفسدين منهم على المصلحين افراطا متجاوزا عن القدر
والعلو لغة هو الغلبة بحق كان او باطل فاذا جاء وعد اولاهما اى وقته والوعد بمعنى الموعود
وهو العقاب فلا حاجة الى تقديره بعثنا عليكم هذا البعث من قبيل تولية بعض الظالمين على
بعض وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تع الى نفسه دون الجوس الاتى ذكره فلا حاجة
لصرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادا لنا سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت
قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم للتشريف المستفاد منها وايضا فى التنكير من التهويل
بنا سبالمقام اولى باس ذى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا خلال الديار وقرى خلل
وهو واحد الخلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون الخلال ايضا واحدا اى ترددوا وتخللوا
بين الدور فى القتل والسبى وقرى بالحآ وهما اخوان وكان وعدا مفعولا اى لابد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم اى على الذين بعثوا عليكم وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا كما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه
وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للامر ولا يلزم ان يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم

لان جزاءه لها وان اسأتم فلها اى فالاساءة لها واللام للاستحقاق كما فى قوله تع لهم
عذاب فى الحيوة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لان نفع الاحسان وضرر الاساءة
قد يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار وشهد له الاثار واما الازدواج فانما يصار
اليه عند تعذر المعنى الحقيقى فاذا جاء وعد الاخرة وقت موعود المرة الاخرة وجواب اذا
محذوف دل عليه جواب الاولى اى بعثناهم وانما عطف بالفآ مع انه من تفصيل المجمل والظاهر
فيه العطف بالواو للدلالة على ان مجئ وعد الاخرة لم يتراخ عن كثرتهم وثروتهم وذلك انهم
كلما ازدادوا عددا وعدة ازدادوا عدوانا وطغيانا الى ان تكاملت اسباب العزة
فجاءهم الله على الغرة ليسوأوا وجوهكم بيآ الغائبة على الجمع اى ليسوءوا وجوهكم وانما عدى
المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان اثار الاعراض النفسانية ظهورها فى الوجه وقرى
بيآ الغائبة على الواحد والضمير للقائهم للقراءة السابق ذكرها او لله تع للقراءة بالنون وفتح
الواو وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه اول مرة وخربوه وليتبروا اى
ليدمروا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب
عسى ربكم ان يرحمكم وعد من الله ان يكشف عنهم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا
مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا فبعث الله عليهم نبينا عليه السلام هذا مالهم فى الدنيا ثم ذكر
مالهم فى الاخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا ضيقا قال القشيرى يقال للذى
ينسج حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج ان هذا القران يهدى للتى للطريقة التى هى اقوم الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا الفسق لا ينافى الايمان ولا العمل
الصالح فلا خروج للفسقة باحد القيدين المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان يقال كان الناس
اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث الفاسق بعد ذلك وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
عطف على ان لهم اجرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب وعقاب اعدائهم اعتدنا لهم
عذابا اليما فى زيادة اعتدنا ههنا انبآ عن شدة الغضب فى حقهم ويدع الانسان حذفت
الواو من يدعو لفظا لاستقبال اللام الساكنة كما فى قوله تع سندع الزبانية وحذفت
فى الخط لكنها غير محذوفة معنى بالشر هو دعاؤه على نفسه وماله عند الضجر ما لا يحب ان يستجاب
له دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير يعنى ان القران يهديهم الى ما فيه السلامة وهم يابون الا ان
يأتوا بما فيه الندامة ثم ذكر ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره فقال وكان الانسان عجولا لا

العجلة طلب الشيء قبل وقته الذي ينبغي ان يقع فيه والسرعة عمل الشيء في اول وقته وجعلنا
الليل والنهار آيتين يدلان على القادر ستعا فيهما على نسق يترتب عليه آثار غريبة واحكام
عجيبة فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الفاء فصيحة كانه قيل وخالفنا بين الآيتين
فجعلنا الآية التي هي الليل لمحوه اي عديم النور والآية التي هي النهار مبصرة اي مضيئة
اهله مبصرة للناس من ابصره فبصر فان الاضاءة لازم الابصار على ان الاضافة في الآيتين
للتبيين وقيل آية الليل القمر ومحوه اظلاوه من النور فانه يرى فيه نور الشمس وابصارها
نورها الذي يقع به الابصار لتبتغوا تعليل لجعل القمر آية النهار مبصرة فضلا رزقا من ربكم
والابتغاء الطلب والمعنى لتقدروا في بياض النهار على تحصيل اسباب المعاش وفي عبارة الفضل
اشارة الى انه لا يجب على الله ان يرزق عباده وانما ذلك تفضلا ففيه رد على المعتزلة ولتعلموا
عدد السنين والحساب تعليل لمحو آية الليل اي لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه او الحساب المتعلق بالاوقات على التعريف للعهد
بقرينة عدد السنين او بنقص نور القمر شيئا فشيئا لان معرفة السنة القمرية المعتبرة عند
العرب بذلك وكل شيء كلمة كل للتكثير والتفخيم لا للتعميم والاحاطة كما سبق الى وهم من قال
مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا كافيا والمقام مقام الامتنان
باتمام الاحسان لا مقام الالزام والافحام كما سبق الى بعض الاوهام وكل انسان الزمناه
طائره اراد بالطائر حظه من الخير والشر كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الفرح والترح من قدر الله تعالى
في عنقه خص العنق بالاضافة اليه من بين سائر الاعضاء لان فيه يكون الزائن من القلائد
والاطواق والشائن من الغلائل والادغال فاستعير لمحل الزام الخير والشر ونخرج له اللام
للاختصاص يوم القيمة يعني وقت الموت فانه القيمة الصغرى قال عليه السلام من مات فقد قامت
قيامته كتابا هيكلا مصدرا بصور اعماله يلقاه منشورا الظهور تلك الهيآت فيه بالفعل
مفصلة لا مطوية كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة وهما صفتان للكتاب او
الاول صفة والثاني حال من مفعوله وقرئ يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك
على ارادة القول فيقرأ قارئا كان او غير قارئ لان الاعمال هناك متمثلة بصورها وهيآتها
يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الا من يقرأ وهذا وجه ما روي عن قتادة

يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا كفى بنفسك الباء مزيدة للاشارة الى لصوق
ذلك الوصف ولزومه لها اليوم قدم الظرف لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك
حسيبا حاسبا او كافيا نصب على التمييز وتعديته بعلى لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان
الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة
للاشارة الى ان لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه عن الالتفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه فجزاء اهتدائه له ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها واما ان الغير لا ينتفع
ولا يتضرر بضلاله فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا صحة له ايضا لما قدمناه في تفسير قوله تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر وازرة وزر اخرى لما مر من تفسيره في سورة
الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في حكم الآخرة خاصة وقال
فرقة انه في حكم الدنيا والآخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين لا دلالة فيه على انه لا وجوب
قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة
تعليق كل منهما عليها وانما نفي الكينونة دون البعث لان المراد الاخبار عن عادته تعالى لا
الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة وكلمة حتى لبيان غاية الامن عن العذاب
لا لبيان غاية عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة ولما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى
يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال
واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق ارادتنا في الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت
مخصوص امرنا اي وجهنا الامر قبل ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عدم
الامر للغير يقينا بدلالة ان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل القرية لعذاب الاستئصال
لانهم الرؤساء المتبوعون ولانهم المأمورون بنوعي العبادة البدني والمالي ففسقوا فوجد
الفسق وهو الخروج عن الطاعة منهم اي من اهل القرية كلهم لما نبهت على ان غير المترفين
ايضا مأمورون لكنه استغنى بذكر المترفين عن غيرهم كما اكتفي بذكر الملائكة عن ذكر الجن في
قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا على ما مر تحقيقه في تفسير سورة البقرة وقرئ امرنا بمعنى كثرنا
لقول العرب امر القوم بكسر الميم اي كثروا وامرهم الله بالفتح اي كثرهم فصارت الحركة مما يصير
به الفعل متعديا كما في شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتحها ويؤيده قراءة آمرنا بالمد
وامّرنا بالتشديد فيها دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة تحت المراد فلا مجاز كما لا

مجاز في الارادة والامر فحق عليها اي على القرية بما فيها القول هو وعيد الله الذي قاله
رسولهم فدمرناها التدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البنا مع اهلاك اهلها تدميرا ذكر المصدر
للمبالغة في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا ومن القرون بيان
لكم وتمييز له اي كثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت بقومه عقوبة
الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها
وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها اقدم على الاعمال الظاهرة التي هي
متعلقات البصر والعقاب عليها اشد والعفو عنها اقل من كان يريد العاجلة من استمر
على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك زيادة كان هنا دون قسيمه
واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة اعتباره في المقابل ولا
وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له ما نشا لمن نريد قيد المعجل له بالمشية والارادة
على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل مريد ما اراده ولا كل واحد جميع مراده مدلول الكلام ان
حصول المرام موقوف على مشية الله واما انه لا دخل للهم وللارادة فلا دلالة عليه فيه فانه
يجوز ان يكون من الاسباب العادية ومشية الله تعالى انما تتعلق بالشي بعد تمام الاسباب
العادية الا في خوارق العادات ولمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل وقرئ يشا والضمير
فيه لله ليطابق المشهورة ثم جعلنا له جهنم يصلاها حال من له او من جهنم مذموما
مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو
الاتيان بالاوامر والانتها عن المناهي بالجد قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو
ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن هو الشرط
الاعظم فلا ينبغي السعي الا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف كان سعيهم مشكورا
من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا كل من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه
نمد الامداد المواصلة بالشي هؤلاء وهؤلاء بدلا من كلا بدل تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد
والعطا بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مؤمنا كان او كافرا انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطا وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر
درجات من درجات الدنيا ودرجات منصوب على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها
لانه بالجنة ودرجاتها وبالنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للانسان او للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم والمراد امته والجعل بمعنى التصيير فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود مما يكنى
به عن العجز مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى
وقضى ربك امر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان تكون ان
مفسرة ولا ناهية قال القرطبي في مصحف عبد الله ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين
بالصاد فقرئت وقضى ربك اذ لو كان على القضاء ما عصى الله احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم انكر
ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا والتعليل
الذي نسبوه اليه فهو مناف لما نقل عنه من انه ليس قضاء حكم بل هو قضاء امر وبالوالدين وبان
تحسنوا بالوالدين احسانا ويجوز ان تتعلق الباء بالاحسان وقد مر في تفسير سورة الانعام تحقيق
وجه جواز تقدم صلة المصدر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها ولذلك صح دخول النون المؤكدة في الفعل واحدهما فاعل يبلغن وبدل من الالف
الراجع الى الوالدين على قراءة يبلغان وكلاهما عطف على احدهما على الاحتمالين ولا احتمال لان
يكون تاكيدا لضمير يبلغان لا لكونه معطوفا على البدل لانه لا يقتضي ان يكون بدلا فان عطف
التاكيد على البدل شائع بل لان فيه دلالة على ان التاكيد غير مراد في المقام لان فائدة تاكيد
التثنية الشمول والاحاطة ولو قصدت تلك الفائدة لما قيل احدهما فالمانع ذكره لا عطفه
على البدل وانما قيد بقوله عندك لان رعاية الادب مع طول المصاحبة اشق فكانت مظنة
التقصير فتدورك به وانما خص حالة الكبر لان من بلغها يسوء خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر
آنفا من المظنة وايضا هي حالة يحتاجان فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف فلا تقل لهما
اراد تعميم النهي لكل منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحمله احد التقديرين اف صوت يدل على
التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع
وحفص للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف وقرئ منونا وبالضم للاتباع والنهي عن هذه اللفظة
الدالة على التضجر والبرم تفصح عن النهي عن سائر انواع الايذاء بطريق الدلالة وقال الاصمعي
الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتأذى به وعلى هذا
يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما وهو
السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل اي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو ف
وافعل لهما الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف وهو النهر نهي عن قول وفعل وامر بقول وفعل

وذكر حاتم عن ابن عباس
ووصى ربكم

بدلا عنهما وفي تقرير الثاني وجهان احدهما ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر
جناحيه واذا اراد ترك ذلك خفض جناحه فصار خفض الجناح مجازا مستلزما على الكف
عن فعل التواضع والثاني اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح في
الاصل كناية عن حسن التدبير فكانه قيل للولد اكفل والديك بضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك
بك حال صغرك يرشدك الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوي الاول اضافة الجناح
الى الذل بطريق الاستعارة التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد من الرحمة
من فرط رحمتك عليهما حيث افتقرا الى من افتقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع
الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن ذلك ما داما
حيين لان الهداية الى الايمان من جملة الرحمة من معظمها وصحة التثنية في قوله كما
ربياني صغيرا باعتبار ان التربية لا تكون الا عن رحمة فذكر تلك التربية ذكر للرحمة اقتضاء
فكانه قال كما رحماني وربياني صغيرا او بالعبارة المذكورة نبه على العلة الموجبة للاحسان
اليهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما يزيد اشفاقهما ورحمة
اذ هي تذكير لحالة احتياجهما له وقت ان لا يقدر على الاحسان لنفسه ربكم اعلم بما في نفوسكم
من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة
واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الرجاع
عن ذنبه بالتوبة غفورا لما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم
ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته اندراجا
اوليا لوروده على اثره وات ذا القربى حقه لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة والحق
هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه
والمسكين وابن السبيل قد مر تفسيرهما ولا تبذر تبذيرا اصل التبذير التفريق من القاء
البذر في الارض وهو تفريق حباته والفرق بينه وبين الاسراف ان الاسراف تجاوز في الكمية
وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز عن موضع الحق فهو جهل بمواقعها وكلاهما
مذمومان والثاني ادخل في الذم وينفصح عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب المسرفين
وقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اتباعهم الملازمين لهم فان العرب تسمي الملازم
للشيء اخاه فيقول اخو المكارم اذا كان مواظبا عليها وكان الشيطان لربه كفورا

كبير

كبير الكفران لنعمه جحود الحقوق ودخول كان فيه اخبار لعادته ومذهبه واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي ان عرضت لك حاجة احوجتك الى الاعراض عن
هولاء المحتاجين لضيق يدك انتظار الرزق ترجوه من الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا فلا تدع
تعهدهم بالقول الجميل والميسور من الامر اليسر مثل سعد ونحس كان النبي عليه السلام اذا سئل ولم يكن
عنده ما يعطيه سكت انتظار الرزق يأتي من الله كراهة الرد فنزلت هذه الاية فكان بعد
ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال رزقنا الله واياكم من فضله وذلك قوله فقل لهم قولا
ميسورا اي لا تسكت فيكون ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون ايلاما لهم ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة
بالجواب لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يلحق بها في المذهب المنصور
الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن ما يتضمنه ويجعل المذكور جاريا مجرى التفسير ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واتلاف المبذر نهي عنهما امرا
بالاقتصاد الذي هو بين التبذير والامساك واما الكرم فلا اختصاص له ببذل النوال بل يعم
سائر الاحوال فتقعد فتبقى عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا اثر المنهي اولا محسورا
منقطعا عن النفقة والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر المنهي ثانيا والاوجه ان يكون كلاهما
مرتبا على الثاني واما الاول فقد اكتفي به بما فهم من تمثيله على اقبح وجه في التصوير بصيرا
بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لاخرين على مقتضى علمه وحكمته ويجوز ان يكون المعنى ان البسط
والقبض يليق لانه العالم بالسرائر والظواهر واما العباد فحقهم ان يقتصدوا وانه يبسط
تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تفرطوا ولا تفرطوا وعلى كلا التقديرين يكون
جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق مخافة فقر وكان هذا نهيا عن واد البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم
فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق وزيادة قوله واياكم لبيان ان رزق الاباء ايضا على الله تعالى
فكيف يتولى رزق الغير من يعجز عن رزق نفسه ان قتلهم كان خطا كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع وقرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة والقصر وقرأ ابن عامر خطأ بفتح
الخاء والطاء والهمزة والقصر وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمد وقال النحاس لا اعرف
لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال ابو علي هي مصدر خاطأ يخاطئ وان
كنا لا نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه والخطأ والخطاء مصدر

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء
لا لعجز ولا لبخل انه كان بعباده
خبيرا عالما بخفيات امورهم

خطئ يخطأ كالحذر والحذر ويقال خطئ اذا اثم واخطأ ضد تعمد والخطأ بالكسر لا يكون الا تعمدا
والخطأ بالفتح قد يكون عمدا وقد يكون خطأ ولا تقربوا الزنا بمباشرة مقدماته وهذا نهي عنه
بالغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح متناهية فيه وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
لانه غصب على الابضاع لانه غير لازم له بل لانه يودي الى النار ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا بحق يوجب قتلها
كالرجم او يبيحه كالقصاص قيل الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل
مومن معصوم عمدا وفيه نظر ذكرناه في تفسير سورة الانعام ومن قتل مظلوما غير موجب
لقتله ولا مبيح له سواء كان عمدا او خطأ فان الظلم غير مشروط بالعمد يشهد بذلك انهم شرطوا
الاول في الشهيد دون الثاني فقد جعلنا لوليه هو من له حق الطلب بدمه شرعا سلطانا
تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه فلا يسرف في القتل نهي عما كانت الجاهلية
تفعله من قتل الجماعة بالواحد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتاء المخاطبة جزما والخطاب للولي
وقرأ الباقون بياء الغائبة جزما والضمير يرجع الى الولي ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب
اليه يأباه عبارة الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على
الاستيناف والضمير للولي لتناسق الضمائر ونصره بتسليط الله اياه على القاتل وامر الولاة
بمعاونته ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وتجاوز عن حد الشرع ينقلب عليه الامر
ويدخل تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قدم الكلام والنفس ميالة الى المال والمباشرة
دون القتل ولهذا خص النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا بالطريقة التي هي احسن الطرائق
حتى يبلغ اشده قد مر في سورة الانعام واوفوا بالعهد عام لما عقده الانسان بينه وبين
ربه وما عقده بينه وبين ادمي غير معصية ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف
الجار واوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به وقيل ان العهد
يسأل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسأل الرحم عن وصلها وقطعها قيل ويجوز ان
يراد صاحب العهد كان مسئولا وعلى هذا لا يظهر وجه العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر
وقيل اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف لفظا ومعنى اما الاول
فظاهر اذ ح يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما الثاني فظاهر لانه ح لا يزيد على معنى اوفوا
بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل له على الاستيناف واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفائدة

قوله اذا كلتم اي وقت كيلكم تضمن النهي عن الكيل بنقصان مانم كيله بعد زمان وزنوا
بالقسطاس المستقيم القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي عرب
والاجرا على قانون لغة العرب ليس بشرط في التعريب على ما حققناه في رسالتنا المعمولة
فيه والمستقيم السوي ذلك خير في الدنيا لانه امانة توجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن
تأويلا عاقبة اذ لا يبقى عليه تبعة في الاخرة تفعيل من آل اذا رجع ففيه نفع الدارين ولا
تقف ما ليس لك به علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهي ان يقول ما لا يعلم وان يعمل
بما لا يعلم ويدخل فيه التقليد على العمياء يقال قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافية لتتبعهم
الاثار وقافية كل بيت اخره ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الثلاثة المذكورة
ولا اختصاص له بالعقلاء قال الزجاج ووافقه الطبري ان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل
باولئك وانشد قول الشاعر * والعيش بعد اولئك الايام * وان نظر غلبة استعماله في
العقلاء فنقول لما كانت تلك الاعضاء مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها اجريت
مجرى العقلاء كان عنه مسئولا عنه في موضع نصب والضمير عائد على معنى اولئك اي عن كل
واحد مما تقدم ومسئولا فيه ضمير يعود على من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي
لم يسم فاعله ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف
لا يلتبس بالمبتدا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان لذلك ولا دلالة في الاية على ان
العبد مواخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون ما سئل عنه الفؤاد الظنون والعقائد ولا تمش
في الارض المشي انما يكون في الارض فالتقييد به لقطع المجاز شائع فيه كما في الذهاب مرحا
نصب على الحال اي ذات مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة المستفادة من التوصيف بالمصدر
لا تناسب المقام لان المراد النهي عن اصل المرح لا عن المبالغة وقرئ مرحا بالكسر والمرح هو
الخيلاء والكبر وقد دل قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح
هو مشي المختال الفخور انك لن تخرق الارض بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك
وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه قرئ بالرفع والاضافة الى السيئ منه لانه سبق ذكر
المأمور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه وقرئ منونا غير مضاف على انها خبر كان والاسم ضمير
كل والاشارة الى المنهيات من الخصال المذكورة عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها
ولا حاجة الى الحمل على المعنى لانها في حكم الصفات ولا اعتبار بتأنيثه ويجوز ان يكون حالا

من المنكس في كان او ظرف على انه صفة لسيئه والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل
المراد ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة من الاشيا الموضوعة
في مواضعها متعلق باوحى او بدل من ما او حال من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما ولا تجعل
مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه ورتب عليه اولا ما هو عائدة
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مطرودا
مبعدا على سبيل الاهانة والاستخفاف به افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة للانكار افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون
لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف المعقول والتعبير
عن البنات بالاناث لاظهار جهة خساستهن انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه
وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من
التقرير في ترك الضمير لانه معلوم في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن
ابطال البنات اليه تع لانه مما صرفه وكرر ذكره بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او
اوقعنا التصريف فيه وقرى صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرى مشددا ومخففا
اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم التصريف المذكور
الا نفورا عن الحق والنفور مقابل الطمانينة قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون والكاف
في موضع نصب اي مثل ما دل وقرى بالياء على ان الكلام مع الرسول عليه السلام اذا لابتغوا اي طلبوا
متوصلين الى ذي العرش اي مغالبته وافساد ملكه اشير الى ذلك بالتعبير عنه تع بذي
العرش سبيلا لانهم شركاؤه على الفرض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على وفق
قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا سبحانه تنزه تنزيها عما يقولون علوا تعاليا كبيرا
متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده وينزه عما هو من عوارض الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع
القديم الواجب لذاته قطعا للسلسلة الحاجة ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح
تسبيحهم وفي عبارة قوله تفقهون دلالة على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما
يدرك بآلة السمع فتعين حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينهما وبين اللفظ انه

كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالآخرة حجابا يسترك عنهم عن اسما بنت ابي بكر
قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب وفي يدها فهر
والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رض فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت
وانا اخاف ان تراك قال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن وهم انه حجاب الفهم كانه ما فهم انه بينهم وبين القران لا بينهم وبين النبي عليه السلام
مستورا عن اعين الناس اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى المقصود للاشعار بانه عارض
كسبي لا ذاتي خلقي فان كل مولود يولد على الفطرة السليمة ان يفقهوه والضمير لما يدعون اليه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا لم يقل ان يسمعوه اكتفاء بما فهم بقرينة قرينه وهذه حكاية لما كانوا يقولونه على ما دل عليه
قوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون صريح في ان عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا لمانع في اذانهم وقولهم
في اذاننا وقر اظهار كراهة منهم لا اخبار عن عارضهم ومن غفل عن هذا قال ولما كان القرآن
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ولم يدر ان الاول
موقوف على الثاني فالحمل الثاني على تقدير كونه حقيقة كان في الامرين وايضا مبنى ما ذكره على ان
يكون الضمير في يفقهوه للقران ويأباه قوله واذا ذكرت ربك في القران اذ لا وجه للعدول عن
الضمير الى الاسم الظاهر وايضا في الآية الاخرى قوله مما تدعونا اليه بدل ان يفقهوه ظاهر في خلافه
وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع موضع المصدر وهذا الحال
الموضوع موضع الحال وهو موحد ولوا على ادبارهم نفورا نافرين من استماع التوحيد على ان
النفور جمع نافر كشهود في جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا على غير المصدر او كان قوله ولوا
على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل على انهم قادرون على الاستماع لا وقر في اذانهم حقيقة نحن اعلم بما
يستمعون به بسببه الداعي الى الاستماع من الهزء بك وبالقران ومن اللغو اذ يستمعون اليك
ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى يتناجون بالطعن في القران اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع في حالتي
الاصغاء والاعراض بالتناجي ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا

كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين
يدعون اى يدعون الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو
يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها مخربوها
قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسير هذه الاية اما مكة فيخربها
الحبشة والمدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اى معذبوا اهلها على ان المجاز فى الاسناد دون المسند
والا القيل او معذبوهم عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك فى الكتاب فى
اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات المقترحة استعير المنع
للترك للمبالغة ولا يجوز استعارته للصرف لانه ايضا ممتنع فى حقه تعالى والباء للتعدية
فان ارسل يتعدى بنفسه وبالباء قال كثير ✱ لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ✱ بسر وما ارسلتهم
برسول ✱ الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب امثالهم فى الطبع من الامم السالفة
كعاد وثمود يعنى انها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستيصال
على مقتضى مشيئتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لان فيهم من يومن لانه غير مانع عن
استيصال المعاندين خاصة كما وقع فى قوم نوح بل لان فيهم من يلد من يومن ثم ذكر
بعض من كذب بالايات المقترحة فاستوصل بقوله واتينا ثمود الناقة باقتراحهم
مبصرة نصب على الحال وهى قراءة الجمهور وقرى بالرفع على اضمار مبتدا اى هى مبصرة
اضيف الابصار اليها مجازا لما كانت يبصرها الناس وقرى مبصرة بفتح الصاد اسم
مفعول فظلموا بها اى جحدوا بها وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول
العذاب المستاصل وان لم يخافوا نزل واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته واحاط بقريش اى اهلكهم يعنى فى وقعة بدر والتعبير
بالماضى لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين الا
انها لما كانت بالليل سميت رؤيا كما يقال بات يفعل كذا اذا فعل ليلا فسمى الفعل بيوتة
وان لم يكن نوما فلا متمسك لمن زعم انها كانت فى المنام بل نقول ان تمسك به يكون حجة عليه

لا له لان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة على ما
نطق به قوله الا فتنة للناس وهى ارتداد قوم من المسلمين حين اخبرهم النبى عليه السلام انه
اسرى به والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم واللعن لطاعميها وانما وصفت
هى به مجازا للمبالغة او قيل ذلك لانها فى ابعد مكان من الرحمة وهى اصل الجحيم اولانها مكروهة
ويابها قوله فى القران قال ابو جهل ومن معه هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم
انها تنبت الشجرة والنار تحرق الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له
فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء ولم يعلموا
ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر قدر ان
يخلق فى النار شجرة لا تحرقها وقرى بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى
القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم التخويف الا طغيانا عتوا كبيرا متجاوزا
عن الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره قال ااسجد لمن
خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض ويجوز ان يكون حالا او من
الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين انكار وتعليل على ما صرح به فى قوله انا خير منه
خلقتنى من نار وخلقته من طين او من الموصول اى ااسجد له واصله طين ويرد عليه انه
ح يضيع قوله خلقته قال ارايتك هذا الذى كرمت على الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب
على ما مر تحقيقه فى سورة الانعام وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على والاكرام
اسم جامع لكل ما يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل لئن اخرتنى الى يوم القيمة كلام
مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته لاقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت
الفرس اذا جعلت فى فيه الرسن وكذلك احتنكته الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم
وهم الذين ذكرهم الله فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الحسن ظن لانه وسوس
ادم فلم يجد له عزما قال اذهب لشانك الذى اخترته امر اهانة وعقبه بذكر ما جراه
بسوء فعله من جزائه وجزاء اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم
فغلب المخاطب على الغائب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون
او حال موطئة لقوله موفورا مكملا لا نقصان فيه عن قدر الاستحقاق من وفرته واستفزز

والمسحور من سحر فاختل به عقله انظر كيف ضربوا لك الامثال في امر الحشر والبعث بدلالة
قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وانما قال هنا الامثال
لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
ويرده انهم ما مثلوه عليه السلام بل قالوا تارة انه ساحر واخرى انه شاعر الى غير ذلك وايضا
لو كان المعنى ما ذكر لقيل فيك لا لك لانه عليه السلام مع من ضرب فيه الامثال فضلوا عن الحق
فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا ائذا كنا عظاما بيان لما ضربوه ولولا الفصل بينه وبين
المبين بالجمل التفريعية لكان حقه التصدير بالفاء التفصيلية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
تقديره انبعث اذا كنا عظاما والاستفهام للانكار ورفاتا صدر بالواو العاطفة اخراجا
له مخرج الاستقلال في كونه منشأ للاستبعاد والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شيء مكسر
ولما فيه من زيادة معنى التفتت اوثر على الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من صنعة الجناس
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من المباعدة والمنافاة وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا رد لقوله
كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم
واوثر في الحجارة صيغة الجمع رعاية للمناسبة لكونوا والعدول في الحديد الى صيغة الافراد
لما في مؤداه صنعة الجناس مع الجديد او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول
الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في
قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل
والشيء اصل لما عهد فيه مما لم يعهد وانما قال في صدوركم لان اثر الاستعظام البليغ
يظهر فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه من الخشية فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك
رؤسهم يقال انغض رأسه اي حركه كالمتعجب من الشيء وكل حركة في ارتجاف نغض والعدول
من التعدية الى لتضمنه التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
انتصابه على الخبر او الظرف وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر اجابهم بقرب وقته
لا لان كل آت قريب بل لانه مضى اكثر الزمان وبقي اقله ولم يجبهم بتعيين وقته لان
ذلك مما استأثره الله بعلمه ولم يوردوا تلك الاسئلة استرشادا بل عنادا واستهزاء

وقد اخرجت اجوبتهم بطريق الجد والتحقيق وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن
التي دل له الاتي ذكره يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق
قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم فتستجيبون الاستجابة
موافقة الداعي فيما دعي اليه بالفعل لاجل دعائه بحمده حال منهم اي حامدين لله تعالى على الاحياء
او على كمال قدرته عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك
وتظنون ان لبثتم الا قليلا تظنون معلقة عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر
النحويون في ادوات التعليق ان النافية وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي
الا زمانا قليلا كقوله لبثنا يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف وقل
لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد بالوسوسة ويغري بعضهم على بعض لتقع
بينهم المشارة والمشاقة وقد مر في اخر الاعراف تحقيق معنى النزغ ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امر والجن التي دلة ونبهوا على انه قد يكون من
الشيطان اجراء واغواء وذكروا بعداوته القديمة لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق
للاسلام او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين
الشيئين والجملة تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر قيل مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه
الا الله وفيه ان الظاهر عموم النهي للتصريح بما ذكر ولو كان ما ولا معنى ان علمهم عمل اهل النار
وهذه الصيغة لا تصلح عملا له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على ما
تريد وانما قال عليهم دون اليهم افادة لمعنى القسر والالجاء وربك اعلم بمن في السموات
والارض فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بهما وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالرسالة وبكونه صاحب شريعة وبكونه من اولي العزم وبكونه خاتم الانبيا واتينا داود
زبورا يعني داود وان لم يكن من اولي العزم ولا صاحب شريعة لكنه من جملة المفضلين
بالرسالة حيث اوتي كتابا وقد مر ما يتعلق بالزبور من الكلام في اخر سورة النساء قل ادعوا
الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى كالملائكة وعزير والمسيح فلا يملكون
فلا يستطيعون

واستخف اصله القطع بشدة يقال فز الثوب اذا قطعه بشدة تخريق والمعنى استزله
بقطعك اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفز بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السائق وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك
من راكب وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب اسم جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر
الجيم وهي لغة فيه كفرس ونوس وشاركهم في الاموال بحملهم على جمعها وانفاقها في غير حقها
والاولاد بالحث على تحصيلهم بالوجه المحرم والاشراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى ونحوه والتضليل
بالحمل على الاديان الزائغة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة
الآبا وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور ما اغتر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة للتشريف ليس لك عليهم على اغوائهم
سلطان قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك ربكم الذي يزجي
اي هو الذي يزجي والازجا السوق لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه
انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل
من تدعون ذهب من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه ح لا يخطر ببالكم سواه ولا
تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل كل من تعبدونه من الهتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا
اختصاص له بوقت الخوف فلما نجاكم خلصكم عن هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص
في العبادة وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل اسنده الى الجنس
لطفا بهم افامنتم الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض ان يخسف بكم جانب البر الخسف ان ينهار الارض بالشيء وتعديته بنفسه
وبكم حال اي مصحوبا بكم قال الجوهري خسف به الارض غاب به فيها وجانب البر ناحية الارض
وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء
رميا متتابعا ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفي عبارة ثم اشارة الى انه لا يحفظهم
مرة ولا يعود اليه بعد الكفران والعدول الى الشرك ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر لم يقل
اليه اذ يلزم من العود الى الشيء التلبس به تارة اخرى بخلق الداعي الى ذلك فيرسل عليكم
قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته بشدة فيغرقكم قرئ بالتاء على اسناده الى ضمير
الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا

يتبعنا

يتبعنا بانتصار فان الغرا طالب الثار ولقد كرمنا بني آدم تكريما مشتركا فيما بينهم بحيث
لا يختص ببعض دون اخر ولهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة البدنية ولهذا عبر عنهم بوصف
البنوة وعبارته وان كانت لم تتناول ادم لكن دلالته متناولة له عليه السلام وذلك ان ترتيب
التكريم على وصف البنوة المضافة اليه لا تخلو عن دلالة على انه عليه السلام منشأ التكريم ومبداه
فلا حاجة الى تاويل بني ادم بنوع الانسان بل لا وجه له اذ ح تفوت الدلالة على التكريم ولما
ابهم في جهة التكريم للتعظيم واتى بالتعميم في جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص في
التكثير دون اسم الجنس المحتمل للتقليل والتكثير تضمن اول الكلام واخره المبالغة فكان احرى ان
يصدر طرف الكلام بحرف التاكيد مرة بعد اخرى قيل ومن جملة كرامته ان كل حيوان يتناول
طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات
الخسيسة تشاركه فيما ذكر فلا يصلح كرامة ولا ان يعد خاصية له وحملناهم في البر والبحر اي
حفظناهم فيهما فان الحمل يتضمن الحفظ عادة حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء او حملناهم
على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه ورزقناهم من الطيبات من ضروب
اللذائذ وفنون النعم ما لم يجعله لشيء من سائر الحيوانات لما فرغ عن تفصيل وجوه تكريمهم
البدني شرع في الاخبار عن تكريمهم النفساني واجمل فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله
وفضلناهم تفضيلا مشتركا كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة اتى بالتاكيد
ههنا اهتماما بمضمونه بخلاف تلك الاحوال الثلاثة ولان الاحكام المذكورة من شواهد
الحكم فكان منها ذاتها تاكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادات في الدعوى ولما كان
سياق الكلام في النعم المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه انفا
ظهر وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد الانسان غير مفضل على جميع ما عداها
وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملائكة لان في تفضيل جنس على
جنس اخر لا حاجة الى تفضيل جميع افراد الثاني بل يكفي تفضيل فرد من الاول على جميع افراد
الثاني يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقيل هو على الاغراء
اي احذروا يوم ندعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا ويجوز ان يقال انها
علامة الجمع كما في اسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس كل جماعة

من الانس اصل الناس وهو اسم جمع وقد مر بيانه في اوائل سورة البقرة بامامهم بمن
ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم فانه يرجع اليه في
تعرف الاعمال ويرده ان المدعو الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس لا كل جماعة منه لعدم
الاشتراك بين الاثنين في كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف في جمع خف والحكمة في
ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسنين وان لا يفتضح اولادهما يشترك فيها جماعة
من الانس ثم ان ثالثا ذكر من وجوه الحكمة مردود بما ذكر في الصحيحين من الحديث الدال
على ان الناس يدعون في الاخرة باسمائهم واسماء ابائهم فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي
كتاب عمله فاولئك اورده جمعا على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا فافرد في قوله كتابه
وفي قوله بيمينه يقرؤن كتابهم لكمال صحوهم ووفور عقلهم والذين يوتون كتابهم بشمالهم فهم
لتحيرهم وترددهم لا يقرؤن كتابهم واشير اليه في قوله تع واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه حيث لم يذكر القراءة فيه وفي قوله يا ليتني دلالة ظاهرة على انه لا
تحبس السنتهم عن التكلم وتعليق القراءة على اتيان الكتاب باليمين لا يخلو عن الدلالة على ما
اشير اليه بعدم ذكر القراءة في مقابله ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون عما يستحقون من الجزاء
ادنى شيء وقد مر شرح الفتيل في سورة النساء ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى اي
من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات الله تع وغيره فهو في الاخرة اعمى ولما نزل هذه الاية
جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى
افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله تع فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فلا دلالة فيما ذكر على ان من اوتي كتابه بشماله لا يقدر على القراءة لعدم بصره وقد مر في تفسير قوله
تع اقرا كتابك بالقلع عرق الشبهة وقد جوز ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ويعضد ذلك ظاهر
اعطف عليه من قوله واضل سبيلا ومن ثمة قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان
افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول فلم يتعلق
به شيء فكانت واقعة في الطرف متعرضة للامالة لانه منقوص بالامالة في قوله تع الذي هو
ادنى بل لانه اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في اية واحدة وانما امال
الاول دون الثاني لما ذكر فانه يصلح للاحجاز وان لم يصلح للغلبة واضل سبيلا منه لبطلان
الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة واللام

الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يخدعوك فاتنين بالاستنزال عن الذي اوحينا
اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في
امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربوا
لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما
حرمت مكة وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك واذا اي لو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا
وخليلهم بريء من خلة الله تع ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت تركن
اليهم شيئا قليلا جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الشيء القليل
من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه عليه السلام فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل من الميل
اليسير وهذا غاية المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الميل الى هواهم والكون في صدد نفيه
دلالة ظاهرة على ان قوله تع ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله عليه السلام اي لو قاربت اذا
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الضعف المضاعف وكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات
والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لهم لما بعد الموت وفي ذكر
الكيدودة وتقليل الميل مرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في
الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ارفع ونعم الله عليه اسبغ كان وعد الله في حقه
ابلغ ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا وان كادوا الضمير لاهل مكة
ليستفزونك قد مر معنى الاستفزاز من الارض اي من ارض مكة ليخرجوك منها متعلق بكادوا
واذا اي اخرجوك منها لا يلبثون خلفك بعدك وقرئ خلافك وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا
قليلا قدر ما ينزل بهم العذاب وما اخرجوه عليه السلام منها بل خرج بنفسه امتثالا لامر الهجرة
نعم ازعجوه عليه السلام لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج وقيل الضمير ليهود المدينة والارض
ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لكنك تخاف الروم فان كنت
نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك كما حمى سائر الانبياء فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم
فرحل من المدينة مرحلة فانزل الله هذه الاية وعلى هذا ايضا لم يوجد اخراجه عليه السلام كما هو

الظاهر من قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه
معطوف على قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل الا اذا كان معتمدا ما بعدها على
ما قبلها سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو
ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للرسل والاضافة للرسل لادنى ملابسة
دل على ذلك قوله ولن تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها وقيل لغروبها
واصل التركيب هو الميل فان الدلوك هو الميل فاول الدلوك هو الزوال واخره
هو الغروب وقال الماوردى من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه
براحته حالة المغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها عند ذلك
واللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته وهو
وقت صلوة العشاء الاخيرة وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل لمبدا الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على
امتداد الوقت الى غروب الشفق وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها
كما سميت ركوعا وسجودا لذلك ولكن لا دلالة فيه على ذلك كما لا دلالة فى تسميتها قنوتا
على ان القنوت ركنها وكذا لا دلالة فيه على وجوب القراءة فيها لجواز ان يكون التجوز بها
لكونها مندوبة فى الصلوة نعم لو كان المجاز فى الفجر بان يكون المراد منه الصلوة فى ذلك
الوقت لدل الامر باقامتها على الوجوب عبارة وفى غيرها دلالة وانتصب قرانا عطفا
على الصلوة قال الفراء او على الاغراء اى فعليك بقراءة الفجر قال الزجاج وعزاه الى البصريين
ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذى عن
ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث حسن صحيح والاية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل ان فسر بالغروب ومن الليل فتهجد من للتبعيض
والفاء ناسقة على مضمر اى قم فتهجد به اى بالقران والتهجد التيقظ من النوم مطلقا قال
الحجاج بن عمرو صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ايحسب احدكم اذا قام فى الليل كله انه قد تهجد
ان التهجد الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك كانت
صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم
عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتعذر وتحنث وتنجس اذا القى ذلك عن

نفسه نافلة لك زائدة على تلك الفرائض المذكورة فى الاية السابقة والزائد حقه ان يكون
من جنس المزيد عليه فالتهجد من الفرائض وانما قال لك لانه ليس بفرض فى حق امته عليه السلام
وقد روى عنه ثلاثة على فريضة ولامتى تطوع قيام الليل والوتر والسواك ومن زعم انه تطوع
فى حقه ايضا فسر النافلة بالزيادة اى زيادة لك فى الدرجات وذلك لانه عليه السلام مغفور
له فهو اذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة فى درجاته وغيره من الامة تطوعهم
كفارات لذنوبهم وتدارك لخلل يقع فى الفرائض عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما
نصب على الظرف على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح للعمل فى مثل هذا الظرف الا فعل فيه معنى
الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اى ذات مقام محمود وروى الترمذى عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى اشفع فيه لامتى وقال
هذا حديث حسن فالمقام الموضع الذى يقوم فيه الانسان للامور الجليلة ومعنى كونه محمودا
انه يقيمه عليه السلام فيه فيشفع فيحمده الخلق وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق
المدخل والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج والصدق بمعنى المرضى يقال رجل صدق
اى مرضى الخلق وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج على معنى ادخلنى فادخل
دخولا واخرجنى فاخرج خروجا وقيل المراد ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب
ح تقديم الاخراج على الادخال وقيل ادخلنى فيما امرتنى به واخرجنى عما نهيتنى عنه والظاهر انه
عام فى جميع موارده عليه ومصادره دنياوية واخراوية وقيل المراد الادخال فى القبر
والاخراج منه ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا واجعل لى من لدنك من تفسير
لدن فى ال عمران سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على المخالف او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب
له بقوله فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين من الانتصار من العدو وقل جاء الحق الاسلام
وزهق الباطل اى ذهب الكفر يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اى
لم يزل مضمحلا وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان
قدم المبهم اهتماما اى كل شىء نزل من القران فهو شفاء للمؤمنين يستصلحون به دينهم وينتفعون
به فى دنياهم فموقعه موقع الشفاء من المرضى وعن النبى عليه السلام من لم يستشف بالقران فلا شفاه
الله او للتبعيض وليس معناه انه منقسم الى ما هو شفاء والى ما ليس بشفاء بل المعنى انه نزل

شيئاً فشيئاً فالنازل في كل وقت بعض ما هو شفا كله ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب ويطهر
العيوب ويكفر الذنوب مع ما يتفضل به تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا
نقصانا لتكذيبهم وكفرهم قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام بزيادة او نقصان واذا
انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى بجانبه
تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي
عنه عطفه ويوليه ظهره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرئ
ناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر اي مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس
من روح الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
يقال طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه ويشهد لذلك قوله فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اسد مذهبا وابين طريقة ويسالونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعات الكائنة بكن من غير مادة
ومدة وتولد من اصل كاعضاء جسده وفيه اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب وما
رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر من البيان لا ينافي الابهام المذكور فيما روي
ان اليهود قالوا لقريش اسألوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال كان عن حقيقته وهي باقية على ابهامها وقيل
الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط
حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية من الضروريات المستفادة من المحسوسات غالبا
ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما واكثر الاشياء لا يدركه الحس ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة
على ان الموطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته
محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك وقيل الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن محفوظا

بعد

بعد المنة العظيمة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد آدم واعطاك
المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظا قل لئن اجتمعت الانس والجن لم يذكر
الملك معهما لا لانه قادر على الاتيان بمثله لانه مردود بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا بل لان الفعل المذكور مما لا يليق بشانه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون
لا يفعلون الا ما يؤمرون على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة
تاليفه لا ياتون بمثله جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها لكان جواب الشرط
بلا جزم لكون الشرط ماضيا والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم شان ما اعجز عنه الثقلان
ولما كان الاجتماع على امر قد يوجد بدون المظاهرة فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم شرعي
قال ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على ما اتفقوا عليه من المعارضة باتيان مثله
ولا يصلح هذا ان يكون تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لان المقدرة على الاتيان
بمثله اصعب من القدرة على استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر بما دونه لا بما فوقه ولقد
صرفنا للناس في هذا القرآن مر تفسيره في هذه السورة من كل مثل من معنى كالمثل في غرابته
وحسن موقعه فابى اكثر الناس ابى متاول بالنفي اي فلم يرضوا الا كفورا الا جحودا وقالوا
تعنتا واقتراحا بعد ما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن
لك حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا هو عين ينبع ماؤه
اي يفور يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الارض اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار هذا بالتشديد لمكان الانهار خلالها وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان
بالسكون وهو فعل بمعنى مفعول كالطحن او مخفف من المفتوح كسدر وسدر او تاتي بالله والملائكة
قبيلا عيانا والقبيل بهذا المعنى المناسب للمقام الخالي عن التعسف مذكور في الصحاح او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها يقال
رقي في السلم اذا صعد اليها ولن نؤمن لرقيك ولن نصدق لرقيك فاللام للصلة يقال امن له
اذا اذعن له على ما مر في سورة يوسف حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك نقرؤه فلا
نحتاج الى تلقيك اياه وهذا القيد لعدم اعتمادهم النبي عليه السلام في تبليغ القرآن قل وقرئ قال
اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه او تنزيها لله من ان
ياتي او يتحكم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم

الا يظهر الله عليهم من الايات فليس امر الايات الى انما هو الى الله تع فما بالهم يتجبرون على وما
منع الناس قدم تفسير المنع فى هذه السورة ان يومنوا اذ جاءهم الهدى وما منعهم عن الايمان
بعد نزول الوحى ومجئ القران الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا وكان الما نع
اعتقادهم بموجب ما قالوا من ان الله تع اجل من ان يكون رسوله من جنس البشر الا انه عبر عنه
بالقول تنزيلا له واخراجا عن حيز الاعتقاد قل فى جوابهم لو كان فى الارض ملائكة يمشون
مطمئنين يتصرفون فيها بمشى فالحس فيها وليس لهم قدرة الصعود الى السما فيسمعون من
اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه
ويسكنون اليه فاما انتم فيبعث الله اليكم بشرا مثلكم لتكون قلوبكم اسكن اليه وانتم لكلامه افهم
فان مقتضى الحكمة ان يكون الرسول من جنس المرسل اليه وملكا حال من رسولا ويحتمل ان
يكون موصوفا به وكذا الحال فى بشرا قل جوابا لهم حين قالوا من يشهد بانك رسول الله
كفى بالله شهيدا بينى وبينكم نصب شهيدا على التميز اى حسبى الله تع من الشهدا او على الحال
اى كفى بالله فى حال شهادته والعدول من بيننا الى ما فيه من التكرير للتاكيد انه كان بعباده
خبيرا بخفيات اسرارهم بصيرا مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم
انى ههنا بضمير الجمع تنبيها على ان نسبة الضالين الى المهتدين نسبة الجماعة الى الواحد ولذلك
قال اوليا مع ان نفى الولى الواحد ابلغ من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
مسحوبين عليها او ماشين عليها روى فى الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذى امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
انهم يحشرون على هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم فى النار فابصروا لقوله تع وراى المجرمون
النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تع دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تع سمعوا
لها تغيظا وزفيرا وقيل لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
ما يقبل منهم ويرده ان قوله تع اليوم نختم على افواههم صريح فى نفى القدرة على مطلق التكلم
عنهم وان قوله تع وتكلمنا ايديهم دل على ان ذلك فى الموقف قبل الانصراف عنه الى النار
وبهذا اندفع احتمال ان يكون ذلك بعد الدخول فيها او عند المشارفة عليها ماواهم
جهنم كلما خبت سكن لهبها الخبو سكون النار عن الالتهاب وما قيل بان اكلت جلودهم

ولحومهم يرده قوله تع كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا لانه صريح فى ان النار لا يتجاوز فى
تعذيبهم عن حد الانضاج الى حد الاحراق والافنا زدناهم سعيرا توقدا وانما قال زدناهم دون
زدناها بنا على انهم وقودها على ما نطق به قوله تع وقودها الناس ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا قدم تفسيره فى هذه السورة
اولم يروا اولم يعلموا ذلك علما يقوم مقام العيان فى حق الايقان ان الله الذى خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا
جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون الا كفورا جحودا قل لو
انتم تملكون انتم فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون فحذف تملك وابدل
من الضمير المتصل الذى هو الواو وضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ كقوله
وان هو لم يحمل عن النفس ضيمها وفيه دلالة على اختصاص المخاطبين فى الامساك مع الايجاز
خزائن رحمة ربى اى خزائن نعمه اذا لامسكتم اى لامسكتموها خشية الانفاق لاجل خوف الفقر
وكان الانسان قتورا مضيقا للنفقة وزيادة كان لبيان ان الانسان مجبول على الشح
والضنة ومن يوق شح نفسه انما يوق بعصمة الله اياه وما ذكر جواب قولهم حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا حتى نتوسع فى المعيشة اى لو توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات قدم تفسيره فى سورة الاعراف وليس انفجار الما من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور
منها بدلالة ان الخطاب فى قوله تع لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات لفرعون وهذه الايات
بعضها بعد هلاكه وبعضها عنده فاسال بنى اسرائيل اى فاسال علما بنى اسرائيل اذ جاءهم اى جا
اسلافهم والعامل فى اذ محذوف تقديره فاسال عن حديث او قصة بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له
فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا اى ساحرا قاله الفرا وابو عبيدة فوضع المفعول موضع
الفاعل كما تقول هذا مشؤم وميمون اى شائم ويامن ويشهد لذلك قوله قال لقد علمت ما
انزل هولا الا رب السموات والارض بصائر فانه ظاهر فى رد ان تكون تلك الايات سحرا
قال الكسائى علمت بالضم اى قال موسى علمت انا وقرا الباقون بالفتح اى علمت انت يا فرعون
لانه عاند مع علمه لقوله تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم بقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك
تعلم ان ما جئت به من الايات ليس بسحر بل هى حجة الله تع التى من تاملها استبصر فيها اى تيقن
انها من عنده تع وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصائر وانى

لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا وخاسرا وقيل مصروفا عن الخير وكان موسى عالما بذلك متيقن
وانما قال اظن اظهار التفريط في تقريرا دعاه وفائدته دفع وهم المبالغة فيه وصونه عن مظنة
الافراط فاراد فرعون ان يستفزهم ان يخرج موسى وقومه بالنفي او القتل وقد مر في هذه السورة
ما يتعلق بمعنى الاستفزاز من الارض ارض مصر او الارض مطلقا فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق
به مكره وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم
منها هذا على تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه مصر بعد هلاك فرعون ظاهر واما على تقدير عدم
ذلك على ما ذهب اليه بعضهم فلا بد من تعيين التعريف في الارض للجنس او القول بان الامر
لاولاد من معه عليه السلام لا بهم فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين
اللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل
الجميع وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القران الى سماء الدنيا الا محفوظا عن اعتراء
البطلان وما نزل على الرسول الا كذلك وتكرير الحق باسمه الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا
بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شيء وراء ذلك وقرانا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث تثبت وترتيل
فانه ايسر للحفظ وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى الحكمة
قل امنوا به او لا تؤمنوا متضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان ايمانهم
بالقران لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم وهم
مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واضرابه تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به
من هو خير منكم من قبله من قبل نزول القران اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا تعظيما
لامر الله وشكرا لانجاز وعده في الكتب السابقة ببعثة محمد عليه السلام والخرور السقوط بسرعة
وانما ذكر الاذقان مبالغة في التحامل على الجبهة والانف حتى كانه يلصق بالارض واللام بمعنى
على وقيل للاختصاص وفيما فيه وانتصاب سجدا على الحال ويقولون اي في سجودهم سبحان
ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا ان كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاولى للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر
فيهم من مواعظ يبكون اوثر هنا الفعل اشعارا للتجدد فان منشا البكا هو التفكر والتذكر مما
يتجدد بخلاف منشا السجود ويزيدهم سماع القران خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله وقد

مر تفسير الخشوع في سورة البقرة قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
والمراد التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلفا في اعتبار الاطلاق
عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير والدعا بمعنى التسمية وهو يتعدى الى
مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله في التورية والمعنى انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود ويعضده قوله
ايا ما تدعوا اصلا اي ما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو
الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك على حذف المضاف حتى لا يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها
ولا تخافت بها كل المخافتة حتى لا تسمع من خلفك من المومنين والمخافتة خفض الصوت وابتغ
بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان خير الامور اوساطها وقيل معناه لا تجهر بصلوتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله ولمن قال المسيح ابن الله ولمن قال الملائكة بنات الله
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية وفيه رد للثنوية القائلين بتعدد الالهة ولم يكن له
ولي من الذل من اليهود لانهم اذل الناس ففيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين
بن الفضل يعني لم يذل فيحتاج الى ولي وناصر فيجيره من الذل لعزته وكبريائه وهذا قول حسن
يعضده وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال وانما اكد بالمصدر
تحقيقا له وابلاغا في معناه ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء
من الذل وقد يكون بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتصر به
من اجل المذلة او كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لاجل النقص والذل
لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق كل الحمد وهذه السورة
الكريمة ابتدئت بتنزيه الله تعالى واختتمت به

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على انزال القران تنبيه على عظم شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه كمال العباد ودعوته الى ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد ولم يجعل له عوجا من تتمة الصلة على انه عطف بيان اذ المعنى انزل على عبده الكتاب الكامل في بابه قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه بالكسر في المعاني مردود بقوله تع لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتنكيره لتعميم النفي انواع الانحراف عن سنن الاستقامة من جهة الاختلال في التركيب والاختلاف في النظم والتنافي في المعنى قيما على الكتب السابقة بالتغيير والتقرير او لمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال وقيل المراد اثبات الاستقامة والاعتدال فاتجه عليه السؤال عن فائدة الجمع بينه وبين العوج كان المفهوم من احدهما عين ما فهم من الاخر واجيب بان فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج عند السبر والتفحص ويرد عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما شهد له العباد ان ذلك انما يصح ذكر النفي عقيب الاثبات دون العكس وبعد اللتيا والتي ان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولى من الاعادة وانتصابه على الحال من الكتاب لان الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه الله عنها ولا حاجة الى تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف ولم يجعل على انزل وقد عرفت فساد ذلك المعنى لينذر اطلقه لعموم الجنس وعدم اختصاصه باحد الفريقين على ما افصح عنه قوله تع ان انذر الناس وبشر الذين امنوا وفي اطلاقه هذا دفع وهم الاختصاص السابق الى الفهم من قوله وينذر الذين قالوا بأسا عذابا شديدا من لدنه تقدم الكلام عليه في سورة هود ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم بان لهم وان ضمن يبشر معنى يبين لم يحتج الى الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا في الجنة واما نفس الجنة ففي التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الى العمل الصالح عند اهل الحق ماكثين فيه ابدا في الاجر او في محله ابدا بلا الى غاية وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالانذار بعد ما عم الجميع لغاية فحش صنيعهم ورتبه على القول اشعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر عن الاعتقاد واهم المنذر به ليذهب الوهم كل مذهب وفيه ما لا يخفى من التهويل به ما لهم به اي بما قالوا من علم شيء من العلم لاستحالة المعلوم والجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين به ولا لابائهم اي قدر وافيه اباهم وهم مثلهم في الجهل كبرت كلمة تخرج عظمت مقالتهم هذه في الافتراء

على الله تع قراءة الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول اولى وابلغ لما فيه من الابهام والتبيين وفيه معنى التعجب ومرجعه الى تعظيم الامر في قلوب السامعين كانه قيل ما اكبر كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة ووصفها بذلك مع ان العلم الضروري حاصل بان شان جنسها ذلك فلا بد له من فائدة وهي الاشعار بانه لا ينبغي ان تتصف هذه الكلمة بقصد قلبي لوضوح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا اخراج منهم ففيه تاييد لقوله ما لهم به من علم ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا فلعلك باخع نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور والبخع والبخوع الاهلاك من شدة الوجد على اثارهم عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق بالقران على وجه فصيح شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم بمن فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع على نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية وقرئ على الاضافة وهو الاستقبال ان قرئ ان لم يومنوا بالكسر وللمضي ان قرئ بالفتح بمعنى لان لا يومنوا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حالا ماضية لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها بهذا الحديث القران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا انا جعلنا ما على الارض من الزخارف يرشدك الى هذا قوله تع حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا ويحتمل الحال على انه بمعنى اوجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وحسن عمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز التي قطع نباتها من الجرز بمعنى القطع تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراء المومنين عما احتوته ايدي المترفين من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف الثقب المتسع في الجبل وما لا يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل والوادي او الكلب او لوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد اصلح عمله وفي هذا خبر معروف اخرج في الصحيحين وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غذاء من اياتنا عجبا اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من بين اياتنا عجبا فليس كذلك بل كل اياتنا عجب وفي اياتنا ما هو اعجب منهم وقال القشيري ازال موضع الاعجوبة من اوصافهم حيث اضافه الى نفسه بقوله من اياتنا وتعليب العادة من الله ليس بمستبدع اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك

الموجبة للمغفرة والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا
نصير بسببه مهتدين او اجعل امرنا كله هدى والرشد اصابة الطريق المودي الى البغية وكذا الرشد
والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي منعناهم ان يسمعوا قال قطرب
هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم عن الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون
اذا منعه من التصرف وتخصيص الآذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع الا من جهتها ولا يستحكم
الا مع تعطلها اشير الى ذلك في قوله عليه السلام ذاك رجل بال الشيطان في اذنه والذاهبون الى
ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع ذاهلون عن ان الحجاب لا يناسبه السمع ولذلك ادخل
السمع في قوله تع ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تحت الختم دون التغشية على ما
اعترفوا به وذكروه في تفسيره في الكهف سنين ظرف لضربنا عددا قال الزجاج اي تعد عددا
لكثرتها لان القليل يعرف مقداره من غير عد فاذا كثر عد واما قوله دراهم معدودة فهو على القلة
لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم اي من نومهم يقال لمن احيي او اقيم من نوم
مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود
ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب والا فقد كان الله علم ذكره القرطبي فلا حاجة الى اثبات
التعليقين لعلمه تع حالا او استقبالا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم احصى لما لبثوا امدا
ضبط امد الزمان لبثهم والامد الغاية وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ
واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصول وامدا التمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق ورد عليه بان بناء اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد
شاذ فلا يقاس عليه ولان امدا لا ينصب بافعل لانه لا يعمل ولا بلبثوا لعدم سداد المعنى عليه
فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا فقد
ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره
لكنه مردود اما اولا فلان دعواه الشذوذ مذهب ابي علي وعند سيبويه هو قياس وبه اخذ
الزجاج وعلى اختيار ابن عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير النقل كاشكل الامر واظلم
الليل يجوز ان يقال ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة في احصى ليست للنقل واما
ثانيا فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل في التمييز ومن زعم ان احصى اسم تفضيل

لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا او مثل مما يقال زيد اقطع الناس سيفا واما ثالثا فلانه يجوز
نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امد على ان الامد بمعنى المدة ولعل هذا مراد
الطبري حيث ذهب الى ان نصب امدا بلبثوا واما رابعا فلان اسم التفضيل ينصب المفعول به
في مذهب الكوفيين فلا اضطرار الى تقدير فعل انما ذلك على تقدير ثبوت نزول القران على مذهب
البصريين وانى ذلك نحن نقص قد مر تفسيره في سورة يوسف عليك نباهم النبأ خبر ذو شان
بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم الرب السيد الناظر في مصالح عبيده
وللاشعار بذلك عدل عن آمنوا بنا وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم من المجاز ربط
الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش لما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها الا
يرى الى قوله تع وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابله ربط قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل
والعدول من التعدية الى على من باب يجرح في عراقيبها للمبالغة اذ قاموا على قدم الصدق
مجاز يقال قام الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لم يقل ربا لان جهة توحده تع الوهية لا ربوبية لقد قلنا اذا شططا والله
لقد قلنا اذا قولا شططا والشطط الخروج عن الحد بالغ فيه يقال شط منزل فلان اذا جاز
القدر في البعد مصدر وصف به للمبالغة هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة
خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون لولا حرف تحضيض بمعنى هلا صحبه الانكار عليهم
على الوهيتهم بسلطان بين بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد التقليد في اصول الدين فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تع واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض
والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي من مفارقة قومهم ومعتقداتهم وما يعبدون الا الله عطف
على الضمير المنصوب سواء كان ما موصولا او مصدرية والاستثناء متصل ان كانوا يعبدون
الله مع آلهتهم ومنقطع ان لم يعرفوه تع ويجوز ان تكون ما نافية على انه اخبار من الله تع عن
الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه تحقيقا لمضمون الجملة فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون اي
تنتفعون قالوا ذلك ثقة بفضل الله تع وقوة في رجائهم وقرئ مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء قال
الجوهري من قرأ مرفقا جعله مثل مقطع ومن قرأ مرفقا جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اي رفقا
مثل مطلع ولم يقرأ وترى الشمس اذا طلعت الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد والمعنى انك لو

رأيتهم لرأيتهم كذا لأن المخاطب رآهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تتنحى وتميل فلا يقع شعاعها
عليهم فيؤذيهم وأصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزوار
كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين وإذا غربت تقرضهم
قال الخليل في كتاب العين إذا عدلت عن شيء في مسيرك قلت قرضته يمنة أو يسرة في تعدية الوصف
إياهم دون الكهف على خلاف تعدية تزاور دلالة على أن الشمس كانت تدخل الكهف إذا غربت
إلا أنه لا يقع شعاعها عليهم كيلا ينتبهوا فإن لشعاع الشمس وحرها تأثيرا في الانتباه وهذا من تتمة ما
قصد بالضرب على آذانهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله للغوله وهم في فجوة منه أي هم في
داخل الكهف بحيث لا يراهم من كان ببابه وينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا
أيضا من تتمة ما ذكر قبل وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق
والمغارب إلى محاذاته ومشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهي التي تلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها
على جانبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه
الغفول عما في تعرضهم من الدلالة على دخول الشمس في الكهف عند غروبها ثم إن ما ذكر من حكم
مقابلة بنات النعش يختلف باختلاف الأقاليم طولا وعرضا ثم إن قوله ولا يقع عليهم فيؤذي
أجسامهم ويبلي ثيابهم إخراج لما وقع في شأنهم من خوارق العادات عن حدها ببيان أسبابها
العادية على أن ما ذكره لا يصلح سببا كافيا ذلك من آيات الله فإن ذلك ليس إشارة إلى الإيواء
ولا إلى التزاور والتعرض بل إلى حفظ الله إياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة من تبرأ
عن اختياره في احتياله وصدق رجوعه إلى الله تع في أحواله ولم يستعن بغير الله من أشكاله آواه
إلى كهف أفضاله وكفاه جميع أشغاله وهيأ له محلا يتفيأ فيه من برد ظلاله بكمال إقباله
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله تع وأسلموا
له وجوههم فلطف بهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة ومن يضلل الإضلال من الله تخليق دواعي
الإضلال وعند المعتزلة ما دل بالخذلان فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده والخطاب
للنبي عليه السلام أو لكل أحد كما في السابق واللاحق وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم وتنفسهم
وأما تقلبهم فإنما يقع أحيانا فلا يصلح سببا لكل من رآهم وأيقاظ جمع يقظ بضم القاف وكسرها
وهو اليقظان وهم رقود نيام ونقلبهم أضاف التقليب إلى نفسه لأنه تخليقه خاليا عن الأسباب

العادية

العادية وتنبيها ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رض لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض وذات
منصوب على الظرف لما أن حقيقتها الجهة وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا
بالفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم أكثر المفسرين على أنه كلب حقيقة وكان لصيد أحدهم
أو زرعه أو غنمه ذكره القرطبي فلا تأييد في قراءة وكالبهم أي صاحب كلبهم لما قيل إنه كلب راع مروا
به فتبعهم وتبعه الكلب بل التأييد بخلافه إذ الظاهر منها أن يكون الكالب من الفتية وقال فرقة
لم يكن كلبا حقيقة إنما كان أحدهم وقد كان قعد عند باب الكهف طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء
كلبا وقد حكى أبو عمر المطرزي أنه قرئ وكالبهم وحمل على هذا الرجل ثم بسط الذراعين واللصوق
بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هيئة الربيئة المستخفي بنفسه ويحتمل أن يراد بالكالب الكلب
باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لأنها حكاية حال ماضية ولم يقصد الإخبار عن
فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وأبو جعفر من البصريين كونه بمعنى المضي غير مانع من العمل
والذراع من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى بالوصيد بالباب ولم يكن للكهف باب فالمراد
منه موضع الباب ولذلك قال أبو [illegible] في الشعب لو اطلعت عليهم أي لو شاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف
على الشيء ناظرا إليه ويكنى به عن المشاهدة الكاملة والخطاب لمن وترى الشمس وقرأ ابن كثير بالتشديد
وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا لأعرضت بوجهك عنهم وانتصب فرارا على المصدر أي الفرار
محذوفة وأما لوليت لأنه بمعنى لفررت أو على العلة أو الحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ
صدرك بما ألبسهم الله تع من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وأجرامهم وقيل لوحشة
مكانهم وبابه قوله منهم والصحيح في أمرهم على ما قال ابن عطية أن الله حفظ لهم الحالة التي ناموا
عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء ولو كانت
في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم وأيضا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما أو بعض يوم وقيل
لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الناس محجوبين بالرعب لئلا يصلوا إليهم
وقرئ لملئت بالتشديد للمبالغة ورعبا مفعول ثان أو تمييز وقرئ رعبا بضم العين وكذلك
بعثناهم البعث التحريك عن سكون أي أيقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم لم تتغير شيء
من أبدانهم وثيابهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا ما لهم وما صنع الله بهم فيعتبروا
ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا وليشكروا ما أنعم الله به عليهم ويستبصروا به
أمر البعث قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال الحسن دخلوا الكهف في أول

النهار فظنوا حين استيقظوا فاذا هو آخره فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا
او بعض يوم وكان عندهم كذلك فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم انكارا عليهم من بعضهم استدل ابن عباس بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم
انهم سبعة بنا على ان اقل الجمع ثلاثة قيل انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد
الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وفيه نظر قد
مر وجهه ولما اخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام قالوا فابعثوا احدكم كانهم
قالوا فيما بينكم ودعوا امر ذلك الى الله تع بورقكم قرئ بكسر الراء وسكونها والتثقيل وادغام
القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين
على غير حده والورق الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس كانوا قد استصحبوا
حين خرجوا دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا اليها بقولهم هذه الى المدينة
هي طرسوس فلينظر ايها الضمير للمدينة والمراد اهلها بطريق الاستخدام ازكى طعاما قال ابن
عباس وعلي رض انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة وفي تفسير القرطبي قيل
انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة
ولهذا قيل ذلك الطعام الارز فليأتكم برزق منه وليتلطف اي وليتكلف في استعمال
دقائق التدبير في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به في ذهابه وايابه ولا يشعرن
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم والضمير في انهم عائد الى ما دل عليه المعنى من اهل
تلك المدينة ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمي الحجارة
او يعيدوكم في ملتهم يصيروكم فيها وقيل العود على معناه الشائع لانهم كانوا اولا على
دينهم ثم آمنوا وانما لم يقل اليها لانه لا يلزم من العود الى الشيء التلبس به ولن تفلحوا اذا
ابدا ولن تفوزوا بالخير ابدا ان اردتم وكذلك اعثرنا عليهم المفعول محذوف التقدير اعثرنا
عليهم اي كما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعناهم عليهم واصله ان من عثر برجله على
شيء وهو غافل نظر اليه حتى يعلمه فاستعير العثور للظهور ليعلموا اي ليعلم الذين اطلعناهم على
حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان حالهم في نومهم وانتباههم
بعد المدد المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب
في امكانها فان من توفى انفسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانهم عن التحلل والتفتت

ثم ارسلها اليهم قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان تحشر ابدانها فيردها عليهم
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا بينهم امرهم امر الفتية حين اماتهم الله تع فقال قوم ماتوا وقال
آخرون ناموا نومهم اول مرة فقالوا ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس
والدواب ولا تتعرض لهم السباع ربهم اعلم بهم باحوالهم انهم ماتوا او ناموا قال ولم يقل وقال
لانه لم يذكر في معرض المنازعة الذين غلبوا على امرهم اي كانوا عظماء هم بعد الاتفاق على البناء
عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبرك بمكانهم سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم هم ثلاثة رجال رابعهم
كلبهم اي جعلهم اربعة بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
وانما لم يذكر بالسين اكتفا بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا
مطلع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله المسلمون باخبار الرسول عليه السلام عن وحي
على اتباعه اخراجه عن حيز الرجم بالغيب واما اتباعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم فلا دخل له في
الاثبات المذكور ولا دلالة في قوله ما يعلمهم الا قليل ان ذلك القليل من جنس الانس حتى يتمشى ان يقال
اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد الرابع
في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بالاتباع المذكور ليتعين الثالث
واما التمسك بالواو بانها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن
المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت فضعيف لانها
من المحكي لا الحكاية فدلالتها على الثبوت عند القائل لا عند الله تع نعم لو قيل انها تدل على
تصديق القائلين بانهم سبعة لانها عاطفة على الكلام مصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما اذا
قال قائل زيد شاعر وقيل وفقيه ايضا اي نعم وفقيه ايضا وفي الخبر سئل النبي صلى الله عليه وسلم
انتوضأ بما افضلت الحمر قال وبما افضلت السباع قال السهيلي يريد نعم وبما افضلت السباع
وقال جماعة ومنهم الامام ابو منصور الماتريدي لم يبين الله تع ذلك لاهل الكتاب ولا للنبي
عليه السلام ولو كان علمه لم يقل ولا تستفت فيهم منهم احدا لان علمه به يغنيه عن السؤال عنهم فلا تمار
فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق
فيه وهو ان تقص ما اوحى الله اليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا التعنيف لهم في الرد عليهم ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تستفتهم من جهتهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة روي انه عليه السلام سأل

نصارى نجران عنهم فنهى عن السوال ذكره القرطبي ولا تقولن لشئ لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل
ذلك الشئ انما قال فاعل بالتنوين دون الاضافة لمكان قوله غدا ومبنى ذلك على قاعدة ذكرناها
فى تفسير انى جاعل فى الارض خليفة الا ان يشاء الله الا بان يشاء الله اى ملتبسا بمشية قائلا
ان شاء الله وهذا نهى تاديب من الله تع لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن
الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين فسالوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطا
عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا بمعناه الحقيقى لا لمعنى ما يستقبل من
الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته واذكر ربك اى
مشية ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا
فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا
فى تداركه بالاستثناء والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث
عليه وقل عسى ان يهدين ربى يدلنى لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى
نبى من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك من حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار
بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك
وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى ان يهدين لشئ اخر بدل هذا المنسى اقرب منه رشدا
وادنى خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا لقوله تع او ننسها نات بخير منها ولبثوا
فى كهفهم يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين وقرا حمزة والكسائى بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ومن قال على وضع الجمع موضع
الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته
الى الجمع فقد تدافع طرفا كلامه لان مبنى قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون الاصل
الاضافة الى الواحد وقرا الجمهور بالتنوين ونصب سنين على انه عطف بيان وحمله على
البدلية ضعيف لانه يلزم ان لا يكون العدد مقصودا وازدادوا تسعا قيل انهم لبثوا
ثلثمائة سنة شمسية بحساب الامم ولما كان الاخبار ههنا للعرب ذكرت التسع اذ المفهوم عندهم
من السنين القمرية فهذه الزيادة هى ما بين الحسابين فهو بيان لما اجمله تع قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عددهم فقال بعضهم ثلثمائة

وتسع سنين ويعضده قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا وقوله تع قل الله اعلم بما لبثوا له
غيب السموات والارض ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلها وانه هو وحده العالم به
ابصر به واسمع ابو ان معناهما انشاء التعجب والهاء فى به بعد محل الرفع على الفاعلية عند
سيبويه لان اصله عنده صار ذا البصر كاغد البعير صار ذا غدة ثم نقل الى التعجب وغير
الى صيغة الامر لانه انشاء والتعجب انشاء فبرز الضمير لان ضمير الغائب لا يستتر فى امر
المخاطب وزيد الباء فيه لتاكيد التعجب وعند الاخفش منصوب على المفعولية والفاعل
ضمير المخاطب وهو كل احد والهمزة للتعدية والباء مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة
والاتيان بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تع فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين
والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى ما لهم
لاهل السموات والارض من دونه من ولى من متول لامورهم ولا يشرك فى حكمه فى قضائه
احدا منهم ولا يجعل له مدخلا وقرى بالتاء والجزم على النهى واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك
من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته اى لا يقدر احد غيره على تبديلها
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قدم تفسيره فى سورة الانعام ولا تعد عيناك عنهم
اى لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته على الامر صرفته عنه وما تصرف العين الا
النظر فحذف لظهوره وقيل ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وفيه ان
هذا المعنى جاوز يتعدى بنفسه وبعن قال الجوهرى عداه جاوزه وعدا عن فلان معدى اى تجاوز
الى غيره ثم ان معنى الصرف امس للمقام من معنى التجاوز وقرى ولا تعد من عداه وعداه تريد زينة
الحيوة الدنيا حال من الكاف على المشهور ومن الضمير المستتر فى الفعل على غيره والفاعل على الاول
ايضا الفعل السابق لما سبق فى قوله ملة ابرهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا وتوحيد الضمير لانهما
عضو واحد فى الحقيقة اولاتحاد الاحساس او للاكتفاء باحدهما عن الاخر واستباع اسناد الارادة
الى العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها كما يقال تستلذه العين او السمع وانما المستلذ الشخص
ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا وقرى اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة واتبع هواه قيل نزلت فى امية بن خلف وذلك
انه دعا النبى عليه السلام الى تبعيد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش وكان امره فرطا اى مجاوزا

فيه الحد ذكره الجوهري وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر
اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس
هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما تمكن من
اختيار ايهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتحرى ما شاء من النجدين قيل هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله
فانه وان كانت بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته وكأنه زعم ان الامر بالايمان والكفر يكون امرا بجعلهما
وايجادهما حتى قال ما قال والحق كون العبد مأمورا بالكسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال انا اعتدنا
هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها هو ما يمد فوق صحن الدار ذكره الجوهري فارسي معرب اصله
سراطاق لا سراپرده كما توهم وما في حديث ابي سعيد الخدري على ما اخرجه الترمذي وقال فيه حسن
صحيح من قوله عليه السلام لسرادق النار اربع جدر يعضد ما ذكرنا ويرد ما قيل انه الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وما قيل انه الحائط وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل وانما قال يغاثوا
على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع تهكما والمهل هو ماء غليظ كدردي الزيت ذكره ابن عباس
ويوافقه ما في حديث الترمذي عن النبي عليه السلام انه قال كعكر الزيت يشوي الوجوه من فرط
حرارته اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية لماء او حال منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه
او من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو اي
الماء الذي يغاثون به وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الاتكاء على المرفق وهذا المشاكلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون كناية عن عدم النوم كما في
قوله نام الخلي وبت الليل مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر
من احسن عملا التنكير للتقليل اولئك لهم جنات عدن اقامة اذ هو وسط الجنان وانما جيء
بلفظ الجمع لسعتها حيث كان كل بقعة منها صالحة لان تكون جنة ويجوز ان يراد بالجنات
سائر الجنان واضافتها الى عدن لانه معظمها والجملة خبر وما بينهما اعتراض او هو ايضا
خبر على قيام من احسن مقام الضمير لان من احسن عملا الذين امنوا وعملوا الصالحات فينا به
التعليل المستفاد من التنكير في عملا او على ان الضمير مستغن عنه بعموم من احسن عملا كما هو
مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او محذوف على ان المعنى من احسن عملا منهم ففيه انه يوذن
بتنوع الذين امنوا وعملوا الصالحات الى من احسن عملا والى من لم يحسنه ولا صحة له او الخبر هو
اولئك كلام مستأنف لبيان الاجر المبهم ويجوز ان يكون الثاني بدلا عن الاول فلا يحتاج

الاول

الاول الى خبر كما في قول الشاعر: ان الخليفة ان الله سربله . سربال ملك به ترجى الخواتيم . تجري
من تحتها الانهار قد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا بنى التحلية للمفعول اشعارا
بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء
والثانية للتبيين صفة لاساور وتنكيرها لابهام امرها في الحسن وهي جمع اسورة والاسورة جمع
سوار بالكسر زينة تلبس في الزند من اليد وقال ابو عمرو واحد الاساور اسوار بالضم وهو
بمعنى السوار لا جمعه ويلبسون اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا
اذا كان ما هي الصورة ثيابا خضرا لانها احسن الالوان واكثرها طراوة وقد روي فيها في ذلك اثر
انها تزيد في ضوء البصر من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب فارسية استبرك
جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك
جمع اريكة وهي السرير في الحجال خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافرين والمؤمنين مثلا رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها
بيان التمثيل او صفة الرجلين فلا محل لها من الاعراب وحففناهما بنخل اي جعلنا محيطا بهما وهذا
مما يؤثره الدهاقين ان يجعلوها مؤيدة بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة
للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل
بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافرد الضمير لافراد كلتا
ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والمختار هو الاول ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر
البساتين وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وكان له ثمر انواع
المال من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه والظاهر منه انهما ليسا باخوين وهو يحاوره يراجعه
في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا او دل على ذلك قول صاحبه
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا او المراد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ودخل جنته
بصاحبه ليريه ما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه وافراد الجنة لتجريد الكلام لما
سبق من الغرض وصونا له عما يخيل اثر الاخر والغرض ههنا بيان ما قاله عند دخوله جنته والتعرض
لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول اذا رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل
واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع

في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراهما وهو ظالم لنفسه بتعريضها لسخط الله تع
بعجبه وكفره وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة ابدا وهذا الاغترار بانتظام
احواله واطراح النظر في عواقب امثاله وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
اقسام منه انه تعالى انما اولاه اولا لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه على انه
ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا منها من جنته وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك ادم او اصل مادتك وذلك ان ماء الرجل يتولد
من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولا على ما تولد منه بالواسطة ثم على ما تولد منه بالذات
فقال ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا عدلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال سويا
قيل عدلك ويرده قوله تع فسواك فعدلك جعل كفره بالبعث كفرا بالله تع لان منشأ الشك في
قدرة الله تع ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب كانه يقول من اعترف بخلقه تع
اياه من التراب لا ينكر اعادته منها لانها اهون منه فالانكار بالثاني لا يجامع الاعتراف
بالاول لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار
وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار عن كفره واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة فتلاقت النونان
فكان الادغام وقرئ بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له او ضمير الله والله بدل
وربي خبره والجملة خبر انا وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله ربي ولولا اذ دخلت
جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر ما شاء الله كائن او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله
كان اقرارا بانها وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء اباها ولا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تع وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدا
والجملة مفعولا ثانيا لترن ومن نصبه جعل انا فصلا او تاكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان
يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك
بكفرك حسبانا من السماء مرامي واحدها حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي

الصواعق

فتصبح دل على اتيان الحسبان بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات
كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شيء مصدر بمعنى المفعول من زلق راسه زلقا اذا حلقه او يصبح عطف
على يرسل على تنويع ما رجى الى افة سماوية او افة ارضية ماؤها غورا اي غائرا مصدر بمعنى الفاعل
يقال غار الماء غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع له للماء الغائر طلبا لن تقدر على طلبه لعدم بقاء
الاثر منه واحيط بثمره الواو فصيحة عاطفة على مقدر هو تحقق ظنه وثمره امواله واحاطته
عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو فان قوما اذا احاط بهم العدو فلم ينجهم
ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح يقلب كفيه كناية عن التحسر والندم فان النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن فكانه قيل يندم على ما انفق فيها فهو متعلق بيقلب ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على
ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم
فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه
فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى يهلك الله امواله ويحتمل ان يكون
توبة عن الشرك وندما على ما سبق ولم تكن بالتاء والياء له فئة قدر ما يتعلق باشتقاق فئة في آل
عمران ولما افتخر بعزة نفره اخبر تع انه لم يكن له جماعة يجدونه نفعا وحمل ينصرونه على المعنى
دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله فليس من
النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون الله اي هو القادر وحده على ذلك
وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق
النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ
بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك السلطان والملك لله تع لا يغلب ولا يمتنع عنه او في
مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله تع ويؤمن به كل مضطر فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان عن اضطرار وجزع مما دهاه من شدة كفره ولولا ذلك لم يقلها
ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي
صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر صاحبه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي الاية
وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله تع لقوله لمن الملك اليوم ويعضده
قوله هو خير ثوابا وخير عقبا وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرئ بالنصب على المصدر
المؤكد وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم من

قولهم هذه الاشيا على ضرب واحد اي مثال واحد مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة في سرعة نقضها
وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كما هو كما انزلناه من السما فاختلط به اي بالما
والبا للسببية اي فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ويجوز ان يكون
للتعدية اي نجع في النبات حتى روي ورف وحق هذه البا ان تدخل في اقل المخلوطين وسلك بها
مسلك القلب للمبالغة في كثرة الما فاصبح اي انى امر الله تع على ما افصح عنه في سورة يونس فالفا
فصيحة نكتتها الاشعار بسرعة الزوال هشيما متكسرا من اليبس متفتتا تذروه الرياح تفرقه
وقري تذريه والتشبيه تمثيل شبه الهيئة المنتزعة من احوال النباتات لا ان ايلا اداة التشبيه بالما
لايخلو عن نوع اشعار شبه الدنيا بالما في ان قليله يروي وكثيره يردي كما ورد في الخبر قال عليه السلام
ذر الدنيا وخذ منها كالما فان القليل منها يكفي والكثير منها يطغي وكان الله على كل شي من
الانشا والافنا مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا
وفي البنين قوة ورفعا والباقيات الصالحات الاعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها للانسان
ابد الاباد من اي نوع كان من انواع القول والعمل وقيل هي النيات والهمات لان بها يقبل العمل
ويرفع خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا اذ ينال بها صاحبها في
الاخرة ويوم اي اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقري نسير من سيرنا وتسير من سارت اي
تسير في الجو كما يسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب وهذا بعد كونها كالعهن
المنفوش ومن ذهب الى انها تسير سير السحاب ذهب الى ان يكون المعنى نذهب بها بان نجعل
هبا منبثا فذهب عن صوب الصواب وترى الارض بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها
من جبل ولا شجر ولا بنيان وقري وترى على بنا المفعول وحشرناهم الحشر السوق من جهات
مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر وقيل للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير وروهيا بارزة ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلا حاجة
الى جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له ويرده ما دل على ان ذلك قبل الحشر من الايات كقوله
تع فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا
بالنون والبا يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفا والغدير ما غادره السيل
وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ولا حاجة الى ما قيل لا ليعرفهم
بل ليامر فيهم انما الحاجة اليه اذا شبهت حاله تع بحال السلطان المعروض عليه جنده صفا مفرد

نزل منزلة الجمع اي صفوفا لما ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد
واحد صفوفا ومن غفل عن هذا قال مصطفين ولا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول القول
محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا في يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر وهذا
القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون
عاملا في يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر اي مجيا مثل مجي خلقكم اول مرة اي حفاة عراة
غرلا كما ورد في الحديث وقيل عراة لا شي معكم من المال والولد لقوله تع ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب بمعنى الانتقال من كلام الى كلام ليس بمعنى الابطال زعمتم ان لن
ان مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي كما فصل في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل
لكم موعدا مكانا وعدا او زمانا وعدا لا يجاوزنا وعدتم على السنة الانبيا من البعث والنشور
ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الميزان او في ايدي العباد واحاد يريد به الجمع لانه جنس فترى
المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون
الواو للحال يا ويلتنا هذه لفظة من وقع في شدة والويل الهلك والندا لمن يحضرهم كانهم قالوا
يا من يحضرنا انظروا هلكتنا ما لهذا الكتاب ما استفهامية مبتدا ولهذا في موضع الجر تقديره
اي شي لهذا الكتاب تعجيب لشانه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدمها لانها ادخل
في التعجيب ولا كبيرة يعني لا يترك شيا من المعاصي الا احصاها الاحصا هنا كناية عن الضبط
والحفظ واسناده الى حفظ الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا موجودا في الخارج
علما دل عليه قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم لا موجودا في الكتابة لانه اعادة للمعنى
السابق ولا يظلم ربك احدا باحضار ما لم يعملوا ولا باحضار بعض ما عملوا واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس لما بين حال المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل الشيطان زهدهم
اولا في زخارفها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة كان من الجن استيناف
للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره تع بترك السجود
والفا للتسبيب ومن قال هذا الكلام المعترض نفهم من الله تع بصيانة الملائكة عن وقوع شبهة
في عصمتهم فقد سها حيث اسا في عبارة النقد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفا للعطف على
مقدر تقديره انه عدو الله وعدو ابيكم فتتخذونه وذريته اوليا من دوني تستبدلونهم بي قال الشعبي
سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله تع افتتخذونه

وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وهم لكم عدو ولم يقل اعداء في مقابلة
اولياء تنبيها على اتحادهم في امر العداوة وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله تعالى
ابليس وذريته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لا اشهد
بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم ففي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض توطئة الاعتضاد والذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين يعني
ما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا
للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقيل الضمير
للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبرايهم وما اوقفتهم على اسرار ملكي
لهم دون غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين
فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت على خطاب الرسول عليه السلام
ويجوز ان يقال فيه رد لارباب التنجيم واصحاب الطبيعة والمتحرين في علم وقرئ متخذ المضلين على
الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما وقع
الواحد موقع الجمع لانه في سياق النفي ابلغ ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون وانما لم
يقل شركائي لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا شركائي في عبادتكم الذين زعمتم انهم
شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا
بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا لقوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز
بين شيئين فهو موبق او جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا في الاخرة قاله الفراء يقال وبق
يبق وبوقا ووبق يوبق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر ورأى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها راوها من مكان بعيد فظنوا انها تاخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر يرى
جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع
الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران
للناس من كل مثل من كل نوع من انواع المعاني الغريبة وتصريفه تنقيل في وجوه البيان
على تمكين الافهام وكان الانسان اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال والجدال
شدة الفتل بطريق الحجاج ولا يلزم ان يكون بالباطل ولذلك احتيج الى التقييد به في قوله تعالى

ويجادل الذين كفروا بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ
جاءهم الهدى الرسول او القران ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا تقدير او طلب
ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب
عذاب الاخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمها وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى ضروب
وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه على الحال من احد المفعولين وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين بالثواب والعقاب للمطيعين والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح
الايات بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق
عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا
والذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت
يداه اي لم يتذكر ما يترتب على فعله من العذاب والتعبير عن التذكير بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز
عن الجملة باليدين لان المسند مما يكسب وهما اقوى آلته انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين
كفروا على انه تعليل لاصرارهم على ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن الخ جملة معترضة في تقبيح حالهم
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا قد مر تفسيره في سورة بني اسرائيل وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا فلا يكون منهم اهتداء البتة لشدة تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب
للرسول عليه السلام على تقدير قوله ما لي ادعوكم فان حرصه عليه السلام على اسلامهم يدل عليه وربك
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بامهال اهل مكة مع افراطهم
في عداوة الرسول عليه السلام فقال لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو
يوم القيمة او يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ
اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشعارا لهم لها ليعتبروا
وتلك مبتدأ والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر واهلكناهم
جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة
التفسير والقرى مجاز عن اهلها وذلك خير من تقدير المضاف ولا بد من احدهما ليكون مرجع
الضمائر لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وفيه اشعار بعلة الاهلاك تحذيرا منها وبهذا استدل ابن عصفور
على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة وانما ترك مفعول ظلموا

تنزيلا له منزلة اللازم ليذهب الوهم كل مذهب وجعلنا وضربنا لمهلكهم المهلك بضم الميم
وفتح اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ
بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه وهو يوشع
بن نون ابن اخت موسى وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم
والعرب تسمي التلميذ فتى وان كان شيخا لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر
وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون
الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري فينقلب الضمير والفعل بحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا
افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما وهما الكر والرس
بارمينية قال السدي وقيل بحر فارس والروم ويرد عليه انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما من
الاخر وفي التيسير كان البحر الذي يعملون فيه اصحاب السفينة ما بين بحر فارس الى بحر الروم واذ
لا اتصال بينهما فلا يصح هذا الكلام ايضا ولعل بحر فارس والروم محرف من فاس وهي بالعرب
حاضرة البحر من اجل المدن القريبة ويعضده ما قال محمد بن كعب ان مجمع البحرين عند طنجة وما قال
ابي بن كعب انه بافريقية وقول الخضر لموسى حين سلم عليه واني بارضك السلام يدل على ان ملتقاهما
لم يكن بين بحر فارس والروم لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وما يقرب منها وهي منشأ السلام
ومعدن الاسلام وقرئ مجمع بكسر الميم قال الجوهري الموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع او امضي حقبا
الحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل تسعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع ومضي
الحقب روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال
انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى
يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا
فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما
فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر قيل اضطراب الحوت كان بعد ما
استيقظ يوشع وتوضا من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فلما بلغا مجمع
بينهما اي مجمع البحرين وبين ظرف اضيف اليه على الاتساع نسيا حوتهما نسيا تفقد امره وما يكون منه
امارة على الظفر بالمطلوب ولا وجه لما قيل نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر

له اي من حيوة الحوت وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق سربا اي جعل سبيله في البحر
كالسرب وهو النفق الذي يدخل فيه فيسلك منه الى موضع وفي الحديث المار ذكره وامسك
الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق واما السارب في قوله تعالى وسارب بالنهار فمعزول
عن هذا لانه بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ودل عليه بقوله مستخف بالليل مقابلته ونصبه على
المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين وفي الحديث
المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى
به لقد لقينا من سفرنا قيل لم ينصب موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا وقيل في
الحديث المذكور انه عليه السلام لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا تعبا وعناء قيل عني به هنا الجوع
ولا يخفى ان الفعل وتعديته انما يناسبان الاول ووجه الارتباط بين الكلامين ان القعود
للتغدي متضمن الاستراحة فكأنه قال آتنا غداءنا حتى نتغدى ونستريح زمانا قال له فتاه
ارأيت اعلمت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة اي اقمنا عندها فاني نسيت الحوت يعني امر ذكره في
معرض الاعتذار لما جرى في الحوت من المعاهدة وذلك على ما ذكر في صحيح البخاري ان موسى
عليه السلام قال لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره بدل من الضمير اي ما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله
وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان اي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت والحال وان
كانت لغرابتها اجل من ذلك الا انه لما اعتاد مشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه
بها فهو اعتذار عن نسيانه واتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وان
كان عجبا لخروجه من المكتل وحيوته بعد كونه مشويا واكل بعض منه وامساك جري الماء
عليه وقيل سبيلا عجبا وفيه ان اكثر العجائب ليس بحال السبيل وايضا لو كان المعنى ذلك لقيل
واتخذ في البحر سبيلا عجبا وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل قال موسى في جوابه عجبا اي تعجبا
وقيل الفعل لموسى سبيل الحوت في البحر ويرده ما تاخر قال عنه قال ذلك الاشارة الى فقد الحوت
لما مر في الحديث انه قيل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ما كنا نبغ تقديره نبغيه اي نطلبه لانه امارة
المطلوب فارتدا على آثارهما اي على طريقهما الذي جاءا منه قصصا اتباعا لذلك الامر فانتصب
على المصدرية باضمار يقصان على ما افصح عنه النبي عليه السلام في الحديث المار ذكره حيث قال فيه
فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى

حوته ووقوعه في البحر لان هذا
النسيان منه قبل ذلك على
ودل عليه قوله فاتخذ سبيله في
البحر الفاء فصيحة تفصح عن مقدر
يدل على صر

فقال الخضر وأنى بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائل قال نعم اتيتك لتعلمني
مما علمت رشدا فوجدا عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه بليا
يشهد بذلك الحديث المذكور واتفق عليه الجمهور وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضا فاهتزت تحته خضرا والفروة
ههنا وجه الارض قال الخطابي اتيناه رحمة من عندنا الرحمة ههنا النبوة كما في قوله أهم
يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وقدم تعليق
بلدن في ال عمران علما هو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني على هذه المصلحة
بدا بالاستفهام والاستيذان ووصف نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم واظهر الرغبة فيما عنده
من العلم وهذا غاية التواضع من موسى عليه السلام وتعليم لمن طلب العلم من غيره ولا ينافيه تقدير
الشرط على ان يكون المعنى على شرط ان تعلمني مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرى
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني او مصدر في موضع الحال وذو الحال
الضمير في اتبعك ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما مفعولان من علم الذي له مفعول
واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك وكون موسى عليه السلام صاحب شريعة لا ينافي ان يتعلم
من غيره ما لا حاجة اليه في شريعته قال انك لن تستطيع معي صبرا اراد نفي الصبر معه الا انه بالغ
فيه حيث نفى استطاعته على ابلغ وجه واكده كانه لا يصح ولا يستقيم دل على ذلك قوله وكيف
تصبر والصبر تجرع مرارة حبس النفس ومنعها عما تنازع اليه على ما لم تحط به خبرا اي ان صبرك
على ما اخبرك به مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السابق ومجيئه بالواو شائع وفيه تدارك
لما عسى ان يتوهم انه نسب اليه عليه السلام عدم التثبت قيل فيه ابدآه حيث لا يمكنه الصبر لما يرى
من المناكير لان الانبيآ لا يجوز لهم السكوت عند ذلك وفيه ان ما لم يكن منكرا شرعا ولا عقلا وايضا
قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطاعته وخبرا تمييز او مصدر على غير المصدر لان لم
تحط بمعنى لم تخبره والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وما يختبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشية للاستثنا ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه
لا يجوز خصوصا في حق الانبيآ ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي صابرا وغير عاص كقوله تع
صافات ويقبضن اي وقابضات او على ستجدني فلا محل له من الاعراب وفيه انه ح لا
يكون مقيدا بالمشية ولا بد منه كيلا يلزم الخلف المذموم حيث وعد ان لا يعصي له في أمر

وقدامه بترك السوال ولم يعظ فيه وانما قلنا فلا محل له من الاعراب مع انه معمول القول
على هذا الوجه لانه لا تاثير للعامل في المعنى وانما اثره ح مجرد اللفظ والجملة ههنا كالبيت واقعة
موقع المفرد ليكنى حكمه محلا وهذا تواضع اخر من موسى عليه السلام بعد تمنع كان من الخضر لم يحكم عليه
بوجه اخر على الافصح عنه قوله قال فان اتبعتني فلا تسالني وقرى بالنون الثقيلة عن شي انكرته
مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وهذا من الخضر تاديب وارشاد
ولو صبر ودأب لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق والاعراض فانطلقا اي
انطلق موسى والخضر واما يوشع فقد صرفه موسى ورده الى بني اسرائل وفي الحديث السابق ذكره
فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي الحديث المذكور فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة ركب متعد وانما قيل في السفينة اظهارا لما
في ركوبها خاصة من بين المراكب من معنى الدخول خرقها قال عليه السلام في الحديث المذكور
فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من السفينة بالقدوم قال ابو العالية لم ير
الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبد الا يراه الا من اراد الله ان يراه ولو راه
القوم ح لمنعوه من خرق السفينة قال اخرقتها لتغرق اهلها اي فعلت ذلك وغرضك
اغراق اهلها وقرى بالتشديد للتكثير وقرى بالياء ورفع اهلها اي فعلته ليغرق اهلها
وقيل انها لام العاقبة والاولى اولى في مقام الانكار لقد جئت شيئا امرا منكرا ماخوذ من
الامر لانه الفاسد الذي يحتاج ان يؤمر بتركه ومنه امر القوم اذا كثروا اي احتاجوا الى من
يامرهم وينهاهم ومنه الامر من الامور اي الشي الذي من شانه ان يؤمر فيه ولعله لم يكن كل
شي امرا ومن ههنا ظهر وجه ايثار شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة الجناس ولو كان الامر
ههنا بمعنى العظيم كما قيل لروعي حسن التناسب لفظا وقيل امرا العدم المانع من جهة المعنى ح قال
اخرقتها لتغرق اهلها اي فعلت ذلك وغرضك اغراق اهلها وقرى بالتشديد للتكثير وقرى بالياء
ورفع اهلها اي فعلته لتغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
ظاهره تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة الصبر معه واشارة الى منكر ارتكبه موسى
وهو عدم محافظة الوعد فكانه قصد المعارضة ولهذا اضمن كلامه الاعتذار عن ذلك على الافصح
عنه قوله تع قال لا تؤاخذني بما نسيت من امري اي بسبب نسياني والمواخذة على ترك التحفظ
لا على النسيان لانه غير مقدور ولذلك لم يقل على ما نسيت فكانه قال ما صدر عني اصدر الا

بسبب امر غير معذور وصيغة النهي كونها قد تجي للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقني
الارهاق ادراك الشي مما يغشاه ومنه غلام مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من امري
هو اتباعه اياه عسرا اي ولا تغشني عسرا من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك بالمواخذة على
ما صدر بسبب النسيان وبرها على الاغضاء وعسرا مفعول ثان لترهق وقري بضمتين فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما وفي الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه بيده فاقتلعه بيده فقتله مما قيل كان
قتله بفتل عنقه او بضرب راسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه
والفا هنا للدلالة على عدم تراخي القتل عن لقا الغلام بخلاف خرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب
كذلك فلم يذكر الفا ثمة ولما كان القتل قتل معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف في صغره لم يتمالك
ان يعترض ولا دخل في ذلك لدلالة الفا على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت نفسا زاكية
وقري زكية قال الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت وتابت ولذلك اختار الاولى وهذا على ما قاله الجمهور انه كان صغيرا
غير بالغ وقال الحسن والكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس اي من غير ان قتلت نفسا
يفهم منه انه لو كان من قتل نفسا لم يكن به باس والظاهر منه كبر الغلام لان الصغير لا يقاد
ولا تنبيه فيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة للحصر على ما نبهت عليه في
تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقري بضمتين اختلفوا ايما ابلغ امرا او نكرا فقيل
هنا القتل واقع وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية
وعندي ان امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد
وقع ومن غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية
جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان
يجعل عمدة الكلام فالوجه في التغيير ما قد عرفته من ان تعقيب القتل للقا دون الخرق للركوب اقتضى
ذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا في زيادة لك مشافهة بالعتاب زجر واغلاظ
ليس في الاول لان موافقة التاول في ثانيه بعد التقدم الى ترك السوال واعتذار بالنسيان افظع
وافظع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر وعدم العصيان قال ان سالتك عن شي بعدها
بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقري فلا تصحبني قال الكسائي

فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت من قبلي مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقري لدني بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام
وبضم اللام وسكون الدال وقري عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية جزيرة الاندلس
روي ذلك عن ابي هريرة وقيل الجزيرة الخضرا وقيل انها برقة واما قيل انها انطاكية وما قيل
انها ايلة وبصرة فمبناه على ان يكون احد البحرين بحر فارس وقد عرفت ما فيه وقيل انها باجروان
ارمينية وذلك على ما قيل ان البحرين نهر الكر والرس استطعما الاستطعام سوال الطعام والمراد
به هنا بقرينة اخر الكلام سوال الضيافة والقرى اهلها كرر ذكر الاهل تعظيما لهم ولان المراد من الاهل
في الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد والمراد به في الثاني الكل فكان المناسب اعادته باسمه
الظاهر لان الظاهر من الضمير عوده على ما ذكر اولا بعينه وعن النبي عليه السلام لئام فطافا في المجالس
فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقري ان يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه
وضيفه انزله وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام وبهذا
انطبق مقتضى المقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض الانقضاض السقوط بسرعة وانقض
انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقري ان ينقض وان ينقاص بالصاد
المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة مستعارة للمشارفة كالهم والعزم فاقامه
ذكر في الحديث المار ذكره انه قال بيده اي اشار اليه بها فاقام وهو الاشبه بسائر افعاله قال لو
شئت لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقري لتخذت اي
لاخذت واختلفوا في اظهار الذال وادغامها عليه اجرا اكانا حال اضطرار وافتقار الى المطعم
وقد لزمتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى
عليه السلام لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال ذلك وبما قررناه تبين وجه تقديم استطعما
عن اهل القرية واباءهم عن التضييف قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا
بحكم ما شرطت على نفسك واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقري
على الاصل وتكريره بالاضافة الى احدهما والى الاخر مع كفاية بيننا للمعنى التاكيد
قاله سيبويه وقال ابن عباس رض كان قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لربه فلم يكن سببا
للفراق وكان قوله في الجدار سببا لنفسه في طلب شي من الدنيا فكان سبب الفراق سانبئك بتاويل

الم تستطع عليه صبرا ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير مناسب للحال
بحسب الظاهر والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لعدم صنعتهم لعارضهم البدنية
كالزمانة والعمى والخرس او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول الرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين
مرحمة لحاله وشفقة عليه فلا دلالة فيه على ان المسكين يطلق على من يملك مالا اذا لم يكفه يعملون
في البحر قدر ما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب تفريع على كون السفينة
للمساكين وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع ومجيئه بالواو وكثير في القران منها قوله تع وكان
الانسان كفورا فعلى هذا نظم الكلام في غاية الحسن ومن لم يتنبه له يتكلف في توجيهه وكان
وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك ياخذ كل سفينة صحيحة سالمة
وقد قرئ بكل منهما غصبا من صاحبها واما الغلام فكان ابواه فيه تغليب فخشينا ان يرهقهما مومنين م
يغشيهما طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما لعقوقه ويلحق بهما شرا ويقرن بايمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه
ويطغيا ويكفرا بعد الايمان او بهما لانه اياهما على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تع
اعلمه وقرئ فخاف ربك اي كره كراهة من خاف سوء عاقبة قيل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية
قوله تع ولا يلايمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم والرحمة مصدران كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على
والديه وقرئ رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز وافعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر
لا زكوة فيه والمناسب للمقام ان لا يكون فيه رحما ايضا على ان التفضيل بين التمييزين بحمل احدهما
على التفضيل دون الاخر لا يخلو عن نوع خلل في حسن النظم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة هي القرية المذكورة قبلها وكان تحته كنز لهما هو كل مال مذخور من ذهب وفضة وروي
مرفوعا انه كان ذهبا وفضة وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه
كان للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا تؤدي زكوته وكان ابوهما صالحا
اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آبا فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما قوتهما قال الجوهري هو ما بين ثمان عشرة الى ثلاثين والمراد الادراك الى قوة
الراي لا الى الحلم ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله تع بقاء ذلك المال مدفونا محفوظا عن ايدي التغلب الى
زمان بلوغهما مبلغ الرجال الكاملين في الراي القادرين على استخراج الكنز سالما عن تعدي الغير

فان

فان الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير لا يقدرون على ذلك اسند الارادة او لا
الى نفسه والى الله تع لان التبديل بمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تع البدل وثالثا اولى
الله تع وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما ولان الاول شر والثالث خير
والثاني ممتزج هو لكان تقول في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور في
مراعاة ادب الكلام فلا يلزم الا لعلة وهي موجودة في الاول ومفقودة في الثاني ولا مجال
للاضافة الى نفسه في الثالث وتلك العلة صون جناب العزة ان يعزى اليه ما هو شر ظاهر
رحمة من ربك نعمة منه وهي المال الحاصل بالسهولة الواصل الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه
على الحال وقيل مفعول على ان الرحمة بمعناها الشائع او مصدر منصوب باراد ربك لانه بمعنى رحمهما
واما تعلقه بالمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلايمه قوله وما فعلته اي فعلت ما
رايته عن امري عن رايي انما فعلته بامر الله تع ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع فحذف
التاء تخفيفا ويسالونك اليهود امتحانا او مشركو مكة عن ذي القرنين هو اسكندر الملك اليوناني
المقدوني ولقبه بذي القرنين لما روي مرفوعا انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها قال الشاعر
وهو التبع اليماني • قد كان ذو القرنين جدي مسلما • ملكا تدين له الملوك وتسجد • بلغ المشارق
والمغارب يبتغي • اسباب امر من حكيم مرشد • وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس والروم
مردود بانه تلميذ ارسطو ومذهبه مذهب الفلاسفة وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه
وولايته انما الخلاف في نبوته قال القرطبي والظاهر من الاخبار ان اسكندر اثنان احدهما كان
على عهد ابرهيم عليه السلام وهو الذي قضى له حين تحاكموا في بئر السبع بالشام والاخر كان قريبا
من عهد موسى عليه السلام قل في جوابهم سانلو عليكم منه من ذي القرنين ذكرا خبرا انا مكنا له في الارض
اي اعطيناه التمكين فيها وزيادة اللام للاختصاص واتيناه من كل شيء من مهمات الملك
سببا اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض فاتبع سببا
الفاء فصيحة تقدير الكلام اراد بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه حتى بلغ وقرئ بقطع
الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها في عين حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة
السوداء من حمئت البئر حماة بالتحريك اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة وقيل لا تنافي بينهما
لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او تكون حامية من الحماة فخفف الهمزة وقلبت ياء
لانكسار ما قبلها ويابى عن ذلك ما جرى بين ابن عباس ومعوية وتفصيله على ما ذكره القرطبي

ان ابن عباس رض قال اقرانيها أبي رض كما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة
وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص وانا مع امير المؤمنين فجعلوا
كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التورية فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق
ابن عباس رض فانه على تقدير التوفيق بين القراءتين على احد الوجهين المذكورين لما في الخلاف
المزبور ففيه تجهيل لهؤلاء الاعلام وما ذكره القفال ليس المراد انه انتهى الى الشمس غربا وشرقا حتى
وصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل
في عين من عيونها بل هي اكبر منها اضعافا مضاعفة مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها
ومنهم من تعمق وقال لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال
وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى على
ذكر لقيل رآها تغرب ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على ذي بصيرة ووجد عندها
عند تلك العين قوما كانوا كفارا فخيره فيهم بين الامرين قلنا يا ذا القرنين من قال انه كان
نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكره قال كان الخطاب على لسان نبي في عهده واحتمال الالهام
لا يجدي لان الدعوة الى الحق لا تكون الا من نبي او نائبه اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما
ان تتخذ فيهم لم يقل لهم دلالة على النبوة والاستقرار حسنا اي ذا الحسنى فيهم دعوتهم الى الله تع
وتوحيده وما قيل خير الله تع بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يأباه قوله اما من
ظلم الخ لانه دل على انه اثر الدعوة وقد كان في التخيير بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنا واضمار
متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسنى ايماء الى ترجيح الشق الثاني فسهله واثر ما يحق الايثار
قال اما من ظلم اما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة والاستمرار على الكفر فسوف
نعذبه اي في حرف التسويف اشعار بما يتخلل بين اختيارهم عدم قبول الدعوة وتعذيبهم بالقتل
من الامهال بتكرار الدعوة اظهارا لاصرارهم على الكفر وبنون العظمة في نعذبه على عادة
الملوك في قولهم نحن فعلنا ثم يرد الى ربه كان خطابه لاتباعه فانه تع لما خيره بين الامرين
المذكورين علم بذلك اتباعه ثم يرد اليك فيعذبه في الآخرة عذابا نكرا عذابا منكرا لم يعهد مثله
واما من آمن وعمل صالحا مما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى جزاء الفعلة الحسنى
وقرئ منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر
حالا اي يجزى بها جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء

الساكنين

الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والخبر وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا قولا
ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم
اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب ويأباه تصدير الجواب باما
التفصيلية لانه يستدعي لسبق الاجمال وعلى ما ذكرنا جاء في الكلام السابق ثم اتبع سببا ثم اتبع
طريقا وهو الذي يوصله الى المشرق بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع
الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام قال الجوهري والمطلع هنا موضع
طلوعها فلا حاجة الى اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا
يستترون به عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا مأوى ولا لهم ثوب يسترهم فاذا طلعت
عليهم الشمس دخلوا في الاسراب وقيل في النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معايشهم كذلك اي
امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك ولم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب
من كل صنف وقد احطنا بما لديه من العدد والعدد خبرا تكثيرا لذلك يعني ان كثرة ذلك بلغت
مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق
والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين هما على ما ذكره وهب جبلان مسعان
في السماء املسان يزلق عليهما كل شيء وانما سميا سدين لسدهما فجاج الارض وكانت بينهما فجوة
يلج فيها يأجوج ومأجوج وهذا المكان في منقطع ارض الترك وما قيل هما جبلا ارمينية واذربيجان
وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائي هما لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو السد بالفتح الحاجز
بينك وبين الشيء وبالضم الغشاوة في العين ولهذا قال من قال ما كان من صنعة بني آدم فهو
بالفتح وما كان من صنعة الله تع فهو بالضم وانتصب بين على انه مفعول به لانه من الظروف
المتصرفة وجد من دونهما قوما اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء لا يكادون
يفقهون قولا لا يفقهونه من اشارة ونحوها الا بجهد ومشقة فان زيادة يكاد قد تكون
لافادة هذا المعنى كما في لا يكاد يبين وذلك لقلة فطنتهم والغرابة اللغة فلا يصح علة لهذا
وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم او لا يبينونه الا بمشقة لغرابة لغتهم او لثغتهم
قالوا يا ذا القرنين دل هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وهو في المعنى الذي ذكرناه فيما سبق دون
غيره من المعاني المذكورة في التفاسير وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة

الاسباب التي اتاه الله تع ان ياجوج وماجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث ممنوعا
الصرف ولا دلالة فيه على عجميتهما لوجود علتين اخريين التانيث والعلمية وقرئا مهموزين
قال الاخفش من همز جعل الالف من الاصل كانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زائدة
وقال ياجوج من يجت وقال ابو علي ان همز ياجوج فهو من اجيج النار وان لم يهمز فيمكن ان يكون
خفف الهمزة فقلبت الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على
التخفيف وان يكون فاعولا من مج مفسدون في الارض بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ خراجا
قال اهل اللغة الخرج ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل كلاهما واحد كالنول
والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم من الخروج علينا وقرئ سدا بالفتح والضم قال القرطبي
قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال عكرمة وابو عمرو وابو عبيدة ما كان
من خلق الله تع ولم يشاركه فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة
ان يقرؤوا هنا بالفتح وفيما سبق بالضم وهي قراة حمزة والكسائي والعجب ان الكسائي ينكر الفرق
بينهما معنى فحقه ان لا يخصص احدهما بموضع والاخر بموضع اخر وابو عمرو يعترف بالفرق وموجبه
التخصيص المذكور فكل منهما اخذ ما هو حق صاحبه قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا من كثرة
المال والملك خير مما يبذلون لي من الخراج فلا حاجة وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اراد
معاونتهم بعمل اليد بقوة البدن والتخصيص بقوة العمل من ضعف الفطنة فكانه قال رفعت
عنكم مؤنة المعونة بالمال فاعينوني بخدمة بلا اجر وهذا من تاييد الله حيث آثر ما هو ايسر في
حقهم وانفع في حقه واسرع في قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد المتراكب من قولهم
ثوب مردوم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد الزبر بفتح الباء وضمها جمع زبرة
وهي القطعة العظيمة ولا يلزم ان يكون من الحديد يدل عليه قوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ولذلك
قيده بالاضافة الى الحديد واعطاؤها من قبيل تحصيل الالة بالخدمة لانها مما يحصل بمجرد العمل
فلا حاجة الى صرف الايتاء عن معناه الى معنى المناولة ولا دلالة على ذلك في قراءة ائتوني بكسر
النون موصولة الهمزة على معنى جيئوني والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير لانه لا هنا في معنى
الاعطاء فانه لا يعينه حتى اذا ساوى بين الصدفين في الكلام محذوف تقديره فاتوه بما طلب

حتى اذا ساوى يعني البناء بين الصدفين والصدف الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ
بضمتين وبالضم والسكون وبالفتح والسكون وبفتح الاول وضم الثاني والكل بمعنى واحد
قال انفخوا اي على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اي جعل النفخ ما نفخ فيه كالنار بالاحماء
قال آتوني فيه القراءتان اللتان في آتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من القطر
لانه اذا اذيب قطر كالقطر اي منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه اذ لو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني على الفصيح فما
اسطاعوا حذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرئ بالادغام وهو على غير حده اذ لا يصح
الا ان يكون قبل الادغام متحركا او حرف مد ولين ولذلك قال ابو علي هي غير جائزة وقرئ
بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا
له نقبا لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد
ربي اي فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي توزيع على ما ذكر يعني وجوده لما كان رحمة
ينعدم عند انتهاء زمان الرحمة بانقضاء المستحقين لها جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر القصة وتركنا جعلنا
بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب في بعض فيختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في
الصور هذه النفخة نفخة الانشاء لا نفخة الافناء دل على ذلك الفاء التعقيبية في قوله فجمعناهم
جمعا للحساب والجزاء وما هو لقيام الساعة انما هو نفخة الافناء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
وابرزناها لهم عرضا اشار بتنكيره الى خروجه عن حد التعريف والبيان الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا
استماعا لذكري وكلامي لفرط صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم لهم لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به افحسب الذين كفروا افظن الذين كفروا وقد قرأ كذلك ابن مسعود معطوف
على قوله كانت وكانوا دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليه همزة
الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المذكور
للذم في قوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان يتخذوا عبادي هم من عبد
من الملائكة والمسيح وعزير من دوني اولياء يعني انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم سبحانك

انت ولينا من دونهم أفحسب الذين كفروا اي افكافيهم وحسبهم ان يتخذوهم اوليآ على الابتدآ والخبر او على الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استيناف لبيان خطأ حسبانهم وفي جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم ورآها من العذاب ما يستحقر دونه ويستلذ جهنم بالنسبة اليه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لتنوعهم اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وانكارهم الحشر قيل هم الخوارج اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحب الصوامع ويردها قوله تع بعد ذلك اولئك الذين كفروا اذ ليس منهما من يكفر بلقآء الله تع والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السوال او الجر على الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة او بالقران ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقآء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون بها لا بنيل الثواب ولا تخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا ويرد عليه ان حقه ح ان يعطف بالواو عطف احد النوعين على الاخر لان منشأ الازدرآء بهم كفرهم بايات الله ولقائه لاحبوط اعمالهم ذلك اي الامر ذلك وقوله جزاوهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاوهم به او جزاوهم بدله وجهنم خبره او جزاوهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا قدم معنى النزل وما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج وروي مرفوعا انه اوسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصبه على الحال ولما كان ما ذكر في سابق تقديره تع لم يحتج ههنا الى تقدير لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد عليها حتى تنازعهم اليه انفسهم بل فيها جميع ما تشتهي انفسهم وهذه غاية الوصف والتحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تاكيد الخلود لانهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لا ينتقلون لعدم الاكراه فيها قل لو كان البحر مدادا هو في الاصل الحاوي شيأ بعد شيء على الاتصال وصار اسما لكل ما يمد به الشيء على العموم

والمراد ههنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لفني جنس البحر اي لم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد قرئ بالتاء واليا كلمات ربي لعدم تناهيها وفي نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده ولذلك يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة بعد واحدة ولو جئنا بمثله مددا بمثل البحر الموجود مددا لنفد ايضا والكلمات ايضا غير نافدة ضرورة ان كل ما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فانه يستحيل نفاده ومددا لتمييز وهو مثل المداد وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ بمثله مدادا وسبب نزوله ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تع قل انما انا بشر مثلكم في العجز عن الاحاطة عن كلماته الا اني افارقكم بنزول الوحي علي وبعض الاحاطة بسببه يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا يقولون عزير ابن الله ثم حض على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجآء توقع الخير في المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور المحمودة وفرق بين الرجآء والاغترار بان الرجآء يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اخل بها والمراد من لقاء الله كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن هذا التجوز وهذا يغني عنه فليعمل عملا صالحا لائقا بذلك الرجآء ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا يبتغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله تع فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله تع لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وقرئ ولا تشرك بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة في ربه والله اعلم بالصواب

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قد سبق القول فيه ذكر رحمة ربك خبر محذوف اي هذا ذكر او خبره محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر وقرئ ذكر مشددا على الماضي من التذكير ونصب رحمة

اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك وذكر على الامر وهذا صريح فى عدم اتصاله بما قبله فالوجه ان يعرب
الباقون موافقا لهذا لان الاصل فى القراآت التوافق عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة
فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ ظرف للرحمة دلالة
على ان وقت ندائه هو وقت رحمة ربه لم يتخلف عنه نادى ربه النداء قد يستعمل فى مطلق
الخطاب كما فى قوله فناداها من تحتها فلا تنافى فى قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف اى دعاء
دعاء سرا لان الاسرار والجهر عند الله سيان وعندنا الاسرار ابعد عن الرياء واقرب الى الصفاء
واخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى اوان الكبر فانه كان ح متجاوزا الى الهرم على ما دل عليه
قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال رب انى استيناف لتفسير النداء وهن العظم الوهن الضعف
وقرى بالحركات الثلاث وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه فتطرق الضعف اليه
موجب لتطرقه الى كل البدن ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان
المراد الجنس ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن فيه بعض عظامه ولكن كلها وذلك ليس
مقصودا بحسب المساق وما زاد على المقصود نكتة وفضولا ولما اقتضى المقام تعريف الحقيقة
فى العظم دون الراس احتيج الى زيادة قوله منى دون قوله واشتعل الراس شيبا اى استولى
الضعف على الظاهر والباطن وذكر هذا يزيد الدعاء توكيدا لما فيه من الاتكال على قوله وقوته والتبرى
عن الاسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار لا فى بياضه وانارته فقط بل فيهما وفى ان
النار كما تشتعل فى الجسم وتسرى فيه حتى تحيله الى غير حاله المعدم كذلك الشيب ياخذ فى الراس
ويسرى شيئا فشيئا حتى تحيله الى غير لونه الاول وشبه انتشاره فى الشعر وفشوه فيه واخذه منه
كل ماخذ باشتعال النار فى سرعة التهابه وتعذر ملاقيه ولابد فى التشبيه الثانى من اعتبار معنى
السرعة فى وجه الشبه اذ به يعلم كون الشيب فى وقته فيتم الكناية عن المعنى المراد وهو الوصول
فى سن الشيخوخة فان الشيب قد ياخذ من الراس كل ماخذ قبل ذلك الا انه يكون على تدريج ومهل
ثم اخرج الاول مخرج الاستعارة المكنية والثانى مخرج الاستعارة التصريحية واصل الكلام
اشتعل الشيب فى الراس لا اشتعل شيب الشعر فى الراس لان الشيب مخالطة الشعر الابيض
بالاسود فترك تلك المرتبة الى ما هو ابلغ منها من جهات اولها اسناد الاشتعال الى الراس
لافادة شمول الاشتعال وثانيها الاجمال والتفصيل فى طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة
التعظيم والكتفى باللام عن الاضافة لا اعتمادا على علم المخاطب والا لما ذكر منى فيما سبق. بل

اعتمادا على ان المتبادر من العطف على المقيد اعتبار القيد فيه ولم اكن بدعائك رب شقيا
اى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا غير شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى
اذا خاب ولم ينلها يعنى انه تع عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من
اطمعه وفيما ذكر تذكر لعادات تفضله تع فى اجابة ادعيته وتوسل به وذلك نعم الوسيلة وتحسين
الظن بالاجابة فان له تاثيرا فيها قال تع انا عند ظن عبدى بى وانى خفت الموالى المولى ابن العم
والعصبة وجمعه الموالى من ورآئى قال ابو عبيدة اى من جهة الموت الذى هو قدامى قال الشاعر
ارجو بنو مروان سمعى وطاعتى • وقومى تميم والفلاة ورآئى • كانه لم ير فيهم من الخلال ما يصلح
به للقيام مقامه فى الدين وقرى خفت وتعلق الظرف به ظاهر يعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد وكانت امرأتى عاقرا العاقر التى لا تلد لكبر سنها وفى عبارة
كانت دلالة على انها استمرت مدة على تلك الحالة والظاهر من تقديم هذا القول انه اراد الولد
منها وقدم وجهه فى سورة ال عمران ويناسب هذا ان يكون المراد من يعقوب ابا امرأته
فهب لى من لدنك اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة وليا ابنا يلى امرك
بعدى يرثنى ويرث قرى برفعهما صفة لوليا اى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن ال يعقوب
النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما
على انه جواب للدعاء ورد ابو عبيدة قراءة الجزم وقال لان معناه ان وهبته ورث وكيف يخبر
الله تع بهذا وهو اعلم به من ال يعقوب بن ماثان اخو عمران ابو مريم وقرى يرثنى وارث
ال يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لا للصغر لانه لا يناسب المقام
بل للمدح كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ووارث من ال
يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله
رب رضيا مرضيا فى اخلاقه وافعاله او راضيا منك وبحكمك يا زكريا اى فاستجبنا
دعاءه وقلنا يا زكريا دل على ذلك قوله فى سورة الانبيآء فاستجبنا له ووهبنا له يحيى انا نبشرك
كانت البشارة بواسطة الملك على ما نص عليه فى سورة ال عمران بغلام فيه بشارة بثلاثة
امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحلم واختلفوا فى بقائه بعد ابيه والظاهر من قوله تع فاستجبنا
له انه بقى بعده اسمه يحيى تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد يحيى قبله
وفيه دلالة على ان فى التخصيص باسم مستحسن نوع تشريف للمسمى وقد سبق معنى يحيى وبيان

الشفقة قال زكريا رب انى يكون لى غلام استفهام تعجبي يدل على التصديق بوقوع المخبر به
والاعتراف بكمال قدرته عليه لان التعجب انما ينشا من استغراب مقارن للتصديق به لتضمن
الاستخبار انه يولد له على هذه الحالة او بعد الاحالة فان قيل لم استبعد واستعجب
واجيب بانه بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون وليت شعري من المراد
من الموقنين والمبطلين وقد كان دعاوه مخفيا عن الغير ثم انه عليه السلام فهم من البشارة
المذكورة انه يرى بلوغ يحيى عليه السلام اوان الحلم فازداد به التعجب ولهذا قال انى يكون لى غلام
دون انى يكون لى ولد وانه يولد من امراته التى طلب الولد منها ولهذا قال وكانت امراتى
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا هو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من
اجل الكبر والطعن فى السن العالية قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك
قال ربك هو على هين اى بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امراتك للعلوق وقرى وهو
على هين على العطف على محذوف اى اجعل وهو على هين وقد خلقتك اراد خلق ادم
لا خلق صورته لانه عن شى فلا يناسب السباق واللحاق ولهذا قال من قبل اى من قبل
خلقك بشرا ولم تك شيئا بل كنت لاشيا محضا وليس فيه نقض للخلافة المشهورة قال
رب اجعل لى اية علامة اعلم بها انه علق لازيد فى الشكر وفى علة السلامة قال ايتك الا تكلم
الناس علامتك ان تمتنع من كلام الناس دون ذكر الله ثلاث ليال دل ذكر الليالى هنا
والايام فى سورة ال عمران على ان المنع من كلام الناس استمر ثلاثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر
والشكر سويا حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم فخرج مشرفا على قومه
من المحراب اى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة فاوحى اشار اليهم
لقوله الا رمزا ان سبحوا صلوا وان هى المفسرة بكرة وعشيا طرفى النهار يا يحيى على تقدير القول
خذ الكتاب التورية بقوة بجد اخذه قبوله وكون اخذه بقوة العمل به كما هو حقه واتيناه
الحكم يعنى الحكمة وفهم التورية صبيا قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا
وحنانا شفقة ورحمة للناس وانما قيل لدنا مع ان الكل من عند الله تع للدلالة على ان شفقته
عليه السلام كانت زائدة على ما جبلة الناس خارجة عن المعتاد وزكوة وطهارة من الذنوب
فلم يعمد بذنب وكان تقيا مستمرا على الاطاعة والتجنب عن المعاصى وبرا بوالديه اى محسنا
اليهما فى الغاية ولم يكن جبارا عصيا الجبار الذى يعاقب على غضب نفسه لا على استحقاق

الجانى

الجانى قال واذا بطشتم بطشتم جبارين والعصى المبالغ فى العصيان وهو مخالفة الامر فان
الظاهر المبالغة فى النفى دون المنفى والعدول عنه للاشعار بان النفوس القوية البلوغ
الى الغاية فى كل صفة بها ممدوحة كانت او مذمومة والسلام عليه تحية من الله تع يوم ولد
اى هنا بصيغة الماضى وفى قوله ويوم يموت بصيغة المضارع لان مساق الكلام بعد ولادته
وقبل موته ويوم يبعث مطلق البعث يعم ما فى القبر الا انه رح لا يطلق عليه الحى فقوله حيا لتعيين
بعث الاخرة اوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
فهذه فى ات ثلاث لا فى اية اعظم منها وتحيى عليه السلام يحيى بالسلام فى هذه المواطن العظايم
واذكر فى الكتاب اى القران مريم يعنى قصتها اذ ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية
وتقديره واذكر مريم انتباذها على ان انتباذها بدل من مريم واما ما قيل انه بدل من قصة مريم
بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد من الظرف الامر الواقع
فيه فلا يرد عليه ان الزمان اذا لم يكن خبرا عن الجثة ولا حالا منها ولا وصفا لها لا يكون
بدلا منها انتبذت اى انفردت وقعدت نبذة اى ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى
لو نبذت اليه شيا وصل اليه ولذلك احتاجت الى ضرب الستر بينها وبينهم ويرشد الى هذا
قوله من دونهم من اهلها مكانا انتصابه على تضمين الانتباذ معنى الاتيان او على الاتساع
شرقيا شرقى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة فاتخذت
من دونهم حجابا سترا يستر به عن اهلها بدلالة قوله من دونهم قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال
من الحيض فاحتجبت بشى يسترها فارسلنا اليها روحنا اى جبريل والاضافة للتشريف
فتمثل لها اى تصور لمريم بشرا سويا معتدل الخلق حسن الصورة وانما مثل كذلك للاستيناس
بكلامه وتهيج شهوته فتنحدر نطفتها الى رحمها او لانه يكون مثله كمثل ادم فى الخلق بلا
واسطة نطفة بل لئلا تنفر عنه فتسمع كلامه وتبتلى به فتظهر عفتها ولما رات رجلا قد دخل عليها
فجاة فى الخلوة ظنت انه يريدها بسوء وعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك فاستعاذت بالله
قالت انى اعوذ بالرحمن منك استيناف على تقدير سوال وفى ذكر الرحمن تذكير ليوم الجزا فانه تع
رحيم الدنيا ورحمن الاخرة ان كنت تقيا تتقى الله وتخشاه فلا تقربنى فحذف الجزا لدلالة الحال
عليه وهذا كقول القائل ان كنت مومنا فلا تظلمنى اى ينبغى ان يكون ايمانك مانعا لك من
الظلم قال جبريل انما انا رسول ربك فى عبارة الرسول اشارة الى ان توسط فى الخبر دون

الاثر واتى بالرب مضافا اليها لنوع من الدلالة فى اول الكلام على ان الرسالة لايصال النعمة
والاحسان الخاص بها من بين العباد ولما كان فى مفهوم الخبر باعتبار هذا المعنى مظنة
الاستبعاد اكده بانما لاهب لك حكاية لقول الله دل على ذلك قراة ليهب بالياء
ويناسبه وصف الرسالة وفى عبارة الهبة اشارة الى ان ما اعطى لها يصل اليها بسهولة
غلاما اذكر ما فيه من وجوه البشارة زكيا طاهرا من الادناس او ناميا على الخير والبركة
قالت انى يكون لى غلام ولد ولم يمسسنى بشر جعل المس ههنا بقرينة المقابلة عبارة عن
النكاح الحلال ولم اك بغيا تبغى الرجل اى تطلب الشهوة من اى رجل كان ولا يكون
الولد عادة الا من احد هذين والبغى فعول فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت الغين
اتباعا ولذا لم تلحق بتاء التانيث او فعيل ولم تلحقها التاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت
بمعنى فاعلة فانه قد يشبه به نحو ملحفة جديدة قال كذلك الامر كذلك من خلق غلام منك بغير
اب قال ربك هو على هين اى اعطاء الولد بلا اب سهل على ولنجعله آية تعليل معلله محذوف
اى وفعلنا ذلك لنجعله آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد
يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله فى الازل فلما اطمانت
الى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اى الموهوب فانتبذت
به اى فاعتزلت وهو فى بطنها والجار والمجرور فى موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها
فاجاءها جاءها ذكره الجوهرى وقيل الجاها وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد
النقل الى معنى الالجاء ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا فى معنى الاعطاء وفيه نظر قال الجوهرى
واتاه اى اتى به ومنه قوله تع آتنا غداءنا اى ائتنا به المخاض وقرى بالكسر وكلاهما مصدر
مخضت المراة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج الى جذع النخلة كانها طلبت شيئا تستند
اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة الذى
لا سعف عليه ولا غصن ولعله تع الهمها ذلك ليريها من اياته ما يسكن روعها ويطعمها
الرطب الذى هو طعام النفساء والتعريف للجنس ولا مساغ للعهد لان شرطه ان يكون
معهودا عند المخاطب وهو مفقود ههنا قالت يا ليتنى مت قبل هذا تمنى الموت لما عرضها
من شدة وجع الطلق اذ لا حاجة ح الى قوله وكنت نسيا منسيا بل لانها خافت ان
تقع وتمنى الموت من جهة الدين جائز وقرى نسيا بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر

وهو الشى المتروك لا يذكر كانه منسى وقيل ما شانه ان ينسى ولا يطلب كالدبح لا يدبح وقيل
هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمنسى المتروك كالعشر والعشر فناداها كانت المناداة مخاطبة
لها يعضده قراءة فخاطبها من تحتها وهو جبريل لانه كان فى مكان اخفض عنها او كان
ههنا بمنزلة القابلة او عيسى لانه خاطبها من تحت ذيلها وقرى من بالكسر والفاعل مضمر وهو
عيسى او جبريل على ان الهاء فى تحتها للنخلة الا تحزنى اى لا تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك
تحتك سريا جدولا هكذا روى مرفوعا قال ابن عباس رض كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه
فاجراه الله تع لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسرى فيه فان قلت القول فى قول الحسن
سيدا قلت ليس بقول حسن لانه مخالف للتفسير المرفوع وفى المثل اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل وهزى اليك الهز تحريك مخصوص تتبعه الحركتان المتدافعتان الى الجانبين المتقابلين
وتعديته بالى لتضمنه معنى الجذب وفائدة التوطئة لما قصد بقوله عليك فان الهز اذا لم
يكن بالمد لا يكون سقوط الثمر على الهاز والباء فى قوله بجذع النخلة متعلق بالبطش الثابت
اقتضاء تساقط عليك فى تساقط تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط بالفك
وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء ويساقط ويسقط وتسقط بالتاء والياء
ومن تسقط بالتاء للنخلة والياء للجذع او للرطب رطبا تمييز او مفعول جنيا اى مجنيا وهو
الطرى بعاره البالغ نهاية النضج فكلى من الجنى واشربى من السرى وقرى عينا بالولد الرضى
وعينا تمييز اى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما احزنك وقرى قرى بالكسر وهو لغة نجد
واشتقاقه من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين
وسخنتها للمحبوب والمكروه او من القرار فان العين اذا رات ما تسر النفس سكنت اليه من النظر
الى غيره فاما ترين اصله ان ما ضمت ان الشرطية الى ما وادغمت فيها ترين من البشر احدا فقولى
رايت ادميا يسالك عن حالك فقولى انى نذرت للرحمن صوما امساكا عن الكلام اى صمتا
وقد قرى به وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطعام وقيل صياما حقيقة
وكان صومهم فيه الصمت وانما امرت به لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرى به ساحتها
ولئلا تجادل السفهاء وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا
ويجوز ان يكون اخبارها وقولها فلن اكلم اليوم انسيا قيل وصول اليوم لا اكلم ادميا
وانما اكلم الملائكة وذلك ان العدول من احد الى انسيا يفيد بدلالة المفهوم هذه

الدفعة ويدمج فيه كرامة اخرى وهي رفعة منزلها فاتت به بعيسى الباء للتعدية كما في ذهب
به لا للمعية مع قومها بعد ما طهرت من نفاسها تحمله حال منها فلما رأوه معها قالوا يا مريم لقد
جئت شيئا فريا بديعا منكرا والفرى القطع كانه يقطع العادة يا اخت هرون كان اخاها
من ابيها ومن افضل بني اسرائيل ما كان ابوك امرأ سوء زانيا وما كانت امك بغيا
زانية تقرير لان ما جاءت فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه
الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد المعهود صبيا حال معناه انه كان
من اهل المهد وان لم يكن في تلك الحالة في المهد كما يقال صبي يرتضع وان كان لا يرتضع حالة
الاخبار عنه ولهذا زيدت لفظة كان للتاكيد قال اني عبد الله لما اسكت بامر الله لسانها
الناطق انطق الله لها اللسان الساكت اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا عن الحسن انه كان
في المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه
وجد وجعلني مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير واوصاني بالصلوة والزكوة
ما كان الامر بهما موجلا عبر عنه بالتوصية فان الوصية التقدم في الامر الذي يكون بعد ما
وقت له ما دمت حيا اي مدة حيوتي وبرا بوالدتي اي بارا بوالدتي وقرئ بالكسر على انه
مصدر وصف به منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويويده القراءة بالكسر
والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا وقد سبق تفسيره شقيا عاصيا والسلام علي
التعريف للجنس وفيه تعريض بضده على اعدائه كقوله تع والسلام على من اتبع الهدى فانه
تعريض بان العذاب على من كذب وتولى يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
قد سبق بيانه ذلك عيسى الذي تقدم نعته هو عيسى لا ما يصفه النصارى او اليهود وهو
تكذيب للفريقين فيما يصفانه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا
باضداد ما يصفانه به ثم عكس الحكم ابن مريم نعت او خبر ثان اي نسبة فيه من جهة الاب ففيه
رد لليهود في انه ابن يوسف النجار قول الحق صفة عيسى او بدل او خبر اخر ومعناه كلمة
الله لا نفسه ولا ابنه ولا ثالثه ففيه رد لفرق النصارى وقد سبق وجه كونه كلمة الله في
سورة ال عمران وقيل خبر محذوف المبتدا اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة
للبيان والضمير للكلام السابق وقرئ بالنصب على المدح او على المصدر اي اقول قول الحق وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يختلفون من المرية فقالت اليهود ساحر

كذاب وقالت النصارى ما سياتي تفصيله وقرئ بالتا على الخطاب ما كان لله اي ليس من
شانه ان يتخذ من ولد جي بمن لتاكيد النفي سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان
منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرئ فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرئ بالفتح
على ولان او على العطف على الصلوة فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة المنفردة برايها وهم
اربع فرق نسطورية ويعقوبية واسرائيلية وملكانية من بينهم من بين اصحاب عيسى او
من بين قومه او من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان
يرجعوا الى قول اربعة كانوا عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور واسرائيل وملكا
فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله اظهره ما شاء
ثم رفعه اليه وقال اسرائيل الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى وقال الرابع
كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم فويل للذين كفروا من الاحزاب اذ الواحد
منهم على الحق من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول القيمة على ان المراد من اليوم الواقعة
اسمع بهم وابصر على ان لفظه امر ومعناه التعجب والله لا يوصف به ولكن المراد ان اسماعهم
وابصارهم جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وبهم مرفوع المحل على الفاعلية
كاكرم بزيد معناه كرم زيد جدا يوم ياتوننا اي يوم القيمة لكن الظالمون اقيم الظاهر مقام
الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث تركوا الاستماع والبصر حين تجدي عليهم اليوم في
الدنيا في ضلال مبين متجل على تركهم ذلك بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم القيمة لانه
يتحسر فيه الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة
وهو مصدر قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وهم في غفلة
هنا عن الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق بقوله في ضلال مبين
وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من
تغليب العقلاء وهذا يدل على فناء الارض ايضا قوله نحن نرث مبتدا او خبر الجملة في محل الرفع
خبر ان ولا يجوز ان يكون نحن فصلا لان نرث نكرة والفصل لا يقع الا بين معرفتين او

وتبين من المعرفة والبنا يرجعون اي يردون فيجازون جزاء وفاقا في محل الرفع بالعطف
على نرث او على الجملة الاسمية واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق
كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته ويجوز ان تكون المبالغة من جهة
الكيف نبيا استنباه الله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا
نبيا والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان تيلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله
واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وجل ذكره ومورده في تنزيله لابيه يا ابت التاء عوض من ياء
الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كرره لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسي غير منوي ولا يغني عنك شيئا يحتمل ان يكون شيئا في
موضع المصدر اي شيئا من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك اغن عني وجهك اي
بعد دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث
لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعله لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف
الخلق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع
ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا
من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك
صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في
مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه
في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان ثم هجن
ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم
وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في جهنم لان الوليين لا يكادان يفترقان
في محبوب او مكروه فجعله وليا في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين يومئذ كما قال تع

الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وانما قال ان يمسك دون يصيبك ليعلم ان
العذاب جسماني والتنكير فيه للتعظيم وقصد التقليل من عبارة المس لا يناسب المقام فلا
يساعده الكلام اما الاول فلان المقام مقام التخويف فلا يناسب التخفيف واما الثاني
فلان المس مما يقصد به المبالغة في الاصابة كما في قوله تع وقد مسني الكبر وذلك لان المس
اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة وانما قال من الرحمن لان العذاب من مظنته
افظع واشنع وانما قال اخاف رعاية لمقتضى شفقة البنوة قال الراغب الرغبة اجتلاب
الشيء لما فيه من المنفعة وتعديته بفي واذا تعدى بعن يفيد ضده انت عن الهتي يا ابرهيم
قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بني ولا تاثير فيه لتاخيره بل لو قدم لكان اشنع واوقع لان المقام مقام العنف
دون اللطف وقدم الخبر على المبتدا لانه كان اهم عنده وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على
ضرب من التعجب كانه مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها
لارجمنك لاقتلنك بالرجام او لاضربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك واهجرني عطف على
محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او
مليا بالذهاب عني قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي
لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي وعده
بطلب المغفرة له من الله تع قبل لعله يوفقك بالتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب الغفران وهو الايمان ويرد عليه انه لو كان كذلك
لما كان وعده هذا مستثنى عن القدوة الحسنة بقوله تع الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك انه كان بي حفيا بليغا في البر واللطف واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة وما تدعون
من دون الله اي وما تعبدون من اصنامكم وادعو ربي واعبده وحده ثم قال تواضعا
وهضما للنفس وتنبيها على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمة
وهو غيب وتعريضا لشقاوتهم بدعاء الهتهم عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع
السعي مثلكم في دعاء الهتكم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة اول ما وهب له اسمعيل على ما في تفسير قوله تع الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وانما خص اسحق بالذكر لانه شجرة الانبيا عليهم السلام

اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا اى كل واحد منهما جعلنا نبيا اى
لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا ابرارا ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد
والاموال وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوات على ابرهيم وعلى ال ابرهيم فى الصلوات
الى قيام الساعة استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الاخرين عبر عنه باللسان عما يوجد
به كما عبر باليد عما يعطى بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه ثناء حسن لا كذب فيه عليا رفيعا
مشهورا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا قرى بالفتح اى اخلصه الله واصطفاه وبالكسر
اى اخلص العبادة لله فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة
بصدق النية وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه
اخص واعلى وناديناه من جانب الطور وهو جبل بين مصر ومدين الايمن من ناحية اليمنى
من اليمين والمعنى انه اقبل من مدين يريد مصر انودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل
على يمين موسى بان تمثل له الكلام من تلك الجهة او من جانبه الميمون من اليمن وقربناه تقريب
منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيا مناجيا كنديم بمعنى منادم حال من احد الضميرين
وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم
ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا اخاه مفعول هرون عطف بيان او بدل نبيا
حال منه هى المقصودة بالهبة اى وهبنا له نبوة اخيه والا فهرون كان اكبر سنا منه واذكر
فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لشهرته به واتصافه باشياء من هذا الباب
لم تعهد من غيره وكان رسولا نبيا بعث بشرع ابيه الى قوم دون قوم ابيه وهم جرهم فكان
صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص شرع ابيه بحسب دعوته لقومه وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل وقيل
اهله امته فان الاهل يطلق على القوم كما فى قوله فانتبذت من اهلها بالصلوة والزكوة انما
خصهما لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله
واذكر فى الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد ادم واول من خط بالقلم وخاط اللباس
ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة وقاتل بنى قابيل واشتقاقه
من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب
به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا

عليا وهو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقيل معناه رفعه الملائكة الى السماء الرابعة او
السادسة وعن الحسن الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى
ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين من للتبعيض
لان المذكورين ليسوا مطلق المنعم عليهم بل الذين وقعوا خبرا عن اولئك وهم بعض الانبياء
من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا مع نوح
خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية من حمل مع نوح لا من ذريته والا
لعيل ومن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من
هدينا الى الحق واجتبينا من الانام للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن اى اذا
تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستانف ان جعلت الذين خبرا لاولئك لبيان خشيتهم
من الله وان جعلته صفة له كان خبرا وقرى يتلى بالياء لوجود الفاصل مع ان التانيث غير
حقيقى خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود
وقعود جمع ساجد وقاعد فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف
صدق بفتح اللام وخلف سوء بالسكون لسكونها اضاعوا الصلوة تركوها وقيل تاخيرها
عن وقتها ولا ياسه الا من تاب وامن لانه صرح فى انه فى حق الكفار واتبعوا الشهوات
ملاذ النفوس وعن على رضه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون
غيا شرا كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد الا من تاب رجع عن الكفر وامن
وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة وقرى على البناء للمفعول من ادخل دخول
الجنة غير مشروط بالعمل الصالح وانما ذكر ذلك لعوله ولا يظلمون اى ولا ينقصون شيئا
من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه
ان بيان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها
عليها او منصوب على المدح وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف عدن موفقة لانه علم لمعنى
العدن وهو الاقامة او هو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة ولذلك صح وصف ما اضيف
اليه بقوله التى وعد الرحمن عباده اى عباده انا بين المؤمنين الذين يعملون الصالحات
لما سبق ذكرهم ولانه اضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء لاهل الاختصاص بالغيب

بالوحي الى نبيه اي وعدها وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها انه ضمير الشان او ضمير الرحمن
كان وعده اي موعوده وهو الجنة مأتيا اي هم يأتونها لا يسمعون فيها لغوا اللغو
الشيء الساقط الذي لا يعتد به من الكلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد
الابل لغو وللساقط الذي لا يعتد به في الايمان اليمين اللغو الا سلاما لكن يسمعون سلاما
من الملائكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون من العيب والنقيصة
فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل متصل على تنزيل غير المجمل منزلة المحمل مبالغة في نفي اللغو
يعني مظنة سماع اللغو في حقهم على تقدير ان يكون السلام لغوا وذلك محال والمعلق على المحال محال
كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا لما كان اعدل احوال المطاعم والمعاش عندهم الغداء والعشاء عرفهم جل جلاله اعدال
احوال الجنة في مأكلهم وضرب لهم البكرة والعشي مثلا لذلك والا فلا بكرة ولا عشية ثمة ويجوز ان
يراد معنى اكلها دائما اي لهم ذلك غير منقطع وهذا كما يقول الرجل انا اصبح وامسي في ذكرك
او فلان يغدو الي ويروح ولا ينقطع تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نجعلها ميراث
اعمالهم يعني ثمراتها وعاقبتها او نبقي الجنة على المتقي كما يبقى مال المورث على الوارث على
استعارة الايراث في الابقاء فان الوراثة اقوى سبب للتمليك والاستحقاق فانها من حيث
انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يرثون زيادة في كرامتهم
المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر وما نتنزل
الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين قال لما تأخر الوحي اياما فقال المشركون لعل ربك نسيك
يا جبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل
ومعنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله وقرئ ما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما نحن فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون
زمان الا باذنه وما كان ربك نسيا اي ناسيا لك وانما ذلك لحكمة راها فيه وقد ورد ايثار
صيغة المبالغة في التفسير قوله عصيا رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان
عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عليه السلام
مرتب على ما تقدم اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك فاثبت لاجل عبادته واصبر

على مشاقها ولا تضطرب بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة
ما اصطبر لها لا ما اصطبر عليها هل تعلم له سميا احدا يسمى الله والاستفهام على سبيل الانكار وذلك
كناية عن نفي استحقاق الغير بالعبادة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد غيره يستحق العبادة
لم يكن بد من التسليم لامره وللاشتغال لعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان
يعني ابي بن خلف فانه من عظمائهم وقال انبعث بعد ان صرنا كذا فنزل ولا وجه لارادة الجنس
باسره اذ لا يحسن اسناد قول او فعل صدر عن بعض الى الكل الا اذا صدر عنه او برضى منهم كما في
قول الفرزدق * فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن راس خالد * ائذا ما مت لسوف
اخرج حيا من الارض وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو
وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد
لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها وهذه اللام اذا دخلت على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون
الجملة فلما جاء حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد ايضا
فكانه قال احقا انا نستخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الانكار
والاستبعاد او لا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره اينكر قدرتنا على الاعادة ولا
يذكر وانما اظهر الفاعل اشعارا بالمنشأ لعدم تذكره فان النسيان كاللازم للانسان قيل اول
الناس اول الناسي او على يقول وتوسيط الهمزة مع ان الاصل ان يتقدمها للانكار اي
الجمع بين هذين الامرين الغريبين وللاشعار بان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف
عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه اراد خلق مادته ولذلك قال من قبل اي
خلقنا مادته قبل خلق صورته ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل فانه اعجب من جمع المواد
بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرئ يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ
يتذكر على الاصل فوربك اقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه عليه السلام تحقيقا للامر وتفخيما لشان
الرسول عليه السلام لنحشرنهم اي المنكرين للبعث لا بد من عند التخصيص لان لحاق الكلام لا يحتمل
التعميم والشياطين مفعول معه لما روي على وفق قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع
شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه يعني انهم

يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم فقوله جثيا حال مما ضمنه لنحضرنهم من السوق
ثم لننزعن النزع اخراج الشئ لما كان متصلا به او ملابسا له من كل شيعة الشيعة الجماعة
المتعاونون على امر من الامور ايهم اشد على الرحمن عتيا تمييز واصل المصدر جراة وتمردا
اي نبتدي بالاكبر جرما فالاكبر وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر
الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته
زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا واشد خبر مبتدا
محذوف ومرفوع عند غيره اما بالابتدا على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير
الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى
التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان متعلق بافعل وكذا
الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين كنى بالعلم عن ايقاع المعلوم اي نحن نبدا بتعذيب الاحق فالاحق
وضمن هذه الكناية الدلالة على انه تعالى في ذلك النزع لا يضع شيئا غير موضعه هم اولى بها احق
بالنار صليا تمييز اي دخولا والباء متعلق باولى اي الذين هم بالصلي او صليهم اولى
بالنار ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم
واضلالهم وان منكم وما منكم تلوين للكلام من الغيبة الى الخطاب للانتقال من احوال
الخاصة الى احوال العامة الا واردها وان منكم احد الا داخلها الورود في اللغة الوصول
الا ان المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما في قوله تعالى فاوردهم النار وقوله تعالى لو كان
هولاء الهة ما وردوها لقوله عليه السلام لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين
بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم وتقول النار للمومن ع وهو الظاهر من قوله ونذر الظالمين
فيها جثيا قال ونذر ولم يقل وندخل ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين سبقت الاية لان معناه
انهم مبعدون عن النار لا عن موضعها وهم كذلك فانهم يمرون والنار خامدة على ما ورد
في الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وفائدة ادخالهم النار تشديد الحسرة على الكفار كان
ورودهم على ربك حتما مقضيا الحتم القطع بالامر وذلك حكم من الله قاطع والمقضي الذي
قضى بانه يكون ولما كان المتبادر الى الوهم من قوله كان على ربك حتما الوجوب على الله زيد
قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم بما فيه من الدلالة على ان ما ذكر اثر قضائه تعالى فيكون الكلام

المذكور مستعارا لمعنى اللزوم الناشئ عن القضاء المبرم فلا وجوب ولا ايجاب لامر ذاته تعالى
ولا من غيره ثم ننجي الذين اتقوا الكفر فيساقون الى الجنة ونذر الظالمين وندع الكافرين
فيها جثيا جاثين على الركب يتخاصمون كما قال ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال واذ يتحاجون
في النار فلا دلالة فيه على ان الورود والجثو حواليها واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات
الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين نحن وانتم خير مقاما بالفتح موضع القيام والمراد
المكان والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا مجلسا مجتمع القوم
فيه للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن
التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال غافلين عن وخامة المآل فقال تعالى
منبها على ذلك وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا
من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم هم احسن في موضع الصفة لقرن وجمع
اعتبارا لمعناه وقيل في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا
على الوصفية ورد عليه انهم نصوا على ان كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف
بها اثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما رث
ورئيا منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رئت كالطحن وقرئ وريا بحذف الهمزة وزيا من
الزي قال المطرزي والزي الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه لا يقال لفلان زي حسن الا ان
يجمع ما يستحسن من لبسة حسنة وهيئة مستحسنة ولما كان كلامهم اي الفريقين خير مقاما كلام
المفحم المغلوب المنقطع الذي لا يجد ما يصلح للجواب فينتقل الى امر اخر يدعي به الفضل والغلبة
ردهم ونقض كلامهم مهددا بقوله وكم اهلكنا الخ ثم بين ان سعتهم في الدنيا استدراج ليس
بدليل على الفضل والرفعة وانما الفضل هو السعادة في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة
وهو تسجيل على القائلين ذلك القول بالضلالة وتتميم وبيان ان ما دعاهم الى ذلك القول
وهو غاية التعمق في الضلالة والحيرة والاستقرار فيها فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها
شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اي من كفر يمد له الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا
كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي
ان يفعل كالمامور به استدراجا وقطعا لمعاذيره حتى اذا راوا ما يوعدون هي متصلة

بقوله خير مقاما واحسن نديا اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود
رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة
اي القيمة والمراد ما ينالهم من الخزي والنكال فيها فهما بدلان مما يوعدون فسيعلمون من
هو شر مكانا من الفريقين واضعف جندا اعوانا وانصارا اي فح يعلمون قطعا ان الامر
على عكس ما قدروه وانهم شر منزلا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على
خلاف صفتهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين
في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا
هول الساعة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل
من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المهتدين اي المومنين ثباتا على الاهتداء
او على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس
لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المومن فيها ليس لنقصه بل لانه اراد به ما هو خير وعوضه
منه والباقيات الصالحات اي الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل الصيد في
جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عائدة من النعم الفانية التي يفتخرون بها كيف ومآلها
النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الاليم كما اشار اليه بقوله وخير مردا مرجعا وعاقبة
وفي التفضيل تهكم بالكفار لانهم قالوا للمومنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت
الذي كفر باياتنا لما كانت روية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا
ارايت في معنى اخبر والفا للتعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقال وقال
لاوتين جواب قسم مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد
كالعرب في العرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظ فرأى فيه منه ام اتخذ عند الرحمن عهدا
موثقا ان يوتيه ذلك روي ان خباب بن الارث صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه
الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فانا اقضيك ثم
فاني اوتى الاولاد وح وفيه ان قوله وولدا لا يناسب المقام ومساق الكلام ح
كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما
يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين

في

اي لم تلدني لئيمة لان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تع ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقيل هذا على طريقة المتوعد للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار
وان تطاول به الزمان الا ان حرف التنفيس جرد هنا للوعيد ونمد له من العذاب مدا نزيده
من العذاب كما يزيد في الافترا والاجترا من المدد يقال مده وامده بمعنى مدا اكد بالمصدر
لفرط غضبه تع ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد بدل اشتمال من الهاء في نرثه
ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يوتى ثم زائدا
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم شفعاء عند
الله ووحد عزا لانه بمعنى المصدر كلا اي ليس الامر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم الضمير
للالهة اي سيجحدون عبادتهم ويقولون والله ما عبدتمونا لقوله تع اذ تبرأ الذين اتبعوا
او للمشركين اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوا كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا خصما لان الله تع ينطقهم فيقولون يا رب عذب هولاء الذين عبدونا من دونك
والضد يقع على الواحد والجمع في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان
اي يكونون عليهم ضد ما قصدوه من العز على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان
توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين لهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به عبادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد واحدة على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نون الوقف او معنى
كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين الارسال التخلية وتعديته بعلى لتضمين معنى
التسليط اي طلبنا منهم مسلطين عليهم بالاغوا وذلك حين قال لابليس واستفزز من
استطعت منهم بصوتك تؤزهم ازا اغراء بازعاج واصل الاز الحركة مع صوت متصل
من ازيز القدر وغليانها والمعنى تزعجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي ببرهة ومساق
الكلام ظاهر في الامهال استدراجا ولذلك اتى باداة التفريع في قوله فلا تعجل اي تطلب
العذاب قبل حينه ولذلك قيل عليهم ولما كان قوله انما نعد لهم اي انفاسهم ليستوفوا اجالهم
في مقام التعليل لما ذكر كان المناسب ان يكون المراد انما نمهلهم لا نهملهم وما قيل اي لا تعجل بهلاكهم
فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة بعيد عن مساق الكلام وسياق المقام

عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها يوم نحشر المتقين الحشر الجمع من جهات
متعددة ونصب يوم بلا يملكون او بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف
الى الرحمن لاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد
نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين جمع وافد كركب وراكب
حال من المتقين ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها
الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى
الماء فسمي به الواردون ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد
الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون
الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين
والمتقين لانحصارهم فيهما الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اذنا فيها لقوله تع لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل
من ضمير يملكون او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء
وقيل الضمير للمجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا بالاسلام يستعد
به ان يشفع له وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات
الله ولا وجه لاسناد هذا القول الى الكل مع الانكار عن بعضهم ووقوع المشاجرة فيه
فيما بينهم لكونه معقولا فيما بينهم على ان في هذا الاسناد نوع شين للمسلمين وهم براء عنه
لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض
لسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا والاد بالفتح والكسر العجب وقيل العظيم المنكر من الادة وهي
الشدة تكاد السموات تقرير يتفطرن وبالنون لانفطار من فطره اذا شقه والتفطر
من فطره اذا شققه مرة بعد اخرى فهذا ابلغ منه من عظم هذا القول وتنشق الارض
وتخر الجبال وتسقط هدا اي مهدودة او تهد هدا او مفعول له اي لانها تهد والهد
الهدم بشدة صوت وهو تقرير لقوله ادا اي بلغت هذه الكلمة من فظاعتها ومن
عظمها وهدمها لاركان الدين وقواعده مبلغا لو تصور اثرها بصورة حسية لم تحمل
مثله هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم وتفتت من شدتها او كادت هذه
الاجرام تضمحل وتخرب العالم لشدة غضب الله تع على من كان تفوه بها قهرا له وهدما للاركان

العالم

العالم عليه استعظاما لها وتهويلا من فظاعتها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب بتقدير
حذف اللام او افضاء الفعل اليه لتعليل الكيدودة او الهد اي هدا لان دعوا علل الخرور
بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او مجرور بدل من الضمير في منه اي من دعوا او على اضمار
لام التعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد او خبر مبتدا محذوف اي سبب
ذلك ان دعوا وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين او من دعا بمعنى نسب الذي
مطاوعه ادعى بمعنى انتسب وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا قيل لا يليق اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ورد عليه ان المحال قد يستلزم المحال فيجوز ان
يتطلب على تقدير تحقق الطلب المحال فما لتعليل المذكور لا يتم التقريب وفائدة تخصيص الرحمن
بالذكر وتكريره مرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب بالذات باعتبار افاضة الوجود
واصول النعم على الكل كما قيل فلينكشف عن بصرك غطاوك فانت وجميع ما عندك عطاؤه فكل
ما عداه نعمة او منعم عليه فلا يجانس من هو مبدي النعم والولد يجب ان يجانس الوالد فلا يمكن
له ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن ولهذا اقتصر على
المفعول الثاني على تفسير دعوا بمعنى سموا للدلالة على العموم والاحاطة بكل ما جعل ولدا له لاستحالة
مناسبة شيء ما من خلقه له ان كل من من نكرة موصوفة صفتها في السموات والارض وخبر
كل الا اتي الرحمن ووحد اتي واتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي ياتيه
ويلتجي اليه عبدا حال اي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في العالم من الثقلين والملك
الا وهو ياتي الله تع يوم القيمة مقرا بالعبودية وهي والبنوة متنافيان حتى لو ملك الاب
ابنه يعتق عليه وهذا تصريح لما علم مما تقدم التزاما لقد احصاهم الاحصاء الحصر والضبط اي حاط
بهم علمه وعدهم عدا اي علم تفاصيلهم واعدادهم فكانه عدهم باشخاصهم فرادى والله
منزه عن الحاجة الى العد وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا سوى العابد والمعبود فليس مع
معبودهم من يعبده احد يخدمه وينفعه ولا مع العابد احد يشفع ويقربه وينفعه ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في قلوب الناس مودة من غير
ان يتعرضوا للاسباب التي تكتسب بها مودة بل اصطناعا من الله تع لعباده الخاصة
قال قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا خصوصية
تظهر بالتامل في قوله عليه السلام ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها

كيف يبيت والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين ح بين الكفرة فوعدهم الله ذلك
اذا جاء الاسلام او لان الموعود في الجنة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في
صدورهم من الغل فانما يسرناه سهلناه منزلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين
والفاء السببية لان ما قبلها دلت على ان مقت الكفرة اياهم لا يضرهم وسيحدث بدله الحب فقال
له لا تخف وبلغ ما انزل اليك مبشرا او نذيرا لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما
لدا الد جمع الد وهو الشديد الخصومة في الباطل الآخذ في كل لديد اي شق وجانب لفرط اللجاج
والمراء وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار وتجسير للرسول عليه السلام على انذارهم هل تحس
من حس اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس منهم من احد اي هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا الركز
الصوت الخفي واصل التركيب الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
اي قد ذهبوا وبادوا فلا عين لهم ولا اثر فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل اليك عليك امرهم

فعاقبتهم الهلاك
فليهن م

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم طه روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل
فان صح فظاهر والا فالحق انه المذكور في سورة البقرة وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطأ
الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء وعلى
هذا يحتمل ان يكون اصله طأها والالف مبدلة عن الهمزة والهاء كناية عن الارض ويمنع هذا الوجه
والتفسير كتبتهما على صورة الحروف الا ان يقال انه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما
ما انزلنا عليك القران ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة
او القران احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقران ظاهر وقع موقع المضمر وان
يكون جوابا لها وهي قسم وان جعلتها نداء فهو منادى وان جعلتها جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ
او طائفة من الحروف محكية فهو استئناف لتشقى لتتعب بفرط تأسفك على كفر قومك وتحسرك
على ان يؤمنوا وما عليك الا ان لا يؤمنوا اذا لم تفرط في اداء الرسالة او بكثرة تهجدك وطول قيامك اي
البعث لتهلك نفسك وتذيقها المشقة الفادحة فان لها حقا عليك وانما بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة والشقاء شائع في معنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم
وفيه اشعار بان القران انما انزل اليك لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز وسعادة فلا تجعلها

موجب الشقاوة وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك
ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن لكون
تذكرة او على الحال اي الا مذكرين او على المفعول له اي الا للتذكر وانما جئ باللام في لتشقى لانه
ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتت شرط انتصابه وانتصب هذا لوجود الشرط لا على البدل
من محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكير نوعا من الشقاء اي ما انزلناه لتفرط
في الرياضة والتهجد او تتعب بالتأسف والتحسر على ايمانهم انما انزلناه لتحمل مشاق التبليغ ومتاعب
التذكير ومقاولة العتاة الجاحدين ومقابلة اعداء الدين وسائر تكاليف النبوة لمن يخشى
لمن يصير الى الخشية ويلين قلبه ويرق ويعلم الله انه ينتفع به تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت
حالا لا مفعولا له لفظا او معنى اذ الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه او نصب على المصدر باضمار
نزل او بانزلناه لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص
او على انه مفعول به ليخشى اي تذكرة لمن يخشى تنزيلا من الله وقرئ بالرفع اي هو تنزيل
ممن خلق الارض والسموات العلى صلة لتنزيلا او صفة اي تنزيلا كائنا من الله والعلى
جمع العليا تأنيث الاعلى فخم شأن المنزل اولا باسناد الانزال الى الواحد المتعال ثم بتنكير
تنزيلا للتعظيم والابهام والتوضيح حيث لم يصف ثم بالالتفات من التكلم الى الغيبة لايقاظ
السامع والتنبيه على عظمة شأنه بتفنن الكلام ثم باجراء الصفات العظام العجيبة على منزله وايراد
الموصول ذريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى للدلالة على علو قدر خالقها ثم باجراء صفات
العظمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة وطرق مختلفة ورتب صفاته ترتيبا انيقا فبدأ
اولا بايجاده لاصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر نفعا واحتياجا اليها ثم
اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بذكر استوائه على العرش واجراء الاحكام وانزال
الاسباب منه على الترتيب الذي اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن رفع على المدح
اي هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش خبر مبتدأ محذوف وعلى الاول يجوز ان يكون
خبرا بعد خبر استوى كناية عن الملك لان العرش سرير الملك ومكان التمكن من ملكه فاجريت
هذه العبارة مجرى ملك واستعمل في موضعه واشتهر كالمترادفين المساويين في
افادة المعنى المراد مع تصوير العظمة وتخييل الابهة والسلطنة والتمكن في ملكه وان لم
يقعد قط على السرير له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ما تحت السبع

ارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها وهذه الجملة تجرى مجرى
البيان من الاولى لان مودى الاولى كونه ملكا مطاعا قادرا وقوله له ملك السموات الى
تفصيل لذلك وتقرير له ولما ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته وارادته عقبه بما دل على كمال علمه واحاطته
بخفايا الامور وجلاياها على السوا اللازم تلك الصفات فيه واثبتنا الجميع على العلم فقال وان تجهر ترفع بالقول
صوتك به سوا كان ذكرا او دعا او غيرهما وحذف جواب الشرط اي فاعلم انه تع غني عن جهرك
واقيم تعليل مقامه وهو فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته
ببالك واضمرته في نفسك او السر ما اضمرته في نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك من الغيب
المستاثر بها قالوا والذي عندي ان علمه السر واخفى كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول فلا طائل في
ولا فائدة فهو تعليم للعباد ان الجهر لهضم النفس بالتضرع والجوار واستبعادهم عن مظان القرب
باستحقارها لا لاعلام الله بذلك واسماعه او نهي تنزيه عما يوذن بالريا ثم لما عدد الصفات
الكمالية ووصفه بما لا يمكن ان يوصف به غيره من صفات الالوهية والربوبية افصح عن
التوحيد وصرح بانه المتفرد بها المتوحد بمقتضياتها فقال الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى
اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم انك تدعو الهة حين سمعوا
اسماءه والحسنى تانيث الاحسن وفضلها على سائر الاسما في الحسن لدلالتها على معان هي
اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك استفهام تقرير يحث على الاصغا لما يلقى اليه حديث
موسى فقفى خطابه بقصة موسى عليه السلام ليقتدي به في تحمل اعبا النبوة والصبر على مقاساة
الشدائد في تبليغ الرسالة فان هذه السورة من اوائل ما نزل وهذه التقفية مرجحة لكون
التذكرة نصبا على الاستثنا المتصل اذ راى نارا اذ ظرف للحديث او لاذكر او لمضمر دل عليه
اي حين راى نارا اكبت وكبت فقال لاهله امكثوا البثوا مكانكم اني انست نارا ابصرت
ابصارا جليا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهوره وقيل هو وجدان ما يونس ولما كان الايناس
محققا في كلمة اني وحققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه بخلاف الاتيان بقبس ووجدان الهدى
على النار فان كلا منهما مترقب متوقع فبنى الامر فيهما على الرجا والطمع وجا بلعل ولم يقطع لئلا
يعد ما لا يستيقن الوفا به لعلي اتيكم منها بقبس القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة
او نحوهما وقيل جمرة ويرده قوله تع في موضع اخر بشهاب قبس او اجد على النار معنى الاستعلاء
على النار ان اهلها مشرفون عليها عند الاصطلا بها قياما وقعودا او مستعلون المكان

القريب

القريب منها هدى اي هاديا لانه اذا وجد الهادي فقد وجد هدى اي الى الطريق وانما جا
باو لانه بنى الرجا على انه ان لم يظفر بحاجته جميعا لم يعدم واحدة منها فلما اتاها اي
النار وجد نارا بيضا تتقد في شجرة خضرا نودي يا موسى هو تكليم الله تع اياه ونودي
بني للمجهول وحذف الفاعل للتعظيم اني انا ربك قرئ بالفتح اي نودي باني ومن كسر اجرى
الندا مجرى القول لانه ضرب منه وتكرير الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة قيل لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله تع جلت عظمته انا ربك فوسوس
اليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تع باني اسمعه من جميع
الجهات واسمعه بجميع اعضائي قوله اسمعه من جميع الجهات يرده قوله تع ونادينا من
جانب الطور الايمن فانه صريح في سماعه الندا من جهة واحدة لا من جميع الجهات فاخلع
الخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله عن رجله وقد ينزع المسمار عن موضعه
ولا يكون خلعا لانه غير ملبوس نعليك امر بخلعهما تعظيما لحضرة القدس فان في الحفوة
تواضعا لله تع وتادبا ولهذا كان السلف يطوفون بالبيت حافين والتعليل بقوله انك
بالواد المقدس دال على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لتربتها وتفريع الامر بخلع النعلين على
الامر المذكور وان كان باعتبار ان ما في الخلع من التواضع لله تع والتادب مقتضى الندا لكنه
لا يخلو عن الاشعار بان في بركة البقعة مدخلا لورود ذلك الندا العظيم الشان فيها وقيل
لنجاستهما فانهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل لينال بركة الوادي المقدس وتمس
قدماه تربته والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الما واد والمقدس المطهر طوى
علم للوادي فيكون بدلا او عطف بيان وقرئ منونا لو حظ فيه معنى المكان وغير منون
لو حظ فيه معنى البقعة وقيل هو من الطي طوى وهو بمعنى مرتين اي قدس مرتين مرة بعد مرة
او نودي نداءين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ انا اخترناك وانا ان واسمها واخترناك
جملة في موضع الخبر فاستمع لما يوحى اللام متعلقة باستمع او باخترتك وما موصولة اي للذي
يوحى اليك او مصدرية اي للوحي انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى عظم امر الوحي
وفخم شانه بالابهام في قوله لما يوحى والتوضيح بقوله انني انا الله وبالابدال الدال على ان الوحي
مقصور على تقرير التوحيد الذي هو نهاية العلم المستلزم لتخصيص العبادة بالله الذي هو كمال
العمل وبالتاكيد بان وتوسيط الضمير وتكرير معناه بالتهليل والاتيان بفا السببية واقم الصلوة

عطف الامر باقامة الصلوة على الامر بالعبادة وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات
تنبيه على فضلها وشرفها وانافتها على الجميع كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ولذلك علل
اقامتها بالذكر بقوله لذكري فانها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تع وقيل لذكري كي
تذكرني وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان
صدق او لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري او ريا او عوض او غرض اخر وهو الاخلاص او
لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه
عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها فان الله تع يقول اقم الصلوة لذكري
على حذف المضاف او على ان ذكر الصلوة ذكر الله تع او لان الذكر والنسيان من الله في الحقيقة
ان الساعة آتية يعني ان القيمة آتية لا محالة اكاد اخفيها قربت من اخفائها مجاز
عما اقتضته الحكمة من الاخبار بوقوعها للانذار وقطع الاعذار مع كتمان وقتها ليكونوا على
وجل في كل وقت فانه اظهار فيه نوع من الاخفا ويجوز ان يكون من اخفاه اذا ازال خفاه
اي اظهرها وقربته من اظهارها مجاز عن اظهار بعض اشراطها كبعث خاتم الانبيا عليه السلام وانشقاق
القمر ويؤيده قراءة ابي الدرداء اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره قيل انه من الاضداد والحق ما
روي عن ابي علي انه من باب السلب لتجزى متعلق باتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على
المعنى الاخير كل نفس يعني من النفوس الساعية بقرينة قوله بما تسعى السعي كناية عن الكسب
فلا يصدنك الصد الصرف عن الخير خاصة عنها عن التصديق بالساعة او عن الصلوة من لا يؤمن
بها والمراد من نهي الكافر عن صد موسى نهيه عن الانصداد عنها بصده وهذا كقولك لا اريك
هنا فالنهي عن السبب للنهي عن المسبب مبالغة وفيه تنبيه على انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة
لكان مصدقا بها غير معرض عنها او بعثه عليه السلام على الصلابة في الدين وشدة الشكيمة فيه
وتهييجه عليها فان صد الكافر اياه مسبب عن ضعف عقيدته ولين شكيمته فنهي عن المسبب
للنهي عن السبب اي ينبغي لك ان تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد ونبه بقوله
واتبع هواه على ان سلوك طريق العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث والساعة فانكارها
والتكذيب بها انما يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل النفس الى الشي تلحق فيه وهوا
الجو ممدود وهوى النفس مقصور فتردى جواب النهي وان معبده بعد في الجواب وتردى
علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك وما تلك استفهام ضمن معنى الايقاظ

لما يريه فيها من الآيات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة في هذا السؤال بسط
فقد كانت الهيبة قبضته ولو ترك على حاله كان لا يبقى بل يتلاشى ولما باسط الحق
بسماع كلامه اخذته اريحية سماع الخطاب فاجاب عما سئل وسلك مسلك الاطناب بيمينك
حال من تلك والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله هذا بعلي شيخا وجاز ان يكون تلك اسما موصولا
صلته بيمينك قيل انما لم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل بقي في الجواب الاشتباه
يا موسى تكرير لزيادة التنبيه والاستيناس قال هي عصاي قرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها
اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع والتوكي على الشي التحامل عليه في المشي والعكوف
ومنه الاتكا توكأت واتكأت بمعنى واحد واهش بها اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من
هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته على غنمي ليأكله وعن عكرمة اهس بالسين من الهس وهو
زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها قدم في الجواب مصلحة نفسه ثم ثنى بمصلحة ماشيته ولي فيها
مارب الماْرب الحاجات عاملها وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها
في قوله اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها وكان فيها اجوز واحسن قيل فهم موسى
عليه السلام من سؤال رب العزة انه سيحدث في العصا امرا عظيما فذكر ماهيتها وفصل بعض منافعها
وخواصها فلما استطال الكلام استشعر لسوء الادب فاجمل وقيل انما اجمل ليساله عن تلك
فيكون زيادة في اكرامه والغرض من ذكر ماهيتها ومنافعها انها ليست الا عصا تنتفع منافعها
كسائر العيدان ليكون جوابه مطابقا لما فهمه من فحوى كلام ربه حتى اذا وجدها على خلاف حقيقتها
وخواصها لما ذكر من الامور الخارقة للعادة ظهر انها معجزات باهرة وآيات ظاهرة خصه الله تع
بها واكرمه قال القها يا موسى انما امره بالقائها لانه اضافها الى نفسه بقوله عصاي فاراد ان يقطعها
عنه ويريه الخارق بعد اخراجه من سلطانه وتدبيره ليعلم انه لمحض صنع الله لا دخل فيه لفعل
العبد فالقاها اي طرحها على الارض وقدم في سورة الاعراف بيان اصل الالقاء فاذا هي
اي صارت في الحال حية تسعى الحية اسم الجنس يقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والسعي
المشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت
فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي
يعم الحالين وكان هذا القائل غافل عن عبارة كان في قوله تع كانها جان لانها صريحة في
التشبيه وعدم كونها جانا حقيقة قال خذها تناولها بيدك ولا تخف الخوف انزعاج النفس

بتوقع الضرر لما رأى موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك
البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب منها كما اخبر عنه بقوله ولى مدبرا ولم يعقب فامره الله تعالى
بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من الامن وطمانينة
النفس ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها كانه ضمن صيغة التكليف صيغة التكوين وقد حققنا
في تفسير سورة البقرة ان النهي كالامر يتنوع الى التكليفي والتكويني وحكمة انقلابها وقت مناجاته
ما ستتم به هذه المعجزة الهائلة حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت سنعيدها الاعادة
رد الشيء ثانيا الى ما كان اول مرة سيرتها الاولى هيئتها وحالها المتقدمة والسيرة فعلة من
السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة
وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على
نزع الخافض او على المفعول به ان جعل اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين
او بتضمين فعلها اي سنعيدها سائرة سيرتها الاولى عصا ينتفع بها كما كانت اولا او على
انه بدل اشتمال من الضمير المنصوب في سنعيدها اي سنعيد سيرتها الاولى واضمم يدك الى
جناحك يعني بعد ادخالها في الجيب على ما افصح عنه في موضع آخر يقال لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر لجنبيه وجناحا الانسان جانباه استعيرا من جناحي الطائر وسميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما والجنب فيه جنوح الاضلاع قيل والمراد الى جنبك تحت
العضد دل على ذلك قوله تخرج ويرده قوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج لانه صريح في
ان المراد الدخول في الجيب والخروج منه بيضاء مشرقة ممتعة قيل كان موسى آدم فاخرج
يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر من غير سوء متعلق ببيضاء كانه قال ابيضت
من غير سوء والسوء الرداءة والقبح في كل شيء اي من غير ان تستقبح لما كان خروج الشيء عن خلقته
وشان جوهره مما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية به عن البرص فيأباها المقام
لانه لا يحتمل في مقام الاعجاز والكرامة فلا وجه للاحتراز عنه آية اخرى معجزة ثانية وقوله بيضاء
وآية حالان معا من ضمير تخرج ويجوز ان يكون الثاني حالا من ضمير الاول فيكونان من الاحوال
المتداخلة او مفعولا لنصب مضمر نحو خذ حذف لدلالة الكلام عليه لنريك من آياتنا الكبرى متعلق
بالمحذوف المذكور او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى
صفة لآياتنا او مفعول ثان لنريك ومن آياتنا حال اي لنريك الكبرى من آياتنا

اذهب

اذهب الى فرعون امر بالذهاب بعد ما نباه بالآيتين الى فرعون ودعوته انه طغى جاوز حد
العبودية الى دعوى الربوبية تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من بطشه وتنبيه
على صعوبة ما ابتلي به ليتلقاه بجميل الصبر وحسن الثبات ولهذا التجأ اليه في طلب التيسير والتأييد
وتفسيح الصدر والتشجيع قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري على الابهام بايرادي بعد
الفعلين والتوضيح بذكر الصدر والامر للتاكيد والمبالغة في طلب الشرح والتيسير واحلل عقدة
من لساني كان في لسانه رتة لما روي ان فرعون حمله يوما واخذ بلحيته وكانت مرصعة
بالجواهر ونتفها جاذبا ببعض ما فيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه فاحترق
لسانه فصار لكنة منها ولعل لذلك امتاز موسى عليه السلام باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد
في حديث جابر رض وهو انه عليه السلام قال اهل الجنة مرد الا موسى بن عمران فان له لحية الى
سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لآفة حادثة كان المناسب لحالها التنكير حيث لم تكن من
جنس ما هو المعهود وكان قطع اضافتها عن اللسان المنبئة عن الاتصال الخلقي ايضا كان لذلك
وقيل انما نكرت لانه لم يطلب الفصاحة الكاملة وانما طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما
جيدا لان امر التبليغ لا يتيسر الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا قولي فان امر التبليغ انما طلب من
البليغ ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني او صلة لاحلل واختلف في
زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقيل زالت لقوله
قد اوتيت سؤلك وفي كل من الاحتجاجين نظر اما في الاول فلان شهادة قوله هو افصح مني لسانا
عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى كان فصيحا غايته ان فصاحة اخيه اكثر وبقية اللكنة تنافي
الفصاحة اللغوية المرادة ههنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلما مر انه لم يطلب حل عقدة
لسانه مطلقا بل طلب حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة في حصول سؤله على زوال العقدة بكمالها
نعم قوله ولا يكاد يبين يدل على الاول واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر وهو الثقل
لانه يتحمل من الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجأ اليه
امره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي
وزيرا مفعولاه وقوله هرون بدل من وزيرا او عطف بيان لانه لا يخالف متبوعه في التعريف
والتنكير وقوله اخي عطف بيان لا بدل لان ابدال الشيء من اقل منه فاسد لا يتصور نص عليه

الشيخ في دلائل الاعجاز او وزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة
اشدد به ازري قوّ به ظهري والشد جمع يستمسك به المجموع ومثله الربط والعقد والازر الظهر يقال
ازرني فلان على امري اي كان لي ظهرا ومنه المئزر لانه يشد على الظهر وكذا الازار واشركه في امري
الاشراك الجمع بين الشيئين او اكثر في معنى على انه لم يجعل جاعل وقد اشرك الله تع بين موسى وهرون في
النبوة وقوى ازره كما دعى وقرئا على لفظ الخبر جوابا للامر ولمن واما لفظ الامر للدعاء ان يقف على
هرون ويجعل اخي مرفوعا على الابتداء والجملة خبر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات
ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده قدم التسبيح وهو تنزيه الله عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناؤه
تع بما يليق به لان التخلية قبل التحلية انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هرون نعم العون لي فيما امرتني به والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد
اوتيت سؤلك يا موسى السؤل المطلوب فعل بمعنى المفعول كالخبز والاكل اي اعطيت ما سالته
وذلك من المنة عليه ثم ذكر تقديم منته عليه لبعظم اجتهاده وتقوى بصيرته بقوله ولقد مننا عليك
مرة اخرى المنة نعمة تقطع لصاحبها عن غيره باختصاصها يقال منّ عليه اذا انعم نعمة تقطعه اياها
واصل القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون والمراد الكرة الواحدة من المرة اخرى تانيث آخر بمعنى
غير اي منة غير هذه المنة اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هو وحي الهام وقيل وحي اعلام اما
ببعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او باراءة ذلك في المنام او على لسان نبي في
وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل الى العلم به الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى
لا محالة ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاعتناء به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه
لان الوحي بمعنى القول والقذف هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي واستعير هنا لمعنى
الالقاء فاقذفيه في اليم اليم اسم للبحر العذب والمراد منه هنا النيل فليلقه اليم بالساحل ساحل
البحر شاطئه سمي بذلك لان الما يسحله اي يقشره فهو فاعل بمعنى ذو كذا ولما وجب وقوع ما تعلق
بارادته تع وهو القاء البحر اياه بالساحل ذكر بلفظ الامر تشبيها للبحر بالمامور المميز المطيع الممتثل
لا ورد عليه من آمر مطاع على طريق الاستعارة بالكناية واخرج الجواب بقوله ياخذه عدو لي
وعدو له مخرج جواب الامر مجزوما وكرر عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع والاحسن نظما ان ترجع الضماير كلها الى موسى لا ما قيل ان في رجوع البعض الى التابوت
تنافر النظم الذي ينافي الاعجاز لانه ممنوع كيف ولو كان فيه ما يخل بحسن النظم لما وقع في قوله تع

فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم ان موجب ذلك عدم الحسن بل عدم الصحة لا عدم
الاحسنية بل لان المحدث عنه موسى لا التابوت وانما ذكر التابوت على سبيل الدعاء والفضل فالملقى
والماخوذ هو موسى في التابوت فلا حاجة الى نشر الضماير والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه
منه آل فرعون روي انه فتح التابوت فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني صفة لمحبة اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
فلذلك احبك فرعون او متعلق بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وعلى هذا
يراد المعنى المذكور لا بطريق الكناية او بطريق الاشارة وتنكير محبة للتعظيم او الابهام
والتعيين ولتصنع عطف على علة مقدرة مثل ليتعطف عليك ونحوه او علة لمحذوف معطوف
على الجملة السابقة اي ولتصنع فعلت ذلك قال الخليل يقال صنعت الفرس وهو فرس صنيع وهو
الذي احسن اهله القيام عليه وسيف صنيع الذي قد احسن صقله على عيني لتربى مني اي لتربى كما
اريد ومجازه ان من صنع للانسان شيا وهو ينظر صنعه له كما يحب ولا يتهيا له خلافه وقيل على عيني
اي على حفظي اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان اذ عبارة عن الوقت
المتسع فتقول للذين يطلبون مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امراة على ما ذكر في سورة
القصص وهذه الفا ايضا فصيحة كي تقر عينها برؤيتك وقد مر تفسير تقر في سورة مريم ولا
تحزن على فراقك او انت على فراقها ولا يتحمله مساق الكلام في سورة القصص وياباه قوله
ولتعلم ان وعد الله حق وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه السبطي فنجيناك من
الغم الذي نالك بسبب قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور او
جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجور وبدور في جمع حجرة وبدرة والفتنة
المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده من نعمة او من نقمة فهو فتنة لقوله تع ونبلوكم بالشر والخير
فتنة واكثر استعمالها في العرف فيما يشق على الانسان اي اختبرناك بضروب من الاختبار سال
سعيد بن جبير ابن عباس رض فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير
والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة فكل هذا من اكبر نعمه فلبثت

فالفا فصيحة لانه نبيه البحر يكون عن البعد
بل اذا حصرته عن من يكفله على من يصر الى ابنه
فيدبر واراد ان يدل اهله صنعه واتاه
لتعطف من وجاعلوه من الرسل والى الام
وقا تقول انا رادوه اليك وابه
التفصيل في سورة القصص م

سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام وعن وهب انه لبث عنده ثمانيا وعشرين
سنة عشر منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له اولاد والفاء لتفصيل
ما اجمل من انواع الفتنة ثم جئت على قدر قدرته وعينته وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك واستنبئك
في وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل هو الوقت الذي
يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة قال الشاعر نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى
ربه موسى على قدر يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك
لنفسي اصطفيتك لمحبتي وخصصتك في مثل حاله فيما خولته من الكرامة بمن قربه الملك
واستخلصه لنفسه لمحاسن فيه اذهب انت واخوك امر اولا موسى وحده بالذهاب فلما سال
ان يشرك هرون في امره امرهما معا اجابة لدعوته على حسب وعده وضمن كلامه التنبيه على اصالته
حيث غلب على هرون في الخطاب ولم يقل اذهبا واخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب
المؤكد بانت قيل اوحى هرون وهو بمصر ان يتلقاه وقيل سمع بمقبله فاستقبله باياتي
بمعجزاتي ولا تنيا اي ولا تفترا ولا تقصرا والونى الفتور في ذكري اي لا تنسياني
حيث انقلبتما او في تبليغ الرسالة فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من اجل العبادات
او في تبليغ ذكري والدعوة الي اذهبا الى فرعون تاكيد لقوله اذهب انت واخوك بالتكرير
اظهار الاعتناء بدعوة اللعين اليه وفيه ابهام وتوضيح ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة
من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز الحد في العناد ودعواه الربوبية فقولا له قولا لينا
نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة
والاستفهام حذرا ان تحمله التجبر على ان يسطو عليكما واحتراما لحق التربية وقيل كنياه
او لقباه لابد من هذه الزيادة كما يرده قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين فانه لو كان مامورا بالتكنية خاصة لما خالفه بالتلقيب لعله يتذكر او يخشى متعلق
باذهبا او قولا اي على ارجى الوجوه للاتعاظ والخشية وقوله لعل ليس لخفاء حاله عليه
لكن امرهما بالدعاء على الرجاء فانه اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في
الزام الحجة وقيل يتذكر المحقق ويخشى المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما فيذعن للحق وان لم
يتحقق توهم ان يكون الامر كما تصفانه والاحسن ان يقال يتذكر المبدا او يخشى المعاد اي يتذكر
حال نشاته صغيرا عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن

دعوى القدرة والربوبية او يخشى عقاب الله في دعواه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الوارد وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط
من افرطه اذا حمله على العجلة ويفرط من الافراط اي نخاف ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين
اتمام الدعوة واظهار المعجزة او ان تحمله حامل من استكباره وجرأته او خوفه على الملك
او شيطان جني او انسي من قومه القبط المتمردين على المعاجلة بما ذكر او ان يفرط فيه وانما
قلنا بما يحول ولم نقل بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما
سلطانا فلا يصلون اليكما فانه مذكور قبل قولهما هذا بدلالة قوله سنشد وقد دل على انهما محفوظان
من عقوبته او ان يطغى اي يتجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لعتوه وجرأته
عليك وقساوة قلبه وفي اطلاق الطغيان مع تقييد قسيمه بقوله علينا بطريق الرمز من حسن
الادب والتحاشي عن التفوه بالعظيمة ما لا يخفى وانما اخره لان من امر بشي يحاول دفعه
لاعذار فلا بد وان يختم كلامه بما هو الاقوى قال لا تخافا انني معكما المعية ههنا بالنصرة
والمعونة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول او فعل فاجازيه واكفيكما شره والافصح
ان لا يقدر مفعولا لقوله اسمع وارى فيكون مبالغة في الحفظ اي اني حافظ ناصر سميع
بصير واذا كان الحافظ قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ وحقت النصرة وثبت الدفع عن المحفوظ
فاتياه فقولا انا رسولا ربك خاطباه بقولهما ربك اعلاما له انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي
الربوبية والمالكية فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد
ولا تمنعهم عن اتباعنا ولا تعذبهم بتكليف المشاق كانت بنو اسرائيل تحت ملك فرعون والقبط
يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة باطلاق بني اسرائيل لما فيه من
ازالة المانع عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوة القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص
المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس انه
ما امن به في مبدا امره الا اولاد من قومه قد جئناك باية من ربك جملة مبينة لقولنا انا
رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمجي بالمعجزة وانما وحد الاية ومعها آيتان لان
المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان
على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جئتكم ببينة من ربكم والسلام اي سلام الملائكة الذين هم
خزنة الجنة والافصح ان يكون السلام بمعنى الجنس اي جنس السلام وما يستاهل ان يسمى سلاما

او السلامة على من اتبع الهدى على المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار او
الخزي والعذاب على الضالين المكذبين انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
اوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله مصدر ينسبك من ان وما بعدها تقديره
اوحي الينا كينونة العذاب على من كذب وتولى وتغيير النظم باستيناف الكلام والتوكيد
والتصريح بالوعيد لان التهديد في مبدا الدعوة اهم وانجع قال فمن ربكما في الكلام حذف
وايجاز ينبئ بانهما من فرط طاعتهما ومسارعتهما الى الامتثال لا ينفك فعلهما عن الامر
كاللازم البين فلا حاجة الى ذكره وهو فاتياه وقالا ما امرا به ثم ان الفاء فصيحة تفصح
عن محذوف بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن ربكما يا موسى انما خاطب الاثنين وخص
موسى بالندا لانه الاصل في الرسالة والدعوة وهرون وزيره وتابعه او لما عرف من
رتة موسى وفصاحة هرون فاراد ان يفحم فاستدعا كلامه دون كلام هرون لمكره
ودهائه ويشعر بذلك قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فاراد ان يفحمه
فاستدعى كلامه دون كلام هرون فاجاب باشفى جواب وابلغه واحصره لفظا واجمعه
معنى حيث قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي اعطى كل شيء من الانواع والاعضاء صورة
وشكله الذي يوافق ما وجه اليه من المنفعة كشكل الانسان والفرس والعين والاذن
او اعطى خلقه كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم ثاني المفعولين لانه المقصود
بيانه وقيل اعطى كل شيء نظيره في الخلق والصورة زوجا وفيه نظر لان من الحيوان ما يكون
بالتولد فلا يكون له زوج نظيره في الخلق والصورة وقرئ خلقه على الفعل الماضي صفة
للمضاف اليه او المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف اي اعطى كل شيء ما يصلحه لم يخله
من عطائه ما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى كماله الصوري
والمعنوي طبعا او اختيارا العقه بما معناه الموجد لكل شيء على وفق حكمة المفيض على الكل كل
ما ينبغي له ويليق به من الاسباب والالات الهادي له الى مصالحه واستعمال الاته في
تحصيل كمالاته فهو الخالق القادر الحكيم المنعم على الاطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه
مخلوق مربوب منعم عليه مفتقر فلذلك بهت الذي كفر وافحم عن الاعتراض عليه فصرف الكلام
عنه وشرع في سؤال اخر على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى عليه السلام وما جاء به
والحيرة والمغالطة قال فما بال القرون الاولى ما تقدم وخلا والفاء تدل على ان السؤال مبني

على قول موسى والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب قال علمها عند ربي
لما سال عن حال الامم الخالية والرمم البالية من الفريقين بعد الموت اجاب موسى عليه السلام
بانه غيب لا يعلمه الا الله دل على الحصر معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند في كتاب مثبت
في اللوح المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح مظنة الحاجة الى الحفظ في الكتبة دفعه بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى اعلم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة
ان معلوم الخلق موافق معلومه ومن لم يتنبه لهذا قال ويجوز ان يكون تمثيلا لاستحكام علمه
وتمكنه بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت
الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له وقرئ يضل من اضل اذا اضيعه والعرب تقول
لكل ما ذهب على الانسان ماليس بحيوان ضله بغير الف فاما اذا كان منه فتقول اضله بالالف
والاصل في الاول اضل عنه ولا ينسى من نسيته اذا ذهبت عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما
محالان على العالم بالذات قيل ويجوز ان يكون سواله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء
كلها وتخصيصه اياها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها
والقرون الخالية مع كثرة عددهم وتمادي مددهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى
ويرد عليه انه يأباه تخصيص القرون الاولى من بين الكائنات فانه لو اخذها لجملتها لكان
اظهر واقوى في تمشيته ما اراده الذي جعل لكم الارض مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او
منصوب على المدح وهو فصح مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي مصدر سمي به اي مهدها لكم او
مهد انتم تمهدونها وقرئ مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش لما يفرش او جمع مهد وسلك لكم فيها
سبلا سلك من السلك بمعنى الادخال اي حصل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
لحوائجكم وتقلبكم في البلاد لتبلغوا منافعها وانما اعيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم وهنا
لاجلكم فان غير الانسان لا يشاركه في الانتفاع بالطرق بخلاف الانتفاع بتمهيد الارض الا ان
المقصود الاصلي انتفاع الانسان فلذلك خص بالذكر وانزل من السماء ماء فاخرجنا به
انزاله واخراجه عبارتان عن ارادة النزول والخروج لاستحالة مزاولة العمل في شانه فالفاء
للتعقيب فان ثانية الارادتين لا تتراخى عن الاولى وان تراخى ثاني المرادين عن الاول
فتامل والعدول عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله للتنبيه على انه مطاع

تنقاد الاشيآء لامره وتذعن لمشيئته وحكمه لا يمتنع عليه شيء ومبنى التكلم على الحكاية على ظهور اختصاص
القدرة على ذلك بالمدبر ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى صفة للازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات
لانه في الاصل مصدر فاستوى فيه الواحد والجمع يقال شت الامر شتا وشتاتا وهو شتيت شت
وهم اشتات وشتى فاشتات جمع شت وشتى جمع شتيت ذكره المرزوقي اي متفرقات في الصور
والاعراض بالاختلاف في الطعم والشكل واللون والنفع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم ومن حكمته ونعمته على العباد ان يفضل من ارزاقهم ولا يصلح لهم
يكون علفا لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي
اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى آذنين في الانتفاع بها بان
تاكلوا بعضها وتعلفوا انعامكم بعضها ان في ذلك في الذي ذكر لايات لدلالات لاولي النهى
لذوي العقول واحدها نهية وهو العقل لانه ينهى عن المحظور او ينتهي اليه في الامور منها من
الارض خلقناكم فانها اصل خلقة اول آبائكم او من الاغذية المتولدة من الارض خلقناكم وفيها
نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزآء ومنها نخرجكم بالبعث وجمع الاجزآء على الصورة السابقة
تارة مرة اخرى ولقد اريناه بصرناه اياتنا او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الافراد المعهودة
المعلومة من بعض الايات النازلة سابقا والتعريف بالاضافة يجري مجرى التعريف بلام العهد
قيل هي التسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل ورد عليه ان الحجر ونتق الجبل من الايات التي جآ بها موسى لبني اسرائيل بعد هلاك
فرعون ثم ان فلق البحر ليس مما كذب فرعون بعده فكذب وابى كذبها جميعها لفرط عناده وابى
الايمان والطاعة لعتوه او ابى ان يقبل شيئا منها قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر بسحرك
يا موسى تعلل من فرط الدهش والحيرة بالسحر والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر على اخراج
ذي سلطان مثله من ارضه وذكر علة المجيء وهي اخراجهم والقاها في مسامع قومه ليصيروا متعصبين
له اذ الاخراج من الوطن مما يشق فلناتينك جواب قسم محذوف بسحر مثله مثل سحرك او رد ذلك
على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة فان المعجز انما يتميز عن السحر بكونه مما يتعذر معارضته
دون السحر فادعى القدرة على اتيان مثله ووعده فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى
الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان ولا المكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة

اي انجاز وعدكم يوم الزينة لا نخلفه بالرفع على الوصف لموعدا وبالجزم على جواب الامر
نحن ولا انت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ويجوز ان يكون الموعد اسم مكان
ويرجع الضمير في نخلفه الى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى التقديرين انما يطابق الجواب السؤال معنى
لا لفظا لانه اخبر عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان والمصدر لكن يوم الزينة لا بد فيه من مكان
معين مشهور بين الناس يجتمعون فيه للتعييد وهو زمان يستلزم المكان المعلوم بذكره والمعنى
وعدكم وعد يوم الزينة مكانا منصوب بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف لان
في الظرف اتساع فيكفي في العمل فيه رائحة الفعل وان كانت ضعيفة بل لانه يلزم الفصل بينه
وبين معموله بالوصف وهو غير سائغ لان المنصوب بالمصدر من تمته ولا يوصف الشيء الا
بعد تمامه هذا على قراءة الرفع واما على قراءة الجزم فلا مانع عن النصب بموعدا اذ يجوز ان يكون
بدلا من موعدا على تقدير مضاف اليه اي مكان موعد لمكانا وعلى هذا التقدير ايضا تكون
المطابقة معنى سوى منصفا تستوي فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم
عدى في الشذوذ وقرئ بالضم قال موعدكم يوم الزينة كان لهم في كل عام يوم كانوا يتزينون
فيه ويتخذون فيه سوقا وانما وعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤوس
الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار فتتوفر الرغبات في دين الحق ويكل حد الباطل وان يحشر
الناس اي يجمع قرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء والضمير لليوم او لفرعون والغيبة
للعادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم في قوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحله
الرفع عطفا على يوم او الجر عطفا على الزينة ضحى اي الى ذلك الوقت ليكون ابعد عن الريبة
وابين لكشف الحق فتولى فرعون فاعرض عن موسى على هذا الوعد فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة
والاتهم ثم اتى الموعد اخبر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي وترك الاخبار عن اتيان موسى عليه السلام
اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام الى الاخبار لانه على قوة وغلبة انما مظنته المساهلة
والتراخي في جانب فرعون لانه على ضعف قلب وفتور عزم قال لهم موسى ويلكم ويل كلمة تقال
لمن يستحق الهلكة لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب منصوب باضمار
ان وهو جواب للنهي قرئ بكسر الحاء وضم اليآء وبفتحهما والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة
اهل نجد وبني تميم يقال سحته الله واسحته اذا استاصله واهلكه وفيه دلالة على عظم الافترآ
وانه يترتب عليه عذاب الاستيصال وقد خاب من افترى الخيبة انقطاع الرجا بالامتناع

على الطالب مما امل والافترآ اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق واصل القطع من
فراه يفريه فريا فتنازعوا امرهم بينهم التنازع محاولة كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه
وامرهم مفعول تنازعوا فتعدى بمفعول واحد ولو حذفت الّا لتعدى الى اثنين تقول
نازعت زيدا الحديث اى اختلفوا فيما بينهم اى السحرة وقيل فرعون وقومه في امر موسى حين
سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى اى تشاوروا في السر خفية
من فرعون ان تبين فيهم ضعفا وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر
والنجوى تكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا القول اعنى قالوا ان هذان لساحران يعني موسى
وهرون كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان هذا لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر ويردهما ان اللام
لاتدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير ويرد عليه ان المؤكد
باللام لايليق به الحذف وقرى ان هذين وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وقرى ان هذان
على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم بالاستيلا عليها بسحرهما نسبوه الى هرون ايضا لشركته في امر الدعوة ويذهبا
بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلا دينه لقوله
انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم فهو اشارة الى ما قال موسى عليه السلام ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم
لوجوه القوم الذين قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه
مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرى فاجمعوا بهمزة الوصل من جمع
ويعضده قوله فجمع كيده ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا
سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من
استعلى اى ظفر وفاز بغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه اعتراض للتحريض والترغيب
قالوا بعدما اتوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قد سبق في سورة
الاعراف تفسيره قال بل القوا مقابلة ادب بادب مع زيادة وهي الاسعاف الى ما
مالوا اليه بالتفويض وتغيير النظم الى صيغة الامر الموجب فالنا مع كلمة الاضراب ليستعدوا

وسعهم وطوقهم في ابراز مكائد السحر ووقائعه فيظهر الله قدرته وسلطانه ويقذف
بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فكانت اية بينة للناظرين
وعبرة مقنعة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم اذا للمفاجاة وهي لمجرد الظرفية ناصبها
فعل المفاجاة ولا يقع بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة تمثيل لسرعة التخييل اى ففاجا
موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم السعى او تخييلهم سعى حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه
او تخييل السعى اليه على اختلاف القراآت يخيل اليه وقرى تخيل بالتا على اسناده الى ضمير الحبال
والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرى بها والبنا للفاعل وايقاعه على انها تسعى
بمعنى انها مخيلة سعيها وباليا على ان الفاعل هو الله تع للابتلا والمحنة وتخيل بفتح التا بمعنى
انه تتخيل وطريقه طريق تخيل من سحرهم من اجل سحرهم انها تسعى انما قال تخيل لانها لم تكن تسعى
حقيقة وانما تحرك لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق وجعلوه في داخل العصى فلما حميت بالشمس
طلب الزيبق الصعود فحركت العصى والحبال فظن انها تسعى فاوجس الايجاس من الهاجس
الذي يخطر بالبال في نفسه خيفة موسى فوض لخوف عظيم منه مفاجاة على مقتضى الجبلة
البشرية الا انه اضمره اى لم يظهر اثره لامن ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه لان
الخوف منه ليس مما يحتاط في كتمانه فلا يظهر وجه الاطناب بزيادة الاضمار قلنا لاتخف
مما توهمت صيغة النهى للتشجيع وتقوية القلب لا للنهى عن الخوف المذكور لانه ليس امرا
اختياريا انك انت الاعلى تعليل لما قصد بصيغة النهى وتقرير لغلبته موكدا بالاستيناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل
ولام التعريف والاعلى لمجرد الزيادة لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو اعلى منهم
لا بمعنى العالى كقول الشاعر • تمنى اناس ان اموت وان امت • فتلك طريق لست فيها
باوحد • اى بوحيد والق عطف على محذوف دل عليه سياق الكلام تقديره ثبت في مقام
الاقدام والق فالوا وفصيحة ما ابهم هنا وعين في سورة الاعراف حيث قال والق
عصاك ومن غفل عنه زعم ان الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال في يمينك ولم يقل في
يدك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة تلقف ما صنعوا اى تاخذ ما زوروه بفيها
ابتلاعا واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتا المضارعة تحتمل التانيث والخطاب
على اسناد الفعل الى المسبب وقرى بالرفع على الحال او الاستيناف وبالجزم والتخفيف

على انه من لقفه بمعنى تلقفه وبتشديد القاف انما صنعوا اي الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر بالرفع على ان ما موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ سحر
بمعنى ذي سحر او باطلاق السحر على الساحر مبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم
علم فقه انما وحد الساحر لان المراد به الجنس والتنكير للتحقير لا لتنكير المضاف لان المقصود
من تنكيره حاصل بالاضافة ولا يفلح الساحر اي لا فلاح لهذا الجنس وقال في موضع اخر ولا
يفلح الساحرون اي لا يغني جمعهم ولا تجدي كثرتهم وله ايضا وجه حيث اتى بسحره فالقي السحرة
اقتصر هنا على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وقد اتى بنوع تفصيل في سورة الاعراف
فالفا فصيحة سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا
كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم بعد ساعة
للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود
فرفعوا روسهم ثم قالوا امنا برب هرون وموسى قدم موسى في الاعراف لاصالته في الرسالة
والدعوة واخر ههنا لاكبر سن هرون لانه يعارض وجه تقديم موسى المناسب للمقام رعاية
ولان فرعون ربى موسى في صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر هرون على
سبيل الاستتباع لان المقام لا يحتمله كيف وقد سجدوا تعظيما لما راوا من موسى وايضا تقديمه
في موضع اخر صريح في انه ليس في الترتيب نكتة معنوية بل المحافظة الفاصلة والواو لا توجب
الترتيب قال امنتم له اي بالله لاجله ودعوته وقرئ على الاستفهام للانكار قبل ان اذن
لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ولاصلبنكم في جذوع النخل
شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فاستعير في لتصوير الاستقرار
وخص النخل لطول جذوعها والمراد تشهير العقوبة ولتعلمن اينا اشد عذابا انا على ايمانكم برب
موسى او هو على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له تفاخر منه وفخر باقتداره
وقهره وتوضيع واستضعاف لموسى واستهزاء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء قط قيل
اللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله والحق انها للتعليل ليس بصلة للايمان ولا دلالة في
قوله يؤمن بالله ويؤمن للمومنين على ذلك اذ معناه ويصدر عنه الايمان لاجل المومنين
وموافقتهم ودعوتهم والا لقيل يومن بالله وللمومنين وابقى ادوم عذابا وعقابا قالوا

لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا
عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه او صانعه او حاكمه انما تقضي
هذه الحيوة الدنيا نصب على الظرف وقرئ تقضى على البناء للمفعول ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم
الجمعة بالاسناد الى الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده من الاستيناف اي تصنع
ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الغفران
والثواب السرمدي فهو علينا هين انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر من تعلمه روي ان روس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من
القبط والباقون من السبط وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر قبل من العمل به في معارضة
المعجزة لما روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
لان الساحر اذا نام بطل سحره فابوا ان يعارضوه ويرده قوله ائن لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين فانه ظاهر في الرضا وقوله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فان
الظاهر منه عدم علمهم بشان موسى عليه السلام والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عذابا انه
ان الامر من يات ربه مجرما بالموت على الكفر والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها وهو كالمثل فيما هو من شدة الحال التي يتمنى فيها الموت
ومن ياته مومنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد الايمان فاولئك لهم
الدرجات العلى جمع العليا اي المنازل الرفيعة واما ايثار الجمع هنا والافراد في مقابله
فللاشارة الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر زيادة في علاجهم
بالم الوحشة وانما المومنون ينعمون على سرر متقابلين زيادة في لذاتهم بسرور الانس
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها
معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر وادناس الذنوب والايات
الثلاث الاخيرة يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى عليه السلام
ان يخرج بهم من مصر ليلا ويخرج بهم طريق البحر يعني فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب
له سهما في ماله او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في
البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف

به المؤنث فقيل شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرى يابسا ويبسا بالسكون وهو
اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب وجلد او جمع يابس كصاحب وصحب ووصف به
الواحد مبالغة او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من
الضمير فى فاضرب اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف
اى لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من الادراك وقرى لا تخف على جواب الامر ولا تخشى
استيناف اى وانت لا تخشى بمعنى ومن شانك انك لا تخشى او عطف عليه والالف فيه
للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون
بجنوده فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويرشدك اليه القراة به اى فادركهم مع جنوده اى كاد ان يلحقهم
قال ابن السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم فهو من المتعدى الى مفعول
واحد لا الى مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده ثم ان فيه ايهام عدم
اتباع فرعون بنفسه فغشيهم الضمير له ولجنوده معا من اليم ما غشيهم الابهام للتعظيم والمبالغة
فى التهويل مع الايجاز اى ما لا يمكن وصفه ولا يعلم كنهه الا الله وقرى فغشاهم من التغشية
وهى التغطية والفاعل ما غشاهم واضل فرعون قومه عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اى
ما هداهم الى الحق وكان ردا لقوله واهديكم الى سبيل الرشاد وليس هذا من باب التهكم يا بنى اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون وقومه على اضمار قلنا او للذين كانوا فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنانا عليهم بما فعل باباءهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم
بايتاء الكتاب جانب الطور وذلك انه تع وعد موسى ان ياتى هذا المكان ويختار سبعين
رجلا يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم
رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم الايمن نصب لانه صفة جانب وقرى بالجر
لا على الجوار لانه شاذ بل على انه نعت للطور لما فيه من اليمن ونزلنا عليكم المن والسلوى
فى التيه كلوا اذن لمطلق التصرف وتخصيص الاكل بالذكر لشدة الحاجة اليه من طيبات
حلالات او لذائذ ما رزقناكم ولا تطغوا فيه اى فى اكله بالتعدى الى ما لا يحل اكله والاخلال
بشكره او بالتلهى والاسراف والبطر والمنع عن المستحق فيحل بالكسر بمعنى الوجوب من حل الدين
اذا وجب اداؤه وبالضم بمعنى النزول عليكم غضبى عذابى وعقوبتى ولذلك وصف
بالنزول صريحا او كناية ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى سقط سقوطا لا نهوض بعده

اى هلك واصله ان يسقط من جبل او نحوه فيهلك وقيل وقع فى الهاوية وانى لغفار لمن
تاب عن الكفر وامن بما يجب التصديق به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم مستعار للتراخى الرتبى
لان المراد بالاهتداء الاستقامة والثبات على الهدى المذكورة من التوبة والايمان والعمل
الصالح وما اعجلك العجلة طلب الشئ وتحريه قبل اوانه وهى من مقتضى الشهوات فلذلك
صارت مذمومة فى عامة القران حتى قيل ان العجلة من الشيطان عن قومك يا موسى
اى اى شئ عجلك عنهم وذلك ان موسى عليه السلام قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد
المضروب فلما دنا منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه وتنجيز موعده بناء على اجتهاده وظنه
انه اقرب الى رضا الله تعالى فالقوم الذى عجل عنهم هم النقباء والمفتونون هم الذين خلفهم
مع هرون وهو سوال عن سبب العجلة عن قومه على سبيل الانكار لانها رذيلة فى نفسها
مقتضية لاهمال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الامر
الثانى الذى هو اغفال القوم بما فيه بسط العذر وتمهيد العلة لانه اهم هذا ما قالوا وعندى
ان تعدية اعجل بعن لتضمين معنى الانقطاع والانفصال كانه قيل ما الحامل على انفصالك
عن قومك مستعجلا فكان اصل السوال فى المعنى عن الانفصال عن قومه وان كان فى
اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعنى كما هو الاصل قال هم اولاء على اثرى اى على
خلفى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وقرى بالكسر وبالضم والاثر بالضم بمعنى
الاثير غريب وبمعنى فرند السيف مروى وجاز ان يكون مجازا عنه وعجلت اليك رب
لترضى فان المسارعة الى امتثال الامر تستوجب الرضا يعنى ان العجلة وان كانت مذمومة
فالذى دعانى اليها وهو طلب الرضا منك محمود قال فانا قد فتنا ابتلينا قومك
يعنى بعبادة العجل من بعدك من بعد خروجك من بينهم ففى زيادته تعيين ان المراد
من هذا القوم غير المراد من الاول والفاء للترتيب مدخوله على مدلول ما تقدم من بيان
زيادة حرصه عليه السلام على المناجاة وكمال شوقه للمكالمة مع ربه وما يلزمها من الغفلة
عن حال قومه فكانه قال لا تشتغل فيما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك فانا قد فتناهم واضلهم
السامرى بدعائهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى الى الميقات وقد مر التفصيل فى
سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لهم السامرة وقيل غير ذلك
وقرى اضلهم اى اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا فرجع موسى بعد ما استوفى الاربعين

وأخذ التوراة إلى قومه غضبان أسفا حزينا بما فعلوا قال عليه السلام يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله تعالى أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك أفطال عليكم العهد أي تأخر الموعود وطال عليكم الزمان يعني زمان مفارقته لهم أم أردتم أن يحل يجب عليكم غضب من ربكم أي أردتم أن تفعلوا فعلا يستوجب الغضب فأخلفتم موعدي وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الثبات على الإيمان فأخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا على أمرنا وخلينا وآراءنا لما أخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده وقرئ بملكنا بالفتح والضم والكل في الأصل لغات من ملكت الشيء ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أثقالا من حلي القبط وأراد بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا عيدا غدا فقال السامري إنما حبس عليه السلام لشؤم حرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب على أن الغنائم لم تكن تحل ح فأحرقوها فخبأ السامري في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا فقذفناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرهم أن يطرحوا فيها الحلي فكذلك ألقى السامري أي ما معه من الحلي في النار أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام ويعضد هذا العدول عن القذف المعتبر في مفهومه صلابة المرمي والبعد والكاف تتعلق بألقى أي مثل ما قذفناها ألقى السامري فهو صفة مصدر محذوف تقديره ألقى إلقاء مثل إلقائنا فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء لا يقال لم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني إسرائيل وضلالا لأن الله تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا عن علل أفعاله وضم ذلك بقوله لا يسأل عما يفعل جسدا بدل من عجلا على أنه لم يكن ذا روح ولذلك وصفه بقوله له خوار صوت العجل فإنه لو كان ذا روح لكان الخوار من شأنه فلا يجدي توصيفه به كما لا يجدي توصيف الإنسان بالضاحك فقالوا أي السامري ومن تابعه وافتتن به أول مرة هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر أفلا يرون أفلا يعلمون أن لا يرجع أي أنه لا يرجع إليهم قولا فأن مخففة من الثقيلة وقرئ بالنصب على أنها الناصبة للفعل وفعل الرؤية ح من رؤية البصر على المبالغة في ظهورها ذكر تنزيله منزلة البصر ولا يملك لهم ضرا ولا

نفعا أي لا يقدر على إضرارهم ولا على إنفاعهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى وقيل من قبل قول السامري كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلعوا من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هرون بالتحذير قبل أن ينطق السامري فقال يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين الحق وإبائه قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى فإن الظاهر من هذا الجواب أن يكون المراد من قبل رجوعه عليه السلام قال يا هرون أي قال له موسى عليه السلام لما رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل أن لا تتبعن أي تتبعني في الغضب لله ولشدة الزجر عن الكفر والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بمن آمن أو أن تلحق بي مع من أطاعك ولا مزيدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد ويجوز أن يكون أصرفك إلى أن لا تتبعن أي دعاك إليه أفعصيت أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه لأن الغيرة في الله ملكته قال يا ابن أم كان أخاه لأبيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الأم استعطافا وترقيقا لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعرهما ثم ذكر عذره ولما كان النهي المذكور متضمنا لدعوى عدم العصيان والاستحقاق بموجبه أورد العذر في صورة التعليل فقال إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت أو فرقت بعضهم ببعض ولم ترقب ولم تحفظ قولي اخلفني في قومي وأصلح لأن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك ثم أقبل على السامري وقال له منكرا عليه فما خطبك سؤال القصة فلذلك أجاب ببيانها ولو كان السؤال عن مطلوبه لما انتظم الجواب والفاء لترتيب مدخوله على مدلول ما تقدم من ظهور أن غرض هرون مما فعله كان إصلاحا فكأنه قال علم خطب هذا فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به قرئ بالتاء على الخطاب أي علمت ما لم يعلموه وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا إلا أحياه أو رأيت ما لم يروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة قيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل وكان يرى منه ذلك فقبضت قبضة من أثر الرسول من تربة موطئه وقرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور والقبضة المرة من القبض وأطلق على المقبوض وقرئ قبضة بالضم وهي اسم المقبوض وقرئ قبصة

بالصاد المهملة والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف الاصابع فنبذتها في الحلي
المذابة او في جوف العجل فظهر فيه اثر الحيوة والنبذ طرح الشيء عن اليد خاصة وكذلك سولت
زينت لي نفسي ان افعل ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف منه بالخطا قال له موسى فاذهب
من بيننا طريدا فان لك عقوبة على فعلك في الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك
جاهلا بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما يعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس احدا حم
الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش
من الوحش النافر وقرى لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن
تخلفه لن يخلف الله موعده يجزه لك في الاخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا بالنون
على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت اصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا عليه
اي على عبادته عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار دل عليه قراءة لنحرقنه من الاحراق وقرى بالتخفيف
اي لنبردنه بالمبرد وهو طريق حريقه بالنار فانها لا تعمل في الذهب بالتفريق الا بهذا الطريق
ثم لننسفنه لنذرينه رمادا من نسف الطعام اذا ذراه ليطير منه قشوره في اليم نسفا فلا
يصادف منه شيء والمقصود اظهار غباوة المفتونين به انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي
لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في خواص الالوهية وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما من
شانه ان يعلم وقرى بالتشديد فصار علما احد مفعوليه وذلك ان وسع يتعدى الى مفعول
واحد هو كل شيء وعلما نصب على التمييز فهو في المعنى فاعل فلما نقل تولى الى التعدية اليه
فصار ما كان مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص العجيب اي اقتصاص قصة موسى وفرعون
والسامري والكاف في محل النصب على المصدر نقص عليك من انباء ما قد سبق من الامم السالفة
واحوالهم والنبا الخبر العجيب الشان تكثيرا للمعجزات وتذكيرا للمستبصرين وقد اتيناك من لدنا
ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم
وتقديم من لدنا للتخصيص اي ذكرا لا يمكن ان يوتى الا من عندنا وهو مفوق للتعظيم وقيل ذكرا
جميلا وصيتا جليلا من بين الناس ولا يساعده قوله من اعرض عنه عن هذا الذكر الذي
هو القران الجامع لوجوه السعادة فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة شبه العقوبة
الثقيلة على المعاقب بالحمل الفادح للحامل لصعوبة احتمالها وكونها تنقض ظهره او سمي جزاء

الوزر

الوزر وهو الاثم وزرا خالدين حال من الضمير في يحمل وانما جمع حملا على المعنى ووحد في
فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر او في حمله وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه
ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم
محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره وساء حملا وزرهم يوم ينفخ وقرى بالنون على
اسناد النفخ الى الامر تعظيما له او للنافخ وقرى بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او
ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقرى في الصور وقد سبق بيان
ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا
لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل ازرقت عيونهم من شدة العطش وقيل اي
تشوه خلقتهم فتسود وجوههم وتزرق عيونهم يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم اي في الدنيا الا
عشرا لا حاجة الى التاويل في عشرا ما نقل عن ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكرا وحذفه فلك
فيه وجهان يستقصرون مدة لبثهم فيها اما لتقضيها لان المنقضي وان طال قصر بالانتهاء
واما لاستطالتهم مدة الاخرة فان الابد السرمد يستقصر مدة الدنيا ويستخف لبث اهلها فيها
بالنسبة اليه ولهذا استرجح قول من هو اشد تقالا واستحقارا بهم وقيل في القبر لقوله ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون الخ نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم افضلهم طريقة
سيرة او اسدهم رايا ان لبثتم الا يوما وجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة المذكورة ويسالونك
عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف بعد النزول فقل ذكر هنا بالفاء في الجواب
ولم يذكر في سائر السوالات ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى وعن اليتامى قل اصلاح لهم خير
وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وعن الساعة ايان مرساها قل انما علمها وعن الروح قل الروح وعن
ذي القرنين قل سانلو عليكم لان الجواب فيها عن السوالات الواقعة قبل النزول وههنا عن
سوال علم الله وقوعه واخبر عنه ولم يقع بعد ولذلك اجاب بالفاء الفصيحة فكان المعنى
اذا سالوك فقل ينسفها ربي نسفا قال الخليل يقلعها فيذرها فيتركها والضمير للارض للعلم بها
كقوله ما ترك على ظهرها ولو كان للمعنى كما قالوا يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها فيفرقها ويذريها
كما يذرى الحب لكان حق يذرها ان يصدر بالواو الفصيحة قاعا صفصفا القاع الارض المستوي
والصفصف الارض الملسا فقوله لا ترى فيها عوجا موكد للاول وقوله ولا امتا موكد للثاني

فان الامت النتو اليسير ولا اختصاص للعوج بالكسر بالمعاني قال ابن السكيت وكل ما ينتصب
كالحائط والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يومئذ ظرف
ليتبعون مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ نسفت او بدل ثان من يوم القيمة يتبعون الداعي
داعي الله الى المحشر وقيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل
اوب الى صوته لا عوج له في مدعوه اي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يسوون اليه من غير
انحراف عن سمت صوته وخشعت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا والخشوع كالخضوع من صفات
النفس الا ان مظهر الاول منهما الصوت ومظهر الثاني العنق فيسند كل منهما الى مظهره فلا تسمع الا
همسا صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من مرفوع المحل بدلا من
الشفاعة على تقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وتنفع
على هذا من جملة الافعال التي جعل مفاعيلها نسيا منسيا واجريت مجرى الفعل اللازم للمبالغة
في التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع او منصوب المحل على المفعولية والاستثناء مفرغ ومعنى اذن له
على هذا اذن لاجله اي اذن للشافعين واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن بفتح الهمزة
ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله
لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او على العكس ولا يحيطون
به علما الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت وخص الوجوه
لان اثار الذل انما تظهر اولا فيها وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يكون التعريف باللام بدلا
عن التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما يحتمل الحال
والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم والاعتراض ولا يابا كونه في مقابلة قوله
وهو مومن لان التقابل المعنوي كاف فان الاعتراض كالاستيناف لا ينفك عن الحال
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مومن اذ الايمان شرط قبولها فلا يخاف وقرئ
فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب يستحق بالوعد والظلم ان يوخذ من صاحبه فوق حده ولا هضما
ولا كرامة نقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وكذلك انزلناه قرانا
عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال من انباء الاولين او مثل انزال هذه الايات المتضمنة
للوعيد انزلنا القران كله عربيا بلسان العرب وصرفنا فيه من الوعيد كررنا القول

فيه من انواع الوعيد صارفين له من نوع الى اخر لعلهم يتقون كي يتقوا المعاصي فتصير التقوى
لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا اسند التقوى اليهم واحداث التذكر والاتعاظ الى
القران مع كلمة الترجي بعد ذكر تصريف الوعيد في القران لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا
فيكونون في صورة المرجو المترجح فيه عادة التقوى والا فلا اقل من احداث العظة فيهم حين سماعه
فيتثبطون عنها فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام
ومشابهة الاجسام فلا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذواتهم استعظام له ولما نزل وصرف
على عباده من الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق العدل
في حكمه وملكوته والمستحق للملك بذاته والثابت في ذاته وصفاته ولما ذكر القران وانزاله قال
استطرادا ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تانّ
فيه ريثما يسمعك جبريل ويفهمك ثم ادا بالتحفظ لقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ
ما كان مجملا حتى ياتيك بيانه وقل رب زدني علما واسال الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان
ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم يقال عهد عليه وعهد اليه اذا امره واوحى اليه عطف
قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس امر بني ادم على العصيان وعرقهم
راسخ في النسيان فلهم مزيد حاجة الى تكرار الوعيد وصرفه واللام جواب قسم محذوف من قبل من
قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه واغتر بقول الشيطان او ترك ما وصي به اليه
من الاحتراز عن الشجرة وقرئ فنسّي مشددا مبنيا للمفعول اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم
راي وثباتا على ما عهد اليه اذ لو كان ذا عزيمة وجد لم يقبل وسوسة الشيطان ولم يغتر بقوله
والوجود ان كان بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان بمعنى المصادفة فعزما مفعوله وله متعلق
به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة اسجدوا لادم واباء ابليس وتحذيرنا اياه من كيده
حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات ومن هنا تبين ان ما قيل ان المعنى ولم نجد له عزما
على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد لا يناسب مساق الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه
ابى جملة مستانفة على تقدير سوال سائل كانه قيل لم لم يسجد فقيل ابى اي اظهر الاباء وتثبط ويرشدك
الى هذا ما في سورة ص من قوله استكبر بدل ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد
الجار للدلالة على ان عداوته لها ايضا اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما
بحيث يوثر فيهما وسوسة الشيطان ومتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولهما مع الاشعار

بعلة النهي فشقى افرده باسناد الشقا اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفا لاستلزام شقائه شقاها
لانه القيم عليها والحافظ لها مع الايجاز والمراعاة مع الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقاء
التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل وحده ويعضده قوله ان لك ان لا تجوع فيها
ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل
اعواضها عسى ينقطع ويزول بذكر نقائضها لتطرق سمعه باصناف الشقوة المحذور عنها
وانما عدل عن الاصل المالوف في الذكر اي المنزل تنبيها على ان الاولين اصلان وان الاخرين
متممان على الترتيب فالامتنان على هذا الوجه اظهر ولهذا فرق بين القرينين فقيل اولا ان
لك وثانيا انك وقرى انك بالفتح عطفا على ان لا تجوع وان لم يجز دخول ان على ان لان
الواو ليس حكمها حكم ان لانها نائبة عن كل عامل لا عن خصوص ان لتعلل بامتناع توارد
حرفين يعملان عملا واحدا وكذلك لم توضع للتحقيق خاصة لتعلل بامتناع اجتماع حرفين
لمعنى واحد على انها وان كانت نائبة الا انها ليست في قوة المنوب عنه فلذلك عومل
معها ما لا يعامل معه كقولك ليس زيد قائما ولا قاعدا ولا يجوز ان تقول لا ليس لا قاعدا
فوسوس اليه الشيطان اي فوسوس منهيا اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
اضافها الى الخلد وهو الخلود موهما ان كل من اكل منها خلد فهو سبب الخلود بزعمه وملك
لا يبلى لا يخلق ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة قد سبق القول فيه وعصى العصيان وقوع الفعل او الترك على خلاف الامر او النهي وقد
يكون عمدا فيكون ذنبا وقد يكون خطأ فيكون زلة ادم ربه بعدم الانتهاء بالنهي فغوى
عن الرشد حيث اغتر بقول العدو او عن المطلوب وهو الخلد والملك الباقي وفي النعي عليه
بالغي مع صغر زلته تعظيم لها وتشديد عليه في العتاب وتغليظ العلو رتبة وعدم مناسبة
الزلة لمقامه وزجر بليغ وموعظة كافية لاولاده ثم اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة
والقبول بعدها والتقريب من جبى الى كذا فاجتبيته ونحوه جليت على العروس فاجتليتها
فاصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة قال اهبطا
منها جميعا الخطاب لادم وحوا لاله ولابليس لانه قد خرج منها قبل هذا القول فاخرج
منها فانك رجيم بعضكم لبعض عدو قد سبق القول فيه فاما ياتينكم مني هدى من الكتاب

والرسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث
وقرى ضنكى كسكرى وذلك ان المعرض عن ذكره حريص على الدنيا متهالك عليها لا يزال همه مصروفا
الى الازدياد منها تجمع والمنع ويطمع على ما في ايدي الناس فيطمع ويغلب عليه الشح فيضيق عيشه
بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع للهدى المتوكل عليه في امره فانه يعلم ان رزقه على الله فيسمح بما في
يده وينفق فيعيش عيشا رافغا كما قال تع فلنحيينه حيوة طيبة على انه تع قد يضيق بشوم الكفر
ويوسع ببركة الايمان كما قال تع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك
بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ونحشره وقرى بالجزم عطفا على محل فان له معيشة فانه جواب الشرط يوم القيمة
اعمى عن ابن عباس رض اعمى البصر وهو كقوله تع ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهو الوجه
المناسب للسؤال قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي ذلك فعلت
انت والكاف مقحم اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم ثم فسره فقال
اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظورة وكذلك مثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة اشد
وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او ولتركنا اياه في
العمى ابدا اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا
قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى علم
ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم كناية عن مشاهدتهم آثار هلاكهم ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة
السابقة بتاخير هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذابنا لازما
لهولاء الكفرة واللزام اما مصدر وصف به واما فعال بمعنى مفعل اسم الة اللزوم يسمى به اللازم
لفرط لزومه واجل مسمى عطف على كلمة او على المستكن في كان وهو ضمير ذلك المشار به الى
الاهلاك اي ولولا قضاء سابق ووعد بتاخير عذاب هذه الامة الى يوم القيمة او يوم بدر
واجل مسمى لاعمارهم لكان الخ والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب الخ

ولولا هذه العدة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كان لازمين لعاد وثمود
ولم ينفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون الفا للسببية جزاء لشرط مقدر اى
اذا لم نعذبهم ولم نهلكهم لما ذكر فاصبر وسبح تقييد التسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا
بمعنى الصلوة والافلا وجه للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال اى وصل انت حامدا لربك
على هدايته وتوفيقه قبل طلوع الشمس اى الفجر وقبل غروبها اى الظهر والعصر لانهما فى النصف الاخير
من النهار ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد فسبح اى المغرب
والعشا وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لان الميل فيه الى الاستراحة
اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد واشق فكان الثواب اكثر ولان القلب فيه اجمع
والفراغ الى الله تع والخلوة به ايسر واكثر ولهذا قال الله تع ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم
قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتى الصبح والمغرب لمزيتهما لكونهما مختلف الملائكة وجمعهم معناه
نعم آناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وفى جمع الاطراف مجاوبة الاناء مع الامن
من الالباس لعلك ترضى اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به
نفسك وقرى بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما
متعنا به مد النظر تطويله مستمر الجيث لا يكاد يرد استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون للناظر
ازواجا اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى
الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا الزهرة الزينة والبهجة
وقرى بفتح الها وهى لغة فيها كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر كالجهرة جمع جاهر نصب على الذم
او على الاختصاص اى اعنى او اخص او على المفعول الثانى لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا
واما النصب على البدل من محل الجار والمجرور اى به او من ازواجا على تقدير مضاف اى ذوى زهرة
فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك ولان لا بدال من الضمير العائد الى الموصول ونحوه
مما اختلف فى جوازه وعلى قراءة الفتح نعت على انه جمع زاهر وجاز ان يكون حالا والاضافة
لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم
بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه
ورزق ربك ما ادخر لك فى الاخرة او ما رزقك من الهدى خير مما متعناهم به فى الدنيا وابقى
لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته

بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليتوافقوا فى الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله تعالى
استعينوا بالصبر والصلوة ولا تهتموا بامر الرزق والمعاش ولا تلتفتوا لفت ارباب الثروة
والرياش واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك
نحن نرزقك ففرغ بالك لامر الاخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله والحكم فى الموضعين
عام فى صورة الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لها ويلزم هذا ان يكون
حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير وقالوا لولا ياتينا باية من ربه هلا ياتينا
محمد باية دالة على صحة نبوته بناء على عادتهم فى اقتراح الايات وانكار ما جاء به منها وعدم
الاعتداد بها تعنتا وعنادا او تنكير اية يابى عن حملها على اية معهودة اقترحوها ما رهم بالقران
الذى هو اخر المعجزات واعظمها حيث قال اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى وذلك انه برهان
ما فى جميع الكتب المنزلة من حيث انه معجز بلفظه دونها فهو بالنسبة اليها حجة على صحتها لاشتماله
على ما فيها وتصديقه اياها مع اعجازه ولما كان برهانا على ما فيها كان برهانا على صحة نبوته للدلالة
على انها مختصة بنوع من العلم على قدر واشرف من جميع العلوم وهو خلاصة ما فى الكتب الالهية
من العقائد والاحكام مع كونه اميا لم يتعلم شيا وبنوع من تركيب الكلام لم يكن احد يعارضه
فى الفصاحة والبلاغة عند التحدى به ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام
او من قبل البينة وتذكير الضمير لانها فى معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها او اتيانه بها
لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبى والجزية
فى الدنيا ونخزى بالعذاب ودخول النار فى الاخرة قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر
لما يؤول اليه امرنا وامركم فى العاقبة فتربصوا فانتظروا وقرى فتمتعوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوى المستقيم وقرى السواء اى الوسط والسوء والسوأى اى الشر والسوى وهو
تصغيره ومن اهتدى الى النعيم المقيم ومن فى الموضعين للاستفهام ومحل الاولى الرفع بالابتداء
والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى
لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم
بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبى عليه الصلوة والسلام

ولولا هذه العدة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كان لازمين لعاد وثمود
ولم ينفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون الفاء للسببية جزاء لشرط مقدر اى
اذا لم نعذبهم ولم نهلكهم لما ذكر فاصبر وسبح تقييد التسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا
بمعنى الصلوة والا فلا وجه للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال اى وصل انت حامد لربك
على هدايته وتوفيقه قبل طلوع الشمس اى الفجر وقبل غروبها اى الظهر والعصر لانهما فى النصف الاخير
من النهار ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اى المغرب
والعشاء وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لان الميل فيه الى الاستراحة
اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد واشق فكان الثواب اكثر ولان القلب فيه اجمع
والفراغ الى الله تعالى والخلو به ايسر واكثر ولهذا قال الله تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطاء واقوم
قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتى الصبح والمغرب لتمييزهما لكونهما مختلف الملائكة وجمعهم معناه
نعم اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وفى جمع الاطراف مجاوبة الاناء مع الامن
من الالباس لعلك ترضى اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به
نفسك وقرئ بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما
متعنا به مد النظر تطويله مستمر الجيث لا يكاد يرد استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون للناظر
ازواجا اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى
الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا الزهرة الزينة والبهجة
وقرئ بفتح الهاء وهى لغة فيها كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر كالجهرة جمع جاهر نصب على الذم
او على الاختصاص اى اعنى او اخص او على المفعول الثانى لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا
واما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور اى به او من ازواجا على تقدير مضاف اى ذوى زهرة
فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك ولان الا بدال من الضمير العائد الى الموصول ونحوه
مما اختلف فى جوازه وعلى قراءة الفتح نعت على انه جمع زاهر وجاز ان يكون حالا والاضافة
لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم
بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه
ورزق ربك وما ادخره لك فى الاخرة او ما رزقك من الهدى خير مما متعناهم به فى الدنيا وابقى
لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته

بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليستعينوا بها فى الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله تعالى
استعينوا بالصبر والصلوة ولا يهتموا بامر الرزق والمعاش ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
والرياش واصطبر عليها وداوم عليها لا نسالك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك
نحن نرزقك فرغ بالك لامر الاخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله والحكم فى الموضعين
عام فى صورة الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لها ويلزم هذا ان يكون
حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير وقالوا لولا ياتينا باية من ربه بلا يا تينا
محمد باية دالة على صحة نبوته بناء على عادتهم فى اقتراح الايات وانكارا جاءهم منها وعدم
الاعتداد بها تعنتا وعنادا وتنكير اية يابى عن حملها على اية معهودة اقترحوها الزمهم بالقران
الذى هو ام المعجزات واعظمها حيث قال اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى وذلك انه برهان
ما فى جميع الكتب المنزلة من حيث انه معجز بلفظ دونها فهو بالنسبة اليها حجة على صحتها لاشتماله
على ما فيها وتصديقه اياها مع اعجازه ولما كان برهانا على ما فيها كان برهانا على صحة نبوته للدلالة
على انها مختصة بنوع من العلم اعلى قدرا واشرف من جميع العلوم وهو خلاصة ما فى الكتب الالهية
من العقائد والاحكام مع كونه اميا لم يتعلم شيئا وبنوع من تركيب الكلام لم يكن احد يعارضه
فى الفصاحة والبلاغة عند التحدى به ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام
او من قبل البينة وتذكير الضمير لانها فى معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها او اتيانه بها
لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبى فى الحرب
فى الدنيا ونخزى بالعذاب ودخول النار فى الاخرة قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر
لما يؤول اليه امرنا وامركم فى العاقبة فتربصوا فانتظروا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط والسوءى والسوء اى الشر والسوى وهو
تصغيره ومن اهتدى الى النعيم المقيم ومن فى الموضعين للاستفهام ومحل الاولى الرفع بالابتداء
والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى
لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم
بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبى عليه الصلوة والسلام

سورة انبياء

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم اي دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى
بهما والحساب اخراج الكمية من مبلغ العدة والاقتراب بالنسبة الى ما مضى او عند الله اذ لا نسبة
للكائنات بالقرب والبعد اليه تع او لان مبداه الموت او هو كناية عن ظهور بعض اماراته
وهم في غفلة تنكيرها للتعظيم اي وهم مستقرون في غفلة عظيمة لا يعرف كنهها وهذا من قبيل
نسبة فعل الاكثر الى الكل فلا ينافي كون تعريف الناس للجنس كما في قوله ويقول الانسان أئذا ما
مت الاية واللام صلة لاقترب او تاكيد لاضافة الحساب اليهم كما في قولهم لا اباك والاصل
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ونحوه في التاكيد
تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب فيك معرضون عن اسباب التنبه كلما تكرر عليهم التنبيه
وجدد لهم التذكير وقرعت لهم العصا واحدث لهم ذكر من الايات التي تتلى وقتا بعد وقت
ما تنبهوا بواحد من تلك الاذكار وما استيقظوا مرة من تلك المرار الا استمعوه مستهزئين
لاهين يلعبون فقوله ما ياتيهم من ذكر تقرير لتماديهم في الاعراض والغفلة بان الله تع يجدد
لهم الذكر ويكرر على اسماعهم الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك الا لعبا واستسخارا وتلهيا
راسخا في قلوبهم وجدا وعزيمة في اللهو يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم وتماديهم ولهوهم
وغفلتهم عن التامل والتبصر كان الذهول مركوز في قلوبهم لا فطنة لهم اصلا فقوله في غفلة معرضون
خبران او الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث لم
يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته بالعدم وان كان صحيحا لان الكلام اللفظي حادث عند
الجمهور ولا حدوث تنزيله كما زعمته الحنابلة المنكرون حدوثه لان كلا منهما لا يناسب المقام
ولا يلايم مساق الكلام بل المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت لما عرفت انه اشد تاثيرا في التذكير
وقرى بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون حال عن الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي
استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي فهما حالان مترادفان وهي من لهيت عن الشيء لهيا ولهيانا
اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه ويعدى بعن ومن عند الاصمعي وهو في الحديث
من باب علم اي من لهي عني يلهي اذا ذهل وغفل ويجوز ان يكون حالا من واو يلعبون فالحالان
متداخلان وقرئت بالرفع على انه خبر اخر فالكل واحدة وفي قوله واسروا النجوى مبالغة لان
النجوى لا تكون الا خفية اي بالغوا في اخفائها الذين ظلموا بدل من واو اسروا وفائدة الابدال
الاشعار بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او منصوب بالذم او مبتدا خبره اسروا النجوى

قدم

قدم عليه وفائدة التقديم الاهتمام ببيان اسرارهم النجوى بالتسجيل عليه بانه ظلم لان الاصل وهم
اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر وقدم الاسرار ليفهم منه ان الاسرار هو الظلم ثم بين ان النجوى
ما هو بقوله هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون ليتمكن في انفس السامعين بالابهام
والتبيين ويتحقق عندهم ان ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل الواضح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم
ان كونه سحرا مشاهدا بين واعتقادهم ان رسول الله لا يكون ملكا وان من ادعى الرسالة من البشر فهو
ساحر وانكارهم ان يحضروا السحر الذي لا شك فيه وانما اسروا وتشاوروا في استنباط ما يهدم امره ويظهر
للناس فساده تثبيطا عنه وعادة للمتشاورين الكتمان وما ذكر كله في محل النصب بدلا من النجوى
او مفعولا لقالوا مضمرا قل وقرى قال اخبارا عن الرسول وحكاية لقوله ربي يعلم القول في السماء
والارض هو اكد من قوله يعلم السر لانه عام يشمل السر والجهر كانه قال يعلم السر كله وغيره كما ان قوله
يعلم السر اكد من قوله يعلم سرهم لعمومه فعم ولم يقل في مقابلة اسروا النجوى يعلم السر ليوكد بالطريق البرهاني
ثم قرر ذلك وبين بقوله وهو السميع العليم اي مطلقا دون غيره فكيف يخفى عليه ما يسرون بل
قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر بل الاولى اضراب عن تجاوزهم في شان الرسول
عليه السلام وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران والثانية لاضرابهم عن كونه اباطيل
خيلت اليه وخلط عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه والثالثة لاضرابهم منه
الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها انهم تعسفوا في مدارج
الاضراب واعتبروا في كل نحو منه نوعا من الاعتبار اللطيف فقيل اضربوا عن قولهم هو سحر الى
قوله اضغاث احلام اي تخاليط رويا ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر على عادة
كل مبطل في اللجلجة والتزلزل في التحير والعلة وذلك يدل على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب
عليك ان حق النظم ح قالوا بل لا بل قالوا واما ما قيل يجوز ان يكون الكل من الله تع تنزيلا
لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم
ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات طابق الواقع
والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق
فمبناه على ان يكون بين الشعر والحكمة بونا بعيدا وعلى ان يكون السحر كالمعجزة من خوارق
العادات ولا صحة لواحد منها اما الاول فظاهر وكان هذا القائل غافل عن قوله عليه السلام ان
من الشعر لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر اما تمويه لا حقيقة له او ترتيب لاسباب خفية وعلى

كالا السفر بر ليس فيه شيء من خرق العادة فليأتنا بآية كمعجزة عظيمة وصحة التشبيه في قوله
كما أرسل الأولون من حيث انه في معنى كما أتى الأولون بالآيات العظيمة كاليد والعصا وإحياء
الموتى وإبراء الأكمه لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بها هذا إذا كان ما مصدرية وإن كانت موصولة
والمعنى كالتي أرسل بها الأولون فالتشبيه على ظاهره ما آمنت قبلهم من قرية أراد بالقرية
أهلها فالإيجاز من جهة المجاز لا من جهة الحذف ولذلك قال في التوصيف أهلكناها دون
أهلكناهم يريدون إهلاكهم عند إنكارهم ما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم أفهم يؤمنون عند إتيانها
وفي إيلاء الهمزة فاء التعقيب إنكار إيمانهم بعد إلم يؤمن أولئك لأن هؤلاء أعتى منهم وأشد
عنادا وتعنتا فلو أتوا بما يقترحون لكانوا أعصى منهم وأشد كفرا وتنبيه على أن عدم الإتيان
بما اقترحوا إبقاء عليهم إذ لو أتوا به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما
أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فإن شككتم فيه فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون أمرهم بذلك ليخبروهم أن الرسل كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة والمراد
من أهل الذكر أهل الكتاب وإنما أحالهم عليهم للإلزام فإنهم كانوا يشاورونهم في أمر الرسول
والرد عليه ويثقون بقولهم وبهذا التقرير يتبين ما في تحرير القاضي من التقصير والخلل هو
فتأمل أو على الإخبار والإحالة إليهم لأن أخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفارا
وتمام الكلام في هذا المقام قد سبق تقريره في سورة النحل وما جعلناهم أي ما جعلنا كل واحد
منهم كقوله ثم نخرجكم طفلا جسدا الجسد جسم الحيوان مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم والجرم
وهو عبارة عن روح وجسد والروح ألطف والجسد ما غلظ وأصله لجمع الشيء واشتداده
أي ما جعلناهم جسدا محضا ليس فيه روح متصرف حتى يتحلل فيحتاج إلى البدل فقوله لا يأكلون
الطعام تقرير وتأكيد لذلك المعنى وجواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ولما كان
التغذي به من لوازم التحليل المؤدي إلى الفناء كان قوله وما كانوا خالدين تقريرا وتأكيدا له
ونفي عن الرسل لما اعتقدوا اختصاصه بالملك تحقيقا لكونهم من جنس البشر ثم صدقناهم الوعد أي
في الوعد فنصب بانتزاع الخافض فأنجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء يعني المؤمنين ومن
في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو بعض ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال
وأهلكنا المسرفين المتجاوزين الحد بالكفر ويفهم منه دخول بعض الكافرين تحت من نشاء لقد
أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما

تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق والكتاب القرآن والخطاب لقريش أو لعامة
العرب أفلا تعقلون فتؤمنوا به والفاء كالتي في أفهم يؤمنون وكذا الاستفهام وكم
قصمنا واردة عن غضب شديد لأن القصم أفظع الكسر لأنه كسر يبين تلاؤم الأجزاء
بخلاف الفصم بالفاء ولإيرادها في صورة التكثير من قرية لما أقيمت القرية مقام أهلها و
تجوز بها عنهم وصفت بصفتهم فقيل كانت ظالمة وأنشأنا بعدها بعد إهلاكها قوما
آخرين مكانهم وللدلالة على تعدي الغضب في شأنهم أي إهلاك قريتهم أيضا بإخراجها عن
صلاحية الانتفاع بها قال بعدها ولم يقل بعدهم إظهارا للتوسع السابق واعتبارا لما يقتضيه
اللاحق فإن الضمير في قوله فلما أحسوا لأهل القرية بأسنا أدركوا بالحس عيانا ومشاهدة شدة
عذابنا على الاستعارة في الإحساس ويجوز أن يكون من قبيل الاستعارة في البأس إذا هم
منها من القرية وإذا للمفاجأة يركضون والركض ضرب الدابة بالرجل أي يهربون مسرعين
على الكناية ويحتمل التمثيل على تشبيههم في الإسراع وشدة العدو بمن يركض الدابة وأن
يكون لا تركضوا قولا بلسان الحال يشير إلى أنهم خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل والمقال
استهزاء والقائل ملك أو من ثمة من المؤمنين أو حديثا يحدث به أنفسهم تحسرا وارجعوا
إلى ما أترفتم فيه من العيش والترفه والتنعم والإتراف إبطار النعمة والاسم الترفة أو ارجعوا
إلى وبال ما أترفتم فيه ومساكنكم في النار والتي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن أعمالكم أو كناية
عن العذاب فإن السؤال مقدمته أو تهكم وتوبيخ أي ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم
من يفد فيه أمركم ونهيكم أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاونة في نوازل الخطوب أو يسألكم
الوافدون عليكم ويستمطرون سحاب ما في أيديكم ولما أخذهم العذاب ولم يروا وجه النجاة
قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين اعترفوا بالاقتراف حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعواهم
الإشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى الدعوة
لأن المولول يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك والويل الوقوع في الهلكة وتلك
اسم ما زالت ودعواهم خبره أو بالعكس وتعين الأول إنما هو في نحو ضرب موسى عيسى مما
يختلف أصل المعنى باختلاف الإعراب حتى جعلناهم الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ
وحصيدا خامدين كانا خبرين فنصبهما جعل جميعا على المفعولية لا على أنها تقتضي ثلاثة
مفاعيل بل على أن الخبرين في حكم الواحد أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود

كقولهم هذا حلو حامض اى جامع للطعمين شبهوا فى استيصالهم وسقوطهم بالزرع المحصود
وفى دمارهم وسكونهم بالنار الخامدة وافراد حصيدا دل على ان المثل مراد فخرج الكلام عن الاستعارة
الى حد التشبيه وما خلقنا السما والارض ما فى جهة العلو والسفل وما بينهما من العجائب والبدائع
ولطائف الصنائع لاعبين كما يصنع ابنا الدنيا انما خلقناها تسبيبا لما ينتظم به امور العباد
فى المعاش والمعاد وتبصرة لاولى الالباب والابصار وتذكرة لذوى الاعتبار من النظار
فليعتبر بها طلاب الكمال ولا يغتر بزخارفها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا ان
نتخذ لهوا لاتخذناه اى السبب فى ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة الباهرة
لا تعجز عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل ما يشا قدير والحكمة وان لم تكن منافية لايجاد اللهو
وهو ما يتلهى به ويندرج فيه اللعب لكنها منافية لان يفعل فعلا يكون به لاهيا من لدنا
اى من عالم الغيب لا من عالم الشهادة لانه اسمج وابعد عن شان الحكيم ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية وزيادة كنا لاستمرار النفى لا لنفى الاستمرار
لانه لا يناسب المقام والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل
الذى من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه ويعنيه من دمغ الرجل اذا شج شجة تبلغ ام الدماغ
فلا يحيى صاحبها بعدها استعار القذف الذى هو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى لابطال
الباطل بالحق تصويرا لابطاله به ومحقه فى صورة جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم
رخو اجوف فدمغه فصالحق البلاغة وقرى فيدمغه بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى
والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل
مما تصفون مما تصفونه به مما ينافى حكمته ويستحيل عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من فى السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده منزلة ومكانة
لا منزلا ومكانا يعنى الملائكة شبهوا فى كرامتهم عند الله وقربهم بالمقربين عند الملوك من زمرة
خواصهم بيانا لشرفهم ويوقف على الارض لان من مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون
عنها ويجوز ان يكون معطوفا على من فى السموات والمعنى له من فى عالم الشهادة ومن فى عالم
الغيب ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما نفى الاستحسار وهو مبالغة فى الحسور دهم لا
يحسرون والا لكان نفيا لادنى حسور ابلغ يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما

لا يفترون حال من الواو فى يسبحون وهو استيناف وحال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة
ام هى المنقطعة بمعنى بل والهمزة للاضراب قبلها والانكار لما بعدها وهو اتخاذ الهة
ارضية وفى قوله من الارض سوا كان صفة للالهة او متعلقا بالفعل على معنى الابتدا
تجهيل لهم واستركاك لقولهم وقوله هم ينشرون تهكم بهم ولوم لهم فانهم وان كانوا لا يصرحون
بذلك لكنه يلزمهم بادعا الالهية لها فان الاله هو الذى يقدر على كل ممكن والانشار من
جملتها وهم ينكرون نسبة البعث وانشار الموتى الى الله تع القادر على كل شئ ويثبتون
الالهية لاصنام نحتوها فلزمهم حصر الانشار فيهم فلذلك اوردهم المفيد للحصر مبالغة فى التجهيل
والتوبيخ والتهكم بالهتهم وهو توبيخ فى توبيخ لو كان فيهما الهة الا الله صفة لالهة بمعنى غير
الله لتعذر الاستثنا فان الهة جمع منكور غير محصور لا يشمل الله حتى يستثنى منه ولدلالته
على ان الفساد انما يلزم من وجود الهة فيهما دونه والمراد لزوم الفساد من وجودها مطلقا
كانت معه او لا ثم ان الفساد الاتى ذكره لزومه على ما سنقف عليه على تقدير مطلق التعدد
فى الاله وانما فرض الالهة غير الله تع على وفق معتقدهم لزيادة تجهيلهم فى هذا الامر الجليل
الشان فكانه ضمن اثبات مطلب التوحيد ابطال معتقدهم على الخص وجه واشنعه لفسدتا
لبطلتا لما يكون بينهما من التمانع اذ لا مجال للتوافق فى المراد والا يلزم ان تتطارد عليه
القدر فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذى هو محل التدابير ومنشا التقادير
عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشانه لا يسال عما يفعل لعلو سلطنته وكمال علمه
وعظمته وتفرده بالالوهية ولما كان الملوك والجبابرة عادتهم ان لا يسالوا عن افعالهم وتدابيرهم
فى ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا عليهم فلان لا يسال رب الارباب ومالك الملوك خالق
الكل اولى مع استحالة ذلك عليه وهم يسالون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة
او للعباد ام اتخذوا من دونه اى من دون الله الهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا
لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم وضما لانكار ان يكون لهم دليل من النقل ولهذا رتب
على الاول دليل العقل وعلى الثانى دليل النقل يعنى اوجدوا الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية ام وجدوا فى الكتب الالهية المنزلة الامر باشراكهم
فامتثلوا الامر قل هاتوا برهانكم من العقل والنقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد
تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر اى هذا الوحى الوارد على الانبيا كله عظة من

معي يعني امته عليه السلام وذكر من قبلي يعني امم الانبيا الماضين فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين على ان من منصوب
المحل مفعول للذكر وهو الاصل والاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على من الجارة
وادخالها على مع غريب والوجه انه ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخلت
عليه من كما دخلت على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ما هو اصل الشر والفساد
واس الغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فلذلك كانت عادتهم
الاعراض عن الحق من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وهي جملة موكدة وسطت بين السبب والمسبب اي كون الجهل المحض سببا للاعراض هو الحق
وقدمت على المسبب لشدة الاهتمام والاعتنا بان سبب الاعراض ليس الا الجهل ويجوز
حمل المنصوب على هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل ولا يعلمون فعل منسي المفعول
جار مجرى اللازم لسبب مطلق العلم عنهم راسا وهذا الوجه افصح واعرب وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص لان ذكر من قبلي خبر للمشار
اليه بهذا فلا يتناول الا الذكر الموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة والاية مقررة لما
سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له تع عن ذلك بل عباد مكرمون اضراب عنه ثم اثبت انهم عباد والعبودية
تنافي الولادة لكنهم مكرمون مقربون فمن ذلك اخطاوا وزلت اقدامهم لا يسبقونه لا يقولون
شيا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المودبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه
واليهم وجعل القول اداته ومحله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله تع
ما لم يقل وانيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتحاميا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون اي كما لا يسبقونه بالقول لا يسبقونه بالقول
بالعمل فلا يعملون الا ما امرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده اي
انهم يعلمون ان الله تع يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم اي لا يخفى عليه خافية فلاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويحفظون مما لم يومروا به قولا وفعلا ولا يشفعون مهابة منه الا لمن ارتضى لمن
ارتضاه واهله للشفاعة وهم من خشيته مشفقون اي انهم مع ذلك كله خائفون حق
الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلما والاشفاق

خوف مع الاعتنا فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن
يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم بعد ان وصفهم بالكرامة
والقرب والاوصاف الجميلة والافعال المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل الفرض والتقدير
وانذره بالوعيد الشديد مع احاطة علمه بانه لا يكون تعظيما لشان المشركين وتهديدا لهم
بتهديد مدعي الربوبية ومبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربا من جنسه كذلك نجزي
الظالمين من ظلم بالاشراك وادعا الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرئ بغير الواو
للعطف على مقدر اي انكروا قدرتنا على البعث ولم يعلموا او الروية وان لم يعلموا لكنهم متمكنون
من العلم به بالاستفسار من الاخبار ومطالعة الكتب فكانهم علموا وقيل بالنظر فان الفتق
به عارض مفتقر الى موثر موجب بالذات ابتدا او بوسط وفيه ان اصالة الرتق وعروض
الفتق مما لا يستقل في معرفة العقل ان السموات والارض كانتا انما قال كانتا دون
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا ذات رتق وهو الالتحام او مرتوقتين
اي كانتا شيا واحدا وحقيقة متحدة وقرئ رتقا بفتح التا على تقدير شيا رتقا فعل بمعنى
مفعول كالنقض والرفض ففتقناهما بالتنويع والتمييز بالصور المختلفة وجعلنا من الماء كل
شي حي وخلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وامتناع وجوده
وبقائه بدونه او صيرنا كل شي حي بسبب من الماء وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول
ثان والظرف لغو افلا يومنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من
رسا اذا ثبت ان تميد بهم مفعول له اي كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا
لامن اللبس وجعلنا فيها في الارض او في الرواسي فجاجا جمع فج وهو الطريق الواسع وانما
قدم على سبلا وهو صفة له ليصير حالا مقدرة فيدل على انه حين خلقها خلقها مستعدة
لذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه
من التوكيد واخر في قوله سبلا فجاجا للبيان والتوضيح بعد الابهام لعلهم يهتدون اي ليهتدوا
بها الى مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا بقدرتنا من ان تقع على الارض بغير عمد
وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وهو ما يحس منها من
الكواكب وحركاتها واوضاعها او يعلم من علمي الهيئة والطبيعة معرضون اي هم قوم عادتهم
الاعراض وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات والمراد بالشمس

والقمر جنس الطوالع اكتفاء بهما كل في فلك التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي كلهم
يسبحون حال من الشمس والقمر كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او استيناف او خبر كل
والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة فلو ان تحت السما فلكا هو موج مكفوف فيه
الكواكب كلها ولذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الما وقيل شبهت حركتها في الاسراع
بسباحة السابح وبرده ان حق التشبيه ان يكون المشبه به اقوى من المشبه في وجه الشبه
وعكسه اللازم على ما ذكر مردود في الكلام البليغ فكيف في المعجز وانما جمع جمع العقلا لانهم وصفوا
بوصفهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون نتربص به ريب المنون فنزلت والفا
في قوله افائن مت فهم الخالدون لتعليق الشرطية بما قبلها من التمهيد والهمزة لانكارها بعدما
تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس حيوان تذوق مرارة مفارقتها جسدها وهو
تقرير لما مهده وبرهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بما يجب فيه
الصبر من البلا وما يجب فيه الشكر من النعم وانما قدم الشر لانه انسب بالابتلا فتنة ابتلا
مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر والجزع
والكفر وفيه ايما الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلا والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا
به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسو وانما اطلقه لدلالة الانكار والتعجب المفهومين
من قولهم اهذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بذكرك للرحمن بالخير وما يجب ان يذكر به كالتوحيد
والثنا عليه بما هو اهله من التسبيح والتمجيد هم كافرون فهم احق ان يتخذوا هزوا لانك
محق وهم مبطلون فتقديم ذكر الرحمن على الكفر دلالة على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن دون الهتهم
فانهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب على الحال اي يتخذونك هزوا وحالهم
انهم على ما هو اصل الهزء والسخرية خلق الانسان من عجل جعل ما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه
مبالغة في فرط استعجاله وقلة تانيه وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجال
الوعد سأريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان
بها والمفهوم مما تقدم ان الانسان اذا خلق وطبعه يكون على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها
بل يستوجبه ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون
النبي عليه السلام واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ذكر الوجوه

لانها اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه وهو احرص على الدفاع عنه من غيره من اعضائه
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب تحيط بهم النار فيه من قدام
وخلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم او لما استعجلوا مستهزئين
او منصوب بمضمر ويعلم مطلق بلا مفعول مجرى اجرا اللازم اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين
حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا
الجهل العظيم وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم بغتة
فجاة مصدر او حال اضراب عن كف النار عن وجوههم وظهورهم اي لا يكفونها بل تفجاهم
فتبهتهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت وقرئ الفعلان على التذكير والضمير للوعد
او للحين وعلى التانيث يجوز ان يرجع الى العدة او الموعدة او الحين على تاويل الساعة او
النار او البغتة فلا يستطيعون ردها فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه
تذكير لهم بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فحاق فنزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزئون وعد له عليه السلام بانه يحيق بهم
ما يفعلونه به كما حاق بالمستهزئين بالانبيا ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار امر رسوله
عليه السلام بسؤال المستهزئين عن يحفظهم دائما وانما قدم الليل لان الحاجة الى الحفظ اكثر
واظهر من الرحمن من باسه ان اراد بكم قيل في ذكر اسم الرحمن تنبيه على ان لا كالي غير رحمته
العامة وان اندفاع الباس عن الناس لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على ان رحمته
العامة لا تمنعه عن الغضب فلا تغتروا بها ولا يخفى ان هذا هو الانسب للمقام بل هم عن
ذكر ربهم معرضون اضراب عن مقدر اي انهم غير معرضين عن ربهم وليسوا غافلين عنه حتى
لا يجدي السؤال عنه كيف وهم يتخذون الالهة ويعبدونها في كل وقت للشفاعة عنده بل
بل معرضون عن ذكره فالتذكير يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره من مساق الكلام
ووضوح انطباقه لمقتضى المقام قد خفي على الناظرين فيه حتى قالوا لا يخطرونه ببالهم
فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه ولم ينتبهوا
انه حينئذ لا يبقى وجه للامر بالسؤال على الترتيب وايضا تضييع عبارة الذكر بل تخل بالمقصود

لايهامها الشعور في الجملة. ام لهم الهة تمنعهم تحفظهم مانعين العذاب من دوننا اضرب
عما تقدم منكرا الكلاءة لهتهم ومنعهم من العذاب متجاوزا منه تع اومن عذاب يكون من عنده
بما في ام من معنى بل والهمزة وهذا الاضراب ليس للابطال ولا للترقي بل للانتقال من كلام الى
اخر قيل والاضرابان عن الامر بالسوال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء البعيد وعن
المعتقد لنقيضه ابعد وقد عرفت فساد مبناه ثم انه لا ينتظم مع ذلك الاعتبار في الاضراب
الثاني من زيادة الانكار وبعد اللتيا والتي قول المعتقد لنقيضه فرية افيها مرية لما
نبهت عليه انفا لا يستطيعون نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون يجارون يقال صحبك الله
اي حفظك واجارك استيناف بابطال ما ذكر فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يحفظ الله
كيف ينصر غيره ويحفظ بل متعنا هولاء واباءهم حتى طال عليهم العمر ثم اضرب عن الموهم المتبادر
من ظاهر حالهم بعد ما انكره ببيان ان ما هم عليه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لامن مانع يمنعهم
من اهلاكنا وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعه تع اياهم واباءهم بما قدر لهم من الاعمار حتى
حسبوا بطول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانه بسبب ما هم عليه ثم عقبه بما يدل على انه
امل كاذب وغرور باطل وهو قوله تع افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من
اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما كان الله تع يجريه على ايدي المسلمين وفي اضافة
اتيانهم بامره الى نفسه تعظيم لشانهم افهم الغالبون انكار لغلبتهم على الرسول عليه السلام والمؤمنين
بعد هذه المغلوبية المتجددة دائما وفي التعريف تعريض بان اعداءهم هم المعروفون المتعينون
بالغلبة دونهم قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي من الله تع لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء
وفي لا يسمع من الاسماع على خطاب الرسول ونصب الصم وبالياء على اضماره ولا يسمع مبنيا
للمفعول من اسمع وفي قراءة يسمع المبني للفاعل التفات وتنويه بذكر الرسول وتعظيم له وانما
سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على فرط تصامهم وعدم انتفاعهم بالاسماع وان جعلنا
اللام للجنس كان ابلغ لما فيه من معنى البرهان بالتعميم ونوع من الكناية وهو ابلغ من التصريح
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع لا بالدعاء لانه مصدر فلا يعمل الا منونا والتقييد به
لكون الكلام في الانذار وللمبالغة في انهم لا يتاثرون به وقت الانذار فضلا عن ان يسموه
ثم يذهلوا عنه ولكونه كالقرينة في الكناية كانه امره بقوله انما انذركم بالوحي ثم قال
ولا يوثر فيكم فانتم صم ولا يسمع هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم نفحة اصل النفح هبوب رائحة

الشيء ويستعمل في كل قليل يقال نفحته الدابة اذا رمحته رمحا يسيرا ونفحه بعطية اذا رضخه
ففيه مبالغة من جهة مادته الدالة على معنى النزارة ومن جهة صيغته اي بناء المرة فانها
لاقل ما ينطلق عليه الاسم ومن جهة تنكيره الدال على التقليل واما المس فهو اقوى من الاصابة
لما في مفهومه من قيد زائد عليها وهو ان تتاثر منه حاسة المحسوس فايثاره ههنا على
الاصابة للدلالة على ان عذاب الله تع وان كان في غاية ما يتاثر منه من يصيبه من
عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مسهم ادنى شيء من العذاب الذي
ينذرون به لاذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم واعراضهم داعين على انفسهم بالويل ونضع
الموازين القسط صفة الموازين ولم يجمع لانه مصدر وصفت به للمبالغة كانها في انفسها
عدل وجاز ان يكون على حذف المضاف اي ذوات القسط وقد سبق ما يتعلق بوضع
الموازين في سورة الاعراف وما يدل على انه حقيقة لا تمثيل واللام في ليوم القيمة للوقت
اي في يوم القيمة وقيل معناه لجزاء يوم القيمة او لاهله اي لاجلهم على الحذف فلا تظلم نفس
شيئا تنقص من ثوابه الموعود او زيادة في عذابه المعهود ويجوز ان يكون معناه شيئا
من الظلم وان كان ما يفعل به من النقص والزيادة او الظلم مثقال مقدار حبة من خردل وقرئ
مثقال بالرفع على كان التامة وتانيث ضمير المثقال في اتينا بها جازينا بها من الايتاء فانه
بمعنى الاعطاء او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد
على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا هذه الثلاثة هي التورية
فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة
والجهالة وذكر اي شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج اليه الناس في مصالح دارهم ودخلت
الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على
المدح او رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة القيمة
واهوالها مشفقون الاشفاق خوف مع اعتناء وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة
وتعريض وهذا القران ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على محمد عليه الصلوة والسلام افانتم له منكرون
استفهام توبيخ بعد وضوح اعجازه ووفور بركته ولقد اتينا ابرهيم رشده اللائق به وبامثاله من الرسل
الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من

قبل موسى وهرون او من قبل محمد عليهم السلام وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن
الاوصاف ومكارم الاخلاق اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اى
اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون تجاهل منه وتغاب
لتحقير شانها وتوبيخهم على اجلالها فان التمثال جماد لا يضر ولا ينفع اصله الصورة المصنوعة مشبهة
بمخلوق من مخلوقات الله تع ومنه تمثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واللام للتعليل اى لتعظيمها
وعاكفون مجرى اجرآ اللازم غير منوى المفعول اى فاعلون العكوف لاجلها او هو اللزوم لامن
الامور او لتضمن العكوف معنى العبادة لزيادة التوبيخ ويعضده ما فى جوابه من قولهم لها عابدين
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين جواب عن التوبيخ بانه طريقة اسلافنا ما احدثناها ولما ضمنوا
جوابهم دعوى لرد طريقهم بالاسناد الى الآباء والاجداد رد عليهم حيث قال لقد كنتم انتم تاكيد
للمتصل فى كنتم ليصح العطف عليه وآباؤكم فى ضلال مبين مستوون فى ضلال ظاهر والتاكيد
بالقسم ووصف الضلال بالمبين لافادة وضوح استقرار المقلدين فى ضلال لا يخفى على من له
ادنى عقل لعدم تمسك الفريقين بدليل والتقليد فى الاصول غير جائز اصلا وفى الفروع انما
يجوز لمن علم فى الجملة كون المقلد على الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم
تضليل اياهم وآباءهم حسبوا انه انما قال على وجه المزاح والملاعبة فقال اجد تقول ام انت
لاعب وانما غير النظم بادخال الهمزة على الجملة الفعلية وقرينتها الجملة الاسمية لتوطينهم انفسهم
على انه من اللاعبين ورسوخ ذلك الاعتقاد عندهم واما القسم الاول فلم يثبت عندهم
فاظهروا انه ان ثبت فشئ اختلج فى ظنه قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه والضمير فى فطرهن للسموات والارض اى انشأهن
من غير شئ او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم فكانه قيل انه تع خالق وهن
مخلوقة فانى يعبد المخلوق ويجحد الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين اى
من المحققين له لان الشاهد هو الذى تحقق الشئ وحققه كانه قال وانا احقق ذلك واثبته
بالبرهان لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة والتمسك بالتقليد كما تمسكتم به وتالله قرئ
بالباء على الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة والتاء فى القسم تفيد معنى التعجب من المقسم عليه
كانه تعجب من تسهل ذلك الامر الصعب على يده ولهذا عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من
الحيل لاكيدن اصنامكم الكيد الاحتيال فى وصول الضرر الى المكيد بعد ان تولوا مدبرين

بعد

بعد ذهابكم عنها وعن قتادة انه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد فلما ذهبوا بقى ابرهيم فكسر
الاصنام فالفاء فى قوله فجعلهم جذاذا فصيحة والجذاذ فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو
القطع او جمع جذاذة كزجاجة وزجاج وقرئ بالكسر وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف وخفيف
وقرئ بالفتح وجذاذ جمع جذيذ وجذذ جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار وروى انه عليه
السلام كسرها كلها بالفاس الا كبيرها فعلق الفاس فى عنقه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون فيسألونه
عن كاسرها فيتبين لهم عجزه وقيل الى ابرهيم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او الى الله اى يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ويرد عليه انه ح يكون قوله الا كبيرا لهم اجنبيا فى البين قالوا حين
راوا ذلك بعد ما رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقية
بالاعظام قالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء صفة لفتى مصححة لتعلق السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر
اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت يقال له ابرهيم صفة اخرى وابرهيم فاعل يقال لان
المراد به الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس فى محل النصب على الحال اى بمرأى منهم ومنظر
بمعنى معاينا مشاهدا متمكنا صورة فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون عليه بما
فعله او بما يسمع منه او يحضرون عقوبتنا له قالوا بعد ما احضروه أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم
قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل الى السبب مجازا اذ
الحامل على كسرهم هو لانه لما غاظه زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه والاحسن الافصح انه
من معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى الصنم بل اراد تقريره لنفسه على اسلوب
تعريض مع الاستهزاء بهم بالغا به غرضهم من الزام الحجة وتبكيتهم لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم
لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما استهزاء به واثبات للقادر وما روى انه عليه السلام
قال كذب ابرهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته ويجوز
ان يكون حكاية لما يؤدى اليه مذهبهم من جوازه كانه قال اليس لمنكر ان يفعل هذا واشد منه
من يدعى الها وقرئ فعله كبيرهم بمعنى فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم ورجعوا
الى عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يمكنه دفع
الضرر عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا النكس جعل الشئ اسفله اعلاه
ومنه نكس المريض اذا رجع اول حاله وهو عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا وللمبالغة فى هذا المعنى
ضمنه معنى السقوط اى نكسوا ساقطين على رؤسهم وقولهم لقد علمت رى عن حيرة ولهذا

انوا بما هو حجة عليهم وقيل انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى
الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه ويرد عليه انه لا يصح قوله على رؤسهم وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول كانه امره عليه السلام بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه على الحقيقة
تجاهلا ثم نزلوا الملجى طب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك اكدوه بقد ولام القسم فكانهم قابلوا
توبيخه بنوع من التشنيع قال افتعبدون انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا
تنفع ولا تضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم
ان لم تعبدوه اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام في
لكم ولما تعبدون من دون الله لبيان المتأفف به اي لكم ولالهتكم هذا التأفف وقيل معناه
قبحا ونتنا لكم وطعنهم على تمادي جهلهم بقوله افلا تعقلون اي ابعد وضوح الحق وزهوق الباطل
لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة عند العجز عن المحاجة حرقوه بالنار فانها اهون
ما يعاقب به وافظع وانصروا الهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين نصرا وفيه تنزيل
لسائر انواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب ولا يخفى لطف هذا التعبير البليغ على
ذوي الالباب قلنا يا نار كوني بردا اشبهت النار المطاوعة بها ارادة الله تعالى وامره
بمامور مطيع لا يتوقف في الامتثال عند امر الامر المطاع وبولغ في ذلك باقامة كوني
ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وسلاما اي
ابردي بردا غير ضار وقيل نصبه بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم وضعوه في المنجنيق
مغلولا فرموه في نار عظيمة ولم يحترق منه الا رباطه وعلى هذا تكون النار على حالها ولا
يناسبه المبالغات المذكورة في امر تبريدها فانها ظاهرة في تحولها من الحرارة الى البرودة
ولا اشعار في قوله على ابرهيم بعدم التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم
منه اختصاص عدم اضرار البرد به عليه السلام وارادوا به كيدا احتيالا في اضراره فجعلناهم
الاخسرين بتصيير سعيهم برهانا قاطعا على انه على الحق وانهم على الباطل وموجبا لارتفاع
درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي من العراق الى الشام وبركاته الدينية العامة بعث اكثر الانبياء وانتشار شرائعهم

التي هي مبادي الخيرات في جميع اهل العالم وبركاته الدنيوية كثرة النعم والخصب بكثرة الروض
والماء والشجر والرخص فيه فهي الارض التي بورك فيها مطلقا وباركنا فيها ابلغ من باركناها
لدلالته على الظرفية والاستقرار فكان تلك الارض محيطة لانواع البركات احاطة الظرف
للمظروف وهي مستقرة فيها لا تزول عنها وروي ان ابرهيم عليه السلام نزل بفلسطين ولوط
بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة النافلة ولد الولد وهي
في الاصل الزيادة والفضل قيل نافلة زيادة على ما سال لانه عليه السلام سال اسحق فاعطيه واعطي
يعقوب زيادة على ما سال وفضلا حال مختصة ولا باس به للقرينة وكلا اي الاربعة المذكورين
جعلنا صالحين لان الانبياء هم المصلحون وشرط الاصلاح هو الصلاح وجعلناهم ائمة
يقتدون بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات للاهتدآ
اولائم القيام بالهداية حتى يتبعهم واممهم فعلها ويتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات بالاضافة وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وهو عطف الخاص على العام للتفصيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام
المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين مخلصين في العبادة ولوطا اتيناه حكما حكمة وهو
فعل ما ينبغي فعله وجوبا او ندبا وقيل نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء
ونجيناه من القرية هي سدوم التي كانت تعمل الخبائث من اللواطة وسائر المنكرات التي
كانوا يأتونها في ناديهم وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها
مقامه على ما دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين ونكتة ذلك الاشعار بعلاقة
السببية فان للتربة تاثيرا في تغيير طبيعة اهلها من السداد الى الفساد ولذلك قال ونجيناه
من القرية اي خلصناه من التربة الخبيثة وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في
الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو كالتعليل لما تقدم ونوحا اذ نادى
اي دعا ربه على قومه بالهلاك من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله من الكرب
العظيم هو الطوفان او اذى قومه والكرب الغم المفرط ونصرناه فانتصر من القوم الذين
كذبوا باياتنا فتعديته بمن بمدلوله اشارة لا بما في مفهومه من معنى المنع ولا بناء وقيل
جعلناه منتصرا انهم كانوا قوم سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تاخر فاغرقناهم لذلك اجمعين
عذاب الاستيصال لشدة الغضب وهي لكمال استحقاقهم له وداود وسليمن نصب باذكر

اذ بدل منهما يحكمان في الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم قال ابن السكيت والنفش
القطن وغيره والنفش ان تنفش الابل بالليل فترعى وكنا لحكمهم لجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين
اليهما وقرى لحكمهما شاهدين عالمين ففهمناها سليمن الضمير للحكومة او الفتوى روى ان
داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير
هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها
واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد
ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا
كان في شريعتهم وعدم انتقاض حكم الاجتهاد باجتهاد اخر في شريعتنا فلا دلالة فيه
على انهما حكما بالوحي او كان حكم سليمن وحده بالوحي ولما كان المتبادر الى الوهم من تخصيص
سليمن بتفهيم الحكومة ان لا يكون ما قضاه داود حكما شرعيا دفعه بقوله وكلا اتينا حكما
وعلما فالقول السابق دل على انهما جميعا على الصواب ففيه دليل على ان كل مجتهد مصيب
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف على تقدير سوال سائل
قال كيف سخرهن فقال يسبحن اي يقدسن الله تع ومع متعلقة به او بسخرنا وتتمة الكلام
تاتي في سورة سبا باذن الله تع والطير عطف على الجبال او مفعول معه وانما قدم الجبال على
الطير وجعلنا اصلا في التسبيح لان تسخرها وتسبيحها ادل على القدرة وادخل في الاعجاز
واخرق للعادة لانها جماد وقرى بالرفع على الابتدا او كنا فاعلين قادرين على امثاله ليس
ببدع منا وان كان عجيبا عندكم او فاعلين للانبيا امثال ذلك وعلمناه صنعة لبوس
اللبوس اللباس والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من حلقها وسردها داود
عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لكم متعلق بعلم او صفة للبوس على تاويل الدرع وقرى بالنون
بعد تع فهل انتم شاكرون اصله فهل تشكرون لاقتضا الاستفهام الفعل فعدل عن الجملة الفعلية
الى الاسمية ولم يقل فهل انتم تشكرون لئلا يفهم منه رائحة التجدد ويفهم منه انه طلب دوام
الشكر وهو امر اخرج في صورة الاستفهام وافرغ في هذا القالب للمبالغة في طلب دوام
الشكر مع التقريع ولسليمن الريح وسخرنا له وانما جي باللام فيه والمعنى في داود على تعلقه
بسخرنا لان نفع تسخير الريح وهو جريها بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد اشتراكهما في
خرق العادة عاصفة وصف الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفي سورة ص بالرخاة

لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل
الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او للبوس وقرى بالتاء
للصنعة او للبوس صح

لكونها

لكونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم وفي فعلها بكرسيه عليه السلام وآذها به في مدة يسيرة
عاصفة وقيل كانت عاصفة تارة ورخاء اخرى على حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال
ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام وكان منزله بها
وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين
من يغوصون له في البحار فيستخرجون نفائسها ومن منصوب المحل عطف على الريح او مرفوع
بالابتدا ومن الشياطين خبره قدم عليه فساغ الابتدا بها وهي نكرة على انها موصوفة ويعملون
عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر على ما فصل في سورة ص وكنا لهم حافظين ان
يزيغوا عن امره او يميلوا الى الفساد الذي هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه نصب
باضمار اذكر واذ بدل منه اني مسني اي باني وقرى بالكسر على اضمار القول او تضمن النداء معناه
الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم مختص بما في النفس من مرض وهزال وانت ارحم الراحمين
وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما وصف نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب رعاية
لحسن السوال ولطفه وفصاحة الادب وكان روميا من ولد عيص بن اسحق عليه السلام استنباه
الله تع وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة
سنة وقالت له امراته يوما لو دعوت الله تع فقال لها كم كانت مدة الرخا قالت ثمانين
سنة فقال انا استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر عظيم بالشفاء من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم لما كشف الله تع عنه احيى
ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم رحمة على ايوب من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة لغيره
من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة او رحمتنا للعابدين
وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واذا اوقعنا الرحمة والذكر على العابدين ولم يخصص
الرحمة بايوب دخل هو فيهم دخولا اوليا وافاد ان الرحمة والذكر بالاحسان انما كانا بسبب
العبادة والصبر فكل عابد مرحوم مذكور بالاحسان وكان من باب اقامة المظهر مقام المضمر
فكان اكد وابلغ لاثبات الرحمة له بالبرهان واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس وقيل يوشع
وقيل زكريا سمي بذلك لانه كان ذا الحظ من الله او تكفل امته وقيل كان له ضعف عمل انبيا
زمانه وضعف ثوابهم والكفل يجي بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل هولاء من
الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوائب وادخلناهم في رحمتنا قد سبق

تغيره وتغيير انهم من الصالحين وذا النون وصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ ذهب
مغاضبا لقومه لكثرة ما قاسى في دعوتهم وشدة شكيمتهم لطول ما ذكرهم فلم يذكروا فهاجر عنهم او
اغضبهم بمهاجرته لخوفهم لحوق العذاب بهم وكان عليه ان ينتظر الاذن فلم يصبر وظن ان
المهاجرة اولى لكونها للغضب لله ودينه والبغض للكفر واهله فابتلي ببطن الحوت وهو
بنا المغالبة للمبالغة لان المغالب يبذل وسعه في الفعل او بمعنى مغضبا وقد قرئ به فظن
ان لن نقدر عليه من القدر وهو التضييق لا من القدرة ويعضده انه قرئ مثقلا ويجوز ان
يكون نقدر مخففا من القدرة بمعنى ان لم نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات اي في الظلمة
الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله
الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى ان سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين
لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل والغم
غم الالتقام وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله بالاخلاص وقرئ مثقلا وفي الامام نجي
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم ومن شدد الجيم فوجه صحيح مشكل
لا يكاد يتمشى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا اي ارزقني ولدا يرثني وانت
خير الوارثين استسلام وتفويض بعد السؤال لانه اقتراح وجرأة على الله تعالى اي الامر اليك
فان لم ترزقني فلا باس وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي
حسنا خلقها وكانت سيئة الخلق وقيل جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها وقد ان حق النظم والترتيب
ان يذكر اصلحنا قبل وهبنا انهم اي الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات المسارعة
المبادرة وتعديتها بالى وانما عدل عنها الى في للدلالة على انهم لا يخرجون عن تحصيل بعض الخيرات
بل يظهرون الجد والرغبة الى تحصيل بعض اخر منها وهذه الدلالة بجعل الخيرات ما فيه المسارعة لا ما اليه
ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا وخوفا كقوله تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران
في موضع الحال او المفعول له اي للرغبة فينا والرهبة منا وهو باشارته الى انهم يعلمون ان
النفع والضر من الله تعالى لتمهيد ما دل عليه قوله وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم على
تخصيص الخشوع له تعالى وقد سبق تفسير الخشوع والمعنى انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم وما
نالوا من الله ما نالوا الا بهذه الخصال والتي واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان
تنويه الشان بالاسم حق الرجال احصنت فرجها الاحصان احراز الشيء عن الفساد والف

التفريعية

التفريعية في قوله فنفخنا قد دلت على ان المراد حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب
بل سنة قديمة فلا يصلح الاحتراز عنه منشأ للفضيلة فيها اي فعلنا النفخ في مريم من روحنا من
جهته والمراد من الروح جبريل فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافته اليه تعالى
للتشريف وجعلناها وابنها اي حالها وهي ولادتها اياه من غير فحل ولذلك وحد قوله اية
والتقدير وجعلناها اية وابنها كذلك ويعضده قراءة ايتين للعالمين فان من تامل حالهما
تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة الى ملة التوحيد والاسلام
اي ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة ملة واحدة حال من معنى الاشارة في
هذه اي يشار اليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبيا وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه
وامة بالرفع على الخبر وقرئ برفعهما على انهما خبران او قدر للثاني مبتدا على هي امة وانا ربكم رب واحد
لا اله غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب السابق عاما للناس كافة
فالتفت الى الغيبة لينعى على الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعا تقبيح فعلهم الى غيرهم تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى اي جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما تتوزع
الجماعة الشيء ويقسمونه قطعة قطعة كل الينا توعدهم بان كل واحدة من تلك الفرق الينا
خاصة لا الى غيرنا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله
فلا كفران لسعيه استعير الكفران لمنع الثواب والحرمان كما استعير الشكر لاعطائه وقيل
ان الله تعالى شكور نفي نفي الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال فلا يكفر لسعيه ثم بولغ واكد نفي
عدم تضييع سعيه بان وتقديم الجار والمجرور فقيل وانا له كاتبون اي لذلك السعي في صحيفة
عمله مثبتون له فلا تضييع بوجه ما وحرام وقرئ وحرم وهما لغتان كحلال وحل على قرية
اي ممتنع على اهل قرية اهلكناها اردنا اهلاكها باستيصال اهلها انهم الينا لا يرجعون رجوعهم
الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزا وان مع اسمها وخبرها مبتدا خبره حرام
وقرئ انهم بالكسر على ان الكلام تم قبله والمبتدا المحذوف دلت عليه الاية المتقدمة اي وحرام على
قرية اهلكناها ذلك اي العمل الصالح والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استونف على
سبيل التعليل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر وعلى قراءة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه اي لانهم
لا يرجعون حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها
فتحت ياجوج وماجوج المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما وانما اسند اليهما على التجوز

لعلاقة ظاهرة ونكتة لا يخفى لطف موقعها وحتى متعلقة بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا
يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وفتح السد من اماراتها
كني به عنه وهم يعني ياجوج وماجوج من كل حدب مرتفع من الارض ولفظة كل للمبالغة في الكثرة
او المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس جدث بالجيم والثاء وهو القبر ينسلون يسرعون
واقترب الوعد الحق اي القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا
للمفاجاة سدت مسد الفا الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جا الفا معها تظاهرتا على وصل
الجزا بالشرط فيتاكد وتوهم الجمع بين البدل والمبدل ساقط لان اذا باقية على حالها ثم تمحض بدلا
حتى يلزم الامتناع ويجوز ان يكون الضمير بعدها ضمير القصة وابصار الذين كفروا مبتدا شاخصة
خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره ابصار الذين كفروا يا ويلنا مقدر بالقول واقع في موقع الحال
من الموصول قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين انفسنا بعدم الاعتبار بانذار
المنذرين اضراب عن الاخبار عن استقرارهم في الغفلة وابطال له بالاعتراف بما هو الحق
انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان اذ الخطاب لقريش لا الشيطان واعوانه لما
سياتي ان ما تعبدون لا يتناول ذوي العقول ولا دلالة على ذلك فيما روي انه عليه السلام
لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود قد عبدوا
عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم
بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وليس فيه تخصيص ما خرج عن الخطاب لان
ما لمن لا يعقل فلا يتناولهم دل على ذلك ما روي ان النبي عليه السلام قال له ما اجهلك بلغة قومك
اما علمت ان ما لما لا يعقل فعلى هذا يكون قوله تعالى ان الذين سبقت الاية لرفع احتمال المجاز والتغليب
لا لتخصيص العام كما سبق الى بعض الاوهام حصب جهنم الحصب ما يرمى به فعل بمعنى مفعول
اي يحصب بهم في النار وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف
او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان الورود للنار وان لم يلزمه العذاب على ما دل عليه قوله تعالى
وان منكم الا واردها ليس من شان المعبود المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون
انما قرنوا بالهتهم لزيادة فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا بهم ازداد غمهم وحسرتهم
للقى المؤذي ولانهم قدروا استشفاعهم في الاخرة بهم واذا وجدوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن

شئ ابغض اليهم منهم ومن هنا اتضح وجه خلودها في النار لهم فيها زفير انين وتنفس شديد
وفيه تجوز من جهة نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب من جهة اطلاق هم على مجموع
العقلا وغيرهم ولا تاثير للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة
العذاب وذلك بعد حين لما ورد في بعض الايات من مكالمتهم مع خزنة النار ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة القصوى او البشرى بالثواب او
التوفيق للطاعة اولئك عنها مبعدون بدخول الجنة سبقت العناية في البداية فظهرت
الولاية في النهاية وفي عبارة مبعدون اشارة الى انهم يردونها ويغربون منها اولا
ولما كان ذلك مظنة ان يتاذوا عنها عند ورودهم اياها وقربهم منها دفعه بقوله
لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة لهبها حال من ضمير مبعدون يعني انهم
في حال سلامتهم عنها وعن اثارها المؤذية يردونها ويبعدون عنها وهم في ما اشتهت
انفسهم خالدون الشهوة طلب النفس اللذة اي دائمون في الاستغراق في مشتهياتهم
وتقديم الظرف للاختصاص ومحافظة الفواصل لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة
لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وتتلقاهم الملائكة
اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا
والعامل في يوم نطوي السما تتلقاهم او الفزع او لا يحزنهم والطي ضد النشر او المحو من
قولك اطو عني هذا الحديث كطي السجل للكتاب كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب
او كتب فيه ويؤيده القراءة على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي
كتب الاعمال اذا رفعت اليه وفيه ان حق التشبيه ان يكون بالمعهود المعروف وطي الملك
لم يعرف الا من هذا الكلام وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه انه ليس لطيه
خصوصية زائدة وتخصيص التشبيه به يقتضي ذلك وقرئ السجل كالدلو والسجل كالقفل
وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اول خلق مفعول بدانا ومحل الكاف النصب
على المصدر وما كافة او مصدرية اي مثل ما بدانا اول خلق نعيده او مفعول نعيد مضمر
يفسره ما بعده اي نعيد اول خلق كما بدانا ه ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصولة واول خلق نصب على الظرف لبدانا او نصب على الحال من
ضمير الموصول المحذوف المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بدانا ونعيده في اول خلقنا اياه

اوحال كونه اول خلق شبهت الاعادة بالابدآ فى تعلق القدرة بهما على السوآء والمراد اثبات
صحة الاعادة بالقياس على الابدآ لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية لهما اى كما ان
اول ايجاده من عدم نعيده ثانيا عن عدم واثما وحد خلق ونكر ليفيد تفصيلهم واحدا واحدا
والمعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل جانى بمعنى اول الرجال وانما نكرت ووحدت ليفيد
تفصيلهم رجلا رجلا بهذا الخبر قالوا والذى يظهر لى ان الخلق بمعنى المخلوق وتقييده بالاول
لاخراج المخلوق ثانيا وهو الروح عن متناول الكلام لانه فى اعادة البدن وهو المخلوق
اولا لقوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر فتدبر وعدا علينا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة
للاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين عازمين فى الازل على ان نفعل ذلك
لا محالة او قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا فى الزبور فى كتاب داود عليه السلام من بعد
الذكر اى التورية ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادى الصالحون عامة
المومنين او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا اى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لانه جا بما يسعدهم فى الدارين ويصلح معاشهم ومعادهم وازدياد كفر
بعضهم بسببه انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من
عذاب الاستيصال المسخ والخسف وتاخير عقوبتهم قل انما يوحى الى ما فى انما كافة ويجوز ان
تكون موصولة بمعنى ان الذى يوحى الى انما الهكم اله واحد لان المقصود الاصلى من بعثته
هو التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة
والتوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا واعرضوا عن التوحيد فقل اذنتكم اذن
من اذن اذا علم لكنه شاع استعماله فى الانذار اى علمتكم ما امرت به او حربى لكم على سوآء
نصب على الحال من المخاطبين اى مستوين فى الاعلام به او مستوين انا وانتم فى العلم
بما اعلمتكم به او فى المعاداة او صفة مصدر محذوف اى ايذانا على سوآء وقيل اعلمتكم وانا
على سوآء اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير وان ادرى وما ادرى اقريب ام بعيد
ما توعدون من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول
اى ما يجهرون به من الطعن فى الاسلام ويعلم ما تكتمون ما تكتمونه من الاحن والاحقاد للمسلمين
فيجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تاخير هذا الوعد امتحان لكم وامتنان

لننظر كيف تعملون ومتاع وتمتع واستدراج لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد به
فى وقت قدره فيه لمقتضى حكمته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل او
باستعجال العذاب فعذبوا ببدر وكان مقتضى العدل ذلك وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه
المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون انصفونه من الحال بان الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن فخيب الله امالهم وكذب ظنونهم ونصر رسوله عليه السلام والمومنين عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بنى ادم بالتقوى ثم علل امرهم به بتفظيع
الساعة حين قال ان زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يومنهم منها سوى
التدرع بلباس التورع والتردى برداء التقوى ويبقوا على انفسهم ويقوها عن الردى بملازمة
التقوى والزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف دليل الاشيآء عن مقارها
ومراكزها واضافتها الى الساعة اضافة المصدر الى الفاعل على التجوز فى الاسناد كانها هى التى
تزلزل الاشيآء او الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به او بتقدير فى كقوله تعالى بل مكر الليل
والنهار وهذه الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض
اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها المشهورة عن الحسن انها
تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها
من اشراط الساعة شئ عظيم لما وصفه بالعظم وابهمها تعظيما بانها شئ لا يكتنه كنه عظمته
اخذ فى تصوير هولها بصورة منكرة فليس المراد من قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع الجنين بل شدة الهول هذا على
القول الاول والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل معروفا ومجهولا اى تذهلها
الزلزلة من الذهول وهو الذهاب عن الامر دهشة وحيرة لا من الذهل لانه بمعنى السلو
قال الشاعر صحا قلبه يا عز او كاد يذهل وما مصدرية او موصولة والمرضعة التى شانها
ان ترضع وان لم تباشر الارضاع واما المعنى على القول الثانى وعليه الجمهور ان هولها
بحيث اذا فوجئت به التى القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه دهشة
ولقد احسن من قال تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام

وترى وتظن الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى في الواقع ولكن عذاب
الله شديد فاذهب عقولهم لشدته وطير تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يفرق بينهم وبين من ذهب
السكر بعقله وتمييزه وانما جمع فاعل الرؤية اولا وافرد ثانيا لان الاولى علقت بالزلزلة
والزلزلة يراها الناس كلهم والثانية علقت بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل
كل واحد منهم رائيا لاثر السكر على صاحبه وقرئ ترى بالضم ونصب الناس من اريتك
قائما ورفعه على اسناد ترى اليهم على تاويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى اجراء
للسكر مجرى العلل ومن الناس لا يخفى ما في هذا التعبير من التحقير بشانه حيث نزله منزلة من احتاج
الى الاخبار عنه بانه من جنس الانس من يجادل من يخاصم خصومة شديدة في الله بغير علم نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا
بعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل لا يرجع الى علم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيرته
والمريد المتجرد للفساد كتب عليه على الشيطان انه الضمير للشان من تولاه اي جعله وليا
وتبعه وقرئ انه بالكسر على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه فانه يضله
خبر لمن او جواب له ويهديه الى عذاب السعير ولا يحصل من ولايته الا الضلال عن طريق الحق
او الجنة او الهداية الى عذاب النار باغوائه واغرائه الى ما يؤدي اليه وحمله عليه اي يلزمه
ذلك كانه كتب عليه الضلال من يتولاه لانه مجبول عليه وقرئ فانه بالفتح على انه مبتدأ
محذوف الخبر اي فحق ان يضله او خبر مبتدأ محذوف اي فشانه انه يضله ولا وجه للعطف
الا ان يجعل الضمير للمجادل ومن تولاه جزاء ان وجاز على هذا ان يكون الضمير في عليه له ايضا
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث
بالتحريك كالجلب والطرد وتنوين ريب للتحقير والتقليل ولذلك جئ بكلمة الشك اي
الضعيف دليله فان بقي فيكم ادنى ريب فانظر في بدء خلقكم يزيله فانا خلقناكم من تراب خلق
ادم منه او من الاغذية المتكونة منه ثم من نطفة وهي الماء القليل من النطف وهو الصب
والمنوي ثم من علقة قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما
يمضغ مخلقة يقال خلق العود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
وغير مخلقة اي مسواة كان الله خلق المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فيتبع ذلك
تفاوت الناس في الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة

او تامة وناقصة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا بل هذا اهون عند العقل وادخل في المقدورية واطلاق التبيين
غير متعد الى مفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت
الذكر ولا يوصف ونقر ونثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى وهو وقت الوضع
وعلم منه حال قرينة المقابل له بطريق المفهوم ثم نخرجكم منها طفلا حال وحدت لارادة
الجنس او لانه مصدر في الاصل او على تاويل كل واحد وقرئ نقر بالنصب وكذا نخرجكم
عطفا على نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين لغرضين احدهما التبيين والثاني الاقرار
في الارحام حتى تولدوا وتنشأوا وتبلغوا حد التكليف والغرض في الحقيقة هو الاظهر يعني
بلوغ الاشد والصلوح للتكليف لكن لما كان الاقرار وما تلاه من مقدماته صح ادخاله في
التعليل وقرئ بالياء رفعا ونصبا ونقر بالضم من قررت الماء اذا صببته ثم لتبلغوا اشدكم
الاستكمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كانها
شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او
قبله او بعده قبل الهرم وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم
والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته سخيف العقل
قليل الفهم والاستغراق المستفاد من ذكر شيئا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه ما علمه
وانكاره لما عرفه وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن سار للناظر اليه وهذه دلالة ثانية
على البعث كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق
الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو
مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي حاصل بسبب ان الله هو الحق الثابت الوجود في نفسه
الذي تحقق به الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض
الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبتها الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على الكل وان الساعة آتية لا ريب فيها لا ينبغي ان
يرتاب فيها لان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور

اي انه تعالى حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ولما كان
المراد احيا موتى الانسان عبر عنها بما هو من خصائصهم فعني من في القبور من مات من جنس
الانسان بطريق الكناية ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت
في ابي جهل بغير علم ضروري ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون بتعليم الغير وارشاده ولا كتاب منير
اي وحي اي يجادل بتخمين وتقليد لا باحد هذه الثلاثة ثاني عطفه ثني العطف كناية عن الكبر
والخيلا بالتبختر او عن الاعراض عن الحق استخفافا وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن
سبيل الله تعليل للمجادلة وقرئ بفتح اليا على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على
الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له
له في الدنيا خزي هو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة
ذلك بما قدمت يداك اشارة الى الخزي والعذاب وعبر النظم بالالتفات الى الخطاب وفي
بلفظ البعيد للتنبيه وتعظيم الموعد به وتهويله والايما الى تفاقم الخطب والى انه بسبب
ما اقترفه من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما اي وبان الله تعالى يعني
ان العدل هو الذي اقتضى ذلك لا الظلم ولفظ المبالغة لان قليل الظلم منه مانع مع علمه
بقبحه واستغنائه كالكثير منا وللايما الى ان من هو في غاية الكمال شانه ان يكون وصفه
كذلك ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه فان اصابه
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس
بالظفر قر والا فر روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ
دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان به وان كان بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وذكر
الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يصدر عنه تعالى قصدا انما المقصود منه الابتلا
خسر الدنيا بذهاب عصمته والاخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
وبالرفع على الفاعلية او على انه خبر مبتدا محذوف وعلى الاول يكون من باب وضع الظاهر
موضع الضمير تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي لا يقدر على شي اصلا فان النفع والضر في
التعبير بهما عن جميع الاثار كالسما والارض في التعبير بهما عن جميع الاجسام واعادة

كلمة

كلمة ما للدلالة على استقلال كل من الوصفين المذكورين في اخراج موصوفه الى معرض الذم
ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت
مسافة ضلاله يدعو لمن ضره بكونه معبودا لايجابه القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة
اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى وانما قال اقرب
ولا قرب للنفع تهكما واستهزاء به واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول
مع اعتقاد وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجرا له مجرى يقول اي يقول الكافر
ذلك بدعا وصراخ حين يرى استضراره به وبأباه اي في عبارة اقرب من معنى التفضيل
ويجوز ان تكون مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا خبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير المخالط ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة المؤمن الصالح وعقاب الكافر الطالح لا دافع له ولا
مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار معناه ان الله تعالى
ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان لا يفعل ذلك ويغيظه
ان لا يفعل الله فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فليستفرغ وسعه في ازالة غيظه الى نهايته
كما يفعل من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق سمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع او فليمدد حبلا الى السما المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع
الوحي ان ينزل عليه فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن كيده هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه ان فعل ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث اجتهد فلم يقدر الا عليه
او على سبيل الاستهزا لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه
من نصر الله وكذلك مثل ذلك الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا لانزال آخر
يقصد تشبيه هذا الانزال فالكاف مقحم افخاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب
وغيرهم انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي
به او يثبت على الهداية من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان قيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد

او بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي
الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله فلينظر كل امرء معتقده
وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض استعير السجود للانقياد والمطاوعة لما يريد الله من الافعال
لانه هيئة من هيئات المكلف لا هيئة ادل منها على الذلة والتسخير ومن يعم اولي العقل
وغيرهم للتغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها
بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها في العادة وكثير من الناس تخصيص بعد التعميم للايما
الى ان من الناس من لا ينقاد لحكمه ولا يتسخر لامره ولا يلزم عطفه على سائر الساجدين
المحذور عن الجمهور لما فيه من استعمال اللفظ الواحد مجازا وحقيقة في حالة واحدة اذ
يجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد اي يسجد له كثير من الناس السجود الحقيقي ويجوز
ان يكون مبتدا محذوف الخبر مدلولا عليه بخبر قسيمه اي حق له الثواب او الخبر مذكور على ما
سياتي وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يكون كثير الثاني تكريرا
للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا
بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن يهن الله بان حكم عليه بالشقاوة
فما له من مكرم يكرمه بجعله سعيدا وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام
هذان خصمان اي فريقان يختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس وقال
هولاء خصمان اختصما جاز والمراد بهما المومنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته
وصفاته روي ان اهل الكتاب والمومنين تخاصموا فقال اهل الكتاب نحن احق بالله واقدم
منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو
المراد بقوله تع ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم على مقادير جثتهم ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب واختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة يصب خبر ثان او
حال من الضمير في لهم من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار يصهر به حال من الحميم او من الضمير في
رؤوسهم والصهر الاذابة وقرئ بالتشديد للتكثير ما في بطونهم من الشحوم والجلود فانه
الحموم اي يوثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب ما في باطنهم وظاهرهم

ولهم مقامع من حديد سياط منه جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها باعادة الجار او الاولى لابتداء الغاية
والثانية بمعنى من اجل يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم وارادة الخروج كناية
عن الهرب منه كقوله تع يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم الى معظم
النار لا انهم يخرجون منها ثم يعودون اليها لقوله تع وما هم بخارجين منها ولقوله فيها دون
اليها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم
الاخر بقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
تغيير النظم في التفصيل بترك العطف واستيناف الكلام وادخال حرف التاكيد واسناد الادخال
الى الله تع تعظيم لشان المومنين واحماد لحالهم يحلون فيها من حليت المراة اذا لبست الحلي
وهي حالية شدد للنقل وقرئ مخففا مبنيا للمفعول من اساور صفة مفعول محذوف
والاساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولولوا عطف على اساور او
ذهب على انه مرصعة وقرئ منصوبا على اضمار فعل اي يلبسون او يوتون او عطفا على
محل الجار والمجرور ولباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب فيه للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد
مع رعاية الفاصلة وهدوا الى الطيب من القول ابهم الفاعل ولم يقل وهداهم الله ابقا لحق
التعظيم وابهم القول وجي بالطيب ثم بين تفخيما لشانه دائما الى انه هذا الملقب بالطيب
وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد كرر هدوا تنبيها
على ان كل واحد منها امر مرضي بالاصالة تام معتد به في الهداية اليه واختير اسم الحميد من اسماء
الله تع للاشارة الى خصوصية القول الطيب اي الى طريق المستحق لذاته الحمد وهو الله تع
او اراد المحمود عاقبته وهو الاسلام وقيل طريق الجنة واضيف الى الله تكريما للجنة بنسبتها
اليه وان طريقها طريقه ان الذين كفروا خبر ان محذوف دل عليه جواب الشرط اي ان الذين
كفروا نذيقهم من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله عطف على كفروا لقوله تع في موضع اخر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي يواظبون على الصدود وهو الصرف عن الخير خاصة
وليس المراد الحال او الاستقبال بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم فلان يحسن للفقرا
ويكرم الضيفان ولذلك حسن عطفه على الماضي والمسجد الحرام عطف على سبيل الله الذي جعلناه
للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يجوز

بيع ارض مكة ولا اجارتها ولا يعارضه قوله تع الذين اخرجوا من ديارهم لان الاضافة باعتبار
انهم يملكون البناء ولا شراء عمر رضه دار السجن فيها لانه اشترى البناء دون الارض وان اريد به
البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس والاول هو الظاهر لقوله تع سواء العاكف فيه المقيم
بمكة والباد اى الساكن فى البادية اى ليس لاحد ان يمنع احدا عنه قيل كانت بيوت مكة لا
تتخذ لها ابواب حتى ظهرت السرقة فيهم فقال عمر رضه لرجل منهم وهو اول من اتخذ بابا اتخذت
بابا لتحتجب به فقال لا ولكن احرزت المتاع عن السرقة فقال له انه لا يحل لاهل مكة ان ياخذوا اجور
بيوتهم وفى جواز بيع ارض مكة عن ابى حنيفة روايتان قال فى الجامع الصغير لا يجوز وروى
ابن زياد عنه انه يجوز وللناس مفعول ثان لجعلناه وسواء خبر مقدم والعاكف مبتدأ
والجملة حال او مفعول ثان وللناس حال وقرئ سواء بالنصب على انه مفعول ثان او حال
والعاكف مرفوع على الفاعلية اى مستويا العاكف فيه والباد وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من
الناس ومن يرد فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد
الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى
بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
وعلى قراءة فتح الياء فى يرد تكون الباء فى بالحاد للتعدية اى ومن اتى فيه بالحاد ظالما نذقه
من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابرهيم مكان البيت اى واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان
البيت اى واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة
ولما كان المقصود من التبوئة العبادة فسرت بالنهى عن الشرك والامر بتطهير البيت فان
فى قوله ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود مفسرة كانه قيل
تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى عن الاوثان والاقذار ان تطرح حوله للطائفين
والمصلين وانما عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وفصل بين الاول والاخيرين بالواو وجمع بين الاخيرين بغير واو لان
القيام تعظيم الله تع والركوع والسجود تذلل له فاتحدا وغيرهما الاول وقيل هى مصدرية
موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى واذن فى الناس ناد فيهم
وقرئ آذن من الايذان بالحج بدعوته والامر به والحج القصد البليغ الى مقصد منيع روى انه
عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من الاصلاب

والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل
ذلك فى حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر ياتوك رجالا مشاة كقائم وقيام وعلى
كل ضامر معطوف على رجالا كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول والاطناب
المعنوى وزيادة لفظ كل للمبالغة فى تعميم الامر لكل من يقدر على المركب ولو ضعيفا وقدم
الرجال على الركبان اظهار لفضيلة المشاة كما ورد فى الحديث ياتين صفة لكل ضامر لانه
فى معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من
كل فج اى طريق واسع عميق وانما عبر عن البعد بالعمق ليناسب الغرض المعتبر فى مفهوم
الفج وقرئ معيق والمعنى واحد ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او بياتوك منافع لهم دينية
ودنيوية وتنكيرها لان المراد نوع منها مختص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على
انه المقصود مما يتقرب به الى الله تع فى ايام معلومات هى عشر ذى الحجة وايام النحر على ما
رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحسينا للكلام بنوع من البلاغة
لم توجد فى غير هذه العبارة وتنبيها على الكناية بالقرينة وتعظيم المرزوق بالابهام والتوضيح
للتحريض على التقرب به وقد سبق فى المائدة ما يتعلق بتفسير بهيمة الانعام فكلوا منها امر
اباحة ازاحة لما عليه الجاهلية من التحرج فيه او ندب لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم
واستعمال التواضع وهذا فى هدى التطوع والمتعة والقران لانه عليه السلام نسك فاشبه
الاضحية دون سائر الهدايا واطعموا البائس الذى اصابه بؤس اى شدة الفقير المحتاج الامر
فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قاله نفطويه
وقيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد وذلك عند الاحلال
ولذلك صدره بكلمة التراخى وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما
وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر او ما ينذرونه من اعمال البر فى حجهم وليطوفوا طواف الزيارة
الذى هو ركن الحج وبه يتم التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول
بيت وضع للناس او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج عن ذل العبودية
الى كرم الحرية او المعتق من الغرق لانه رفع من الطوفان او من تسلط الجبابرة فكم من جبار
سار اليه ليهدمه فمنعه الله تع واما الحجاج فانه قصد اخراج ابن الزبير الذى تحصن به منه دون

التسلط عليه ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله للفصل بين كلامين ومن
يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله بهذه الصفة فيجوز ان يكون عاما
في جميع احكامه وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام
والشهر الحرام فهو اي التعظيم خير له والتعظيم العام بمراعاتها مع اعتقاد انها واجبة المراعاة
عند ربه يعني في الاخرة واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة
وما اهل به لغير الله فلا تحرموا غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارة يتلى اشارة الى ان
التحريم لا يكون الا من الشارع بنص متلو فاجتنبوا الرجس من الاوثان صدره بالفاء السببية
لانه لما حث على تعظيم حرمات الله لزم وجوب المحافظة على حدوده واعظمها التوحيد فدخل
وجوب الاجتناب من عبادة الاوثان فيه دخولا اوليا وتسبب منه ومن للبيان اي الرجس
الذي هو الاوثان وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام
الجنس ولم يكتف بالاجتناب عن عينه وبينه بالاوثان كأن جنس الرجس هو الاوثان كل ذلك
تنفيرا عن عبادتها خصوصا جعلها الرجس الذي ينفر الانسان عنه بطبعه واجتنبوا قول الزور
قرنه بالشرك في وجوب الاجتناب عنه بل كرر اجتنبوا تنبيها على اصالة تحريمه وتعميما لما ذكر
فان الشرك يلزمه قول الزور اذ المشرك يدعي الوهية الوثن ويدخل فيه تحريم البحائر وغيرها من متوهماتهم
فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه الاعم وقيل المراد بقول الزور شهادة الزور لما روي
انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والاظهر العموم
ليتناول الشهادة وسائر الاكاذيب والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك
وهو الصرف فان الكذب منحرف ومصروف عن الواقع حنفاء لله مستقيمي الطريقة على امر
الله واصل الحنف الاستقامة وقيل للمائل القدم احنف تفاؤلا بالاستقامة غير مشركين به
غيره في العبادة وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله لما اخذ في التمثيل عدل عن الضمير الى
الاسم الظاهر في التعظيم المناسب لمقام التهويل فكانما خر من السماء سقط منها فتخطفه الطير
الخطف الاستلاب بسرعة او تهوي به الريح اي تسقط والهوي السقوط في مكان سحيق
بعيد شبه حال المشرك في هلاكه بهلاك لا خلاص له بحال من يخر من السماء فاختطفه الطير فتفرق
قطعا في حواصلها او عصفت به الريح فهوت به في بعض المهالك البعيدة هذا اذا جعلته من
باب التشبيه المركب وتمثيل صورة حاله بصورة حال من هلك على احدى الصورتين وان

جعلته من باب التشبيه المفرد شبهت الفطرة القابلة للتوحيد في علو رتبتها بالسماء والمشرك
بالساقط والاهواء المردية الموزعة افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في تيه الضلال
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك الذي فيه بالمكان السحيق او
للتخيير كما في قوله تعالى او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة لكن على بعد ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله معالم دينه اراد بها الهدايا
لانها من معالم الحج والمختص بما قبلها وما بعدها وتعظيمها اعتقاد كون التقرب بها من معاظم
الطاعات واختيارها حسانا سمانا غالية الاثمان وترك المكاس في شرائها روي ان عمر رض اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار جزاؤه محذوف تقديره فهم متقون حذف لدلالة التعليل القائم
مقامه ولهذا ادخل الفاء الجزائية عليه والضمير في فانها للتعظيمات من عظم شعائر الله من تقوى
القلوب اي ناشئة منها واللام عوض عن المضاف اليه اي من تقوى قلوبهم واضافتها اليها
للاحتراز عن تقوى المرائي لكم فيها منافع كثيرة دينية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها وصوفها
والتصدق بفوائدها الى اجل مسمى الى وقت نحرها ثم محلها الى البيت العتيق ثم موضع حل نحرها منتهى
الى البيت او قريب اليه وهو الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع
دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا
وقربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرئ بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله على ما رزقهم علة
للجعل مبينة ان المقصود من المناسك ذكر الله عز اسمه عليها من بهيمة الانعام فيه تنبيه على ان
القربان لا يكون الا من النعم فالهكم اله واحد فله اسلموا الفاء الاولى للسببية وتقديم له
للتخصيص اي لما كان المقصد الاصلي من وضع المناسك ذكر الله وتوحيده فاعلموا ان الهكم واله
جميع الامم اله واحد فله خاصة اخلصوا الذكر دون غيره واجعلوه له سالما اي خالصا لا تشوبوه
بالاشراك البتة وبشر المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه هيبة لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من
المحن والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها لعظم بدنها مأخوذ من بدن
بدانة وهي الابل خاصة وقد دل عليه الحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم البقر بالبدنة حين قال
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ولا دلالة فيه على صيرورة البدنة متناولة للجنسين

في الشريعة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتدا كقوله والقمر قدرناه
من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تع واضافها الى اسمه تعظيم لكم فيها خير
منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر الله اكبر لا اله الا
الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لانها
تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وصوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند
الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن اليا مطلقا نحو مثل
العرب اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد نحرها قائمة
وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر اي اذا ما تحل لكم الاكل منها
والاطعام والقانع الراضي والمعتر المتعرض بالسوال وقيل القانع السائل من قنعت اليه اذا
خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره
واعتراه بمعنى كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وفرط قوتها
حتى تاخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول
لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة عند النحر من حيث انها لحوم ودما ولكن يناله التقوى
منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص
له والتحرز عنها قيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدم
فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكيرا للنعمة وتعليلا بقوله
لتكبروا الله على ما هداكم اي لتعرفوه بافراده اياكم وتعلموا انه القادر على ما لا يقدر عليه غيره
فتصفوه بالكبريا او تكبروه على انعامه عليكم بالهداية وكيفية التقرب بها فتعديته بعلى على
تضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتون به ويذرونه وانما ترك المبشر به للاشارة
الى انه مما لا تفيه العبارة ان الله يدفع وقرئ يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من
يغالب فيه عن الذين امنوا حذف المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة
الله كفور لنعمته اي لانه لا يحب اضدادهم وضمنه الايماء الى ان اعاديهم الواجب دفعهم هم المشركون
والتنصيص عليهم بانهم الخائنون الكفارون والتعريض بان اضدادهم المومنين هم الامنا الشاكرون

وان الله يحبهم وعلى مقتضى ما ضمنه اي بصيغة المبالغة ولا يقتضي الظاهر نفي محبته عن كل خائن
وكافر بل اثبات بغضه لهما اذن رخص للذين حذف الماذون فيه لدلالته عليه وقرئ يقاتلون
بفتح التا اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان المشركون يوذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الاية وهي اول ما نزل في القتال
بعد ما نهي عنه عليه السلام في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم وارد على سنن
كلام الملوك المقتدرين الجبارين وتاكيد لما سبق من الوعد بدفع اذى الكفار فان النصر ليس
مطلق العون بل العون بدفع الضرر الذين اخرجوا من ديارهم في محل جر بدل من الذين او
نصب باعني او رفع باضمارهم من ديارهم يعني مكة بغير حق يعني موجب استحقوا به الاخراج
الا ان يقولوا ربنا الله ابدال ان يقولوا من حق تاكيد للمدح بما يشبه الذم على طريقة قول
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي بغير موجب سوى
التوحيد الموجب للاعزاز والتمكين والاكرام ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط
المومنين على المشركين بالجهاد لهدمت الهدم كناية عن الابطال والتعطيل على وجه ابلغ
اي لاستولى المشركون على اهل الملل وعطلوا متعبداتهم صوامع وبيع وصلوات الصوامع
جمع صومعة وهي متعبد الرهبان والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى ومصلاهم والصلوات
وهي كنيسة اليهود وسميت صلوة لانها يصلى فيها وقيل كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا بالثاء المثلثة
ومساجد ومساجد المسلمين انما خص التعبير بالمسجد بمصلاهم لان السجدة من اركان صلوتهم
خاصة وانما اخرت عن غيرها لان التقديم من القرب من التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة
بل في جميع ما ذكر لانه كالتعليل لصونها عن التهديم بالدفع للاذكور اسم الله كثيرا صفة مصدر محذوف
اي ذكرا كثيرا ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اخبار من الله عن الغيب ووعد
انجزه بتسليط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم
ان الله لقوي على نصرهم عزيز غالب على امره وفيه تاكيد لوعده الذين بدل ممن ينصره
او صفة اخرى للذين يقاتلون قوله ولولا دفع الله اعتراض ان مكناهم في الارض وسلطنا
لهم في الدنيا اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فاموا بامر
الدين حق القيام وعن عثمن رضه هذا والله ثنا قبل بلا اي اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير

ا احدثوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك في غيرهم من المهاجرين ولله
عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لوعده وان يكذبوك تسلية
لرسوله عليه السلام من تكذيب قومه اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم
قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود صالحا لم يقل فيهما قوم صالح وقوم هود لان
الاصل في التعبير هو العلم والعدول في غيرهما الى التعبير بالامر العام لضرورة فقد العلم وقوم ابرهيم
ابرهيم وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا لم يقل ههنا وقوم شعيب لان المكذبين له
من قومه اصحاب مدين خاصة وكذب موسى غير النظم فيه ولم يقل وقوم موسى لان قومه بنو ا
اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط وافرد له الفعل لتعظيمه وبيان ان تكذيبه كان اشنع
واياته كانت اعظم واسبغ كانه قيل وكذب موسى مع عظم اياته ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره
وبني الفعل للمفعول اتماما للكلام بالتجريد لما سيق له فامليت للكافرين اي فامهلتهم الزاما للحجة
ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة نقمة والحيوة هلاكا
والعمارة خرابا والبقا استيصالا فكاين من قرية منصوب بفعل مقدر يفسره اهلكناها
او مرفوعة بالابتدا والخبر اهلكناها او مرفوعة بالابتدا والخبر اهلكناها يعني باهلاك اهلها
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية جملة معطوفة على اهلكناها لا محل لها من الاعراب على الاول
وفي محل الرفع على الثاني على عروشها متعلقة بخاوية او خبر بعد خبر والخاوي الساقط من
خوى المنزل اذا خلا من اهله والعرش كل مرتفع مظل من سقف او خيمة او كرم اي ساقطة
على عروشها بان خرت السقوف على الارض ثم سقطت جدرانها فوق السقوف او خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها وعلى الوجه الثاني من الاعراب فهي خاوية وهي قائمة مع عروشها
او مائلة مشرفة على السقوف الساقطة بان سقطت السقوف على الارض وبقيت الجدران
مشرفة عليها وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي فيها الما عطلت
وتركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مجصص من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البنا اذا رفعه اخليناه
عن ساكنيه حذف لدلالة معطلة عليه والانسب لهذا ان معنى خاوية على عروشها خالية
مع عروشها والاظهر ان البئر والقصر على العموم اي اهلكناها البادية والحاضرة جميعا
فخلت القصور عن اربابها والابار عن واردها افلم يسيروا في الارض حث لهم على السفر

يعتبروا

ليعتبروا بما رأوا من مصارع المهلكين وبقايا اثارهم وهم وان كانوا قد سافروا ولكنهم
لم يعتبروا فكأنهم لم يسافروا والعدم الفائدة لهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب
ان يعقل من توحيد الله وقدرته عند الاعتبار والاستبصار او اذان يسمعون بها ما يجب
ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم وانما ذكر الاذن دون البصر مع
انه انسب ان يذكر نظرا الى اتساق الكلام للاعتبار بالاثار لان المقصود بيان
حصول طريقي العلم الاستدلالي والاخذ من افواه الرجال والوصول اليهما بالسير للاعتبار
والبصر من وسائل الطريق الاول فلذلك لم يذكر فانها الضمير للقصة وفي قراءة ابن
مسعود فانه على تاويل الشان ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع
اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب اي ما عميت ابصارهم عن
البصائر بل قلوبهم عن الاعتبار والافة في قلوبهم باتباع الهوى والتقليد التي في الصدور
تاكيد لنفي التجوز فانه يقال القلب لب كل شيء والتنبيه على ان العمى المتعارف الذي في البصر
لا اعتبار به وليس بعمى في الحقيقة بالنسبة الى عمى القلب فان العمى الحقيقي هو عمى القلب الذي
محله الصدر فهو مقرر لما ذكر ان الامر على خلاف ما عليه الجمهور من ان العمى انما هو في البصر
حقيقة وفي القلب استعارة قيل لما نزل من كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول
الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويرد عليه انه حينئذ يكون المعنى لا تعمى الابصار
في الاخرة ولكن تعمى القلوب ويرده قوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بالاهمال ولا بالامهال لانه المحال في حق الملك المتعال
وحقيقة يستعجلونك اخبار في معنى الاستفهام على سبيل الانكار اي لم يستعجلون
بالعذاب المتوعد به كانهم شاكون في وقوعه ومحال ان يخلف الله وعده فلا بد من وقوعه
وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي كيف يستعجلون بعذاب
من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد طوال
وكاين من قرية كرره للتهويل وتصوير حالهم في الامتلا وبيان ان الظلمة لا يهملون
غير معذبين امهلوا ولم يهملوا وانما عطف الاول بالفا لكونها بدلا من قوله فكيف
كان نكير وبقاؤها على النسب واما حكم هذه فحكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان

الاستعجال او منكرا اذ لابد من تحقق العذاب أمليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم
اصل من قرية من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع
اليه الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ثم اخذتها بالعذاب والى المصير
الى حكمي مرجع الجميع وتقديم الى للاختصاص والمبالغة للوعيد اي لا الى غيري قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين الخطاب عام للمومنين والكفار والمنذر به قيام الساعة وانما كان
عليه السلام نذيرا مبينا لان بعثته من اشراطها فاجتمع فيه الانذار بها قالا وحالا فقوله انا
لكم نذير مبين كقوله عليه السلام انا النذير العريان وقد دل على ذلك تعقيب الخطاب بالانذار
بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم
عند الحساب لان الحسنات يذهبن السيئات ورزق كريم في الجنة الحسنة الكريم من كل نوع ما اجتمع
فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والافساد وبالطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
واساطير الاولين وتثبيط الناس عنها يقال سعى في امر كذا اذا اصلحه او افسده بسعيه
معاجزين سابقين في السعي جادين فيه مسابقين له او سابقين في زعمهم طامعين ان
كيدهم للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كل واحد من المتسابقين
في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به واذا سبقه قيل اعجزه وعجزه وقرئ معجزين على انه
حال مقدرة اي مثبطين الناس عن الايمان اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم
دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قد سبق تفسيرهما وبيان الفرق بينهما
بعموم الثاني وخصوص الاول ومن شرط في الرسول شريعة مجددة فكانه نبي اعم من
الدلالة في قوله وكان رسولا نبيا على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة الا
اذا تمنى تلا قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليله • تمنى داود الزبور على رسل • القى الشيطان
في امنيته في تلاوته قالوا انه عليه السلام قرأ في نادي قومه والنجم اذا هوى فلما بلغ قوله ومناة
الثالثة الاخرى سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقرأها
متصلا بقراءة النبي عليه السلام وسمع كلامه فقد روي انه نودي احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم
بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا لا يخل بالوثوق على القران للاندفاع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم
الله اياته اي يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان ولحوق الزيادة من الشيطان ولما

بلغ تصحيحا صح

كان الاحكام بهذا الوجه على رتبة من النسخ المذكور صدره بكلمة ثم ولا احتمال لان يكون
هذا الكلام ونظائره كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون من زيادة الشيطان لان
ظهور الاعجاز عند انضمامه الى ما يبلغ به المجموع مقدار اقصر سورة من القران دل على انه من
الرحمن لقوله تع قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية فلا دلالة في الاية على جواز السهو على
الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم والله عليم بما اوحى الى نبيه عليه السلام وبقصة الشيطان حكيم
لا يدعه حتى يكشف ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك وتردد والقاسية قلوبهم الجازمين
بمعتقدهم الباطل مظهرا كان او مضمرا ومن زعم ان المراد من الاول المنافق فكانه غافل
عن ان المنافق اقسى قلبا من الكافر المجاهر وان الظالمين من باب وضع الظاهر موضع الضمير
تسجيلا على الفريقين بالظلم لان القياس ان يقول بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف
بعيد عن الحق ويلزمه البعد عن الرسول وعن المومنين وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد
المطابق للواقع وهم المومنون انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله فلا
يلتبس بما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل فيه فيؤمنوا به فيعتقدوا به ويطيعوا امكانه
فتخبت له قلوبهم بالخشوع والخضوع والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل
عليهم بالتوفيق للنظر الصحيح وللكشف بنور هدايته الى صراط طريق مستقيم هو طريق التاويل
لما يتشابه على الاصول المحكمة فلا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية
قد سبق في اول سورة البقرة الفرق بين المرية والشك والريب منه من القران حتى
تاتيهم الساعة القيمة والمراد اتيان الموت فانه من طلائعها ولذلك قال عليه السلام من مات
فقد قامت قيامته بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
وانما وصف يوم الحرب بالعقم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقر وقيل العقيم
الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا الملك يومئذ اي يوم القيمة
والتنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم لله فلا منازع
له فيه يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم الفريقين دل عليه الحكم بقوله فالذين امنوا الى قوله
عذاب مهين الفاء في جزاء الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل
من الله تع وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل في عذا

كما قال في جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على ان العذاب المهين مخصوص
بهم لايثاركم ثم خص قوم بالوعد الاول تفضيلا فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا
من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا حتف انوفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا
الرزق الحسن الذي لا يلحقه الم الانقطاع ولا سبقه تعب الكسب وذلك في البرزخ قبل دخول
الجنة لان الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين وانما سوى بين
من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الموعد لاستوائهما في القصد وما في وسعهما من العمل
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة دل
هذا على ان ما تقدم من الترزيق قبل دخولها بدل من قوله ليرزقنهم الله ويرضونه صفة المدخل
وهذا وصف بكل جميل لانه وقع موقع الرضا فقد كمل وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه
مجاهدا وآمال من مات وهو منتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوائف
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم
الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان قبضنا معك فانزل الله هاتين الايتين
ذلك للفصل بين الكلامين اي الامر ذلك فما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اي لم يزد في القصاص وانما سميت الجناية المبتداة باسم جزائها الذي هو العقاب لما بين
السبب والمسبب من الملابسة فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا او للازدواج وليتصور
سرعة اداء السبب اليه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اي من جازى بمثل ما
فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور
يستر انواع العيوب وانما وعد المستنصر بهما لانه اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب
الله اليه بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض
بالحث على العفو فان الله مع كمال قدرته وتعالى شانه لما كان يعفو فغيره بذلك اولى وتنبيه
على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ذلك بسبب ان الله قادر على التصرف في العالم
على وفق مشيته ومقتضى حكمته وما ذكر من التغييب خاصة في الملوين بتغييب احدهما
في الاخر كناية عن التصرف في الافلاك بالتحريك على وجه عليه مدار الكائنات في عالم الكون
والفساد كيفيات والنصر المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة وان الله لسميع لما يقولون

ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلف الاصوات في النهار يعقبون اللغات بصير بما
يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق
اي ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب ان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب
لذاته وكلما كان كذلك كان مبدأ لما سواه عالما بذاته بما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح
لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه من دون الله وقرئ بالتاء على مخاطبة
المشركين وبالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه من معنى الالوهية هو الباطل المعدوم في حد
ذاته او الباطل الالوهية وان الله هو العلي اي العالي على كل شيء بالقهر والسلطان بدون توهم
المكان الكبير عن ان يساويه شيء فضلا عن ان يكون اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان
الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولهذا رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل
اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني انعمت عليك فتشكر والمقصود اثباته
والرفع لعطفه على انزل وسببه مثبت البتة كذلك في المثال لانه عطف على انعمت واما النصب
فلا وجه له الا التسبب عن الاستفهام ويؤول المعنى في المثال الى ما رأيت فما شكرت اي لو رايت
لشكرت وكذلك في الاية على ان فيها مانعا اخر وهو ان اصباح الارض مخضرة لا يصلح ان
يتسبب عما بعد الاستفهام وانما عدل عن الماضي ولم يقل اصبحت لاستحضار الحال الماضية
والتنبيه على كمال صنع الصانع بالمشاهدة والدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ
مخضرة على مفعلة اي ذات خضرة كمبقلة ومسبعة ان الله لطيف واصل فضله وعلمه الى كل
شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض ملكا وان الله لهو
الغني في ذاته عن كل شيء وما سواه محتاج اليه الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم
تر ان الله سخر لكم ما في الارض من علها متسخرة لنا ما بنا حاجة اليه في معاشنا من الحيوان وغيره
فلا اصلب من الحجارة والحديد وقد ذللهما نتخذ منهما ما نريد فقوله ما في الارض عام لكن المراد ما
ينفعنا بقرينة قوله لكم والفلك عطف على ما وقرئ بالرفع على الابتداء وتجري في البحر بامره حال منها
او خبر ويمسك السماء بيد القدرة ان تقع من ان تقع او كراهة ان تقع على الارض الا باذنه
الا بمشيته وفيه رد لاستمساكها بذاتها واما قيل انها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية
فتكون قابلة للميل الهابط منظور فيه ان الله بالناس لرءوف رحيم لفتحه عليهم ابواب المنافع
ودفعه عنهم اسباب المضار والرأفة ابلغ من الرحمة وانما قدم عليه محافظة على الفاصلة وكذا التقديم

بالناس عليها لها وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم
اذا جاء اجالكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من النعم مع ظهورها
لكل امة جعلنا منسكا كرره بغير واو للتاكيد والتعميم وتعليق الزيادة به وجي بالواو في الاول
لانها وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطف عليها واما هذه فواقعة
مع اجانب من معناها فلم تجد معطفا هم ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك سائر ارباب
الملل في الامر في امر الدين والنسائك لانهم جهال او اهل فساد او لان امر دينك اظهر من
ان يقبل النزاع وقيل انه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية
الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهم اهل مراء وعناد اي لا تلتفت اليهم ولا تمكنهم من ان
ينازعوا او عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه وهذا انما يجوز في
الفعل الذي بين اثنين وروي انها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما
قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا
يمكنهم ان يزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه وقال
الزجاج هو من باب المغالبة اي لا يغلبنك في المنازعة من نازعته فنزعته اي غلبته
في النزاع وادع الناس الى ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك
فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا الا المجادلة بعد وضوح دينك واجتهادك في ترك
النزاع فادفعهم بان الله اعلم بما تعملونه من الجدال الباطل والعناد فيجازيكم عليها وهذا
وعيد مع رفق الله يحكم بينكم يفصل بينكم بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين كما فصل في الدنيا بالآيات
والبينات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بما يلقى منهم ومن تمام التسلية تقرير علمه بمضمون ما ذكره بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض من الغيب والشهادة ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه
وتنكيره لانه ليس من جنس الكتب المتعارفة ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة
الحاجة في الحفظ الى الكتابة دفعه بقوله ان ذلك اي الاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ
على الله يسير لعدم الحاجة الى الآلة فان علمه مقتض لذاته فلا يخفى عليه شيء فلا يهمنك امرهم ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم لم يتمسكوا في جوازه ببرهان نازل بالوحي
من عند الله ولا بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا من جهة النقل ولا من

جهة

جهة العقل وانما قدم الوجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة وفي العبارة عنه بما ذكر اشارة
الى انه مع انقسامه الى اربعة اقسام في علم الاصول مرجعه الى الوحي واعادة عبارة ما مع عدم الحاجة
اليها في افادة المعنى المذكور كاعادتها في قوله ما لا يضره وما لا ينفعه وما للظالمين والذين
ظلموا الظلم الشنيع من نصير يعينهم بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل
على المشركين بالظلم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد
الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا اي يظهر فيها ظهورا بينا حتى يعرفه كل من يراه
المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار
بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او الامر المنكر الفظيع من اثار الغيظ والقصد به
من الشر يكادون يسطون السطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم آياتنا هم النبي عليه السلام
واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من
الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار
او مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر
وعلى هذين الوجهين يحتمل ان تكون الجملة حالا باضمار قد وان تكون استئنافا كما اذا
وقعت خبرا وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حالة غريبة سميت مثلا
على سبيل الاستعارة لان الامثال انما سيرت لكونها مستغربة فلهذا الوادي الناس لها
واكد غرابتها بقوله فاستمعوا له وابهم وبين ان الذين تدعون اي تدعونه وقرئ يدعون
مبنيا للمفعول من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا الذباب من الذب لانه يذب
سمي ذبابا لانه كلما ذب استقذارا منه لاستكباره وتخصيصه لمهانته وضعفه وتاكيد النفي
بلن للدلالة على استحالة خلق الذباب كانه قال محال ان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر
له المدلول عليه بالمذكور في موضع الحال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين
له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
اي هذا الخلق الاذل الاقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا
عليه عن ابن عباس رض انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فاذا سلب
الذباب عجز الاصنام عن اخذه والظاهر ان المراد جعل امتناع خلقهم ذبابا وامتناع
استنقاذهم منه عند سلبه شيئا منهم مثلا لانتفاء قدرتهم المستلزمة لانتفاء الالوهية التي

تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات وتستحق بها العبادة فان من لا يقدر على خلق احقر شئ
بل على الاستنقاذ به كيف يستحق ان يعبد عبادة من له كمال القدرة على ايجاد كل شئ وتسخيره
وهذا غاية في تجهيلهم واستركاك عقولهم ضعف الطالب والمطلوب الصنم الطالب للاستنقاذ
والذباب المطلوب ان يستنقذ منه وفي هذا التذييل ايهام التسوية وتحقيق ان الطالب
يعني الصنم اضعف لانه قدم عليه ان هذا الخلق الاذل هو السالب وذلك طالب خاب عنه
طلبه ولما اجراهم مجرى العقلاء باثبات الطلب لهم وبين انهم اضعف من اذل الحيوان فقد نبه
به على مكان التهم في ذلك ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به
وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة واوغل في الاتصاف باضداد صفاته ان الله
لقوي قادر على خلق الممكنات كلها عزيز غالب على كل شئ ولا يغلبه شئ فكيف يشرك به
ما هو احقر الاشياء واعجزها واذلها ولما قرر الوحدانية ونفى الكثرة الانداد واراد ان ينفي عنها ما
يدعون لها من التوسل بها الى الله تع والتقرب اليه بتوسطها فقال الله يصطفي يختار
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبيا بالوحي ومن الناس رسلا يبلغون رسالته
اي من دونهم ويدعونهم اليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين الصنفين ولا تقرب الى الله
بغيرهما ففيه نفي لما ادعوه من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله
ورد لما بهم واعتقادهم ان الرسول لا يكون من البشر ان الله سميع لاقوال الرسول فيما تقبله العقول
بصير باحوال الامم في الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر لا تخفى منهم خافية والى
الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها ومدبرها فلا اعتراض لاحد على حكمه وتدبيره
واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير درج في هذه
الاوامر من الاخص الى الاعم فامر بالصلوة المشتملة على اصناف الطاعات من القلبيات والقوليات
والبدنيات وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها ثم بمطلق العبادات كالصوم
والزكوة والحج ثم بسائر الخيرات كصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاصلاح بين الناس
وامثالها وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا
بالجمع بينهما في الصلوة لعلكم تفلحون اي فعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح غير مستيقنين به
متكلين على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رض قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال
نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر رض فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج

الشافعي

الشافعي فراى السجدتين فيهما وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون
قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله في شانه
ومن اجله امر بالغزو او مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر لقوله عليه السلام عند رجوعه من
غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا حقا اي خالصا
لوجه الله فاضيف الحق الى الجهاد للمبالغة كقولك هو حق عالم ثم اضيف الجهاد الى ضمير الله اما
للملابسة لاختصاصه به من حيث انه مفعول لاجله او للاتساع في الظروف هو اجتباكم اختاركم
لدينه ونصرته وبنا الفعل على الضمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد اي هو وحده اجتباكم
دون غيره والذي اجتباه الله بنفسه لا بد له من الجهاد الاكبر لقضاء حق القرب والولاية
والاصغر لقوة يقينه ووثوقه بحفظه وكلائته ولاعلاء كلمته واعزاز دينه ففيه دليل على
المقتضي للجهاد في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم
على انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه وضمنه الاشارة الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به
حيث شق عليهم اذا امرتكم بشئ فاتوا به ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لكم من كل ذنب مخرجا بان
رخص في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات
في حقوق العباد فلا ذنبا الا وقد جعل لكم منه مخرجا ويرد عليه ان الحرج لا ينتفي بوجود المخرج
في الجملة لما عرفت انه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة ابيكم نصب على الاختصاص اي اعني
بالدين ملة ابيكم او على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم على المصدر اي وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ابرهيم عطف بيان وانما جعله ابا
لان كل نبي ابو امته من حيث الحقيقة وهو كان ابا محمد عليه السلام وابو الاب او لان اكثر
العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو اي الله تعالى سماكم المسلمين من قبل من قبل القران
في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقيل الضمير لابرهيم وهو وان لم يسمهم فيه المسلمين
لكن سموا به بسبب تسميته ابيهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله
وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ويشهد للاول قراءة ابي رض سماكم اي هو خصكم بالاجتباء
وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم او باجتباكم شهيدا عليكم
بانه بلغكم او بعصيان من عصى وطاعة من اطاع وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل
قد بلغتهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي واذ قد خصكم بهذه الكرامة والشرف فاعبدوه

ونوبوا اليه بانواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم هو مولاكم فلا
تطلبوا النصر والولاية الا منه فنعم المولى ونعم النصير حيث لا يمنعكم رزقكم بعصيانكم عنكم المضار

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون قد تثبت المتوقع كان لما تنفيه واذا دخلت على الماضي
دلت على ثباته والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة عن المهروب اى فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا
وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اذا اوصله الى الفلاح وعليه قراءة قد افلح
على البناء للمفعول وقرى قد افلح بالقاء حركة الهمزة الى الدال وحذفها وقرى قد افلحوا على الابهام
والتفسير اى على لغة اكلوني البراغيث وافلح بضمة اكتفى بها عن الواو ولما كان المومنون متوقعين
لمثل هذه البشارة من فضل الله بشروا بما دل على ثبوت ما توقعوه والمومنون في اللغة المصدقون
واما في الشريعة فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في تفسير سورة البقرة الذين هم في
صلوتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب مع التواضع والقاء النظر موضع السجود
روى انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فنزلت فنظر نحو مسجده والذين هم عن اللغو
معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عن اللغو وهو ما لا يعنيك من قول او فعل كالهزل وكل ما
يوجب المروة الغاء لما ذكر الخشوع اتبعه الاعراض عن اللغو ليجمع بين فعل ما ينبغي ان يترك وهما الاصلان
اللذان عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصاف المومنين بايراد الصلات جملا اسمية وتقديم
صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل وايراد الاعراض مكان الترك لان اصله ان يكون
في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والبعد عنه بالكلية مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون اى للتزكية فاعلون لان الفاعل لا يفعل الا الحدث
الذي هو المصدر ولهذا سمي المفعول المطلق ويمكن ان يفسر بالعين ويقدر مضاف اى لاداء
الزكوة وانما لم يقل مودون لان في زيادة فاعلون دلالة على المداومة والذين هم لفروجهم
حافظون الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمراة حافظون من قولهم احفظ على عنان فرسي بمعنى
امسكه ولا بد فيه من تضمين معنى النفي ليصح الاستثناء اى يمسكون لا يطلقونها على احد الا على
ازواجهم حال اى والين على ازواجهم او قوامين عليهن والمعنى حافظون في كل حال الا في حال
ولايتهم على ازواجهم او متعلق بمحذوف دل عليه فانهم غير ملومين اى يلامون على كل مباشرة

الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين او ما ملكت ايمانهم اى اماؤهم ولم يقل من اجرا للمماليك
مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل في غيرهم والحرية فيهم او لان الاناث لنقصان عقلهن من
جنس غيرهم وانما قال ما ملكت ايمانهم ولم يقل ما ملكوا لان ملك اليمين في مقابلة ملك المتعة
الظاهر من قرينة اشعارا بانحصار سبب حل الوطء في الملكين المذكورين لا يتعدى الى ملك
الرقبة فانها اذا خلت عن ملك اليمين كما في المكاتب لا يوجد الحل المذكور فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اى فان اطلقوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا وجب الوقوف عنده
وحذف مفعول الابتغاء للتعميم وجاء باسم الاشارة اى فاولئك المبتغون ووسط الضمير
وعرف العادون اى من احدث ابتغاء وراء ذلك الحد بعد هذه الفسحة والاتساع فاولئك
الكاملون في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة في التحذير عن الزنا وافرده
بالذكر بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها
خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم قيل ما يؤتمنون عليه ويعاهدون عليه من جهة الحق او
الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف عن الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما يراعى راعون الراعي
القائم على الشيء بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقرى لامانتهم على الافراد لانها في الاصل
مصدر او لامن الالباس والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في
اوقاتها وجاء بلفظ الفعل مع ما فيها من التجدد والتكرار والفعل المضارع في الجملة الاسمية
يدل على دوام التجدد وقرى بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها وانواعها ولم يورده
فيما سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب في جنس الصلوة وفي بدء الاوصاف
وختمها بذكرها تعظيم لشانها واعلاء لقدرها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
هم الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اى يصلون اليه ويالى ما فيه
من النعيم المقيم بلا تعب الكسب ويبقى في ايديهم فان الوراثة اقوى سبب التملك حيث لا يعقب
لفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد ولا اسقاط والفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف
الثمر وفي اطلاق الوارثين تقييدهم وما يرى من النعيم لما يرثونه وتعظيم واستعارة الوراثة
وايراد اسم الاشارة اشعار بانهم استحقوا ذلك الخطب الجليل من تلك الاعمال والصفات لا
لا استهاله بل لمقتضى وعده وهذا القدر يكفي في التحريض هم فيها خالدون انث الضمير على

ويعينكم على جلب المسار ودفع

تاويل الجنة او الطبقة فانه اوسط الجنان واعلاها طبقة ومن هنا تبين ان ما قيل انهم
يرثون من الكفار منازلهم حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار لا يناسب المقام ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة صفوة الشيء تخرج منه
كانها تسل منه كالصفاوة فعالة بمعنى مفعول فيه معنى القلة كالعلالة والقمامة والسلالة
ومن هنا للابتدا متعلقة بخلقنا وفي قوله من طين للبيان صفة لسلالة والانسان ادم ثم
جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف لقوله تعالى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من
ماء مهين او الجنس لانه لما خلق اول فرد منه من سلالة من طين وسائر افراده خلقوا من ذلك
الفرد كان الجنس مخلوق من سلالة من طين واما ما قيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه والسلالة
نطفة فلا وجه له لما قيل من اخراجه عليه السلام من الجنس المذكور حيث جعل مخلوقا من نطفة نطفة
بان خلقناه منها في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم سمي المستقر بالقرار مبالغة كانه
نفس القرار ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد المجازي تتميما لامر المبالغة
ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد زمان فخلقنا العلقة
مضغة قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما فانبتنا
عليها لحما فصار لها كاللباس ووحد عظما وصنع للواحد موضع الجمع لعدم اللبس واختلاف
العواطف لاستحالات وتكونات في التراخي وعدم فهم للاستحالة الزمانية والف للتكوين الآني
لازم في قوله ثم انشاناه فانها مستعارة لما بين الخلقين من التفاوت خلقا اخر التنكير للتنويع
اي نوعا اخر من الخلق مباينا للخلق الاول بنفخ الروح فيه وجعله حيوانا ناميا بعدما اذ كان
جمادا فجعله حيا سميعا بصيرا ذا اعضاء ظاهرة وباطنة في كل واحد منها عجائب حكم وغرائب
صنع ولطائف لا يفي بها وصف واصف ولا يبلغها شرح شارح واحتج به ابو حنيفة على
ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله
فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن بدل او خبر مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان
اضيف لان المضاف اليه عوض من من الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه روي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت قال عبد الله
ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه الرواية

غير صحيحة لان السورة مكية وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الراوي ثم انكم بعد ذلك
لميتون لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل
وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والجزاء ومعنى التراخي قد علم من الظرف فايراد
اداته ليس لافادته بل لاستحقاق البلاغة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لان بعضها
طورق فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه واما العرش والكرسي فليسا من
الطرائق لعدم المماثلة بينهما وبينها وما كنا عن الخلق وما كنا عنها وعن حفظها وعن امساكها
غافلين وفي التعبير عنها بالخلق فضل مبالغة في تعظيم شانها وزيادة مكن لاستمرار النفي لا لنفي
الاستمرار وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير تقتضيه الحكمة او بمقدار علمنا من صلاحهم فاسكناه
في الارض فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض انهارا وينابيع وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما قدرنا على انزاله وفي تنكير ذهاب
ايما على كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد وتعديته بالباء تاكيد له دال على ذهاب
هو معه بمنعه من الظهور ليس في الاذهاب ذلك وهو في غاية البلاغة زعموا انه ليس في
قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين هذه المبالغة والبلاغة وليس الامر كما زعموا
على ما نقف عليه في موضعه باذن الله تعالى فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها
فواكه كثيرة من غير الجنسين المذكورين تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها
تاكلون تغديا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز
ان يكون المراد لكم في النخيل والاعناب من الفواكه كالرطب والعنب والتمر والزبيب والبسر
والحصرم والدبس والعصير وغير ذلك ومنها طعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشا لكم به من شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى
عليه السلام اما اسم مركب من المضاف والمضاف اليه كامرئ القيس واما اسم مضاف الى بقعة اسمها
سيناء فمن كسر سين سينا منعه من الصرف للتعريف والعجمة والتانيث على تاويل البقعة لا
للالف لان الف فعلاء ليست للتانيث فانه فيعال كديماس من السناء وهو الرفعة او بالقصر
وهو النور او ملحق بفعلال من السين كعلباء وحرباء ومن فتح السين منعه لالف التانيث
كصحراء تنبت بالدهن في موضع الحال اي تنبت ملتبسة بالدهن ويجوز ان تكون الباء
للتعدية كما في قولك ذهبت بزيد وبه يؤيده قراءة ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ للآكلين

وقرئ تُنبِت الدهن من الانبات وهو بمعنى نبت واصله دخل فى النبات واما حذف مفعوله
اى تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع
بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ
وصباغ كدباغ فى دبغ وانما خص الانواع الثلاثة بالذكر من بين الثمار لانها اكرم الشجر وافضلها
فان النخل والعنب يجمعان التفكه والتغذى والزيتون يجمع الاصطباح والاصطباغ وان
لكم فى الانعام لعبرة تعتبرون بها وتستدلون بها نسقيكم مما فى بطونها من الالبان على
ما نص عليه فى سورة النحل استئناف لبيان العبرة ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها
تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون فى اسفاركم وقد
غلب استعمال الانعام فى الابل ولذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله فقصته وسائر القصص مسوق لبيان الكفران من الناس
النعم المتلاصقة حتى ابتلوا بزوالها ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ
استئناف يجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم
نعمه ويهلككم بعذابه برفضكم عبادته بعبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها والهمزة
الداخلة على الفاء لانكار التعقيب بل للتعقيب الانكار فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من
قومه قد سبق فى تفسير سورة الاعراف وجه توصيف الملأ بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم
كناية على زعمهم عن نفى الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل ويترفع عليكم
بالرياسة ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين
بكون البشر رسولا او بنوح ونبوته او بما يامرهم من تخصيص الله تع بالعبادة ونفى كل
من دونه من الالهة اى بمثل هذا الكلام وذلك لكونهم فى فترة متطاولة او لعنادهم وانهماكهم
فى الغى فيكذبوا فى ذلك لان يدفعوا الحق بما امكنهم ولهذا جننوه حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة
مع علمهم انه ارجح الناس عقلا والجنة الجنون فتربصوا به فانتظروا حتى حين اى هو مجنون
فلا تعجلوا فى عقوبته بل دعوه الى مدة فاما ان يموت او يرجع عن هذا او تفعلون به ما شئتم
قال رب انصرنى عليهم بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى او بدل
تكذيبهم اياى فاوحينا اليه اى اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا مبالغة

فى الحفظ كان معه من الله حفاظا يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عليه مفسد عمله ووحينا وامرنا
وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بعذابنا والمراد منه مجيئه ظهور طليعته وهى فوران الماء من
التنور وانما قال وفار التنور مبالغة اخرج بسبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ فى
الانذار والاعتبار روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت
ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب فاسلك فادخل فيها
سلك يجئ لازما ومتعديا وجاء اسلكه بالنقل من اللازم من كل بالتنوين اى من كل امة زوجين
واثنين تاكيد وبالاضافة اى من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين واهلك
اى اهل بيتك ومن امن معك الا من سبق عليه القول اى القول من الله باهلاكه بكفره
وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى منهم من اهلك وهذا يابى عن تخصيص تفسيره لمن امن ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا
وهذا نهى عن الدعاء لهم بالانجاء على ابلغ وجه ومن خص الخطاب بالدعاء فقد اخل بحق البلاغة جعل
النهى عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة موضع الضمير ولم يقل ولا
تخاطبنى فيهم ايماء الى العلة وتلويحا ان الحكمة تقتضى هلاك الظالم استئناف قوله انهم مغرقون
بالتاكيد اى لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ثم بالغ فى ذلك بامره بالحمد على هلاكهم والنجاة
منهم عقيب النهى عن الدعاء فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم عليها
راكبين فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين امره بالحمد على نجاته ونجاة من معه اشارة
الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة فى حقه وامتنانا بها ايضا ولو قال فقولوا لم يحصل
هذا المعنى وايضا كبرياء الربوبية تقتضى ان لا يتوجه الى الخطاب بغيرهما الا من مثله وان
كلامه يغنى عن كلامهم ولا يستاهل الاجابة الا الامثل وقل رب لما نهاه عن الدعاء لانجائهم امره
بدعاء هو اهم وانفع وهو ان ينزل منزلا مباركا انزلنى فى الارض من السفينة لا فى السفينة
لانه عبر عنه سابقا بعبارة تدل على الصعود وقد حصل الفراغ عنه وعن اظهار الامتنان
بما ترتب عليه من نعمة النجاة منزلا مباركا يبارك لى فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسالته امره بان
يشفعه بها مبالغة فيها وتوسلا به الى الاجابة انما امره بالقولين المذكورين لا بالحمد والدعاء
بالعبارتين المذكورتين ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر

اولوا الاستبصار والاعتبار وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والمعنى ان الشان والقصة كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر
ويذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقيل لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وليس في الاخبار
به كثير فائدة ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين عادا قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح فانه قول هود لا قول صالح ومجئ قصة هود اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وهود والشعراء فارسلنا فيهم اي بين ظهرانيهم وفي زمرتهم ولم ياتهم من موضع اخر رسولا
التنكير للتعظيم منهم من قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم
على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه وادخال الهمزة على الفاء لانكار عدم التقوى
بعد العلم بانه لا اله غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العالم به لتمكنهم من العلم به وتنبيه على ظهور الدلالة
على ذلك وقال الملا من قومه الذين كفروا لما تضمن ارسلنا معنى القول عطف عليه قولهم بالواو
اي اجتمع في الحصول ذاك الحق وهذا الباطل وكذبوا بلقاء الاخرة اي بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء
يعني بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في
الحال والصفة ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة ولذلك ترك في
قصة نوح لترك قيد المماثلة وما خبرية وحذف العائد الثاني لدلالة ما قبله او لشياع حذف
المنصوب اي يشربونه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه انكم اذا واقع في
جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا
اتباع امثالهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما كان كونه ترابا معلوما
بطريق العقل وكونهم عظاما شاهدا معلوما بطريق الحس كان الثاني اشد دفعا في الاستبعاد
عند العامة فلذلك اخره بل نقول لولا مشاهدة العظام لكان الوهم يعارض العقل في
كونه ترابا فهو كالتتميم للاول ولذلك تراه يذكر موخرا في جميع المواضع انكم مخرجون من العدم
الى الوجود تارة اخرى وثني انكم للتاكيد وحسن ذلك لطول الفصل بين الاول والثاني ومخرجون
خبر عن الاول واذا الظرفية او محذوف الجواب لدلالة ان مع اسمها وخبرها عليه وانكم مخرجون
مبتدا خبره الظرف والجملة خبر ان الاولى اي انكم اذا متم وقع اخراجكم هيهات هيهات من اسماء
الافعال واقع موقع بعد وفاعلها مضمر اي بعد التصديق او الوقوع واللام في لما توعدون
للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما الذي له هذا الاستبعاد قالوا

لما توعدون او فاعلها ما توعدون واللام زائدة اي بعد ما توعدون من البعث وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء
هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا فوضع هي موضع الحيوة لدلالة
الخبر عليها حذرا عن التكرار واشعارا بان تعيينها مغن عن التصريح كقوله هي النفس ما حملتها
تحمل والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي بمعنى الجنس
فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت ونحيا يموت منا بعض ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث
والمفتري قد يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته الى المفترى عليه فقوله كذبا
لدفع هذا الاحتمال وهذا غاية الضلال وما نحن له بمؤمنين بمصدقين وتقديم له للمحافظة على
الفاصلة قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون قد سبق تفسيره فاجاب الله تبارك
وتعالى حيث قال عما قليل عن يتعلق بيصبحن وما زائدة لتوكيد معنى القلة او بمعنى شيء او
زمن وقليل صفة له وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين على ما فعلوا اذا عاينوا ما
يحل بهم فاخذتهم الصيحة العقوبة الهائلة لا صيحة جبرئيل عليه السلام وعلى اخوانه من الملائكة
والناس لما عرفت ان القصة قصة هود عليه السلام وعلى اخوانه لا قصة صالح عليه السلام بالحق
باستحقاقهم ذلك او بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله تبارك وتعالى او بالوعد
الصدق فجعلناهم غثاء شبهناهم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق
والعيدان وهذا التشبيه يناسب حال قوم هود فبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من
المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها واللام في للقوم الظالمين لبيان من دعي
عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ويحتمل الاخبار ثم انشانا من بعدهم قرونا
اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من مزيدة للاستغراق امة اجلها
الوقت الذي عين لهلاكها وكتب وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى
والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة
وقع حالا والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقور اي متواترين واحدا بعد واحد من
الوتر وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى المرسل ومع

المجي الى المرسل اليهم لان مبدأ الارسال منه ومنتهى المجي اليهم فالرسول يلابسهما جميعا فصح اضافته
اليهما فاتبعنا بعضهم بعضا فاتبعنا بعض الامم او القرون بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا
يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث الرسول عليه السلام وتكون
جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم سبق تفسيره انفا
لا يومنون به ثم ارسلنا موسى واخاه هرون للاشعار بان ارساله عليه السلام كان تبعا لموسى
عليه السلام تعرض لاخوته له وترك ذلك الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه باياتنا
بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة تظهر بطلان المخالف ويجوز ان يراد به العصا
وافرادها بالذكر لانها ام المعجزات واولاها وتعلقت بها معجزات شتى كما ذكر انها ليست بعصيها
لما استندت به من العصل ويجوز ان يراد الايات انفسها لانها ايات وحجة بينة الى فرعون
وملائه لاستخلاص بني اسرائيل عن ايديهم على ما افصح عنه في سورة الشعراء حيث قال فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم يذهبوا معنا الى الشام
فاستكبروا عن تصديقهما في الرسالة المذكورة وعن الائتمار بامرهما لا عن المتابعة لانهما عليهما
السلام لم يدعوهم اليها دل على ذلك قولهما خلهم يذهبوا معنا الى الشام وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا انؤمن انذعن وننقاد لبشرين مثلنا البشر اسم جنس كما يطلق على الجمع كقوله فاما ترين
من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا وبهذا الاعتبار ثني ومثل كغير يوصف به
الاثنان والجمع والمذكر والمونث لقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما
مثلاه وهم امثالهم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون على الحقيقة كانه كان يدعي الالهية
فادعى للناس العبادة فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا بعد اهلاكهم موسى
الكتاب التورية لما كان ايتاؤه موسى عليه السلام في حكم ايتائه قومه قال لعلهم يهتدون
بشرائعها ومواعظها فان الاهتداء بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بعلمها
وجعلنا ابن مريم عبر عنه بكنيته دون اسمه لما فيها من الاشارة الى وجه كونه اية وهو
ولادته من غير اب وذلك ان الاصل في النسب هو الاب فلا يعدل عنه الا عند فقده
وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فهما معا اية واحدة او وجعلنا ابن مريم اية بان
تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة
الثانية عليها واويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي بيت المقدس وقيل غيره

ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها
لاجلها ومعين المعين الماء الجاري على وجه الارض مفعول من عانه اذا ادركه بالعين نحو
ركبه اذا ضربه بالركبة اي يدرك بالعين لظهوره فميمه على هذا زائدة او فعيل من معن الماء
اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون الذي هو المنفعة اي نفاع فميمه اصلية
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين
في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه او خطاب لمحمد
عليه الصلوة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من الغنائم او لعيسى عليه السلام
لاتصال الاية بذكره وكان ياكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل
والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر للتنزيه والاباحة ومع الاحتمال الاتم الاحتجاج
به على الرهابنة في رفض الطيبات بالمعنى الثاني واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون
عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه بالكسر على الاستيناف وبالفتح بمعنى ولان والمعلل فاتقون
او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه وقرئ
بالتخفيف امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة في اصول الشرائع والمعتقدات او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة في التوحيد والايمان ونصبها على الحال وانا ربكم وحدي فاتقون
في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع بمعنى قطع والضمير لما دل عليه الامة من اربابها
او لها امرهم بينهم ما امروا به من الشرائع والاحكام زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم كل يجعل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا ويؤيده
قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة مستعارة من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من امرهم او من
الواو كل حزب كل فرقة من فرق هولاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب والدين
او من الهوى والراي فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها
في غلبتها عليها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء
لما هم عليه من الباطل حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي
عن الاستعجال بعذابهم ايحسبون انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان
لما لا خبر له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فجوزه نسارع لهم في

الخيرات والعائد من خبر ان الى اسمها محذوف اى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب
جزا على حسن صنيعهم ويجوز ان يراد في جزا الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين بل اضراب
عما يحسبونه لا يشعرون اى هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا
في ذلك فيعلموا انه استدراج لا مسارعة في الخير ان الذين هم من خشية ربهم الخشية
خوف يشوبه التعظيم مشفقون فاضون لحق الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والاشفاق
خوف مع اعتنا والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون يصدقون مدلولها
ونزولها من عند الله والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما
اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه من
الطاعات وقلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيواخذوا به والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما يكره انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فيها اشد الرغبة فيبادرونها والاحسن طباقا
لما تقدم والاشد وفاقا لان المعنى انهم يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية ويتعجلون في
الدنيا المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها لقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين
وهم لها سابقون اى لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون
اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا حال من فاعل يسارعون عطف الجملة.
لها صلة سابقون او علة او خبرهم وسابقون خبر بعد خبر ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على السامعين ولدينا
كتاب اى ما عملوه غير ضائع بل مثبت في كتاب اى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق
يبين الصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان
ثواب وتقديمهم للمحافظة على الفاصلة ثم عاد الى ذكر الكافرين فقال بل قلوبهم في غمرة
في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به السابقون ولهم اعمال خبيثة من دون
ذلك متجاوزة عما وصفوا به والاشارة بذلك للتعظيم هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والعلهز والاولاد
اذا هم يجأرون الجؤار الصراخ بالاستغاثة اى فاجأوا به وهو جواب الشرط والجملة
مبتدأ بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اى يقال لهم
لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اى لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا
او لا يلحقكم نصر من جهتنا قد كانت اياتي يعني القران تتلى عليكم اى فاستمر تجدد تلاوته عليكم
وقتا بعد وقت فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون عنها اى عن سماعها وتصديقها على
اشنع وجه مستمرين على ذلك والنكوص ان يرجع القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما
وراءه مستكبرين على المسلمين به بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا
اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار او باياتي لانها في معنى كتابي ومعنى
استكبارهم به تكذيبهم به استكبارا على التضمين او مستكبرين بسببه اى اذا تتلى عليكم حدث
بسببه استكباركم او بتعليق الباء بقوله سامرا اى تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وذلك
انهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع او بقوله تهجرون وهو من الهجر بالفتح الهذيان
وبالضم الفحش وقرئ تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر
اذا هذى اى تعرضون عن القران وتهذون في شانه او تفحشونه افلم يدبروا القول القران
ليعلموا عند تدبره انه الحق المبين فيصدقوا به ولمن جاء به او ليخافوا عند تامل اقاصيصه
مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين والهمزة للتقرير والتوبيخ اى ابعد وضوح اياتي المتلوة
عليهم لم يتدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين منقطعة اى عدم تدبرهم اجاءهم
ما لم يات اباءهم الاقدمين من كتاب او رسول او امن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف
اباؤهم الاقدمون كاسمعيل عليه السلام واعقابه فالهمزة هذه للانكار ويجوز ان يكون المراد
بالاولين الذين مضوا ممن سبقوهم من الاقربين الذين قلدوهم فيكون الهمزة للتقرير ايضا
ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكر وانكار لعدم معرفتهم اياه لانهم عرفوه بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبيا فهم له منكرون تفريع
على عدم معرفتهم اياه فيدخل تحت الاضراب والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الوجوه

لان الاتي بعده من جملة الوجوه فلا وجه للفصل بينهما بما ذكر ام يقولون به جنة اضراب
وانكار ايضا لقولهم به جنة لانهم كانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم رايا واصوبهم نظرا
ويجوز ان تكون الهمزة للاستفهام وام هي المتصلة ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي
هي احسن اي هذه الامور كائن كما يقول المناظر ان الامر لا يخلو من احد هذه الاقسام كلها باطلة
الا القسم الاول وهو عدم التدبر وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لمخالفته
اهواءهم فلذلك لم يتدبروا وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من
توبيخ قومه او لقلة فطنته ولعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق على سبيل الفرض والتقدير
كما تعرض المحالات اهواءهم في الشرك بان كان في الوجود آلهة شتى لفسدت السموات والارض
كما سبق تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا او ولو اتبع الحق الذي قام به
السموات والارض اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى شيء منه او ولو اتبع
الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو الاسلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك
العالم من فرط غضبه ولم يؤخروا ما قيل معناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا ففيه ما لا يخفى من جرأة على الله تعالى وسوء ادب فاحش
ومن فيهن خص العقلاء تنبيها على ان وجود الغير تبع لهم بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي
هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر باسمه تفخيما وام سفي
ام تسألهم منقطعة خرجا وقرئ خراجا والخرج والخراج ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى
كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان
الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكرد زاد اللفظ لزيادة المعنى ولهذا
حسنت القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فخراج ربك
فالكثير من عطاء الخالق خير ففيه مندوحة لك عن عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة والتنكير ههنا للتعظيم ولما
الزمهم الحجة وازاح العلة بحصر الاقسام التي تقتضي الانكار والاتهام وبين انتفاءها
لا عدام التدبر وكراهتهم الحق لمخالفته اهواءهم واقام الدلائل على امتناع موافقته لما هم
عليه من التقليد واتباع الهوى لما يلزم ذلك من الفساد الكلي ثبت ان ما عليه هو الصراط

المستقيم البين استقامته بشهادة العقول السليمة والفطرة الصافية وانه يدعوهم اليه
وانهم لنكوبهم عن الصراط المذكور لعادلون وانما عدل عن قوله وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون عن الضمير الى الموصول للتنصيص على علة عدولهم وليكون كالبرهان
على عدولهم لدخولهم في الموصول دخولا اوليا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط
للجوا لتمادوا في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين
يعمهون لعادوا الى ما كانوا عليه من اللجاج في الطغيان ولذهب عنهم هذا الابلاس والتمسكن
يترحمونه عمهوا عن الهدى ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم بالعذاب اي القتل
والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فما خضعوا وما تذللوا ولم يوجد منهم
تضرع استكان استفعل من الكون لان المتذلل انتقل من كون الى كون كالمستحيل للمنتقل
من حال الى حال او افتعل من السكون اشبع فتحته حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد الذي
هو اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون اي ابلاس من كل خير وقيل السكوت مع التحير
اي فابلسوا ساعتئذ وخضعت رقابهم حتى جاء اعتاهم يستعطفك روي انه لما اسلم ثمامة
بن الحنفي ولحق اليمامة ومنع الميرة من اهل مكة حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
قال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت وهذا صريح في انها مدنية وهو الذي انشأ
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قليلا نصب على المصدر وما زائدة للتوكيد
بمعنى حقا وانما خص السمع والابصار والافئدة بالذكر في مقام الامتنان لانها اصول المدركات
المنتفع بها في المنافع الدينية والدنياوية ولا يمكن الاستكمال الا بها فانه موقوف على الاعتبار
والاستماع والاستبصار بالنظر والاستدلال فهي اصول النعم الموجبة للشكر ولما كان العمدة
في الشكر استعمالها فيما خلقت لاجله ومعظمها الاقرار بواهبها ومنشئها قال وهو الذي
ذرأكم في الارض خلقكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار قد سبق تفسيره اي هو المختص باعطائكم بانشاء الجوارح
المذكورة وانشائكم والمختص بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف الليل والنهار وهو متوليه
لا يقدر على تصريفها غيره والاختصاص مستفاد من تقديم الضمير والظرف افلا تعقلون
ابعد هذه الدلائل الواضحة لا تعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال المدركات المذكورة

ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها فلا تنكرونه والالتفات
من التكلم الى الغيبة مما لا يخفى فائدته من التعظيم كما في ربتهم وفرع العطا بالكسر والافتنان
فيه وقرئ يعقلون بالياء على الالتفات او على ان الخطاب السابق لتغليب المومنين بل قالوا
اي كفار مكة مثل ما قال الاولون كما قال الكفار قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
قد سبق وجه تاخير قوله عظاما عن قوله ترابا أئنا لمبعوثون تكرار الهمزة للمبالغة في الانكار
والاستبعاد والتاكيد بان واللام لتوجيه الانكار الى الجزم بالبعث واعتقاد تحققه
والاتيان به كما عليه الرسول والمومنون ويخبرون عنه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي
البعث من قبل من قبل مجيء محمد عليه السلام ان هذا الا اساطير الاولين الاسطور جمع اسطورة
وهذا البناء لما يتلهى به كالاضحوكة والاعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون
مما لا حقيقة له قل لمن الارض ومن فيها انما قيل من تغليبا للعقلاء او لانه يلزم ان يكون له
عبرة من طريق الاولى او لانه يلزم ان يكون ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم
او من العالمين بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم سيقولون لله لانهم مقرون
بانه الخالق قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا
على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم تصغير للسموات السبع مع هذه العظمة في
جنبه وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله لان ذلك ايضا قد تقرر عند العرب باخبار اهل
الكتاب وقرئ الله بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال والاول محمول على
المعنى لان قوله لله معناه لله هذه الاشياء وهذا جواب صحيح قال الشاعر * اذا قيل من رب
العباب بوقف * ورب الجياد الجرد قيل لخالد * قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركونه
ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء مالكيته ومدبريته
قيل الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير وهو يغيث من
يشاء من اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ولا يجار عليه ولا يغيث احد منه احدا وتعديته
بعلى لتضمنه معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون
فتصرفون عن توحيده وطاعته مع ظهور الامر وتظاهر الادلة وهذه الاسئلة استهانة
بهم وتقرير لفرط جهالتهم في الامور الدينية حيث جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزام بما لا

يمكن

يمكن من له ادنى مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقوله سيقولون
لله لان العقل الصريح قد اضطرهم الى الاجابة بما اجاب به فلا يمكن عاقلا ان يجيب
بجواب آخر ثم انه روعي في السؤال قضية الترقي فسئل عمن له الارض وما فيها ثم سئل
عمن له السموات والعرش العظيم والارض بالنسبة اليه كلا شيء ثم سئل عمن بيده ملكوت
كل شيء فاتى بما عم العام وكلمة الاحاطة واوثر الملكوت وهو الملك الواسع وقيل بيده
تصويرا وتخييلا وكذلك روعي هذه النكتة في الفواصل فعبر اولا بعدم التذكر فان ايسر
النظر يكفي في انحلال عقدهم ثم بعدم الاتقاء وفيه وعيد ثم بالتعجب من ضرع عقولهم فتخيل
الباطل حقا والحق باطلا وانى لها التذكر والخوف بل اتيناهم بالحق بالتوحيد واستحالة
نسبة الولد والشريك اليه وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك وادعوا ان له ولدا او معه
شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه في الوجود من اله يساهمه
في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه
آلهة كما تقولون اذا لذهب لانفرد كل اله بما خلق بخلقه الذي خلقه واستبد به ورأيتم
امتياز ملك كل واحد عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب ولعلا بعضهم
على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين
لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء واما ما
قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شيء ولم يكن واحد منهم مطلقا واللازم باطل بالاجماع والاستقراء
وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد فيرد عليه ان الاجماع والاستقراء
لا يناسب المقام واما البرهان فانما قام على وجوب انتهاء سلسلة الموجودات الى الواجب
بالذات ولا يلزم منه ان لا يتعدد الواجب ولا يكون في الوجود سلاسل ينتهي بعضها الى
واجب وبعضها الى واجب آخر سبحان الله عما يصفون من نسبة الولد والشريك اليه لما
سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة
دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المنفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى الله
عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ما يوعدون ان ما الشرطية وما والنون موكدتان لمعنى
الشرط وجواب الشرط فلا تجعلني اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في
الدنيا او في الآخرة رب تكرار ما بين الشرط والجزاء معترض للتنبيه على فضل التضرع والجوار

فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم في العذاب عن الحسن اخبره الله تعالى ان له
في امته نقمة ولم يخبره اني حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعآء وهو اما لهضم النفس
والقيام بحق العبودية مع علمه بانه لا يفعل واما للاعلام بان شوم الظلمة قد يحيق عن ورآئهم
لقوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
كانوا يستعجلون العذاب انكارا وعنادا ويضحكون منه استهزآء فقيل لهم ان الله قادر على
انجاز ما وعد عاجلا لكن يوخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يومنون اولا يعذبهم وانت فيهم
وقيل قد اراد يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة حسنة على مكرمة هي افضل
المكارم ما لم تود الى ثلم في الدين او ازدرآ بالمروة وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة
لما فيه من صيغة التفضيل والاجمال والتفصيل وتبيين الصلة اي رد على الصفح عن الاساءة
بمقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الوسع فيه
كانت حسنة مضاعفة بازآء سيئة دفعا لها بالتي هي احسن نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك
به من صفات السوء او بوصفهم لك وسوء ذكرهم وهو وعيد لهم وتسلية له عليه السلام اي
والله اعلم بقولهم وفعلهم وهو يجازيهم وقل رب اعوذ بك امره بالتعوذ من نخساتهم بلفظ
المبتهل الى ربه المكرر لندآئه تضرعا وابتهالا بالتعوذ من ان يحضروه او يحدبوا من همزات
الشياطين شبه حث الشياطين الناس على المعاصي بالوساوس بهمز الراضة للدواب على
المشي بالمهماز والجمع اما لتعدد الوساوس او لتنوعها او لتنوع المضاف اليه وتعدد هم
واعوذ بك رب ان يحضرون عن ابن عباس رض عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع
وقيل عند الصلوة والتخصيص باحدها لانها احرى الاحوال بان يخاف عنده حتى اذا جآء
احدهم الموت يتعلق بيصفون غاية لها اي لا يزالون يذكرونك بسوء الى هذا الوقت
وما بينهما اعتراض للاغضآء عنهم مستعينا بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على
الانتصار منهم او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على تفريطه السابق لما اطلع على الامر اللاحق
رب ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب بلفظ الجمع للتعظيم او لتكرير ارجعني كما قيل في
قفا واطرق وهو يناسب الجوار والتضرع لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته
او لعلي اني بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا وقيل فيما تركت فيه من المال او في الموضع الذي
تركت وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة اي طائفة من الكلام

المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون الخ هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها
لاستيلآء الحسرة والندامة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب ولا يسمع منه ومن ورآئهم امامهم
والضمير للجماعة برزخ البرزخ الحاجز قال الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والاخرة وقيل بينهم
وبين الرجوع الى الدنيا واياه قوله الى يوم يبعثون لانه لا يصلح غاية لعدم الرجوع المذكور
والعلم بانه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا يفيد الاقناط الكلي عن الرجوع الى الدنيا ولكنه لا يصلح
ام الغاية فاذا نفخ في الصور للبعث والنشور وقرأ بفتح الواو وبكسر الصاد يويده ايضا
ان الصور ايضا جمع الصورة اذ الاصل في القراة التوافق فلا انساب بينهم يومئذ المنفي نفع
الانساب لا نفيها فان لكل امرئ يومئذ ما اكتسب لا ما انتسب قيل لزوال التعاطف والتراحم
من فرط الحيرة واستيلآء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفيه
نظر ولا يتساءلون كما تفعلون اليوم وهذا ليس عقيب نفخة البعث بل بعد زمان لقوله تع
من بعثنا من مرقدنا فانه صريح في انهم يتساءلون وقوله تع واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابن عباس رض ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية لا تدل على التعقيب
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
قد سبق تفسيره في سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان في
حكم الصلة فلا محل لهما من الاعراب او خبر بعد خبر لاولئك فهو في محل الرفع كالذين خسروا
او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها قال الزجاج اللفح كالنفح الا ان اللفح اشد
تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح ان تتقلص الشفتان وتشمر عن الاسنان
كما ترى الرؤس المشوية روي عن النبي عليه الصلوة والسلام انه قال تشويه النار فتتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته الم تكن اياتي تتلى
عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن تتلى عليكم اياتي في الانذار فكنتم بها تكذبون
تعنيف وتذكير مما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا من
قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك والشقاوة سوء العاقبة وقرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها كالسعادة والكتابة اي غلبت علينا الاعمال الردية
والاحوال القبيحة التي شقينا بها وكنا بها قوما ضالين عن الحق والصواب وليس هذا اعتذارا
بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا صحة لما قيل غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة

لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره والعلم تابع
للمعلوم لا العكس فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل بسبب التقدير الازلي ربنا اخرجنا منها من
النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا ازجروا فيها اذلاء
انزجار الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب واخسأته لازما ومتعديا شبهوا بالكلب في الذل
والهوان طردوا باخسؤا ولا تكلمون في رفع العذاب او ولا تكلمون اصلا قيل هو اخر كلام يكون
به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير وعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون انه ان الشان
وقرئ بالفتح اي لانه كان تعليل لوجوب انزجارهم فريق من عبادي يعني المؤمنين قيل هم
الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا في توزيع طلب
المغفرة والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيهما وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا
ولما غلتم ساخرين حتى انسوكم بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في
اوليائي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في يآء النسب زيادة قوة في الفعل
ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم
من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية اي سخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل
وسيبويه وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم بالفتح
ثاني مفعولي جزيتهم وبالكسر استيناف كانه لما ابهم الجزاء للتعظيم ولم يبينه اتجه ان يسأل
سائل كيف حالهم قال انهم هم الفائزون مخصوصون بالفوز بجميع مراداتهم قال اي الله تعالى
او المأمور بسؤالهم من الملائكة وقرئ على الامر للمالك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في
الارض في الدنيا احياء وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم
وعدد تمييز قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في
النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم
المعدوم الذي يستحق ان يعبر عنه بالقلة فاسأل العادين الذين يتمكنون من عدادها ان
اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة
الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون
كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم قال وقرئ قل ان
لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى

في مقالهم لبثنا لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها افحسبتم توبيخ اخر على
تغافلهم وتجهيل مع انكار انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم
للعبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا
ترجعون عطف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم
غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله من ان يخلق عبثا تعليل لما تقدم الملك
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ملكه ومن عداه
مملوك له بالذات مالك بالعرض زائل الملك لا اله الا هو فان ما عداه عبيد رب العرش
الذي يحيط بالاجرام الكريم بالجر صفة العرش وانما وصفه بالكرم لان الرحمة والخير
والبركة الالهية تنزل منه ويجوز ان يكون توصيفه بالكرم لنسبته الى اكرم الاكرمين مجازا
كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على انه صفة لرب ومن يدع مع الله
الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله اي لا حجة له لان البرهان
عقلي او نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون مع الله اخر وهذا وان كان مذكورا في
موضع الصفة فليس للتمييز لان الباطل بمعزل عن ان يكون له دليل ضعيف فضلا عن برهان
وانما جيء بها للتاكيد ولبناء الحكم بالوعيد عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع
فضلا عما دل الدليل على خلافه واعتراض بين الشرط والجزاء لبيان الملازمة كقولك من
احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه كناية عما ذكر اي
فهو مجازله بما يستحقه انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه او على انه خبر اي حسابه انه لا
يفلح الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر اذ اصله حسابه انه لا يفلح الكافرون
هولاء من يرجع في معنى الجمع فمعنى حسابه انه لا يفلح حسابهم انهم لا يفلحون فغير تفظيعا
لشانهم وتقبيحا لصورة حالهم وايماء الى عدم الفلاح كفرهم وصيغة الجمع للتنبيه على انه لا
يعني لاجتماعهم والا فالظاهر ان يؤتى بصيغة الافراد لان الفلاح منتف عن جنسهم ثم بين فاتحة
السورة وخاتمتها بقوله قد افلح المؤمنون في الفاتحة وانه لا يفلح الكافرون في الخاتمة ثم علمنا
سؤال المغفرة والرحمة وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف او مبتدا الا انها مخصصة بالتنكير الدال على
التعظيم كقولهم شر اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها جعلها مفسرة لناصبها فلا
يكون لها محل الا اذا قدر اتل ونحوه ولا يجوز تقدير ذلك لان اداة الاغرا لا تحذف وفرضناها
اي فرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها ايات بينات
اي دلائل واضحات لعلكم تذكرون كي تتعظوا الزانية اي المراة التي مكنت في الزنا فالمكرهة
خارجة عن حدها قدمت هنا لاصالتها في الزنا وذلك اي حرمة الوطي التي بها يتحقق الزنا
منشوها خلو المحل عن الملكين وشبهتهما كما قدم الزاني في الحكم الاتي ذكره لاصالته فيه والزاني
رفعها بالابتدا والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفا لتضمنها معنى الشرط لان
اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد وفيه
اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين الا انه لما لم يمكنهم
الاجتماع فينوب الامام منابهم وعموم الاية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص منه المحصن
بحديث الرجم وشرائط احصان الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية والدخول
بنكاح وهما على صفة الاحصان ورجمه عليه الصلوة والسلام يهوديين قد زنيا كان
بحكم التورية ثم نسخ يؤيده قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن والتغريب المروي
منسوخ بهذه الاية كالحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما
لان الفا انما تدخل على الجزا وهو اسم للكافي ولا تاخذكم بهما رافة الرافة رقة القلب
واخذها كناية عن تاثيرها في النفس بحيث يظهر اثرها في الفعل فرجع النهي الى المسامحة في
اقامة الحد كما ينبغي في دين الله في طاعته او في حكمه وانما قال بهما ليعلم حكم الرافة باحدهما
بطريق الدلالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب الائتمار بامر
الله تعالى وهذا من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اي فاقيموا
الحد ولا تساهلوا فيه وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه
عقوبة طائفة فرقة يمكن ان تكون صفة وهي غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء
من المؤمنين ليعتبروا وينزجروا فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة اي لا يميل الا الى نكاح واحدة منهما والزانية لا ينكحها الا زان او
مشرك اي لا يمكن الا من نكاح واحد منهما ومرجعه الى نفي ميلها عن نكاح غيرهما فالايتان

على سنن واحد وانما عدل في الثانية عن الصريح الى الكناية كراهة اسناد النكاح اليها ووجه ما
ذكر ان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وهو نظير قوله
الخبيثات للخبيثين الاية فالاية تزهيد في نكاح البغايا اذ جعل الزنا فيها عديل الشرك في القبح
وحرم ذلك على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة
فيه والسبة والطعن في النسب ومجالسة الزواني واشتراط اربعة شهدا بقوله ثم كلمة التراخي
دل على انه لا يجب عليه للاتيان كم فيها من التعرض لاقتراف المفاسد والاثام فكيف بازواجهن
ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول
المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا
يحرم الحلال والذين يرمون المحصنات اي يقذفون الحرائر العفائف المسلمات المكلفات
بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وانما عدل عن القذف الى الرمي البعيد المستلزم لصلابة
المرمي والقيدان المذكوران اعتبارهما لا يناسب المقام وذكرهن عقيب الزواني واشتراط
اربعة شهدا بقوله ثم كلمة التراخي دل على انه لا يجب عليه الاتيان بالشهود على الفور لم ياتوا
باربعة شهدا يشهدون على زنا المقذوفة لان القذف بغير الزنا لا يكفي فيه الشاهدان
ولا يجاب الحد بقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل
يوجب التعزير كقذف غير المحصن بالزنا ونصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة ونصب
جلدة على التمييز ولا فرق فيه بين المذكر والمؤنث وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة
او لان قذفهن كان اغلب هذا ما قالوا وانا اقول اريد الانفس المحصنات كما في قوله تعالى
والمحصنات من النسا فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الادا ولا شهادة زوج
المقذوفة ولكن يشترط طلب المقذوف لان فيه حقه حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة
وضربه اخف من ضرب الزنا مع قيام العلة المذكورة فيه ولا تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة
في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد شهادته لانه ليس بمفتر والا لما تخلف عنه في قذف غير
المحصن بل لانه من تمام الحد فيتعلق باستيفا الحد او بعضه خلافا للشافعي فيهما لا يقال حاله
قبل الحد اسوأ مما بعده لانه ان اريد انه كذلك عند الناس فممنوع وان اريد انه كذلك عند الله تعالى
فلا يجدي لان المعتبر في هذا الباب ما عند الناس حتى قيل تعتبر شهادة الفاسق الوجيه واصل

الكلام ولا تقبلوا شهادتهم وانما غير النظم بزيادة اللام لا لفائدة التنكير لانها تحصل
بالتعريف لاستغراقي على وجه اقوى بل لاظهار وجه كون الرد المذكور من الحد باستمرار ان
في قبول الشهادة نفعا للشاهد لانه يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة ابدا اي الى آخر
اوقات اهليتهم للشهادة لا الى آخر عمره ولذلك تقبل شهادة الكافر المحدود في قذف بعد
اسلامه لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام ولا خلاف للشافعي هنا وانما خلافه في
الانصراف الآتي ذكره واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط لانه
حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله العالم بالسرائر بعد انقضاء الجملة
الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي القذف واصلحوا احوالهم بالاسلام
للحد او الاستحلال عن المقذوف استثناء من الفاسقين ويدل عليه تعليل الاستثناء بقوله
فان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا وجعل
الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه
ان يكون منصوبا لانه عن موجب تام والذين يرمون ازواجهم هذا بيان حكم قذف المحصنات
الزوجات بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم به الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على
ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع قرئ بالرفع على انه خبر والمبتدا فشهادة احدهم وبالنصب
لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر وهو شهادات والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة
وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق
بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي ويدرأ عنها العذاب ويدفع
عنها الحبس والجبر ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الرامي لمن الكاذبين في الرمي
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيه قرئ الخامسة بالنصب
عطفا على اربع وبالرفع على الابتداء وما بعدها الخبر وخص الغضب في جانبها لان النساء
يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على
السنتهن وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن واذا
التعنا كما بين في النصوص لا تقع الفرقة حتى يفرق بينهما وعند زفر والشافعي يقع

بثلا عنهما الفرقة وتكون الفرقة تطليقة بائنة عند ابي حنيفة ومحمد وعند ابي يوسف
وزفر والشافعي تحريم موبد واما ان حكم لعان الزوج وسقوط حد القذف عنه وثبوت حد
الزنا عليها فالنص ساكت عنه ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ترك
جواب لولا وهو ابلغ لان النفس تذهب في تقدير جوابه كل مذهب ولقد احسن من قال
رب سكوت ابلغ من النطق ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء
واصله من الافك الصرف لانه قول منصرف عن وجهه والمراد ما افك به على ام المومنين
عائشة رض وقصته معروفة عصبة جماعة قيل من العشرة الى الاربعين ويرده ما في مصحف
حفصة عصبة اربعة يقال تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة فشد بعضهم بعضا ومنه
العصبة لانه يجمعهم التعصب ففي عبارة العصبة هنا حسن موقع ورجحانها على عبارة
الجماعة من جهة الدلالة على الحكم والكيف وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وراس المتعصبين
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم من المعدودين
من اهل ملتكم وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار وفيه اظهار لوجه غرابة ذلك الافك
وخبر ان عصبة وقوله لا تحسبوه مستانف والخطاب لرسول عليه السلام ولابي بكر وعائشة
وصفوان ثم من المومنين والمومنات والهاء للافك شرا لكم الشر ما زاد ضره على نفعه والخير
ضده بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تع بانزال ثماني عشر
آية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل
امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقداره وفيه مختصا
وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت وليس في عبارة امرئ اخراج حمنة
بنت جحش عن هذا الحكم بل ترك ذكرها احالة لمعرفة حالها على الدلالة تنزيلا لشانها وتحقيرا
لها والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه اي قرب من اخر عمره ولم يبعد عن
المعاجل خصوصا عن مثل هذه المعصية منهم من الخائضين في الافك فانه ابن ابي فانه
بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم له عذاب عظيم في الآخرة روى ابو داود
عن عائشة رض قالت ما نزل عذري قام النبي عليه السلام فذكر ذلك وتلا القران فلما نزل من
المنبر امر بالرجلين والمراة فضربوا حدهم وهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش قال علماؤنا وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله تع قد اعد له في الآخرة عذابا عظيما

قلو صدق في الدنيا لكان ذلك كفارة له فيتخلص من عذابه الاخروي وانما خاض هولاء المسلمون
ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة ذلك في الاخرة وقد قال عليه
السلام في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه ففي قوله تعالى له عذاب عظيم اشارة الى عدم وجوب
الحد على ابن ابي ولذلك لم يحده النبي عليه السلام ثم وبخ الخائضين فيه فقال لولا هلا اذ سمعتموه
اي الافك ظن المومنون والمومنات بانفسهم بالذين منهم فالمومنون كنفس واحدة وهو
كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا وصلاحا وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن
الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل
التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة
على اختها قول عائبة ولا طاعن ومن الادب الحسن ذل العالم به وانما جاز الفصل بين لولا
وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في
غيره وذلك للاهتمام بالظرف والايذان بان لا يخلو في اول وقت السماع بالاتيان
بالمحضوض عليه وقالوا كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال قرن بالظن للتصريح
بالقول ليفيد ان اللائق للمومن ان يبني قوله على ظن الخير في اول وقت السماع هذا افك
مبين كذب ظاهر لولا جاؤا عليه باربعة شهداء هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين
باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته وفي عبارة
عند تعظيم لما في احكام الشرع من العمل بالظاهر هم الكاذبون من جملة المقول تعزيز لكونه
كذبا فان ما لا حجة عليه كذب في حكم الشرع ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع وجود الشيء لوجود غيره اي ولولا ان اتفضل عليكم
في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للعقوبة وان ارحم عليكم في الاخرة
بالعفو والمغفرة بسبب توبتكم واستسلامكم للحد لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما
خضتم فيه يقال افاض في الحديث وخاض واندفع عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم
والجلد اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقف والتلقن الا ان في التلقن
معنى الاستقبال وفي التلقي الحذق في التناول وفي التلقف الاحتيال في التناول ذكره
الراغب ولا اختصاص له بالكلام فلذلك قال بالسنتكم اي ان بعضكم كان يقول هل بلغك
حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه وتقولون

بافواهكم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان المراد انهم يقولون كلاما لا يساعده
القلب باد في درجات العلم فالتنكير في ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة
له فهذه ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من
غير علم واستصغارهم بذلك وهو عند الله عظيم في الوزر ثم اخذ في توبيخهم على التكلم به وكان
الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يفوهوا به فقال ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما
ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا افاد تقدم فائدة تقديم الظرف ووجه الفصل به بين لو لا
وقلتم سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان يسبح الله عند روية
العجب من صانعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او للتنزيه الله من ان تكون حرمة
نبيه عليه السلام فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بالمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما
تقدم وتمهيدا لما تاخر هذا الاشارة الى القول المخصوص ويجوز ان يكون الى نوعه فان قذف
آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بهتان زور يبهت من يسمع عظيم وفي بعض الاخبار ان ام ابي ايوب قالت لابي
ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان
عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله اي يحذركم الله ان تعودوا لمثله في ان
تعودوا الى مثلها فعلتم من القول به وسماعه ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مومنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصادع عن كل قبيح ويبين
الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بما يامر
وينهى حكيم فيه ان الذين يحبون يوثرون ان تشيع الفاحشة ان تنتشر الفاحشة اي
ما قبح جدا والمعنى يحبون شيوعها وشيوعها بها لان عذاب الدنيا لا يكون الا بعد اشاعتها
وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز المرسل لان كلا من معنى المحبة والاشاعة مقصود
بل من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء بذكر نقيضه تنبيها على القوة في المقتضي ويجوز ان يكون
المعنى الذين يشيعون الفاحشة محبين شيوعها على التضمين في الذين امنوا في حق المومنين
وهم المقذوفون منهم او فيما بين المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد والاخرة بالنار
والله يعلم بواطن الامور وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل
عليه الظاهر والله يعاقب على السرائر من حيث الاشاعة وغيره وان لم يتوبوا عنها ولولا

فضل الله عليكم ورحمته لعجل العذاب كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب
مبالغة في تعظيم الجريمة والتوبيخ لهم وان الله رؤف حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم
بغفرانه جناية القاذف اذا تاب وهذا لان الرافة رافة الرحمة وهي تناسب حال المقذوف
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا الاتباع الاقتدا بالداعي الذاهب في جهة باقتفاء اثره
في الذهاب في تلك الجهة فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي لا اثره وانما اضيف الاتباع
هنا الى الاثر تنزيلا له منزلة الداعي مبالغة خطوات الشيطان اريد بخطوات الشيطان
تعديه حدود الله بالوسوسة وتجاوزه عنها ومن يتبع خطوات الشيطان حذف
جزاوه لظهوره واقيم علته مقامه فانه يامر تعليل للجزاء المحذوف والجملة الشرطية قائمة
مقام تعليل النهي بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع في الجملة فهو تعميم بعد التخصيص
وفائدة التنبيه بتقديم الخاص على اختصاصه بزيادة الاعتنا في شانه من جهة الامر
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها
ما زكا ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفا ولكن الله يزكي من يشاء بحمله
على التوبة وقبولها والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من
الالية يرشد اليه انه قرى ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح
بعد وكان ابن خالته وكان من فقرا المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين وفيه
دليل على فضل ابي بكر رض والسعة في المال ان يوتوا كراهة ان يوتوا وقرى بالتا على
الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد
اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون
الحكم في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا الصفح الاعراض ليتجاوزوا
عن الجفا وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم هذا غاية التلطف في الخطاب
اي فاذا احببتم مغفرة الله لكم فاعفوا الغيركم والله غفور رحيم اي فتادبوا باداب
الله واعفوا وارحموا ولما نزل الا تحبون قال ابو بكر رض بلى يا رب ثم عاد لمسطح الى
ما كان وكفر يمينه ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به كناية
عن براءتهن منه مما يجب الايمان به استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمومنين كابن
ابي اريدت عائشة وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه السلام فكانه

المومنات

فقد قذفهن واعاد الكلام دفعا لما عسى ان يسبق الى الاوهام من قضية مسطح ان قذفه عائشة
مغفور بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والاخرة يتكلم المومنون في الدنيا بلعنهم والملائكة في الاخرة
ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم ودل ذلك على معنى يعذبون وهو العامل في يوم لا العذاب لانه
موصوف تشهد عليهم وقرى بالياء للتقدم والفصل السنتهم هذا في حق القذفة وقوله تعالى اليوم
نختم على افواههم الاية في حق المشركين فلا منافاة وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون
بها بانطاق الله على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي بغير اختيارهم على ما
دل عليه قولهم لم شهدتم علينا وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم جزائهم
الحق بالنصب صفة على المدح لقراة مجاهد وقراة ابي يوفيهم الحق دينهم والاصل في الجزاء
الموافق ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه
في ذلك غيره لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله في القران في شي
من المعاصي تغليظه في افك عائشة رض فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر
وما ذلك الا لامر الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال وعلى هذا البقية وقيل
الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال وكذا البقية والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات وفيه تنزيه عائشة رض لما انها زوجة الرسول عليه السلام
فهي طيبة لزوج طيب وامراة المنافق القاذف خبيثة لزوج خبيث اولئك مبرؤن مما
يقولون اي فيهم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من
خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رض وما رميت من قول لا يطابق حالها
في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول
اهل الافك لهم مغفرة مستانفا وخبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي اختص بكم سكناها سوا سكنتم فيها او لم تسكنوا اي لا تدخلوا
بيوتا يسكنها غيركم وهذا يعم مسكن الام فانه لا يجوز ان يدخل عليها مفاجاة روي ان
رجلا قال للنبي عليه السلام أأستاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أاستاذن عليها
كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وهو تاديب بما يرجع
الى التحرز عن الاطلاع على عورة الغير حتى تستانسوا اي تستعلموا من في البيت باي
وجه امكن قال تعالى فان انستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن ابن ماجه عن ابي ايوب الانصاري

قال قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة
ويتنحنح ويؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها بان يقول السلام عليكم ادخل وعنه عليه السلام
التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع وقيل ان تلافيا
يقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستعلام والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور
وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم
مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي
انزل اليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن
لكم وانما قال فان لم تجدوا دون لم يكن لمكان التفقد المامور به في ضمن الامر بالاستيناس فلا
تدخلوها يعني ان كان لكم فيها حاجة حتى يؤذن لكم لا لان التصرف في ملك الغير بغير اذنه شعراء
محظور لانه لا ينتظم ما اذا كان الداخل بل لان المانع عن الدمور ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة والمراد من الاذن ما يعم الاذن دلالة كما اذا عرض
حرق او غرق او نحو ذلك واما الذي فيه منكر فلا يكون خاليا فلا يكون في معرض الاستثناء
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو عنه الالحاح من
الكراهة والله بما تعملون عليم يعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان
تدخلوا في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالخانات والرباطات والحوانيت فيها متاع
استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والجلوس للشرى والبيع
وذلك استثنا من مجموع الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او يطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من
سمعه يعلم ان المراد منه المحرم دون المحلل فلا حاجة الى الاستثنا وليس كل المحرم مما يجب غض
البصر عنه بخلاف حفظ الفرج فان كل ما يحرم يجب حفظه عنه فلذلك ادخل حرف التبعيض
في الاول واطلق الثاني ذلك ازكى لهم فيه من البعد عن دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر واستعمال سائر الآلات وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في
كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن انما قدم غض
الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور وبذر الهوى طموح العين

ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب والمنهي اظهار
مواضع الزينة اذ اظهار عينها مباح فالمراد بها مواضعها مجازا او اظهارها وهي في
مواضعها لا لاظهار اعيانها الا ما ظهر منها اي بلا اظهار منهن كما اذا هبت الريح وكشفت
عنها الستر والاستثنا عن الحكم الثابت بطريق الاشارة وهو الاستحقاق بالمواخذة
في دار الجزا بسبب ظهورها وقدم وجه هذا النوع من الاستثنا في تفسير قوله الا ما قد سلف
من سورة النسا وما ظهر باظهار منهن ضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ونحو ذلك في حكم
ما ظهر بلا اظهار منهن واما جريان العادة والجبلة على ظهوره فلا يصلح وجها للاستثنا المذكور
وليضربن وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع
خمار على جيوبهن كانت جيوبهن واسعة يبدو منها صدورهن وما حواليها وكن
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابدا ومن لا يحل له الا لبعولتهن لازواجهن
او ابائهن ويدخل فيه الاجداد او ابا بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او ابنائهن
ويدخل فيه النوافل او ابنا بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن ويدخل فيه المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسائهن اي
الحرائر المؤمنات فان مطلق هذا اللفظ للحرائر والاضافة لاخراج الكافرات فانهن لا
يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن يعم الاما والعبيد لما روي عن النبي عليه السلام
انه اتى فاطمة رض بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك
وغلامك وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاما دون الذكور
ويرد عليه انه ح يلزم ان يكون في المذكور اطناب مخل واللازم منتف بلا شبهة او
التابعين الذين يتبعون القوم فياكلون معهم ويرتفقون بهم غير بالنصب على الاستثنا
او الحال وبالجر على البدل او على الوصفية اولي الاربة الحاجة الى النسا وهم الذين لا
يشتهون النسا فلا يحتاجون اليهن من هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب
والمخنث لانهم يشتهون او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع بدلالة الوصف
لم يظهروا على عورات النسا لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم الى

حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن بارجلهن اى الارض عند المشى ليعلم ما
يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهى عنه لان سماع هذه
الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها على ان ابداء الزينة نفسه معقود بالنهى فيما
تقدم وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما
فى الكف عن الشهوات وقوله لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك الا
ان يكون للحق سبحانه بها نجح وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له
رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم فقلب والخطاب للاولياء والسادة
لا يقال فى الاية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء
الى الموالى لانا نقول الرجل الايم الا باذنه فكذا الايم على المراة الا باذنها لان الايم
ينتظمها ولا فارق من جهة النظم والصالحين تخصيصهم لان احصان دينهم والاهتمام
بشانهم اهم من عبادكم وامائكم اى من غلمانكم وجواريكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من
فضله وعد من الله تع بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الاية ولقوله عليه
السلام التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلق عليم يبسط
الرزق ويقدره على ما تقتضيه حكمة وليستعفف وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة كان
المستعفف طالب من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من
المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله انظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم
من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن الدين
المغنى عن الحرام ثم بعرف النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن
النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اى والمماليك
الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم
وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة
وانما سمى ذلك العقد به لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال وتجوز حالا ومؤجلا
منجما وغير منجم لاطلاق الامر وعدم المال لا يستلزم العجز عن الاداء فى الحال لانه قادر
على الاستقراض ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب او امانة او ديانة والعدة متعلقة
بهذا الشرط كما ان الندب فى انكاح الايامى متعلقة بشرط الصلاح واتوهم من مال

الله

الله الذى اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من
الزكوة لقوله تع وفى الرقاب وعند الشافعى معناه حطوا من بدل الكتابة شيئا قل او كثر
ويأباه عبارة الايتاء لانها تنبئ على التمليك لا على الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
كنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر البغى ان
اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيد بهذا الشرط لا لان الاكراه لا يتحقق بدونه لانه
على تقدير التسليم يكون سببا للترك لا للذكر بل لانها نزلت فى ابن ابى وكانت له جوار
يكرههن على البغاء وفيه توبيخ بالموالى فان الفعل هنا منزل منزلة المصدر كما فى قوله
تسمع بالمعيدى خير من ان تراه وذلك لان الابتغاء المذكور يكون سببا مقدما ولا
يكون غاية متاخرة عرض الحيوة الدنيا من اجورهن واولادهن ومن يكرههن حذف
جوابه اى فعليه وبال اكراهه لا يتعدى اليهن واقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم اى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وانما قال من بعد
اكراههن لشدة المعاتبة على المكره فان المكرهة مع قيام العذر اذا كانت بصدد المعاتبة
حتى احتاجت الى المغفرة فحال المكره وللدلالة على ان حد الاكراه الشرعى والمصابرة
الى ان ينتهى اليه فيرتكب ضيق والله يغفر ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات
المراد الايات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز
ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وقرى بالكسر اى بينت من الاحكام والحدود
وجعل الفعل لها مجازا ومن بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل
قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين اى هم المنتفعون
بها وان كانت الموعظة للكل الله نور السموات والارض بين وضوح الدلالات
وجلاء البينات وان من ضل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه السبيل فقال الله
هادى اهل السموات والارض اى الى ما بهم الحاجة اليه فى مصالح دينهم ودنياهم وهى كلمة
مطلقة فى هذا المعنى يقال فلان نور بلده اى يهتدون الى امورهم وعن رايه يصدرون
الى مصالحهم مثل نوره اى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاءة والمراد به دلائله التى
يهتدى بها عباده كمشكاة كصفة مشكاة وهو الكوة فى الجدار غير النافذة فيها

اى لا اراد من التحصن فانهم ارض
بذلك وايا ان علق الاذا الان
ارادة التحصن من آلا كان انما عد
انما ورد لتبتغوا الابتغاء انهم

مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة
كأنها كوكب دري مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه
ودرئ بالكسر والهمز كأنه يدرأ الظلام بضوئه وقرئ بالضم والهمز شبهه في زهرته بأحد
الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما يوقد بالياء والتاء للمفعول من اوقد وقرئ
بالفوقانية كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد
بحذف التاء لاجتماع الزائدتين من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين
زيتونة بدل من شجرة لا شرقية ولا غربية اي لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها
بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في
نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل اي ليس بحيث تقع الشمس عليها حينا دون
حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واضحة فان ثمرتها
تكون انضج وزيتها اصفى ويرده ما دل عليه الحديث المذكور من انه لا خير فيها لان اشراق
الشمس عليها دائما يحرقها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء
وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي شبه الحق نور
متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما
يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع
لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون شيء على زيادة
الانارة وكذلك الزيت وصفاوته وضرب المثل يكون بمدلول محسوس معهود لا بمعقول غير
معاين ولا مشهود يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب
انما تمشي بمشيته ويضرب الله الامثال للناس تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبيل
الادراك والله بكل شيء عليم فيبين كل شيء بما حقه ان يبين به في بيوت متعلق بمشكاة
اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد او بتوقد اي توقد في بيوت فيكون
تقييد المثل للممثل به بما يكون مجازا او مبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم ولا ينافي
جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا

كرة

كثرة او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير مؤكد نحو زيد في الدار جالس
فيها او بمحذوف اي سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها اذن
الله اي امر ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام لما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال قال ابن عباس كل تسبيح في القرآن
صلوة اي يصلي له فيها بالغداة صلوة الفجر وبالآصال سائر الصلوات ولهذا وحد الغدو
وجمع قرينه والاصيل في الاصل الوقت الذي بعد العصر الى المغرب صرح به الجوهري وصدر
الافاضل وجمعه اصل وآصال فمن قال والآصال جمع اصيل وهو العشي فقد اخطأ مرتين
وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرئ يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه يسبح وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده
الى اوقات الغدو وانما خص الرجال بالذكر اذ ليس على النساء والصبيان الحضور في المساجد
لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر وحملناهما على هذين ليكون لزيادة
افادة لمجرد اعادة عن ذكر الله اي خارج الصلوة واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلوة
التاء في اقامة عوض من العين الساقط للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا
اجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف
فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء فسقطت وايتاء الزكوة يعني انهم يسلكون
سبل الكسب ولكن اذا حضر حق الله او حق عباده بدؤا به يخافون حال من الضمير
في تلهيهم او صفة اخرى لرجال يوما يوم القيمة اي الحامل لهم على اقامة هذه الاشياء خوف
القيمة تتقلب فيه القلوب والابصار لبلوغها الى الحناجر والابصار بالشخوص والدهش
او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان
كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم
او لا يخافون احسن ما عملوا اي ادناه المندوب واحترز بالاحسن عن الحسن وهو المباح
اذ لا جزاء له ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا والله
يرزق من يشاء بغير حساب ثوابا لا يدخل في حساب الخلق تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب اي الذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يظنونها صالحة

نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ما يجري بقيعة
بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه الظمآن ماء
الظما شدة العطش ا التشبيه في شدة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه اذا جاء الى ما
توهم انه ماء لم يجده شيئا اي لم يجده شيئا نافعا يقال هذا ليس بشيء يراد به نفي نفعه هذا
اذا كان المعنى اذا جاء السراب واما اذا كان المعنى اذا جاء موضعه فمعنى لم يجده شيئا لم يجد
في ذلك الموضع شيئا كان يتراءى له لانه لا يرى ذلك اذا حضر واو كذلك الكافر اذا قدم
يوم القيمة على اعماله التي هي خيرات عنده لم يجدها نافعة او لا يراها لانها صارت هباء
منبثا ووجد الله اي وجد عقاب الله عنده اي يبطل حسناته ويبقى عقاب سيئاته
معدا له عند قدومه فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وجد بعد تقدم
حملا على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عدد وعقد ولا
يشغله حساب عن حساب قوله ووجد الله عطف على ما تقدم من التمثيل على سبيل
العطف على المعنى ومن غفل عن هذا زعم انه من تتمة التمثيل فتعسف في توجيهه او كظلمات
في بحر او هنا كاو في او كصيب وما قيل او للتنويع فان اعمالهم ان كانت صالحة
فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات يرده قوله ووجد الله عنده لان الاعمال
الصالحة وان لم تكن نافعة من الكفر لا يكون في عاقبتها وخامة لجي عميق كثير الماء
منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر او من فيه اي يعلوه ويغطيه موج
هو ما ارتفع من الماء من فوقه موج اي من فوق الموج موج اخر من فوقه اي من
فوق الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة للبحر ظلمات اي
هذه ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة
الموج على السحاب اذا اخرج يده اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
فضلا عن ان يراها والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر له ذكر لدلالة المعنى عليه ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق
الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان في الاتقان ان الله يسبح له ينزه ذاته عن

كل نقص وافة من في السموات والارض ومن لاسناد التسبيح فلا حاجة الى التغليب
هنا وفي يفعلون او اريد به الملائكة والثقلان والطير على الاول تخصيص لما فيهما من
الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدا بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة
ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها لما فيها من القبض والبسط حجة
ناطقة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم
الضمير لكل وكذا في صلوته وتسبيحه ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهم
سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليه والله عليم بما يفعلون من
الصلوة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات والارض لا شريك له فيه والى الله المصير
مرجع الكل وانما عدل عن الضمير تفخيما الم تر ان الله يزجي سحابا معنى يزجي قليلا قليلا
ويستعمل في سوق برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق
سحابة الى سحابة ثم يؤلف بينه تذكيره للفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وينزل
من السماء ماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال
من عظمها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من الجبال
فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع
المفعول فيصيب به بالبرد من يشاء فيضره في نفسه او في زرعه ويصرفه عمن يشاء فلا
يصيبه يكاد سنا برقه ضوءه يذهب بالابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك
اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء
يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر ان في ذلك
فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة على وجود الصانع القادر العليم وللتنبيه على وضوح الدلالة
قال لاولي الابصار دون لاولي البصائر ثم بين دليلا اخر فقال والله خلق كل دابة حيوان
يدب على وجه الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة قال الراغب في الدبيب اصله حكاية
صوت حركة المشي ثم قيل دب اذا مشى ويقال لكل ماشي دابة ثم خص الفرس من ماء هو جزء مادته
وسبب حيوته على ما اشير اليه في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل من ماء مخصوص وهو
النطفة ولا يلزم ح ان يرتكب الى ادعاء العلية في المخلوق من النطفة وتنزيل الغالب

كل

منزلة الكل لجواز ان يراد بالدابة ما يخلق بالتوالد بقرينة من ماء اى من نطفة كما اريد
من الشئ فى قوله تع من الماء كل شئ حى ما به الحيوة بقرينة حى فمنهم من يمشى على بطنه
كالحية والحوت سمى الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشى وليس هذا من قبيل ذكر المقيد
وارادة المطلق كما اذا ذكر المشفر واريد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف مقصودة
وللمشاكلة البديعية طريقة اخرى لا يصار اليها عند صحة الاستعارة البيانية ومنهم من
يمشى على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشى على اربع كالنعم والوحش قيل ويندرج
فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتماده اذا مشت على اربع ولا يخفى ما فيه من التعسف
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاوصاف ليوافق التفصيل الجملة قيل قدم ما هو
اعرق بالقدرة وهو الماشى بغير آلة مشى ثم الماشى على اربع وفيه نظر لان مبناه العقول عن ان
المشى فى الاول مستعار للزحف يخلق الله ما يشا كيف يشا ان الله على كل شئ قدير فيفعل ما
يشا لقد انزلنا ايات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدى من يشا بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الذى يوصل الى جنته
والايات لالزام حجته لما ذكر انزال الايات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة
صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون
وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب فبدأ بالمنافقين فقال ويقولون
امنا بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى اى يعرض عنهما فان الاعراض
عن الرسول عليه السلام بعدم الطاعة فى اوامره اعراض عنه تع فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم
هذا وفائدة ثم الاستبعاد اظهار القبيح صنيعهم وما اولئك بالمومنين الاشارة الى القائلين
باسرهم فيكون اعلاما من الله تع بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم يومنوا بقلوبهم لاشتراكهم فى
فساد الاعتقاد وظهور الاعراض وان كان من بعضهم من كلهم او الى الفريق المذكور حاصة
وانما اتى بالواو دون الفا لان عدم ايمانهم ليس لتوليهم بل الامر بالعكس والتعريف للدلالة
على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه ومرجع العهد
الى وصف الايمان الخالص ولما فيه من التنصيص على نفى ذلك الوصف عنهم لم يقل وما اولئك
من المومنين لما فيه من احتمال ان يرجع العهد الى الموصوفين به اذ لا يلزم من عدم كونهم
من المعروفين بذلك الوصف ان لا يكون موصوفا اصلا واذا دعوا الى الله ورسوله

الى الرسول عليه السلام وذكر الله لتمهيد لتعظيم دعوته واظهار مكانته وليس هذا طريقة الابدال
ليحكم بينهم اى ليحكم الرسول عليه السلام لانه الحاكم ظاهرا وانما لم يقل ليحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم
غير مخصوص بصدره الظن بالحكم عليهم بل شامل لصورة الشك فشانهم الاعراض فيما اذا اشتبه
الامر حالا وان كان الحكم لهم مآلا ومن غفل عن هذا الاعتبار اللطيف قال فى تفسير قوله تع
اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم
وهو شرح للمعنى ومبالغة فيه ولم يدر ان شرحه على وجه ابلغ فيما ذكرناه لا فيما ذكره وان
يكن لهم الحق اى الحكم فى اعتقادهم ياتوا اليه مذعنين طلبا لحقهم لا رضى بحكم رسولهم قال الزجاج
الاذعان الاسراع مع الطاعة فباعتبار الاسراع من معنى الاتيان يجوز ان يكون الى
صلة لمذعنين ويكون تقديمه للاختصاص ومحافظة الفواصل افى قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله الحيف الجور بنقص الحق عليهم انما قدم صفة الحيف على قوله ورسوله
اظهارا بانه على تقدير وقوعه يكون من الله تعالى شانه عما يقول الظالمون ولا يكون فيه
دخل للرسول لانه مظهر لا مثبت فسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا لم يعتقدوا ان الحكم لهم
بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين بل راوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم
بك او خائفين الحيف فى قضائه ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحاكم
والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط
امانته يمنعه فتعين الاول فلذلك اضرب بقوله بل اولئك هم الظالمون عن القسمين الاخرين
لتحقيق القسم الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف يريدون ان يظلموا من له
الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يابون
المحاكمة اليه هذا ما ادى اليه النظر الجليل والذى ادى اليه النظر الدقيق هو انه اضراب عن نفس
التقسيم يعنى دع التقسيم فانهم هم الكاملون فى الظلم الجامعون لتلك الاوصاف على الكمال
فلذلك صدوا عن حكومتك يدل على ذلك اسم الاشارة والتعريف بلام الجنس وتوسيط
ضمير الفصل والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه نزلت فى بشر المنافق وخصمه
اليهودى حين اختصما فى الارض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى
كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا انما كان قول المومنين على عادته تع فى اتباع
ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع والنصب والنصب

اقوى لان اولى الاسمين لكونه اسما لكان اوغلهما فى التعريف اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
الرسول وقرئ على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم بينهم لحكم الله الذى
انزل عليه ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون الفائزون ومن يطع
الله ورسوله فى الاوامر والنواهى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك
هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم اى حلف المنافقون بالله وهو جهد
اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك
اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين
جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم
هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن
جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة للنبى عليه السلام خير من
قسمكم الذى لا تصدقون فيه ولا تصدقون او الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا اليمين بالطاعة
النفاقية المنكرة او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون
يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه من سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما
خاطبهم الله تعالى به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على الرسول ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه فى امره ونهيه تهتدوا الى الحق وما على الرسول
الا البلاغ المبين وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم والا فعليكم البلاغ بمعنى التبليغ
كالاداء بمعنى التادية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر للمخلصين فقال
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبى عليه السلام والامة او له ولمن معه
ومن للبيان ليستخلفنهم فى الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى
مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم واقسم او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم
كما استخلف الذين من قبلهم يعنى بنى اسرائيل فى مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية بالتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء
امنا منهم لغلبتهم عليهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا عشر سنين خائفين
ثم هاجروا الى المدينة فكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم
الله على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب يعبدوننى حال من الذين لتقييد الوعد

بالثبات

بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لا يشركون بى شيئا
حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر
ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او بعد حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون فى فسقهم حيث كفروا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا بتلك النعمة العظيمة
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فى سائر التكاليف الشرعية بالاوامر
والنواهى ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون
تكريرا الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله لعلكم ترحمون
كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض اى فائتين الله بان لا يقدر
عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه السلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا معجزين وقرئ
بالياء والفاعل النبى عليه السلام لتقدم ذكره والمفعولان ما ذكرناه وماواهم النار عطف عليه
من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين وماواهم النار لان المقصود من النهى
عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ولبئس المصير الماوى الذى يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض
عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد
دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم والصبيان الذين لم يبلغوا فكنى
عن البلوغ الى حد الرجولية ببلوغ الحلم اى الاحتلام لانه اقوى دلائله منكم من الاحرار ثلاث
مرات فى اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه
من الثياب ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبرا لمحذوف
اى هى من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة بيان للحين وهى نصف النهار
فانها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من
ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلاث عورات لكم اى هذه الثلاث اوقات
يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا ما بعده خبره وقرئ بالنصب بدلا عن ثلاث مرات
الخلل واصل العورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار على عمر رض وقت
الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رض وددت ان الله تعالى نهى عن الدخول فى

هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي عليه السلام وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك الاستيذان ورآء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح وانما نفى الحرج عن الطرفين لان الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين ومن هنا تبين ان الامر بالاستيذان في حق المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه ايضا في اية الاستيذان فيسخها لانه في الصبيان والمماليك للدخول وتلك في الاحرار البالغين ومماليك الغير واما قيل هذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة فمنشؤه الغفلة عما حكاه المهدوي عن ابن عباس رض من ان ذلك كان واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب طوافون عليكم هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو شدة المخالطة وكثرة المداخلة وفيه وفي الفرق بين الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض والجملة موكدة لما قبلها وتجوز ان يكون بدلا منه يعني لا بد لهم من ذلك للخدمة فلو جزم بالاستيذان في كل وقت لافضى الى الحرج كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اراد بالايات علل الاحكام يعني كما يبين لكم علة الاستيذان يبين العلل في غيره من الاحكام التعليلية عند الحاجة اليه والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم من الاحرار دون المماليك الحلم الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية اي اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من الاحرار والذين ذكروا من قبلهم في قوله تع يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستاذنوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتادوا الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالكبار من الاحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا بالاذن كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن قعودهن كناية عن الياس عن الناس فالتوصيف بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعنى وتاكيده فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما في المبتداء

من معنى الشرط بسبب اللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات زينة يريد الزينة التي امر باخفائها في قوله تع ولا يبدين زينتهن الاية اي لا يقصدون بوضعها التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها الا انه خص بتكشيف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيسترن خير لهن من وضعها لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقاصدهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي عليه السلام وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم ويأذنونهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون عن ذلك ويقولون نخشى ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الاية رخصة لهم ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان الحكم فيه بل اظهار التسوية بينه وبين قرنائه كقوله تع يكلم الناس في المهد وكهلا او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم لم يذكر بيوت الاولاد احالة لحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاول من هولاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح الغلق واريد بملكه كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رض هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او صديقكم او بيوت صديقكم وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب ويسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الان فقد غلب الشح على الناس فلا يوجد صديق حكمه هذا لانه يوجد تخلف عنه الحكم بغلبة الشح وكان لندرة وجوده عدل فيه عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين ورد فيمن تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض او اشتاتا متفرقين جمع شت ورد فيمن تحرجوا عن الاكل وحده فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وهذا كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي من هو من جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه وتجوز

ان يكون للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده مباركة لانها دعوة مومن لمومن
بامر الله تعالى يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وفي حديث
انس رض قال عليه السلام متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانه صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين
الله لكم الايات كررناه لذلك التاكيد وتميم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو
المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور
انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا
كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف
الامر بالجمع على سبيل المجاز للمبالغة لم يذهبوا حتى يستاذنوه اي وياذن لهم ولما اراد ان
يريهم عظم الجناية في الذهاب عن مجلسه عليه السلام اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك الذهاب
بلا اذن ثالث الايمان بالله تعالى والايمان برسوله عليه السلام وجعلهما كالتمهيد لذكره ثم
عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر ابلغ فقال ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل
الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا
استاذنوك في الانصراف لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق
للامر فاذن لمن شئت منهم فيه رفع شانه عليه السلام بتفويض الامر الى رايه ففيه دلالة
على ان بعض الاحكام مفوض الى رايه وتقييد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه
حتى يكون المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا التعسف ظاهر واستغفر لهم الله بعد الاذن
فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي عن التسوية
بين الدعائين والمقصود النهي عن لوازمها كجواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع
بغير اذن وذلك لان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وحمل الدعاء
على النداء والتسمية او على الدعاء اليه لا يناسب السباق واللحاق والفصل بين اجزاء الكلام
بالاجنبي من المساق يخل بمقتضى البلاغة وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم

ببعض

ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يوذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال او ملاوذين
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المومنين والضمير لله لان الامر في الحقيقة له او للرسول عليه السلام
لانه المقصود بالذكر ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم
في الاخرة واو لمنع الخلو فلا ينافي الجمع والاية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في
السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد لتوكيد علمه بما هو عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة
به خلقا او ملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها
ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء اي ويعلم يوم جزاءه وهو يوم القيمة
والخطاب في الكلامين المذكورين يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات
ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني خاصا بهم فينبئهم بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم
ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه خافية ٥

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه
في صفاته وافعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب
وترتيبه على انزال القران لما فيه من كثرة الخير الذي نزل الفرقان مر تفسيره في ال عمران
على عبده وذي على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته او المرسلون بالكتب السماوية
على ان الفرقان اسم جنس ليكون العبد او الفرقان للعالمين للثقلين نذيرا منذرا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام ولا يلزم ان تكون الصلة معلومة
لكل احد الذي رفع على انه خبر مبتدا محذوف او على الابدال من الذي نزل او على المدح
او نصب عليه له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
ومشركوا العرب في العزير والمسيح والملائكة ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية
وخلق كل شيء لا كما قالت المجوس انه تعالى لم يخلق الظلمة ولا كما قالت المعتزلة انه تعالى غير
خالق لافعال العباد فقدره تقديرا اي قدر كل شيء تقديرا يوافق الحكمة في خلقه والعلب

لمحافظة الفاصلة واتخذوا الضمير للكافرين لدلالة نذيرا عليهم من دونه آلهة لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وصف آلهتهم بما يدل على انها لا تستحق العبادة اي لا يقدرون على الخلق ومع ذلك
هم مخلوقون وانما قال يخلقون اظهار التجدد حدوثها وفيه وجه آخر لعدم استحقاقها
العبادة ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على التصرف فيهما بالدفع
والجلب فلا حاجة الى تقدير مضاف لان دفعه اهم من جلب النفع وانما قال لانفسهم
اظهار اللقائت عجزهم فان من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في حق غيره
بدون العكس ولا يملكون موتا قدمه على الحيوة على عكس ترتيب الوجود لتقديم الضر على
النفع ولا حيوة ولا نشورا اراد به الاحيا بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية لعرائهم
عن لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلها كالعقلا لزعم عابديها وقال الذين كفروا ان
هذا اي ما هذا القران الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم واحوال الآخرة وهو يعبر
عنه بعبارته فقد جاؤا جا يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديته واما حذف الجار وايصال
الفعل فلا بد فيه من السماع ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا
بنسبة ما هو بري منه اليه والزور المائل عن القصد وقالوا اساطير الاولين اسطره المتقدمون
وقد مر بيان الاساطير اكتتبها اي كتبها بنفسه او استكتبها وقرئ على البنا للمفعول لان
اي واصل اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضي الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه ليحفظها فانه
امي لا يقدر ان يكتب من الكتاب بكرة واصيلا البكرة اول النهار والمراد من الاصيل
آخره بقرينة المقابلة قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض والسر اخفاء المعنى
في القلب والمراد ما في السموات والارض من خفايا الاصول يعني ان في القران اخبارا
عما لا يعلم الا الله تعالى من الجنة والنار وما فيهما ولا تعرض لها في التورية والانجيل ولو كان
ماخوذا من اليهود او النصارى لم يزد على ما فيهما وايضا فيه اخبار عن الحوادث السماوية
والارضية قبل حدوثها وليس احتمال الاخذ من كتب المتقدمين انه كان غفورا ساترا
للذنوب وموخرا للانتقام رحيما بالامهال وعدم الاستعجال وادرار الانعام لثبوت

بعضهم

بعضهم ويرجع عن الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب الاعتبار والاختبار
وزيادة كان لافادة الدلالة على العادة وقالوا مال وقعت اللام في المصحف مفصولة
عن الها وخط المصحف سنة لا تغير هذا الرسول اللهو الذي يزعم انه رسول وفيه استهانة
وتهكم ياكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيها هذا والجملة الاولى كناية عن الاكل
ولا يخفى ما فيها من تقبيح الحال الذي يقتضيه مساق الكلام والثانية كناية عن العرض من
المشي في الاسواق وهو طلب اسباب المعاش اي ان صح انه رسول الملك المتعال فما باله
يفعل هذه الافعال يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا بريا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا
الى ان يكون عن ذلك الا اقتراح اي اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساند
في الانذار بقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ثم تنزلوا الى ان يكون مرفودا
بكنز يلقى اليه من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش فقالوا او يلقى اليه كنز ثم تنزلوا
فقالوا او تكون له جنة ياكل منها اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما
للدهاقين والمياسير فيعيش بريعه وحسن عطف المضارع وهو يلقى ويكون على انزل
وهو ماض دخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى
هلا وحكمه حكم الاستفهام والمراد بالظالمين في قوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه
وضع موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله
فيخيل اليه الشيطان ملكا وكلامه وحيا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك
تلك الاقوال الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا عن طريق الحق في
جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن بوجه فيها ويخبطون كالمتحير في امره لا
يدري ما يصنع فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسه عليهم تبارك الذي ان
شا جعل لك خيرا من ذلك تكاثر الذي ان شا وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ولكن
اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك
قصورا عطف على محل الجزا وقرئ بالرفع لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم بقول بل اتوا باعجب من ذلك كله
وهو تكذيبهم بالساعة وكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما

بتعجيل

وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيأنا للمكذبين
بها نارا شديدة الاسعار والاسعار تهييج النار بشدة الايقاد اذا رأتهم اذا قابلتهم
وصارت منهم بقدر ما يرى منه الرائي كقوله وترائهم تراءى اي تتناظر وتتقابل بحيث يكون
احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو
اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا ما يتراءى في بادئ النظر والذي يظهر عند
التامل هو انه من قبيل مجاز التمثيلي الشائع في كلام الله تع شبهت النار بمن له تلك الحال
وذلك في غاية البلاغة فمفردات الكلام على حالها وانما قال لها دون منها او فيها
تنصيصا على ما يتم به التمثيل وهو ان يكون التغيظ لها لا لما فيها واذا القوا منها بيان
تقدم فصار حالا مكانا في مكان ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق
كما ان الروح مع السعة وعن ابن عباس رض انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح
مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة
وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اذ هم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا
تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزنا كثيرا وكثرته اما لدوام العذاب متجددا واما
لانه انواع وكل نوع منه يكون ثبورا لشدته وفظاعته قل اذلك خير ام جنة الخلد التي
وعد المتقون اي وعدها فالراجع الى الموصول محذوف والمراد من المتقين بقرينة المقابلة
من يتقي انواع الكفر من الشرك والتكذيب والاشارة الى مكان العذاب وهو النار
وانما قال ذلك خير ولا خير في النار توبيخا وتهكما للكفار ويجوز ان تكون الاشارة
الى الكنز والجنة واضافة الجنة الى الخلد للدلالة على خلودها ولانها حاصلة بقوله
خالدين كانت لهم جزاء على اعمالهم بالوعد الازلي ومصيرا مرجعا لهم فيها ما يشاؤون
ما يشاؤونه من انواع الملاذ والمشتهيات والمشية تتبع العلم فالتفاوت في درجات
اهل الجنة وانواع تلذذهم بحسب علمهم وانما ذكر فيها مع عدم الحاجة اليه للتنبيه بتقديمه
على ان حصول كل المشتهيات لا يكون الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم والضمير

في كان لما يشاؤون وعلى في قوله على ربك استعيرا في منزلة الوجوب في التاكد بقرينة الوعد
والسؤال ومن وهم انه على حقيقته لامتناع الخلف في وعده تع ثم قال ولا يلزم منه الالجاء
الى الانجاز لان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز فقد وهم حيث لم
يفرق بين الوجوب على الله والوجوب منه فان اللازم ح هو الاول والذي صح ودفع
المحذور عنه هو الثاني وعدا مسؤولا اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او
مسؤولا سأله الناس في دعائهم ويوم يحشرهم للجزاء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود
سواه وما وضعه عام ولذلك يطلق لكل شيء ولا يعرف ويراد به الوصف او لتغليب
الاصنام لا تحقيرا لان المغلب عليه من الانبياء والملائكة لا يليق ذلك بشانهم بل اعتبار الغلبة
عبادتهم وانما قلنا يعم كل معبود اذ لا قرينة للتخصيص لا بالاصنام وذلك ظاهر ولا بالملائكة
والانبياء لان كل شيء ينطق يومئذ فلا يكون السؤال والجواب قرينة فيقول للمعبودين
ءانتم اضللتم عبادي الاضافة لتعظيم جريمة الاضلال لا لتشريفهم لانهم المشركون هؤلاء
بدل من عبادي ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح
والاستفهام للتقريع والتبكيت للعبدة فلذلك قدم الضمير على الفعل ايلاء طرف الاستفهام
للمقصود بالسؤال وهو الفاعل لا الفعل وانما حذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا
مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او قصدوا
به تنزيهه تع عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما كان يصح لنا ان ندعو غيرنا ان نتخذ من
دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تع واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في
الاول وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا انا لم نضلهم ولم
نحملهم على الامتناع من الايمان صلح ان يستدرك بلكن فقالوا ولكن متعتهم واباءهم بالاموال
والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او
التذكر لالائك والواو الفصيحة في وكانوا للعطف على محذوف تقديره فكفروا وكانوا
قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن الزبعرى
في الواحد ٭ يا رسول الاله ان لساني ٭ راتق ما فتقت اذ انا بور ٭ فقد كذبوكم المعنى فقد
كذبكم المعبودون وهذه مفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم

ولا يستقيم ان نتخذ من
دونك من اولياء للعصمة
او عدم القدرة كذا في الكشف لناظر

حلى الواو الفصيحة

اليها الالتفات وحذف القول وقد سبق تحقيق هذا في قوله تع فقد جاءكم بشير ونذير من سورة
المائدة بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والبا بمعنى في او مع المجرور بدل
من الضمير وقرئ بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون وقرئ
بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم ولا نصرا فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين
على العموم بقوله ومن يظلم منكم الشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد
بعدم المزاحم وهو التوبة اجماعا وبالاحباط بالطاعة والعفو عندنا في الاخير نذقه عذابا كبيرا
وهو عذاب النار وفي عبارة نذقه اشارة الى ان العذاب جسماني وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر لان دخولها
وخروجها ههنا سواء بل لانه موضع ابتداء تقديره الا هم ياكلون والجملة بعد الا صفة لموصوف
محذوف والمعنى وما ارسلنا احدا قبلك من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لدلالة
المرسلين عليه ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ولا دلالة فيه
على القضاء والقدر لان قوله اتصبرون علة للجعل لا للتقدير والمعنى وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة ليظهر ايكم يصبرون من الفتنة اي المبتلى المعافى ويحفظ المعافى المبتلى والصبر
ان يحبس كلاهما نفسه عن البطر وذاك عن الضجر وكان ربك بصيرا بمن يصبر ومن يضجر
او بالصواب فيمن ابتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون الرجاء ترقب الخير الذي يقوى
في النفس وقوعه وبهذا القيد الاخير يفارق الامل لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون
عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجاء في لغة تهامة الخوف واللقاء
المصير الى الشيء من غير حائل ولهذا صح لقاء الجزاء لان العباد يصيرون اليه في الاخرة وعلى هذا
يصح ان يقال لا بد من لقاء الله تع لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون البشر او شهودا
على نبوته عليه السلام ودعوى رسالته او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته ويامرنا باتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا لها ما لا يفاد من الانبياء الذين هم اكمل
خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك وعتوا العتو الخروج الى افحش الظلم عتوا
كبيرا بالغ اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات الباهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم
الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف

بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم فان في فحوى هذا الفعل دليل على التعجب
من غير لفظه الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة ملائكة
الموت او العذاب ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى
او يعدمونها وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما
تتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل او باضمار اذكر
ثم اخبر فقال لا بشرى يومئذ وقيل لا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف
ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا يعمل فيما قبلها للمجرمين
ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما
يقابلها او عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين
نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اي يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تع ان يمنع لقاءهم وهي
مما كانوا يقولونه عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما
عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما لغتان فيه غير انه
لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه
بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
لا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من
صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه
فقدم الى اسبابه وما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا وعلى هذا
يكون الكلام المذكور تمثيلا على سبيل الاستعارة لا الاستعارة في مفرداته بخلاف ما اذا
كان المعنى وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه فانه ح تكون الاستعارة
في المفردات لا في الكلام والهباء الشيء المنبث الذي تراه في البيت والهباء ايضا
دقاق التراب ويقال له اذا ارتفع ومنثورا صفته وليس فيه تنبيه على تقدير التمثيل
واما على المعنى الثاني فقد شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في
انتشاره بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
تمييز والمستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن

مقيلا قال الازهرى القيلولة والمقيل الاستراحة فى نصف النهار وان لم يكن مع ذلك
نوم وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل
النار فى النار وفى الخبر والاحسن تهكم بهم ويوم واذكر يوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التا بعضهم وادغمها فى الشين الاخرون بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو
الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل
الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت
له لان كل ملك يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ
معمول الملك لا الحق لانه متاخر وصفه والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد فى السوال ثم الخزى والنكال ثم النار
والاغلال ويفهم منه يسره على المومنين وفى الحديث يهون يوم القيمة على المومنين حتى
يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها فى الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه من
فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما ولافادة الدلالة
على استمرار تلك الحال ضمن الفعل المذكور معنى الاستقرار فعداه بعلى والمراد بالظالم الجنس
وقيل عقبة بن ابى معيط يقول جملة فى محل النصب على الحال يا ليتنى اتخذت فى الدنيا
مع الرسول تابعا له سبيلا هاديا اليه وتنكيره للاشعار بكمال الاتباع يا ويلتا وقرئ بالياء
وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك ليتنى لم
اتخذ فلانا خليلا يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
لقد اضلنى عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ
جاءنى من الله اعتراف بالقصور من جانبه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل او ابليس
لانه حمله على مخالفته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان المطيع
له خذولا مبالغة فى الخذلان اى من عادته ترك من يواليه وقت حاجته اليه وقال
الرسول اى فى الدنيا الى الله ولو كان فى الاخرة لما عدل عن سنن ما تقدم يا رب ان قومى
اى قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اى تركوه ولم يومنوا به من الهجران وهو
مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا
اليه قومهم حل عليهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا واعدا النصرة عليهم فقال

كذلك

وكذلك اى كما جعلناه لك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين فاصبر كما صبروا ومعنى
الكلية الكثرة كما فى واوتيت من كل شئ فلا يشكل بادم عليه السلام فانه لم يكن مبتلى بعداوة
قومه والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا وكفى بربك هاديا الى طريق الصبر المودى الى النصر
والباء زائدة وهاديا للتمييز ويجوز ان يكون حالا اى كفى ربك فى حال الهداية ونصيرا لك
عليهم وقال الذين كفروا اى احبار اليهود لولا هلا نزل عليه القران اى انزل عليه كخبر بمعنى
اخبر بدلالة قوله جملة واحدة اى مجتمعا دفعة واحدة كالتورية والزبور وهذا فضول
من القول ومماراة بما لا طائل تحته وغفول عن مقتضى اصول البلاغة من وجوب رعاية
المطابقة لمقتضى المقام فى كل جملة من الكلام ولا تتيسر تلك الرعاية عند نزول مجموع
القران دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقديم المجمل والعام والمنسوخ وتاخير البيان
والخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا على التقدير المذكور والتذكير من وجوب رعاية شرط
التكرير وهو ان يكون فى اوقات متعددة مع انه لتعرف فوائد منها ما اشار اليه بقوله
كذلك جواب لهم اى انزلناه كذلك انزالا والاشارة الى مدلول قولهم لان معناه لم انزل
عليه القران متفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فوادك بتفريقه ليقوى فوادك حتى تعيه
وتحفظه لان المتلقن وان لم يكن اميا انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ ولو القى
عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت فوادك عن الضجر بتواتر الاصول وتتابع الرسول
لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ولانه اذا انزل منجما وهو متحد بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه ومنها ان نزوله بحسب الوقائع يوجب زيادة بصيرة
وغوص فى المعنى ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة
واما ان الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان وكذا اسباب النزول لا يجتمعن فليس من الفوائد
وان كان من جملة البواعث لذلك ويحتمل ان يكون كذلك من تمام كلام الكفرة ولذلك
وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السالفة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيئا بعد شئ على تودة وتمهل واصل الترتيل فى الاسنان
وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل سوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان
الا جئناك بالحق الدافع له واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا التفسير التكشيف عما يدل
عليه الكلام الذين يحشرون اى يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم ذم منصوب او

مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم
وقيل مكانا منصرفا واضل سبيلا وصف السبيل بالاضلال من الاسناد المجازى للمبالغة
والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه الاية كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
وجعلنا معه فى عبارة معه اشارة الى اصالة موسى فى امر الدعوة اخاه هرون بدل او عطف
بيان وزيرا هو فى اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافى
النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا اى فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر
عجيب اراد الاختصار فاقتصر على حاشيتى القصة لانها المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة
الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم فالفاء فصيحة وهى فا سببية لا يلزمها التعقيب وقوم
نوح منصوب بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر اى اغرقنا قوم نوح والعامل فى لما ذلك المحذوف
كذبوا الرسل انكروا البعثة مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا
قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين لقوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه اراد
تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه عذابا اليما فى جهنم واما
عذابهم فى البرزخ فغير متراخ عن اغراقهم وعادا وثمودا عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وانما صرف ثمودا على تاويل الحى او لانه اسم الاب الاكبر وقرى
وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا
شعيبا فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس
قرية نبيهم فهلكوا وهم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا واهل اعصار وقدم تفسير
القرن فى سورة الانعام بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له
الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم التى كانت قبلهم اى حذرنا كل امة ان ينزل بها ما نزل
بمن قبلها فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا اهلاكا واصل التتبير التفتيت
ومنه التبر لفتات الذهب والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال
وهو انذرنا او حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعنى اهل مكة على القرية سدوم

وهى اعظم قرى قوم لوط التى امطرت مطر السوء اى اهلكت بالحجارة ومطر السوء مفعول ثان
والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف الزوائد اى امطار السوء افلم يكونوا يرونها فى مرار
مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا
كفرة لا يخافون نشورا فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا واذا راوك ان يتخذونك ما يتخذونك
الا هزوا موضع هزو او مهزوا به اهذا اى يحكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستحقار اى
قائلين هذا الذى بعث الله رسولا والعائد الى الذى محذوف اى بعثه الله واخراجه فى معرض
التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا
ليصرفنا عن عبادتها لولا ان صبرنا عليها فيه دلالة على فرط مجاهدة الرسول عليه السلام فى دعوتهم
وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة الهتهم ولما عدوا اجادتهم الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها
ضلالا اوعدهم الله تعالى فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
فيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه اى من اطاع
هواه فيما ياتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا
الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى وانما قدم المفعول الثانى للاشعار بانه
المعبود حقه التقديم والتعظيم فهم اخلوا الجهة حيث اتخذوا اهواءهم الهة افانت تكون عليه
وكيلا اى حفيظا تحفظه عن متابعة هواه وعبادة ما يهواه او فانت تكون عليه موكلا
فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرضه اليه التبليغ فقط فالاستفهام الاول للتعجب والتقرير والثانى
للانكار ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدى لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع
فى ايمانهم ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة
اشد من التى تقدمها حتى حقت بالاضراب عليها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول
لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى
هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم
ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف
من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها
ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان

الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي
وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا
ولان فيهم من آمن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل اي
بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور
لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع
وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل
ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول ولا يذهبه الشمس وفيه دليل على انه تع
يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار ثم جعلنا الشمس عليه دليلا لانه
بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشيا تعرف بالاضداد ثم قبضناه
القبض جمع المنبسط من الشيء والمراد ازالته بايقاع الشمس موقعه الينا اي حيث اردنا
قبضا يسيرا سهلا او قليلا قليلا وجاء بثم في الموضعين لتفاضل الامور وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس والنوم سباتا راحة للابدان بقطع
المشاغل واصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انبعاث من النوم كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش وفي
هذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق اظهار النعمة على خلقه فان في الاحتجاب بستر
الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة الشبيهين بالموت والحيوة عبرة
لمن اعتبر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب
جمع نشور وقرئ بالفتح على انه مصدر وصفت به وقرئ بشرا تخفيف بشر جمع بشور
بمعنى مبشر بين يدي رحمته قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة
مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا مبلغا في طهارته وذلك لانه لم يشبه شيء بخلاف
ما نبع من الارض ونحوه فانه يشوبه اجزاء ارضية من مقره او ممره او مما يطرح
فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضا به قال عليه
السلام التراب طهور المؤمن لنحيي به بالنبات بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان
او لانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا

انعاما واناسي كثيرا وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان والاناسي جمع انسي على القياس
ككرسي وكراسي او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء
وادغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتهما
فقدم سبب حيوتهما على سقيهما وتخصيص الانعام من بين الحيوان الشارب لان عامة
منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام
والاناسي ووصفها بالكثرة لان اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية
عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير يعيشون بما نزل من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض
هولاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه
بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يوثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان
الطهورية شرط للاحياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر
الكتب المنزلة على الرسل ليذكروا ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيشكروا
فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وقلة الاكتراث بها وانما عدل عن
الضمير لكيلا يتوهم ان المراد اكثر ذلك الكثير او صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا
الا كفورا وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رض ما
من عام اقل مطرا من عام ولكن يصرفه حيث يشاء وقرأ الاية ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها يعني ان المقصود من البعثة ابلاغ الدعوة والزام الحجة
لا الاهتمام في امر الهداية وقبولها والا لفعلنا ما هو ادعى لذلك من دعوة كل اهل
قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين اي فلا توافق هواهم في بعض الامور ابتغاء لقبولهم
الدعوة ودخولهم في طريق الهداية وانما قيل نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء
النبوة لكن قصرنا الامر عليك تعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك
بالثبات والاجتهاد في الدعوة فلا تطع الكافرين فيما يريد ذلك عليه فيرد عليه ان موجب
ذلك العطف بالواو دون الفاء على ما افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشدد والتصبر
ولا تطع الكافرين ولم يدر ان فيه تغيير النظم القران واثباتا للمقصود فيه وجاهدهم به
بترك طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع يعني انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد

في تحمل مشاقهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لانه جهاد مع كل الكفرة على ما فهم مما سبق من بعثته الى
جميع القرى وجملة الامم ثم عاد الى تعداد النعم فقال وهو الذي مرج البحرين خلاهما متلاصقين
بقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا عذب فرات
قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد وقد نقل الازهري عن الكسائي صحة مالح وان كان المليح الفصيح ملح
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول
للاخر ما يقوله المتعوذ عنه او سترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي
خلق من الماء من النطفة بشرا لم يقل انسانا لان حقيقته وهو الروح غير مخلوق منها فجعله
نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر الى قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن
فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة توأمين ذكرا
وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر
على ربه على معصيته ظهيرا معينا ومظاهرا يعني للشيطان وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين كافرا كان او مومنا قل ما اسألكم عليه على
التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر جعل الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر
من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث
اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا
عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وتوكل على الحي الذي
لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعني ثق به واستند اليه في
استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن ان
يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها
وما بطن خبيرا مطلعا يعني انه عالم باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه وذكره هنا لزيادة تقرير لكونه
حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني

في الامور فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج
الرحمن خبر الذي ان جعل مبتدأ او للمحذوف ان جعل صفة للحي او بدلا من المستكن في استوى وقرئ
بالجر صفة للحي فاسأل به السؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى البحث والاستفسار يعدى بالباء
لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا اي فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك
بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه واذا
قيل لهم للمشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به
لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك
قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان وقرئ يأمرنا بالياء
على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان تبارك الذي جعل
في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به لظهورها وارتفاعها قال الزجاج كل ظاهر مرتفع
يقال له برج وجعل فيها سراجا يعني الشمس لتوقدها قال تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي
الكواكب الكبار وقيل الشمس والكواكب الكبار وعلى هذا يلزم تخصيص القمر بالذكر بعد دخوله في
السرج مع ان حق التخصيص بالذكر للشمس لظهور فضيلتها على سائرها وقمرا منيرا اي مضيئا
بالليل وقرئ قمرا كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
جعلهما ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا
لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر
يتذكر آلاء الله ويتفكر فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد شكورا ان يشكر الله على ما
فيه من النعم وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون
على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد كتجار
وتاجر هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اي
يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر ولقوله ويمشون في الاسواق
كره بعض العلماء الركوب في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء بما يكرهون قالوا
سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم
فاقيم السلام مقام التسليم قيل نسختها اية القتال ولا وجه له لان الاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا
ومروءة هذا نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد وقياما

جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهى ان يدركك الليل نمت فيه او لم تنم وتخصيصها
لان العبادة بالليل احمز وابعد من الريا وتاخير القيام لمحافظة الفاصلة والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان
بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون
الى الله تع فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم وو ثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا
ومقاما ساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم ضمير محذوف
معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها
او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او
تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدا من الله تع والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
لم يجاوزوا الحد فى الانفاق فى معصية الله تع قل او كثر والاقتار منع حق الله تع
من المال وقال عليه السلام من منع حقا فقد قتر ومن اعطى فى غير حق فقد اسرف ولم يقتروا
بضم التا وبضم اليا وكسر التا وبفتح اليا وكسر التا والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى
هو ضد الاسراف وكان اى انفاقهم بين ذلك اى الاسراف والاقتار قواما القوام بالفتح
وبالكسر العماد وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال موكدة
ويجوز ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون مع الله الها اخر اى لا
يشركون ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها يعنى حرم قتلها وهى نفس الانسان
الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصى بعد
ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال
ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال ابو عبيدة الاثام العقوبة وقرى اياما اى شدائد يقال
يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانهما فى معنى واحد
اذ مضاعفة العذاب هى لقى الاثام وقرى يضاعف على الاستيناف او على الحال وكذلك
ويخلد فيه مهانا ذليلا الا من تاب عن الكفر وامن بمحمد عليه الصلوة والسلام وعمل عملا
صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات بان يمحو سابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يوفقهم للمحاسن بعد القبائح وكان الله غفورا

ولذلك يمحو السيات رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا ومن خرج عن
المعاصى ودخل فى الطاعات اى تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه بذلك يتوب
الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور لا
يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجود الزيادة فيه واذا مروا باللغو يعنى اذا
مروا باهل اللغو والمشتغلين به وهو ما ينبغى ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن التلوث به بالتوقف عليه والخوض فيه والذين اذا ذكروا بايات ربهم
اى قرى عليهم القران او وعظوا به لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفى للخرور بل هو اثبات
له ونفى للصمم والعمى ونحوه قول الشاعر بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى
بها حين سلت اى بايدى رجال شاموا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعنى انهم اذا ذكروا بها
خروا سجدا وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون باصرة لما امروا به ونهوا عنه
لا كالمنافقين واشباههم دليله ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا
وبكيا فان القران يفسر بعضه بعضا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من
ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت
اسد او للابتدا على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان المومن اذا
شاركه اهله فى طاعة الله تع سرهم قلبه وقربهم عينه لما يرى من مساعدته فى الدين وتوقع
لحوقهم به فى الجنة وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما فان المضاف لا سبيل الى تنكيره
الا بتنكير المضاف اليه وانما قيل اعين على القلة دون عيون لان المراد اعين المتقين وهى
قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما ائمة يقتدون بنا فى امر الدين بافاضة
العلم والتوفيق للعمل واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا
لانه مصدر فى الاصل او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحادهم فى
الطريقة واتفاق كلمتهم وقيل جمع ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم قبل
فى الاية اولئك يجزون الغرفة اى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحدا اقتصارا على الواحد
الدال على الجنس دليله قوله تع وهم فى الغرفات امنون بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض

الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعآء بالتعمير
وبالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرى يلقون من
يلقى خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها حسنت اى الغرفة مستقرا ومقاما موضع
قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما مثلا اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما متضمنة
لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب على المصدر كانه قيل اى عبا يعبؤا بكم ربي من عبات الجيش
اذا هيأته لولا دعاؤكم لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اى انه خلقكم لعبادته
لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى لا اعتبار عند ربكم بعبادته او ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقد كذبتم بما
اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه
وقرى فقد كذب الكافرون منكم لان الخطاب لعامة الناس بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب فسوف يكون جزآء التكذيب واثره لزاما لازما بكم وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
او التنبيه على انه مما لا يكتنه كنهه بالوصف وقرى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك
الاشارة الى ايات السورة ايات الكتاب المبين المظهر للحق من الباطل لعلك باخع نفسك
قاتلها الا يكونوا مومنين من اجل امتناع قومك عن الايمان لعل ههنا للاشفاق اى
اشفق على نفسك بتخفيف هذا الغم والهم ولما كان مظنة ان يقال ان ذلك لتنفيذ
امر الله وتحصيل المرادات الالهية من الاوامر والنواهي دفعه بقوله ان نشأ ننزل عليهم من
السماء اية قاهرة قاسرة لهم على الايمان اشير الى ذلك بقوله عليهم يعني ان ايمان تلك الطائفة
ليس بمراد انما المراد من بعثك تبليغ احكام التكليف على ما تقتضيه الحكمة فليس امرنا عن
ارادة ولا نهينا عن كراهة فظلت عطف على ننزل عطف اكن على اصدق لانه لو قيل انزلنا بدله
لصح اعناقهم لها خاضعين الخضوع امارة الانقياد اللازم للاذعان وهو المراد ههنا بطريق
الكناية اصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على
اصله وفي الكناية المقصودة من عبارة الخضوع اشارة الى ان قهر تلك الاية قهر حجة وبرهان

فلا يعقوب الا اختيار المعتبر في صحة الايمان وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين اى ما جدد الله بوحيه على نبيه موعظة وتذكيرا الا استمروا على ما كانوا
عليه من الاعراض فقد كذبوا حذف المفعول اشارة الى ان تكذيبهم تجاوز عن حد
الخصوص الى حد العموم فان تكذيبهم محمدا عليه الصلوة والسلام كان تكذيبا لسائر الانبياء
المخبرين عنه والمبشرين به بل تكذيبا لله تعالى ايضا والفاء في قوله فسياتيهم فصيحة تفصح
عن محذوف معطوف على المذكور تقديره واستهزؤا به فسياتيهم انبآء ما كانوا به
يستهزؤن انباء الخبر كناية عن وقوع المحذور المنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم
سيعلمون اذا مسهم العذاب يوم بدر او يوم القيمة الشيء الذي كانوا يستهزؤن به
اولم يروا الى الارض الواو للعطف على محذوف تقديره الم يتاملوا في عجائب قدرة
الله تعالى ولم ينظروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج الزوج اللون قاله الفراء وكل
للاحاطة وكم للكثرة كريم كثير المنفعة ياكل الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه
عام وفيه دلالة على كمال القدرة ولذلك قال ان في ذلك انبات تلك الانواع لاية عظيمة
على ان منبتها تام القدرة قدم صفة العزة على الرحمة والرحمة اذا كانت عن قدرة
كانت اعظم وقعا واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت ان مصدرية
او تفسيرية القوم الظالمين لانفسهم او لبني اسرائيل قوم فرعون عطف بيان فيه اقتصار على قوم
بل اكتفاء بالدلالة في جانبه للاشارة الى ان ظلم قومه لاتباعهم له الا يتقون استيناف
للتعجب من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرى بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث واصل
الاتقاء صرف الامر المحاذر بينه وبين الصارف والمراد اتقاء العقاب بالطاعة قال رب
اني اخاف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر ان يكذبون ويضيق صدري لتكذيبهم اياي
مستانف او عطف على اخاف ولا ينطلق لساني على ما ارى من المحال وامنع من الجدال ونصبهما
يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده على تقدير
الرفع فارسل الى هرون اى ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعينني على الرسالة ولم يكن هذا الالتماس
منه عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في الرسالة في التماس المعين على تنفيذ الامر
وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فارسل معترضا
بين الاولى والرابعة فانه لو كان تعللا لضرولهم على ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي فاخاف

أن يقتلون كان عنده عليه السلام خوفان خوف تلف النفس وخوف فوات مصلحة الرسالة وانما قدم الثاني على الاول تعقيبا لمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه كما هو اللائق بشأن اولي العزم من الانبيا قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفا فصيحة دلت على محذوف تقديره ظاهر من التفصيل في موضع آخر حيث قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الاية فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه عطف على الفعل الذي دل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته وهو هرون انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون الاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكما ناصر ظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فالمفردات على حقائقها كما في قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وتجوز ان يقال افراد الرسول لاتفاق كلمتهما او افرده هنا وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك لانه كان في هرون عليه السلام جهتان جهة الرسالة من الله وجهة الوزارة لموسى عليه السلام على ما نطق به قوله وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فحين قيل فقولا انا رسولا ربك نظر الى جهة رسالته من الله وحين قيل انا رسول رب العالمين نظر الى جهة وزارته لموسى ولكون موسى اصلا في باب الرسالة كان مخاطبة فرعون اياه ومجادلته معه خاصة وانما زيد قوله لعدم كان الخطاب المعنى عنه ان ارسل معنا بني اسرائيل اي بان اطلق بني اسرائيل عن اسر الاستعباد وخلهم يذهبوا حيث شاؤا وهو كارسل الصيد واهل العيد قال فرعون لموسى بعد ما اتياه وقالا له ذلك الم نربك فينا التربية تنشئة الشيء حالا بعد حال في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه معظما اياه بعد ما عدد عليه من نعمة وانما عرض رعاية لدأب الملوك وقرئ فعلتك بالكسر لانها قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حيث قتلت خبازي قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار الذاهب على وجه التحرز من الادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة

تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك والمعنى ان تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله وابى ان يسمى نعمة الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف حقيقته ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا او ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون ويتكرون ان لهما ربا فاحتاج موسى عليه السلام الى ان يستدل بما شاهدوا من حدوثه وفنائه قال ربكم عدولا الى ما لا مجال للنزاع فيه وانما قال ورب آبائكم الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء فيجيبني عن آخر وسماه رسولا سخرية وترفع عن نسبته الى نفسه ولو سخرية ولم يقل الينا قال رب المشرق والمغرب وما بينهما انتقل الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع ظهور آثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر قال اولو جئتك

الواو للحال وهمزة الاستفهام انما دخلت على الفعل المقدر والمعنى انفعل ذلك ولو جئتك بشئ مبين صدق دعواى يعني المعجزة قال فات به بالذى يبين صدقك ان كنت من الصادقين في انك قادر على اتيانه وهذا الكلام بمعزل عن الدلالة على ان المعجزة لاياتي بها الا الصادق فالقى عصاه فاذا هي ثعبان حية عظيمة ليقال انثعب الماء اذا جرى باتساع والمثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجرى باتساع لعظمه والجان ايضا هو العظيم من الحيات ذكره في الفائق فلا تدافع بين هذا وبين قوله كانها جان على ان المشابهة بالجان في الاهتزاز لا تنافي الثعبانية على تقدير المخالفة بينهما في القدر مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المزورة بالشعبذة والسحر ونزع يده اى اخرجها من جيبه او كمه والنزع اخراج الشئ مما كان متصلا به او ملابسا له فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة قال للملأ الاشراف ليلبس عليهم حوله منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملأ اى كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا الساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تامرون تشيرون في امره من المؤامرة وهي المشاورة قالوا ارجه واخاه اى اخر امرهما وانما اشاروا بذلك لانهم راوا ان الناس يفتتنون ان قتل او حبس وان السحرة اذا قاومته ذلك لا افتتان فكان لم يحذر في قتله وحبسه بحسب اراه وابعث في المدائن حاشرين رجالا يحشرون واحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان ثم انهم عارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم ياتوك بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة اى انفذ الحاشرين في المدائن وانهم حشروا وجمعوا السحرة فالفا فصيحة لميقات يوم معلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين ان غلبوا موسى وليس غرضهم اتباع السحرة وانما

لتوفى

الغرض ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة والاستعلاء بالقوة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ان لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل بالخير واذا كان بالشر يسمى عقابا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا اى حينئذ لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبه قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ولذلك زاد قوله ما انتم ملقون فان قوله القوا كان كافيا في جوابهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى جاؤا بسحر عظيم وقالوا فالفاء فصيحة بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ان اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية والعزة القدرة التي يمتنع بها من الالحاق ضيم لعلو منزلتها فالقى موسى عصاه الفاء فصيحة منبئ عن مقدر ذكر في سورة الاعراف فاذا هي تلقف تلقف تناول الشئ بالفم بسرعة ما يافكون ما يخيلونه منقلبا عن وجهه بتمويههم وتزويرهم او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بسحر وعبر عن الخرور بالالقاء ليطابق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاآت ولسرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين بدل من القى بدل الاشتمال او استيناف رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون لانه حين حشر جنوده نادى فقال انا ربكم الاعلى قال امنتم له اى لموسى قبل ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم الذى علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم او واعدكم ذلك وتواطأتم عليه وقد افصح عن ذلك في سورة الاعراف واراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم فالفاء فصيحة ومدخولها مرتبط بالمحذوف وهو على ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ثم خبر بما كنى عنه فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من شق طرفا وهذه الطريقة في السياسة على الحكمة فانه لا يياس الجاني عن الحيوة والتعيش فيكون القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما اذا قطعا من شق واحد فانه يكون القتل راحة وازاحة للعذاب المحض ولاصلبنكم اجمعين اى لا اترك احدا منكم لا تناله عقوبتي قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اى في ذلك علينا انا الى ربنا منقلبون قد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس للخير الذى يقدر فيها انه يكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا ما فعلنا من السحر وغيره والخطيئة الزوال عن الاستقامة المودية الى الثواب ان كنا

لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير
او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
المدلول بامره المتحقق لصحته واوحينا الى موسى وكان هذا بعد سنين من ايمان السحرة ان اسر
بعبادي بني اسرائيل واضافتهم الى نفسه للتشريف لانهم امنوا به وصدقوا نبيه والاسراء السير في
الليل وانما زيد قوله ليلا لان المراد السير في معظم لا في اوائله واواخره انكم متبعون يتبعكم
عدوكم وهو علة الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتبعهم العدو
في الحال فلا يحصل التقدم وكذا لو ساروا في اخره فارسل فرعون اي فعمل موسى ذلك فخرجوا
فاخبر بذلك فرعون فارسل فالفاء فصيحة في المدائن مدائن مصر وتعديته ارسل بفي دون الى
للتنبيه على الاستعجال وسرعة الاستحضار من الرسل وعلى ان ملك مصر كان معمورا في عهده بحيث
سار الرسل كما خرجوا من عنده في المدائن وفيه كثير استبعاد لما ذكر في كثرة جنده حاشرين
العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول والشرذمة الجمع المحتقر ذكرهم بالاسم
الدال على القلة ثم وصفهم بها واتى بصيغة الجمع باعتبار الاسباط واختار جمع السلامة الذي
هو للقلة وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه وانهم لنا لغائظون
لفاعلون ما يغيظنا بخروجهم من مصر بلا اذن منا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وانا
لجميع حاذرون وقرئ حذرون فالحذر اليقظ والحاذر الذي يحذر حذره يعني نحن قوم من
عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم
فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم
باحداث الداعي على الخروج من جنات وعيون وكنوز انما خصها لان اموالهم الظاهرة قد
انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله ومقام كريم
بهي بهيج كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على انه صفة مقام اي
مثل المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني
اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم مشرقين يقال
اتبع فلان فلانا وتبعه اذا اقتفى اثره وقال الزجاج يقال شرقت اذا طلعت واشرقت
اذا اضاءت فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل منهم الاخر قال اصحاب موسى انا
لمدركون لملحقون قال موسى كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص عنهم ان معي ربي

اي وعدني ربي سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر بحر قلزم فانفلق اي فضرب فانفلق فانشق فصار اثني عشر فرقا
على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفعال على الامر المذكور في الظاهر اشعار
بان ذلك الامر الخارق اثر امره تع لا اثر ضرب موسى عليه السلام فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط وازلفنا وقربنا ثم
حيث انفلق البحر الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى
ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا وانما قال ومن معه ولم يقل قومه
ليتناول مؤمن ال فرعون فانه كان بين يدي موسى ويدل على ان نجاتهم كانت لبركة مصاحبة
موسى ومتابعته ثم اغرقنا الاخرين باطباق البحر عليهم وكلمة ثم دلت على تاخر الهالكين عن
خروج الناجين وذلك بحث جبريل اولهم ليلحق باخرهم لا يشذ منهم احد ان في ذلك اي فيما
فعل بموسى وفرعون لاية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم
اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز غير عاجز عن الانتقام
من اعدائه الرحيم يؤخر العذاب برحمته ليتوب منهم من تاب واتل عليهم على مشركي العرب
نبا ابرهيم خبره العجيب الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي شيء تعبدون سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه ليس المستحق للعبادة قالوا نعبد اصناما كان السؤال عن المعبود لا عن العبادة
وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا او مباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها
عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار ويحتمل ان يكون نظل بمعنى ندوم فلا يدل على اختصاص
عبادتهم بالنهار قال ابرهيم هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون فان سمع بمعنى اجاب شائع
ومنه سمع الله لمن حمده ولو كان يسمعون على معناه الحقيقي لقيل هل يسمعون دعاءكم تدعون او
ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب اي لا تسمع ولا تنفع
ولا تضر ولا نعبدها لشيء من ذلك وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب الباطل حقا
فانهم عدو لي العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء
الي يوم القيمة لقوله تع سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب اي

فانهم عدو لي وفي قوله لي دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول الا رب العالمين استثناء
منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق ولا حاجة الى ان
يقال وكان من اباءهم من عبد الله لانهم ايضا يعبدون الله الا انهم يشركون الاصنام في العبادة
دل على ذلك قوله اذ نسويكم برب العالمين الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين
لمناجح الدنيا ومصالح الدين والاستقبال في يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل
يهدين للاهم الافضل والاتم الاكمل او والذي خلقني لاسباب خدمته فهو يهدين لاداب خدمته
والفاء للسببية ان جعل الموصوف مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
لتقدم واستمرار الهداية والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله
وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم اضاف الاطعام الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة
الانعام واذا مرضت لم يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضي الصبر
ولان ذلك لم يكن مقصودا بذاته كسائر ما ذكر من افعاله تع روادف الطعام والشراب
ولهذا قال واذا مرضت على العرض فلم ينسب اليه تع نسبة السوابق تنبيها على الفصل بينهما فهو
يشفين ان شفيت لا غيره لانه يشفين لا محالة والذي يميتني لم يقل اذا امت لان الخروج
من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء فليس هو كالمرض ولما كانت الاماتة
والبعث مما لا يمكن اسنادهما الا الى الله تع كالخلق لم يحتج الى توكيد بخلاف الهداية
والاطعام والاسقاء فانه مما يمكن اسنادها الى غير الله تع وانما اتى باداة التراخي في قوله
ثم يحيين لانه اراد الاحياء في الاخرة دون القبر واباه التعقيب في الهداية والسقاء
لانهما يعقبان الخلق والمرض وباداة الجمع المطلق في السقي لانه قد يعقب الاطعام
قد يتاخر وقد يتقدم عليه والذي اطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال لا على الاستحقاق بالسوال
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم وهضم
لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة قدم الثناء على الله وذكره بالاوصاف الحسنة بين
يدي طلبته ومسالته ثم سال ربه تع فقال رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل لانتظم في عداد
الكاملين في صلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة والحقني بالصالحين
اي الانبياء عليهم السلام ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان

صدق

صدق اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وفي العبارة باللسان عن القول لا يخفى من البلاغة وانما
اضافه الى الصدق اضافة الموصوف الى الصفة الدالة للاختصاص به والعراقة فيه احترازا
عن الاطراء في شانه في الاخرين في الامم التي تجيء من بعدي فاعطى ذلك فكل اهل دين
يتولونه ويثنون عليه بالاطراء واجعلني من متعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة
جنة النعيم ساله ان يفعل معه من الالطاف ما يختار عنده الطاعات لان الجنة لا ينعم فيها
الا بالاستحقاق وان كان الدخول بمحض لطف الله تع فلذلك قال من ورثة فان
الوارث ياخذ الميراث بلا كسب منه واغفر لابي طلب هداية الى الايمان اقتضاها
حق ابوته ولهذا قال انه كان من الضالين اي استمر على الضلال في الازمنة الماضية
قاله تاسفا وتلهفا لا اخبارا واظهارا او كان ذلك الطلب منه عليه السلام قبل ان كان
مات ابوه على الكفر ولما مات ابوه على الكفر فتبين انه عدو لله تبرا منه ولا تخزني في الاخرة
من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء يوم يبعثون الضمير للناس لانه معلوم
اي لا تخزني يوم المعشر بتعذيب ابي يوم المحشر فهو من تتمة الاستغفار لابيه يوم لا
ينفع مال بدل من اليوم الاول ولا بنون احدا كما ينفع في الدنيا لتعدد ماله ويذب عنه
بنوه الا من مفعول لينفع اتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق سليم القلب فقلب
الكافر والمنافق مريض لقوله تع في قلوبهم مرض اي ان المال اذا اصرف في وجوه البر
وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب قد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له
ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين
اي قربت عطف جملة على جملة اي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها ويتبجحون
بحشرهم اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم مسوقون اليها
وفي اختلاف الفعلين دلالة على ان ارض المحشر قريبة من الجحيم للغاوين الغاوي العامل
بما يوجب الخيبة من الثواب واصل الغواية الخيبة قال الشاعر • فمن يلق خيرا يحمد الناس
امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وقيل لهم على وجه التوبيخ والتقريع اين ما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم
بانتصارهم وهذا لانهم والهتهم وقود النار فكبكبوا انكسوا او طرح بعضهم على بعض فيها في جهنم
هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير

في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر
في قعرها وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن اجمعون تاكيد للجنود
ان جعل مبتدأ خبره ما بعده وان لم يجعل مبتدا بل معطوفا على هم يكون اجمعون تاكيدا للضمير الذي
هو هم وما عطف عليه وهو الغاوون وجنود ابليس وهذان الاحتمالان قائمان في الضمير
المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى
يصح التقاول والتخاصم ويؤيده الخطاب في نسويكم تالله ان كنا لفي ضلال مبين بين
اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في استحقاق العبادة وما اضلنا الا المجرمون
اي رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده من سن الشرك فما لنا من شافعين من الاباعد
كالمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة ولما اتى بصيغة الجمع لمصلحة الفاصلة تدورك حق
المقام بزيادة من التبعيضية ولا صديق حميم من الاقارب كما ترى للمؤمنين اصدقا قال
الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو
الذي يهمك ما يهمه او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فلو ان لنا كرة رجعة
الى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ولو في مثل
هذا للتمني كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ان في ذلك فيما ذكر من قصة
ابرهيم عليه السلام لاية لحجة وعبرة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جات على انظم ترتيب
واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير
الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى
لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مومنين به وان ربك لهو العزيز القادر
على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم
مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة المرسلين فدم الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم
اخوهم نوح انما قال اخوهم لانه كان منهم الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام
اني لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه السلام في قريش فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسالكم عليه على ما انا عليه من الدعا والنصح من
اجر الاجر عبارة عن المنفعة المستحقة فاما الذي لا يكون مستحقا فذلك لا يسمى اجرا بل هبة

ان

ان اجري الا على رب العالمين تحكم وعده وفيه تنبيه على عظم شان ما امر بتبليغه وهذا هو
الموجب لطاعته فيما يدعوهم اليه فلذلك اعاد قوله فاتقوا الله واطيعون واما حسم الطمع
المستفاد مما تقدم فقاصر عن ايجابها ثم ان قوله رب العالمين اشارة الى ان التزام الاجر
في ذلك لمصلحة ترجع للامر يعود الى نفسه من نفع او دفع قالوا انؤمن لك واتبعك
الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل
وابطال الارذلون جمع الارذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع
نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية واشاروا بذلك
الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا
يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اتباع الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم
على بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع على السرائر لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم واتبعك الارذلون من استدعا
طردهم استنكافا عن الشركة معهم في المتابعة خصوصا اذا كان لهم فضل التقدم وقدم السبق
وتوقيفا لما انهم عليه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار
المكلفين من الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء وكم من ذليل عند الناس وهو عزيز
عند الله وبالعكس فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء اما علي الا انذاركم انذارا بينا
بالبرهان الواضح ثم انتم اعلم بشانكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول والانتهاء بلوغ الحد من
غير مجاوزة الى ما وقع عنه النهي واصل النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له
واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما من الفتاحة وهو الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او من شؤم
عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ومنه شحنة البلد اي يملؤه كفاية
كانت السفينة مملوءة من الناس وانواع الحيوان من سباع البهائم وجوارح الطير فكانت
في قصتهم هذه نجاة في نجاة ومن هنا اتضح توصيف الفلك بالوصف المذكور في مقام الامتنان
ثم اغرقنا ثم للتفاوت بين الحالين لا للتراخي ولذلك قال بعد اي بعد انجائه ومن معه
الباقين من قومه ان في ذلك لاية عظيمة شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين

وان ربك لهو العزيز الرحيم الممتنع باهانة من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر
كذبت عاد المرسلين هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين قد تقدم تفسيره عن قريب اتبنون بكل ريع مكان مرتفع والبناء وضع ساف
على ساف الى حيث ينتهي الريع الارتفاع من الارض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه
بالزيادة والنماء آية بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع
ماخذ الماء وقصورا مشيدة او حصونا اي تجعلون في كل موضع عال مشرف علامة تبنونها
ولا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون به المباهاة والمراءاة وذا عبث لعلكم تخلدون ترجون
الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها واذا بطشتم البطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط
بطشتم جبارين الجبار العالي على غيره لعظيم سلطانه وهو في صفة الله تعالى مدح وفي
صفة غيره ذم قال الحسن بطش الجبرة هو المبادرة من غير تثبت ولا توقف فذمهم
الله بذلك ونهاهم هود فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه
انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم
يعينونهم على حفظها والقيام عليها وقرن البنون في قوله وجنات وعيون لان قوامهما
ودوام منافعهما بهما كرر الامر بالاتقاء مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع
النعم تعليلا وتنبيها بالوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل
بعض تلك النعم كما فصل مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في
الايقاظ والحث على التقوى فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة
فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اي مستو عندنا وانما قيل علينا
لان المراد بالاستواء من جهة التأثير أوعظت الوعظ كلام يلين القلوب بذكر الوعد والوعيد
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه ولعتبر شق النفي عما تقتضيه المقابلة بارتكاب
الاطناب للمبالغة في جانب السكوت عن الوعظ لكونه مقصودا فان الاخراج من عداد
الواعظين ابلغ من نفي الوعظ والمحافظة على رؤوس الآي ان هذا الا خلق الاولين وقرئ
خلق بفتح الخاء من الاختلاق اي ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين وقرئ بضم الخاء
اي ما هذا الذي نحن عليه من تهيئة اسباب المعاش واتخاذ الابنية الا عادة الاولين وما

نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث ولا عذاب في الآخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم اياه
بريح صرصر عاتية ان في ذلك لآية الى قوله تع الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة
أتتركون انكار لان تتركوا كذلك وتذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم فيما ههنا
في الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل افرد النخل تفضيلا له على سائر
اشجار الجنات طلعها وهو ما يخرج من النخل كنصل السيف هضيم لين نضيج كانه قال
ونخل قد ارطب ثمره فانه ما دام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وتنحتون من الجبال بيوتا
فرهين بطرين وهذا هو المناسب لما في سورة الحجر من قوله آمنين لا بمعنى حاذقين فاتقوا
الله واطيعون ولا تطيعوا اي لا تمتثلوا امر المسرفين انما صرف الكلام عن الظاهر والكلمة
عن المتبادر حيث لم يقل ولا تطيعوا امر المسرفين تنزيلا لشانهم من درجة الاطاعة وتبعيدا
لهم عن حيز المطاعين وانما جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي فلانه انسب للمقام الذين يفسدون
في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص
فسادهم وتعميم فسادهم المستفاد من الاسناد الى كلمة الارض يناسب هذا قالوا انما انت
من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله ما انت الا بشر مثلنا كناية عن استحالة
كونه رسولا بناء على ما زعموا من ان الرسول لا يكون من جنس البشر خصوصا بلا امتيازه
عن سائر الافراد وكان صالح عليه السلام رد قولهم هذا بان يقول اني رسول الله بواسطة
الملك ولي امتياز عن سائر البشر بالمعجزة الخارقة للعادة فقالوا في مقابلته فات بآية
خارقة للعادة ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة وفي سورة الاعراف
هذه ناقة الله لكم آية لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم
فيه ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة اصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ
من تعظيم العذاب لان اليوم اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها الخ فصيحة
والجملة المحذوفة مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند الفعل الى الجميع لانه كان بامرهم ورضاهم
على ما افصح عنه قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فاصبحوا نادمين لا على عقرها خوفا من نزول
العذاب بهم لا تزودد لقوله تع وقالوا يعني بعدما عقروها يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت

من المرسلين بل على ترك ولدها وقد تقدم ذلك في سورة الاعراف فاخذهم العذاب
اي العذاب الموعود وهو الرجفة الحادثة من الصاعقة ان في ذلك لاية عظيمة وما
كان اكثرهم مومنين في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما
اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من امن منهم وان ربك لهو العزيز الرحيم
جامع لجهتي الانتقام والانعام كذبت قوم لوط المرسلين الى قوله الا على رب العالمين
تقدم تفسيره في هذه السورة اتاتون الذكران اي اتاتون من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة
الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم او اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم فالمراد بالعالمين على الاول الناس وعلى الثاني كل من ينكح وعلى هذا الجمع للتغليب ومبنى
هذا الوجه على اختصاص ذلك الفعل بالانسان وفيه نظر وتذرون ما خلق لكم لاجل
استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به
العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وانما خص
الازواج بالذكر لعمومه فان الاماء مخصوصة بالاحرار بل انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى
الانتقال من شيء الى شيء والعادي المتعدي في ظلمه المجاوز فيه الحد والمراد ههنا التجاوز
عن حد الشهوات بالزيادة على سائر الناس بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلقا وعلى
هذا الاضراب للترقي قالوا لئن لم تنته اي لم تمتنع من انكارك علينا او تقبيح امرنا يا لوط
لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بيننا وطردناه من ديارنا ولعلهم كانوا
يخرجون من اخرجوه على اسوإ حال قال اني لعملكم من القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى
مجاورتكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد وانما قال من القالين للتنبيه على
انه غير منفرد بذلك بل واحد من الجماعة المعروفين به وايضا هو ابلغ من قال وان كان
هو ارجح من جهة اللفظ لما بينه وبين قال من صنعة التجنيس رب نجني واهلي مما يعملون
من شومه وعذابه فنجيناه واهله اي من امن به اجمعين باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا مقدرة في الغابرين العجوز المراة التي قد عجزها عن امور كثيرة
كبر سنها وهي امراته على ما افصح عنه قوله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين من
لداتها واهل بيتها وقيل الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره
ثم دمرنا الاخرين التدمير الاهلاك وامطرنا عليهم مطرا امطر الله على شذاذ القوم حجارة

فاهلكهم

فاهلكهم فساء مطر المنذرين المخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف والمراد بالمنذرين جنس
الكافرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم
تفسيره كذب اصحاب الايكة قال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك وناعم الشجر
المرسلين اذ قال لهم شعيب انما لم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل
مدين وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الا تتقون اني لكم رسول
الى قوله الا على رب العالمين قدم تفسيره في هذه السورة اوفوا الكيل الموه ولا تكونوا من
المخسرين حقوق الناس بالتطفيف ولو قيل ولا تخسروا لكان ابلغ في النهي على ما تقدم في
تفسير ولا تركنوا الى الذين ظلموا وانما عدل عنه الى ما ذكر تعريضا لاشتهارهم بتلك الحال
وزنوا بالقسطاس المستقيم الوزن وضع الشيء بازاء المعيار بما يظهر منزلته منه في ثقل
المقدار اما بالزيادة او النقصان او التساوي والقسطاس الميزان او القبان فان كان
من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي ولا تبخسوا
الناس يقال بخسته اذا نقصته اياه اشياءهم دراهم ودنانير بقطع اطرافها ولولا المراد
النهي عن المعتاد لقيل ولا تبخسوا الناس شيئا لانه ابلغ في النهي ولا تعثوا في الارض مفسدين
وهذا ايضا نهي عن معتادهم ولذلك عدل عن الابلغ في النهي وهو لا تفسدوا في الارض والعثو
اشد الفساد وذلك قد يكون لمصلحة كتخريب ديار الكفر فلدفع هذا الاحتمال قيل مفسدين
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق اطلق الخليقة واريد بها
الخلق وقيل معناه من الجبلة الخلق المتحد الغليظ ماخوذ من الجبل قح يناسب التعبير عن خلقة
عاد وثمود قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ترك اداة الجمع في قصة ثمود
ليفيد التوكيد والتقرير والقطع بانه بشر مثلهم اي لا ينبغي ان نومن برسالتك الا بشيء
تمتاز به عنا ولهذا قالوا فات باية ان كنت من الصادقين واتي بها هنا للدلالة على انه
جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبهم فكانهم قالوا انك في عدم
صلاحية الرسالة من جهة كوننا بشرا سواء ذلك المزية علينا في كونك مسحرا دوننا ثم اكدوا
ذلك بقولهم وان نظنك لمن الكاذبين والظن بمعنى اليقين ولذلك ادخل ان واللام ولما
كان هذا الرد ابلغ من الاول ما طلبوا البرهان كما طلب ثمود حيث قالوا فات باية ان
كنت من الصادقين بل قطعوا بما يدل على الياس من ايمانهم بقولهم على سبيل الاستهزاء فاسقط

علينا كسفا جمع كسفة وهي قطعة من السما عقوبة ان كنت من الصادقين كما قطع قريش بقولهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما قال ربي اعلم بما تعملون اي ان
الله تع اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف
من السما فعل وان اراد عقابا فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما
اقترحوا والظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام تحتها متحرين
بها مما نالهم من الحر فاذا امطرت عليهم فاحترقوا ولهذا اي ولكونهم معذبين في ذلك الوقت
بسبب احر غير الظلة اضيف العذاب الى اليوم دون الظلة وقطع اضافة العذاب عنها لا
يخلو عن نوع اشعار بان عذابهم قبل نزول النار من الظلة بلغ الى حد كان ذلك خلاصا لهم
من العذاب انه كان عذاب يوم عظيم قدم ان وصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف العذاب
به ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص
السبع المذكورة على وجه الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به
وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القران لمنزل من عند الله تع لمصلحة العالمين نزل به
الروح الامين جبريل عليه السلام فانه امين الله على وحيه وقري نزل به مشددا والروح
منصوبا اي جعل الله الروح نازلا به والبا على القرائتين للتعدية على قلبك اختم القلب والمعنى
عليك لانه محل الوحي والتثبيت وليعلم ان المنزل محفوظ عن المخالطة والمغالطة لوصوله
الى القلب بالذات لا بواسطة الصوت والة السمع فافهم هذا السر الدقيق لتكون من المنذرين
اقتصر على الانذار لعموم الفريقين ولانه ازجر للسامع بلسان عربي بلغة العرب متعلق بنزل
ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وشعيب
واسمعيل ومحمد عليهم السلام مبين للناس ما يحتاجون اليه من امور دينهم ودنياهم وانه لفي زبر
الاولين يعني ذكره مثبت في سائر الكتب المنزلة السماوية وقيل ان معانيه فيها فلا دلالة
فيه على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية والزبر جمع زبور كرسل ورسول وقد تقدم
بيانه اولم يكن لهم اية على صحة القران ونبوة محمد عليه السلام ان يعلمه علما بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقري يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره
وان يعلمه هو الاسم تقديره اولم يكن لهم علم علما بني اسرائيل اية وقري بالتانيث واية بالرفع
على انها اسم كان وخبره لهم وان يعلمه بدل وقيل في يكن ضمير القصة واية خبر مقدم والمبتدا

ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل اية وان يعلمه بدل منه او خبر مبتدا
محذوف اي اولم يحصل لهم اية ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة
العجم فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من
اتباع العجم والاعجمين جمع على التخفيف كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون بحذف يا النسبة ولولا
هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مونثه عجما وزيادة كان لافادة معنى الاستمرار والمراد
استمرار النفي لا نفي الاستمرار فافهم هذا الاعتبار كذلك سلكناه اي مثل ما ذكرنا من ادخال
التكذيب به على تقدير قراة الاعجم ادخلنا التكذيب في قلوب المجرمين بقراة افصح العرب لا
يومنون به حتى يروا العذاب الاليم المراد به معاينة العذاب عند الموت وذلك ايمان
باس فلا ينفعهم فياتيهم بغتة يعني ان العذاب الذي يستعجلونه يجيئهم فجاة والبغتة حصول
الامر العظيم الشان من غير توقع وتقديم اسبابه وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا اي حال
كونهم متلهفين ومتحسرين على ما فات منهم من الايمان هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا
يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة من السما فاتنا بما تعدنا
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة فجي بالهمزة للانكار والفا دلالة على ترتيبه على السابق
الا انها اخرت لان همزة الاستفهام لها حق الصدارة وان استعيرت لمعنى اخر قال يحيى بن
معاذ رحمه الله اشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى ما فاته والله يقول
افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون به في تلك السنين في دفع العذاب وتخفيفه وانما جي بفعل الروية والاستفهام
ليكون في معنى اخبر افادة لمعنى التعجب والانكار وان من حق هذه القصة ان يخبر بها كل احد
حتى يتعجب وزيادة كان في الموضعين لافادة الاستمرار وما اهلكنا من قرية الا لها
لم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل
عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فللتاكيد وصل الصفة بالموصوف منذرون اتى
بصيغة الجمع لان من قرية عام فكانه قيل وما اهلكنا من القرى والعدول عنه لافادة الدلالة
على ان المراد الكل الافرادي لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر
لانها في معنى الانذار او حال من الضمير في منذرون او الرفع على انه صفة منذرين باضمار ذوو
او بجعلهم ذكرى لا معانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية فلا

يجوز ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له لان مذهب الجمهور ان ما بعد الا لا يعمل
فيما قبلها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين
اي ليس من شاننا الظلم فنعذب بعقابها غير مستحقين له ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي
القران على محمد عليه الصلوة والسلام نزل وما تنزلت به اي بالقران الشياطين وانما اتى بصيغة
التكلف والجمع لانه على تقدير وقوع المنفي لا يكون الا بزيادة كلفة ومشقة من جماعة منهم
على ما بين عند تفصيل كيفية استراق السمع رد لما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة
وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ذلك نفى اولا الوقوع ثم اللياقة ثم القدرة ثم بين علة
عدم القدرة بقوله انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون العزل تنحية الشيء عن الموضع
الى خلافه وسبب ذلك ما ذكر في سورة الجن من كونهم مرجومين بالشهب فلا تدع مع الله الها
اخر فتكون من المعذبين انما نهى النبي عليه السلام عن الشرك في العبادة مع عدم الحاجة اليه في
حقه لتمهيد البيان ترتب العذاب عليه على وجه لا يتخلف عنه اصلا حيث لا يتخلف عنه في حق خير
الخلق فكيف في حق غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفي التهمة او الانسان يساهل
قرابته وليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا فان النجاة في اتباعه دون قربه والعشيرة تنتظم
الفخذ فما فوقها واخفض جناحك والق جانبك وتواضع مستعار من خفض الطائر جناحه
اذا اراد ان ينحط لمن اتبعك من المومنين من عشيرتك وغيرهم ولافادة هذا التعميم ذكر
قوله من المومنين والا فالايمان واتباعه عليه السلام توأمان فان عصوك مرتبط بقوله
وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل الكلام انذر اقرباءك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض
لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ من اعمالهم الا انه غير التعبير في احد الشقين
تنزيلا للمقدر منزلة المحقق في الجانب الغالب وعمم حكمه تنبيها على ان حكم الانذار اصله
غير مخصوص انما الاختصاص باقربائه عليه السلام في صفة تقديمه وخص حكم شق العصيان
بهم ليظهر ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الاولى فقل لهم اني بريء لما كان الحكم في صورة
الاتباع وجوديا وفي صورة خلافه عدميا امر بنفس الحكم في الاول وبالاظهار قولا في الثانية
وهذا من دقائق الاعتبار فلما تنبه له الا ذوو الاختيار مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم
امر بالبراءة من عملهم لا منهم اشعارا بانهم لا يتركون باظهار العصيان بل يدعون الى الاطاعة
مرة بعد اخرى باللطف الى ان نزل الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر الى من يملكه

وقرى

وقرى فتوكل على الابدال من جواب الشرط على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك
عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم الذي يراك الروية علم خاص بنوع من
المحسوس غير متوقف على النظر بل قد يحصل بطريق اخر فلذلك راد موسى عليه السلام قوله انظر اليك
حين طلب الروية المعهودة حين تقوم متهجدا وتقلبك في الساجدين في المصلين اتبع كونه
رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتردده في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه من حيث لا يشعرون ويعلم انهم كيف يعبدون الله
في خلواتهم انه هو السميع العليم لما تقوله وتعلمه هون عليه معاناة مشاق ما يحمله من التهجد والتفقد
حيث اخبر برويته اذ لا مشقة على من يعلم انه يعمل بمرأى من مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين
انما قال تنزل لانه اكثر ما يكون في الهوا وانه يمر مر الريح تنزل على كل افاك اثيم على كل من بلغ في
الافك والاثم الغاية لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزل به الشياطين اكد ذلك
بان بين ان محمدا عليه الصلوة والسلام لا يصلح لان ينزلوا عليه بوجهين احدهما انما يكون
على شرير كذاب كثير الاثم وهم الكهنة والمتنبئة ومحمد عليه السلام يشتم الافاكين ويذمهم فكيف
تنزل الشياطين عليه وانما زاد كلمة كل اعتبار الما فيمن من معنى العموم والا فلا حاجة اليه
في اصل الكلام وثانيهما ما ذكره بقوله يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون
منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا تطابق اكثرها كما
جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا
كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها ويلقون حال
اي تنزل ملقين السمع او صفة كل افاك لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجر او استيناف فلا يكون
له محل من الاعراب كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل لانهم يفعلون كيت وكيت واكثرهم
اي اكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما يوحون اليهم واختصاص هذا النوع
من الكذب باكثرهم لا ينافي تناول جنس الكذب كلهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع
محمد عليه الصلوة والسلام ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا الم تر انهم في كل
واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق
ومجاوزة الحد في القصد حتى انهم يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم ويبهتوا
البريء ويفسقوا التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك لغلوهم في افانين الكلام

بالفصاحة والمعاني اللطيفة وقد ينسبون لانفسهم ما لا يقع منهم لما كان اعجاز القران
من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفي اللفظ بانه
من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول
عليه السلام بحال اربابهما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا الشعراء المؤمنين الصالحين
كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا
اي كان ذكر الله وتلاوة القران اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في التوحيد
والثنا على الله والنبي عليه وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا اي ردوا هجا من هجا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وسيعلم الذين ظلموا تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد
البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من
الابهام والتهويل وقرى اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء ومآل المعنى واحد ذكره
الثعلبي ختم السورة بما يقطع اكباد المنكرين المنذرين ❊

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك اشارة الى السورة ايات القران وكتاب مبين
عطف على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وابانته تبيين
ما اودع فيه من الحكم والاحكام او الصحة باعجازه وانما عرف القران ونكر الكتاب على عكس ما
في سورة الحجر لانهما اسمان علمان للمنزل على نبينا عليه الصلوة والسلام ووصفان له باعتبار
معناهما الاصليين فايهما جعل اصلا والاخر صفة صح وكتاب قرى بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه على معنى وايات كتاب مبين هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الايات والعامل معنى الاشارة او بدلان منها او من كتاب او
صفة له او خبران لمحذوف اي هي هدى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة تقدم
تفسيره في سورة البقرة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف
وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم وانهم الاوحديون فيه او استيناف كانه قيل
وهولا الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة ويدل عليه على
انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا

هولا الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان
الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بخلق الشهوة فيهم حتى راوا ذلك حسنا
كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقد مر البحث مستوفى في اسناد التزيين اليه تعالى
في تفسير سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال
عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب بما كان لهم من سوء الاعمال وهم
في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات التوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القران اي يلقى عليك بشدة من لدن حكيم مصيب في اقواله وافعاله
عليم بكل شيء واحواله فليس الاول منهما مشتملا على الاخر حتى يكون حقه التاخير
والتنكير فيهما للتعظيم وفي هذه الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص وما في
ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ قال موسى اي اذكر قصة اذ قال موسى وقيل
متعلق بعليم لاهله اني انست نارا الايناس الاحساس بالشيء مع سكون النفس اليه ساتيكم
منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضلها روي انه لم يكن معه غير امراته وانما ورد الخطاب
بلفظ الجمع لكناية عليها لاهل اقامة لها مقام الجماعة في الانس بها والسكون اليها في
الامكنة الموحشة والسين للتقريب وتقليل مدة الوعد كيلا يستوحش وفي التعبير بالايناس
دون الابصار نوع تمهيد لهذا او اتيكم بشهاب قبس القطعة من النار والشهاب ما
يمتد منها واضافته اليه لانه يكون قبسا وغير قبس وقرى منونا على ان القبس بدل منه
او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر بصيغة الترجي
في موضع اخر والترديد لبيان عدم الخلو بنا على العادة فلا ينافي الجمع وبيان ان كل واحد
منهما امر مهم باعث للسعي في تحصيله لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها من البرد والطاء
بدل من التاء الافتعالية لاجل الصاد فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي ان بورك ان
مخففة من الثقيلة تقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض
لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى
القول من في النار ومن حولها اي جعل البركة والخير فيمن في مكان النار وهم الملائكة ومن
حول مكانها اي موسى لحدوث امر ديني وفي تصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي
لامر عظيم تنشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به

لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها او للتعجب من ذلك او نعجب من موسى عليه السلام لما
دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الها للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا
خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهر على يده من
المعجزة لمصلحة اثبات النبوة والق عصاك عطف على محذوف تقديره يفهم من التفصيل
المذكور في سورة طه لا على بورك لان الفصل بينهما بتجديد الندا في موسى يأباه فلما
راها تهتز حال من المفعول والاهتزاز تحرك تحركين متدافعين كانها جان اي حية
سريعة الحركة ولى موسى مدبرا اعرض عنها وجعلها تلي ظهره خوفا منها لمقتضى البشرية
ولم يعقب لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي يا موسى لا
تخف اي غير ثقة لي او حذف المفعول لظهوره او مطلق على تنزيل المتعدي منزلة اللازم
اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم ان يخافوا حال تقريبي اياهم بالخطاب وفيه
اشارة الى ان تلك الحالة كانت متقدمة الرسالة الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم ومنهم
من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلهم ما يبطلون ويستحقون من الله
مغفرة ورحمة ولم يقصد به تعريض موسى بوكزه القبطي لانه عليه السلام لم يكن وقتئذ مرسلا
وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي ومن ظلم ثم بدل حسنا اي اتى
بالتوبة بعد سوء مبدلا له بالحسن اي كان ذلك منه سببا بتبديل السيئة بالحسنة وفي
التعبير هنا بالحسن مبالغة في حسنها لبعدها من مظنة شوب الريا والشرك فان العمل
لا يخلو منه وهذا البدل لما لم يحصل بالعمل خلص عنه وادخل يدك في جيبك لانه كان عليه
مدرعة صوف لا كم له تخرج بيضاء فيه جمع بين امري التكليف والتكوين من غير سوء قبح لما
كان خروج الشيء من خلقته وجوهره مما يستقبح ويستقذر احترز انه لم يكن كذلك واما
احتمال البرص فمعزول عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في مثل هذه الايات العظام
حتى يحتاج الى دفعه في تسع ايات اي اية في تسع ايات وهي العصا واليد والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب ونقصان الزرع واما الفلق فليس منها
لانه عليه السلام لم يبعث به الى فرعون وقومه اي مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال
فلما جاءتهم اياتنا لم يقل جاءهم موسى بها لانها كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها

لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي مبصرة اي ظاهرة بينة جعلت كانها تبصر فتهدي لان
العمى لا يقدر على الاهتدا فضلا عن ان يهدي غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والكلمة العوراء تغوي فهو من قبيل الاستعارة المكنية وهي ابلغ من المجاز
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته فوبل بين المبصرة والمبين وجحدوا بها يقال جحد حقه
وبحقه بمعنى ذكره في الديوان والجحود هو الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا
والواو في واستيقنتها للحال او قد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم
اي جحدوها بالسنتهم وقرئ واستيقنوها بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن قلوبهم تنزيلا لالة
الاقرار منزلة الترجمان ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلية من
جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق والاحراق في الدارين ولقد اتينا
داود وسليمن علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الواو فصيحة
تفصح عن محذوف تقديره ففعلا شكرا له فعلا مما لا يفي بيانه العبارة وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير المفضل عليه مثل علمهما دل على ذلك تقديم
بالايمان فان المؤمن لا يخلو عن علم وفيه اخراج للكفار عن حيز الاعتبار وتعظيم لنعمة التفضيل
بتوصيف المفضل عليه بوصف جليل ودليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم
وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يوت غيرهما وتحريض للعالم
على ان يحمد الله تع على ما اتاه من فضل وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد
فضل عليه كثير اوتيا ويا وورث سليمن داود النبوة والملك بان قام مقامه في ذلك
ولهذا قال ورث فان حقيقة الميراث انتقال التركة من ملك الى ملك والتركة ما بقي بعد
الموت واستعير ههنا لما ذكر واما العلم فقد شاركه اباه فيه بل ترجح عليه حال حيوته على ما افصح
عنه قوله تع ففهمناها وقال تشهيرا لنعمة الله واعترافا بمكانها ودعا للناس بذكر المعجزة التي
هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائمها اوتيه يا ايها الناس علمنا منطق الطير النطق
والمنطق في المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الاذان ولا يقال
لغير الانسان الا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت لما له صوت ولما لا صوت له
واوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما يقال فلان يعلم كل شيء ويعضده كل احد والضمير
في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده وهذه النون نون الواحد المطاع فكان ملكا

مطاعا فكلهم اهل طاعة على صفته وحاله التي كان عليها ان هذا لهو الفضل
المبين قول وارد على سبيل الشكر كقوله عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول
شكرا ولا اقول فخرا وحشر لسليمن اي جمع من جهات مختلفة جنوده من الجن والانس قدم
الجن على الانس لان مقام التسخير لا يخلو من نوع تحقير والطير ولو كان فيها جنس اخر لذكره ههنا
فهم يوزعون يمنعون عن التفرق والانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم وذلك احسن في الهيئة واهيب
في الرؤية حتى اذا اتوا ضمن يوزعون معنى فعل يصلح ان يكون غاية له اي فهم يسيرون ملفوفا
لا يفارق بعضهم بعضا على وادي النمل هو واد بالشام كثير النمل وعدي اتوا بعلى اما لان
اتيانهم كان من فوق او لانه اريد معنى قطع الوادي وبلوغ اخره قالت نملة تاؤها للوحدة
وهي في حكم المؤنث اللفظي جاز ان يعامل معاملة كتمرة وثمرة فلا دلالة فيه على كونه انثى يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم لم يقل ادخلن لانه جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي
العقل فاجرى خطابهم مجرى خطابهم لا يحطمنكم الحطم الكسر سليمن وجنوده نهي سليمن عليه السلام عن
الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا اريتك ههنا فهذا استيناف او
بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخل في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو
شعروا لم يفعلوا قالت النملة ذلك على وجه العذر ووصف سليمن وجنوده بالعدل فتبسم الفاء
فصيحة تفصح عن محذوف تقديره سمع سليمن كلامها فتبسم ضاحكا شارعا في الضحك اخذا
فيه من قولها متعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور
عدله وانما قال ضاحكا لان التبسم قد يكون من غضب وقد يكون من استهزاء وتبسم الضحك لا
يكون الا عن سرور فان قلت الظاهر من هنا ان سليمن عليه السلام كان عالما بلسان غير الطير
من الحيوانات فما وجه تخصيصه بالذكر في مقام اظهار الشكر على ما اتاه الله من جلائل النعم
قلت قد اجاب النسفي عن هذا حيث قال كان للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم سليمن
عليه السلام منطقها ولولا ذلك لما علمه وقال رب سائلا توفيق شكر تلك النعم الجليلة رب
اوزعني ان اشكر اي يسر لي الشكر وازعا اياه ووزع الشكر كناية عن وزع موجبه وهو النعمة
فهو كلام في غاية الفصاحة نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثير للنعمة
وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في
عدادهم الجنة وتفقد الطير حقيقة التفقد فقدان الشيء فقال ما لي لا ارى الهدهد يريد او لا غيبة

ثم قال ام كان من الغائبين قرينة دهشة بسبب ولما كان المذكور في قوة نزل منزلة عطف
عليه على سبيل العطف من جهة المعنى وكان الغالب على ما دل عليه عبارة كان فلذلك قال لاعذبنه
عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص
او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والسلطان في
الاصل اظهار ما يتسلط به والحلف في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما
اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث اي كان غائبا
فمكث فالفاء فصيحة غير بعيد اي لبث زمانا غير بعيد عن وقت تفقده يريد به الدلالة على
سرعة رجوعه خوفا منه عليه السلام ولما كان المذكور في حكم الاخبار عن مجيئه عن قريب رتب
عليه قوله فقال احطت بما علمت من جميع جهاته شيئا لم تحط به يعني حال من احواله وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر
لديه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء وجئتك من سبا قرئ مصروفا
على انه اسم للحي او للاب الاكبر وغير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة بنبأ بخبر له شان
اي بهذا النوع من الاطناب من جهة المعنى فسر بغاله حيث تشوق لبكر سورة عنبطه
يقين محقق اني وجدت امراة يعني بلقيس بنت احل وانما قال وجدت دون رايت لغرابة
الحال حيث كانت تلك العظمة والشوكة وقرب المكان مجهولة لسليمن واصحابه تملكهم الضمير
لسبأ او لاهلها وانما لم يقل تملكها لانه اراد بيان ملكها وسلطنتها وتعيين ذلك بالاضافة
الى اهل الديار لا بالاضافة اليها ففيه ايضا تقوية لمعنى الغرابة المقصودة بعبارة النبأ
حيث كانت امراة ملكة قبيلة عظيمة واوتيت من كل شيء قد نبهت فيما تقدم ان المراد
من كل شيء في مثل هذه المبالغة في الكثرة ثم قيده بقوله تحتاج اليه الملوك فقد فوتت
تلك المبالغة ولها عرش عظيم سرير كبير قدرا وقيمة وجدتها وقومها يسجدون يعبدون
للشمس من دون الله اضلهم الله ثم وزين لهم الشيطان قالوا وفصيحة والجملة معطوفة
على مقدر اعمالهم من عبادة الشمس وغيرها من قبائح الافعال فصدهم صده عن السبيل اذا اعترض
دونه مانع من عقبة او غيرها ففيه ثلاث معان المنع والدفع والصرف عن السبيل طريق الحق
والصواب وانما اطلق السبيل لان السبيل الذي لا يجوز سلوكه ممنوع فكانه ليس بسبيل فهم
لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله اي فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم الشيطان اعمالهم لان

لا يسجدوا فحذف الجار مع ان فادغمت النون فى اللام او زين لهم الشيطان الا يسجدوا على
انه بدل من اعمالهم او لا يهتدى الى ان لا يسجدوا بزيادة لا وقرئ الا بالتخفيف على انها للتنبيه
ويسجدوا والمعنى الا يا اسجدوا واذا والمنادى مضمر اى يا هؤلاء اسجدوا لله وعلى هذا صح ان يكون استئنافا
من سليمن او من الله والوقف على يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين
يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها الذى يخرج الخبء فى السموات والارض الخبء
ما يخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات
بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم
الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بذاته ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له
تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق الوجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود
وردا على من يسجد لغيره وتقديم ما يخفون على ما يعلنون مع ان مقتضى اسلوب الترقى تأخيره
عنه للتسوية بين جزئى الكلام فى الاهتمام الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى هو
اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين عظمه وعظم عرشها بون بعيد وقرئ العظيم بالرفع
نعتا له تعالى قال عليه السلام للهدهد سننظر من النظر بمعنى التأمل اصدقت فيما اخبرت ام كنت
من الكاذبين هذا ابلغ من اكذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان
كاذبا بالمحالة وانما استحق هذه المبالغة على تقدير الكذب لانه اخبر بامر عظيم وبالغ فيه
اذهب بكتابى هذا فالقه انما امره بالالقاء لان الطائر لا يمكنه تبليغ الخطاب مقاولة
الا انه ضمنه معنى الايصال ولذلك قال اليهم اى اطرحه على وجه يصل اليهم ولما كان المقام
مقام التأنى الذى يقتضى هدرا من الزمان نبه عليه بقوله ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب
بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يفعلونه بمنظر منك على ما دل عليه قوله فانظر ماذا يرجعون
من الرجع لا من الرجوع اى ماذا يردون فى مقابلة كتابنا قالت يا ايها الملؤا اى قالت
ملكة سبا لاشراف قومها بعد ما قبل الهدهد ما امر به انى القى الى كتاب كريم حسن مضمونه
او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه انه من سليمن استيناف كانه قيل لها ممن هو فقالت
انه اى ان الكتاب وانه اى وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على لا ترفعوا على وان مفسرة او مصدرية
فتكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتونى مسلمين

منقادين

منقادين قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها صريح فى ان الدعوة كانت دعوة
السلطنة لا دعوة النبوة قالت يا ايها الملؤا افتونى اشيروا على فى امرى فى الامر الذى نزل
بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى فى السن والمراد
ههنا الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب نفوسهم
ليمالئوها ويوافقوها ولذلك قالت ما كنت قاطعة فى الزمان الماضى قاطعة قاضية امرا
اى ممضية حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع
وهذا موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة
عليها وبالياء فى الوصل والوقف اى تحضرونى اى كانت عادتى ان لا ابت امرا الا بحضركم فكيف
فى هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من اعلامهم اياها بانهم فى غاية القوة والبأس
ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا
بأس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد والالات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب
اى قادرون على القتال لا فتور فينا ولا قصور لوفور عددنا وعددنا وانما قدموا
هذا الكلام كيلا يتوهم العجز من تفويض الامر اليها بقولهم والامر اليك موكول فانظرى
ماذا تأمرين من الحرب والصلح نطيعك ونمتثل امرك قالت ان الملوك اتى بصيغة الجمع تنصيصا
على تعميم الحكم للافراد فان فى الجنس احتمال الخصوص اذا دخلوا قرية يعنى عنوة بالقرينة قوله
افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها ليستقيم لهم الامور تبعت ما
احست منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم اسباب الغلبة وذكرت لهم سوء عاقبة الحرب
واشعرت بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمن عليه السلام خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه
من اموالهم وعماراتهم وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك
عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى وانى مرسلة اليهم رسولا بهدية بيان لما
ترى تقديمه فى المصالحة فناظرة منتظرة بم يرجع المرسلون بالرعاية او بالاهانة حتى اعمل
بحسب ذلك المرسلون الرسول ومن ارسل معه فلما جاء سليمن اى الرسول وقرئ فلما جاؤا
اى المرسلون سليمن قال اتمدوننى بمال خطاب للرسول ومن معه او الرسول والمرسل على تغليب
المخاطب استفهام انكارى فما آتانى الله تعليلية اى فالذى اعطانى الله تعالى
من النبوة والملك وسخر لى الجن والانس والريح والطير والوحش خير مما آتاكم فلا حاجة

لئلا يكون سماء

وذا اسم اشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون ملقنا قالت كانه هو
فاجابت احسن جواب ولم تقل هو هو ولا ليس هو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع
فى المحتمل للامرين او لما شبهوا عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع
انها علمت عرشها واوتينا العلم من قبلها من تمام كلامها اى واوتينا العلم بقدرة الله
وبصحة نبوتك بالايات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه الحالة الخارقة للعادة
وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك وكانها وقفت على ما قصده سليمن بذلك اولا واخرا
وصدها كلام مبتدا من الله تع ما كانت تعبد من دون الله اى منعها عن التقدم الى الاسلام
عبادة الشمس ونشوها بين ظهرانى الكفرة ثم بين نشاها بينهم بقوله انها كانت من قوم كافرين
وقرى بالفتح على الابدال من فاعل صد اى صدها نشوها بين اظهر الكفار او على التعليل فتكون
لام التعليل محذوفا من ان قيل لها ادخلى الصرح هو الموضع البسيط المنكشف من غير
سقف ومنه قولهم صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه وكان ذلك الصرح من زجاج ابيض
شفاف تحته ما جار فيه سمك فلما راته حسبته لجة اللجة معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه
والواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها فالمرتب على الحسبان المذكور مجموع
المعطوفين والواو المذكورة كاشفة عن هذا وكان سليمن عليه السلام على سريره فى صدر الصرح
فراى ساقيها وقدميها حسانا فصرف بصره ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مستو ومنه
الامرد من قوارير من الزجاج واراد سليمن تزوجها فكره شعرها فعمل له الشياطين النورة
فازالته فنكحها قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادة غيرك واسلمت مع سليمن اى تابعة اياه
لله رب العالمين فيه التفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لباعث اسلامه له تع وهو
الوهية المستتبعة لربوبيته ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم فى النسب صالحا بدل ان اعبدوا
الله بان اعبدوا الله اى وحدوه فاذا للمفاجاة هم مبتدا فريقان خبره يختصمون صفة
وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مومن به وكافر به يختصمون فيقول
كل فريق الحق معى وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف قال صلى قال الفريق الكافر يا صالح
ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذى توعدون به
قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان
قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند

مبعثة

مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيه والاصل تطيرنا وقرى به فادغمت التاء فى الطاء
وزيدت الالف لسكون الطاء وبمن معك من المومنين قال طائركم عند الله اى سببكم
الذى يجى منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمه او عملكم عند الله فمنه نزل بكم ما نزل
عقوبة لكم وفتنة وقد مر اصل ذلك فى تفسير قوله تع وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه بل اضراب
من بيان السبب الى بيان سبب السبب انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء
وكان فى المدينة اى مدينتهم وهى الحجر تسعة رهط الرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا تسعة يتبع
كل واحد منهم رهط كذا قال القرطبى يفسدون فى الارض ولا يصلحون اى شانهم الافساد الخالص
من شوب الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله خبر فى محل الحال باضمار قد لانه ماض
اى قالوا متقاسمين او امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه اى لنقتلنه مباغتة ليلا واهله ولده
وتبعه ثم لنقولن لوليه لرهطه الذى له ولاية الدم ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله المهلك
من اهلك يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا المهلك بكسر اللام وقرى بالفتح ايضا فيكون
مصدرا اى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضناله او ما حضرنا موضع هلاكه فكيف تولينا وانا
لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا فى ذلك ومكرنا مكرا اى جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة
وهم لا يشعرون بذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان ان كانت ناقصة فخبرها كيف وان
كانت تامة فكيف انا دمرناهم قرى بكسر الهمزة على الاستيناف او خبر محذوف وقرى بفتحها
على انه خبر او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال ويكون التقدير لانا وحذف حرف الجر
وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط
او خالية من الخوى وهى حال عمل فيها ما دل عليه تلك بما ظلموا بظلمهم ان فى ذلك لاية فيما
فعل بثمود لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون عصيانه
ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه والاول انسب لما ذكر مكررا
اذ قال بدل من لوطا على الاول اى واذكر وقت قوم لوط وظرف على الثانى لقومه اتاتون
الفاحشة الاستفهام للانكار والتوبيخ والفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة
ابهمها ثم بينها بقوله لتاتون الرجال تقريرا وتنبيها على ان معنى الفاحشة بلغ الغاية
فيها حتى صار علما ثم ان فى البيان المذكور تنبيها على ان المراد من الفاحشة محلها بطريق
المجاز وانه كناية عن فعل اللواطة وانتم تبصرون والحال ان لكم الابصار يعنى ان

لي بهديتكم ولا وقع لها عندي بل اضراب عن انكار الامداد او بالمال وتعليل الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها انتم بهديتكم والهدية
اسم لما يهدى كما ان العطية اسم لما يعطى فيضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان
تريد الذي اهداها او اهديت اليه تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهر الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى
اليكم لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم ارجع اليهم خطاب للرسول اليهم الى بلقيس
وقومها فلنأتينهم اي ان لم يأتوني مسلمين فلنأتينهم بجنود بانواع من الجند لا قبل لا طاقة لهم
بها وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة اي لا يقدرون ان يقابلوا ولنخرجنهم منها من دارهم
اذلة الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون الصغار ان يقعوا في
اسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو مؤيد من
عند الله وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في اخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت
حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمن عليه السلام اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعو اليه وشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمن عليه السلام قال
سليمن يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء
العجائب على يده ليطلع على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمن عليه السلام حتى تصدقها
وتؤمن به ثم انه قصد في ضمن هذا فائدة اخرى على ما تقف عليها قبل ان يأتوني مسلمين
وانما تعرض بوصف الاسلام اعلاما بان طمعه في عرشها ليس طمعا فيه فان النبي لم يعزل عن مظنة
الطمع في مال من علم انه يأتيه مسلما واما ما قيل انها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا يأتي به
فانما يصح وجها لطلبه عرشها قبل اتيانها مسلمة لا لتقييد امره بذلك القيد قال عفريت من
الجن العفريت الخبيث المنكر المعفر اقرانه ولا اختصاص له بالجن ولذلك احتيج الى البيان بقوله
من الجن روي عن ابن عباس رض انه صخر الجني انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك صالح
للفعلية والاسمية مقامك يعني مجلسه للقضاء وهو من الغداة الى نصف النهار واني عليه
اي على الاتيان لقوي لقادر وانما عبر عن القدرة بالقوة للحاجة في تحصيل ما ذكر الى القدرة
بالقوة امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الفصل بين القولين لان احد
القائلين لم يكن من جملة المخاطبين والظاهر انه هو الثاني منهما واحتمال ان يكون المراد
من القائل الثاني سليمن عليه السلام يرده كاف الخطاب في اتيك فان حقه ح ان يقول انا

اتي به وايضا لا يناسبه قوله فلما راه انما المناسب ح ان يقول فلما اتي به والمشهور انه
اصف بن برخيا كاتب سليمن عليه السلام ويناسبه التعبير عنه بقوله الذي عنده علم من الكتاب
وفي التوصيف به اشارة الى انه اقدر عليه لقوة حيوانية بل بقوة صمدانية انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان اي بين امتداد الطرف وارتداده بطبقها
وليس فيه وضع الطرف موضع النظر فلما راه اي العرش والفاء فصيحة اي اذن له سليمن عليه السلام
فاتي به فلما راه مستقرا عنده ثابتا غير مضطرب لديه وقراره في موضعه او اخر حضوره
يحتاج الى فصل زمان بحسب العادة وبهذا الاعتبار كان عبارة مستقرا افضل على عبارة
حاضرا قال تلقيا للنعمة بالشكر هذا اي حصول مرادي وهو حضور العرش في طرفة العين
من فضل ربي علي واحسانه الي من غير استحقاق مني ليبلوني ليتعبدني في صورة الاختبار
ااشكر انعامه ام اكفر احمد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبأ الواجب وتصونها
عن وصمة الكفران وتستجلب به المزيد ويرتبط به العتيد ومن كفر حذف جزاؤه وهو فانما
يكفر على نفسه اي ضرر كفره عليه لا يتعداه لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينه واقيم تعليله مقامه
فان ربي غني عن الشكر بان يتضرر ان لم يشكر كريم بالانعام لا يتوقع عوضا ولا يفعل للعوض
حتى ينفعل عند عدم حصوله فالوصف المذكور من تمام التعليل قال نكروا لها اراد بتنكير عرشها
تغيير معاهدته عندها ولذلك قال لها لا تبديل شكلها وتغيير هيئتها اذ ح يكون منكرا مطلقا
لا منكرا عندها فقط وايضا مدار الاختبار على التغيير في الجملة. واما وجه الاختبار فسياتي تفصيله
ننظر بالجزم على الجواب وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله ويرد عليه انه ح لا حاجة الى التنكير بل لا وجه له لان بقاءه على حاله اعون على
تحصيل هذا المراد والله الهادي الى سبيل الرشاد ام تكون ام يظهر كونها من الذين لا يهتدون
اي لا يقدرون على الاهتداء قالوا ان الشياطين خافوا ان يتزوجها سليمن فيولد له منها ولد
يجتمع له فطنة الانس والجن لانها كانت بنت جنية فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو اشد
وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير
العرش وتعرف ساقيها ورجليها باتخاذ الصرح على ما يأتي بيانه فالمراد من كونها من
الذين لا يهتدون كونها من الطائفة الحمقى ومن ههنا تبين وجه الاطناب والله اعلم بالصواب
فلما جاءت الفاء فصيحة والمقدر يظهر بادنى تامل قيل اهكذا عرشك ها للتنبيه والكاف للتشبيه

فباحشة ذلك المحل من المحسوسات فوجود البصر كاف في ادراكها ائنكم لتاتون الرجال
اثر الرجال على الذكور ليزداد قبح الاتيان المذكور شهوة للشهوة ناظرا الى قوله وانتم تبصرون
كانه قيل القباحة هنا في حق من له البصر عنه لنزه وانتم ترغبون شهوة من دون النساء
يعني ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهو مضادة لله في
في حكمته بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل
السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة ههنا في قوله بل انتم
قوم تعقلون فغلب المخاطب على الغائب لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين
فما كان جواب قومه الا ان قالوا خبر كان واسمه ان قالوا اخرجوا ال لوط اي لوطا ومتبعيه
تناول الامر له عليه السلام دلالة من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
فينكرون هذا العمل القذر وبعضها انكارهم تعليل للامر المذكور على وجه يتضمن الاستهزاء لانه
على طريقة لانت الحليم الرشيد فانجيناه الفاء فصيحة واهله يعني من العذاب بقومه
الا امراته قدرناها اي قدرنا كونها استيناف للتعليل من الغابرين من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قد مر تفسيره في سورة الاعراف قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه الصلوة والسلام بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من
عباده تعظيما لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم
في امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك
كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله تعالى ونجاه من هلكهم وعصمه من ذنوبهم الله خير اما يشركون
لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم
بحالهم ليتنبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد
ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله امن بل امن خلق السموات
والارض تقرير لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء ماء
مطرا وفي قوله لكم تنبيه على ان الغيث وان لم يخل من الضر الا ان المقصود منه ازالة النفع
فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى الاختصاص بالفعل لذاته ايذانا بان
انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا
يقدر عليه الا هو وحده به اي بالماء حدائق الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو

الاحاطة ذات لم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن
لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق ومعنى
الكينونة الانتفاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا
له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ
في تخطئة رايهم امن جعل الارض وما بعده بدل من امن فكان حكمه حكمها قرارا دحاها وسواها
للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اي وسطها وهو المفعول الثاني انهارا وجعل بين البحرين
مثله وجعل لها للارض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين حاجزا مانعا ان يختلطا
االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يومنون امن يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار
افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول
مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا الى الله تعالى او
المذنب اذا استغفر او المظلوم اذا دعا واللام للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر
ويكشف السوء اي الضر او الجور ويجعلكم خلفاء الارض اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وهذا اتم من الاولين واعم واجل وقعا
واهم ولهذا فصل بعدم التذكير وبولغ فيه االه مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة اي تذكرون
تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقلة العدم امن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا
وبعلامات في الارض نهارا والظلمات ظلمات الليالي واضافتها للبر والبحر للملابسة او
مشبهات الظرف على الاستعارة ومن يرسل الرياح بشرا من البشارة وقد مر في سورة
الفرقان بين يدي رحمته قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق
عن مشاركة العاجز المخلوق تذييل كالنتيجة للايات السابقة امن يبدو الخلق ثم يعيده
انما قيل لهم ثم يعيده وهم ينكرون الاعادة لانه ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة والاقرار ولم
يبق لهم عذر من الانكار ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية
االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين في دعواكم ان
مع الله الها اخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله استثناء من فاعل يعلم
والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعوله والله بدل من من والمعنى لا
يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله تعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض ولكنه جاء على

لغة بنی تمیم حیث یجرون الاستثناء المنقطع مجری المتصل ویجیزون النصب والبدل فی
المنقطع کما فی المتصل یقولون ما فی الدار احد الا حمار نزلت الایة فی المشرکین حین سألوا رسول
الله صلی الله علیه وسلم عن وقت الساعة وما یشعرون ایان تقدم فی الاعراف یبعثون بل
ادرک ای انتهی وتکامل من ادرکت الفاکهة تکاملت نضجا وقری ادارک ای استحکم واصله تدارک
فادغمت التاء فی الدال وزید الف الوصل لیمکن التکلم بها علمهم فی الاخرة ای فی شان الاخرة
والمعنی ان اسباب استحکام العلم وتکامله بان القیامة کائنة لا ریب فیها قد حصلت لهم ومکنوا
من معرفته وهم شاکون جاهلون وذلک قوله بل هم فی شک منها بل هم منها عمون والاضرابات
الثلاث تنزیل لاحوالهم وتکریر لجهلهم وصفهم اولا بانهم لا یشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا یعلمون ان القیمة کائنة ثم بانهم یخبطون فی شک وریبة فلا یزیلونه والازالة مستطاعة
بما هو اسوأ حالا وهو العمی وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن
لان الکفر بالعاقبة والجزاء هو الذی منعهم عن التدبر والتفکر وجاز ان یکون وصفهم باستحکام
العلم وتکامله تهکما بهم وذلک حیث شکوا وعموا عن اثباته الذی الطریق الی علمه مسلوک
فضلا ان یعرفوا وقت کونه الذی لا طریق الی معرفته ویجوز ان یکون ادرک بمعنی انتهی وفنی
من قولک ادرکت الثمرة لان ذلک غایتها التی عندها العدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم
وتدارک من تدارک بنو فلان اذا تتابعوا فی الهلاک وقال الذین کفروا اءذا کنا ترابا
واباؤنا اءنا لمخرجون ای من القبور احیاء وتکریر حرف الاستفهام انکار بعد انکار
ودلیل علی کفر مؤکد مبالغ والعامل فی اذا ما دل علیه لمخرجون لا نفسه لان همزة الاستفهام
وان ولام الابتداء کل منها یمنعه عن العمل فیما قبله والضمیر فی کنا لهم ولابائهم لان کونهم ترابا
قد تناولهم واباءهم لکنه غلبت الحکایة علی الغائب واباؤنا عطف علی الضمیر لان المفعول ترابا
جری مجری التاکید لقد وعدنا هذا ای البعث نحن واباؤنا من قبل ای من قبل محمد علیه السلام قدم هنا
هذا علی نحن واباؤنا وفی المؤمنین اخر عنه لیدل علی ان المقصود بالذکر هنا البعث وثم
المبعوث ان هذا الا اساطیر الاولین ما هذا الا احادیثهم واکاذیبهم قل سیروا فی الارض
فانظروا کیف کان عاقبة المجرمین ای اخر الکاذبین وفی ذکر الاجرام لطف بالمسلمین فی
ترک الجرائم کقوله فدمدم علیهم ربهم بذنبهم ولا تحزن علیهم لاجل انهم لم یتبعوک ولم یسلموا فیسلموا
ولا تکن فی ضیق فی حرج صدر مما یمکرون من مکرهم وکیدهم لک فان الله یعصمک من الناس

ویقولون متی هذا الوعد ای وعد العذاب ان کنتم صادقین ان العذاب بالمعذب قل عسی
ان یکون ردف لکم تبعکم ردف یتعدی بنفسه وباللام ومن وهم ان تعدیته باللام بتضمین
معنی مثل دل فقد وهم لان ذلک المعنی حاصل لردف ثم ان تعدیته ذی فبسبیلن لا باللام
بعض الذی تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود وهو عذاب یوم بدر وعسی ولعل وسوف
فی وعد الملوک تدل علی صدق الامر وعلی ذلک جری وعده تعالی ووعیده وان ربک لذو فضل
ای افضال علی الناس بترک المعاجلة ولکن اکثرهم لا یشکرون ای اکثرهم لا یعرفون حق النعمة
فیه ولا یشکرونه بل یستعجلون بجهلهم وقوع العذاب وان ربک لیعلم ما تکن صدورهم ما
تخفیه الا کنان قال الرمانی الاکنان جعل الشیء بحیث یلحقه اذی لمانع یصده عنه وما یعلنون
یظهرون فلیس تاخیر العذاب لخفاء حالهم ولکن له وقت مقدر وما من غائبة فی السماء والارض
سمی الشیء الذی یغیب ویخفی غائبة وخافیة والتاء فیهما کالتاء فی العاقبة والعافیة ونظائرهما
والذبیحة والنطیحة فی انهما اسماء غیر صفات ویجوز ان یکونا صفتین وتاؤهما للمبالغة
کالراویة الا فی کتاب مبین ای مبین لما فیه لمن یطالعه والمراد من الکتاب اللوح ان هذا
القران یقص علی بنی اسرائیل ای یبین لهم والقصص کلام یتلو بعضه بعضا فیما ینبئ عن المعنی
اکثر الذی هم فیه یختلفون کالتشبیه والتنزیه واحوال الجنة والنار وعزیر والمسیح والاختلاف
ذهاب کل واحد الی خلاف ما ذهب الیه صاحبه وهذا تحریک للمشرکین علی اتباع القران فانه لما
کان فیه بیان لاهل الکتاب وهم یرجعون الیهم فی کثیر من امورهم فکان حقهم ان یرجعوا الیه
لانه مرجع مرجعهم وکان منزلا علی من بعث منهم وانه لهدی ورحمة للمؤمنین لانهم هم المنتفعون
به ان ربک یقضی بینهم بین من آمن بالقران وبین من کفر بحکمه ای بعدله لانه لا یقضی الا بالعدل
فسمی المحکوم به حکما او بحکمته ویدل علیه قراءة بحکمه جمع حکمة وهو العزیز فلا یرد قضاؤه العلیم
بمن یقضی له وبمن یقضی علیه فتوکل علی الله فلا تبال بمعاداتهم انک علی الحق المبین علل التوکل
بانه علی الحق الابلج وهو الدین الواضح وفیه ان صاحب الحق حقیق بالوثوق علی الله ونصره
انک لا تسمع الموتی تعلیل اخر للامر بالتوکل من حیث انه یقطع طمعه من متابعتهم ومعاضدتهم
راسا وانما شبهوا بالموتی لعدم انتفاعهم باستماع ما یتلی علیهم کما شبهوا بالصم فی قوله
ولا تسمع الصم الدعاء اکد حال الاصم بقوله اذا ولوا مدبرین لانه اذا تباعد عن الداعی
بان تولی عنه مدبرا کان ابعد عن ادراک صوته وما انت بهادی العمی الهدایة لا یلزمها الاهتداء

دل على ذلك قوله تع واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فلا جرم زيد قوله عن ضلالتهم
حتى يكون المنفي الهداية المنجية عن الضلالة لا مطلق الهداية لانها غير ممتنعة في حق العمي ان
تسمع اي يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا الا الذين يصدقون ان القران كلام الله اذ ح
تثبت نبوته عليه السلام فيقبل قوله فيجدي اسماعه نفعا فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من
اسلم وجهه لله اي جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معنى القول ومؤداه
وهو ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه بالقول ووقوعه حصوله والمراد مشارفته وظهور
اشراطها اخرجنا لهم دابة هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم
وزغب وريش وجناحان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب من الارض اي من ارض
مكة روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني
المسجد الحرام تكلمهم وقرئ تكلمهم وقال ابو الجوزا سالت عبد الله بن عباس رض تكلمهم او تكلمهم
فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل تكلم بالعربية وتقول ان الناس كانوا
باياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله تع لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية
معنى قولها وحكاية لقول الله تع او علة خروجها وقرئ ان بالكسر ثم قيام الساعة فقال
ويوم نحشر من كل امة فوجا اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة ومن للتبعيض لان امة
كل نبي اهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ومن في قوله ممن يكذب للتبيين باياتنا
المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليجتمعوا ثم يساقوا الى موضع الحساب
وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاؤا احضروا
موقف الحساب والسوال قال لهم تعالى تهديدا اكذبتم باياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها
علما الواو للحال كانه قال اكذبتم باياتي بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم
بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي جمعتم بين التكذيب وعدم
القاء الاذهان لتحقيقها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك وانما جاز دخول
ام عليها الاستفهامية لهذه النكتة فانها خرجت عن حقيقة الاستفهام الى البت بالحكم
لا بالمعادل بل بالاول ووقع القول عليهم بما ظلموا حل بهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم
وهو التكذيب فهم لا ينطقون فيشغلهم عن النطق والاعتذار قال الله تع هذا يوم لا ينطقون

الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا جعل الابصار للنهار وهو لاهله للمبالغة فيه بجعل الابصار
حالا من احوال المجعول بحيث لا ينفك عنها وهذا من احد المتقابلين ما اثبت في الاخر
فالتقدير جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه ومن عقل عن هذا قال
والتقابل مراعى من حيث المعنى لان مبصرا المعنى ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ان
في ذلك لايات لدلالتها على الامور الثلاثة لان المعنى الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار
قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من
ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب لقوم
يؤمنون خصوا بتلك الايات لاختصاص الانتفاع بها بهم ويوم واذكر يوم ينفخ في الصور
هو قرن والنافخ اسرافيل عليه السلام روى ابو هريرة رض انه ينفخ ثلث نفخات الاولى نفخة
الفزع ثم بعده باربعين يوما نفخة الصعق فما قيل انه تمثيل الانبعاث بانبعاث الجيش
واذا نفخ في البوق ليس بذلك ففزع الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشيء
المولم من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي للاشعار بصحة وقوعه
وانه كائن لا محالة ولا حاجة الى هذا الاشعار في الاول منشا الفزع فالقطع بوقوع هذا
يقتضي القطع بوقوع ذلك الا من شاء الله انه لا يفزع بان ثبت الله تع قلبه قالوا هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل وقيل وكل اتوه داخرين الموقف بعد النفخة الثانية
او راجعون الى امره صاغرين وترى الجبال تحسبها حال من المخاطب جامدة واقفة
ممسكة في مكانه عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح وهي تمر مر السحاب اي مرا مثل السحاب
والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد وهي تسير سيرا سريعا
كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام الملاصقة المتكاثرة العدد اذا تحركت حركتها
صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع
الله ذلك وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل الذي اتقن اي احكم صنعه ولقد اصاب عبارة الصنع
والاتقان محزها وذلك ان بقاء صورة الجبال بعد ما تخلخلت وصارت كالعهن المنفوش دل
على كمال الاتقان من جهة الصنع وهو تركيب الصورة في المادة وهذا الاتقان منتظم كل شيء
قويا كان تركيبه او ضعيفا انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيكافئهم

على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء يوم القيمة بالحسنة قال اكثر المفسرين الحسنة ههنا
كلمة الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في حقها فكبت وجوههم في النار فله خير
منها اي خير حاصل من جهتها وهم من فزع شديد اي من فزع شديد مفرط الشدة وهو
خوف النار او من فزع ما وان قل وقرئ بالاضافة الى يومئذ لانه جعل يوم مع اذ كالاسم
الواحد والمراد يوم القيمة آمنون امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء
بالسيئة فكبت يقال كبه واكبه اذا نكسه وجوههم في النار انفسهم يعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالراس
ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة خصها من بين البلاد باضافة اسمه اليها لانها
احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليه بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب والا
على انها موطن بيت نبيه عليه السلام ومهبط وحيه الذي حرمها جعلها حرما امنا وله كل شيء
خلقا وملكا وصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت
ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها ولا خفاء في ان اجراء الوصف على الله تعالى
تعظيم لشان الوصف ولشان ما يتعلق به الوصف وزيادة اختصاص له بمن اجرى عليه
الوصف وجعل ذلك كالسلم المرفوع عنه ولا كذلك لو قيل التي حرمها وصف البلدة
تخصيصا او مدحا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له وان اتلو القران من
التلاوة او من التلو لقوله اتبع ما يوحى اليك امر الرسول بان يقول امرت ان اخص الله تع
وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على
ملة الاسلام وان اتلو القران لاعرف الحلال والحرام وسائر الاحكام وما يقتضيه الاسلام
فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي
ومن ضل بمخالفتي وحذف جواب هذا لدلالة مقابله عليه اي فمضرة ضلاله راجعة اليه لا الي
ولما حذف ذلك قيم تعليله مقامه وهو قوله فقل انما انا من المنذرين اي وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امر ان يحمد الله على نعمة النبوة او على التوفيق للعلم والعمل
سيريكم اياته القاهرة في الدنيا وفي الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم

المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا يعزبكم تاخير العقوبة فانه امهال لا اهمال صح

قالارم

سورة قصص

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين ابان لازم ومتعد اي مبين خيره
وبركته او مبين لما ابهم بيانه والبيان اظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره مشتق من ابت
كذا اذا فصلته منه نتلوا عليك اي يقرا جبريل بامرنا مفعول نتلو من نبا النبا
الخبر عما هو عظيم الشان موسى وفرعون اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق لقوم يؤمنون لانهم
هم المنتفعون به ان فرعون استيناف مبين لذلك البعض علا تعاظم في الارض يعني مصر
وانما عبر عنها بما هو اسم لجهة السفل اشعارا بانه احد ضدها يليق بشانه وجعل اهلها شيعا
فرقا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا فهو كالتمهيد لما استانف باجاره في قوله
يستضعف طائفة هم بنو اسرائيل منهم من الشيع المذكورة فانهم لو كانوا متفقين لما تيسر له
ذلك يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل من الاستيناف السابق وتقدم تفسيره في سورة
الاعراف انه كان من المفسدين من زمرة المعروفين بالفساد فلذلك اجترا على قتل خلق
كثير لتخيل فاسد ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعا
تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ويجوز ان تتعلق الارادة بتكوين في زمان مترقب
وهذا لتكون نعمة المنة اوقع وسلطان التقدير على التدبير اظهر ان نمن نتفضل عليهم بانقاذهم
من باسه على الذين استضعفوا وانما قال في الارض مع عدم الحاجة اليه ههنا ليتمشى جعل
التعريف في الوارثين عوضا عن الاضافة ونجعلهم ايمة مقدمين في امر الدنيا والدين ونجعلهم
الوارثين اي يرثون الارض المعهودة لما كانت الوراثة اقوى سبب في الاستحقاق لا
تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط استعيرت لاستحقاقهم بمن الله تعالى
ونمكن لهم اصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يقعد عليه ويرقد فيه ثم استعير للتسليط والاطلاق
في الارض اظهر في مقام الاضمار تفخيما لشان تلك الارض ونري فرعون وهامان كان هامان
وزير فرعون فلذلك شركه في اضافة الجنود اليهما وجنودهما منهم من بني اسرائيل ويتعلق
بنري دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون من ظهور موسى
عليه السلام واذهاب ملكهم وهلاكهم فليس المراد هم الحذر التوقي من الضرورة وزيادة كان
لبيان استمرارهم مدة مديدة على ذلك الحذر واوحينا الى ام موسى قد تقدم تفسيره في سورة
طه ان ارضعيه التي بذلك فيه وان تفسيرية او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل بان يسمع
الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم قد مر تفصيله في سورة طه ولا تخافي من الغرق

والضياع ولا تحزني بفراقه والاخطار به الهم الخوف بهم يلحق لمتوقع والحزن بهم يلحق لواقع
انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيه وجاعلوه من المرسلين في هذه الاية امران ونهيان وخبرا
بشارة فالتقطه الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فارضعته الى ان خافت عليه فالقته
في اليم فالتقطه آل فرعون اي اخذوه وقد وجدوه من غير طلب وهو معنى الالتقاط ومنه
اللقيط واللقطة ليكون لهم اي ليصير الامر الى ذلك لا انهم اخذوه له كقولهم للموت ما تلد الوالدة
وعن هذا سموا هذه اللام لام العاقبة والصيرورة وهي في الحقيقة لام التعليل وذلك ان كونه
لهم عدوا وحزنا لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبهه بالداعي الذي يفعل الفاعل لاجله وبعد
اعتبار هذا التشبيه على طريق الاستعارة المكنية لم يبق حاجة الى التجوز في اللام كما سبق الى البعض
الاوهام عدوا وحزنا وهما العيان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كان
هامان مدبر ملك فرعون وسائس جنده فلذلك اضافهم اليهما كانوا خاطئين مذنبين فعاقبهم
الله بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم
في تربية عدوهم ببدع منهم وقرئ خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امراة فرعون اي لفرعون
حين اخرج من التابوت قرة عين فذو تفسيره في سورة الفرقان لي ولك اي هو قرة عين
لنا لانه لما راياه حين اخرج من التابوت احباه وفي الحديث انه قال هو لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه الخطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه
مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه
اهل له وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وكذا وهم لا يشعرون انهم على خطر عظيم في التقاطه
ورجاء النفع في تبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوفين موكدة لمعنى
خطائهم وقيل هو تمام كلام امراة فرعون اي نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه ملتقط بل
يظنون انه ولدنا واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت وقوعه في يد آل فرعون وقيل من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى وسماعها ان
فرعون عطف عليه وتبناه وياباه قوله لتكون من المومنين ويرده على الثاني قوله وقالت
لاخته قصيه ان كادت لتبدي به مخففة من الثقيلة اي انها كادت لتبدي به لتظهر به
والضمير لموسى والمراد امره والتاصل لولا ان ربطنا على قلبها الربط على القلب تقويته بالهام

الصبر والثبات لتكون من المومنين من المصدقين بوعدنا وجواب لولا محذوف اي
لابدته وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره اي اثر الملتقطين له وتتبعي خبره فبصرت به
اي راته والفا فصيحة عن جنب عن بعد وهم لا يشعرون اي آل فرعون لا يعلمون انها
اخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعنا ان يرضع ثديا والمراضع
جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع بمعنى الثدي وقيل او
الرضاع ولا يلايمه الجمع من قبل ان راته اخته فقالت اخته وقد دخلت دار فرعون بين المراضع
وراته لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت اخبرته بذلك عن الرق ودناءة الاصل احترازا ع
فانهما مما يحترز في امر الرضاع يكفلونه لكم بالارضاع وغيره وهم له ناصحون والنصح خلاص
العمل من شائب الفساد وهو نقيض الغش روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها
حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله
فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن
ما اوتي بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان موعده حق فيرتابون فيه وفيه شبه التعريض بما فرط منها حين
سمعت بخبر موسى ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاقاليم واستوى واعتدل وتم استحكامه اتيناه حكما حكمة وعلما فقها في الدين قبل ان
يبعث نبيا وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة
مدينة فرعون وهي منف بعد ان غاب عنه مدة على حين غفلة من اهلها وهو وقت القائلة
وقيل ما بين العشائين وياباه قوله استنصره بالامس وانما قال على حين غفلة لان الغفلة هي
المقصودة فصار هذا كما تقول جئت على غفلة وان شئت قلت على حين غفلة بخلاف ما اذا
اضفت الى ما ليس بمقصود كما اذا قلت جئت حين غروب الشمس قيل لما اوتي موسى عليه السلام حكما
وعلما عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك منه فاخافوه فخافهم فكان لا يدخل المدينة الا خائفا
مستخفيا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما سبطي والاخر
قبطي والاشارة الى الحكاية وفي عبارة العدو اشارة الى ما نقلناه آنفا فاستغاثه فسأله

ان يعينه بالاعانة ولذلك عدى بعلى الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه
موسى اى دفع صدره بجمع كفه فقضى عليه فقتله اصله انهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر
قال هذا من عمل الشيطان اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه لم يوذن له فى القتل وعن جريج ليس لنبى ان يقتل ما لم
يومر ولا يقدح ذلك فى عصمته عليه السلام لكونه خطأ انه عدو مضل مبين ظاهر الاضلال ويلزمه
ظهور العداوة بدون العكس قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له باستغفاره
انه هو الغفور لذنوب المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما انعمت على قسم جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك على من المغفرة فلن اكون ان عصمتنى ظهيرا معينا للمجرمين الكافرين او
استعطاف كانه قال رب اعصمنى بحق ما انعمت على من المغفرة فلن اكون ان عصمتنى ظهيرا
للمجرمين واراد المظاهرة المجرمين صحبته فرعون وانتظامه فى جملته وتكثير سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد وقيل اراد ان لا اعين بعد هذا اسبطيا وكان يومئذ السبط كفارا
ومعنى من شيعته من فرقته المتعصبة له نسبا لا دينا قال ابن عباس رض فلم يستثن فابتلى
ثانيا فاصبح فى المدينة خائفا من قتل القبطى يترقب اى ينتظر ما يحدث بعده فاذا الذى
اذا للمفاجاة وما بعده مبتدأ استنصره بالامس يستصرخه يصيح من بعيد مستغيثا من قبطى
اخر قال له موسى اى لذلك السبطى انك لغوى مبين بين الغواية لانك تشاجر من لا تطيقه
وقيل لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر ولا يناسبه فلما ان اراد ان يبطش لان تذكر موسى
عليه السلام نسبته لذلك المحظور باعث الاقدام لا باعث الاحجام وانما زيد ان للتاكيد والتقوية
لمعنى الارادة والمقام يقتضيها وذلك ان ارادة البطش ليست حقيقتها لانها لا تصلح
لان تكون سببا للخوف بل كناية عن بسط اليد نحو المقصود بالبطش والتى تتبعها الفعل
ويراد فيها انما هى الارادة البالغة الى حد العزم لا مطلق الارادة بالذى اى بذلك القبطى
الذى هو عدو لهما لموسى والسبطى قال السبطى لموسى وقد توهم انه اراد اخذه لا اخذ القبطى
حيث غلظ له فى القول يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد اى قدر ما
تريد الا ان تكون جبارا الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو يجبر الناس على ما يريد
فى الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتى احسن
وكان قتل القبطى بالامس قد شاع ولكن خفى قاتله فلما افشى على موسى عليه السلام علم القبطى

لاقربنا

ان

ان قائله موسى فاخبر ملا فرعون فهموا بقتله فخرج مومن ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما
قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة
له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فاخرج
من المدينة انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس بصلة للناصحين لان معمول الصلة لا
يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له فى الطريق او ان يلحقه
من يطلبه قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه التوجه
الاقبال على الشئ تلقاء قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم عليه السلام ولم
تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر ثمانية ايام قال ابن عباس خرج ولم يكن له
علم بالطريق الا حسن توجه بربه قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل اى وسطه ومعظم نهجه
فجاء ملك فانطلق معه الى مدين ولما ورد وصل ماء مدين ماءهم الذى يسقون منه وكان
بئرا وجد عليه فوق شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس انما قال من الناس مع ان السقى لا يكون
الا منهم تنزيلا لشانهم قيل كانوا اناسا ما لا يستحقون الا التعبير باسم الجنس بل هم فى ذلك فى درجة
احتاجوا الى بيان كونهم من جنس الانس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم فى مكان اسفل
من مكانهم امراتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لعجزهما عن المزاحمة مع تلك الامة
ترك المفعول فى يسقون وتذودان لان الغرض هو الفعل لا المفعول اذ هو يكفى فى البعث
على سوال موسى وما زاد على المقصود يعد لكنة فضولا واما البعث على المرحمة فليس هذا
موضعه فان قولهما له لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير قال موسى ما خطبكما اى ما
شانكما تذودان سالهما عن سبب الذود فاجابا بما مرجعه الى العجز عن المزاحمة او الاجتناب
عن المخالطة ولما اتجه ان يقال هذه السقى كانت للرجال فما بالكم تباشرونها تداركت
الاعتذار عنه بما تقديره ليس لنا راع وابونا شيخ كبير فحذف صدر الكلام لاستغنائه لدلالة
الواو الفصيحة فى اول الباقى عليه قالتا لا نسقى غنمنا حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء
مواشيهم عن الماء وقرئ يصدر اى ينصرف والرعاء جمع راعى وقرئ الرعاء بضم الراء
وهو اسم جمع كالرضاء وابونا عطف على محذوف بيناه انفا شيخ كبير فى السن لا يقدر على
السقى والرعى فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف روى انه

كانت هناك بئر اخرى عليها صخرة فاقلها وحده واستقى منها ثم تولى الى الظل الى ظل الشجرة
فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير محتاج الى الطعام قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام
وقد لصق ظهره ببطنه فكان يكفيه رب انى فقير الا انه قدم بيان سبب حاجته تمهيدا للاعتذار
عما ارتكبه من مخالفة المعتاد بالخروج الى السفر البعيد بلا زاد ومراده من النازلة المذكورة
ما ابتلاه الله به من قتل القبطي فانه كان سببا لهربه بلا تدارك لعدد ولا تهيئة بقوله
دفعا لما يترائى من ظاهره التشكي وانما جزم بكونه خيرا للعلم بان الخير ما اختاره الله تعالى
فجاءته احديهما الفاء فصيحة روي انهما لما رجعا الى ابيهما قبل الناس قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي تمشي على استحياء اي
مستحية قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا روي
انها لما قالت ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد
حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب الست جائعا فقال بلى ولكن
اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ
على المعروف ثمنا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل فلما جاءه الفاء فصيحة
اي فجاء بها موسى فلما جاء اباها وقص عليه القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال له
لا تخف نجوت من القوم الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا قالت احديهما يعني التي
استدعته يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جامع
يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك ازوجك
احدى ابنتي هاتين لا دلالة فيه على انه كانت له غيرهما اذ يكفي في الحاجة الى الاشارة عدم
علم المخاطب بانه كانت له غيرهما على ان تاجرني تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا
ثماني حجج ظرف والحجة السنة لان في كل سنة حجة فسموها لتضمنها اياها تعظيما لها والمعنى
على ان تجعل اجري اياك على تزويج ابنتي رعي ماشيتي ثماني سنين والتزويج على رعي الغنم جائز
في شريعتنا ايضا فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك اي فذلك تفضل منك ليس بواجب
عليك او فاتمامه من عندك ولا احتمه عليك ولكنه ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما اريد

ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال وحقيقة
شق عليه الامر انه اذا عظم فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وطورا لا اطيقه ستجدني
ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على العموم
ويدخل تحت حسن المعاملة والمراد باشتراط مشية الله تع فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه
تع فيه ومعونته قال موسى ذلك مبتدا وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر بيني وبينك
يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما
شرطت ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اي نصب بقضيت وما
زائدة موكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اي لا تعتدي علي في طلب الزيادة
قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء كما ان طلب
الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله على ما نقول من المشارطة وكيل
هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب فلما قضى موسى
الاجل قال عليه السلام قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وسار باهله بامراته نحو مصر آنس مر تفسيره
من جانب الطور من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا البثوا مكانكم اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بخبر مر تفسيره او جذوة بفتح الجيم وكسرها وضمها قطعة غليظة من الحطب
كانت راسه نارا او لم تكن ولذلك بينه بقوله من النار لعلكم تصطلون مر تفسيره فلما اتاها
نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة
بتكليم الله تع فيها متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من الشاطئ او صلة
لنودي بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى ان مفسرة او مخففة
من المثقلة اني انا الله رب العالمين هذا يوافق ما في سورة طه والنمل في المقصود وان
خالفه في اللفظ لما دنا من النار رآها مملوءة انوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخوطب
باللطف واستدعي منه احسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا اعطي ما ساله وامن مما خاف
وان الق عصاك ونودي ان الق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا فلما رآها الفاء فصيحة
تهتز الاهتزاز شدة الاضطراب في الحركة كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب مر تفسيره يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف اسلك يدك في جيبك قال في سورة النمل وادخل
يدك في جيبك عطفا على قوله والق وترك العطف هنا كيلا يذهب الوهم الى عطفه على اقبل

تخرج بيضاء من غير سوء مر تفسيره واضمم اليك جناحك اريد بضم الجناح اليه تجلده وضبط نفسه
عند خروج يده بيضاء حتى لا يتحرز ولا يضطرب من الخوف استعاره من هيئة الطائر فانه
اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران فهذا القول هنا بمنزلة
قوله ولا تخف انك من الآمنين فيما تقدم من الرهب من اجل الرهب جعل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه والرهب الخوف مع تحرز واضطراب فذانك
مخففا مثنى ذاك ومشددا مثنى ذلك واحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد
والعصا برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان او من
قولهم بره الرجل اذا ابيض وقيل فعلال من قولهم من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم
كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان
يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الردء العون الذي يدفع الشر عن
صاحبه يصدقني اي ردءا مصدقا وقرئ بالجزم جوابا للارسال ومعنى تصديقه موسى اعانته
اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج ليثبت دعواه اني اخاف ان يكذبون
تعليل يقوم مقام الجواب على قراءة يصدقني بالرفع قال سنشد عضدك باخيك سنقويك باخيك
اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور
ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا
متعلق بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب آياتنا او تم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اي
نسلطكما بآياتنا او بالمحذوف اي اذهبا بآياتنا او قسم جوابه محذوف او هو لا يصلون حذف
لدلالة ما قبله عليه او هو بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون لا صلة له بل
للذي بينه وهو الغالبون المقدر او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي لامتناع
تقدم الصلة على الموصول وموضع معمول الصلة في حكمها فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق لم تفعل من قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف
بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين حال
منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده فيعلم انه محق وانتم مبطلون وقرئ بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف
ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له

عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت
مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض
انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى والابان بصيغة
الجمع بان جمعهم لا يعني وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون
وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم به ولما كان الظاهر من نفي العلم في مقام يقتضي نفي
الوجود على تقدير ثبوته عنده استثناه الحال فرع عليه الامر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع
على حقيقة الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك
امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا
في وسط الكلام بما يوهم التسوية فاجعل لي صرحا الصرح البناء العالي الظاهر ومنه التصريح لشدة
ظهور المعنى لعلي اطلع الطلوع والاطلاع الصعود وتعديته بالى والى تعديته بعلي فاعتبار
تضمنه معنى الانتهاء الى اله موسى حسبانه في مكان كما كان هو فيه واني لاظنه من الكاذبين
في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا والظن هنا ليس بمعناه المتعارف المصطلح وهو الاعتقاد
الراجح بل بمعناه اللغوي وهو ما لا يكون جازما سواء كان راجحا او مرجوحا او مساويا واستكبر
هو وجنوده اي تعاظموا في الارض ارض مصر بغير الحق بالباطل لانه كان بغير استحقاق فان الاستكبار
بالحق هو لله وظنوا عن اعتقادهم وان كان جازما بالظن تحقيرا له انهم الينا الى حسابنا وجزائنا
لا يرجعون يوم القيمة وليس هذا العذر لهم بل ذم لهم بالجهل وترك التأمل في الآيات حتى يعلموا
فاخذناه وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظم شانه
استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن احد بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على
الاضلال يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين تلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين او ممن قبح بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم
ظرف للمقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح
وهود وصالح ولوط بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد
كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا

تستبصر ولا نعرف حقا من باطل وهدى وارشادا الى الشرائع التي هي على سبيل الحق ورحمة لانهم
لو عملوا بها نالوا رحمة الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت يا محمد بجانب
الجبل الغربي وهو الذي وقع فيه ميقات موسى فانه كان في شق الغرب من مقامه او الجانب
الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشيء الى صفته كقوله ولدار الآخرة اذ قضينا اوحينا الى موسى
الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي
لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا
اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول الامد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع
واندرست العلوم فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه متضمنا للرد على من يخطر بالبال من احتمال
ان يكون اخباره عليه السلام عن ذلك بطريق الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا مقيما
في اهل مدين شعيب عليه السلام والمؤمنين معه تتلو عليهم تتعلم منهم آياتنا التي فيها قصة
شعيب وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان او حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين
اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة
ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك وقرئت بالرفع
على هذه رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد بن
سنان لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر
والمعاصي ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت الاعمال اليها وان كان من اعمال القلوب
للاكثر على الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية وجوابها
محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر
اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى لولا
قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك
فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول بدخول
لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال والعقوبة
لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت

عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو
المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة فنتبع
آياتك اراد بالآيات المعجزات وباتباعها العمل بموجب دلالتها فقوله ونكون من المؤمنين
اي من المصدقين برسلك كالتفصيل فلما جاءهم الحق من عندنا اي القرآن او الرسول المصدق
بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي هلا اعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة
او من الآيات كاليد والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبه مذهبهم وعنادهم
وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى من قبل من قبل هذا القول قالوا ساحران تظاهرا
يعني موسى ومحمدا عليهما السلام تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرئ سحران
اي القرآن والتوراة واسناد تظاهر اليهما دلالة على سبب الاعجاز وقالوا انا بكل كافرون
اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله اي فاذ كذبتم يا معاشر العرب بهذين
الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى اضمارهما لدلالة المعنى
اتبعه جواب فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى ان كنتم صادقين في انهما
سحران مختلقان لا هداية فيهما وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف
الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك اي الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول
للعلم به وهذا الحذف شائع عند ذكر الداعي وتعديته اليه باللام والى الدعاء بنفسه واما قول
الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فالتعدية في الداعي
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى
النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتأكيد او للتقييد لان هوى النفس قد يوافق الحق
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم القول التوصيل تكثير الوصل
وتكريره يعني ان القرآن اتاهم متتابعا في الانزال ليتصل التذكر او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة
والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيطيعوا الذين آتيناهم الكتاب من قبله
من قبل القرآن وخبر الذين هم به بالقرآن يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب واذا يتلى
القرآن عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به
انا كنا من قبله من قبل نزول القرآن مسلمين كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله
انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنا

لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم اولئك يوتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرأن بما صبروا بصبرهم على الايمان بالقران
قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ويدرءون بالحسنة السيئة
يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها
انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ان تنور قلب من احببت بنور الهداية فانك شفيع الجناية
لا شريك الجناية ولكن الله يهدي من يشاء لقد اصاب كل من عبارتي الحب والمشية محزها
وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب
وان كانت الصيغة عامة وقالوا ان نتبع الهدى معك اي وقالوا يا محمد ان نتبع الهدى
فنكون معك ونتبع الهدى الذي معك وهو القران نتخطف التخطف الاستلاب بسرعة من ارضنا
اي نخرج منها في الحال وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضته فرد الله عليهم
اولم نمكن لهم اي الم ندفع عنهم شر العرب ولم نمكن لهم حرما امنا اي الم نجعل مكانهم في حرم
ذا امن لا يتسبون فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم في موضع لا ضرع فيه
ولا زرع يجبى اليه ثمرات كل شيء اي تجمع ويجلب اليه من كل شيء ارفعه وانفعه كما يقال ثمرة
الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء رزقا مصدر لان معنى يجبى اليه
يرزق او مفعول له او حال من الثمرات ان كان لمعنى مرزوقا لتخصصها بالاضافة كما
ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة من لدنا اي تفضلا منا فاذا كان حالهم وهم عبدة
الاصنام هكذا فكيف يعرض للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن
اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل متعلق بقوله من لدنا
اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا انه من عند الله لعلموا
ان الخوف والامن ايضا من عند الله ثم بين ان الامر بالعكس بانهم احقاء بان يخافوا
من باس الله عليهم بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وكم من اهل قرية كانت
حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وكم نصب
باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسه كقولك مقيم او

زبيخ ... ارشيخ

بغير

تبعد ظرف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها او مفعول على تضمين معنى بطرت معنى
كفرت والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الاثار
تشاهدونها في الاسفار لم تسكن من بعدهم حال والعامل فيها الاشارة الا قليلا من السكنى
اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها
اي لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى اي ليس في عادته ان يهلك القرى حتى
يبعث في امها في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلو
عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة او ما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك قرى
الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام والظاهر المناسب لعبارة ما كان
ربك هو الاول وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم
من شيء في محل النصب على الحال وذو الحال الضمير العائد من الصلة الى الموصول اي وما اوتيتموه
كائنا من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا
تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك
لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه دائم لا ينقطع افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني
فتستبدلونه به وقرئ بالياء التحتانية وهو ابلغ في الوعظ افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لعدم الخلف في وعده كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب والفاء الاولى للترتيب الانكار المستفاد من
الاستفهام والمعنى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وما عنده عقبه بقوله
افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي سوى بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة والفاء
الثانية للتسبب لان لقاء الموعود مسبب من الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال
التمتع وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم نداء توبيخ وهو
عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم
شركاءي فحذف المفعولان لدلالة الكلام ويجوز حذفهما في باب ظننت وان لم يجز الاقتصار
على احدهما قال الذين حق عليهم القول اي وجب مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء مبتدا والذين صفته واغوينا صلة الذين

والعائد محذوف تقديره اغويناهم واغويناهم خبر المبتدا القول كما غوينا فاستفيد من الخبر ما
لم يستفد من الصلة والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا
غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا
لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذن بين غينا وغيهم يعنون انا لم نغوهم الا باختيار منهم
فان تسويلنا وان كان داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع
فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو كقوله وقال الشيطان
لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدا
والذين اغوينا خبر المبتدا واغويناهم استيناف اخبار مقيد بالقول تبرانا اليك منهم
مما اختاروا من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم
واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم
اي الهتكم لتخلصكم من العذاب فدعوهم لا لفرط الحيرة بل لضرورة الامتثال فلم يستجيبوا لهم لا
لعجزهم اذ يومئذ ينطق كل شيء بل لعجزهم عن الاستجابة وراوا العذاب التابع والمتبوع لو انهم
كانوا يهتدون جواب لو محذوف اي لما راوا العذاب ويوم يناديهم عطف على الاول فانه تعالى
يسال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين ارسلوا اليكم
فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفي عليهم الاخبار والاعذار خفاء لا يرجى زواله فلم يستطيعوا
ان يجيبوا بما فيه نجاة لهم واتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا
عن العذر والجواب رجاء ان يكون عنده ما ليس عند نفسه لانهم يتساوون في العجز عن ذلك
بالسبب المذكور على ما افصح عنه الفاء التفريعية لا لفرط الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك
واما هذه للاشعار بزيادة اعتناء بشان ما دخلت عليه فيما سيق له الكلام كقوله تعالى فاما
الذين في قلوبهم زيغ وتصديره بالفاء للتفريع على ما قبله مقام فيهم وامن وعمل صالحا
وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين يومئذ وعسى من الكرام تحقيق
لا ترجي من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار المشية بجامع الايجاب
بالذات دون الاختيار ففيه تخصيص الرد على الفلاسفة كما ان في اثبات المشية تخصيص
الرد على من زعم انه تعالى يقتضي العالم اقتضاء النار للاحراق ما كان لهم الخيرة ترك العاطف لانه
تقرير لما قبله فان معنى ويختار اي مدخل تحت تكوينه والخيرة من التخير تستعمل بمعنى المصدر

كالطيرة

كالطيرة بمعنى التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه سبحان الله تنزيها له ان يزاحم
اختياره احد اختياره وتعالى عما يشركون اي الله تعالى بريء من اشراكهم وربك يعلم ما تكن
صدورهم يقال اكننت الشيء في صدري اي اخفيته اسند الاخفاء الى الصدور مبالغة وما
يعلنون اي يعلم ما اضمروه كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما اظهروه كمطاعنهم فيه
وهو الله الذات المستحق للعبادة لا اله الا هو لا معبود يستحقها الا هو ترك العاطف
لانه تقرير لما قبله له الحمد في الاولى والاخرة الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار
المجموع فان الحمد في الدنيا وان شاركه تعالى فيه غيره فان المستحق للحمد لا يلزم ان يكون مولي
للنعم لكن الحمد في الاخرة لا يكون الا له وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالبعث
والنشور قل ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم انما قال عليكم لان النفع انما هو في تقلب
الملوان فان منهما اسمر ينقلب نفعه ضرا الليل سرمدا اي دائما من السرد وهو المتابعة
ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل الى يوم القيمة
بالكسوف او باسكان الشمس تحت الارض من اله كان حقه هل اله فذكر من على زعمهم ان غيره
الهة غير الله صفة اله يأتيكم بضياء انما قال بضياء ولم يقل بنهار كما قال في قرينه الاتي بليل لان
النهار لا يلزمه الضياء على ما نبهت عليه انفا والنفع انما هو بوجود الضياء فيه فانه لو خلا عنه
لانقلب نفعه ضرا حتى قالوا ان الكسوف ساعة يكون سببا لبعض الافات من الزلازل
وغيرها بخلاف الليل فانه لا يخلو عن النفع المذكور مظلما كان او مستنيرا ولما كان مبنى ما
ذكر مما لا يقف عليه عوام الانام الا بالسماع عن الخواص قال هنا افلا تسمعون ومن ذكر ان
ذكر السماع هنا لكثرة منفعة الضياء فقد ابعد قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اخر
امر النهار عن الليل لانه اصل والنهار عارض الى يوم القيمة باسكان الشمس فوق الافق
او تحريك كرة الارض على وفق حركتها وانما كان الفساد في ادامة النهار في دار التكليف
ولم يكن في دار النعيم لان دار التكليف لا بد فيها من التعب والنصب الذي يحتاج معه الى
الجمام والراحة وليس كذلك دار النعيم من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن
متاعب الاشغال وانما تعرض لوصف الليل دون الضياء لانه نعمة في ذاته مقصودة بنفسه
ولا كذلك الليل ولما كان ما ذكر يتوقف عليه كل من له بصر ولا يتوقف على امر اخر قال هنا افلا
تبصرون ومن في قوله ومن رحمته للسبب جعل لكم الليل والنهار اي خلقهما لاجلكم لتسكنوا فيه

اى فى الليل وللتنبيه على انفراد كل من المستحقين فى علية كل واحد منهما على التوزيع اعيد اللام
فى قوله ولتبتغوا من فضله وانما حذف اكتفاء بما ذكر فى قرينه فيكون من باب اللف والنشر
على الترتيب وفى التعبير بالابتغاء عن كسب العبد اشارة الى انه لا مزيد له على معنى الطلب ففيه
نفى للتاثير من جهته كما ان فى قوله من فضله نفى للايجاب منه تع والوجوب ولعلكم تشكرون ولكى
تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها تعليل اخر للجعل المذكور ولذلك صدره باداة العطف
ويوم يناديهم فيقول اين شركاى الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليوذن بانه
لا شئ اجلب لغضب الله تع من الاشراك به كما لا شئ ادخل فى مرضاته من توحيده ونزعنا
اخرجنا يقال فلان نزع الى ع اى يحن اليه حسا يطالبه بالخروج اليه من كل امة من الامم الخالية
بدليل سياق الكلام ولحاقه شهيدا شاهدا عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال وجئ بالنبيين والشهداء وهذا صريح فى انهم
غير الانبياء فقلنا لتلك الامم هاتوا برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله
فى الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع ما كانوا يفترون من
الوهية غير الله والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرنت
الشئ لانصرف كان من قوم موسى كان ابن عم موسى عليه السلام فبغى تفريع على مقدر يدل اجمالا
على عتوه المفرط على ما يفصح عنه التفصيل الاتى ذكره فالفا فصيحة والبغى طلب العلو بغير حق
ومنه قيل لولاة الجور بغاة عليهم روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا
فى غير شئ الى متى اصبر واتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه ما المعنى الذى
فى موضع نصب باتينا وان واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به بيت المال او الصندوق لتنوء يقال ناء به اى احمل على ثقل ونهض
به على مشقة حتى مال تحته وهو لازم وصار هنا متعديا بالباء فى قوله بالعصبة وهى الجماعة
الكثيرة اولى القوة الشدة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له
قومه منصوب بيبغى وما بينهما اعتراض فى معرض التعليل لبغيه لا بتنوء اذ لا وجه لتخصيصه
بذلك الوقت لا تفرح اريد بالفرح هنا المرح الذى يخرج الى الاشر وهو البطر ولذلك
قال ان الله لا يحب الفرحين لانه اذا اطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح الى البطر فاما قوله
فرحين بما اتاهم الله من فضله فحسن بهذا القيد وابتغ فيما اتاك الله من الغنى الدار الاخرة

بصرفه فيما يوجبها لك ولا تنس ولا تترك للنسيان نصيبك من الدنيا اى خذ مع هذا من دنياك
ما لا بد لك منه فى معاشك فانه غير معلوم على ذلك فهو كقوله تع ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما وسع عليك فى بسط
لك ولا تبغ الفساد فى الارض بالبغى والظلم ان الله لا يحب المفسدين بل يبغضهم
والاكتفاء بنفى حبه تع منهم للتنبيه على ان هذا القدر يكفى فى ازجار العاقل عن الفساد
قال انما اوتيته اى المال على علم عندى اى على استحقاق لما فى من العلم الذى فضلت به
الناس وهو علم التورية او علم الكيمياء او العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة
وعندى صفة لعلم او زيادة لافادة معنى الاختصاص له اولم يعلم ان الله قد اهلك من
قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا تعجب وتوبيخ
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه فى التورية او سمعه من حفاظ التواريخ
والواو للعطف على مقدر اى الم يقرأ فى التورية او لم يسمع من الحفاظ ولم يعلم اورد
لادعائه العلم وتعظيمه به بنفى العلم عنه اى عنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى
يقى نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تع مطلع
عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا
اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مخصوصا بهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين
كلهم يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام من عدم
تنصحه لما قيل له واظهار اسباب البطر فالفا فصيحة فى زينته حال من فاعل خرج اى متزينا قال
الذين يريدون الحيوة الدنيا على سبيل الرغبة فى اليسار يا للتنبيه ليت لنا مثل ما اوتى
قارون غبطة والغابط هو الذى يتمنى مثل نعم صاحبه من غير ان يزول عنه انه لذو حظ
عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة ويلكم اصل ويلك
دعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى ثواب الله فى الاخرة خير
لمن امن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وفى حذف المفضل عليه تعظيم
للمفضل كما فى قوله الله اكبر ولا يلقاها هذه الكلمة وهى ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات
وعن المعاصى فخسفنا به لقارون اى ساخت به الارض واذهبت فى جهة السفل وبداره
الارض روى انه كان يوذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة بينهما حتى نزلت

الزكوة فصالحه على كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فعمد الى ان يفضح موسى
عليه السلام بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قال موسى
عليه السلام في خطبته من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى عليه
السلام ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما
شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال
خذيه فاخذته الى عنقه وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال وموسى لا يلتفت اليه
لشدة غضبه ثم قال خذيه فانطبقت عليه فقال الله لموسى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتي
لو استرحمني لرحمته ثم قال بعض بني اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله فدعا الله تعالى حتى خسف بداره
وامواله فالفاء الفصيحة للعطف والتفريع على محذوف دل على مفهومه الاجمالي مساق الكلام
فما كان له من فئة اعوان مر تفسيره على وجه التفصيل في سورة البقرة ينصرونه من دون
الله اي اذكر امتناع نصره برفع عذاب الله مع انه معلوم لان المراد بيان انه لم يكن الامر
على ما قدره من امتناعه بحاشيته وجنده فان ذلك الذي غره حتى تمرد في طغيانه ثم اخزانه
كما لم يكن له من ينصره لم يكن هو ايضا من منتصر بنفسه لضعفه عن ذلك واصبح الذين تمنوا
مكانه ولم يقل مثل مكانه اكتفاء بما ذكره قبل هذا بالامس استعير لزمان قريب يقولون
ويكان قال قطرب هما كلمتان ويك بمعنى ويلك محذوف اللام قال عنترة ولقد شفى
نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال
واما قيل ان وي للتعجب وكان للتشبيه ففيه ان التشبيه لا يناسب المقام الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب
القبض لولا ان من الله علينا بصرف ما تمنيناه بالامس لخسف بنا لتولده فينا ما ولده
فيه ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة
تلك الدار الاخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك
وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا
ظلما على الناس لم يعلق الموعود بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما

قال

قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون والعاقبة المحمودة للمتقين بالارضاء
الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها مر في النمل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم
مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة في قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون
الا مثل ما كانوا فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض
عليك القران اوجب تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد يعني مكة اريد رده
عليه السلام يوم الفتح وانما نكره لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتزاز لغلبة
الرسول صلى الله عليه وسلم وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام واهله وذل الكفر وحزبه والسورة
مكية ولكن هذه الاية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق عليه السلام الى مولده
ومولد ابائه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منصوب بفعل
يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين
فهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجو مر تفسير الرجاء في الفرقان ان يلقى يوحى اليك الكتاب
اي سيردك الى معادك كما القي اليك الكتاب وما كنت ترجو الا رحمة من ربك هذا محمول
على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا رحمة لاجل ان ترحم او الا بمعنى لكن للاستدراك
اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك فلا تكونن ظهيرا عونا للكافرين ولا يصدنك عن
ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك اي بعد وقت انزاله وادع الى ربك
الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما
قبله تهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم على ان العصمة لا تمنع النهي والوقف على اخر
لازم لانه لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لالها وفيه من الفساد ما فيه كل شيء هالك الا وجهه
الا ذاته والوجه يعبر به عن الذات وانما قال هالك لان المراد كونه كذلك في حد نفسه
وذلك ليس لمجرد فان كل ممكن في حد نفسه ليس بموجود له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه

ترجعون للجزاء بالحق صح

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم الم مر فيه ذكر الاقاويل وسبق التفصيل وهنا دليل الاستقلال
بنفسه او بما يضم معه وهو وقوع الاستفهام بعده احسب الناس الحسبان قوة احد النقيضين

على الآخر كالظن ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فاذا اردت الاخبار
عن مضمون ثابت عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم
غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا ان يتركوا فانه سد مسد
المفعولين كما في قوله ان يسبقونا ونظائره لان المعنى احسب الناس انفسهم متروكين
والترك رفض الشيء قصدا واختيارا او قهرا واضطرارا ومن الاخير قولهم ترك فلان بما يخلفه
بعد موته وثاني مفعولي ان يتركوا متروك بدلالة الحال اي كما هم او على ما هم عليه وان يقولوا
بمعنى لقولهم متعلق بيتركوا على انه غير مستقر آمنا وهم لا يفتنون غير مختبرين بما يتبين به
حقيقة ايمانهم نزل في جماعة آمنوا وآذاهم المشركون والمراد من الفتنة الامتحان بشدائد
التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات
وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم
وقيل معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك احد مفعولين وغير مفتونين من
تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب وفيه الفصل بين تركوا ومعموله وما يجب
من الاهتمام بشان الخبر لكونه مصب الانكار معارض بما يقبحه من ابهام ان يتركوا غير مختبرين
لعلة اخرى ولقد فتنا اختبرنا وهو موصول باحسب او بلا يفتنون الذين من قبلهم من الامم
بانواع الفتن والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الازمان السالفة فلا ينبغي ان يتوقع
خلافها ويجوز ان يكون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان بعض الانبياء
كزكريا ويحيى وجرجيس وقد امتحنوا وصبروا فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه وعلم الله بالكائنات منزه عن النسبة الى الزمان
وعما يترتب عليها من التبدل والتغير فهو هنا كناية عن تحقق المعلوم قطعا وظهوره على
وجه ابلغ فالمعنى وليتميز الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطا يتبين صدق العبد من
كذبه في اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في ايام الرخاء وصبر في ايام البلاء فهو من الصادقين
ومن بطر في ايام الرخاء وجزع في ايام البلاء فهو من الكاذبين ويعضده قراءة فليعلمن الله
من الاعلام اي ليعرفهم الناس او يسمهم بحذف المفعول الاول ويجوز ان يكون من قولهم فارس
معلم اي اعلم نفسه في الحرب بثوب او غيره فيكون من العلامة فالمعنى فليسمنهم بسمة يعرفون بها
يوم القيمة كبياض الوجه وسواده ام حسب ام هنا منقطعة لفقد شرط الاتصال وهو

ان لا يكون بعدها جملة ومعناه بل للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى الابطال
والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن
انه لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بالذم الذين يعملون السيئات من المعاصي واما الكفر
فليس من جنس العمل لانه لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية نص عليه الراغب فحال الكفر يعلم مما
ذكر دلالة ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر على ان نجازيهم على مساويهم يعني ان الجزاء يلحقهم
لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين ساء ما يحكمون ما في موضع
رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اي
بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجو لقاء الله يترقب ثوابه او يخاف عقابه فالرجاء
يحتملهما فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب لآت لا محالة تعليل لجواب الشرط
المحذوف تقديره فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه واتيان الوقت المضروب لهما
كناية عن اتيانهما والتعبير عنهما بلقاء الله تعالى للتفخيم والتهويل واضافته الى الله في الموضعين
للتعظيم ويجوز ان يكون على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد
على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط اي بسخط منها وهو السميع لما يقول
عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء ومن جاهد نفسه بالصبر على مخالفتها في طاعة الله تعالى
فانما يجاهد لنفسه لان منفعته ذلك ترجع اليها ان الله لغني عن العالمين فلا نفع له في
طاعتهم ومجاهدتهم وانما كلفهم رحمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم التكفير اذهاب السيئة بالحسنة كاذهاب الكفر بالايمان والمعصية بالتوبة
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون انما قال احسن لان المباح حسن ولا جزاء ووصينا الانسان
بوالديه حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى حكمه حكم امر
في معناه وتصرفه ومعنى وصيت زيدا بعمرو امرته بتعهده ومراعاته وان جاهداك اي وقلنا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم يعني بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم اشعارا
بان ما لا تعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك
فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع المطيع والعاصي منكم فانبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على العصيان وحث على
الثبات والاستقامة في الطاعة روي ان سعد بن ابي وقاص لما اسلم نذرت امه

ان لا تاكل ولا تشرب ولا تنتقل من الضح حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك فشكى سعد
الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتى فى سورة لقمان والتى فى الاحقاف والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى الانبيا والاوليا بان نحشرهم معهم ومن الناس
من يقول امنا بالله فى الاخبار عنهم بانهم من الناس تحقير لشانهم فاذا اوذى فى الله اى فى طاعته
وفى للسببية كما فى المتنى فيه جعل فتنة الناس اى اذاهم له للصرف عن طاعة الله كعذاب الله
فى الخوف منهم فيطيعهم ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اى مشايعين لكم
فى دينكم فاعطونا نصيبا من المغنم اوليس الله باعلم صيغة افعل هنا لمطلق الزيادة واثبات
العلم على الوجه الابلغ والواو للعطف على محذوف تقديره اليس الله باشد عذابا من الناس
بما فى صدور العالمين من الاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق ان تخفى حاله على المسلمين
ولا يخبرهم الله به وهو عالم فهذا تهديد ينبوى له كما ان قوله وليعلمن الله الذين امنوا
وليعلمن المنافقين تهديد اخروى كنى بالعلم عن اثره وهو الجزاء على المعلوم وعبر عن الاخلاص
بالايمان اخراجا للاقرار باللسان الخالى عن التصديق بالجنان عن حد الايمان وفى
اختلاف الصيغتين اشعار بثبات المنافق على النفاق ومزية على الكفر بزيادة التوغل
فى محله وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم
وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر واراد
ليجتمع هذان الامران فى الحصول والمعنى تعليق الثانى على الاول على وجه المبالغة والوعد
بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا لهم على الاتباع وبهذا رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم
بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فى ذلك من الاولى للتبيين والثانية مزيدة
لتاكيد الاستغراق وليحملن اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم واوزار الضالين
باضلالهم وهو كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسالن يوم القيمة
عما كانوا يفترون يكذبون على الله سوال توبيخ واللام فى الفعلين للقسم وحذف فاعلها
الواو والنون الرفع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد
المبعث الى حدوث الطوفان واختيار هذه العبارة لما فى ذكر الالف من تخييل طول
المدة الى السامع فان المقصود تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من
الكفرة ومجى المميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب

فى البلاغة فاخذهم الطوفان هو ما طاف وحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحوهما
والواقع طوفان الماء وهم ظالمون انفسهم بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة اى
والذين حملهم نوح فى السفينة وجعلناها اى السفينة لا لانها بقيت اعواما حتى مر عليها الناس
وراوها فحصل لهم العلم بها او الحادثة اية علامة او عبرة للعالمين يعتبرون بها وابرهيم عطف
على نوحا وقرى بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا ففيه
دلالة على انه لم يتهاون فى امر الرسالة حيث بلغ الدعوة كما امر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه
ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا الوثن ما يعمل من
حجر او طين وتخلقون اى تكذبون او تصنعون وقرى تخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق
افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف عنه كالكذب واللعب من اصلهما واخلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء الله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا استدل اولا على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل ثم استدل عليه من حيث
انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر اى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله لا عند الاسباب الرزق كله انما لم يقل من الله لعدم دلالة فيه على الامر
بتركه اعتمادا على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه اى فى كل حال واشكروا
له لما مضى من الافضال مستعدين للقائه بها فانه اليه ترجعون فيجازيكم بما عملتم من الشكر
والكفران والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم كقوم
نوح وهود وصالح وما على الرسول الا البلاغ المبين اى وان تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبكم
فان الرسل قبلى قد كذبهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم
واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله
ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبيا اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول
ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية جامعة لعدها من جملتها قصة ابرهيم الم يروا
وقرى بالتاء على تقدير القول كيف يبدئ الله الخلق اى قد راوا ذلك وعلموه وقوله ثم يعيده
ليس بمعطوف على يبدى وليست الروية واقعة عليه وانما هو اخبار على حاله بالاعادة بعد
الموت كما وقع النظر فى قوله بدا الله الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة على البدء دون الانشاء
بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ان ذلك اى الاعادة على الله يسير

النصب علم

سهل قل حكاية كلام الله تع لابرهيم عليه السلام سيروا في الارض ثم انظروا كيف بدأ الخلق على
كثرتهم واختلاف احوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله تع في المشاهدة وبدأ وابدا بمعنى ثم الله ينشئ
النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابدآء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا
اختراع واخراج من العدم ولما كان المقصود من السياق الاستدلال من الابدآء على الاعادة
والدليل النفسي اقرب واوضح من الافاقي ذكر الروية في الاول والنظر في الثاني وكان القياس
ان يقال كيف بدأه الله الخلق ثم ينشئ النشأة الاخرة وانما قيل كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الاخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في الابدآء بانه من الله تع احتج
عليهم بان الاعادة انشآء مثل الابدآء فاذا لم يعجزه الابدآء وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال
ثم ذلك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز
اسمه واوقعه مبتدأ ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشيا ما يعاد فهو قادر على الاعادة
يعذب من يشآء تعذيبه ويرحم من يشآء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم
اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضآئه في الارض الفسيحة ولا في السمآء التي هي افسح منها
والبسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي يتولى اموركم فيحرسكم عن بلآئي ولا نصير
يمنع عذابي ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل على وحدانيته او بكتبه ولقآئه
بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي في الدنيا لانكار البعث والجزآء واولئك لهم عذاب اليم
في الاخرة بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه اي قال بعضهم لبعض او قال واحد منهم وكان الباقون راضين ثم اتفقوا
على تحريقه فانجاه الله من النار اي فقذفوه فيها فانجاه الله من النار بجعلها عليه
بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي عدم تأثيرها فيه مع شدة توقدها وكونها
باردة عليه وحارة على ما عليه روي انها لم تحرق الا الحبل الذي اوثقوه به وروي انه لم
ينتفع ذلك اليوم بالنار لذهاب حرها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها وقال انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوددوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها واتفاقكم عليها كما اتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب المودة كانهم
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف او من دون الله اوثانا وقرئت منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق
وقرئت مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم

والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما موصولة او مصدرية والعائد محذوف وهو
المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم ثم يوم
القيمة يكفر بعضكم ببعض يتبرأ القادة من الاتباع ويلعن بعضكم بعضا يلعن الاتباع القادة
ومأواكم مصيركم جميعا النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط اي صدقه
فيما قاله واتبع له لا انه احدث الايمان في ذلك الوقت لان الكفر لا يجوز على الانبيآء
وقال ابرهيم اني مهاجر من كوثى من سواد الكوفة الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز
اي المنيع الذي يلجأ اليه من اعدآئه الحكيم الذي لا يأمر الا بما فيه خير روي انه هاجر مع لوط
ابن اخيه وسارة بنت عمه الى حران ثم منها الى الشام ونزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة قيل حين ايس من الولادة من عجوز عاقر
ولذلك لم يذكر اسمعيل ويرده قوله وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وجعلنا في ذريته
النبوة فانه شجرة الانبيآء والكتاب يريد به الجنس فيتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا الثنآء الحسن والصلوة عليه الى آخر الدهر ومحبة اهل الملل له واما قيل
تقدم ذكره فالعطف عليه ينبئ عن دخوله في الاجر وانه في الاخرة لمن الصالحين الذين لهم
الدرجات العلى ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك
الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل ان احدا قبلهم لم يقدم عليها ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المرور بكم وتأتون
في ناديكم مجلسكم الذي تجتمعون فيه ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله المنكر كالمضارطة والمجامعة
والسباب والفحش في المزاح والخذف بالحصا ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيه سبق في سورة
الاعراف قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن
بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقآء بان يعجل لهم العذاب
ولما جآءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد لقوله فالوا لا توجل انا نبشرك بغلام قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم وهذه تشعر بانها قريبة من موضع ابرهيم عليه السلام
والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم اي الظلم

قد استمر فيهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وانما قال ان اهلها ولم يقل انهم تضمينا
للتعليل للاشعار بمنشا خبث طبيعتهم ففيه اشارة خفية الى ان المراد من اهل القرية من نشأ
فيها فلا يتناول لوطا ومن لم يتنبه لهذا زعم ان في قولهم الا في تخصيصا للاهل بمن عداه قال
ان فيها لوطا للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم واما الاعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم
فلا يناسب حال المعترض لان مبناه الغفول عن الاشارة التي قدمنا بيانها قالوا نحن اعلم منك
بمن فيها لننجينه واهله وليس هنا خطاب يعني حكم شرعي فلا وجه لما قيل فيه تاخير البيان عن الخطاب
الا امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب قال في سورة الحجر انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا والتوفيق بين القولين بان يقال ان الحكاية
قد تكون على وجه التفصيل والنقل بالعبارة او بمرادفها وقد تكون على وجه الاجمال والنقل بحاصل
المعنى والمذكور ثمة من قبيل الثاني والمذكور ههنا من قبيل الاول ثم اخبر عن مصير الملائكة الى لوط
عليه السلام بعد مفارقتهم ابرهيم عليه السلام بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان
صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الاخر كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل كما احس بمجيئهم فاجاءه المساءة في غيرات خيفته عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور وضاق
بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع
عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا
طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع وصار ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو منصوب
على التمييز وقالوا عطف على محذوف تقديره فكشفوا الحال وقالوا ذلك لما راوا فيه اثر الضجرة
قالوا وفضيحة لا تخف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا تحزن لا على تمكنهم منا لا نتدفاع
الخوف والحزن من تلك الجهة باعلامهم انهم رسل الله بل على نفسه واهله لما علم ان نزولهم لحادثة
عظيمة بقولهم انا منجوك تعليل لنفي الخوف والحزن واهلك نصب باضمار فعل لان موضع الكاف
جر على المختار او بالعطف على محلها باعتبار الاصل الا امراتك كانت اي في ارادة الله من الغابرين
من الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه
يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب فاستعمل لما يضطرب منه النفس بما كانوا
يفسقون بسبب استمرارهم على تجديد الفسق في كل حين ولقد تركنا منها من القرية آية بينة
هي آثار منازلهم الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون

يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين
وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر الامر بالرجا
امر بسببه اقتضاء ولا تجوز فيه ويجوز ان يكون الرجا بمعنى الخوف واليوم مجاز عما فيه من
الثواب والعقاب ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره فكذبوه فاخذتهم الرجفة
هي زعزعة الارض تحت القدم وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبريل وهي سبب
الرجفة فاصبحوا في دارهم في ديارهم على ما ذكر في سورة هود فاكتفى ههنا بالواحد من اللبس
جاثمين الجاثم النازل على ركبتيه مستقبلا بوجهه الارض اي ميتين على هذا الحال وعادا وثمودا
منصوبان بفعل دل عليه ما قبله اهلكنا وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين
لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها
وكان اهل مكة يمرون عليها في بعض اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم الصد الصرف عن الخير ولا يقال صده عن الشر ومنعه منه عن السبيل الصراط المستقيم
الذي هداهم اليه الرسل وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا او
متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار رسلهم لكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف
على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما
كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا
بذنبه عاقبنا بسبب من جهته فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الحاصب ريح تاتي بالحصباء وهو الحصى
الصغار كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كفرعون وقومه واما قوم نوح فليسوا من المذكورين والغرق لا يكون الا في
الماء بخلاف الخسف ولذلك قيل فيه به الارض وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جرم وزيادة كان لبيان انه ليس من عادته ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني مثل من اشرك بالله الاوثان كمثل العنكبوت
التي فيه كل طاغوت تقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت
فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يفي ما تفي البيوت فكذلك
الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والاخرة ولا وجه لما قيل في تفضيل بينهما بل هذا اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما لان قضية التشبيه عكس هذا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت

من هنا ظهر تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم كما هو مثل عند الناس في الوهن والضعف
لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم
اوهن من ذلك ويجوز ان يخرج الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت مخرج الاستعارة
فيراد ببيت العنكبوت دين المشركين وعبادة الاوثان فيكون استعارة مصرحة تمثيلية
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرئ
يدعون بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن
للتبيين او نافية ومن زيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية او موصولة مفعول
يعلم او مفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا
لمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل
الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني المثل المذكور
واشباهه نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها وما يعقل حسنها وفائدتها
الا العالمون الواقفون على ان الامثال والتشبيهات انما هي للمعاني المستورة حتى تبرزها
وتصورها للافهام خلق الله السموات والارض بالحق محقا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة ان
يكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته كما اشار اليه بقوله
ان في ذلك لاية للمؤمنين خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب
تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف
له بالتكرار ما لم ينكشف له اول قرع سمعه واقم الصلوة اي دم على اقامتها ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر قدم تفسيرها والنهي مجاز عن المنع روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان
صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات
وانما عبر عنها بالمستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة
ولا تجادلوا اهل الكتاب اصل الجدل شدة الفتل الا بالتي الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط والعناد

فلم ينجع فيهم الرفق وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة الا بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية ومجادلتهم بالسيف وقولوا امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم من جنس المجادلة بالاحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا
تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم
تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك مثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
مصدقا لكتبهم بان نزل على ما وصف فيها فالذين اتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه تفريع على نزول القران على ما وصف في كتبهم وانما قال يؤمنون به دون امنوا به
لان منهم من لم يؤمن ومن هؤلاء من يؤمن به الاشارة الى اهل مكة والى عامة العرب لا الى من
في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب لانهم داخلون فيما تقدم ولا مجال في تخصيصه بمن تقدم
عهده عليه السلام لان التفريع يأباه وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك قال وما
يجحد فان الجحد ليس مطلق الانكار بل الانكار بعد المعرفة الا الكافرون الساترون للحق بعد وضوحه
عندهم عنادا وما كنت تتلو من قبله اي من قبل نزول القران عليك فيفهم منه انه عليه السلام
كان قادرا على التلاوة والخط بعده من كتاب عربيا كان او عبريا او سريانيا او فارسيا
ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على من لا يقدر
على القراءة والخط خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد وما
فيه من الاطناب المعنوي لافادة ان الكتابة من اشرف الصناعات فحقها ان تكون باليمين
دون اليسار المخصوصة بخسائس الامور على ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله اليمين للوضوء
واليسار للاستنجاء اذا تقديره ولو كنت تتلو الكتاب وتخط اذا لارتاب لشك المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وانما سماهم مبطلين
لانهم وجدوه في كتبهم كذلك فغيروه وقيل اي لو كنت ممن تخط وتقرأ لقالوا لعله تعلم او التقط
من كتب الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب لا يندفع بكونه عليه السلام اميا فان التعلم من الغير لا
يتوقف على القراءة والكتابة بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
مما من خصائص القران كونه ايات بينات للاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر
الكتب السماوية فانها لم تكن معجزات في صدور انفسها وما كانت تقرأ الا من المصاحف

وفي قوله الذين اوتوا العلم تشريف للحفاظ وتنبيه على ان حفظ حقيقة انما يكون بالوقوف
على معانيه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل وقالوا عطف على اللازم مما تقدم اي لا تقتدوا بتلك الايات وقالوا لولا انزل
عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى قل انما الايات عند الله ينزلها كما
يشاء واما ما قيل لست اهلها فاتيكم بما تقترحونه فلا يناسب المقام لان الاقتراح كان من
الله تع لا منه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا تبليغ ما امرت به من الانذار والابانة بما
أعطيت من الايات والاقتصار على ذكر الانذار لزيادة التهديد لهم والوعيد في حقهم
والا فانه عليه السلام غير مقصور عليه بل التبشير ايضا من شانه اولم يكفهم اية مغنية عما
اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب الكل بل في جنسه يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم في كل مكان
وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك ان في مثل
هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم
يؤمنون لمن همه الايمان دون التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني
بالمعجزات او تبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياه بالتكذيب والتعنت يعلم ما
في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل
وهو الذي يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث
اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى
على مقتضى الحكمة لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب في الاجل المسمى
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه فليس وقت بدر منه يستعجلونك بالعذاب اعادة
لربط قوله وان جهنم لمحيطة اريد بجهنم ما يوجبها او نزل الاحاطة المقدرة منزلة المحققة
للقطع بوقوعها وهذا بحسب النظر الجليل واما الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو انه تع منزه
عن النسب الزمانية فالكائنات كلها واقعة في اوقاتها المعينة بالنظر اليه تع فلا تجوز في
احد جزئي الكلام بالكافرين اللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب
الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ولا وقف على الكافرين لان يوم
ظرف احاطة النار بهم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذكر ارجلهم للدلالة على ان تلك التغشية في حال انتصابهم ويقول

اسد

الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ونقول بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين
امنوا ان ارضي واسعة اي اذا لم تسهل العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث
يتمشى لكم ذلك والفاء في قوله فاياي فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
ان لم تخلصوا العبادة في الارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة
الموت اي واجدة مرارته كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها
مفارقة وطنها ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب ومن هذا عاقبته ينبغي ان
يجتهد في الاستعداد والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا
علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فالتعدي بزيادة
الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى
لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله
ويوقف على العاملين على ان الذين صبروا خبر مبتدا محذوف اي هم الذين صبروا على اذية
المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق والوصل اجود ليكون الذين نعتا
للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك الا على الله تع وكاين وكم من دابة
لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها ولا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها
واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم في الكسب سواء في انها لا يرزقها
واياكم الا الله فانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من اضعف الدواب
فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة روي انهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا
فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول اهل مكة ليقولن الله اي هم مقرون
بذلك ولا يخفى ضعف التمسك بوجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون
فكيف يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا الله يبسط الرزق يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر
يقال قدر الرزق وقتره اذا ضيقه له اي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لانه مبهم غير
معين فكان الضمير مبهما مثله وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه واحدا باعتبار الوقتين

اذ ح حق قوله يقدران يصدر باداة التعاقب ان الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد و ما
يفسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين
بذلك فكيف يشركون به ما لا يقدر على شئ اصلا قل الحمد لله على هذه النعمة العظمى فان الماء مادة
حيوة كل شئ بل اكثرهم لا يعقلون فلا يعلمون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك
وصحة التوحيد وكلمة بل اضراب عن جهلهم الخاص فى الاتيان بما هو حجة عليهم يعنى انهم مسلوبون
العقول فلا يبعد عنهم مثله وقوله قل الحمد لله معترض وياتى فى سورة لقمن تفسير هذه الاية بوجه
اخر وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير كيف ولا تسوى عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب
اى ما هى لسرعة زوالها وعدم النفع فى آلها الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى وان الدار
الاخرة لهى الحيوان اى هى دار الحيوة الحقيقية لعدم طريان الموت عليها او كانها فى ذاتها
حيوة اذ ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة والحيوان مصدر حى وقياسه حييان فقلبت
اليا الثانية واوا ولم يقل لهى الحيوة فى بنا فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحيوة
حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحيوة ويوقف على
الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان
الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا فى الفلك
متصل بما دل عليه ما قبله من شرح حالهم بطريق الاشارة وليس هنا محذوف اى هم على ما وصفوا
به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى البحر دعوا الله فى تلك الحالة مخلصين له الدين حقيقة
حيث لا يدعون معه غيره لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو وهذا اى التوافق بين العلم
والعمل حقيقة الاخلاص لا صورته وايضا مساق الكلام فى تقبيح حالهم وكمال القبح فى
انقلابهم عن الاخلاص الى الشرك بغتة فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى
الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه لام كى وكذا فى وليتمتعوا على قراءة الكسر اى يعودون
الى شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة متمتعين باجتماعهم على عبادة الاصنام
وتوادهم عليها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المخلصين من المومنين فانهم يشكرون نعمة
الله اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى زيادة الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وعلى
هذا لا وقف على يشركون ومن جعل لام الامر متشبثا بقراءة السكون على وجه التهديد كقوله فمن

شاء فليومن ومن شاء فليكفر يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا
اى اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا عن النهب والتعدى آمنا يامن داخله
سواء كان من اهله او من غيرهم من القتل والسبى ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة
المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يومنون وبنعمة الله
يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين لمحافظة الفاصلة والاختصاص على
طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا قائلين انا نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا القول منهم باعتبار ان التقرب لا يكون الا بالطاعة
فى معنى القول بان تلك العبادة طاعة امر بها وهذا افتراء منهم على الله ثم ان الافتراء
نفسه وان كان لا يخلو عن كذب لكن المفترى قد يكون صادقا والمفترى ههنا وهو كون
عبادة الاصنام طاعة لما كان كذبا زاد قوله كذبا فى تقبيح شانهم او كذب بالحق يعنى
الرسول او الكتاب وفى لما جاءه تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم
بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس فى جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها
اى لا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب او الم
يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراة والذين جاهدوا اطلق
المجاهدة ليتناول كل ما يجب مجاهدته من الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعها فينا فى حقنا
ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها
كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب

والعقوبة فى العقبى

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم غلبت فى القراءة المشهورة على البنا للمفعول
وسيغلبون على البنا للفاعل وقرى على العكس واضافة غلبهم فى الاولى الى المفعول وفى
الثانية الى الفاعل فى ادنى الارض ارض العرب لانها الارض المعهودة عندهم اى فى ادنى
ارضهم العرب منهم او ارضهم اى ادنى ارضهم من العرب منهم او ادنى ارضهم من العرب واللام بدل
من الاضافة وقيل ادنى ارضهم الى عدوهم اما الدلالة على الاضافة فظاهرة من ذكرهم واما

النهاية فللحديث المغلوبة وعن مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس
وقيل اذرعات وبصرى وهي ادنى ارض الشام من العرب وهم من بعد غلبهم وقرئ بسكون
اللام فالغلب والغلب مصدران كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين البضع ما بين
الثلاثة الى العشرة وفي المجمل ما بين الواحد الى التسعة روي انه لما بلغ غلبة فارس الروم
فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى ونحن وفارس اميون فقد ظهر
اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين والمعنى على القراة الثانية ان
الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المومنون في بضع سنين وقد غلبهم المسلمون في السنة
التاسعة وفتحوا بعض بلادهم لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي ليس الامر في الحالين
الا لله وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا
واخرا ويومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة اي ويوم اذ
يغلب الروم فارس يفرح المومنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له لما
فيه من انقلاب التفاول وغيظ من شمت بهم من كفار مكة او لما ظهر من صدق المومنين فيما اخبروا
به المشركين وقيل وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المومنون ينصر من يشاء فينصر هولاء
تارة وهولاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم تارة من عباده بالنصر عليهم ويتفضل عليهم
اخرى بنصرهم اياهم وعد الله مصدر موكد لنفسه لان ما تقدمه في معنى وعد كقولك على الف
درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا لا يخلف الله وعده اعتراض ولكن اكثر الناس
لا يعلمون بدل من لا يعلمون وفي هذا الابدال مع انه من لطائف علم البديع اشعار بان سلب
العلم الذي هو الجهل لا ينافي وجود العلم بظاهر امور الدنيا بل هو هو لا فرق بينهما ظاهرا
من الحيوة الدنيا فيه اشارة الى ان للحيوة الدنيا ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع
بزخارفها والتنعم بملاذها وجمع اسبابها وضبطها وباطنا وهو ما يعرفه العقلاء من الاعتبار
بها وسرعة انقضائها وكون محلها معبر الاولى ومجاز الاخرة يجب التنزه منها بالتقوى
والطاعة تنكيره يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من ظواهرها وهو التمتع منها بالاكل والشرب
كالبهائم لا جملتها فان من ظواهرها معرفة خواصها والاستدلال بها على صانعها وكيفية

اهل كتاب

الانتفاع بها لصلاح الدارين ففيه ذم لهم بالجهل البليغ وهم عن الاخرة التي هي غايتها
والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون
خبره والجملة خبر الاولى وعلى كلا الوجهين في توسيطه وتكريرهم اشعار بانهم معدن الغفلة عن
الاخرة ومتبعها متمادون فيها بالسكون اليها كانه لا غافل غيرهم اولم يتفكروا انكار واستبطا
ومعناها هلا يتفكروا ولم اخروا التفكر ومعنى تعيين التفكر به على الاول مع انه لا يكون في
النفس زيادة تصوير لحال المتفكرين وتقرير كقولك كتبته بيميني كانه قيل اولم يحدثوا التفكر
في انفسهم العاطلة الفارغة عن التامل وعلى الثاني معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
الاشيا وفيما فيهما من عجائب الصنع وبدائع الحكم التي اودعها الله فيها وفي انتقالاتها
في السن الى الشيخوخة والضعف وضرورة فنائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
متعلق بيعلموا او قول محذوف دل الكلام عليه اي فيعلموا او يقولوا هذا القول الا بالحق حال
اي الا ملتبسة بالحق اي بالحكمة البالغة والعدل والصواب واجل مسمى اي وبتقدير اجل مسمى
يعني ما خلقهما باطلا ولا لتبقى خالدة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم اي لقاء جزائه عند الاجل
المسمى والبعث لكافرون منكرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم
العاتية المترتب على ذلك السير ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وقلبوا وجهها لزرع البزور واستنباط المياه واستخراج المعادن وغيرها وعمروها بالاهتمام
في امر البنا والغرس اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها وفيه تهكم بهم لانهم اهل واد غير ذي
زرع لا عمارة لهم ولا حرث وهم مغترون بالدنيا متفخرون بها مع انهم اضعف حالا فيها اذ
مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في الاقطار باظهار اثار
انواع الاثار وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان الله
ليظلمهم فما صح له ان يظلمهم الله لان حاله تعالى ينافي الظلم كناية عن عدم كون تدميرهم واستيصالهم
ظلما ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث اصروا على ما اوجب تدميرهم من الكفر والتكذيب
والمعاصي ثم كان عاقبة الذين اساءوا السواى والسواى تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان
الحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى نعت بها للمبالغة اي عوقبوا في الدنيا بالتدمير
ثم كان عاقبتهم العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وهي جهنم التي اعدت للكافرين فوضع

الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الموجب للعقوبة السوأى اساءتهم المفرطة ان كذبوا
بايات الله اى لان كذبوا او بدل من السوأى او عطف بيان لها او خبر كان والسوأى مصدر
اساءوا او مفعوله اى اقترفوا الخطيئة السوأى والتهويل فى ان كذبوا تفسيرا وان هى
المفسرة لمعنى اى لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول
نحو نادى وكتب وما اشبههما ويجوز ان يكون معنى اساءوا السوأى اقترفوا الخطيئة التى هى
اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لو ولما
لارادة الابهام اى ما لا يدخل تحت الوصف وقرئ عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى
وان كذبوا على الوجوه المذكورة وكانوا بها يستهزؤن عدل عن صيغة الماضى وزاد
عبارة كان للدلالة على الاستمرار التجددى فى امر الاستهزاء المتضمن للتكذيب والمحافظة
على رؤس الفواصل الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والالتفات
للاستحضار والتنبيه على انه المقصود وقرئ بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وناقة مبلاس
اذا لم ترغ وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم من الذين
اشركوهم بالله وعبدوهم من دونه شفعؤا يجيرونهم من عذاب الله وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وانما جئ بلم يكن وكانوا على لفظ الماضى لتحقق
وقوعه وقيل كانوا فى الدنيا بسببهم كافرين وزيادة للمحافظة على الفاصلة ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فى الاحوال والمحال على افراده بعدها والضمير للخلق او ضمير يرجعون
واعادة يوم تقوم الساعة للتهويل فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة
الفاء للتفصيل والروضة البستان وكل مكان ذا نبات وما يسمى روضة وتنكيرها للتفخيم
بالابهام اى فى روضة لا يعرف قدرها فى علو شانها يحبرون يسرون من حبره اذا سره
سرورا تهلل وجهه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك فى العذاب
محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفى بناء الاحضار دلالة على الكراهة وانهم مجبرون فى العذاب
ذوقا بالطبع والعادة فلا بد من سار يسرهم بانواع المسار التى لم يكن للانسان مثلها فى
الدنيا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ما يتعين طريقا
للخلاص عن الدركات الى الوصول الى الدرجات كانه قيل اذا صح ووضح عاقبة المعرضين

عن عبادته وطاعته والمقبلين اليها فسبحان الله تسبيحا دائما وفى حينا تمسون وحين
تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه وله الحمد فى السموات والارض للشواهد الناطقة
فيهما باستحقاقه الحمد ممن له التمييز من اهلهما ووجوبه عليهم وعشيا انما عدل هنا عن سنن
نظائرها لانه لم يصرف من العشى فعل لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر وحين تظهرون
امر فى صورة الاخبار لكونه اكد سر الله تع والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها ايات
قدرته وتجدد فيها نعمه وانما خص التسبيح بطرفى النهار لان اثار القدرة فيهما اظهر والحمد
بالعشى والاظهار لان تجدد النعم فيهما اظهر واكثر وابين والعشى اخر النهار من عشى العين اذا
نقص نورها والظهيرة وسط ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله
الحمد فى السموات والارض اعتراضا وقيل المراد بالتسبيح والتحميد فى الاوقات المعينة الصلوة
وعن ابن عباس رض ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولا يلزم منه ان تكون مدنية
لان الخمس بمكة يدل عليه حديث المعراج دلالة بينة يخرج الحى من الميت الطائر من البيضة والحيوان
من النطفة ويخرج الميت من الحى بالعكس ويحيى الارض باخراج النبات منها بعد موتها
يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور بالبعث فانه تعقيب الموت بالحيوة
واخراج الحى من الميت والمراد ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرة القادر
وفى الاخراج والاحياء المذكورين دليل قاطع على البعث ومن اياته ان خلقكم من تراب لان
اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين ومن اياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف
الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها يقال سكن اليه اذا مال
اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه وذلك لان الالف انما يكون بين المتجانسين لان
الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء مودة ورحمة
بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينهما سابقة معرفة ولا قرابة توجب ذلك لينتظم امر النسب
والتربية والارث او بين افراد الجنس لابتناء امر المعاش على التعاون المحوج الى التوادد والتراحم
ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما فى ذلك من الحكم والمصالح ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم من العربية والعجمية وغير ذلك من لغات كل

صنف واهل كل اقليم ولهجاتهم والوانكم اشكالكم وهياتكم من تخاطيط الاعضاء والصور فانه لا يكاد يتفق اثنان في الشكل والهيئة وعليه يبتني التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك لايات حيث ولدوا من اب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله تتنوع متفاوتون للعالمين لكل من عقل من اهل العالم وقرئ بالكسر ويرجحها قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ظاهر الاية يدل على ان المنام في الليل والنهار وابتغاء الفضل فيهما وهو منه صحيح فان المنام في النهار الصيفية الطويلة هو القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية وكذلك ابتغاء الفضل في الليالي الشتوية من المباحات لقصر النهار وقصوره عن حاجات الناس ويجوز ان يكون منامكم بالليل والنهار من باب اللف وترتيبه منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار اي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فصل بين المتعاطفين بالزمانين اشعارا بان كل واحد من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيد الاختصاص تكرير هذا المعنى في القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يدركون المحسوس لما كان المشار اليه من جنس ما يدرك بالمشاهدة وبالسماع من الغير كما في حق الاعمى والثاني اضعف الطريقين عبر به عن ادراكه اعماله للدلالة وهذا من لطائف الاعتبار الذي قلما يتنبه له الا اولوا الابصار ومن اياته يريكم البرق من اياته خبر مبتدا محذوف اي من اياته ما يذكر او ما يتلى عليكم ثم قيل يريكم البرق اما بيان لذلك او يريكم مبتدا على حذف ان ورفع الفعل كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • او تنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع اي ومن اياته اراءتكم البرق كقوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله • فما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح • اي تارة اموت فيها خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر ونصبهما على المفعول له وانما جاز مع انهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لان الاراءة متضمنة للرؤية او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اراءة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشياطين او على الحال اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها وقد سبق وجه الفاء التعقيبية بين الانزال والاحياء في تفسير سورة النحل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها

وكيفية

وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد به تعلق ارادته بقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس شبههما في قيامهما على وفق ارادته بمامور مطيع امتثل امر امر مطاع بلا توان وتقصير للمبالغة في كمال قدرته ونفاذ امره وعدم تخلف المراد عن ارادته وكذا في قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون شبه الموتى بالمامور المطيع لتصوير ترتب خروجهم على دعائه من غير توقف عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قال ومن اياته قيامهما ثم خروجكم من الارض بسرعة اذا دعاكم دعوة فيقول ايها الموتى اخرجوا وثم مستعار لبعد هذه الحالة من قيام السموات والارض دفعة عند قوله قوموا واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق بدعاكم لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله وله من في السموات والارض قد سبق ما يتعلق بمن في مثل هذا المقام كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اي الاعادة وتذكيره لمطابقة اهون او على تاويل ان يعيد عليه اي اسهل عليه من الانشاء بالنسبة الى عقولكم والقياس على اموركم والا فجميع الممكنات بالنسبة الى قدرته سواء والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وانما قدمت الصلة في قوله هو عليه هين لقصد الاختصاص ولا وجه له فلذلك اخرت وقيل الضمير في عليه للخلق اي الاعادة اهون على الخلق لانه وجودي على التمام واما الانشاء فهو وجود متدرج من النقصان الى الكمال فعليه منه شدة ومشقة وله المثل الاعلى في السموات والارض اي الوصف العجيب الشان الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه كالقدرة الكاملة والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات والارض دلالة ونطقا وهو العزيز القوي القادر المطلق على ابداء كل ممكن واعادته ولا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه الحكيم الذي يجري شؤونه وافعاله على مقتضى الحكمة ضرب لكم مثلا في التوحيد من انفسكم اي منتزعا من اقرب شيء اليكم وهي انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم في اموالكم التي رزقناكموها اي هل ترضون لانفسكم ان يشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من الاموال وهم بشر مثلكم وانتم عبيد مثلهم فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم سواء في التصرف فيها من غير فرق ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي لانه الانكاري تخافونهم تستبدون بالتصرف فيها كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعض

الاحرار بعضا اذا شاركه في ميراث او مال مشترك ان يجوزه دونه او يستقل بتدبيره والتصرف
فيه او يخافون ان تستبدوا بتصرف دونهم كخيفة بعض الاحرار بعضا فاذا لم ترضوا بذلك
لانفسكم وانتم وعبيدكم سواء في البشرية فكيف ترضون لرب الارباب ومالك العبيد والاحرار ان
يكون بعض عبيده له شركا كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها فان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها تصويرا وتشكيلا لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر
الامثال بل اضراب عن المشركين واثبات ان هؤلاء لا يجدي عليهم شيئا اتبع التفات من
الخطاب الى الغيبة للاعراض والمتاركة الذين ظلموا بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
اهواءهم بغير علم حال انما قيدهم به لان العالم اذا ركب الهوى فربما ردعه علمه واما الجاهل
فيهيم كالبهيمة لا يرده شيء فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر ان يهدي من اضله الله وخذله
والفاء في فمن للسببية والاستفهام للانكار اي اذا اتبع الظالمون اهواءهم جاهلين لا وازع
لهم فلا يقدر احد ان يهديهم وما لهم من ناصرين يخلصونهم من ضلالتهم ويمنعونهم من مغار
الذين ظلموا ومن اضل الله موضوعان موضع الضمير والاول للتسجيل عليهم بالظلم والتعليل
لاتباع الهوى والثاني للتعليل لامتناع قبول الهدى فاقم وجهك للدين تمثيل للاقبال عليه
والاستقامة اليه كحال من قصد شيئا غير ملتفت عن سمته يمينا وشمالا اي قوم وجهك او
عدله اليه غير منحرف عنه اصلا وكناية عن كمال الاهتمام فان من اهتم بالشيء غاية الاهتمام
عقد طرفه عليه وسدد نظره اليه وقوم وجهه مقبلا عليه بكليته والفاء للسببية اي اذا لم تنجع
هدايتك فيهم فاقم وجهك للدين واتركهم حنيفا حال من ضمير اقم او من الدين فطرة الله نصب
على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله والاضمار على خطاب الجماعة لقوله منيبين
فانه حال من ضمير العامل المقدر وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا فانه عطف على المقدر
واضافة الفطرة الى الله وتوصيفها بقوله التي فطر الناس عليها للاختصاص والتعظيم
وانه لا ينبغي ان تبدل وتغير ولا يقدر احد ان يغيرها حسما لاطماع المشركين وحكما بان توحيده
ذاتي لا يمكن تغييره وبينه للتاكيد والتقرير بقوله لا تبديل لخلق الله ففيه دلالة على ان
المراد من الفطرة الخلقة اي الحالة التي جبلوا عليها من قبولهم للتوحيد ودين الاسلام
وتمكنهم من ادراكه بحيث لو خلوا وما جبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا اخر وشهدت
عقولهم الفطرية به ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن وقد افصح عن هذا

قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي
غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه و
ينصرانه ويجوز ان يراد بالفطرة دين ملة الاسلام فيكون معنى لا تبديل لا ينبغي ان يبدل
وانما وحد الخطاب اولا ثم جمع لان خطاب الرسول خطاب لامته فافرد تعظيما للامام ثم جمع
لان الخطاب للبيان وان الدين له بالاصالة ولهم بالتبعية ذلك اشارة الى الدين المامور
باقامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته
لعدم تدبرهم منيبين اليه اي راجعين الى الله بالكم مقبلين عليه باعمالكم من اناب اذا رجع
مرة بعد اخرى والمراد من التكرار المبالغة في الرجوع الى الرضى والانقطاع عن الهوى او تضمين
التنبيه على قبول التوبة كرة بعد اولى وقيل الانابة الانقطاع الى الله تعالى بالطاعة واصله على هذا
القطع ومنه الناب لانه قاطع واتقوه واقيموا الصلوة خصها بالذكر لانها عماد الدين
ولا تكونوا من المشركين ممن يشرك به غيره في العبادة وفيه نهي عن الريا في الصلوة فانه شرك
خفي من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وانما عبر عن دينه بالمفارقة
لما عرفت انهم جبلوا على قبوله منزلة فعل مبالغة في قوة قبولهم اياه وقرئ فرقوا دينهم اي
جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا شايع كل فرقة امامها الذي
اصلها والشيع الفرق التي يجتمع كل فريق منها على مذهب خلاف مذهب الفريق الاخر كل حزب
بما لديهم فرحون مسرورون يحسبون انه الحق والجملة في محل النصب صفة شيعا او كل حزب مبتدأ
خبره من الذين فارقوا منقطعا عما قبله وفرحون صفة كل واذا مس الناس ضر شدة دعوا
ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه من ذلك الضر رحمة خلاصا
اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم وفي عبارة ثم ولفظ
اذاقهم اشارة الى انهم مع امتداد شدتهم وتاثيرهم منها في الغاية يشركون كما يظهر طليعة
الخلاص منها ليكفروا بما اتيناهم اللام مجاز عن العاقبة وقيل هي لمعنى التهديد فتمتعوا على الاول
امر بالتهديد كقوله اعملوا ما شئتم والفاء للسببية على تقدير شرط محذوف اي اذا اصررتم على الشرك
وتماديتم في الكفر فتمتعوا او على الثاني عطف على ليكفروا والالتفات من الغيبة الى الخطاب
للمبالغة في التهديد فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا ام بمعنى بل والهمزة للاضراب عن الكلام
السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ عليهم سلطانا التنكير للتعظيم

وفائدته الدلالة على ان ما يزل في مثل هذا الامر حقه ان يكون برهانا عظيم الشان واضح
الدلالة ولهذا عبر عن دلالته الواضحة بالنطق في قوله فهو يتكلم واتى بالتفريع دون التوصيف
بما كانوا به يشركون بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من
صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم اي بشوم
معاصيهم اذا هم يقنطون فنطوا من الرحمة بالكلية واتى بصيغة المضارع على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقنوط وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا
ومستقبلا واذا المفاجاة جواب الشرط نائب عن الفاء لتآخيهما في التعقيب ثم انكر عليهم
بطرهم وقنوطهم بانهم قد علموا ان الله هو الباسط القابض فما لهم لا يشكرونه على نعمة ولا
يرجعون اليه تائبين عن معصيته كالمؤمنين حتى يعيد عليهم رحمته ويبسط عليهم نعمته وهذا
ما اراد بقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر عبارة واشارة ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة لما ذمهم على البطر والقنوط
وعلق السيئة بارتكاب المعاصي والذنوب حثهم على ما يجب عليهم واوعد على ارتكاب ما حرم وحضهم
على ما يجب ان يفعل في حال السعة ولذلك جاء بالفاء السببية وقال فآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل اذا فسر حق الاخرين بالنصيب المسمى لهما من الزكوة وجب ان يفسر حق الاول
بالنفقة الواجبة لئلا يلزم استعمال لفظ الامر للوجوب والندب معا في استعمال واحد ولهذا
احتج ابو حنيفة بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وخص الشافعي في وجوبها بالوالدين والاولاد وقاس سائر القرابات على ابن العم اذ لا ولاد
بينهم ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى وما اتيتم
من ربوا زيادة محرمة في المعاملة وقرئ بالقصر اي ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربو
في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو ولا يبارك فيه وقرئ
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وقيل هو من الربوا الحلال وما تعطونه من
الهدية لتاخذوا اكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله تعالى وما
اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون
المضعف ذو الضعف كالمقوي والموسر لمعنى ذي القوة وذي اليسار وقرئ بفتح العين

والراج

والراجع منه محذوف ان كانت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك
هم المضعفون وذوو الاضعاف من الثواب او الذين ضعفوا اموالهم ببركة الزكوة وفيه
التفات حسن للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص خلقه تعريفا لحالهم فاولئك الذين يريدون
وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون وتغيير
العبارة والنظم عن سنن المقابلة للمبالغة في المدح او للتعميم اي فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون
فيكون اثباتا برهانيا الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء الله مبتدأ الذي خلقكم خبره او صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
للجملة بالمبتدأ ذلكم لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة لاستغراق النفي وكل منها مستقلة بتاكيد مقرر لتعجيز الشركاء
وتجهيل عبدتها فان معنى الاستفهام الانكار المستلزم للنفي على سبيل التاكيد اثبت الله هذه
الافعال التي هي من لوازم الالوهية وخواصها ونفاها عن شركائهم من الاصنام وغيرها لما
دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك انه منزه ان يكون له شركاء
سبحانه وتعالى عما يشركون قيل لم لا يجيبوا عما سئل عنه عجزا قال سبحانه ظهر الفساد في البر
والبحر مثل الموتان في الناس والدواب والجدب والقحط وكثرة الحرق والغرق وقلة الريع
وخيبة الصيادين وخسران التجار واحتباس الامطار ومحق البركات وتمول الافات بما كسبت
ايدي الناس بشوم معاصيهم وذنوبهم وقيل ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان
جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن الحسن ان المراد بالبحر المدن والقرى التي على شاطئه
ليذيقهم بعض الذي عملوا اراد وباله في الدنيا فان جزاءه الموعود في الاخرة ولما كان نفي
الدنيا موجب شامة ما عملوا او مقتضى شان ذلك العمل نزل منزلته واللام للعلة استعيرت
لترتب المسبب على السبب لعلهم يرجعون لارادة الرجوع عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل اوسم بالسير في الارض والنظر في اثار من اهلك الله من الامم
قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف
للدلالة على ان منهم من اهلكهم بسبب سائر المعاصي ولم يكن الشرك وحده سبب تدمير الكل
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج يعني قد بلغ الانذار مبلغه
فلا تهتم لاعراض هؤلاء واقصد انت الطريق الذي يوصلك الى الدين وهو ما تقدم ذكره فطرة

الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يوم لا يقدر
ان يرده احد او يأتي يوم لا راد له من جهة الله اي لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون تفرق الاشخاص على ما ورد في قوله تع يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث لا تفرق الفريقين كما ظنه من قال فريق في الجنة وفريق في السعير فان المبالغة في التفرق
المستفاد من يصدعون انما يناسب الاول ثم استأنف لبيانهم في تلك الحال فكانه يقول لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه من كفر فعليه كفره وبال كفره مبالغة في احاطة جميع المضار به لان
مضرة الكفر وبالغاية في المضار لا وراء لها وهي احاطة النار به ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يسوون منزلا في الجنة لا انعم ولا اجلب للراحة منه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد فراشه
ويوطئه لنفسه في غاية النعومة بحيث لا يصيبه في مرقده ما ينغص عليه من ادنى خشونة وتقديم
الظرف في الموضعين للاختصاص وصيغة الافراد في الكافر للدلالة على انفراده في زمان عذابه
تشديدا له فان الوحشة نقمة اخرى وصيغة الجمع في المؤمن للدلالة على ان لهم نعمة الانس زيادة
على ثوابهم الجزيل وفي مقابلة من كفر بمن عمل صالحا تنبيه على ان العمل الصالح من روادف الايمان
لا يوجد مع الكفر ولما كان العمل كناية عن الايمان لم يبق قسم اخر مجهول الحال ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات من فضله مما يتفضل به عليهم لان الثواب من الفضل والعقاب
من العدل وقوله ليجزي تعليل ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء من جزاء الكافرين بفحوى قوله انه لا يحب الكافرين وتوصيف المؤمنين
بالعمل الصالح ليس للتخصيص بل للتنبيه على ان الايمان الخالص شأنه استتباع العمل الصالح
او ليمهدون والموصول مع صلته من باب وضع الظاهر موضع المضمر والتصريح بالتكرير
للمدح والاشعار بانه هو الموجب للكرامة والاستحقاق والترتيب في الايمان والصلاح
انه لا يحب الكافرين بعد قوله من كفر فعليه كفره فانه تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس اي
يقرر الاول الثاني وبالعكس وذلك ان قوله ليجزي الذين امنوا الخ يدل بمنطوقه على اختصاصهم
بالجزاء الكريم وبمفهومه على انهم اهل الولاية والزلفى وقوله انه لا يحب الكافرين لتعليل
الاختصاص يدل بمنطوقه على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضي الجزاء
لاضدادهم موفور فهو يحب المؤمنين ومن اياته اي ومن ايات قدرته وحكمته ان يرسل
الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله

عليه السلام

عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك ان العرب لا تلقح السحاب الا من رياح
مختلفة يريد اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها عقيما وتحقيق ذلك مجيء الجمع في ايات الرحمة
والواحد في قصص العذاب وقرئ الريح على ارادة الجنس ثم عدد الفوائد في ارسالها فقال مبشرات
اي ارسالها للبشارة في الغيث وليذيقكم من رحمته ولاذاقته وهي نزول المطر وحصول
الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك عطف على علة او
علل شتى محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى لانه في معنى التعليل كانه قيل ليبشركم
وليذيقكم او متعلق بمحذوف دل عليه ان يرسل تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها
ولتجري الفلك عند هبوبها ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله
فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات لما وسط بين دلائل التوحيد
تسلية الرسول عليه السلام ووعده اقتصر الكلام بادراج ذكر الفريقين في طي الانتصار والنصر
تقريبا للمقصود وقصر الطريقة والمعنى فجاءوهم بالبينات فمنهم من امن ومنهم من كفر فانتقمنا في
الدنيا من الذين اجرموا اي كفروا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام
من المجرمين كان لاجلهم تعظيم لهم واظهار لكرامتهم عند الله تع بان جعلهم مستحقين على الله بنصرهم
مستوجبين لان يظهرهم على عدوهم ولذلك قدم الخبر على الاسم اعتناء بهم وتحقيقه نصرهم عليه
وقد يوقف على حقا على ان اسم كان ضمير الانتقام ويبتدأ علينا نصر المؤمنين اكتفاء من معنى الحق
تغليبا الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء اي يجعله متصلا تارة في الجو كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا
قطعا تارة اخرى وقرئ بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به والمراد بالسماء
جهة العلو وسمتها فترى الودق المطر يخرج في التارتين من خلاله فاذا اصاب به بالودق
من يشاء من عباده يريد اصابة بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون لمجيء الخصب وان كانوا
ان هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبلسين هي الفارقة بينها وبين النافية من قبل ان ينزل
المطر عليهم من قبله تكرير للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وللدلالة على
بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وتمادي ابلاسهم ليفيد مبالغة في استبشارهم فان الفرح
بنزول المطر على قدر اغتمامهم بانقطاعه وتقوية معنى التاكيد واللام في لمبلسين اي ايسين
متحيرين من الغم منقبضين وكذلك معنى السببية فانظر الى اثار رحمة الله من النبات والاشجار

والأنواع وغير ذلك اي اذا كان كل الاستبشار في نزوله وجل الغم في احتباسه فانظر الى اثار
رحمته كيف هو واعتبره والضمير في فانظر لكل مخاطب كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتى اي ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات وفي ان واللام تاكيد وتقوية للدليل في
مقابلة انكارهم ثم قرره وقواه بقوله وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات
على السواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اي فرأوا اثر رحمة الله لان الرحمة الغيث واثره النبات
مصفرا اي يابسا جافا لانه اذا يبس اصفر وقيل الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام
موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جوابه سد مسد جزاء الشرط
ولذلك فسر بالمستقبل اي ليظلن من بعد اصفراره يكفرون نعمه وهذه الايات ناعية على الكفار
قلة تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تدبرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا
على الله في الاحوال كلها ولا يبسطوا ايديهم بالفسق ويشكروا نعمه عند السعة والرخاء ويصبروا عند الضيق والبلاء
ولا يكفروا النعم في الشدة ويرضوا بما جرى من القضاء فيفوزوا في الدارين بالنعماء والقا في
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء للسببية اي اذا كفروا ولم يتنبهوا بهذه الايات الواضحات
ولم يسمعوا فهم موتى او صم عمي فانك لا تسمع ولا تسمع الصم ولا تهدي العمي وتقييد الحكم بقوله
اذا ولوا مدبرين للمبالغة في غفلتهم وتماديهم في جهلهم وعدم سماع الدعوة فيهم فان الاصم
وان لم يسمع فاذا كان مقبلا فربما تفطن بالاشارات والحركات واما اذا كان مدبرا فلا امكان
لسماعه وفهمه وما انت بهادي العمي انما عدل هنا عن صيغة الفعل الى صيغة الفاعل لانه لم
يرد نفي الهداية اصلا فان الهداية في الجملة ممكنة للاعمى بل اراد نفي الهداية التامة ولذلك
ضمنها معنى الاذهاب فقال عن ضلالتهم يقال هداه عن الضلالة اي ابعده عنها بالهدى
ومن قرأ وما تهدي العمي فقد اكتفى بما في قوله عن الضلالة من الدلالة على المراد والله الهادي
الى سبيل الرشاد ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى سماع اللفظ وتدبر
المعنى فهم منقادون لما يأمرهم به فهم مسلمون منقادون لاوامر الله الذي خلقكم من ضعف
ابتداكم منه وجعل اساس امركم وما عليه بنيتكم الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وذلك
حال الطفولية والصبى وقرئ ضعف بالفتح والضم وهما لغتان كالفقر والفقر والثاني اقوى
قراءة لما روي عن ابن عمر رض قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني

من

من ضعف الى من ضعف بالضم ثم جعل من بعد ضعف قوة وهو حال الشبيبة من اوان
البلوغ الى زمان الكهولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ثم ردكم الى الضعف والشيخوخة
وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على ان المراد التبدل بحسب السن ففيه دفع لذهاب الوهم الى ان يراد
بالجعل الاول الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ الروح في البدن والتنكير مع التكرار لان المتاخر
غير المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان هذه الانتقالات في الاحوال
المختلفة دالة على انه تعالى يخلق على مقتضى المشية والعلم والقدرة لان التغير من صورة الى صورة
والترديد من حالة الى حالة مع امكان خلاف ذلك دليل على الارادة المبنية على العلم والحكمة
المفضية الى القدرة ويوم تقوم الساعة القيمة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا
والكوكب للزهرة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من الدنيا وقيل لانها تقع بغتة
كما تقول لمن يستعجل في ساعة يقسم المجرمون يحلف الكافرون ما لبثوا في الدنيا او في القبور
او فيما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو يحتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة
الظاهر من القسم انه ما ذكروه على زعمهم لنسيانهم لانهم استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
لان ذلك القول منهم قبل الدخول في زمان عذاب الاخرة والعوت على مدتها فلا وجه للاضافة
اليها كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا عن
الصدق الى الكذب ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقال الذين اوتوا
العلم والايمان من الملك والانس والجن لقد لبثتم في كتاب الله فيما كتبه واوجبه لكم على ان في للتعليل
كما في قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها الى يوم البعث ردوا ما قالوا وحلفوا
عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقوله فهذا يوم البعث
اي فقد تبين بطلان قولكم والفاء فصيحة دخلت جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يومه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرئ بالتاء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم
يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي ازلت عتبه وارضيته
والمعنى لا يطلب منهم ان يستعتبوا ربهم بالتوبة والطاعة كما طلب منهم في الدنيا ولا يقال لهم
استرضوا ربكم ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد بينا كل امر من امور الدين
والتوحيد او احوال الاخرة في هذا القران بالتمثيل او وصفنا لهم كل صفة هي في التبيين

والغواية كالمثل لصفة المبعوثين واحوالهم ومقاولاتهم وعدم فائدة معذرتهم ولو بيّنتهم واستعتابهم
ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ولكن لقسوة قلوبهم واحتجاجهم
بزخرفاتهم لئن جئتهم باية عظيمة لنسبوك ومن معك من المومنين الى التزوير والابطال والذين
كفروا موضوع موضع الضمير للتصريح بكفرهم ذا وبيان ان كفرهم هو الموجب للعناد والانكار
ونسبة المحق الى التزوير والابطال كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون من باب اجرآ المتعدى مجرى اللازم اى الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويصرون
على معتقداتهم الباطلة حتى طبع على قلوبهم حتى طبع على قلوبهم بسبب الجهل المركب المانع من ادراك
الحق ومعرفة المحق والفاء فى فاصبر للسببية على تقدير شرط اى اذا علمت انهم جهال مطبوع على
قلوبهم فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق قول هولآ الجهلة فانهم قوم
شاكون ضالون لا تستبعد ذلك منهم وقرى لا يستحقنك من الاستحقاق اى لا يزلغونك فيكونوا احق

بكسر المؤمنين م

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه فى سورة يونس هدى ورحمة
حالان من الايات والعامل ما فى تلك من معنى الاشارة وقرى بالرفع على انه خبر بعد خبر او
خبر مبتدا محذوف للمحسنين الجامعين بين العلم والعمل وقوله الذين يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيانه كما قال الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد
سمعا او الذين يعملون الحسنات كلها وتخصيص القائمين بهذه الثلاثة بالذكر لان فيها
فضل الاعتداد بها وتكرر الضمير للتوكيد ولما حصل بينه وبين جزه اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون سبق تفسيره فى سورة البقرة ومن الناس من يشترى لهو الحديث
نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى اخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص
طرفا من قصة عاد وثمود وانا احدثكم طرفا من احاديث رستم واسفنديار فيميلون الى حديثه
ويتركون استماع القران وقيل كان يشترى القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام
ومنعه عنه يشغل باللهو واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعنى ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير
التى لا اصل لها والغنآ والاشترآ من الشرى كما روى عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان

اى استبدلوه منه والاضافة بمعنى من وهى تبيينية سوا اراد بالحديث المنكر او الاعم منه
نعم على الثانى يجى التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا من وجه ولكن لا يكون من مقتضى
الاضافة ليضل عن سبيل الله اى عن دينه او عن قراة القران وقرى ليضل بفتح اليآ اى ليثبت
على الضلال عن الدين ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه اى جاهلا والضمير فى ويتخذها للسبيل
لانها مونثة هزوا سخرية وقرى يتخذ بالنصب عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين
لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها مشبها
حاله فى عدم التفاته اليها حال من لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر ان يسمع
كان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان محذوفا اصلها كانه لم يسمعها جملة وقعت حالا من
ضمير ولى او ضمير مستكبرا وكان بدل من الاول او حال من ضمير لم يسمع فهما حالان متداخلتان
ويجوز ان يكونا جملتين مستانفتين فبشره بعذاب اليم تهكم بهم والمعنى اعلمه ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم النعيم جنة من الجنان الثمانية كالماوى والعدن وقد
سبق التفصيل فى سورة البقرة والتعبير عن جنة واحدة بالجنات للمبالغة خالدين فيها
حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام فى معنى الاستقرار وعد الله حقا
مصدران موكدان الاول لنفسه لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم
والثانى لغيره لان معناه الصدق والثبات وليس كل وعد كذلك وهو العزيز القوى الذى
لا يغلبه احد فيمنعه عن انجاز وعده وانفاذ وعيده الحكيم الذى يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة
خلق السموات بغير عمد ترونها سبق فى تفسير سورة الرعد والقى فى الارض رواسى جبالا
شوامخ ان تميد لئلا تضطرب بكم قيل تشابه اجزآئها يقتضى تبدل احيازها واوضاعها وفيه
نظر اذ لم يقم دليل على تشابه اجزآئها بل الظاهر خلافه وبث نشر فيها من كل دابة وانزلنا
فيه التفات فى محز البلاغة لان انشا هذه الامور العظام خاصة بانه حثوهم من انزال الماء
وانبات اصناف النبات موضوع للتنبيه والايقاظ للعبادة والشكر على النعم والاعراض
عن الشرك من السمآء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم صنف كثير المنفعة استدل بما ذكر من الاشيآء
الدالة على كمال قدرته وحكمته على الوهيته وتوحيده واستحقاقه للعبودية ثم بكتهم بقوله هذا
خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه اى ماذا خلقته الهتهم حتى استوجبوا عندكم العبادة
فماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتدآ وخبره ذا بصلته وارونى معلق عنه ثم اعرض عن تبكيتهم

والتهكم بهم الى التسجيل عليهم بالظلم والتورط فى ضلال ليس بعده ضلال فقال بل الظالمون
فى ضلال مبين ووضع موضع الضمير للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة
على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة هى الكمال العلمى مع العملى اى العلم بحقائق الاشياء على ما هى عليه
والملكة التامة على الافعال الفاضلة ان اشكر لله ان هى المفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول
وانما فسر الله الحكمة بالشكر تنبيها على ان الحكمة المعتد بها هى المقتضية للعمل الصالح والشكر لله تع
والعبادة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها
ومن كفر حذف جزاؤه وهو فانما يكفر على نفسه لان ضرر كفره لا يتعدى عنها لانفهامه بقرينة
قرينه واقيم مقامه تعليله وهو قوله فان الله غنى عن الشكر لا ينتفع بوجوده ولا ينضر بعدم
حميد بذاته حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال
وهو افصح من لسان المقال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل
كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه
تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه اصلا ووصينا الانسان بوالديه الى قوله تعملون
ايتان معترضتان فى اثناء وصية لقمان لابنه تاكيدا لما فيها من النهى عن الشرك استطرادا كانه قال
ووصينا بمثل ما وصى به حتى ان الوالدين اللذين وصينا بتعظيمهما وبرهما وطاعتهما وجعلنا مما
تلو البارى فى وجوب الشكر والطاعة لهما ان امرا بالشرك لم تجز طاعتهما وتعليد بما فيه مع
وجوب مصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف فاطنك بغيرهما حملته امه لما وصى بالوالدين اكد الوصية
فى حق الام خصوصا بذكر مصاحبتها الحمل والفصال وما تكابده من المشاق والمتاعب فيهما
فاعترض بين المفسر والمفسر تذكرا لحقها العظيم مفردا ولذلك قال النبى عليه السلام لمن قال
من ابر امك ثم امك ثم امك قال بعد الثالثة ثم اباك وهنا على وهن اى تضعف ضعفا
فوق ضعف اى ضعفا متزايدا لان الحمل كلما ازدادت مدته ازداد ثقلا فازداد ضعفا فوق
ضعف وفصاله فى عامين وفطامه فى انفصال عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة
وتوقيت الفصال بالعامين بيان ان هذه المدة اقصى غاية الرضاع ان اشكر لى ولوالديك
تفسير لوصينا والجملتان معترضتان بين المفسر والمفسر او بدل من والديه بدل الاشتمال
الى المصير هو ترغيب وترهيب وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اى باستحقاقه
للاشراك وقيل اراد بنفى العلم نفى المعلوم اى ان تشرك بى ما ليس بشىء كقوله ما تدعون من دونه

من شىء فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا صفة مصدر محذوف اى صحابا معروفا
او مصاحبا معروفا بخلق حسن وبر واحتمال وصلة وحلم وغير ذلك مما يرتضيه الشرع ويقتضيه
الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الى اى سبيل المومنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه
ثم الى مرجعكم اى مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على
كفرهما روى انها نزلت فى سعد بن ابى وقاص رض وامه فى القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا
تشرب حتى يرتد فابى ولذلك قيل من اناب اليه نع ابو بكر رض فانه اسلم بدعوته يا بنى انها ان
تك مثقال حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة والاحسان وان تك مثلا فى الصغر
كحبة الخردل او المثقال مقدار يساوى غيره فى الوزن وقرى مثقال بالرفع على ان الضمير للقصة
وكان تامة وتانيث المثقال لاضافته الى الحبة او لان المراد بها الحسنة او السيئة فتكن فى
صخرة او فى السموات او فى الارض فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او مكان كمحدب سماء
من السموات او اسفله كمقعر الارض فتكن بكسر الكاف من كن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته
اى بيته يات بها الله يحضرها يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف ينفذ علمه فى البواطن
فيصل الى كل خفى خبير بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها يا بنى اقم الصلوة
تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
لا سيما فى ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى ما كلف به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور
اى قطعه قطع ايجاب والزام مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اى جد وهو بمعنى من عازمات الامور ولا تصعر خدك ولا تمل صفحة خدك كما يفعله
المتكبرون من الصعر وهو دا يصيب البعير فيلوى عنقه منه للناس لان المنهى ما يكون تصعيرا
للناس وتحقيرا لهم لا الميل عنهم مطلقا فانه اذا كان لامر اخر لا يكون منهيا ولا تمش فى الارض مرحا
مصدر فى موضع الحال بمعنى مرحا او مصدر محذوف الفعل اى يمرح مرحا او مفعول له اى للمرح
يعنى لاجل البطر والبطارة لا لغرض صحيح دينى او دنيوى ان الله لا يحب كل مختال فخور علة
للنهى وتاخير الفخور وهو فى مقابلة المقدم من المهيئتين وكذا الاتيان بصيغة المبالغة
لتوافق رؤس الآى وانما لم يقل ولا فخور حتى تكون المحبة مسلوبة عن كل منهما اصالة للتنبيه
على ان الدخل فى الجملة فى عدم محبوبيته تع كاف فى الانتهاء عنه ومن هنا ظهر الوجه للعدول
عن اثبات البغض الى سلب المحبة ثم ان سلب النفى داخل على اداة السور لفظا وهى داخلة عليه

معنى اي لا يحب واحدا منهم والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على
السامع واقصد في مشيك واعدل فيه اي توسط بين الاسراع والدبيب يعني لا تثب وثوب
الشطار ولا تدب دبيب المتماوتين قال النبي عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول
عائشة رض في عمر رض كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ
بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا اسدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر
ويجوز ان يكون الغض في الصوت مستعارا من غض البصر فانه خفض ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير الحمار ونهاقه مثل في الذم البليغ ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي الاية
ذم بليغ للرافعين اصواتهم حيث شبهوا بالحمير واصواتهم بالنهاق ثم طرح التشبيه واخرج
الكلام مخرج الاستعارة كل ذلك لتهجين رفع الصوت والتنفير عنه والحث على الغض
والترغيب فيه وتوحيد الصوت لان المراد جنسه الذي هو مثل في النكر لا افراده الم تروا ان
الله سخر لكم لاجلكم ما في السموات ما في جهة العلويات من الكواكب واوضاعها والسحاب
وامطارها بان جعلها اسبابا لمنافعكم وما في الارض اي في الجهة السفلية بان سلطكم عليها ومكنكم
من الانتفاع بها بواسطة او بغير واسطة واسبغ عليكم نعمه ظاهرة محسوسة وباطنة معقولة
ومخفية عنكم لم تدركوه بعقولكم ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير
علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى نبي ولا كتاب منير بل بتقليد صرف كما صرح به
في قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وفيه منع صريح
عن التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم جواب لو محذوف لدلالة نتبع عليه
اي لاتبعوه والواو للحال والهمزة للانكار والتعجب والضمير لاباءهم ولهم اي ايتبعونهم في حال
دعا الشيطان اياهم الى عذاب السعير اي الى ما يؤدي اليه من الشرك والتقليد ومن يسلم وجهه
الى الله من سلم اليه المتاع اذا دفعه اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمين
معنى الاختصاص اي من يجعل ذاته ونفسه خالصا لله تع وهو محسن في عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى فقد تعلق باوثق ما يتعلق منه مثل حال المتوكل المفوض نفسه الى الله بحال
من اراد ان ينزل من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين
مامون الانقطاع والى الله تقديم الى الله للاختصاص اي صائرة الى الله لا الى غيره عاقبة الامور
فيجازي عليها ومن كفر فلا يحزنك كفره فلا يهمنك كفره وكيده للاسلام فانه لا يضرك في

الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك والمستفيض في الاستعمال احزن في الماضي ويحزن ثلاثيا
مجردا في المستقبل الينا مرجعهم خاصة فننبئهم بما عملوا فنعاقبهم على اعمالهم ان الله عليم بذات
الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده فيجازيهم على حسبه نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان
الزائل بالنسبة الى الدائم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام
الغليظة لثقل العذاب عليهم وشبه الزامهم العذاب باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على
الانفكاك منه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان الملجئ الى
الاذعان به قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الخالق هو الله وحده وانه يجب ان يكون له
الحمد وان لا يعبد معه غيره بل اكثرهم لا يعلمون ان اقرارهم يلزمهم وبل اضطراب عن دعوتهم لجهلهم
وانهم لا ينتبهون بالتنبيه ولا يتفطنون ان قولهم عليهم لله ما في السموات والارض تقرير للتوحيد
باختصاص الملك به ودخول الهتهم في ملكه ان الله هو الغني عنهم وعن اسلامهم وحمدهم الحميد
المستحق للحمد المحمود منك ومن كل عارف وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام توحيد
شجرة لتفصيل الجنس وتقصي كل واحدة من جنس الشجر واستغراق عمومها اي جميع ما في الارض من
شجرة شجرة حتى لا تبقى واحدة منها الا كانت قلما والبحر بالرفع عطفا على محل ان ومعمولها
يمده من بعده حال او الابتداء على انه مستانف والواو للحال وبالنصب عطفا على اسم ان
واضمار فعل يفسره يمده اي ولو ثبت كون اشجار الارض كلها اقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة
ابحر او على الابتداء والواو للحال اي ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا واستغني
بالواو عن الضمير لكون امثال هذه الاحوال جارية مجرى الظروف ويجوز ان تكون اللام بدل
الاضافة اي وبحرها والضمير للارض وقرئ وبحر يمده على التنكير ولا جملة الا العطف على محل ان
واسمها وقرئ يمده ويمده من مد الدواة وامدها واغني عن ذكر المداد بقوله يمده ما نفدت كلمات
الله ايثار جمع القلة على جمع الكثرة وهي الكلم للاشعار بانها لا تفي بالقليل منها فضلا عن الكثير
والتقدير ولو ان اشجار الارض كلها اقلام والبحر المحيط دواة فجعل البحر بمنزلة الدواة
والابحر السبعة مملوة مدادا امدها ابدا وكتب بها كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت
الاقلام والمداد لقوله تع قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان
الله عزيز حكيم لا يعجزه شيء ولا يخرج عن علمه وحكمته امر ومن كان كذلك لا تنفد كلماته وحكمه وعن
ابن عباس رض انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة وقيل ان وفد

وبين ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا
التورية وفيها علم كل شئ واما قيل نزلت حين سالوا عن قوله وما اوتيتم لوجه التوفيق
بينهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها لانه لا يصلح سببا يشغله شان
عن شان فلا يتفاوت عنده القليل والكثير لانه يكفي في وجود الكل تعلق ارادته القديمة
منضمة الى قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع
لكل مسموع بصير لكل مبصر فلا يشغله ادراك بعضها عن بعض وكذلك الخلق والبعث الم تر ان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الشمس والقمر يجري في
فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معين الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة
لانها منتهى جريهما ومنقطعه استعمل الجري ههنا مع حرف الانتهاء وفي فاطر مع حرف
الاختصاص اي يجري لادراك اجل معين لان بلوغ الجري الى منتهاه يوافق اختصاص الجري
بادراك الاجل المعين في المعنى فكلا المعنيين يتوافقان في افادة المقصود وان الله بما
تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف الذي وصف به من كمال القدرة والحكمة بان الله
بسبب ان الله هو الحق الثابت في ذاته او الثابت الالوهية وان ما تدعون من دونه
الباطل المنتفي الالوهية او المعدوم في حد ذاته وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان
او المترفع على كل شئ الكبير عن ان يشرك به شئ الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه
في تهيئة اسبابه او برحمته والباء للصلة او الحال وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال
حكمته وشمول نعمته ليريكم من اياته اي بعض دلائل قدرته وحكمته ورحمته ان في ذلك لايات
لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الانفس والافاق شكور يعرف النعم ويعرف
مانحها وهما صفتان للمومن فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فكانه قال ان
في ذلك لايات لكل مومن وقيل صبار على بلائه وشكور لنعمائه واذا غشيهم واذا علاهم
وغطاهم موج مرتفع متراكم كالظلل وهي كل ما اظلك من الجبل او السحاب وغيرهما وقري
كالظلال كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد
بما داهمهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ثابت على الطريق القصد الذي هو
التوحيد اي باق على الاخلاص الحادث في البحر وقليل ما هم او متوسط في الكفر لانزجاره بعض
الانزجار وانخفاضه عن غلوائه وما يجحد باياتنا الا كل ختار مبالغ في الغدر ناقض للعهد

الفطري او لما عاهد الله عليه في البحر والختر اشد الغدر كفور بنعمة الله يا ايها الناس اتقوا
ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم والتهويل لا يجزي والد عن ولده وقري لا يجزي اي لا يغني
والجملة صفة يوما والعائد محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على الوالد او مبتداء
خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم بالعدول عن الفعلية الى الجملة الاسمية للتوكيد والدلالة
على ان الولد اولى بان لا يجزي شيئا عن والده وحسم اطماع المومنين ان ينفعوا اباءهم
الكفار في الاخرة فانهم كانوا يتوقعون ذلك وللمبالغة في التاكيد جي بلفظ هو ومولود
دون ولد لان الولد يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق على ولد الولد الا
بالنسبة الى الذي ولد منه اي لو قصد النفع عن ولد منه لم يقدر عليه فضلا ان ينفع لاجداده
كذا قيل ومبناه على تخصيص الخطاب والحكم والظاهر العموم فالوجه ان يقال ان الاب
من شانه ان يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والولد يجزي لما فيه من الشفقة
فليس الثاني كالاول ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا بزينتها فان نعيمها ذاهب ولذتها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان وقري
بضم الغين فجعل الغرور غارا للمبالغة او ارادة زينة الدنيا لانها غرور اطلاق لاسم المسبب
على السبب ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى تمطر السماء
وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت اي محفوظة علمها من جهته تعالى
لا يصل اليه غيره فان كون الشئ عنده عبارة عن كمال حفظه وبهذا الوجه يظهر اختصاص
العلم المذكور به تع وينزل الغيث اي يرسل المطر النافع بحسب المصالح على التدريج في اوقات
متعددة ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى احي ام ميت اتام ام ناقص وما تدري نفس اية
نفس كانت وانما جعل علم الله تع والدراية للعبد لما في الدراية من الجبل والحيلة والمعنى انها
لا تعرف وان اعملت حيلها ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا
او عازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس باي ارض تموت اي اين تموت وربما اقامت
بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر
ببالها وقري باية ارض وشبه سيبويه باية اتي بانيث كل في كلهن واعلم ان الانطباق على
سبب النزول المذكور والاتفاق بما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رض مفاتيح الغيب

حمسة لا يعلمها الا الله فان الله عنده علم الساعة الاية انما يكونان على تقدير ان يظهر
علم اوقات نزول الغيث وعلم احوال الحمل به وذلك بان يكون تقدير قوله وينزل الغيث
وان ينزل الغيث عطفا على الساعة يعنى عنده علم الساعة وعلم انزال الغيث فحذف ان كقوله
الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا والمعنى ان احضر الوغا وقس على هذا قوله ويعلم ما فى الارحام

ان الله عليم خبير

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ان جعل آلم
اسما للسورة فهو مبتدا تنزيل الكتاب خبره على ان التنزيل بمعنى المنزل ومن رب صلة تنزيل او
خبر ثان وان جعل تعديدا للحروف فتنزيل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره من رب العالمين ولا
ريب فيه اعتراض لا محل له من الاعراب والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة اى لا ريب فى
ذلك يعنى فى كونه منزلا من رب العالمين او الخبر لا ريب فيه ومن رب العالمين خبر ثان او حال
من الضمير فى فيه على انه للتنزيل او الكتاب ام يقولون افتراه مويد لرجوع الضمير فى فيه الى مضمون
الجملة وكذا قوله بل هو الحق من ربك لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين
والهمزة فى ام يقولون انكار لقولهم وتعجيب منه فيكون الكلام مصدرا باعجازه واثبات انه من
رب العالمين مقررا بانه لا ريب فى ذلك ثم مقفى بالاضطراب عن ذلك الى انكار قولهم
افتراه والتعجب منه لظهور امره فى الاعجاز ثم بالاضطراب عن الانكار الى تقرير المقصود
وهو رد قولهم واثبات انه الحق من ربك ثم ببيان الغرض منه بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير ولا يشكل هذا القول وان مرامة الاخلا فيها نذير لانه لم يخل عن الوقوف بنذرهم
وان لم يأتهم نذير من قبلك لانهم كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون باتذارك اياهم الله الذى
خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش سبق تفسيره فى سورة
الاعراف ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله تع احد ينصركم
او يشفع لكم افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا كلها
باسباب سماوية نازلة اثارها الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اى يصير اليه ويكتب عنده فى صحف ملائكته
فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك

الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يعرج ثم الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل
الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى زمان هو فى الحقيقة الف سنة
لان المسافة مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام وفيه نظر اذ لا يلزم
من قطع المسافة الطويلة فى مدة قصيرة ان يكون تلك المدة طويلة وذلك ظاهر نعم لو قيل
فى قوله مقداره تجوز فان المقدار المذكور للمسافة باعتبار قطعها المعتاد لكان له وجه ذلك عالم
الغيب والشهادة فيدبر على وفق علمه العزيز القوى بانفاذ امره الرحيم على العباد فى تدبيره على
وفق مصالحهم تفضلا وامتنانا الذى احسن كل شئ خلقه حسنه على وفق الحكمة والمصلحة موفورا
عليه ما يستعده ويليق به وان تفاوت الى حسن واحسن وخلقه بدل من كل شئ بدل
الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان
وقرى بفتح اللام فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل وبدا خلق الانسان يعنى
ادم من طين ثم جعل نسله من سلالة النسل الذرية سميت به لانها تنسل منه اى تنفصل
وتخرج من صلبه والسلالة ما يسل من الشئ ويخفى من ماء مهين ضعيف حقير ثم سواه قوم
بتقدير اعضائه على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بان له
خلقا عجيبا وان له شانا له مناسبة ما الى حضرة الربوبية قال عليه السلام من عرف نفسه
فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
وانما قدم السمع على البصر لخساسته نظرا الى البصر فان الكلام على اسلوب الترقى من الشريف الى
الاشرف فالاشرف قليلا ما تشكرون اى تشكرون شكرا قليلا وقالوا القائل ابى بن خلف
ولا حاجة الى رضاهم بقوله فى الاسناد اليهم بل يكفى وجود القول بينهم كقوله واذ قتلتم
نفسا أئذا ضللنا بالفتح والكسر فى الارض اى صرنا ترابا مخلطا بتراب الارض بحيث لا نتميز
فيه او غبنا فيها وقرى صللنا من صل اللحم اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهى الارض وقرى
اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا وقرى انا على
الخبر بل هم بلقاء ربهم كافرون لما رد كفرهم بالبعث اعرض عنه الى ما هو ابلغ فى الكفر بما بعد الموت
من الرجوع الى الله والجزاء قل يتوفاكم التوفى استيفاء النفس من قولك توفيت حقى من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا اى يقبض نفوسكم بتمامها ملك الموت الذى وكل بكم اى
بقبض ارواحكم عند انتهاء عدد اعماركم وفى عبارة وكل بكم اشارة الى وجه التوفيق بين هذه الاية

وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وهو ان فعل الوكيل فعل الموكل ثم الى ربكم ترجعون
للحساب والجزاء ولو ترى الافصح ان يكون الخطاب لكل احد ممن تتأتى له القدرة ولا يقدر لترى
مفعول لان المعنى لو يكون منك الروية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم من الذل
والحياء والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحى الحذف اذ التقدير قائلين ربنا
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك اوكنا عميا وصما ابصرنا وسمعنا
فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة انا موقنون بالبعث والحساب الان
جواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا والمضي فيها وفي اذ لان المترقب من الله
بمنزلة الواقع ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق
له ولكن حق القول مني سبق حكمي وقضائي وهو لاملان جهنم من الجنة انما قدم الجن لان المقام
مقام التحقير والناس اجمعين اي ولكن اقتضى الحكمة خلاف ذلك وما ذكر من سبق به كناية
عن ذلك الاقتضاء فليس تسبب عدم ايمانهم عن سبق التقدير الازلي به كما سبق الى بعض الاوهام
فذوقوا يعني ما انتم فيه من الخزي والغم بما نسيتم بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا اي بشر كم
العمل لهذا اليوم كانكم نسيتموه فلم تذكروه انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب او جازيناكم على
نسيانكم وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
اي واعلموا ان هذا العقاب خالد لكم غير زائل عنكم بما كنتم تعملون باعمالكم من الكفر والمعاصي
وانما كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة كما علله بتركهم
تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك وهذا اسناد ينادي على انه لا
عذر لهم في ذلك من جهة القضاء الازلي انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا
بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة
تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع الفرش ومواضع النوم مبالغة في الاعتياد بقيام الليل
كانهم يقومون بالطبع لا بالاختيار كما يقومون لحاجاتهم الطبيعية يدعون ربهم داعين اياه
خوفا من سخط وطمعا في رحمته وعن النبي عليه السلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وقيل كان ناس
من الصحابة رضي الله عنهم يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
الخير فلا تعلم نفس واحدة من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم على البناء للمفعول

والفاعل وقرئ ما اخفي على انه مضارع اخفيت وما نخفي وما اخفيت والفاعل في الكل هو الله تعالى
وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة او استفهامية بمعنى اي شيء علق عنها الفعل من قرة اعين
مما تقربه اعينهم وقرئ من قرات اعين لاختلاف الانواع جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي اخفي
للجزاء او مصدر جزوا جزاء او حال على التسمية بالمصدر والفاء للسببية اي اذا قلنا من كانوا
يخفون عبادتنا بالليل فلا تعلم نفس ما اخفينا لهم وفي الابهام ثم التوضيح والتفسير لقرة اعين
تفخيم لشان جزائهم وتعظيم له وان تجعل ما استفهامية زيد تعظيم على تعظيم افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا الفاء للتعقيب والهمزة للانكار اي ابعد ما ذكر من ثواب المؤمن وكرامته هل يكون
مساويا للفاسق الخارج عن الايمان في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد وتصريح للحمل على المعنى
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اي الماوى الحقيقي الابدي فان الدنيا
منزل مرتحل عنها وقيل نوع من الجنان كما في قوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى عن
ابن عباس رضي الله عنه تاوي اليها ارواح الشهداء نزلا سبق تفسيره في ال عمران بما كانوا يعملون
باعمالهم واما الذين فسقوا فماواهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوى للمؤمنين كقوله فبشرهم
بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها قد سبق تفسيره وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب
الدنيا مما محنوا به من الاسر والقتل والقحط سبع سنين دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة
لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه
يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ولم يتفكر فيها
وثم مستعار للاستبعاد لان الاعراض عن مثل هذه الايات مع وضوحها وانارة
برهانها وارشادها الى الفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد عقلا كما تقول لصاحبك
وجدت مثل هذه الفرصة ثم لم تنتهزها ومنه ما في بيت الحماسة • ولا يكشف الغماء الا ابن حرة •
يرى غمرات الموت ثم يزورها • انا من المجرمين منتقمون استيناف موذن بان الانتقام
منهم هو اشد الانتقام لانه لما بين انه اظلم من كل ظالم ثم دل على انه ينتقم من كل مجرم كان من
هو اظلم اشد انتقاما فلهذا المعنى وضع المجرمين موضع الضمير ولقد اتينا موسى الكتاب كما
اتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران
اي انك اوتيت ما اوتيته مثل ما اوتيه كقوله وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل

الذين يتلون الكتاب من قبلك او من لقاء موسى الكتاب ويؤيده انتظام قوله وجعلناه
اى المنزل على موسى هدى لبنى اسرائيل واما عود الضمير الى موسى اى من لقائك موسى فيأباه
تصدر النهى بادة التفريع وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام
بامرنا باياتنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا لصبرهم وقرئ لما اى حين صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون لامعانهم فى النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضى فيميز الحق
من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف
على مقدر من جنس المعطوف اى لم يؤمنوا اولم ندعهم ولم يهد لهم والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا
من قبلهم من القرون اى كثرة اهلكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه كقولك يعصم لا اله الا
الله الدماء والاموال او ضمير ربك بدلالة قراءة بالنون يمشون فى مساكنهم يعنى اهل مكة
يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ان فى ذلك لايات افلا يسمعون قد سبق فى تفسير سورة
الروم وجه توصيف القوم بالسمع وكان الظاهر توصيفهم بالابصار اولم يروا الواو للعطف
الاستفهام على نظيره وتاخيره عن اداتها لصدارتها انا نسوق الماء الى الارض الجرز التى جرز
نباتها اى قطع اما لعدم الماء او لانه ازيل اورعى ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز
بدليل قوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع فى اليمن تاكل منه اى من الزرع انعامهم من عصفه
وتبنه وانفسهم من حبه وثمره قدم اكلها على اكلهم لانها ياكله من الورق والقصيل يحصل مقدما
افلا يبصرون فيستدلون به على كمال فضله وقدرته ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل
بالحكومة من قوله وفتحت السماء فكانت ابوابا لا من قوله ربنا افتح بيننا فان اطلاق يوم الفتح
على يوم القيمة لانفتاح ابواب السماء لا لانتصار المسلمين على الكفار ان كنتم صادقين فى
الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة لانه
يفتح فيه بين المؤمنين وبين اعدائهم وقيل هو يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون فى احد اليومين فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وتطبيق الجواب على
سؤالهم من حيث المعنى لان غرضهم من الاستفهام لم يكن طلب تعيين الوقت بل الاستعجال
كانه قيل لا تستعجلوا به فانه اذا جاء لا ينفعكم الايمان ان امنتم ولا تنظرون ان استنظرتم والذين
كفروا من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وان الكفر المستمر الى وقت العذاب
هو الذى يوجب عدم نفع الايمان ونفى الانظار فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هى منسوخة

باية السيف وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقرئ منتظرون
بفتح الظاء اى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم اى ان الملائكة ينتظرون هلاكهم فانهم هالكون لا محالة

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى نودى عليه الصلوة والسلام فى جميع القران بيا ايها
النبى ويا ايها الرسول تعظيما له وتعليما للعباد كيف ينادونه اتق الله امره بالتقوى تعظيما
للتقوى واعلاما للامة بانه باب عظيم يجب ان يعتد به ويحافظ عليه والمراد الامر بالثبات على ما
هو عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اى لا تساعدهم على شئ
تعود فى الدين ولا تقبل لهم رأيا فى ذلك روى ان ابا سفيان وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور
السلمى قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابى واعطاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك
ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهود
ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا منك ان الله كان
عليما بخبث اعمالهم حكيما فى تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك من الامر والنهى
ان الله كان بما تعملون خبيرا فموحى اليك ما يصلحه ومنعك من الاستماع الى الكفرة وقرئ بالياء
اى ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه كل امر قال الزجاج ولفظ كفى وان كان الخبر فالمعنى اكتف بالله ما جعل الله لرجل
نكرة وزيادة من فى قوله من قلبين بعد النفى للتعميم والاستغراق اى ما جعل الله لفرد واحد
من جملة الرجال فضلا عن الصبيان والنسوان قلبين البتة بوجه من الوجوه فى جوفه تاكيد
وزيادة تصوير للسامع ليكون اذا سمع تصور جوف انسان مشتملا على قلبين فيكون اسرع
الى الانكار وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ما جعل
الزوجية والامومية فى امرئ ولا الدعوة والنبوة فى ذكر جعل نفى اجتماع القلبين فى جوف
لانتفاء الاجتماعين الاخرين وذلك ان العرب تزعم ان اللبيب له قلبان ولذلك قيل لابى
معمر جميل بن اسد الفهرى ذو القلبين وكان رجلا من احفظ العرب وارواهم وكان يقول
ان لى قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فاكذب الله قوله وقولهم وضرب به مثلا فى الظهار والتبنى

فانهم كانوا يقولون المراة المظاهر عنها ام ودعي الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين
في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبين امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة ومعنى الظهار ان
يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لان الظهار كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يتجنبون المراة المظاهر عنها
كما يتجنبون المطلقة ونظيره آلى من امراته فانه عدي بمن لتضمنه معنى التباعد والا فآلى بمعنى حلف
فلا يعدى بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن في التحريم كانهم تحاشوا عن ذكره لانه
يقارب ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لانه عموده او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون
اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي وهو المدعو وكذا فعيل بمعنى مفعول
وحقه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى والجمع على افعلاء انما يكون لفعيل بمعنى الفاعل كتقي واتقياء
وشقي واشقياء فهو شاذ عن القياس كقتلاء واسراء ووجه التشبيه اللفظي ذلكم اشارة
الى ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له ولا يطابق الواقع والله يقول الحق
ما له حقيقة عينية مطابق له وهو يهدي السبيل سبيل الحق وفي فصل بعض الجمل الواقعة
في هذه الاية ووصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المتدرب في طريق النظم ادعوهم
لآبائهم اي انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة هو اقسط عند الله تعليل
له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل المستعمل لمطلق الزيادة من القسط بمعنى العدل
ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم اي ان لم تعرفوا اباءهم حتى تنسبوهم اليهم
فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي
وليس عليكم جناح اثم فيما اخطاتم به قبل النهي او بعده على سبيل النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتموه بعد النهي وكان الله غفورا رحيما يغفر للمخطئ
ويعفو عنه عن العامد اذا تاب النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في كل شيء من امور الدين
والدنيا فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم وفلاحهم بخلاف انفسهم فيجب ان
يكون احب اليهم من انفسهم وشفقتهم عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها وحقه آثر لديهم
من حظوظها وان يبذلوها دونه وان يسبقوا كل ما دعاهم اليه وصرفهم عنه روي انه عليه
السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال اناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت

وفي قراءة ابن مسعود رض النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم اي في الدين وقال مجاهد
كل نبي فهو ابو امته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم كناية عن التحريم خاصة ولذلك قالت عائشة رض لسنا امهات النساء
لا عنه وعن استحقاق التعظيم اذ ح ينتظم النساء ويرده الاثر المذكور واولوا الارحام وذووا
القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ ما كان في صدر الاسلام من التوارث
بالموالاة في الدين وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح او فيما اوحى الى النبي عليه السلام وهو في
هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام
وتخصيص المهاجرين بالذكر بعد التعميم لدفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من عدم تناول الحكم لهم
لما فيهم من فضيلة الهجرة او صلة لاولى اي واولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء مفرغ
من اعم العام من معنى النفع والاحسان وانتصاب ان تفعلوا على الظرف اي الا وقت
ان تفعلوا او عدي بالى لانه في معنى ان تسدوا والمراد بفعل المعروف التوصية وبالاولياء الاسداء الاحسان
المؤمنون والمهاجرون لما بينهم من الولاية في الدين اي الاقرباء بعضهم اولى ببعض من الاجانب
في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك الا في الوصية كان ذلك
اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا في الكتاب في اللوح المحفوظ او في القران وقيل في التورية
مسطورا مثبتا او مذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعوة الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيص
للمشاهير واصحاب الشرائع من الانبياء بالذكر لبيان شرفهم وفضيلتهم ولذلك قدم محمدا عليه الصلوة
والسلام على الجميع لكونه افضلهم وانما قدم عليه نوحا في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك لان الغرض من سياق الكلام ثمة بيان اصالة الدين وقدمه واستقامته
فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل القديم الذي وصينا به نوحا في العهد القديم والذي اوحينا
اليك في العهد الحديث ووصينا به من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فهو دين اصيل
قديم اتفق عليه وعلى اقامته الانبياء كلهم ولم يتفرقوا فيه واخذنا منهم ميثاقا غليظا تكرير للتوكيد
وزيادة وصف للميثاق بالعظم وفخامة الشان ولذلك نكره وغلظا اي ميثاقا موثقا
بالايمان الغلاظ وسماه ميثاقا لا عهدا دلالة على توثيقه باليمين والغلظ استعارة من

وصف الاجرام لتصدير معنى القوة والوثاقة في الحس ليسأل الصادقين عن صدقهم تعليل لاخذنا
اى اخذنا ميثاقهم ليسأل الله تع عند مواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم عما قالوه
لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة
المؤمنين واعد للكافرين او على ما دل عليه ليسأل اى فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا هى الصبا قال عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها هى الملائكة روى انه عليه السلام لما
سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف فضرب بعسكره والخندق
بينه وبين القوم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله تع عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم
واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا
النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره بصيرا وقرئ بالياء
اى بما يعمل المشركون واليهود من التحزب والترامي اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى
الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم الوادي من قبل المغرب قريش لم يقل
ومن تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار اظهارا لما في مقابله من التجوز وانما
اختير ذلك لانه احسن لفظا ومعنى واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة
وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ عند شدة الخوف فتربو ويرتفع
القلب بارتفاعها بلوغ القلب الحنجرة مثل في شدة الخفقان واضطراب القلب فان صاحب
الخفقان الشديد يتوهم من شدة انتفاخ الرية ان قلبه بلغ الحنجرة وهى راس قصبة
الرية وهى مخرج النفس وتظنون بالله الظنونا الظنون المختلفة الخطاب للمؤمنين
فمنهم الاقوياء الثبت الاقدام يظنون الابتلاء من الله تع وانجاز وعده بالنصر ومنهم من
يخاف الزلل وضعف الاحتمال ومنهم الضعاف الذين يشكون في امرهم والمنافقون
على ما حكى الله عنهم يظنون ان المسلمين يستاصلون هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فتميز المخلص

من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا وازعجوا اشد انزعاج
من شدة الفزع فالزلزال الاضطراب العظيم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا باطلا ارادوا به ما وعده الله تع
من اعلاء الدين والظفر على المشركين واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه
يا اهل يثرب اسم المدينة وقيل اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع
قيام لكم ههنا وقرئ بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى المدينة وانخزلوا عن
معسكر الرسول الى منازلكم وقيل لا مقام لكم بالمدينة ان بقيتم على دين محمد فارجعوا كفارا مشركين
واسلموا محمدا حتى تمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة
بسكون الواو وبكسرها فالعورة بالسكون الخلل مبالغة في وصفها بالعور كان انفسها عورة
وبالكسر ذات العور يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز
ان يكون عورة مخفف عورة وما هى بعورة بل هى حصينة ان يريدون الا فرارا اى ما يريدون
بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها
وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان
في اقتضاء الحكم المترتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرئ
بالقصر اى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها اى بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال
والجواب من غير توقف او بالمدينة اى ما لبثوا بها بعد الارتداد الا زمانا يسيرا او لبثا يسيرا
لان الله يهلكهم ويستأصلهم ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رض
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل قوم
غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق هم بنو حارثة عاهدوا
يوم احد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعيدوا بعد ان نزل فيهم ما نزل
وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه اى شانه ذلك قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل نفعا تاما في دفع الامرين المذكورين بالكلية اذ لا بد لكل شخص من حتف
بلغ انف او قتل في وقت لانه سبق به القضاء لانه تابع للمقتضي فلا يكون باعثا له لانه مقتضى
ترتب الاسباب والمسببات بحسب العادة على مقتضى الحكمة فلا دلالة فيه على ان الفرار لا يغني
شيئا حتى يشكل هذا بالنهي الواقع في الكتاب عن القاء النفس بالتهلكة وبالامر الواقع في السنة

بالفرار عن المضار كيف وقد دل قوله واذا لا تمتعون الا قليلا على ان فى الفرار تمتعا
اذ المعنى لا تمتعون على تقدير الفرار الا متاعا قليلا او زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط
مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذى يعصمكم من الله اى مما
اراد الله انزاله بكم ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة العصمة هى المحافظة من السوء فلا تكون من
الرحمة فاقترانها بالسوء فى حكم العصمة على طريقة عطف عامل حذف وبقى معموله على عامل آخر يجمعهما
معنى واحد تقديره اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة ويجوز ان تكون الرحمة قرينة السوء
فى العصمة لانها فى معنى المنع كما كان الرمح قرين السيف فى قوله متقلدا سيفا ورمحا فى التقلد
لانه فى معنى الحمل فلا يحتاج الى تقدير ومعقولا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا
نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله قد هنا للتحقيق وان دخل على المضارع المعوقين منكم المثبطين
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكنى المدينة
هلم الينا قد سبق تفسيره فى سورة الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا اى اتيانا قليلا
اشحة عليكم بخلاء وقت الامن او بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الغنيمة عند الظفر
جمع شحيح نصب على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او القائلين او على الذم فاذا جاء
الخوف اى وقت الحرب رايتهم ينظرون اليك لواذا بك تدور اعينهم فى موضع الحال اى
دائرة اعينهم والكاف فى كالذى يغشى عليه فى موضع النصب على المصدر اما من ينظرون اى
نظرا مثل نظر الذى يغشى عليه او من تدور اى دورانا مثل دوران عين الذى يغشى عليه من
الموت من شدة سكرات الموت خوفا وجبنا فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة بعد ان كانت حصرة بالخوف قال قطرب سلقت
المرء وصلقت اى صحت به واصله رفع الصوت قال عليه السلام ليس منا من حلق او سلق اى حلق
شعره عند المصيبة او رفع صوته بالنياحة اشحة على الخير حال من ضمير سلقوكم او نصب على
الذم ويؤيده من قراه بالرفع وليس بتكرير لان كلا منهما يفيد فائدة اخرى اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا والفاء فى فاحبط الله اعمالهم للسببية اى ابطل الله ما عملوه من اعمال البر بسبب نفاقهم
وعدم ايمانهم حقيقة فانه شرط صحة العبادة وقبولها وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا لتعلق ارادته من غير مانع يمنعه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا من شدة الجبن والخوف
ففروا الى المدينة وقد انهزم الاحزاب وهم من استيلاء الفزع عليهم لا يصدقون بذلك

مستقلا

وان

وان يات الاحزاب كرة اخرى يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى
البدو بين الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم وما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال ما قاتلوا الا قليلا الا قتالا قليلا رياء وخوفا من
التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة يجب ان يؤتسى به وهى المصابرة على الجهاد
والثبات فى المحاربة ومقاساة الشدائد والاولى لفصاحة القران ان يكون فى قوله لكم
فى رسول الله للتجريد اى لقد كان لكم رسول الله بنفسه اسوة حسنة اى قدوة يجب ان
يقتدى به كما تقول لى من فلان صديق صادق ومعناه المبالغة فى الصداقة كان من
كمال صداقته صديقا آخر لمن كان يرجو الله واليوم الآخر يرجو ثواب الله او لقاءه والعاقبة
المحمودة وهى نعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا ويجوز ان يكون يرجو الله من
باب المواطأة كما تقول رجوت زيدا وفضله اى فضل زيد والرجاء ههنا يجوز ان يكون
بمعنى الامل وبمعنى الخوف ولمن كان صفة لحسنة او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله
للذين استضعفوا لمن آمن منهم والاكثر على ان الضمير لا يبدل منه وذكر الله كثيرا قرن الرجاء
بالذكر الكثير المودى الى ملازمة الطاعة لئلا يكون رجاء وطمعا فارغا فان المقتدى برسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
لانهم وعدوا ان يزلزلوا حتى يستغيثوا ويستنصروه فى قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية
وفى قوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام
ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا
اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبوعده وتسليما لقضائه وقدره واظهار الاسمين فى
قوله وصدق الله ورسوله للتعظيم اى ظهر صدق خبرهما او صدقا فى النصر والثواب كما صدقا
فى البلاء وما زادهم ضمير الفاعل فيه لما راوا او للمشار اليه بهذا من الخطب او البلاء الا ايمانا بالله
وبمواعيده وتسليما لاوامره وتقاديره من المؤمنين رجال التنكير للتعظيم صدقوا ما عاهدوا الله
عليه اى صدقوا فيما عاهدوا عليه من الثبات مع الرسول والمصابرة على قتال اعداء الدين
فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره اى صدقنى فى سن بكره ونذر رجال من الصحابة انهم
اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن
عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم رضى الله عنهم ويجوز ان يجعل المعاهد عليه

يا ت منكن بفاحشة سيئة بليغة في القبح مبينة ظاهرة فحشها من بين بمعنى تبين يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن من النسا اي مثليه لان ما قبح من سائر النسا كان
اقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة فضل العاصي وزيادة العقاب تتبع زيادة قبح
المعصية ولذا فضل حد الاحرار على العبيد فلا يرحم الكافر وعوتب الانبيا عليهم السلام بما لا يعاتب
عليه غيرهم من الصغائر وكان ذلك اي التضعيف على الله يسيرا لا يمنعه عنه كونهن نسا النبي عليه السلام
بل هو السبب له فكيف يصير صارفا عنه ومن يقنت منكن يدم على الطاعة لله تعالى ورسوله عليه السلام
وذكر الله هنا كذكره في قوله تردن الله ورسوله لان طاعته طاعة الله كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه السلام
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرى يعمل ايضا بالبا حملا على لفظ من ويوتها على ان فيه ضمير اسم الله
واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نسا النبي لستن كاحد من النسا في الفضل واحد
في الاصل وحد بمعنى واحد واستعمل في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه
ولذلك جا ههنا بمعنى جماعة واحدة من جماعات النسا ان اتقيتن الظاهر انه بمعنى
استقبلتن احدا فلا تخضعن بالقول فلا تقلن قولا خاضعا لينا حسنا كقول المريبات واتقى
بمعنى استقبل معروف في اللغة قال النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته
واتقتنا باليد اي استقبلتنا باليد وهذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى
ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات في انفسهن والتعليق ظاهره يقتضي انهن
لسن متحليات بالتقوى فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقرى بالجزم عطفا على محل النهي على
انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول اي لا تخضعن فلا يطمع الفاجر
وقلن قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا
او من قر يقر قرارا بحذف الاول من رائي اقررن ونقل كسرتها الى القاف والاستغنا بها
عن همزة الوصل كقولك ظلن بكسر الظا وقرى قرن بفتح القاف واصله اقررن فحذفت الرا
ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن بالفتح وقيل من قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة
للجبل لاجتماعه ولا تبرجن تبرج الجاهلية مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية الاولى القديمة التي يقال لها
الجاهلية الجهلا وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس

ونوح وقيل داود وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان يكون
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام اي لا تحدثن
بالتبرج الجاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدردا رض ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل
جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امر به ونهى عنه
امرهن بالصلوة والزكوة على الخصوص ثم بالطاعة على العموم اعتنا بشانهما وايما
الى انهما اصل جميع الطاعات البدنية والمالية من اعتنى بهما حق الاعتنا الى جميعها
انما يريد الله استيناف لتعليل امرهن ونهيهن بما امرهن به ونهاهن عنه ليذهب عنكم الرجس
الذنب المدنس لعرضكم اهل البيت نصب على الندا او على المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
استعار الرجس للماثم والطهر للتقوى للتنفير عن القبايح والترغيب في المحاسن وفي التصريح
والتخصيص باهل البيت تعظيم للنبي عليه السلام وبيان لشرف اهل بيته واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة لما وعظهن بما يزكي نفوسهن جنح الى اعمال التزكية ما يحلي
قلوبهن من العلم والحكمة فذكرهن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب الجامع بين الايات الدالة
على التوحيد والنبوة وبين الحكم والشرائع المقننة بقوانين العدالة في مهابط الوحي ومنازل
العلم والهداية فيجب عليهن ان يحفظنه ولا يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا حيث
حث على ما يصلحكم وينفعكم فانزل عليكم واخبركم به وفيه تحريض على الائتمار والانتها ان المسلمين
والمسلمات المنقادين لحكم الله والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب ان يصدق
به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في نياتهم
واحوالهم واعمالهم والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات
المتواضعين لله المخبتين اليه بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في
مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة بما اقترفوا من الصغائر
التي لا يخلو الانسان منها بحكم البشرية لانها مكفرات واجرا عظيما على الطاعات روي
ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر
به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فنزلت وقيل لما نزل فيهن قال نسا المومنين فما نزل فينا

مصدوقا على المجاز كانهم قالوا له سنفي لك فاذا وفوا به فقد صدقوه من قولك صدقني اخوك اذا قال لك الصدق فمنهم من قضى نحبه بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب وانس رض قيل والنحب استعارة للموت فان الموت لازم لكل حيوان فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقضى نحبه كان هذا القائل غافل عن النذر المذكور في سبب النزول لان موجبه ان يكون النحب على حقيقته وقضاء نذرهم يجوز ان يكون كناية عن شهادتهم ومنهم من ينتظر كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه ولا المستشهد ولا من انتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اي الجنة تبديلا شيا من التبديل تعريضا لمن بدل من اهل النفاق وتبديلهم ولذلك قال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين تعليلا للمنطوق والمعرض به جعل المنافقين كانهم قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون بوفائهم عاقبة الصدق فاللام مجاز للعاقبة فانها وان امكن حملها على الحقيقة بالنسبة الى الصادقين لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن غرضا لهم ولا يستعمل اللفظ الواحد حقيقة ومجازا في استعمال واحد فيجب حملها على المجاز لان كلا الفريقين يسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ويجوز ان يراد يعذبهم ان شاء او يوفقهم للتوبة ان الله كان غفورا لقبول التوبة رحيما بعفو الحوبة ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا حالان متداخلان او متعاقبان اي متغيظين غير ظافرين ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكفى هنا بمعنى وقى يتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب فالاكثر في لسان العرب ان يكون الفاعل مصحوبا بالباء نحو كفى بالله وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم اي من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به من حصن وغيره وقذف في قلوبهم الرعب الفزع والخوف فريقا تقتلون وتاسرون فريقا انما اخره عن قوله تاسرون وغير النظم للدلالة على ان الكل منحصر في الفريقين قيل كان بنو قريظة في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد باستدعاء ابي سفيان وجاء المحاربة المسلمين فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح مع وجهه على باب

فرسا

الحجرة فنظر فاذا هو جبريل عليه السلام على فرس ابلق وعلى ثناياه النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح ونحن ما وضعنا اسلحتنا بعد ان الله يامرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك في المسلمين فخرجوا اليه ولحق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم احدا وعشرين يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رض فحكم بان تقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم فقال عليه السلام حكمت بحكم الله تع فيهم ففعل ذلك ومن الله تع على المسلمين بذلك واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم اي جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطؤها اي لم تصيروا اليها بعد قاصدين قتال اهلها وهذا وعد لهم بما جرى ارض اخرى قيل هي ارض فارس والروم وقيل هي مكة وقيل هي خيبر وفدك وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها ذكر الحيوة الدنيا توطئة وتمهيد للاختصاص اي ان كنتن تردن زينة الحيوة الدنيا وكذا ذكر الله في يردن الله ورسوله فانه لاختصاص الرسول به فتعالين اصله تعالى ان يقوله من في المكان المرتفع العالي لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين هنا اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن التسريح كناية عن رفع النكاح وذلك بوقوع البينونة سراحا جميلا لا ضرار فيه اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة رض وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله فانزل لا يحل لك النساء من بعد الاية والتعليق بارادتهن زينة الدنيا وجعلها قسيمة ارادتهن الرسول دليل على انها اذا اختارت زوجها لا تقع البينونة واما انه لا يقع الطلاق اصلا فلا دلالة فيما ذكر عليه لما نبهت عليه آنفا ان التسريح ينبئ عن البينونة وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما تنكير اجرا للتعظيم اي اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وانما عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على سبب استحقاقهن لاصل الاجر وللمزية على سائر المحسنات يا نساء النبي من

شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور ضروري لكونهما صنفين مختلفين تحت جنس
واحد فلا بد من توسيط العاطف واما عطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري
ولا لازم كن في قوله مسلمات مومنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه
الصفات وما كان وما صح لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله اي باداة الجمع دون التفريق
للدلالة على ان احد القضائين لا ينفك عن الاخر فان قضاء الله لا يظهر الا من جهة الرسول
وقضاؤه لا يكون الا بامر الله امرا ان تكون لهم الخيرة من التخير وجمع الضمير على المعنى فان النكرة
في سياق النفي تفيد العموم من امرهم هذا الجمع للتعظيم اي لا يجوز لهم ان يختاروا من امرهم
شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب وسبب نزوله خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت
فقالا رضينا يا رسول الله فنكحها اياه واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بعتقه وتربيته وما وفقك الله في حقه يعني زيدا
امسك عليك زوجك يعني زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما
انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن لذلك والقى الله في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام فقال اريد ان
افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شئ فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكن لشرفها
تتعاظم علي فقال له امسك عليك زوجك امره بامساكها وزيادة عليك لتضمين معنى
الحبس اي احبسها ولا تطلقها واتق الله في امرها ولا تطلقها تعللا بتعظيمها وتكبرها وتخفي
في نفسك ما الله مبديه من نكاحها ان طلقها زيد وهو الذي ابداه الله وتخشى الناس
اي قال الناس بانه نكح امراة ابنه وتخفي عطف على تقول والله احق ان تخشاه حال اي حقيقا في
ذلك ان تخشى الله او اعتراض اي والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان تكون الواو
في وتخفي واو الحال على وانت تخفي اي تقول امسك مخفيا في نفسك ما الله مبديه وكذا
في وتخشى يحتمل العطف ان تجمع بين ان تقول وتخفي وتخشى والحال اي تخفي في نفسك خاشيا
مقالة الناس فيك وليس العتاب في الاخفاء وحده فانه احسن بل في الاخفاء مخافة قالة
الناس فيه واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى ان يصمت فيه او يفوض الامر الى رايه حتى

لا يخالف سره علانيته لان الانبياء عليهم السلام كذلك وعن عائشة رض لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فلما قضى زيد منها وطرا اذا ابلغت بهم الاجل
بشئ وبلغ حاجته منه قيل قضى منه وطره اي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطاعت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك
وقرئ زوجتكها اي امرنا بتزويجها منك او تولينا تزويجها منك ويؤيده انها كانت تقول
لنساء النبي عليه السلام ان الله انكحني وانتن زوجكن اولياؤكن الا ان انطباق التعليل الاتي ذكره
على الاول وقيل كان السفير في خطبتها زيد وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا التعليل للتزويج وهو
دليل على ان حكمه عليه السلام وحكم المومنين واحد الا ما خصه الدليل وقضاء الوطر هنا كناية
عن الطلاق لان الحكم المذكور غير مشروط ببلوغ الحاجة منهن وكان امر الله مفعولا جملة
اعتراضية اي وكان امره الذي يريد تكوينه مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه
فروض العسكر لارزاقهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر وهو موكد لما تقدم اي سن
الله سنة في الذين خلوا من قبل في الانبياء الماضين وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وتوسعة
عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمن
عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مقطوعا
الذين يبلغون رسالات الله مجرور وصف للذين خلوا ومنصوب نصب على المدح او رفع عليه
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا للصغيرة والكبيرة فيجب ان لا يخشى
حق الخشية الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت
بينه وبين الاب والابن من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام
ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال قيل لو بلغوا كانوا رجاله
لا رجالهم ولا وجه له لما ستقف ان التاكيد بقوله وخاتم النبيين لا ينتظم معه ولا بكونه ابا
للحسين لانه قصد الولد منه لا ولد الولد ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وكل نبي
ابو امته من حيث انه يعلمهم ويربيهم ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره وعليه شفقتهم ونصيحتهم

لانى سائر الاحكام وزيد منهم وحكمه حكمهم لا انه ولد منه والا دّعا والتبنى من باب الاختصاص
والتقريب لا غير وقرى رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف اى ولكن هو رسول الله وقرى
ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اى لم يعش له ولد ذكر وخاتم
النبيين اى وكان خاتم النبيين واخرهم على قراة الكسر او ختموا به على قراة الفتح بمعنى الطابع
ولو كان له ابن بالغ لكان نبيا لما روى انه عليه السلام قال حين توفى ابرهيم لو عاش لكان نبيا
فلم يكن هو خاتما فهو موكد لكونه ليس ابا احد من الرجال ولا يقدح فى ذلك نزول عيسى عليه السلام
لانه اذا نزل كان على دينه لانه لا ينافى استقلاله فى النبوة انما ينافى استقلاله فى الرسالة
بل لانه عليه السلام كان نبيا قبله عليه السلام لا بعده فلا ينافى كونه خاتما للانبياء على انه اخرهم بعثة
وكان الله بكل شئ عليما فيعلم من يليق بان نختم به النبوة وكيف ينبغى شانه يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اذكروا الله باصناف الذكر من التقديس والتمجيد والتكبير والتهليل
وكل ما هو اهله من انواع الثنا وسبحوه بكرة واصيلا تخصيص التسبيح بالذكر من بين سائر
الاذكار بيان لفضله واختصاصه بالشرف لان التنزيه افضل الاذكار مقدم على كل حمد وثنا
والتقييد بالوقتين المذكورين لذلك ايضا اى لبيان فضلهما وشرفهما لكونهما طرفى الليل
والنهار ومجمع الملائكة ومحتفلهما ويجوز ان يراد بهما الدوام هو الذى يصلى عليكم بالرحمة
وملائكته بالاستغفار والاهتمام بالصلحكم والصلوة المشتركة من الله تع وملائكته هى
اقامة الخيرات والكمالات بما يسعد المومنين وتكميلهم او العناية بذلك مستعارة من الصلوة
التى هى شرف وكمال لهم ولهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات من ظلمات الكفر والمعاصى الى النور
الى نور الايمان والطاعات ولما كانت الملائكة واسطة الفيض كان لهم مدخل فى الامداد
النورية الكمالية وقيل هى الرحمة والرافة والتعطف المعنوية استعيرت من الصلوة المشتملة
على الحنو والانعطاف فى الركوع والسجود للحنو والانعطاف الصورى كانعطاف العائد
على المريض والمراة على ولدها ثم نقل بكثرة الاستعمال الى الترحم والترؤف المعنويين ومنه
قولهم صلى الله عليك اى ترحم وتراف ولان الملائكة وسائط الرحمة ومستجابوا الدعوة
فى الاستغفار لهم نسبت الرحمة اليهم كما نسبت الى الله على الاستغفار ترحم ويويده
قوله وكان بالمومنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم واناقة قدرهم واستعمل فى ذلك
ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم يلقونه يوم القيمة

او

او عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام باخبار السلامة عن كل مكروه وافة
والتنكير للتعظيم واعد لهم اجرا كريما فى الجنة وتغيير النظم فى تحيتهم واعد للمبالغة فيما هو اهم
وادل على الكرامة وللمحافظة على الفاصلة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا على من بعث عليهم
مقبول القول فى تصديقهم وتكذيبهم وطاعتهم ومعصيتهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله اى الاقرار به وتوحيده وبما يجب الايمان من صفاته باذنه بتيسيره لما كان
التصرف للغير فى حق المالك متعذرا انما يتيسر بالاذن استعير الاذن للتيسير والتسهيل
ايذانا بان دعا اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والاسلام او صعب متعذر الاستطاعة
الا اذا سهله الله تع ويسره ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا يغنى عن
الاذن لمعناه الوضعى وسراجا منيرا شبه النبى عليه السلام بالسراج لاستضاة من هو فى
ظلمات الجهل بنوره واهتدا من ضل بضوءه ولانه قد جلى الله تع ظلمات الشرك بنور توحيده
او نور البصائر بنور هدايته كما نور الابصار بنور السراج وبولغ فى وصفه بالانارة
لان من السرج ما لا ينير وقيل ذا سراج منير على ان السراج مستعار للقران وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا اى عطا واسعا او ثوابا جزيلا وفضيلة على سائر الامم
وصفه بخمس صفات ثم قابل كلا منها بخطاب يناسبه وصفه بكونه شاهدا واضمر ما يقابله
بدلالة عطف بشر عليه فانه مقابل لمبشرا فيجب ان يكون معطوفا على ما يناسب الوصف
الذى عطف مبشرا وهو راقب امتك وقابل نذيرا بالنهى عن موافقة الكفار والمبالات بهم
الوارد فى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم فان ذلك اشد الانواد كانه قال
خلهم وشانهم فانا اكفيكهم وذلك تهييج له عليه السلام على ما هو عليه من مخالفتهم وقابل داعيا الى الله
باذنه بقوله وتوكل على الله فانه ميسر كل عسير وسراجا منيرا بقوله وكفى بالله وكيلا اى موكلا اليه
الامر فى الاحوال كلها لان من اناره برهانا على جميع خلقه حقيق بان يكتفى به عن غيره ولا
يستعان الا به يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات النكاح العقد وتخصيص المومنات
مع ان الحكم المذكور يستوى فيه المومنات والكتابيات تعليم لما هو الاولى وتحريض عليه فان
الاولى بالمومن ان يتخير لنطفته ولا يختار للنسل الا الطيبة الطاهرة وما فى المائدة بيان
الجواز ومعنى التراخى فى ثم طلقتموهن دفع لما عسى ان يتوهم ان تراخى الطلاق مدة يمكن فيها
الاصابة موثرة فى العدة كما فى النسب من قبل ان تمسوهن المس كناية عن الجماع فما لكم

عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم
فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعتدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق للازواج
كما اشعر به فما لكم ومن قرأ تعتدونها بالتخفيف حذف الجار واوصل الفعل الى الضمير بنفسه كقوله
ويوم شهدناه اي شهدنا فيه ومنطوقه ساكت عن العدة لمجرد الخلوة الصحيحة ولا عبرة للمفهوم
فلا مانع لاطلاق الخلوة بالمساس في ايجاب العدة فمتعوهن للوجوب ان لم يكن مفروضا لهن لا نكاح
فان المفروض لها نصف المهر ويجوز ان يحمل على الراجح والاولى ان القدر المشترك بين الوجوب
والندب فيتناولهما ان متعة المفروض لها مستحبة ولا تجب الا لغير المفروض لها قبل المس
من المطلقات وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير
ضرار ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن اذ المهر
اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها والمعتبر فيه التزام كما في اعطاء الجزية وقد نبه على هذا من
قال اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد فانه في حكم الاعطاء وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك وهي صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك الجمع في العمات والخالات دون العم والخال انسق للكلام على وفق
الواقع كما في قرينه السابق اللاتي هاجرن معك مع ليس للقران بل لوجودهما فحسب كقوله
واسلمت مع سليمان والتقييد المذكور للتخصيص لما روي عن ام هاني انها قالت خطبني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي اي اتفق ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له عليه السلام
بلا مهر فالهبة المذكورة مجاز عن تمليك المتعة بلا عوض وليس معناه ان قالت وهبت نفسي
للنبي حتى ينتهض حجة في الخلافية المشهورة بيننا وبين الشافعي علينا اولنا وامرأة عطف
على ازواجك وما بعدها ولا يمنعه التقييد بان الاستقبالية لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل
اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا اي واحللنا لك امرأة
وقرئ ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اداته او على الظرف اي وقت ان وهبت او
مدة هبتها ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها
نفسها منه لا توجب له حلها الا بقبوله والارادة المذكورة عبارة عنه ولا وجه لحملها
على الحقيقة لان قوله يستنكحها يغني عن الارادة بمعناه الوضعي والعدول عن الخطاب الى

الغيبة بلفظ النبي ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به لنبوته وتكرير
تقرير لاستحقاق الكرامة لاجله وخالصة مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا اي خلص لك احلالها
خالصة بمعنى خلوصا او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف اي هبة خالصة
وقرئ بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المؤمنين اي تلك المرأة خالصة لك من دونهم
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم
يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيهما عليهم كيف ينبغي ان يفرض عليهم والعدول من عبارة
الاماء الى ما ذكر للدلالة على ان مدار الحل على ملك اليد ولذلك لا يتحقق الحل اذا تخلف ملك اليد
عن ملك الرقبة كما في المكاتبة لكيلا يكون عليك حرج علة لقوله خالصة لك وما بينهما اعتراض
لبيان الفرق بينه وبين المؤمنين ليس لمجرد التوسيع عليه كما ههنا بل لمعان من خواص النبوة
تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه
رحيما بالتوسعة في مكان الحرج ترجي بهمز وبلا همز والمعنى واحد من تشاء منهن تؤخرها وتترك
مصاحبتها فلا تقسم لها وتؤوي اليك وتضم اليك من تشاء وتصاحبها اذ تطلق من تشاء
وتمسك من تشاء ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من
ذلك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى اقرب ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن
كلهن الى قرة اعينهن وذهاب حزنهن وحصول رضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء لا
تفاضل بينهن فيتغايرن ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن على بعض علمن ان ذلك من عند الله وبوحيه وتفويضه فتطمئن نفوسهن ويرضين
ولا يتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله تعالى وفوض الى مشيئته
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل
لك النساء اي ذلك الجنس واتيان صيغة الجمع ثم ابطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظها ولم
يقل امرأة لعمومها المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة قوله من ازواج وقرئ
بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل فال نسوة فمع الفصل اجوز من بعد التسع
لانه نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته او من بعد اليوم
حتى انه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهن
من ازواج لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق احديهن وتنكح اخرى مكانها كرامة لهن وجزاء

على ما آتيتهن ورضين به فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات
عنهن ومن في من ازواج هي الاستغراقية مزيدة لتاكيد نفي التبدل من جنس الازواج ولو
اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من الضمير الذي هو فاعل تبدل اي متوضعا
اعجابك بهن او من المفعول الذي من ازواج لانه في سياق النفي فشابه المعرفة المستغرقة الا ر
الى تجويز ان تقع مبتدا وعن عائشة رض ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا يعني
ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها ان يكون الا بالسنة واما بقوله تع انا احللنا لك ازواجك
او بقوله ترجي من تشا وتؤوي اليك من تشا على المعنى الثاني وترتيب النزول على ترتيب
المصحف وقيل المعنى لا يحل لك النسا من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك
من الاعرابيات والكتابيات والغرائب والاما بالنكاح فانهن لا يناسبن منصب النبوة
وجلالة الا ما ملكت يمينك استثنا منقطع لان النسا وان كان في الاصل يتناول الحرائر
والاما لكن غلب استعماله في الازواج وهو المراد ههنا على ما مر بيانه وكان الله على كل شي رقيبا
حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل بيت النبي كيلا يسبق الوهم الى ان المراد البيت الذي هو فيه الا
ان يؤذن لكم اي الا بان يؤذن لكم او الا ماذونا ولا يجوز نصبه على الظرف لانهم قد نصوا على
ان المصدرية لا تكون في معناه تقول اجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز
اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعو
للدلالة على ان حكم النهي لا يرتفع بمجرد الاذن دلالة بفتح الباب ورفع الحجاب مثلا بل لا بد معه
من صريح الدعوة وبعضده قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته وادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او من المجرور في لكم وقرى بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا
ابراز الضمير وهو جائز عند البصريين وقرى اناه بالامالة لانه مصدر اني الطعام اذا
ادرك قيل الخطاب مخصوص بقوم كانوا يتحينون طعام الرسول فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه والا لم يجز لاحد ان يدخل بيوته الا باذن خاص والظاهر ان الخطاب عام
لغير المحارم وخصوص السبب لا يصلح مخصصا على ما تقرر في الاصول نعم يكون وجها لتقييد
الاذن بقوله الى طعام فيندفع وهم اعتبار مفهومه ولكن اذا دعيتم فادخلوا هذه الفا للجزا
ولا دلالة فيها للتعقيب بلا مهلة واما الفا في قوله فاذا طعمتم فللتعقيب بلا مهلة للدلالة

على انه ينبغي ان يكون دخولهم بعد الاذن للدعوة على وجه يقرن عقيبه الاكل كما دخلوا ففيه
تقرير لما اشير اليه بقوله غير ناظرين اناه من النهي عن الدخول للطعام قبل ادراكه فانتشروا
فتفرقوا ولا تمكثوا روي عن انس رض قال انا اعلم بهذه الاية لما زفت زينب الى النبي صلى
الله عليه وسلم كانت معه في البيت وصنع طعاما للناس فاكلوا وتفرقوا وبقي ثلاثة نفر
يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا ثم رجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت
ولا مستانسين لحديث اي ولا مستانسين بعضكم لبعض لاجل الحديث او مستمعين حديث
اهل البيت والاول موجه بسبب النزول عطف على ناظرين او منصوب على تقدير فعل اي
ولا تدخلوها ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله
واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم تعليل للمحذوف دل عليه السياق اي ولا اخراجكم فيستحيي منكم
ولذلك صدره باداة التعليل ولو كان المعنى يستحيي من اخراجكم لكان حقه ان يصدر بالواو
العاطفة والله لا يستحيي من الحق لما كان الحيا يمنع الحيي من بعض افعاله واقواله وان كان حقا
قيل ان الله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع منه امتناع الحيي وهو مجاز وعلى طريقة قوله
فلت اطبخوا الى جبة وقميصا يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم يتركه الله تع
فامركم بالخروج واذا سالتموهن الضمير لنسا النبي عليه السلام لدلالة ذكر البيوت او دلالة الحال
عليهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع من ورا حجاب ستر روي ان عمر رض قال يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من خواطر شيطانية وما كان وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي
لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رض فهم برجمها فاخبر بانه
عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم اي نكاح نسائه كان عند الله عظيما
ذنبا عظيما استيناف لتعظيم النبي عليه السلام وايجاب حرمته حيا وميتا فلذلك بالغ في الوعيد
عليه فقال ان تبدوا شيئا من نكاحهن وغيره او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شي
عليما فيعلم ذلك فيجازيكم عليه وفي هذا التعميم مع انه برهان على المقصود تهويل عظيم ومبالغة

المستعيذة

شديدة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنه روي انه لما نزلت آية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر
العم والخال مع شدة الاهتمام في البيان على ما دل عليها في عدم الاكتفاء بالانفهام في حق الاخ
فان ذكر ابنه يغني عنه دلالة لانه كره ترك الحجاب عنهما مخافة ان يصفاها لابنائهما ولا نسائهن
يعني نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد سبق
في تفسير سورة النور واتقين الله فيما امرتن به التفات الى الخطاب بعد الغيبة لاظهار الاعتناء
بامر الحجاب والتشديد عليهن في ذلك وانه من باب التعدي الواجب رعايته والمحافظة
عليه ثم اوعد على ذلك بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا سواء عنده السر والعلن لا يتفاوت
عنده شيء من الاحوال فليكن عملكن في الحجب احسن مما كان قبل الاحتجاب ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا
انتم ايضا فانكم اولى بذلك فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة ان الذين يوذون الله ورسوله
جاز ان يكون مجازا اي يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي وان يكون حقيقة وذكر الله
توطئة للتعظيم والاختصاص اي يوذون رسول الله لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا
والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يوذون المومنين والمومنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها ذلك اطلق ايذاء الله وايذاء رسوله وقيد ايذاء
المومنين والمومنات لان ايذاء الله ورسوله لا يكون الا بغير حق وايذاءهم قد يكون بغير
حق فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في ناس من المنافقين يوذون
عليا رضه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتتبعون النساء وهن كارهات يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن
واعضاءهن ويرخينها على ابدانهن اذا برزت لحاجة يقال اذا زال الثوب عن وجه المرأة
ارخي ثوبك على وجهك والجلباب الملحفة ما يستر به من كساء وغيره ومن للتبعيض لان
المرأة تلتفع ببعضها وترخي بعضها على بدنها او لان لها جلابيب كانت النساء في اول الاسلام
يبرزن في درع وخمار كما كانت عادتهن في الجاهلية لا فرق بين الحرة والامة في ذلك وربما

كانت

كانت السائل والطار يتعرضون فاذا عوتبوا فيه قالوا حسبناها امة فامرن ان يحتجبن
ويخالفن بزيهن زي الاماء فلذلك قال ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات
فلا يوذين فلا يوذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن مما يكرهن وكان الله غفورا لما سلف
منهن من التفريط رحيما بتعليم آداب المكارم لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين
في قلوبهم مرض ضعف ايمان او قلة ثبات عليه وقيل اهل الريبة والفجور والزناة من قوله فيطمع
الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة الذين يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله
فيقولون هزموا او قتلوا او بالجملة ما يكسر قلوب المومنين والارجاف الاخبار الكاذب لانه
متزلزل غير ثابت يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة
لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء الاغراء التحريش جعل مجازا عن قصدهم بالسوء اي لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عن ارجافهم لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم
من انواع التعذيب ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا عطف على لنغرينك لان النفي مما يجاب
به القسم ولو قيل لئن لم ينتهوا لا يجاورونك لكان صحيحا وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان
كان اعظم عليهم من كل بلاء واشد من كل ما اصيبوا به من العذاب فبعد حاله عن حال المعطوف
عليه اي ثم يفعل بهم ما يضطرهم الى الجلاء من المدينة والى ان يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما
يتهيئون للرحيل ويرحلون عيالهم منها ويرحلون بهم ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا
يجاورونك الا ملعونين فالاستثناء شامل له ايضا ولا يجوز انتصابه باخذوا في قوله
اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها والتشديد
للدلالة على التكثير وكذا التنكير سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر موكد اي سن الله في الانبياء
الذين مضوا من قبل ذلك سنة وهو الاخذ والتقتيل في الذين نافقوا وافسدوا ولن تجد
لسنة الله تبديلا لانه تعالى لا يبدلها ولا يقدر احد على تبديلها يسالك الناس عن الساعة عن
وقت قيامها كان المشركون يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها استعجالا على سبيل الهزء
والانكار[2] امتحانا لان الله تعالى اخفاها في التورية وفي جميع كتبه قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه
احدا لا نبيا ولا ملكا ثم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون
قريبا انها قريبة الوقوع تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين وتذكير قريبا على تاويل الشيء
او اليوم او الزمان ويجوز انتصابه على الظرف اي في زمان قريب ان الله لعن الكافرين

واهل الكتاب[2]

واعد لهم سعيرا نارا مسعرة شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يدفع العذاب عنهم يوم ظرف ليقولون او نصب باذكر ويقولون حال تقلب وجوههم في النار
كما يقلب اللحم عند الشي او من حال الى حال وهيئة الى هيئة وخصت الوجوه بالذكر لانها اشرف اعضاء
الانسان واعز وعبر بها عن الجملة وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ويقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وزيادة الالف في الرسولا والسبيلا لاطلاق الصوت
جعلت فواصل الاى كقرائن السجع وقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد
وان ما بعده مستانف وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا يعنون روسا الكفرا الذين
لقنوهم الكفر وزينوه لهم وقرئ ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين اي مثل ما اتيتنا من العذاب لضلالهم واضلالهم لنا والعنهم
لعنا كثيرا كثير العدد وقرئ بالبا اي لعنا هو اشد اللعن واعظم يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فاستحق العذاب في العقبى فبراه الله مما قالوا في حقه لما اظهر الله تع براءة
عليه السلام مما قذفوه به انقطع كلامهم فيه فبرئ عليه السلام من قولهم فحصل لهم الخجالة في الدنيا بظهور
كذبهم وافترائهم على رسولهم وذلك ما مر في القصص من تحريض قارون امراة على قذفه بنفسها
او اتهامهم اياه بقتل هرون فاحياه الله تع فاخبرهم ببراءة موسى او وعون بعيب في بدنه
من برص او ادرة لفرط تستره حيا فاطلعهم الله على انه برئ منه وكان عند الله وجيها ذا
وجاهة ومنزلة فلذلك كان يدفع عنهم الهم ويحافظ على ما وجه بصونه عن كل وصم ونقيصه
وقرئ عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عن ايذاء
رسوله وقولوا قولا سديدا السداد القصد الى الحق يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل
به عن سمتها يصلح لكم اعمالكم بالقبول والاثابة عليها وذلك بالتوفيق لصالح الاعمال لانهى عن
القول المؤذي لرسول الله قرن النهي بالامر بالقول السديد الحق وحفظ اللسان عن الكذب
والغيبة والريبة ليتعاضد الامر والنهي مترادفين عليهم مع اتباع النهي الوعد الشديد في ضمن
قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيتقوى الصارف عن الشر والداعي
الى الخير والتقى وافرد القول السديد بالذكر وان كان داخلا في التقوى لانه اجتناب من رذيلة
الكفر لفضله جنس براسه كما خص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز

فوزا

واشفقن منها م

فوزا عظيما عاش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها الاشفاق خوف مع اعتنا وحملها الانسان تقرير للوعد
السابق بتعظيم الطاعة فانه لما علق الفوز العظيم بها اراد ان يقرر انه حق لها باستعارة
الامانة لها لانها واجبة الادا كالامانة وبيانها من عظمها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام
العظام مع احكامها وقوتها وكانت شاعرة لابت ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته فجدير بالقائم بحقوقها والمراعي لها ان يفوز بخير
الدارين وسعادة المنزلين وحق لمن اضاع حقوقها ان يرهق باشد العذاب ويؤب
شر المآب انه كان ظلوما حيث لم يراع حقوقها ولم يودها ولم يف بها جهولا حيث لم
يعرف عظم قدرها وفخامة شانها فلم يودها وهذا حكم على الجنس بحسب الاغلب ووجه اخر وهو
ان يراد بالطاعة الانقياد لامر الله مطلقا بحيث يشمل الاختياري والطبيعي وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم ارادة صدورها خلقت هذه الاجرام لها عليها وطلبها خلق الانسان
لهمة وبحملها الامتناع من ادائها والخيانة فيها يقال حمل الامانة واحتملها اذا لم يودها
الى صاحبها فيخرج عن عهدتها وتزول عن ذمته لان الامانة اذا كانت عليه كانت راكبة
له وهو حاملها كما يقال ركبته الديون فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا يكون هو حاملها
وبابائها حملها اتيانها لما اراد الله منها طوعا وانقيادا وبالشفقة موافقتها لامر الله
وامتناعها من مخالفته على انها مجازات فيكون المعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها
لم تمتنع من طاعتنا وانقادت لما امرنا به وادت امانتنا ولم تخن واذعنت لما اردنا منها
كقوله اتينا طائعين واما الانسان مع كونه عاقلا عالما بوجوب طاعتنا فيه بخلاف ذلك
فانه حمل الامانة ولم يودها اي عصانا ولم يطع انه كان ظلوما لانه لم يود حقنا وامانتنا
ولم يف بعهدنا وخاننا جهولا بوخامة عاقبته ولام التعليل للعاقبة لان التعذيب
يعقب حمل الامانة ويجوز ان يراد بالامانة العقل وما يلزمه من التكليف وبعرضها عليهن
اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الابا الطبيعي الذي هو عدم اللياقة
والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها بكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد
العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم

المقصود من التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونه ظلوما جهولا في جبلته لا يكاد يخلو من الشيء منه وقرئ ويتوب بالرفع على ان العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ابتداء كلام وكان الله غفورا حيث تاب على فرطاته رحيما حيث اثاب على طاعته

سورة السبأ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان في وصف المحمود بعد اثبات الحمد لله بانه موجب لاستحقاقه للحمد فالمعنى انه تعالى حقيق بالحمد لاجل جميع النعم الدنيوية ولهذا عطف عليه بقوله وله الحمد في الاخرة على النعم الاخروية عطف المقيد على المقيد اي انه المحمود على نعم الدنيا وعلى نعم الاخرة في الاخرة وتقديم الصلة للاختصاص بكون النعم الاخروية منه تعالى بلا واسطة واما نعم الدنيا فقد تكون بواسطة من يستحق الحمد ايضا لنسبه والفرق بين الحمدين بان الاول منهما واجب دون الثاني لانه على زعمه واجبة الايصال الى مستحقها لا يتمشى على اصل السنة وذلك ظاهر ولا على اصل الاعتزال لانهم لا ينكرون التفضيل في الاخرة غايته انهم لا يوافقونا في كون الكل تفضلا ووجوبه بحكم الوعد لا ينافيه لان الوعد منه تعالى مع عدم شموله لانواع النعم الاخروية فضلا عن افرادها كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن حده على انه لا يثبت به الاستحقاق فلا يجدي نفعا في دفع الخلل فتامل وهو الحكيم في افعاله المصيب في اقواله الخبير بما في الضمائر من السرائر للايذان بانه تعالى كما يستحق الحمد لانه منعم يستحقه لانه منعوت بصفات الكمال وان انعامه على وجه الحكمة والصواب وعن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب يعلم ما يلج في الارض من ماء المطر وعروق النبات واصول الاشجار واما الكنوز والدفائن والاموات فمما يصنع الناس فيها لا مما يلج فيها والولوج الدخول في مضيق وما يخرج منها من مياه العيون والنبات والاشجار وحشرات الارض واما الفلزات فمما تخرج لا مما يخرج وما ينزل من السماء من الملائكة والكتب وقطرات الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج فيها من الملائكة والاعمال والابخرة والادخنة وغيرها والتعدية بفي لتضمين يعرج معنى يتغلغل عرج في الدرجة اذا ارتقى

وهو مع وفور هذه النعم وسبوغها الرحيم بالنعم اللدنية من العلم والحكمة والهداية الغفور للمفرطين في اداء المواجب شكرها عقبه بهذين الوصفين يعني انه تعالى مع انه اولاهم بتلك النعم وشهد منهم ذلك التقصير يزيد في تلك النعم ويغفر لهم ذلك التفريط وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكروا النفي اما انكارا واستبطاء للموعود واستهزاء وسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم رد لقولهم واثبات لما نفوه بما هو الغاية في المبالغة بتكرير الايجاب مع التاكيد القسمي واتباع المقسم به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته وقرئ لياتينكم بالياء التحتانية على ان الساعة بمعنى اليوم او على ان الفاعل عالم الغيب اي لياتينكم امره وعلى الاول كان المذكور رفعا على المدح اي هو عالم الغيب او مبتدا خبره لا يعزب عنه وقرئ عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب للمبالغة ولا يعزب بضم الزاي وكسرها من العزوب وهو البعد مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما على الابتداء ويؤيده القراءة بالفتح فيهما على نفي الجنس كقوله لا حول ولا قوة بالرفع والنصب والاستثناء في قوله الا في كتاب مبين اي اللوح يابى عطف المرفوع على مثقال والمنصوب على ذرة على ان فتحه لامتناع الصرف الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت لامتناع الصرف ويجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح بارزا عن الغيب مشهودا للملا الاعلى كما قال بعضهم ولا يتباعد المعنى لان المعنى الغيبي اذا برز للشهادة لم يعزب عنه بل بقي في الغيب على ما كان عليه مع بروزه فهي جملة مستقلة والواو عاطفة للجملة على الجملة لتناسبهما في بيان علمه تعالى بالغيب ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتاتينكم اولئك لهم مغفرة ورزق كريم اذ لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين ليفوتونا وقرئ معجزين اي معجزين الناس عن قبولها اولئك لهم عذاب من رجز الرجز سوء العذاب اليم مؤلم وقرئ بالرفع والجر ويرى الذين اوتوا العلم اي ويعلم الذين اوتوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار واضرابهما الذي انزل اليك من ربك القران هو الحق مفعولان ليرى وهو فصل ومن رفع الحق

جعله مبتدا والحق خبرا والجملة فی موضع المفعول الثانی لیری وهو فی محل الرفع علی انه کلام
مستانف للاستشهاد باولی العلم علی الجهلة الساعین فی الایات وقیل فی محل النصب عطفا
علی لیجزی ای ولیعلم العلماء عند مجیء الساعة انه الحق عیانا کما علموه الان برهانا فیحتجوا به علی
المکذبین الساعین او لیعلم علماء اهل الکتاب الذین لم یومنوا انه الحق فیزدادوا
حسرة وغما ویهدی الی صراط العزیز الحمید الذی هو التوحید والتدرع بلباس التقوی
وقال الذین کفروا قال بعض کفار قریش لبعض هل ندلکم علی رجل یعنون محمدا صلی الله علیه وسلم
وانما عبروا عنه برجل علی التنکیر ولم یذکروه باسمه مع شهرته فیما بینهم للتعجب واخراج الکلام
مخرج الاعاجیب التی لا یعرف قائلها وواضعها بل تحکی للتلهی والسخریة فلذلک اخرج
هو مخرج من لم یعرف وفی قوله ینبئکم دون یخبرکم تاکید لما ذکر فان النبا خبر فیه غرابة وشان
اذا مزقتم اذا متم وفرقتم کل ممزق نصب علی المصدر او علی الظرف علی انه اسم مکان ای
فرقتم کل تفریق وصرتم ترابا او کل موضع تفریق کبطون السباع وحواصل الطیور ومذاهب
السیول والعامل فی الظرف ما دل علیه انکم لفی خلق جدید ای بعثتم وجدد خلقکم وجدید
فعیل بمعنی فاعل من جد او بمعنی المفعول من جده النساج اذا قطعه واصله فی الثوب ثم شاع
وانما قدم الظرف اعتناء باستبعاده وایذانا بانه سبب التعجب لبعده عن العقول واصله
ینبئکم انکم تبعثون ویجدد خلقکم اذا متم فقدم واخر وغیر وبدل لما قلنا ولذلک بالغوا
فی التاکید بان واللام متعجبین من جزمه بالبعث ای لا یقنع بامکانه بل یجزم بوقوعه
محال مثله وهذا هو السبب فی حصرهم قوله علیه السلام فی الافتراء والجنون بناء علی ان کونه صدقا
حقا امر بین الاستحالة عندهم فالتردید بین قسمی الکذب افتری الف استفهام دخلت علی
الالف المجتلبة فاسقطها للاستغناء عنها علی الله کذبا اقصد والتعمد کذبا بالغا فی کذبه
ام به جنة ام حل به جنون فیقول بغیر قصد عادلوا بین الافتراء والجنون لان هذا القول
عندهم انما یصدر عن احد هذین لانه ان کان یعتقد ما اخبر به فهو مفتر وان کان لا
یعتقد فهو مجنون بل الذین لا یومنون بالاخرة فی العذاب والضلال البعید اضرب عن
تقسیمهم لبطلانه الی ان الکافرین وقعوا بسبب انکارهم للبعث وعدم ایمانهم بالدار
الاخرة فی العذاب والضلال معا ولم یفطنوا الغایة ضلالهم للقسم الثالث الذی هو الحق
وانه علیه السلام بعید من القسمین المذکورین لم یقل الا صدقا وحقا ووضع الموصول موضع

الصم

الضمیر للایذان بان سبب استبعادهم للبعث ونسبة الافتراء والجنون الیه الذی هو
الضلال المحض انما هو عدم ایمانهم بالاخرة وقرن العذاب بالضلال اشعارا بان العذاب
یلزم الضلال غیر منفک عنه کانهما فی وقت واحد لسرعة اداء الضلال الیه ووصف الضلال
بالبعد من الاسناد المجازی لان البعد صفة الضال او ابعد عن افلم یروا الی ما بین
ایدیهم وما خلفهم من السماء والارض تذکیر لهم لما هم معاینون من کمال قدرة الله تعالی وتکذیب
تهدید علی تکذیبهم ای اعموا فلم ینظروا الی ما احاط بجوانبهم من السماء والارض فیستدلوا
بذلک علی انهم فی سلطان الله تعالی یجری احکامه علیهم ان نشا نخسف بهم الارض کما فعلنا
بقارون او نسقط علیهم کسفا وقطعة من السماء کما فعلنا باصحاب الایکة لتکذیبهم بالایات
البینات بعد ظهورها ان فی ذلک ای فی النظر الی ما بین ایدیهم وما خلفهم من السماء والارض
لایة بینة ودلالة واضحة علی قدرة الله تعالی لکل عبد منیب راجع الی الله تعالی لان الراجع
الیه تعالی یتفکر فی ایاته الدالة علی انه قادر علی البعث وعلی عقاب المکذبین ولقد اتینا
داود منا فضلا ویندرج فیه النبوة والکتاب والصوت الحسن او علی سائر الانبیاء فی
زمانه وهو ما ذکر بعده من المعجزات الخاصة به یا جبال بدل من فضلا باضمار قولنا او من
اتینا باضمار قلنا اوبی رجعی معه التسبیح وقرئ اوبی من الاوب ای رجعی معه فی التسبیح
لانه اذا رجعه فقد رجع فیه وذلک بخلق صوت فیها مثل صوته معجزة له کخلق الکلام فی
الشجرة وقیل سیری معه اینما سار والطیر وقرئ بالرفع عطفا علی لفظ الجبال تشبیها للحرکة البنائیة
لکون بنائه بسبب العارض وهو وقوعه منادی مقام مبنی الاصل وهو کاف ادعوک بالحرکة
الاعرابیة او عطفا علی فاعل اوبی ای اوبی انت والطیر کقوله انت وزوجک وبالنصب
علی محله ولا تایید فی القراءة بالرفع لهذا لان مبناه علی ان یتعین فیها العطف علی لفظ الجبال
وقد عرفت انه غیر متعین مفعولا معه وقیل عطفا علی فضلا بمعنی وسخرنا له الطیر واصل
النظم ولقد اتینا داود منا فضلا تاویب الجبال والطیر وعدل الی هذه الصیغة للفخامة والجزالة
والدلالة علی کمال قدرته تعالی وعزة سلطانه وکبریائه وجعل الجبال والطیر کالعقلاء المطیعین
الذین اذا دعاهم سمعوا واجابوا واذا امرهم اذعنوا واطاعوا اشعارا بان کل حیوان وجماد
مطیع له ومنقاد لمشیته غیر ممتنع علی ارادته والنا له الحدید وجعلناه له لینا کالشمع یصرفه
بیده کیف یشاء بغیر احماء بنار ولا ضرب بمطرقة بالالانة او بشدة قوته علیه السلام ان اعمل ان

الحجارة

بحار ؟ نحاس ؟

هي المفسرة اي امرناه ان اعمل او المصدرية اي بان اعمل سابغات دروعا ضافيات يقال
سبغ الثوب اذا اعطى كل ما هو عليه وفضل منه والمراد زيادته على البدن حتى يستر الساعدين
والساقين وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وكانت ثقالا ولذلك امره بالتقدير
بان يجمع بين الخفة والحصافة اي لا تقصد الحصافة فتثقل ولا الخفة فتزول المنفعة وقدر
في السرد سرد الدرع هو ان يحكمها ويجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف ومنه سرد الكلام نظمه في
نسق واحد وقيل التقدير ان لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا تقوى الدرع
على دفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها وقيل هو في المسمار اي اجعل المسمار على قدر الحلق لا
تغلظها فتخرق ولا تدقها فتعلق وهذان القولان على الوجهين المذكورين في الاله الحديد
وذا الاخير بان درعها لم يكن مسمرة مردود لان عدم الحاجة الى التسمير على تقدير ان يكون الحديد
لينا بالانة تع واما اذا كان على طبيعته ولينه داود عليه السلام بشدة قوته فلا بد من التسمير وبهذا
التفصيل ظهر فساد ما قيل ويويد الرد المذكور ان لانة الحديد واعملوا الضمير لداود واهله صالحا
عملا يوافق امر الله تع اني بما تعملون بصير ترغيب وترهيب ولسليمن الريح وسخرنا لسليمن الريح
مسخرة فيمن رفع غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك
واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اساله من معدن النحاس فكان ينبع له نبوع الماء من
الينبوع ولذلك سماه عين القطر وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل من في محل النصب
عطفا على الريح ومن الجن حال متقدمة او في محل الرفع على الابتدا ومن الجن خبره بين يديه قدامه
باذن ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذه الاستعارة في سورة الاحزاب ومن يزغ يعدل منهم
عن امرنا الذي امرناه من طاعة سليمن عليه السلام نذقه من عذاب السعير عذاب النار قيل كان معه
ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب
اي مساجد انما عبر عن المسجد بالمحراب لاختصاصه به من بين سائر البيوت وتماثيل صورة
الملائكة والنبيين والعباد كانت تعمل في المساجد على هياكل العبادات التي اعتادوها ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولم يكن عمل التصاوير اذ ذاك حراما وجفان وصحاف كالجواب
لان الماء يجبي فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا جمع جابية وهي الحوض الكبير وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقرى بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات
على الاثافي لا تنزل عنها كناية عن عظمها وهذه الكناية كانت في منزلة التشبيه في وصفها

اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا مفعول له او حال بمعنى شاكرين او نصب على المصدر
اي اشكروا شكرا وحذف فعله لدلالة اعملوا عليه من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان
يكون مفعولا به على طريق المشاكلة بمعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم لنا شكرا
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر الاوقات فلما
قضينا عليه على سليمن الموت ما دلهم الضمير للجن على موته الا دابة الارض هي الارضة اسمها الرقة
وهو تاثر الخشبة منها بفعلها فاضيفت اليه تاكل منساته المنساة العصا لانه ينسأ بها
اي يطرد ويوخر وقرى بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن التخفيف
القياس ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاة ومن ساته اي من طرف عصاه
استعيرت من ساة القوس وفيه لغتان كقحة فلما خر تبينت الجن من تبين الشي اذا ظهر
وانجلي او من تبينه اذا تحققه ان لو كانوا يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن بدل
الاشتمال كقولك تبين زيد جهله اي تبين جهل زيد او مفعول به وعلى الاول الظهور في
المعنى للمبدل من الجن لا لهم ان ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
وعلى الثاني معناه تحقق الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حال وقوعه
فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره او على الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم
ان كبرائهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب لقد كان لسبا الانتظام في القصتين ان الاولى في
مدح الشكور والثانية في ذم الكفور وبيان جزاء كفرانه وقرى لسبا منصرفا اي لاولاد
سبا وهو سبا بن يشجب بن قحطان وبالفتح ممنوعا عن الصرف على معنى القبيلة او المدينة
بقلب الهمزة الفا في مساكنهم مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب وقرى مسكنهم بفتح الكاف
وكسرها كالمسجد والمطلع اية اي علامة تدل على ان لهم الها خلقهم ورزقهم لان ما اعطاهم من انواع
الشجر والوان الثمر كان خارجا عن وسع البشر جنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف اي
هي جنتان وقرى بالنصب على المدح ودل ذلك على ان في رفعه معنى المدح والمراد جماعتان من
البساتين لا بستانان اثنان عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل
واحد منهما لتقارب بساتينها وتظاهرها والتفاف اغصانها كجنة واحدة او بستان كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم اي قلنا على لسان
الانبياء المبعوثين اليهم او حقيق بان يقال لهم او قال لهم لسان الحال بلدة طيبة لم تكن سبخة ولا

سبخة

عاهة فيها ولا هامة استيناف للدلالة على موجب الشكر وتعليل للامر اي هذه البلدة التي
فيها رزقكم بلدة طيبة ورب غفور وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من
يشكره وقرئ بلدة وربا بالنصب على المدح او اسكنوا واعبدوا فاعرضوا عن الشكر فارسلنا
عليهم سيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم
اسم الوادي الذي فيه السكر او الوادي الذي جاء منه السيل وقيل المطر الشديد او الجرذ الذي
نقب السكر عليهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين تسمية البدل جنتين مع التهكم به ذواتي اكل خمط
الاكل بالضم والسكون هو الثمر والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك وقيل كل نبت اخذ طعما
من مرارة حتى لا يمكن اكله وقرئ اكل بالتنوين والاضافة الى خمط واذا نون جعل خمط بدلا منه
كانه قيل ذواتي اكل بشع او جعل اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في معنى البرير وهو ثمره واثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه
واجود عودا وشئ من سدر قليل السدر شجر النبق وهو مما يطيب اكله ولذلك كان يغرس في
الجنان ويرغب فيه ولذلك قيده وبالغ فيه بقوله وشئ من سدر اي بقي اثر ما منه في الجنان
المبدلة يتذاكرون به ما كان ويتحسرون عليه والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط فان
الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيا بالنصب عطفا على جنتين ذلك جزيناهم بما كفروا بسبب
كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل وتقديم المفعول على جزيناهم للاهتمام والتعظيم ولذلك
اشير اليه بذلك وهل نجازي لما استعمل الجزا في معنى العقاب قيل هل نجازي بمعنى نعاقب
اي هل نجازي مثل هذا الجزا وهو العقاب العاجل الا الكفور الا البليغ في الكفران او الكفر
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي الشام قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير قيل كان
الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا
ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ما سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال اذ لا
قول ثم ولكن لما هيئت اسبابهم ومكنوا من السير كانهم امروا بذلك واذنوا فيه ليالي واياما
امنين اي ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فانه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات
او سيروا فيها امنين وان طالت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا الليالي اعماركم
واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا بطروا طيب العيش وهو

العافية والترفه وبطروا النعمة فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان
المن والسلوى وهو ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الازواد
ويتطاولوا بها على الفقرا فجعل الله لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة وقرئ ربنا باعد على لفظ
الخبر ومعناه على خلاف وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وعدم
الاعتداد بما انعم عليهم قيل كانوا تشاحوا على ربهم وشكوا اليه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد
على الندا ورفع بين باسناد الفعل اليه وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث اي عظات وعبرا يتحدث بهم ويتمثل فيقال تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق
وفرقناهم غاية التفريق نحو غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في
ذلك لايات لكل صبار على الطاعة والبلا شكور للنعم في الرخا ولقد صدق عليهم ابليس بالرفع ظنه
بالنصب اي حقق عليهم ظنه صادقا وقرئ بتخفيف صدق على الوجهين ومعنى الاول صدق ابليس
في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك اي تجهد جهدك ومعنى الثاني قال له ظنه الصدق حين
خيل اغواءهم يقولون صدقكم ظنك وبالتخفيف ورفعهما على ان ظنه بدل منه اي صدق عليهم ظن
ابليس فاتبعوه ان جعلنا الضمير هنا وفي عليهم لبني ادم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا
الشياطين فاغواهم ومعنى صدق ظن ابليس في تخيله اغواءهم انه حين وجد ادم ضعيف العزم اصغى
الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم الا فريقا من
المومنين فقلل المومنين بالنسبة الى الكفار على ان من للبيان اي الا فريقا هم المومنون لقوله
لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون لقوله الا عبادك
منهم المخلصين وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا الا لنعلم
من يومن بالاخرة الا ليظهر علمنا بايمان من امن وشك من شك بتميزهم على مظاهر الرسول
والمومنين وقرئ ليعلم على البنا للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب عليه الجزا ولذلك علل التسليط
به في قوله ممن هو منها في شك وتغيير نظم الصلتين لايراد الجملة الاسمية وتنكير الشك وجعله
مفردا لهما لا يخفى اي ممن هو راسخ في شك عظيم لا يرعوي منه اي لا يتوب وعلى الكفر يموت
وربك على كل شي حفيظ والزنتان متاخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم حذف
مفعولا زعمتم والتقدير زعمتموهم الهة اما الاول فلطول الموصول بصلته واما الثاني فلقيام صفته
مقامه وهي من دون الله وهو حذف شائع اذا كان معلوما ولا يستقيم ان يكون هو مفعوله

الثاني لان قولك هم من دون الله لا يتم كلاما ولا يملكون لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه والمعنى
ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع ودفع ضر كما تدعون الله تعالى هل يستجيب لكم بشيء لا يملكون بانفسهم
واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر ونفع او ضر استيناف الجواب عنهم بعد امرهم اشعار بانه
متعين ضروري لا يحتمل غيره ولا يمكنهم الا فصاح عنه لكونه حجة عليهم قوله في السموات والارض
تعميم عرفي اي لا يملكون شيئا ما في موضع ما او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة وبعضها
ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر اما سماوية واما ارضية والجمل المعطوفة
على الاستينافية كلها لبيان منافاة صفاتهم للالوهية بالكلية الزاما لهم وما لهم فيهما من شرك
في هذين الجنسين من شركة في خلقهما ولا في ملكهما وما له منهم من ظهير من معين يعينه على خلقهما
وتدبيرهما يعني انهم في العجز والبعد عن صفات الربوبية بهذه المثابة فكيف يصح ان يعبدوا
ويدعوا ويرجوا كما يعبد الله ويدعى ويرجى ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا تنفعهم من جهة
الشفاعة ايضا كما تدعون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قرئ على البناءين الا لمن اذن له
ان يشفع او لمن اذن ان يشفع له فان اللام المتعلقة بالشفاعة قد تكون للشافع وقد تكون
للمشفوع له والاليق بهذا الموضع ان تكون من بمعنى المشفوع له واللام الثانية كالثابتة
في قولك اذن زيد لعمرو اي لاجله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن وقع له الاذن للشفيع
حتى يكون رادا لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي لا تنفعكم شفاعتهم لانهم لا يؤذن ان يشفعوا
حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام فان توقف الشفاعة على الاذن مؤذن بان
ثمة انتظارا للاذن وفزعا للراجين للشفاعة والشفعاء من ان لا يؤذن لهم كانه قال
يتربصون فزعين حتى كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن في الشفاعة والتفزيع كشف الفزع
وازالته وقرئ مخففا بمعنى المشدد وقرئ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفى الوجل عنها وافنى
من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وفرغ مشددا او مخففا اصل فزع بالزاي المعجمة فزع
الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم المدفوع
واصل المخفف فرغ الوجل اي انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور
قالوا اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال القول
الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من المؤمنين وقرئ الحق بالرفع وهو العلي الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك مقرب ولا نبي مرسل ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن

ارتضى

قل من يرزقكم من السموات والارض تقرير لقوله لا يملكون ولذلك امره بالجواب بعد سؤالهم بقوله
قل الله لتعينه عند العقل وفيه اشعار بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام
فهم مقرون بقلوبهم لعلمهم ان لا جواب الا هذا وان العناد وحب الشرك اداهم ان ينطقوا به
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين الذين يخصون
الرازق وحده المتفرد بالقدرة الواجب لذاته بالعبادة ومن المشركين الذين يشركون الجماد
النازل في ادنى مراتب الامكان يعني احد الامرين من الضلال والهدى وهو غاية في الانصاف
الذي كل من سمعه من الموافق والمخالف رضيه وفي طيه بعد ما تقدم من التقرير البليغ تعريض بمن هو
في ضلال من الفريقين ومن هو على الهدى ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المبكت
للخصم المشاغب وانما خولف بين حرفي التعدية لان المحق كالمستعلي على جواد يركضه حيث شاء
او على منار مشرف على كل احد مطلع على كل شيء والمبطل كالمحبوس في مطمورة لا يمكنه التقصي
منها لا يرى ما على وجه الارض او كالمنغمس في ظلام مرتبك لا يرى وجهة يتوجه اليها ثم
اتبعه بقوله قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون بما هو ابلغ من الاول في ارخاء
العنان والانصاف وبالغ فيه حتى بلغ ذروة الاخبات حيث نسب الاجرام الى نفسه
واصحابه والعمل اليهم وهو بنا على الفرض والتقدير فلا يلزم اجرامهم ولا يخلو عن التعريض
المذكور ايضا مع التهكم قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان
يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة
العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء استفسار عن شبهتهم بعد
الزامهم الحجة تبصرا اياهم بخطائهم العظيم وزيادة في التبكيت اي اروني باي صفة الحقتموهم
به في استحقاق العبادة واشركتموهم به في التعظيم وكيف قايستم الجماد الذي في غاية العجز
والذلة بالقادر الذي قهر كل شيء بقدرته كلا ردع لهم عن ذنبهم بعد ما بصرهم بابطاله عند
المقايسة بل اضراب بعد الردع عن الشرك الى حصر الالهية في الله تعالى ومحض التوحيد هو الله
العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي بصائرهم
كانه قيل قال اين شركاء وكم من هذا الوصف وهو راجع الى الله او ضمير الشان كما في قل هو الله
احد وكيفما كان فهو دال على انفراده بالوصفين الملزم اياهم الحجة وما ارسلناك الا كافة
للناس كافة من كف اذا منع صفة مصدر محذوف اي ارسالة عامة محيطة بهم فانها لهم

من ان يخرج منهم احد وقال الزجاج جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التا على هذا ان يكون للمبالغة كتا الراوية والعلامة ويجوز جعله حالا من الناس متقدمة فان تقدم الحال على صاحب المجرور مختلف فيه ومذهب ابي علي وابن كيسان وابن برهان وابن مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ولا حاجة ح الى ان يأول اللام بمعنى الى فان ارسل يتعدى باللام كقوله وارسلناك للناس رسولا بشيرا ونذيرا للمطيعين والعاصين ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط تعنتهم لا من فرط جهلهم ولذلك عطفه بالواو دون الفا متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان سوالهم عن تعيين الميعاد تعنتا وانكارا لا استرشادا جا الجواب تهديدا ووعيدا مطابقا لما قصدوه قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والاضافة للتبيين كما تقول سحق ثوب قيل ويؤيده انه قرى ميعاد يوم فابدل منه اليوم وقرى يوما على التعظيم وتقديره لكم ميعاد اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع ايضا على التعظيم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي اذا فاجاكم لا تستطيعون عنه تاخرا ولا عليه تقدما وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه من الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا الدالة على البعث روي ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عنه فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ثم اخبر عن صورة حالهم في الاخرة فقال له عليه السلام او لكل من يتاتى ان يخاطب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول اي ولو ترى في الاخرة موقفهم عند المحاسبة وهم يتحاورون ويراجعون القول وجواب لو محذوف للدلالة على ما يدخل تحت الوصف من العجب والهول والفزع يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين استكبروا للروسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم عن الايمان لكنا مومنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا اتى بصيغة المضارع تصويرا للحال ثم عدل عنها الى الماضي ولذلك ترك العاطف ههنا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاكم قد يتسع في ظروف الزمان ما لا يتسع في غيرها فيضاف بعضها الى بعض والى الجمل فلذلك اضيف بعد الى اذ واذ الى الجملة بل كنتم مجرمين اولى الاسم

الهمزة للانكار ان يكونوا هم الصادين اياهم عن الهدى بعد اذ جاهم وتمكنوا منه واثبات انهم الذين صدوا باختيارهم واثروا الضلال على الهدى ولذا اضرب عن دعواهم الاضلال عليهم الى انهم هم الذين اجرموا بسببهم وقال عطف هذا الكلام على كلامهم الاول دون كلام المستكبرين في جوابهم لانه ابتدا جواب حقه الاستيناف الذين استضعفوا للذين استكبروا وكرر المستضعفين عليهم وقابلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار مبطلين اضرابهم بالاضراب عنه الى ان الاضلال كان من جهة مكركم الدائم وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد لا من جهتنا واختيارنا واضيف المكر الى الظرف على الاتساع واجرا الظرف مجرى المفعول به اي مكركم لنا في الليل والنهار ويجوز ان تكون اضافة المكر الى الليل والنهار من باب الاسناد المجازي واضافة المصدر الى الفاعل بجعل الليل والنهار ماكرين وقرى مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين على الاصل ومكر الليل والنهار بالرفع والنصب من الكرور اما الرفع فعلى الابتدا او الخبر اي بسبب ذلك مكركم بسبب ذلك واما النصب فعلى المصدر اي يكرون الاكرار مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ بدل من الليل والنهار اي مكركم في زمان امركم ايانا بالكفر او نصب على الظرف لمكر او تعليل اي لامركم ايانا بالكفر واسروا اي اسر الظالمون الموقوفون الشاملون للفريقين الندامة لما راوا العذاب اي اخفوا الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة والتناجي ندامة المستكبرين على الضلال وندامة المستضعفين على الضلال والاتباع او اظهروها على سبيل الجزع والتضرع على ان الهمزة للازالة كما في قولك اعتبته واشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع الضمير اي في اعناقهم للتصريح والتنويه بذمهم والدلالة على ان الكفر هو الذي استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي ما يفعل بهم ما يفعل الا جزا على اعمالهم وتعديته بجزى لتضمينه معنى يقضي او بنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان الرسل كلهم منوا بما مني به من قومه من التكذيب والمفاخرة بالاموال والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين بذلك لان معظم الدواعي الى الكفر والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب التي هي منشا الطغيان ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون لان قوله من نذير في سياق النفي للعموم ولان الانبيا كلهم متفقون في اثبات التوحيد والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعون ان امكن النفي

الاسم فی قوله وما نحن بمعذبین لانهم اعتقدوا ان اختصاصهم بالصنی واسباب التنعم والرفه
انما هو لکرامتهم عند الله او قاسوا امر الاخرة علی امر الدنیا فقالوا ذلک علی ان البعث ان
وقع لم یکونوا المعذبین لانهم اکرم علی الله تع من ان یعذبهم انما المعذبون من یهون عند الله
من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال فی الدنیا وفیه استهزاء بالانبیاء واصحابهم من الفقراء واستهانة
بهم ان صدق وعدکم بالبعث فانهم المعذبون لا نحن کما فی الدنیا قل ردا لحسبانهم ان ربی یبسط
الرزق لمن یشاء ویقدر ای یوسع علی من یشاء ویضیق علی من یشاء مکرما کان عنده او
مهانا فلا التوسیع یدل علی الاکرام ولا التضییق علی الاهانة ولا تتعلق السعادة والشقاوة
بتوسیع الرزق الدنیوی وتضییقه قیل ولو کان ذلک فی کرامة وهوان یوجبانه لم یکن
بمشیئة وفیه نظر لما تقدم فی موضع ان المشیئة تجامع الایجاب انما المنافی له القدرة علی
الفعل والترک ولکن اکثر الناس لا یعلمون ذلک لعدم وقوفهم علی موافق الحکمة واسرارها فیظنون
ان الغنی والفقر وکثرة الاولاد وقلتهم فی الدنیا للکرامة والهوان عند الله تع فرد ذلک بقوله
وما اموالکم ولا اولادکم بالتی تقربکم عندنا زلفی اخبر عن الاموال بالتی علی ارادة الجماعة لان
الجمع المکسر یستوی فی تانیثه العقلاء وغیرهم وقری باللاتی لانها جماعات وقری بالذی ای
بالشیء الذی وزلفی فی محل النصب علی المصدر ای تقربکم قربة کقوله انبتکم من الارض نباتا
الا من امن وعمل صالحا الظاهر انه استثناء منقطع ای لکن من امن وعمل صالحا فایمانه
وعمله یقربانه وقیل استثناء متصل من مفعول تقربکم ای لا تقرب الاموال والاولاد احدا الا
المومن الصالح الذی ینفق امواله فی سبیل الله تع ویعلم اولاده الخیر والفقه فی الدین ویربیه
علی الصلاح او من اموالکم واولادکم علی حذف المضاف ای الا اموال من امن واولاده
فاولئک لهم جزاء الضعف بما عملوا ای یضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا الی سبعمائة واکثر
من اضافة المصدر الی المفعول اولئک لهم ان یجازوا الضعف علی الاصل وجزاء الضعف بنصب
جزاء ورفع الضعف ای لهم الضعف جزاء علی انه تمییز او مصدر لدلالة لهم علی فعله ای یجزون
جزاء ویجوز کونه حالا قسمیة بالمصدر وجزاء الضعف برفعهما علی ان الضعف بدل من جزاء
والفاء فی فاولئک للسببیة وبالغ بها وباسم الاشارة وبقوله بما عملوا فی ان الموجب للکرامة
والزلفی عند الله هو الایمان والعمل الصالح لا غیرهما وهم فی الغرفات منازل الجنة وقری فی
الغرفة علی ارادة الجنس امنون ای من کل مخوف مکروه والذین یسعون فی ایاتنا ای فی

ابطالها وصرف الناس عنها معاجزین مسابقین لانبیائنا او ظانین انهم یفوتونا اولئک
فی العذاب محضرون عبر عن موضع العذاب بالعذاب مبالغة قل ان ربی یبسط الرزق لمن یشاء
من عباده ویقدر له ای ما اعاده لان ما سبق باعتبار الاشخاص وهذا باعتبار الاوقات
بالنسبة الی شخص بدلالة له فیکون ادل علی المقصود وما انفقتم من شیء فهو یخلفه عوضا اما
عاجلا او اجلا لا معوض له سواه وهو خیر الرازقین لانه قادر علی مواصلة رزقه وزیادة ما
یشاء لمن یشاء بغیر حساب ولیس العبد کذلک والاماته حقیقة دون العبد فلا یناسب تفضیل
احدهما علی الاخر لانه یقتضی الشرکة فی اصل الفعل حقیقة ویوم نحشرهم نصب بقالوا او باذکر یحشرهم
جمیعا ای المستکبرین والمستضعفین ثم نقول للملائکة اهولاء ایاکم کانوا یعبدون توبیخا
للمشرکین وتبکیتا واقناطا لهم عما یتوقعون من شفاعتهم فهو وارد علی المثل السائر ایاک
اعنی واسمعی یا جاره وتخصیص الملائکة لا لانهم اشرف معبودیهم لان عیسی علیه السلام اشرف منهم
ولا لانحصار صلاحیة الخطاب فیهم بل لان مبدا الشرک عبادتهم قالوا سبحانک تنزیها لک ان
یعبد معک غیرک انت ولینا انت الذی نوالیه من دونهم لا موالاة بیننا وبینهم ارادوا باثبات
موالاة الله تع ونفی موالاتهم براتهم من الرضا بعبادتهم لان تخصیص موالاتهم به تع واثبات
معاداتهم اباهم ینافی ذلک ثم اضربوا عن عبادتهم لهم ای اثبات عبادتهم للجن بقولهم بل کانوا
یعبدون الجن ای الشیاطین الذین یخیلونهم ذلک لانهم اطاعوهم فی عبادة غیر الله تع او
یتمثلون الصور الخبیثة ویحسبونها ملائکة اکثرهم بهم مومنون انما قال اکثرهم لان عبادة
بعضهم کان عن وهم واحتمال لا عن تصدیق واعتقاد فالیوم لا یملک بعضکم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ الامر یومئذ لله تع فلا یملک احد شیئا من الضر والنفع لا لغیره ولا لنفسه وانما نفی الملک دون
القدرة لما فی البعض من القدرة علی الشفاعة باذن الله تع ونقول عطف علی لا یملک مبین
للمقصود دین تمهید للذین ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصیص العقاب بالذین ظلموا التصدیر
المقاولة بهم فی قوله ولو تری اذ الظالمون فحتم باختصاصهم بالعقاب لان الکلام فیهم
وفی قوله التی کنتم بها تکذبون دلالة قاطعة علی ان عود الضمیر علی المضاف الیه لا یخل
حسن الکلام اذا لم یکن فی محل الاشتباه واذا تتلی علیهم ایاتنا القران بینات واضحات
الدلالة علی اعجازه قالوا ما هذا یعنون الرسول علیه السلام الا رجل یرید ان یصدکم الصد
الصرف عن الخیر عما کان یعبد اباؤکم عن دین ابائکم وقالوا ما هذا یریدون القران

الا افك كذب مفترى على الله وقال الذين كفروا للحق لامر النبوة او الاسلام او للقرآن والاول اى اطلاق الكذب عليه باعتبار معناه وهذا اى اطلاق السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته لما جاءهم ان هذا اى الحق الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى الاشارة بهذا فى المواضع الثلاثة تحقير دال على جرأتهم على الله تعالى ورسوله عليه السلام وكتابه ورسالته فلهذا قوبلت بما يدل على غضب شديد وانكار عظيم من كفرهم بليغ بايقاع الموصول والصلة موقع الضمير فى قوله قال الذين كفروا وتعريف الحق وايراد لما الدالة على مبادهتهم بالكفر وتسمية الحق النير بالسحر المبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها ليقرؤونها وفيها دليل على صحة الشرك او اربه وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او للتكثير حال من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم العقاب على تركه وقد بان من قبل بالبرهان وجه بطلانه فمن اين وقعت لهم الشبهة وهذا غاية فى تجهيلهم وتسفيه رايهم ويجوز ان يكون معناه انهم قوم جهال اميون لا كتاب لهم ولا نبى نشأوا على طباعهم الجاهلية فى الجاهلية لا ثبت لهم بوجه ولا تمسك بشبهة كقوله ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ثم هددهم بقوله وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة والقدرة وطول الاعمار وعظم الاجرام وكثرة الاموال وقيل معنى المعشار عشر العشر فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى فكيف كان حالهم فى التدمير والاستئصال حيث لم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء ويجوز ان يكون المعنى وبلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فاستؤصلوا مع ان الحجج والبينات لم تتكرر عليهم كما تكررت على هؤلاء فكيف كان حالهم فى انكارى فكيف يكون حال هؤلاء مع تكرر البينات وتكثرها فليعتبروا بحالهم وليحذروا من مثلها فكذبوا عطف على كذب الذين عطف المقيد على المطلق بالفاء السببية اى فعلوا التكذيب واقدموا عليه حتى تعودوا به فصار سببا لتكذيب رسلى ويجوز ان يعطف على ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عمرو عليه قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة ان فعلتم اصبتم الحق وتخلصتم وفسرها بقوله ان تقوموا لله خبر مبتدا محذوف اى هى ان تقوموا والمراد القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يكون عطف بيان لان واحدة

نكرة وان تقوموا لله معرفة تقديره قيامكم لله والتخالف فى عطف البيان لم يذهب اليه ذاهب مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين متناظرين على النصفة دون العصبية والجدال او واحدا واحدا متفكرين فان الاجتماع والازدحام مما يشوش الخاطر ويعمى البصائر ويهيج الغضب والتخاصم او تقوموا بهذا الامر من قولهم قام بالامر اذا جد فيه ومعنى لله خالصا لوجه الله معرضا عن المراد والتقليد ثم تتفكروا فى امره عليه السلام ومحله الجر على البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فانما فيه متعلقة بتتفكروا فتعلموا ما فيه من جنة ويجوز ان يكون استئنافا تنبيها من الله لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه يتصدى لادعاء مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة من غير تحقق بيقين وتوقف برهان مبين فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقى نفسه فى معرض الهلاك كيف وقد انضم اليه آيات باهرة ومعجزات قاهرة ويجوز ان تكون استفهامية اى ثم تتفكروا فى احواله واقواله وافعاله هل فيها ما يدل على ان به جنة وقوله ان هو الا نذير لكم يرجح كون ما نافية بين يدى عذاب شديد قدامه لقوله عليه السلام بعثت فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم جزاء الشرط اى اى شئ سألتكم من اجر الرسالة فهو لكم ويجوز ان تكون ما موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط والغرض نفى الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتنى شيئا فاسره وهو يعلم انه لم يعطه شيئا واثبات الاجر لهم وهو ما اراد بقوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وبقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى لان اتخاذ السبيل الى الله تعالى نفعهم وكذا مودة قرابته فان فيه قربانهم الى الله تعالى وعلى الاول قيل كانه جعل النبى مستلزما لاحد الامرين الجنون وتوقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون بان يكون لغرض اولا واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما ولا يخفى ضعفه لان توقع النفع الدنيوى غير منحصر فى سؤال الاجر وذلك ظاهر ان اجرى الا على الله اى ما ابتغى عليه الا الثواب من الله تعالى وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وانى لا اطمع فى شئ ولا اتوقع اجرا الا منه قل ان ربى يقذف بالحق القذف مستعار من معناه لمعنى اى يلقيه الى انبيائه او يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب خبر ثان او صفة لربى محمولة على ان واسمها او خبر مبتدا محذوف او بدل من المستكن فى يقذف وقرئ بالنصب صفة لربى او على المدح اى اعنى واخص وقرئ بكسر العين كالبيوت وبفتحها كالصبور على انه مبالغة وهو البليغ فى الغيبة

والحق قل جاء الحق الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الباطل وهو الشرك بحيث
لم يبق له اثر ولا يبدي ولا يعيد مثل في الهلاك لان الحي اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا
هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فصار مثلا فيه ومنه قول عبيد أقفر من اهله عبيد فاليوم
لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده انما المنشئ والباعث هو
الله وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام قل ان ضللت عن الحق
فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اصل الكلام
ان ضللت فبما وسوس الي الشيطان فضرره على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي ونفعه لها
فعدل الى ما ذكر فبين في احد القسمين الحكم وفي الآخر السبب اكتفاء بما فهم مما ذكر في احدهما حال
الآخر وهذا غاية الايجاز وقلما يتنبه لمثله الا الحذاق انه سميع قريب يسمع ويرى قول كل
ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء وان خفا ولو ترى اذ فزعوا حذف جواب لو
للتهويل اي لرايت امرا هائلا لا يمكن وصفه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة
او وقت الموت وقيل يوم بدر ولو واذ والافعال الماضية بعدهما وهي فزعوا واخذوا
وحيل وقيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال للدلالة على تحقق وقوع معانيها عند الله
وكل ما يفعل الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي لتحقق وقوعه لا محالة فكانه قد وقع فلا
فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه اي فوت لهم واخذوا من مكان قريب من الموقف
الى النار او من ظهر الارض الى بطنها او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اي
فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده
انه قرئ واخذ معطوفا على محل لا فوت اي لا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي
بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم او للعذاب المذكور في قوله بين يدي عذاب شديد
وانى لهم التناوش ومن اين لهم التناول السهل من مكان قريب يعني تناول الايمان
من مكان بعيد فانه يكون في حيز التكليف وقد بعد عنهم تمثيل لطلبهم المستحيل وهو ان ينفعهم
الايمان وقت العذاب في الآخرة كما نفع المؤمنين في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان
يتناول الشيء من علوه كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا وقرئ التناؤش
بهمز الواو المضمومة كما همزت في اجؤه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمزة التناوش
من بعد من قولك نأشت اذا ابطأت وتأخرت به وقد كفروا به اي بمحمد عليه السلام او بالعذاب

من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به ويتكلمون بما لم يظهر
في رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم ساحر وشاعر وكذاب ولم يشاهدوا منه شيئا من
ذلك من مكان بعيد اي فقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة عن حاله عليه السلام لانه ابعد شيء
من عادته التي هو معروف بها الزور والكذب وعلى تقدير عود الضمير على العذاب معنى قذفهم
بالغيب قياسهم امر الآخرة على امر الدنيا وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيد والعطف على
وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا آخر لهم بان مثلت حالهم في طلب
المستحيل وهو نفع الايمان في الآخرة بمن يقذف شيئا الى من لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه لغاية بعده وقرئ يقذفون على البناء للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد
الى الدنيا كما حكي عنهم بقوله فارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة
الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل
اذا صار ذا ريبة ودخل فيها في كلا المعنيين والفرق ان المريب بالمعنى الاول منقول ممن يصح
ان يكون مريبا من الاعيان والمعاني الى منقول صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر

سورة الفاطر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر وهو الشق فاستعمل
في الخلق على طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه بمعنى الماضي على انه قرئ بلفظ
ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا وسائط بينه وبين عباده
يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة اولي اسم جمع لذو وهو بدل
من رسلا او نعت له مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة غير منصرفة اي صنف منهم اجنحتهم اثنان
اثنان وصنف اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وصنف اربعة اربعة وتفاوتها بحسب تفاوت مراتبهم
وامورهم التي تخرت لها وما روي انه عليه السلام راى جبريل ليلة المعراج له ستمائة جناح فلعله
مخصوص به فلم يذكر لانه ليس من جنس المكرر يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان
الاختلاف المذكور امر تقتضيه مشيئته وحكمته وانما عم الخلق ليتناول كل زيادة في
جميع الخلائق كحسن الصورة وحصافة العقل وذكاء القلب وشهامة ونجابة النفس ونهامتها

الى ما لا يتناهى ان الله على كل شي قدير استيناف للتعليل فان القدرة الكاملة الشاملة لا بد لها من
مرجح لا من خارج لانه ينافي كمال القدرة فهو المشية ما يفتح الله للناس استعير الفتح للاطلاق والارسال
واوما الى استعارة له بقوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له من رحمة تنكيرها للاشاعة والتعميم اي
من اية رحمة كانت معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد يقدر على
امساكها وما يمسك قيد المرسل بالرحمة وقدم لانها الاصل واطلق الممسك ليتناولها وغيرها
من النعمة والغضب استعارا لقوله سبقت رحمتي على غضبي فلا مرسل له فلا احد يقدر على ارساله
انث ضمير الاسم الاول المتضمن للشرط على المعنى لتفسيره بالرحمة وذكر الثاني على اللفظ لاطلاقه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب القادر على ما يشا ليس لاحد ان ينازعه في الارسال
والامساك الحكيم الذي لا يفعل ما يفعل الا بحكمة واتقان علمه ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
المتصرف في الكل على الاطلاق امر الناس بشكر نعمه وتخصيصه به تع فقال يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم الخطاب عام وكذا النعمة ولا عبرة في الخصوص في سبب النزول والمراد بذكر
النعمة شكرها بالقلب واللسان والجوارح برويتها منه لا من غيره واداء حقوقها بالثنا على
المنعم والطاعة له واستعمالها في مراضيه ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به
بقوله هل من خالق غير الله قرى بالحركات الثلاث اما الرفع فللحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل
او تفسير لعامله ان جعلته مرفوع المحل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما الجر
فللحمل على اللفظ واما النصب فعلى الاستثنا يرزقكم من السما والارض صفة لخالق او تفسير لعامله
ان جعلته مرفوع المحل باضمار فعل او بالابتدا اي هل يرزقكم من خالق او استيناف دل على ان لا خالق
غير الله وعلى وجوب شكر نعمته فهو احسن الوجوه وعلى الوجهين الاخيرين لا محل له من الاعراب
لا اله الا هو جملة مفصولة مثل يرزقكم في الوجه الثالث ان لو وصلته مثل يرزقكم في الوجهين
الاولين يفسد المعنى لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا هو ذلك الخالق متناقض
فاني تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث له على التاسي بالرسل السابقين في
الصبر على تكذيبهم اي وان يكذبوك بالرسل العظام فاصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضعه لبيان السبب واستغني بذكر السبب عن المسبب ايجازا وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي لزيادة التسلية والحث على الصبر اي رسل عظام ذوو اعدد كثير واولوا ايات بينات

وقد نعي بها على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها بعد التقريع البالغ في قوله
فاني تؤفكون والى الله ترجع الامور وعد ووعيد اي فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب
يا ايها الناس ان وعد الله حق الجزا بالثواب والعقاب حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا وشهواتها فيذهلكم التمتع بها عن السعي للاخرة وطلب ما عند الله
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان فانه هو البالغ في التغرير بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار
على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على الدفع وقرى
بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقعد وقعود ان الشيطان لكم عدو
تذكير لبني ادم ما فعل بابيهم ادم بالاغوا والتغرير وتحذير عن موالاته فاتخذوه عدوا بالغ
العداوة في عقائدكم وافعالكم على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير مبالغة في التحذير عن عداوته بتقريرها وبيان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع
الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير وعد لمن اجابه ووعيد لمن خالفه وبني الامر على الايمان والعمل الصالح او تركهما
ليقطع الاطماع الفارغة ويهيج الهمم العالية ولما ذكر الفريقين قرر الوعد والوعيد بقوله
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اي فمن زين له سوء عمله لعله حسنا كمن لم يزين له بل وفق
لنظر الصحيح فعرفهما وراى الحق حقا فاستحسنه واختاره وراى الباطل باطلا فاستقبحه وتركه والهمزة
للانكار دخلت على الفا العاطفة لانكار الجهل وفقد النظر والتمييز اي ابعد ما تبين عاقبة الفريقين
من فقد التمييز واتبع الشيطان وراى القبيح الذي زين له حسنا كمن ليس كذلك وانما حذف
الجواب لدلالة فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا عليه وقال الزجاج الجواب ذهبت
نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اي فلا تهلك نفسك للحسرات
وعليهم صلة تذهب كقولك هلك عليه حبا او بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان
صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا يجوز ان يكون حالا على انها كلها صارت حسرات لفرط التحسر
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف
عليهم وقرى فلا تذهب نفسك اي فلا تهلكها والفاات الثلاث للسببية غير ان الاوليين
دخلتا على السبب والثالثة على المسبب ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء
صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية وقد خولف به عن

قبله وما بعده الى المضارع استحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة
من اثارة الريح السحاب وما يقارنه من انزال المطر وغيره وهكذا يعبر النظم في كل امر عجيب
وفعل مخصوص بحاله تقريبا لفهم المخاطب او تمييز بنوع شرف وغير ذلك والتفت فسقناه
الى بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذي هو ادل على الاختصاص بالقدرة الباهرة والضمير
في فاحيينا به الارض للمطر الدال عليه السحاب او للسحاب لانه سبب السبب فهو سبب
او للاشتراك له بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور
الاموات في صحة المقدورية اذ لا فرق بينهما الا احتمال المادة في المقيس عليه ولا مدخل
له فيها وقيل في كيفية الاحياء ان الله تع يرسلها من تحت العرش تنبت به اجساد الخلق
من كان يريد العزة اي القوة والقدرة والمنعة فليطلبها من عند الله تع فحذف الجزاء
استغناء عن المدلول بالدليل وهو قوله فلله العزة جميعا اي عزة الدنيا والاخرة ثم بين ان
الذي يطلب به العزة هو التوحيد والعمل الصالح فقال اليه يصعد الكلم الطيب هو قول
لا اله الا الله وصعوده اليه مجاز عن قبوله اياه والمستكن في يرفعه للكلم لان الصاعد
بنفسه هو ولا خلاف في ان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والايمان ويؤيده القراءة بنصب
العمل وقيل لله تع والمرفوع العمل وتخصيصه بهذا الشرف لما فيه من الكلفة والكلم اسم جنس
من الاجناس التي يفرق بين واحدها والجنس بالتاء كثمرة وقرئ يصعد على البناء للمفعول
ويصعد على البناء للفاعل من اصعد ونصب الكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعد الى
الله تع والذين يمكرون السيئات نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات او المضاف
الى أو ضمن يمكرون معنى يكسبون فنصب السيئات مفعولا به والمراد مكرات قريش في
دار الندوة وقد مر تفصيلها في الانفال لهم عذاب شديد لا يعدى دونه بما يمكرون به
ومكر اولئك هو يبور اولئك اشارة الى الذين يمكرون السيئات جي به للدلالة على
عظم مكرهم وانه لخبثه اوجب فساده وعدم نفاذه وتوسيط هو للحصر اي هو خاصة
يبور ويفسدون مكر الله تع بهم وكون الامور مقدرة لا تتغير لا يصلح علة لفساد مكرهم
لما قررناه في مواضع من انه لا تأثير في التقدير كما زعمه الجبرية ولا دلالة على ذلك في قوله
والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا
ذكورا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له لما ثبت

علا سال ...

اعتلاف ...

والعمل الصالح يرفعه

القدرة الكاملة والعلم الشامل اراد اثبات القضاء والقدر فقال وما يعمر من معمر من باب
تسمية الشيء بما يؤول اليه اي وما يعمر من احد الا ترى انه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص من عمره
والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح ثقة بفهم السامع هذا بحسب الجليل من النظر واما النظر
الادق فيحكم بان الصحيح ان المعمر اي الذي قدر له عمر طويل يجوز ان يبلغ حد ذلك العمر وان لا يبلغ
عمره فيزيد على الاول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغير في التقدير وذلك لان المقدر
لكل شخص انما هو الانفاس المعدودة لا الايام المحدودة والاعوام الممدودة ولا خفاء في
ان الايام قدر من الانفاس تزيد وتنقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا
السر العجيب الا في كتاب وهو اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الزيادة
والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين
العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر والعذب ما يقمع العطش ويردعه من اعذب عن الشيء
اذا امسك عنه والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والملح الذي فيه
ملوحة ولا يقال مالح والاجاج اشد المياه ملوحة وهو الذي شدة ملوحته تلهب ويقال اججت
النار الهبتها والاجة شدة الحر ثم وصف البحرين بما فيهما من النعم والفوائد على سبيل الاستطراد
امتنانا وتفضلا فقال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها انما غير النظم
حيث لم يقل وتلبسون حلية لتفاوت الحال حيث كان الاول سهل المأخذ دون الثاني
وفي زيادة السين نوع دلالة الى مزيد كلفة في اخراجها وفي عبارته دلالة على ان قوله تع يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان على ظاهره ويجوز ان يكون وصفهما من تمام وهو انهما مشتركان في
فوائد كثيرة كما ان الكافر وان كان المقصود من الانسان فيه مفقودا كالمقصود الاعظم
من الماء في البحر الملح ولكن قد يشارك في فوائد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وامثالهما وان
الملح وان لم يبق فيه خاصة الماء وفسد جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر لكنه مفضل
عليه بان فيه فوائد كثيرة ومنافع جمة بخلاف الكافر فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريقة
قوله تع فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق
الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واضمر للعلم به تع ولعيبه واللام
متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون لعل مستعار
من معنى الترجي للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل وعطف على قوله لتبتغوا كانه

قال لتبتغوا من فضله ولتشكروا على ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قد سبق تفسيره في سورة لقمن ذلكم اشارة الى الموصوف بالصفات
المذكورة وفيه اشعار بان فاعلية لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة الله ربكم له الملك ذلكم مبتدا
الله عطف بيان ولا يجوز ان يكون صفة لانه علم والعلم لا يوصف به له الملك جملة استينافية
مقررة لمعنى التعظيم الذي في ذلكم او لمعاني الصفات المذكورة او ثلاثتها اخبار مترادفة ولا يأبى
المعنى عن خبرية ربكم لانه يكون قد اخبر بانه المشار اليه تلك الصفات والافعال او الله ربكم
خبران وله الملك جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب واقعة في قران قوله والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير مقدمة منضمة الى الاولى لينعقد القياس منهما برهانا دالا على انها
لم تصلح للالهية ولم تستحق العبادة والقطمير القمع الذي في راس التمرة وقيل لفافة النواة ثم
قرر نفي الالوهية عنها بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض والتقدير ما استجابوا لكم بتحصيل مسئولكم لعدم قدرتهم على شيء ويوم القيمة يكفرون
بشرككم هذا على ان يكون الكلام في الاصنام فجحدهم بان ينطقهم الله يوم القيمة فينكرون ان
يكونوا اهلا للعبادة او ينكرون ان تكون تلك العبادة حقا وانما ذكر افعالهم بالواو والنون
لانه وصفهم بصفات العقلاء وان كان في الملائكة والانبياء فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم عنكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون ذلك ومعنى انكارهم شرككم انهم يوم
القيمة يقولون ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يعبدون الجن او ينكرون ان يكون
ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير التنكير للتعظيم اي ولا يخبرك بحقيقة الامر على ما هو عليه خبير
مثل خبير اي خبير عليم بكل خفية وجلية يعني ما اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لا في
خبير بكل شيء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للماهية
بناء على المبالغة وتوسيط انتم للحصر اي انتم جنس الفقراء مطلقا دون سائر الخلائق يعني انكم
لكثرة حاجتكم وشدة افتقاركم وغاية ضعفكم بالنسبة الى سائر الخلائق كانكم جنس الفقراء ليس
غيركم فقراء ولذلك قابل قوله والله هو الغني مطلقا وبالذات لوجوب وجوده لا غنى سواه
لاحتياج الكل اليه وزاد عليه الحميد لان الغني قد لا يجود فلا يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد
انعم عليهم بالوجود وكل ما يحتاجون اليه فكان حميدا مطلقا ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يقوم الخلق مقامكم وما ذلك على الله بعزيز بعسير ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمه

اثم نفس اخرى فلا تغتروا بقول اكبر ائمة الغافلين ولنحمل خطاياكم ولا يخالف هذا قوله في حق الضالين
المضلين وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لان الحملين كلاهما من اوزاره وان تدع مثقلة نفس
اثقلتها الاوزار الى حملها لحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لا يحمل شيء من وزرها اي لا غياث لمن
استغاث منهم حذف مفعول ان تدع للتعميم اي وان تدع كل من في العالم واحدا واحدا لم يجب
ولهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربى ذوي قربى على حذف الخبر ويجوز ان يكون كان تامة
٧ الا ان الناقصة اوقع والفصح انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه
غائبين عن عذابه او من المفعول اي يخشون عذابه غائبا عنهم او نصب على الظرف اي
في السر والغيبة من الناس واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار واختلاف الفعلين
للدلالة على استمرار خشيتهم ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه
لها وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير
ترغيب وترهيب وما يستوي الاعمى والبصير مثل اخر للكافر والمؤمن او للصبي والبالغ وتاخير
البصير لمحافظة الفاصلة ولا الظلمات ولا النور مثل للباطل والحق وانما جمع الظلمات دون
النور لان الحق واحد بخلاف الباطل فانه على انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل للثواب
والعقاب والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل غلب على ما يكون بالليل والسموم ما
يكون بالنهار والواوات بعضها عاطفة الوتر على الوتر كالتي بين الاعمى والبصير
وبعضها عاطفة الشفع على الشفع كالتي بينهما وبين ولا الظلمات ولا النور وكرر لا فيما كرر
لتاكيد المنافاة فالظلمات تنافي النور والظل ينافي الحرور والاعمى لا ينافي البصير انما المنافاة
بين الوصفين ولذلك يكون الشخص الواحد بصيرا في وقت اعمى في وقت اخر فلهذا لم يذكر
لا بينهما وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثل للعقلاء الذين دخلوا في الاسلام والجهال
الذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر اثر صيغة الجمع ههنا لانه اراد المساواة بين الافراد
اي ليس في جنس الاموات فرد يساوي فردا من جنس الاحياء ولا صحة لهذا المعنى في الاعمى
والبصير فانه قد يوجد في جنس الاعمى ما يساوي بعض افراد البصير بل يفضل عليه فلذلك
اثر فيه صيغة الافراد تفضيلا للجنس على الجنس ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته
والايقاظ بعظاته وبناء الفعل على الاسم يفيد انك لا تسمع من تشاء وما انت بمسمع من في
القبور رد ما منك في ارادة اسلام من بها من قوم محمد ولكن لا مثل من يريد ان يسمع من

في القبور وهو ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ثم قال
ان انت الا نذير اي لست بمسمع فان الاسماع ليس اليك ولا حيلة لك في اسماع المطبوع على قلوبهم
ما عليك الا الانذار انا ارسلناك بالحق حال من احد الضميرين اي محقين او محقا او صفة مصدر
محذوف اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق وان من امة الامة الجماعة الكثيرة والمراد بها هنا اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم
قائم مقامه في الانذار وانما خصه بالذكر لان البشارة انما تكون بالسمع فهي من خصائص الانبياء
فالبشير لا يكون الا نبيا او ناقلا عنه بخلاف الانذار فانه كما يكون بالسمع يكون بالعقل فلذلك
وجدان في كل امة دون الاول ولا يشكل هذا بقوله تع وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
لان المراد من النذير فيه النذير بالسمع وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم مسلاة للرسول
عليه السلام جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير
وبجنس الكتاب كالتورية والزبور والانجيل ولما كانت الاشيا المذكورة في جنس الانبيا بعضها
في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب اسند المجي بها اليهم مطلقا على ان
الكل منهم جاؤا بالكل لا ان كل واحد منهم جا بكل واحد ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان
نكير قد سبق تفسيره في سورة سبا الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها اي اجناسها كالرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى او اصنافها على
ان كلا منها اصناف مختلفة او هيآتها من الحمرة والصفرة ونحوها ومن الجبال جدد طرائق
مختلف الوانها اي جبال كل بعض منها على لون وطريق مخالف للاخر كما في الثمرات او من الجبال
ذو جدد اي جنس ذو خطط بيض وحمر مختلف الوانها اي بعض مختلف الالوان وبعض على
لون واحد وقرئ جدد بضم الدال جمع جديدة وهي الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد اي ومن الجبال خطط ذو طرائق مختلفة ومنها
ما هو على لون واحد غرابيب والغربيب البالغ في السواد وهو من التوابع المؤكدة ومنه
الغراب وعليه تفسير عكرمة ووجهه ان يضمر المؤكد قبله لانه تابع ثم اوقع بيانا له خيفة
اللبس كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وتفسير الاصل فيه لزيادة التاكيد كانه
دل على المعنى الواحد بطريق الاضمار والاظهار فيكون كتكرير التاكيد بوجه ابلغ ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده

العلمآ ما يخشى الله تع من بين عباده الا العلماء بالله وبصفاته وافعاله فان الخشية على قدر العلم
فمن كان اعلم بالله كان اخشى منه وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية ولهذا لما ذكر افعاله
الدالة على كمال قدرته وعظمته وحكمته اتبعه بقوله انما يخشى الله اي انما يخشاه مثلك ومن على
صفتك ممن يعرفه حق معرفته وتاخير الفاعل للحصر فيه ولو قدم لانعكس الحصر فكان في المفعول
ومن قرأ برفع الله ونصب العلمآ استعار الخشية للاجلال والتعظيم اي انما يجل الله من بين الناس
كما يجل المهيب المخشي الا العلمآ ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لان من قدر على العقوبة
والانتقام والعفو والغفران حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءة
القران واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم يعني لا يقنعون بتلاوته عن حلاوة العمل
به سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما او سرا في المسنونة وعلانية في المفروضة
يرجون خبر ان او حال من ضمير انفقوا والخبر انه غفور شكور تجارة تحصيل ثواب بالطاعة لا
طلبه لانه لا يصلح متعلقا للرجاء لن تبور لن تكسد ولن تهلك يعني بالخسران صفة للتجارة ليوفيهم
متعلق بلن تبور او بيرجون او علة للافعال المذكورة من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق
اي فعلوا من الطاعات راجين تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ما وعد من ثواب اعمالهم
وانما عبر عنه بالاجر لكونه في مقابلة العمل ويزيدهم على الموعود من فضله متعلق بجميع ما ذكر من
التوفية والزيادة لا للزيادة خاصة اذ ح يلزم ان لا يكون شيء من التوفية متفضلا بل
مؤديا بما وجب عليه كما زعمته المعتزلة انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم مجاز عن اعطاء
الجزيل على العمل القليل والذي اوحينا اليك من الكتاب القران ومن للتبيين او الجنس ومن
للتبعيض هو الحق اي الكامل في كونه حقا مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
لما بين يديه من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير بالبواطن بصير بالظواهر فلو لم يرك اهلية
واستحقاق لهذه الكرامة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو كسائر الكتب وتقديم الخبير
لان الاعتقاد بالامور الروحانية اكثر وهي العمدة ثم اورثنا الكتاب اي اعطيناه بلا كلفة
كسب كمال الميراث الذين اصطفينا من عبادنا يعني امة محمد عليه السلام فانهم مختارون من بين
سائر الامم وفي عبارة اورثنا اشارة الى ان الكتاب المذكور يكون باقيا في هذه الامة يرثه
بعضهم من بعض الى قيام الساعة ولا يضيع كما ضاع سائر الكتب فالمعنى نورثه على عادة الله تع
في اخباره عما يتحقق وقوعه وكما ان ورثة الدنيا ثلاثة اصناف صاحب فرض وعصبة وذوي

الارحام كذلك ورثة الدين ثلاثة اصناف فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش عاصيا ومات
عاصيا من اهل الايمان الذين قال النبى عليه السلام فيهم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى قدم
اهتماما لانه ابعد الاصناف عن كرامة الاصطفا واللام للاختصاص لان فعل الظلم يتعدى
بنفسه وفائدة الاحتراز عن الظلم لغيره لان البغى وزعمه فى عهدة ذلك الغير ومنهم مقتصد
وهو من عاش عاصيا ومات مطيعا ومنهم سابق بالخيرات وهو من عاش مطيعا
ومات مطيعا نقل عن عمر بن الخطاب رضه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور فالاصناف المذكورة على
مراتب فى الوصول الى المقصد متاخر ومتوسط وسابق حاز قصب السبق لكن لا بفضيلة
ذاتية كما فى سباق الدنيا بل بفضل الله تع والى هذا اشير بقوله باذن الله بتيسيره وقد
سبق وجه هذا المجاز والبا الاولى للتعدية من قولك سبقته بالكره اذا صرتها قبله
ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة ذلك الاصطفا هو الفضل الكبير لما ذكر
الاصناف المذكورة بحسب احوالهم فى دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم باعتبار مالهم الى دار
الجزا جمعهم فقال جنات عدن بدل لان الفضل هو السبب فى الوصول اليها فكانه من
شدة اقتضائه للمسبب عنه وتنزيل السبب منزلة المسبب عينه يدخلونها اى
الفرق الثلاث يدخلونها ويجوز ان تكون الاشارة الى السبق واختصاص السابقين
بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن القسمين الاخرين للانذار والحث على التوبة
والتشويق الى السابقين وقرى جنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرى يدخلونها
على بنا المفعول يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرى يحلون من حليت المراة فهى
حالية من اساور من للبيان او للتبعيض اى يحلون بعض اساور كانه بعض سابق
الابعاض كما سبق به المتسورون به غيرهم وهذا على تقدير ان تكون الاشارة الى السبق
من ذهب من للبيان اذ ح يكون الخبر خلوا عن الفائدة ولولو عطف على ذهبا اى
من ذهب مرصع باللولو او ذهب فى صفا اللؤلؤ وقرى لولوا عطفا على محل من اساور
ولباسهم فيها حرير التنكير للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس الحرير وقالوا الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او من اجل المعاش وافاته او من وسوسة
ابليس وغيرها ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة دار

الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب التعب
والمشقة التى تصيب المنتصب للامر ولا يمسنا فيها لغوب الفتور والكلال دون التعب
فهو من باب الترقى لا من باب التتميم ولذلك اعاد قوله لا يمسنا فيها ولم يقل ولا لغوب
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفى ونصبه باضمار ان اى لا ياتون الموت
بان قضير بحو ايقال قضى عليه اذا اماته قال تع فوكزه موسى فقضى عليه فلا بد من صرف قوله
فيموتوا عن الحقيقة الى المجاز صونا له عن وصمة اللاغية وقرى فيموتون عطفا على يقضى وادخالا
له فى حكم النفى اى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها من عذاب جهنم كقوله تع كلما خبت زدناهم سعيرا فان فيه دلالة على ان مظنة
الخفة فى غيرهم مشية الشدة فى حقهم كذلك مثل ذلك الجزا نجزى كل كفور مبالغ فى الكفران و
الكفران قرى بالنون واليا والفاعل هو الله تع وقرى يجزى على بنا المفعول واسناده
الى كل وهم يصطرخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل فى الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته فيها فى جهنم ربنا باضافة القول اى يستغيثون ويقولون ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل اعترافا منهم والدلالة على ان طلب الخروج للتلافيه
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى من اراد ان يتذكر توبيخ من الله تع على طلبتهم وتقرير
على تقدير القول اى نقول لهم اتتمنون الرجوع ولم نعمركم مدة يمكن فيها التذكر والتدبر
وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يتطاول يتمكن فيه الانسان من العمل الموجب للنجاة وان قصر
الا ان التوبيخ فى المتطاول اعظم وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذى
اعذر الله الى ابن ادم ستون سنة وجاكم النذير اى النبى المنذر او الكتاب وهذا الزام الحجة
عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع والفا فى قوله
فذوقوا للسببية اى ما تذكرتم فذوقوا بسببه وكذا الثانية الا ان فيها معنى التعليل فما
للظالمين من نصير يرفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض ما غاب فيهما
عنكم انه عليم بذات الصدور تعليل لان ما فى الصدور اخفى الغيوب فاذا علمه علم كل غيب
فى العالم فيعلم انه لو ردهم الى الدنيا لم يعملوا غير الذى كانوا يعملون كقوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه هو الذى جعلكم خلائف فى الارض يقال للمتخلف خليفة وخليف والجمع
الخليفة على خلائف والخليف على خلفا والخطاب عام على ان المعنى انه جعلكم خلفا فى ارضه

والقي اليكم مقاليد التصرف فيها واباح لكم منافعها لتومنوا به وتشكروه وقيل لمن بعث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم خلفوا من قبلهم وشاهدوا من اثارهم هلاكهم ما فيه معتبر
وراوا ما فيه مزدجر فمن كفر منكم وغمط تلك النعم فعليه كفره اي فعليه وبال كفره لا على غيره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بيان له والمقت اشد البغض والتنكير للتعظيم لان مقت الله
اعظم من كل مقت وكذا التنكير في خسارا ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بيان له
الا خسارا وهو خسار الاخرة تكرير الكافرين والتصريح في موضع الاضمار ذم وبيان لكون الكفر
مقتضيا لكل واحد من الامرين القبيحين المذمومين بالاصالة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعني الهتهم واضافة الشركاء اليهم للملابسة لانهم جعلوه شركاء الله اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء عما استحقوا به
العبادة اي شيء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله تع
في خلق السموات فاستحقوا بذلك الشركة في الالوهية ام اتيناهم كتابا ينطق بانهم شركاؤه
ويجوز ان يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا على ان السوال عن دليل
الهتهم هو برهان عقلي ام نقلي فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
وقرئ بينات فيكون ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل ام منقطعة على
معنى الاضراب عن العقلي واضطر انكار النقلي ثم اضرب عنهما صريحا بقوله بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اذ اثبتوا ان ذلك لاتباعهم ما هو الا غرور صرف وهو
قولهم شفعاؤنا عند الله قوله بعضهم بدل من الظالمون وهم الرؤساء والمراد من البعض الاخر
الاتباع ويجوز ان يكون وعد الشيطان للكافر كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا مناهم ان تشفع لهم اصنامهم وتقربهم الى الله زلفى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع او لان لا تزولا كقوله ان تميد بكم اي لان
لا تميد بكم ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله
او من بعد الزوال واللام موطئة للقسم وان امسكهما جواب القسم ساد مسد جواب الشرط
ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة حيث يمسكها
وكانتا جديرتين ان تهدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض غفورا لمن تاب عن الشرك ووحده مومنا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم

نذير ليكونن اهدى من احدى الامم من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم اي من الامة
التي يقال فيها احدى الامم اي اوحدها تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما
تقول فلان احد الرجال بلغ قريشا قبل مبعث النبي عليه السلام ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لو اتانا رسول لنكونن
اهدى من احدى الامم فلما بعث الرسول عليه السلام كذبوه فلما جاءهم نذير التنكير للتعظيم ما زادهم
النذير او مجيئه والاسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا الا نفورا عن الحق وتباعدا
عنه استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له او حال اي مستكبرين ومكر السيئ
عطف على نفورا على ان الاصل وان مكروا السيئ اي المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه
ثم بدل ان والفعل بالمصدر فصار ومكر السيئ ثم اضيف ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ الا
باهله وهو الماكرون وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله تع فهل ينظرون اي ما ينتظرون
الا سنة الاولين انتظار سنتهم وهي انزال العذاب على من كذب من الامم قبلهم مجاز عن استقبالهم
لذلك ووقوعه في المستقبل لا محالة كالشيء المنتظر المترقب فلن تجد لسنة الله تبديلا بان لا يعذبهم
ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم بما كانوا يشاهدونه في متاجرهم ومسايرهم الى الشام
والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه ليسبقه ويفوته اي ليس من شانه تع ذلك من شيء في السموات ولا في الارض
انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ثم بين ان تاخير العذاب عنهم ليس للعجز بل للحكمة تقتضيه
فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها اي الانس وحده وقيل ما ترك وغيرهم من سائر الدواب بشوم ذنوبهم
عليها ورد في الاثار ويرجح الاول قوله ولكن يؤخرهم اي يؤخر كل واحد منهم الى اجل مسمى معلوم
عنده قيل هو يوم القيمة وفيه ان الكل لم يؤخر اليه فاذا جاء اجلهم وقت عذابهم حذف الجزاء
واقام ما هو كالدليل عليه وهو قوله فان الله كان بعباده بصيرا [illegible] وذلك ان العمل لموجب العلم كاللازم

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في الاعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين للجد في الهرب

من التقاء الساكنين لا للبناء او على اضمار حرف القسم ومنع الصرف او بالنصب على اتل يس
وبالضم كحيث او بالرفع على هذه يس وبتفخيم الالف واما لتها وبادغام النون في واو والقران
وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به الحكيم ذي الحكمة ومعنى يس يا انسان بلغة طي
عند الهيثم بن عدي وبالسريانية عند ابن عباس وعند سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد عليه
السلام دليله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار في قولهم لست مرسلا على صراط
مستقيم خبر بعد خبر وصلة للمرسلين او حال من المستكن في الجار والمجرور وفائدته التصريح
بالمدح والجمع بين وصفه ووصف شريعته ونعظيمه وتعظيمها المستفاد من التنكير تنزيل
العزيز الرحيم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على المدح او على انه مصدر اي
نزل تنزيل وبالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى الارسال في المرسلين
ان جعلنا في قوله ما انذر اباؤهم نافية فالجملة في محل النصب صفة لقوما اي قوما غير منذر
اباؤهم قيل لقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وفيه نظر اذ لا يلزم من عدم اتيانهم
النذير ان لا يكونوا منذرين فان اتيانه باهل الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الانذار
وان جعلها موصولة او موصوفة فهي مع صلتها او صفتها مفعول ثان لتنذر اي لتنذر
قوما الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وان
جعلها مصدرية ففي محل النصب على المصدر اي لتنذر قوما انذارا اباؤهم وعلى الاول يتعلق
فهم غافلون بالفعل المنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم الانذار هو سبب غفلتهم
وعلى الثاني تعليل للارسال والانذار اي انك لمن المرسلين لتنذرهم فانهم غافلون والمراد باباءهم
الاقربون الذي في زمن الفترة والجاهلية ان حمل ما انذر على النفي والاقدمون من ولد
اسمعيل عليه السلام الذين كانت فيهم النذارة ان حمل على الاثبات لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون حم
اي ثبت ووجب عليهم لما علم من احيائهم انهم يموتون على الكفر باختيارهم اياه واصرارهم نشأ
منهم ذلك واخبر عنهم به واما قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلا يعين الاشخاص
ولا يقتضي ان يكون اكثر المذكورين انا جعلنا في اعناقهم اغلالا مثل تصميمهم على الكفر وعدم
مبالاتهم بالانذار وتدبرهم بالايات تمثيلين تقرير التصميم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه جعلهم
كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون
روسهم وجعلهم كالمحصورين المحبوسين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فلا

يتبصرون

يتبصرون العبر ولا يتاملون في ايات الله تعالى فيعتبروا او ينزجروا فهي الى الاذقان الضمير للاغلال
اي هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه الى السماء
وذلك هو الاقماح فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون ابصارهم يقال قمح البعير اذا ترك
راسه مرفوعا من ضيقه وقال الفراء المقمح الذي يغض بصره بعد رفع راسه وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا قرئ بالفتح والضم وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقيل ما كان من اعمال
الناس فبالفتح وما كان من خلق الله تعالى فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا
عليها غشاوة عن ان تطمح الى شيء والمعنى فاعميناهم وقرئ بالعين الغير المعجمة من العشا فهم لا يبصرون
فلا ينتفعون بالانذار وهو مضمون قوله وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم قد سبق تفسيره في
سورة البقرة لا يؤمنون استيناف لبيان عدم نفع الانذار في حقهم لما بين ان الانذار لا ينجع
فيهم وان المقصود من الانذار هو ايمان المنذر لا يترتب عليه وان الانذار وعدمه بالنسبة اليهم
سواء اخبر ان انذارهم كلا انذار فقال انما تنذر لا انذار المنجح المستتبع لفائدته من اتبع الذكر
اي امن بما جاء من عند الله فالذكر القران وخشي الرحمن بالغيب الخشية كناية عن الاتيان بالاوامر
والانزجار عن المناهي ويعضده قوله فبشره بمغفرة واجر كريم وذلك ان الغفران جزاء الايمان
والاجر الكريم جزاء العمل كما قال الله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم وفي عبارة الرحمن اشارة الى ما في الخشية من الخوف ينبغي ان لا يخلو عن الرجاء وذلك
لان مقابل كل منهما مذموم وانما قال بالغيب اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان انا نحن
نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الضلالة بالهداية ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة والطالحة عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الاشياء وكنى
بذلك عن المجازاة فانضبط مع قوله نحيي الموتى واثارهم وما بقي بعدهم من اثار حسنة او سيئة
ونحوه قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر من اثاره وكل شيء احصيناه منصوب
بعامل مضمر يفسره احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء في امام مبين يعني اللوح المحفوظ لانه اصل
الكتب ومقتداها واضرب لهم اي مثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا
المثال وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف
تقديره اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على مفعول واحد كالجعل ويجعل المقدر
بدلا من الملفوظ او بيانا له اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية والقرية انطاكية عبر عنها ههنا

بالقرية وفيما ياتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين لما يناسبه وذلك ان ما في اصل القرية من
معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في اصل المدينة من معنى الاطاعة يناسب عوض ذلك الرجل
من كلامه وهو الحث على اتباع المرسلين اذ جاءها بدل من اصحاب القرية جاءها عدل عن الظاهر وهو
ارجاع الضمير الى الاصحاب لان المذكور او فائدة حيث دل على انهم بلغوا الرسالة اليهم في مقر
عزهم ومركز شوكتهم المرسلون رسل الله عليهم السلام ذكره ابن عباس وكعب وهو الظاهر من قوله تعالى
اذ ارسلنا اليهم ومن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقيل رسل عيسى عليه السلام واسناد الارسال
اليه تعالى لانه فعل رسوله وخليفته وفيه تعظيم عليه السلام بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة
اوثان وهو بدل من اذ الاولى اثنين هما يحيى وبولس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث
هو شمعون وقرئ مخففا من عزه اذا غلبه وانما حذف المفعول لان المراد ذكر المعزز به وما لطف
فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وحق الكلام المنصب الى غرض تجريد سياقه له كان ما سواه
مرفوضا فقالوا انا اليكم مرسلون التاكيد بالانكار منهم لمضمون الخبر بتكذيبهم الرسولين والمعتبر
علم المخبر بانكار المخاطب فلا صحة لما قيل انه ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار قالوا ما انتم الا
بشر مثلنا اي لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع البشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء اي وحيا من السماء ان انتم الا تكذبون فيما تدعون وانما اوثر
صيغة الفاعل المنع اعتبار لمعنى التجدد فكانه قيل يجدد دون الكذب وقتا بعد وقت ويستمرون
على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما نفوا الرسالة وبالغوا في ذلك قابلوا انكارهم
في الجواب بمزيد التاكيد بقولهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لانه استشهاد بعلم الله تعالى جار
مجرى القسم في التوكيد كما تقول شهد الله وعلم الله وبزيادة اللام وتقوية التاكيد
وتحسين الاستشهاد بقولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف بالايات
الشاهدة بصحته فان الاستشهاد على الدعوى انما يحسن ببينة واضحة قالوا انا تطيرنا
تشاءمنا بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة الفال بد ما مكروه يلحقنا في انفسنا او في اهلينا
او في اموالنا او غير ذلك من اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام ولا تعاودونا به
لئن لم تنتهوا عما نهيتم عنه لنرجمنكم لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم المس
اصابة تتاثر منها البشرة قالوا طائركم اي سبب شومكم معكم وهو سوء اعتقادكم وفساد
اعمالكم ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام بهمزة وحرف الشرط وقرئ اين بالف بينهما وجواب الشرط

محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ائن وعظتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ ان ذكرتم
بهمزة الاستفهام وان الناصبة اي اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى
الاخبار اي ان ذكرتم تطيرتم او تطيرتم لان ذكرتم بمعنى شومكم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
لانه اذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه اشام بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فمن ثمة جاءكم الشوم او انتم مسرفون في غيكم وضلالكم حيث تشاءمتم بمن يجب التبرك
به من رسل الله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل هو حبيب بن اوس النجار كان ينحت الاصنام
يسعى يقصد وجه الله تعالى بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها والسعي في الاصل
المشي بسرعة وخفة حركة ثم استعير للجد في اصلاح ما اراد افادة قال استيناف على تقدير سؤال
سائل عما قال عند ذلك يا قوم اتبعوا المرسلين باح باسلامه لشغل القوم عن الرسل وقال يا قوم
دلالة واظهارا منه انه لا مباينة بينا ولا تهمة في ارادة السوء بكم اتبعوا من لا يسالكم اجرا
وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم
فينتظم لكم خير الدنيا وخير الاخرة ورشحها وقواها بابراز مناصحتهم في صورة المناصحة لنفسه
ليكون ادخل في امحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لنفسه وليتلطف بهم ويداريهم حتى لا يتعصبوا
فيفعلوا فوضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم واوما
الى المراد بقوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد ولالقال واليه ارجع ثم عاد الى المساق
الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة اي اصناما دل على انهم كانوا عبدة اصنام ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا في الشفاعة راسا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولا ينقذون
لا يقدرون على انقاذي من ذلك الضر اي لا نفع من جهتهم بالشفاعة ولا دفع بالقدرة اني اذا
لفي ضلال مبين تفريع على ترك عبادة خالقهم الى عبادة من لا يضر ولا ينفع وقد برهن في اثنا كلامه
على ضلالتهم حيث ذكر ان الله هو المبدئ الفاطر واليه الرجوع ومنه الرحمة الشاملة وله القدرة
التامة الكاملة وهو الذي اذا اراد باحد شيئا من الضر والنفع فعل فان ترك عبادته الى
عبادة ما لا يضر ولا ينفع ولا تغني شفاعته شيئا ولا يقدر على الانقاذ من ابتلاه الله تعالى بالنصرة
والمظاهرة او اشركه به في عبادته فاني اذا لفي ضلال مبين لا يخفى على عاقل اني امنت بربكم فاسمعون
اي فاسمعوا ايماني السماع هنا مجاز عن الاتباع اذ لا وجه للترتيب بين سماع القول منه وايمانه
قيل وهو يقول اللهم اهد قومي في سوق انطاكية وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل قيل ادخل

الجنة استيناف لان قصته مظنة السوال عن حاله كان سائلا سال فقال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه والتسخي بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولما كان السوال عن المقول سبق الجواب لبيانه وجرد عما لا حاجة اليه وهو بيان المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله قال يا ليت قومي يعلمون استيناف على تقدير سوال سائل عما قال عند ذلك الفعل العظيم بما غفر لي ربي ما مصدرية اي بغفران ربي لي او موصولة اي بالذي غفره لي من ذنبي ويحتمل ان يكون استفهامية اي باي شي غفر لي ربي على الاصل مع ان الاكثر حذف الالف فتقول قد علمت بما صنعت هذا اي باي شي صنعت والاكثر بم صنعت تمنى بان يعلم قومه بانه غفر له بايمانه فيرغبوا فى الايمان وهذا مرتبة اوليآء الله تع يريدون الخير لمن اراد بهم الشر ويتمنون ان لا يكون لله عاصيا وجعلني من المكرمين باعطآء المنزلة الرفيعة فى الجنة دل ذلك على ان الجنة مخلوقة وعلى ان القبر روضة من رياضها او حفرة من حفر النيران وما انزلنا على قومه من بعده من بعد واقعة من جند من السمآء استحقارا لهلاكهم وايمآء الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كفينا امر هلاكهم بصيحة واحدة من ملك وما انزلنا عليهم جندا من الجنود السماوية كما فعلنا يوم بدر والخندق وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل لان انزال جنود السمآء من معظمات الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وقد اهلك الله تع كل امة بسبب تقتضيه حكمته ولم ينزل جنود السمآء لانتصار احد من الانبيآء والا لكان يكفي فى نصرته ملك واحد ان كانت الا صيحة واحدة كان القياس التذكير لان الاصل ما وقع شي الا صيحة واحدة ولكن طوبقت بها الصيحة لانها فى حكم فاعل الفعل وعليها قراة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بتانيث الفعل المبني للمفعول ورفع مساكنهم وقرى الا صيحة بالرفع على كان التامة اي وما وقعت الا صيحة فاذا هم خامدون بنآء على تشبيه الحرارة الغريزية بحرارة النار وانطفآئها بخمود النار على الاستعارة بالكناية اي خمدوا كما تخمد النار وذلك ان الروح عند النزع الشديد تتحرك مع الدم الى الباطن دفعة دفعة فتختنق من شدة الانحصار والاجتماع فتنطفي يا حسرة على العباد الحسرة هي بلوغ النهاية فى التلهف حتى لا يبقى القلب حسرا الا موضع فيه لزيادة التلهف كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر والبعير الحسير الذي لا قوة له على المسير وهذا ندآء على الحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها وهي ما دل عليه ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ويجوز ان يكون المعنى

انهم متحسر عليهم من الله تع على سبيل الاستعارة والمراد تعظيم ما جنوه على انفسهم وفرط انكاره له وتعجبه منه ويعضده قراة من قرأ يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي وقرى يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجرآء الوصل مجرى الوقف والمعنى انهم احقا بان يتحسر عليهم او هو متحسر عليهم من جهة الملائكة والمومنين من الثقلين الم يروا معلق عن العمل كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لانها وضعت لانشآء التكثير او لان اصلها الاستفهام وانما جاز تعليق فعل الروية لانه بمعنى الم يعلموا الا ان معناه نافذة فى الجملة كما نفذ فى قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه ولهذا ابدل انهم اليهم لا يرجعون من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين وقيل انه بدل من موضع كم اهلكنا وليس بدلا من كم وحده لان العامل فيه اهلكنا ولا يصلح عاملا فى البدل وقرى بالكسر على الاستيناف وقرى الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراة بدل اشتمال وان كل لما جميع ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرى لما بالتشديد على ان ان نافية ولما بمعنى الا وكل بمعنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجمع بمعنى الاجتماع وان تجمعهم المحشر فالتنوين فى كل عوض من المضاف اليه اي كلهم محشورون مجموعون لدينا محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون فى النار معذبون واية لهم الارض الميتة الارض الميتة مبتدا خبره اية لهم احييناها استيناف لبيان كون الارض الميتة اية لهم ويجوز ان يكون اية مبتدا ولهم صفتها والارض خبرها وان يكون احييناها خبر الارض والجملة خبر اية او صفة لها واخرجنا منها حبا المراد بالحب الجنس وتقديم الظرف فى قوله فمنه ياكلون للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به ويقوم البدن بالارتزاق الا يرى انه اذا فقد حضر الهلاك بالقحط وعم البلآء وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان كونه قوام البدن باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعه واما قيل ان ذلك لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع فخلاف ما هو المشهور وعليه الجمهور فانهم قالوا فى العالمين اشعار بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون التمر مع مطابقتها الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرى بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى فى ان التشديد للمبالغة

والتكثير من العيون من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف اى شيئا
من العيون لياكلوا من ثمره الضمير للتفجير اى لينتفعوا يقال ثمرة التجارة الربح وتخصيص
الاكل بالذكر لانه معظم الفوائد وقرئ بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وما عملته ايديهم
عطف على الثمر او على موضع من ثمره والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ
من التمر والعنب وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة
وما عملت من غير راجع لان حذف الراجع من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون استبطاء
وحث على شكر نعمه سبحان الذى خلق الازواج كلها الاجناس والاصناف مما تنبت الارض
من النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم الاولاد ذكورا واناثا ومما لا يعلمون ومن
ازواج لم يطلعهم الله عليها ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل فيه الوجهان
المذكوران فيما تقدم من نظيره وفى نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة فى احييناها من
الاستيناف والصفة والخبرية والسلخ الكشط يقال سلخ جلد الشاة اذا كشط فاستعير
لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله فاذا هم مظلمون داخلون فى الظلام والشمس
تجرى لمستقر لها لحد معين من فلكها ينتهى اليه دورها فى اخر كل سنة وقيل الوقت الذى
تستقر فيه وتنقطع مدتها وهو يوم القيمة وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها
اى لا استقرار الى ان يكورها الله تعالى يوم القيمة على ان لا بمعنى ليس ذلك تقدير العزيز
العليم ذلك الجرى على هذا التقدير العجيب ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور
المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه اى قدرنا مسيره منازل على حذف المضاف وهى
ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها على السواء
الى الثامنة والعشرين فيدق مستترا كالعرجون القديم ثم يغيب ليلة اذا نقص الشهر او فى
واحدة لليلتين اذا تم وهذا ما ذكره بقوله حتى عاد كالعرجون القديم العرجون عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة قال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبرذون والبرذون والقديم المحول
واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه لا الشمس ينبغى لها اى لا
يصح ولا يستقيم ان تدرك القمر وتجتمع معه وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لان التدبير
الالهى اقتضى المعاقبة وايلاء الشمس حرف النفى للدلالة على انها مسخرة لم يتيسر لها الا ما قدر

لها من السير والطريق وانما وصفها بالادراك ووصف القمر بالسبق ضمنا لسرعة سيره بالنسبة
اليها فانه يقطع بحركته فى شهر ما تقطع الشمس فى سنة من المسافة فيناسبه السبق ومن هنا
ظهر سر نسبة السبق الى الليل دون النهار فى قوله ولا الليل سابق النهار اى لا الليل يسبقه
فيزيل ضوءه لذلك وقيل المراد آيتاهما وهى الشمس والقمر فيكون عكس الاول وذلك ان
صلاح النبات والحيوان وجميع الشؤون الالهية مبنى على تعاقبهما وان يكون لكل منهما سلطان
على حاله وقرئ سابق النهار بالتنوين ونصب النهار على الاصل وكل التنوين عوض من المضاف
اليه اى كل واحد منهما فى فلك اى فى فلك غير فلك الاخر والجمهور على ان الفلك موج مكفوف
تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وعلى هذا المراد من الفلك الجنس يسبحون يسيرون فيه
بانبساط فان كل ما انبسط فى شىء فقد سبح فيه ومنه السباحة فى الماء وانما جمع جمع العقلاء للوصف
بفعلهم واية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن
مزارعها وفى الحديث انه عليه السلام نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء وتخصيص الذريات لانه
لا ادق لهم على السفر فكان الامتنان فى حقهم اظهر فى الفلك قيل المراد فلك نوح قال تعالى فانجيناه
ومن معه فى الفلك المشحون فعلى هذا اراد بالذرية الاسلاف لانه من الذر وهو الخلق فيصلح
الاسم للاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض ويجوز ان يكون المعنى انه تعالى حمل اباءهم الاقدمين
فى اصلابهم من المؤمنين ذرياتهم وتخصيص الذرية لان الخطاب للكفار ولا فائدة فى وجودهم
فلم يكن الحمل حملا بل كان حملا لما فى اصلابهم من المؤمنين ولم يقل على الفلك مع انه الانسب
بالحمل لان معنى الحفظ المستفاد من حرف الظرف ادخل فى الامتنان وانسب لما قصد من توصيف
الفلك بقوله المشحون لما كانت السفينة مملوءة بانواع المخوف من سباع البهائم وجوارح الطير
وهوام الدواب كان حفظ بنى ادم فيما بينهم من اثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة ولولا
ذلك الاعتبار اللطيف لكان التوصيف بالمشحون بمعزل عن مقام الغرابة المستفادة من
عبارة الاية لان القرار على الفلك المشحون الثقيل اهون من القرار على الفلك الخالى الخفيف
ولذلك لم يوصف الفلك به فى قوله وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله من مثل جنس الفلك
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من مثل فلك نوح من السفن والزوارق وان نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ بمعنى المستغيث ويجى بمعنى الاغاثة لان اصله مصدر
بمعنى الصراخ وقد سبق تفسيره فى السورة السابقة ولا هم ينقذون اى لا يخلصون بعد

ذلك الا رحمة منا ومتاعا الى حين الا لرحمة منا وتمتع بالحيوة الى زمان قدر لاجالهم واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم من الوقائع النازلة بالامم المكذبة قبلهم وما خلفكم من الساعة واهوالها
او نوازل السماء ونوائب الارض او ما تقدم من ذنوبكم وما تقدم تاخر او فتنة الدنيا وعقوبة
الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله تع وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى
للتاكيد وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا
قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل اية وموعظة فهو تذييل مؤكد لما
سبق من حديث الاعراض واذا قيل لهم انفقوا لم يذكر المنفق عليه لان ايائهم وان كان عن
الانفاق على المؤمنين خاصة الا ان موجبا تعللوا به سد باب الانفاق راسا وللاشعار الى
هذا ترك المنفق عليه مما رزقكم الله اشارة الى ان البخل به في غاية القبح فان ابخل البخلاء
من يبخل بمال الغير قال الذين كفروا بالصانع تعالى يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما
وذلك انهم لما سمعوا المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تع يقولون لو شاء الله لكان كذا
وافترصوا هذا الكلام فرصة واتخذوه هزوا يستهزؤن بالمؤمنين يجيبون به عذرا عن الانفاق
والتصريح بالوصفين من الكفر والايمان لبيان ان المقول اليهم هم الكافرون والقائل لهم
هم المؤمنون وان كل وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه او كل اناء بالذي فيه يرشح وايضا
لما كان الغرض الرد على المؤمنين لا الامتناع عن الاطعام لانه مما يفتخرون به كان حق المقام
التصريح بوصف الايمان في المقول له ومن هنا تبين وجه اخر للعدول عن عبارة الانفاق
واعلى ما يفتخرون به كان الاباء عنه اباء عن الانفاق راسا من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل
نزلت في مشركي مكة حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي جعلوها لله تع فحرموهم وقالوا
لو شاء الله لاطعمكم موهمين ان الله قادر على اطعامهم ولا يشاء اطعامهم فنحن احق بذلك ان انتم
الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان لا يكون من تتمة كلامهم ويكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم بان ذلك من فرط ضلالتهم وجهالتهم لان الله تع
يطعم من يشاء باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ويقولون متى هذا
الوعد اي وعد البعث ان كنتم صادقين فيما تقولون خطاب للنبي عليه السلام واصحابه ما ينظرون
اراد الانتظار المفهوم من قولهم متى الا صيحة واحدة اي عذابا يفجأهم فيستاصلهم يقال
صاح به الزمان اي هلكوا قال الشاعر • صاح الزمان بال جفنة صيحة • خروا لشدتها على الاذقان

الاطعام انطعم لما كان الطعوم اوفى وجوه صح

وقيل هي نفخة الامانة ذكر في الصيحة امور تدل على هولها وعظمها احدها التنكير وثانيها واحدة
اي لا يحتاج معها الى الثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في اقطار الارض
ومثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم يخصمون اي تاتيهم بغتة وهم في غفلتهم وامنهم يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطرون امرها في متاجرهم ومعاملاتهم ببالهم مما يعظم به الامر فان
العامل المقبل على مهم اذا صاح بهم صائح يكون ارتجافه اعظم بخلاف المنتظر لها فلا يستطيعون
ان يوصوا في امورهم توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا ان يرجعوا الى اهليهم ومنازلهم بل
يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي نفخة البعث وقد سبق في تفسير سورة المؤمنين فاذا هم
من الاجداث من القبور جمع جدث وقرى بالفاء واذا للمفاجاة الى ربهم ينسلون النسل
الاسراع في الخروج ولفظ الرب اصاب المحز لان من اساء واضطر الى التوجه الى من احسن اليه
يكون ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره قالوا يا ويلنا من بعثنا وقرى من اهبنا من هبت
من نومه اذا انتبه وانبهه غيره وقرى من هبنا بمعنى اهبنا وقرى من بعثنا ومن هبنا على
من الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم ولو استمر عذاب الكفار
في قبورهم بالنار لما صح منهم القول المذكور من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن هذا مبتدا وما وعد خبره
وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع دل على هذا قوله تع يا ويلنا هذا يوم الدين وصدق
المرسلون اي صدق فيه ويجوز ان يكون اعتراضا افاقوا عما بهم وتنبهوا يتذكرون ما سمعوا
من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم وقيل هذا ليس من كلامهم بل جواب الملائكة او المؤمنين
لهم لكن عدل عن سننه ومطابقته للسؤال لاغراض منها تنبيههم على ان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث لا عن الباعث ومنها تذكيرهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل وتقريعهم على ذلك ومنها نعيهم
اليهم احوالهم التي هم فيها واخبارهم بوقوع ما انذروا به كانه قيل لهم ليس هذا البعث الذي
توهموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر
ذو الافزاع والاهوال الذي وعده الله تع في كتبه المنزلة واخبر به على السنة رسله الصادقين
ان كانت الا صيحة واحدة وقرى بالرفع على كان التامة والضمير في الناقصة للنفخة دل عليها
ونفخ فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي يتوهمونها بالقياس على ما يشاهدونها فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم ح وكذا ما بعده من وصف اهل الجنة تصويرا للموعود

وتمكينا له في النفوس وترغيبا وترهيبا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار
ولو خطر ذلك ببالهم وفيها احد من اقاربهم ومعارفهم بتنغص عليهم ما هم فيه والتنكير في شغل
للتعظيم والتنبيه على انه اعلى من ان تحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام والشغل العارض
الذي يذهل الانسان عن امر لولا ذلك العارض لكان متوجها اليه فاكهون وقرى فكهون
كنظر بنا على انه حال والخبر هو الظرف والفاكهة والفكه التنعم والتلذذ ومنه الفاكهة لانها
مما يتلذذ به هم وازواجهم هم مبتدا او تاكيد للضمير في شغل او في فاكهون والمعنى على تقدير
التاكيد ان ازواجهم تشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكا والازواج جمع زوجة وهي
حرة الرجل التي يحل وطئها في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراة في ظلل
على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها متكئون خبر او في ظلال
خبر وعلى الارائك مستانف وقرى متكئين على الحال لهم فيها فاكهة عبر عن كل ما يرزقون فيها
بالفاكهة للتنبيه على انهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد
فكل ما ياكلون على سبيل التلذذ ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعا اي يدعون به لانفسهم
كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك
ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير
ما ادعى اي في خير ما تمنى وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وما موصولة
او موصوفة مرتفعة بالابتدا ولهم خبرها سلام بدل منها او صفة اخرى قولا مصدر موكد
لقوله ولهم ما يدعون سلام عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو
من مجازه ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك
متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين
وامتازوا اليوم يقال مازه فامتاز وامتاز بمعنى تمايز ايها المجرمون اي المبعدون عن
المتقين والمراد من اليوم يوم الحشر قال الضحاك تمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة
والمجوس فرقة وعبدة الاوثان فرقة ولكل فرقة في النار تدخل فيه ويرد بابه فتكون فيه
ابدا لا ترى ولا ترى ويشكل هذا بقوله تع كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
وقوله تع ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما الم اعهد اليكم يا بني ادم
في خطاب بني ادم نوع ايما الى ان ذلك العهد كان في عهد ادم ان لا تعبدوا الشيطان

من

من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهد الله اليهم ما ركز في عقولهم من الحجج العقلية والادلة
السمعية الامرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم
ويزينه لهم والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا وصاه انه لكم عدو مبين تعليل للمنع من عبادته وان
اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان
وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه جملة استينافية لبيان العهد المقتضي للعهد بشقيه او بالشق
الاخير والتنكير في الصراط للتعظيم والمبالغة ولقد اضل منكم جبلا كثيرا رجوع الى بيان معاداة
الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وتمييز فقوله افلم تكونوا تعقلون
استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع
على الثبات هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف اصلوها اليوم الزموا العذاب
بها واصل الصلا اللزوم منه المصلي الذي في اثر السابق يلزم ما اثره بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم اليوم نختم على افواههم اي نفعل بافواههم ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا بالسنتهم وتكلمنا ايديهم
بانطاق الله اياها على ما نطق به قوله تع قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي فلا مساغ للتاويل
بظهور اثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها وتشهد ارجلهم اسند الى الغيبة دون الكلام التمتع
والشهادة دفعا لوهم الاجبار واظهار التوسط الاختيار بعد الاقدار على النطق والتكلم ولما
كان كلام الايدي اقرارا على الغير المنكر نزل تصديق الارجل اياها منزلة الشهادة فعبر عن
تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون اذ الكسب باليد اخص فيكون الاخبار منها اقرارا ومن
الرجل شهادة لانها تحاضر وقلما تباشر ولهذا اخص التكلم بمعنى الاقرار بالايدي والشهادة
بالارجل ولو نشا لطمسنا على اعينهم الطمس محو الشي حتى يذهب اثره والطمس على العين نحوها
حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط فطلبوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه سابقين وانما
اعتبر فيه السبق على طريقة التضمين لان التقدير في سلوك الاعمى الطريق تح اظهر ويجوز ان
يكون من باب حذف الجار وايصال الفعل اي فاستبقوا الى صراط او نصبا على الظرف
فانى يبصرون لم يقدروا ان يسلكوه ولم يبصروه ولم يعلموا جهة سلوكه فضلا عن غيره
ولو نشا لمسخناهم بتبديل صورهم وابطال قواهم وقدرهم على مكانتهم في مكانهم المكانة والمكان
كالمقامة والمقام او باصرارهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع
الفعل موضعه للفواصل اي انهم احقاء بان يفعل بهم ذلك ولا عجز فينا لكنا لم نفعل لشمول

الرحمة واقتضاء الحكمة انها لهم قيل ولا يرجعون من تكذيبهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه
بالتشديد وبالتخفيف من التنكيس والانكاس وقرئ بفتح الكاف من النكس في الخلق
اي نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما انشاناه عليه افلا
يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انها على
تدرج وما علمناه الشعر اي بتعليم القران وهو رد لقولهم ان محمدا شاعر والمراد ان القران ليس
بشعر واين هو من الشعر فان الشعر كلام موزون مقفى منتظم من المخيلات المرغبة والمنفرة
وما ينبغي له اي لا يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن
فالشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى وقيل لا يتاتى له ان
اراد قرضه وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قال بعضهم انما الرواية بالاعراب
واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا واما قيل ليس هذا الوزن من الشعر فمكابرة لان
اشعار العرب قد رواها الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت فالها ساكنة التاء او متحركة من غير اشباع ولا يكون شعرا الا اذا كسرت التاء
بالاشباع ان هو الا ذكر اي موعظة وتذكير من الله عز وجل وقران مبين كتاب سماوي بين
كونه ليس من كلام البشر لظهور اعجازه لينذر اي القران او الرسول ويؤيده القراءة بالتاء
الفوقانية من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله واختصاص
الانذار به لانه هو المنتفع منه دون غيره ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وفي ذكرهم في مقابلة من كان حيا تنزيل لهم منزلة الاموات بحرمانهم عن
ثمرة الحيوة اولم يروا ايشركون ولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما توليناه نحن احداثه
ولا يقدر على توليته غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة من عمل من يعمل بالايدي
للمبالغة في الاختصاص والتفرد باحداثها انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة
ولطائف الحكمة وكثرة المنافع جمعا بين اظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصين بها
ولهذا كمله بقوله فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم وملكناهم اياها فهم فيها متصرفون
تصرف الملاك وذللناها لهم التذليل من جملة النعم الظاهرة لولاها لما قدر عليها احد ولهذا
الزم الله الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
فمنها ركوبهم مما يركب ومنها ياكلون اي سخرناها لهم لتركبوا ظهورها وتاكلوا لحمها ولهم

فيها منافع مجمل مفصل في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من اللبن
وما يتخذ منه جمع مشرب وهو الشرب او موضع الشرب انما لم يقل ومنها يشربون لان ابتداء
الشرب ليس منها بخلاف الاكل افلا يشكرون لخالق هذه النعم ورازق هذه النعم واتخذوا
من دون الله الهة بعدما راوا القدرة الباهرة وآثارها الظاهرة لعلهم ينصرون طمعا في
ان ينفعوا او يتعززوا كما قال ليكونوا لهم عزا والامر على عكس ما قدروا لانه لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم يحرسونهم ويذبون عنهم والالهة لا استطاعة
بهم ولا قدرة على النصر قيل هم يوم القيمة محضرون لعذابهم ويرد عليه ان فيه زيادة تفكيك
في الضمائر فيفوت النظم الذي هو ام اعجاز القران ومراعاتهم اهم ما يجب على المفسر وايضا
المتبادر من لهم النفع دون الضرر وقيل محضرون اثرهم في النار وياباه عبارة الجند فانه
جمع للحرب فلا يحزنك الفاء للسببية اي اذا علمت حالهم ومآلهم فتسل ولا يحزنك قولهم فيك
انك شاعر او ساحر وكاهن وكاذب وسائر وجوه الاذى بالقول فانا مجازوهم
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل للنهي وفيه وعيد شديد وزيادة تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فان قلت اليس مقتضى البلاغة تقديم ما يعلنون حتى يكون نظم الكلام على اسلوب
الترقي قلت ذلك مقتضاها بحسب جليل النظر واما مقتضاها بحسب دقيقه فانما هو تاخيره حتى
يكون لكل من جزئي الكلام حظ من الاهتمام وذلك انه ح يكون للجزء الاول اهتمام التقديم
وللجزء الثاني اهتمام التصريح بعد الانفهام بطريق الالتزام وعلى تقدير التقديم يفوت احد
الاهتمامين كما لا يخفى على ذوي الافهام اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ايلاء الهمزة
واو العطف والتعجب من حال الانسان اي ينكر الانسان البعث ولم ير مبدا خلقه وابداع
نشاته وفيه تسلية اخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولون بالنسبة الى
انكارهم للبعث وتقبيح بليغ لا ترى ابلغ ولا افحش ولا اعجب ولا ادل على تمادي كفر الانسان
وافراط جحود النعم حيث تقرر في علمه انا خلقناه من شيء قليل وبلغناه الى قدر جليل
وانما لم يقل من ماء مهين مع ما فيه من المناسبة لقرينة رعاية لحق الكلام بتجريده لما سيق
له من المرام وذلك بحذف ما يحصل غرضا اخر وهو الامتنان بالاعزاز والاكرام ومن لم
يتنبه لهذا قال انا خلقناه من اهون شيء واقذره وهو مع مهانة اصله وخساسته يتصدى
لمخاصمة الجبار الذي شرفه بعد خسته وكرمه بعد ذلته ويقول من يحيي العظام فاذا هو

خصيم مبين اذا للمفاجاة والفاء فصيحة للعطف على مقدر تفصيله لما ابلغ فطنة اظهار
الشكر والحمد على اثار قدرتنا فاجأ باعلان الكفران والجحد مبالغا في الخصومة معربا عما في
نفسه من الجناية وحاله ان خصامه في الذم وصف له وابلغ حجة عليه وهو انه منشأ من موات
والاعادة اهون من الابدا فخصامه محض مكابرة وصرف معاندة وضرب لنا مثلا انما
سمي قوله مثلا لكونه امرا عجيبا وقصة غريبة كالمثل حيث انكر قدرة الله على انشا الموات
وقد انشاه الله تعالى من الموات ونسي ولا يتذكر خلقه وهو اقرب شئ اليه قال من يحيي
العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم بال تفتت بيده فقال اترى
ان الله يحيي هذا فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت والرميم اسم لما بلي عظما
كان او غيره غير صفة كالرمة والرفات لا فعيل بمعنى فاعل ولا مفعول فلهذا لم يؤنث مع
كونه خبرا عن مؤنث وقيل لانه معدول عن فاعل وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه
كان مصروفا عن اخواته كبغيا في قوله وما كانت امك بغيا فانها مصروفة عن باغية وفي
ظاهره دلالة على ان في العظام حيوة وانها تنجس بالموت قل يحييها الذي انشاها اول
مرة انما قال انشاها دون احياها اشارة الى الفرق بين الاحيائين من حيث ان الاول منهما
انشا والثاني اعادة فلا جرم يكون اهون ولا تغير في جانب الفاعل وهو بكل خلق عليم
يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشآت والمعادات وجميع اجزائها جلائلها ودقائقها
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر وصف الشجر بالاخضر حملا على اللفظ وقرئ بالخضراء نارا تنوعا
غريبا من النار حيث يحدث مما يقطر منه الماء ومن هنا ظهر وجه توصيف الشجر بالاخضر نقل عن
ارباب الحكمة ان النار على اربعة انواع نار تاكل ولا تشرب وهي النار المعهودة ونار تشرب
ولا تاكل وهي نار الشجرة ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي
نار الحجر فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه استدل بالنشاة الاولى على
الثانية ثم بانقداح النار من الشجر الاخضر وهي من زناد الاعراب واكثرها من المرخ والعفار
يقطع منهما غصنان مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر
على العفار وهو انثى فتنقدح النار باذن الله تعالى مع مضادة الماء النار وانطفائها به
فمن قدر على ذلك كان على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى اقدر اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم دليل ثالث كانه قال ابعد ما مر من الدليلين لا

يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما وعظم شانهما على خلق مثلهم مع صغرهم بالنسبة اليهما وقيل
على اعادتهم لان المعاد مثل للمبدا في اصول البنية والذات والصفات ويرده ان
المذهب خلاف ذلك بلى جواب من الله تعالى مشعر بان الجواب منحصر في هذا وهو الاثبات
بعد النفي وهو الخلاق العليم المبالغة في الخلق والعلم المستفادة من الصفتين المذكورتين
تناسب المقام انما امره قوله على ما مر في سورة النحل انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ومن حمل الامر هنا على الشان فقد غفل عن ذلك البيان شبه تاثير قدرته تعالى
في مراده بامر مطاع ورد على مامور مطيع لم يلبث ان يمتثل فقال انما امره في ايجاد الاشيا
اذا اراد شيئا اي تكوينه ان يقول له كن فيكون فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقف اى تكوينه
من المامور ولا افتقار الى الالات وحركات من الامر حسما لمادة الشبهة في قياس
قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وهو من الاستعارة التمثيلية يقوم مقام تعليل لقدرة الله تعالى
على اعادة الموتى اي من كان ايجاده للاشيا بهذه المثابة كيف يعجز عن الاعادة وقرئ
فيكون بالنصب عطفا على يقول والرفع على تقدير جملة اسمية اي فهو يكون معطوفة على
اخرى مثلها وهي انما امره ان يقول فسبحان الذي تنزيه له تعالى عما وصفه به المشركون
وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا والفاء للسببية اوردها تعليلا بكونه المتصرف في ملكوت
كل شئ بمقتضى مشيته وموجب حكمته فكيف يمتنع عليه شئ والملكوت مقابل الملك على ما ورد
في الدعاء المأثور سبحان ذي الملك والملكوت فان كل شئ له جسمانية وروحانية لطيفة
فجسمانيته الظلمانية من عالم الملك وهو عالم الخلق وعالم الشهادة وروحانيته النورانية
من عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعنى كونه بيده ملكوت كل شئ ان تصرفه
فيه بالذات لا بواسطة الاسباب العادية بخلاف ما في عالم الملك فان تصرفه فيه بواسطة
الاسباب والالات على مقتضى حكمته واليه ترجعون وعد ووعيد للمقربين والمنكرين

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع على خط واحد
فالزاجرات زجرا صفا مصدر موكد وكذلك زجرا والفاء المتوسطة بين الصفات
اما لترتبها مع اتحاد الموصوف واما لترتب الموصوفات والاول اما لترتبها في الوجود واما

فی الاعتبار و یحتمل ہنا اتحاد الموصوفین و ترتب الصفات فی التفاضل علی ان الصف طاعة
وکمال والزجر تکمیل بالمنع عن الشر والسوق الی الخیر والتلاوة افاضة المعارف والحکم علی الانبیآ
او فی التناقص علی ان الصف ہو الحضور بین یدی اللہ تع فی مواطن القرب والزجر زجر
الشیطان والتلاوة الذکر بالتسبیح والتحمید وکذا اذا ارید تعدد الطوآئف وتثلیثہا فقد
یترتب فی الفضل علی ان الطوآئف الصافات والطوآئف الزاجرات افضل والتالیات
ابہر او بالعکس فالتالیات ذکرا اقسم اللہ بطوآئف الملائکة الصافین فی مراتب العبودیة
بحسب فیضان الانوار الالہیة علیہم منتظرین لاوامرہ من قولہ وانا لنحن الصافون
الزاجرات للعباد عن المعاصی بالہام الخیر والشیاطین عن التعرض لہم بالاضلال او
الاجرام العلویة والسفلیة کالسحاب والریاح وغیر ذلک بما امروا من تدابیرہا التالیات
لایات اللہ تع من الکتب المنزلة علی انبیائہ علیہم السلام وغیرہا من التقدیسات والتسبیحات
وسائر الاذکار او بنفوس العلمآ الصافات اقدامہا فی الصلوات وخصوصا فی الجماعات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتالیات کلام اللہ تع وشرائعہ وحکمہ او بنفوس الغزاة
المجاہدین فی سبیل اللہ تع الصافین فی صفوف الجہاد الزاجرین للخیل الذاکرین مع ذلک
للہ تع والتالین لایاتہ لا تشغلہم تلک الشواغل عنہا کما حکی عن علی رض وقیل الصافات
الطیر من قولہ تع والطیر صافات فالزاجرات کل ما زجر من معاصی اللہ والتالیات
کل من تلا کتاب اللہ وقرئت بادغام التآات الثلاث فیما یلیہا لقرب مخرجہما من مخرج
التآ ان الہکم لواحد جواب القسم وفائدة الاقسام تعظیم المقسم وتاکید المقسم علیہ علی ما
ہو الاصل فی کلامہم واما تحقیقہ بالبرہان فبقولہ رب السموات والارض فان انتظامہما
علی الوجہ الاکمل دلیل علی وحدة الصانع علی ما مر فی تفسیر قولہ تع لو کان فیہما الہة الا اللہ
خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف علی المدح ای ہو رب السموات ویجوز ان یکون بدلا من
واحد وما بینہما یتناول افعال العباد فیدل علی انہا من خلقہ تع ورب المشارق مشارق
الشمس فی السنة قیل وہی ثلثمائة مشرقا فی کل یوم واحد وفیہ نظر ویتبعہا اختلاف المغارب
ولذلک اکتفی بذکرہا ودلالتہا علیہا کقولہ تع سرابیل تقیکم الحر واما کونہا ادل علی القدرة
وابلغ فی النعمة فلا یصلح وجہا للاکتفا المذکور انما یصلح وجہا لتخصیص المشارق بالذکر علی
تقدیر الاکتفا باحدہما انا زینا السمآ الدنیا القربی منکم بزینة الکواکب الزینة مصدر

کالنسبة او اسم لما یزان بہ کالتیقة اسم لما تلاق بہ الدواة واضافتہا الی المفعول ان جعلتہا
مصدرا ای بان زان اللہ الکواکب وحسنہا لانہا انما زینت السمآ لحسنہا فی انفسہا واصلہ
بزینة الکواکب ونصب الکواکب وقد قرئ کذلک او الی الفاعل ای بان زانتہا الکواکب
واصلہ بزینة الکواکب وان جعلتہا اسما فالاضافة للتبیین فان الزینة مبہمة قد تکون
بالکواکب وقد تکون بغیرہا او بزینة من الکواکب کقولک باب ساج او بزینة ہی الکواکب
ویعضدہ القراءة بالتنوین وجر الکواکب علی الابدال ویجوز فی النصب ایضا الابدال علی
محل الجار والمجرور بہذا المعنی ویجوز علی قراءة الجر ان یراد بالزینة ما زینت بہ الکواکب
من اضوآئہا واوضاعہا المختلفة کشکل الثریا وبنات النعش والجوزآ وغیر ذلک ویعضدہ
قولہ تع ولقد جعلنا فی السمآ بروجا وزیناہا للناظرین ای بالاشکال وعن ابن عباس رض بزینة
الکواکب بضوء الکواکب واعلم ان تقیید السمآ بالدنیا یانی عن حمل الزینة علی الحسب المفہوم
علی الظہور فی الحس لعدم تمایز بین العلیا والدنیا فی ذلک ففی التقیید المذکور قدح لما اشتہر
من ان ما عدا القمر من الکواکب لیس فی سمآ الدنیا وحفظا عطف علی محل قولہ بزینة الکواکب
زینة للسمآ وحفظا من السمآ کما قال ولقد زینا السمآ الدنیا بمصابیح وجعلناہا رجوما للشیاطین
او منصوب بفعل مقدر علی المصدر ای وحفظناہا حفظا او علی التعلیل ای وحفظا زیناہا
بالکواکب من کل شیطان مارد خارج عن الطاعة لا یسمعون ابتدآ الاقتصاص لبیان حال
مسترقة السمع لا تعلق لہ بما قبلہ الا من حیث المعنی ورجوع الضمیر الی کل شیطان اما من
حیث اللفظ فلا یجوز ان یکون صفة لکل شیطان اذ لا معنی للحفظ من شیاطین لا یسمعون
ولا استینافا اذ لو سئل لم تحفظ من الشیاطین لما صح الجواب فلا یجوز ان یکون صفة لکل
شیطان بانہم لا یسمعون فینبغی ان یکون منقطعا ومن زعم انہ تعلیل اصلہ لئلا یسمعون فحذفت
اللام فبقی ان لا یسمعوا فحذفت ان واہدر عملہا فقد ارتکب شططا لان کل واحد من الحذفین
علی الانفراد غیر منکر واما جمیعہما فمن المنکرات التی یجب صون القرآن عنہا الی الملا الاعلی
وہم الملائکة لانہم سکان السمآ والثقلان الملا الاسفل لانہم سکان الارض وقرئ لا یسمعون
بالتخفیف وتشدید السین والمیم واصلہ یتسمعون والتسمع طلب السماع وعن ابن عباس رض
یتسمعون فلا یسمعون وہذا ینصر التخفیف علی التشدید وعدی یسمعون بالی لتضمنہ الانتہا
ای لا ینتہون بالسمع او التسمع الی الملا الاعلی لتضمنہ معنی الاصغا اذ ح لا یلزم انتفا السمع

او التسمع اذ لا يلزم من انتفا المجموع انتفا كل جزء منه فمن وهم ان فيه المبالغة في النفي فقد وهم
ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب من كل جهة يصعدون الى السما منها للاستراق
دحورا مفعول له اي للدحور وهو الطرد او قال اي مدحورا او مصدر لان القذف والدحور
متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون دحورا او على انه جا مجي القبول والولوع ولهم عذاب
واصب دائم اي انهم مرجومون في الدنيا بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة عذاب غير منقطع
الا من خطف الخطفة من مرفوع المحل بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان
الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخا والطا وتشديدها وخطف بفتح الخا وكسر الطا وتشديدها
واصلها اختطف والخطف الاستلاب بسرعة والمراد استلاب كلام الملائكة مسارقة ولذلك
عرف الخطفة فاتبعه وقرئ فاتبعه بالتشديد وقدم التفصيل في تفسير سورة طه شهاب رجم
اي هم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل ريثما خطف خطفة فاتبعه شهاب
قيل نجوم الرجوم غير نجوم الزينة تلك ثابتة وهذه سائرة قال الشعبي لم يقذف بالرجوم حتى
بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم فيعتقون رقيقهم
يظنون انها القيمة فاتوا عبد ياليل الثقفي وكان قد عمي فاخبروه بما فعلوه قال لما قالوا ان
النجوم تهافتت من السما فقال لا تعجلوا فان كان النجوم التي تعرف قال فما مكثوا الا قليلا حتى
اتاهم خبر النبي عليه السلام وفيما روي عن ابن عباس رض ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام وعلى كلا
التقديرين الحادث قذف الشياطين بالشهب لا الشهب نفسه فلا قدح فيه بدلالة اشعار
الجاهلية على وجود الشهب قبله ولا حاجة الى ان يقال ان الحادث كثرتها لا وجودها واما ما
قيل ان اصل الشهب بخار يصعد فيشتعل فيرده نص الكتاب لانه صريح في ان الشهب الكواكب
المشبهة بالمصابيح وان انقضاضها واشتعالها لحكمة القذف لا باقتضا طبعها عند وصولها
الى الاثير ثاقب الشديد الاضاءة كانه يثقب بضوئه فاستفتهم لما كانت الهمزة في الاصل
للاستفهام قيل فاستفتهم اي فاستخبرهم ولم يقل فقررهم وان خرجت الى معنى التقرير والضمير
لمشركي العرب او لبني آدم اهم اشد خلقا يحتمل اقوى خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم
البعث والنشاة الاخرة ام من خلقنا المراد منه ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض
وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على
غيرهم فقال من خلقنا ويدل عليه اطلاقه ومجيه بعد ذلك وقراة من قرا ام من عددنا بالتشديد

التخفيف

والتخفيف وقوله انا خلقناهم من طين فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
كعاد وثمود فلان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم اياه والامر فيه بالاضافة اليهم والى
من قبلهم سوا لازب لازم ما جاوره ملاصق به اي اصل خلقتهم هو الطين اللازب وليس الا
التراب والما وهو على حاله فمن اين استنكروا ذلك بل عجبت من انكارهم البعث ويسخرون
اي وهم يسخرون منك ومن تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ عجبت بضم التا وحمل الكلام على
المجاز فان التعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام شي وهو على الله محال فهو في حقه
اما مجرد الاستعظام واما على سبيل الفرض على معنى انه عند الله تع بمنزلة لو جاز عليه العجب
لعجب او التخييل من باب الاستعارة على ما مر في قوله تع يا حسرة على العباد وان الامر في لعب
متعجب منه وقد جا في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم اياكم واذا ذكروا لا
يذكرون واذا وعظوا بشي لا يتعظون واذا راوا اية عظيمة من ايات الله تع كانشقاق
القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية كانهم يطلبون من انفسهم السخرية منها ويجهدون
في ذلك ويستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدل الفعلية بالاسمية
وقدم الظرف وكرر الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بانه مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد
استنكارا فهو ابلغ من القراة بطرح احدى الهمزتين او اباؤنا مبتدا خبره محذوف تقديره
مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد ام عمرو فعمرو مبتدا محذوف ويجوز عطفه
على محل ان واسمها على خلاف مذهب سيبويه لانه يقول ان عمرا في قولك ان زيدا قائم
وعمرو مرفوع على الابتدا واما عطفه على الضمير في مبعوثون فلا يصح له لان همزة الاستفهام
لا تدخل الا على الجمل فعلى تقدير العطف على المفرد كان الفعل عاملا فيه بواسطة حرف العطف
وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها وادخال الهمزة الانكارية على الواو لزيادة
الاستبعاد على معنى انبعث ويبعث ايضا اباؤنا يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وقرئ او
اباؤنا باو الفاصلة قال صاحب المطالع واذا كانت للتقرير او للتوبيخ او الرد او الانكار
او الاستفهام كانت مفتوحة الواو واذا جاءت للشك او التقسيم او الابهام او التورية
او التخيير او لمعنى بل او لمعنى حتى او لمعنى على وكيف كانت عاطفة فهي ساكنة الواو الاولون
الاقدمون قل وقرئ قال نعم اي نعم تبعثون وانما اكتفى به في الجواب لتحقق ما يدل على جوازه

واما قيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه فلا يجدي في حق القائلين انه سحر مبين والكلام معهم
بعد ما انكروا الاعجاز والرسالة وانتم داخرون صاغرون وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان
فانما هي مبهمة لا ترجع الى شيء موضحها خبرها ويجوز ان ترجع الى البعثة الدال عليها مبعوثون
والفاء شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة اي صيحة واحدة هي النفخة
الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح بها وامرها بالاعادة كامر كن في الابدا ولذلك رتب
عليها قوله فاذا هم ينظرون احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا تفسيره
في سورة يس هذا يوم الدين كلام الكفرة هذا يوم الفصل كلام الملائكة جوابا لهم ويجوز ان
يكون الاول ايضا من كلام الملائكة وان يكون الكلام الثاني من كلام بعض الكفرة لبعضهم
اي هذا يوم الجزاء الذي نراه ونجازى باعمالنا هذا يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى
والضلال الذي كنتم به تكذبون فيه دلالة على ان الرسل عليهم السلام جددوا الانذار بعذاب
النار وسائر الاهوال في دار القرار وهم اصروا على الانكار واستمروا على الاصرار احشروا
الذين ظلموا خطاب الله تع للملائكة او خطاب بعضهم بامر الله للملائكة والحاجة الى الحشر
لانهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر وفراش مبثوث والحشر السوق الى المجمع واحد
من الجهات المختلفة وازواجهم قرناءهم من الشياطين قال ابو سعيد الخدري رض في تفسير
قوله تع ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذا بعث الكافر زوج
بقرينه من الشياطين فلا يفارقه وقال عطا في تفسير قوله تع واذا النفوس زوجت اي قرنت
نفوس المومنين بحور العين ونفوس الكفار بالشياطين وما كانوا يعبدون من دون
الله دل هذا على ان المراد من الذين ظلموا المشركين وقوله عليه السلام على وفق قوله تع حكاية
عن الملائكة بل كانوا يعبدون الجن بل هم عبدوا الشياطين الذين امرتهم بذلك في
جواب ابن الزبعرى دل على ان ما على عمومه وان الاصنام ونحوها غير داخلة فالضمير في قوله تع
فاهدوهم للمجموع المذكورين الى صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها وفيه تهكم
بهم لما مر في تفسير سورة الفاتحة ان الهداية دلالة بلطف وفي الصراط ايضا نوع تهكم لانه
طريق لا التواء فيه ولا اعوجاج وقفوهم احبسوهم هذا الحبس عند مجيئهم النار على ما دل عليه قوله تع
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم الاية
فالسوال في قوله تع انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم بل عما كانوا يرجون منه الشفاعة

والنصرة بدلالة قوله تع ما لكم لا تناصرون وقوله تع في موضع اخر ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون توبيخ لهم وتهكم بهم بالعجز عن التناصر وتخليص
بعضهم لبعض بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون اي ليس
احد يقدر على نصر احد بل الكل منقادون لما يراد بهم وكلمة بل حرف الابتدا لا حرف عاطفة
واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة والشياطين يتساءلون يتخاصمون قالوا يعني الكفرة للشياطين
انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن القوة والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه قالوا
يعني الشياطين للكفرة بل لم تكونوا مومنين اضراب عن مقدر دل عليه السياق اي ما اجبرناكم
على الضلال بل انتم اعرضتم عن الايمان واخترتم الكفر عليه بالاختيار وما كان لنا عليكم من
سلطان من تسلط يسلبكم التمكن وبقسركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان وهذا على
وفق ما في موضع اخر من قوله تع قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال مبين فحق علينا
اذ انقسركم فلزمنا قول ربنا انا لذائقون اي حكم ربنا بانا لذائقون لعذابه ولما اخبروا بذلك
عن انفسهم عدلوا عن الخطاب الى لفظ المتكلم فحكى الله قولهم ولو حكى وعيد الله كما هو لقال انكم لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين احببنا ان تكونوا امثالنا وما احببنا
لكم الا ما احببنا لانفسنا فلم استحسنتم الغي على الرشد اي غايتنا في الباب انا دعوناكم فلم
اجبتم وملتم فكانه تقرير لقولهم فحق علينا قول اي ليست عقوبتكم في الحقيقة منا ولو كان كل
غواية باغواء غاو فمن اغوانا فانهم اي الاتباع والمتبوعين من الكفرة والشياطين يومئذ
يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا في الغواية مشتركين انا كذلك مثل ذلك الفعل
العظيم نفعل بالمجرمين بالمشركين بدلالة السباق واللحاق وفي الاطلاق ما لا يخفى من المبالغة
في كون الاشراك جرما جسيما بعد سائر المعاصي جرما نظرا اليه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون عن الاذعان والقبول ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق اضراب عن مقدر دل عليه السباق وصدق المرسلين اذ هو وهم
عليهم السلام على طريقة واحدة في دعوة الامم الى التوحيد وترك عبادة غيره تع وفيه رد على
المشركين بان ما جاء به من التوحيد حق تطابق عليه البرهان العقلي والبيان النقلي من المرسلين
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك والتكذيب وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله
ولا ذاكر الله بتقدير النون وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وفي عبارة الذوق دلالة على

ان لهم عذابا جسمانيا وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم وانما حذف المضاف للمبالغة في
المماثلة كما في التشبيه البليغ الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي لكن عباد الله المخلصين
ثوابهم مضاعف وقيل متصل عن الضمير في تجزون ولذا اتفقوا على انها للعموم اولئك لهم رزق
معلوم خصائصه من الدوام ومحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يتلذذ به وذلك
لانهم مستغنون عن التغذي اذ لا تحليل هناك فيكون رزقهم كله للتفكه والتلذذ لا للتقوت
وهم مكرمون عند الله لا يلحقهم هوان في ذلك من اعظم الثواب والليقة بذوي الهمم في جنات
النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فان جعل خبرا كان متقابلين حالا من الضمير فيه او في مكرمون
ويجوز ان يتعلق بمتقابلين على ان متقابلين حال من مكرمون يطاف عليهم بكأس الكأس
الزجاجة ما دامت فيها الخمر وقد تطلق على الخمر مجازا كما في قوله • وكأس شربت على لذة •
من معين من شراب معين او نهر معين المعين الماء الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون
وانما وصف بما يوصف به الماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار
من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان للكأس ولذة وصف بالمصدر للمبالغة كأنها
نفس اللذة او تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ولذة تأنيث لذ بوزن فعل
كجلد ورطب قال • ولذ كطعم الصرخدي تركته • لا فيها غول اي فساد من انواع المفاسد التي تكون
في خمور الدنيا من خمار وصداع واختلاط عقل ولغو وعربدة وغير ذلك والغول الاهلاك
والافساد ومنه الغول وتقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي لافادة نفي الغول عنها واثباته
في غيرها لان اثباته في غيرها غير مقصود بل لافادة ان الغول المنفي عنها ما هو الثابت في
غيرها اي ليس فيها ما في خمور الدنيا ولا هم عنها ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب
اذا ذهب عقله وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف اذا سكر وانما افرد النزف
من انواع الغول وافرد بالذكر للدلالة على ان السكر من اعظم المفاسد كأنه مفسدة برأسها
وجنس اخر غير داخل تحت الغول وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن
لا يمددن طرفا الى غيرهم عين العين النجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المكنون في الاداحي فانه مصون عن الغبار في غاية الصفاء ولونها بياض بصفرة
حسنة وهي احسن الوان الابدان وبها تشبه العرب مخدراتهم وتسميهن بيضات الخدور

دبقي

وقيل اراد به المصون عن الكسر يعني انهن عذارى صحيحات قال الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبلي
وهن اصح من بيض النعام ويؤيده ما في سورة الرحمن فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان قال في صفة الحور كأنهن بيض مكنون وفي صفة الولدان كامثال اللؤلؤ
المكنون واشار بذلك الى ان الحور اصح دون الولدان لان اللؤلؤ للنظر لا للذوق والبيض
لهما فاقبل بعضهم على بعض عطف على يطاف عليهم يتساءلون اي يتحادثون على الشراب يسائل
بعضهم بعضا عما جرى له وعليه في الدنيا وعن رفقائه وتعبير النظم الى الماضي للاخبار بتحقق
وقوع تلك اللذة خاصة من بين سائرها وهي التحادث على الشراب كعادة الشرب • وما
بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام • قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي
قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين قرئ بالتخفيف والتشديد اي يوبخني على
التصديق بالبعث او التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما لا يقال ذكر كونهم عظاما بعد
ذكر كونهم ترابا تنزل من القوي الى الضعيف في مقام الاستبعاد بل في ذكر ذلك يغني عن ذكر
هذا لانا نقول كونهم عظاما محقق لكونهم ترابا عقلا فلا غنية ولا تنزل فافهم هذه الدقيقة
الانيقة ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او مسوسون من دانه اي ساسه
ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم
ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا
وقرئ مطلعون بالتخفيف يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى فاطلع اي عرض لهم الاطلاع
فقبلوا عرضه فاطلع بعد ذلك هو ايضا قرئ بالتشديد على قراءة مطلعون مشددا وبالتخفيف
على قراءة مطلعون مخففا على لفظ المضارع المنصوب جوابا للاستفهام وقرئ مطلعون
بكسر النون والتخفيف على ارادة مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقولهم الفاعلون
الخير والامرونه وقيل شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لما بينهما من التآخي كأنه قال تطلعون
وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر وعلى قراءة المضارع معناه هل انتم مطلعون الى القرين
فاطلع ايضا ان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه شرط في اطلاعهم لرعاية ادب المجالسة
وهو ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فاذا قبلوه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة
اي اطلعوني على قريني ايها الملائكة فاطلع صاحبي من اهل الجنة عليه فرآه اي قرينه في سواء
الجحيم في وسطها قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين ان مخففة من

الثقيلة واللام هي الفارقة كقوله ان كاد ليضلنا ولولا نعمة ربي بالعصمة والهداية لكنت
من المحضرين في العذاب معك افما نحن بميتين الهمزة للتقرير والتوبيخ دخلت على الفاء العاطفة
ما بعدها على معطوف محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسوال ونصبها على
المصدر من اسم الفاعل وقيل الاستثناء منقطع وما نحن بمعذبين كما وعدنا والمعنى ان هذه
حال المومنين وصفتهم فيما وعد الله تع بخلاف حال الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة
وهذا تمام كلامه لقرينه تقريعا له ثم تعول معاودا الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وحال رفقائه وتحجا بها وزيادة في تقريع قرينه ان
هذا اي الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله تع تقرير القوله وتصديقا
له واشارة الى ما هم فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب وقرئ لهو الرزق العظيم
اي ما رزقوا من السعادة لمثل هذا اي لنيل مثل هذا ان عملوا عملا فليعمل العاملون لا
للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهذا معنى تقديم الغاية وايراد
فاء السببية من عادة الله تع ان يشفع الوعد بالوعيد فلما فرغ من بيان الرزق المعلوم
ووصف اهل الجنة في تحادثهم وانسياق كلامهم الى قصة المومن وقرينه شرع في رزق
الكافر ووصف اهل النار فقال اذلك اي اذلك الرزق المعلوم الموصوف خير نزلا نصب
على الحال والنزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وتجوز حمله على المعنى الحاصل على انه
نصب على التمييز ام شجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق منتنة مرة حريفة تنبت بتهامة
سميت به الشجرة الموصوفة وفيه ان الرزق المعلوم وما ذكر معه من النعيم لاهل الجنة بمنزلة
الطعام للنازل وما وراه من اللذات بعدا ما منهم لا يدخل تحت الوصف وكذلك شجرة
الزقوم وما ذكر معه انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
وامتحانا لهم في الدنيا حيث قالوا لما سمعوا انها في النار كيف يكون ذلك في النار وهي
تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فيها ويلتذ بها كالسمندر فهو قادر
على خلق شجر فيها وحفظه من احراقها انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقرئ نابتة مكان تخرج
قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها الى دركاتها طلعها الطلع ما يطلع اولا من النخلة عند اثمارها
وهو كام ثمرها كانه رؤس الشياطين استعير الطلع من حمل النخلة لحمل شجرة الزقوم وشبه

بروس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان استقباح الشيطان وكراهة
منظره امر راسخ في طباع الناس وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر
لها عرف جدا فانهم لاكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة
الجوع الشديد واستيلائه عليهم واما لانهم مقسورون على اكلها تعذيبا ثم ان لهم عليها
لشوبا من حميم ثم اذا شبعوا وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم واحرق الزقوم بطونهم
سقوا شرابا من غساق او صديد يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وقرئ لشوبا بالضم وهو
اسم لما يشاب به ويجوز ان يكون مستعار البعد ما في شرابهم من مزيد البشاعة والكراهة من طعامهم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي لهم مقار ومنازل معينة في دركات الجحيم اذا جاعوا جاؤا الى
الحميم ثم يرجعون الى مقارهم ومنازلهم من دركات الجحيم على ما اخبر الله عنه في قوله يطوفون
بينها وبين حميم آن وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا صادفوا
اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم الوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد ان ذلك بسبب تقليدهم
اباءهم الضالين فهم على آثارهم يهرعون لا يهرعون الاسراع الشديد كانهم يحثون على الاسراع حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على
تامل وفطنة ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين بالتقليد وترك النظر ولقد
ارسلنا فيهم منذرين انبياء حذروهم العواقب وانما قال فيهم دون اليهم دلالة على ان امعانهم
في الانذار بقرارهم فيما بينهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا فكذبوا
فاهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين الذين امنوا منهم فاخلصوا دينهم لله او اخلصهم
الله لدينه على اختلاف القراتين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد قومه
لانهم راوا آثارهم وسمعوا اخبارهم ثم شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين فقال
ولقد نادانا نوح حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اللام جواب قسم محذوف والمخصوص
بالمدح محذوف اي فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع في نادانا والمجيبون دليل العظمة
والكبرياء واظهارها اي ولقد دعانا فجئناه وعظمتنا انا اجبنا احسن الاجابة ونصرناه
على اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغم الذي
كان فيه من اذى قومه لانه بذلك دعا ربه فاجابه والكرب الحزن الثقيل على القلب
وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم دون غيرهم ولا دلالة فيه على عدم

بقاً ذرية غيره حتى يخالف ظاهر قوله تع ذرية من حملنا مع نوح لان الذرية تتناول اولاد
البنات دل عليه عد عيسى عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام على ما مر في سورة الانعام
وتركنا عليه في الآخرين من الامم كلهم هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين على الحكاية
كقولك قرات الحمد لله اي يسلمون عليه تسليما ويدعون له بهذه التحية في العالمين من الملائكة
والثقلين جميعا كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الكل عن آخرهم انا كذلك
نجزي المحسنين علل مجازاته بتلك التكرمة السنية وعظمها بقوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء
العظيم وهو تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه ابدا باحسانه ثم علل احسانه بايمانه واضافه
الى ذاته تع في زمرة خواصه بقوله انه من عبادنا المؤمنين لاختصاصه به كل ذلك لجلالة قدر
الايمان وعلو شانه وانه الغاية القصوى من صفات المدح والتعظيم اذ جعله موجبا
لكرامته واختصاصه مع كونه نبيا مختارا ترغيبا للعباد في الايمان والازدياد فيه الى
الايقان ثم اغرقنا الآخرين ثم اخبر تعالى انه اغرق من لم يؤمن من قومه وان من شيعته
ممن شايع نوحا في التوحيد واصول الدين لابرهيم ولا يقدح في ذلك اختلاف فانها تختلف
بحسب اختلاف الامم وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وما كان بينهما من الانبياء
الا هود وصالح اذ جاء ربه منصوب بتقدير اذكر لا بما في الشيعة من معنى المتابعة لان
فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله لابرهيم وايضا لام التاكيد تمنع ان يعمل
ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا لم يجز بقلب سليم من جميع آفات
القلب كالشرك والشك والغل والغش وغير ذلك استعار المجيء للاخلاص والاعراض
عما سوى الحق بالتوجه اليه اذ قال لابيه وقومه بدل من اذ جاء ماذا تعبدون سؤال توبيخ
ائفكا آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له اي اتريدون آلهة افكا قدم المفعول
وهو آلهة للعناية لان الانكار متوجه اليه ثم قدم المفعول له عليه لان الاهم عنده ان
بانهم ليسوا على غرض صحيح ويعير عليهم انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك او مفعول
به وآلهة بدل منه او تفسير وبيان للمبالغة جعلت انفسهم افكا واريد عبادتهم على حذف
المضاف لدلالة ما تعبدون عليه او حال بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين والافك
اشنع الكذب وافظعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فما ظنكم برب العالمين
بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته الى عبادة غيره فنظر

نظرة في النجوم في اوصافها واوضاعها واتصالها او في كتابها او في علمها يوهمهم انه
الاستدلال على حاله وكانوا منجمين فقال اني سقيم انما قال ذلك لانهم ارادوا ان يصحبهم
الى عيدهم وكان اغلب اسقامهم الطاعون فاوهمهم السقم فهربوا منه على ما دل عليه قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرين فاعرضوا عنه مولين الادبار مخافة العدوى لانه عرض بعد ما فعل
باصنامهم ما فعل وقوله اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب اي سقيم القلب
لكفركم او مشارف للسقم لان من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم ولا يخلو صحيح
من ذلك فلم يكن كاذبا فيما اظهر من الكلام فلم يلحقه به شيء من الملام اذ كان في نفسه قصد
كسر الاصنام فاحتال لاظهار الحق وابطال الباطل فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا فراغ
فذهب في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة الى آلهتهم بناء على زعمهم اي الى اصنامهم
التي يزعمونها آلهة كقوله تع اين شركائي فقال الا تاكلون اي الطعام الذي عندكم ما لكم لا
تنطقون بجوابي استهزاء وتهكم بها وبعبدتها وايماء الى انحطاطها عنهم فراغ عليهم فاقبل
عليهم مستخفيا ضربا نصب على الحال بمعنى ضاربا او على المصدر من فعل مقدر هو حال اي فراغ
عليهم يضربهم او من راغ لانه في معنى ضرب كانه قيل فضربهم مقبلا عليهم وتقييده باليمين للدلالة
على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل معناه بسبب الحلف وهو قوله وتالله
لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرئ
يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم
بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا
اسرع ويزفون من ازفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال ابرهيم
بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبياء اتعبدون ما تنحتون تحت الخشبة بريها
يقول اتعبدون اصناما تنحتونها انتم والله خلقكم وما تعملون وخلق ما تعملونه من الاصنام
او ما تعملونها انتم فان جواهرها بخلقه واشكالها وان كانت بفعلهم ولذلك نسب اليهم عملها
فانها باقداره تع اياهم عليها وخلق ما يتوقف عليه اعمالهم من الآلات والجوارح والدواعي
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديد الوقود من الجحمة وهي شدة التاجج
فارادوا به كيدا صنعوا لاهلاكه حظيرة مملوءة بالنار ومنجنيقا لرميه اليها من بعيد
لان شدة حرها كانت مانعة عن الحضور عندها فلذلك عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من

الجملة فجعلناهم الاسفلين لما غلبهم بالحجة ارادوا ان يهلكوه كيلا يظهر للعامة عجزهم فابطل
الله كيدهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وصار كيدهم حجة اخرى بالتصديق بانه من عند الله تعالى
والمراد من المعجزة في امثال هذا المقام الامر الخارق للعادة لا مصطلح اهل الكلام وقال اني
ذاهب الى ربي مهاجرا الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه للعبادة سيهدين
سيرشدني الى ما فيه صلاحي واستقامة او ديني وانما بت القول لان الله وعده فبنى الامر على
هداية وعده لقوة يقينه او بنا على عادة الله تعالى في هدايته وارشاده لقوة توكله
وتفويضه الامر اليه تعالى ولم يبنه على الرجا كما بنى موسى عليه السلام حيث قال عسى ان يهديني
ربي سوا السبيل لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه على قصور موسى عليه
السلام في ذلك الباب والله اعلم بالصواب رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين
استانس به في الغربة وتتفرج به عني الكربة اراد به الولد لان الهبة غالبة فيه وان
جات في الاخ كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا على ان الموهوب
فيه نبوة هرون لا نفسه عليه السلام واما البشارة بالغلام فلا تدل على ارادة الولد لخصوصه
فبشرناه بغلام حليم الفا لترتبه على هب لي كقوله تعالى فاستجبنا له ولا كلمة اقل لفظا واكثر
معنى من هذه لاحتوائها على البشارة وانه ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لا لان غير البالغ لا
يوصف بالحلم بل لان الغلام من طر شاربه وبانه يكون حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء
باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده وما نعت به الا ابرهيم وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه السعي
معه متعلق ببلغ اي بلغ السعي مقارنا له وذلك لا يقتضي بلوغهما معا حد السعي كما لم يقتض
قول بلقيس اسلمت مع سليمن ان يكون اسلامهما معا وفي الحديث كنا نحيض مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمامه في صحيح البخاري وتجوز ان يتعلق بالسعي فان معمول المصدر اذا
كان ظرفا او شبهه تجوز تقديمه عليه لان الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل فلا حاجة في العمل فيه
الى تاويل المصدر مع الفعل على انه ليس كل ماول بشيء حكمه حكم ما اول به والمراد باختصاص
الاب بالسعي معه بيان صغر سنه اي لم يبلغ ان يسعى في الحوايج الا مع ابيه لا مع غيره لان
اباه ارفق الناس به واعطفهم عليه لا يكلفه الا ما سهل عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعا
فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وفائدة ذلك البيان اظهار انه مع حداثة سنه
وغضاضة غصنه بلغ مبلغا من رصانة الحلم وكبر السن وفسحة الصدر ما سهل عليه احتمال

تلك

تلك البلية العظيمة ويسر له الاجابة بذلك الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك اي امر من الله تعالى ويدل عليه قوله افعل ما تومر وذلك ان رويا الانبيا وحي
كما في اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى مرة بعد اخرى والامر به انما كان في المنام دون
اليقظة لتكون مبادرته عليه السلام الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص فانظر
ماذا ترى من الراي وانما قال على وجه المشاورة مع انه حتم من الله عليه ليعلم اعنده فيما
نزل به من بلا الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وليوطن نفسه
عليه ويتلقى البلا مستانسا به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى وقرى ماذا ترى من الاراة
اي ماذا تبصر من رايك وتدبيرك وماذا ترى على البنا للمفعول اي ماذا تريك نفسك من
من الراي قال يا ابت افعل ما تومر اي ما تومره حذف هو منصوب واصله تومر به
فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به واتصل الضمير منصوبا فجاز
حذفه او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تومر به على
الاصل ستجدني ان شا الله من الصابرين على الذبح او على ما قضى الله به فلما اسلما يقال سلم
لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له وخضع وقد قرى بهن جميعا واصلها
من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم
منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم
استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع
احد شقيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان
وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في
المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم في ايثار الندا على القول اشعار بتمثيل حاله بحال
من يحتاج في خطابه الى رفع الصوت وان كان الخطاب عن قريب زجرا عما اقبل عليه وتوغل
فيه قد صدقت الرويا بصدق العزيمة والاتيان بما في وسعه من المقدمات اذ روي انه امر
السكين بقوته على حلقه فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما تنطق به الحال
ولا تسعه العبارة والمقال من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله تعالى وشكرهما على ما انعم
به عليهما من دفع البلا بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب
والرضوان والكرامة عند الله تعالى والفوز الذي ليس وراءه مطلوب انا كذلك نجزي المحسنين

تعليل لتحويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا لهو البلاء
المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون عن غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا
محنة اصعب منها وانما قال وفديناه والفادي على الحقيقة هو ابرهيم والله هو الذي وهب له
الكبش فكان هو الممكن من الفداء بهبته فاسند الى نفسه اسنادا الى السبب مجازا بذبح الذبح
اسم ما يذبح عظيم عظيم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقيل عظيم القدر لانه كان فداء
لنبي من انبياء الله تعالى وهو اسمعيل عليه السلام في قول ابي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من
التابعين واسحق عليه السلام فيما روي عن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين
والاول اظهر لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق معطوف على البشارة
بهذا الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر
ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا
فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه من الابل ولان ذلك كان بمكة ولان قرني
الكبش كانا معلقين بالكعبة في يد اسباط اسمعيل عليه السلام حتى احترق البيت ولان البشارة
باسحق فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا واما ما روي انه اسحق فاخبار لم تثبت صحتها وتركنا
عليه في الاخرين ثناء حسنا ولا وقف عليه لان سلام على ابرهيم مفعول تركنا كذلك نجزي
المحسنين لم يذكر ههنا انا مع ذكرها اواخر القصص كلها لانه قد سبق فيها مرة فاكتفى به
ايجازا انه من عبادنا المؤمنين قد سبق بيانه في هذه السورة وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين حالان مقدرتان كقوله تعالى فادخلوها خالدين اي بشرناه باسحق مقدرا كونه
نبيا مقضيا كونه من الصالحين ولا حاجة الى تقدير مضاف كما قيل فان تقدير الحال لا يوجب
وجود ذي الحال بل تقدير وجوده وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وباركنا عليه
على ابرهيم وعلى اسحق بان اخرجنا من نسلهما انبياء وافضنا عليهما بركات الدين والدنيا
وتكرير الحال واظهار اسحق للاشعار بان التبريك عليه بالاصالة والاستقلال لا بالتبعية
لكونه نبيا واما بالانبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب ومن ذريتهما محسن في
عمله بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان
النسب لا يؤثر في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود اليهما بعيب ونقيصة
على الاسلاف وان المدح والذم انما يترتبان على كسب المرء وحسن عمله وقبحه وصلاحه

وفساده

وفساده في نفسه لا على علم الاصول والفروع واما انه لا تاثير للعرق الطيب والخبيث اصلا
حتى يلزم ان تنهدم الطبائع والعناصر فينافي ما هو الظاهر من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم
ومن قوله عليه السلام لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده بعد ذلك من ان
النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها فلا دلالة فيما ذكر فيه ولقد مننا على موسى وهرون
بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم
من استيلاء فرعون وقومه وظلمهم او من الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم
الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما
الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا
كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين مر تفسيره في هذه السورة وان الياس لمن
المرسلين قيل ان الياس كان ادريس رفع قبل الطوفان الى السماء ونزل ببعلبك ويعضده
قراءة ابن مسعود وان ادراس في موضع الياس وقرئ ادراس وهو الياس بن ياسين
من سبط هرون اخي موسى عليهم السلام اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله تعالى اتدعون
بعلا اتعبدونه وهو علم صنم كانوا يعظمونه غاية التعظيم واخدموه اربعمائة سادن يتلقون
شرائع الضلالات من الشيطان ويقولون ان بعلا امر بكذا ونهى عن كذا وكان اسم مدينتهم
بك وهو من بلاد الشام فنسبت اليه وركب اسمها باسمه وسميت بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين تتركون عبادة الله تعالى لم يقل وتدعون مع ما فيه من صنعة التجنيس لا
لانه مذموم فانه اذا كان بريا عن التصنع يكون ممدوحا واقعا في كلام الله تعالى وكلام الرسول
صلى الله عليه وسلم بل لان في دع امرا زائدا على الترك لا يناسب المقام وهو معنى الحفظ
ومنه الوديعة الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل
وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب
وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لاختصاص الاحضار المطلق بالشر الا عباد الله المخلصين
استثناء من واو فكذبوه لا من المحضرين ولا فساد فيه لان استثناءهم من القوم المحضرين
لعدم تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذبين فمآل المعنى واحد وتركنا
عليه في الاخرين سلام على الياسين لغة في الياس وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع

يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون ولا يجوز حمله على الجمع اذا قرئ بالقطع
اذ لا بد للجمع من التعريف بالالف واللام واما قراءة آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس
اضيف اليه الآل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم
دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه
عليهم على منازلهم مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي سار بتكرر مرورهم عليها بالليل
والنهار وهو الداعي الى الاعتبار افلا تعقلون ابعد هذه المعاينة ما لكم عقول تعتبرون
بها وان يونس لمن المرسلين قرئ يونس بضم النون وكسره اذ ابق الى الفلك الاباق فرار
العبد الى حيث لا يهتدي اليه صاحبه وكان يونس عليه السلام هرب من قومه بغير اذن ربه
الى حيث طلبوه ولم يجدوه على ما مر في تفسير سورة يونس فاستعير الاباق لهربه باعتبار
هذا القيد لا باعتبار القيد الاول المشحون المملوء فساهم اي قارع اهل الفلك بالقاء السهام
فكان من المدحضين اي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين اي عن مقام الظفر في
الاسهام روي انه عليه السلام لما وعد بعذاب قومه خرج من بينهم هاربا قبل ان يامره
الله تعالى به في السفينة فوقفت فقالوا ههنا آبق وفيما يزعم التجار ان السفينة اذا كان
فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه فالتقمه
الحوت ابتلعه ومنه اللقمة وهو مليم داخل في الملامة وآت بما يلام عليه او مليم نفسه
واللوم العتب وقرئ بالفتح من ليم كما جاء مشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين
من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس مدة عمره وقيل في بطن الحوت وهو قوله لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
عبارة اللبث دلت على الحياة فالمعنى لكان محبوسا في بطن الحوت الى يوم القيمة وفهم
منه ان لا يعم الهلاك عند النفخة الاولى الحيوانات البحرية وفيه حث على اكثار الذكر وتنبيه
على ان من اقبل اليه تعالى في السراء اخذ بيده عند الضراء واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت
ولا طائل تحت ذكره فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من
شجر وما روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح
حتى انتهوا الى البر فلفظه مردود بقوله تعالى فنادى في الظلمات على ما مر بيانه في سورة الانبياء
وهو سقيم معتل مما حل به وروي ان بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه

اى

اى فوقه مظلة شجرة من يقطين اليقطين ما ينبسط على وجه الارض من الشجر ولا يقوم
على ساق كشجرة الدباء والبطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
والاكثر على انها كانت الدباء وفائدة الدباء ان الذباب ينفر منها وهي اسرع الاشجار نباتا
وامتدادا وارتفاعا ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال
اجل هي شجرة اخي يونس وارسلناه الى مائة الف هو اما الارسال الى قوم آخر واما ارسال
ثان الى قومه الذين خرج من بينهم وجوز ان يكون المراد الارسال السابق لان الواو لا
تدل على الترتيب ويأباه الفاء في قوله فآمنوا لانها تدل على التعقيب بلا مهلة او يزيدون
باعتبار آخر وذلك ان المكلفين منهم كانوا مائة الف واذا ضم اليهم من بصدد التكليف
كانوا اكثر ومن ههنا ظهر وجه التعبير بصيغة التجدد دون الثبات واما على ما قيل ان
المعنى في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر فلا يظهر وجه العدول عن
الظاهر وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين الى
اجل مسمى وقرئ حتى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على فاستفتهم
في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة لامر ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث وساق الكلام جارا لما يلائمه من القصص
موصولا بعضها ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله تعالى مع كراهتهم الشديدة لهن واستنكافهم
من ذكرهن كما قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ولقد زادوا
بذلك على الشرك ضلالات آخر التجسيم وتجويز الفناء على الواجب الوجود تعالى شانه لان
الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه تعالى حيث جعلوا
اوضع الجنسين له وارفعهما لانفسهم واستهانتهم بالنورانيين المقربين حيث انثوهم ولذا كرر
الله تعالى ذلك في كتابه العزيز مرات وبين فظاعتها في آيات وجعلها مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وخص الانكار بامرين منهما لانهما اقرب
الى فهم العامة واقطع عندهم لمقتضى العادة التقسيم المذكور وانوثة الملائكة حيث جعل
المعادل للاستفهام ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة
لان الانوثة ليست من لوازم ذواتهم حتى يمكن للعقل طريق الى معرفة ذلك ولم

ينزل به كتاب فلا طريق الى علم امثال ذلك الا بالمشاهدة مع ما فيه من الاستهزاء والتسفيه
لرأيهم حيث يثبتون به القول كأنهم شاهدوا خلقهم والتخصيص بتقديم الظرف في الربك
ولهم وايلاؤه حرف الانكار لزيادة التشنيع وتفظيع قولهم الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون الافك الكلام المصروف من الحق الى الباطل والولد فعل بمعنى المفعول
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بالغ في الانكار بالاوان واللام وتقديم من
افكهم لظهور استحالته ووضوح حجة التوحيد اصطفى البنات على البنين استفهام انكار
واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وقرئ بكسر الهمزة وجوز ان يكون على الاخبار
باضمار القول متعلق بقوله لكاذبون في قولهم اصطفى البنات او ابداله من قولهم ولد الله
على انه من كلام الكفرة وبدون ذلك تلك القراءة ضعيفة جدا لكون هذه الجملة مكتنفة
بالانكار من جانبيها واقتضاء المقام اختصاصها بزيادة الانكار لانه بالغ في انكار
الولادة فاقتضى الحال ان يقول خصوصا الاناث فمن جعلها للاثبات اوقعها داخلة
بين شيئين نظم الكلام والجملة الاعتراضية التأكيدية اعني وانهم لكاذبون تزيدها ونذم
ضعفا لانها مؤكدة لنفي الولد عن اصله مؤكدة لذلك فاذا وجهتها الى هذه خرجت
عن كونها مبينة للافك وصارت كأنها مجوزة للولادة المذكورة مطرقة لصدقهم
لو قالوا بها وكذا الالتفات في قوله ما لكم كيف تحكمون اي بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون
انه منزه من ذلك وقرئ تذكرون من ذكر والاولى ان يقال ان تلك القراءة على حذف
حرف الاستفهام لوضوح دلالة قرائنه وشهادة معادله في قوله ام لكم سلطان مبين
حجة نزلت عليكم من السماء او من خبر من نبي بان الملائكة بنات الله اي لا يجوز عقل ولا
نزل به نقل فان كل شيء من ذلك فاتوا بكتابكم الذي ينطق بذلك كقوله تع ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ان كنتم صادقين في دعواكم وهذه الايات واردة
عن سخط عظيم واستبعاد لاق وويلهم شديد واما الاساليب التي وردت عليها والتراكيب
التي انتظمت بها الا ناطقة بتسفيه احلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم مع استهزاء
وتهكم وتعجب من ان يخطر بخاطر مثل ذلك على باله ويحدث نفسا فضلا ان يجعله معتقدا
ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه اي بين الله تع وبين الجنة يعني الملائكة ذكرهم
باسم الجنس وضعا لهم وتقصيرا بهم ان يبلغوا اعلى المناسبة التي اثبتوها لهم وان كانوا

في انفسهم مكرمين معظمين لاقتضاء المقام التحقير نسبا وهو زعمهم انهم بناته تع والمعنى
وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة
والجنة جنس يشمل كل من يجن ولا يؤنس لكن من صفي ذاته وتنسك وطهر وكان خيرا كان
ملكا ومتى تكدر جوهره واظلم وخبث ومرد وكان شرا كان شيطانا وقيل قالوا ان الله
صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تع والشيطان اخوان فعلى هذا لا يتناول اللفظ الملائكة
ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة لمحضرون النار ومعذبون بما يقولون وانما نسب العلم الى
الذين ادعوا لهم تلك النسبة وعظموهم ووضع محضرون موضع كاذبون للمبالغة في التكذيب
اي ان الذين تخوموهم بهذا النسب وشرفوهم يعلمون انهم في ذلك كاذبون مفترون
بما يقولون فيعذبون به وقيل ان فسرت الجنة بالشياطين جاز ان يكون الضمير في انهم
لهم اي ولقد علمت الشياطين ان الله يعذبهم ويحضرهم النار لو كانوا مناسبين له تع لما عذبهم
وفيه ان علم الشياطين بذلك غير معلوم لا بشهادة العقل ولا بشهادة النقل على ان
نسبة العلم اليهم قليلة الجدوى سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله
المخلصين استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به ولا يستعظام
ذنبهم اوقع التنزيه معترضا بين الاستثناء والمستثنى منه فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله تع بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء يقال فتن فلان على فلان امرأته
اذا افسدها عليه وانتم ضمير لهم وللآلهة غلب فيه المخاطب على الغائب والفاء في فانكم للسببية
من الاستثناء اي اذا كان المخلصون براء من ذلك فلا تفتنون انتم وما تعبدون الا من
هو من اهل النار ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع وما تعبدون ساد مسد الخبر كقولك كل
رجل وضيعته اي فانكم مع ما تعبدون بمعنى فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تزالون يعبدونها
ثم قال ما انتم على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والضلال الا
من هو صال منكم صال النار فهو كلام مبتدأ الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم تضلون
احدا الا اصحاب النار الذي سبق في علمه تع انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وقرئ
صال بضم اللام على الجمع والتقاء الساكنين بمعنى صالوا محمولا على معنى من والتوحيد في هو
على لفظه او على حذف لامه واجراء الاعراب على عينه كما حذفت من قولهم ما باليت به بالة
واصلها بالية من بالى كعافية من عافى او على القلب حتى يصير صايل ثم يقال صال في صايل

كما يقال شاك في سايك وما منا احد الا له مقام معلوم اي رتبة معلومة عند الله تعالى
معينة لا يتجاوزها وهو حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والوجه ان يكون
هو وما قبله من قوله سبحان الله الى قوله لنحن المسبحون من كلامهم متصلا بقوله ولقد علمت الجنة
كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها ثم استثنوا
المخلصين تبرئة لهم ثم خاطبوا الكفرة بالافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا
بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه فلا يتجاوزهم وليس هذا من حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه كما قيل لان احد المحذوف مبتدا والا له مقام معلوم خبره وانا لنحن الصافون
اقدامنا واجنحتنا في ادا الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون ربنا
عما لا يليق بشانه والاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في انما
واللام وتوسيط الفصل وتعريف الخبر في جملتين اخر كلام الملائكة من التاكيد والاختصاص
لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وان كانوا ليقولون ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة اي وانهم كانوا يقولون اي مشركي قريش لو ان عندنا
ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة
له ولما كذبنا وخالفنا كما كذبوا وخالفوا فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو معجز
من بين الكتب كفروا به فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اذا حل بهم الانتقام ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين اي حكمنا او وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهي باعتبار الغالب والمقتضي بالذات لا باعتبار
كل فرد وانما سميت كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فهي في حكم كلمة واحدة
وقرئ كلماتنا وقرئ على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض
على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة هي الموعد لنصرهم قيل هو يوم بدر وقيل هو يوم الفتح
وابصرهم على ما ينالهم حينئذ من القتل والاسر وفي مجيئه على صيغة الامر تنبيه على انه كائن
لا محالة قريب كانه قدامك وفيه تسلية له عليه السلام وتنفيس عنه فسوف يبصرون يبصرونك
على ما ينالك مما قضينا لك من النصرة والغلبة وسوف للتاكيد في الوعيد لا للتبعيد روي
انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل اي العذاب
وقرئ على البنا للمفعول مسندا الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد وقرئ نزل مسندا بساحتهم

بفنائهم

بفنائهم فساء وقرئ فبئس صباح المنذرين المخصوص بالذم محذوف اي فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس لاقتضاء فعل الذم ذلك والصباح الغارة ولما كان عادة
مغاويرهم ان يغيروا صباحا سميت الغارة به اي وقت وقعت ولو عشاء شبهه
بجيش هجم فاناخ بفنائهم بغتة فهو من باب التمثيل وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال
عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى
حين وابصر فسوف يبصرون في تكريره تاكيد وتسلية بعد تسلية واطلاق الفعلان في
الثاني بعد تقييد الفعل بالمفعول لزيادة المبالغة في عذابهم كما بولغ في نصرته اي انه يبصر
وهم يبصرون مما لا يحيط به الوصف من انواع المسرة واصناف المساءة او اريد بالاول
عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون
فيه واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن يعزه وقد ادرج فيه
جملة صفاته الثبوتية والسلبية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل
بالتسليم بعد تخصيص بعضهم به والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى
من تبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم ولما كان
مدار الكلام في هذه السورة على مقالة المشركين في الله
بنسبة الولد والشريك اليه تع ومقالة
الرسل معهم ومقاساتهم اياهم
وما منحوا من
التأييد
والنصرة عليهم ختمها على وفق ما ضمنت بالتنزيه عما يصفونه والتسليم على المرسلين بما تحملوا
من اعباء الرسالة واذى المرسل اليهم والتحميد
على ما انعم به عليهم من النصرة في العواقب
واعزاز الدين واعلائه
كملت
والله اعلم

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى عما يدرك بالحواس والاوهام وتعاظم
عما يحيط به القياس والافهام الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف فيه كيف
يشاء والملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم الارواح فلذلك وصف ذاته
باعتبار تصريفه عالم الملك وتدبيره اياه بحسب مشيته بالتبارك الذي هو غاية العظمة
في افاضة الخير والبركة والزيادة فيها وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته
بالتسبيح الذي هو كونه منزها عن مشابهة الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شئ واورد كلاما يناسبه لان الزيادة والبركة تناسب الاجسام
في نموها وازديادها والتنزه يناسب المجردات عن المادة وهو على كل شئ قدير سواء
كان من عالم الملك او من عالم الملكوت ففيه دفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من تخصيص
الملك بالذكر اختصاص الحكم السابق به الذي هو بدل من الذي قبله او خبر مبتدا
محذوف خلق الموت والحيوة الخلق الايجاد ان كان الموت ضد الحيوة وبمعنى
التقدير ان كان عدمها وانما قدم الموت فيه على المعنى المجازي ليعاملكم معاملة المختبر من البلوى
وهي الخبرة ليبلوكم ايكم احسن عملا في الدنيا بالزهد في امورها والرغبة عنها وكما ان
الاختبار في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا غير مخصوص
بالمكلفين بالشرائع كذلك ههنا غير مخصوص بهم جملة واقعة موقع المفعول الثاني
لفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى العلم فليس هذا من باب التعليق لان الجملة المعلق
عنها يجب ان يقع المفعولان معا ولما قدم الموت الذي هو اثر صفة القهر على الحيوة
التي هي اثر صفة اللطف قدم القهر على صفة اللطف في قوله وهو العزيز الغالب الذي
لا يعجزه من اساء العمل الغفور الستار الذي ييأس منه اهل الاساءة والزلل الذي
خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها
طبقا او جمع طبق كجمل وجمال او طبقة كتمرة وتمار صفة ان كان جمعا او وصفا بالمصدر
او على ذات طباق او طوبقت طباقا والخطاب في ما ترى في خلق الرحمن من كل احد
للتعجيب العام لما فيه من التناسب التام في خلقهن من تفاوت من اختلاف في الخلقة
وقرى من تفوت ومعنى البناء بين واحد كالتعاهد والتعهد وحقيقة التفاوت

عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه في خلق الرحمن من باب وضع
الكبرى موضع النتيجة انباتا للحكم بعلته وذلك ان اصل الكلام ما ترى فيهن من تفاوت
لانه من خلق الله وما ترى في خلقه من تفاوت وفي اضافته الى الرحمن اشعار بان ذلك
التناسب اثر الرحمة لانه مدار نظام العالم والجملة صفة ثانية لسبع فارجع البصر
متعلق بما قبله على معنى التسبب اي ان اردت ان تحقق ما اخبرتك فارجع البصر هل
ترى من فطور صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق والمراد الخلل ثم ارجع البصر بمعنى
التراخي في ثم هو ان يتوقف بعد كلال البصر بكثرة المراجعة حتى يحمر بصره ثم يعاود ويعاد
فلا ينقلب اليه الا بالبعد عن المطلوب والكلال ولا يعثر على شئ من التفاوت والفطور
والمراد من التثنية في كرتين التكرير والتكثير كما في قولهم لبيك وسعديك ولذلك اجاب
بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عما طلبت كانه طرد عنه بالصغار وهو حسير كليل
من كثرة المراجعة وطول المعاودة ولقد زينا السماء الدنيا القربى منكم وفي هذا
التوصيف دلالة على ان الزينة في الواقع لا في الرؤية اذ لا تمايز بين دنياها وعلياها
في النظر بمصابيح استعيرت للكواكب المضيئة بالليل والتنكير للتنويع اي بمصابيح ليست
من جنس مصابيحكم وجعلناها رجوما جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم للشياطين ضم الى
التزيين فائدة اخرى جليلة من رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب المنقضة وقد
عين هذا المعنى قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد والقران يفسر بعضه بعضا سيما في حكم
واحد فلا وجه لما قيل معناه وجعلناها ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون وفيه دلالة
على ان الكواكب استعيرت لها المصابيح في السماء الدنيا لان انقضاض الشهب
لا يتصور من سائر السموات وقد مر في سورة الانبياء ان تحت السماء فلكا هو موج مكفوف
فيه الكواكب كلها وعن كعب ان السماء الدنيا موج ملفوف واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاحراق بعد الاحراق بالشهب في الدنيا والسعير اشد الحريق وللذين كفروا بربهم
من الثقلين عذاب جهنم وقرى بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب جهنم
على عذاب السعير وبئس المصير المرجع اذا القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب
في النار سمعوا لها شهيقا صوتا منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها الفظيع بالشهيق
قال ابن عباس رض الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير

ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف واما الزفير والشهيق للكفار المذكورين في قوله تع لهم
فيها زفير وشهيق فذلك بعد القرار في النار وبعد ما قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون ولم
يبق لهم اصوات منكرة لا حروف معها وهي تفور ترتفع بالغليان فان الفور ارتفاع
الشئ بالغليان لا الغليان نفسه تكاد تميز تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار تمثيل
شدة اشتعالها فيهم ان يراد غيظ الزبانية واسند اليها للملابسة والغيظ الغضب
الكامن ولا يلزم ان يكون من العجز كما توهم الجوهري لقوله تع والكاظمين الغيظ فانه
في مقام المدح والعاجز لا يمدح عنه كلما القي فيها فوج من الكفار المكذبين للرسل بدلالة
كذبنا فلا حجة فيها للمرجئة على انه لا يدخل النار احد غير الكفار لانه بين حال الداخلين
فيها زمرا او سكت عن حالة الداخلين فيها فرادى فيجوز ان يكون عصاة المؤمنين
دخولهم فرادى سألهم اي قال لهم على ما صرح به في سورة الزمر في التعبير عنه بالسؤال
غير معروف حقه بالتعدية الى مفعوله الثاني بعن تنبيه على انه ليس بسؤال حقيقة بل
تقريع وتوبيخ في صورة السؤال خزنتها حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب
اهلها توبيخا لهم الم يأتكم نذير رسول من جنسكم يخوفكم من هذا العذاب وحمل النذير
على المعقول من الاية المحذرة المخوفة يرده قوله تع وقال لهم خزنتها الم يأتكم
رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا اعتراف
منهم بان الله ازاح عللهم بارسال الرسل وحمل النذير على معنى الجمع لما عداه الصيغة
لا يحتمله المقام لان معنى فكذبنا كل واحد من النذير الذي جاءنا وكل واحد منهم لم يكذب
رسلا متعددة جاؤهم كيف وقوم نوح ما جاءهم الا نوح عليه السلام وقلنا ما نزل الله
من شئ اي فكذبنا وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وعلى
وفق هذا ورد في حق المعقول من الايمان الى ان تكذيبهم لم يكن لرسولهم خاصة
فقولهم ان انتم الا في ضلال كبير خطاب لرسولهم ولا مثاله على التغليب اذ اقامة تكذيب
الواحد مقام الكل اشارة او الى عموم تكذيبهم للرسل وبعد ما صرحوا اولا يقتضي
ذلك اخبر واخر الاشارة الى معرض العبارة ويجوز ان يكون من كلام الخزنة على
ارادة القول والمراد بالضلال الهلاك والضلال في الدنيا حكاية لما كانوا عليه
فيها وقالوا لو كنا نسمع سماع قبول وطاعة او نعقل عقل متفكر متامل وكلمة او

نذير

بمعنى الواو كما في قوله تع ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم اذ لا استقلال في كل واحد من
السمع نفهم لتفهيم الخبر كقوله تع ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم او نعقل من عند انفسنا
بالتامل في الايات الظاهرة الدالة على وجوده تع ووحدانيته والبيان على صحة دعوى
الرسل وقيل اي نسمع ونعقل في الحكم المذكور بعده او تنزيلا لشطر العلة في منزلة
تمامها وتفصيلا لمواضع التوبيخ واعتنا بشان كل منهما في مقام التحسر ما كنا في اصحاب
السعير في جملة من اعدت النار لهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتراف وفي
افراد الذنب اعتبار لاصله فسحقا لاصحاب السعير السحق بتحريك الى وتسكينها البعد
وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء اي فاسحقهم الله سحقا واصحاب السعير
الشياطين لان اعداده كان لهم لا لكل من دخل فيه وقد اشير الى ذلك في سياق
كلامهم حيث قيل في اصحاب السعير ولم يقل من اصحاب السعير فلا فصل فيه بينهم وبين
اصحاب السعير كان اصل الكلام فسحقا لهم ولاصحاب السعير وانما عدل عنه الى ما ذكر
تغليبا لاصحاب السعير عليهم للتحقير والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه الايجاز ومن
وهم ان للايجاز نكتة اخرى للتغليب فقد وهم فان كلا مما ذكر يتيسر بدون التغليب
الا انه لا يكون على وجه الايجاز ان الذين يخشون ربهم بالغيب الخشية خوف يشوبه
تعظيم المخشي مع المعرفة ولهذا قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء وانما قال بالغيب
اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان واجر كبير متعلق بالتخصيص المستفاد من تقديم الجار
والمجرور لمجموع الامرين فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين يخشونه تعالى
واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره للامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه
المبالغة في استوائهما في علم الله تع ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور اي بضمائرها من
غير ان يترجم بالالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تتكلم به ثم انكر بقوله الا يعلم من خلق اي لا
يحيط علما بالسر والجهر من خلق الاشياء كلها وهو اللطيف الخبير وحاله انه المتوصل علمه
لما بطن من خلقه وما ظهر فهو تذييل بعد التعليل روي ان مشركي مكة كانوا ينالون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه فيما بينهم واسروا
قولهم كيلا يسمعه اله محمد عليه السلام هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة ليسهل لكم التصرف فيها
بالحركة والسكون وغير ذلك فامشوا في مناكبها شبه الارض في غاية تذليلها بالبعير

لهم مغفرة

المذلل فى المشى فى المناكب مثل لفرط التذلل ومجاوزته حد الغاية فان منكبى البعير وملتقاهما
من الغارب ارق شئ وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى
فى منكبيها لم يترك شيئا من التذليل ومن المثل ان تكون المفردات على حالها فلا
فلا استعارة فى لفظ المناكب وقيل استعير المناكب للجبال قال الزجاج معناه سهل
لكم السلوك فى الجبال فاذا امكنكم السلوك فيها فهو ابلغ التذليل وقيل استعير لجوانبها
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى وتخصيص الاكل بالذكر لكونه اهم واعم واليه
النشور اى اليه تعالى خاصة نشوركم وهو سائلكم عن شكر النعم به عليكم أأمنتم من فى
السماء امره وقضاؤه والوهيته كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله والهمزة
للانكار وقرئ بقلب الهمزة الثانية الفا ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون
وهو بدل من بدل الاشتمال والخسف ان تنهار الارض بالشئ وتعديته بنفسه وبكم
حال اى مصحوبا بكم فاذا هى تمور الامتوار اضطراب فى المجئ والذهاب ام امنتم
من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا كما فعل بقوم لوط والحاصب الحجارة التى يرمى
بها فستعلمون كيف نذير اى اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم به
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بانزال العذاب وهو
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
الاعتبار بالطير مناسب للمقام اذ قد تقدم الحاصب فى الكلام وقد اهلك الله اصحاب
الفيل بالطير والحاصب الذى رمتهم به ففيه اذكار من سبق بهذه القصة فوقهم
صافات باسطات اجنحتهن عند الطيران فانه اذا بسطها كانت قوادمها صفا
والصف وضع الاشياء المتوالية على خط مستقيم ويقبضن اذا ضربن بها جنوبهن
ولما كان الحث على الاستدلال على قدرة الله تعالى بالطير والاصل فيه بسط الاجنحة واما
القبض فطارئ للاستظهار على التحريك للبسط لم يقل وقابضات ليدل على ان القدرة
على ما هو فيه خلاف الطبع وانما هى البسط واما القبض فطارئ احيانا بعد وقت لاحتياج
البسط اليه فى التحريك فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء فكما ان الاصل
فى السباحة مد الاطراف والقبض انما يكون تارات للاستعانة على البسط فكذلك فى
الطيران فى الجو على خلاف الطبع ما يمسكهن الا الرحمن الشامل الرحمة للكل بقدرته بما دبر لهن

من القوادم والخوافى وخصهن تهيئا لها بها الجرى فى الجو ويمسكهن مستانف وان جعل
حالا من الضمير فى يقبضن يجوز انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق وبدبر ويهيئ لكل شئ ما
يعده لما خلق له واراد منه امن هذا الذى هو جند لكم امن يشار اليه من الجموع ويقال
هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان ارسل عليكم عذابه امن هذا الذى معادله
الهمزة للاستفهام اولم يروا من مبتدا هذا خبره والموصول مع صلته صفة هذا وينصركم
وصف جند محمول على اللفظ والمعنى اولم ينظروا الى هذه الصنائع العجيبة فيعلموا قدرتنا
على تعذيبهم بخسف او حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله تعالى ان ارسل عليكم عذابه
وهو نحو قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من
ينصر اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ان الكافرون الا فى غرور امن هذا الذى يرزقكم
امن يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه تقديرا وفيه ايذان بان هذه
الاشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظونهم من النوائب ويرزقون ببركة
التهم فكانهم الجند الناصر والرازق على اعتقادهم والامساك اللزوم المانع عن السقوط
فلما لم يسقطوا اضرب عنهم فقال بل لجوا اللجاج تقحم الامر مع كثرة الصارف فى عتو العتو
هو الخروج الى حيز الفساد ونفور النفور النبو عن الشئ هربا من الشعور بضرره اى
اصروا على العناد لما راوا فى السراء عن الحق النافع زاعمين انه باطل ضار ثم ضرب مثلا
للكافر والمؤمن فقال افمن يمشى مكبا على وجهه المشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى
فاذا ازداد فهو عدو والنقل اعم من المشى لتحققها بدونه كمن زحف ودب والحركة اعم
من النقلة لوجودها بدونها فيما يدور فى مكانه مكبا اكب صار ذاكب ودخل فى الكب
وهو السقوط فى الهوى ونحوه اقشع السحاب فى القشع وهما من باب انفض لا من
باب المطاوعة كما توهم فان مطاوع كب وقشع انكب وانقشع ولم يجئ من باب افعل
مطاوع على وجهه عاثرا كل ساعة يخر على وجهه لوعورة الطريق واختلاف اجزائه
فى الارتفاع والانخفاض ولذلك قابله بقوله سويا على صراط مستقيم واكتفى بما فى الكب
دلالة على حال المسلك واشعارا بان عليه المشترك لا يستاهل ان تسمى طريقا وخبر من اهدى
اى اشد امن يمشى سويا اى قائما سالما من العثور على صراط مستقيم لا ميل فيه اصلا فيكتفى
قيد الصعود والهبوط والعدول عن قصد السبيل قدم تفصيله فى سورة الفاتحة وخبره

محذوف لدلالة اهدى عليه وقيل المكب الذي يحشر على وجهه الى النار لانه كان مكبا
على المعاصي والسوي الذي يمشي على قدميه الى الجنة لانه كان على طريق التوحيد والاسلام
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة
لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون بهذه النعم والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة
ويحتمل ان تكون القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء
والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ويقولون متى هذا الوعد يعنون وعد
البعث ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين قل انما العلم علم وقته
عند الله لا يطلع عليه احد غيره وانما انا نذير مبين مخوف ظاهر وذلك ان بعثته صلى
الله عليه وسلم كانت من اشراط الساعة فكان صلى الله عليه وسلم منذرا قالا وحالا على ما
اشار اليه بقوله انا النذير العريان فلما راوه الضمير للوعد بمعنى الموعود زلفة نصب
على الحال اي ذا زلفة اي قرب منهم او على الظرف اي مكانا ذا زلفة اي فلما راوا
الوعد قريبا سيئت وجوه الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع الضمير اذ حقه
ان يقال فلما راى الذين كفروا الموعود بان رويه سيئت وجوههم فتغيرت الى ما تري
للذم والايذان بان سبب المساءة والكابة بدون الوعيد انما هو الكفر فمن يجير الكافرين
في موضع فمن يجيركم وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعا وقيل من الدعوى
وقرئ تدعون بالتخفيف قيل القائلون هم الزبانية اي تطلبون وتستعجلون او كنتم
بسببه تدعون وتزعمون انكم لا تبعثون قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من
المومنين او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم لا ينجيهم احد من العذاب متنا او
بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون وفيه تعريض بان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه متربصون احدى الحسنيين فهلاك الذي يطلبونه لهم انما هو
الفوز والسعادة وانتم على صفة ليس وراءها الا الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم
غافلون لا تطلبون الخلاص منه قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا
به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق به انما اخرت جملة امنا وقدمت توكلنا وقوع
امنا تعريضا بالكافرين حيث ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم
قيل وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم فستعلمون

من

من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ بيا الغايبة ردا على قوله فمن يجير الكافرين قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي صار غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء ويقال غار
الما غورا اذا اسفل في الارض مصدر وصف به مبالغة فمن ياتيكم بما معين طاهر تراه
العيون او جار على وجه الارض فهو على الاول مفعول
من العين كمبيع من البيع وعلى الثاني من
الامعان في الجري فوزنه
فعيل كانه قيل المعن
في الجري
والله اعلم

هذا ما وجد من هذا التفسير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

رقم المرجي عفو ذي الجلال • محمد بن الصالح الهلالي
يرجو من المولى بجاه المصطفى • سحاب افضال العفو وكفى
وذلك في اواخر سنة ٩٩٠
والحمد لله وحده
م